

عُيُونُ الْأَنْبَاءِ
فِي

طَبَقَاتِ الْأَطِبَّاءِ

إِبْنُ أَبِي أَصْلَيْعَةٍ

مَشْرُوكَ زَارِ مَكْتَبَةِ الْحَيَاةِ - بَيْرُوتَ



عبدون الرشيد
طَبَقَاتُ الْأَطْبَاءِ

عُيُونُ الْأَنْبَاءِ
فِي
طَبَقَاتِ الْأَطْبَاءِ

تأليف
موفق الدين أبي العباس أحمد بن
القاسم بن خليفة بن يونس السعدي
الخرجي المعروف بـ
ابن أبي أصيبعة

شَهِحَ وَتَحَقَّقَ
الدكتور سِرَارُ رِضَا

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

ابن أبي أصيبعة

من اطباء العرب المعروفين وادباهم المرموقين رجل ترجم في كتاب واحد ، لم يؤلف غيره ، اطباء العالم المشهورين منذ بدء التاريخ حتى يومه الذي هو فيه . انه موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم ابن ابي اصيبعة السعدي الحزرجي .

ولد موفق الدين في مدينة دمشق في عام ٦٠٠ للهجرة في بيت علم وأدب ، فقد كان والده من امهر الكاثلين (اطباء العيون) في دمشق .

وبعد ان اتقن العلوم الساندية على علماء زمانه انصرف الى تلقي علوم الطب عن والده ولكنه رأى ان ما يحسنه والده لا يشفي غليلاً فانصرف الى تلقي العلوم التي تبحث في شتى امراض الميوت على كل من يحسنها . وكانت القاهرة في عهده منتهى السبل وملقى العلماء ، والدولة الأيوبية في عز مجدها وسؤدها . فسافر الى القاهرة والتحق في المارستان الناصري الذي أنشأه الملك الناصر صلاح الدين في القاهرة وأخذ يعمل ليلاً نهاراً على تحصيل العلم فاشتهر بذكائه وحسن مداواته لأمراض العيون واستلفت نبوغه الجالس على كرسي الملك فألحقه بخدمة الدولة .

لكن شهرته وصلت الى اسماع عز الدين وهو في صرخد ، احدى مدن جبال حوران ، فأرسل في طلبه ، فرحل اليه واعجبه مناخ صرخد فمكث فيها حتى وافته المنية عام ٦٦٨ للهجرة .

وقد ترك ذكراً خالداً ومؤلفاً ضخماً ألّفه لامين الدولة وزير الملك الصالح وهو أسن كتاب في التراجم لا يشبه الا كتاب اخبار الحكماء لكنه يمتاز عليه بأنه اوسع وأوفر مادة جمعه وقاسى في جمه الصعاب وقضى السنين الطوال محققاً ومدققاً حتى تمكن من تأليف كتابه هذا وقد اسماه عيون الانبياء في طبقات الاطباء .

ابتدأ بترجمة كبار الاطباء زمن الاغريق والرومان والهنود ، وقسمه الى عدة اقسام وهو يحوي ما ينوف عن ٤٠٠ ترجمة .

ترجم أولا اطباء اليونان وغيرهم . وهو لا يترك شاردة ولا واردة إلا ويذكرها . ولا يكتفي بذكر ما قام به المترجم له من اعمال بل يأتي على شيء من آرائه في الطب لكنه لا يذكر سنة الولادة ولا سنة الوفاة على انه اذا تمكن من معرفة سنة الوفاة ذكرها والا تكلم عن صاحب الترجمة ذاكراً ما وصل اليه . ويذكر ايضاً ما ألفه المترجم له من كتب أو ما نقله الى اللسان العربي من الكتب يذكرها بوضوح ويتكلم عنها بعرفه .

ثم يتكلم عن الاطباء العرب والمعجم والهنود والمغرب وأطباء مصر والشام كل قطر على حدة . ويذكر في كتابه الكثير من الشعر العربي الذي نظمه الاطباء الذين ترجم لهم ، وترى بين التراجم عدداً كبيراً من المشاهير الذين لم يعرفوا بانهم اطباء ، لكنك حين تقرأ كتاب ابن ابي اصيبعة تعلم عند ذلك ان هؤلاء كانوا اطباء الى جانب كونهم ادياء أو شعراء أو من مشاهير الصوفية .

وقد استلقت هذا الكتاب نظر الافرنج فتنبوه وقام المستشرق الالماني مولر بطبعه نقلاً عن نسختين خطيتين عثر عليها وذلك في عام ١٨٨٤ وفي عام ١٢٩٩ قامت المطابع المصرية بطبع الكتاب نقلاً عن طبعة المستشرق مولر وهي الطبعة الاولى والوحيدة من هذا الكتاب وقد اصيحت نادرة الوجود .

ولا شك ان العالم العربي سوف يقبل على اقتناء هذا الكتاب الفريد في نوعه والذي لا تقدر المعلومات التي يحتويها بثمن .

بالشم الرحمن الرحيم

الحمد لله غافر الامم ومثني الرمم ، بارىء النسم ومبرىء السقم ، سمائد من فضله يسوايخ التعم ، الموعد من عصاه باليم العقاب والنقم ، مخرج الخلائق بلطف صنعه الى الوجود من العدم ، مقدر الادواء ومنزل الدواء بآتم الصنع وأقن الحكم ، وأشهد ان لا إله الا الله شهادة خالصة برفاء الذمم ، مخلصه من موبقات الخطل والنندم . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بمجامع الكلم ، المرسل الى كافة العرب والعجم ، الذي أثار بلألاء نور مبشئ حنادس الظلم ، وأباد بسيف ممجزه من تجبر وعظم ، وقطع ببرهان دلالة نبوته داء الشرك وحسم . صلى الله عليه صلاة دائمة باقية ما لمحت البروق ومعت الديم ، وعلى آله أولي الفضل والكرم ، وعلى أصحابه الذين جعلوا شريعتهم لهم أمم ، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين المبرآت من الفس ، وشرف وكرم .

ويمد ، فانه لما كانت صناعة الطب من أشرف الصنائع واربح البضائع ، وقد ورد تفصيلها في الكتب الالهية والأوامر الشرعية ، حتى جعل علم الايدان قريناً لعم الاديان . وقد قالت الحكماء : ان المطالب لروحان : خير ولذة ، وهذان الشئان انما يتم حصولهما للانسان بوجود الصحة . لان اللذة المستفادة من هذه الدنيا ، والحير المرجو في الدار الاخرى ، لا يصل الواصل اليهما الا بدوام صحته وقوة بنيته . وذلك انما يتم بالصناعة الطبية لانها حافظة للصحة الموجودة ، ورادة للصحة المفقودة ، فوجب ، اذ كانت صناعة الطب من الشرف بهذا المكان وعموم الحاجة اليه داعية في كل وقت وزمان ، ان يكون الاعتناء بها أشد ، والرغبة في تحصيل قوانينها الشكلية والجزئية أكد وأجد . وانه لما كان قد ورد كثير من المشتغلين بها والراغبين في مباحث اصولها وقطبها ، منذ أول ظهورها والى وقتنا هذا ، وكان فيهم جماعة من اكابر أهل هذه الصناعة ، وأولي النظر فيها والبراعة ، بمن قد تواترت الاخبار بفضلهم ، وتقلت الآثار بعلوم قدرهم ونبلهم ، وشهدت لهم بذلك مصنفاتهم ، ودلت عليهم مؤلفاتهم ، ولم أجد لأحد من أربابها ولا من انعم الاعتناء بها كتاباً جامعاً في معرفة طبقات الأطباء وفي ذكر أحوالهم على الولاء ، رأيت ان اذكر في هذا الكتاب نكتاً وعيوناً في مراتب التميزين من الأطباء القدماء والمحدثين ، ومعرفة طبقاتهم على توالي ازممتهم وواقاتهم ، وان اودعه ايضاً نبذاً من اقوالهم وحكاياتهم ، ونواديرهم ومعاويراتهم ، وذكر شيء من اسماء كتبهم ، ليستندل بذلك على ما خصهم

الله تعالى به من العلم ، وحياهم به من نجودة القرينة والذم ، فإن كثيراً منهم وإن قدمت أزماتهم ، وتفاوتت أوقاتهم ، فإن لهم علينا من النعم فيما صنّفوه ، والمثل فيما قد جمّعوه في كتبهم من علم هذه الصناعة وروضه ، ما هو تفضل المعلم على تلميذه والحسن إلى من أحسن إليه . وقد أودعت هذا الكتاب أيضاً ذكر جماعة من الحكماء والفلاسفة ، ممن لهم نظر وعناية بصناعة الطب ، ووجلا من أحوالهم ووادعهم واسماء كتبهم ، وجمعت ذكر كل واحد منهم في الموضع الأليق به على حسب طبقاتهم ومراتبهم .

فأما ذكر جميع الحكماء واصحاب التعاليم وغيرهم من أرباب النظر في سائر العلوم ، فإني أذكر ذلك إن شاء الله تعالى مستقصى في كتاب « معالم الامم » واختيار ذوي الحكم » .

وأما هذا الكتاب الذي قصدت حيلته إلى تأليفه ، فإني جعلته منقسماً إلى خمسة عشر باباً ومجئته « كتاب حيون الأنبياء في طبقات الاطباء » وخدمته به خزانة المولى الصاحب ، الوزير العالم العادل ، الرئيس الكامل ، سيد الوزراء ، ملك الحكماء ، إمام العلماء ، شمس الشريعة ، أمين الدولة ، كمال الدين ، شرف الله أبي الحسن بن غزال بن أبي سعيد أدام الله سمادته ، وبلغه في الدارين إرادته .

ومن الله تعالى استمد التوفيق والمونة ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وهذا عدد الابواب :

- الباب الاول : في كيفية وجود صناعة الطب وأول حدوثها .
- الباب الثاني : في طبقات الاطباء الذين ظهرت لهم أجزاء من صناعة الطب وكلوا المبتدئين بها .
- الباب الثالث : في طبقات الاطباء اليونانيين الذين هم من نسل أسقليبيوس ^(١) .
- الباب الرابع : في طبقات الاطباء اليونانيين الذين اذاع أبقرات فيهم صناعة الطب .
- الباب الخامس : في طبقات الاطباء الذين كلوا منذ زمان بجاليينوس وقريباً منه .
- الباب السادس : في طبقات الاطباء الاسكندرانيين ومن كان في زمنهم من الاطباء النصرى وغيرهم .
- الباب السابع : في طبقات الاطباء الذين كلوا في اول ظهور الاسلام من اطباء العرب .
- الباب الثامن : في طبقات الاطباء السريانيين الذين كلوا في ابتداء ظهور دولة بني المباس .
- الباب التاسع : في طبقات الاطباء النقلة الذين تقاوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني إلى

(١) هو إله الطب ابن ايرون . لم يرض قط بشقاء الرضى ، كما تقول الحرافة ، بل احيا الموتى . وقد اثار ذلك جويسار قنصره بناد لرجاء اخيه بلوطون إله الجسم الذي خاف ان تصبح ملكته سمراء . (ن . و)

اللسان العربي وذكر الذين نقلوا لهم .

الباب العاشر : في طبقات الاطباء المراقبين واطباء الجزيرة وديار بكر .

الباب الحادي عشر : في طبقات الاطباء الذين ظهروا في بلاد المعجم .

الباب الثاني عشر : في طبقات الاطباء الذين كانوا من الهند .

الباب الثالث عشر : في طبقات الاطباء الذين ظهروا في بلاد المغرب واقاموا بها .

الباب الرابع عشر : في طبقات الاطباء المشهورين من اطباء ديار مصر .

الباب الخامس عشر : في طبقات الاطباء المشهورين من اطباء الشام .



الباب الأول

كيفية وجود صناعة الطب وأول حدودها

اقول : ان الكلام في تحقيق هذا المعنى يصر لوجه :

أحدهما 'بعد العهد' ، فان كل ما بعد عهده وخصوصاً ما كان من هذا القيل ، فان النظر فيه صر جداً .

الثاني : اننا لم نجد القدماء والمميزين وفوي^(١) الآراء الصادقة لا واحداً ساداً في هذا متفقاً عليه فنتبّه .

الثالث : ان المتكلمين في هذا لما كانوا فرقاً وكلوا كثيراً الاختلاف جداً بحسب ما وقع الى كل واحد منهم ، أشكال^(٢) التوجيه في أي اقوالهم هو الحق .

وقد ذكر جالينوس في تفسيره لكتاب الايمان لابن قراط ، ان البحث فيما بين القدماء عن اول من وجد صناعة الطب لم يكن بحثاً يسيراً . ولنبدأ أولاً بآيات ما ذكره مع ما الحفاه به في جهة الحصر لهذه الآراء المختلفة .

وذلك ان القول في وجود صناعة الطب ينقسم الى قسمين أولين : فقوم يقولون بقدمه ، وقوم يقولون بحدوثه .

فالذين يعتقدون حدوث الاجسام يقولون ان صناعة الطب 'محدثه' ، لأن الاجسام التي يستعمل فيها الطب محدثة .

١ - سيداً ومصيباً - ٢ - التيس (ن . د)

والذين يعتقدون القديم ، يستقدون في الطب قديمه . ويقولون أن صناعة الطب قديمة لم تولد منذ كانت ، كاحد الاشياء القديمة لم تولد ، مثل خلق الانسان .

واما اصحاب الحدوث فينقسم قولهم الى قسمين ، فبعضهم يقول ان الطب 'خلق مع خلق الانسان' ، اذ كان من احد الاشياء التي بها صلاح الانسان . وبعضهم يقول وهم الجمهور ان الطب استخرج بعد . وهؤلاء ايضا ينقسمون قسمين : فمنهم من يقول ان الله تعالى الهما للناس ، واصحاب هذا الرأي على ما يقوله جالينوس وابرقراط وجميع اصحاب القياس وشعراء اليونانيين .

ومنهم من يقول ان الناس استخرجوها . وهؤلاء قوم من اصحاب التجربة واصحاب الحيل ونلس المقاتل وفيلن ، وهم ايضا مختلفون في الوضع الذي به استخرجت وبماذا استخرجت . فبعضهم يقول ان اهل مصر استخرجوها ، ويصنعون ذلك من الدواء المسمى باليونانية الآن وهو الراسن^(١) وبعضهم يقول ان هرمس^(٢) استخرج سائر الصنائع والفلسفة والطب ، وبعضهم يقول ان اهل فولوس استخرجوها من الادوية التي الفتها القابلة لامرأة الملك فكان بها برؤها ، وبعضهم يقول ان اهل موسيا وأفروجيا استخرجوها ، وذلك ان هؤلاء اول من استخرج الزهر ، فكانوا يشفون بتلك الالحاح والاقايعات آلام النفس ، ويشفي آلام النفس ما يشفى به البدن . وبعضهم يقول ان المستخرج لها الحكماء من اهل قو ، وهي الجزيرة التي كان بها ابقرراط وآياؤه ، واعني آل اسقليبيوس .

وقد ذكر كثير من القدماء ان الطب ظهر في ثلاث جزائر في وسط الاقليم الرابع احداهما تسمى رودس^(٣) والثانية تسمى قتيديس^(٤) ، والثالثة تسمى قو^(٥) ، ومن هذه كان ابقرراط .

وبعضهم يرى ان المستخرج لها الكلدانيون . وبعضهم يقول ان المستخرج لها السحرة من اهل اليمن . وبعضهم يقول بل السحرة من بابيل أو السحرة من فارس . وبعضهم يقول ان المستخرج لها الهند ، وبعضهم يقول ان المستخرج لها اهل أفريطش^(٦) ، الذين يلبس لافتيون اليهم ، وبعضهم يقول لاهل طورسينا^(٧) .

فالذين قالوا ان الطب من الله تعالى ، قال بعضهم : هو الهام بالرؤيا . واحتجوا بان جماعة رأوا في الاحلام أدوية استعملوها في البقطة فشفتهم من امراض صعبة ، وشفيت كل من استعملها .

١ - القنس . قال في القبرورابدي وهو نبات طيب الرائحة ينفع في جميع الامم والارباح الباردة والماليخوليا وجسع الظهر والمفاصل . جلاء مفرح ملين مقر للقلب والمعدة بالسل لمروق ، جيد للسعال وحصر للتنفس ، يذهب البلط ويبيد من الالامات . (وقارسته الراسن)

٢ - هرمس هو الاسم اليوناني لتركيبو بن جوير . وسول الآفة . وهو ايضا إله القضاة والتجارة والقصص .

٣ - جزيرة شرقي الارخبيل اليوناني ٤ - جزيرة صغيرة في البوديسكانيز ٥ - جزيرة في بحر اسمه موطن ابقرراط والراسم آبل .

٦ - او كريت جزيرة يونانية في المتوسط اشتهرت بمدينتها القديمة . ٧ - بلدة واقعة في شبه جزيرة سيناء .

وقال قوم المهما الله تعالى بالتجربة ثم زاد الامر في ذلك وقوي ، واحتجوا ان امرأة كانت بمصر وكانت شديدة الحزن والحلم ، مبتلاة بالنفث^(١) والدرء^(٢) ، ومع ذلك فكانت ضميعة المدة ، وصبرها علمه اخلاقاً رديئة ، وكان حبسها محتسباً ، فاتفق لها ان أكلت الراسن مراراً كثيرة بشوة منها له ، فذهب عنها جميع ما كان بها ورجعت الى صحتها ، وجميع من كان به شيء مما كان بها لما استعمل برأ به . فاستعمل للناس التجربة على سائر الاشياء .

والذين قالوا ان الله تعالى خلق صناعة الطب ، احتجوا في ذلك بأنه لا يمكن في هذا العلم الجليل ان يستخرجه عقل انسان ، وهذا الرأي هو رأي جالينوس ، وهذا نص ما ذكره في تفسيره لكتاب الايمان لابن قراط ، قال :

« واما نحن فالاصوب عندنا والاولى ان نقول ان الله تبارك وتعالى خلق صناعة الطب والمهما الناس ، وذلك انه لا يمكن في مثل هذا العلم الجليل ان يدركه عقل الانسان ، لكن الله تبارك وتعالى هو الخالق الذي هو بالحقيقة فقط يمكنه خلقه ، وذلك ان لا نجد للطب أحسن من الفلسفة التي يرون أن استخرجها كان من عند الله تبارك وتعالى » .

ووجدت في كتاب الشيخ موفق الدين اسمعيل بن الياس بن المطران^(٣) الذي رحمه ببستان الأطباء وروضة الالاء ، كلاماً نقله عن أبي جابر المغربي وهو هذا ، قال :

« سبب وجود هذه الصناعة وحسبها ، والدليل على ذلك ان هذه الصناعة موضوعة للعناية بأشخاص الناس ، إما لان تقديم الصحة عند المرض ، وإما لان تحفظ الصحة عليهم . وممتنع ان تعني الصناعة بالأشخاص بذاتها دون ان تكون مقرونة بعلم امر هذه الأشخاص التي خصت العناية بها . ومن البين ان الأشخاص ذوات مبدأ^(٤) ، لوقوعها تحت العدد « وكل معدود فأوله واحد فكثير ، ولا يجوز ان تكون اشخاص الناس الى ما لا نهاية له لأن خروج ما لا نهاية له الى الفعل محال » قال ابن المطران : ليس كل ما لا يقدر على حصره فلا نهاية له ، بل قد تكون له نهاية يضعف عن حصرها .

قال ابن جابر : « وإذا كانت الأشخاص التي لا تقوم هذه الصناعة إلا بها ذوات مبدأ ضرورة ، فالصناعة ذات مبدأ ضرورة . ومن البين ان الشخص الذي هو اول الكثرة مفقود البها كافتقار سائرهم . ومن البين أيضاً انه لا يأتي من اول شخص وجد علم هذه الصناعة استنباطاً للصبر عمره وطول الصناعة ، ولا يجوز ان يحتملوا في مبدأ الكثرة على استنباطها من اجل ان الصناعة متقنة محكمة ، وكل أمر متقن لا يستنبط بالاختلاف بل بالاتفاق . والأشخاص التي

١ - الكرب والحلم اللذان
٢ - فهاب الانسان او تكسرها .
٣ - هو الحكم الامام سيد الحكماء وارسد العلماء نشأ في دمشق وله تصانيف كثيرة
٤ - أي ذوات اصل (ن . د)

هي أول في الكثرة لا يجوز ان تجتمع على امر متقن، من أجل ان كل شخص لا يساوي كل شخص من جميع الجهات . واذا لم تتساو من جهة آرائها لم يميز ان تجتمع على امر محكم .

قال ابن المطران : « هذا يؤدي ايضا في باقي المعلوم والصناعات الى انها إلهام ، لانها ذات اثنان ايضا وقوله ايضا ان الاشخاص لا يجوز ان تجتمع على امر متقن ، ليس بشيء ^(١) ، بل اجتاعها لا يكون إلا على أمر متقن . وانما الاختلاف يقع مع عدم الاتفاق .

قال ابو جابر : « فقد بان ان الاشخاص في مبدأ الكثرة لا يتأتى منها استنباط هذه الصناعة ، وكذلك عند نهاية الكثرة لتباينهم واغراقهم ، ووقوع الخلف بينهم » .

ونقول ايضا : يجوز ان يشك شك فيقول : هل يتأتى عندك ان يعرف انسان من الناس او كثير منهم ، منابت الحشائش والعقاقير ، ومواضع المادان وخواصها ، وقوى اعضاء سائر الحيوان وخواصها ومضارها ومنافعها ويعرف سائر الامراض والبلدان واختلاف امزجة أهلها مع تفرق ديارهم ؟ ويعرف القوة التي يلتجئ تركيب الادوية ، وما يضاد قوة قوة من قوى الادوية ، وما يلائم مزاجاً مزاجاً وما يضاده ، مع ما يتبع ذلك من سائر صناعة الطب فان سهل ذلك وهو كذب ، وان صعب أمره في علمه من جهة المعرفة قلنا استنباطه ممنوع . واذا لم يكن للصناعة الطبية لابتدائها الا الاستنباط أو الوحي او الإلهام ، وكان لا سبيل الى استنباط هذه الصناعة بقي ان تكون موجودة بطريق الوحي والإلهام .

قال ابن المطران : « هذا كلام مشوش كله مضطرب ، وان كان جالينوس قال في تفسيره العهد : ان هذه الصناعة وحيدة إلهامية . وقال فلاطن في كتاب « السياسة أن اسقليبيوس كان رجلاً مؤيداً ملهماً » .

لكن تباعد حصول هذه الصناعة باستنباط العقول خطأ ، وقضيف العقول التي استنبطت أجل من صناعة الطب . ولنزل ان أول العالم كان واحداً محتاجاً الى صناعة الطب كحاجة هذا العالم الجرم الفقير اليوم ، وأنه ثقل عليه جسمه واحمرت عيناه واصابه علامات الامتلاء الدموي ، ولا يدري ما يفعل ، فاصابه من قوته الرعاف ^(٢) فزال عنه ما كان يحده فعرف ذلك ، فماوده في وقت آخر ذلك بعينه ، فبادر الى انفه فخدشه فجري منه الدم فسكن عنه ما كان يحده ، فصار ذلك عنده محفوظاً يعلمه كل من وجده من ولده ونسبه . ولطفت حواشي الصناعة حتى فتحت العرق بلطافة ذهن ورقة حس .

ولو تركنا لفتح العرق ، ان آخر ، من هذه صفته ، المجرح او الخدش فجري منه الدم فكان له ما ذكرنا من النفع ، ولطفت الانعمان في استخراج ^(٣) اللصود ، جاز فصار هذا باباً من الطب . وآخر امتلاء من الطعام امتلاء مفرطاً فاصابه من طبيعته أحد الاستفراغين ، أما الثاني وما الاسهال بمد غثيان ^(٤)

(١) ليس بما يصح ان يعلم ويخبر عنه .

(٢) الدم يخرج من الأنف .

(٣) لتبشير الدم من العرق .

(٤) جيشان النفس والنفاسا القوي (ن . ر)

وكرّ١١) ، وقلق وتهوع^(١٢) ومنص وقراق^(١٣) وريح جواله في البطن ، فعند ذلك الاستفراغ سكن جميع ما كان يجده - وقد كان آخر من الناس عث ببعض التبوعات^(١٤) فمقصه ، فأسفه وقياه أسهالا وقينا كثيرا ، وصارت عنده معرفة ان هذه الحشيشة تقفل هذا الفعل ، وان هذا الحادث غفيل لتلك الاعراض مزيل لها ، فذكره لذلك الشخص ، وحثه على استعمال القليل منه لمسا توق عليه القوي والاسهال ، وصعبت عليه الاعراض فأداه الى غرضه منها ، وخفف عنه ما لقي من شر تلك الاعراض . ولطفت الصناعة ورقت حواشيها ، ونظرت في باقي الحشائش الشبيهة بتلك ، ما منها يفعل ذلك ، وما منها لا يفعله ، وما منها يفعله بعنف ، وما منها يفعله بضعف . وجاء صفاء العقول فظهر في الدواء الذي يفعل ذلك اي الطعوم طعمه ، واي الكيفيات يسبق الى اللسان منه ، واما يتبعها ، فيجعل ذلك سبار^(١٥) ويستخرج منه . واعاته التجربة واخرجت ما وقع له من القول الى الفعل ، وكذبت ما غلط فيه ، وصححت ما حدى^(١٦) عليه حسا صحيحا ، حتى اكتفى من ذلك . واذا زلت ان مسهولا^(١٧) لا يعلم أي الأموية وأي الاغذية ينفعه أو يضره ، استعمل بالاتفاق حقا في غذائه فانتفع به ودام عليه فأبراه ، فأحب ان يعلم بماذا أبراه ، فقطعه فوجده حامضا قابضا ، فلم أنه لا يغلو من ان يكون حضا نفعه او قبهه ، فذاق غيره بما فيه حوضة عضه فقط ، واستعمله في غيره بمن به مثل ما كان به ، فوجده لا يفيد ما أفاده هو ، فعند الى شيء آخر طعمه قابض فقط ، فاستعمله في ذلك الشخص بعينه ، فوجد فائدته فيه أكثر من فائدة الحامض المطلق ، فلم ان ذلك الطعم مفيد في تلك الحالة وسماه قابضا ، وسمى ذلك استفراغا ، وقال ان القابض ينفع من الاستفراغ .

« ولطفت الصناعة ورقت حواشيها في ذلك ، حتى استخرجت المعانيب ، واستنبطت البدائع . وأنى الثاني فوجد الاول وقد استخرج شيئا جربته فوجده حقا ، فاحتفظ به وقاس عليه ، وتم حتى استكلت الصناعة . ولو زلنا بجي مخالف وجدنا كثيرين موافقين ، واذا غلط متقدم مدد متأخر ، واذا قصر قدم قمم محدث . هكنا في جميع الصناعات ، كذا الغالب على ظني . قال : قال حبيش^(١٨) الاغم : ان رجلا اشترى كبدا طرية من جزار ومضى الى بيته ، فاحتاج ان ينصرف في حاجة اخرى ، فوضع تلك الكبدة التي كانت معه على اوراق نبات مبسولة كانت على وجه الارض ، ثم قضى حاجته وعاد ليأخذ الكبدة فوجدها قد ذابت وسالت دما فأخذ تلك الاوراق وعرف ذلك النبات وصار يبيعه دواء لقتل حتى فطن به وأمر بقتله .

-
- (١) الحزن يأخذ بالانس (٢) التثبي يتكلف (٣) واسمها قرقرة وهي صوت البطن .
 (٤) واسمها يتوع ويتشوع : كل نبات له لين دار مسهل يحرق مقطع وكل التبوعات اذا استعملت على غير وجهها اهلكت .
 (٥) السبار : فتية جميل في الجرح (٦) قوم وطن وحين (٧) مصابا بالاسهال
 (٨) عاش في أيام التتركل وبعده اي في القرن التاسع . ونقل الى العربية قسم بطراط والمياه لبطراط . وكتاب الفواكه لجالينوس ولديوسوريدس (٩) د .

أقول : هذه الحكاية كانت في وقت جالينوس . وقال انه كان السبب في مسك ذلك الرجل وفي تربيته الى الحاكم حتى أمر بقتله .

قال جالينوس : وأمريت ايضاً في وقت مروره الى القتل ان تشد عيناه حتى لا ينظر الى ذلك النبات ، او ان يشير الى احد سواء فيتعلم منه . ذكر ذلك في كتابه في الادوية المسهلة .

وحدثني جمال الدين النفاش السعودي ان في لحف الجبل الذي بإسمره ، على الجانب الآخر منه قريباً من الميدان ، عشباً كثيراً . وان بعض الفقراء من مشايخ اهل المدينة اتى الى ذلك الموضع ، وتام على نبات هناك ، ولم يزل قائماً الى ان عبر عليه جماعة ، فوجدوه كذلك ، ونجته دماً سائحاً من انفه ومن ناحية الخرج ، فأنبهوه وبقوا متعجبين من ذلك ، الى ان ظهر لهم انه من النبات الذي قام عليه . واخبرني انه خرج الى ذلك الموضع ورأى ذلك النبات ، وذكر من صفته انه على شكل الهندباء^(١) غير انه مشرف الجوانب ، وهو مر المذاق . قال: وقد شاهدت كثيراً ممن يدنيه الى أنفه ويستنشقه مرات ، فانه يحدث له رعافاً في الوقت . هذا ما ذكره ، ولم يتحقق عندي في أمر هذا النبات ، هل هو الذي أشار اليه جالينوس أو غيره .

قال ابن المطران : فأقول حينئذ ان النفس الفاضلة المتباعدة للضرر ، نظرت حينئذ فعلمت . وكذا ان الدواء فعل ذلك الفعل ، فلا بد وأن يكون تخلط دواء آخر ينفع هذا العضو ، ويقاوم هذا الدواء ، فتشغى عليه بالتجربة ، ولم يزل يطلب في كل يوم أو في كل وقت حيواناً فيعطيه الدواء الاول ثم الثاني ، فان دفع ضرره فقد حصل مراده ، وان لم ينفع فيه طلب غيره ، حتى وقع على ذلك الدواء . وفي استخراج الترياق اعظم دليل على ما قلت ، اذ لم يكن الترياق سوى حب الغار وصل ، ثم صار الى ما صار اليه من الكثرة والنفع ، لا يوحى ولا الهام ، ولكن بقياس وصفاء عقول وفي مدد طوية .

فان قلت : من أين علم ان الدواء لا بد له من ضد . قلنا : انهم لما نظروا الى قاتل البيش^(٢) ، وهو نبات يطلع فاذا وقع على البيش جففه وأثقله ، علوا ان مثله في غيره فطلبوه . والمسلم الفطن يقدر على علم كيفية استخراج شيء من المعلومات اذا نظر فيه ، على قياسنا الذي وضعناه له . وقد عمل جالينوس كتاباً في كيف كان استخراج جميع الصناعات ، فما زاد فيه على النحو الذي ذكرنا .

أقول : وانما نقلنا هذه الآراء التي تقدم ذكرها على اختلافها وتنوعها ، لتكون مقصداً حينئذ ان نذكر جل ما ذهب اليه كل فريق . ولما كان الخلف والتباين في هذا على ما ترى صار طلب أوله

(١) بقل معروف يؤكل .

(٢) نبات كازيميل وطباً ويابساً وفيه سم قتال لكل حيوان ورياقه فأرة البيش وهي فأرة تتلدى به . (ن.د.)

عسراً جداً . إلا ان الانسان الماقل اذا فكر في ذلك بحسب معقوله ، فانه يجد صناعة الطب لا يبعد ان تكون أوانها قد تحصلت من هذه الاشياء التي قد تقدمت أو من أكثرها . وذلك انا نقول ان صناعة الطب أمر ضروري للناس منوطه بهم حيث وجدوا ومتى وجدوا ، إلا انها قد تختلف عندهم بحسب المواضع وكثرة التغذية وقوة التمييز ، فتكون الحاجة اليها أمس عند قوم دون قوم . وذلك انه لما كانت بعض النواحي قد يعرض فيها كثيراً امراض ما لاهل تلك الناحية ، وخصوصاً كلما كانوا أكثر تنوعاً في الاغذية ، وهم ادم الاكل للفواكه ، فان ابدانهم تبقى متينة للأمراض ، وربما لم يفلت منهم أحد في سائر اوقاته من مرض يعاويه ، فيكون امثال هؤلاء مضطرين الى الصناعة الطبية أكثر من غيرهم ، من هم في نواحي اصح هواء ، وأغذيتهم أقل تنوعاً ، وهم مع ذلك قليلو الاعتناء بما عندهم . ثم ان الناس ايضاً لما كانوا متفاضلين في قوة التمييز النطقي ، كان انهم يميزوا وأقوام حنكة ، وافضلهم رأياً ادرك وأحفظ لما يجر بهم من الامور التجريبية وغيرها ، لمعالجة الأمراض بما يعالجها به من الأدوية دون غيره . فاذا اتفق في بعض النواحي ان يكون أهلها تعرض لهم الامراض كثيراً ، وكان فيهم جماعة عدة بمثابة من أشرنا اليه اولاً فانهم يتسلطون بقوة ادراكهم وجودة قرائصهم ، وبما عندهم من الامور التجريبية وغيرها على سبيل المداواة ، فيجتمع عندهم على الطول اشياء صكيرة من صناعة الطب .

ولنذكر حينئذ اقساماً في مبدئية هذه الصناعة بقدر الممكن ، فنقول :

القسم الاول

ان احد الأقسام في ذلك انه قد يكون حصل لهم شيء منها عن الانبياء والاصفياء ، عليهم السلام ، بما خصهم الله تعالى به من التأييد الالهي .

روي ابن عباس ^(١) رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

كان سليمان بن داود عليها السلام ، اذا صلى رأى شجرة ثابتة بين يديه ، فيسألها ما اسمك ؟ فان كانت لغرس غرست وان كانت لدواء كتبت .

وقال قوم من اليهود : ان الله عز وجل أنزل على موسى عليه السلام سفر الأشعية .

والصائبة ^(٢) تقول : ان الشفاء كان يؤخذ من هياكلهم على يد كهانهم وصلحاتهم ، بعض بالرويا

(١) ابن عم النبي . ولد قبل الهجرة . ولقب حير الامة . وهو من رواية الحديث المشهورين . فسر علياً ثم رآى الامويين وقتني في الكوفة سنة ٦٨٨ .

(٢) قوم يزعمون انهم على دين فوح عليه السلام . وقيلتهم من مذهب الشمال عند منتصف النهار .

ربعض بالإلهام . ومنهم من قال انه كان يوجد مكتوباً في الهياكل لا يعلم من كتبه ، ومنهم من قال انها كانت تخرج يد بيضاء مكتوب عليها الطب ، ونقل عنهم ان شيت^(١١) اظهر الطب ، وانه ورثه عن آدم ، عليهما الصلاة والسلام .

فأما الجوس فانها تقول ان زرادشت^(١٢) الذي تدعي انه نبيم ، جاء بكتب علوم أربعة زعموا انها جلدت بالثي عشر الف جلد جاموس ، لفت منها طب .

وأما نبط^(١٣) العراق والسورانيون والكلدانيون والكسديون وغيرهم من أصناف النبط القدم ، فيدعي لهم انهم اكتشفوا مبادئ صناعة الطب . وان هرمس^(١٤) الهرامسة المثلث بالحكمة كان بينهم ويعرف علومهم . فخرج حينئذ الى مصر وبث في اهلها العلوم والصنائع ، وبني الاهرام والبراني^(١٥) ثم انتقل العلم منهم الى اليونانيين .

وقال الامير ابو الرقاء المبشر بن فانك^(١٦) في كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » : « ان الاسكندر^(١٧) لما ملك ملكة دارا^(١٨) ، واحتوى على فارس ، أحرق كتب دين المجوسية وحسد الى كتب النجوم والطب والفلسفة ، فنقلها الى اللسان اليوناني وانفذها الى بلاده ، واحرق اصولها .

وقال الشيخ ابو سليمان المتطفي^(١٩) : قال لي ابن عدي : ان الهند لهم علوم جليلة من علوم الفلسفة ، وانه وقع اليه ان العلم من ثم وصل الى اليونانيين . وقال الشيخ ابو سليمان : ولست ادري من اين وقع له ذلك .

وقال بعض علماء الامرائيليين ان الذي استخرج صناعة الطب يقال بن لامخ بن متوشالنج

(١) ثالث ابناء آدم وسواء

(٢) ولد في بلاد مادي وهو مصلح الديانة القديمة في ايران ومنشئ الماجوسية (٦٦٠ - ٥٨٣ ق م)

(٣) قوم من العرب كانوا من التجار وكان بينهم شعراء واطباء . حبسوا الاصلام ومنها اللات .

(٤) هو الاسم اليوناني لالة المصري طوت . وهو من حكماء مصر (ق . م)

(٥) ابنة حبيبة في مصر فيها قاتيل وصور .

(٦) هو الامير محمد الدولة ابو الرقاء المبشر بن فانك الآمري لازم علماء عصره واخذ عنهم العلوم الحكيمية .

(٧) ملك مقدونيا ولد سنة ٣٥٦ ق م وتلقى ارستوطاليس ، فهر جيروش داروس واخضع صور وصيدا ومصر فبنى الاسكندرية ثم هرب دجلة والفرات واستول على بابل . واراد التقدم ايضا ولكن المقدونيين رفضوا التقدم فربح الى بابل حيث مات بالحمى وكان له من العمر ٣٣ سنة

(٨) هو دارا الثالث الذي ملك الفرس (٣٣٦ - ٣٣٠ ق م) واتصر عليه الاسكندر في موقعة آسيا الصغرى سنة

٣٣٤ ق م ، وفي معركة ايسوس واربيل (مدينة في آشور القديمة) وبغتياله انتهت الامبراطورية الفارسية .

(٩) هو ابو سليمان المتطفي اجتماعي بيني بن عدي واخذ عنه وكلف الى جانب تعلمه في العلوم الحكيمية أدبياً وشاعراً . (ن . د) .

القسم الثاني

ان يكون قد حصل لهم شيء منها بالرؤيا الصائقة، مثل ما حكى جالينوس في كتابه في الفصد، من فصد العرق الضارب الذي أمر به . وذلك انه قال :

« اني أمرت في منامي مرتين بفصد العرق الضارب الذي بين السبابة والابهام من اليد اليمنى ، فلما أصبحت فصدت هذا العرق وتركتم الدم يجري الى ان انقطع من تلقاء نفسه ، لاني كذلك أمرت في منامي . فكان ما جرى أقل من رطل^(١) ، فسكن عني بذلك على المكان وجمع كنت أسبغه قديماً في الموضع الذي يتصل به الكبد بالحجاب . وكنت في وقت ما عرض لي هذا غلاماً . قال : وأعرف انساناً بمدينة فرغاس ، شفاه الله تعالى من وجع مزمن كان به في جنبه ، بفصد العرق الضارب من كفه ، والذي دعا ذلك الرجل الى ان يفعل ذلك رؤيا رآها » .

وقال في المقالة الرابعة عشرة من كتابه « في حية البرد » : « قد رأيت لساناً عظم وانتفخ حتى لم يسعه اللحم ، وكان الذي أصابه ذلك رجلاً لم يعتد اخراج الدم قط ، وكان من ابناء ستين سنة ، وكان الوقت الذي رأيته فيه اول مرة الساعة العاشرة من النهار ، فرأيت انه ينبغي لي ان أسبغه هذا الحب الذي قد جرت العادة باستعماله ، وهو الحب المتخذ بالصبر^(٢) والسعومونيا^(٣) وشحم الحنظل^(٤) ، فسقيته الدواء نحو العشاء ، واشترت عليه ان يضع على العضو العليل بعض الاشياء التي تبرّد . وقلت له افضل هذا حتى انظر ما يحدث ، فاقدر المداواة على حسب . ولم يساعدني على ذلك رجل حضره من الاطباء ، فبهذا السبب أخذ الرجل ذلك الحب ، وتأخر النظر في امر ما يداوي به العضو نفسه الى الغد .. وكنا نطمع جميعاً ان يكون قد تبين فيه حسن أو الشيء الذي يداوي به وتجربته عليه . اذ كان فيه يكون البدن قد استفرغ كله ، والشيء المنصب الى العضو قد انحدر الى اسفل .

(١) ثقل يوزن به وهو ط نوعين : الرطل الشرعي وهو $\frac{1}{16}$ الدرهم ويمادل بالفراهم : ٣٠٩٠٢٨١ : والرطل العراقي

وهو ١٣٠ درهماً ، يبادل ٣١٢٠٧١٨ غ . وهو غير الرطل الشامي المعروف والذي ين اقتني ريبادل ٢٥٦٠٨٩٠ غ . د . ر .

(٢) الصبر : عصارة شجر مر . وجاه في مجامع الشهابي : جنس نباتات من فصيلة لوزنيات تنبت في البلاد الحارة . منها انواع تزرع في الحدائق لتزيين ، واخرى كالصبر السقطري (نسبة الى جزيرة سقطرى) يستخرجون من اوراقها للحمية عصارة والنتيجة مرة تستعمل في الطب للاسهال . د . ر .

(٣) *Convulvulus scammonia* (للفردرات) : نوع من النباتات اللبية والنصف خشبية معطها معارش من فصيلة البلباب ، يستخرج منه صمغ واثنيجي شديد الاسهال (د . ر)

(٤) نبات معارش ثمره بحجم البرتقالة واختار منه اصفره . وشحمه يسهل البلغم القلطي المنصب في المفاصل شرباً او الماء في الحلق . نافع للانسوراليا والصرع والوسواس وداء الثعلب والجذام ، ومن لسع الافاعي والمقاروب ، ولوجع السن تبنيراً بحبة . وقتل البراغيث رشاً بطبخه ، وللسا دلكاً بانغضره (د . ر)

ففي ليلته رأى في حلمه رؤيا ظاهرة بيته ، فحمد مشورتي واتخذ مشورتي مادة في ذلك الدواء ، وذلك انه رأى النائم أمرأ يأمره بأن يمسك في فيه عصاة الخس ، فاستعمل هذه العصاة كما أمره وبرأ برءأ ثاماً ، ولم يحتاج معها الى شيء آخر يتداوى به .

وقال في شرحه لكتاب « الايمان » لابن قراط : « وعامة الناس يشهدون على ان الله تبارك وتعالى هو الملهم لهم صناعة الطب من الاحلام والرؤيا التي تتقدم من الامراض الصعبة . من ذلك ان تجد خلقاً كثيراً ممن لا يحصى عددهم انهم الشفاء من عند الله تبارك وتعالى ، بعضهم على يد سارافس ^(١) ، وبعضهم على يد اسقليبيوس بمدينة أفيداروس ومدينة قو ومدينة فرغامس ، وهي مدينتي .

وبالجملة فقد يرجع في جميع الهياكل التي لليوثانيين وغيرهم من سائر الناس ، الشفاء من الامراض الصعبة التي تأتي بالاحلام والرؤيا .

وأرباسيوس يحكي في كتابه الكبير ان رجلاً عرض له في الثالثة حجر عظيم . قال : ودأوته بكل دواء مستعمل لتفتت الحجر ، فلم ينتفع البتة وأشرف على الهلاك . فرأى في النوم كأن انساناً اقبل عليه وفي يده طائر صغير الجنة ، وقال له ان هذا الطائر اسمه صفرافون ^(٢) ، ويكون مواضع السباحات والاحجام ، فخذوه واحرقوه وتناول من رماده حتى تسلم من هذه الملة . فلما انتبه فعل ذلك ، فاخرج الحجر من مثانته مفتتاً كالرماد ، وبرأ برءأ ثاماً .

وبما حصل ايضاً من ذلك بالرؤيا الصادقة ان بعض خلفاء المغرب مرض مرضاً طويلاً ، وتداوى بمداواة كثيرة فلم ينتفع بها ، فلما كان في بعض الليالي رأى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في نومه وشكى اليه ما يعده ، فقال له صلى الله عليه وسلم : ادهن بلا ، وكل لا ، تبرأ ، فلما انتبه من نومه بقي متعجباً من ذلك ولم يفهم ما معناه . فسأل المعبرين ^(٣) عنه ، فكل منهم عجز عن تأويله ، ما خلا علي بن ابي طالب القيراني ، فانه قال يا امير المؤمنين : ان النبي صلى الله عليه وسلم ، أمرك ان تدعن بالزيت وتأكل منه فتبرأ . فلما سأله من اين له معرفة ذلك . قال من قول الله عز وجل : من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار . فلما استعمل ذلك صلح به وبرأ برءأ ثاماً .

وتقلت من خط علي بن رضوان ^(٤) ، في شرحه لكتاب جالينوس في فرق الطب ما هذا نصه :

(١) اله مصري من عصر بطليموس والرومان . تولد عن اختلاط اوزيريس آبتين مع اله غريب عن مصر . واخيراً أصبح سارافس مشابهاً لبلوطون واسقليبيوس وجوبيتر .

(٢) بالانجليزية Troglodyte وهو الوهم : طائر صغير جداً هو اصغر المصافير في العالم القديم واسمه في الشام زكركة وسكسوكه . وقال الرازي في كتاب الرافي : انه عصفور صغير اصغر من جميع المصافير . اكثر ما يظهر في الشتاء ، فتره بين الرماد والصخرة ، وفي جناحه ريش ذهبي ، ومتناره دقيق ، وفي ذنبه لقط بيض . له حركات دائمة . وهو دائم الصغير قليل الطيران . وقال الجاهلي انه يسمى بالانجليزية صفراخون . (ن . د)

(٣) القسرين .

(٤) علي بن رضوان المصري ولد في الجيزة سنة ١٠٦٨ وكان مبرراً على الطرقات ثم تعلم الطب واصبح طبيب الخليفة لجامك بن احمد ابو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر ولد في مصر بالجيزة ونشأ بمدينة مصر وكان ابو فراتاً وراكباً

قال : « وقد كان عرض لي منذ سنين صداع مبرح عن امتلاء في عروق الرأس ، ففصدت فلم يسكن ، وأعدت الفصد مراراً وهو باق على حاله ، فرأيت جالينوس في النوم ، وقد امرني ان اقرأ عليه حيلة البرء ، فقرأت عليه منها سبع مقالات فلما بلغت الى آخر السابعة ، قال : نسيت ما بك من الصداع ؟ وأمرني ان احجم القمحذوة^(١) من الرأس . ثم استيقظت فحجمتها ، فبرأت من الصداع على المكان .

وقال عبدالله بن زهر^(٢) في كتاب «التيسير» : « اني كنت قد اعتل بصري من قيسء بحرالي^(٣) افراط علي ، فعرض لي انتشار في الحذقتين دفعة ، فشغل بذلك بالي ، فرأيت فيا يرى النائم من كان في حياته يعنى بأعمال الطب ، فأمرني في النوم بالاحتجال بشراب الورد ، وكنت في ذلك الزمان طالباً قد حذقت ، ولم تكن لي حنكة في الصناعة ، فأخبرت ابني فنظر في الأمر ملياً ثم قال لي : استعمل ما امرت به في نومك . فانتفعت به . ثم لم ازل استعمله الى وقت وضعي هذا الكتاب في تقوية الابصار .

اقول : « ومثل هذا ايضاً كثير مما يحصل بالرؤيا الصادقة ، فانه قد يعرض احياناً لبعض الناس ان يروا في منامهم صفات ادوية من يوجددهم اياها ، فيكون بها برونهم ، ثم تشتهر المداواة بتلك الادوية فيا بعد .

القسم الثالث

ان يكون قد حصل لهم شيء منها ايضاً بالاتفاق والمصادفة ، مثل المعرفة التي حصلت لاندروماخس الثاني في لقائه لحوم الأفاعي في الترياق . والذي نشطه لذلك وأفرده فنهته لتأليفه ، ثلاثة اسباب جرت على غير قصد ، وهذا كلامه ، قال :

« اما التجربة الاولى ، فانه كان يعمل عندي في بعض ضياعي في الموضوع المعروف ببورنوس ،

على النظر والاشتغال الى ان ذاع صيته وخدم الحاكم فجميعه رئيساً على سائر المتطيين . وكان يرد على معاصريه من الاطباء بسفاعة وتشليح . وقد اصاب بطفه ، وكانت وفاته في سنة اربعمائة وثلاث وخمسين بمصر في خلافة المستنصر بالله ، وله من الكتب الشيء الكثير .

(١) مؤخر القفال - جماع مؤخر الرأس - من الرأس .

(٢) هو ابو مروان بن ابي البلاد ولد في اشبيلية وقد سمى الافرنج Avenzoar . له اختراعات في علم الجراحة . وله كتاب « الاقتصاد » وكتاب « التيسير » البعيد للتأثير في الطب الادريزي .

(٣) دموي خالص (ن . د)

حراثون يحرثون الارض للزروع ، وكان بيني وبين الموضع نحو فرسخين^(١) ، وكنت ابكر اليهم لأنظر ما يعملون ، وارجع اذا فرغوا . وكنت احل لهم معي على الدابة التي تحت الفيلام زاداً وشراباً لتطيب انفسهم ، ويتجلبدوا على العمل . فما زلت كذلك الى ان حلت الغداة في بعض الايام ، وكنت قد اخبرجت اليهم بستوفة^(٢) خضراء ، وفيها خر ، مطينة الرأس لم تفتح ، مع زاد . فلما اكوا الزاد قدموا البستوفة وفتحوها ، فلما ادخل اسدتم يده مع كوز ليغرف منها الشراب وجد فيها افعى قد تهرأ ، فامسكوا عن الشراب ، وقالوا : ان هنا في هذه القرية رجلاً مجذوماً^(٣) ، يتمنى الموت من شدة ما به ، فنسقيه من هذا الشراب ليموت ، ويكون لنا في ذلك أجر اذ نريحه من وصبه^(٤) . فمضوا اليه يزداد وسقوه من ذلك الشراب ، متيقنين انه لا يميش يومه ذلك ، فلما كان قريب الليل انتفخ جسمه نفخاً عظيماً وبقي الى الغداة ثم سقط عنه الجلد الخارج ، وظهر الجلد الداخلى الاحمر ، ولم يزل حتى صلب جلده وبرا وعاش دهرأ طويلاً من غير ان يشكو علة ، حتى مات الموت الطبيعي الذي هو فناء الحرارة الفريزية . فهذا دليل على ان لحوم الافاعي تنفع من الاوصاب الشديدة والامراض العتيقة في الابدان .

واما التجربة الثانية فان اخي ايولونيوس كان ماسحاً من قبل الملك على الضياع ، وكان كثيراً ما يخرج اليها في الاوقات الوعرة الرديئة في الصيف والشتاء ، فخرج ذات يوم الى بعض القرى على سبعة فراسخ ، فنزل يساربع عند أصل شجرة ، وكان الزمان شديد الحر ، وانه نام فاجتازته افعى فنهشته في يده ، وكان قد القى يده على الارض من شدة تعب ، فانتبه بفزع وعلم ان الآفة قد لحقته ، ولم يكن به على القيام طاقاً ليقول لافعى ، واخذ الكرب والفسي^(٥) ! فكتب وصية وضمنها اسمه ونسبه ، وموضع منزله وصفته ، وعلق ذلك على الشجرة ، كي اذا مات واجتاز به انسان ، ورأى الرقعة يأخذها ويقرأها ويعلم أهله ، ثم استسلم للموت . وكان بالقرب منه ماء قد حصل منه فضلة يسيرة ، في جوبة^(٦) في أصل تلك الشجرة التي علق عليها الرقعة ، وكان قد غلبه العطش ، فشرب من ذلك الماء شرباً كثيراً . فلم يلبث الماء في جوفه حتى سكن ألمه ، وما كان يحده من ضربة الافعى ، ثم براً فبقى متمتعاً ولم يعلم ما كان في الماء . فقطع عوداً من الشجرة وأقبل يفتش به الماء ، لانه

(١) الفرسخ : ثلاثة اميال ، والميل يختلف (١) باحتباره ٤٠٠٠ ذراع شرعي يساري في القياس العربي ١٩٢٠ ميلاً (٢٠٠٠ باحتباره ٣٠٠٠ ذراع اي ١٦٨٠ ميلاً . و باحتباره ٣٠٠٠ ذراع اي ١٤٤٠ ميلاً . فيكون الفرسخ على ذلك (١) ٥٧٦٠١ ميلاً (٢ - ٣) ٥٠٤٠١ - ٣٠٣٠١

(٢) اثار من خزف محراب بستو

(٣) مصاباً بمرض الجذام ، وهو مرض وشم دبا انتهى الى تقطع اطراف البدن وسقوطها عن تلحم ، ويسمى مزاج الاعضاء وحيثها .

(٤) مرضه .

(٥) اللحاء

(٦) الحفرة المستديرة الراسمة .

كره ان يفتشه بيده لئلا يكون فيه ايضاً شيء يؤذيه ، فوجد فيه أففين قد اقتتلا ووقعا جميعاً في الماء وتمهرا ، فاقبل اخي الى منزلنا صحيحاً سالماً أيام حياته ، وترك ذلك للعمل الذي كلف فيه ، واقتصر بلازمي . وكان هذا ايضاً دليلاً على ان لحوم الأفاعي تنفع من نيش « الأفاعي » والحيات والسباع الضارية .

وأما التجربة الثالثة فانه كان للملك بيولوس غلام ، وكان شريراً ^(١١) غرازاً خائناً ^(١٢) فيه كل بلاء ، وكان كبيراً عند الملك يحبه لذلك ، وكان قد آذى أكثر الناس ، فاجتمع الوزراء والقواد والرؤساء على قتله ، فلم يتنبأ لهم ذلك لمكانته عند الملك . فاحتال بعضهم وقال : اذهبوا فاسحقوا وزن درهمين افبونا ^(١٣) وأطعموه اياه في طعامه ، او اسقوه في شرابه ، فان الموت السريع يلحق الناس كثيراً ، فاذا مات حملتموه الى الملك وليس به جراحة ولا قلبه ^(١٤) . فدعوه الى بعض البساتين ، فلم يتنبأ لهم ان يعملوا ذلك في الطعام فسقوه في الشراب ، فلم يلبث الا قليلاً ان مات ، فقالوا نتركه في بعض البيوت ونحتم عليه ، ولوكل الفمعة بباب البيت ، حتى نخفي الى الملك نملنه انه قد مات فجأة ليمت ثقافته ينظرونه . فلما صاروا باجمعهم الى الملك نظر الفمعة الى افمى قد خرج من بين الحجر ، ودخل الى البيت الذي فيه الغلام ، فلم يتنبأ لهم ان يدخلوا خلفه ويقتلوه لان الباب كان مختماً فلم يلبثوا إلا ساعة والغلام يصبح بهم لم قفلتم على الباب ؟ أعينوني قد لستني افمى ! ومد الباب من داخل وأعانه قوام البستان من خارج فكسروه فخرج وليس به قلبه . وكان هذا ايضاً دليلاً على ان لحوم الأفاعي تنفع من شرب الادوية القتالة المهلكة . هذا جلة ما ذكره اندروماخس .

ومثل هذا ايضاً ، أعني ما حصل بالاتفاق والمصادفة ، انه كانت بعض المرضى بالبصرة ، وكان قد استسقى ^(١٥) ويشى أهله من حياته وداووه بوصفات كثيرة من احوية الاطباء ، فينسوا منه وقالوا لا حية في برثه ، فسمع ذلك من أهله ، فقال لهم : دعوني الآن اتزود من الدنيا وأكل كل ما عن لي ولا تقتلوني بالحية . فقالوا له : كل ما تريد ! فكان يجلس بباب الدار فمهما جاز اشترى منه وأكل . فمر به رجل يبيع جراداً مطبوخاً فاشترى منه كثيراً ، فلما اكاه انسهل بطنه من الماء الاصفر في ثلاثة أيام ما كاد به ان يتلف لافراطه . ثم انه عندما انقطع للقيام زال كل ما كان في جوفه من المرض ، وثابت قوته فبراً ، وخرج يتصرف في حوائجه . فقرأه بعض الاطباء فعجب من أمره ، وسأله عن الخبر فمره ، فقال : ان الجراد ليس من طبعه ان يفعل هذا ، فدلني على بائع الجراد فدلته عليه ، فقال له من أين تصطاد هذا الجراد ؟ فخرج به الى المكان ، فوجد الجراد في ارض أكثر نباتها المازريون ^(١٦) ، وهو من دواء الاستسقاء ، واذا دفع الى مريض منه وزن درهم اسهل اسهالاً

(١١) يطمح لي الناس (١٢) يقول بالحسد والظن .

(١٣) صير الحشغاص وخاصة الحشغاش الأبيض وله خاصة غدرة ومنومه .

(١٤) الحفرة فيه .

(١٥) اصيب بمرض الاستسقاء وهو تجمع الماء في البطن عن مرض (١٦) جلس من النباتات يستعمل لتزوين وهو بالافريقية

فريعاً لا يكاد ان يضبط والملاج به خطر ، ولذلك ما تكاد تصفه الاطباء . فلما وقع الجراد على هذه الحشيشة ، ونضجت في جوفه ، ثم طبع الجراد ، ضف عليها . وأكل الجراد فوعي بسببها .

ومثل هذا ايضاً ، أي بما حصل من طريق المصادفة والاتفاق ، أنه كان بافلولان من سلبية اسقليبيوس ورم حار في ذراعاه ، مؤلم ألاً شديداً ، فلما اشفى منه ارتاحت نفسه الى الخروج الى شاطئ نهر كان عليه النبات المسمي حي العالم ،^(١) وانه وضعها عليه تبرداً به فخف بذلك ألمه ، فاستطاع وضع يده عليه ، واصبح من غد فعمل مثل ذلك فبرأ برءاً تاماً . فلما رأى الناس سرعة برئه علموا انه انما كان بهذا الدواء وهو على ما قيل اول ما عرف من الأدوية .

وأشبه هذه الأمثلة التي قد ذكرنا كثيرة .

القسم الرابع

ان يكون قد حصل شيء منها ايضاً بما شاهده الناس من الحيوانات ، واقتدى بأفعالها وتشبه بها وذلك مثل ما ذكره الرازي^(٢) في كتاب (الحواص) ان الخطاف^(٣) اذا وقع بفراخه اليرقان^(٤) ، مضى فجماء بجحر اليرقان ، وهو حجر أبيض صغير يعرفه ، فجعله في عشه فيبرأوا . وان الانسان اذا اراد ذلك الحجر طلى فراخه بالزعفران ، فيظن انه قد اصابهم اليرقان ، فيمضي فيجبر به فيؤخذ ذلك الحجر ويمسك على من به اليرقان ، فيستغنى به .

وكذلك ايضاً شأن العقاب الاثنى ، انه اذا تمسر عليها بيضها وخروجه ، وصعب حتى تبلغ الموت ، ورأى ذكرها ذلك طار واحضر حجراً يعرف بالقلقل ، لانه اذا حرك تقلقل في داخله ، فاذا كسر لم يوجد فيه شيء ، وكل قطعه منه اذا حركت تقلقلت مثل صحيحه ، وأكثر الناس تعرفه بجحر العقاب ، ويضعه فيسهل على الاثنى بيضها . والناس يستعملونه في عسر الولادة على ما استلبطوه من العقاب .

ومثل ذلك ايضاً ان الحيات اذا اظلمت اعينهن لكونهن في الشتاء في ظلمة بطن الارض ، وخرجن من مكانهن في وقت ما يدفأ الوقت طلبن نبات الرازيانج^(٥) ، وامررن عيونهن عليه فيصلح ما بها .

(١) قال الشهابي في مجيحه عن كتاب المفرادات : كان القدماء يطلقون لفظ حي العالم على انواع من جنس Orpin وانواع من جنس Sempervirum وهو ما سميت الخلفة وهو الفرنسية Joubarbe . وهو جنس نباتات مبررة للترزين .
(٢) هو ابو بكر محمد بن زكريا الرازي جالينوس العرب دسائي الكلام عنه . (٣) طائر يشبه السنونو طويل الجناحين قصير الأرجلين (٤) مرض يصيب القزوح والانسان يتفر منه لون البذن فاحشاً الى صفرة او سواد يجران الخط الاصفر والاسود الى الجلد وما يليه بلا عذوبة .
(٥) من الفارسية وهي الشلال جنس بطول من فصيلة الحيتيات جلودها مسبة . (ن د)

فلما رأى الناس ذلك وجروه وجدوا من خاصيته انغاب ظلمة البصر اذا اكتحل بمائه .

وذكر جالينوس في كتابه في الحقن عن اردودطس ، ان طائراً يدعى أبيس^(١) هو الذي دل على علم الحقن ، وزعم ان هذا الطير كثير الاغتذاء لا يترك شيئاً من اللحوم الا اكله ، فيحتبس بطنه لاجتماع الاغلاط الرديئة وكثرتها فيه ، فاذا اشتد ذلك عليه توجه الى البحر ، فأخذ بمنقاره من ماء البحر ثم ادخله في دبره ، فيخرج بذلك الماء الاغلاط المحتقنة في بطنه ، ثم يعود الى طعامه الذي عادته الاغتذاء به .

القسم الخامس

ان يكون حصل شيء منها ايضاً بطريق الالهام كما هو لكثير من الحيوانات . فانه يقال ان البازي اذا اشتكى جوفه عمد الى طائر معروف يسميه اليونانيون ذريفوس ، فيصيده ويأكل من كبده فيسكن وجهه على الحال .

وكما تشاهد عليه ايضاً السنابير^(٢) ، فانها في اوقات الربيع تأكل الحشيش ، فان عدمت الحشيش عدلت الى نخوص^(٣) المكائس فتأكله ، ومعلوم ان ذلك ليس مما كانت تقتذي به اولاً ، وانما دعاها الى ذلك الالهام لفعل ما جعله الله تعالى سبباً لصحة ابدانها ، ولا تزال كذلك الى ان تحس بالصحة بالانوس اليهسا بالطبع ، فتكف عن اكله . وكذلك ايضاً متى تألها اذى من بعض الحيوانات المؤذية ذات السموم ، واكت شيئاً منها فانها تقصد الى السيرج^(٤) والى مواضع الزيت تقتات منه ، ذلك يسكن عنها سورة^(٥) ما تجده .

ويحكى ان الدواب اذا اكلت اللدغلي^(٦) في ربيعها اضر ذلك بها ، فتسارع الى حشيشة هي باذهر^(٧) لللدغلي فارتعيتها ، ويكون بها برؤها . وبما يحقق ذلك حالة جرت من قريب ، وهي ان يهاه الدين بن

(١) Ibis طائر مائي طويل الرجلين والعنق ، له منقار طويل . وهو من طيور البلاد المشتهة ايضاً اللون جسداً اسوده رأساً وعنقاً ومنقاراً ويرى في البرية باهي منجل . وصيده للصيرون لانه يهلك الحيات التي تنزغ شفاف النيل ، وموطنه مصر والشام والعراق واسم في العراق على ما روى جيزمان سلندو ، وحسب رواية الكرملي : عتو . وعند عامة المصريين القتلج الاسود (٢) جمع منور وهو الفز . (٣) روق التنخل .

(٤) دهن السمسم .

(٥) سدة .

(٦) نبات لا يأكله شيء ، زهره كالورد ومنه ابيض ، ينبت في شواطئ الانبار وفي الجرايل . وقال ابن الاعرابي : من الشجر اللدغلي وهو الآء والألاء والحبن ، وكذا القلق .

(٧) هو في الاساس تجمعات مرضية كروية او بيضية تتكون في الحيوانات قالوا انها مضادة للسم .

نفادة الكاتب حكى انه لما كان متوجها الى الكرك^(١) كان في طريقه بالطبل وهي منزلة كثيرة نبات الدفلى ، فنزل هو وآخر في مكان منها والى جانبهم هذا النبات ، فربط الغلمان دوابهم هنالك ، وجعلت الدواب ترحى ما يقرب منها واكلت من الدفلى ، فأما دوابه فان غلثانه غفلوا عنها فسابت ورعت من مواضع متفرقة ، واما دواب الاخر فانها بقيت في موضعها لم تقدر على التنقل منه ، ولما اصبحوا وجدت دوابه في عافية ودواب الاخرين قد ماتت بأسرها في ذلك الموضع .

وحكى ديسقوريدس^(٢) في كتابه ان المعزى البرية باقريطش اذا رميت بالنبل وبقيت في ابدانها فانها ترحى النبات الذي يقال له المشكطرامشير ، وهو نوع من الفوتنج^(٣) فيساقط عنها ما رميت به ، ولم يضرها شيء منه .

وحديثي القاضي نجم الدين عمر بن محمد بن الكرندي ، ان الفلق يمشش في اعلى القباب والمواضع المرتفعة ، وان له عدداً من الطيور يتقصده ابدأ ، ويأتي الى عشه ويكسر البيض الذي فيه . قال : وان ثم حشيشة من خاصيتها ان عدد الفلق اذا ثم راثحتها يغمى ، فيأتي بها الفلق الى عشه ويمسكها تحت بيضه ، فلا يقدر العدو عليها .

وذكر أوحده الزمان^(٤) في المختار ان الفلق لبيته ابواب يسدها ويفتحها عند هبوب الريح التي تؤذيه وتوافقه . وحكى ان انساناً رأى الجباري^(٥) تقاتل الاغنى ، وتتهزم عنها الى بقعة لتتناول منها ، ثم يعود لقاتلها . وان هذا الانسان عاينها فنفض الى البقعة قطعها عند اشتغال الجباري بالقتال ، فمادت الجباري الى منبتها ففقدتها وطاقف عليها فلم تجدتها ففترت ميتة . فقد كانت تتعالمج بها . قال : وابن عرس يستظهر في قتال الحية باكل السذاب^(٦) . والكلاب اذا دودت بطونها اكلت السبليل وكقبايت واستطلقت^(٧) ، واذا جرح الفلق داوى جراحه بالصمغ الجبلي^(٨) . والثور يفرق بين الحشائش المشابهة في صورها ، ويعرف ما يوافقه منها فيرعاها ، وما لا يوافقه فيتركه ، مع نهجه وكافة اكله وبلادة ذهنه . ومثل هذا كثير .

(١) مدينة اردنية كانت قاعدة لدولة المماليك، حصنها يشرف على طريق التجارة والحج،

(٢) طبيب يوناني في القرن الاول من القرنين اشر مؤلفاته في علم النباتات .

(٣) ورد في الفاعوس للفوتنج وهو يثبت حول الناقع ونسبه ايضا نصح الماء . ورد اسمه في معجم الشهابي للفوتنج كما هو هذا

(٤) ابو البركات هبة الله بن علي ملكا البغدادي ولد بهك ثم اقام ببغداد وكان يهودياً عالم ، اخذ صناعة الطب من ابيه الحسن سيد بن هبة الله بن الحسين وكان شديد الذكاء .

(٥) طائر من طيور البر ينظم الدجاجة طويلاً والذئب متملة الرجلين ومن اسماها دجاجة البر (والجباري في الاطلاص الفارسية المعربة تعريب أبيه ، ويقال لها بالفارسية جزر) « عن حجاب الخفوقات » .

(٦) يغل يسمى اللبسين له خواص تستعمل في الطب .

(٧) اسهل . (٨) نبات حطر طلي من الفصيلة النضمية من الشفويات . (ن . و)

فاذا كانت الحيوانات التي لا عقول لها المهتة مصالحها ومنافعها، كان الانسان للعاقل المعيز المكلف، الذي هو افضل الحيوان ، أولى بذلك . وهذا اكبر حجة لمن يستعد ان الطب انما هو الهام وهداية من الله سبحانه خلقه .

وبالجملة فانه قد يكون من هذا وما وقع بالتجربة والاتفاق والمصادفة اكثر ما حصوله من هذه الصناعة . ثم تكاثر ذلك بينهم وعضده القياس بحسب ما شاهدوه ، وادتهم اليه فطرتهم ، فاجتمع لهم من جميع تلك الاجزاء التي حصلت لهم بهذه الطرق المتفننة المختلفة اشياء كثيرة . ثم انهم تأملوا تلك الاشياء واستخرجوا عليها والمناسبات التي بينها ، فتمحصل لهم من ذلك قوانين كلية ومبادئ منها يتبدأ بالتعلم والتعليم ، والى ما ادركوه منها اولاً يقتضى . فعند الكمال يتدرج في التعلم من الكليات الى الجزئيات ، وعند استنباطها يتدرج من الجزئيات الى الكليات ، واقول ايضا وقد اشرنا الى ذلك من قبل ، انه ليس يلزم ان يكون اول هذا مختصاً بموضع دون موضع ، ولا يفرد به قوم دون آخريين الا بحسب الاكثر والاقول ، وبحسب تنوع المداواة . ولهذا فان كل قوم هم مصطلحون على ادوية يالقولونها ويتداولون بها ، وارى انهم انما اختلفوا في نسبة صناعة الطب الى قوم بحسب ما قد كان يتجدد عند قوم فينسب اليهم ، فانه قد يمكن ان تكون صناعة الطب في امة او في بقعة من الارض ، فتدبر وتبيد باسباب مماوية او ارضية ، كالطواعين الفنية والقصود الجلية ، والحروب المبيدة ، والملوك المتغلبة ، والسير المخالفة . فاذا انقرضت في امة ونشأت في امة اخرى ، وتطاول الزمان عليها نسي ما تقدم ، وصارت الصناعة تنسب الى الامة الثانية دون الاولى ، ويعتبر اولها بالقياس اليهم فقط ، فيقال لها مذ ظهرت كذا وكذا وانما معنى في الحقيقة مذ ظهرت في هذه الامة خاصة ، وهذا بما لا يبعد . فانه على ما توازت به الآثار ، وخصوصاً ما حكاه جالينوس وغيره ، ان ابقراط لما رأى صناعة الطب قد كادت ان تبيد ، وانه قد درست معالمها عن آل اسقليبيوس ، الذين ابقراط منهم ، تداركها بأن أظهرها وبثها في القرى ، وقواها ونشرها وشهرها بأن اثبتتها بالكتب . فلهذا يقال ايضاً على ما ذهب اليه كثير من الناس ، ان ابقراط اول من وضع صناعة الطب واول من دونها وليس الحق ، على ما توازت به الآثار ، إلا انه اول من دونها من آل اسقليبيوس لتعلم كل من يصلح لتعلمها من الناس كافة ، ومثله سلك الاطباء من بعده واستمر الى الآن . واسقليبيوس الاول هو أول من تكلم في شيء من الطب على ما سيأتي ذكره .

الباب الثاني

طبقات الأطباء الذين ظهرت لهم أجزاء من صناعة الطب وكانوا المبتدئين بها

اسقليبيوس

قد اتفق كثير من قدماء الفلاسفة والمتطبيين على ان اسقليبيوس ، كما اشرنا اليه اولاً ، هو اول من ذكر من الاطباء واول من تكلم في شيء من الطب على طريق التجربة . وكان يونانياً ، واليونان منسوبت الى يونان ، وهي جزيرة كانت الحكماء من الروم ينزلونها . وقيل ان ايرميش^(١) في المقالة الثانية من كتاب (الاولوف) ان بلدة من المغرب كانت تسمى في قديم الدهر ارغس^(٢) ، وكان اهلها يسمون ارغيو ، وسميت المدينة بعد ذلك ايونيا ، وسموا اهلها يونانيين باسم بلدهم ، وكان ملكها احد ملوك الطوائف . ويقال ان اول من اجتمع له ملك مدينة ايونيا من ملوك اليونانيين كان اسمه ايوليوس^(٣) ، وكان لقبه دقظاطر ، ملكهم ثمانى عشرة سنة ، ووضع لليونانيين سنناً كثيرة مستعملة عندهم .

وقال الشيخ الجليل ابو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني^(٤) المنطقي في «تعاليقه» : ان

(١) ويدعوه الانرج Alburnasar . ولد في بلخ (خراسان) . وهو منجم انصرف الى علم الحديث والى رصد النجوم ومنها رمتدى الى الكشف عن الحجاب . ولد في سنة ٨٨٥ هـ
(٢) مدينة من مملكة اليونان الحالية وتدعى اليوم يلاتيتزا . وكانت عاصمة ارغوليد القديمة خضعت فيما بعد لاسباطة . وقد لعبت ارغس دوراً هاماً في قصص الاساطير . وقد قتل بيروس اثناء حصارها (٣٧٢ ق م) .
(٣) هو ما يرى فيه اليونانيون الجد الخرافي للابولين الذين طردهم دوريان من بلوونيز واستوطنوا آسيا الصغرى
(٤) هو احد الاطباء الذين ظهروا في بلاد المصم . وكان فاضلاً ادبياً الى جانب تكملة في العلوم الحكيمة واطلاعه الواسع على دقائقها . اخذ عن يحيى بن عدي وله عدة كتب في شتى الفنون اجماعاً تمايلت بحكمة .

اسقليبيوس بن زيوس ، قالوا مولده روماني ، وهو امام الطب ، وابو اكثر الفلاسفة ؛ قال : واقليس ينسب اليه ، وافلاطون وارسطوطاليس وبقرات واكثر اليونانية ؛ قال : وبقرات كان السادس عشر من اولاده ، يعني البطن السادس عشر من اولاده ؛ وقال : سولوت^(١) اخو اسقليبيوس ، وهو ابر واضح النوايس .

اقول : وترجة اسقليبيوس بالعربي منع اليبس . وقيل ان اصل هذا الاسم في لسان اليونانيين مشتق من البهاء والنور . وكان اسقليبيوس ، على ما وجد في اخبار الجبارة بالسراينة ، ذكي الطبع ، قوي الفهم ، حريصاً مجتهداً في علم صناعة الطب . واتفقت له اتفاقات حميدة معينة على التمهيد في هذه الصناعة ، وانكشفت له أمور عجيبة من اسوال العلاج بالهام من الله عز وجل .

وحكي انه وجد علم الطب في هيكل كانت لهم برومية ، يعرف بيكل ابلن^(٢) وهو الشمس ، ويقال ان اسقليبيوس هو الذي اوضع هذا الهيكل ويعرف بيكل اسقليبيوس . وبما يحقق ذلك ان جالينوس قال في كتابه في فينكس : ان الله عز اسمه لما خلصني من دبة^(٣) قتالة كانت عرضت لي ، سمجت الى بيته المسمى بيكل اسقليبيوس . وقال جالينوس في كتابه « حبة البرد » في صدر الكتاب : « بما يجب ان يحقق الطب عند العامة ما يرونه من الطب الالهي في هيكل اسقليبيوس ، على ما حكاه هرويس صاحب القصص ، بيت كان بمدينة رومية كانت فيه صورة تكلمهم عندما يسألونها ، وكان المستبط لها في القديس اسقليبيوس . وزعم مجوس رومية ان تلك الصورة كانت منصوبة على سركات نجموية ، والله كان فيها روحانية كوكب من الكواكب السبعة . وكان دين النصرانية في رومية قبل عبادة للنجوم ، كذا حكى هرويس .

وذكر جالينوس ايضاً في مواضع كثيرة ، ان طب اسقليبيوس كان طباً الهياً . وقال : « ان قياس الطب الالهي الى طبنا قياس طبنا الى طب الطرقات » . وذكر ايضاً في حق اسقليبيوس في كتابه الذي ألفه في الحث على تعلم صناعة الطب : « ان الله تعالى اوحى الى اسقليبيوس اني الى ان اسميك ملكاً اقرب منك الى ان اسميك انساناً » . وقال بقرات : « ان الله تعالى رفعه اليه في الهواء في عود من نور » . وقال غيره : ان اسقليبيوس كان معظماً عند اليونانيين ، وكانوا يسكبون بقبوره . ويقال انه كان يسرج^(٤) على قبره كل ليلة الف قنديل . وكان الملوك من لسله تدعي له النبوة .

(١) هو مشاعر اثينا واحد حكماء اليونان السبعة (٦٤٠ - ٥٥٨ ق م) تعالى بالسكر الوطني عند الاثينيين . وخفف اقبال المواطنين الفقراء وهكذا جدد الألفة في المدينة التي اعطاهما دستوراً اسعاري ديمقراطية . ونسب اسمه على الاسن حكمهم ومشاعر .

(٢) وكان في مدينة ابيدوس احدى مدن اركوليد القديسة (اليونان) على شاطئ بحر ايجه . وكان يقصده جميع المرضى من جميع أنحاء اليونان .

(٣) دام يجتمع في الجوف او خراج دمل كبير فيه ، ويقاتل صاحبه . (م . و) .

(٤) يرقد .

وذكر افلاطون في كتابه المعروف « بالنواميس » عن اسقليبيوس اشياء عديدة من اخباره بقيات ، وحكايات عجيبة ظهرت عنه بتأييد إلهي ، وشاهدها الناس كما قاله واخبر به . وقال في المقالة الثالثة من كتاب « السياسة » : ان اسقليبيوس كان هو واولاده عالين بالسياسة . وكان اولاده جنداً قرهه وكفروا عالين بالطب . وقال : ان اسقليبيوس كان يرى ان من كان به مرض يبرأ منه عاجله ، ومن كان مرضه قائلاً لم يطل حياته التي لا تنفعه ولا تنفع غيره ، اي يترك علاجه له .

وقال الامير ابو الوفاء المبرش بن فسائك^(١) في كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » : « ان اسقليبيوس هذا كان تلميذ هرمس ، وكان يسافر معه . فلما خرجا من بلاد الهند وجاءا الى فارس ، خلفه ببابل ليضبط الشرع فيهم . قال : واما هرمس هذا فهو هرمس الاول ، ولقبه أرمس ، وهو اسم عطارد . ويسمى عند اليونانيين أطرسمين ، وعند العرب ادريس ، وعند العبرانيين اخنوخ ، وهو ابن يارد بن مهلائيل بن قيثان بن اوش بن شيث بن آدم عليهم السلام . ومولده بمصر في مدينة منف منها . قال : وكانت مدته على الارض اثنتين وعشرين سنة ، وقال غيره ثلاثاً وستين سنة . قال المبرش ابن فسائك : وكان عليه السلام رجلاً آدم^(٢) اللون ، قام القامة ، اجلح ، حسن الوجه ، كث اللحية ، ملبح التخاطيط ، قام الباع^(٣) ، عريض المنكبين ، ضخم العظام ، قليل اللحم ، يراق العين اكحل ، متأنياً في كلامه ، كثير الصمت ، ساكن الاعضاء ، اذا مشى اكثر نظره الى الارض ، كثير الفكرة ، به حدة وعيية ، يحرك اذا تكلم سبابته .

وقال غيره : ان اسقليبيوس كان قبل الطوفان الكبير ، وهو تلميذ اغاثوذيمون المصري ، وكانت اغاثوذيمون احد انبياء اليونانيين والمصريين ، وتفسير اغاثوذيمون السميد الجدد . وكان اسقليبيوس هذا هو البادئ بصناعة الطب في اليونانيين ، علما ببله وحذر عليهم ان يطوهاا الغرياء .

واما ابو معشر البلخي المتبحر فانه ذكر في « كتاب الالوف » : « ان اسقليبيوس هذا لم يكن بالمتأله^(٤) ، الاول في صناعة الطب ولا بالمبتدىء بها ، بل انه عن غيره اخذ ، وعلى نهج من سبقه سلك . وذكر انه كان تلميذ هرمس المصري . وقال ان الهرامسة كانوا ثلاثة .

اما - (هرمس الاول) وهو المثلث بالنعم فإنه كان قبل الطوفان ، ومعنى هرمس لقب كما يقال قصر وكسرى . وتسميه الفرس في سيرها الالهجد ، وتفسيره ذو عدل . وهو الذي تذكر الحرافنة

(١) هو الامير محمود النورلة ابو الوفاء المبرش بن فسائك الاجري . لازم اكبر علماء عصره واخذ عنهم العلوم الحكيمية . وكان محباً للعلم وله خزائن كتب لا يفارقها فقد كان لا دأب له إلا المطالعة . وكان من تلاميذه ابو الخير سلامة ابن مبارك بن رحمون . وله كتب كثيرة منها : كتاب في الطب ، وكتاب الوصايا والامثال ، والموجز من عكم الاقوال ، وكتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم .

(٢) اسم .

(٣) قدر مد البعدين ويراد بتمام الباع هنا القوة وكال الحلق .

(٤) التكلف الالوهية .

لبقوته ؛ وتذكر الفرس ان جده كيومرث وهو آدم . ويذكر المبرانيون انه اخنوخ وهو بالعربية ادريس

قال ابر معشر ه هو اول من تكلم في الاشياء العلوية من الحركات النجومية ، وان جده كيومرث وهو آدم علمه ساعات الليل والنهار ، وهو اول من بنى الهياكل ومجد الله فيها ؛ واول من نظر في الطب وتكلم فيه . وانه ألف لأهل زمانه كتباً كثيرة بأشعار موزونة وقواف معلومة بلغة أهل زمانه في معرفة الاشياء الارضية والعلوية . وهو اول من انذر بالطوفان ، ورأى اب آفة سماوية تلمح الأرض من الماء والنار ، وكان مسكنه صعيد مصر ، تخير ذلك فبنى هناك الاهرام ومدائن القرب ، وخاف ذهاب العلم بالطوفان فبنى البرابي^(١) وهو الجبل المعروف بالبراب بأخيم^(٢) وصور فيها جميع الصناعات وصناعتها نقشاً وصور جميع آلات الصناعات ، وأشار الى صفات العلوم لمن بعده برسوم حرصاً منه على تخليد العلوم لمن بعده ، وخيفة ان يذهب رسم ذلك من العالم .

وثبت في الآثر المروي عن السلف: ان ادريس اول من درس الكتب ، ونظر في العلوم ، واتزل الله عليه ثلاثين صحيفة ، وهو اول من غاط الثياب ولبسها ورقعه الله مكاناً علياً .

واما (هرمس الثاني) فانه من أهل بابل ، سكن مدينة الكلدانيين وهي بابل ، وكان بعد الطوفان في زمن تزيبال الذي هو اول من بنى مدينة بابل بعد نمرود^(٣) بن كوش . وكان إرساً في علم الطب والفلسفة ، وعارفاً بطبائع الاعداد ، وكان تلميذه فيثاغورس الارتقائقي^(٤) . وهرمس هذا جده من علم الطب والفلسفة وعلم العدد ما كان قد درس^(٥) بالطوفان ببابل ، ومدينة الكلدانيين هذه مدينة الفلاسفة من أهل المشرق ، وفلاسفتهم أول من حدد الحدود، ورتب القوانين .

واما (هرمس الثالث) فانه سكن مدينة مصر وكان بعد الطوفان ، وهو صاحب كتاب (الحيوانات ذوات السموم) وكان طبيباً فيلسوفاً وعالماً بطبائع الادوية القتالة والحيوانات المؤذية ، وكان جوالاً في البلاد طوافاً بها ، عالماً بنصبة المدائن وطبائعها أهلها . وله كلام حسن في صناعة الكيمياء نفيس يتعلق^(٦) منه الى صناعات كثيرة ، كالزجاج والحرقز والفضار^(٧) وما اشبه ذلك . وكانت له

(١) ابيلية عجيبة فيها تقاليد وصور .

(٢) بلد في صعيد مصر على النيل .

(٣) هو نمرود بن كوش بن خام ورد ذكره في كتب العرب وقالوا انه كان خصماً لابراهيم واشتهر بولعه في الصيد هو ملك كلدنة حسب ما ورد في الاساطير التي تسميه الصيد القادر امام الخالد .

(٤) فيلسوف ورياضي يوناني في القرن السادس قبل المسيح . وهو مؤسس المذهب الفيثاغوري ، ولا يعرف شيء عن اكتشافاته الرياضية والفلكية والهندسية ولكن يميز اليه جدول الضرب في علم الحساب .

(٥) علم راعي .

(٦) في الاصل يتعلق ولا معنى لها والارجح انها ينطلق كما ارى .

(٧) الطين اللاب الاخضر او الطين الحر يتشد منه الخزف . (ن.د)

تلميذ يعرف باسقليبيوس ، وكان مسكنه بلده الشام .

رجع الكلام الى ذكر اسقليبيوس

ويبلغ من أمر اسقليبيوس ان ابرأ المرضى الذين يشن الناس من برهم . ولما شاهدته الناس من افعاله ظن العامة انه يحيي الموتى . وأُشيد فيه شعراء اليونانيين الأشعار الحميدة ، وضمونها انه يحيي الموتى ، ويرد كل من مات الى الدنيا ^(١) . وزعموا ان الله تعالى رفعه اليه تكرامة له واجلالاً ، وصيره في عديد الملائكة ، ويقال انه ادرى عليه السلام .

وقال يحيى النعمي : « ان اسقليبيوس عاش تسعين سنة ، منها صبي وقبل ان تفتح له القوة الالهية خمسين سنة ، وعالم معلم اربعين سنة ، وخلف ابنين ماهرين في صناعة الطب ، وعهد اليها ان لا يعفنا الطب إلا لاولادها وأهل بيته ، وان لا يدخلوا في صناعة الطب غرباً » ، وعهد الى من يأتي بعده كذلك وأمرهم بأمرين : احدهما ان يسكنوا وسط المصور من ارض اليونانيين ، وذلك في ثلاث جزائر : منها قو جزيرة ابرقراط . والثاني ان لا تخرج صناعة الطب الى الغرباء ، بل يطهها الآباء الابناء . وكان ابنا اسقليبيوس مع اغاثمونيون ^(٢) لما سار لفتح طرابلس ^(٣) ، وكانت بكرهما غاية الكرامة ، ويشرفها لعوا عليها في العلم . »

ومن خط ثابت بن قرة الحوافي ^(٤) لما ذكر البقارطة ^(٥) قال : « ويقال انه كان في جميع اقاليم الارض لاسقليبيوس اثنا عشر الف تلميذ ، وانه كان يعلم الطب مشافهة . وكان آل اسقليبيوس يتوارثون صناعة الطب ، الى ان تضيع الأمر في صناعة الطب على زمن بقراط ، ورأى ابن اهل بيته وشيعته قد قلوا ، ولم يأمن ان تنقرض الصناعة ، فابتدأ في تأليف الكتب على جهة الایماز . وقد ذكر جالينوس في تفسيره لكتاب ايمان ابرقراط وعهده من أمر اسقليبيوس ما هذا نصه . قال : الذي تنهى الينا من قصة اسقليبيوس قولان احدهما لنز والاخر طبيعي .

اما الآخر فيذهب فيه الى انه قوة من قوى الله تبارك وتعالى واشتق لها هذا الاسم من فعلها وهو

(١) الى الحياة الدنيا .

(٢) ابن آري وشقيق ميلادوس ، وهو ملك اسطوري لكنينا (ميسين قديماً) وادغروس ، وديوس ابطال اليونان الذين حاصروا طروادة . ولم يتأخر عن التخصية بايئة اليجني ليخفف غضب ميلا الشديد وتنع الريح للضادة التي بقي اسطوله في المياه البرقانية . ولقد اختلته امرأته بعد رجوعه من طروادة بالاتفاق مع عشيقها .

(٣) طروادة .

(٤) كان صوفيًا بحران من الصابئة . قرأ على محمد بن موسى . ولم يكن في زمنه من ياتله في صناعة الطب .

(٥) تلاميذ واصحاب بقراط . (ن. ر)

منع اليبس . قال حنين^(١) : « لما كان الموت انما يعرض عند غلبة اليبس والبرد ، وكان هذان جميعاً يحفظان البدن الميت ، سميت بهذا الخشب الهبة التي تحفظ على الابدان القائمة حرارتها ورطوبتها ، كما تلبث على الحياة باسم يدل على عدمان اليبس » .

وقال جالينوس : « فيقولون انه ابن افولان^(٢) وابن فلاغواس وقورونس مهديته ، وانه مركب من مائت وغير قابل للموت . فيدلون بهذا القول على ان عنايته بالناس لانهم من جلسته وان له طبيعة لا تموت افضل من طبيعة الانسان . وانما اشتق له الشاعر هذا الاسم اعني اسقليبيوس من اعمال الطب ؛ واما قولهم انه ابن فلاغواس ، فلان هذا الاسم مشتق من اسم اللهب اعني ابن القوة الملهبة الحيوانية . » قال حنين : « انما سمي بهذا الاسم لان الحياة تكون بحفظ الحرارة النورية التي في القلب والكبد ؛ اشتق لها اسم من اللهب لانها من جلس النار . »

قال جالينوس : « واما قولهم انه ابن قورونس ؛ فلان هذا الاسم مشتق من الشبع واستفادة الصحة . » قال حنين : « وانما سمي بهذا الاسم ليدل على ان الشبع من الطعام والشراب انما يتم للانسان بصناعة الطب اذا انهم طسامه ؛ لان حفظ الصحة انما يكون بهذه الهبة ، وكذلك ايضا ردها اذا زالت . » قال جالينوس : « واما قولهم انه ابن افولان فلان الطبيب يحتاج ان يكون معه شيء من التمكن ، لانه ليس من الواجب ان يخاف الطبيب الفاضل من معرفة الاشياء الحادثة فيما بعد . قال حنين : يعني تقدمه المعرفة الطبية . قال جالينوس : وقد آن لنا ايضا ان نتكلم في صورة اسقليبيوس وثيابه وتمنحه . وذلك ان الاقاول التي نجدها مكتوبة في ناله انما تلتق بالخرافات لا بالحق . ومن المشهور من امره انه رفع الى الملائكة في عود من دار كما يقال في ديونوس^(٣) وايرقليس^(٤) وسائر من اشبهها من عني بنفع الناس واجتهد في ذلك . وبالجملة يقال ان الله تبارك وتعالى فعل باسقليبيوس وسائر من اشبه هذا الفعل كيا يفنى الجزء الميت الارضي منه بالتار ، ثم يحتد بعد ذلك جزءه الذي لا يقبل الموت ، ويرفع نفسه الى السماء . » قال حنين : « جالينوس في هذا الموضع يبين كيف يكون تشبه الانسان بالله تبارك وتعالى . وذلك انه يقول : « ان الانسان اذا اباد شوائبه الجسدية بنار الصبر والامساك عنها ، وهي التي يريد بها جزء الميت الارضي ، وزين نفسه الناطقة بعد النفث من هذه الشوائب بالفضائل ، وهي التي يريد بها الارتفاع الى السماء ، كان شبيهاً بالله تبارك وتعالى . »

قال جالينوس : « واما صورته فصورة رجل ملتحم مازن يجمه^(٥) ذات ذوائب . وبما يبحث من

(١) هو حنين بن اسحاق الباصي من الاطباء السريانيين زمن الدول العباسية .

(٢) فولان إله الشمس والقدور والفتور والطب والتكنن عند الاغريق .

(٣) هو باغوس عند الرومان

(٤) اكبر الابطال الاسطوريين اليونان ابن جويوتر وآلوميون

(٥) مجتمع شعر الرأس

امر السبب في تصويره ملتصقاً وتصوير ابنه أمدد ، فبعض الناس يقول انه صور وصيغ بهذه الحال ، لانه في وقت ما اصعده الله اليه كان كذلك . والبعض قال : ان السبب في ذلك ان صناعته يحتاج الى اللغة والشيخوخة . وبعض الناس قال : ان السبب في تجارزه ، في الخلق بصناعة الطب ، اياه . واذا تأملته وجدته قائماً متمشياً بمجموع الشباب ، فيدل بهذا الشكل على انه ينبغي للأطباء ان يتفلسفوا في جميع الاوقات . وترى الاعضاء منه التي يُستحى من تكشفها مستورة ، والاعضاء التي يحتاج الى استعمال الصناعة بها معراة مكشوفة . ويصور آخذاً بيده عصاً ، معوجة ذات شعب ، من شجرة الحطمي فيدل بذلك على انه يمكن في صناعة الطب ان يبلغ بن استعمالها من السن ان يحتاج الى عصا يتكوى عليها ، او لأن من اعطاه الله تبارك وتعالى بمض المعطاي يؤهل لاعطاء عصا ، بمنزلة ما وهب لافلاسطس وزوس وهرمس ، وبهذه العصا نجد زوس يقر أعين من يحب من الناس ، فيبني بها أيضاً النيام . واما تصويرهم تلك العصا من شجر الحطمي ، فلانه يطرد وينفي كل مرض .

قال حنين : « نبات الحطمي لما كان دواء يُسخن استخافاً معتدلاً ، تهيأ فيه ان يكون علاجاً كثير المنافع اذا استعمل مفرداً وحده واذا خلط بمواد آخر ، ما أسخن منه وما أبرد ، كما بين ذلك ديسقوريدس وسائر من تكلم فيه . ولهذا السبب نجد اسمه في اللسان اليوناني مشتقاً من اسم العلاجات . وذلك اهم يدلون بهذا الاسم على ان الحطمي فيه منافع كثيرة . »

وقال جالينوس : واما اعوجاجها وكثرة شعبها فتدل على كثرة الاصناف والتفنن الموجود في صناعة الطب . ولن نجدهم ايضاً تركوا تلك العصا بغير زينة ولا تهينة ، لكنهم صوروا عليها صورة حيوان طويل العمر ، ملتف عليها وهو الثنين . ويقرب هذا الحيوان من اسقليبيوس لاسباب كثيرة ، أحدها انه حيوان حاد النظر ، كثير السهر ، لا ينام في وقت من الاوقات . وقد ينبغي لمن قصد تعلم صناعة الطب ان لا يتشاغل عنها بالنوم ، ويكون في غاية الذكاء ليمكنه ان يتقدم فينجز بما هو حاضر ، وبما من شأنه ان يحدث . وذلك انك تجد ابقراط يشير بهذا الفعل في قوله : اني ارى انه من افضل الامور ان يستعمل الطبيب سابق النظر ، وذلك انه اذا سبق فلم ولتقدم ، فانذر المرضى بالشيء الحاضر بما بهم ، وما مضى وما يستأنف .

وقد يقال ايضاً في تصوير الثنين على العصا ، الماسك لها اسقليبيوس ، قول آخر وهو هذا : قالوا هذا الحيوان ، اعني الثنين ، طويل العمر جداً ، حتى ان حياته يقال انها الدهر كله ؛ وقد يمكن في المستعملين لصناعة الطب ان تطول اعمارهم . من ذلك اننا نجد ديوقريطس^(١) واپروطوس^(٢) عندما استعملوا الرصايا التي تأمر بها صناعة الطب طالت حياتهم جداً . فكما ان هذا الحيوان ، اعني الثنين ،

(١) فيلسوف يوناني من القرن الخامس قبل المسيح . وكان يفسك دائماً من الجنون البشري فهو في تضاد مع هيراكليتس الذي كان يبكي للسبب نفسه .

(٢) مؤرخ يوناني هو اير التاريخ (من ٤٨٤ - الى ٤٢٥) .

يسلخ عنه لبابه الذي يسميه اليونانيون الشيوخوخة ، كذلك أيضاً قد يمكن الناس ، باستعمال صناعة الطب اذا سلخوا عنهم الشيوخوخة التي تقيدهم ايها الامراض ، ان يستفيدوا الصحة . واذا صوروا اسقليبيوس 'جعل على رأسه اكليل متخذ من شجر القار^(١) ، لان هذه الشجرة تذهب بالحزن ، ولهذا نجد هرمس اذ سمي المهيّب كل يمثّل هذا الاكليل ، فان الاطباء يلبني لهم ان يصرفوا عنهم الاحزان . كذلك كل اسقليبيوس باكليل يذهب بالحزن ، او لان الاكليل كان يعم صناعة الطب والكهانة ، رأوا انه يلبني ان يكون الاكليل الذي يتكلم به الاطباء والمتكهنون اكليل واحدًا بيمينه ؛ او لان هذه الشجرة ايضاً فيها قوة تشفي الامراض . من ذلك انك تجدها اذا القيت في بعض المواضع هربت من ذلك الموضع الموحا ذوات السموم وكذلك ايضاً التبت المسمى قورورا ، وغرة هذه الشجرة ايضاً وهي التي تسمى حب القار ، اذا مرخ^(٢) بها البدن فطفت فيه شيئاً بفعل الجند يدستر^(٣) . واذا صوروا ذلك التين جعلوا بيده بيضه ، يرمون بذلك الى ان هذا العالم كله يحتاج الى الطب ، ومثال الكل مثال البيضة .

وقد يلبني لنا ان تتكلم ايضاً في النباثات التي تدبح باسم اسقليبيوس تقرباً الى الله تبارك وتعالى ، فنقول انه لم يوجد احد قرب الله قرباً باسم اسقليبيوس ، في وقت من الاوقات ، شيئاً من الماعز ، وذلك لان شجر هذا الحيوان لا يسهل غزله بمنزلة الصوف . ومن اكثر من لحم سهل وقوعه في امراض العرع^(٤) لان الغذاء المتولد عنه رديء الكيموس^(٥) ، نجف غليظ حريف^(٦) ، يميل الى الدم السوداوي .

قال جالينوس : بل انما نجد الناس يقربون الى الله تبارك وتعالى باسم اسقليبيوس ديكاً ، وبرون ايضاً ان سقراط قرب له هذه الذبيحة فهذه الحال علم هذا الرجل الالهى الناس صناعة الطب ، فنية^(٧) فابنة افضل كثيراً من الاشياء التي استخرجها ديونس وديميتر . « قال حنين : يعني باستخراج ديونس الحمر ، وذلك ان اليونانيين يرون ان اول من استخرج الحمر ديونس ويومي الشعراء بهذا الاسم الى القوة ، التي اذا غرت الماء في الكرمه اعدته ليكون الحمرة والسور المتولد عنها في شرابها ، واما استخراج ديميتر فالخمر وسائر الحبوب التي يتخذ منها ، ولهذا نجدهم يسمون هذه الحبوب بهذا الاسم . وقد تسمى الشعراء بهذا الاسم ايضاً الارض المخرجة للحبوب . واما استخراج اسقليبيوس فيعني به الصحة ، وهي التي لا يمكن دونها ان يقتنى شيء من الاشياء التي ينتفع بها او يلتذ . »

قال جالينوس : وذلك ان ما استخرجه هذان لا يلتفت به ما لم يكن استخراج اسقليبيوس موجوداً . واما صورة الكرسي الذي يقعد عليه اسقليبيوس فصورة القوة التي تستفاد بها الصحة ، وهي اقنرف

(١) شرب من الشجر او شرب عظام له اوراق طوال وجل اصفر من البندق اسود يستخرج منه الزيت ، وورقه طيب الريح ، ومنه فوح في جبل عامل يعرف بالفرودل . (ن.ر)

(٢) دمن (٣) او الجند يدستر « كله دخيلة » ، مثانة حيوان بري يجري يكون في الانهار يسمى القنندر (٤) على تنوع الاعضاء الانسانية عن الماعز مما غير نام بسبب سدة في بعض بطون الدماغ وفي مجاري الاصاب الحركة من خلط غليظ او لزج كثير تقتنص الروح عن السوفق فيها ساوكا طبيياً فتقتنص الاعضاء .

(٥) كلة مريضة منهاها الخلط اما منا فهي الطعام الذي انهزم في المعدة بواسطة الحماض والمصارات قبل ان يدفع الى المعج . (٦) يذوق الانسان بحراره . (٧) ما اكتسب .

القوى كما قال بعض الشعراء وذلك انا نجد الشعراء بإجمهم يمدحون هذه القوة ويمجدونها ، اما احدهم ففي قوله انها المقدمة في الشرف على جميع الابرار « في خيرك اكون باقي حياتي » . واما شاعر آخر فقال انها المقدمة في الشرف على جميع الابرار «ياك اسأل ان اولل قبل جميع الخيرات». وبالجملة فقول الغافل، اي الخيرات من اليسار او الابرار او الملك يتساوى في القوة عند سائر الناس ؟ أليس كذا شيئاً انما يكون فاصراً ملئناً للخيرات بسبب الصحة ، انها الليرة ^(١) المؤهبة لهذا الاسم . وانما ذلك لأن الصحة خير في غاية التام ، لا متوسط فيها بين الخير والشر . ولا في الدرجة الثانية من الخير ، كما ظن قوم من الفلاسفة ، وهم المعروفون بالمشائين ^(٢) ، وباصحاب المظلة ^(٣) . وذلك ان شرف سائر الفضائل التي يعنى بها الناس عناية بالغة في جميع ايام حياتهم ، انما هي بسبب الصحة . من ذلك انا نجد من رام ان يبين شجاعة وشدة ومعاربة للأعداء ، ودفعهم عن الاولياء ، جهاداً دونهم ، انما يفعل ذلك باستعماله قوة البدن . واستعمال الانسان المعدل بأن يمطي كل ذي حق حقه ، ويفعل كل ما يجب أن يفعل ، ويحفظ التواميس ، ويصحح في كل ما يراه ويفعله ، لا يمكن ان يتم خلوا من الصحة . وسبب الخلاص ايضاً انما يرى ان تمامه انما يكون بالصحة ، وذلك انه بمنزلة المولود عنها . وبالجملة فاي الناس رام ان يقول بسبب اعتقاده رأي من الآراء واقتناع باطل بوجه ، ان قصده ليس هو اقتناء الصحة ، فانما ذلك القول منه بلسانه فقط ، فاذا اقر بالحق قال ان الصحة بالحقيقة هي الخير الذي في غاية التام . فهذه القوة أولها الناس ان تكون كرسيا للانسان المدير لصناعة الطب ، واسم هذه القوة ايضاً مشتق على الحقيقة ، وذلك ان اسمها في اللسان اليوناني مشتق من اسم الرطوبة ، لان الصحة انما تنم لها بالرطوبة ، كما دل على ذلك في بعض المواضع احد الشعراء في قوله : « الانسان الرطب » .

واذا تأملت صورة اسقليبيوس وجدته قاعداً متكئاً على رجال مصورين سوله ، وذلك واجب لانه يفني ان يكون ثابتاً لا يزول من بين الناس ، ويصور عليه تئين ملتف حوله وقد خبرت سبب ذلك فيما تقدم .

« ومن الآداب والحكم ، التي لاسقليبيوس »

بما ذكره الامير ابو الوفاء المبرش بن فافك في كتاب « غنار الحكم ومحاسن الكلم » ، قال اسقليبيوس :

من عرف الالام لم يغفل الاستعداد . وقال :

(١) ليرة : كل حلقة من سوار تحمل في لحم انف البعير وهي الحزام .

(٢) المشاء مبالغة من المشي ويطلق هذا الاسم على الفلاسفة الذين يقولون بفلسفة ارسطو لانه كان يعلم وهو يمشي .

(٣) وسوا واصحاب المظلة لانهم كانوا يجلسون تحت لشجرة .

ان انسحدم بين نعمة من بارئه وبين ذنب عمله ، وما يصلح هاتين الحالتين الا الحمد للنعمة والاستغفار من الذنب . وقال : كم من دهر ذنبتوه فلما صرتم الى غيره حمدتوه ، وكم من أمر أبغضت أوائله وبكى عند أواخره عليه .

وقال : المتعبد بغير معرفة كحمار الطاحون يدور ولا يبرح ، ولا يدري ما هو قاعل .

وقال : فوت ^(١) الحاجة خير من طلبها الى غير أهلها .

وقال : اعطاء الفاجر تقوية له على فجوره ؛ والصنعة عند الكفور ^(٢) اضاعه للنعمة ؛ وتعلم الجاهل ازدياد في الجهل ؛ ومسألة الثم اهانته للعرض .

وقال : اني لأعجب ممن يحتمي من المآكل الرديئة خافة الضرر ، ولا يدع الذنوب خافة الاثمة .

وقال : اكثروا من الصمت فانه سلامة من الهتك ^(٣) ، واستعملوا الصدق فانه زين النطق .

وقيل له صف لنا الدنيا فقال : امس اجل ، واليوم عمل ، وغدا أمل .

وقال : المشفق عليكم بسمي الظن بكم ، والزاري عليكم كثير العتب لكم ، وذو البغضاء لحكم قليل النصيحة لكم .

وقال : سئيل من له دين ومروءة ان يبذل لصديقه نفسه وماله ، ولئن عرفه طلاقه وجهه وحسن محضه ، ولمدوه العدل ، وان يتصاون ^(٤) عن كل حال يعيب .

أبلى

ويقال له آية . قال سليمان بن حسان المعروف بابن جليل ^(٥) : « ان هذا اول حكي تكلم في الطب ببند الروم والفرس ، وهو اول من استنبط كتاب الاغريقي لسيامس الملك ، وتكلم في الطب ، وقاسه وعمل به . وكان بعد موسى ، عليه الصلاة والسلام ، في زمان بذاق الحاك ، وله اثر عظيمة واخبار شليمة وهو يعد في كثرة المعائب كاسقليبيوس . »

(١) امتناع .

(٢) مبالغة كثر وهو الجاحد للنعمة .

(٣) الغنى الشديد .

(٤) تصاون عن المييب : حفظ نفسه منه .

(٥) ابو داود سليمان بن حسان وكان طبيباً فاضلاً متمعفاً في صناعة الطب وخبيراً بطن المجالط .

الباب الثالث

طبقات الأطباء اليونانيين الذين هم من نسل اسقليبيوس

وذلك ان اسقليبيوس كما ذكرنا اولاً لما حصلت له معرفة صناعة الطب بالتجربة وبقيت عنده امور منها ، وشرع في تعليمها لأولاده وأقاربه ، عهد اليهم ألا يعملوا هذه الصناعة لأحد إلا لأولادهم ، ولئن هو من نسل اسقليبيوس لا غير ، وكان الذي خلفه اسقليبيوس من التلاميذ من ولد وقرابة ستة وم : ماغليس ، وسقراطوس ، وخروسيس الطبيب ، ومهراريس المكذوب عليه المزور نسبة في الكتب الأولى ، وانه لحق سليات بن داود وهذا حديث خرافة لان بينها الف من السنين ، وموريدس ، وميساوس .

وكان كل واحد من هؤلاء يتمتع رأي استاذ اسقليبيوس وهو رأي التجربة . اذا كان الطب انما خرج له بالتجربة ، ولم يزل الطب ينتقل من هؤلاء للتلاميذ الى من علوه من الاهل ، الى ان ظهر :

غورس

غورس هو الثاني من الاطباء الحذاق المشهورين الذين اسقليبيوس اولهم ، على ما ذكره يحمي النحوي وذلك انه قال :

الاطباء المشهورون الذين كان يقتدى بهم في صناعة الطب من اليونانيين على ما تنهاى الينا ثمانية

وهم : اسقليبيوس الاول ، وغورس ، وميتس ، وبرمانيدس ، وافلاطن الطبيب واسقليبيوس الثاني ،
وابقراط ، وجالينوس .

وكانت مدة حياة غورس سبعا واربعين سنة منها صبي ومعلم سبع عشرة سنة ؛ وعالم معلم
ثلاثين سنة . وكان منذ وقت وفاة اسقليبيوس الاول ، الى وقت ظهور غورس ثمانمائة وخمسين سنة .

وكان في هذه الفترة بين اسقليبيوس وبين غورس من الاطباء المذكورين : سورندوس ، ومانئوس ،
وساوثوس ، ومسيانديس ، وسقوريدس الاول ، وسيفلوس ، وسيرياس ، وانطياخس ، وقلبيوس ،
واغانيس ، وابرقلس ، واسطورس الطبيب .

ولما ظهر غورس نظر في رأي التجربة وقواه وخلف من التلاميذ من بين ولد وقريب سبعة وهم :
مرقس ، وجورجيس ، ومالطس ، وفولس ، وماهالس ، وأراسطواطس الاول ، وسقوريوس . وكان
كل واحد من هؤلاء يتتبع رأي استاذة وهو رأي التجربة . ولم يزل الطب يتتبع من هؤلاء الى من
عليه من ولد وقريب الى ان ظهر

ميتس

وميتس هو الثالث من الاطباء المشهورين الثانية الذين تقدم ذكرهم ، وكانت مدة حياته اربعا
وثمانين سنة منها : صبي ومعلم اربعا وستين سنة ، وعالم معلم عشرين سنة . وكان منذ وقت وفاة
غورس الى ظهور ميتس خمسمائة وستين سنة .

وكان في هذه الفترة التي بين غورس وميتس من الاطباء المذكورين : أبيقورس ، وسقوريدوس
الثاني ، وأخطيفون ، وأسقوريس ، وراوس ، واسفلس ، وموطيس ، وافلاطن الاول الطبيب
وابقراط الاول ابن غنوسيديقوس .

ولما ظهر ميتس نظر في مقالات من تقدم ، فاذا التجربة خطأ عنده ، فضم اليها القياس ، وقال :
« لا يجب ان تكون تجربة بلا قياس لانها تكون خطأ ؛ ولما توفي خلف من التلاميذ اربعة وهم :
قطرطس ، واميتس ، وسورانس ، ومثيناوس القديم . ورأي هؤلاء القياس والتجربة . ولم يزل
الطب يتتبع من هؤلاء التلاميذ الى من عليه وخلفوه ، الى ان ظهر .

برمانيدس

وبرمانيدس هو الرابع من الاطباء المشهورين الثانية الذين تقدم ذكرهم ، وكانت مدة حياته

أربعين سنة ، منها : صبي ومتعلم خمساً وعشرين سنة ، وكامل معلّم خمس عشرة سنة . وكان منذ وقت وفاة مينس ، الى ظهور برمانديس سبعة وخمسة عشرة سنة . وكانت في هذه الفترة التي بين مينس وبرمانديس من الاطباء المذكورين : سمانس ، وغوانس ، وأبيقورس ، واسطفانس ، وأنيقولس ، وساوارس ، وحوراطيس ، وفولوس ، وسوانديقوس ، وساموس ، ومثيناوس الثاني ، وأفيطافلون ، وسوثاخس ، وسويازيوس ، ومامالس .

ولما ظهر برمانديس قال : « ان التجربة وحدها كانت او مع القياس خطر . » فأسقطها وأنتحل القياس وحده .

ولما توفي خلف من التلاميذ ثلاثة نفر وهم : فاسلس ، وأفرن ، وديوفيلس ، فوقع بينهم المنازعات والحلف وانفصلوا ثلاث فرق ، فأدعى أفرن التجربة وحدها ، وأدعى ديوفيلس القياس وحده . وأدعى فاسلس الحيل ، وذكر ان الطب انما هو حيلة . ولم تزل هذه الحبال بينهم الى ان ظهر

افلاطن الطبيب

وأفلاطن الطبيب هو الخامس من الاطباء المشهورين الثانية الذين تقدم ذكرهم وكانت مدة حياته ستين سنة ، منها : صبي ومتعلم أربعين سنة ، وعالم معلّم عشرين سنة . وكانت منذ وقت وفاة برمانديس الى ظهور افلاطن سبعة وخمسة وثلاثون سنة . وكان الاطباء المذكورون في هذه الفترة التي بين برمانديس وافلاطن الطبيب قد تقسموا ثلاثة أقسام :

أصحاب التجربة وهم : أفرن الاقراضطي ، وبتنخلس ، وأنقلس ، وفيلنيس ، وغافوطيس ، والحسدروس ، ومليس .

وأصحاب الحيل وهم : ماناخس ، وماساوس ، وغوريانس ، وغرغوريس ، وقونيس .

وأصحاب القياس وهم : انكساغورس ، وفولوطيس ، وماخاخس ، وسقولوس ، وسوفورس .

ولما ظهر افلاطن نظر في هذه المغالات وعلم ان التجربة وحدها رديئة وخطرة ، والقياس وحده لا يصح ، فانتحل الرأيين جميعاً . قال ييجي النحوي : « وان افلاطون أحرق الكتب التي ألفها فاسلس واصحابه ^(١) ومن انتحل رأياً واحداً من التجربة والقياس ، وترك الكتب القديمة ، التي فيها الرأيان جميعاً . »

وأقول : ان ييجي النحوي قيا ذكره من هذه الكتب ، وانها قد الفت ، فان كان لها حقيقة

(١) وم الذين قالوا بليل رقا الطب حية .

فذلك يناهني قول من يرى ان صناعة الطب اول من دونها وأثبتها في الكتب ابقرات ، اذ كانت هؤلاء الذين قد ألفوا هذه الكتب من قبل أبقرات بمدة طويلة .

ولما توفي أفلاطون خلف من تلاميذه من اولاده وأقرائه ستة وهم : ميرونس وأفرده بالحكم على الامراض ؛ وفورونوس وأفرده بالتدبير للابدان ، وفوراس وأفرده بالفصد والكي ؛ واثفوروس وأفرده بعلاج الجراحات ؛ وسرجس وأفرده بعلاج العين ، وقانيس وأفرده بحجر العظام المكسورة واصلاح الخلوعة . ولم يزل الطب يجري أمره على سداد بين هؤلاء التلاميذ وبين من خلفوه الى ان ظهر :

أسقليبيوس الثاني

واسقليبيوس الثاني هو السادس من الاطباء المشهورين الثانية الذين تقدم ذكرهم ، وكانت مدة حياته مائة وعشر سنين منها صبي ومتعلم خمس عشرة سنة ، وعالم ومعلم خمساً وتسعين سنة ، منها عطل خمس سنين . وكان منذ وقت وفاة أفلاطون والى ظهور اسقليبيوس الثاني ألف واربعائة وعشرون سنة . وكان في هذه الفترة التي بين أفلاطون واسقليبيوس الثاني من الاطباء المذكورين : ميلن الاقراغطني ، واثمسيطوس الطبيب ، واقدثينوس ، وفرديقولس ، واندروماخس القديم وهو اول من صنع الترياق وعاش اربعين سنة ، ويراقلديس الاول وعاش ستين سنة ، وفلاغورس وعاش خمساً وثلاثين سنة ، وماخيس ، ونسطس ، وسيفورس ، وغالوس ، وما باطياس ، ويراقلس الطبيب وعاش مائة سنة ، ومافاطيس ، وفيثاغورس الطبيب وعاش سبعين سنة ، ومارينوس وعاش مائة سنة .

ولما ظهر اسقليبيوس الثاني نظر في الآراء القديمة فوجد ان الذي يجب ان يعتقد هو رأي افلاطون فانتعله . ثم توفي وخلف ثلاثة تلاميذ من أهل بيته ، لا غريب فيهم ولا طبيب سوام ، وهم : ابقرات ابن ايراقلديس ، وماغاريلس ، وأرخس .

ولم تفسد عدة اشهر حتى توفي ماغاريلس ولحقه أرخس ، وبقي ابقرات وحيد دهره طبيباً كامل الفضائل تضرب به الامثال ، الطبيب الفيلسوف ، الى ان بلغ به الامر الى ان عبد وهو الذي قوى صناعة القياس والتجربة تقوية عظيمة عجيبة لا يتنبأ لطاعن ان يخلها ولا يتكها ، وعلم الغدباء الطب وجعلهم شبيهاً بأولاده لما خاف على الطب ان يفنى ويبعد من العالم . كما يتبين امره في هذا الباب الذي يأتي .

الباب الرابع

طبقات الأطباء اليونانيين الذين أذاع أبقراط فيهم صناعة الطب

أبقراط

ولتبتدىء أولاً بذكر شيء من أخبار أبقراط على حيالها وما كان عليه من التأييد الإلهي ، ونذكر بعد ذلك جزءاً من أمر الأطباء اليونانيين الذين أذاع أبقراط فيهم هذه الصناعة ، وإن لم يكونوا من نسل اسقليبيوس فنقول :

إن أبقراط ، على ما تقدم ذكره ، وهو السابع من الأطباء الكبار المذكورين الذين اسقليبيوس أولهم . وأبقراط هو من أشرف أهل بيته وإعلام نسبه ، وذلك على ما وجدته في بعض المواضع المتقولة من اليوناني ، إنه أبقراط بن أيرا قليدس بن أبقراط بن غنوسيديفوس بن نهروس بن سوسطراطس بن ثاودروس بن قلاوموطاداس بن قريساميس الملك ، فهو بالطبع الشريف الفاضل نسباً لأنه التاسع من قريساميس الملك والثامن عشر من اسقليبيوس والعشرون من زاوس . وأمه فركيئا بنت فيناريطي من بيت أراقليس . فهو من جنس فاضلين لأن أباه من آل اسقليبيوس وأمه من آل أراقليس . وتعلم صناعة الطب من أبيه أراقليدس ومن جده أبقراط ، وهما أسرا إليه أصول صناعة الطب .

وكانت مدة حياة أبقراط خمساً وتسعين سنة منها صبي ومثلم ست عشرة سنة ، وعالم معلم تسعاً وسبعين سنة . وكان منذ وقت وفاة اسقليبيوس الثاني وإلى ظهور أبقراط سنتين .

ولما نظر أبقراط في صناعة الطب وخاف عليها أن تفرط عندما رأى أنها قد بادت من أكثر المواضع التي كان اسقليبيوس الأول أسس فيها التعلم . وذلك أن المواضع التي يتعلم فيها صناعة الطب

كانت على ما ذكره جالينوس في تفسيره لكتاب « الايمان » لأبقراط ثلاثة : احدها بمدينة رودس ،
والثاني بمدينة قنيس ، والثالث بمدينة قو^(١).

فاما التعليم الذي كان بمدينة رودس فانه باد بسرعة لانه لم يكن لاربابه وارث .

واما الذي كان منه بمدينة قنيس فطغى لان الوراثين له كلوا نفراً يسيراً .

واما الذي كان منه بمدينة قو ، وهي التي كان يسكنها أبقراط ، فثبت وبقي منه بقايا يسيرة لفة
الوراثين له .

فما نظر أبقراط في صناعة الطب ووجدتها قد كادت ان تبديد لفة الابناء المتوارثين لها من آل
اسقليبيوس ، رأى ان يذهب في جميع الارض ، وينقلها الى سائر الناس ، ويعلم المستحقين لها حتى
لا تبديد . وقال : « ان الجود بالخير يجب ان يكون على كل أحد يستحقه قريباً كان او بعيداً . »
واخذ الغريم وعلمهم هذه الصناعة الجليلة ، وعهد اليهم العهد الذي كتبه ، وأحلهم بالإيمان المذكورة
فيه ان لا يخالفوا ما شرطه عليهم ، وان لا يعلموا هذا العلم احداً الا بعد اخذ هذا العهد عليه .

وقال ابو الحسن علي^(٢) بن رضوان : « كانت صناعة الطب قبل ابقراط كنزاً وخبيرة يكتزها
الآباء ويدخلونها للأبناء ، وكانت في أهل بيت واحد ملسوب الى اسقليبيوس .

« وهذا الاسم ، أعني اسقليبيوس ، اما ان يكون اسماً للملك بمش الله فطم الناس الطب ، واما
ان يكون قوة لله عز وجل علمت الناس الطب . وكيف صرفت الحال فهو اول من علم صناعة الطب .
ونسب المتمم الاول اليه على عادة القدماء في تسمية الملم أباً للتمتع . وتنازل من المتمم الاول اهل
هذا البيت المنسوبون الى اسقليبيوس . وكان ملوك اليونانيين والعطاء منهم ، ولم يكونوا يمتكنوا غيرهم
من تعلم صناعة الطب ، بل كانت الصناعة فيهم خاصة يعلم الرجل منهم ولده أو ولد ولده فقط .
وكان تعليمهم بالمخاطبة ، ولم يكونوا يدولونها في الكتب . وما احتاجوا الى تدوينه في الكتب دونه
بلفظ حتى لا يفهمه أحد سواهم ، فيفسر ذلك اللفظ الاب' للابن . وكان الطب في الملوك والزهاد فقط
يقصدون به الاحسان الى الناس من غير اجرة ولا شرط .

ولم يزل كذلك الى ان نشأ ابقراط من اهل قو ، ودمقرط من أهل أبدرا ، وكأنا متعاصرين ،
فأما دمقرط فترهد وترك تدبير مدينته ، وأما ابقراط فرأى اهل بيته قد اختلفوا في صناعة الطب ،
وتخوف ان يكون ذلك سبباً لفساد الطب ، فعمد على ان دونه بأغماض في الكتب . وكان له ولدان
فاضلان وما أسلس وذراقتن وتلميذ فاضل وهو فولوبس ، فعلمهم هذه الصناعة وشعر أنها قد تخرج
عن أهل اسقليبيوس الى غيرهم ، فوضع عهداً استخلف فيه المتمم لها على ان يكون لازماً للطهارة

(١) جزيرة في بحر ايجة هي موطن ابقراط .

(٢) هو ابو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر . ولد ونشأ في مصر ، وبعث تعلم الطب .

والفضيلة . ثم وضع ناموساً عرف فيه من الذي ينبغي له ان يشغل صناعة الطب . ثم وضع وصية عرف فيها جميع ما يحتاج اليه الطبيب في نفسه . »

أقول وهذه نسخة العهد الذي وضعه أبقراط ^(١) .

قسم أبقراط

قال أبقراط : « اني اقسم بالله رب الحياة والموت ، وواهب الصحة ، وخالق الشفاء وكل علاج .

وأقسم بإسقليبيوس . وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً . وأشهدهم جميعاً على أنني بهذه اليمين وهذا الشرط . وأرى ان المعلم في هذه الصناعة بمنزلة آباي ، وأواسيه في معاشي ، واذا احتاج الى مال واسيته وواصلته من مالي .

« وأما المجلس المتناسل منه فأرى انه مسار لاختوي ، واهلهم هذه الصناعة ان احتاجوا الى تعلمها بغير اجرة ولا شرط . وأشرك اولادي واولاد المعلم في التلاميذ الذين كتب عليهم الشرط او حللوا بالناموس الطبي في الرصايا والمعلوم وسائر ما في الصناعة . واما غير هؤلاء فلا اقل به ذلك ، وأقصد في جميع التدابير ، بقدر طاقتي ، منفعة المرضى .

« واما الاشياء التي تضر بهم وتدني منهم بالجور عليهم فامنع منها بحسب رأيي . ولا اعطي اذا طلب مني دواء قتالاً ، ولا اشير ايضاً بشئ هذه المشورة . وكذلك ايضاً لا أرى ان أدني من النسوة فرجة ^(٢) تسقط الجنين . وأحفظ نفسي في تدبيري وصناعتي على الزكاة والطهارة ، ولا أشق ايضاً عن في مثانته حيلة ، ولكن أترك ذلك الى من كانت حرفته هذا العمل . وكل المنازل التي أدخلها انما أدخلها اليها لمنفعة المرضى ، وانا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد إرادي مقصود اليه في سائر الاشياء ، وفي الجراح للنساء والرجال ، الاحرار منهم والعبيد . واما الاشياء التي اعانيتها في اوقات علاج المرضى أو أمعما ، في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس بين الاشياء التي لا ينطق بها خارجاً قاممك عنها ، وأرى ان أمثالها لا ينطق به .

فن أكل هذه اليمين ولم يفسد شيئاً كان له ان يكلل تدبيره وصناعته على أفضل الاحوال واجملها ، وان يحمده جميع الناس فيما يأتي من الزمان دائماً ، ومن تجاوز ذلك كان بضده .

(١) ويدهى قسم أبقراط .

(٢) شيء يتدأى به النساء .

ناموس الطب لابرقاط

وهذه نسخة ناموس الطب لابرقاط . قال ابرقاط :

« ان الطب اشرف الصنائع كلها إلا أن نقص فهم من يتحلها صار سلباً لسلب الناس ايها ، لانه لم يوجد لها في جميع المدن عيب غير جهل من يصحبها بمن ليس باهل للتسمي بها اذ كانوا يشبهون الاشباح التي يحضرها اصحاب الحكاية ليلها الناس بها ، فكما أنها صور لا حقيقة لها ، كذلك هؤلاء الاطباء ، بالاسم كثير ، وبالفعل قليل جداً .

« وينبغي لمن أراد تعلم صناعة الطب أن يكون ذا طبيعة جيدة مؤاتية ، وحرص شديد ورغبة تامة ، وأفضل ذلك كله الطبيعة لانها اذا كانت مؤاتية فينبغي ان يقبل على التعلم ولا يضجر لينقطع في فكره ويشتر ثاراً حسنة ، مثل ما يرى في نبات الارض . اما الطبيعة فتتل التربة ، واما منفعة التعلم فتل الزرع ، واما تربية التعلم فتتل وقوع البذر في الارض الجيدة . فحق قدمت العناية في صناعة الطب بما ذكرنا ، ثم صاروا الى المدن لم يكونوا اطباء بالاسم بل بالفعل . والعلم بالطب كنز جيد وذخيرة فاشرة لمن علمه ، ملو سروراً ، سرراً وجهرأ ، والجهل به لمن انتحل صناعة سوء ، وذخيرة رديية ، عديم السرور ، دائم الجزع والتهور . والجزع دليل على الضعف ، والتهور دليل على قلة الخبر بالصناعة .

وصية ابرقاط

وهذه نسخة وصية ابرقاط المعروفة بترتيب الطب . قال ابرقاط :

« ينبغي ان يكون المتعلم للطب ، في جسده حرأ ، وفي طبعه جيداً ، حديث السن ، معتدل القامة ، متناسب الاعضاء ، جيد الفهم ، حسن الحديث ، صحيح الرأي عند المشورة ، عفيفاً شجاعاً ، غير عجب للفضة ، مالكا لنفسه عند الغضب ، ولا يكون تاركاً له في النهاية ، ولا يكون بليداً .

وينبغي ان يكون مشاركاً للعليل مشفقاً عليه ، حافظاً للاسرار ، لان كثيراً من المرضى يوقفون على امراضهم لا يحبون ان يقف عليها غيرهم .

وينبغي ان يكون محتشداً للثمنية ، لان قوماً من المبرسين ^(١) واصحاب الوسواس ^(٢) السوداوي

(١) المصابون بالبرسام وهي علة على فيها .

(٢) حديث النفس والشيطان بما لا يطلع ولا خير .

يقابلونا بذلك ، وينبني لنا ان نحتلمهم عليه ، ونعلم انه ليس منهم ، وان الحبب فيه المره الخارج عن الطبيعة .

وينبني ان يكون خلق رأسه معتدلاً مستويا ، لا يحلقه ولا يدعه كالجمه ، ولا يستقصي (١) قص أظافر يديه ، ولا يتركها تماو على أطراف أصابعه .

وينبني ان تكون ثيابه بيضاء نقية لينة ، ولا يكون في مشيه مستعجلاً ، لان ذلك دليل على الطيش ، ولا متباطئاً لانه يدل على فتور النفس . واذا دعي الى المريض فليقدم متربهاً ويحتبر منه حاله بسكون وتأن ، لا يلقى واضطراب ، فان هذا الشكل والزي والترتيب عندي أفضل من غيره .

قال جالينوس ، في المقالة الثالثة من كتابه في اخلاق النفس :

« ان ابقراط كان يعلم مع ما كان يعظ من الطب من أمر التجوم ما لم يكن يدانيه فيه احد من اهل زمانه . وكان يعلم أمر الاركان التي منها تركيب أبدان الحيوان ، وكون جميع الاجسام التي تقبل الكون والفساد ، وفسادها ، وهو أول من برهن ببراهين حقيقة هذه الأشياء التي ذكرنا . وبرهن كيف يكون المرض والصمة في جميع الحيوان وفي النبات . وهو الذي استنبط اجناس الامراض وجهات مداواتها .

اقول : « فأما معالجة أبقراط ومداواته للامراض فانه أبداً كانت له العناية البالغة في نفع المرضى وفي مداواتهم . ويقال انه أول من جند البيارستان (٢) واخترعه وأوجده . وذلك انه عمل بالقرب من داره في موضع من بستان كان له ، موضعاً مفرداً للمرضى ، وجعل فيه خدماً يقومون بمداواتهم ، وسماه أخصندوكين أي جمع المرضى - وكذلك أيضاً معنى لفظة البيارستان،وهو فارسي ، وذلك ان البجار بالفارسي هو المرضى ، وستان هو الموضع ، أي موضع المرضى .

ولم يكن لأبقراط دأب على هذه الوتيرة ، في مدة حياته وطول بقائه ، إلا النظر في صناعة الطب وإيجاد قوانينها ومداواة المرضى ، وابصال الراحة اليهم واتقاذهم من علالهم وامراضهم . وقد ذكر كثيراً من قصص مرضى عالجهم في كتابه المعروف بأبيديما وتفسير أبيديما الامراض الواقعة .

« ولم يكن لأبقراط رغبة في خدمة احد من الملوك لطلب الفنى ، ولا في زيادة مال يفضل عن احتياجه الضروري . وفي ذلك قال جالينوس : « ان ابقراط لم يحب احد ملوك الفرس العظيم الشأن المعروف عند اليونانيين بأرطخششت (٣) » - وهو أزدشير الفارسي جد دارا بن دارا - فانه عرض في أيام هذا الملك للفرس وباء ، فوجه الى عامه بمدينة قاوران ان يعمل الى ابقراط مائة قنطار ذهباً ويحمله بكرامة عظيمة واجلال ، وان يكون هذا المال مقدمة له ، ويضمن له اقطاعاً بثمنها .

(١) يبلغ العناية في .

(٢) المكان المد لمداواة المرضى .

(٣) ملك الفرس حكم من سنة ٤٦٥ الى ٤٢٥ قبل المسيح .

وكتب الى ملك اليونانيين يستعين به على اخراجه اليه ، وحين له مهادنة سبع سنين متى اخرج ابقراط اليه . فلم يجب ابقراط الى الخروج عن يده الى القرس . فلما ألح عليه ملك اليونانيين في الخروج قال له ابقراط : « لست ابدل الفضية بالمال » . ولما عالج بردقس ^(١) الملك من امراض مرضها لم يقم عنده دهره كله . وانصرف الى علاج المساكين والفقراء الذين كانوا في بلده ، وفي مدن أخرى وان صغرت . ودار هو بنفسه جميع مدن اليونانيين ، حتى وضع لهم كتاباً في الأهمية والبلدان . قال جالينوس : ومن هذه حاله ليس انما يستخف بالفنى فقط ، بل بالحفص ^(٢) والدعة ^(٣) ، ويؤثر التنب والنصب ^(٤) عليها في جنب الفضيلة .

ومن بعض التواريخ القديمة ان ابقراط كان في زمن بهمن بن أزدشير وكان بهمن قد اعتل ، فأنفذ الى أهل بلد ابقراط يستدعيه فامتنعوا من ذلك ، وقالوا ان اخرج ابقراط من مدينتنا ، خرجنا جميعاً وقتلنا دونه ، فرق لهم بهمن واقره عندهم . وظهر ابقراط سنة ست وتسعين لبختنصر ^(٥) وهي سنة أربع عشرة للملك بهمن .

قال سلمان بن حسان المعروف بابن جليل : ورأيت حكاية طريفة لأبقراط استحلينا ذكرها لنلد بها على فضله ، وذلك ان أفليمون صاحب الفراسة ^(٦) كان يزعم في فراسته انه يستدل بتركييب الانسان على اخلاق نفسه ، فاجتمع تلاميذ ابقراط وقال بعضهم لبعض : هل تعلمون في دهرنا افضل من هذا المرء الفاضل ؟ فقالوا له ما نعلم . فقال بعضهم : تماالوا تمنح به افليمون فيا يدعيه من الفراسة فصوروا صورة ابقراط ، ثم نهضوا بها الى افليمون . فقالوا له : ايها الفاضل ، انظر هذا الشخص واحكم على اخلاق نفسه من تركيبه . فنظر اليه ، وقرن أعضائه بعضها ببعض ، ثم حكم ، فقال : رجل يحب الزنا . فقالوا له : كذبت ، هذه صورة ابقراط الحكيم . فقال لهم : لا بد لعلمي ان يصدق ، فاسألوه فان المرء لا يرضى بالكذب . فرجعوا الى ابقراط واخبروه بالخبر وما صنعوا وما قال لهم أفليمون ، فقال ابقراط : صدق أفليمون ا أحب الزنا ، ولكفي أملك نفسي .

فهذا يدل على فضل ابقراط وملكه لنفسه ، ورياضته لها بالفضيلة . أقول : وقد تنسب هذه الحكاية الى سقراط الفيلسوف وتلاميذه .

فأما تفسير اسم ابقراط فان معناه ضابط الخيل ، وقيل معناه ماسك الصعة ، وقيل ماسك

(١) ملك مقدونيا .

(٢) لين العيش وسعته .

(٣) اللزق .

(٤) اللبلاء والشر .

(٥) ملك الكلدانيين (٦٠٤ - ٥٦١)

(٦) علم ادراك الباطن من نظر الظاهر .

الارواح . واصل اسمه باليونانية ايفوقراطيس ، ويقال هو بقراطيس ، وانما العرب عادهما تخفيف الاسماء واختصار المعاني ، فخفضت هذا الاسم فقالوا ابقراط وبقراط أيضاً . وقد جرى ذلك كثيراً في الشعر ويقال أيضاً إلتاء أبقرات ويقرات .

وقال المبشر بن فائق في كتاب « مختار الحكم ومعاني الكلم » .

ان ابقراط كان ربعة ، ابيض ، حسن الصورة ، أشهل العينين ، غليظ العظام ، ذا عصب ، معتدل اللحية أبيضها ، منحني الظهر ، عظم الهامة ، بطيء الحركة . اذا التفت التفت بكليته ، كثير الأطراق ، مصيب القول ، متأنياً في كلامه ، يكرر على السامع منه . ونملاه ابداً بين يديه اذا جلس ؛ وان 'كلم اجاب وان 'سكت عنه سأل ؛ وان جلس كان نظره الى الارض ، معه مداعبة ، كثير الصوم ، قليل الاكل ، بيده ابداً إما مبضع^(١) ولما مرود^(٢) .

وقال حنين بن اسحاق ، في كتاب نوادر الفلاسفة والحكماء : انه كان متقوشاً على فص خاتم أبقراط : « المريض الذي يشتهي أرجى عندي من الصحيح الذي لا يشتهي شيئاً » .

ويقال ان ابقراط مات بالفالج وأوصى ان يدفن معه درج^(٣) من عاج لا يعلم ما فيه ، فلما اجتاز قيصر الملك بقبوره رآه قبرا ذليلاً ، فأمر بتجديده لانه كان من عادة الملوك ان يقتلدوا احوال الحكماء في حياتهم وبعد وفاتهم ، لانهم كلوا عندهم أجل الناس وأقربهم اليهم . فأمر قيصر الملك بحفره ، فلما حفره لينظر اليه استخرج الدرج ، فوجد فيه الخمس والشرين قضية في الموت التي لا يعلم العلة فيها لانه حكم فيها بالموت الى اوقات معينة وأيام معلومة . وهي موجودة بالعربي .

ويقال ان جالينوس فسرهما ، وهذا بما استنبهده . وإلا فلا كان ذلك حقاً ووجد تفسير جالينوس لنقل الى العربي كما قد فعل ذلك بغيره من كتب ابقراط التي فسرهما جالينوس ، فانها نقلت بأسرها الى العربي .

ومن ألفاظ أبقراط الحكيمه ونوادره المفردة في الطب ، قال ابقراط : الطب قياس وتجربة .

وقال : لو خلق الانسان من طبيعة واحدة لما مرض احد لانه لم يكن هنالك شيء يضادها فيمرض .

وقال : العادة اذا قدمت صارت طبيعة ثانية . والزجر والقال حسن نفساني .

وقال : احذق الناس بإحكام النجوم أعرفهم بطبائنها وأخذهم بالشبيه .

وقال : الانسان ما دام في عالم الحس فلا بد من ان يأخذ من الحس بنصيب قل أو كثر .

(١) آلة البضع وهي سكين الجراح

(٢) الميل يكتمل به .

(٣) الدرج : سفط صغير تدخر فيه المرأة طيبها وادواتها ورم به يجمع مصر كل وعاء غير منقول لكتب او غيرها وترجم

به Tiroir وتطلق عليه العامة الجارور .

وقال : كل مرض معروف السبب موجود الشفاء .

وقال : ان الناس اغتدوا في حال الصحة باغذية السباع فأمرضتهم ، ففقدواهم باغذية الطير فصحوا .

وقال : انما نأكل لتعيش ، ولا نميش لنأكل .

وقال : لا تأكل حتى أكأكل .

وقال : يتداوى كل غليل بمقاير أرضه ، فان الطبيعة تفزع الى عاداتها .

وقال : الحرة صديقة الجسم ، والتفاحة صديقة النفس .

وقيل له : لم أؤر ما يكون البدن اذا شرب الانسان الدواء ؟ قال : لأن أشد ما يكون البيت غباراً اذا كنس ،

وقال : لا تشرب الدواء الا وأنت محتاج اليه ، فان شربته من غير حاجة ولم يجد داء يعمل فيه وجد صفة يعمل فيها فيحدث مرضاً .

وقال : كمثل' المني في الظهر كمثل الماء في البشر ، إن نرفته فار وإن تركته غار .

وقال : ان الجامع يتفتح من ماء الحياة . وسئل في كم يلبيح للانسان ان يجمع ؟ قال : في كل سنة مرة . قيل له : فان لم يقدر ؟ قال : في كل شهر مرة . قيل له : فان لم يقدر ؟ قال : في كل اسبوع مرة . قيل له : فان لم يقدر ؟ قال : هي روحه ابي وقت شاء يخرجها .

وقال : امهات لذات الدنيا أربع : لذة الطعام ، ولذة الشراب ، ولذة الجماع ، ولذة السباح ؛ فالذات الثلاث لا يتوصل اليها ولا الى شيء منها إلا بتعب ومشقة ولها مضار اذا استكثر منها ، ولذة السباح قلت او كثرت صافية من التعب ، خالصة من النصب .

ومن كلامه قال : اذا كان الغدر بالناس طباعاً ، كانت الثقة بكل احد عجزاً ؛ واذا كان الرزق مقسوماً ، كان الحرص باطلاً .

وقال : فقه الميال احد اليسارين .

وقال : العافية ملك خفي لا يعرف قدرها إلا من علمها .

وقيل له اي العيش خير ؟ فقال : الأمن مع الفقر ، خير من الغنى مع الخوف .

ورأى قوماً يدخنون امرأة فقال : نعم الصهر صاهرك .

وحكي عنه انه أقبل^(١) بالتعلم على حدث من تلامذته ، فمات به الشيوخ على تقديمه إياه عليهم ، فقال لهم : الا تعلموا ما السبب في تقديمه عليكم ؟ قالوا : لا . فقال لهم : ما اعجب ما في الدنيا ؟ فقال احدهم : السماء والافلاك والكواكب . وقال آخر : الارض وما فيها من الحيوانات والنبات . وقال آخر : الانسان وتركيبه . ولم يزل كل واحد منهم يقول شيئاً وهو يقول لا . فقال للصبي :

(١) أقبل عليه أي ولاء قبل وجهه ، وكفه.

ما اعجب ما في الدنيا ؟ فقال : أيا الحكيم ، اذا كان كل ما في الدنيا عبثاً فلا عجب . فقال الحكيم : لاجل هذا قدمته ، لفظنته .

ومن كلامه قال : عارية الشهوة أسير^(١) من معالجة الة . وقال : التخلص من الامراض الصعبة صناعة كبيرة .

ودخل على عليل فقال : أيا واللة وأنت ثلاثة : فان أعنتني عليها بالقبول مني لما تسمع صرنا اثنين ، وانفردت الة ففوتنا عليها ؛ والاثنان اذا اجتمعا على واحد غلباه .

ولما حضرته الوفاة قال : خلوا جامع العلم مني : من كثر فومه ولانت طبيعته ، ونديت جلدته طال عمره .

ومن كلامه ، بما ذكره حنين بن اسحق في كتاب فوامر الفلاسفة ، انه قال : منزلة لطافة القلب في الابدان ، كنزلة التواظر في الاجفان .

وقال : للقلب آفتان وما النعم والهلم ، فالنعم يعرض منه النوم ، والهلم يعرض منه السهر . وذلك بان الهلم فيه فكر في الخوف بما سيكون ، فمنه يكون السهر . والهلم لا فكر فيه ، لانه انما يكون بما قد مضى وانقضى . وقال : القلب من دم جامد ، والنعم يهيج الحرارة الغريزية ، فذلك الحرارة لتذيب جامد الدم ، ولذلك كره الغم خوف الدواض المكروهة التي تهيج الحرارة ، ونعمي المزاج ، فيجعل جامد الدم ، فينبثق التركيب .

وقال : من صحب السلطان فلا يحزع من قوته ، كما لا يحزع الفواص من موحاة البحر . وقال : من احب لنفسه الحياة أمانها .

وقال : العلم كثير والعمر قصير ، فخذ من العلم ما يبلغك قلبه الى كثير .

وقال : ان الهبة قد تقع بين الماقلين من باب تشاكلها^(٢) في العقل ، ولا تقع بين الاحقين من باب تشاكلها في الحق . لان العقل يجري على ترتيب فيجوز ان يتفق فيه اثنان على طريق واحد ؛ والحق لا يجري على ترتيب فلا يجوز ان يقع به اتفاق بين اثنين .

ومن كلامه في العشق قال : « المشق طمع يتولد في القلب وتجتمع فيه مواد من الحرص . فكلما قوي ازداد صاحبه في الاهتياج والنجاس وشدة الفلق وكثرة السهر ، وعند ذلك يكون احتراق الدم ، واستحالتة الى السوداء^(٣) ، والتهاب الصفراء وانتقالها الى السوداء ؛ ومن طغيان السوداء فساد الفكر ؛ ومع فساد يكون القدماء^(٤) ، ونقصان العقل ، ورجاء ما لم يكن ، وفني ما لم يتم حتى يؤدي ذلك الى

(١) أموت .

(٢) تشابهها .

(٣) من اخلاط البدن الاربعة منشؤها من الطحال .

(٤) المي عن الهبة مع قلة فهم .

الجنون . فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه ، وربما مات غماً . وربما وصل الى معشوقه فيموت فرحاً او اسفاً . وربما شق شقة فتختفي منها روحه اربعا وعشرين ساعة ، فيظن انه قد مات فيقبر وهو حي . وربما تنفس الصمداء^(١) فتضمثق نفسه في ظمور^(٢) قلبه ، ويضم عليها القلب فلا تنفجر حتى يموت . وربما اربط وتثوق للنظر ، ورأى من يحب فجاء فتخرج نفسه فجأة دفعة واحدة .

وانت ترى العاشق اذا سمع بذكر من يحب كيف يهرب دمه ويستحيل لونه ، وزوال ذلك من هذه حاله بلطف من رب العالمين ، لا بتدبير من الآدميين . وذلك ان المكروه العارض من سبب قائم منفرد بنفسه يشبه التلطف بإزالة سببه . فاذا وقع السبب وكل واحد منها علة لصاحبه ، لم يكن الى زوال واحد منها سبيل . واذا كانت السوداء سبباً لاتصال الفكر ، وكان اتصال الفكر سبباً لاحتراق الدم والصفراء وميلها الى السوداء . والسوداء كلما قويت قوت الفكر ، والفكر كلما قوي قوى السوداء . فهذا الداء العياء الذي يسميز عن معالجه الأطباء . »

ومن كلامه قال : الجسد يعالج جلة من خسة أضرب : ما في الرأس بالغرغرة ؛ وما في المعدة بالقيء ؛ وما في البدن بإسهال البطن ؛ وما بين الجلدتين بالعرق ؛ وما في العمق وداخل العروق بإرسال الدم .

وقال : الصفراء^(٣) بيتها المرارة^(٤) وسلطانها^(٥) في الكبد والبلغم^(٦) بيته المعدة وسلطانها في الصدر ، والسوداء بيتها الطحال^(٧) وسلطانها في القلب . والدم بيته القلب وسلطانها في الرأس .

وقال لتلميذه : ليكن افضل وسيلتك الى الناس محبتك لهم ، والتفقد لأمورهم ، ومعرفة حالهم ، واصطناع المعروف اليهم .

ومن كتاب غتار الحكم ومحاسن الكلم ، للبشرى فائق من كلام أبقراط ايضاً وآدابه قال : استدامة الصحة تكون بترك التكامل عن التعب ، وبترك الامتلاء عن الطعام والشراب .

وقال : ان انت فعلت ما ينبغي على ما ينبغي ان يفعل فلم يكن ما ينبغي ، فلا تقتل عما انت عليه ما دام ما رأيته اول الأمر ثابتاً .

وقال : الاقلال من الضرر خير من الاكثار من النافع .

وقال : اما العقلاء فيجب ان يسقوا الحمر ، واما الحقى فيجب ان يسقوا الحريق^(٨) .

وقال : ليس معي من قضية العلم الا علمي باي لست بمالم .

(١) تنفس الطويل من هم امر قلب . او هو تنفس عمده . (٢) غلاف القلب . (٣) المرة وهي من اخلاط البدن الاربية (٤) حنة - شبه كيس - لاصقة بالكبد فيها ماء اخضر مر . (٥) هناجمنى مقرها ومكان تكونها (٦) من اخلاط البدن (٧) من الاستثناء كلن في الجهة اليسرى بين المدة والاضلاع للكاذبة . (٨) وهو بالفرنسية Hellebore نبات ورقه كلسان الحمل ، ابيض واسود ينفع في الصرع والجنون والمفاصل والبهق والفالج .. ويسهل الفضول المزجية . وربما اوردت تشنجاً وافرطه مهلك . وهو سم الكلاب والحنازير ، وان نبت يجنب كرمه اسهل خرة عنها ن - ر » .

وقال : اقموا بالقوت ، وانذروا عنكم اللجاجة ، لتكون لكم قربة الى الله عز وجل . لان الله سبحانه وتعالى غير محتاج الى شيء ، فكلما احتجتم اكثر كنتم منه أبعد . واهربوا من الشرور ، ذروا^(١) المآثم ، واطلبوا من الخيرات النفايات .

وقال : المالك للشيء هو المسلط عليه . فمن أحب ان يكون حراً فلا هو ما ليس له ، وليهرب منه والا صار له عبداً .

وقال : ينبغي للمرء ان يكون في دنياه كاللدو في الوليمة . اذا أتته الكأس تناولها ، وان جازته^(٢) لم يصددها^(٣) . ولم يقصد لطلبها . وكذلك يفعل في الامل والمال والولد .

وقال لتلميذه له : انت أحببت ان لا تقولك شئوك فاشتت ما يمكنك . وسئل عن اشياء قبيحة فسكت عنها ، فقيل له : لم لا تجيب عنها ؟ فقال : جوابها السكوت عنها .

وقال : الدنيا غير باقية ، فاذا امكن الخير فاصطنعوه ، واذا عدمت ذلك فتحمدوا ، واتخذوا من الذكر أحسنه .

وقال : لولا العمل لم يطلب العلم ، ولولا العلم لم يطلب العمل . ولأن ادع الحق جهلا به احب الي من ان ادعه زهداً فيه .

وقال : لا ينبغي ان تكون علة صديقك وان طالتم آلم به من تماهدك له .

وكان يقول العلم روح والعمل بدن ، والعلم أصل والعمل فرع ، والعلم والد والعمل مولود ، وكان العلم لمكان العلم ، ولم يكن العلم لمكان العمل . وكان يقول : العمل خادم العلم والعلم غايته ، والعلم رائد والعمل مرسل .

وقال : اعطاء المريض بعض ما يشتهي أنفع من أخذه بكل ما لا يشتهي .

اقول : وابقرط هو اول من دون صناعة الطب ، وشهرها واطهرها كما قلنا قبل . وجعل اسلوبه في تأليف كتبه على ثلاث طرائق من طرق التعلم : أحداها على سبيل اللفز ، والثانية على غاية الایجاز والاختصار ، والثالثة على طريق التساهل والتبيين .

والذي انتهى اليه بنا ذكره وجدناه من كتب أبقراط الصحيحة يكون نحو ثلاثين كتاباً . والذي يدرس من كتبه ان يقرأ صناعة الطب ، اذا كان درسه على اصل صحيح وترتيب جيد ، اثنا عشر كتاباً وهي المشهورة من سائر كتبه .

(١) دعوا واركوا .

(٢) نصدته .

(٣) يرقبها .

الاول - كتاب الاجنة^(١) ، وهو ثلاث مقالات : المقالة الاولى تتضمن القول في كون المني^(٢) والمقالة الثانية تتضمن القول في تكون الجنين . والمقالة الثالثة تتضمن القول في تكون الاعضاء .

الثاني - كتاب طبيعة الانسان ، مقالاتان . وهو يتضمن القول في طبائع الابدان وماذا تركبت .

الثالث - كتاب الأهوية والمياه والبلدان ، وهو ثلاث مقالات ، المقالة الاولى يعرف فيها كيف نتعرف أمزجة البلدان وما تولد من الامراض البلدية ، والمقالة الثانية يعرف فيها كيف نتعرف أمزجة المياه المشروبة وفصول السنة ، وما تولد من الامراض البلدية . والمقالة الثالثة يعرف فيها كيفية ما يبقى من الاشياء التي تولد الامراض البلدية كاتنة ما كانت .

الرابع - كتاب الفصول ، سبع مقالات ، وضمنه تعريف جبل الطب لتكون فوائده في نفس الطبيب يقف بها على ما يتلقاه من اعمال الطب . وهو يحتوي على مجمل ما أودعه في سائر كتبه .

وهذا ظاهر لمن تأمل فصوله فانها تنظم جملا وجوامع من كتابه « مقدمة المعرفة » ، وكتاب « الأهوية والبلدان » ، وكتاب « الامراض الحادة » ، وكتبا « عيوننا » من كتابه المعنون « بإبديما » وتفسيره الامراض الرافدة . وفصولا من كتابه في « اوجاع النساء » وغير ذلك من سائر كتبه الأخرى .

الخامس - كتاب مقدمة المعرفة ، ثلاث مقالات ، وضمنه تعريف العلامات التي يقف بها الطبيب على اسوال مرض في الازمان الثلاثة للانس والناظر والمستقبل . وعرف انه اذا أخبر بالماضي وتنبه المريض فاستسلم له فتمكن بذلك من علاجه على ما توجه للصناعة . واذا عرف الحاضر قابله بما ينبغي من الادوية وغيرها . واذا عرف المستقبل استعد له بجميع ما يقابله به قبل ان يهجم عليه بما لا يجهل في ان يتلقاه بما ينبغي .

السادس - كتاب الامراض الحادة ، وهو ثلاث مقالات . المقالة الاولى ، تتضمن القول في تدبير الغذاء . والاستفراخ في الامراض الحادة . والمقالة الثانية ، تتضمن المداواة بالتكيد والقصد وتركيب الادوية المسهلة ونحو ذلك . والمقالة الثالثة تتضمن القول في التدبير بالحر وماء العسل والسكنجبين^(٣) والماء البارد والاستحمام .

السابع - كتاب اوجاع النساء مقالاتان ضمنه اولا تعريف ما يعرض للمرأة من العلل بسبب احتباس الطمث^(٤) وتزيفه ، ثم ذكر ما يعرض في وقت الحمل وبعده من الاسقام التي تمرض كثيرا .

الثامن - كتاب الامراض الرافدة ويسمى إبيديما ، وهو سبع مقالات . ضمنه تعريف الامراض

(١) واحدها جنين وهو الرلد ما دام في بطن امه .

(٢) ماء الرجل وهو مادة لزجة تتكون في الجهاز التناسلي عند الذكر . وتصبح فيه الحيويينات النوية وهي تلحق البيض عند المرأة فيتكون من ذلك الجنين (ن.د).

(٣) معرب مركب من شرب يشف من خل وعسل (ن.د) .

(٤) الحيض وهو المادة الشهرية للمرأة .

الرافدة وتديرها وعلاجها ، وذكر انها صنفان : احدهما مرض واحد فقط ، والاخر مرض قتال يسمى الموتان ^(١١) . يلتقي الطبيب كل واحد منها بما ينبغي . وذكر في هذا الكتاب تذاكير .

وجالينوس يقول : اني وغيري من المفسرين نلم ان المقالة الرابعة والخامسة والسابعة من هذا الكتاب مدسلة ^(١٢) ، ليست من كلام ابقراط . وبين ان المقالة الاولى والثالثة فيها القول في الامراض الرافدة ؛ وان المقالة الثانية والسادسة تذاكير ابقراط ، اما ان يكون ابقراط وضعا ، واما ان يكون ولده اثبت لنفسه ما سمعه من ابيه على سبيل التذاكير ، ومن أجل ما بينه . وقال جالينوس : اطرش ^(١٣) الناس النظر في المقالة الرابعة والخامسة والسابعة من هذا الكتاب فاندست .

التاسع - كتاب الاخلاط . وهو ثلاث مقالات . ويتعرف من هذا الكتاب حال الاخلاط ، اعني كبتها وكيفيةها ، وتقدمة المعرفة بالاعراض اللاحقة بها ، والحيلة ، والتأني في علاج كل واحد منها .

العاشر - كتاب الغذاء وهو اربع مقالات . ويستفاد من هذا الكتاب علل واسباب مساوئ الاخلاط . أعني علل الاغذية واسبابها التي بها تريد في البدن وتنمية ، وتخلف عليه بدل ما اخل منه .

الحادي عشر - كتاب « قاطيطرون » اي حاثوث الطبيب ، وهو ثلاث مقالات . ويستفاد من هذا الكتاب ما يحتاج اليه من اعمال الطب التي تختص بعمل اليدين دون غيرها من الربط ، والشد ، والجبر ، والحياطة ، ورد الخلع ، والتنطيل ، والتكيد ، وجيع ما يحتاج اليه .

وقال جالينوس : ان ابقراط بنى امره على ان هذا الكتاب اول كتاب يقرأ من كتبه ، وكذلك ظن به جميع المفسرين ، وانا واحد منهم . وسماء الحاثوث الذي يجلس فيه الطبيب لعلاج المرضى . والاجود أن تجعل ترجمته كتاب الاشياء التي تعمل في حاثوث الطبيب .

الثاني عشر - كتاب الكسر والجبر ، وهو ثلاث مقالات . تتضمن كل ما يحتاج اليه الطبيب من هذا الفن .

ولأبقراط ايضا من الكتب وبعضها منحول اليه : كتاب اوجاع العذارى ؛ كتاب في مواضع الجسد ، كتاب في القلب ؛ كتاب في نبات الانسان ؛ كتاب في العين ؛ كتاب الى بساوس ؛ كتاب في سيلان الدم ؛ كتاب في التنفخ ؛ كتاب في الحمى المحرقة ، كتاب في القدد ؛ رسالة الى ديمطريس الملك ويعرف بكتابه هذا بالقال الشافي ؛ كتاب منافع الرطوبات ؛ كتاب الوصايا ؛ كتاب العهد ويعرف ايضا بكتاب الايمان وضحه ابقراط للشمطين ، وأن يملونه ايضا ليقترده به ، وان لا يخالفوا ما شرطه عليهم فيه ، وان ينفي بما ذكره الشمنة عليه في نفع هذه الصناعة من الوراثة الى الاذاعة ؛ كتاب ناموس الطب ؛ كتاب الوصية المعروفة بترتيب الطب ، ذكر فيها ما يجب ان يكون الطبيب عليه من الشكل والزي والترتيب ، وغير ذلك ؛ كتاب الخلع ؛ كتاب جراحات الرأس ؛ كتاب

«١» الفناء يصيب الناس والحيوان .

«٢» الاصل في النص اختلاط الظلام وهنا يقصد بمدسلة انها منسوبة غير صحيحة .

«٣» رد - ن . د -

للحوم ؛ كتاب في مقدمة معرفة الامراض الكائنة من تنير الهواء ؛ كتاب طبائع الحيوان ؛ كتاب علامات القضايا ، وهو الجنس والمثرون قضية الدالة على الموت ؛ كتاب علامات البُحران^(١١) ؛ كتاب في سَبَل على حبل ؛ كتاب في المدخل الى الطب ؛ كتاب في المولودين لسبعة اشهر ؛ كتاب في الجراح ؛ كتاب في الاسابيع ؛ كتاب في الجنون ؛ كتاب في البثور^(١٢) ؛ كتاب المولودين لثمانية اشهر ؛ كتاب في الفصد^(١٣) والحجامة^(١٤) ؛ كتاب في الايطى ؛ رسالة في مسنونات أفلاطن على أرس ؛ كتاب في البول ؛ كتاب في الالوان ؛ كتاب الى أنطيقن الملك في حفظ الصحة ؛ كتاب في الامراض ؛ كتاب في الاحداث ؛ كتاب في المرض الاملئ - وذكر جالينوس في المقالة الاولى من شرح لتقديمه المعرفة عن هذا الكتاب ، ان أبقرات يردّ فيه على من ظن ان الله تبارك وتعالى يكون سبب مرضي من الامراض .

كتاب اقليطيفوذس قيصر ملك الروم في قسمة الانسان على مزاج السنة ؛ كتاب طب الوحي . وهذا الكتاب ذكروا انه يتضمن كل ما كان يقع في قلبه فيسمعته ، فيكون كما وقع له ؛ رسالة الى أرطحشت الكبير ملك فارس لما عرض في ايامه للفرس الموتان ؛ رسالة الى جماعة من اهل ابيدرا^(١٥) ، مدينة ديمقراطيس الحكيم ، جواباً عن رسالتهم اليه لاستدعائه وحضوره لملاج ديمقراطيس ؛ كتاب اختلاف الازمنة واصلاح الاغذية ؛ كتاب تركيب الانسان ؛ كتاب في استخراج النصول ؛ كتاب مقدمة القول الاول ؛ كتاب مقدمة القول الثاني .

ولما توفي أبقرات خلف من الاولاد والتلاميذ من آل اسقليديوس وغيرهم اربعة عشر .

اما اولاده فهم أربعة : ثاسوس ، ودراقن ، وابناهما : أبقرات بن ثاسوس ، بن ابقرات ؛ وأبقرات بن دراقن بن ابقرات . فكل واحد من ولديه كان له ولد سماه أبقرات باسم جده .

واما تلاميذه من اهل بيته وغيرهم فهم عشرة : لاون ، وماسرجس ، وميغالوس ، وقولويس وهو أجلّ تلاميذه وخليفته من اهل بيته ، واملانيسوت ، واسطاط ، وساوري ، وغورس ، وسبلتيوس ، وفاللس . هذا قول يحيى النحوي . وقال غيره ان ابقرات كان له اثنا عشر تلميذاً لا يزيد عليهم الا بعد الموت ، ولا ينقص منهم . ويقولوا على تلك السنة حيناً في بلاد الروم في الرواق الذي كان يدرس فيه .

وروجدت بعض المواضع ان ابقرات كانت له ابنة تسمى مالانا أرسا ، وكان لها براعة في صناعة

«١» التغير الذي يحدث دفعة في الامراض الحادة .

«٢» واحداً يار وهي خراجات صغيرة وتسمى العامة الحبوب .

«٣» شق الحرق .

«٤» الدائرة والمعالجة بالهجم وهو كالكلأ يوضع على الجلد فيصعد فيه تسباً ويحلب الدم او المادة بقوة «ن.د» .

«٥» مدينة قديمة على بحر ايجة اشتهر اهلها بمحققاتهم «ن.د» .

الطب ويقال انها كانت ابرع من اخوها .

والاطباء المذكورون في الفترة التي بين ابقراط وجالينوس ، خلا تلاميذ أبقراط في نفسه واولاده ، فهم سنبليقيوس المسر لكتب ابقراط ، وانقيلالوس الاول الطبيب ، وارسيسطراطس الثاني القياسي ، ولوقس ، وميلن الثاني ، وغالوس ، وميرتديطوس صاحب العقاقير ، وسقالس المسر لكتب ابقراط ، ومانطلياس المسر ايضا لكتاب ابقراط ، وغولس الطارنطاني ، ومغنس الحمصي صاحب كتاب البول وعاش تسعين سنة ، واندروماخس القريب المهدي وعاش تسعين سنة ، وأبراس الملقب بالبعيد ، وسوتاخس الاثيني صاحب الادوية والصيدلة ، وروفس الكبير وكان من مدينة افسس ، ولم يكن في زمانه احد مثله في صناعة الطب وقد ذكره جالينوس في بعض كتبه وفضله ونقل عنه .

ولروفس من الكتب : كتاب المالبضوليا مقالتان ، وهو من اجل كتبه ؛ وكتاب الاربعين مقالة ؛ كتاب تسمية اعضاء الانسان ؛ مقالة في الة التي يعرض معها الفزع من الماء ؛ مقالة في اليرقان والمرار ؛ مقالة في الامراض التي تعرض في المفاصل ؛ مقالة في تنقيص اللحم ؛ كتاب تدبير من لا يحضره طبيب ؛ مقالتان ؛ مقالة في الذبحة ؛ كتاب طب ابقراط ؛ مقالة في استهمال الشراب ؛ مقالة في علاج اللواتي لا يجبلن ؛ مقالة في قضايا حفظ الصحة ؛ مقالة في الصرع ؛ مقالة في الحمى الربع ^(١) ؛ مقالة في ذات الجنب وذات الرئة ؛ كتاب التدبير مقالتان ؛ كتاب الباه ^(٢) ؛ مقالة ؛ كتاب الطب ؛ مقالة في الاعمال التي تعمل في البجاسنات ؛ مقالة في اللبن ؛ مقالة في الفواق ^(٣) ؛ مقالة في الإبكار ؛ مقالة في التين ؛ مقالة في تدبير المسافرين ؛ مقالة في البحر ^(٤) ؛ مقالة في القيء ؛ مقالة في الادوية القاتلة ؛ مقالة في ادوية علل الكلى والمثانة ^(٥) ؛ مقالة في هسل كثرة شرب الماء في الولايم نافع ؛ مقالة في الاورام الصلبة ؛ مقالة في الحفظ ؛ مقالة في علة ديونوسوس وهو القمع ؛ مقالة في الجراحات ؛ مقالة في تدبير الشيخوخة ؛ مقالة في وصايا الاطباء ؛ مقالة في الحقن ؛ مقالة في الولادة ؛ مقالة في الخلع ؛ مقالة في علاج استسباس الطمث ؛ مقالة في الامراض المزمنة على رأي ابقراط ؛ مقالة في مراتب الادوية ؛ مقالة فيما يلبغي للطبيب ان يسأل عنه الحليل ؛ مقالة في تربية الاطفال ؛ مقالة في دوران الرأس ؛ مقالة في البول ؛ مقالة في المغار الذي يدعى سوسا ؛ مقالة في النزلة الى الرئة ؛ مقالة في علل الكبد المزمنة ؛ مقالة في ان يعرض للرجال انقطاع التنفس ؛ مقالة في شرى المباليك ؛ مقالة في علاج صبي يصرع ؛ مقالة في تدبير الحبال ؛ مقالة في التخممة ؛ مقالة في السذاب ^(٦) ؛ مقالة في العرق ؛ مقالة في ايلالوس ؛ مقالة في ابلسيا .

«١» التي تأتي يوماً وتترك يومين وتعود في الرابع .

«٢» التناكح .

«٣» ما يأخذ المتضر عند الفزع .

«٤» رائحة اللحم الكريهة .

«٥» حوصلة هي مستقر البول في الانسان والحيوان .

«٦» نبت وورقة كالصنوبر كريمة الرائحة وهو القيقب «ذو» .

وكان من الاطباء المذكورين أيضاً في الفترة التي بين ابقراط وجالينوس: ابولونيوس ، وارشيچانس وله أيضاً كتب عدة في صناعة الطب . ووجدت له من ذلك مما نقل الى العربي: كتاب اسقام الارحام وعلاجها ؛ كتاب طبعة الانسان ؛ كتاب في النقرس^(١١) .

ومن اولئك الاطباء أيضاً دياسقوريدس الاول المفسر لكتب ابقراط ، وطيباوس الفلستيني المفسر لكتب ابقراط ايضاً ؛ ونياديطوس الملقب بموهبة الله في المعجونات ؛ وميسياوس المعروف بالمقسم للطب ؛ ومارس الحيلي الملقب بثالس باسم ذلك الذي ذكرناه في اصحاب الحيل - وذلك لانه وقع اليه كتاب بعد احراق كتب ثالس الاول من كتب الحيليين فانتحله وقال لا صناعة غير صناعة الحيل وهي صناعة الطب الصحيحة ، وأراد ان يفسد الناس ويخرجهم عن اعتقادهم للقياس والتجربة ، ووضع في الحيل من ذلك الكتاب كتباً كثيرة ، فلم تزل مع الاطباء فبعض يقبلها وبعض لا ، حتى ظهر جالينوس فنقضه عليها وأفسدها ، وأحرق ما وجد منها ، وأبطل هذه الصناعة الحيلية - واقربطن الملقب بالزین وهو صاحب كتاب الزينة - وقد نقل جالينوس عنه أشياء من كتابه في كتاب الميامر - وافاقيرس ، وجارمكسانس ، وأرثيانوس ، وماريطوس ؛ وقاقولونس ؛ ومرقس ؛ وبرغالس ؛ وهرمس الطبيب ، ويولاس ، وحاحوتا ، وحلمانس (هؤلاء الاثنا عشر من الاطباء الذين اولهم اقربطن يعرفون بمساعدة بعضهم لبعض ، وباتصال بعضهم ببعض في تأليف الادوية لمنفعة الناس بالبرج الاثني عشر لانها متصلة بعضها ببعض) وفيلس الخلقيدوني الملقب بالقادر - من قبل انه كانت يتجرأ على العلاجات الصعبة ويشفيها ، ويملو عليها ويقتدر ولا يخطئ له علاج - وديمقراطيس الثاني ؛ وافرويس ؛ وأكسانقراطس ، وافروديس ؛ وبطليموس الطبيب ؛ وسقراطس الطبيب ؛ ومارقس الملقب بمأشقي العلوم ؛ وسوروس ؛ وفوريس قاذح النيون ؛ ونياديطوس الملقب بالساهر ؛ وفرفوريوس التأليفي صاحب الكتب الكثيرة لانه كان مع فلسفته مبرزاً في الطب بارعاً فيه قوياً ، فمن قبل ذلك يسميه بعض الناس الفيلسوف وبعضهم الطبيب ؛ ودياسقوريدس^(١٢) العين زربي^(١٣) صاحب النفس الزكية النافع للناس المنفعة الجليلة ، المتمرب المتصور السائح في البلاد ، المقتبس لعلوم الادوية المفردة من البراري والجزائر والبحار ، المدور لها المجرب المدد لمنافعها قبل المسألة من افاعيلها ، حتى اذا صحت عنده بالتجربة فوجدتها قد خرجت للمسألة غير مختلفة عن التجربة اثبت ذلك وصوره من مثله ، وهو رأس كل دواء مفرد ، وعنه اخذ جميع من جاء بعده ، ومنه تفقوا على سائر ما يحتاجون اليه من الادوية المفردة ، وطوبى لتلك النفس الطيبة التي شقيت بالتنب من عبثتها لا يصاب الحيرات الى الناس كلهم .

وقال حنين بن اسحق : « ان دياسقوريدس كان اسمه عند قومه أردش نياديش ومعناه بلغتهم

١١ رجوع او ورد في مفاصل القدم واليافعا .

١٢ ويدعى ديمسقوريدس بيزانتيوس من القرن الاول وله في عين زربي .

١٣ او عين زوبه ثمر قرب المصيصه - بله في الشام او ثمر من ثمر الروم .

الحارج عنا . قال حنين : « ذلك انه كان معتزلاً عن قومه متملقاً بالجبال ومواضع النبات ، مقيماً بها في كل الأزمنة ، لا يدخل الى قومه في طاعة ولا مشورة ولا حكم . فلما كان ذلك جاء قومه بهذا الاسم . ومعنى ديسقوري باليونانية اشجار ، ودوس باليونانية : الله ، ومعناه اي ملهمه الله للشجر والحشائش .

أقول : وما يؤيد ان ديسقوريدس كان متنقلاً في البلدان لمعرفة الحشائش والنظر اليها وفي منابها قوله في صدر كتابه يخاطب الذي ألف الكتاب له : « واما نحن فانه كانت لنا ، كما علمت ، في الصغر شهوة لا تقدر في معرفة هبولى العلاج وتجولنا في ذلك بلداناً كثيرة ؛ وكان دهرنا كما قد علمت ، دهر من ليس له مقام في موضع واحد » .

وكتاب ديسقوريدس هذا خمس مقالات ويجد متصلاً به ايضاً مقالتان في سموم الحيوانات تلتب اليه وانها سادسة وسابعة .

وهذا ذكر اغراض مقالات كتاب ديسقوريدس :

المقالة الاولى تشتمل على ذكر ادوية عطرة الرائحة والفاويه وادهان وصمغ واشجار كبار .

والمقالة الثانية تشتمل على ذكر الحيوانات ورطوبات الحيوان والحبوب والقطناني والبقول المأكولة والبقول الحريفة وادوية حريفة .

والمقالة الثالثة تشتمل على ذكر اصول النباتات وعلى نبات شوكي وعلى بزور وصمغ وعلى حشائش باهرية .

المقالة الرابعة تشتمل على ذكر ادوية اكثرها حشائش باردة ، وعلى حشائش حارة مسهة ومقيئة ، وعلى حشائش ناقمة من السموم وهو ختام المقالة .

المقالة الخامسة تشتمل على ذكر الكرم وعلى انواع الاشربة وعلى الادوية المعدنية .

وجالينوس يقول عن هذا الكتاب : « اني تصفحت اربعة عشر مصحفاً في الادوية المفردة لأقوام شتى لما رأيت فيها أتم من كتاب ديسقوريدس الذي من أهل عين زربة . » .

وكان من الاطباء المذكورين ايضاً في الفترة التي بين ابغراط وجالينوس : بليديوس المفسر لكتب ابغراط ؛ وكلا بطرة امرأة طبيببة فارغة اخذ عنها جالينوس ادوية كثيرة وعلاجات شتى ، وخاصة ما كان من ذلك من أمور النساء ؛ واسقليبيادس^(١) ؛ وسورانس الملقب بالذهبي ؛ واريافليس الطارنطي ؛ واديس الكحال الملقب بالملك ؛ ونساروس الفلسطيني ، وغاليس الحمصي ، وكسانوقراطس ، وقوطانس وديوجانس الطبيب الملقب بالفراني ، واسقليبيادس الثاني ، وبقرطيس الجوارثني ، ولاون الطرسوسي ،

(١) من مشاهير الاطباء اليونان اسي في روما مدرسة قائم فيها تاليم ابغراط (٢١٤ - ٩٦ ق م) .

واربوس الطرسوسي ، وقين الحراتي ، وموسقوس الاثيني ، واقليدس المعروف بالمهدي للضالين ؛ وارباقليس المعروف بالهادي ، وبطروس ، وفروادم ، ومانطيلاس للفاسد ؛ وغافراطس العين زربي ، وانطيباطوس المصيبي ، وخروسيب المعروف بالقي ، واربوس المعروف بالمضاد ، وقباون الطرسوسي ، وفاسيوس المصري ، وطولس الاسكندراني ، واوليس ، وسقورس الملقب بالمطاح وانما لقب بذلك لان الادوية كانت تقاوعه فيما يستعملها ؛ ونامور الحراتي .

وجميع هؤلاء الاطباء اصحاب ادوية مركبة اخذ جالينوس عنهم كتبه في الادوية المركبة ، وعن الذين من قبلهم عن ميمناه اولا مثل اولس وارشيحانس وغيرهما .

وكان قبل جالينوس أيضاً طرالبينوس وهو الاسكندروس الطبيب ، وله من الكتب : كتاب علل العين وعلاجها ثلاث مقالات ، كتاب البرسام ؛ كتاب الضبان والحيات التي تتولد في البطن والديدان .

وكان في ذلك الزمان أيضاً ما قبله جماعة من عظماء الفلاسفة وأكابرهم على ما ذكره اسحق بن حنين مثل : فوثاغرس ، وديوفلس ، وفلوت ، وانباقلس ، واقليدس ^(١١) ، وساورى ، وطلباوس ^(١٢) وانكسپانلس ^(١٣) ، وديفراطيس ^(١٤) ، واثليس ^(١٥) . قال : وكان الشعراء أيضاً في ذلك الوقت اوميرس ^(١٦) وقاقلس ومارقس ، وتلام أيضاً من الفلاسفة زينون الكبير وزينوت الصغير ^(١٧) ، وارقراطس الملقب بالموسمي ، ورامون المنطقي ، واغافون البنضي ، وسقراط ، وافلاطن ، وديفراط ، وارسوطاليس ، وفوفراطس ابن اخته ، واثيس ، وأفانس ، وخروسيب ، وديجانش ^(١٨) وقبلاطس ، وقباطوس ، وسبلطوس ، وارمينس معلم جالينوس ، وغلوقن ، والاسكندر الملك ، والاسكندر الافروديسي ^(١٩) وفرفوريس الصوري ^(٢٠) ، وارباقليس الافلاطوني ، وطاليوس

«١» واضع مبادئ علم الهندسة السطحية وعلم في مدرسة الاسكندرية على عهد بطليموس «٣٠٦ - ٢٨٣» .

«٢» كلف ابيه وتتباً دامه يودية .

«٣» فيلسوف يوناني «٥٨٥ - ٥٢٨» قال ان الهواء هو اصل الاشياء كلها ، واله مادة غير متناهية ، وانه من جنس النفس البشرية . اما السيب في تكوين العالم فهو تفاعل الهواء وتكامله .

«٤» فيلسوف يوناني في القرن الخامس كانت تعليمه الادبية عالية نية منها ان السمادة بضبط اهواء النفس .

«٥» فيلسوف رحال بالحساب من المدرسة الايجينية اشتهر بالنظرية الهندسية المروفة باسمه «Thales» «٦٤٠ - ٥٤٨ ق م» .

«٦» له يقصد خوميرس اشهر شعراء اليونان الاقدمين من القرن التاسع قبل المسيح .

«٧» رديا هو زينون الايلياني «٤٩٠ - ٤٨٥ ق م» فيلسوف تعلم على برميندس . او انه زينون سيبيوم الذي ولد في قبرص في اواخر القرن الرابع قبل المسيح وهو مؤسس المذهب الرواقي . رديا كان زينون الصغير هو زينون الصيداوي

الفيلسوف زعم المذهب الايبكوري ومعلم شيشرون .

«٨» هو ديميتري الكلي الفيلسوف اليوناني .

«٩» من فلاسفة القرون الثاني وهو من ائم شراح ارسوطاليس ثمته ابن سينا بفضل التأخرين واعتد بآرائه . وقد خالفه ابن رشد .

«١٠» ولد في صور . فيلسوف من اتباع الانطاقلونية الجديدة وتقليد افلاطون . وعلم في روما «٢٢٣ - ٣٠٤» .

الاسكندراني ، وموسى الاسكندراني ، ورودس الافلاطوني ، واسطفانس المصري ، ومنجس ، ورامن . ويتلو هؤلاء ايضا من الفلاسفة : ثاسطوس ، وفرغوديس المصري ، ويحيى النجوي^(١١) الاسكندراني ، وداريوس ، وانقلاوس المختصر لكتب ارسطوطاليس ، وامونيوس ، وفولوس ، وافروطوخس ، واوديس الاسكندراني ، وياغث العين زربي ، وثيادوس الاثيني ، وادي الطرسوسي .

وقال القاضي ابو القاسم صاعد^(١٢) بن احمد بن صاعد في كتاب طبقات الامم : ارت الفلاسفة اليونانيين من ارفع الناس طبقة واجل اهل العلم منزلة ، لما ظهر منهم من الاعتناء الصحيح بفنون الحكمة من العلوم الرياضية والمنطقية ، والمعارف الطبيعية والالهية ، والسياسات المنزلية والمدنية . قال : واعظم هؤلاء الفلاسفة قدراً عند اليونانيين خمسة ، فأولهم زمانا : بندقليس ثم فيثاغورس ثم سقراط ثم افلاطون ثم ارسطوطاليس ابن نيقوماخس .

اقول وسنذكر جملا من احوال هؤلاء الخمسة وغيرهم ان شاء الله تعالى .

بندقليس

قال القاضي صاعد : ان بندقليس كان في زمن داود النبي عليه السلام على ما ذكره العلماء بتواريخ الامم ، وكان أخذ الحكمة عن لعمان الحكيم بالشام ، ثم انصرف الى بلاد اليونانيين فتكلم في خلق العالم بأشياء يقدم ظاهرها في امر الماد ، فهجره لذلك بعضهم ، وطائفة من الباطنية تنتمي الى حكمته ، وتزعم ان له رموزاً قلما يوقف عليها . قال : وكان محمد بن عبد الله بن مرة الجيلي الباطني من أهل قرطبة كلّفا بفلسفته دؤوباً على دراستها .

قال : وبندقليس اول من ذهب الى الجمع بين معاني صفات الله تعالى ، وانها كلها تؤدي الى شيء واحد ، وأنه وان وصف بالملم والجلود والقدرة فليس هو ذا معان متميزة تختص بهذه الاسماء المختلفة ، بل الواحد بالحقيقة الذي لا يتكثر بوجه ما اصلا ، بخلاف سائر الموجودات فان الوجدانيات العالمية معرضة للتكثير اما باجزائها واما بجمانيها واما بنظائرها ، وذات الباري متعالية عن هذا كله . قال : والى هذا المذهب في الصفات ذهب ابو الهذيل محمد بن الهذيل الملاف البصري .
وبلبندقليس من الكتب : كتاب فيا بعد الطبيعة ، كتاب الميامر .

فيثاغورس

ويقال فوثاغوراس وفوثاغوريا ، وقال القاضي صاعد في كتاب طبقات الامم : ان فيثاغورس كان

^(١١) كان اسقفاً في اول امره في مصر يعقوب المذهب . وكان طبيباً ماهراً . ولحق الاسلام .
^(١٢) هو صاعد الاندلسي ولد في الرية ودرس في قرطبة روى القضاء في طليطلة . اشتهر بالفقه والتاريخ والحساب والميتة .

بعد بندقليس بزمان ، واخذ الحكمة عن اصحاب سليمان بن داود عليها السلام بمصر حين دخلوا اليها من بلاد الشام ، وكان قد اخذ الهندسة قبلهم عن المصريين ، ثم رجع الى بلاد اليونان وادخل عندهم علم الهندسة وعلم الطبيعة وعلم الدين ، واستخرج بذلك علم الألحان وتآليف النغم وأوقعها تحت النسب العبدية ، وادعى انه استفاد ذلك من مشكاة النبوة .

وله في نضد العالم وترتيبه على خواص العدد ومراتبه ، رموز عجيبة ، واغراض بعيدة . وله في شأن المواد مذاهب قارب فيها بنقليس من أن فوق عالم الطبيعة عالماً روحانياً نورانياً لا يدرك العقل حسنه وبهائه ، وان الانفس الزكية تشتاق اليه ؛ وان كل انسان أحسن تقويم نفسه بالتبري من المعجب والتعجب والرياء والحسد وغيرها من الشهوات الجسدانية ، فقد صار أهلاً ان يلحق بالعالم الروحاني ، ويطلع على ما يشاء من جواهره من الحكمة الالهية . وان الاشياء المألوفة للنفس تأتية حينئذ ارسالا كالألحان الموسيقية الآتية الى حاسة السمع ، فلا يحتاج ان يتكلف لها طلباً . ولפיثاغورس تآليف شريفة الارقراطيقي والموسيقى وغير ذلك ، وهذا آخر قوله .

وذكر غيره عن الحكم فيثاغورس انه كان يرى السياحة ، واجتناب عمامة الغائل والمقتول . وأنه أمر بتقديس الحواس ، وتعلم العمل بالعدل وجميع الفضائل ، والكف عن الخطايا ، والبحث عن الطبيعة الانسية ليحرف طبيعة كل شيء وأمر بالتحايب والتأديب بشرح العلوم المعنوية ، وبمعادة المعاصي وعصمة النفوس ، وقلم الجهاد ، واكثار الصيام ، والقعود على الكراسي ، والمواظبة على قراءة الكتب ، وان يعلم الرجال الرجال وتعلم النساء والنساء ، وأمر بمودة المنطق ومواعظ المالك ، وكان يقول ببقاء النفس وكونها فيما بعد في ثواب او عقاب على رأي الحكماء الالهيين ، ولما رأس الحكم فيثاغورس على الهياكل وصار رئيس الكهنة ، جعل يقتلي بالاغذية غير المجموعة وغير المعطشة .

اما الفداء غير المجموع فكان يعيش من بز ميقونيون وسمسم ، وقشر اسقال مفصول غسل مستقصى حتى يلبأ^(١) قلبه^(٢) ، والتاريفون ، واسفولان ، والفيطون ، وحص ، وشعير ، من كل واحد جزء بالتعزير كان يسحقها ويسجنها يحنس من الصل يسمى اميطيو .

واما غير المعطش فكان يعيش من بز الفناء ، وزبيب سمين مزروع المعجم^(٣) ، وزهر قوريون ، وبز ملوخيا وبز اسوفا ، وأندراخين ، وفوح من الحبز يدعى فيلطا موس ، ودقيق أواليس ، وكان يسجنها بمسل ساويق .

وذكر الحكم ان هرقلس تعلم هاتين الصفتين من فيطير ، وكان فيثاغورس قد ألزم نفسه عادة موزونة فلم يكن مرة صحياناً ومرة سقيماً ، ولا كان مرة يسمن ومرة يهزل . وكانت نفسه لطيفة جداً ، ولم يكن يفرح بإفراط ولا يحزن بإفراط ولا رآه احد قط ضاحكاً ولا باكياً ، وكان يقدم اخوانه على نفسه .

«١» يطلع «٢» القلب من الشجر : مارخص من اجرافها «٣» كل ما كان في جوف ماكول اي يزره .

ويحكى انه اول من قال ان اموال الاخلاء مشاعة غير مقسومة وكان يحافظ على صحة الاصحاء ويبرئ المقومى الابدان ، وكان يبرئ النفوس الآلة ، منها بالتكهن ، ومنها بالالحان الالهية التي كان يحيي بها آلام البدن . وكان يأمر بإداء الامانة في الوديعة لا المال فقط ، والكلفة المستودعة المحقة وصدق الوعد .

وذكر فرغوريوس في المقالة الاولى من كتابه في اخبار الفلاسفة وقصصهم وآرائهم حكايات عجيبة، ظهرت عن فيثاغورس مما تكهن به ومن اخباره بمفيمات سمعت منه وشهدت ، كما قاله .

كلمات حكيمة

وكان يرمز حكمته وبسترها، فمن الفازة انه كان يقول : لا تعتمد في الميزان ، اي اجتنب الاقراط . ولا تحرك النار بالسكين لانها قد حيت فيها مرة ، اي اجتنب الكلام المحرص عند الغضب المفنط . ولا تجلس على قفيز ، اي لا تمس في البطالة . ولا تمر بضياع البيوت ، اي لا تقدر برأي المردة . ولا تعمر الحطاطيف البيوت ، اي لا تقتصد باصعاب الطرمذه ^(١) والبقية ^(٢) من الناس غير المالكين لأستنتهم . وان لا يلقى الحمل عن حامله لكن يمان على حمله ، اي لا يفصل احد اعمال نفسه في الفضائل في الطاعات . وان لا تلبس ثنائيل الملائكة على قصوص الخواتيم ، اي لا تجهز بديانتك وقدع اسرار المعلوم الالهية عند الجهال .

قال الامير المبشر بن فاثك : كان ليفثاغورس أب اسمه منيسارخوس من اهل صور ، وكان له أخوان اسم الاكبر منها أونوسطوس ، والاخر طورينوس ، وكان اسم أمه بوليس بنت رجل اسمه اجقايوس من سكان ساموس ^(٣) ولما غلب على صور ثلاث قبائل ليمنون ^(٤) ومقرون وسقرون ، واستوطنوها وجلا أهلها منها ، جلا والد فيثاغورس فيمن جلا وسكن البحيرة ، وسافر منها الى ساموس ملتصقاً كسباً ، واقام بها وصار فيها مكرماً ولما سافر منها الى انطاكيا أخذ فيثاغورس معه ليتفرج عليها لأنها كانت زهرة جداً كثيرة الحصب . وذكروا ان فيثاغورس انما عاد اليها فسكنها ، لما رأى من طيبها اول مرة . ولما جلا منيسارخوس عن صور سكن ساموس ومعه اولاده أونوسطوس وطورينوس وفيثاغورس . فتبنى أندروقلوس رئيس ساموس فيثاغورس وكفله ، لانه كان اخذت الاخوة واسلمه من صغره في تعلم الآداب واللغة والموسيقى ، فلما التحى وجه به الى مدينة ميليطون

(١) الفاعثرون المباعون بما ليس عندهم

(٢) الكثير الكلام

(٣) جزيرة يونانية من جزر الارخبيل موطن فيثاغورس .

(٤) سكان جزيرة ليمنون قديماً - اليوم يسمونه Lemno - .

واصله الى أناكسيندروس الحكيم ليعلم الهندسة والمساحة والنجوم ، فلما أحكم فيثاغورس هاتين الصناعتين اشدت حبه للعلوم والحكمة فسافر الى بلدات شتى طالبا لذلك ، فورد على الكلدانيين والمصريين وغيرهم ، ورابط الكهنة وتعلم منهم الحكمة وحذق لغة المصريين^(١) بثلاثة أصناف من الخط : خط العامة ، وخط الخاصة وهو خط الكهنة المختصر ، وخط الملوك . وعندما كان في أراقليا^(٢) كان مرابطا للملكها ، ولما صار الى بابل رابط رؤساء خلدايون ودرس على زارباطا فصره بما يجب على الصديقين ، واسمعه جماع الكيان وعلمه أوائل الكل^(٣) ايما هي . فمن ذلك فضلت حكمة فيثاغورس وبه وُجد السبيل الى هداية الأمم وردم عن الخطايا ، لكثرة ما ائتمنى من العلوم من كل امة ومكان .

وورد على قاراقوديس الحكيم السرياني في بداية امره في مدينة اسمها ديلون من سورية ، وخرج عنها قاراقوديس فسكن ساموس ، وكان قد عرض له مرض شديد حتى ان القمل كثرت ينبتش في جسمه ، فلما عظم به وساء مثواه حمله تلاميذه الى افسس^(٤) ، ولما تزايد ذلك عليه رغب الى اهل افسس وأقسم عليهم ان يحولوه عن مدينتهم ، فأخرجوه الى ماغانيسيا . وعنى تلاميذه بخدمته حتى مات ، فدفنوه وكتبوا قصته على قبره .

ورجع فيثاغورس الى مدينة ساموس ودرس بعده على ارمودامانطس الحكيم البهي المثالي المكنى بقراوفولي بمدينة ساموس . ولقي ايضا بها ارمودامانيس الحكيم المكنى افروقوليم فربطه زمانا وكانت طرانة ساموس قد صارت لفولوقراطيس الاطرون ، واشتاق فيثاغورس الى الاجتماع بالكهنة الذين بمصر ، فابتهل الى فولوقراطيس ان يكون له على ذلك معينا ، فكتب له الى أماسيس^(٥) ملك مصر كتابا يخبره بما قال اليه فيثاغورس ويعلمه أنه صديق لأصدقائه ، ويسأله ان يعود عليه بالذي طلب وان يتحنن عليه ، فأحسن أماسيس قبوله ، وكتب له الى رؤساء الكهنة بما اراد ، فورد على اهل مدينة الشمس وهي المعروفة بزماننا بعين شمس^(٦) بكتب ملكهم ، فقبلوه قبولاً كريماً واخذوا في امتحانه زماناً فلم يجدوا عليه نقصاً ولا تقصيراً ، فوجهوا به الى كهنة منف^(٧) كي يبالغوا في امتحانه فقبلوه قبولاً على كراهية واستقصوا امتحانه فلم يجدوا عليه معيباً ولا أصابوا له عثرة ، فبشوا به الى اهل دوسبولس ليمتحنوه فلم يجدوا عليه طريقاً ولا الى ادحاضه سبيلاً لمناية ملكهم به ، فعرضوا عليه فرائض صعبة مخالفة لفرائض اليونانيين كما يمتنع من قبولها فيدحضوه ويحرموه طلبه ، فقبل ذلك وقام به ، فاشتد اعجابهم منه ، وفشا بمصر ورعه حتى بلغ ذكره الى أماسيس ، فأعطاه سلطاناً على الضحايا للرب تعالى وعلى سائر قرابينهم ، ولم يعط ذلك لغيره قط .

(١) مدينة قديسة في آسيا الصغرى - بيزنطيا - وهي اليوم ايركلي (ن . د) .

(٢) مدينة قديسة على شاطئ بحر ايجه كان بها هيكل لذيلا وهي اليوم دكام من اقرباب .

(٣) ملك مصر من السلالة الثامنة عشرة .

(٤) موضع بمصر بالطرية .

(٥) ارمنطيس : عاصمة مصر قديما بالقرب من القنطرة . ولا يوجد فيها اليوم إلا الاثر في موضع يدعى عين شمس انقاض

كنائس قديسة . (ن . د) .

ثم مضى فيثاغورس من مصر راجعاً الى بلاده ، وبنى له بمدينة ايجونية منزلاً للتعليم ، فكان اهل ساموس يأتون اليه ويأخذون من حكمته ، واعد له خارجاً من تلك المدينة ، انطروناً جملة بجمعاً خاصاً لحكمته ، فكان يربط فيه مع قليل من اصحابه اكثر اوقاته . ولما اتت عليه اربعون سنة وقادت طرانة فولوقراطيس ، وكان قد استخلفه عليهم حيناً طويلاً واستكفاه ففكر ورأى انه لا يحسن بلزم الحكم المكث على لزوم الطرانة والسلطان، فرحل الى ايطاليا وسار منها الى قروطونيا^(١) ودخلها ، فرأى اهلها حسن منظرة ومنطقه ونبله ، وسعة علمه ، وصحة سيرته ، مع كثرة يساره وتكامله في جميع خصاله ، واجتماع الفضائل كلها فيه ، فانقاد له اهل قروطونيا انقياد الطاعة العلمية ، فالزمهم عصمة القدماء ، وهدى نفوسهم ، وعظمهم بالصالحات ، وأمر الاراكنة^(٢) ان يضعوا للأحداث كتب الآداب الحكمية وتعليمهم ايها . فكان الرجال والنساء يجتمعون اليه ليسمعوا مواعظه ويتفهموا بحكمته . فعظم مجده وكبر شأنه ، وصير كثيراً من اهل تلك المدينة مهرة بالعلوم ، وانتشر الخبر حتى ان عامة ملوك البربر وردوا عليه ليسمعوا حكمته ويستوعبوا من علمه .

ثم ان فيثاغورس جال في مدن ايطاليا وسيفليا^(٣) ، وكان الجور والتهمرد قد غلب عليهم فصاروا متحايين وصدّيقيه من اهل طارورومانيون وغير ذلك . فاستأصل الفتنة منهم ومن تسلمهم الى احقاب كثيرة . وكان منطق طارداً لكل منكر ، ولما سمع حكمته ومواعظه ساخس اطرون قانطوريسا خرج من ملكه وخلف امواله بعضها لاخيه وبعضها لاهل مدينته .

وذكر ان باندس الذي كان جفنه من فرمس وكان ملك فوثر وكان من ولد فيثاغورس ، وكاتب لفيثاغورس ، وهو باقروطونيا ، بليت بتول كانت تعلم عذارى المدينة شرائع الدين وفرائض وسلته من حلاله وحرامه . وكانت ايضاً زوجته تعلم سائر النساء . ولما توفي فيثاغورس عند ديميطوديس المؤمن الى منزل الحكم فيجعله هيكلًا لاهل قروطونيا .

وذكروا ان فيثاغورس كان على عهد كورس حدثاً وكان ملكه ثلاثين سنة ، وملك بعده ابنه قامبوسيس وفيثاغورس في الحياة . وان فيثاغورس لبث بساموس ستين سنة ثم سافر الى ايطاليا ، ثم توجه منها الى ماطاينطيون ، فمكث بها خمس سنين وتوفي .

وكان غذاؤه صلباً وسمناً ، وعشاؤه خبز قانجبرون وبقول نيئة ومطبوخة ، ولم يكن يأكل من اللحم إلا ما كان من أخصيه^(٤) كهوته بما كان يقرب لله تعالى .

(١) مدينة فنية في ايطاليا (اليونان الكبرى) موطن فيثاغورس .

(٢) واحد من الاركون وهو الرئيس المقدم والتمهات المظم .

(٣) جزيرة كبيرة في البحر المتوسط تبلغ مساحتها ٧٥٧٤٠ ميلاً مربعاً وهي قسم من الجمهورية الايطالية اليوم .

(٤) جمع شحية وهي ما يقدم تقريباً من المبيود .

فلما ان رأس على الهياكل وصار رئيس الكهنة جعل يقتدي بالأغنية غير المجموعة وغير المعطشة .
 وكان اذا ورد عليه وارد لسمع كلامه يكلمه على احد وجهين : إما بالاحتجاج والندراس ؛ وإما
 بالموعظة والمشورة ، فكان لتعليمه شكل ذو فئتين .

وحضره سفر الى بعض الاماكن ، فأراد ان يؤنس اصحابه بنفسه قبل فراقهم ، فاجتمعوا في
 بيت رجل يقال له ميلن ، فبينما هم في البيت مجتمعون اذ هجم عليهم رجل من اهل قروطونيا اسمه
 قولون ، وكان له شرف وحسب ومال عظيم . وكان يستطيل بذلك على الناس ويتمرد عليهم ويفتر
 بالجور . وكان قد دخل على فيثاغورس وجعل يمدح نفسه فزجره بين يدي جلسائه ، وأشار اليه
 باكتساب خلاص نفسه ، فاشتد غيظ قولون عليه فجمع اخلاءه وقذف فيثاغورس عندهم ونسبه الى
 الكفر ، ووافهم على قتله واصحابه ، ولما هجم عليه قتل منهم اربعين انسانا وهرب باقيهم ، فمهم
 من ادرك وقتل ، ومنهم من اقلت واختفى . ودامت السعاية بهم والطلب لهم ، وخافوا على فيثاغورس
 القتل ، فأفردوا له قوما منهم واحتالوا له حتى اخبروه من تلك المدينة بالليل ، ووجهوا معه بعضهم
 حتى أوصلوه الى قارولونيا ، ومن هناك الى لوقروس ، فانتهت الشناعة فيه الى اهل هذه المدينة ،
 فوجهوا اليه مشايخ منهم فقالوا له : « اما انت يا فيثاغورس فحكيم فيا نرى ، واما الشناعة عنك
 فمسيجة جدا . لكننا لا نجد في نواميسنا ما يلزمك القتل ونحن متمسكون بشرائعنا ، فغذ منا
 ضيافتك ونفقه لطريقك وارسل عن بلدنا تسلم » . فرحل عنها الى طارنطا^(١) ، ففاجاء هناك قوم
 من اهل قروطونيا فكادوا ان يخنقوه واصحابه ، فرحل الى ميطا برنطيون . وكتابت
 الهوج في البلاد بسببه حتى صار يذكر ذلك اهل تلك البلاد سلبا كثيرة . ثم انحاز الى هيكل الاسنان
 المسمى هيكل الموسن فتحصن فيه واصحابه ، ولبت فيه اربعين يوما لم يفتد ، فضربوا الهيكل الذي
 كان فيه بالنار . فلما احس اصحابه بذلك عمدوا اليه فجعلوه في وسطهم واحرقوا به ليقوه النار
 بأجسامهم ، فمندا امتدت النار في الهيكل واشتد لهبها ، غشي على الحكيم من ألم حرارتها ومن الخواء
 فسقط ميتا . ثم ان تلك الآفة عمتهم أجمعين فاحترقوا كلهم ، وكان ذلك سبب موته .

وذكروا أنه صنف مائتين وعشرين كتابا ، وخلف من التلاميذ خلفا كثيرا ، وكان نقش خاتمه « شر
 لا يدوم خير من خير لا يدوم » ، أي شر ينتظر زواله ألد من خير ينتظر زواله . وعلى منطقته :
 « الصمت سلامة من الندامة » .

من آداب فيثاغورس ومواعظه ، نقلت ذلك من كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم ، للامير محمود
 الدولة أبي الوفاء المبشر بن فاتك . قال فيثاغورس :

كما ان يده وجودنا وخلقتنا من الله سبحانه ، هكذا يلبي ان تكون نفوسنا متصرفة الى الله تعالى
 وقال : الفكرة لله خاصة فمحبته متصلة بمحبة الله تعالى ، ومن أحب الله سبحانه عمل بمحابه ،

(١) مدينة في جنوب إيطاليا على الخليج المسمى بإسها .

ومن عمل بمحابه قرب منه ، ومن قرب منه نجح وفاز .

وقال : ليس الضحايا والقرابين كرامات الله تعالى ذكره ، لكن الاعتقاد الذي يليق به هو الذي يكتفي به في تكريمته .

وقال : الأقوال الكثيرة في الله سبحانه علامة تقصير الإنسان عن معرفته .

وقال : ما انفع للإنسان ان يتكلم بالأشياء الجلية النفيسة ، فان لم يمكنه فليسمع قائلها .

وقال : احذر ان تركب قبيحا من الامر لا في خلوة ولا مع غيرك ، وليكن استحيائك من نفسك اكثر من استحيائك من كل احد .

وقال : ليكن قصدك بالمال في اكتسابه من حلال ولتفقه في مثله .

وقال : اذا سمعت كذبا فكون على نفسك الصبر عليه .

وقال : لا ينبغي لك أن تهمل امر صحة بدنك لكن ينبغي القصد في الطعام والشراب والتكثاح والرياضة .

وقال : لا تكن متلافا بمنزلة من لا خبرة له بقدر ما في يده ، ولا تكن شحيحا فتخرج عن الحرية ، بل الأفضل في الأمور كلها هو القصد فيها .

وقال : كن متيقظا في آرائك ايام حياتك ، فان سبات الرأي مشارك للموت في الجنس .

وقال : ما لا ينبغي ان تفعله احذر ان تحطره بذلك .

وقال : لا تدنس لسانك باللفظ ، ولا تصنع بأذنك الى مثل ذلك .

وقال : عسر على الانسان ان يكون حرا ، وهو ينصاع للأفعال القبيحة الجارية مجرى العادة .

وقال : ليس ينبغي للانسان ان يلتمس القنية ^(١) العالية ، والابنية المشيدة ، لأنها من بصد موته تلتقي على حدود طباعها ، ويتصرف غيره فيها ، لكن يطلب من القنية ما ينفعه بمد المفارقة والتصرف فيها .

وقال : الاشكال المزخرفة ، والامور الموهبة ^(٢) ، في اقصر الزمان تتبهرج ^(٣) . وقال : اعتقد ان أس مخافة الله سبحانه الرحمة .

وقال : متى التصمت فعلا من الأفعال فابدا الى ربك بالابتهاال في التبحر فيه .

وقال : الانسان الذي اختبرته بالتجربة فوجدته لا يصلح ان يكون صديقا وخلا ، احذر من ان تجعله لك عدوا .

وقال : ما احسن للانسان ان لا يخطيء ، وان اخطأ فها اكثر النفاعة بأن يكون عالما بأنه اخطأ ، ويحرص في ان لا يعاود .

(١) ما اكتسب (٢) الطلية . (٣) تتزيف .

وقال : الاخلاق بالانسان ان يفعل ما ينبغي لا ما يشتهي .

وقال : ينبغي ان يعرف الوقت الذي يحسن فيه الكلام ، والوقت الذي يحسن فيه السكوت .

وقال : الحر هو الذي لا يضيع حرقاً من حروف النفس لشهوة من شهوات الطبيعة .

وقال : بقدر ما تطلب تعلم ، وبقدر ما تعلم تطلب .

وقال : ليس من شرائط الحكم ان لا يشجر ، ولكن يشجر بوزن .

وقال : ليس الحكم من حمل عليه بقدر ما يطبق فصير واستعمل ، ولكن الحكم من حمل عليه اكثر مما تحتمل الطبيعة فصير .

وقال : الدنيا دول ، مرة لك واخرى عليك ، فان توليت فأحسن وان تولوك فقلن .

وكان يقول : ان اكثر الآفات انما تمرض للحيوانات لعدمها الكلام ، وتمرض للانسان من قبل الكلام .

وكان يقول : من استطاع ان يمنع نفسه من اربعة اشياء فهو خليق ان لا ينزل به المكروه كما ينزل بغيره : المجبة واللجاجة والمحب والتواني ، ثمرة السجدة للندامة ، وغرة اللجاجة الحسيرة ، وغرة المحب البغضاء ، وثمره التواني الذلة .

ونظر الى رجل عليه ثياب فاخرة يتكلم قيلعن في كلامه فقال له : اما انت تتكلم بكلام يشبه لباسك او تلبس لباساً يشبه كلامك .

وقال لتلاميذه : لا تطلبوا من الاشياء ما يكون بحسب محبتكم ، ولكن أسبوا من الاشياء ما هي محبوبة في انفسها .

وقال : اصبر على النوائب اذا أتتك من غير ان تلذمر ، بل اطلب مداواتها بقدر ما تطيق .

وقال : استعملوا الفكر قبل العمل .

وقال : كثرة العدو تقلل الهدوء .

وكان فيثاغورس اذا جلس على كرسىه أوصى بهذه الوصايا : « قوموا موازينكم واعترفوا اوزانها ؛ عدلوا الخط تصحبكم السلامة ؛ لا تشعلوا النار حيث ترون السكين تقطع ؛ عدلوا شهواتكم تدبروا الصحة ؛ استعملوا العدل تحط بكم الحبة ؛ عاملوا الزمان كالزلافة الذين يستعملون عليكم ويُميزون عنكم ؛ لا تترفوا ^(١) ابدانكم وانفسكم فتفقدوها في اوقات الشدائد اذ اوردت عليكم . »

(١) لا تبطروا ابدانكم .

وذكر المال عنده ومدح فقال : « وما حاجتي الى ما يعطيه الحظ ، ويحفظه اللوم ، ويملكه السخاء .

وقال : وقد نظر الى شيخ يجب النظر في العلم ويستحي ان يُرى متعلماً : يا هذا ! انتسحي ارب تكون في آخر عرك افضل منك في أوله ؟ وقال : انكى شيء لمدوك ان لا تربد انك تتخذ عدواً . وحضر امرأته الوفاة في أرض غربة ، فجعل اصحابه يتحزون على موتها في ارض غربة فقال : يا معشر الاخوان ليس بين الموت في الغربة والوطن فرق ، وذلك ان الطريق الى الآخرة واحد من جميع النواحي .

وقبل له : ما احلى الاشياء ؟ فقال : الذي يشتهي الانسان . وقال : الرجل المحبوب عند الله تعالى الذي لا بدعن لافكاره القبيحة .

ونقلت من كتاب فرفوروس في اخبار الفلاسفة وقصصهم وآرائهم قال : « واما كتب فيثاغورس الحكيم ، التي انفرد بجمعها ارخوطس ^(١) الفيلسوف الطارنطيني فتكون ثمانين كتاباً . فأما التي اجتهد بكلية جهده في التقاطها وتأليفها وجمعها من جميع الكهول الذين كانوا من جنس فيثاغورس الفيلسوف وحزبه وورثه علومه رجل فرجل ، فتكون مئتي كتاب عدداً فمن انفرد بصفوة عقله وعزل منها الكتب الكاذبة المحولة على لسان الحكيم واسمه التي اختلقها أفس فجرة ، وهي : كتاب المناجاة ، وكتاب وصف المهن السيئة ، وكتاب علم الحمايق ^(٢) وكتاب احكام تصوير مجالس الخمر ، وكتاب تهيئة الطبول والصنوج ^(٣) والمغازف ^(٤) ، وكتاب اليامر ^(٥) الكهنوتية ، وكتاب بذر الزروع ، وكتاب الآلات ، وكتاب الفصائد ، وكتاب تكوين العالم ، وكتاب الايادي ، وكتاب المروءة ، وكتب اخرى كثيرة تشكل كل هذه الكتب بما اختلق حديثاً ؛ فيسعد سعادة الابد .

وقال : وأما الرجال الامة الذين اختلقوا هذه الكتب الكاذبة التي ذكرناها فانهم على ما ادت البنا الروايات : ارستيبوس المحدث ، ونقوس الذي كان يكنى عين الناقص ، ورجل من اهل اقريطية ^(٦) يقال له قونيوس ، وماغياولوس ، وفوخجولافا مع آخرين اطلق منهم . وكان الذي دعاهم الى اختلاق هذه الكتب الكاذبة على لسان فيثاغورس الفيلسوف واسمه ، كي يقبلوا عند الاحداث بسببه فيكرموا او يؤثروا ويواسوا .

(١) هو ارخيتاس Archytas ولد في طارنطا (ايطاليا سنة ٣٠٠ ق م) وهو فيلسوف على المذهب الفيثاغوري ينسب اليه اختراع البرغي وبكرة الفلر وعالم بالحساب ميز بين المتوالتين الحسابية والمنفدية .

(٢) جمع غرقاق وهو المتصرف بالامور او الذي لا يقع في أمر الا عرق كيف يخرج منه .

(٣) واحدتها صنغ وهي صفيحة مدورة من نحاس اصفر تضرب على اخرى للطرب .

(٤) آلات الطرب كالطنبور والقود والقيثارة

(٥) للتراثيل الكنسية واحدها ميمو (سريانية) .

(٦) جزيرة سكريت (ت د) .

فأما كتب الحكم التي لا ريب فيها فهي مائتان وثلاثون كتاباً ، وقد كانت منسية ، حتى جاء
لكليان يقوم حكاه ذوي نية وروح فحصلوها وجمعوها وألفوها . ولم تكن قبل ذلك مشهورة ببلدة
لكنها كانت مخزونة في إيطاليا .

وقال فلوطرخس ان فيثاغورس اول من سمى الفلسفة بهذا الاسم . ومما يوجد لفيثاغورس من
الكتب : كتاب الارثاطيقي ؛ كتاب الالواح ، كتاب في النوم واليقظة ؛ كتاب في كيفية النفس
والجسد ، رسالة الى متمدن مقلية ، الرسالة الذهبية وسميت بهذا الاسم لان جالينوس كان يكتبها
بالذهب اعظماً لها واجلالاً وكاتب يواظب على دراستها وقراءتها في كل يوم ؛ رسالة الى سقاييس في
استخراج المعاني ، رسالة في السياسة العقلية وقد تناب هذه الرسالة بتفسير امليخس ؛ رسالة الى
فيمدوسيوس .

سقراط

قال القاضي صاعد في طبقات الامم :

ان سقراط كان من تلاميذ فيثاغورس . اقتصر من الفلسفة على العلوم الالهية ، واعرض عن ملاذ
الدنيا ورفضها ، واعان بخالفة اليونانيين في عبادتهم الاصنام ، وقابل رؤسائهم بالحجاج والأدلة الالهية
فشورروا العامة عليه واضطروا ملكهم الى قتله ، فاودعه الملك الحبس ثم بدأ اليهم ، ثم سقاه السم قتادياً من
شرم . ومن آثاره مناظرات جرت له مع الملك محفوفة ، وله وصايا شريفة ، وآداب فاضلة ، وحكم
مشهورة ، ومذاهب في الصفات قريبة من مذاهب فيثاغورس وبندقليس ، الا ان له في شأن المساد
آراء ضعيفة بعيدة عن محض الفلسفة خارجة عن المذاهب المحقة .

وقال الامير المشر بن فاتك في كتاب مختار الحكم وعامس الكلم : معنى سقراطيس باليونانية
المعتصم بالعدل ، وهو ابن سفرونسقس^(١) ، ومولده وملثاه ومنبته بأثينية . وخلف من الولد ثلاثة
ذكور ، ولما ازم التزويج على عاداتهم الجارية في الزام الافاضل بالتزويج ليعقب نسله بينهم ، طلب
تزيجه المرأة السفينة التي لم يكن في بلده أسلط منها ، ليعتاد جهلها والصبر على سوء خلقها ، ليعدر
ان يحتل جهل العامة والخاصة .

وبلغ من تعظيمه الحكمة مبلغاً اضرب من محبي الحكمة ، لانه كان من رأيه ان لا تستودع
الحكمة الصحف والقراطيس تنزيهاً لها عن ذلك . ويقول ان الحكمة طاهرة مقدسة ، غير فاسدة ولا
دنسة ، فلا ينبغي لنا ان نستودعها الا الانفس الحية ، ونزهاها عن الجلود الميتة ، ونصونها عن القلوب

(١) وكان محققاً .

المتهمدة . ولم يصنف كتاباً ولا امل على احد من تلاميذه ما أثبتته في قرطاس ؛ وانما كان يلقيهم عليه تلقيناً لا غير . وتعلم ذلك من استاذة طيلئوس فإنه قال له في صباه . «لم تدعني أودن ما اسمع منك من الحكمة ؟ » فقال له : « ما أوثقتك بجلود البهاائم الميتة ، وأزهدك في الخواطر الحية ! هب انت انساناً لتيك في طريق فسالك عن شيء من العلم ، هل كان يحسن ان تحيله على الرجوع الى منزلك ، والنظر في كتبك ؟ فان كان لا يحسن فالزم الحفظ . » فآزمها سقراط .

وكان سقراط زاهداً في الدنيا قليل المبالاة بها ، وكان من رسوم ملوك اليونانيين اذا حاربوا أخرجوا حكامهم معهم في اسفارهم . فخرج الملك سقراط معه في سفرة خرج فيها لبعض مهاته ، فكان سقراط يأوي في عسكر ذلك الملك الى زير^(١) مكسور يسكن فيه من اللبد ، واذا طلعت الشمس خرج منه فجلس عليه يستدفئ بالشمس . ولأجل ذلك سمي سقراط الحب .

فهر به الملك يوماً وهو على ذلك الزير فوقف عليه ، وقال : ما لنا لا نراك يا سقراط ، وما ينعك من المسير اليك ؟ فقال : « الشغل أيها الملك » فقال : بماذا ؟ قال : بما يقيم الحياة ، قال : قصير اليك فان هذا لك عندنا معد ابدأ . قال : لو علمت أيها الملك أنني اجد ذلك عندك لم أدعه . قال : بلغني انك تقول ان عبادة الاصنام ضارة . قال : لم اقل هكذا ا قال : فكيف قلت ؟ قال : انما قلت ان عبادة الاصنام فائفة للهلك ضارة لسقراط ، لأن الملك يصلح بها رعيته ويستخرج بها خراجها ، وسقراط يعلم انها لا تنصره ولا تنفعه ؟ اذ كان مقرأ بأن له خالفاً يرزقه ويميزه بما قدم من سيء أو حسن . قال : فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم . تصرف عتائ دابنك عني فقد سترني جيوشك من ضوء الشمس .

فدعاه الملك بكسوة^(٢) فاخرة من ديباج^(٣) وغيره ، ويجوهر ودفانير كثيرة ليعبزه بذلك . فقال له سقراط : أيها الملك وعدت بما يقيم الحياة ، وبذلك ما يقيم الموت ، ليس لسقراط حاجة الى حجارة الارض ، وهشم الثبت ولعاب النود . والذي يحتاج اليه سقراط هو معه حيث توجه .

وكان سقراط يرمز في كلامه مثل ما كان بفعل فيثاغورس . فمن كلامه الرموز قوله :

«عندما فطنت عن علة الحياة ألفتيت^(٤) الموت ؛ وعندما وجدت الموت عرفت حينئذ كيف ينبغي لي ان أعيش . أي ان الذي يريد ان يحيا حياة الهية ، ينبغي ان يميت جسمه من جميع الاقوال الحسية على قدر القوة التي منحها ، فإنه حينئذ ينشأ له بان يعيش حياة الحق . »

وقال : تكلم بالليل حيث لا يكون أعشاش الخفافيش . أي ينبغي ان يكون كلامك عند خلوتك

(١) اللث وهو الرافد العظيم كالحب اي الجرة الطبيعية .

(٢) اللباس . (٣) ثوب لحته وسداه حرير .

(٤) وجدت .

لنفسك ، وان تجمع فكرك ؟ وامنع نفسك ان تتطلع في شيء من امور الميولانيات^(١) .

وقال : أعدد الجنس الكوى ليضيء مسكن اللمة ، اي اغض حواسك الجنس عن الجولان فيا لا يجدي لتضيء نفسك .

وقال : املا الرعاء طيباً . أي أوع عقلك بياناً وفيها وحكمة .

وقال : افرغ الحوض المثلث من القلال الفارغة . اي اقص عن قلبك جميع الآلام العارضة ، في الثلاثة الاجناس من قوى النفس ، التي هي أصل جميع الشر .

وقال : لا تأكل الأسود النضب . اي احذر الخطيئة .

وقال : لا تتجاوز الميزان ، أي لا تتجاوز الحق .

وقال : عند المات لا تكن غلة ، أي في وقت اماتك لنفسك لا تكن ذخائر الجنس .

وقال : ينبغي ان تعلم انه ليس زمان من الأزمنة يفقد فيه زمان الربيع . اي لا مانع لك في كل زمان من اكساب الفضائل .

وقال : افحص عن ثلاثة سبل. فاذا لم تجدوا فارض ان تنام لها نومة المستغرق . أي ، افحص عن علم الاجسام ، وعلم ما لا جسم له ، وعلم الذي وان كان لا جسم له فهو موجود مع الاجسام ، وما اعتاص^(٢) منها عليك فارض بالامساك عنه .

وقال : ليست التسعة بأكل من واحد .اي العشرة هي عقد من العدد وهي اكثر من تسعة ، وانما تكمل التسعة لتكون عشرة بالواحد ، وكذلك الفضائل التسع تتم وتكمل بخوف الله عز وجل وعفته ومراقبته

وقال اققن بالاثني عشر إثني عشر. يعني بالاثني عشر عضواً التي بها يكسب البر والائم اكتسب الفضائل وهي : العيان ، والاذن ، والمتخبران ، واللسان ، واليدان ، والرجلان ، والفرج ، وايضاً بالاثني عشر شهراً اكتسب انواع الاشياء المحموده المكلمة للانسان في تدبيره ومعرفته في هذا العالم .

وقال: ازرع بالاسود واحصد بالابيض . أي ازرع بالبكاء واحصد بالسرور .

وقال لا تشيلن الاكليل وتهتكه ؟ أي لسن الجمية لا ترفضها لانها تحوط جميع الامم كحيطة الاكليل للرأس .

وكان أهل دهره لما سألوه عن عبادة الاصنام صدم عنها وأبطلها ونهى الناس عن عبادتها. وأمرهم بعبادة الآله الواحد الصمد البارئ الخالق للعالم بما فيه الحكيم القدير ، لا الحجر المنحوت الذي لا

(١) الأصل والمادة

(٢) صاها .

ينطق ولا يسمع ولا يحس بشيء من الآلات . وحض الناس على البر وفعل الخيرات . وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن الفواحش والمنكرات ، في ثقته من أهل زمانه ، ولم يقصد استكمال صواب التدابير لعلهم بأنهم لا يقبلون ذلك منه . فلما علم الرؤساء في وقته من الكهنة والاراكنة ^(١) ما رآه من دعوته ، وأن رأيه نقي الاضنام ورد الناس عن عبادتها ، شهدوا عليه بوجوب القتل . وكان الموجوبون عليه القتل قضاة ايلس ^(٢) الاحد عشر . وسعى السم الذي يقال له قونيون ، لان الملك ، لما اوجب القضاة عليه القتل ، ساءه ذلك ولم يمكنه مخالفتهم ، فقال له : اختر أي قطة شئت ؟ فقال له : بالسم ، فلجأ به الى ذلك .

والذي أخر قتل سقراط شهوراً بعدما أوجبه عليه منه ، ان المركب الذي كان يبعث به في كل سنة الى هيكل افولون ، ويصل اليه ما يصل ، معرض له حبس شديد لتعذر الرياح ، فأبطأ شهوراً . وكان من عادتهم ان لا يراق دم ولا غيره حتى يرجع المركب من الهيكل الى ايلس .

وكان اصحابه يمثّلون اليه في الحبس طول تلك المدة ، فدخلوا اليه يوماً فقال له أفريطون منهم : « ان المركب داخل غداً او بعد غد ، وقد اجتهدنا في ان ندفع عنك مالاً الى هؤلاء القوم ونخرج سراً فنصير الى رومية فتقيم بها حيث لا سبيل لهم عليك » فقال له : « قد تعلم انه لا يبلغ ملكي اربمئة درهم » .

فقال له أفريطون : « لم أقل لك هذا القول على انك تفرم شيئاً لانا نعلم انه ليس في وسلك ما سأل القوم ، ولكن في أموالنا سعة لذلك وأضعافه ، وانفسنا طيبة بأدائه لنجائناك ، وان لا نتعجب بك » .

قال له سقراط : « يا أفريطون هذا البلد الذي فعل بي ما فعل هو بلدي وبلد جنسي ، وقد فاني فيه من حبسي ما رأيت ، وأوجب علي فيه القتل . ولم يوجب ذلك علي لأمر استحقته ، بل لخالفتي الجور ، وطعني على الافعال الجائرة وأملها ، من كفرهم بالباري سبحانه ، وعبادتهم الاوثان من دونه . والحال التي أوجب علي بها عندم القتل هي ممّي حيث توجهت . واني لا أدع نصرة الحق ، والظلم على الباطل والمبطلين حيث كنت . وأهل رومية أبعد مني رحماً من أهل مدينتي . فهذا الأمر انما كان باعته علي الحق ونصرة الحق حيث توجهت ، فغير مأمور علي هناك مثل الذي انا فيه . قال له أفريطون : « قد تذكر ولدك وعيالك وما تخلف عليهم من الضيعة » .

فقال له : « الذي يلصقهم برومية مثل ذلك ، الا انكم هنا ، فهم احرى ان لا يضيّعوا معكم » .

ولما كان اليوم الثالث بكر تلاميذه اليه على العادة ، وجاء قم السجن ففتح الباب ، وجاء القضاة الأحد عشر فدخلوا اليه ، وأقاموا ملياً . ثم خرجوا من عنده وقد أزالوا الحديد عن رجله . وخرج

(١) واحداً أركون وهو معان القرية الطم

(٢) اي ايلنا .

السجان الى تلاميذه ، فأدخلهم اليه فجلسوا عليه وجلسوا عنده . فنزل سقراط عن السرير . وقد على الارض ثم كشف عن ساقيه فمسحها وحكها ، وقال : « ما اعجب فعل السباسة الالهية حيث عرنت الاضداد بعضها ببعض ، فإنه لا يكاد ان تكون لذة إلا يتبعها ألم ، ولا ألم إلا يتبعه لذة .

وصار هذا القول سبباً لدوران الكلام بينهم ، فسأله سيمياس وفيدون عن شيء من الافعال النفسية . وكثرت المذاكرة بينهم حتى استوعب الكلام في النفس بالقول المتقن المستقصى . وهو على ما كان يمهّد عليه في حال سروره وبعثته ومرحه في بعض المواضع . والجماعة يتمتعون من صرامته وشدة استهائته بالموث . ولم ينكل عن تقصي الحق في موضعه ، ولم يترك شيئاً من اخلاقه واحوال نفسه التي كان عليها في زمان امنه من الموت . وهم من الكمد والحزن لفراقه على حال عظيمة . فقال له سيمياس :

« ان في التقصي في السؤال عليك مع هذه الحال لتقل علينا شديداً ، وقبهاً في العشرة ، وارت الاساك عن التقصي في البحث لحسرة غداً عظيمة ، مع ما نعدم في الارض من وجود الفاتح لما نريد . قال له سقراط : « يا سيمياس ، لا تدعن التقصي لشيء اردته ، فان تفصيك لذلك هو الذي أمر به ، وليس بين هذه الحال عندي وبين الحال الاخرى فرق في الحرص على تقصي الحق ، فإننا وإن كنا نعدم اصحاباً ورفقاء اشرفاً محمودين فاضلين ، فإننا ايضاً إذ كنا معتمدين ومتيقنين للأقوال التي لم تزل تسمع منا ، فإننا ايضاً نصير الى اخوان اخر فاضلين اشرف محمودين ، منهم اسلاوس وأيارس وارقليس ، وجميع من سلف من فوي الفضائل للفسانية .

ولما تصرم القول في النفس وبلغوا فيها الغرض الذي اراد ، وسألوه عن هيئة العالم وحركات الافلاك وتركيب الاسطوانات^(١) ، فأجابهم عن جميعه . ثم قص عليهم قصصاً كثيرة من العلوم الالهية والاسرار الربانية . ولما فرغ من ذلك قال :

« اما الآن فأظنه قد حضر الوقت الذي يلغي لنا ان نستعم فيه ونصلي ما امكنا ولا نكلف احسداً أحلام الموتى ، فان الاراماني قد دعانا ونحن ماضون الى زواس ، وأما أنتم فتتصرفون الى اهل البيت » .

ثم نهض ودخل بيتاً واستعم فيه ، وصلى وأطال اللبث^(٢) ، والقوم يتذاكرون عظيم المصيبة بما تزل به ويهم من فقده ، وانهم يفتقدون فيه حكيماً عظيماً وأباً شقيقاً ، ويبقون بعده كاليتامى . ثم خرج فدعا بولده ونسائه ، وكان له ابن صغير وابنان صغيرات ، فودعهم ووصاهم وصرفهم . فقال له اقرطون :

« فها الذي تأمره ان تفعله في اهلك وولدك وغير ذلك من امرك ؟ »

(١) واسمها اسطفس دخية يونانية ومعناها الاصل .

(٢) الكوث .

قال : « لست آمركم بشيء جديد ، بل هو الذي لم ازل آمركم به قديماً من الاجتهاد في اصلاح انفسكم ، فانكم اذا فعلتم ذلك فقد سررتموني وسررتم كل من هو مني بسبيل » .
ثم سكت ملياً وسكت الجماعة .

واقبل خادم الاحد عشر قاضياً فقال له : يا سقراط ! انك تجريء مع ما اراه منك ، وانك تعلم اني لست علة موثك ، وان علة موثك القضاة الاحد عشر ، وأنا مأمور بذلك مضطراً اليه ، وانك افضل من جميع من صار الى هذا الموضع فاضرب الدواء بطيبة نفس ، واصبر على الاضطراب اللازم .
ثم ذرفت عيناه وانصرف . فقال سقراط : « نفعل وليس انت بلوم » . ثم سكت هنيهة والتفت الى اقريطون فقال : « مر الرجل ان يأتيني بشرية موتي » . فقال للفلام : « ادع الرجل » فدعاه ، فدخل ومعه الشربة منه فشرها . فلما رآوه قد شرها غلبهم من البكاء والاسف ما لم يملكوا معه انفسهم ، فملت اصواتهم بالبكاء فأقبل عليهم سقراط يلومهم ويظلمهم . وقال :

« انما صرفنا النساء لئلا يكون منهن مثل هذا » . فأمسكوا استحياء منه ، وقصدوا للطاعة له ، على مضض شديد منهم في فقد مثله . وأخذ سقراط في المشي والتردد هنيهة ، ثم قال للخادم : قد ثقلت رجلاي علي . فقال له : استلق . فاستلقى . وجعل الفلام يحس قدميه وينمزمها ويقول له : هل تحس غززي لها ؟ قال : لا . ثم غرز غزراً شديداً ، فقال له : هل تحس ؟ فقال : لا . ثم غمز ساقيه وجعل يسأله ساعة بعد ساعة ، وهو يقول لا ، وأخذ يحمد أولاً فأولاً ويشدد برده ، حتى انتهى ذلك الى حقويه فقال الخادم لنا اذا انتهى البارد الى قلبه مضى . فقال له اقريطون : يا امام الحكمة ، ما أرى عقولنا لا تبعد عن عقلك فاعبد لنا . فقال : عليكم بما أمرتكم به أولاً ! ثم مد يده الى يد اقريطون فوضعا على خده فقال له : مرني بما تحب . فلم يجبه بشيء ، ثم شخص ببصره وقال : اسلمت نفسي الى قابض انفس الحكباء . ومات . فأطبق اقريطون عينيه وشد طييه ، ولم يكن افلاطون حاضراً معهم لأنه كان مريضاً . وذكر ان سقراط هلك عن اثني عشر الف تليد وتليد تليد .

قال البشر بن فافك : « وكان سقراط رجلاً ابيض اشقر ازرق ، جيد العظام ، قبيح الوجه ، ضيق ما بين المنكبين ، بطيء الحركة ، مريع الجواب ، شمت ^(١) اللحية ، غير طويل ، اذا سئل اطرق ^(٢) حيناً ثم يجيب بالفاظ مقننة . كثير التوحد ، قليل الأكل والشرب . شديد التعمد يكثر ذكر الموت ، قليل الاسفار مجداً لرياضة بدنه ، خسيس اللبس ، مهيباً ، حسن المنطق ، لا يوجد فيه خلل . مات بالسم وله مائة سنة وبضع سنين »

(١) متلبدة مفخرة غير منتظمة .

(٢) سكت ولم يتكلم .

أقول : ووجدت في كتاب افلاطون المسمى احتجاج سقراط على اهل أثينية ، وهو يحكي قول سقراط بهذا اللفظ قال : « ما تمنيت مجلس الحكم قط قبل هذه المرة ، على اني قد بلغت من السن سبعين سنة » وهذا الاحتجاج الذي كان بينه وبين اهل أثينية انما كان قبل موته بمدة يسيرة .

ومن خط اسحق^(١) بن حنين : « عاش سقراط قريباً مما عاش افلاطون . ومن خط اسحق : « عاش افلاطون ثمانين سنة » . وقال حنين^(٢) بن اسحق في كتاب « نوادر الفلاسفة والحكماء » ، انه كان منقوشاً على قص خاتم سقراط « من غلب عقله هواه اقتضع » .

ومن آداب سقراط

ما ذكره الامير المبشر بن فائق في كتابه ، قال سقراط : عجباً ان عرف فناء الدنيا كيف تلبيه عما ليس له فناء

وقال : النفوس اشكال ، لما تشاكل منها اتفق وما تضاد منها اختلف .

وقال : اتفاق النفوس باتفاق همها ، واختلافها باختلاف مرادها .

وقال : النفس جامعة لكل شيء ، فمن عرف نفسه عرف كل شيء ، ومن جهل نفسه جهل كل شيء .

وقال : من يجل على نفسه فهو على غيره ايجل ؟ ومن جاد على نفسه فذلك المرجو جوده .

وقال : ما ضاع من عرف نفسه ، وما اضيع من جهل نفسه .

وقال : النفس الخيرة مجازئة^(٣) بالقليل من الادب ، والنفس الشريرة لا ينجم^(٤) فيها كثير من الادب لسوء مفرسها .

وقال : لو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف .

وقال : ستة لا تفرقهم الكتابة : الحقود ، والجسود ، وحديث عهد بغنى ، وغنى يخاف الفقر ، وطالب رتبة يقصر قدره عنها ، وجليس اهل الادب وليس منهم .

وقال : من ملك سره خفي على الناس امره .

وقال : خير من الخير من عمل به ، وشر من الشر من عمل به .

وقال : القول مواهب ، والمالوم مكاسب . وقال : لا تكون كاملاً حتى يامنك عدوك ، فكيف

(١) هو احد الاطباء السريان في الدولة العباسية . وكان يتقن اللغات .

(٢) اشتغل بصناعة الطب وكان الى جانب ذلك قاصياً ذريعاً في الشرع وقد تفلح على الحليل بن احمد .

(٣) مكتفية .

(٤) يلبد . (د . ر) .

بك اذا كنت لا يأمنك صديقك . وقال : اتقوا من تبغضه قلوبكم ، وقال : الدنيا سجن لمن زهد فيها
وجنة لمن احبها . وقال : لكل شيء ثمرة ، وثمره قلة التقنية ^(١) . تسجيل الراحة ، وطيب النفس
الزكية .

وقال : الدنيا كنار مضرمة على نجمة ^(٢) ، فمن اقتبس منها ما يستضيء به في طريقه سلم من
شرها ، ومن جلس ليحتكر منها اسرقته بجرها . وقال : من اهتم بالدنيا ضيع نفسه ، ومن اهتم
بنفسه زهد في الدنيا . وقال : طالب الدنيا ان قال ما امل تركه لغيره ، وان لم يثل ما امله مات بفصلته .
وقال : لا تردن على ذي خطأ فانه يستفيد منك علماً ويتخذك عدواً .

وقيل لسقراط : ما رأيك قط مغموماً ا فقال : لانه ليس لي شيء متى ضاع فني وعدمته
اغتصمت عليه . وقال : من احب ان لا تقوه شهرته فليشته ما يمكنه .

وقال : اثن على ذي المودة خيراً عند من لقيت ، فان رأس المودة حسن الثناء ، كما ان رأس العداوة
سوء الثناء . وقال : اذا وليت امرأ فابعد عنك الاشرار ، فان جميع عيوبهم منسوبة اليك . وقال له
رجل شريف الجنس وضيق الحلاتي : اما تأفف يا سقراط من خسارة جنسك ؟ فأجابته : جنسك
عندك الشيء ، وجنسي فني .

وقال : خير الأمور أوسطها . وقال : انا اهل الدنيا كصور في صحيفة ، كلما نشر بعضها طوي
بعضها . وقال : الصبر يمين على كل عمل . وقال : من اسرع يوشك ان يكثر عثره . وقال : اذا لم
يكن عقل الرجل اغلب الاشياء عليه كان هلاكه في اغلب الاشياء عليه . وقال : لا يكون الحكم
حكماً حتى يغلب شهوات الجسم . وقال : كن مع والدك كما تحب ان يكون بلك مملك . وقال :
ينبغي للعالم ان يخاطب الجاهل مخاطبة الطبيب للمريض . وقال : طالب الدنيا قصير العمر كثير
الفكر . وكان يقول : التقنية غدومة ومن خدم غير ذاته فليس بمر .

وقيل له : ما اقرب شيء ؟ فقال : الأجل . وما ابعد شيء ؟ فقال : الامل . وما آسن شيء ؟
فقال : الصاحب المؤاني . وما اوحش شيء ؟ قال : الموت .

وقال من كان شراً فالوقت سبب راحة العالم من شره .

وقال : انا جمل للانسان لسان واحد واذنان ، ليكون ما يسمعه أكثر مما يتكلم به .

وقال : الملك الاعظم هو الغالب لشهواته . وقيل له أي الأشياء الذ ؟ فقال : استفادة الادب ،
واستماع اخبار لم تكن سمعت .

وقال : انفس ما لزمه الاحداث الادب ، واول نعمه لهم انه يقطعهم عن الافعال الرديئة .

(١) ما للتنبه .

(٢) المكان العالي .

وقال : انتفع ما اقتناه الانسان الصديق الخالص . وقال : الصامت ينسب الى الهوى ويسلم ، والمتكلم ينسب الى الفضول ويندم . وقال : استهينوا بالموت فان مرارته في خوفه . وقيل : له ما القنية المحمودة ؟ فقال : ما ينمو على الاتفاق .

وقال : المشكور من كتم سرّاً لن ينكته ، واما من استكتم سرّاً فذلك واجب عليه .
وقال : اكنتم سر غيرك كما تحب ان يكتتم غيرك سرّك . واذا ضاق صدرك بسرّك فصدر غيرك به اضيق .

وقيل له : لم صار الماقل يساشر ؟ فقال : العلة في ذلك تجريد الرأي عن الهوى ، وانما استشار تخوفاً من شوائب^(١) الهوى . وقال . من حسن خلقه طابت عيشته ، ودامت سلامته ، وتأكدت في النفوس محبته ، ومن ساء خلقه تنكدت عيشته ، ودامت بنفضته ، ونفرت النفوس منه . وقال : حسن الخلق يغطي غيره من القبايح ، وسوء الخلق يقبح غيره من الحسن . وقال : رأس الحكمة حسن الخلق . وقال : النوم مودة خفيفة ، والموت نوم طويل .

وقال لتلميذ له : لا تركن^(٢) الى الزمان فانه مريح الخيانة لمن ركن اليه . وقال : من سره الزمان في حال ساءه في اخرى .

وقال : من اهتم نفسه حب الدنيا امتلأ قلبه من ثلاث خلال : فقر لا يدرك غناه ، وامل لا يبلغ منتهاه ، وشغل لا يدرك فناء . وقال : من استجبت ان تستكتمه سرّك فلا تسره اليه .

وسئل سقراط : لم صار ماء البحر مالحة ؟ فقال للذي سأله : ان اعطيتي المتفة التي تتألك من علم ذلك اعطتك السبب فيه .

وقال : لا ضر^(٣) أضر من الجهل ، ولا شر أضر من النساء .

ونظر الى صبية تعلم الكتابة فقال : لا تزيدوا الشر شرّاً ، وقال : من اراد النجاة من مكائد الشيطان فلا يطيعن امرأة ، فإن النساء سلم منصوب ليس للشيطان حيلة إلا بالصمود عليه . وقال لتلميذه : يا بني ان كان لا بد لك من النساء فاجعل لقاءك لمن كأكل الميتة ، لا تأكل منها إلا عند الضرورة ، فتأخذ منها بقدر ما يقيم الرمق^(٤) ، فإن اخذ اخذ منها فوق الحاجة أسقمته وقتلته . وقيل له : ما تقول في النساء ؟ فقال : هن كشجر البغلي له رونق وبهاء ، فاذا أكله الفر قتله . وقيل له : كيف يجوز لك ان تدم النساء ولولا هن لم تكن انت ولا امثالك من الحكماء ؟ فقال : انما المرأة مثل النخلة ذات السلاع^(٥) ، ان دخل في بدن انسان عقره ، وحملها الرطب الجني .

(١) العيوب والادخس .

(٢) مال اليه وروى به . (٣) ضد التمتع ؛ الضيق وسوء الحال .

(٤) بقية الروح .

(٥) السلاع : جمع سلمة واصفها الشجبه في الرأس كأنه ما كانت وشبه بها عند جذع النخلة .

وقال له أرشيجانوس : ان الكلام الذي كلمت به أهل المدينة لا يقبل ! فقال : ليس يكبرني ان يكون لا يقبل ، وأنا يكبرني ان لا يكون صواباً . وقال : من لا يستحي فلا تحطره ببالك . وقال : لا يصدنك عن الاحسان جحود جاحد للنعمة . وقال : الجاهل من عثر بحجر مرتين . وقال : كفى بالتجارب نادياً ، ويتقلب الالام عظة ، وبأخلاق من عاشرت معرفة . وقال : اعلم انك في أفر من مضى سائر ، وفي محل من فأت مقيم ، والى المنصر الذي بدأت منه تعود .

وقال : لأهل الاعتبار في صروف الدهر كفاية ، وكل يوم يأتي عليه منه علم جديد . وقال : بموارض الآفات تكدر النعم على المتمين ، وقال : من قل هم على ما فاته ، استراحت نفسه وصفا ذهنه . وقال : من لم يشكر على ما انعم به عليه ، أوشك ان لا يزيد نعمته . وقال : رب متحرز^(١) من الشيء تكون منه آفته .

وقال : داووا الغضب بالصمت . وقال : الذكر الصالح خير من المال ، فان المال ينفذ والذكر يبقى ، والحكمة غنى لا يدمم ولا يضيعل ، وقال : استحب الفقر مع الحلال عن الغنى مع الحرام . وقال : افضل السيرة طيب المكسب وتقدير الاتفاق . وقال : من يحرب يزدد عطفاً ، ومن يؤمن يزدد يقيناً ، ومن يستيقن يعمل جاهداً ، ومن يحرص على العمل يزدد قوة ، ومن يكسل يزدد فاقة ، ومن يتردد يزدد شكاً .

وان لسقراط بهتا وزن بالعربية :

انما الدنيا وإن ومقت^(٢) خطرة^(٣) من لحظ^(٤) ملتفت

وقال : ما كان في نفسك فلا تبده لكل احد ، فما أقبح ان تحفي الناس أمتعتهم في البيوت ويظهرون ما في قلوبهم .

قال : لولا ان في قولي اني لا أعلم إنباراً اني أعلم لقلت اني لا اعلم . وقال : القنية ينبوع الاحزان ، فلا تقتنوا الأحران . وكان يقول قلوا القنية تقل مصائبكم .

وينسب الى سقراط من الكتب رسالة الى اخوانه في القافية بين السنة والفلسفة ، كتاب معاتبه النفس ، مقالة في السياسة . وقيل ان رسالته في السيرة الحميدة هي صحيح له .

أفلاطون

يقال فلاتن وافلاطن وأفلاطون . قال سليمان بن حسان المعروف بابن جليل في كتابه :

(١) يشق علي ، ويشقي .

(٢) المتوقفي .

(٣) أحببت . (٤) لمة خاطفة . (٥) عين .

« افلاطون الحكيم من اهل مدينة أثينا ، رومي فيلسوف يوناني طبي ؛ عالم بالهندسة وطبائع الأعداد ، وله في الطب كتاب يمتد الى طيباوس تلميذه ؛ وله في الفلسفة كتب واشعار ، وله في التأليف كلام لم يسبقه احد اليه ، استنبط به صنعة الديباج ، وهو الكلام المنسوب الى الحسن النسب التأليفية التي لا سبيل الى وجود غيرها في جميع الموجودات المختلفة . فلما أحاط علماً بطبائع الأعداد ومعرفة الحسن النسب التأليفية استشرى الى علم العالم كله ، وعرف موانع الاجزاء المختلفة المتزجات باختلاف الوانها واصباغها ، واختلفها على قدر النسبة ، فوصل بذلك الى علم التصوير ، فوضع اول حركة جامعة لجميع الحركات ثم صنفها بالنسبة العددية ، ووضع الاجزاء المختلفة على ذلك فصار الى علم تصوير التصورات . فقامت له صناعة الديباج وصناعة كل مؤتلف به . » وألف في ذلك كتاباً .

« وله في الفلسفة كلام عجيب ، وهو ممن وضع لاهل زمانه سنناً وحدوداً . وله كتاب السياسة في ذلك ، وكتاب النواميس . وكان في دولة دارايوط^(١) ، وهو والد دارا الذي قتله الاسكندر ، فكان بعد ابقراط في دولة والد الاسكندر ، فيليس^(٢) . وكانت الفرس يومئذ تلك الروم واليونانيين . »

وقال المبشر بن فائق ، في « كتاب مختار الحكم وعحاس الكلم » : « معنى أفلاطون وتفسيره في لغتهم : العمم الراسع . وكان اسم ابيه ارسطن ، وكان ابواه من اشراف اليونانيين من ولد اسقليديوس جميعاً ، وكانت امه خاصة من نسل سولون^(٣) صاحب الشرائع . »

« وكان قد اخذ في اول امره في تعلم علم الشعر واللغة ، فبلغ في ذلك مبلغاً عظيماً الى ان حضر يوماً سقراطيس وهو يثلب^(٤) صناعة الشعر ، فاعجبه ما سمع منه ، وزهد فيما كرت عنده منه ، ولزم سقراط وسمع منه خمس سنين . ثم مات سقراط ، فبلغه ان يصير قوماً ممن اصحاب فيثاغورس ، فصار اليهم حتى اخذ عنهم ، وكان يميل في الحكمة ، قبل ان يصحب سقراط ، الى رأي ايرقليطس^(٥) ، ولما صحب سقراط زهد في مذهب ايرقليطس وكان يتبعه في الاشياء المحسوسة ، وكان يتبع فيثاغورس في الاشياء المعقولة ، وكان يتبع سقراطيس في امور التدبير . ثم رجع افلاطون من مصر الى اثينية ، ونصب فيها بيتي حكمة ، وعلم الناس فيها . ثم سار الى سيقليا فجرت له قصة مع ديونوسوس^(٦) المتقلب الذي كان بها ، وبلي منه بأشياء صعبة ، ثم تخلص منه وعاد الى اثينية ، فصار فيهم احسن مبرة ، وارضى الجميع ، وأعان الضعفاء . وراموه ان يتولي تدبير امورهم فامتنع لانه

(١) هو داريوس الثاني ملك الفرس (٤٢٤ - ٤٠٦) وقد ساعد اسباطه ضد اليونان .

(٢) هو ملك مقدونيا ووالد الاسكندر الكبير ولد سنة ٣٨٢ .

(٣) احد حكام اثينية السبعة وهو مشرع عظيم (٦٤٠ - ٥٥٨ ق م)

(٤) عيب وعلوم وثق .

(٥) فيلسوف يوناني (٥٧٦ - ٤٨٠ ق م) وكانت النار عنده العنصر الاول للادة الخاضعة لتحول دائم .

(٦) طاغية سيقوروز (سيقليا) (٤٠٥ - ٣٦٧ ق م) وكان لا ينام ليلة في سرير واحد تجرداً من اعدائه .

وجدهم على تدبير غير التدبير الذي يراه صواباً ، وقد اعتادوه ويمكن من نفوسهم ، فلم انه لا يمكنه
نقلهم عنه ، وانه لو رام نقلهم عام عليه لكان يهلك كما هلك استاذة سقراط . على ان سقراط لم
يكن قد رام استكمال صواب التدبير .

ويبلغ افلاطون من العمر احدى وعشرين سنة ، وكان حسن الاخلاق ، كريم الافعال ، كثير
الاحسان الى كل ذي قرابة منه والى الغرباء ، مثقداً^(١) حلياً صبوراً . وكان له تلاميذ كثيرة ، وقول
التدريس بملء رجليه احدهما باثينية في الموضع المعروف بأقاديما^(٢) وهو كسانو قراطيس ؛ والاخر
بلوقين من عمل اثينية ايضاً وهو ارسطوطاليس .

وكان يرمز بحكمته وبسرها ويتكلم بها ملفوفة ، حتى لا يظهر مقصده لنوي الحكمة . وكان
درسه وتعلمه على طيلاس وسقراطيس وعنه اخذ اكثر آرائه .

وصنف كتباً كثيرة ، منها ما بلغنا اسمه ستة وخسون كتاباً ، وفيها كتب كبار يكون فيها
عدة مقالات . وكتبه يتصل بعضها ببعض اربعة اربعة يجمعها غرض واحد ، ويخص كل واحد منها
غرض خاص يشتمل عليه ذلك الغرض العام ، ويسمى كل واحد منها رابعاً ، وكل رابع منها يتصل
بالرابع الذي قبله .

وكان رجلاً اسمر اللون ، معتدلاً القامة ، حسن الصورة ، تام للتخاطيط ، حسن اللحية ، قليل
شعر المارزين ، ساكناً خافضاً ، اشبل السنين براق بياضها ، في فقهه الاسفل خال اسود ؛ تام الباع ،
لطيف الكلمة ، محباً للغنات والصعاري والوحدة . وكان يستدل في الحال الاكثر على موضعه بصوت
بكاله ، ويسمع منه على نحو ميلين في الفياقي والصعاري .

ومن خط اسحق بن حنين : عاش افلاطون ثمانين سنة . وقال حنين بن اسحق في كتاب نوادر
الفلاسفة والحكماء : كان منقوشاً على فص خاتم افلاطون : « تحريك الساكن أسهل من تسكين المتحرك »

مواظف افلاطون

ومن آداب افلاطون ومواظفه ، بما ذكره المبشر بن فائق رحمه الله في كتابه ، قال افلاطون :
« للمادة على كل شيء سلطان ، وقال : اذا هرب الحكيم من الناس فاطلبه ، واذا طلبهم فاهرب منه .
وقال : من لا يواس الاخوان عند دولته خلوه عند فاقته .

وقيل له : لا تجتمع الحكمة والمال ؟ فقال : لمن الكيال . وسئل : من احق الناس ان يؤتمن على تدبير
المدينة ؟ فقال : من كان في تدبير نفسه حسن المذهب .

(١) الثاني المترن

(٢) حدائق كان يجمعها للفلسفة .

وقيل له : من يسل من سائر الميوب وقبيح الافعال ؟ فقال : من جعل عقله امينه ، وحذره وزيره ، والمواظ زمامه والصبر قائده ، والاعتصام بالترقي ظهوره ^(١) ، وخوف الله جليسه ، وذكر الموت انبيه .

وقال : المكيك هو كالنهر الاعظم تستمد منه الانهار الصغار ، فان كان عذبا عذبت ، وان كان مالحا ملحت .

وقال : اذا اردت ان تدوم لك اللذة فلا تستوف الملتذ ابداً ، بل دع فيه فضله ^(٢) ، تدوم لك اللذة .

وقال : اياك في وقت الحرب ان تستعمل النجدة وتدع العقل ، فان للعقل مواقف قد تم بلا حاجة الى النجدة ، ولا ترى للنجدة غنى عن العقل . وقال : غاية الادب ان يستحي المرء من نفسه . وقال : ما ألت نفسي الا من ثلاث : من غني افتقر ، وعزيز ذل ، وحكيم تلاعبت به الجهال .

وقال : لا تصعبوا الاشرار فانهم ينون عليكم بالسلامة منهم . وقال : لا تطلب مرعة العمل واطلب تجريده ، فان الناس لا يسألون في كم فرغ من هذا العمل : وانما يسألون عن جودة صنعه .

وقال : احسانك الى الحري يحركه على المكافاة ، واحسانك الى الحسيس يحركه على معاودة المسألة . وقال : الاشرار يتبعون مساويء الناس ويتركون محاسنهم ، كما يتبع الذئاب المواضع الفاسدة من الجسد ويترك الصحيح منه . وقال : لا تستصغر عدوك فيقتحم عليك المكروه من زيادة مقداره على تقديره فيه . وقال : ليس تكلل خيرية الرجل حتى يكون صديقاً للمتعادين .

وقال : اطلب في الحياة العلم والمال تحز الآسة على الناس ، لانهم بين خاص وعام ، فالخاصة تفضلك بما تحسن ، والعامة تفضلك بما تملك .

وقال : من جمع الى شرف اصله شرف نفسه فقد قضى الحق عليه . واستدعى التفضيل بالحجة ، ومن أغفل نفسه واعتمد على شرف آباءه فقد عظم ^(٣) واستحق ان لا يقدم بهم على غيره .

وقال : لا تبتاعن مملوكاً قوي الشهوة فان له مولى غيرك ، ولا غضوباً ^(٤) فانه يلقى في ملكك ، ولا قوي الرأي فيستعمل الحيلة عليك .

وقال : استعمل مع فرط النصيحة ما تستعمله الخونة من حسن المدارة ، ولا تدخل عليك المحب ^(٥) لفضلك على اكفائك فيفسد عليك ثمرة ما فضلت به .

(١) المين .

(٢) ما افضل من الشيء .

(٣) شق طاعتهم وعصام .

(٤) السريع الهياج .

(٥) الزم والتكبر .

وقال : لا تنظر الى احد بالموضع الذي رتبته فيه زمانه ، وانظر اليه بقيمته في الحقيقة فانها مكانه الطبيعي .

وقال : اذا خبت الزمان كسدت ^(١) الفضائل وضرت ، ونفقت الرذائل ونفقت ، وكان خوف المومس ^(٢) اشد من خوف المفسر ^(٣)

وقال لا يزال الجائر مهلاً حتى يتخطى الى اركان المعارة ومباني الشريعة ، واذا اقصد ^(٤) لها تحريك عليه قيم العالم فاباده . وقال : اذا طابق الكلام نية المتكلم حرك نية السامع ، وان خالفها لم يحسن موقعه من اريد به . وقال : افضل المالك من بقي بالعدل ذكره واستمل من اتى بعده بفضائله .

وقال رجل جاهل لأفلاطون : كيف قدرت على كثرة ما تعلمت ؟ فقال : لاني افنيت من الزيت بمقدار ما افنيت انت من الشراب . وقال : عين الحب عياء عن عيوب الم محبوب .

وقال : اذا خاطبت من هو اعلم منك فجرد له الماني ، ولا تكلف ^(٥) باطالة اللفظ ولا تحسينه ؛ واذا خاطبت من هو دونك في المعرفة فابسط ^(٦) كلامك ليلحق في اواخره ما اعجزه في أوائله . وقال : الحلم لا ينسب الا الى من قدر على السطوة ، والزهد لا ينسب الا الى من ترك بعد القدرة .

وقال : العزيز النفس هو الذي يذل للفاقة . وقال : الحسن الخلق من صبر على السيئ الخلق . وقال : اشرف الناس من شرفته الفضائل ، لا من تشرف بالفضائل ، وذلك ان من كانت الفضائل فيه جوهرية فهي تشرفه ومن كانت فيه عرضية تشرف بها ولم تشرفه .

وقال : الحياء اذا توسط اوقف الانسان عما عابه ، واذا افراط اوقفه عما يحتاج اليه ، واذا قصر خلع عنه ثوب التجميل في كثير من احواله .

وقال : اذا حصل عدوك في قدرتك خرج من جملة اعدائك ، ودخل في عدة حشمك .

وقال : ينبغي للمرء ان ينظر وجهه في المرآة ، فان كان حسناً استبج ان يضيف اليه فعلاً قبيحاً ، وان كان قبيحاً استبج ان يجمع بين قبحين .

وقال : لا تصعب الشرير فان طبعك يسرق من طبعه شرراً وانت لا تدري .

وقال : اذا قامت حجبتك في المناظرة على كريم أكرمك ووقرك ، واذا قامت على خسيس عاداك واصطنعها ^(٧) عليك .

(١) لم تفلح ، واصل المعنى الفساد .

(٢) النقي

(٣) من قلت ذات يده .

(٤) اي استمر ط حليها .

(٥) فوسع .

(٦) سمه بسيطاً سهلاً .

(٧) هكذا في الاصل واصلتها اضطنعها اي طواها ط حقد . (ن . د)

وقال : من مدحك بما ليس فيك من الجليل وهو راض عنك ذمك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك .

وقال انما صار التقليد واجباً في العالم لان الضعف فيه قائم في الناس .

وقال : من تعلم العلم لقصيلته لم يوحشه كساده ، ومن تعلمه لجذواه ^(١) انصرف بانصراف الحظ عن اهله الى ما يكسبه .

وقال : ليكون خوفك من تدبيرك على عدوك اكثر من خوفك من تدبير عدوك عليك .

وقال : رب مضبوط بنعمة هي بلاؤه ، ورب محسود على حال هي داؤه .

وقال : شهوات الناس تتحرك بحسب شهوات الملك واراذه .

وقال : ما معي من فضية العلم الا علي باني لست بمالم . وقال : الامل خداع الناس . وقال : احفظ التاموس يحفظك . وقال : اذا صادقت رجلاً وجب ان تكون صديق صديقه ، وليس يجب عليك ان تكون عدو عدوه .

وقال : المشورة ترك طبع المستشار . وقال : ينبغي للمقاتل ان لا يتكسب الا بأزيد ما فيه ، ولا يتجند الا للغارب له في خلفه .

وقال : اكثر الفضائل مرةً المبادي حلوةً المواقب ، واكثر الرذائل حلوةً المبادي مرةً المواقب .

وقال : لا تستكثر من عثرة حمة عيوب الناس ، فانهم يتسقطون ^(٢) ما ضلعت عنه وينقلون الى غيرك كما ينقلون عنه اليك .

وقال:الطفر شافع المنين الى الكرماء .

وقال:ينبغي للعاظم ان يعد للامر الذي يلتمسه كل ما اوجبه الرأي في طلبه ، ولا يتكل فيه على الأسباب الخارجة عن سمية بما يدعو اليه الامل وما جرت به العادة ، فانها ليست له وانما هي للاتفاق الذي لا تثق به الحزمة .

وقيل لافلاطون : لم صار الرجل يقتني مالا وهو شيخ ؟ فقال : لان يموت الانسان فيخلف مالا لاعدائه ، خير له من ان يحتاج في حياته الى اصدقائه .

ورأى طبيباً جاهلاً فقال : هذا محب مزعج للموت .

وقال : الافراط في النصيحة يحجم بصاحبها على كثير من اللذة ^(٣) . وقال : ليس ينبغي للرجل ان يشغل قلبه بما ذهب منه ، ولكن يعتني بحفظ ما بقي عليه .

(١) لثمة رطائه .

(٢) تسقط الخير : اخذ شيئاً بعد شيء .

(٣) اللذة . (ن.د.)

وسأله ارسطوطاليس : بماذا يعرف الحكيم انه قد صار حكيمًا ؟ فقال : اذا لم يكن بما يصيب من الرأي معجباً ، ولا لما يأتي من الأمر متكلفاً ، ولم يستقره عند الذم الغضب ، ولا يدخله عند المرح النخوة . وسئل : مم ينبغي ان يحترس ^(١) ؟ فقال : من المدو القادر ، والصدوق المكدر ، والمسلط الغاضب . و سئل : اي شيء أنفع للانسان ؟ فقال : ان يعنى بتقويم نفسه أكثر من عنايته بتقويم غيره .

وقال : الشرير العالم يسره الظعن على من تقدمه من العلماء ، ويسوؤه بقاء من في عصره منهم ، لانه يجب ان لا يعرف بالعلم غيره ؛ لان الاغلب عليه شهوة الرئاسة والخيّر العالم يسوؤه ففداحد من طبعته في المعرفة ، لان رغبته في الازدياد واحياء علمه بالذاكرة أكثر من رغبته في الرئاسة والغلبة .

وقال : تكبكت ^(٢) الرجل بالذنب بعدد الفوعة ازرأه ^(٣) بالصنعة ، وانما يكون قبل هبة الجرم له .

وقال : اطلب في حياتك العلم والمال والعمل الصالح ، فان الخاصة تفضلك با تحسن ، والعامية بما تملك ، والجميع بما تعمل .

وسئل افلاطون عند موته عن الدنيا فقال : خرجت اليها مضطراً ، وعشت فيها متحيراً ، وها انا اخرج منها كارهاً ، ولم اعلم فيها الا أنني لم اعلم .

كتب افلاطون

ولفلاطون من الكتب : كتاب احتجاج سقراط على أهل اثينية ؛ كتاب فأذن في النفس ؛ كتاب السيادة المدنية ؛ كتاب طيلاوس الروماني في ترتيب العوالم الثلاثة العقلية ، التي هي عالم الربوبية وعالم العقل وعالم النفس ؛ كتاب طيلاوس الطبيعي ؛ أربع مقالات في تركيب عالم الطبيعة . - كتب يهذين الكتابين الى تلميذ له يسمى طيلاوس ، وغرض فلاطون في كتابه هذا ان يصف جميع العلم الطبيعي .

اقول وذكر جالينوس في المقالة الثامنة من كتابه ومن آراء أبقراط وفلاطون ، ان كتاب طيلاوس قد شرحه كثير من المفسرين وأطنبوا في ذلك ، حتى جاوزوا المقدار الذي ينبغي ما خلا الأقاويل الطبية التي فيه ، فانه قل من رام شرحها ، ومن رام شرحها أيضاً لم يحسن فيها كتب فيها . وجالينوس كتاب ينقسم الى أربع مقالات فسر فيه ما في كتاب طيلاوس من علم الطب .

كتاب الاقوال الافلاطونية ؛ كتاب اونقرن ؛ كتاب اقريطن ؛ كتاب قراطلس ؛ كتاب اطيطس ؛ كتاب سوفسطس ؛ كتاب فوليطيوس ؛ كتاب پرميليس ؛ كتاب فلبس ؛ كتاب ميموسين ، كتاب

(١) يتوقى .

(٢) تكتيف .

(٣) تحوير . (د.و.)

القيبيداس الاول ؛ كتاب القبيداس الثاني ؛ كتاب أبرخس ؛ كتاب ارسطو في الفلسفة ؛ كتاب
 تاجيس في الفلسفة ؛ كتاب اوفوديوس ؛ كتاب لاسخ في الشجاعة ؛ كتاب لوميس ؛ كتاب
 افروطاغورس ؛ كتاب غورجياس ؛ كتاب مانون ؛ كتابان مممينا أيبا ؛ كتاب أين ؛ كتاب
 منكسانس ؛ كتاب فليطون ؛ كتاب الفيلسفي ؛ كتاب أقرطياس ؛ كتاب ميلس ؛ كتاب أفينومس ؛
 كتاب النواميس ؛ اثنا عشر كتاباً في الفلسفة ؛ كتاب فيا ينغي ؛ كتاب في الاشياء المالية ؛ كتاب
 خرميس في اللغة ؛ كتاب فدروس ؛ كتاب التاسيات ؛ كتاب التوحيد ؛ كتاب في النفس والعقل
 والجواهر والنفس ؛ كتاب الحس واللذة ، مقالة ؛ كتاب تأديب الاحداث ووصاياهم ؛ كتاب معابة
 النفس ؛ كتاب اصول الهندسة .

ارسطوطاليس^(١)

هو ارسطوطاليس بن نيقوماخس الجراسني النيبغوري وتفسير نيقوماخس : قاهر الحشم ، وتفسير
 ارسطوطاليس : تام القضية ، حكى ذلك أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي^(٢) .

كان نيقوماخس فيثاغوري المذهب ، وله تأليف مشهور في الارثاغليطي .

قال سليمان بن حسان المعروف بابن جليل في كتابه عن ارسطوطاليس : انه كان فيلسوف الروم
 وعالمها وجهبها وحررها وخطيبها وطبيبها . قال : وكان أوحداً في الطب ، وغلب عليه علم الفلسفة .

وقال بطليموس^(٣) في كتابه الى غلس ، في سيرة ارسطوطاليس وشجره ووصيته وفهرست كتبه
 المشهورة : إنه كان أصل ارسطوطاليس من المدينة التي تسمى اسطاغيرا^(٤) ، وهي من البلاد التي يقال
 لها خلقيديق^(٥) مما يلي بلاد تراقية^(٦) بالقرب من اولنث وماثوني ، وكان اسم امه افسطيا . قال : وكان
 نيقوماخس ابو ارسطوطاليس طبيباً امنطس أبي فيليس ، وفيليس هذا هو أبو الاسكندر الملك ،
 وكان نيقوماخس يرجع في نسبه الى اسقليبيوس ، وكان اسقليبيوس هذا أباً ماثاون ، وماثاون ابو
 اسقليبيوس ، وكان اصل امه افسطيا يرجع في النسبة ايضاً الى اسقليبيوس .

(١) فيلسوف يوناني ولد في اسطاغيرا Stagire في مقدونيا . ترك مؤلف وصديق الاسكندر الكبير . وهو مؤسس
 الدورة المشائية Peripatéticenne (٣٨٤ - ٣٢٢ ق ، م) .

(٢) مؤرخ وجغرافي عربي نشأ في بغداد .

(٣) فلكي يوناني ولد في مصر في القرن الثاني بعد المسيح وقد سادت نظريته في الرقبات الهندسة في المصور الوسطى وهو
 الذي حد مكان الارض في مركز نصف الكون وقال بأنها ثابتة ولكن نظريته هذه قُبلت رأساً على عقب من قبل كوبرنيك .

(٤) مدينة في مقدونيا هي موطن ارسطو .

(٥) خلقيديق : شبه جزيرة في شبه جزيرة البلقان بين خليج البوسفور واورقاف .

(٦) قديماً للبلاد الأوروبية شمالي اليونان . (د . و)

ويقال انه لما توفي نيقوماخس ابوه اسلمه برقسانس ، وكيل ابيه ، وهو حدث لافلاطن .
وقال بعض الناس ان اسلام ارسطوطاليس الى افلاطن انما كانت يوسي من الله تعالى في هيكل
برثيون ^(١) .

وقال بعضهم بل انما كان ذلك لصداقة كانت بين برقسانس وبين فلاتن . ويقال انه لبث في التعلم
عن افلاطن عشرين سنة وانه لما عاد افلاطن الى سقلية في المرة الثانية كان ارسطوطاليس خليفته على
دار التعلم المسماة أكاديمية ، وانه لما قدم افلاطن من سقلية انتقل ارسطوطاليس الى لوقيوت واتخذ
هناك دار التعلم المنسوبة الى الفلاسفة المشائين . ثم لما توفي فلاتن سار الى ارمياس الخادم الوالي
على أتروس ، ثم لما مات هذا الخادم رجع الى أثينس وهي التي تعرف بمدينة الحكماء ، فأرسل اليه
فيلبس قسار الى مقدونيا فلبث بها يعلم الى ان تجاوز الاسكندر بلاد راسيا ، ثم استخلف في
مقدونيا قلسثانس ، ورجع الى اثينا واقام في لوقيوت عشر سنين .

ثم ان رجلا من الكهنة الذين يسمون الكريين يقال له اوروماذن اراد السعاية بارسطوطاليس ونسبه
الى الكفر ، وانه لا يعظم الاصنام التي كانت تعبد في ذلك الوقت ، بسبب ضعف ^(٢) كان في نفسه عليه .
وقد قص ارسطوطاليس هذه القصة في كتابه الى أنطيطوس - فلما احس ارسطوطاليس بذلك شخص
عن اثينا الى بلاده وهي خلقيدتي ، لانه كره ان يبثلى اهل أثنية من امره بمثل الذي ابتلوا في أمر
سقراطيس معلم افلاطن حتى قتله . وكان شغوفه من غير ان يكون احداً اجترأ به ، الى أي شخص
على قبول كتاب الكبري وقرفه او ان يناله بكروه . وليس ما يحكى عن ارسطوطاليس من الاعتذار
من قرف الكبري اياه بحق ، ولكنه شيء موضوع على لسانه ولما صار ارسطوطاليس الى بلاده اقام بها
بقية عمره ، الى ان توفي وهو ابن ثمان وستين سنة .

قال : وقد يستدل بما ذكرناه على بطلان قول من يزعم انه انما نظر في الفلسفة بعد ان
أثت عليه ثلاثون سنة ، وانه انما كان الى هذا الوقت يلي سياسة المدن لمنابته التي كانت باصلاح
أمر المدن .

ويقال ان اهل اسطاغيرا تناولوا بدننه من الموضوع الذي توفي فيه ^(٣) اليهم ، وصبروه في الموضوع
المسمى الارسطوطاليسي ، وصبروا مجتمهم للشاورة في جلائل الامور وما يجزئهم في ذلك الموضوع .
وكان ارسطوطاليس هو الذي وضع سنن اسطاغيرا لأهلها ، وكان جليل التقدير في الناس . ودلائل
ذلك بينه من كرامات الملوك الذين كانوا في عصره له . فاما ما كان عليه من الرغبة في اصطناع المعروف
والمنابة بالأحسان الى الناس فذلك بين من رسائله وكتبه ، وما يقف عليه الناظر فيها من كثرة قسطه

* هكذا في الاصل واطن انه معبد بارثينون وهو هيكل مينرفا في اثينا .

(١) الحقد (٢) انه يدعى قاتليس وهو في جزيرة من جزر الأرخبيل تدعى اليوم تكريبتون Negrepoint وقديما أربي
وعاليكارن ، وادريب .

للأمور فيما بين ملوك دهره وبين العوام فيما يصلح به أمورهم ويحتل به المنافع اليهم .

ولكثره ما عقد من المن والاحسان ، في هذا الباب ، صار اهل أثينية الى ان اجتمعوا وتماقدوا على ان كتبوا كتاباً نقشوه في عمود من الحجارة ، وصيروه على البرج العالي الذي في المدينة . وذكروا فيما كتبوا على ذلك العمود ان ارسطوطاليس بن نيقوخامس الذي من أهل أسطاغيرا قد استحق بما كان عليه من اصنطاع المعروف وكثرة الايادي والمن ، وما يخص به أهل اثينية من ذلك ، ومن قيامه عند فيليبس^(١) الملك بما اصلح شأنهم وبلغ به الاحسان اليهم ، ان يتبين صناعة أهل أثينية عليه يجميل ما أتى من ذلك ، ويقروا له بالفضل والرياسة ، ويوجبوا له الحفظ والحياطة . وأهل الرئاسات فيهم هو نفسه وعقبه من بعده ، والقيام لهم بكل ما التمسوه من حوائجهم وامورهم .

وقد كان رجل من اهل اثينية يقال له ايماروس بعد اجتماع اهل اثينية على ما اجتمعوا عليه من هذا الكتاب شذ عن جماعتهم ، وقال بخلاف قولهم في امر ارسطوطاليس ، وثب على العمود الذي كان قد اجتمع اهل اثينية على ان كتبوا فيه ما كتبوا من الثناء ونصبوه في الموضع الذي يسمى اعلى المدينة ، فرمى به عن موضعه ، فظفر به ، بعد ان صنع ما صنع ، أنطينوس فقتله .

ثم ان رجلاً من اهل اثيلية يسمى اصطفانوس وجماعة معه عمدوا الى عمود حجارة فكتبوا فيه من الثناء على ارسطوطاليس شيئاً بما كان على العمود الاول ، وأثبتوا مع ذلك ذكر ايماروس الذي رمى بالعمود وفعله ما فعل ، وأوجبوا لعنه والبراءة منه .

ولما مات فيلبس وملك الاسكندر بعده وشخص عن بلاده لمحاربة الامم ، وحاز بلاد آسيا ، صار ارسطوطاليس الى التبتل^(٢) ، والتخفي عما كان فيه من الاتصال بأمور الملوك والملابسة لهم ، وصار الى اثينية فيها موضع التعليم ، الذي ذكرناه فيما تقدم ، وهو المنسوب الى الفلاسفة المشائين . واقبل على العناية بمصالح الناس ورغد^(٣) الضعفاء واهل المفاقة ، وتزويج الايامى ، وعول^(٤) اليتامى والعناية بتربيتهم ، ورغد المتمسكين للتعليم والتأديب من كانوا ، وأي نوع من العلم والادب طلبوا ، ومعونتهم على ذلك وانهاضهم ، والصداقات على الفقراء ، واقامة المصالح في المدن . وجدد بناء مدينته وهي مدينة اسطاغيرا ، ولم يزل في الغاية من لين الجانب والتواضع وحسن اللقاء للصغير والكبير والقوي والضعيف .

واما قيامه بأمور اصديقاته فلا يوصف ، ويدل على ذلك ما كتبه اصحاب السير واتفقهم جميعاً على ما كتبه من خبر ارسطوطاليس وسيرته . وقال الامير المبشر بن فائق في كتابه مختار الحكم وعامان الكلم : ان ارسطوطاليس لما بلغ ثمانين سنين حمله ابيه الى بلاد أثينية ، وهي المعروفة ببلاد الحكماء ، واقام في لوقيين منها فضمه ابيه الى الشعراء والبلغاء والنحويين . فاقام متعلماً منهم تسع سنين ، وكان اسم

(١) هو والد الاسكندر الكبير وملك مقدونيا .

(٢) الانقطاع الى الله تعالى . (٣) اعانة واعطاء . (٤) كثرة ماشهم .

هذا العلم عندهم المحيط ، أعني علم اللسان لحاجة جميع الناس اليه ، لأنه الاداة والمرافق الى كل حكمة وفضية ، والبيان الذي يتحصل به كل علم . وأن قوماً من الحكماء ازرؤا بعلم البلغاء واللغويين والنحويين وغنوا المتشاغلين به ، منهم أبيقورس وفيناغورس ، وزعموا انه لا يحتاج الى علمهم في شيء من الحكمة لان النحويين معلو الصبيان ، والشعراء اصحاب الباطيل وكذب ، والبلغاء اصحاب تحمل^(١) ومحابة ومراء .

فلما بلغ ارسطوطاليس ذلك ادركته الحفيظة^(٢) لهم ، ففاضل عن النحويين والبلغاء والشعراء واحتج منهم ، وقال انه لا غنى للحكمة عن علمهم لان المنطق اداة لعلمهم وقال : « ان فضل الانسان على البهائم بالمنطق . فاحسنهم بالانسية ابلهم في منطقهم وأوصلهم الى عبارة ذات نفس ، وأوضحهم لمنطقهم في موضعه ، واحسنهم اختياراً لاوجزه واعذبه . ولأن الحكمة اشرف الاشياء فيلبيغي ان تكون العبارة عنها بأحكم المنطق وأفصح اللهجة ، واوزج اللفظ الأبعد عن الدخّل^(٣) ، والزلل^(٤) ، وسماحة المنطق وقبح اللكنة والعي ، فان ذلك ينهب بنور الحكمة ، ويقطع عن الاداء ، ويقصر عن الحاجة ، ويلبس^(٥) على المستمع ، ويفسد المعاني ، ويورث الشبهة » .

فلما استكمل علم الشعراء والنحويين والبلغاء واستوعبه قصد الى العلوم الاخلاقية والسياسية والطبيعية والتعليمية والالهية ، وانقطع الى افلاطون وصار تلميذاً له ومتعلماً منه ، وله يومئذ سبع عشرة سنة .

قال المبشر بن فاكك : « وكان افلاطون يجلس فيستدعي منه الكلام فيقول : حتى يحضر الناس . فاذا جاء ارسطوطاليس قال تكلموا فقد حضر الناس . وربما قال حتى يحضر العقل ، فاذا حضر ارسطوطاليس قال تكلموا فقد حضر العقل » . قال : « ولما توفي ارسطوطاليس نقل اهل اسطاغيرا رثته^(٦) بعدما بليت ، وجموا عظامه وصيروها في اثم من نحاس ودفنوها في الموضع المعروف بالأرسطوطاليسي ، وصيره مجماً لهم يجمعون فيه للشاورة في جلائل الامور وما يجزئهم ، ويستريحون الى قبره ويستكنون الى عظامه ، فاذا صعب عليهم شيء من فنون العلم والحكمة آثروا^(٧) بذلك الموضع وجلسوا اليه ، ثم تناظروا فيما بينهم حتى يستنبطوا ما اشكل عليهم ، ويصح لهم ما شجر^(٨) بينهم . وكانوا يرون ان مجيئهم الى ذلك الموضع الذي فيه عظام ارسطوطاليس يذكي عقولهم ، ويصح فكرهم

(١) الحديقة والكبد .

(٢) الحية طومة عتاك .

(٣) اللب .

(٤) الخطأ .

(٥) يتنلط ويغنى .

(٦) المظام البالية .

(٧) قصصوا .

(٨) شجر بينهم الامر : تنازعوا .

ويلطف اذنانهم . وأيضاً تعظيماً له بعد موته ، وأسفاً على فراقه ، وحزناً لاجل الفجعة به ومما قدوده من يتابع الحكمة .

وقال المسعودي ^(١) في كتاب «المسالك والممالك»: ان المدينة الكبرى التي تسمى بالرم ^(٢) من جزيرة صقلية فيها مسجد الجامع الاكبر ، وكان بيعة للروم ، فيه هيكل عظيم : قال : « وسمعت بعض المتطفيين يقول ان حكيم يونان يعني ارسطوطاليس في خشبة معلق في هذا الهيكل الذي قد اتخذوه المسكون مسجداً ، وان النصراني كانت تعظم قدره وتستشفي به لما شاهدت اليونانية عليه من اكباره واعظامه ، وان السبب في تعليق بين السماء والارض ما كان الناس يلاقونه عند الاستشفاء والاستعلاء والامور المهمة التي توجب الفرز الى الله تعالى والتقرب اليه في حين الشدة والحلقة وعند وطء بعضهم لبعض » . قال المسعودي : « وقد رأيت هناك خشبة عظيمة يوشك ان يكون القبر فيها » .

وقال المبشر بن فاتك : وكان ارسطوطاليس كثير للتلاميذ من الملوك وابتناء الملوك وغيرهم ، منهم ثاوفرسطس ، وانتيوس ، والاسكندروس الملك ، وارمينوس ، واسخولوس ، وغيرهم ممن الافاضل المشهورين بالعلم ، المبرزين في الحكمة ، المعروفين بشرف النسب . وقام من بعده ليعلم حكمته التي صنفها وجلس على كرسيه وورث مرتبته ابن خالته ثاوفرسطس ، ومعه رجلان يعبثانه على ذلك ويؤازرانه ، يسمى احدهما ارمينوس والآخر اسخولوس ، وصنفوا كتباً كثيرة في المنطق والحكمة . وخلف من الولد ابناً صغيراً يقال له نيقوماخس وابنة صغيرة ايضاً ، وخلف مالا كثيراً وعبيداً واماء كثيرة وغير ذلك .

قال : « وكان ارسطوطاليس ابيض اجلع قليلاً ، حسن القامة ، عظيم العظام ، صغير العينين ، كث اللحية ، اشهل ^(٣) العينين اقنى ^(٤) ، الانف صغير الفم ، عريض الصدر ، يسرع في مشيته اذا خلا ويبطئ اذا كان مع اصحابه ، ناظراً في الكتب دائماً لا يجدي ، ويقف عند كل كلمة ، ويطيل الاطراق عند السؤال ، قليل الجواب يتنقل في اوقات النهار في الفياضي ولحو الانهار ، محباً لاستماع الاطيان والاجتماع باهل الرياض واصحاب الجدل ، منصفاً من نفسه اذا خصم ، معارفاً بموضع الاصابة والخطأ ، متدلاً في الملابس والمأكول والمشارب والمتاكح والحركات ، بيده آلة النجوم والساعات . »

وقال حنين بن اسحق في كتاب «فرادير الفلاسفة والحكماء»: كان متقوفاً على فص خاتم ارسطوطاليس: « الْمُتَكَبِّرُ لَا يَتَعَلَّمُ مِنْ الْقُرَى بِمَا يَعْلَمُ » .

-
- (١) مؤرخ وجغرافي نشأ في بغداد وطاف معظم آسيا وأفريقيا و توفي سنة ٩٠٦ .
(٢) عاصمة صقلية فيها آثار يونانية وعربية .
(٣) سواد يشوب زرقة العينين .
(٤) الانف الاقنى : الرقعة وسط القلبة الضيق المنفرج .

وقال الشيخ ابو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام المنطقي في تاليفه : ان ثيوفرسطس كاتب وصي
ارسطوطاليس ، وان ارسطوطاليس عمر احدى وستين سنة . قال : « واما افلاطون فانه عمر كثير » .
وقال ابن التميمي ^(١) البغدادي الكاتب في « كتاب الفهرست » : « ان ارسطوطاليس توفي وله ست
وستون سنة » .

ومن خط اسحق ولفظه : « عاش ارسطوطاليس سبعا وستين سنة . »

وقال القاضي ابو القاسم صاعد بن احمد بن صاعد في كتاب « التعريف بطبقات الامم » : « ان
ارسطوطاليس انتهت اليه فلسفة اليونانيين ، وهو خاتم حكمائهم وسيد علمائهم ، وهو اول من خلص
صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية ، وصورها بالاشكال الثلاثة ، وجعلها آلة للعلوم النظرية
حتى لقب بصاحب المنطق . وله في جميع العلوم الفلسفية كتب ثمينة كلية وجزئية . فالجزئية رسائله
التي يتعلم منها معنى واحد فقط ، والكلمية بعضها تذاكير يتذكر بقراءتها ما قد علم من علمه ، وهي
السبعون كتابا التي وضعها لافارس ، وبعضها تعاليم يتعلم منها ثلاثة اشياء ، احدها علوم الفلسفة ، والثاني
احمال الفلسفة ، والثالث الآلة المستعملة في علم الفلسفة وغيره من العلوم .

فالكتب التي في علوم الفلسفة بعضها في العلوم التعليمية ، وبعضها في العلوم الطبيعية . وبعضها في
العلوم الالهية .

فاما الكتب التي في العلوم التعليمية ، فكتابه في المناظر ، وكتابه في الخطوط ، وكتابه في الحيل .
واما الكتب التي في العلوم الطبيعية فمنها ما يتعلم منه الامور التي تعم جميع الطبائع ، ومنها ما
يتعلم منه الامور التي تخص كل واحد من الطبائع .

فالتي يتعلم منها الامور التي تعم جميع الطبائع هي كتابه المسمى بسمع الكيان ، فهذا الكتاب
يعرف بمدد المبادئ لجميع الاشياء الطبيعية ، والاشياء التي هي كالمبادئ ، والاشياء التوالية للمبادئ ،
والاشياء المشاكلة للتوالي . اما المبادئ ، فالمنصر والصورة ، واما السمي كالمبادئ فليست مبادئ
بالحقيقة بل بالتقريب كالمدم ، واما التوالي فالزمان والمكان . واما المشاكلة للتوالي فالخلاء ، الملاء وما
لا نهاية له .

واما التي يعلم منها الامور الخاصة لكل واحد من الطبائع فبعضها في الاشياء التي لا كون لها ،
وبعضها في الاشياء المكونة .

اما التي في الاشياء التي لا كون لها فالاشياء التي تتعلم من المقاتلين الاوليتين من كتاب السهام والعمال .
واما التي في الاشياء المكونة فبعض علمها عامي ، وبعضها خاصي .

(١) ولد في بغداد وعاش فيها . وكان من المتزعة تماطى مهنة الكتي ار الرقاق لقب بالوراق ، له « الفهرست » وهو
يحوي فهرس العلوم القديمة وتسايف اليونان والفرس والمهند الموجود منها بلغة العرب .

والعامي بعضه في الاستحالات ، وبعضه في الحركات .

اما الاستحالات ففي كتاب الكون والفساد ، واما الحركات ففي المقاتلين الآخرين من كتاب السهام والعالم .

واما الخاص في بعضه في البسائط ، وبعضه في المركبات . اما الذي في البسائط ففي كتاب الآثار العلوية ، واما الذي في المركبات فبعضه في وصف كليات الاشياء المركبة ، وبعضه في وصف أجزاء الاشياء المركبة .

أما الذي في وصف كليات المركبات ففي كتاب الحيوان ، وفي كتاب النبات .

واما الذي في وصف أجزاء المركبات ففي كتاب النفس ، وفي كتاب الحس والمحسوس ، وفي كتاب الصحة والسقم ، وفي كتاب الشباب والمهرم .

واما الكتب التي في العلوم الالهية فمقالاته الثلاث عشرة التي في كتاب ما بعد الطبيعة .

واما الكتب التي في اعمال الفلسفة فبعضها في اصلاح اخلاق النفس ، وبعضها في السياسة .

فاما التي في اصلاح اخلاق النفس فكتابه الكبير الذي كتب به الى ابنه ، وكتابه الصغير الذي كتب به الى ابنه ايضا ، وكتابه المسمى اوديبا .

واما التي في السياسة فبعضها في سياسة المدن ، وبعضها في سياسة المنزل .

واما الكتب التي في الآلة المستمرة في علوم الفلسفة فهي كتبه الثانية المتطابقة التي لم يسبقه احد من علمائه الى تأليفها ، ولا تقدمه الى غيرها . وقد ذكر ذلك ارسطوطاليس في آخر الكتاب السادس منها ، وهو كتاب سوفسطيكا . فقال :

« واما صناعة المنطق وبناء السالوجسوس فلم نجد لها فيما خلا اصلاً متقدماً نبني عليه ، لكننا وقفنا على ذلك بعد الجهد الشديد والتعب الطويل . وهذه الصناعة وان كنا نحن ابتدعناها ^(١) ، واخترناها فقد حصنا جهتها ورمنا ^(٢) اصولها ، ولم نفقد شيئاً مما ينبغي ان يكون موجوداً فيها كما فقدت أوائل الصناعات ، ولكنها كاملة مستحكمة مثبتة اساسها مرموقة قواعدها ، وثيق بنيانها ، معروفة غاياتها واضحة اعلامها ، قد قدمت امامها اركاناً مهددة ودعائم موطدة . فمن عسى ان ترد عليه هذه الصناعة بمدناً فليفتخر خلا ان وجدد فيها ، وليعتد ^(٣) بما بلغت الكلفة منا اعتداده بالنة العظيمة واليد الجليلة ، ومن بلغ جهده بلغ علوه . »

وقال ابو نصر الفارابي : ان ارسطوطاليس جعل اجزاء المنطق ثمانية كل جزء منها في كتاب :

الاول : في قوانين المفردات من المقولات والالفاظ الدالة عليها ، وهي في الكتاب الملقب في العربية بالمقولات وباليونانية القاطاغورياس .

(١) انشا وخلق (٢) اصلح (٣) اصل اعتد : تروا معنا بمنى الالتفات والاعجاب والتباهي .

والثاني : في قوانين الالفاظ المركبة التي هي المقولات المركبة من معقولين مفردين ، والألفاظ الدالة عليها المركبة من لفظين ، وهي في الكتاب الملقب في العربية بالعبارة وبال يونانية بإرمينياس .

والثالث : في الاقاويل التي تميز بها القياسات المشتركة للصنائع الحس ، وهي في الكتاب الملقب في العربية بالقياس وبال يونانية بالوطيقا الاولى .

والرابع : في القوانين التي تمتحن بها الاقاويل البرهانية ، وقوانين الامور التي تلتئم بها الفلسفة ، وكل ما يصير بها افعالها اتم وافضل واكمل ، وهو بالعربية كتاب البرهان وبال يونانية بالوطيقا الثانية .

والخامس : في القوانين التي تمتحن بها الاقاويل ، وكيفية السؤال الجدي والجواب الجدي ، وبالجملة ، قوانين الامور التي تلتئم بها صناعة الجدل ، وتصير بها افعالها اكمل وافضل وانفذ وهو بالعربية كتاب المواضع الجدلية وبال يونانية طويقا .

والسادس : في قوانين الاشياء التي شأنها ان تغلط عن الحق وتحيد . وأحصى جميع الامور التي يستعملها من قصده التنويه ^(١) والخرقة ^(٢) في العلوم والاقاويل ، ثم من بعد ما أحصى ما ينبغي ان تنتفي به الاقاويل المغلطة التي يستعملها المستمع والموه ، وكيف يفتح وبأي الاشياء يوقع ، وكيف يتحرز الانسان ومن أين يغلط في مطاويله ، وهذا الكتاب يسمى باليونانية سوفسطيقا ومعناه الحكمة الموهة .

والسابع : في القوانين التي يمتحن بها الاقاويل الخطبية ، وأصناف الخطب واقاويل البلاء والخطباء ، هل هي على مذهب الخطابة ام لا ؟ ويحصى فيها جميع الامور التي بها تلتئم صناعة الخطابة ، ويعرف كيف صنعة الاقاويل الخطبية والخطب في فن من الأمور ، وبأي الاشياء تصير أجود وأكمل وتكون افعالها أنفع وأبلغ . وهذا الكتاب يسمى باليونانية الريطورية وهي الخطابة .

والثامن : في القوانين التي يشير بها الاشعار وأصناف الاقاويل الشعرية المعمولة والتي تعمل من فن فن من الأمور ، ويحصى أيضاً جميع الامور التي بها تلتئم صناعة الشعر ، وكما اصنافها ؟ وكما اصناف الاشعار والاقاويل الشعرية ؟ وكيف صنعة كل صنف منها ، ومن أي الاشياء تلتئم وتصير أجود وأفهم ، وبأي آلة ؟ وبأي الاحوال ينبغي ان تكون حتى تصير أبلغ وأبعد ؟ . وهذا الكتاب يسمى باليونانية فويطيقا ، وهو كتاب الشعر .

فهذه جملة اجزاء المطلق وجملة ما يشتمل عليه كل جزء منها ، والجزء الرابع هو اشدهما تقدماً لشرف والرامة . والمنطق اما التمس به على القصد الأول الجزء الرابع ، وباقى اجزائها انما تحمل لأجل الرابع . فان الثلاثة التي تتقدمه في ترتيب التعطيل هي توطئات ومداخل وطرق اليه ، والأربعة الباقية التي تتلوها فليشتين : احدهما ان في كل واحد منها ارفاداً ما ومعمونة على الجزء الرابع ومعمونة بعضها اكثر وبعضها أقل .

(١) التندليس وهو الاتيان بشئ الراهن من الحديث او العمل . (٢) الكذب والاختلاق .

والثاني على جهة التحديد ، وذلك انها لو لم تتميز هذه الصنائع بعضها من بعض بالفعل ، حتى تعرف قوانين كل واحد منها على انفرادها متميزة عن قوانين الاخرى لم يأمن الانسان ، عند التماس الحق واليقين ، ان يستعمل الاشياء الجدلية من حيث لا يشعر انها جدلية فيعدل من اليقين الى الظنون القوية ، ويكون قد استعمل من حيث لا يشعر اموراً خطية ، فيعدل به الى الاقناع ، او يكون قد استعمل المغالطات من حيث لا يشعر . واما ان قومه فيها ليس يحق انه حق فيعتقد ، واما ان يكون قد استعمل الاشياء الشعرية من حيث لا يشعر أنها شعرية ، فيكون قد عمل في اعتقاداته على التخيلات ، وعند نفسه انه سلك في كل هذه الاقوال الطريق الى الحق وصادف متفلسه ، فلا يكون صادقاً على الحقيقة . كما ان الذي لا يعرف الأزمنة والأدوية ولا تتميز له السموم عن هذه بالفعل ، حتى يتقن معرفتها بعلاماتها ، لم يأمن ان يتناولها على انها داء او دواء ، من حيث لا يشعر ، فيتلف .

وأما على القصد الثاني فانه يكون قد اعطى كل صناعة من الصنائع الاربع جميع ما تلتزم به تلك الصناعة ، حتى يدري الانسان اذا اراد ان يصير جديلاً بارعاً كم شيء يحتاج الى تعلمه ، ويدري بأي شيء يتحتم ، على نفسه او على غيره ، اقاويله . ولعلم هل سلك فيها طريق الجدل . ويدري اذا اراد ان يصير خطيباً بارعاً كم شيء يحتاج الى تعلمه ، ويدري بأي الاشياء يتحتم ، على نفسه او على غيره ، اقاويله ، ويعلم هل سلك في ذلك طريق الخطابة او اي طريق غيرها . وكذلك يدري اذا اراد ان يصير شاعراً بارعاً كم شيء يحتاج الى تعلمه ، ويدري بأي الاشياء يتحتم ، على نفسه او على غيره ، من الشعر ، ويدري هل سلك في اقاويله طريق الشعراء او عدل عنه وخطب به طريقاً غيره . وكذلك يدري اذا اراد ان تكون له القدرة على ان يغالط غيره ولا يغالطه احد ، كم شيء يحتاج الى ان يعلمه فيدري بأي الاشياء يمكن ان يتحتم كل قول ، وكل رأي ، فيعلم هل غالط فيه او غلط ، ومن اي جهة كان ذلك .

وصية أرسطوطاليس

قال بطليموس في كتابه الى غلس في سيرة ارسطوطاليس : ولما حضرت ارسطوطاليس الوفاة اوصى بهذه الوصية التي نحن ذاكروها قال :

« اني جعلت وصي ابدأ في جميع ما خلفت انطيطرس ، والى ان يتقدم نيقار ، فليكن ارسطومانس وطلرخس وايرخس ودیوطالس معتقدين بتفقد ما يحتاج الى تفقده والمنايا بما ينبغي ان يعنى به من امر أهلي واريلس جاريتي وسائر جوارتي وعبيدي وما خلفت ، وان سئل على ثورسوس وامكنه القيام معهم في ذلك كان معهم ، ومتى ادركت ابنتي تولى امرها نيقار ، وان حدث بها حدث الموت قبل ان تزوج او بعد ذلك من غير ان يكون لها ولد فالامر مردود الى نيقار

في امرها وفي امر ابني تيقوما خس .

«وقصتي اياه في ذلك ان يجري التدبير فيها يعمل به في ذلك على ما يشتهي وما يليق به لو كانت ابا او اخا لها ، وان حدث بنفقات حدث الموت . قبل ان تزوج ابنتي او بعد تزويجها من غير ان يكون لها ولد فاوصى بنفقات فيها خلقت وصية فهي جائزة فافذة . وان مات بنفقات عن غير وصية وسهل على ثاوفرسطس وأحب ان يقوم في الامر مقامه ، فذلك له في جميع ما كان يقوم به بنفقات من امر ولدي وغير ذلك بما خلقت ، وان لم يحب ثاوفرسطس القيام بذلك فليرجع الاوصياء الذين سميت الى انطيطرس ، فيشاوروه فيها يعملون به فيها خلقت ، ويمضوا الامر على ما يتفقون عليه . وليحفظني الاوصياء وبنفقات في أربليس فانها تستحق مني ذلك ، لما رأيت من عنائتها بخدمتي واجتهادها فيها واقفي ويوشوا لها جميع ما تحتاج اليه وان هي احبت التزويج فلا توضع إلا عند رجل فاضل . وليدفع اليها من الفضة ، سوى ما هو لها ، طانتون واحد وهو مائة وخمس وعشرون رطلا ، ومن الاماء ثلاث ممن تختار مع جاريتها التي لها وغلماها ، وان هي احبت المغام بمغلقيس فلها السكنى في داري دار الضيافة التي الى جانب البستان ، وان اختارت السكنى في المدينة باسطاغيرا فلتسكن في منازل آياتي ، واي المنازل اختارته فليتخذ الاوصياء لها فيه ما تذكر انها تحتاج اليه بما يرون ان لها فيه مصلحة وبها اليه حاجة .

«اما اهلي وولدي فلا حاجتي الى ان اوصيهم بأمرهم . ولين نفقات يرمقس الغلام حتى يرد الى بلده ، ومعه جميع ما له على الحالة التي يشتهيها . ولتعتق جاريتي امبرافيس ، وان هي بعد العتق اقامت على خدمة ابنتي الى ان تزوج فليدفع اليها خمسمائة درخمي وجاريتها . ويدفع الى فاليس الصبية التي ملكناها قريبا غلام من ممالكنا والف درخمي ، ويدفع الى سميلس ثمن غلام يبتاعه لنفسه غير الغلام الذي كان دفع اليه ثمنه ، ويهرب له سوى ذلك شيء على ما يرى الاوصياء » .

«ومتى تزوجت ابنتي فليستق غلفاني غلفان وفيلن والجبوس ، ولا يباع ابن والجبوس ولا احد من خدمتي من غلفاني ولكن يقرون بماليك في الخدمة الى ان يدركوا مدرك الرجال ، فاذا بلغوا ذلك فليمتقوا ويفعل بهم فيما يهرب لهم حسب استحقاقهم » .

قال حنين بن اسحق في كتاب «نوارد الفلاسفة» : « اصل اجتماعات الفلاسفة انه كانت الملوك من اليونانية وغيرها تعلم اولادها الحكمة والفلسفة ، وتوذيهم بأصناف الآداب وتتخذ لهم بيوت النصب المصورة بأصناف الصور . وانما جعلت الصور لارتياح القلوب اليها واشتياق النظر الى رؤيتها . فكان الصبيان يلازمون بيوت الصور للتأديب بسبب الصور التي فيها ، وكذلك نقش اليهود هياكلها وصورت النصارى كتابتها ويصنعها^(١) وزرق الملون مساجدهم . كل ذلك لفتح النفوس اليها وتشتغل القلوب بها . فاذا حفظ المتعلم من اولاد الملوك علما او حكمة او ادبا صعد على درج الى مجلس

(١) السبد تصادى واليهود .

معمول من الرخام المصور النقوش ، في يوم العيد الذي يجتمع فيه اهل المملكة الى ذلك البيت بعد اقتضاء الصلاة والتبرك قيتكم بالحكمة التي حفظها وينطق بالأدب الذي وعاه على رؤوس الاشهاد في وسطهم ، وعليه التاج وحلل الجواهر ، ويحيي الملم ويكرم ويبر ، ويشرف الفلام . وبعد حكيماً على قدر ذكائه وقهه . وتعلم الهياكل وتستر ويشعل فيها النيران والشمع ، وتبخر بالنسج الطيبة ، ويتزين الناس بأفراح الزينة . وبقي ذلك الى اليوم للصائبة والمجوس واليهود والنصارى اثباتات في الهياكل ، وللمسلمين منابر في المساجد .

قال حنين بن اسحق : « وكان افلاطون المعلم الحكيم في زمن روفسطانيس الملك ، وكان اسم ابنه نطافورس . وكان ارسطوطاليس غلاماً يتبعه قد سمى به اسمه الى خدمة افلاطون الحكيم ، فاتخذ روفسطانيس الملك بيتاً للحكمة ، وفرشه لابنه نطافورس ، وأمر افلاطون بلامته وتعليمه . وكان نطافورس غلاماً متخلفاً قليل الفهم بطيء الحفظ . وكان ارسطوطاليس غلاماً ذكياً فهدأ جاداً معبراً ، وكان افلاطون يعلم نطافورس الحكمة والاداب ، فكان ما يتعلمه اليوم ينساه غداً ولا يعبر حرفاً واحداً . وكان ارسطوطاليس يتلف ما يلقى الى نطافورس فيحفظه ويرسخ في صدره ويعي ذلك سرّاً عن افلاطون ويحفظه . وافلاطون لا يعلم بذلك من امر ارسطوطاليس وظهيرة ، حتى اذا كان يوم العيد زين بيت الذهب وأليس نطافورس الحلي والحلل ، وحضر الملك روفسطانيس واهل المملكة وافلاطون وتلاميذه ، وانقضت الصلاة وصعد افلاطون الحكيم ونطافورس الى مرتبة الشرف ودراسة الحكم ، على الاشهاد والمواك ، فلم يؤد الفلام نطافورس شيئاً من الحكمة ولا نطق يحرف من الاداب ، فأسقط في يد افلاطون واعتذر الى الناس بأنه لم يتعن عله ولا عرف مقدار فهمه ، وانه كان واقفاً بحكته وفطنته . ثم قال : « يا معشر التلامذة ان فيكم بضلع مجفط شيء من الحكمة وينوب عن نطافورس ؟ » فبدر ارسطوطاليس فقال : انا ايها الحكماء انا فازدره ولم يأذن له في الكلام . ثم اعاد القول على تلامذته ، فبدر ارسطوطاليس فقال : انا يا معلم الحكمة اضطلع بما ألفت من الحكمة الى نطافورس . فقال له ارق ! فرقي ارسطوطاليس الدرج بغير زينة ولا استعداد في اوابه الدنيئة المبتذلة ، فهدر كما يهدر الطير ، وأتى بأفراح الحكمة والادب الذي الفاه افلاطون الى نطافورس ولم يترك منها حرفاً واحداً . فقال افلاطون : « ايها الملك هذه الحكمة التي لفتنتها نطافورس قد وعاه ارسطوطاليس سرقة وحفظها سرّاً ، ما غادر منها حرفاً ، فها حيلتي في الرزق والحرمات » . وكان الملك في مثل ذلك اليوم يرشح ابنه للملك ويشرفه ويعي مرتبته ، فأمر الملك باصطناع ارسطوطاليس ولم يرشح ابنه للملك . وانصرف الجميع في ذلك اليوم على استحسان ما اتى به ارسطوطاليس ، وللتعجب من الرزق والحرمات » .

مقالة ارسطوطاليس

قال حنين بن اسحق : هذا بعض ما وجدت من حكمة ارسطوطاليس في ذلك اليوم :

« لبارتنا التقديس والاعظام والاحلال والاكرام . ايا الاشهاد ، العلم موهبة الباري ، والحكمة عطية من يعطي ويتع ويحيط ويرفع . والتفاضل في الدنيا والتفاخر في الحكمة التي هي روح الحياة وعمادة العقل الرباني المولي .

« انا ارسطوطاليس بن فيلوبيس اليتيم خادم نطافسورس ابن الملك العظيم ، حفظت ووعيت ، والتسبيح والتقديس لمعلم الصواب ومسبب الاسباب اياها الاشهاد ، بالمقول تتفاضل الناس لا بالاصول :

وعيت عن افلاطون الحكيم : « الحكمة رأس العلوم » والاداب تلقح الافهام وتنتج الاذهان . وبالفكر الثاقب يدرك الرأي العاذب ^(١) ، وبالتالي تسهل المطالب ، ويلين الكلم تدوم المودة في الصدور . وبخفض الجناح تتم الأمور ، وبسمة الاخلاق يطيب العيش ويكمل السرور . وبمحسن الصمت جلالة الهيبة ، وبصاغة المنطق يعظم القدر ويرتقي الشرف ، وبالاتصاف يحب التواصل ، وبالتواضع تكثر المحبة ، وبالعفاف تركز الاعمال ، وبالافضال يكون السؤدد ، وبالعديل يغير العدو ، وبالحكم تكثر الانصار ، وبالرفق تستخدم القلوب ، وبالايتار ^(٢) يستوجب اسم الجود ، وبالاتمام يستحق اسم الكرم ، وبالوفاء يدوم الاخاء ، وبالصدق يتم الفضل وبمحسن الاعتبار تضرب الامثال ، والايام تفيد الحكم : يستوجب الزيادة من عرف نقص الدنيا ، ومن الساعات تولد الآفات ، وبالعافية يوجد طبيب الطعام والشراب ، وبمحاول المكاره يتنقص العيش وتتكدر النعم ، وبالحن ^(٣) يكفر بالاحسان ، وبإلحاح ^(٤) للانعام يحب الحرمان .

« صديق الملوك زائل عنه ، السوء الخلق مخاطر صاحبه ، الضيق الباع حسير ^(٥) النظر ، البخل ذليل وان كان غنياً ، والجواد عزيز وان كان مقلاً . اللطم هو الفقر الحاضر ، البأس الفنى الظاهر . لا أدري نصف العلم . السرعة في الجواب توجب العثار ، الثروي في الامور يبعث على البصائر ، الرياضة تشعل القريحة ، الادب يفني عن الحساب . التقوى شعار المسالم ، والرياء لبوس الجاهل . مقاساة الاحق عذاب الروح . الاستهتار بالنساء فعل القوي ^(٦) . الاشتغال بالفئات تضيق الاوقات . المتعرض للبلاء مخاطر بنفسه ، التمني سبب الحسرة ، الصبر تأييد العزم وثمرة الفرج وتمحيق الهمة . صديق الجاهل مغرور ، المخاطر خائب ، من عرف نفسه لم يضع بين الناس . من زاد علمه على عقله كان علمه وبالا عليه . المجرب احكم من الطبيب . اذا فانك الادب فائز الصمت .

« من لم ينفعه العلم يأمن ضرر الجهل . من قأنى لم يندم ، من افتخر ارتطم ، من عجل تورط ،

(١) العبد والحق .

(٢) التفضيل والاختيار .

(٣) ذكر النعمة بما يقطع شكرها .

(٤) الصغر بالنعمة

(٥) ضيف .

(٦) واحسدا الاثوك وهو الاحق

من تفكر سلم ومن روى غم ، من سأل علم ، من حل ما لا يطبق ارتبك . التجارب ليس لها غاية ، والمائل منها في زيادة ، للعادة على كل أحد سلطان . وكل شيء يستطاع نقله الا الطباع ، وكل شيء يتهاى فيه حيلة الا القضاء . من عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار . قد يكتفى من حظ البلاغة بالايجاز . لا يؤتى ^(١) التناقل الا من سوء فهم السامع . ومن وجد برد اليقين أغناه عن المنازعة في السؤال ، ومن عدم دَرَك ذلك كان مغموراً بالجهل ، ومفتوناً بمجيب الرأي ، ومعدولاً بالهوى عن باب التثبت ، ومصرفاً بسوء المادة عن تفصيل التعليم . الجزء ^(٢) عند مصائب الاخوار احد من الصبر ، وصبر المرء على مصيبتيه أحد من جزعه . ليس شيء أقرب الى تغيير النعم من الاقامة على الظلم . من طلب خدمة السلطان يغير ادب ، خرج من السلامة الى العطب ^(٣) . الارتقاء الى السؤدد صعب ، والانحطاط الى النماء سهل .

قال حنين بن اسحق : « وهذا الصنف من الآداب اول ما يعلمه الحكيم للتلميذ في أول سنة مع الحظ اليوناني ، ثم يرقع من ذلك الى الشعر والنحو ، ثم الى الحساب ، ثم الى الهندسة ، ثم الى النجوم ، ثم الى الطب ، ثم الى الموسيقى ، ثم بعد ذلك يرقى الى المنطق ، ثم الفلسفة ، وهي علوم الاقر الملوية ، فهذه عشرة علوم يتعلمها التلميذ في عشر سنين .

فلما رأى الافلاطون الحكيم حفظ ارسطوطاليس لما كان يلقى الى نطافورس وتأديبه اياه كالغياه مره حفظه وطبعه ، ورأى الملك قد امر باصطناعه فاصطنعه هو واقبل عليه ، وعلمه علماً عالياً حتى وعى العلوم العشرة ، وصار فيلسوفاً حكيماً جامعاً لما تقدم ذكره . »

أقول : « ومن كلام أرسطوطاليس وهو اصل يعتمد عليه في الصحة : « عجبت لمن يشرب ماء الكرم ، ويأكل الخبز واللحم ، ويقتصد في حركته وسكونه وقومه ويقظته ، وأحسن السياسة في جماعة وقعديل مزاجه كيف يمرض ؟ » .

آداب ارسطوطاليس

ومن آداب ارسطوطاليس وكلماته الحكيمه بما ذكره الامير المبشر بن فائق قال ارسطوطاليس : اعلم انه ليس شيء أصح من أولي الأمر اذا صلحوا ، ولا أقصد لهم ولا أنفسهم منهم اذا فسدوا . فالوالي من الرعية بمنزلة الروح من الجسد الذي لا حياة له إلا بها . وقال : احذر الحرص ، فأما ما هو مصلحك ومصلحك على يدك فإزهد ، واعلم ان الزهد باليقين ،

(١) أي : هي وتغير عليه حسه فترى غير الصحيح صحيحاً .

(٢) ضد الصبر ، وهو الضعف عما أول بك

(٣) الخلاء

واليقين بالصبر ، والطير بالفكر ؛ فإذا فكرت في الدنيا لم تجد لها أهلاً لأن تكرمها جوان الآخرة ، لأن الدنيا دار بلاء ومنزل بليّة ^(١) .

وقال : « إذا اردت الغنى فاطلبه بالتقاة ، فإنه من لم تكن له القناعة فليس المال مغنيه وان كثرة .

وقال : « اعلم ان من علامة تنقل الدنيا وكثر عيشها انه لا يصلح منها جانب الا بفساد جانب آخر ، ولا سبيل لصاحبها الى عز الا بالذل ، ولا استغناء الا باقتدار . واعلم انها ربما اصبحت بغير حزم في الرأي ولا فضل في الدين ، فان اصبحت حاجتك منها وانت مخطيء ، أو أدبرت عنك وانت مصيب ، فلا يستغفرك ^(٢) ذلك الى معاودة الخطأ ومجانبة ^(٣) الضواب .

وقال : « لا تبطل عمرك في غير نفع ، ولا تضع لك مالاً في غير حق ، ولا تصرف لك قوة في غير حياء ، ولا تمدد لك رأياً في غير رشد ^(٤) ؛ فمليك بالحفظ لما أتيت من ذلك والجد فيه ، وخاصة في العمر الذي كل شيء مستفاد سواء ؛ وان كان لا بد لك من اشغال نفسك بلذة فلتكن في عادية العلماء ودرس كتب الحكمة .

وقال : « اعلم انه ليس من احد يخلو من عيب ولا بن حسنة ، فلا يجمعك عيب رجل من الاستعانة به فيما لا تقص به . ولا يملكك ما في رجل من الحسنات على الاستعانة به فيما لا معونة عنده عليه . واعلم ان كثرة اعوان السوء أضر عليك من فقد اعوان الصدق .

وقال : « العدل ميزان الله عز وجل في أرضه ، وبه يؤخذ للضعيف من القوي ، وللمعق من المبطل . فمن ازال ميزان الله عما وضعه بين عباده فقد جهل اعظم الجهالة ، واعتز بالله سبحانه اشد اعتزازاً .

وقال : « العالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلاً ، والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالماً .

وقال : « ليس طلي العلم طمعاً في بلوغ قاصيته ، ولا الاستيلاء على غايته ، ولكن التماساً لما لا يسع جهله ولا يحسن بالمائل خلافه .

وقال : « اطلب الغنى الذي لا يفنى ^(٥) ، والحياة التي لا تتغير ، والملك الذي لا يزول ، والبقاء الذي لا يضمحل ^(٦) .

وقال : « أصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعاً لك .

وقال : « كن رؤوفاً رحيماً ، ولا تكن رأفتك ورحمتك قسداً لمن يستحق العقوبة ويصلحه الادمب .

وقال : « خذ نفسك باثبات السنة فان فيها اكمال التقى ، وقال : « افقرص ^(٧) من عدوك الفرصة

(١) الكفاية (٢) استنز (٣) التباعده عن الشيء .

(٤) الاستقامة على طريق الحق مع صلاحية فيه .

(٥) لا يملك (٦) لا يتلاشى (٧) انتهب .

واحمل على ان الدهر دول ^(١) . وقال : « لا تصادم من كان على الحق ، ولا تحارب من كان متمسكاً بالدين .

وقال : « صبر الدين موضع ملكك ، فمن خالفه فهو عدو للملك ، ومن تسك بالسنه فحرام عليك ذمه وادخال المذلة عليه ، واعتبر بمن مضى ولا تكن عبرة لمن بعدهك .

وقال : « لا فخر فيما يزول ، ولا غنى فيما لا يثبت . وقال : « عامل الضيف من اعدائك على انه اقوى منك ، وتفقّد جندك تفقد من قد نزلت به الآفة واضطرته الى مداومتهم ^(٢) .

وقال : « دار الرعية مداراة من قد انتهكت عليه ملكته وكثرت عليه اعداؤه . وقال : قدم اهل الدين والصلاح والامانة على انك تتال بذلك في العاقبة الفوز وقتربن به في الدنيا . وقال : « اقم اهل القصور على انك تصلح دينك ورعيتهك بذلك .

وقال : « لا تغفل فان الغفلة تورث الندامة ، وقال . « لا ترج السلامة لنفسك حتى يسلم الناس من جورك ، ولا تعاقب غيرك على امر ترخص فيه لنفسك واعتبر بمن تقدم واحفظ ما مضى ، والزم الصفة يلزمك النصر .

وقال : الصدق قوام امر الخلاق ، والكذب داء لا ينجو من زل به . ومن جعل الاجل امامه اصلح نفسه ، ومن وسخ نفسه ابغضته خاصته .

وقال : « لن يسود من يتبع العيوب الباطنة من اخوانه من يجبر على الناس ذلته . من أفرط في اللوم كره الناس حياته . من مات محموداً كان احسن حالاً ممن عاش مذموماً . من نازع السلطان مات قبل يومه . أي مَلِك نازع السوق ^(٣) هُتِك شرقه . أي ملك تطلف ^(٤) الى المحقرات فالمرت الكرم له .

وقال : « من اسرف في سب الدنيا مات فقيراً ، ومن قنع مات غنياً . من اسرف في الشراب فهو من السفل . من مات قل حساده .

وقال : « الحكمة شرف من لا يقدم له . الطمع يورث الذلة التي لا تستقال ^(٥) . اللوم يهدم الشرف ويعرض النفس للتلف . سوء الادب يهدم ما بناه الاسلاف . الجهل مر الاصحاب . بذل الوجه الى الناس هو الموت الاصغر . ينبغي للدبر ان لا يتغذ الرعية مالا وقتية ، ولكن يتغذهم اعلاً وامشواتاً ، ولا يرغب في الكرامة التي ينالها من المامة كرهاً ولكن في التي يستمتعها بحسن الاثر وصواب التدبير . »

(١) اي لا ثبات فيه ولا قرار.

(٢) معارمتهم ومقاربتهم .

(٣) الرعية من الناس .

(٤) مطا .

(٥) لا يمكن التهرب والخلاس منها .

وكتب الى الاسكندر في وصاياه له : « ان الاربياء يتقادون بالخوف ، والاختيار يتقادون بالحياء ،
فبين الطبقتين » واستعمل في اولئك الغلظة والبطش ، وفي هؤلاء الافضل والاحسان .
وقال ايضا : « ليكن غضبك امراً بين المزلتين ، لا شديداً قابياً ولا فائراً ضعيفاً ، فان ذلك من
اخلاق السباع وهذا من اخلاق الصبيان .

وكتب اليه ايضا : « ان الامور التي يشرف بها الملوك ثلاثة : من السن الجلية ، وفتح الفتوح
المذكورة ، وعامرة البلدان المسطحة » .

وقال : « اختصار الكلام طي الماني . رغبتك فيمن يزهد فيك ذل نفس ، وزهدك فيمن يرغب
فيك قصر همة . النسيمة تهدي الى القلوب البغضاء . من واجهك فقد شتمك ، ومن نال اليك نعل
عنك . الجاهل عدو لنفسه فكيف يكون صديقاً لغيره . السعيد من اتعظ بغيره » .

وقال لاصحابه : « لتكن عنايتكم في رياضة انفسكم ، فاما الابدان فاعتنوا بها لما يدعو اليه
الاضطراب ، واهربوا من اللذات فانها تسترق النفوس الضعيفة ، ولا قوة لها على القوية » .

وقال : « انا لنحب الحق ونحب اغلاطون فاذا افترقا فالحق أولى بالهبة . الوفاء نتيجة الكرم
لسان الجاهل مفتاح حقته . الحاجة تفتح باب الحيلة . الصمت خير من عجز المنطق . بالأفضل تعظم
الاقدار . بالتواضع تتم النعمة . بإحتمال الكون يجب السؤدد . بالسيرة العادلة تقل المساوىء . بترك
ما لا يعنيك يتم لك الفضل . بالسعاليات تلتص المكاره » .

ونظر الى حدّث يتهاون بالمعنى فقال له : « انك إن لم تعبر على تعب العلم صيرت على شقاء الجهل .
وسعى اليه تلميذ له بأخر فقال له : « أحب ان نقبل قولك فيه ، على اننا نقبل قوله فيك ؟ قال :
لا ، قال : فكف عن الشر يكف عنك » .

ورأى انساناً ناقها^(١) يكثر من الاكل وهو يرى انه تقوية ، فقال له : « يا هذا ليس زيادة القوة
بكثرية ما يرد البدن من الغذاء ، ولكن بكثرة ما يقبل منه » .
وقال : « كفى بالتجارب تأدياً ويتقلب الايام عظة » .

وقيل لارسطوطاليس : ما الشيء الذي لا ينبغي ان يقال وان كلّ حقاً ؟ فقال : منح
الانسان نفسه » .

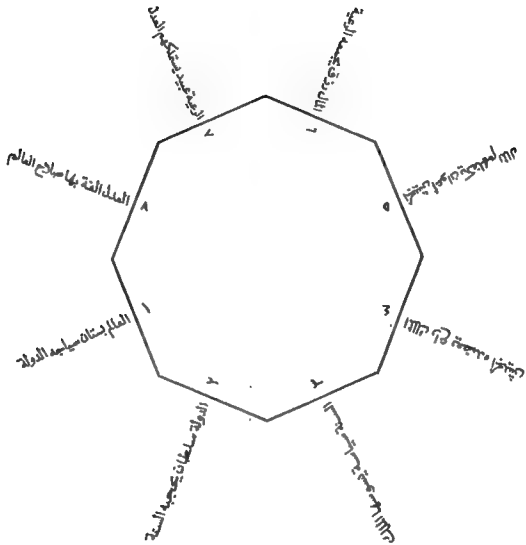
وقيل له : لم حطيت الحكيم المألّ ؟ فقال : « لتلا يقيموا انفسهم بحيث لا يستحقونه من المنام .

وقال : « امتحن المرء في وقت غضبه لا في وقت رضاه ، وفي حين قدرته لا في حين ذلته .

وقال : « رضى الناس غاية لا تدرك ، فلا تكره سخط من رضاء الجور » .

(١) اي شاف من مرض وبه ضعف .

وقال : « شَرَفَ الانسان على جميع الحيوان بالنطق والذهن ، فان سكت ولم يفهم عاد بهيمياً » .
وقال : « لا تكثروا من الشراب فيغير عقولكم ويفسد افهامكم » .
وأعاد على تلميذه له مسئلة فقال له : أقممت ؟ قال التلميذ : نعم . قال : لا ارى آثار الفهم عليك . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لا اراك مسروراً ، والدليل على الفهم السرور » .
وقال : « خير الاشياء اجدُّها^(١٧) إلا المودات فان خيرها اقدمها » .
وقال : « لكل شيء خاصه ، وخاصة العقل حسن الاختيار » .
وقال : « لا يلام الانسان في ترك الجواب اذا سئل حتى يتبين ان السائل قد احسن السؤال ؛ لان حسن السؤال سبيل وعة الى حسن الجواب » .
وقال : « كلام البعثة موكل به الزلل » .
وقال : « انما يحمل المرء على ترك ابتغاء ما لم يعلم قلة انتفاعه بما قد علم » .
وقال : « من ذات حلاوة عمل صبر على مرارة طريقه ؛ ومن وجد منفعة علم عنى بالتزبد فيه » .
وقال : « دفع الشر بالشر جلد ، ودفع الشر بالخير فضيلة » .
وقال : « ليكن ما تكتب من خير ما يقرأ وما تحفظ من خير ما يكتب » .
وكتب الى الاسكندر : « اذا أعطاك الله ما تحب من الظفر فاقبل ما أحب من المغفر » .
وقال : لا يوجد الفخور محموداً ، ولا القسور مسروراً ، ولا الكرم حسوداً ، ولا الشره غنياً ، ولا المفلول دائم الاخاء ، ولا مفتتح يسجل الاخاء ثم يندم .
وقال : انما غلبت الشهوة على الرأي في اكثر الناس ؛ لان الشهوة معهم من لدن الصبا ، والرأي انما يأتي عند تكاملهم ، فإنهم بالشهوة لغدم الصعوبة اكثر من أنسهم بالرأي ، لانه فيهم كالرجل الغريب .
ولما فرغ من تعليم الاسكندر دعاه فساله عن مسائل في سياسة العامة والخاصة ، فاحسن الجواب عنها فتاله بناية ماكره من الشرب والأذى . فسئل عن هذا الفعل فقال : هذا غلام يرشع للملك ، فأردت ان أذيقه طعم الظلم ليكون رادعاً له عن ظلم الناس .
وامر أرسطوطاليس عند موته ان يدفن ويبنى عليه بيت مشمن يكتب في جمة جهاته ثمان كلمات جامعات لجميع الامور التي بها مصلحة الناس ، وتلك الكلم الثمان هي هذه على هذا المثال :



كتب ارسطوطاليس

ولارسطوطاليس من الكتب المشهورة بما ذكره بطليموس .

كتاب يحض فيه على الفلسفة ، ثلاث مقالات . كتاب سوقسطس ، مقالة ؛ كتاب في صناعة
الريطوري ، ثلاث مقالات . كتاب في العدل ، اربع مقالات ، كتاب في الرياضة والادب المصلحين

حالات الانسان في نفسه ، أربع مقالات . كتاب في شرف الجنس ، خمس مقالات ، كتاب في الشراء ، ثلاث مقالات . كتاب في الملل ، ست مقالات . كتاب في الخير ، خمس مقالات . كتاب ارخوطس ، ثلاث مقالات . كتاب في الخطوط هل هي منقسمة ام لا ، ثلاث مقالات . كتاب في صفة العدل ، أربع مقالات . كتاب في التباين والاختلاف ، أربع مقالات . كتاب في العشق ، ثلاث مقالات . كتاب في الصور هل لها وجود ام لا ، ثلاث مقالات . كتاب في اختصار قول فلاطن ، مقالتان . كتاب في اختصار اقاريل فلاطن في تدبير المدن ، خمس مقالات . كتاب في اختصار قول فلاطن في اللغة في كتابه في السياسة ، مقالتان . كتاب في اللغة ، مقالتان . كتاب في الحركات ، ثمان مقالات . كتاب في المسائل الحيلية ، مقالتان . كتاب في صناعة الشعر على مذهب فيثاغورس ، مقالتان . كتاب في الروح ، ثلاث مقالات . كتاب في المسائل ، ثلاث مقالات . كتاب في نيل مصر ، ثلاث مقالات . كتاب في اتخاذ الحيوانات المواضع لياوي فيها ويكمن ، مقالة . كتاب في جوامع الصناعات ، مقالة . كتاب في المحبة ، ثلاث مقالات . كتاب قاطينورياس ، مقالة . كتاب ارميلياس ، مقالة . كتاب طوبيقا ، ثمان مقالات . كتاب أولوطيقا وهو القياس ، مقالتان . كتاب أفودقطيكا وهو البرهان ، مقالتان . كتاب في السوفسطائية ، مقالة . كتاب في الغالات الكبير في الاخلاق ، مقالتان . كتاب في الغالات الصغار في الاخلاق الى أوديس ، ثمان مقالات . كتاب في تدبير المدن ، ثمان مقالات . كتاب في صناعة الشعر . كتاب في سمع الكيان ، ثمان مقالات . كتاب في السماء والتأم ، أربع مقالات . كتاب في الكون والفساد ، مقالتان . كتاب في الآثار العلوية ، أربع مقالات . كتاب في النفس ، ثلاث مقالات . كتاب في الحس والمحسوس ، مقالة . كتاب في الذكر والنوم ، مقالة . كتاب في حركة الحيوانات وتشرحها ، سبع مقالات . كتاب في طبائع الحيوانات ، عشر مقالات . كتاب في الاعضاء التي بها الحياة ، أربع مقالات . كتاب في كون الحيوان ، خمس مقالات . كتاب في حركات الحيوانات الكائنة على الارض ، مقالة . كتاب في طول العمر وقصره ، مقالة . كتاب في الحياة والموت ، مقالة . كتاب في النبات ، مقالتان . كتاب فيما بعد الطبيعة ، ثلاث عشرة مقالة . كتاب في مسائل هيولانية ، مقالة . كتاب في مسائل طبيعية ، أربع مقالات . كتاب في القسم ، ست وعشرون مقالة ، ويذكر في هذا الكتاب اقسام الزمان واقسام النفس والشهوة وأمر الفاعل والمتفعل والفعل والمحبة ، وانواع الحيوان ، وأمر الخير والشر والحركات وانواع الموجودات .

كتاب في قسم فلاطن ، ست مقالات . كتاب في قصة الشروط التي تشترط في القول وتوضع ، ثلاث مقالات . كتاب في مناقضة من يزعم بأن تؤخذ مقدمات النقيض من نفس القول ، سبع وثلاثون مقالة . كتاب في النبي يسمى ابطاسس ، ثلاث عشرة مقالة . كتاب في الموضوعات ، أربع وثلاثون مقالة . كتاب في موضوعات عشقية ، مقالة . كتاب في الحدود ست عشرة مقالة ، كتاب في الأشياء التصديدية ، أربع مقالات . كتاب في تحديد طوبيقا ، مقالة . كتاب في تقويم حدود طوبيقا ، ثلاث مقالات ، كتاب في موضوعات تقوم بها الحدود ، مقالتان . كتاب في مناقضة الحدود ، مقالتان ،

كتاب في صناعة التحديد التي استعملها تافرسطس لافلوطينا الاولى، مقالة . كتاب في تقويم التحديد، مقالاتان ، كتاب في مسائل ، ثمان وستون مقالة . كتاب في مقدمات المسائل ، ثلاث مقالات ، كتاب في المسائل الدورية التي يستعملها المتعلمون ، اربع مقالات ، كتاب في الرصايا اربع مقالات ، كتاب في التذكريات مقالاتان . كتاب في الطب ، خمس مقالات ، كتاب في تدبير الغذاء ، مقالة ، كتاب في الفلاحة، عشر مقالات . كتاب في الرطوبات ، مقالة ، كتاب في التنبؤ ، مقالة ، كتاب في الأعراض العامية ، ثلاث مقالات ، كتاب في الآثار العلوية مقالاتان . كتاب في تناسل الحيوان ، مقالاتان ، كتاب آخر في تناسل الحيوانات ، مقالاتان . كتاب في المقدمات ثلاث وعشرون مقالة كتاب آخر في مقدمات آخر ، سبع مقالات . كتاب في سياسة المدن وعدد الأمم ، ذكر فيه مائة واحد و سبعين مدينة كبيرة . كتاب في تذكيرات عدة ، ست عشرة مقالة ، كتاب آخر في مثل ذلك ، مقالة . كتاب في المناقضات ، كتاب في المضاف ، مقالة ، كتاب في الزمان ، مقالة . كتبه التي وجدت في خزانة ابلقيون ، عدة مقالات . كتابه في تذكيرات أخر ، كتاب كبير مجموع فيه عدة رسائل ، ثمانية اجزاء . كتاب في سير المدن ، مقالاتان ، رسائل و غيرها أندرونيقوس في عشرين جزء كتب فيها عدة تذكيرات ، عددها وأسمائها في كتاب الدررنيقوس في فهرست كتب ارسطو . كتاب في مسائل من عريص شر أوميرس في عشرة اجزاء . كتاب في منافي ملعبة من الطب .

قال بطليموس : فهذه جملة ما شاهدت له من الكتب . وقد شاهد غيري كتباً أخر عدة .

أقول: ولأرسطوطاليس أيضاً من الكتب بما وجدت كثيراً منها غير الكتب التي شاهدها بطليموس كتاب الفراسة ، كتاب السياسة المدنية . كتاب السياسة العملية . مسائل في الشراب ، شراب الخمر والسكر ، وهي اثنتان وعشرون مسألة . كتاب في التوحيد على مذهب سقراط . كتاب الشباب والمهرم ، كتاب الصحة والسقم . كتاب في الأعداء . كتاب في الباء ، رسائله الى ابنه ، وصيته الى نيقانز كتاب الحركة ، كتاب فضل النفس ، كتاب في العظم الذي لا يتجزأ ، كتاب التنقل ، رسائله الذهبية ، رسالة الى الاسكندر في تدبير الملك ، كتاب الكتابات والطبيعية . كتاب في علل النجوم . كتاب الانواء . رسالة في اليقظة . كتاب نمت الاحجار ومنافعها والسبب في خلق الاجرام السماوية . كتاب الى الاسكندر في الروحانيات واعمالها في الاقاليم ، كتاب الاسماطاليس الى الاسكندر . رسالة في طبائع العالم الى الاسكندر . كتاب الاصطليخيس ، وضعه حين اراد الخروج الى بلد الروم ، كتاب الحمل ، كتاب المرأة ، كتاب القول على الروبية . كتاب المسائل الطبيعية ويعرف أيضاً بكتاب ما بال سبع عشرة مقالة ، كتاب ماطافوسيف ، وهو كتاب ما بعد الطبيعة ، اثنتا عشرة مقالة ، كتاب الحيوان ، تسع عشرة مقالة ، كتاب نمت الحيوانات الغير فاعلة وما فيها من المنافع والمضار وغير ذلك . كتاب ابضاح الخير المحض ، كتاب الملاطيس ، كتاب في نفث الدم . كتاب المعادن كتاب القيم وهو كتاب الثالب والمغلوب والمطلوب ألفه للاسكندر الملك ، كتاب امرار النجوم .

ثاوفرسطس

أحد تلاميذ أرسطوطاليس وابن خالته ؛ واحد الاوصياء الذين وصى اليهم ارسطوطاليس وخلفه على دار التلميم بعد وفاته .

ولثاوفرسطس من الكتب :

كتاب النفس ، مقالة . كتاب الآثار العاوية ، مقالة . كتاب الأدلة ، مقالة . كتاب الحسن او المحسوس ، اربع مقالات . كتاب ما بعد الطبيعة ، مقالة . كتاب اسباب النبات تفسير كتاب قاطيفوريس ، وقيل انه متحول اليه . كتاب الى ديمقراط في التوحيد . كتاب في المسائل الطبيعية .

الاسكندر الافروديسي المشقي

كان في ايام ماورك الطوائف بعد الاسكندر الملك ، ورأى جالينوس واجتمع معه . وكان يلقب جالينوس رأس البخل ، وبينها مشاغبات وغضابات .

وكان فيلسوفاً متقناً للعلوم الحكيمه بارعاً في العلم الطبيعي ، وله مجلس عام يدرس فيه الحكمة وقد فسر اكثر كتب ارسطوطاليس . وتفاشيده مرغوب فيها مفيدة للاشتغال بها .

قال ابو زكريا يحيى بن عدي : « ان شرح الاسكندر للسباح كله وكتاب البرهان ، رأيت في تركة ابراهيم بن عبدالله الناقل النصراني ، وان الشرحين عرضاء علي بمائة دينار وعشرين ديناراً ، فمضيت لاحتال في الدنانير ، ثم عدت فأصبت القوم قد باعوا الشرحين في جملة كتب الى رجل من خراساني بثلاثة آلاف دينار . » وقيل ان هذه الكتب كانت تحمل في الكم . وقال ابو زكريا انه التمس من ابراهيم بن عبدالله نص سوفسطيا ، ونص الخطابة ، ونص الشعر ، بنقل اسحق بنمسين ديناراً فلم يبعه ، واسرقها وقت وفاته .

وللأسكندر الافروديسي من الكتب : تفسير كتاب قاطيفوريس لارسطوطاليس . تفسير كتاب ارمينياس لارسطوطاليس . تفسير كتاب افلوطينا الثانية لارسطوطاليس . تفسير كتاب طويقا لارسطوطاليس والذي وجه من تفسيره لهذا الكتاب تفسير بعض المقالة الاولى ، وتفسير المقالة الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة . تفسير كتاب السباح الطبيعي لارسطوطاليس . تفسير بعض المقالة الاولى من كتاب السماء والعالم لارسطوطاليس . تفسير كتاب الكون والفساد لارسطوطاليس . تفسير كتاب الآثار العلوية لارسطوطاليس . كتاب النفس ، مقالة في عكس الخدمات . مقالة في العناية . مقالة في الفرق بين الهولي والجلس . مقالة في الرد على من قال انه لا يكون شيء إلا من شيء . مقالة في

ان الابصار لا يكون بشعاعات تنبث^(١) من العين ، والرد على من قال بإنبثاث الشعاع . مقالة في اللون وأي شيء هو على رأي الفيلسوف . مقالة في الفصل خاصة ما هو على رأي ارسطوطاليس . مقالة في المالبجوليا . مقالة في الاجناس والانواع . مقالة في الرد على جالينوس في المقالة الثامنة من كتابه في البرهان . مقالة في الرد على جالينوس فيما طعن على قول ارسطوطاليس ان كل ما يتحرك فانما يتحرك عن محرك . مقالة في الرد على جالينوس في مادة الممكن . مقالة في الفصول التي تقسم بها الاجسام . مقالة في العقل على رأي ارسطوطاليس . رسالة في العالم وأي اجزائه محتاج في ثباتها ودوامها الى تدبير اجزاء اخرى . كتاب في التوحيد . مقالة في القول في مبادئ الكل على رأي ارسطوطاليس . كتاب آراء الفلاسفة في التوحيد . مقالة في حدوث الصور لا من شيء . مقالة في قوام الامور العامة . مقالة في تفسير ما قاله ارسطوطاليس في طريق القسمة على رأي افلاطون . مقالة في ان الكيفيات ليست اجساماً . مقالة في الاستطاعة . مقالة في الازداد وانها اوائل الاشياء على رأي ارسطوطاليس . مقالة في الزمان . مقالة في الحيولى وانها معلولة مفعولة . مقالة في ان القوة الواحدة تقبل الازداد جميعاً على رأي ارسطوطاليس . مقالة في الفرق بين المادة والجنس . مقالة في المادة والعدم والكون ، وحل مسألة الناس من القدماء ابطالوا بها الكون من كتاب ارسطوطاليس في مع الكيان . مقالة في الامور العامة والكلية وانها ليست اعياناً قائمة . مقالة في الرد على من زعم ان الاجناس مركبة من الصور اذ كانت الصور تنفصل منها . مقالة في ان الفصول التي بها ينقسم جنس من الاجناس ليس واجب ضرورة ان تكون انما توجد في ذلك الجنس وحده الذي اياه تقسم ، بل قد يمكن ان يقسم بها اجناساً اكثر من واحد ليس بعضها مرتباً تحت بعض . مقالة فيما استخرجته من كتاب ارسطوطاليس الذي يدعى بالرومية تولوجيا ، ومعناه الكلام في توحيد الله تعالى . رسالة في ان كل علة مباينة فهي في جميع الاشياء وليست في شيء من الاشياء . مقالة في اثبات الصور الروحانية التي لا هيولى لها . مقالة في العلل التي تحدث في فم المدة . مقالة في الجنس . مقالة تتضمن فصلاً من المقالة الثانية من كتاب ارسطوطاليس في النفس . رسالة في القوة الالائية من حركة الجرم الشريف الى الاجرام الواقعة تحت الكون والنفساد .

(١) تتلث وتنفق .

الباب الخامس

طبقات الأطباء الذين كانوا منذ زمان جالينوس وقريباً منه

جالينوس

ولنضع اولاً كلاماً كلياً في اخبار جالينوس وما كان عليه ، ثم نلتحق بعد ذلك معه جملاً من ذكر
الأطباء الذين كانوا منذ زمانه وقريباً من وقته فنقول :

« ان الذي قد عُلم من حال جالينوس واشتهرت به المعرفة عند الخاص والعام في كثير من الامم انه
كان خاتم الاطباء الكبار الملعين وهو الثامن منهم ، وانه ليس يدانيه أحد في صناعة الطب فضلاً عن
ان يساويه . وذلك لانه عندما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها اقوال الاطباء السوفسطائيين
وانتمت محاسنها . فانتدب لذلك ، وابطل آراء اولئك ، وايد وشيد كلام أبقراط وآراءه وآراء
التابعين له ونصر ذلك بحسب امكانه ، وصنف في ذلك كتباً كثيرة كشف فيها عن مكنون هذه
الصناعة ، ، وافصح عن حقائقها ونصر للقول الحق فيها . ولم يحىء بعده من الاطباء الا من هو دون
منزلته ومتعلم منه .

« وكانت مدة حياة جالينوس سبعاً وثمانين سنة منها صبي ومتعلم سبع عشرة سنة ، وعالم معلم
سبعين سنة .

وهذا على ما ذكره يحيى النحوي .

وكذلك تقسم عمر كل واحد من تقدم ذكره من سائر الاطباء الكبار الملعين الى وقتي تعلمه وقلمه

فإنه من قول يعيسى النعوي . وقوله هذا يجب ان ينظر فيه وذلك انه لا يمكن ان تقتصر معرفته كما ذكر ، فإن القياس يوجب ان البعض من ذلك غير ممكن واحده ما ذكره هنا عن جالينوس انه كان صبيًا ومتعلماً سبع عشرة سنة ، وعالمًا معلمًا سبعين سنة . ولو لم يكن التتبع على قوله هذا الا بما قد ذكره جالينوس نفسه . واتباع قول مثل جالينوس عن نفسه اولى من اتباع قول غيره عنه . وهذا نص . ما ذكره جالينوس في كتابه مراتب قراءة كتبه قال :

« ان ابني لم يزل يؤدبني بما كان يحسنه من علم الهندسة والحساب والرياضيات التي تؤدب بها الاحداث حتى انتهيت من السن الى خمس عشرة سنة ، ثم انه أسلمني في تعلم المتعلق وقصد في حينئذ في تعلم الفلسفة وحدها فرأى رؤيا دعته الى تعليم الطب فأسلمني في تعلم الطب وقد أتت علي من السنين سبع عشرة سنة . »

واذا كان هذا ، فقد تبين من قول جالينوس خلاف ما ذكر عنه . ولا يبعد ان يكون الكلام في الذين ذكرهم من قبل جالينوس ايضاً مثل هذا .

وكانت منذ وقت وفاة ابقراط والى ظهور جالينوس سبعة سنة وخمس وستون سنة . ويكون من وقت مولد اسقليبيوس الاول ، على ما ذكره يعيسى النعوي ، الى وقت وفاة جالينوس خمسة آلاف سنة وخمسة سنة وستان .

وذكر اسحق بن حنين ان من 'وقت وفاة جالينوس الى سنة الهجرة خمسمائة سنة وخمسة وعشرين سنة .

اقول : « وكان مولد جالينوس بعد زمان المسيح بتسع وخمسين سنة على ما أرخه اسحق . فأما قول من زعم انه كان معاصره وانه توجه اليه ليراه ويؤمن به فغير صحيح . وقد اورد جالينوس في مواضع متفرقة من كتبه ذكر موسى والمسيح ، وتبين من قوله انه كان من بعد المسيح بهذه المدة التي تقدم ذكرها .

ومن جهة من ذكر ان جالينوس كان معاصراً للمسيح البيهقي^(١) وذلك انه قال في كتابه مسارب التجارب وغرائب الغرائب . « انه لو لم يكن في الحوارين إلا بولس^(٢) بن اخت جالينوس لكان كافياً . وانما يشي الى عيسى جالينوس واظهر حجه عن الهجرة اليه لضعفه وكبر سنه ، وآمن بعيسى وأمر ابن اخته بولس بمبايعة عيسى . »

قال جالينوس في المقالة الاولى من كتابه في الاخلاق ، وذكر الرفاء واستحسنه واتي فيه بذكر القوم الذين نكبوا باخذ صاحبهم وابتلوا بالمكارة . « يلتمس منهم ان ييؤخوا بمساويهم اصحابهم وذكر معايبهم ، فامتنعوا من ذلك وصبروا على غليظ المكارة . وان ذلك كان في سنة أربع عشرة وخمسمائة

(١) هو محمد البيهقي مؤرخ فارس له تاريخ سلاطين غزلة والمعروف بتاريخ البيهقي (٩٩٦ - ١٠٧٧)

(٢) راسمه شاول وسماه المسيح بولس بعد ان دعاه الى الايمان به بطريقة عجائزية ويدعى بمسافر الرسل . وهو رسول الامم.

للاسكندر . وهذا اصح ما ذكره من امر جالينوس ووقته وموضعه من الزمان .

وقال ابر الحسين علي بن الحسين السعدي : كان جالينوس بعد المسح بنحو مائتي سنة ، وبعد ابقراط بنحو مائة سنة ، وبعد الاسكندر بنحو خمسمائة سنة ونيف .

اقول : ووجدت عبيد الله ^(١) بن جبرائيل بن عبيد الله بن مجتئشوع قد استقصى النظر في هذا المعنى ، وذلك انه كان قد سئل عن زمان جالينوس وهل كان معاصراً للمسيح او كان قبله او بعده ، فأجاب عن ذلك بما هذا نصه . قال :

« ان اصحاب التواريخ اختلفوا اختلافاً بيناً فيما وضعوه ، وكل منهم اثبت جلاً اذا فصلت خرج منها زيادات ونقصان » . ومن هذا يتبين لك متى تصفحت كتب التواريخ ، لا سيما متى وقفت على كتاب الازمنة الذي عمله مار اليا مطران نصيبين ، فانه قد كشف الحلف الذي بين التواريخ العتيقة والحديثة وأوضح وكشف وأبان ذلك احسن بيان ، يحمله مجملها في صدر كتابه ويراود تفاصيلها ، فليبينه على مواضع الخلاف فيها والزيادات والنقصانات وذكر اسبابها وعملها .

ووجدت تاريخاً مختصراً لهارون بن عزور الراهب ، ذكر فيه انه اعتبر التواريخ وعول على صحتها ، ورأيت قد كشف بعض اختلافها وعمل ذلك بعلم مقننة ، وأورد شواهد من صحتها .

وذكر هذا الراهب في تاريخه : « ان جميع السنين من آدم الى ملك دارا بن سام ، وهو أول ظهور الاسكندر ذي القرنين ، خمسة آلاف ومائة وعشرون سنة وعشرة اشهر على موجب التاريخ الذي عند اليونانيين ، وهو تاريخ التوراة المتقولة الى اليونانيين قبل ظهور المسيح بمائتي سنة وسبعين سنة ، وذلك في زمان فيلدفوس الملك ، لانه كان حل الى اليهود هدايا حسنة لما سمع ان عندهم كتباً منزلة من عند الله تعالى على ألسنة الانبياء . وكان من جهة ما حل مائدتان من ذهب مرصعتان بالجواهر لم ير احسن منها . وسألهم عن الكتب التي في ايديهم وأعلمهم انه يختار ان يكون عنده نسخة . فكتبوا جميع الكتب التي كانت عندهم لليهود من التوراة والانبياء وما جرى مجراها ، في اوراق من فضة بأحرف من ذهب على ما نسب الراهب الى اوسابيوس القيسراني . فلما وصلت اليه استحسنتها ولم يفهم ما فيها ، فأنفذ اليهم يقول : « أي فائدة من كنز مستور لا يظهر ما فيه ، وعين مسدودة لا ينضج ماؤها ؟ » فأنفذوا اليه اثنين وسبعين رجلاً من جميع الاسباط من كل سبط ستة رجال . فلما وصلوا حمل لهم الملك فيلدفوس مراكباً ونزل كل رجلين منهم في مركب ، ووكل بهم حفظه حتى نقلوها . وقابل النسخ فلما وجدها صحيحة غير مختلفة خلع عليهم واحسن اليهم وردم الى مواطنهم .

وذكر اوسابيوس القيسراني الذي كان اسقف قيسارية ان هذا الملك كان قد نقل الكتب قبل

(١) احد اطباء المريان الذين كانوا في ابداء ظهور دولة بني العباس وهو طبيب مشهور ، اقام بياقارتين ورتقي تعريباً سنة ٤٥٠ هـ . وله كتب جليلة .

جاء اليهود (استدعاء اليهود) وحضوره عندهم وتلقاهم ايها، وانما شك فيما نقله منها فأحب تصحيحه .
 قال عبيد الله بن جبرائيل : « وهذا بما يشهد فيه العقل لان فيلدفوس الملك لو لم يشك في نقله لما احتاط هذا الاحتياط المذكور وحرص هذا الحرص على حفظ هذا النقل ، ولولا اتهامه لنقله لما كلف هنا ما يوجب هذا الاحتياط ، لان من قديم في الاول كان احرى ان يقدم في الثاني ، ولما احب ان يمنح ما فسر فعمل ما فعل وقابل عليه وصححه . ومن هنا وجب ان تاريخ اليونانيين أصح التواريخ أعني تاريخ التوراة والانبياء التي عندهم . وكانت مدة هذا الملك فيلدفوس في المملكة ثمانى وثلاثين سنة ، وهو الملك الثالث من الاسكندر . على ان تاريخ الاسكندر منذ قتله دارا ، وهو ان مدة ملكه تكون ست سنين ، ومنه يؤخذ قواريخ اليونانيين ، فتكون مدة ملك اليونانيين من الاسكندر والى اول ملك الروم الذين لقبهم قيصر مائتين واثنين وسبعين سنة . وأول ملوك الروم الذين لقبهم قيصر يوليوس (١) جايوس قيصر ، وكانت مدته في المملكة اربع سنين وشهرين . وملك بعده اغسطس (٢) قيصر وكانت مدته ست وخمسين سنة وستة اشهر . وفي سنة ثلاث واربعين من ملكه ولد المسيح عليه السلام في بيت لحم (٣) . فجميع سني العالم من آدم والى مولد المسيح خمسة آلاف وخمسمائة واربع سنين . وملك بعده طيباريوس قيصر (٤) ثلاثاً وعشرين سنة ، وفي سنة خمس عشرة من ملكه (٥) اعتمد المسيح في الاردن بيد يوحنا المعمدان (٦) . وفي سنة تسع عشرة صلب (رفع) وذلك في يوم الجمعة الرابع والعشرين من آذار ، وانبث حياً يوم الاحد السادس والعشرين من آذار ، وبعد اربعين يوماً صعد الى السماء بمشهد من الحواريين .

ثم ملك بعده يوليوس (٧) جايوس الآخر اربع سنين وقتل في بلاطه ، وملك بعده كلوديوس (٨) جرمانيقوس قيصر اربع عشرة سنة . ثم ملك بعده فارون (٩) بن كلوديوس قيصر ثلاث عشرة سنة ، ثم أندرونيقوس اربع عشرة سنة ، وهو الذي قتل بطرس وبولس في السجن ، لانه ارتد الى عبادة الاصنام وكفر بعد الايمان وقتل وهو مريض .

(١) من كبار قواد روما ١٠١ - ٤٤ م « ولا انتصر وفتح غوليا وهزم بومبيوس ارسل الى روما بشرى انتصاره بهذه الكلفات ! » جنت وأبت انتصرت » .

(٢) اول امبراطور روماني في ايامه ولد السيد المسيح ٦٣ ق م - ١٤ م .

(٣) بلدة في فلسطين جنوبي القدس ، ولد فيها مارد التي والمسيح .

(٤) هو الامبراطور الروماني الثاني خلف اغسطس . ولد في روما (٤٢ ق م) .

(٥) اجريت له المعمودية وهي غسل السبي وغيره بلقاء جسم الآب والابن وروح القدس .

(٦) ابن زكريا واليساى . من انبياء يسوع المسيح . ظهر على شاطئ الاردن يعمد بلقاء التوبة داعياً الرجوع عن الخطيئة قطع رأسه هيرودى الملك على طلب سامرة .

(٧) وهو كاليكيلا ولد في انطاكية سنة ١٢ م وملك من سنة ٣٧ الى ٤٤ وهو ابن جرمانيقوس واغريبن . اغتال شرياس في بلاطه .

(٨) وهو كلوديوس الاول امبراطور روما وزوج غريبن التي اغتالته فيها بعد ولد سنة ١٠ ق م وحكم من سنة ٤١ م الى ٥٤ .

(٩) مورترون (٤ - ٦٨) امبراطور روماني من (٥٤ - ٦٨) انتصح بنصائح معلمه الفيلسوف سينيكا ثم طغى

فقتل امه وزوجته واحرق روما .

وذكر أندرونيقوس في تاريخه انه ملك بعد نارون، جالباس^(١) سبعة اشهر، ووطيلوس^(٢) اثنا عشر واثنون^(٣) ثلاثة اشهر . ثم ملك بعده اسفاسيانوس^(٤) قيصر عشر سنين ، وفي آخر ملكه غزا بيت المقدس وخربه ، ونقل جميع آلة البيت الى القسطنطينية وانقطع عنهم ، يعني اليهود ، الملك والنبوة . وهو الذي وعد الله تعالى به بمجيء المسيح (ولا رجعة لهم بعده) وهذه المملكة الاخيرة من الممالك التي وعدهم الله بها . ثم ملك بعده طيطوس ابنه^(٥) سنتين .

ووجدت في تاريخ مختصر (قديم) رومي : انه ملك بعده طيطوس طليدوس ، وفي زمانه كان بليناس الحكيم صاحب الطلعات ، ثم ملك بعده دوميطانوس^(٦) أخو طيطوس ، وارث اسفاسيانوس ملك خمس عشرة سنة ، وفي زمانه ظهر ماني ، وفي أيامه (زمانه) نهبت مدينة رأس العين .

وفي تاريخ اندرونيقوس انه ملك ست عشرة سنة . ثم ملك بعده فرواس قيصر سنة واحدة . ثم ملك اليبوس طرينوس^(٧) قيصر تسع عشرة سنة وهو الذي ارجع انطاكية من الفرس . وكتب اليه خليفته على فلسطين يقول له انني كلما قتلتن النصارى ازدادوا رغبة في دينهم ، فامرهم برفع السيف عنهم وفي السنة اللاحقة من ملكه ولد جالينوس ، على ما سنين فيما بعد .

ثم ملك بعده أبلبيوس أدريالوس^(٨) قيصر احدى وعشرين سنة وبنى مدينته . ثم ملك بعده أنطونينوس قيصر اثنتين وعشرين سنة وبنى مدينة ايلوبليس وهي مدينة بعلبك . وفي أيام هذا الملك ظهر جالينوس وهو الملك الذي استخدمه . وبيان ذلك قول جالينوس في صدر مقالته الاول من « كتاب علم التشريح » وهذا قوله بعينه « قال جالينوس :

« قد كنت وضعت فيما تقدم في علاج التشريح كتاباً في مقدمي الاول الى مدينة رومية ، وذلك في اول ملك أنطونينوس الملك في وقتنا هذا .

وبما يؤيد هذا ، قول جالينوس في الكتاب الذي وضعه في تقييد اسماء كتبه ويعرف بينكمس جالينوس . قال : « لما رجعت من مدينة رومية وعزمت على المقام بمدينتي ، والازوم لما كانت جرت فيه عادي ، واذا كُتِبَ قد وردت من مدينة أقوليا من الملكين بأمران إشخاصي لانها كانت قد عزموا على ان يشتبوا بأقولييا ثم يغزوا أهل جرمانيا ، فاضطرت الى الشخوص اليها وانا على رجاء ان أعطى

(١ ٢ ٣) من الإمبراطورة الرومان

(٤) امبراطور روماني (٦٩ - ٧٩) ولد في ريات . وغزا بيت المقدس ومات وهو مريض ،

« ٥ » وهو ابن فسبيانس وواقع اورشليم سنة ٧٠ واشتهر بحكمة واحيائه .

« ٦ » ٩٦ - ٥٩٦ امبراطور روماني كان آخر القياصرة . استبد بحكمة .

« ٧ » وهو تراجانس « ٥٢ - ١١٧ » امبراطور روماني ولد في اسبانيا . اضطهد المسيحيين .

« ٨ » امبراطور روماني « ١١٧ - ١٣٨ » ابن تراجانس بالتبني وخلفه بالملك . ارج باسمه الكثير من الافار الرومانية في الشرق الأدنى . وشجع الصناعة والآداب والفنون .

إذا استعفيت ، لانه كان قد بلغني عن احدهما وهو اشبهها بحسن الخلق ولين الجانب ، وهو الذي كان اسمه بيرس . فلما ملك انطونيوس من بعد ادرينوس وصير بيرس ولي عهده أشرك في ملكه رجلا يقال له لوقيس . وسماه بيرس ، وسمى هذا الذي كان اسمه بيرس انطونينوس . فلما صرت الى بلاد اقوليا عرض فيها من الوباء ما لم يعرض قط ، فهرب الملكان الى مدينة رومية مع عدة من اصحابها وبقي عامة المسكر بأقوليا . فهلك البعض وسلم البعض ، وغالوا جهداً شديداً ليس من اجل الوباء فقط ، ولكن من جهة ان الامر فاجأهم في وسط الشتاء . ومات لوقيس في الطريق ، فحصل انطونينوس بدنه الى رومية فدفنه هناك . وهم بفزو اهل جرمانيا ، وحرص الحرص كله ان اصعبه ، فقلت : « ان الله تعالى لما خلصني من دبية قتالة كانت عرضت لي امرني بالهلع الى بيته المسمى هيكل اسقليپوت وسألته الاذن في ذلك فشغمني وأمرني بأن أخرج .

» ثم انتظرت الى وقت انصرافه الى رومية ، فانه قد كان يرجو ان ينقضي حربه سريعا . وخرج وخلف ابنه قومودس صبيا صغيرا وامر المتولين لخدمته وتربيته ان يجتهدوا في حفظ صحته فان مَرَضَ دعوني لمعالجه أولاه .

ففي هذا الزمان جمعت كل ما جمعت من المعلمين وما كنت استلبطته ، وفحصت عن اشياء كثيرة ، ووضعت كتباً كثيرة لأروى بها نفسي في معان كثيرة من الطب والفلسفة ، احترق أكثرها في هيكل أرمني ومعنى أرمني السلامة ، ولأن انطونينوس أيضاً في سفره أبطل خلاف ما كان يقدر فكان ذلك الزمان مهة في رياضة نفسي .

فهذه الأقاويل وغيرها مما لم نورد له طلبية الاختصار ، فقد بان أن جالينوس كان في أيام هذا الملك ، وكان عمره في الوقت الذي قدم فيه رومية للتدوم الاول ثلاثين سنة ، وذلك بدليل قوله في هذا الكتاب المتقدم ذكره عند وصفه ما وضعه من الكتب في التشريح قال جالينوس .

ووضعت أربع مقالات في الصوت كتبتها الى رجل من الوزراء اسمه بويش يتعاطى من الفلسفة منذهب فرقة ارسطوطاليس ، وإلى هذا الرجل كتبت أيضاً خمس مقالات وضعتها في التشريح على رأي ابقراط وثلاث مقالات وضعتها بعدما في التشريح على رأي ارايسطراطس نحوت فيها نحو من يجب الغلبة والظهور على مخالفته ، بسبب رجل يقال له مرطاليس وضع مقالاتني في التشريح هما الى هذه الغاية موجودتان في ايدي الناس ، وقد كان الناس يها في وقت ما وضعت هذا الكتاب معجيين . وكان هذا الرجل حسوداً شديد البغي والمراء^(١) على كبر سنه ، فانه قد كان من ابناء سبعين سنة وأكثر ، فلما بلغه اني سئلت في مجلس عام عن مسألة في التشريح فاعجب بما أجبت به فيها ، واستحسنه جميع من سمعه ، وكثر مدح الناس لي عليه سألت عني بعض أصدقائنا يقول من أقول من اهل فرق الطب كلها . قال له : « اني أسمى من ليست نفسه الى فرقته من الفرق ، وقال : « انه من اصحاب

أبقراط ومن أصعاب بركساغورس وغيرهم ، وإني اختار من مقالة كل قوم أحسن ما فيها .

واتفق يوماً أني حضرت مجلساً عاماً ليمتحن حذقي يكتب التقدماء ، فأخرج كتاب أرسطراطس في نفث الدم والقي فيه ثامر على العادة الجارية ، فوقع على الموضوع الذي ينهي فيه أرسطراطس عن فسد العروق ، فزدت في المائدة لأرسطراطس ، ليقيم مرطيا ليس لأنه ادعى أنه من أصعابه ، فأعجب ذلك القول من سمعه . وسألني رجل من أوليائي وأعداء مرطيا ليس إن أملي الكلام الذي قلته في ذلك المجلس على كاتب له يثبته إلي ماهر بالكتاب الذي يكتب بالعلامات شريعاً فيه ليقوله لمرطيا ليس إذا صادفه عند المرضى ، فلما اشخصني الملك إلى مدينة رومية في المرة الثانية وكان الرجل الذي أخذ مني تلك المقالة قد مات ولا أدري كيف وقعت نسختها إلى كثير من الناس ، فلم يسرني ذلك لأنه كلام جرى على عجة الغلبة في ذلك الوقت أن لا أخطب في المجالس العامة ولا إباري ، لاني رزقت من السعادة والنجاح في علاج المرضى أكثر مما كنت أتمنى . وذلك أني لما رأيت غير أهل المهنة إذا مدح أحد الأطباء بحسن العبارة سموه طبيب الكلام ، أحببت أن أقطع ألسنتهم عني فامسكت عن الكلام ، سوى ما لا بد منه عند المرضى ، وعما كنت أفعله من التعلم في المحافل ومن الخطب في المجالس العامة واقتصرت على اظهار مبلغ علمي في الطب على ما كنت أفعله في علاج المرضى . واقت برومية ثلاث سنين آخر فلما ابتدأ فيها الوفاء خرجت منها مبادراً إلى بلادي ، وكان رجوعي إلى رومية وقد أتمى علي من السنين سبع وثلاثون سنة .

قال عبيد الله بن جبرائيل : فمن وقت هذا يكون مولد جالينوس في السنة العاشرة من ملك طرينوس الملك ، لأنه زعم أنه وضعه لكتاب علاج التشرح كان في مقدمه الأول إلى رومية وذلك في ملك انطونينوس ، كما ذكرنا ، وأنه كان له من عمره على ما ذكرنا ثلاثون سنة مضى منها من مدة ملك اديانوس إحدى وعشرون سنة ، وكان مدة الملك طرينوس قصير تسع عشرة سنة . وإذا كان هذا هكذا أصبح إن مولد جالينوس كان في السنة العاشرة من ملك طرينوس ، فتكون المدة التي من صعود المسيح إلى السماء ، وهي من سنة تسع عشرة من ملك طيباريوس قيصر ، إلى السنة العاشرة من ملك طرينوس التي ولد فيها جالينوس على موجب التاريخ المذكور ، ثلاثاً وسبعين سنة .

وعاش جالينوس ، على ما ذكره اسحق بن حنين في تاريخه ونسبه إلى يحيى النعموي ، سبعاً وثمانين سنة ، منها سبعمائة وستة عشر سنة ، وعالم معلم سبعين سنة .

قال اسحق : « بين وفاة جالينوس إلى سنة تسعين ومائتين للهجرة ، وهي السنة التي عمل فيها التاريخ ثمانمائة وخمسة عشرة سنة .

وقال عباد الله بن جبرائيل : « وينضاف إلى ذلك بما بين هذه السنة التي عملنا فيها هذا الكتاب ، وهي سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة للهجرة الواقعة في سنة ألف وثلاثمائة واثنين وأربعين لاسكندر ، وبين سنة تسعين ومائتين ، وهو مائة واثنان وثلاثون سنة فيكون من وفاة جالينوس إلى سلتنا هذه

وهي سنة اثنتين وعشرين واربعمائة ، تسعمائة وسبع واربعمائة سنة . واذا اضيف الى هذه الجملة عمر جالينوس ربما بين مولده الى صعود المسيح الى السماء وهو مئة وستون سنة يصعب الجميع ، اعني من صعود المسيح الى ستمائة هذه ، الف ومائة وسبع سنين ، الجملة غلط وهي تنقص بالتفصيل . ومن مثل هذا التاريخ يضل الناس لانهم يقلدوا اصحاب التواريخ فيضلون .

ووجه الغلط في هذه الجملة يتبين من جهتين : احدهما من تاريخ المسيح والاخرى من تاريخ جالينوس . وقد ذكرناهما ، فيما تقدم ، ذكرأ شافياً فمن احب امتحان ذلك فليرجع اليه فانه يتبين له من التفصيل المذكور . فان للمسيح منذ ولد الف سنة وثماني عشرة سنة ، وجالينوس تسعمائة وثلاث عشرة سنة ، وهذا خلف عظيم وغلط بين .

قال وانا استطرف كيف مر مثل هذا مع بيان المواضع التي استدلتنا بها من كلام جالينوس ، ومن اوضاع اصحاب التواريخ الصحيحة . واستطرف ايضاً كيف لم يكتبه الى فصل ورد في كتاب الاخلاق تبين فيه غلط تاريخ هذه المدة فصار المائة سنة . وقد يكون سبب هذا الغلط من النسخ ويستمر حتى تحصل حجة يضل بها من لم يفحص عن حقائق الامور .

وهذه نسخة الفصل من كتاب الاخلاق بعينه قال جالينوس :

« وقد رأينا نحن في هذا الزمان عبيداً فعلوا هذا للفعل دون الاحرار لانهم كانوا في طبائعهم اخباراً . وذلك ، انه لما مات فروليموس ، وكان موته في السنة التاسعة من ملك قومودس وفي سنة خمسمائة وست عشرة من ملك الاسكندر ، وكان الوزيران في ذلك الوقت ماطروس وابروس تتبع قوم كثير عددهم ، وعدت عبيدهم ليفشوا على مواليتهم ما فعلوا .

وهذا خلف عظيم لا سيما لما ذكره اسحق ، لانه يحصل بينه اختلاف عظيم الى وفاة جالينوس يقتضي بان تكون على ما ذكره اسحق من ان عمره كان سبعاً وثمانين سنة في هذه السنة المذكورة وهي سنة خمسمائة وست عشرة للاسكندر . ويقتضي ان يكون هذا الكتاب آخر ما عمله اعني كتاب الاخلاق لانه وقت وفاته يجب ان يكون الوقت الذي ذكر فيه امر العبيد والتاريخ . وقد رأينا ذكره في كتاب آخر يدل على انه قد عمل بعده ، وانسه عاش بعد هذا الوقت زمان ما يجوز السنة المذكورة عدته ، فقد بان تناقض تاريخه وفساد جلته .

ولو فرضنا الامر على ما ذكره لم يجب له ان ينقل مثل هذا التاريخ البين الجلي ، ويثبت جملة ما تحصل ولا يصح . وما يشهد بان المسيح كان قبل جالينوس بمدة من الزمان ، ما ذكره جالينوس بمدة من الزمان ، ما ذكره جالينوس في تفسير كتاب افلاطون في « السياسة المدنية » وهذا نص قوله .

قال جالينوس : « من ذلك قد نرى القوم الذين يدعون نصارى انما اخذوا ايمانهم عن الرموز

والمعجزة ، وقد تظهر منهم افعال المتفلسفين ايضاً . وذلك ان عدم جرعهم من الموت وما يلقون بمده أمر قد نراه كل يوم . وكذلك عناقهم عن الجماع وان منهم قوماً لا رجال فقط لكن نساء ايضاً قد اقاموا ايام حياتهم بمنتهى عن الجماع . ومنهم قوم قد بلغ من ضبطهم لأنفسهم في التدبير في الطعام والمشرب ، وشدة حرصهم على العدل ان صاروا غير مقصرين عن الذين يتفلسفون بالحقيقة .

قال عبدالله بن جبرائيل : فهذا القول قد علم ان النصارى لم يكونوا ظاهرين في زمن المسيح بهذه الصورة ، أعني الرهينة التي نعتها جالينوس ، وابشار الانقطاع الى الله سبحانه وتعالى . ولكن بعد المسيح بمائة سنة انتشروا هذا الانتشار حتى زادوا على الفلاسفة في فعل الخير وآثروا العدل والتفضل والصفاء ، وفازوا بتصديق المعبر . حصل لهم الحالان ، وورثوا المنزلتين ، واغضبوا بالسعادتين أعني السعادة الشرعية والسعادة العقلية . فمن هذا وشبهه يتبين تاريخ جالينوس .

وهذا آخر ما ذكره عبدالله بن جبرائيل من امر جالينوس .

ونقلت من خط الشيخ موفق الدين اسمع بن الياس بن المطران قال :

المواضع الذي ذكر جالينوس فيها موسى والمسيح ، قد ذكر موسى في المقالة الرابعة من كتابه في التشريع على رأي أبقراط اذ يقول : « هكذا يشبهون من تعين من المتطهين لموسى الذي سننا لشعب اليهود لان من شأنه أن يكتب كتبه من غير برهان اذ يقول الله امر والله قال » .

ويذكر موسى في كتاب منافع الاغضاء . ويذكر موسى والمسيح في كتاب النض الكبير اذ يقول : « لا الخشب المتفتت تستوي ولا الشجرة العتيقة اذا حولت تعلق فيسهل ان يعلم الانسان اهل موسى والمسيح من ان يعلم الاطباء والفلاسفة الممارين بالأحزاب .

ويذكر موسى والمسيح في مقالاته في المحرك الاول ويقول : لو كنت رأيت قوماً يعطون تلاميذهم كما كان يعطون اهل موسى والمسيح اذ كانوا يأمرتهم ان يقبلوا كل شيء بالامانة ، لم اكن اريكم أحداً .

وفي مواضع أخرى قال سليمان بن حسان المعروف بابن جليل : « وكان جالينوس من الحكاماليونانيين الذين كانوا في الدولة القيصرية بمد بليان روميه ومولده وملثوه بفرغامس وهي مدينة صغيرة من جملة مدائن آسيا شرقية قسطنطينية ، وهي جزيرة في بحر قسطنطينية ، وهم روم اغريقيون يونانيون . ومن تلك الناحية اندفع الجيش المعروف بالقوط من الروم الذين غنموا الاندلس واستوطنوها . وذكر لشيدر الاشيلي الحراني ان مدينة فرغامس كانت موضع سجن الملوكة ، وهناك كانوا يحبسون من غضبوا عليه » .

مسكن جالينوس

وقال يوسف بن الدابة في تعريف موضع جالينوس ومسكنه ما هذه حكايته :

قال : سأل ابو اسحق ابراهيم^(١) بن المهدي جبرائيل^(٢) بن مجتنبشوع عن مسكن جالينوس اين كان من أرض الروم ، فذكر ان مسكنه في حمرة كان متوسطاً لأرض الروم ، وانه في هذا الوقت في طرف من اطرافها . وذكر ان حد أرض الروم كان في أيام جالينوس من ناحية الشرق مما يلي الفرات القريبة المعروفة بنفيا من طوج الانبار^(٣) ، وكانت المسلحة التي يجتمع فيها جند فارس والروم وفواطيرها فيها . وكان الحد من ناحية دجلة دارا ، الا في بعض الاوقات ، فان ملوك فارس كانت تغلبهم على ما بين دارا ورأس العين^(٤) ، فكان الحد فيما بين فارس والروم من ناحية الشمال ارميلية^(٥) ، ومن ناحية المغرب مصر^(٦) إلا ان الروم كانت تغلب في بعض الاوقات على مصر وعلى أرمينية .

فلما ذكر جبرائيل غلبة الروم على أرمينية في بعض الاوقات تلقيت قوله بالإنكار ، وجمعت ان تكون الروم غلبت على أرمينية الا الموضع الذي يسمى بلسان الروم ارميناس ، فان الروم يسمون اهل هذا البلد الى هذه الناية الأرمن فشهد له علي ابو اسحق بالصدق ، وأتى بدليل على ذلك لم اصل الى دفعه ، وهو نط^(٧) أرمي كاحسن ما رأيت من الأرمن صنعة فيه صور جوار يلعبن في بستان بأصناف الملاهي الرومية ، وهو مطرز بالرومية مسمى باسم ملك الروم فسلمت لجبرائيل .

(ورجع الحديث الى القول في جالينوس) قال : واسم البلد الذي ولد فيه وكان مسكنه حمراء ، وكان منزله بالقرب من قرية بينه وبينها فرسخان .

قال جبرائيل : « فلما نزل الرشيد على قرّة ، رايت طيب النفس ، فقلت له يا سيدي يا امير المؤمنين ، منزل استاذي الاكبر مني على فرستين ، فان رأى امير المؤمنين ان يطلق لي النهاب اليه حتى اطعم فيه وأشرب ، فاصول بذلك على متطلي اهل دهري ، وأقول أتي أكلت وشربت في منزل استاذي ، فليفعل ؟ »

فاستضحك من قولي ثم قال لي : « ويحك يا جبرائيل أنتخوف ان يخرج جيش الروم او منسر^(٨) فيخطفك » .

فقلت له : « من الحال ان يقدم الروم على القرب من معسكرك هذا القرب كله » ، فأمر بإحضار

(١) هو ابراهيم بن المهدي العباسي حم المأمون تامل الفناء والطرب والملاهي وحتى الناعمة (٧٧٩ - ٨٣٨) .
(٢) من كبار أسرة طيبة من سوريات مات سنة ٨٣٠ هـ وله كتب فائدة في الطب والنطق وتقل الى اللغة العربية كثيراً من كتب الطب اليونانية .

(٣) مدينة قديمة في العراق على الفرات (د . ر) .
(٤) « مدينة في سوريا على الجاور » الحسبة « هـ » هي الحجاد وجبال في آسيا الصغرى جنوب القفقاز بين ايران شرقاً والأناضول غرباً ، وبين بحر قزوين وسميل القوات الأطل .
(٥) بلاد في شمال الرقبة تمتد بين البحر المتوسط وبلاد القرب وهي جمهورية حصر العربية اليوم .
(٦) النط : ضرب من البطي . وهنا يرجع الضمير الى جبرائيل .
(٨) قطعة جيش ترق قدم الجيش (د . ر) .

ابراهيم بن عثمان بن نيهك وامره ان يضم الي خميسة رجل حتى اوافي الناحية . فقلت : « يا امير المؤمنين في خمسين كفاية » .

فاستضحك ثم قال : ضم اليه الف فارس ، فانه انما كره ان يطعمهم ويسقيهم .

قال : « فقلت ما لي الى النظر الى جالينوس حاجة » ، فازداد ضحكاً ثم قال :

« وحق المهدي لتنفذن ومعك الالف فارس » .

قال جبرائيل : فخرجت وانا من اشد الناس غماً واكسهم بالاً ، قد اعددت لنفسي ما لا يكفي عشرة انفس من الطعام والشراب .

قال : فما استقر بي الموضع حتى وافاني الحيز والمسايلخ والملح فعم من معي وفضل كثير . فأقمت في ذلك الموضع فطعمت فيه ، ومضى فتيان الجند واغاروا على مواضع خور الروم ولحومهم ، فأكلوا اللحم كباباً بالحيز ، وشربوا عليه الخمر ، وانصرفت في آخر النهار .

فسأله ابو اسحق : « هل تبين في رسم منزل جالينوس ما يدل على انه كان له شرف ؟ » فقال له : « اما الرسم فكثير . ورأيت له ابياتاً شرقية وابياتاً غربية وابياتاً قبلية ولم ار له بيتاً فرائياً . وكذلك كانت فلاسفة الروم تجعل بيوتها ، وكذلك كانت ترى عظماء فارس ، وكذلك أرى ان اذا أصدقت نفسي وعملت بما يجب ، لان كل بيت لا تدخله الشمس يكون بيتاً . وانا كان جالينوس على حكتبه خادماً للملك الروم ، وملوك الروم اهل قصد في جميع امورهم ، فاذا قست منزل جالينوس الى منازل الروم رأيت من كبر خطته وكثرة بيوته ، وان كنت لم ارها إلا خراباً على ابي وجدت فيها ابياتاً مسقفة استدلت على انه كان ذا مروءة . » فسكت عنه ابو اسحق ، فقلت : « يا ابا عيسى ان ملوك الروم على مسا وصفت في القصد وليس قصدهم في هباتهم وعطاياهم الا قصدهم في مروءات انفسهم » فالتقص يدخل المخدم والخادم ، فاذا نظرت الى موضع قصر ملك الروم وموضع جالينوس ثم نظرت الى قصر امير المؤمنين ومنزلك ، يكون نسبة منزل جالينوس الى منزل ملك الروم مثل نسبة منزل الى منزل امير المؤمنين .

وكان جبرائيل احياناً يعجب مني لكثرة الاستقصاء في السؤال ، ويمدحني عند ابي اسحق ، وحياناً يغضب منه حتى يكاد ان يطير غيظاً . فقال لي : «وما معنى ذكرك النسبة ؟ » فقلت له : « اردت بذكر النسبة انها لفظة يتكلم بها حكام الروم ، وانت رئيس تلامذة اولئك الحكماء ، فارقت التقرب اليك بمخاطبتك بالفاظ استاذيك . »

وانما معنى قولي نسبة دار جالينوس الى دار ملك الروم مثل نسبة دارك الى دار امير المؤمنين : انه ان كانت دار جالينوس مثل نصف او ثلث او ربع او خمس او قدر من الاقدار من دار ملك الروم ، هل يكون قدرها من ملك الروم مثل قدر دارك من دار امير المؤمنين او اقل ؟ فان دار امير

المؤمنين ان كانت فرسخاً^(١) في فرسخ وقدر دارك عشر فرسخ في عشر فرسخ ، ودار ملك الرومان كانت عشر فراسخ في عشر فراسخ ، ودار جالينوس عشر عشر فرسخ في عشر عشر فرسخ ، كانت قدر دار جالينوس من دار ملك الروم مثل مقدار دارك من دار أمير المؤمنين سواء .

فقال : « لم تكن دار جالينوس كذا ، وهي أقل مقداراً من داري عند دار أمير المؤمنين بكثير كثير » فقلت له . « تخبرني عما أسأل ؟ » قال : « لست آتي عليك » . فقلت له : « انك قد اخبرت عن صاحبك انه كان أنقص مروءة منك » . فغضب وقال : « انت نوماجذ . » وكنت احسب هذه اللفظة فرية^(٢) فغضبت ، فلما رأى غضي قال : « اني لم أقذفك بشيء عليك فيه ضرر . ووددت اني كنت نوماجذ » . هذا اسم ركب من حرفين فارسيين وهما الحدة والأتان . فانما نوماجذ : فوه ، آمد ، اي جاء حدثه ، فيقال هذا للحدث ؟ ووددت اننا كنا احداثاً مثلك . وانما أناك انت تتغفز تغفز الديوك المحتلة ، فانها رءا فزعتها نفسها الى منافرة الديوك الهرمة ، فينقر الديك الهرم الديك المحتل النقرة ، فيظهر دماغه فلا تكون للمحتل بعد ذلك حياة . وانت تمارضني كثيراً المجالس ثم تحكم وتظلم في الحكم .»

« وان عيش جبرائيل وبختيشوع أبيه وجورجس جده لم يكن من الخلفاء وعمومتهم وقراباتهم ووجوه مواليتهم وقوادم ، وكل هؤلاء ففي اتساع من النعمة باتساع قلوب الخلفاء . وجميع اصحاب ملك الروم ففي ضحك من العيش وقلة ذات يد فكيف يمكن ان اكون مثل جالينوس ، ولم يكن له متقدم نعمة ، لان أباه كان زراعاً وصاحب جنات وكروم ؟ . فكيف يمكن من كان معاشه من أهل هذا المقدار ان يكون مثلي ولي ابوان قد خدما الخلفاء وأفضلوا عليها ، وغيرهم ممن هو دونهم . وقد افضل الخلفاء علي ورفعوني من حد الطب الى المعاشرة والمسامرة . فلو قلت انه ليس لامير المؤمنين أخ ولا قرابة ولا قائد ولا عامل الا وهو يداريني ، ان لم يكن مائلاً بحبته الي . وان كان مائلاً او شاكراً لي على علاج عاجلته ، او محضر جميل حضرته ، او وصف حسن وصفته به عند الخلفاء قنفذه ، فكل واحد من هؤلاء يفضل علي ويحسن الي . واذا كان قدر داري من دار أمير المؤمنين على جزء من عشرة اجزاء ، وكان قدر دار جالينوس من دار ملك الروم على قدر جزء من مائة جزء فهو اعظم مني مروءة . فقال له ابو اسحق : « ارى حدثك على يوسف انما كانت لانه قدمك في المروءة على جالينوس ؟ » فقال : « اجل والله ، لمن الله من لا يشكر النعم ، ولا يكافئه عليها بكل ما امكنه : اني والله اغضب ان اسوى بجالينوس في حال من الحالات ، واشكر في تقديري على نفسي في كل الاحوال » .

فاستحسن ذلك منه ابو اسحق واطهر استصواباً له وقال : « هذا لعمرى الذي يحسن بالاحرار

(١) ثلاثة اميال بللماشى وهو في قياس المتر ، خمسة آلاف واربون متراً امتدادية على اشهر الأقوال .

(٢) قنفذ ، « ذر »

والادباء . فانكب على قدم ابني اسحق ليقلبها فتمه من ذلك وخمه اليه .

وقال سليمان بن حسان : « وكان جالينوس في دولة نيرون قبصر وهو السادس من القياصرة الذين ملكوا رومية » وطاف جالينوس البلاد وجالها ودخل الى مدينة رومية مرتين فسكنها . وغزا مع ملكها لندابير الجرحى . وكانت له بمدينة رومية مجالس عامية خطب فيها وأظهر من علمه بالتشريح ما عرف به فضله ، وإن علمه .

وذكر جالينوس في كتابه عن الطيب الفاضل ما هذا حكايته قال : « اني منذ صباي تعلمت طريق البرهان . ثم اني لما ابتدأت بعلم الطب رفضت اللذات ، واستخففت بما فيه من عرض الدنيا ورفضته ، حتى وضعت عن نفسي مؤونة البكور الى ابواب الناس للركوب معهم من منازلهم ، وانتظارهم على ابواب الملوك للانصراف معهم الى منازلهم وملازمتهم . ولم أفن دهري واشق نفسي في هذا التطواف على الناس الذي يسمونه تسلياً . لكن أشغلت نفسي دهري كله بأعمال الطب والروية والفكر فيه . وسهرت عامة ليلي في قلب الكنوز التي خلفها القدماء لنا . فمن قدر ان يقول انه فعل مثل هذا الفعل الذي فعلت ، ثم كانت معه طبيعة ذكاه ، وفهم سريع ، يمكن معها قبول هذا العلم العظم ؛ فواجب ان يرتق به قبل ان يحرب قضاياهم وقعه في المرض ، ويقضي عليه بأنه أفضل من ليس معه ما وصفنا ولا قبل ما عددناه .

« وهذا الطريق سار رجل من رؤساء الكريين عند رجوعي الى مدينة من البلدان التي كنت نزلت فيها ، على انه لم يكن ثم لي ثلاثون سنة ، الى ان ولاني علاج جميع الجروحين من البارزين في الحرب . وقد كان يولي امرهم قبل ذلك رجلاً او ثلاثة من المشايخ . فلما ان سئل ذلك الرجل عن طريق المهنة التي امتحنني بها حتى وثق بي فولاني أمرهم ، قال : « - اني رأيت الأيام التي افناها هذا الرجل في التعليم أكثر من الأيام التي افناها غيره من مشايخ الاطباء في تعلم هذا العلم . وذلك اني رأيت اولئك يفتنون أعارهم فيما لا يفتنع به ، ولم أر هذا الرجل يفتني يوماً واحداً ولا لمة من عمره في الباطل . ولا يجلو في يوم من الأيام ولا في وقت من الارتياض فيما يفتنع به . وقد رأيناه ايضاً فعل افعالا قريباً هي اصح في الدلالة على حذقه بهذه الصناعة من سنى هؤلاء المشايخ » . -

« وقد كنت حضرت مجلساً عاماً من المجالس التي تجتمع فيها الناس لاختبار علم الاطباء ، فأريت من حضر اشياء كثيرة من امر التشريح . واخذت حيواناً فشقت بطنه حتى اخرجت امعاءه ، ودعوت من حضر من الاطباء الى ردحا ، وشياطة البطن على ما ينبغي ، فلم يقدم احد منهم على ذلك . وعالجناه نحن فظهر منا فيه حذق ودرية وسرعة كف . وفجرت ايضاً عروقاً كباراً بالتمدد ليجري منها الدم ، ودعوت مشايخ من الاطباء الى علاجها ، فلم يوجد عندهم شيء . وعالجتها انا فقتين لمن كان له عقل من حضر ان الذي ينبغي ان يتولى امر الجروحين من كان معه من الحذق ما معي . فلما ولاني ذلك الرجل امرهم وهو اول من ولاني هذا الامر اغتبط بذلك . وذلك انه لم يمت من

جميع من ولاني امره الا رجلا فقط . وقد كان مات من تولى علاجه طبيب كان قبلي ستة عشر نفساً . ثم ولاني بعده امرم رجل آخر من رؤساء الكريين فكان بتوليته اياي اسعد . وذلك انه لم يمت احد من ولانيه ، على انه قد كانت بهم جراحات كثيرة جداً عظيمة .

« وانما قلت هذا لأدل كيف بقدر الممتحن ان يمتحن ويميز بين الطبيب الماهر وبين غيره قبل ان يجرب قوله وعلمه في المرضى ، ولا يكون امتحانه له كما يمتحن الناس اليوم الاطباء ، ويقدمون منهم من ركب معهم واشتغل بخدمة الشغل الذي لا يمكن معه الفراغ لاعمال الطب . بل يكون تقديره واختياره لمن كان على خلاف ذلك ، وكان شغله في دهره كله في اعمال الطب لا غيرها .

قال : « واني لأعرف رجلاً من اهل العقول والفهم قدمني من فعل واحد رأي فعلته ، وهو تشريح حيوان بيلت به بأي الآلات يكون الصوت وبأي الحركة منها . وكان عرض لذلك الرجل قبل ذلك الوقت بشهرين ان سقط من موضع عال فتكسرت من بدنه اعضاء كثيرة ؛ وبطل عامة صوته ، حتى صار كلامه بمنزلة السرار^(١) . وعرجت اعضاؤه فصلصت وبرأت بعد ايام كثيرة ، وبقي صوته لا يرجع . فلما ان رأى مني ذلك الرجل ما رأى وثق بي وقلدني أمر نفسه فابراه في ايام قلائل ، لاني عرفت الموضوع الذي كانت الآفة فيه ، فقصدت له . »

وقال : « واني لأعرف رجلاً آخر سقط من دابته فتهشم ثم عولج فبرأ من جميع ما كان ثاله خلا ان اصبعين من اصابع كفه وهما المختصر والبصر بقينا خدرتين زماناً طويلاً . وكانت لا يحس بهما كثير حس ، ولا يملك حركتهما على ما ينبغي . وكان من ذلك ايضاً شيء في الوسطى . فجمعل الاطباء يضعون على تلك الاصابع ادوية مختلفة وكلها لم تنجح . وكلما وضعوا دواء انتقلوا منه الى غيره . فلما أفاني سألتني عن الموضوع الذي قرع الارض من بدنه ، فلما قال لي ان الموضوع الذي قرع منه هو ما بين كتفيه ، وكنت قد علمت من التشريح ان خرج العصب التي تأتي هاتين الاصبعين اول خرزة فيما بين الكتفين ، علمت ان اصل البلية هو الموضوع الذي تثبت فيه تلك العصب من النخاع . فوضعت على ذلك الموضوع الذي تثبت منه تلك العصب بعض الادوية التي كانت توضع على الاصابع ، بعد ان أمرت فقلعت عن الاصابع تلك الادوية التي توضع عليها باطلاً ، فلم يلبث الا يسيراً ، حتى برىء ، وبقي كل من رأى ذلك يتعجب من ان ما بين الكتفين يعالج فتهبر الاصابع .

قال : « وأفاني رجل آخر اصابته آفة في صوته وشهوته للطعام ممّا ، فابراه بادوية وضعتها على رقبته ، وكان المارض لذلك الرجل ما اصف لك : « كان به خنازير عظيمة في رقبته في كلا الجانبين ، فعالجه بعض المبالين فقطع تلك الخنازير ، واورثه بسوء احتياطه برداً في المصبتين المجاورتين للرقبة النابضتين الشاحصين في الرقبة . وهاتان المصبتان تنبتان في اعضاء كثيرة ، وتأتي منها شعبة عظيمة

« السرار : هنا يصدق بها السارة .

الى قم المدة ، ومن تلك الشعة تنال المدة كلها الحس ، الا ان اكثر ما في المدة حساً منها لكثرة ما ينبت من تلك العصب التي فيها . وشعبة يسيرة من كل واحدة من هاتين العصبتين تحرك واحدة من آلات الصوت ، ولذلك ذهب صوت ذلك الرجل وشهوته ، فلما علت ذلك وضعت على رقبته دواء مسخناً فبرأ في ثلاثة ايام ، وما احد رأى هذا الفعل مني ، ثم صبر لان يسمع مني الرأي الذي ادا في الى علاجه الاعجب ، إلا وعلم ان بالاطباء الى التشريح اعظم الحاجة . »

وقال جالينوس في كتابه « في الامراض العسرة البرء » : انه كان ماراً بمدينة رومية اذ هو برجل خلق نحوه جماعة من السفهاء ، وهو يقول : انا رجل من اهل حلب لقيت جالينوس ، وعلمي علومه اجمع ، وهذا دواء ينفع من الدود في الاضراس ، وكان الحبيث قد اعد بندقاً من قار^(١) وقطران^(٢) ، وكان يضفا على الجمر ويبخر بها صاحب الاضراس المدودة بزعمه ، فلا يجد بداً من غلق عينيه ، فاذا اغلقها دس في فمه دوداً قد اعدهما في حق^(٣) ، ثم يخرجها من قم صاحب الضرس . فلما فعل ذلكلقى اليه السفهاء بما معهم ، ثم تجاوز ذلك حتى قطع العروق على غير مفاصل .

قال : « فلما رأيت ذلك ابرزت وجهي للناس وقلت انا جالينوس ! وهذا سفيه . ثم حذرت منه ، واستعدت عليه السلطان فلطمه »

ولذلك ألف كتاباً في اصحاب الحيل .

وقال جالينوس في « كتاب قاطاجانس » : انه دبر^(٤) في الهيكل بمدينة رومية في لوبة الشيخ المقدم الذي كان في الهيكل الذي كان يداوي الجرحى ، وذلك الهيكل هو البيلاستان — فبرأ كل من دبره من الجرحى قبل غيرهم .

وبان بذلك فضله وظهر علمه ، وكان لا يقنع من علم الاشياء بالتقليد دون المباشرة .

قال المبشر بن فائق : « وسافر جالينوس الى اثينية ورومية والاسكندرية وغيرها من البلاد في طلب العلم ، وتعلم من ارمنيوس الطب ، وتعلم أولاً من ابيه ومن جماعة مهندسين ونحاة : الهندسة واللغة والنحو وغير ذلك . ودرس الطب ايضاً على امرأة اسمها قلاويطر ، واخذ عنهما ادوية كثيرة ، ولا سيما ما تعلق بعلاجات النساء . وشخص الى قبرس ليرى التلقطار في معدته . وكذلك شخص الى جزيرة لئوس ليرى عمل الطين المحترق ، فباشر كل ذلك بنفسه وصحبه برؤيته . وسافر ايضاً الى مصر واقام بها مدة فنظر عقاقيرها ولا سيما الافيون ، في بلد اسبوط^(٥) من اعمال صيدها . ثم خرج متوجهاً منها نحو بلاد الشام راجعاً الى بلده ، ففرض في طريقه ومات بالفرما ، وهي مدينة على البحر

١٢٥ مادة سدرء تطلق بها السفن وهو الزفت .

١٢٦ عصارة شجرة تطلق بها الايل تحصل من تقطير الحشب او القسم الحجري .

١٢٧ دواء .

١٢٨ اصل منهاها تنبيه من وراثة وهنا تتبع مايلته . (ن . د) .

(٥) مدينة في صيد مصر مسقط رأس افلاطين الفيلسوف والعلامة جلال الدين السيوطي .

الاخضر في آخر اعمال مصر .

وقال السعودي في كتاب « المسالك والممالك » ان الفرما^(١) على شط بحيرة تنيس ، وهي مدينة حصينة وبها قبر جالينوس اليوناني . وقال غيره انه لما كانت ديانة النصرانية قد ظهرت في ايام جالينوس قيل له ان رجلاً ظهر في آخر دولة قيصر اكتفيا ببيت المقدس يريء الاكس^(٢) والارص ويحيي الموتى فقال : « يوشك ان تكون عنده قوة إلهية يفعل بها ذلك » ، فقال انت كان هناك بقية من صحبه فقيل له نعم ا فخرج من رومية يريد بيت المقدس فجاز الى صقلية وهي يومئذ تسمى سلطانية . فمات هنالك وقبره بصقلية . ويقال ان العلة التي مات بها الذئب^(٣) .

وحكي عنه انه لما طالبت به العلة عاجلها بكل شيء فلم ينجع ، فقلت لتلاميذه ان الحكيم ليس يعرف علاج علته ، وقصروا في خدمته ، فاحس بذلك منهم وكان زماناً صائفاً ، فأحضر جرة فيها ماء وأخرج شيئاً فطره فيها وحرّكها ساعة وكسرها ، واذا بها قد جمدت ، فأخذ من ذلك الدواء فشربه واحتقن به فلم ينفع . فقال لتلاميذه هل تعلمون لم فعلت هذا ؟ قالوا لا ا قال لثلاث تظنوا اني قد عجزت عن علاج نفسي فهذه علة تسمى داء مدد يعني الداء الذي لا دواء له وهو الموت . وهذه الحكاية احسبها مفتحة عن جالينوس .

صفة تجعيد الماء

وذكر ابن جنيته^(٤) في كتاب « المقدمة » صفة لتجعيد الماء في غير وقته ، زعم انه اذا اخذ من الشب الباني الجيد رطل ، ويسحق جيداً ويجعل في قدر فضاخ جديدة ؟ ويلقى عليه ستة ارطال ماء صاف ، ويجعل في تنور ويطين عليه حتى يذهب منه الثلثان ويبقى الثلث لا يزيد ولا ينقص ، فانه يشتد . ثم يرفع في قنينة ويسد رأسها جيداً . فاذا اردت العمل به اخذت ثلجية جديدة وفيها ماء صاف ، واجعل في الماء عشرة مثاقيل^(٥) من الماء المعمول بالشب ، ويترك ساعة واحدة فانه يصير ثلجاً . وكذلك ايضاً زعم بعض المغاربة في صفة تجعيد الماء في الصيف قال : اعمد الى برز الكتان فانقعه في خل خر جيد ثقيف ، فاذا جمد فيه فالحقه في جرة او حب مليء ماء . قال : فانه يجيد ما كان فيه من الماء ولو انه في حزيران او تموز .

(١) مدينة قديمة عند مدخل مصر شرقاً .

(٢) المسرح العين والساوب المل .

(٣) هنا يختلف المتن باختلاف الحركات المبنية لان كانت الذئب فهو داء في الكبد وان كان الذئب فهو داء يعرض للعدمة فلا يهضم الطعام فيسد ولا تسكه . (ن . د) .

(٤) ابو الحسين عبد الله بن عيسى وكان طبيباً وخطيباً من اهل واسط . وله كتاب المقدمات ويعرف بكتن الاطباء .

(٥) ما وازنه في الوزن درهم وثلاثة اسباع الدرهم ويسمى بوزن هذا الصر ٣٠٤٣٦ غ هذا الشرعي و ٤٨٠٠ غ للصيرفي الشامي (ن . د) .

قال ابو الوفاء المبرش بن فائق : « وكان جالينوس يمتني به ابوه العناية البالغة ، واتفق عليه التفقة الواسعة ، ويجري على الملعين الجراية الكثيرة ويحلمهم اليه من المدن البعيدة . وكان جالينوس من صفه مشتبهاً للعلم البرهاني ، طالباً له ، شديد الحرص والاجتهاد والقبول العلم . وكان لحرصه على العلم يدرس ما علمه المعلم في طريقه اذا انصرف من عنده حتى يبلغ الى منزله . وكان الفتان الذين كانوا معه في موضع التعليم يولمونه ويقولون له : « يا هذا ، ينبغي ان تجعل لنفسك وقتاً من الزمان تضحك معنا فيه وتلمب » فربما لم يحبهم لشغلهم بما يتعلمه ، وربما قال لهم ما الداعي لكم الى الضحك واللعب فيقولون : « شهورنا الى ذلك » فيقول : « والسبب الداعي لي الى ترك ذلك وابتاري العلم بغضبي لما اتم عليه ، وبحبتي لما انا فيه » فكان الناس يتسبون منه ويقولون : « لقد رزق ابوك مع كثرة ماله وسعة جاهه ابنه حرصاً على العلم » . وكان ابوه من اهل الهندسة ، وكان مع ذلك يعاني صناعة الفلاحة ، وكان جده رئيس التجارين ، وكان جد ابيه ماسحاً .

وقال جالينوس في كتابه في « الكيموس » الجيد والودي « ان اباه مات وجالينوس من العمر عشرون سنة . وهذا ما ذكره في ذلك الموضع من حاله قال : « انك ان اردت تصديقي انما الحبيب فصدقني ، فانه ليس لي علة ولا واحدة تضطري الى الكذب » فاني ربما غضبت اذا رايت فاساً كثيراً من اهل الأئمة في الحكمة وفي الكرامة قد كذبوا كثيراً في كتبهم التي وصفوا بها علم الاشياء . فاما انا فاني اقول ولا اكذب الا ما قد عاينت بنفسي ، وجربت وحدي في طول الزمان . والله يشهد لي اني لست اكذب فيما اقص عليكم : انه قد كان لي اب حكيم فاضل ، قد بلغ من علم الامور بلوغاً ليست من ورائه غاية . اقول : من علم المساحة والهندسة والمنطق والحساب والنجوم الذي يسمى اسطرونميا وكان اهل زمانه يعرفونه بالصدق والوفاء والصلاح والصفاء . وبلغ من هذه الفضائل التي ذكرت ما لم يبلغها احد من حكماء اهل زمانه وعلمائهم . وكان القيم علي وعلى سياسيي وانا حدث صغير ، فصفطني الله على يديه بفكر وجع ولا سقم واني لما راهقت^(١) او زدت توجه ابي الى ضيعة له وخلفني ، وكان محباً لعم الاكرمة^(٢) فكنت في تعليمي وادبي افوق اصحابي المتعلمين عامة ، واقتد بهم في العلم واتركهم خلفي ، واجتهد ليلاً ونهاراً على التلميم . فتناولت يوماً مع اصحابي فاكهة وتغلات بها . فلما كان اول دخول فصل الحريف مرضت مرضاً شديداً فاحتجبت الى فصد العرق ، وقدم والذي علي في تلك الايام ، ودخل المدينة ، وجاء الي فاتتبرني وذكرني بالتذكير والسياسة والغذاء الذي كان يغذوني به وانا صبي . ثم امرني وتقدم الي فقال : « اتق من الآن وتحفظ وتباعين شهور اصحابك الشباب وكثرتهم والحاحهم واقتحامهم » . فلما كان الحول المقبل حرص ابي بحفظ غذائي والزمنه ، ودبرني ايضاً وماسني سياسة موافقة . فلم اتناول من الفاكهة الا اليسير منها وانا يومئذ ابن تسع عشرة سنة . فخرجت سني تلك بلا مرض ولا اذى . ثم انه نزل بأبي بعد تلك السنة الموت . فجلست ايضاً مع اصحابي واخواني من اولئك الشباب فاكلت الفاكهة واكثرت ، وتغلات ايضاً فمرضت مرضاً شديداً

(١) قارب العلم اي بلغ حد الرجال .

(٢) علم الحراة (ن.د).

برضي الاول فاحتجعت ايضاً الى فصد العرق . ثم لزممتي الامراض بعد تلك السنة سنيناً متتابعة ، وربما كان ذلك غشياً سنة بعد سنة ، الى ان بلغت ثمانيا وعشرين سنة . ثم اني اشتكت شكايـة شديدة ، ظهرت لي دبية في الموضع الذي يجتمع فيه الكبد مع ذيا فرغا – وهو الحجاب الحاجز ما بين الاعضاء التنفسية والاعضاء العمالة للغذاء – فمزمت حينئذ على نفسي ان لا اقرب بعد ذلك شيئاً من الفاكهة الرطبة ، الا ما كان من التين والعنب ، وهذان اذا كانا نضجين . وتركـت الاكثر منها ايضاً فوق القدر والطاقة . وكنت اتناول منها قدراً ولا اجاوزـه . وقد كان لي ايضاً صاحب أمـس مني فوافقتني وواسلي في العزم الذي عزمت عليه من ترك الفاكهة والتباعد ، فالتزمتا انفسنا الضمور وقوتي التخلف والشعب من الاغذية ، فبقينا جميعا مما يغير وجع ولا سقم الى يومنا هذا سلينا كثيرة . ثم لما رأيت ذلك عدت الى اخلائي واخذاني وعي من اخواني فالتزمتهم الضمور والغذاء بقدر واعتدال فصعوا ولم يمرض لهم شيء مما اكره الى يومي هذا فمنهم من لزمته الصحة الى يومنا هذا خـصا وعشرين سنة ، ومنهم من لزمته الصحة خمس عشر ومنهم من لزمته السلامة اقل من ذلك واكثر ، من اطاعني ولزم الغذاء على قدر ما قدرت له من ذلك وتباعد من الفاكهة الرطبة وغيرها من الاغذية الرديئة الكيموسات .

وقال في كتابه ، في علاج التشريح ، بأنه دخل رومية في المرة الاولى في ابتداء ملك انطوليـنوس الذي ملك بعد ادريـنوس ، وصنف كتابا في التشريح لبوانتيوس المظفر الذي كان واليا على الروم عندما اراد ان يخرج من مدينة رومية الى مدينته التي يقال لها بطولومـايس ، وسأله أن يزوده كتابا في التشريح . وصنف ايضاً في التشريح مقالات وهو مقيم بمدينة سميرنا عند باليس معلمه الثاني بعد ساطورس تليد قوينطوس . ومضى الى قورنتوس بسبب انسان آخر مذكور كان تليداً للفونطس يقال له اقبانوس . وسار الى الاسكندرية لما سمع ان هناك جماعة مذكورين من قلامذة قونطوس ومن تلامذة لوميسيانوس . ثم رجع الي موطنه فرغاس من بلاد آسيا ، ثم سار الى زومية ، وشرع برومية قدام بوانتيوس وكان يحضره دائماً اوديموس الفيلسوف من فرقة المشائين وقد كان يحضرهم الذي يتولى في مدينة رومية وهو سرجيوس بولس ، فانه في امور الحكمة كلها كان اولي بالقول والفعل جميعاً .

وقال جالينيوس في بعض كتبه : انه دخل الاسكندرية في اول دفعة ، ورجع عنها الى فرغاس موطنه وموطن آباءه وعمره ثمان وعشرون سنة . وقال في كتابه ، في فينكس كتبه : انه كان رجوعه من رومية الى بلاده وقد مضى من عمره سبع وثلاثون سنة . وقال في كتابه ، في نفي النعم ، انه احرق له في الخزائن العظمى التي كانت للملك بمدينة رومية كتب كثيرة واثاث له قدر يبلغ عظم . وكان بعض النسخ المحترقة بخط أرسطوطاليس ، وبعضها بخط انكساغورس واندروماخس ، وصحح قراءتها على معلميه الثقات ، وعطى من رواها عن أفلاطون . وسافر الى مدن بعيدة حتى صحح اكثرها .

وذكر ان من جهة ما ذهب له في هذا الحريق ايضاً اشياء كثيرة قد ذكرها في كتابه يطول حصرها .

وقال المشر بن فائق : « ان من جملة ما استرقى لجالينوس في هذا الحريق كتاب « روفس » في الترياقات والسوم ، وعلاج المسمومين وتركيب الأدوية بحسب الملة والزمان ، وان من عرزه عنده ، كتبه في ديباج أبيض بقز أسود وأتفق عليه جملة كثيرة . اقول : وبالجملة فان لجالينوس اخباراً كثيرة جداً ، وحكايات مفيدة لمن يتأملها ، ونبدأ ونوادر متفرقة في خلال كتبه وفي اثناء الاحاديث المتفرقة عنه ، وقصصاً كثيرة مما جرى له في مداواة المرضى مما يدل على قوته وبراعته في صناعة الطب .

لم يتبها لي حينئذ ان اذكر جميع ذلك في هذا الموضع . وفي عزمي ان أجعل لذلك كتاباً مفرداً يلتظم كل ما اجمده مذكوراً من هذه الأشياء في سائر كتبه وغيرها ان شاء الله تعالى .

وقد ذكر جالينوس في فينكس كتبه انه صنف مقالاتين ، وصف فيها سيرته .

فاما العلاجات البديعة التي حصلت لجالينوس ونوادره في تقدمه المعرفة التي تفرد بها ، عندما تقدم فائزر بمجدوها فكانت على ما وصفه . فانا وجدناه قد ذكر من ذلك جملة في كتاب مفرد كتبه الى أفيجناس ، ووسمه بكتاب « نوادر تقدمه المعرفة » ، وهو يقول في كتابه هذا : « ان الناس كانوا يسئولني اولاً ، لجموده ما يسمعونني في صناعة الطب ، المتكلم بالعجائب : فلما ظهرت لهم المعجزات التي كانوا يحذونها في معالجاتي سموني الفاعل للعجائب .

وقال في كتابه : « وفي محنة الطبيب الفاضل » ما هذه حكايته : قال : ولم اعلم أحداً من بالحضرة الا وقد علم كيف داوينا الرجل الذي كان يضرب كل شياض يكتحل به حتى برأ . وكانت في عينه قرحة عظيمة مؤلمة ، وكان مع ذلك ، الغشاء العيني قد نتأ فتأثنت لذلك حتى سكن ، والقرحة حتى اندملت من غير ان استعمل فيها شيئاً من الشياقات . فلقتصر على اني كنت امسسه له في كل يوم ثلاثة مياه ، اسدها ماء قد طبخت فيه حلبة ، والآخر ماء قد طبخت فيه ورداً ، والآخر ماء قد طبخت فيه زعفراناً غير مطحون . وقد رأى جميع الاطباء الذين بالحضرة وأنا استعمل هذه المياه ، فلم يقدر أحد منهم ان يتمثل استعمالي اياها ، وذلك لانهم لا يعرفون الطريق ، ولا المقدار الذي يحتاج ان يقدر في كل يوم من كل واحد من هذه المياه ، على حسب ما تحتاج اليه الملة . وذلك ان تقدير ما كان لتلك المياه عند شدة الوجع وغليته بنوع ، وعند تقور اللتوء بنوع ، وعند كثرة الوسخ في القرحة او الزيادة في عفنها بنوع . ولم استعمل شيئاً سوى هذه المياه ، وبلغت الى ما اردت من سكون تنوء الغشاء العيني الذي كان نتأ ، وتسكين الوجع وتلقيه القرحة في وقت . ما كان الوسخ كثيراً فيها ، وانابت اللحم فيها في وقت ما كانت حميقة ، واندهالها في وقت ما امتلأت . ولست اخاف في يوم من الايام من ان ابين من مبلغ الحذق بهذه الصناعة ما هذا مقداره في العظم او شبيه به . واكثر من يرى هذا من الاطباء لا يعلم ان هو مكتوب فضلاً عما سوى ذلك . وبخضم اذ رأى ذلك لقبني البديع الفعل ، وبخضم البديع القول . مثل قوم من كبار اطباء رومية حضرتهم في اول دخة دخلتها عند فتى محوم ، وهم يتناظرون في قصده ، ويختصمون في ذلك . فلما ان طال كلامهم قلت لهم : ان خضومتكم فضل ، والطبيعة عن قريب ستفجر عرقاً ويستفرغ من المخضرين الدم الفاضل في بدن هذا الفتى ، فلم يلتبسوا ان

رأوا ذلك عياناً ، فبهتوا في ذلك الوقت ولزموا الصمت ، واكسبني ذلك من قلوبهم البغضة ، ولقبوني
البديع القول .

حضرت مرة أخرى مريضاً وقد ظهرت فيه علامات بينة جداً تدل على الرعاف ، فلم اكنف بأن
انذرت بالرعاف حتى قلت انه يكون من الجانب الايمن . فلانني من حضر ذلك من الاطباء ، وقالوا
« حسبننا ليس بنا حاجة الى ان تبين لنا » . فقلت لهم : « واراكم مع ذلك انكم عن قريب سيكثر
اضطرابكم ويشد وجلكم من الرعاف الحادث ، لانه سيعسر احتباسه ، وذلك اني لست ارى طبيعته
تقوى على ضبط المقدار الذي يحتاج اليه من الاستفراغ والوقوف عنده » فكان الامر على ما وصفته
ولم يقدر اولئك الاطباء على حبس الدم ، لانهم لم يعلموا من اين ابتداء حين ابتدأت حركته ، وقطعته
انا بأهون السعي ، فساني اولئك الاطباء البديع الفعل .

وحكى ايضاً من هذا المجلس مما يدل على براعته وقوته في صناعة الطب في كتابه هذا ما هذه
حكايته ، قال : « وقد حضرت مرة مع قوم من الاطباء مريضاً قد اجتمعت عليه نزلة مع ضيق
نفس ، فتركت اولئك الاطباء اولاً يسقونه الادوية التي ظنوا انه ينتفع بها ، فسقوه اولاً بعض الادوية
التي تنفع من السعال والنزلة ، وهذه الادوية تشرب عند طلب المريض النوم ، وذلك انها تجلب طرفاً
من السبات حتى انها تنفع من به ارق وسهر . فنام ليلته تلك باسرها نوماً ثقيلاً ، وسكن عله السعال
وانقضت عنه النزلة ، إلا انه جعل يشكو ثقلًا يجده في آلة النفس ، واصابه ضيق شديد في صدره
ونفسه ، فرأى الاطباء عند ذلك انه لا بد من ان يسقوه شيئاً مما يعين على نفث ما في رئته ، فلما
تناول ذلك قذف رطوبات كثيرة لزجة . ثم ان السعال عاوده في الليلة القابلة ، وسهر وجعل يحس
بشيء رقيق ينحدر من رأسه الى حلقه وقصبة رئته ، فاضطروا في الليلة القابلة ان يسقوه ذلك الدواء
النوم ، فسكن عنه عند ذلك النزلة والسعال والسهرة ، إلا ان نفسه ازداد ضعفاً ، وساءت حاله في
الليلة القابلة سوءاً ، فلم يجد الاطباء معه بداً من ان يسقوه بعض الادوية اللطيفة المقطعة لما في الرئة .
فلما ان شرب ذلك نقيت رئته ، إلا انه عرض له من السعال ومن كثرة الربو ومن الارق بسببها
ما لم يقو على احتاله . فلما علمت ان الاطباء قد تحيروا ولم يبق عندهم حيلة ، سقيته بالمشي دواء لم
يجع به صالاً ولا نزلة ، وجلب له نوماً صالحاً وسهل عليه قذف ما في رئته . وسلكت بذلك المريض
هذه الطريق فأبرأته من العلتين جميعاً في ايام يسيرة ، على انها علتان متضادتان فبا يظهر . ويتبين من
هذا لمن يريد ان من قال من الاطباء انه لا يمكن ان يبرأ بدواء مرضان متضادان لم يصب ، وانا اول
من استخرج استعمال هذه الادوية ، واستعمال الادوية التي تعالج بها القرحة العارضة في الرئة من قبل
نزلة تنحدر اليها من الرأس . وغير ذلك من ادوية كثيرة سأبين طريق استعمالها في كتاب « تركيب
الادوية » .

وقال جالينوس في كتابه : في ان الاختيار من الناس قد يلتفتون بأعدادهم من شرح حاله ما هذا
نصه : « قال فاني لم أطلب من احد من تلاميذي أجرة ، ولا من مريض من المرضى الذين أعالجهم .

واني اعطي المرضى كل ما يحتاجون اليه لا من الادوية فقط أو من الاغذية أو من الادهان أو غير ذلك مما أشبهه ، لكنني أقيم عليهم من يخدمهم أيضاً اذا لم يكن لهم خديم ، واهيئ لهم مع ذلك أيضاً ما يقتضون به . قال : « واني وصلت كثيراً من الاطباء بالصدقاء كانوا لي قوجهوا في عساكر ، واطباء آخر أيضاً كثير عددهم ضمتهم الى قوم من اهل القدر لم آخذ من احد منهم على ذلك رشوة او هدية ، بل كنت اهب لقوم منهم بعض الآلات والادوية التي يحتاجون اليها . وبعض لم أكن اقتصر به على ذلك فقط ، لكنني كنت أزوده ما يحتاج اليه من النفقة في طريقه .

صفة جالينوس واخلاقه

وقال المشيخ بن فاتك : « ان جالينوس كان اسم اللون ، حسن التخاطب ، عريض الاكتاف ، واسع الراحتين ، طويل الاصابع ، حسن الشعر ، عبا للاغاني والالان وقراءة الكتب ، معتدل المشية ، ضاحك السن ، كثير الهذر ، قليل الصمت ، كثير الوقوع في اصحابه ، كثير الاسفار ، طيب الرائحة ، نقي الثياب . وكان يحب الركوب والتنزه . مداخلاً للفلوك والرؤساء من غير ان يتقيد في خدمة احد من الملوك ، بل انهم كانوا يصكروونه . واذا احتاجوا اليه في مداواة شيء من الامراض الصعبة دفعوا له المطايا الكثيرة من الذهب وغيره في برهما . « وذكر ذلك في كثير من كتبه . « وانه كان اذا تطلبه احد من الملوك ان يستمر في خدمته سافر من تلك المدينة الى غيرها لئلا يشتغل بخدمة الملك عما هو بسيله .

وذكروا ان الاصل كان في اسم جالينوس غالينوس ، ومعناه الساكن او الهادي . وقبل ان ترجمه اسم جالينوس معناه بالعربي الفضل .

وقال ابو بكر محمد بن زكريا الرازي ^(١) في كتاب « الحادي » انه ينطق في اللغة اليونانية ان ينطق بالجمع غنياً وكافاً ، فيقال مثلاً جالينوس وغالينوس وكالينوس ، وكل ذلك جائز . وقد يجعل الالف واللام لأمماً مشددة فيكون ذلك أصح في اليونانية .

اقول : وهذه فائدة تتعلق بهذا المعنى وهي : حدثني القاضي نجم الدين عمر بن محمد بن الكريدي قال : حدثني ابنناخون المطران بشوبك وكان اعلم اهل زمانه بمعرفة لغة الروم القديمة وهي اليونانية ، ان في لغة اليونان كل ما كان من الاسماء الموضوعة من اسماء الناس وغيرهم ، فأخبرها سين مثل جالينوس وديسقوريدس وانكساغورس وارسطوطاليس وديوجانيس واريباسيوس ، وغير ذلك ، وكذلك مثل قولهم قاطينوريس وبارميلياس ، ومثل اسطوخودس ، وانغالس ، فان السين التي في آخر كل كلمة حكها في لغة اليونانيين مثل التنوين في لغة العرب الذي هو في آخر الكلمة ، مثل قولك زيد وعمر ووخالد وبكر وكتاب وشجر . فتكون النون التي تبين في آخر التنوين مثل السين في لغة اولئك .

(١) ولد في الري (٨٦٤ - ٩٣٢) ولقب بجالينوس العرب أو طبيب المسلمين واشهر كتبه كتاب « الحادي » (ن.د.)

أقول : « ويقع إن من اللفاظ التي في لغة اليونانيين ، وهي قلائل ، ما لا يكون في آخره سين مثل سقراط وأفلاطون وأغاثانيمون وأغولون وتامور وباغات . وكذلك من غير أسماء الناس مثل : انابوليطيا ونيقوماخيا والريطورية ، ومثل : جند بيدستر وترياق ، فان هذه الأسماء تكون في لغة اليونانيين لا يجوز عندهم تنوينها فتكون بلا سين . وذلك مثل ما عندهم في لغة العرب إن من الأسماء ما لا ينون ، وهي الأسماء التي لا تنصرف مثل اسماعيل وإبراهيم واحد ومساجد ودنانير ، فتكون هذه كذلك . والله اعلم .

وقد مدح أبو العلاء بن سراج المري^(١) في كتاب « الاستنصار » كتب جالينوس ومدوني الطب فقال :

سقا ورعيا^(٢) لجالينوس من رجل ورهط بقراط غاضوا بعد او زادوا
فكل ما اصكوه غير منتقض به استفاث أولو سقم وعوادم
كُتب لطاف عليهم خف محملا كتب في شفاء الداء أطواد^(٣)

ومن ألفاظ جالينوس وآدابه ونوادره الحكيمية ، مما ذكره حنين ابن اسحق في كتاب « نوادر الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء » ، قال جالينوس :

« ألهم فناء القلب والنغم مرض القلب » . ثم بين ذلك فقال : « النغم بما كان والهلم بما يكون » . وفي موضع آخر : « النغم بما فات والهلم بما هو آت » ، فإياك والنغم فان النغم ذهاب الحياة . الا ترى ان الهلمي اذا نغم " وجبة " ثلاثي من النغم » .

قال في صورة القلب : « ان في القلب مجويفين أين وأيسر . وفي التجويف الايمن من الدم اكثر من الايسر . وفيها عرقان يأخذان الى الدماغ ، فاذا عرض للقلب ما لا يوافق مزاجه انتقبض ، فانقبض لانقباضه العرقان ، فتشنج لذلك الوجه وألم له الجسد . واذا عرض له ما يوافق مزاجه انبسط ، وانبسط العرقان لانبساطه » . قال : « وفي القلب عريق صغير كالانبوبة مطل على شفاف القلب وسويدائه^(٤) ، فاذا عرض للقلب غم انتقبض ذلك العريق فحضر منه دم على سويداء القلب وشفافه ، فيحضر عند ذلك من العريقين دم يتشاه ، فيكون ذلك عصراً على القلب ، حتى يحس ذلك في القلب والروح والنفس والجسم ، كما يتنفس بخار الشراب الدماغ فيكون منه السكر » .

وقيل : ان جالينوس اراد امتحان ذلك ، فأخذ حيواناً ذا حس ففهم ايماً ، ولما ذبحه وجد قلبه

(١) ولد في مرة الثمان (٩٧٩-١٠٥٨) شاعر ومفكر . لقد بصره وهو في الرابعة من عمره ممى نفسه وهين المهين المسمى والبيت لانه احتزل بعدما سافر الى بغداد وعاد منها الى بلده . وكان لاذع النقد متشاكلاً .

(٢) دعاء بالسقيا والرعاية .

(٣) جمع طرد وهو الجليل الطلي أي شافعيا للداء عظيم .

(٤) شفاف القلب وسويدائه : خلافه وسيته .

ذائلاً خفيفاً قد تلاشى أكثره . فاستدل بذلك على أن القلب إذا توالى عليه الغموم ، وضاعت به الهوموم ، ذبل وحل . فسنتر حينئذ من عواقب الغم وهم .

وقال لتلاميذه : « من نصح الخدمة نصحت له المجازاة » . وقال لهم : « لا ينفع علمٌ مَنْ لا يقبله ، ولا عقلٌ مَنْ لا يستعمله » .

وقال في كتاب اخلاق النفس : « كما انه يمرض للبدن المرض والتعب ، فالمرض مثل الصرع والشوصة ^(١) ، والقبح مثل الحذب وتسقط الرأس وقرعه ، كذلك يمرض للنفس مرض وقبح ، فمرضها كالغضب ، وقبحها كالجهل » .

وقال : « الملل يجيء على الإنسان من اربعة اشياء : من علة الملل ، ومن سوء السياسة في الغذاء ، ومن الخطايا ، ومن المدو ابليس » وقال : « الموت من اربعة اشياء : موت طبيعي ، وهو موت الهرم ؛ وموت مرض وشهوة ، مثل من يقتل نفسه او يقاد ^(٢) منه ؛ وموت القنعة ، وهو بفتة » . وقال : وقد ذكر عنده القلم : « القلم طيب المنطق » .

ومن كلامه في العشق ، قال : « للعشق استحسان ينضاف اليه طمع » . وقال : « العشق من فعل النفس وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد . وفي الدماغ ثلاث قوى : التخيل ، وهو في مقدم الرأس ؛ والفكر ، وهو في وسطه ؛ والذكر ، وهو في مؤخره . وليس بكل احد اسم عاشق حتى يكون اذا فارق من يشقه لم يخجل من تحيله وفكره وذكره ، وقلبه وكبد . فيمتنع من الطعام والشراب باشتغال الكبد ، ومن النوم باشتغال الدماغ بالتخيل ، والذكر له والفكر فيه ، فيكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به . فحتى لم تشتغل به وقت الفراق لم يكن عاشقاً ، فاذا لقيه خلت هذه المساكن .

قال حنين بن اسحق : « وكان منقوشاً على فص خاتم جالينوس « من قثم دامه أعياء شغلوه » . ومن كلام جالينوس ، بما ذكره أبو الوفاء البصري بن فاتك ، في كتاب « غنثار الحم وعحاسن الكلم » قال جالينوس :

« لين تمل ، واحلم تبطل ، ولا تكن معجباً فتُمتن » .

وقال : « العليل الذي يشتهي ، أرجى من للصحيح الذي لا يشتهي » .

وقال : « لا ينجح من فعل الخير ميل النفس الى الشر » .

وقال « رأيت كثيراً من الملوكة يزيدون في ثمن الغلام المتأدب بالعلوم والصناعات ، وفي ثمن الدواب الفاضلة في اجناسها ، ويغفلون امر انفسهم في التأدب ، حتى لو عرض على اجدم غلام مثله ما اشتراه ولا قبله . فكان من أجبج الاشياء جندي ان يكون الملوكة يساوي الجملة من المال ، والمال لا يجيد من يقبله بجائلاً .

(١) ريح في البطن تجول بسبب آلاما . (ن.د.)

(٢) ان يقتل قوداً ؛ واللهو ؛ قتل لقاتل بدل القتل . (د . د . د .)

وقال : « كان الأطباء يقيمون انفسهم مقام الامراء . والمرضى مقام المأمورين الذين لا يعتمدون ما حدث لهم ، فكان الطب في ايامهم أنجح ، فلما حال الامر في زماننا فصار الملل بمنزلة الامير ، والطبيب بمنزلة المأمور ، وخدم الاعلاء رضا الاعلاء ، وتركوا خدمة ابدانهم ، فقل الانتفاع بهم » .

وقال ايضا : « كان الناس قديماً يهتمون على الشراب والنفاء ، فيتفاضلون في ذكر مسا قعده الاشرية في الامزجة ، والالخان في قوة الغضب ، وما يرد كل واحد منها من أنواعه ؛ وهم اليوم اذا اجتمعوا فاقام يتفاضلون بعظم الاقتراح التي يشرعونها » .

وقال : « من عود من صباه القصد في التدبير كانت حركات شواله معتدلة ؛ فاما من اعتاد ان لا يمنع شواله منذ صباه ولا يمنع نفسه شيئاً مما تدعوه اليه ، فذلك يبقى شرها . وذلك ان كل شيء يكثر الرياضة في الاعمال التي تحفه يقوى ؛ وكل شيء يستعمل السكون يضعف » .
وقال : « من كان من الصبيان شرهاً شديد الفحة ، فلا ينبغي ان يطعم في صلاحه البتة ؛ ومن كان منهم شرها ولم يكن وقفاً فلا ينبغي ان يؤس من صلاحه ، ويقتدر انه إن تأدب يكون انساناً عفيفاً » .

وقال : « الحياء خوف المستحي من نقص يقع به عند من هو افضل منه » .
وقال : « يتنبأ للانسان ان يصلح أخلاقه اذا عرف نفسه ، فان معرفة الانسان نفسه هي الحكمة العظمى ، وذلك ان الانسان لافراط عيبه لنفسه ، بالطبع ، يظن بها من الجبل ما ليست عليه . حتى ان قوماً يظنون بأنفسهم انهم شجعاء وكرماء وليسوا كذلك . فاما العقل فيكاد ان يكون الناس كلهم يظنون بأنفسهم التقدم فيه ، واقرب للناس الى ان يظن ذلك بنفسه أقلهم عقلاً » .

وقال : « المادل من قدر على ان يحور فلم يفعل ، والمائل من عرف كل واحد من الاشياء التي في طبيعة الانسان معرفتها على الحقيقة » .

وقال : « المعجب ظن الانسان بنفسه انه على الحال التي يحب نفسه ان يكون عليها من غير ان يكون عليها » .

وقال : « كما ان من ساءت حال بدنه من مرض به وهو ابن خمسين سنة ليس يستسلم ويترك بدنه حتى يفقد ضياعاً ، بل يكتس ان يصح بدنه ، وان لم يفده صحة تامة ؛ كذلك ينبغي لنا ان لا نمتنع من ان نزيد أنفسنا صحة على صحتها ، وفضيلة على فضيلتها ، وان كنا لا نقدر ان نلحقها بفضيلة نفس الحكيم » .

وقال : « يتنبأ للانسان ان يسلم من ان يظن بنفسه انه اعقل الناس ، اذا قلده غيره ، امتحان كل ما يفعله في كل يوم ، وتعريفه صواب فعله من خطئه ، ليستعمل الجليل ويطرح القبيح » .

ورأى رجلاً تعظمه الملوك لشدة جسمه ، فسأل عن اعظم ما فعله ، فقالوا : « انه حمل ثوراً

مذبحاً من وسط الهيكل حتى أخرجه الى خارج . « فقال لهم : « فقد كانت نفس الشور تحمله ولم تكن لها في حله فضيلة . »

ونقلت من كلام جالينوس أيضاً من مواضع أخر ، قال جالينوس :
« ان الليل ياتروح بنسم أرضه ، كما تروح الارض الجدية ببل للقطر (١) » .
وسئل عن الشهوة فقال : « بلية تميز لا بقاء لها » .

وقيل له : « لم تحضر مجالس الطرب والملاهي » قال : « لأعرف القوى والطبائع في كل حال من منظر ومسمع » .

وقيل له : متى يتبقي للانسان ان يموت ؟ قال : « اذا جهل ما يضره مما ينفعه » .

ومن كلامه انه سئل عن الاخلاط فقل له : « ما قولك في الدم » ؟ قال : « عبد ملوك ورب مسا قتل العبد مولاه » قيل له : « فما قولك في الصفراء » ؟ قال : « كلب عقور (٢) في حديقة » . قيل له :
« فما قولك في البلغم » ؟ قال : « ذلك الملك الرئيس ، كلما اغلقت عليه بابا فتح لنفسه بابا » .

قيل له : « فما قولك في السوداء » ؟ قال : « هيئات ، تلك الارض اذا تحركت تحرك ما عليها » .

ومن ذلك أيضاً قال : « أنا مثل لك مثالا في الاخلاط الاربعة فأقول : ان مثل الصفراء ، وهي المرءة (٣) الحمراء ، تمثل امرأة سليطة (٤) صالحة تقية . فهي تؤذي بطول لسانها ومرعة غضبها ، إلا انها ترجع سريعاً بلا غائنة (٥) . ومثل الدم كمثل الكلب الكلب (٦) فاذا دخل دارك فمواجهه اما بإخراجه أو قتله . ومثل البلغم اذا تحرك في البدن ، مثل ملك دخل بيتك وانت تخاف ظله وجوره ، وليس يمكن ان تحرق (٧) به وتؤذيه بل يجب ان ترفق به وتخرجه . ومثل السوداء في الجسد ، مثل الانسان الحقود الذي لا يؤتمهم فيه بما في نفسه ، ثم يشب وثبة فلا يبقى مكروهاً الا ويفعله ، ولا يرجع الا بعد الجهد الصعب . »

ومن تمثيلاته العريفة أيضاً قال :

« الطبيعة كالمُدعي ، والعمة كالخضم ، والعلامات كالشهود ، والقارورة والنبيذ كالبيئة ، وجوم البُحُران كيوم القضاء والفصل ، والمرضى كالتوكُّل ، والطبيب كالتعاضى » .

وقال في تفسيره لكتاب ايمان أبيقراط وعهده : « كما انه لا يصلح اتخاذ التمثال من كل حجر ،

(١) المطر .

(٢) كلب عقور : كلب جارج .

(٣) غلط من اخلاط البدن (٤) بذينة اللسان .

(٥) الغائنة : الملهكة والقر . (٦) المصاب بالكلب وهو داء شبه الجنون يأخذ الكلاب فتعض الناس فيكبلوا هم أيضاً اذا لم يتناولوا دواء .

(٧) تنمحه .

ولا ينتفع بكل باب في محاربة السباع ، كذلك ، ايضاً ، لا نجد كل انسان يصلح لقبول صناعة الطب . لكنه ينبغي ان يكون البدن والنفس منه ملائمين لقبولها .

مصنفات جالينوس

وجالينوس من المصنفات كتب كثيرة جداً ، وهذا ذكر ما وجدته منها منتشرأ في أيدي الناس بما قد نقله حنين بن اسحق العبادي وغيره الى العربي ، واغراض جالينوس في كل كتاب ، منها :

كتاب بينكس وهو القهرست ، وغرضه في هذا الكتاب : ان يصف الكتب التي وضعها ، وما غرضه في كل واحد منها وما دعاه الى وضعه ، ولأن وضعه ، وفي اي حد من سنه . وهو مقالتان : المقالة الاولى ذكر فيها كتبه في الطب ، وفي المقالة الثانية كتبه في المنطق والفلسفة والبلاغة والنحو .

كتاب في مراتب قراءة كتبه ، مقالة واحدة ، وغرضه فيها : ان يخبر كيف ينبغي ان ترتب كتبه في قراءتها ، كتاباً بقدر كتاب ، من اولها الى آخرها .

كتاب الفرق ، مقالة واحدة . وقال جالينوس : « انه اول كتاب يقرأه من اراد تعلم صناعة الطب » . وغرضه فيه : ان يصف ما يقوله كل واحد من فرقة اصحاب التجربة ، واصحاب القياس ، واصحاب الحيل ، في تثبيت ما يدعي ، والاحتجاج له ، والرد على من خالفه ، وكيف الوجه في الحكم على الحق والباطل منها . وكان وضع جالينوس لهذه المقالة وهو شاب من ابناء ثلاثين سنة او اكثر قليلاً ، عند شغله رومية اول دحلة .

كتاب الصناعة الصغيرة ، مقالة واحدة . وقد قال جالينوس في اوله : « انه اثبت فيه جل ما قد بينه على الشرح والتفصيل في غيره من الكتب . وان ما فيه بمنزلة النتائج لما فيها .

كتاب النبض الصغير ، وهو ايضاً مقالة واحدة ، عنوانها جالينوس الى طوفوس وسائر المتعلمين . وغرضه فيها : ان يصف ما يحتاج المتعلمون الى علمه من امر النبض ، ويعده فيه اولاً أصناف النبض ، وليس يذكر فيه جميعاً ، لكن ما يقوى المتعلمون على فهمه منها . ثم يصف بعد ، الاسباب التي تغير النبض ، ما كان منها طبيعياً ، وما كان منها ليس بطبيعي ، وما كان خارجاً من الطبيعية . وكان وضع جالينوس لهذه المقالة في الوقت الذي وضع فيه كتابه في الفرق .

كتاب الى اغلوقن في التآني لشفاء الامراض ومعنى اغلوقن باليونانية الازرق وكان فيلسوفاً وعندما رأى من آثار جالينوس في الطب ما اعجبه سأل ان يكتب له ذلك الكتاب . ولما كان لا يصلح المداوي الى مداواة الامراض دون تعرفها ، قدم قبل مداواتها دلائلها التي تعرف بها ، ووصف في المقالة الاولى دلائل الحميات ومداواتها . ولم يذكرها كلها ، لكنه اقتصر منها على ذكر ما يمرض كثيراً . وهذه المقالة تنقسم قسمين : ويصف في القسم الاول من هذه المقالة الحميات التي تخلو من الاعراض الغريبة ؛

ويعصف في القسم الثاني الحيات التي معها اعراض غريبة. ويصف في المقالة الثانية دلائل الاورام ومداواتها . وكان وضع جالينوس لهذا الكتاب في الوقت الذي وضع فيه كتاب الفرق . كتاب في العظام ، هذا الكتاب مقالة واحدة ، وعنوانه جالينوس في العظام للمتعلمين وذلك انه يريد ان يقدم المتعلم للطب تعلم علم التشريح على جميع فنون الطب ، لانه لا يمكن عنده دون معرفة التشريح ان يتعلم شيئاً من الطب الفيسي ، وغرض جالينوس في هذا الكتاب : ان يصف حال كل واحد من العظام في نفسه ، وكيف الحال في اتصاله بغيره . وكان وضع جالينوس له في وقت ما وضع سائر الكتب الى المتعلمين .

كتاب في العضل ، هذا الكتاب مقالة واحدة ، ولم يمتونه جالينوس الى المتعلمين ، لكن اهل الاسكندرية ادخلوه في عداد كتبه الى المتعلمين ، وذلك انهم جمعوا مع هاتين المقالتين ثلاث مقالات أخر كتبها جالينوس الى المتعلمين ، واحدة في تشريح العصب ، وواحدة في تشريح العروق غير الضوارب . وواحدة في تشريح العروق الضوارب . وجمعوه كائناً دون كتاباً واحداً ذا خمس مقالات وعنوانه « في التشريح الى المتعلمين » وغرض جالينوس في كتابه هذا اعني كتابه في العضل ، ان يصف امر جميع العضل الذي في كل واحد من الأعضاء كم هي واي العضل هي ، ومن اين تبتدى كل واحدة منها ، وما فعلها بفاية الاستقصاء .

كتاب في العصب ، هذا الكتاب ايضاً مقالة كتبها الى المتعلمين وغرضه فيها : ان يصف كم زوجاً من العصب تبتث من الدماغ والنضاج ، واي الاعصاب هي ، وكيف واين تنقسم كل واحدة منها ، وما فعلها ؟ كتاب في العروق ، هذا الكتاب عند جالينوس مقالة واحدة ، يصف فيها امر العروق التي تنبض والتي لا تنبض ، كتبه للمتعلمين ، وعنوانه الى انطستنس . فأما اهل الاسكندرية فقسموه الى مقالتين : مقالة في العروق غير الضوارب ، ومقالة في العروق الضوارب . وغرضه فيه : ان يصف كم عرقاً تبتث من الكبد واي العروق هي ؟ وكيف هي ؟ واين ينقسم كل واحد منها ؟ وك شرياناً تبتث من القلب ؟ واي الشريانات هي ؟ وكيف هي ؟ واين تنقسم ؟

كتاب الاسمطصاات ، على رأي ابقراط ، مقالة واحدة ، وغرضه فيه : ان يبين ان جميع الاجسام التي تقبل الكون والفساد وهي ابدان الحيوان والنبات والاجسام التي تولد في بطن الارض انما تركيبها من الازكان الاربعة التي هي : النار والهواء والماء والارض، وان هذمهي الازكان الاولى البسيطة لبدن الانسان ؛ واما الازكان الثواني للقرية التي بها قوام بدن الانسان ، وماتر ما له دم من الحيوان فهي الاخلال الاربعة اعني السم والبغيم والمرتين^(١).

كتاب المزاج ، ثلاث مقالات ، وصف في المقالتين الاوليين منه اصناف مزاج ابدان الحيوان . فبين كم هي ، واي الاصناف هي ؟ ووصف الدلائل التي تدل على كل واحدة منها . وذكر في المقالة الثالثة

(١) الصلواء والسوءاء .

منه اصناف مزاج الادوية وبين كيف تختبر وكيف يمكن تعرفها .

كتاب القوى الطبيعية : ثلاث مقالات ، وغرضه فيه : ان يبين ان تدبير البدن يكون بثلاث قوى طبيعية ، وهي القوة الجالبة ، والقوة الجالبة النامية ، والقوة الغاذية . وان القوة الجالبة مركبة من قوتين احدهما تغير المني وتحمله حتى تجعل منه الاعضاء المتشابهة الاجزاء ، والاخرى تركيب الاعضاء المتشابهة الاجزاء بالهيئة والوضع والمقدار ، او العدد الذي يحتاج اليه في كل واحد من الاعضاء المركبة ، وانه يتخذ القوة المادية اربع قوى : وهي القوة الجاذبة ، والقوة المسكة ، والقوة المتغيرة ، والقوة الدافعة .

كتاب العلل والاعراض : ست مقالات ، وهذا الكتاب ايضا الف جالينوس مقالاته متفرقة ، وانما الاسكندر بن جومها وجمولها كتاباً واحداً . وعنون جالينوس المقالة الاولى من هذه الست المقالات في اصناف الامراض ، ووصف في تلك المقالة كم اجناس الامراض ، وقسم كل واحد من تلك الاجناس الى انواعه ، حتى انتهى في القصة الى اقصى انواعها . وعنون المقالة الثانية منها في اسباب الامراض ، وغرضه فيها موافق لمنوانها ، وذلك انه يصف فيها كم اسباب كل واحد من الامراض ، واي الاسباب هي . واما المقالة الثالثة من هذه الست فتعنونها في اصناف الاعراض ، ووصف فيها كم اجناس الاعراض وانواعها ، واي الاعراض هي . واما الثلاث المقالات الباقية فتعنونها في اسباب الاعراض ، ووصف فيها كم الاسباب الفاعلة لكل واحد من الاعراض ، وأي الاسباب هي .

كتاب تعرف على الاعضاء الباطنة ، ويعرف ايضا بالمواضع الآلة ، ست مقالات . وغرضه فيه : ان يصف دلائل يستدل بها على احوال الاعضاء الباطنة اذا حدثت بها الامراض ، وعلى تلك الامراض التي تحدث فيها واي الامراض هي ، ووصف في المقالة الاولى وبعض الثانية منه ، السبل العامة التي تتعرف بها الامراض مواضعها . وكشف في المقالة الثانية خطأ اريستيجانس في الطرق التي سلكها في طلب هذا الغرض . ثم اخذ باقي المقالة الثانية ، وفي المقالات الاربع التالية لها ، في ذكر الاعضاء الباطنة وامراضها عضواً عضواً . وابتدأ من الدماغ ، وهلم جراً على الولاء يصف الدلائل التي يستدل بها على واحد واحد منها ، اذا اعتل ، وكيف تتعرف علته الى ان انتهى الى اقصاها .

مكتتاب النبض الكبير ، هذا الكتاب جمعه جالينوس في ست عشرة مقالة وقسمها بأربعة أجزاء ، في كل واحد من الاجزاء أربع مقالات .

وعنون الجزء الاول منها في اصناف النبض . وغرضه فيه : ان يبين كم اجناس النبض الاول ؟ وأي الاجناس هي ، وكيف ينقسم كل واحد منها الى انواعه ؟ الى ان ينتهي الى اقصاها . وعهد في المقالة الاولى من هذا الجزء الى جهة ما يحتاج اليه من صفة اجناس النبض وانواعها ، فجمعه فيها عن آخره . وأفرد الثلاث المقالات الباقية من ذلك الجزء للحجاج ، والبحث عن اجناس النبض وانواعه ، وعن حده .

وعنون الجزء الثاني في تعرف النبض ، وغرضه فيه : ان يصف كيف يتعرف كل واحد من اصناف النبض بحسب العرق .

وعنون الجزء الثالث في اسباب النبض ، وغرضه فيه : ان يصف من أي الاسباب يكون كل واحد من اصناف النبض .

وعنون الجزء الرابع في مقدمة المعرفة من النبض ، وغرضه فيه : ان يصف كيف يستخرج سابق العلم من كل واحد من اصناف النبض .

مكتتاب اصناف الحيات : مقالاتان . وغرضه فيه : ان يصف اجناس الحيات وانواعها ودلائلها ، وصف في المقالة الاولى منه جنسين من اجناسها ، احدهما يكون في الروح ، والاخر في الاعضاء الاصلية . ووصف في المقالة الثانية الجنس الثالث منها الذي يكون في الاخلاط اذا عفت .

مكتتاب البحران : ثلاث مقالات . وغرضه فيه : ان يصف كيف يصل الانسان الى ان يتقدم ، فيعلم هل يكون البحران ام لا ؟ وان كان يحدث ، متى يحدث ؟ وبماذا ؟ وإلى أي شيء يؤول امره ؟ ومكتتاب ايام البحران ، ثلاث مقالات ، وغرضه في المقالتين الأوليين منه : ان يصف اختلاف الحال من الايام في القوة . وانها يكون فيه البحران ؟ وانها لا يكاد يكون فيه ؟ وأي تلك التي يكون فيها البحران ، يكون البحران الحادث فيها عموماً ؟ وانها يكون البحران الحادث فيها مذموماً ؟ وما يتصل بذلك . ويصف في المقالة الثالثة الاسباب التي من اجلها اختلفت الايام في قواها هذا الاختلاف .

مكتتاب حيلة اللب ، اربع عشرة مقالة . وغرضه فيه : ان يصف كيف يداوي كل واحد من الامراض بطريق القياس . ويقتصر فيه على الاعراض العامة التي ينبغي ان يقصد قصدها في ذلك ، ويستخرج منها ما ينبغي ان يداوي به كل مرض من الامراض ، ويضرب لذلك مثالات يسيرة من اشياء جزئية .

وكأن وضع ست مقالات منه لرجل يقال له أيارن ، بين في المقالة الاولى والثانية منها اصول الصحيحة التي عليها يكون مبنى الامر في هذا العلم ، وقسخ الاصول الخطأ التي اصلها اراسطراطس واصحابه . ثم وصف في المقالات الاربع الباقية مداواة تفرق الاتصال من كل واحد من الاعضاء . ثم ان أيارن توفي فقطع جالينوس استتمام الكتاب الى ان سأله اوجانيوس ان يتممه . فوضع له الثاني المقالات الباقية . فوصف في الست الاولى منها مداواة امراض الاعضاء المتشابهة الاجزاء ، وفي المقالتين الباقيتين مداواة امراض الاعضاء المركبة . ووصف في المقالة الاولى من الست الاول مداواة اصناف سوء المزاج كلها اذا كانت في عضو واحد ؛ وأجرى امرها على طريق التمثيل بما يحدث في المدة . ثم وصف في المقالة التي بعدها ، وهي الثامنة من جملة الكتاب ، مداواة اصناف الحمى التي تكون في الروح ، وهي حمى يوم . ثم وصف في المقالة التي تلاوها ، وهي التاسعة ،

مداراة الحمى المطبقة^(١) . ثم في المعاشرة مداواة الحمى التي تكون في الاعضاء الاصلية ، وهي الدق^(٢) ، ووصف فيها جميع ما يحتاج الى عمله من امر استعمال الحمام . ثم وصف في الحادية عشرة والثانية عشرة مداواة الحميات التي تكون من عفونة الاخلاط . اما في الحادية عشرة فما كان منها خلواً من اعراض غريبة . واما في الثانية عشرة فما كان منها مع اعراض غريبة .

كتاب علاج التشريح - وهو الذي يعرف بالتشريح الكبير - كتبه في خمس عشرة مقالة ، وذكر انه قد جمع فيه كل ما يحتاج اليه من امر التشريح . . ووصف في المقالة الاولى منه العضل والرباطات في اليدين . وفي الثانية العضل والرباطات في الرجلين . وفي الثالثة العصب والعمود التي في اليدين والرجلين . وفي الرابعة العضل الذي يحرك الحدين والشفنتين ، والعضل الذي يحرك الحمى الاسفل^(٣) الى ناحية الرأس والى ناحية الرقبة والكتفين . وفي الخامسة عضل الصدر^(٤) ومراق البطن والمنتين^(٥) والصلب^(٦) . ووصف في السادسة آلات الغذاء وهي المعدة ، والامعاء ، والكبد ، والكليتين ، والمثانة^(٧) ، وسائر ما اشبه ذلك . وفي السابعة والثامنة وصف تشريح آلات التنفس . اما في السابعة فوصف ما يظهر في التشريح في القلب والرئة والعمود الضواري^(٨) بعد موت الحيوان ، وما دام حياً . وأما في الثامنة فوصف ما يظهر في التشريح في جميع الصدر . وأفراد المقالة التاسعة بأسرها بصفة تشريح الدماغ والنخاع . ووصف في العاشرة في تشريح العينين واللسان والمرى^(٩) وما يتصل بهذه من الاعضاء . ووصف في الحادية عشرة الخنجرية والعظم الذي يشبه اللام في حروف اليونانيين ، وما يتصل بذلك من العصب الذي يأتي هذه المواضع . ووصف في الثانية عشرة تشريح أعضاء التوليد^(١٠) . وفي الثالثة عشرة تشريح الضواري وغير الضواري ، وفي الرابعة عشرة تشريح العصب الذي يلبس من النخاع . قال جالينوس : وهذا الكتاب المضطر اليه من علم التشريح . وقد وضعت كتاباً آخر لست مضطر اليها ، لكنها نافعة في علم التشريح .

اختصار كتاب مارينوس في التشريح - وكان ماريلس ألف كتابه هذا في عشرين مقالة . وانما جالينوس اختصره في اربع مقالات .

اختصار كتاب لوقس في التشريح - وهذا الكتاب ايضاً ألفه صاحبه في سبع عشرة مقالة .

(١) لقي تدمر ليلاً ريثماً .

(٢) الحمى التي تعرفها العامة بالسخونة الربية .

(٣) الفك الاسفل .

(٤) مارق من اسفل البطن ولان . (٥) ما يكتنف الصلب من لحم وعصب عن يمين وشمال .

(٦) عظم الظهر ذو الفقار يتد من لكامل حتى حجب القلب .

(٧) مستقر البول وموضعه من اللسان والحيوان .

(٨) الاحصاب المحركة (ن.د).

(٩) جرى الطعام الى المعدة .

(١٠) الجهاز التناسلي (ن.د).

وقد ذكر جالينوس انه اختصره في مقالتين .

كتاب فيا وقع من الاختلاف بين القدماء في التشريح - مقالتان ، وغرضه فيه اثبات بين امر الاختلاف الذي وقع في كتب التشريح فيما بين من كان قبله من اصحاب التشريح ، أي شيء منه انما هو في الكلام فقط ، وأي شيء منه وقع في المعنى وما سبب ذلك .

كتاب تشريح الاموات - مقالة واحدة ، يصف فيها الاشياء التي تعرف من تشريح الحيوانات الميتة ، أي الاشياء هي ؟

كتاب تشريح الاحياء - مقالتان . وغرضه فيه : ان يبين الاشياء التي تعرف من تشريح الحيوانات الحية ، أي الاشياء هي .

كتاب في علم ابقراط بالتشريح - هذا الكتاب جمعه جالينوس في خمس مقالات وكتبه لبوثوس في حداثة سنه ، وغرضه فيه : ان يبين ان ابقراط كان صادقاً بعم التشريح ، وأتى على ذلك بشواهد من جميع كتبه .

كتاب في آراء أراسطرطس بالتشريح - هذا الكتاب جمعه في ثلاث مقالات ، وكتبه ايضا لبوثوس في حداثة من سنه . وغرضه فيه : ان يشرح ما قاله ارسطرطس في التشريح في جميع كتبه . ثم بين له صوابه فيما أصاب ، وخطاه فيما أخطأ فيه .

كتاب فيا يعلمه لوقس من امر التشريح ، اربع مقالات . كتاب فيا خالف فيه لوقس في التشريح ، مقالات . كتاب في تشريح الرحم ، هذا الكتاب مقالة واحدة صغيرة ، كتبه لامرأة قانية^(١) في حداثة سنه ، فيه جميع ما يحتاج اليه من تشريح الرحم^(٢) ، وما يتولد فيها في الوقت الذي للحمل .

كتاب في مفصل الفقرة من فقرة الرقبة، مقالة واحدة . كتاب في اختلاف الاعضاء المتشابهة الاجزاء مقالة واحدة ، كتاب في تشريح آلات الصوت ، مقالة واحدة . وقال حنين : ان هذا الكتاب مفصل على لسان جالينوس ، وليس هو لجالينوس ولا غيره من القدماء ، ولكنه لبعض الحدث جمعه من كتب جالينوس ، وكان الجامع له مع هذا ايضا ضعيفا . كتاب في تشريح العين ، هذا الكتاب ايضا مقالة واحدة . وقال حنين : ان عنوانه ايضا باطل . لانه ينسب الى جالينوس ، وليس هو لجالينوس . وخطيق ان يكون لروفس او لمن دونه .

كتاب في حركة الصدر والرئة : هذا الكتاب جمعه في ثلاث مقالات ، وكان وضعه في حداثة من سنه بعد عودته الاولى من رومية . وكان حينئذ مقيماً بمدينة سمروا عند فالقس ، وانما كان سألها اياه بعض من كان يتعلم معه . وصف في المقالة الاولى من وفي اول الثالثة ما اخذه عن فالقس ، معلمه ، في ذلك الفن . ثم وصف في باقي المقالة الثالثة ما كان هو المستخرج له . كتاب في علل النفس ، هذا

(١) التي تطلق الولد عند ولادته .

(٢) وعاء الولد في بطن امه ما دام جنيناً .

الكتاب جعله في مقالتين في رحلته الأولى الى رومية لبوثيوس ، وغرضه فيها : ان يبين من اي الآلات يكون التنفس عفواً ومن ايها يكون باستكراه .

كتاب في الصوت : هذا الكتاب جعله في أربع مقالات بعد الكتاب الذي ذكرته قبله ، غرضه فيه : ان يبين كيف يكون الصوت ؟ واي شيء هو ؟ وما مادته ؟ وبأي الآلات يحدث ؟ وأي الأعضاء تمين على حدوثه ؟ وكيف تختلف الأصوات ؟

كتاب في حركة العضل ، مقاتلان وغرضه فيه : ان يبين ما حركة العضل ؟ وكيف هي ؟ وكيف تكون هذه الحركات المختلفة من العضل ؟ وإنما حركته حركة واحدة . ويبحث أيضاً فيه عن النفس هل هو من الحركات الارادية (١) أم من الحركات الطبيعية ؟ ويفحص فيه عن أشياء كثيرة لطيفة من هذا الفن .

مقالة في مناقشة الخطأ الذي اعتقد في تمييز البول من الدم ، مقالة في الحاجة الى النفض .

مقالة في الحاجة الى التنفس .

مقالة في العروق الضواري هل يجري فيها الدم بالطبع أم لا ؟

كتاب في قوى الادوية المسهلة ، مقالة واحدة . يبين فيها ان اسهال الادوية وما يسهل ليس هو بأن كل واحد من الادوية يحيل ما يصادفه في البدن الى طبيعته ، ثم يندفع ذلك فيخرج ، لكن كل واحد منها يجتذب خلطاً موافقاً مشاكلاً له .

كتاب في العادات : مقالة واحدة . وغرضه فيه ان يبين : ان العادة احد الأعراض التي ينبغي ان ينظر فيها ، ويوجد متصلاً بهذا الكتاب ومتحدداً معه تفسير ما أتى به جالينوس فيها من الشهادات من قول فلاطن بشرح ايروقليس له ، وتفسير ما أتى به من قول ابقراط بشرح جالينوس له .

كتاب في آراء ابقراط وفلاطن : عشر مقالات . وغرضه فيه : ان يبين ان افلاطن في اكثر اقاويله . موافق لبقراط من قبل انه عنه اخذها . وان ارسطوطاليس فيها خالفها فيه قد اخطأ . ويبين فيه جميع ما يحتاج اليه من امر قوة النفس المدبرة التي بها تكون الفكرة والتوهم والذكر ، ومن امر الاصول الثلاثة التي منها تلبث القوى التي بها يكون تدبير البدن . وغير ذلك من فنون شتى .

كتاب في الحركة المتعاضة : مقالة واحدة . وغرضه فيها : ان يبين امر حركات كان قد جعلها هو ومن كان قبله ثم عليها بعد .

كتاب في آلة الهم : مقالة واحدة ؟

كتاب منافع الاعضاء : سبع عشرة مقالة بين في المقالة الاولى والثانية منه حكمة الباري ، تبارك وتعالى ، في اتقان خلقه اليد ، وبين في القول الثالث حكمته في اتقان الرجل . وفي الرابع والخامس

(١) اي التي تخضع للعمل الدماغ (ن.د)

حكته في آلات الغذاء ، وفي السادس والسابع امر آلات التنفس ، وفي الثامن والتاسع امر ما في الرأس ، وفي العاشر امر العينين . وفي الحادي عشر سائر ما في الوجه ، وفي الثاني عشر الاعضاء التي هي مشاركة للرأس والعنق وفي الثالث عشر لواحي الصلب والكفتين . ثم وصف في المقالتين اللتين بعد تلك الحكمة في اعضاء التوليد . ثم في السادس عشر من امر الآلات المشتركة للبدن كله وهي المروق الضواري وغير الضواري والاعصاب . ثم وصف في المقالة السابعة عشرة حال جميع الاعضاء ومقاديرها ، وبين منافع ذلك الكتاب كله .

مقالة في افضل هيئات البدن ، وهذه المقالة تتلو المقالتين الاوليين من « كتاب المزاج » . وغرضه فيها بين من عنوانها .

مقالة في خصب البدن : وهي مقالة صغيرة . وغرضه فيها بين من عنوانها .

مقالة في سوء المزاج المختلف ، وغرضه فيها يبين من عنوانها ، يذكر فيه أي اصناف سوء المزاج هو مستوفي البدن كله ؟ وكيف يكون الحال فيه ؟ وأي أصناف سوء المزاج هو مختلف في اعضاء البدن ؟

كتاب الادوية المفردة ، هذا الكتاب جعله في احدى عشرة مقالة . كشف في المقالتين الاولتين خطأ من اخطأ في الطرق الرديئة التي سلكت في الحكم على قوى الادوية ، ثم أصل في المقالة الثالثة أصلاً صحيحاً لجميع العلم بالحكم على القوى الاولى من الادوية . ثم بين في المقالة الرابعة امر القوى الثواني ، وهي الطعوم والروائح ، واخير بما يستدل عليها منها على القوى الاولى من الادوية . ووصف في المقالة الخامسة القوى الثواب من الادوية ، وهي أفعالها في البدن من الاسخا والتبريد والتجفيف والترطيب . ثم وصف في المقالات الثلاث التي تتلو تلك قوة دواء دواء من الادوية التي هي اجزاء من النباتات . ثم في المقالة التاسعة قوى الادوية التي هي اجزاء من الارض ، أعني أصناف التراب والطين والحجارة والمعادن . وفي العاشرة قوى الادوية التي هي مما يتولد في ابدان الحيوانات . ثم وصف في الحادية عشرة قوى الادوية التي هي مما يتولد في البحر والماء المالح .

مقالة في دلائل علل العين ، كتبها في حديثه لفلام كمال^(١) . وقد لحص فيها العلل التي تكون في كل واحدة من طبقات العين ووصف دلائلها .

مقالة في اوقات الامراض ، وصف فيها امر اوقات المرض الاربعة ، أعني الابتداء والتزايد والانتها والانعطاط .

كتاب الاعتدال ، — ويعرف أيضاً بكتاب الكثرة — وهو مقالة واحدة يصف فيها امر كثرة الاخلاط ، ويصفها ويصف دلائل كل واحد من اصنافها .

(١) طيب حيون (ن.د.)

مقالة في الاورام ، وسمي جالينوس أصناف النفلط الخارج عن الطبيعة . ووصف في هذه المقالة جميع اصناف الاورام ودلائلها .

مقالة في الاسباب البادية - وهي الاورام التي تحدث من خارج البدن - بين في هذه المقالة اثنا للاسباب البادية علما في البدن وتقص قول من دفع عنها .

مقالة في الاسباب المتصلة بالأمراض ، ذكر فيها الاسباب المتصلة بالمرض الفاعلة له .

مقالة في الرعدة^(١) والنافض^(٢) والاختلاج^(٣) والتشنج^(٤) .

مقالة في اجزاء الطب ، يقسم فيها الطب على طرق شتى من القسم والتقسيم .

كتاب المني ، مقالتان . وغرضه فيه : ان يبين ان الشيء الذي يتولد منه جميع اعضاء البدن ليس هو الدم ، كما ظن ارسطوطاليس ، لكن تولد جميع الاعضاء الاصلية انما هو من المني ، وهي الاعضاء البيضاء . وان الذي يتولد من دم الطمث انما هو اللحم الاحمر وحده .

مقالة في تولد الجنين المولود لمبسة الشهر .

مقالة في المرة السوداء ، يصف فيها اصناف السوداء ودلائلها .

كتاب ادوار الحميات وتراكيبها .

مقالة واحدة يناقش فيها قوما ادعوا الباطل من امر ادوار الحميات وتراكيبها ، وعنوان هذا الكتاب عند جالينوس : « مناقشة من تكلم في الرسوم » .

قال حنين : وقد توجد مقالة اخرى نسبت الى جالينوس في هذا الباب وليست له :

اختصار كتابه المعروف بالنبض الكبير ، مقالة واحدة ذكر جالينوس انه كمل فيها النبض .

قال حنين : « وأما أنا فقد رأيت باليونانية مقالة ينحى بها هذا النوع ، ولست اصدق ان جالينوس الراضع لتلك المقالة ، لانها لا تحيط بكل ما يحتاج اليه من امر النبض ، وليست بحسنة التأليف ايضاً . وقد يجوز ان يكون جالينوس قد وعد ان يضع تلك المقالة فلم يتهأ له وضعها . فلما وجده بعض الكذابين قد وعد ولم يف ، تحرص وضع المقالة ، واثبت ذكرها في الفهرست كما يصدق فيها . ويجوز ان يكون جالينوس ايضاً قد وضع مقالة في ذلك غير تلك ، وقد درست كما درس كثير من كتبه » ، وافتملت هذه المقالة عوضها ومكانها .

كتاب في النبض ، يناقش فيه ارخيبيانس قال جالينوس : انه جمعه في ثمان مقالات .

كتاب في ردة التنفس ، هذا الكتاب جمعه في ثلاث مقالات ، وغرضه فيه : ان يصف اصناف النفس الرديئة واسبابه ، وما يدل عليه ، وهو يذكر في المقالة الاولى منه اصناف التنفس واسبابه .

(١) الرعدة : الرعدة وهي التناقص من الجنى والخوف . (٢) للناقص : الجنى ذات الرعدة . (٣) الاختلاج : الاضطراب والتحرك . (٤) التشنج : التنبض والتقلص (ن.د.)

وفي الثانية اصناف سوء التنفس وما يدل عليه كل صنف منها ، وفي المقالة الثالثة يأتي بشواهد من كلام ابقراط على صحة قوله .

كتاب نواذر تقدمت المعرفة : مقالة واحدة . بحث فيها على تقدمت المعرفة ويعلم حيلة لطيفة تؤدي الى ذلك ، ويصف اشياء بدية تقدم فعلها من امر المرضى وخبرها فمجب منه .

اختصار كتابه في حيلة الهرم : مقالتان . كتاب القصد ، ثلاث مقالات قصد في المقالة الاولى منها المناقضة لاراسطراطس لانه كان يمنع من القصد ، وتاقض في الثانية اصحاب اراسطراطس الذين يرومية في هذا المعنى بعينه ، ووصف في الثالثة ما يراه هو من العلاج بالقصد . كتاب اللعول ، مقالة واحدة . وغرضه فيه ان يبين طبيعة هذا المرض واصنافه ، والتدبير الموفق لمن اشرف عليه .

مقالة في صفات لسبي مصرع .

كتاب قوى الأغذية : ثلاث مقالات . عدد فيه ما يتغذى به من الاطعمة والاشربة ، ووصف ما في كل واحد منها من القوى .

كتاب التدبير الملقط : مقالة واحدة . وغرضه موافق لعنوانه .

اختصار هذا الكتاب الذي في التدبير الملقط ، مقالة واحدة ، كتاب الكيموس الجيد والردية . مقالة واحدة يصف فيها الاغذية ويلكز ايا تولد كيموساً محموداً وايا تولد كيموساً رديئاً .

كتاب في افكار اراسطراطس في مداواة الأمراض ، ثمان مقالات . اختبر فيه السبل التي سلكها اراسطراطس في المداواة ، ويبين صوابها من خطئها .

كتاب تدبير الامراض الحادة على رأي ابقراط ، مقالة واحدة .

كتاب تركيب الأدوية ، جمعه في سبع عشرة مقالة اجمل في سبع منها اجناس الأدوية المركبة ، فعدد جلساً جلساً منها وجعل مثل جنس الادوية التي تبني اللحم في القروح على حدة ، وجنس الادوية التي تحلل على حدة ، وجنس الادوية التي تدمل وساثر اجناس الادوية على هذا القياس ، وانما غرضه فيه ان يصف طريق تركيب الادوية على الاجمل . ولذلك جعل عنوان هذه السبع المقالات في تركيب الادوية على الاجمل والاجناس ، واما العشر المقالات الباقية فجعل عنوانها في تركيب الادوية بحسب المواضيع ، واراد بذلك ان وصفه لتركيب الادوية في تلك المقالات العشر ليس يقصد بها الى ان يخبر ان صنفاً صنفاً منها يفعل فعل ما في مرض من الامراض مطلقاً ، لكن بحسب المواضيع اعني العضو الذي فيه ذلك المرض ، وايتبدأ فيه من الرأس ، ثم هلم جراً ، على جميع الاعضاء الى ان انتهى الى اقصائها .

أقول : « وجلة هذا الكتاب الذي رسمه جالينوس في تركيب الادوية لا يوجد في هذا الوقت إلا وهو منقسم الى كتابين . وكل واحد منها على حدة . ولا يبعد ان الاسكندرانيين^(١) تبصرم في

(١) م اركان الطب في مدرسة الاسكندرية وهم الذين عزا بتفسير كتب جالينوس . وكانوا ط منعب المسيح .

كتب جالينوس صنعوا هذا ، او غيرهم . فالأول يعرف بكتاب **قامطاجانس** ، ويتضمن السبع المقالات الاولى التي تقدم ذكرها . والآخر يعرف بكتاب **الميامر** . ويحتوي على المشر المقالات الباقية والميامر جمع ميمر ، وهو الطريق ويشبه ان يكون ميمي هذا الكتاب بذلك اذ هو الطريق الى استعمال الادوية المركبة على جهة الصواب .

كتاب الادوية التي يسهل وجودها : وهي التي تسمى الموجودة في كل مكان ، مقالتان .

وقال حنين انه قد اضيف اليه مقالة اخرى في هذا الفن ونسبت الى جالينوس ، وما هي لجالينوس لكنها لفلغريوس . وقال حنين ايضاً انه قد ألحق في هذا الكتاب هذين كثيراً ، وصفات بديعة عجيبة ، وادوية لم يرها جالينوس ولم يسمع بها قط .

كتاب الادوية المتعاقبة للذئابة : جملة في مقالتين ووصف في المقالة الاولى منه أمر الترياق ^(١) . وفي المقالة الثانية منه امر سائر المعجونات .

كتاب الترياق الى مغليانوس ، مقالة واحدة صغيرة .

كتاب الترياق الى قيصر ، وهذا الكتاب ايضاً مقالة واحدة .

كتاب الحيلة لحفظ الصحة : ست مقالات . وغرضه فيه : ان يعلم كيف حفظ الاصحاء على صحتهم ، من كان منهم على غاية كمال الصحة ، ومن كانت صحته تقصر عن غاية الكمال ، ومن كان منهم يسير بسيرة الاحرار ، ومن كان منهم يسير بسيرة الصيد .

كتاب الى اسبولوس ، مقالة واحدة ، وغرضه فيه : ان يفحص هل حفظ الاصحاء على صحتهم من صناعة الطب ام هو من صناعة اصحاب الرياضة ؟ وهي المقالة التي اشار اليها في ابتداء كتاب تدبير الاصحاء ، حين قال : ان الصناعة التي تنال القيام على الابدان واحدة كما يبلى في غير هذا الكتاب ؟

كتاب الرياضة بالكرة الصغيرة ، هذا الكتاب مقالة واحدة صغيرة ، يمد فيها الرياضة بالكرة الصغيرة واللعب بالصولجان ، ويقدمه على جميع أصناف الرياضة .

تفسير كتاب عهد ابقراط ، مقالة واحدة .

تفسير كتاب الفصول لابقراط ، جملة في سبع مقالات .

تفسير كتاب الكسر لابقراط ، جملة في ثلاث مقالات .

تفسير كتاب رد الخلق لابقراط ، جملة في أربع مقالات .

تفسير كتاب تلذمة المعرفة لابقراط ، جملة في ثلاث مقالات .

تفسير كتاب تدبير الامراض الحادة لابقراط ، والذي يجسده من تفسيره لهذا الكتاب هو ثلاث مقالات .

(١) دواء السموم « فارسي مرعب » واصله الدويق .

وقال جالينوس في فيتكس مكتبته : « انه فسر في خمس مقالات ، وان هذه الثلاث مقالات الأولى هي تفسير الجزء الصحيح من هذا الكتاب ، والمقتان الباقيتان فيها تفسير للشكوك فيه » .

تفسير كتاب الفروع لابرقراط ، جملة في مقالة واحدة .

تفسير كتاب جراحت الرأس لابرقراط ، مقالة واحدة .

تفسير كتاب ابيديا لابرقراط ، فسر المقالة الأولى منه في ثلاث مقالات ، والثانية في ست مقالات ، والثالثة في ثلاث مقالات ، والسادسة في ثمان مقالات ، هذه التي فسرهما ، واما الثلاث الباقية وهي الرابعة والخامسة والسادسة فلم يفسرها ، لانه ذكر انها مفتحة على لسان ابقراط .

تفسير كتاب الاخلاط لابرقراط ، جملة في ثلاث مقالات .

تفسير كتاب تقلمة الانذار لابرقراط ، وهذا الكتاب لم اجد له نسخة الى هذه الغاية .

تفسير كتاب قاطيطريون لابرقراط ، جملة في ثلاث مقالات .

تفسير كتاب الهواء والماء والمساكن لابرقراط ، جملة ايضا في ثلاث مقالات ، وقد وجدني بعض النسخ من هذا التفسير ايضا في اربع مقالات ، الا ان الاول هو المعتمد عليه .

تفسير كتاب الغذاء لابرقراط ، جملة في اربع مقالات .

تفسير كتاب طبيعة الجنين لابرقراط ، قال حنين : هذا الكتاب لم نجد له تفسيراً من قول جالينوس ، ولا نجد جالينوس ذكر في فهرست كتبه انه عمل له تفسيراً . الا انه وجدناه قد قسم هذا الكتاب بثلاثة اجزاء في كتابه الذي عمله في علم ابقراط في التشريح . وذكر ان الجزء الاول والثالث من هذا الكتاب منقول ليس هو لابرقراط . واما الصحيح منه الجزء الثاني . وقد فسر هذا الجزء جاسيوس ^(١١) الاسكندراني ، وقد وجدناه بجميع الثلاثة الاجزاء تفسيرين احدهما سرياني مومم بأنه لجالينوس ، وقد كان ترجمه سرجس ^(١٢) ، فلما قمصنا عنه علمنا انه لباليس . والآخر يوناني ، فلما قمصنا عنه وجدناه لسورافوس الذي من شيعة المتوذبون وترجم حنين نص هذا الكتاب الا قليلاً منه الى العربية في خلافة المعتز بالله .

تفسير كتاب طبيعة الانسان لابرقراط ، جملة في مقالتين .

كتاب في ان رأي ابقراط في كتاب طبيعة الانسان وفي سائر كتبه واحد ، جملة في ثلاث مقالات . وقال جالينوس انه ألفه بعد تفسيره لكتاب طبيعة الانسان ، وذلك عندما بلغه ان قوماً يسميون ذلك الكتاب ويدعون فيه انه ليس لابرقراط .

«١١» احد الاطباء الاسكندرانيين واشهر من شرح كتب جالينوس وأظهر فيها عن فضل ودراية .

«١٢» وهو سرجس الفيلسوف واصله من رأس ميين - الجزيرة - وكان من اشهر من لعل الكتب اليونانية الى السريانية .

كتاب في ان الطبيب المتأمل يجب ان يكون غيلسوفاً ، مقالة واحدة .

كتاب في كتب ابقراط الصحيحة وغير الصحيحة ، مقالة واحدة .

كتاب في البحث عن سواب ما تلب به قوينطس اصحاب ابقراط الذين قالوا بالكيفيات الاربع ، مقالة واحدة . وقال حنين : ان هذا الكتاب لا اعلم بالحقيقة انه لجالينوس ام لا ، ولا احسبه ترجم .

كتاب في السبلات على رأي ابقراط ، وقال حنين ايضاً : ان القصة في هذا مثل القصة في الكتاب الذي ذكره قبله .

كتاب في الفاظ ابقراط ، قال حنين : هذا الكتاب ايضاً مقالة واحدة ، وغرضه فيه ان يفسر غريب الفاظ ابقراط في جميع كتبه ، وهو نافع لمن يقرأ باليونانية ، فأما من يقرأ بغير اليونانية فليس يحتاج اليه . ولا يمكن ايضاً ان يترجم أصلاً .

كتاب في جوهر النفس ، ما هي على رأي أسقليبيادس مقالة واحدة .

كتاب في تجربة الطبيب ، مقالة واحدة يقتص فيها جميع اصحاب التجربة ، وأصعب القياس بعضهم على بعض .

كتاب في الحث على تعميم الطب ، مقالة واحدة . وقال حنين : ان كتاب جالينوس هذا نسخ فيه كتاب مينودوتس ، وهو كتاب حسن نافع طريف .

كتاب في هل التجربة : مقالة واحدة .

كتاب في حمة الفضل الاطباء : مقالة واحدة .

كتاب فيما يعتقد رأياً : مقالة واحدة يصف فيها ما علم وما لم يعلم .

كتاب في الاسماء الطبية : وغرضه فيه : ان يبين امر الاسماء التي استعملها الاطباء على اي المعاني استعملوها ، وجمعه خمس مقالات . والذي وجدناه قد نقل الى اللغة العربية انما هي المقالة الاولى التي ترجمها حبش الاسم^(١) .

كتاب البرهان : هذا الكتاب جمعه في خمس عشرة مقالة ، وغرضه فيه : ان يبين كيف الطريق في تبين ضرورة ، وذلك كان غرض ارسوطاليس في كتابه الرابع من المنطق ، قال حنين : ولم يقع الى هذه الغاية الى احد من اهل دهرنا لكتاب البرهان نسخة تامة باليونانية . على ان جبرائيل قد كان عني يطلبه عناية شديدة ، وطلبتة أنا ايضاً بغاية الطلب ، وجلت في طلبه بلاد الجزيرة ، والشام كلها ، وفلسطين ، ومصر الى ان بلغت الى الاسكندرية ، فلم اجد منه شيئاً الا بدمشق نحواً من نصفه ، إلا انها غير متولدة ولا تامة . وقد كان جبرائيل ايضاً وجد منه مقالات ليست كلها المالات السقي

(١) احد الاطباء لثقة الذين نقلوا الكتب اليونانية الى اللغة العربية .

وجدت بأعينها . وترجم له ايوب ما (١) وجد منها ، واما أنا فلم تطب نفسي بترجمة شيء منها الا باستكمال قراءتها لما هي عليه من النقصان والاختلال ، وللطعم وثشوق النفس الى وجدان قام الكتاب . ثم اني ترجمت ما وجدت منه الى المروانية ، وهو جزء يسير من المقالة الثانية ، واكثر المقالة الثالثة ونحواً من نصف المقالة الرابعة من ارهاقانه سقط ، واما سائر المقالات الاخر فوجدت الى آخر الكتاب ما خلا المقالة الخامسة عشرة ، فان في آخرها نقصاناً ، وترجم عيسى (٢) بن يحيى ما وجد من المقالة الثامنة الى المقالة الحادية عشرة ، وترجم اسحق بن حنين من المقالة الثانية عشرة الى المقالة الخامسة عشرة الى العربية .

كتاب في القياسات البوضعية ، مقالة واحدة . كتاب في قوام الصناعات ، قال حنين : انه لم يجد من هذا الكتاب باليونانية الا تنقاً منه .

كتاب في تعرف الانسان عيوب نفسه : مقالاتان . وقال حنين : انه لم يجد منه باليونانية الا مقالة واحدة ناقصة .

كتاب الاخلاق : اربع مقالات . وغرضه فيه : ان يصف أصناف الاخلاق وأسبابها ودلائلها ومداوئها . مقالة في صرف الاغتنام . كتبها لرجل سأله ما باله لم يره اغتم قط عندما ذهب جميع ما قد كان تركه في الخزائن المظلمى لما استقرت يرومية ، فوصف له السبب في ذلك وبين بماذا يجب الاغتنام وبماذا لا يجب .

مقالة في ان اخيار الناس : قد يلتفتون بإعدادهم . كتاب فيها ذكره افلاطون في كتابه المعروف بطيافوس من علم الطب . اربع مقالات .

كتاب في ان قوى النفس تابعة لمزاج البدن ، مقالة واحدة . وغرضه فيه بين من عنوانه .

كتاب جوامع كتب افلاطون ، قال حنين : ووجدت ، من هذا الفن من الكتب ، كتاباً آخر فيه اربع مقالات من ثمان مقالات لجالينوس فيها جوامع كتب افلاطون ، وهي : كتاب اقراطليس في الاسماء ، وكتاب سوفسطيس في القسمة ، وكتاب بوليطيغوس في المنبر ، وكتاب بزميندس في الصور وكتاب أويثينيس . وفي المقالة الثالثة جوامع الست المقالات الباقية من كتاب السياسة وجوامع الكتاب المعروف بطيافوس في العلم الطبيعي . وفي المقالة الرابعة جل معاني الاثنتي عشرة مقالة التي في السير لافلاطون .

كتاب في ان المتحرك الاول لا يتحرك ، مقالة واحدة .

كتاب المدخل الى المنطق : مقالة واحدة ، يبين فيها الاشياء التي يحتاج اليها المتعلمون ، ويلتفتون بها في علم البرهان .

(١) وهو المعروف بالإيرش وكان له نظري صناعة الطب ونقل كثيراً من الكتب الى السريانية والعربية .

(٢) احد كتلة المروانيين وهو من تلاميذ حنين بن اسحاق .

مقالة في عند المفايس .

تفسير الكتاب الثاني من كتب ارسطو مالميس : وهو الذي يسمى باريبياس ، ثلاث مقالات وقال حنين انه وجد له نسخة ناقصة .

كتاب فيا يلزم الذي يلحق في كلامه ، سبع مقالات . وقال حنين : ان الذي وجدته من هذا الكتاب مقالة واحدة ولم يترجمها .

قال حنين بن اسحق : وقد وجدت أيضاً كتاباً أخرى قد سمعت باسم جالينوس وليست له ، لكن بعضها تنفّ اختارها قوم آخرون من كلامه فألفوا منها كتاباً ؛ وبعضها قد كان وضعها من كان قبل جالينوس فوسمت بأخيه باسم جالينوس ، إما من قبل أن الفاعل لذلك أحب أن يُكثر بكتابة ما عنده من كتب جالينوس بما لا يوجد عند غيره ، وإما من قبل قلة تميز لا تزال تمرض لقوم من الاغنياء حتى اذا وجدوا في الكتاب الواحد عدة مقالات ، ووجدوا على اول المقالة الاولى فيه اسم رجل من الناس ظنوا ان سائر تلك المقالات لذلك الرجل . وهذا السبب نجد كثيراً من مقالات روفس في كتب كثيرة غوسومة باسم جالينوس ، مثل مقالة في اليرقان .

قال حنين : « والمقالات التي وجدناها موسومة باسم جالينوس ، من غير ان تكون فصاحة كلامها شبيهة بمذهب جالينوس في الفصاحة ، ولا قوة معانيها شبيهة بقوة معانيه ، هي هذه :

مقالة في أئة الفرق . مقالة في الرسوم التي رسمها بقراط . مقالة موسومة الطبيب لجالينوس ، وهذه المقالة قد ذكرها جالينوس نفسه في اول الفهرست ، وانشر أنها منمنولة لا صحيحة له . مقالة في الصناعة ولست أعني تلك المقالة الموسومة بهذا الرسم المشهور بالصحة ، لكن مقالة منمنولة اليه كلام واضمحام كلام ضعيف مقصر . مقالة في المطام ، وليس أعني تلك المقالة الصحيحة في هذا العرض ، بل مقالة أخرى قوة واضمحام أضعف كثيراً من هذه الطبقة . مقالة في الحدود . مقالة على طريق المسألة والجواب . مقالة في التنفس صغيرة شبيهة بالنفث . مقالة في الكلام الطبيعي . كتاب في الطب على رأي اوميرس ، مقالاتان ، ونص كلام هاتين المقالتين شبيه جداً بكلام جالينوس ، إلا ان الغرض المقصود اليه فيها ضعيف ؛ وفي آخر المقالة الثانية منها رأي أيضاً بعيد لا يشبه مذهب جالينوس . مقالة في ان الكيفيات ليست اجساماً . مقالة في الاخلط على رأي بقراط . مقالة يبحث فيها هل اعضاء الجنين المتولد في الرحم تتخلق كلها مما أم لا . مقالة يبحث فيها هل الجنين الذي في الرحم حيوان أم لا . مقالة في ان النفس لا تموت . مقالة في اللبن . مقالة في تجفيف اللحم . مقالة في الرسوم ، غير تلك المقالة الصحيحة ودونها في القوة . مقالة في البول . مقالة في الرد على اصحاب الفرقة الثالثة في الموضع الذي يذكر فيه اسباب الامراض عند تركيبتها . مقالة في ان ابقراط سبق الناس جميعاً في معرفة الاوقات . مقالة في اسباب الطل . مقالة في اليرقان .

قال حنين : « ما وجد ان جالينوس قد ذكره في كتبه مما لم يثبت في الفهرست ولا وقعت الينا نسخته : مقالة في الاخلط على رأي بركساغورس . مقالة فيمن يحتاج في الربيع الى الفصد .

اقول وهذا جملة ما تهيأ ذكره من كتب جالينوس الصحيحة والمتحولة اليه ، على ما اثبتته حنين ابن اسحق في كتابه بما قد وجدته ، وانه قد نقل الى اللغة العربية . وكان ذكره لذلك وقد أتى عليه من السنين ثمان وأربعون سنة ، وكانت مدة حياته سبعين سنة ، فبالضرورة انه قد وجد أشياء كثيرة ايضاً من كتب جالينوس ونقلت الى العربية . كما قد وجدنا كثيراً من كتب جالينوس .

وبما هو ملسوب اليه ينقل حنين بن اسحق وغيره ، وليس لها ذكر أصلاً في كتاب حنين المتقدم ذكره . ومن ذلك : تفسير كتاب اوجاع النساء لابن قراط ، مقالة واحدة . تفسير كتاب الاسابيع لابن قراط ، مقالة واحدة . تفسير كتاب تدابير الاصحاء لابن قراط ، مقالة واحدة . كتاب مداواة الاسقام ، ويعرف ايضاً بطب المساكين ، مقالاتان . كتاب في الجبر ، ثلاث مقالات . كتاب في الموت السريع ، مقالة واحدة . مقالة في الحفن والقولنج . مقالة في النوم واليقظة والضمور . مقالة في تحريم الدفن قبل أربع وعشرين ساعة . مقالة في عناية الحائض عز وجل بالإنسان ، رسالة الى فيلاطوس الملكة في اسرار النساء . رسالة الى فسطاطس القهرمان في اسرار الرجال . كتاب في الادوية المكتومة السني كنى عنها في كتبه ورمزها ، مقالة واحدة ؛ وقال حنين ابن اسحق : « غرض جالينوس في هذا الكتاب ان يصف ما جمعه طول عمره من الادوية الحقيقية الخواص ، وجربها مراراً كثيرة فصحت ، فكتبها عن اكثر الناس ضماناً بها عنهم » ولم يطلع عليها الا الخواص من ذوي الالباب وصحة التمييز من اهل الصناعة . وقد كان غيري فسر هذا الكتاب فصحف وزاد فيه ما ليس منه ، ونقص منه ما لم يفهم تفسيره . فساعدت نفسي فيه بحسب الامكان والطاقة ، وقابلت به على التجارب التي اجتمعت عندي ، وفسرت ذلك الى العربي لابي جعفر محمد بن موسى . مقالة في استخراج مياه الحشائش . مقالة في ابدال الادوية . كتاب فيما جمع من الاقاويل التي ذكر فيها فعل الشمس والقمر والكواكب . مقالة في الالوان . جوامع كتابه في البرهان . كتاب الرد على الذين كتبوا في المبالغات . كتاب طبيعة الجنين . كتاب الرد على اريستجانس في التنفس ، كتاب في السبات . اختصار لكتابه في قوى الاغذية . كتاب في الافكار المسقية لارسطاطس . كتاب منافع الترياق . مقالة في الكيموسات . كلام في الطعوم . رسالة في عضة الكلب الكليل . كتاب في الاسباب الماسكة . تفسير كتاب فولوبس في تدبير الاصحاء . تفسير ما في كتاب فلاطن المسمى طبائوس من علم الطب . كتاب في الادوية المثقية . كتاب في الامعاء . كتاب في تحسين الاصوات ونقي الافات عنها .

اقول : « وبالجملة فان لجالينوس ايضاً كتباً أخر كثيرة بما لم يحده الناقون ، منها ، وما قد اندرس على طول الزمان ، وخصوصاً ما في المقالة الثانية ، وما قد ذكره جالينوس في فهرست كتبه المسمى فينكس . فمن كانت له رغبة في النظر الى اسمائها ، وفي اغراضه في كل واحد منها فعليه بالنظر في ذلك الكتاب .

الاطباء المشهورون بعد وفاة جالينوس

فأما الاطباء المشهورون من بعد وفاة جالينوس وقريباً منه فممن : اصطفن الاسكندراني ؛ وانقيلاس الاسكندراني ؛ وجاسيوس الاسكندراني ؛ ومارينوس الاسكندراني - وهؤلاء الاربعة هم بمن فسر كتب جالينوس وجمعها واختصرها واوجز القول فيها - وطياوس الطرسوسي ، وسيمري الملقب بالهلل ، لانه كان كثير الملازمة لمنزله منفصلاً في العالوم والتأليفات ، فكان لا يراه الناس الا كل مدة ، فلقب بالهلل من الاستتار ؛ ومقنس الاسكندراني ؛ واريباسيوس صاحب الكنائش طبيب يليان الملك ، ولاريباسيوس من الكتب : كتاب الى ابنه أسطاط تسع مقالات ، كتاب مزج الاحشاء مقالة ، كتاب الادوية المستعملة ، كتاب السبعين مقالة ، كنانش ؛ وفولس الاجانيطي ، وله من الكتب كنانش الثريا ، مقالة في تدبير الصبي وعلاجه ؛ واصطفن الحراني ؛ واريباسيوس القوابلي . ولقب بذلك لانه كان ماهراً بمعرفة اسوال النساء ؛ ودياسقوريدس الكحال ، ويقال انه اول من انفرد واشتهر بصناعة الكحل ؛ وفافالس الاثيني ، وافرونيطس الاسكندراني ، ونيطس الملقب بالخبر من الحذاقة ؛ وفارسوس الرومي الذي قدم من الاسكندرية فصار واحداً منهم ؛ واپرون ؛ وزريابل .

ومن كان قريباً من ذلك الوقت ايضاً : فيلغريوس ، وله من الكتب : كتاب من لا يحضره طبيب وهو مقالة ، كتاب علامات الاسقام خمس مقالات ، ومقالة في وجع النقرس ^(١) ، مقالة في الحصاة ، مقالة في الماء الاصفر ، مقالة في وجع الكبد ، مقالة في القولنج ^(٢) ، مقالة في اليرقان ، مقالة في خلق الرحم ، مقالة في عرق النساء ، مقالة في السرطان ، مقالة في صنعة تزيان الملح ، مقالة في عضه الكلب الكليل ، مقالة في القوباء ^(٣) ، مقالة فيما يمرض لثة الاسنان .

(١) داء معروف وهو ورم ووجع يأخذ في مفاصل الكعبين واصابع الرجلين . وهو في مفاصل القدم واطرافها اكثر .

(٢) مرض عموي مؤلم يسر منه خروج الثفل والبرص .

(٣) داء يتفش منه الجلد ويتسع التفتش وهو المعروف بالخرال .

الباب السادس

طبقات الأطباء الاسكندرانيين ومن كان في أزمستهم من الأطباء النصارى وغيرهم

قال المختار^(١) بن حسن بن بطلان : ان الاسكندرانيين الذين جمعوا كتب جالينوس الستة عشر وفسروها كانوا سبعة وهم : إسطفن وجاسيوس وثودوسيوس وأكيلوس وانقيلوس وفلانوس ويعيسى النحوي ؛ وكانوا على مذهب المسيح ،

وقيل ان انقيلوس الاسكندراني هو كان المقدم على سائر الاسكندرانيين ، وانه هو الذي رتب الكتب الستة عشر لجالينوس .

وقال : « وكانت هؤلاء الاسكندرانيون يقتصرون على قراءة الكتب الستة عشر لجالينوس في موضع تعلم الطب بالاسكندرية . وكانوا يقرأونها على الترتيب ، ويستمعون في كل يوم على قراءة شيء منها وتفهيمه . ثم صرفوها الى الجمل والجوامع ليسهل حفظهم لها ومعرفتهم اياها . ثم انفرد كل واحد منهم بتفسير الستة عشر . وأجود ما وجدت من ذلك تفسير جاسيوس للستة عشر ، فإنه أبان فيها عن فضل ودراية .

وعمر من هؤلاء الاسكندرانيين : يعيسى النحوي الاسكندراني الاسكلاني حتى لحق أوائل الاسلام . قال محمد بن اسحق التميمي البغدادي^(٢) في «كتاب الفهرست»^(٣) : ان يعيسى النحوي كان تلميذ ساواري . قال : « وكان يعيسى النحوي في أول أمره أسقفا في بعض الكنائس بمصر ، ويمتد

(١) هو ابن الحسن المختار بن الحسن بن بطلان من اهل بغداد . وكان نصرانيا وتلمذ لابن زهرن الحراني الطبيب . وله عدة كتب وله ايضا اشار ونوادر طريفة .

(٢) هو ابن التميمي الرواق (٩٢٩ - ٩٩٥) وله في بغداد وله كتاب الفهرست .

(٣) كتاب الفهرست يروي فهرس المرمم القديمة وتصانيف اليونان والفرس والفند الموجود منها بلغة العرب .

مذهب النصارى السبعونية^(١١) . ثم رجع عما يمتدده النصارى من التثليث ، واجتمعت الاساقفة وناظرته فطلبهم ، واستطلعتهم وأسنته وسألته الرجوع عما هو عليه وترك اظهاره . فأقام على ما كانت عليه وأبى أن يرجع فأسقطوه^(١٢) . ولما فتحت مصر على يدي عمرو بن العاص رضي الله عنه دخل اليه وأكرمه ورأى له موضعاً .

وتقلت من تاليف الشيخ أبي سليمان محمد بن طاهر بن هرام السجستاني قال : « كان يحيى النحوي في أيام عمرو بن العاص^(١٣) ، ودخل اليه » ، وقال : « أت يحيى النحوي كان نصرانياً بالاسكندرية وأنه قرأ على أميونس ، وقرأ أميونس على برقلس . قال : ويحيى النحوي يقول إنه أدرك برقلس وكان شيئاً كبيراً لا ينتفع به من الكبر » .

وقال عبيد الله بن جبرائيل في كتاب « مناقب الاطباء » بأن يحيى النحوي كان قوياً في علم النحو والمنطق والفلسفة وقد فسر كتباً كثيرة من الطبيات . ولفوته في الفلسفة ألحق بالفلسفة ، لأنه أحد الفلاسفة المذكورين في وقته . قال : وسبب قوته في الفلسفة انه كان في أول أمره ملاحاً يبيع الناس في سفيلته ، وكان يحب العلم كثيراً . فاذا عبر معه قوم من دار العلم والمدرّس الذي كان يدرّس العلم بجزيرة الاسكندرية يتحاورون ما مضى لهم من النظر ويتفاوضونه ، ويسمعه ، فتش نفسه للعلم

فلما قويت رويته في العلم فكر في أمره ، وقال : « قد بلغت نيفاً وأربعين سنة من العمر وما ارتضيت بشيء » ، وما عرفت غير صناعة الملاسة ، فكيف يمكنني ان أمرض الى شيء من العلوم ؟ » فبينما هو مفكر اذ رأى ناقة قد حملت نواة قررة ، وهي تريد ان تصعد بها الى علو ، وكلما صعدت بها سقطت ، فلم تول مجاهد نفسها في طوعها وهي في كل مرة يزيد ارتفاحها عن الأولى ، فلم تول نهارها وهو ينظر اليها ، الى ان بلغت غرضها واطلمتها الى غايتها . فلما رأها يحيى النحوي قال لنفسه ، اذا كان هذا الحيوان الضعيف قد يبلغ غرضه بالمجاهدة فانا أولى ان أبلغ غرضي بالمجاهدة . فخرج من وقته وباع سفينته ، ولازم دار العلم وبدأ يعلم النحو واللغة والمنطق ، فبرح في هذه الامور وبرز ولائنه أول ما ابتدأ بالنحو فنسب اليه واشتهر به ووضع كتباً كثيرة منها تفاسير وغيرها . ووجدت في بعض تواريخ النصارى أن يحيى النحوي كان في الجمع الرابع^(١٤) الذي اجتمع في مدينة يقال لها خلكدونية^(١٥) ، وكان في هذا الجمع ستائة وثلاثون أسقفاً على أوتوشوس - وهو يحيى النحوي

(١١) طائفة من النصارى قالت بالطبيعة الوحيدة .

(١٢) أي حرموه وهو مشبه من فكره المؤمنين .

(١٣) قرشي اسم (٦٢٩) كان من اجناد اليرموك فتح مصر واسس للفساط . ناصر معاوية على علي بن صفين . وهو صاحب الحيلة التي أدت الى التحكم وفوز معاوية .

(١٤) هو الجمع الذي انعقد الحكم على المونوفيسية .

(١٥) هي خلطيدونية وهي مدينة قديمة في آسيا الصغرى على اليرسولور وحدها فيها عدة جماع كنسية خاصة سنة ٥١٠ للمحكمة على المونوفيسية .

وأصحابه - وأوتوشوس تفسيره بالعربي أبو سعيد .

وهذا أوتوشوس كان طبيباً حكيماً ، وانهم لما أحرموه لم ينفعوه كما نفوا المحرومين . وكان ذلك حاجتهم إلى طبه . وترك في مدينة القسطنطينية ولم يزل مقيماً بها حتى مات مرقبان الملك .

وليحيى النحوي هذا لقب آخر بالرومي يقال له فيلوبيوس أي المجتهد . وهو من جبة السبعة الحكام المصنفين للجوامع الستة عشر وغيرها في مدينة الاسكندرية . وله مصنفات كثيرة في الطب وغيره وترك في مدينة القسطنطينية لماله وقضه وطبه .

« وقام بمد مرقبان الملك ، اسطيروس الملك ، فاعتل هذا الملك علة شديدة صعبة ، وذلك من بعد سنتين من حرم أوتوشوس المذكور . فدخل على الملك وعالجه وبرأ . من علته ، فقال له الملك : « سلفي كل حاجة لك ؟ فقال له أوتوشوس : حاجتي اليك يا سيدي ان أسقف ذورية وقع بيني وبينه شر شديد ، وبني علي ، وقوى عزم أفلايانوس بطريرك القسطنطينية ، وحله على أن جمع لي سونس ، أي جمع ، وحرمني ظمأ وعدواناً . فعاجني اليك يا سيدي أن تجمع لي جمأ ينظرون في امري ، فقال له الملك : « أنا افضل لك هذا ان شاء الله تعالى . » فarsل الملك الى ديسقوروس صاحب الاسكندرية ، ويوانيس بطرك انطاكية ، فأمرهم ان يحضروا عنده فحضر ديسقوروس ومعه ثلاثة عشر أسقفًا وابطبا صاحب انطاكية ولم يحضر . وأمر الملك لديسقوروس أن ينظر في أمر أوتوشوس ، وأن يحله من حرمه على أي الجهات كان . وقال له متوعداً : « انك انت حالتك من حرمه بررتك بكل ير ، واحسنت اليك غاية الأحسان » وان لم تفعل ذلك قتلتك قتلاً رديئاً . » فاخترار لنفسه البر على القتل . فعمل له مجلساً هو وهؤلاء الثلاثة عشر أسقفًا ومن حضر معه أيضاً ، فحسبوا قصته وحاولوه من حرمه . وخرج أسقف ذورية وأصحابه وانصرفوا من القسطنطينية وقد خالفوا رأي الكنيسة . وبهذا السبب كان تصعب ديسقوروس لأوتوشوس المذكور ، المعروف ببيحي النحوي ، ومات غالياً لمذهب الروم المعروفين باللكية . ومات وهو يعقوبي مخالف للروم المذكورين .

كتب بيحي النحوي

وليحيى النحوي من الكتب :

تفسير (كتاب قاطيغوريلس لارسطوطاليس . تفسير كتاب أنالوطيكا الاولى لارسطوطاليس . فسر منها الى الاشكال الحلية . تفسير كتاب أنالوطيكا الثانية لارسطوطاليس . تفسير كتاب طوبيقا لارسطوطاليس . تفسير كتاب السماع الطبيحي لارسطوطاليس . تفسير كتاب الكسوف والفساد لارسطوطاليس . تفسير كتاب مايل لارسطوطاليس . تفسير كتاب الفرق جالينوس . تفسير كتاب الصناعة الصغير جالينوس . تفسير كتاب التبييض الصغير جالينوس . تفسير كتاب اغلوقن جالينوس . تفسير كتاب الاسطعمات جالينوس . تفسير كتاب المزاج جالينوس . تفسير كتاب

القوى الطبيعية جالينوس . تفسير كتاب التشريح الصغير جالينوس . تفسير كتاب العلل والاعراض جالينوس . تفسير كتاب تعرف علل الاعضاء الباطنة جالينوس . تفسير كتاب النبض الكبير جالينوس . تفسير كتاب المحميات جالينوس . تفسير كتاب البُحُران جالينوس . تفسير أيام البُحُران جالينوس . تفسير كتاب حيلة البرء جالينوس . تفسير كتاب تدبير الاعضاء جالينوس . تفسير كتاب منافع الاعضاء جالينوس . جوامع كتاب الترياق جالينوس . جوامع كتاب القصد جالينوس . كتاب الرد على برقلس ، ثمان عشرة مقالة . كتاب في ان كل جسم متناه ففوته متناهية . كتاب الرد على ارسطوطاليس ست مقالات . مقالة يرد فيها على تملورس . كتاب يرد فيه على قوم لا يعرفون مقالاتنا . مقالة أخرى يرد فيها على قوم آخر . مقالة في النبض . نفعه لثمان عشرة مسألة لبيد وخس برقلس الاغلاطوني ، شرح كتاب ايساغوجي لفرفوريس .

قال ابو الحسن علي بن رضوان في « كتاب الشافع » في كيفية تعلم صناعة الطب : « وانما اقتصر الاسكندرانيون على الكتب الستة عشر من سائر كتب جالينوس في التعليم ، ليكون المشتغل بها ان كانت له قريحة جيدة ، ومة حسنة ، وحرص على التعليم ، فانه اذا نظر في هذه الكتب اشتاقت نفسه بما يرى فيها من عجيب حكمة جالينوس في الطب ، الى ان ينظر في باقي ما يجد من كتبه . وكان ترتيبهم لهذه الكتب في سبع مراتب :

— أما المرتبة الأولى (فإنهم جعلوها بمنزلة المدخل الى صناعة الطب ، فإن من تحصل له هذه المرتبة يمكنه ان يتماطى اعمال الطب الجزئية ، فان كان من له فراغ ودواع تدعوه الى التعليم والازدياد تعلم ما يصدقا ، وان لم يكن له ذلك لم يكدر يخفى عليه منافعه في علاج الامراض . وجميع ما في هذه المرتبة أربعة كتب :

أولها : كتاب الفرق وهو مقالة واحدة ، يستفاد منه قوانين العلاج على رأي اصحاب التجربة ، وقوانينه ايضا على رأي اصحاب القياس ، اذ كان بالتجربة والقياس يستخرج الناس جميع ما في الصنائع وما اتقوا عليه فهو الحق ، وما اختلفا فيه «نظر» فان كان طريقه القياس عمل على قوانين القياس فيه ، وان كان طريقه التجربة عمل على قوانين التجربة فيه .

والثاني : كتاب الصناعة الصغرى ، مقالة واحدة ، يستفاد منها جل صناعة الطب كلها النظري منها ، والعملي .

والثالث : كتاب النبض الصغير ، وهو ايضا مقالة واحدة ، يستفاد منه جميع ما يحتاج اليه المتعلم من الاستدلال بالنبض على ما يلتفت به في الامراض .

والرابع الكتاب المسمى بالافوق وهو مقالاتان ، ويستفاد منه كيفية التأني في شفاء الامراض .

ولأن من يتماطى الاعمال الجزئية من الطب يضطر الى معرفة قوى ما يحتاج اليه من الأغذية والادوية ، والى ان يباشر بنفسه اعمال اليد من صناعة الطب ، لزمه ان ينظر فيما تدعوه اليه الحاجة

من الكتب التي سماها جالينوس « في آخر الصناعة الصغيرة » ، أو يتعلم ما يحتاج اليه من ذلك تلقيناً ومشاهدة. فصارت هذه الأربعة كتب التي في المرتبة الأولى مقننة للتعليم في تعليم صناعة الطب . فأما الكامل فإنه يتذكر بها جميع ما فهمه من الصناعة .

— فأما المرتبة الثانية فأنها أيضاً أربعة كتب :

الأول منها : كتاب الاسطقات ، وهو مقالة واحدة . يستفاد منه أن بدن الانسان وجميع ما يحتاج اليه سريع التغير قابل للاستحالة ، فمن ذلك اسطقات البدن القريبة منه وهي الأعضاء المتشابهة الاجزاء — أعني العظام والاعصاب والشرابين والعروق والأغشية واللحم والشحم وغير ذلك ؛ واسطقات هذه الأعضاء الاخلاط — أعني الدم والصفراء والسوداء والبلغم ؛ واستقات هذه الاخلاط النار والهواء والماء والأرض ، فإن مبدأ التكون من هذه الأربعة ، وأخذ الانحلال اليها . وان هذه الاسطقات قابلة للتغيير والاستحالة . وهذا الكتاب هو أول كتاب يصلح ان يبدأ به من أراد استكمال تعلم صناعة الطب .

والثاني كتاب المزاج وهو ثلاث مقالات ، يستفاد منه معرفة أصناف المزاج ، وبما يتقوم كل واحد منها ؛ وبماذا يستدل عليه اذا حدث ؟

والثالث : كتاب القوى الطبيعية ، وهو أيضاً ثلاث مقالات . يستفاد منه معرفة القوى التي تدبر بها طبيعة البدن وأسبابها ، والعلامات التي يستدل بها عليها .

والرابع : كتاب التشريح الصغير ، وهو خمس مقالات وضعها جالينوس متفرقة ، وإنما الاسكندرانيون جمعوها وجعلوها كتاباً واحداً . يستفاد منه معرفة أعضاء البدن المتشابهة وعددها . وجميع ما يحتاج اليه فيها .

وهذه الكتب التي في هذه المرتبة الثانية يستفاد من جميعها الأمور الطبيعية للبدن ، أعني التي قوامها بها . وإذا نظر فيها عب التعلم اشتاق أيضاً الى النظر في كل ما يتعلق بطبيعة البدن ، أما كتاب المزاج فيشوق الى مقالته في خصب البدن ، ومقالته في الهيئة الفاضلة ، ومقالته في سوء المزاج المختلف وكتابه في الأدوية المفردة ونحو هذا. وأما كتاب القوى الطبيعية فيشوق الى كتابه في المنى ، وكتابه في منافع الأعضاء وسائر ما وضعه جالينوس في القوى والأرواح والافعال . وأما كتاب التشريح الصغير فيشوق الى كتابه في حمل التشريح ونحوه .

— وأما المرتبة الثالثة : فكتاب واحد فقط فيه ست مقالات ، وهو كتاب : العليل والاعراض ، وجالينوس وضع مقالات هذا الكتاب متفرقة ، وإنما الاسكندرانيون جمعوها وجعلوها في كتاب واحد . يستفاد منه معرفة الامراض وأسبابها والاعراض الحادثة عن الامراض .

وهذا باب عظيم الفناء في صناعة الطب ، على رأي اصحاب القياس . وهو أصل عظيم ، اذا وقف الانسان على ما في هذا الكتاب وفهمه لم يخف عليه شيء من صناعة الطب .

وأما المرتبة الرابعة فكتابان أحدهما :

كتاب « تعرف علل الاعضاء الباطنة » ست مقالات ، يستفاد منه تعريف كل علة من العلل التي تحدث في الاعضاء الباطنة ، فان هذه الاعضاء لا تدرك أمراضها بالعيان لانها خفية عن الحس . فيحتاج الى أن يستدل عليها بعلامات «كثوم كل واحدة منها» فإذا ظهرت العلامات القوية ثبث أن العضو الفلاني علة كذا .

مثاله : ذات الجنب : ورم حار يحدث في الغشاء المستبطن للاضلاع . والعلابة التي تقومه ضيق النفس ، والوجع الناحس والحى والسعال . فان هذه اذا اجتمعت 'علم ان في الغشاء المستبطن للاضلاع ورماً حاراً .

ولم يضع جالينوس كتاباً في تعرف علل الاعضاء الظاهرة اذا كانت هذه العلل تقع تحت العيان فيكتفي في تعرفها نظرها بين يدي الملعين عياناً فقط .

والثاني « كتاب النبض الكبير » وهو ينقسم الى أربعة أجزاء ، كل جزء منه أربع مقالات . يستفاد من الجزء الاول منه : معرفة أصناف النبض ، وجزئيات كل صنف منها . ومن الثاني : تعريف اضرار كل واحد من أصناف النبض . ومن الثالث : تعريف أسباب النبض . ومن الرابع : تعريف منافع اصناف النبض . وهذا باب عظيم النفع في الاستدلال على الامراض ومعرفة قواها ولسبثها الى قوة البدن .

— وأما المرتبة الخامسة فثلاثة كتب :

الاول منها : « كتاب الحيات » مقالاتان . يستفاد منه معرفة طبائع أصناف الحيات ، وما يستدل به على كل صنف منها .

والثاني : « كتاب البحران » ثلاث مقالات . يستفاد منه معرفة أوقات المرض ليعطى في كل وقت منها ما يوافق فيه ؛ ومعرفة ما يؤول اليه الحال في كل واحد من الامراض . هل يؤول أمره الى السلامة أم لا ؟ وكيف يكون ؟ وماذا يكون ؟

والثالث : « كتاب ايام البحران » وهو أيضاً ثلاث مقالات . يستفاد منه معرفة أوقات البحران ؛ ومعرفة الايام التي يكون فيها ، وأسباب ذلك وعلاماته .

— وأما المرتبة السادسة فكتاب واحد . وهو « كتاب حيلة البرء » اربع عشرة مقالة . يستفاد منه قوانين العلاج على رأي اصحاب القياس في كل واحد من الامراض . وهذا الكتاب اذا نظر فيه الانسان اضطره الى ان ينظر في كتاب الأدوية المفردة ، وفي كتب جالينوس في الأدوية المركبة — اعني قاطاجانس ، والميامر ، وكتاب المصروفات ، ونحو هذه الكتب .

— وأما المرتبة السابعة فكتاب واحد . وهو « كتاب تدبير الاصحاء » ست مقالات . يستفاد

منه حفظ صحة كل واحد من الأبدان وهذا الكتاب اذا نظر فيه الانسان اضطره الى ان ينظر في كتاب الاغذية ، وفي كتابه في جودة الكيموس ودرامته ، وفي كتابه في التدبير اللطيف ، وفي شرائط الرياضة . مثال ذلك : ما في كتاب جالينوس في الرياضة بالكرة الصغيرة ونحو هذا .

فالكتب الستة عشر التي اقتصر الاسكندرانيون على تعليمها تدعو الناظر فيها الى النظر في جميع كتب جالينوس التي استكمل بها صناعة الطب . مثال ذلك : ان النظر في كتاب « آلة الشم » يتعلق بما في المرتبة الثانية . والنظر في كتابه « في علل التنفس » يتعلق ايضا بهذه المرتبة . والنظر في كتابه « في سوء التنفس » وفي كتابه « في منفعة التنفس » ، وكتاب « في منفعة النبض » وكتاب « في حركة الصدر والرئة » ، وكتاب « في الصوت » ، وكتاب « في الحركات المتعاضة » ، وكتاب « في ادوار الحيات » ، وكتاب « في اوقات الامراض » ، وغير ذلك من كتبه ومقالاته ورسائله . كل واحد منها له تعلق بوحدة من المراتب السبع . او باكثر من مرتبة واحدة تدعو الضرورة الى النظر فيه . فاذا ما فعله الاسكندرانيون في ذلك حيلة حسنة في حث المشتغل بها على التبصر في صناعة الطب ، وان تؤديه العناية والاجتهاد الى النظر في سائر كتب جالينوس .

قال أبو الفرج ابن هندو^(١) في كتاب «مفتاح الطب» : «ان هذه الكتب التي اتخذها الاسكندرانيون من كتب جالينوس ودعوا لها جوامع ، وزعموا انها تفني عن متون كتب جالينوس ، وتكفي كلفة ما فيها من التواضع والفصول . قال ابو الخير بن الحار^(٢) ، وهو استاذ ابي الفرج بن هندو ، «انا اظن انهم قد قصروا فيما جمعه من ذلك ، لانهم يعوزهم الكلام في الاغذية والاهوية والاموية » . قال : والترتيب ايضا قصروا فيه ، لان جالينوس بدأ من التشریح ثم صار الى القوى والافعال ثم الى الاسطوانات » .

قال ابو الفرج : «وانا ارى ان الاسكندرانيين انما اقتصروا على الكتب الستة عشر ، لا من حيث هي كافية في الطب وحماية للفرد ، بل من حيث افترقت الى العلم واحتاجت الى التمسك . ولم يمكن ان يقف التمسك على اسرارها والمعاني الغامضة فيها من غير مذاكرة ومطابقة ، ومن دون مراجعة ومفاوضة .

فاما الكتب التي ذكرها الاستاذ ابو الخير بن الحار فالطبيب مضطر الى معرفتها وادائها الى الكتب التي عددها . غير انه يمكنه من نفسه الوقوف على معانيها ، واستنباط الاغراض منها بالقوة المستفادة من الستة عشر التي هي القوانين لما سواها ، والراقي الى ما عداها . فان قلت : فما حجة الاسكندرانيين في ترتيبهم لهذه الكتب ؟ قلنا : انهم رتبوا بعضها بحسب استحقاقه في نفسه ، بمنزلة

(١) هو علي بن الحسين بن هندو من اكبر المتميزين في العلوم الحكيمة والطبية والفنون الادبية وهو من طبقة الاطباء الذين ظهرت في بلاد العجم .

(٢) وهو الحسن بن سواد المعروف بابن الحار وكان نصرانياً علماً بعلوم الطب وفروعه وله مصنفات جليلة . وقد نقلت كتباً كثيرة من السرياني الى العربي . وله سنة ٣٣١ هـ .

كتاب الفرق ، فإنه وجب تقديمه لتتنق به نفس المتعلم من شكوك اصحاب التجربة والمحتالين ومغالطاتهم ، ويتحقق رأي اصحاب القياس فيقتدي بهم . وبمنزلة الصناعة للصغيرة ، فإنها لما كانت فيها عمارة من صناعة الطب ، كان الأولى ان يتبع بها كتاب الفرق ويعمل مدخلا الى الطب . ورتبوا بعضها بحسب ما توجبه اضافته الى غيره بمنزلة الكتاب الصغير في النبض ، فإنه يُعمل تابعا لصناعة الصغيرة ، لان جالينوس ذكر فيها النبض عند ذكره لمزاج القلب . ووجب ايضا تقديمه على كتاب جالينوس الى أغلوقن ، لانه تكلم في هذا الكتاب في الحميات والنبض وهو اول شيء يعرف منه أمر الحميات .

على ان الترتيب الذي ذكره الاستاذ أبو الخير أن جالينوس اشار اليه ، هو لعمري للترتيب الصناعي ، وذلك انه يجب على كل ذي صناعة ان يتدرج في تعليمها من الاظهر الى الاخفى ، ومن الاخير الى المبدأ ، والتشريح هو علم البدن واعضائه ، وهذه هي أول ما يظهر لنا من الانسان ، وان آخر ما لقمه الطبيعة . فان الطبيعة تأخذ أولا الاسطوانات ، ثم تمزجها فيحصل منها الاخلاط ، ثم تعمل القوى والاعضاء . فيجب ان يكون طريقنا في التعلم بالمكس من طريق الطبيعة في التكوين . ولكننا ندع هذا الاضطراب ، ونرضى ترتيب الاسكندرانيين ، لان العلم حاصل على كل حال . وشرق اجماع الحكماء مدوود من الحرق (١) .

أقول : « وللاسكندرانيين ايضا جوامع كثيرة في العلوم الحكيمة والطب . ولا سيما لكتب جالينوس ، ورسوماتها لكتب أبقراط » .

فاما الاطباء المذكورون من النصارى وغيرهم من كل معاصرا هؤلاء الاطباء الاسكندرانيين ، وقريبا من أزمنتهم فمنهم :

شمعون الرابع ، المعروف بطيمويه .

وأمرن القس صاحب الكتاش ، وألف كتابه بالسريانية ، ونقله ما سرجيس الى العربي ، وهو ثلاثون مقالة . وزاد ما سرجيس مقالاتين .

ويوحنا بن سرايون ، وجميع ما ألف سرياني . وكان والده سرايون طبيبا من أهل بجرمي . وخرج ولداه طبيبين فاضلين وهما : يوحنا وداوود ، وليوحنا بن سرايون من الكتب : كتابه الكبير ، اثنتا عشرة مقالة . كتابه الصغير ، وهو المشهور ، ؟ سبع مقالات . ونقله الحديشي الكاتب لابي الحسن بن نفيس المتطبب في سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ، وهو احسن عبارة من نقل الحسن بن البهلول الاواني الطبرستاني ونقله ايضا أبو البشر متى .

(١) ضف رأي وموه لتصرف .

ومنهم : انطليس وبرغلادوس ؛ ومنهمشار ؛ والتهلمان ؛ وابو جريج الراهب ؛ وأوراس ؛
ويونيوس البيروتي ؛ وسيورخنا ؛ وفلاغوسوس ؛ وعيسى بن قسطنطين ويكنى أبا موسى ، وكان
من جمة أفاضل الأطباء ، وله من الكتب : كتاب الادوية المفردة ، كتاب في البواسير وعملها
وعلاجها ؛ وأرس ؛ وسرجس الرأس عيني ، وهو أول من نقل كتب اليونانيين على ما قيل الى لغة
السريانيين ، وكان فاضلاً وله مصنفات كثيرة في الطب والفلسفة ؛ وأطفوس الأملدي صاحب الكتاب
المعروف ببقوقونا ، وغريغوريوس صاحب الكتاب .

وأكثر كتب هؤلاء موجودة وقد نقل الرازي (١) كثيراً من كلامهم في كتابه الكبير الجامع
المعروف بالخاوي .

(١) أبو بكر محمد بن زكريا الرازي من مواليد سنة ٨٦٤ م ولد في الري . ويكنى يحيى بن يوسف العرب ودبر البيروستات في
الري ويقدر له حياة على الخاوي كتاب « برد الساعية » .
(٢) هو كتاب الرازي في العلوم الطبية وهو كتابه الكبير الجامع .

الباب السابع

طبقات الأطباء الذين كانوا في أول ظهور الإسلام من أطباء العرب وغيرهم

الحارث بن كلدة الثقفي كان من الطائفة، وسافر في البلاد وتعلم الطب بناحية فارس وقرن هناك، وعرف الداء والدواء . وكان يضرب بالعود ، تعلم ذلك أيضاً بفارس واليمن . وبقي أيام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأيام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب ومعاوية رضي الله عنهم . وقال له معاوية : « ما الطب يا حارث ؟ » فقال : « الأزم » يعني الجوع . ذكر ذلك ابن جليل . وقال : الجوهري ^(١) في « كتاب الصحاح » الأزم المسك ؛ يقال : أزم الرجل عن الشيء : أمسك عنه . وقال أبو زيد ^(٢) الأزم الذي ضم شفتيه . وفي الحديث إن عمر ، رضي الله عنه ، سأل الحارث بن كلدة ^(٣) ما الدواء ؟ فقال : الأزم . يعني الحمية . قال : وكان طبيب العرب .

ويروى عن سعد بن أبي وقاص ^(٤) رضي الله عنه ، أنه مرض بكملة مرضاً فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ادعوا له الحارث بن كلدة فإنه رجل يتطبب . فلما عاده الحارث نظر إليه ، وقال : « ليس عليه بأس اتخذوا له قريقة يشيء من تمر عجوة ^(٥) وحلبة ^(٦) يطبخان » فتحتساها فبرئ .

(١) هو أبو نصر إسماعيل الجوهري ولد في قاراب (تركيا) وتوفي في نيسابور وهو أشهر مؤلفي الماجم ويعد مجمع الصحاح لأنه يمد أن عاش زمناً بين قبائل البدو . وكان خطاطاً ماهرأ . أصيب في أواخر أيامه بالسويداء لرمي نفسه من سطح بيته

(٢) أبو زيد الأنصاري من علماء اللغة تلمذ للعلفيل اللحي . وهو أعلم من الأصمعي وأبي عبيدة النعم . كان يرى رأي القدر . وكان ثقة من أهل البصرة .

(٣) هو الحارث بن كلدة الثقفي طبيب إسلام وصاحب أبي بكر . واكل من طعام مسموم لمسي وتوفي في خلافة عمر .

(٤) صحابي من فرسان الإسلام قاد الجيش في معركة القناصية وتوفي سنة ٦٧٦ م .

(٥) التمر المحشي في وعائه .

(٦) ثبت معروف حبه أصغر ويعدى أيضاً الحنشقون .

وكانت الحُرث معالجات كثيرة ، ومعرفة بما كانت العرب تفتاده وتحتاج اليه من المداواة . وله كلام مستحسن فيما يتعلق بالطب وغيره .

كلام الخارث مع كسرى

من ذلك ، انه لما وفد على كسرى أو شروان^(١) أذن له بالدخول عليه . فلما وقف بين يديه منتصباً قال له : من أنت ؟ قال : أنا الخارث بن كلدثة الثقفي .

قال : فما صنعتك ؟ قال : الطب . قال : أعربي^(٢) أنت ؟ قال : نعم من صميمها ومحبوبة دارها قال : فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها ، وضعف عقلها ، وسوء اغذيتها ؟ قال : أيها الملك ، اذا كانت هذه صفتها ، كانت أحوج الى من يصلح جهلها ، ويقم عوجها ، ويسوم أبدانها ، ويعدل^(٣) أمشاجها .^(٤) فان العاقل يعرف ذلك من نفسه . ويميز موضع دائه ، ويحذر^(٥) عن الادواء كلها بحسن سياسته لنفسه . قال كسرى : فكيف تعرف ما تورده عليها ؟ ولو عرفت الحلم لم تلصق الى الجهل قال : الطفل ينأغي فيداوى ، والحية ترقى فتعاوى . ثم قال : أيها الملك ، العقل من قسَم الله تعالى قسمه بين عباده ، كقسيمة الرزق فهم . فكل من قسمته أصاب ، وخص بها قوم وزاد ، فمنهم ماهر ومعتمد ، وجاهل وعالم ، وعاجز وحازم ، وذلك تقدير العزيز العليم .

فأعجب كسرى من كلامه ، ثم قال : « فما الذي محمد من أخلاقها ؟ ويمسبك من مذاهبها وسجاياها ؟ قال الخارث : أيها الملك ، لها أنفُسُ شخية ، وقلوب جبرية ، ولغة فصيحة وألسن بليغة ، وأنساب صحيحة ، وأحساب شريفة ، يرقى من أفواههم الكلام مروق السهم من نوبة^(٦) الرام ، أعذب من هواء الربيع ، وألين من سلسيل الممين^(٧) مطعمو الطعام في الجندب ، وضاربو الهام في الحرب . لا يرام عزمهم ، ولا يُضام جارهم ، ولا يستباح حريمهم ، ولا يذل أكرمهم ، ولا يقررون بفضل الأكام ، الا للملك الهام الذي لا يقاس به أحد ، ولا يوازيه سوقة^(٨) ولا ملك .

فاستوى كسرى جالساً ، وجرى ماء رياضة الحلم في وجهه ، لا سمع من محكم كلامه . وقال لجلسائه اني وجدته راجعاً ولقومه ماضياً ، وبفضيلتهم طامعاً ، وبما يورده من لفظه صادقاً . وكذا

(١) اعظم ملوك الساسانيين . حارب البيزنطيين واصر العلم وبارمه فكلت مؤلفات اليونان والسرمان الى الفارسية .

(٢) يعدل اي يحسن مستقيماً .

(٣) جمع مشج وهو ما كان غلطاً وهنا ما يركب منه مزاج البدن .

(٤) يتوقى .

(٥) قوس

(٦) الماء الجاري ،

(٧) الرعية من الناس .

العاقل من أحسنه التجارب . ثم امره بالجلوس ، فجلس ، فقال : كيف بصرك بالطب ؟ قال :
 فأميك ^(١) قال : فما أصل الطب ؟ قال : الأزم . قال : فما الأزم ؟ قال ضبط الشفتين والرفق باليدن
 قال : أصبت ، وقال : فما الداء النوي ؟ قال : إجحال الطعام على الطعام ، هو الذي يفني البرية ،
 ويهلك السباع في جوف البرية . قال : أصبت ، وقال : فما الجمة التي تصطبم ^(٢) منها
 الادواء ؟ قال : هي التخممة ، ان بقيت في الجوف قتلت ، وان تحللت أسقمت .
 قال : صدقت . وقال : فما تقول في الحجامه ؟ قال : في نقصان الهلال في يوم صحو لا غم فيه ،
 والنفس طيبة والعروق ساكنة ، لسرور بفاجئك ، وهم يباعدك . قال : فما تقول في دخول الحمام ؟
 قال : لا تدخله شبعانا ، ولا تفش ^(٣) أهلك سكرانا ، ولا تقم بالليل عربانا ، ولا تقعد على الطعام
 غضبانا ، وارفق بنفسك ، يكن أرغى لبالك ، وقلل من طعامك ، يكن أهنأ لنومك . قال : فما
 تقول في الدواء ؟ قال : ما لزمك الصصة فاجتنبه ، فان هاج فاحسه بما يردعه قبل استحكامه ،
 فان البدن بمنزلة الأرض ان اصلحتها عرت ، وان تركتها خربت . قال : فما تقول في الشراب ؟ قال :
 أطيبه أهنأ ، وأرقه ^(٤) امرأه ^(٥) ، وأعذبه اشباهه . لا تشربه صرفا ^(٦) لغير ذلك صداعا ، وتثير عليك
 من الادواء الواعا .

قال : فأي اللحيان أفضل ؟ قال الضأن اللقي . ^(٧) والقديد ^(٨) المالح مهلك للأكل . واجتنب لهم
 الجزور والبقر . قال : فما تقول في الدواكه ؟ قال : كلها في إقبالها وحين أوانها ، واتركها اذا ادبرت
 وولت وانتقضى زمانها . وأفضل الفواكه : الرمان والأرج ^(٩) ، وأفضل الرياحين : الورد والبنفسج ،
 وأفضل البقول : الهندباء والخس . قال : فما تقول في شرب الماء ؟ قال : هو حياة البدن وبه قوامه ،
 ينفع ما شرب منه بقدر ، وشربه بعد النوم ضرر . أفضله أمرأه ، وأرقه اصفاه . ومن عظام انهار
 البارد الزلال لم يختلط بهما الأجسام ^(١٠) والأكام ^(١١) ينزل من صرايح ^(١٢) المسطان ، ويسهل عن الرضراض
 وعظام الحصى في الإيقاع ^(١٣) . قال : فما طعمه ؟ قال : لا يوم له طعم الا انه مشتق من الحياة .

(١) أي غاية فيما تطلبه « في مقام المدح » .

(٢) تستأصل .

(٣) دخل على أمه أي جامع امرأته .

(٤) أصلحه وأحسنه .

(٥) أسيفه .

(٦) للرق من الشراب : الخالص الغير بمزوج .

(٧) اسم يجلس من اللحم .

(٨) اللحم المقد أي المجفف بالشمس .

(٩) ثمر من جنس الليمون تسميه العامة الكباد .

(١٠) جمع اجمة وهي الفناية .

(١١) جمع أكمة وهي الراية .

(١٢) المكان المستوي أو الواسع الأملس .

(١٣) ما دق من الحصى .

قال : قنأ لونه ؟ قال: اشبه^(١) على الابصار لونه لأنه يحكي لون كل شيء يكون فيه . قال : اخبرني عن اصل الانسان ما هو ؟ قال : اصله من حيث شرب الماء ، يعني رأسه .

قال : فما هذا النور في العينين ؟ مركب من ثلاثة اشياء : فالبياض شحم ، والسواد ماء ، والناظر ريح . قال فعلى كم جبل وطبع هذا البدن ؟ قال:- على اربع طبائع : المرة السوداء ، وهي باردة يابسة ؛ والمرة الصفراء ، وهي حارة يابسة ، والدم ، وهو حار رطب ، والبلغم ، وهو بارد رطب . قال : فلم لم يكن من طبع واحد ؟ قال : لو خلق من طبع واحد لم يأكل ولم يشرب ولم يمرض ولم يهلك . قال : فمن طبيعتين ؟ لو كان اقتصر عليها ؟ قال : لم يحز ، لانها ضدان يقتتلان . قال : فمن ثلاث ؟ قال لم يصلح ، موافقان ومخالف . فالأريج هو الاعتدال والقيام . قال : فأجل لي الحار والبارد في احرف جامعة ؟ قال : كل سلو حار ، وكل حامض بارد ، وكل حريف حار ، وكل مر معتدل ، وفي المر حار وبارد .

قال : فاضل ما عولج به المرة الصفراء ؟ قال : كل بارد لين ؟ قال : فالمرة السوداء ؟ قال لين ؟ قال : والبلغم ؟ قال : كل حار يابس ، قال : والدم ؟ قال : اخراجه اذا زاد ، وتطفتته اذا سخن بلاشياء الباردة اليابسة ؟ قال : فالريح ؟ قال : بالحقن اللينة والادمان الحارة اللينة . قال : افتأمر بالحقنة ؟ قال : نعم ، قرأت في بعض كتب الحكماء ان الحقنة تنقي الجوف ، وتكسح الادواء عنه ، والعجب لمن احتقن كيف يرم او يعدم الولد . وان الجهل كل الجهل من اكل ما قد عرف مضرته ، ويؤثر شوبته على راحة بدنه . قال فما الحبة ؟ قال الاقتصاد في كل شيء ، غلب الأكل فوق المقدار يضيئ على الروح ساحتها ويسد مسامها^(٢) .

قال : فما تقول في النساء واثنان^(٣) ؟ قال كارة غشيان رديء ، وإياك واثنان المرأة المسنة فانها كالشن^(٤) البالي ، تجذب قوتك ، وتسقم بدنك ، ماؤها سم قاتل ، ونفسها موت عاجل ، تأخذ منك الكل ، ولا تعطيك البعض . والشابة ماؤها عذب زلال ، وعناقها غنج ودلال ، فوها بارد ، وريقها عذب ، ويمحها طيب ، وهنها ضيق^(٥) . تريدك قوة الى قوتك ، ونشاطا الى نشاطك . قال : فأعين القلب اليها اميل ، والعين برؤيتها أسر لا قال : اذا أصبتها المدينة اللقمة العظيمة الهامة ؛ واسعة الجبين ، اقناء العينين^(٦) ؛ كعلاء ، لصاص^(٧) ؛ صافية الحد عريضة الصدر ، مليحة النحر . في خدها رقة ، وفي شفتيها لس . مقرونة الحاجبين ، هادة الثديين ، لطيفة الخصر والقدمين ، بيضاء

(١) خفي.

(٢) ثقبها ومنقلعها .

(٣) غلاظتين او مجامعتهما .

(٤) القرية البالية .

(٥) الفرج .

(٦) اللثف كله او ما صلب منه .

(٧) سوداء الشفة .

فرغاء^(١) جمدة ، غضة بضة . تحالها في الطلعة بدرأ زاهراً تبسم عن اقحوان^(٢) ؛ وعن ميسم كالارجوان ، كأنها بيضة مكنونه ، اللين من الزبد واحلى من الشهد ، واتزه من الفردوس والحد ، وازكى ريحاً من الياسمين والورد ، تفرح بقرها وتسرك اخلاوة معها . قال ، فاستضحك كسرى حتى اختلجت كنفاه ، وقال : ففي اي الاوقات اتياهن افضل ؟ قال : عند ادبار الليل يكون الجوف اخلى ، والنفس اهدى والقلب اشهى والرحم ادفى . فان اردت الاستمتاع بها نهاراً تسرح عينك في جمال وجهها ، ويحتفي فوك من ثمرات حسنها ، ويعمي سمعك من حلاوة لفظها ، وتسكن الجوارح كلها اليها . قال كسرى : لله درك من إعرابي . لقد اعطيت علماً ، وخصصت فطنة وفيها .

واحسن صلته وامر بتدوين ما نطق به .

وقال الواثق^(٣) بالله في كتابه المسمى « بالستان » : ان الحرث بن كعدة مر يقوم وهم في الشمس فقال : عليكم بالظل فان الشمس تنهج^(٤) الثوب ، وتقل الربيع ، وتشعب اللون ، وتهيج الداء الدفين . ومن كلام الحرث : البطنة بيت الداء والحية رأس النواء ، وعودوا كل بدن ما اعتاد . - وقيل هو من كلام عبد الملك بن اعمر . وقد نسب قوم هذا الكلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واوله « المدة بيت الداء » وهو ابلغ من لفظ البطنة - .

وروي عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، رضي الله عنه ، انه قال : « من اراد البقاء ولا بقاء ، فليجود الغذاء ، وليأكل على نداء ، وليشرب على ظمأ ، وليقل من شرب الماء ، وتمدد بعد الغذاء ويتمشى بعد المشاء . ولا يبيت حتى يمرض نفسه على الخلاء . ودخول الحمام على البطنة من شر الداء ، ودخلة الى الحمام في الصيف خير من عشر في الشتاء . واكل القديد اليابس في الليل معين على الفناء . ومجامعة المجوز تهدم اعمار الاحياء » .

وروي بعض هذه الكلمات عن الحرث بن كعدة وفيها : من سره النساء ولا نساء ، فليكر المشاء ، وليباكر الغذاء ، وليخفف الرداء ، وليقل غشيان النساء . - ومعنى فليكر يؤخر ، والمراد بالرداء الدين ، وسمي الدين رداء لقولهم « هو في عنقي وفي خبتي » فلما كانت المتق موضع الرداء سمي الدين رداء . وقد روي من طريق آخر وفيه . « وتصجيل المشاء » وهو أصح . وروي ابو عوانة عن عبد الملك بن عمير قال ؛ قال الحرث بن كعدة : « من سره البقاء ولا بقاء ، فليباكر الغذاء وليمجل المشاء ، وليخفف الرداء وليقل الجماع . »

(وروي) حرب بن محمد قال : حدثنا ابي ، قال : قال الحرث بن كعدة : ازيمة اشياء تهدم البدن : الشفیان على البطنة^(٥) ، ودخول الحمام على الامتلاء ، واكل القديد ، ومجامعة المجوز .

(١) كثرة الشعر .

(٢) نبات له زهر ابيض واوراق زهر مقلبة صغيرة .

(٣) طبع الخلفاء العباسيين (٨٤٢ - ٨٤٦) تسلط على ايمه القواد الاثراك على جيوش الخلافة وغزا العرب مقلية .

(٤) دبلة .

(٥) المجامعة مع امتلاء البطن بالطعام .

(وروى) داود بن رشيد عن عمرو بن عوف قال : لما احتضر الحرث بن كلفة اجتمع اليه الناس فقالوا : « مرنا بأمر ننتهي اليه من بعدك . فقال : لا تتزوجوا من النساء إلا شابة ، ولا تأكلوا الفاكهة إلا في اوان نضجها ، ولا يتماجن احد منكم ما احتمل بدنه الداء . وعليكم بالنورة^(١) في كل شهر ، فانها مذيبة للبلم مهلكة للمرة منبهة للحم . واذا تقضى أحدكم فليتم على إمرأته ، واذا تمسح فليخط أربعين خطوة .

ومن كلام الحرث أيضاً قال : دافع بالدواء ما وجدت مندفعاً ، ولا تشربه الا من ضرورة فانسه لا يصلح شيئاً الا اقمده مثله .

(وقال) سليمان بن جليل : أخبرنا الحسن بن الحسين قال : أخبرنا سعيد بن الاموي قال ، أخبرنا عبي محمد بن سعيد ، عن عبد الملك بن عير قال : كان أشوان من ثقيف^(٢) من بني كنه يتعaban ، لم ير قط أحسن ألفه منها . فخرج الأكبر الى سفر فأوصى الأصغر بأمراته ، فوقعت عينه عليها يوماً غير معتمد لذلك ، فهوجا وضى . وقدم أخوه فجاءه بالأطباء ، فلم يمرضوا ما به ، الى ان جاءه بالحرث بن كلفة فقال : أرى عينين محتجبتين وما أدري ما هذا الوجع وسأجرب ، فاسفوه نبيذاً . فلما عمل النبيذ فيه قال :

| | |
|----------------------------------|------------------------------|
| ألا رفقا ألا رفقا | قليل ما أكونته |
| ألم ^(٣) في الى الايبا | ت بالخيف أزرهنه |
| غزالا ما رأيت اليو | م في دور بني كنه |
| أسيل الحد مروج | وفي منطفه غنه ^(٤) |

(المزج)

فقالوا له : انت اطب العرب . ثم قال رددوا النبيذ عليه . فلما عمل فيه قال :

| | |
|-----------------------------|--------------------------------|
| أيا الجيرة اسفوا | وقفوا كي تكفوا |
| ولتضوا لبانة | وتحبوا وتعموا |
| خرجت مونة من | البحر ربا تمحسم ^(٥) |
| هي ما كنتي ^(٦) و | عم أني لها سم ^(٧) |

(١) سحر الكلى ثم غلب على اختلاط من زوليخ وكلى وغيره يزال به الشعر في الحمام ملاء .

(٢) قبيلة عربية سكنت في الطائف قبيل الهجرة واشتركت في الفتوحات الاسلامية

(٣) ألم ، الى .

(٤) الصورة الرخم .

(٥) تردد الصوت

(٦) امرأة الابن وتقال لامرأة الابن وابن الابن .

(٧) ابو زوج للمرأة وابو امرأة الرجل . (ن.د)

قال : فطلقها اخوه ، ثم قال : تروج بها يا اخي . فقال : والله لا تروجتها . فمات وما تزوجها .
وللحرث بن كلفة التثني من الكتب : كتاب المحاوره في الطب بينه وبين كسرى ابو شروان .

النضر بن الحرث بن كلفة التثني

هو ابن خالة النبي ﷺ ، وكان النضر قد سافر البلاد أيضاً كآبيه . واجتمع مع الافاضل والعلاء
بمكة وغيرها ، وعاشر الاحبار والكهنة . واشتغل وحصل من العلوم القديمة اشياء جليلة القدر ،
واطلع على علوم الفلسفة واجزاء الحكمة ، وتعلم من آبيه ، ايضاً ، ما كان يعله من الطب وغيره .
وكان النضر يؤاتي ابا سفيان (١) في عداوة النبي ، ﷺ ، لكونه كان ثقيفاً ، كما قال رسول الله
ﷺ : « قريش والانصار حليفان ، وبنو امية وثقيف حليفان » .

وكان النضر كثير الاذى والحسد للنبي ، ﷺ ، ويتكلم فيه باشياء كثيرة ، كما يحط من قدره
عند اهل مكة ، ويبطل ما أتى به برحمه . ولم يعلم ، بشقاوته ، ان النبوة اعظم ، والسعادة اقدر ،
والعناية الالهية اجل ، والامور المقدرة اثبت . وانما النضر اعتقد ان بمولماته وفضائله وحكمته يقاوم
النبوة ، وابن الذي من الدنيا ، والحفيظ من الاجر ، والشقي من السعيد . وما احسن ما وجدت
حكاية ذكرها افلاطون في كتاب التواميس في ان النبي وما يأتي به لا يصل اليه الحكيم بحكمته ، ولا
العالم بعلمه . قال افلاطون : وقد كانت « ماريتون » ملك اليونانيين الذي يذكره اوميرس الشاعر
باسمه وجبروته ، وما تحب اليونانيين في سلطانه ، رمي بشدائد في زمانه ، وخوارج في سلطانه ،
ففرج الى فلاسفة عصره . فتأملوا مصادر أموره ومواردها ، وقالوا له : قد تأملنا أمرك ، فلم نجد
فيه من جهتك شيئاً يدعو الى ما لحقك ، وانما يعلم الفيلسوف الافراطات وسوء النظام الواقفين في
الجزء . فاما ما خرج عنه فليس تبحث عنه الفلسفة ، وانما يوقف عليه من جهة النبوة . وأشاروا
عليه ان يطلب نبي عصره ليجتمع له مع علمهم ما ينبغي به ، وقالوا : « انه لا يسكن في البلدات
العامرة ، وانما يكون بين اقاصي المقفرة بين فقراء ذلك العصر » ، فسالهم ما يجب ان يكون عليه
رسله اليه ، وما يكون دليلا لهم عليه . فقالوا : « اجعل رسلك اليه من لانت سجيته ، وظهرت
قناعته ، وصدقت لهجته ، وكان رجوعه الى الحق احب من ظفرو به ، فان بين من استولى عليه هذا
الوصف وبينه وصلة تدهم عليه . وتقدم اليهم في المسألة عنه ، عند مسقط رأسه ومنشئه ، وسيrote
في هذه المواضع ، فانك تجده زاهداً في النعم ، راغباً في الصدق ، مؤثراً للخلافة ، بعيداً من الحيلة ،
غير حظي من الملوكة . ليسبونوه الى تجاوز حده والخروج عما جرى عليه اهل طبقتة . تتأمل فيه
الحرف ، وتحال فيه اللغة . اذا تكلم في الامر توهمت انه عالم بأصوله وليس يعرف ما يترقى اليه به .

(١) طبر عادي النبي وساربه في مواقع بدر رأسه . وقاد قسماً من جيش المشركين الذي حاصر المدينة ٦٢٧ م وصالح
الذي في معاهدة الحديبية ومثل مع النبي ﷺ في نحو ٦٢٧ م .

واذا سئل عما يصدر عنه ذكر انه ، يلقى على لسانه وفي خاطره ، في البتظة وبين النوم واليقظة ، ما لم ير فيه . واذا سئل عن شيء ، رأيته كأنه يقتضي الجواب من غيره ، ولا يفكر فيه تفكير القادر عليه ، والمستنبط له . واذا وجدوه ، فيجميع لهم الى ما تقرر من وصفه اعاجيب تظهر على لسانه ويده .

فجمع سبعة نفر و اضاف اليهم أمثل من وجد من الفلاسفة ، فخرجوا يلتمسونه . فوجدوه على مسافة خمسة ايام من مستقر مارينوس في قرية قد خرج اكثر اهلها عنها ، وسكنوا قريباً من مدينة مارينوس ١١ آفروه من لين جواره وكثرة الانتفاع به . ولم يبق فيها الا نفر من الزهاد قد قعدوا عن الاكتساب ، ومشايخ وزمنى^(١) خلفهم الجهد . وهو بينهم في منزل شعث^(٢) ، وحول المنزل جماعة من هؤلاء القوم ، قد شغلهم جواره ، والهامهم عن الحظوظ التي وصل اليها غيرهم . فقتلهم اهل القرية بالترحيب . وسألوه عن سبب دخولهم قريتهم الشعث التي ليس فيها ما يجبس امثالهم عليه ، فقالوا : رغبتنا في لقاء هذا الرجل ومشاركتكم في فوائده . وسألوه عن وقت خلوته^(٣) ، فقالوا : ما له شيء يشغله عنكم .

فدخلوا اليه فوجدوه مخبئاً^(٤) بين جماعة قد غضوا ابصارهم من هيئته . فلما رآه السبعة نفر سبقتهم العبارة ؛ وغرقتهم الهيبة ، ومهمم الفيلسوف بمسك لنفسه ، ومتمهم لحسه ، يريد ان يستبريء امره . فسلموا عليه ، فرد عليهم السلام رداً ضعيفاً وهو كالناعس المتحير . ثم زاد نغامه حتى كادت سيقوه^(٥) ان تنحل فلما تبين من حوله ما تشاء غضوا ابصارهم ووقفوا وقوف المصلي ، فقال : يا رسل الحاطىء الذي ملك جزءاً من عالمي ، فنظر الى صلاحه في سوق الخيرات الجسدية اليه ، فأفسده بما غمره منها . وكان سبيله سبيل من وكل يميزه من بستان كثير الزهر والثار ، فصرف اليه اكثر من حصته من ماء ذلك البستان ، وظن انه اصلح له فكان ما زاده منه على حصته ، فاقصا من طعوم ثماره ، وروائح ازهاره ؛ وسبوا لجفاف اشجار جزء جزء منه وتصويح^(٦) نبتة .

فلما سمع السبعة نفر هذا لم يملكوا انفسهم حتى قاموا مع اولئك فوقفوا وقوف المصلين . فقال الفيلسوف : فبقيت جالساً خارجاً عن جلستهم لاستبريء امره ، واقتصى عجائبه ، فصاح بي : يا ايها الحسن الظن بنفسه ، الذي كان اقصى ما لحقه ان سلك بفكره بين المحسوسات الجزئية والمعقولات الكلية ، واستخلص منها علماً وقف به على طبائع المحسوسات وما قرب منها ؛ فظن انه

(١) ذو العامة .

(٢) متوش غير منظم .

(٣) زين فراغه .

(٤) متمماً .

(٥) العبارة ادكل قرب يشتمل به .

(٦) اليبس والجفاف .

يبلغ به كل علة ومعلول . انك لا تصل الى هذه الطريق ، لكن بن جعلته بيني وبين خلقي ، ونصبت له الدلالة على ارادتي . فاصرف اكثر عنايتك الى الاستدلال عليه . فانما اصبته فارده اليه ما فضل عن معرفتك ، فقد حلت من جودي ما فرقت به بينه وبين غيره ، وجعلته ممة له يسترضها الفهم المخلصين للحق . ثم تماسك وقوي طرفه ، فرجع من حوله الى ما كلوا عليه ، وخرجت من عنده .

فلما كان العشية عدت اليه فسمعتة يخاطب اصحابه والسبعة نفر بشيء من كلام الزهاد ، ينهام فيه عن طاعة الجسد . فلما انقضى كلامه قلت له : « قد سمعت ما سلف لك في صدر هذا اليوم وأنا أسألك زيادتي منه . » فقال : « كلما سمعته فانما هو شيء صور في نفسي وأنت في لساني ، وليس لي فيه الا التبليغ . وإن كان منه شيء ستفت عليه . » فأقت عنده ثلاثة ايام ، أدبر السبعة نفر على الرجوع الى اوطانهم فيأبى ذلك علي ، فلما كان اليوم الرابع دخلت عليه ، فما تمكنت من مجلسه حتى تشاء ما كان غشيه في اليوم الذي دخلنا عليه . ثم قال : « يا رسول الخاطئ والمضطرب ونفسه في الرجوع له . ارجع الى بلدك فانك لا تلتحق صاحبك » واني انسخه بن يعدل ميل الجزء الذي في يده ، فخرجت من عنده فلحقت بلدي وقد قضى نجه . وتولى الامر كهل من أهل بيت ماربونوس ، فرد المطالم وخلص الأرواح مما غشينا من لبوسات الترفه ^(١) والبطالة .

أقول ولما كانت يوم بدر والتقى فيه المسلمون ومشركو قريش ، كان المقدم على المشركين أبو سفيان ، وعدتهم ما بين التسعمائة والالف ، والمسلمون يومئذ ثلثائة وثلاثة عشر . وأيد الله الاسلام ونصر نبيه ﷺ ، ووقعت الحصرة على المشركين . وقتلت في جلته صناديد ^(٢) قريش ، وأمر جماعة من المشركين . فبعضهم استفكوا انفسهم ، وبعضهم أمر النبي ﷺ ، بقتلهم . وكل من جهة المأسورين عقبه ^(٣) بن أبي معيط ، والنضر بن الحرث بن كعدة ، فقتلها عليه السلام بعد منصرفه من بدر .

حدثني شمس الدين أبو عبدالله محمد بن الحسن بن محمد الكاتب البغدادي ابن الكريم قال : حدثنا أبو غالب محمد بن المبارك بن محمد بن الميعون ، عن أبي الحسن علي بن أحمد بن الحسين بن محبوبه الشافعي البزدي عن أبي سعد أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن أبي القاسم الصيرفي البغدادي ، عن أبي غالب محمد بن أحمد ابن سهل بن بشران النحوي الراسطي ، عن أبي الحسين علي بن محمد بن عبد الرحم بن دينار الكاتب ، عن أبي الفرج علي بن الحسين بن محمد الكاتب الاصبهاني ، قال : حدثنا محمد بن جرير الطبري ، قال : حدثنا ابن حديد ، قال : حدثنا مسلمة عن محمد بن اسحق ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وزيد بن رومان : ان رسول الله ﷺ قتل يوم بدر عقبه بن أبي معيط صبراً ، أما عاصم بن ثابت بن أبي الاظفح الانصاري فضرب عنقه . ثم أقبل من بدر حتى اذا كنا بالصفراء قتل النضر بن الحرث بن كعدة الثقفني أحد بني عبد الدار ، فقد أمر علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، أن يضرب عنقه . فقالت فتية بنت الحرث ترثيه :

-
- (١) ليونة الجيش .
(٢) جمع منجيد وهو السيد الشجاع .
(٣) احد الأشخاص الجاهلين الذين آذوا النبي

يا ركباً ان الأتيل^(١) مظنة
يلغ به ميتا فان نجية
مفي اليه وعبرة مسفوحة
فلسمعن النضر ان ناديتـه
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه^(٢)
صبراً يقاد الى الثنية متعباً
أحمدٌ ولأنت نمل نجيبية
ما كان ضرك لو منلت وربما
والنضر أقرب من أخلت بركة
لو كنت قابل فدية لفديته
من صبح خامسة وأنت موفق
ما ان ترال بها الركائب تخفق
جادت بدرتها وأخرى يخفق
ان كان يسمع ميت أو ينطق
له ارحام هناك تمزق
رسف الحديد وهو عاتق موثق
في قومها ، والفعل فعل معرق^(٣)
من الفتى وهو المقيظ الحقنق
وأحهم ان كان عتق يمتق
بأعز ما يفدي به من ينطق
(الكامل)

قال أبو الفرج الاصبهاني^(٤) : فبلغنا ان النبي ﷺ قال : لو سمعت هذا قبل ان أقتله ما قتلته .
فيقال ان شعرها أكرم شعر موتورة وأعفه وأكله وأحلله .

أقول : كان عليه السلام انما أخر قتل للنضر بن الحرث الى ان وصل الصفراء لباروى فيه . ثم
انه رأى الصواب قتله فأمر بقتله . وروى أيضاً في قولها « والنضر أقرب من قتلت قرابة » تشير
الى انه قرابة النبي عليه السلام . وكانت وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة . وبدر موضع وهو
اسم ماء

قال الشعبي^(٥) : بدر بشر كانت لرجل يدعى بدرًا ومنه يوم بدر . والصفراء من بدر على سبعة عشر
ميلاً ، ومن المدينة على ثلاث ليال قواصد .

ابن أبي رمنة التميمي

كان طبيباً على عهد رسول الله ﷺ ، مزاولاً لأعمال اليد وصناعة الجراح .
وروى نعم عن ابن أبي عيينة عن ابن أبي عمير ، عن زياد عن لقيط عن ابن أبي رمنة قال : أتيت

(١) موضع قرب المدينة المنورة .

(٢) تتناولـه .

(٣) كرم الأصل .

(٤) علي بن الحسين (٨٩٧ - ٩٦٦) ولد في اصبهان ونشأ في بغداد وكان من معربي سيف الدولة الحمداني له كتاب
الاعاخي المشهور .

(٥) هو ابو حاتم بن فراهيل تابعي وعلمة الكوفة وعحدث روى عن علي واثي هريزة وعائشة (٦٤٧ - ٧٢٣) .

رسول الله ﷺ ، فرأيت بين كتفيه الحاتم ، فقلت : اني طبيب فدعني أعالجه ، فقال : انت رفيق ، والطبيب الله . قال سليمان بن حسان : علم رسول الله انه رفيق اليد ولم يكن قاتفاً في العلم ، فبات ذلك من قوله والطبيب الله .

عبد الملك بن أبيجر الكناني

كان طبيباً عالماً ماهراً . وكان في أول أمره مقياً في الاسكندرية لانه كان المتولي في التدريس بها من بعد الاسكندرانيين الذين تقدم ذكرهم . وذلك عندما كانت البلاد في ذلك الوقت للموكة النصارى . ثم ان المسلمين لما استولوا على البلاد وملكوا الاسكندرية ، أسلم ابن أبيجر على يد عمر بن عبد العزيز^(١) ، وكان حينئذ أميراً قبل ان تصل اليه الخلافة ، وصعبه . فلما أفضت الخلافة الى عمر ، وذلك في صفر سنة تسع وتسعين للهجرة ، نقل التدريس الى انطاكية وحران^(٢) وتفرق في البلاد . وكان عمر بن عبدالعزيز يستطب ابن أبيجر ، ويعتمد عليه في صناعة الطب .

روى الاعمش^(٣) عن ابن أبيجر انه قال : دع الدواء ما احتمل بذلك الداء . وهذا من قول النبي ﷺ : « من يدانك ما حملك » .

وروى سفيان^(٤) عن ابن أبيجر أنه قال : المعدة حوض الجسد والعروق تشرع فيه ، فما ورد فيها بصصة صدر بصصة ، وما ورد فيها بسقم صدر بسقم .

ابن أقال

كان طبيباً متقدماً من الأطباء المتميزين في دمشق ، نصراني المذهب . ولما ملك معاوية^(٥) بن أبي سفيان دمشق اصطفاه لنفسه وأحسن اليه ، وكان كثير الاقتتاد له والاعتقاد فيه ، والمحادثة معه ليلاً ونهاراً . وكان ابن أقال خبيراً بالادوية المفردة والمركبة وقواها ، وما منها سموم قواطل ، وكان معاوية يقر به لذلك كثيراً .

ومات في أيام معاوية جماعة كثيرة من أكابر الناس والاهرام من المسلمين بالسم . ومن ذلك حدثنا

(١) من الخلفاء الامويين اشتهر بتقواه وعسكه بالسنه مع اهل النعمه . ابطل لمن علي الذي سنه معاوية . (٦٨٢ - ٧٢٠).

(٢) بلد بالشام .

(٣) هو لقب سليمان بن مهران الكوفي المشهور .

(٤) اظن انه سفيان الثوري احد علماء الكلام الصوفيين ولم يكن اعلم منه في الحلال والحرام .

(٥) هو مؤسس الدولة الاموية وعاصمتها دمشق . وكان من قبل رلياً عليها من قبل الخلفاء واصبح خليفة بعد مقتل علي

ابن ابي طالب (ن . د) .

ابو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد الكاتب البغدادي ابن الكرم ، قال : حدثنا ابو غالب محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون ، عن أبي الحسن علي بن أحمد بن الحسين بن محمود الشافعي الزيدي ، عن أبي سعد احمد بن عبد الجبار بن احمد بن أبي القاسم الصيرفي البغدادي ، عن ابي غالب محمد بن احمد بن سهل بن بشران النعموي الواسطي ، عن ابي الحسين علي بن محمد بن عبد الرحمن بن دينار الكاتب ، عن ابي الفرج علي بن الحسين الاصبهاني الكاتب قال في كتابه المعروف « بالآغاني » الكبير : اخبرني عمي ، قال : حدثنا احمد بن الحرث الحزاز ، قال : حدثنا المدائني ، عن شيخ من اهل الحجاز ، عن زيد بن رافع مولى المهاجرين خالد بن الوليد ، عن ابي ذئب ، عن ابي سهيل : ان معاوية لما اراد ان يظهر المقد ليزيد قال لاهل الشام : « ان أمير المؤمنين قد كبر سنه ، ورق جلده ، ودق عظمه ، واقترب اجله ، يريد ان يستخلف عليكم فمن ترون » ؟ فقالوا : عبد الرحمن بن خالد بن الوليد . فكت واخبرها . ودرس ابن اثال النصراني الطيب اليه ، فسقاها سماً ، فمات . وبلغ ابن اخيه خالد بن المهاجر ابن خالد بن الوليد خبره وهو بمكة وكان اسوأ الناس رأياً في عهد لان اياه المهاجر ، كان مع علي رضي الله عنه ، بصفين ، وكان عبد الرحمن بن خالد مع معاوية . وكان خالد بن المهاجر على رأي ابيه ، هاشمي المنصب . فلما قتل عمه عبد الرحمن مر به بعروة بن الزبير ، فقال له يا خالد ! اتدع لابن اثال نقي ^(١) اوصال عمك بالشام ، وانت بمكة مسيل ازارك تجره وتحطرفه متخائلاً ؟ فصمى خالد ودعى مولى له يقال له نافع فاعطاه الخبر وقال له : « لا بد من قتل ابن اثال » . وكان نافع جلدأ شهياً ، فخرجنا حتى قدما دمشق ، وكان ابن اثال يتمشى عند معاوية ، فجلس له في مسجد دمشق الى اسطوانة ، وجلس غلامه الى اخرى . حتى خرج . فقال خالد لنافع : اياك ان تعرض له انت ، فاني اضربه . ولكن احفظ ظهري واكفي من ورائي . فان رأيت شيئاً يريدني من ورائي فشأنك » . فلما حاذاه وثب اليه فقتله . وثار اليه من كان معه فصاح بهم نافع فانفروا . ومضى خالد ونافع وتبعها من كان معه ، فلما غشوها حملا عليهم فتفرقوا ، حتى دخل خالد ونافع زقاقاً ضيقاً فغاف الناس . وبلغ معاوية الخبر فقال : هذا خالد بن المهاجر ، انظروا الزقاق الذي دخل فيه » . ففتش عليه واتي به فقال له : لا جزاك الله من زائر خير ! قتلت طيبين ؟ فقال : قتلت المأمور وبقي الأمر » .

فقال له : « عليك لعنة الله ، اما والله لو كان تشهد مرة واحدة لعنتك به . اعمك نافع ؟ قال لا ! قال : بلى والله ، وما اجترأت إلا به » . ثم امر بطلبه فوجد ، فأتي به فضرب مائة سوط ولم ينح خالدأ بشيء اكثر من ان حبسه ، والزم بني غزوم دية ابن اثال التي عشرين درهم ، ادخل بيت المال منها ستة آلاف واخذ ستة آلاف ، فلم يزل ذلك يجري في دية المهاد حتى ولي عمر بن عبد العزيز ، فأبطل الذي يأخذه السلطان لنفسه ، واثبت الذي يدخل بيت المال .

قال : لما حبس معاوية خالد بن المهاجر قال في السجن :

(١) مع اللطام وشعبها .

إما خطاي تغاربت مشي المتعبد في الحصار
فيا أمشي في الأياطح يقتني اري لإزاري .
دع ذا ولكن هل ترى فأراً تشب بـفني مرار
ما أن تشب لقيرة ^(١) بالمصطلي ^(٢) ولا قنار ^(٣)
ما بال ليك ليس بـ قص طولها طول النهار
أقاصر الأزمان أم غرض الأسير من الأسار ^(٤)

(الكامل)

قال فبلت أبنائه معاوية فأطلقه ، فرجع الى مكة . فلما قدمها لقي عروة بن الزبير ، فقال له :
أما ابن أقال فقد قتلته . وهذا ابن جرموز تقي أوصال الزبير بالبصرة فاقته ان كنت فأراً ، فشكاه
عروة الى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، فأقسم عليه ان يمسك عنه ، ففعل .

اقول : كان الزبير بن العوام ^(٥) مع عائشة يوم الجمل ^(٦) ، فقتله ابن جرموز ، ولذلك قال
خالد بن المهاجر لعروة بن الزبير عن قتل ابن جرموز لابيه يعيره بذلك . وما يحقق هذا ، أن
عائشة بنت زيد بن عمرو بن نضيل زوجة الزبير بن العوام قالت قرئيه لما قتله ابن جرموز :

خدر ابن جرموز بفارس حمة ^(٧) يوم القاه وكلت غير محرد ^(٨)
يا عمرو لو نبيته لوجدته لا طائشاً رعى الجنان ولا اليد
الله ربك ، ان قتلت لملأ وجبت عليك عقوبة التعمد
إن الزبير ، لنو بلاه صادق ، سمح سجيته ، كريم المشد
كم غمرة قد خاضها ، لم يشه عنها طرادك ، يا ابن فقع القرد ^(٩)
فأذهب فما ظفرت يداك بـ فيا مضى مما يروح ويقتدي

(الكامل)

وقال ابو عبيد القاسم بن سلام البغدادي ^(١٠) في « كتاب الأمثال » : إن معاوية ابن أبي سفيان

(١) للبرد

(٢) المستغنين .

(٣) الدخات .

(٤) ما يشد به من قد ابر قيد .

(٥) هو الزبير بن العوام صحابي امة عليه بنت عبد المطلب واحد اصحاب الشورى الستة وقتل يوم الجمل .

(٦) اسم الموقعة التي عاوت فيها الحرب بين امير المؤمنين علي بن ابي طالب وبين اصحاب عائشة التي غرر يا طلحة والزبير

بعد ما اتفقا بينهم لملي .

(٧) الشجاع الذي يستبهم ما لا يهل اقراؤه .

(٨) خير محجم ولا ناكل .

(٩) اللقع : اردأ الكساء ؛ والقرد : الثغر أو الارض المشوية وكفى به عنها عن القليل .

(١٠) ولد في هراة من ام رومية وهو لنوي وقيته .

كان خاف ان يبل الناس الى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فاشتكى عبد الرحمان فسقاه الطبيب شربة عسل فيها سم فأحرقتة . فمئذ ذلك قال معاوية لا جد الا ما اقمص^(١) عنك من تكره . قال : وقال معاوية ايضا حين بلغه ان الاشتر سقي شربة عسل فيها سم فمات : « أن الله جنوداً منها العسل » .

ونقلت من تاريخ ابني عبد الله محمد بن عمر الواقدي^(٢) قال : لما كان في سنة ثمان وثلاثين بعث علي ابن ابني طالب رضي الله عنه الاشتر واليا على مصر ، بعد قتل محمد بن ابني بكر ، وبلغ معاوية مسيره قدس الى^(٣) دمقان بالعرش^(٤) ، فقال ان قتلت الاشتر فلك خراجك عشرين سنة ، فلفظ له الدهقان فسأل ابني الشراب احب اليه ؟ فقبل العسل . فقال هندي عسل من عسل برقة ، فسمه واثاه به فشره فمات .

وفي تاريخ الطبري ان الحسن بن علي رضي الله عنها مات مسموماً في ايام معاوية وكان عند معاوية كما قيل دهاق ، قدس الى جمعة بليت الاشعث بن قيس ، وكانت زوجة الحسن ، رضي الله عنه ، شربة وقال لها : ان قتلت الحسن زوجتك بيزيد . فلما قوفي الحسن بعثت الى معاوية تطلب قوله ، فقال لها في الجواب : انا اضمن بيزيد . وقال كثير^(٥) يرثي الحسن رضي الله عنه :

يا جعد ابكيه ولا تسامي بكاه حق ليس بالباطل
ان تساري الميت على مثله في الناس من ساف ومن فاعل
(السريع)

وقال عوانة بن الحكم : لما كان قبل موت الحسن بن علي عليها السلام ، كتب معاوية الى مروان ابن الحكم عامله على المدينة ان اقبل المظي قيا بيبي وبينك بجبر الحسن بن علي . قال : فلم يلبث الا يسيراً حتى كتب مروان بموته . وكان ابن عباس اذا دخل على معاوية اجلسه معه على سريره فاذا معاوية للناس فاخذوا بمجالسهم ، وجاء ابن عباس فلم يجبه معاوية ان يسلم حتى قال : يا ابن عباس اهل اناك موت الحسن بن علي ؟ قال : لا ا قال معاوية : فانه قد اناك موته . فاسترجع ابن عباس وقال : ان موته يا معاوية لا يزيد في حرك ولا يدخل عملك في قبرك . وقد بلينا بأعظم ، فقدنا منه جده محمد صلى الله عليه وسلم ، فحبر الله مصابنا ولم يهلكنا بعده . فقال له معاوية : اقم يا ابن عباس ، فقال : ما هذا بيوم تعود . وأظهر معاوية الشبهة بموت الحسن رضي الله عنه فقال قم ابن عباس في ذلك :

(١) اقمصه : رماه او شره فمات مكانه .
(٢) ولد في المدينة (٧٢٧-٨٢٢) كان قاضياً في الرصافة ودليل الحج لهارون الرشيد ووليه يحيى ومن مؤلفاته « المنازي » و « فتوح الشام » و « فتوح مصر » .
(٣) رئيس الاقليم .
(٤) بلدة على التوسط بين مصر وفلسطين فيها وقع الفرنسيون معاهدة اجلائهم عن مصر سنة ١٨٠٠ .
(٥) شاعر اشتهر باسم كبير حرة اقام في المدينة . وغال في تشييمه وقال بالرجمة والتناسخ قوفي سنة ٧٢٢ .

| | |
|---------------------------|-----------------------------------------|
| أصبح اليوم ابن هند شامتاً | ظاهر النخوة أن مات حمن |
| رحمة الله عليه انه | طال ما أشجى ابن هند وأذن |
| ولقد كان عليه عمره | عدل وضوى وثبير وحضن ^(١) |
| وإذا أقبل حياً راضاً | صوته والصدور يغلي بالأحن ^(٢) |
| فأرلح اليوم ابن هند أمتاً | أنما يفصص ^(٣) بالعار السمن |
| وأتق الله وأحدث توبة | ان ما كان كشيء لم يكن |
| | (الرمل) |

أبو الحكم

كان طبيباً نصرانياً عالماً بأنواع العلاج والادوية ، وله أعمال مذكورة وصفات مشهورة . وكان يستطبه معاوية بن أبي سفيان ويعتمد عليه في تركيبات ادوية لأغراض قصدها منه .
وعمر ابو الحكم هذا عمراً طويلاً حتى تجاوز المائة سنة .

حدث أبو جعفر أحمد بن يوسف بن ابراهيم ، قال : حدثني أبي قال : حدثني عيسى بن حكم الدمشقي المتطبب قال : حدثني أبي عن أبيه ، قال : ولي الموسم في أيام معاوية^(١) بن ابي سفيان ، يزيد بن^(٢) معاوية ، فوجهني اياه معه متطبباً له . وخرجت مع عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس الى مكة متطبباً له . وقعدت^(٣) عبد الصمد مثل قعدت يزيد . وبين وفاتها مائة ونيف وعشرون سنة .

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني عيسى بن حكم عن أبيه ، ان جده أعلمه انه كان حُجتي عبد الملك^(٤) ابن مروان من شرب الماء في علته التي توفي فيها . وأعلمه انه متى شرب الماء قبل نضج علته توفي . قال : فاحتسنى عن الماء يومين وبعض الثالث . قال : فاني عنده جالس وعنده بنائه ، اذ دخل عليه

(١) رضوى وثبير وحضن ؛ اسماء جبال . رضوى بالمدينة ؛ وثبير بظاهر مكة ؛ وحضن من جبال سلف بنجد .
(٢) الخلد .

(٣) ويختصر ويذكره . (د . ج) .

(٤) صحابي قول الحكم في سوريا ٢٠ عاماً قوع للطلالبة بدم عثان حياً بالوصول الى الحكم . وهو مؤسس الدولة الاموية وعاصمتها دمشق توفي سنة ٦٨٠

(٥) فاني الخلفاء الامويين وانتقلت اليه بالارث فكان ارل ملك في العرب وكان خليفاً ماجناً فثار عليه الحسين بن علي فكانت موقعة كربلاء حيث قتل الحسين .

(٦) القريب الايام من الجند الاظم ؛ ار البعيد « ضد » .

(٧) الخليفة الاموي الذي يمد كؤوسه ان للدولة الاموية . ارسل جيوشه الى آسيا الصغرى وإفريقيا . وصك النقود النحاسية ونظم البريد وبنى الصخرة في المسجد الأقصى .

الوليد^(١) ابنه فسأله عن حاله وهو يكين في وجه الوليد السرور بموته فأجابته بأن قال :

ومستخير عنا يريد بنا الردى ومستخيرات والدعوى وساجم
(الطويل)

وكان استفتاحه النصف الاول وهو مواجه للوليد ، ثم واجه البنات عند قوله النصف الثاني ، ثم دعا بالماء فشربه ففضى من ساعته .

حكم المشقي

كان يلحق بابيه في معرفته بالداواة والاعمال الطبية والصفات البديعة . وكان مقبياً بدمشق .
وعمر أيضاً عمراً طويلاً .

قال ابو يوسف بن ابراهيم : حدثني عيسى بن حكم ان والده قوفي ، وكان عبد الله بن همام^(٢) بدمشق في سنة عشر ومائتين ؟ وان عبد الله سأل عن مبلغ عمر أبيه فأعلمه انه عمره مائة وخمس سنين ، لم يتغير عقله ، ولم ينقص علمه . فقال عبد الله : عاش حكم نصف التاريخ .

قال يوسف وحدثني عيسى انه ركب مع أبيه حكم بمدينة دمشق ، اذ اجتازوا بمحاوت حجام قد وقف عليه بشر كثير ، فلما بصر بنا بعض الوقوف قال : أفرجوا هذا حكم المتطبيب وعيسى ابنه . فأفرج القوم ، فاذا رجل قد فصد الحجام في المرق الباسليق ، وقد فصد فصدأ واسعاً ، وكان الباسليق على الشريان ، فلم يحسن الحجام تمليق المرق فأصاب الشريان . ولم يكن عند الحجام حيلة في قطع الدم . واستعملنا الحيلة في قطعه بالرفاند^(٣) ونسج العنكبوت والوبر ، فلم ينقطع بذلك . فسألني والدي عن حيلة ، فأعلمته انه لا حيلة عندي . فدعا بفستقة^(٤) فشققها وطرح ما فيها ، وأخذ أحد نصفي القشر فجعله على موضع الفصد ، ثم أخذ حاشية من ثوب كتان غليظ فلف بها موضع الفصد على قشر الفستقة لفاً شديداً ، حتى كان يستقيث المتصد من شدته ، ثم شد ذلك بمد اللف شداً شديداً ، وأمر بحمل الرجل الى نهر بردى ، وأدخل يده في الماء ووطأ^(٥) له على شاطئ النهر ونزعه عليه ، وأمر فحسى بحات^(٦) بيض نيمرشت^(٧) ، ووكل به تليذاً من تلامذته ، وأمره بمنه من اخراج يده

(١) الخليفة الاموي السادس (٧٠٥-٧١٥) بلغت في ايامه الامبراطورية العربية اوجها وبلغت قوتها في القفاس والمغرب وصقليا واسبانيا وبغاري وسمرقند وفرغانة وتشكنت وبلغ حدود الصين .

(٢) ولد سنة ٧٩٨ وهو قائد وسياسي وشاعر . حكم البلاد بين مصر وقرقة ثم استقل بمصر خراسان قوفي سنة ٨٤٤ .

(٣) واحداً وفادة وهي الحرقعة توضع على الجرح .

(٤) حبة المسق وهو شجر معروف .

(٥) مهد وسهل ودمت .

(٦) واحداً حمة وهي بياض البيض .

(٧) المساقعة قليلاً .

من موضع الفصد من الماء الا عند وقت الصلاة او يتخوف عليه الموت من شدة البرد. فان تخوف ذلك أذن له في اخراج يده هنيئة ثم امره بردها ، ففعل ذلك الى الليل . ثم امر بحمله الى منزله ونهاه عن تغطية موضع الفصد ، وعن حل الشد قبل استتمام خمسة ايام ، ففعل ذلك . إلا انه صار اليه في اليوم الثالث وقد ورم عضده وفراجه وربما شديداً ، فنفس من الشد شيئاً يسيراً ، وقال للرجل : « الورم اسهل من الموت » . فلما كان في اليوم الخامس حل الشداد فوجدنا قشر الفستقة ملتصقاً بلحم الرجل . فقال والدي للرجل : « بهذا القشر نجوت من الموت » فان خلعت هذا القشر قبل الفخلاعه وسقوطه من غير فعل منك تلفت نفسك » .

قال عيسى : فسقط القشر في اليوم السابع وبقي في مكانه دم إبس في خلفة الفستقة. فنهاه والدي عن اللعب به ، او حك ما حوله ، او فتّ شيء من ذلك الدم . فلم يزل الدم يتحات^(١) حتى انكشف موضع الفصد في اكثر من اربعين ليلة وبرأ الرجل .

عيسى بن حكم المشقي

وهو المشهور بمسح ، صاحب الكتاش الكبير الذي يعرف به وينسب اليه .

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني عيسى بن الحكم انه عرض لنفض ام ولد الرشيد قولنج فاحضرته واحضرت الابيح والطبري الحاسبين ، وسألت عيسى عما يرى معالجتها به . قال عيسى : فاعلنها ان القولنج قد استحکم بها استحکاماً ان لم تبادره بالحقنة لم يؤمن عليها التلف .

فقلت : للأبح والطبري : « اختارنا لي وقتاً اتعالج فيه » . فقال لها الابيح علئك هذه ليست من العمل التي يمكن ان يؤخر لها العلاج الى وقت يحمد المتجمعون ، وانا ارى ان تبادري بالعلاج قبل ان تعملي عملاً ، وكذلك يرى عيسى بن حكم . فسألتني ، فاعلنها ان الابيح قد صدقها . فسألت الطبري عن رأيه فقال : ان القمر اليوم مع زحل ، وهو في غد مع المشتري ، وانا ارى لك ان تؤخري العلاج الى مقارنة القمر المشتري . فقال الابيح : انا اخاف ان يصير القمر مع المشتري وقد عمل القولنج عملاً لا يحتاج منه الى علاج . فتطيرت من ذلك غضيض ولبقتها ام محمد وامراً بإخراجه من الدار وقبلت قول الطبري . فماتت غضيض قبل موافاة القمر المشتري . فلما وافى القمر المشتري قال الابيح لام محمد : هذا وقت اختيار الطبري للعلاج فأين العليل حتى نعالجه ؟ فزادت رسائله غيظاً عليه . ولم تزل سيئة الرأي فيه حتى توفيت .

(١) يتناثر ويتساقط .

قال يوسف : نزلت على عيسى بن حكم في منزله بدمشق سنة خمس وعشرين ومائتين ، وفي نزلة صعبة ، فكان يغدوني بأغذية طيبة ويسقيني الثلج فكنت انكر ذلك ، واعلم ان تلك الاغذية مضرة بالنزلة . فبعثت علي بالهواء ويقول : « انا اعلم بهاء بلدي منك وهذه الاشياء المضرة بالعراق نافعة بدمشق » . فكنت اغتدلي بما يغدوني به . فلما خرجت عن البلد خرج مشيعا لي حتى صرنا الى الموضع المعروف بالراهب ، وهو الموضع الذي فارقت فيه ، فقال لي : قد اعددت لك طعاما يحل معك يخالف الاطعمة التي كنت تأكلها . وانا امرتك ان لا تشرب ماء باردا ، ولا تأكل من مثل الاغذية التي كنت تأكلها في منزلي شيئا . فقلت على ما كان يغدوني به فقال : « انه لا يعسن بالمأكل ان يلزم قوانين الطب مع ضيفه في منزله .

قال يوسف : وتجارت وعيسى يوما بدمشق ذكر البصل ، فابترك في ذمه ووصف مايبه .

وكان عيسى وسليوه^(١) بن بيان يسلكان طريق الرهبان ، ولا يعمدان شيئا مما يزيد في الباء ، ويلكران ان ذلك مما يتلف الابدان وينهب الأنفس . فلم استنجد الاحتجاج عليه بزيادة البصل في الباء . فقلت له : قد رأيت له في سفرى هذا ، اعني فيما بين سر من رأى ودمشق ، منفعة . فسأل عنها ، فاعلمت اني كنت اذوق الماء في بعض المناهل فاصيبه مالحا فاكل البصل التي ثم اعادوا شرب الماء فاجد ملوحته قد نقصت .

وكان عيسى قليل الضمك فاستضعك من قولي ثم رجع الى اظهار جرح منه ، ثم قال : يعز علي ان يفلط مثلك هذا الفلط ، لانك صرت الى اسمج نكتة في البصل واعيب عيب فيه فبجملتها مدحا . ثم قال لي : أليس متى حدث في الدماغ فساد فسدت الحواس ، حتى ينقص حس الشم والذوق والسمع والبصر : فاعلمت ان الامر كذلك . فقال لي : ان خاصية البصل احداث فساد الدماغ ، فانما قلل حسك بلوحة الماء ما احدث البصل في دماغك من الفساد .

قال : وقال لي عيسى وقد شيعني الى الراهب ، وهو آخر كلام دار بيني وبينه ان والذي فرفي وهو ابن مائة سنة وخمس سنين لم يتشجج له وجه ، ولم ينقص من ماء وجهه لاشياء كان يفعلها وانا الآن مزودكها فاعمل بها ؛ وهي : ان لا تذوق القديد ، ولا تفصل يدبك ، ورجلك عند خروجك من الحمام ابدا الا بجم بارد ابرد ما يمكنك ، والزيم ذلك فانه ينفعك . فلزمت ما امرني به من هذا الباب إلا اني ربما مصصت القطعة الصغيرة من القديد في السنة ، وفي الاكثر من ذلك .

ولعيسى بن حكم من الكتب : كتاب منافع الحيوان .

(١) هو طبيب الخليفة العباسي عبد المتصم بالله .

تياذوق

كان طبيباً فاضلاً وله نواجر والفاظ مستعسنة في صناعة الطب . وعمره ، وكان في أول دولة بني امية ومشهوراً عديم الطلب . وصحب أيضاً الحجاج ^(١) بن يوسف الثقفي ، المتولي من جهة عبد الملك ابن مروان ، وخدمه بصناعة الطب وكان يمتد عليه ، ويشق بدوائه ، وكان له منه الجامكية ^(٢) الوافرة والاقتداء الكثير .

ومن كلام تياذوق للحجاج : قال :

لا تنكح الا شابة ؛ ولا تأكل من اللحم الا فتياً ؛ ولا تشرب الدواء الا من علة ؛ ولا تأكل الفاكهة الا في اوان نضجها . وأجد مضغ الطعام ، واذا اكلت نهراً فلا بأس ان تمام ، واذا اكلت ليلاً فلا تم حتى تمشي ولو خمسين خطوة . فقال له بعض من حضر : اذا كان الأمر كما تقول فلم هلك بقرط ؟ ولم هلك جالينوس وغيرهما ولم يبق احد منهم ؟ قال : يا بني قد احتجبت فاسمع ! ان القوم دبروا أنفسهم بما يملكون وغلبهم ما لا يملكون - يعني الموت - وما يرد من خارج كالحمل والبرد والوقوع والفرق والجراح والغم وما أشبه ذلك .

وأوصى تياذوق أيضاً الحجاج فقال: لا تأكل حتى تجوع . ولا تتكاهن على الجماع . ولا تحبس البول . وغد من الحمام قبل ان يأخذ منك .

وقال أيضاً للحجاج : اربعة تهدم العمر وربما قتلن : شغل الحمام على البطنة ؛ والحمامة على الأمتلاء ؛ وأكل القديد الجاف ؛ وقرب الماء البارد على الريق . وما بحمامة المجوز ببميدة منهن .

ووجد الحجاج في رأسه صداعاً فبث الى تياذوق وأحضره فقال : اغسل رجليك بماء حار ، وادهنها . وخصي الحجاج قائم على رأسه ، فقال : والله ما رأيت طبيباً أقل معرفة بالطب منك ! شكى الأمير الصداع في رأسه فنصف له دواء في رجليه ! فقال له : أما أن علامة ما قلت فيك بينة . قال الحصي : وما هي ؟ قال : نزع خصيتاك فذهب شمر لحيتك . فضحك الحجاج ومن حضر .

وشكى الحجاج ضعفاً في معدته وقصوراً في الهضم الى تياذوق فقال : يكون الأمر يحضر بين يديه الفستق الاحمر الغشقر البراني ويكسره ويأكل من له ، فان ذلك يقوي المعدة . فلما مضى الحجاج بث الى حطايه وقال : ان تياذوق وصف لي الفستق . فبثت اليه كل واحدة منهن صلبة فيها قلوب فستق ، فأكل من ذلك حتى امتلأ . وأصابته ببقية هبضة ^(٣) . كانت تأتي على نفسه . فشكى حاله الى تياذوق ، وقال : وصفت لي شيئاً أضر بي ، وذكر له ما تناول ، فقال له : انما

(١) ولد بالطائف ٦٦١ وولد عبد الملك بن مروان على الجبال غرمى مكة بالتحنيق وقتل مصعب بن الزبير ثم تولى العراق فاحد القتل ببطشه وقوته ولم يخطب مشهورة . توفي سنة ٧١٤ م

(٢) المال السلطاني .

(٣) انبلاق البطن .

قلت لك ان تحضر عندك الفسق بشره البراني ، فتكسر الواحدة بعد الواحدة ، وتلوك قشرها البراني وفيه العطرية والقبض ، فيكون بذلك تقوية المعدة . وأنت فقد علمت غير ما قلت لك . ودأواه مما عرض له .

قيل ومن اخباره مع الحجاج : انه دخل عليه يوماً ، فقال له الحجاج : أي شيء دواء أكل الطين ؟ فقال حزينة مثلك أيها الأمير . فرمى الحجاج بالطين من يده ولم يعد إليه أبداً .

وقيل ان بعض الملوك لما رأى ثياذوق وقد شاخ وكبر سنه ، وخشي أن يموت ، ولا يعتاض عنه ، لانه كان أعلم الناس وأحذق الامة في وقته بالطب . فقال له : « صف لي ما أعتمد عليه فأسوس به نفسي ، وأعمل به أيام حياتي » فلست آمن ان يحدث عليك حدث الموت ، ولا أجدر مثلك ؟ فقال ثياذوق : « أيها الملك بالخيرات ، اقول لك عشرة أبواب ان علمت واجتنبتها لم تمتل مدة حياتك ، وهذه عشر كلمات :

١ - لا تأكل طعاماً وفي مبدئك طعام ؟ ٢ - ولا تأكل ما تضعف أستانك عن مضغه ، فتضعف معدتك عن مضغه ؟ ٣ - ولا تشرب الماء على الطعام حتى تفرغ ساعتين ؟ فان أصل الداء التثمة ، وأصل التثمة الماء على الطعام ؟ ٤ - وعليك بدخول الحمام في كل يومين مرة واحدة ، فانه يخرج من جسدك ما لا يصل اليه الدواء ؟ ٥ - وأكثر الدم في بدنك تحمص به نفسك ؟ ٦ - وعليك في كل فصل قينة ومسه ؟ ٧ - ولا تجلس البول وان كنت راكباً ؟ ٨ - واحرص نفسك على الحلاء قبل نومك ؟ ٩ - ولا تكثر الجماع فانه يقتبس من نار الحياة فليكثر او يقل ؟ ١٠ - ولا نجماح المعجوز فانه يورث الموت الفجأة .

فلما سمع الملك ذلك أمر كاتبه ان يكتب هذه الالفاظ بالذهب الاحمر ، ويضعه في صندوق من ذهب مرصع . وبقي ينظر اليه في كل يوم ويعمل به ، فلم يمتل مدة حياته حتى جاءه الموت الذي لا يد منه ولا يحص عنه .

وذكر ابراهيم بن القاسم الكاتب قال : قال الحجاج لابنه محمد : يا بني ان ثياذوق الطبيب كلف قد أوصاني في تدبير الصحة برصية كنت استعملها ، فلم أر الا خيراً . ولما حضرته الوفاة دخلت عليه أعوده فقال الزم ما كنت وصيتك به وما نسيت منها فلا تلس : « لا تشرب دواء حتى تحتاج اليه ، ولا تأكلن طعاماً وفي جوفك طعام ، واذا أكلت فامش أربعين خطوة . واذا امتلأت من الطعام فم على جنبك اليسر . ولا تأكلن الفاكهة وهي مولية . ولا تأكلن من اللحم الا قسياً . ولا تتكمن عيجوراً . وعليك بالسواك . ولا تبسبب اللحم اللحم . فان ادخال اللحم على اللحم يقتل الأسود في الفلوات » .

وقال أيضاً ابراهيم بن القاسم الكاتب في كتاب أخبار الحجاج : ان الحجاج لما قتل سعيد بن جبير رحمه الله ، وكان من خيار التابعين ، وجرى بينها كلام كثير ، وأمر به فذبح بين يديه ، وخرج منه دم كثير استكثره وهاله . فقال الحجاج لثياذوق طيبه : ما هذا ؟ قال : « لا اجتماع نفسه ، وانه لم

يجزع من الموت ، ولا هاب ما فعلته به . وغيره تقتله وهو مفترق النفس ، فيقل دمه لذلك . ،
ومات تياذوق بعد ما أسن وكبر ، وكنت وفاته براسطاً في نحو سنة تسعين للهجرة .
ولتياذوق من الكتب : كناش كبير ألفه لابنه . كتاب ايمال^(١) الادوية وكيفية حقها وابقاعها
واذابتها وشيء من تفسير أسماء الادوية .

زيلب طيبة بني أود

كانت عارفة بالأعمال الطيبة ، خبيرة بالملاج ومداواة آلام الدين والجراحات ، مشهورة بين
العرب بذلك .

قال ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني الكبير : اخبرنا محمد بن خلف الرزباري قال ، حدثني
حماد بن اسحق عن ابيه عن كنانة عن ابيه عن جده قال : أدت امرأة من بني أود لتكعطني من
رمد كان قد أصابني فكعطتني ، ثم قالت : اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينيك ، فاضطجعت
ثم قتلت قول الشاعر :

أخترمي^(٢) ربيب المتنون ولم أزر طبيب بني أود على الثأري زيلبا

(الطويل)

فضحكت ثم قالت : أنتدري فيمن قيل هذا الشعر ؟ قلت لا ! قالت : في " والله قيل ، وأنا زيلب
التي عنها ، وأنا طيبة بني أود . أنتدري من الشاعر ؟ قلت لا ! قالت : عك' أبو سماك الاسدي .

(١) هذه اما من أدل - أدلا ، أو من ودل - ودلا الابن : غضه وهي بهذا المعنى أي غضض الادوية وهو مزجها بإلصاء
وتحريكها (ن . د)
(٢) اخترمتها المتية : أخذته .

الباب الثالث

طبقات الأطباء السريانيين الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العباس

ولنبتدى أولاً بذكر جورجس وابنه بختيشوع ، ولتمييز من اولاده علي تواليهم . ثم اذكر بعد ذلك ما يليق ذكره من الاطباء الذين كانوا في ذلك الوقت .

جورجيوس بن جبرائيل

كانت له خبرة بصناعة الطب ، ومعرفة بالمداداة وأنواع العلاج ، وخدم بصناعة الطب المتصور^(١) ، وكان حطياً عنده رفيع المنزلة ، وقال من جهته اموالاً جزية . وقد نقل للنصور كتباً كثيرة من كتب اليونانيين الى العربي .

قال فثيون الترجمان : « ان اول ما استدعى ابو جعفر المتصور لجورجس ، هو ان المتصور في سنة مائة وثمان وأربعين سنة للهجرة مرض وفقدت معدته ، وانتطعت شهوته . وكلما عالج الاطباء ازداد مرضه ، فتقدم الى الربيع^(٢) بان يجمع الاطباء لمشاورتهم . فجمعهم فقال لهم المتصور : « من تعرفون من الاطباء في سائر المدن طبيباً ماهراً ؟ فقالوا : ليس في وقتنا هذا أحد يشبه جورجس رئيس أطباء جندي^(٣) ساور ، فانه ماهر في الطب ، وله مصنفات جليلة . »

فاتفذ المتصور في الوقت من يحضره . فلما وصل الرسول الى عامل البلد ، احضر جورجس وخاطبه بالخرج ممة : فقال له : « علي ههنا أسباب ولا بد ان تصبر علي أياماً حتى أخرج مملك » ، فقال له : « ان انت خرجت معي في غد طوعاً ، والا ابخرتلك كرها » ، وامتنع عليه جورجس فأمر

(١) الخليفة الساسي الثاني وقد حاول المايوني في ايامه اخذ الخلافة فقتل وعييم ابراهيم في باخردة قرب الكوفة ؛ واستقل بالخلافة في الاندلس عبد الرحمن الداخل وهو الذي اسس مدينة بغداد وجعلها عاصمة الخلافة وتوفي سنة ٧٧٥ .

(٢) وزير المتصور وكاتم سره .

(٣) مدينة في خوزستان اسمها الملك ساور الأول الساساني ، واسكن فيها الشعوب اليونانية ، فتحملويزس الاشعري ط ايام الخليفة عمر ، اشتهرت بمسجدها الطبي .

باعتقاله ، ولما اعتقل اجتمع رؤساء المدينة مع المطران فاشاروا على جورجس بالخروج ، فخرج بعد ان اوصى ابنه بختيشوع بأمر البيارستان وأموره التي تتعلق به هناك . واخذ معه ابراهيم تلميذه وسرجس تلميذه ، فقال له ابنه بختيشوع : « لا تدع ههنا عيسى بن شلأ ، فانه يؤذي اهل البيارستان » . فترك سرجس ، واخذ عيسى معه عوضاً عنه ، وخرج الى مدينة السلام . ولما ودعه بختيشوع ابنه قال له : لم لا تأخذني معك ؟ فقال : لا تمجّل يا بني . فانك ستخدم الملوك وتبلغ من الاحوال اجلاً .

ولما وصل جورجس الى الحضرة أمر المتصور بإصالة اليه . ولما وصل دعا اليه بالفارسية والعربية ، فتمجّب الخليفة من حسن منظره ومنطقه ، فاجلسه قدامه وسأله عن اشياء فاجابه عنها بسكوت فقال له : « قد ظفرت منك بما كنت أحبه واشتاقه » ، وحدّثه بملته وكيف كان ابتداءها . فقال له جورجس : « انا أدبرك كما تحب » . فأمر الخليفة له في الوقت بخلفة جليّة ، وقال للربيع : « انزله في منزل جليل من دورنا ، وأكرمه كما تكرم أحسن الاهل » . ولما كان من غد دخل اليه ، ونظر الى نبضه ، والى قارورة الماء ، وواقفه على تخفيف الغداء ، وديره تدبيراً لطيفاً حتى رجع الى مزاجه الاول . وفرح به الخليفة فرحاً شديداً ، وأمر ان يحاب الى كل ما يسأل .

ولما كان بعد أيام قال الخليفة للربيع : « أرى هذا الرجل قد تغيّر وجهه ، لا يكون قد منعته ؟ » يشربه على عادته ؟ » . قال له الربيع : « لم نأذن له ان يدخل الى هذه الدار مشروباً » ، فاجابه بقبض وقال له : « لا بد ان قضى بنفسك حتى تحضره من المشروب كل ما يريد » . فمضى الربيع الى قطربل^(١) ، وحمل منها الى غاية ما أمكنه من الشراب الجيد . ولما كان بعد سنتين قال الخليفة لجورجس : « ارسل من يحضر ابنك الينا فقد بلغني انه مثلك في الطب » . فقال له جورجس : « جندي ساور اليه محتاجة . وان فارقه انفسد أمر البيارستان . وكنت أهل المدينة اذا مرضوا ساروا اليه . وههنا ممي تلامذة قد ربيتهم وخرجتهم في الصناعة ، حتى انهم مثلي » . فأمر الخليفة باحضارهم في غد ذلك اليوم ليختبرهم . فلما كان من غد أخذ معه عيسى بن شلأ وأوصله اليه . فسأله الخليفة عن اشياء وجده فيها حاد المزاج حانقاً بالصناعة . فقال الخليفة لجورجس : « ما أحسن ما وصفت هذا التلميذ وعفته » .

قال غثيون^(٢) : ولما كان في سنة احدى وخمسين ومائة دخل لجورجس الى الخليفة في يوم الميلاد ، فقال له الخليفة : « أي شيء آكل اليوم ؟ فقال له : ما تريد . وخرج من بين يديه ، فلما بلغ الباب رده ، وقال له : « من يخدمك ههنا ؟ فقال له : تلامذتي . فقال له : سمعت انه ليست لك امرأة . فقال له : لي زوجة كبيرة ضميعة ولا تعدر تتنقل اليّ من موضعها » . وخرج من حضرة ومضى الى

(١) موضع في العراق اشتهر بميوعة خمرها .

(٢) هو غثيون بن ايوب ترجمان قتل الى اللغة العربية بعض الاسفار القديمة وأرغ سير الاطباء السرطانيين مع خلفاء بني عباس في القرن التاسع .

البيعة . فأمر الخليفة خادمه سالماً ان يختار من الجوارى الروميات الحسان ثلاثاً ، ويميلن الى جورجس مع ثلاثة آلاف دينار ، ففعل ذلك . ولما انصرف جورجس الى منزله ، عرفه عيسى بن شهلا بما جرى ، وأراه الجوارى ، فأفكر امورهن وقال لعيسى تلميذه : « يا تلميذ الشيطان ! لم ادخلت هؤلاء منزلي ؟ امض ردهن الى صاحبهن ؟ ثم ركب جورجس وعيسى ومعه الجوارى الى دار الخليفة ، ووردهن على الخادم . فلما اتصل الخبر بالتصور احضره وقال له : لم رددت الجوارى ؟ قال له : هؤلاء لا يكونون معي في بيت واحد لانا نحن معشر النصارى لا نتزوج بأكثر من امرأة واحدة . وما دامت المرأة في الحياة لا تأخذ غيرها . فحسن موقعه من الخليفة ، وأمر في وقته ان يدخل جورجس الى حظايه وحرمه ويخدمهن . وزاد موضعه في عينه وعظم عمله .

قال فثيون : ولما كان في سنة مائة واثنين وخمسين سنة ، مرض جورجس مرضاً صعباً . وكان الخليفة يرسل اليه في كل يوم الخدم حتى يعرف خبره . ولما اشتد مرض جورجس ، أمر به الخليفة فعمل على مريره الى دار العامة ، وخرج اليه الخليفة ماشياً وراءه وسأله عن خبره . فبكى جورجس بكاء شديداً وقال له : « ان رأى أمير المؤمنين ، اطال الله بقاءه ، ان يأذن لي في المصير الى بلدي لانظر الى املي وولدي ، وان مت قبرت مع آبائي » . فقال الخليفة : « يا جورجس اتق الله وأسلم ، وأنا اخبر لك الجنة » . قال جورجس : « انا على دين آبائي أموت ، وحيث يكون آبائي احب ان اكون . إما في الجنة او في جهنم » . فضحك الخليفة من قوله وقال له : « وجدت راحة عظيمة في جسمي منذ رأيتك والى هذه الفاية . وقد تخلصت من الامراض التي كانت تلحقني » . قال له جورجس : « اني اخلف بين يديك عيسى وهو تربيته » . فأمر الخليفة ان يخرج جورجس الى بلده ، وان يدفع اليه عشرة آلاف دينار . وانفذ معه خادماً وقال : « ان مات في طريقه فاحمله الى منزله ليدفن هناك كما آثر » . فوصل الى بلده حياً .

وحصل عيسى بي شهلا في الخدمة ، وبسط يده على المطارنة والاساقفة ، يأخذ اموالهم لنفسه ، حتى انه كتب الى مطران نصيبين^(١) كتاباً يلتمس منه فيه من آلات البيعة اشياء جليلة المقدار ، ويتهدهه متى اخرها عنه . وقال في كتابه الى المطران : « ألت تلم ان أمر الملك يبندي ان شئت امرضته وان شئت عافيته » . فندموا وقف المطران على الكتاب احتال في التوصل ، حتى وافى الربيع وشرح له صورته ، واقرأه الكتاب . فأوصله الربيع الى الخليفة حتى عرف شرح ما جرى . فأمر ببنفي عيسى بن شهلا بعد أن أخذ منه جميع ما ملكه . ثم قال الخليفة للربيع : « سل عن جورجس ، فان كان حياً فأنفذ من يحضره » ، وان كان قد مات فاحضر ابنه . فكتب الربيع الى العامل مجندي ساور في ذلك ، واتفق ان جورجس سقط في تلك الايام من السطح ووضعه ضعفاً فلما خاطبه أمير البلد قال له : « انا انفذ الى الخليفة طبيباً ماهراً يجتهد ان ان أصلح وأوجه اليه » . واحضر ابراهيم تلميذه ، وأنفذه الى الامير مع كتاب شرح فيه حال جورجس الى الربيع . فلما وصل

(١) مدينة في ما بين النهرين على نهر جفجج اشتهرت قديماً بحدوستها .

الى الربيع أوصله الى الخليفة ، وخطابه الخليفة في اشياء فوجده فيها حاد المزاج جيد الجواب ، فقربه وأكرمه وخلع عليه ، ووهب له مالا واستخلصه خدمته ولم يزل في الخدمة الى أن مات المتصور .
ولجورجس من الكتب كتناشه المشهور ، ونقله حنين بن اسحق من السرياني الى العربي .

بختيشوع بن جورجس

ومعنى بختيشوع عبد المسيح ، لان في اللغة السريانية البعث المبد ، ويشوع عيسى عليه السلام .
وكان بختيشوع يلحق بابيه في معرفته بصناعة الطب ومزاويلته لاعمالها ، وخدم هرون ^(١) الرشيد وتميز في ايامه .

قال فيون الترجمان : لما مرض موسى ^(٢) الهادي أرسل الى جندي سابور من يحضر له بختيشوع ، فمات قبل قدوم بختيشوع ، وكان من خبره انه جمع الاطباء ، وهم ابو قريش ^(٣) عيسى ، وعبد الله الطيفوري ^(٤) ، وداود بن سرايون وقال لهم : انتم تأخذون أموالا وجوازري ، وفي وقت الشدة تتقاعدون . فقال له ابو قريش : علينا الاجتهاد والله يب السلامة . فاغتاط من هذا فقال له الربيع : قد وُصف لنا ان بنهر صرصر ^(٥) طبيباً ماهراً يقال له عبد يشوع بن نصر ، فأمر بإحضاره وبأن تضرب أعناق الاطباء . فلم يفعل الربيع هذا لعلفه باختلال عقله من شدة المرض ، ولانه كانت آمناً منه . ووجه الى صرصر حتى أحضر الرجل ، ولما دخل على موسى قال له : رأيت القارورة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، وما أنا أصنع لك دواء تأخذه ، وإذا كان على تسع ساعات تبرا وتخلص وخرج من عنده ، وقال للاطباء : لا تشغلوا قلوبكم فانكم في هذا اليوم تنصرفون الى بيوتكم . وكان الهادي قد أمر بأن يدفع ليه عشرة آلاف درهم لينتاع له بها الدواء ، فأخذها ووجه بها الى بيته ، وأحضر ادوية وجمع الاطباء بالقرب من موضع الخليفة وقال لهم : دعوا حتى يسمع وتسكن نفسه ، فانكم في آخر النهار تتخلصون . وكان كل ساعة يدعو به ويسأله عن الدواء فيقول له : « هوذا تسمع صوت الدق ؟ فيسكت . ولما كان بعد تسع ساعات مات وتخلص الاطباء ؟ وهذا في سنة سبعين ومائة .

قال فيون : ولما كان في سنة احدى وسبعين ومائة ، مرض هرون الرشيد من صداع لعله ، فقال .

(١) ولد في الري (٧٦٦) وترقي في طوس (٨٠٩) وهو اعظم الخلفاء العباسيين استوزر الهيمكة ثم قتلهم وغلظ للفرس ملك الروم وسالف شارلمان ملك فرنسا .

(٢) الخليفة العباسي الرابع ولي ابنه جعفر ط الرشيد في وراثة العهد لقتل بعد سنة من ملكه « ٧٨٦ » بسماية الخيزران أم الرشيد . فزا العباسيون آسيا الصغرى ط ايامه .

(٣) صيدلاني عرف ما تحصيل الخيزران لسطى ضنعا وخملت عليه الاموال والهدايا وقد مر ذكره .
(٤) مر ذكره والكلام عنه .

(٥) قريتان ببنداد عليا وسلي . « ٥٥ » ر .

ليحيى بن خالد^(١) : « هؤلاء الاطباء ليس يحسنون شيئاً » فقال له يحيى : « يا أمير المؤمنين ، أبو قريش طبيب والدك والدتك . » فقال : « ليس هو بصيراً بالطب » وانما كرامتي له لتقديم حرمة . فلبثني ان تطلب لي طبيباً ماهراً » . فقال له يحيى بن خالد : « انه لا مرض أشوك موسى ، أرسل والدك الى جندي سابور حتى أحضر رجلاً يعرف ببختيشوع » . قال له : فكيف تركه يمضي ؟ فقال : « لا رأي عيسى أباً قريش ، والدنك يحسدانه اذن له في الانصراف الى بلده » فقال له : « أرسل بالبريد حتى يعملوه ان كان حياً » .

ولما كان بعد مدة مديدة وافى بختيشوع الكبير ابن جورجس ، ووصل الى هرون الرشيد ودعاه بالعربية . وبالفارسية . فضحك الخليفة ، وقال ليحيى بن خالد : « انت منطقي فتكلم معه حتى اسمع كلامه » . فقال له يحيى : بل ندعو بالاطباء » ، فدعى بهم ، وم أبو قريش عيسى ، وعبد الله الطيفوري ، وداود بن سرايون ، ومرجس . فلما رأوا بختيشوع قال أبو قريش : « يا أمير المؤمنين ليس في الجماعة من يقدر على الكلام مع هذا ، لانه كون الكلام هو وابوه ، وجلسه فلاسفة » فقال الرشيد لبعض الخدم : احضره ماء دابة حتى تجربه ، فمضى الخادم واحضره قارورة الماء . فلما رآه قال : « يا أمير المؤمنين ليس هذا بول انسان » . قال له ابو قريش : كذبت هذا ماء حظية الخليفة » . فقال له بختيشوع : « لك اقول ايها الشيخ الكريم لم يبيل هذا انسان البتة . وان كان الأمر على ما قلت فلهما صارت هجمة » . فقال له الخليفة : من اين علمت انه ليس ببول انسان ؟ قال له بختيشوع : لانه ليس له قوام بول الناس ، ولا لونه ولا ريحه . قال له الخليفة : بين يدي من قرأت ؟ قال له : « قدام ابي جورجس قرأت . قال له الاطباء : ابوه كان اسمه جورجس ، ولم يكن مثله في زمانه ، وكان يكرمه ابو جعفر المنصور اكراماً شديداً ، ثم التفت الخليفة الى بختيشوع فقال له : « ما ترى ان نظم صاحب هذا الماء ؟ فقال : شيراً جيداً . فضحك الرشيد ضحكاً شديداً ، وامر فخلع عليه خلعة حسنة جليلة ، ووهب له مالاً وافراً . وقال : بختيشوع يكون رئيس الاطباء كلهم ، وله يسمعون ويطيعون .

ولبختيشوع بن جورجس من الكتب : كتاب التذكرة الفه لابنه جبرائيل .

جبرائيل بن بختيشوع بن جورجس

كان مشهوراً بالفضل جيد التصرف في المداواة . عالي الهمة ، سعيد الجدة ، حليماً عند الخلفاء ، رفيع المنزلة عندهم ، كثيري الاحسان اليه . وحصل من جهتهم من الاموال ، ما لم يحصله غيره من الاطباء .

«١» حكم بلاد اذربيجان . ثم اصبح مؤدب الرشيد ومستشاره نكب بختل ابنه جعفر في نكبة البرامكة وصودرت امواله ومات سجيناً سنة ٨٠٥ هـ .

قال قتيون الجرّاحان : لما كان في سنة خمس وسبعين ومائة ، مرض جعفر ^(١) بن يحيى بن خالد بن برمك ، فتقدم الرشيد الى مجتئشوع ان يتولى خدمته ومعالجته . ولما كان في بعض الايام قال له جعفر : « اريد أن تختار لي طبيباً ماهراً أكرمه واحسن اليه » . قال له مجتئشوع : « ابني جبرائيل امهر مني ، وليس في الاطباء من يشاكه » . فقال له : احضره . ولما احضره عالج له في مدة ثلاثة ايام وبرا ، فاحبه جعفر مثل نفسه . وكان لا يصبر عنه ساعة ، ومعه يأكل ويشرب . وفي تلك الايام قطعت ^(٢) حظية الرشيد ورفضت يدها فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها . والاطباء يعالجونها بالتمريرخ والادمان ، ولا ينفع ذلك شيئاً .

فقال الرشيد لجعفر بن يحيى : « قد بقيت هذه الصبية بملتها . قال له جعفر : لي طبيب ماهر ، وهو ابن مجتئشوع ، ندعوه ونخاطبه في معنى هذا المرض ، فلعل عنده حيلة في علاجه . فامر باحضاره . ولما حضر قال له الرشيد : « ما اسمك ؟ قال : « جبرائيل » . قال له : أي شيء تعرف من الطب ؟ فقال : أبعد الحار ، واسخن البارد ، وارطب اليابس ، وأيبس الرطب الخارج عن الطبع . فضحك الخليفة وقال : « هذا غابة ما يحتاج اليه في صناعة الطب . ثم شرح له حال الصبية ، فقال له جبرائيل : « ان لم يسخط علي أمير المؤمنين فلها عندي حيلة » . فقال له : وما هي ؟ قال : تخرج الجارية الى هنا بحضرة الجميع حتى اعمل ما اريده ، وتقبل علي ولا تمسجل بالسخط ^(٣) » . فامر الرشيد باحضار الجارية فخرجت . وحين رآها جبرائيل عبداً اليها ونكس رأسه ومسك ذيلها كأنه يريد أن يكشفها ، فازعجت الجارية ، ومن شدة الحياء والازعاج اسرسلت أعضاؤها ، وبسطة يدها الى أسفل ، ومسكت ذيلها . فقال جبرائيل : « قد برئت يا أمير المؤمنين » . فقال الرشيد للجارية ابسطي يديك بين يدي ورسرة ففعلت ذلك ، وهجب الرشيد وكل من كان بين يديه . وأمر الرشيد في الوقت لجبرائيل بخمسمائة ألف درهم ، وأحبه مثل نفسه ، وجعله رئيساً على جميع الاطباء . ولما سئل جبرائيل عن سبب الملة ، قال هذه الجارية انصب الى اعضائها وقت الجماع خلط رقيق بالحركة وانتشار الحرارة ، ولأجل أن سكوت حركة الجماع تكون بغنة تجددت الفضة في بطون جميع الاعصاب ، وما كان يحلها الا حركة مثلها . فاحتلت حتى انبسطت حرارتها وحلت الفضة .

قال قتيون : وكان محل جبرائيل يقوى في كل وقت ، حتى ان الرشيد قال لاصحابه : « كل من كانت له الى حاجة فليخاطب بها جبرائيل ، لاني أفعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني » . فكان القواد يقصدونه في كل أمورهم ، وحاله تتزايد . ومنذ يوم خدم الرشيد والى ان انقضت خمس عشرة سنة لم يمرض الرشيد فحفظي عنده . وفي آخر الامم الرشيد ، عند حصوله بطوس ، مرض المرضة التي توفي فيها . ولما قوي عليه المرض قال لجبرائيل : لم لا تهرئي ؟ فقال له : قد كنت أهلك دائماً عن التغليب ،

(١) وزير هارون الرشيد ولقبه ومؤيد للمأمون تزوج العباسية اخت هارون وقتل سنة ٨٠٣ .

(٢) قطعت .

(٣) ضد الرضى ولا يكون الا من الكبرياء والسطوة .

وأقول لك قديماً ان تخفف من الجوع فلا تسمع مني . والآن ، سألتك ان ترجع الى بلدك ، فإنه أوفى لواجبك فلم تقبل ! وهذا مرض شديد ، وأرجو أن ين الله بعافيتك . فامر بحجسه .

وقيل له ان يفارس اسقفا يفهم الطب ، فوجه من يحضره اليه ، ولما حضره وراه قال له . الذي عاجلك لم يكن يفهم الطب . فزاد ذلك ابعاد جبرائيل .

وكان الفضل ^(١) بن الربيع يحب جبرائيل ، ورأى ان الاسقف كذاب يريد اقامة السوق ، فأحسن فيما بينه وبين جبرائيل . وكان الاسقف يعالج الرشيد ومرضه يزيد ، وهو يقول له أنت قريب من الصمة . ثم قال له ، « هذا المرض كله من خطأ جبرائيل » . فتقدم الرشيد بقتله ، فلم يقبل منه الفضل بن الربيع ، لانه كان ينس من حياته ، فاستبقى جبرائيل . ولما كان بعد أيام يسيرة مات الرشيد ، ولحق الفضل بن الربيع في تلك الايام قولنج صعب أيس الاطباء منه ، فعالجه جبرائيل بالطف علاج وأحسنه ، فبرأ الفضل وازدادت محبته له وعجبه به .

قال فتبون : ولما تولى محمد الأمين ^(٢) ، وافى اليه جبرائيل ، فقبله أحسن قبول وأكرمه . ووهب له أموالاً جلية أكثر مما كان أبوه يحب له . وكان الأمين لا يأكل ولا يشرب الا بأذنه ، فلما كان من الأمين ما كان ، وملك الأمر المأمون ^(٣) ، كتب الى الحسن ^(٤) بن سهل ، وهو يخلفه بالحضرة ، بأمر يقضي على جبرائيل ويحبسه ، لانه ترك قصره بعد موت أبيه الرشيد ومضى الى اخيه الأمين . ففعل الحسن بن سهل هذا . ولما كان في سنة اثنتين ومائتين مرض الحسن بن سهل مرضاً شديداً ، وعالجه الأطباء فلم ينتفع بذلك ، فخرج جبرائيل من الحبس حتى عالجه وبرأ في أيام يسيرة فوهب له سرّاً مالا وافراً . وكتب الى المأمون يعرفه خبر علته ، وكيف برأ على يد جبرائيل ، ويسأله في أمره . فأجابته بالصصح عنه .

قال فتبون : ولما دخل المأمون الحضرة في سنة خمس ومائتين أمر بان يجلس جبرائيل في منزله ولا يجنم ، ووجه من أحضر ميضائيل المتطبب ، وهو صهر جبرائيل ، وجعله مكانه وأكرمه اكراماً وافراً كعاداً لجبرائيل .

قال : ولما كان في سنة عشر ومائتين مرض المأمون مرضاً صعباً ، وكان وجوه الأطباء يعالجونه ولا يصلح ، فقال ليخائيل : « الأدوية التي تمطيني تزيدني شراً » فاجع الأطباء وشاورهم في أمري . فقال له اخوه أبو عيسى : يا أمير المؤمنين نحضر جبرائيل فإنه يعرف مزاجنا منذ الصبا ، فتناقل

(١) وزير محمد الأمين حسد البرامكة ودرس النعالي عليهم ، ورمى البغضاء بين الأمين والمأمون .

(٢) ابن هارون ورؤية تولى الخلافة بعد أبيه . وقام القراع بينه وبين اخيه المأمون وقتل سنة ٨١٣

(٣) ابن هارون من امه فارسية اسمها مراجل . اذهرت في عصر العلوم والفنون وولت مؤلفات اليونان الى العربية وعصره

يعد عصر الدولة العباسية .

(٤) من دولة المأمون تولى اعادة بيت المال . حكم جزيرة العرب وبلاد العراق وقم القلاع . زوج ابنته من المأمون واحسن الى

العلماء والشعراء . (ن.د.و.)

عن كلامه . وأحضر ابو اسحق أخوه ، برحنا^(١) بن ماسويه ، فثلبه^(٢) ميخائيل طبيبه ووقع فيه وطمعن عليه . فلما ضعفت قوة المأمون عن أخذ الأدوية أذكروه يجبرائيل فأمر بأحضاره . ولما حضر غير تدبيره كله ، فاستقل بعد يوم ، وبعد ثلاثة أيام صلح . فسر به المأمون سروراً عظيماً . ولما كان بعد أيام يسيرة صلح صلاحاً تاماً ، وأذن له جبرائيل في الأكل والشرب ففعل ذلك .

وقال له ابو عيسى أخوه وهو جالس معه على الشرب: « مثل هذا الرجل ، الذي لم يكن مثله ولا يكون ، سيئله أن يكرم . فأمر له المأمون بألف ألف درهم ، وبألف كر^(٣) حنطة ، ورد عليه سائر ما قبض منه من الاملاك والضياغ ؛ وصار اذا خاطبه كناه بابي عيسى جبرائيل وأكرمه زيادة على ما كان أبوه يكرمه . وانتهى به الأمر في الجلالة الى ان كان كل من تقلد عملاً لا يخرج الى عمله الا بعد أن يلقي جبرائيل ويكرمه . وكان عند المأمون مثل أبيه ، وتنص محفل ميخائيل الطيب صهر جبرائيل والمحط .

قال يوسف بن ابراهيم : دخلت على جبرائيل داره التي بالميدان في يوم من تموز ، وبين يديه المائدة وعليها فراخ طيور مسرولة كبار ، وقد علمت كردتاجاً بفلقل ، وهو يأكل منها ، وطالبي بان أكل معه . فقلت له ، كيف أكل منها في مثل هذا الوقت من السنة وسني سن الشباب ؟ فقال لي : « ما الحمية عندك ؟ فقلت : « تجنب الأغذية الرديئة » . فقال لي : « غلطت ليس ما ذكرت حمية . ثم قال : « لا اعرف أحداً ، عظم قدره ولا صغر ، يصل الى الامساك عن غذاء من الأغذية كل دهره إلا أن يكون يبغضه ، ولا تتوق نفسه اليه . لان الانسان قد يحسك عن أكل الشيء برهة من دهره ، ثم يضطره الى أكله عدم آدم سواء لعملة من العطل او مساعدة لعليل يكون عنده ، أو صديق يحلف عليه ، أو شهوة تتجدد له . فمتى أكله ، وقد أمسك عن أكله منه المدة الطويلة ، لم تقبله طبيعته ونفرت منه ، وأحدث ذلك في بدن أكله مرضاً كثيراً ، وربما أتى على نفسه . والاصلح للأبدان تمرينها على أكل الأغذية الرديئة ، حتى تألفها . وان يأكل منها في كل يوم شيئاً واحداً ، ولا يجمع أكل شيئين رديئين في يوم واحد ، واذا اكل من بعض هذه الأشياء في يوم ، لم يعاود أكله في غد ذلك اليوم . فإن الابدان اذا مرتت على أكل هذه الأشياء ، ثم اضطرت الانسان الى الاكثار من أكل بعضها ، لم تنفر الطبيعية منه . فقد رأينا الأدوية المسهلة اذا امنها مدمن وألفها بدنه قل فعلها ولم تسهل . وهؤلاء أهل الأندلس^(٤) اذا اراد أسددهم اسهل طبيعته اخذ من السعقونيا^(٥) وزن ثلاثة دراهم ، حتى تلين طبيعته مقدار ما يلينها نصف درهم في بلدة واذا كانت

(١) اسد الاطباء السريان الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العباس وكان طبيباً ذكياً وله مصنفات مشهورة .

(٢) عابه ولامه .

(٣) مكبال وهو ستون قنيزاً وويلنج ١٦٧٠ كيلو و ١١٩٥٤٧٣ غ . (ن . ر) .

(٤) اسم اطلقه العرب على شبه جزيرة ايبيريا بعد ان احتلها وتجاروزها الى فرنسا واسوا فيها دولة . والأندلس اليوم اسم ولاية في اسبانيا الجنوبية .

(٥) نبات يستخرج من تجاويله وطوبى دقة وتجفف وتدعى بإسدة وهو صمغ راتنجي مسهل .

الابدان تألف الأدوية حتى تنمها من فعلها ، فهي للأغذية ، وإن كانت رديئة ، أشد إلهاً .

قال يوسف : فحدثت بهذا الحديث بختيشوع بن جبرائيل فسألني املاءه عليه ، وكتبه عني بخطه .

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني سليمان الخادم الحراساني مولى الرشيد ، انه كان واقفاً على رأس الرشيد بالحيرة ^(١) يوماً وهو يتندى ، اذ دخل عليه عون المبادي الجوهري ، وهو حامل صحيفة فيها سمكة منقوعة بالسم ، فوضها بين يديه ومعهما بحشي قد اتخذها لها . فحاول الرشيد أكل شيء منها فغمغه من ذلك جبرائيل ، وغمز صاحب المائدة بمنزله . فظن الرشيد ، فلما رفعت المائدة وغسل الرشيد يده ، خرج جبرائيل عن حضرة .

قال سليمان : فأمرني الرشيد بإتياعه ، واخفاء شخصي عنه ؟ وإن افقد ما يعمه وأرجع اليه بخبره ، ففعلت ما أمرني به ، واحسب ان أمري لم يستقر عن جبرائيل لما تبينت من تحرزه . فصار الى موضع من دار عون ودعا بالطعام فأحضر له وفيه السمكة ودعا بثلاثة أقذاح من فضة فجعل في واحد قطعة منها ، وصب عليه خراً من خر طير بأذن بغير ماء ، وقال : « هذا أكل جبرائيل » . وجعل في قذح آخر قطعة وصب عليها ماء بثلج ، وقال : « هذا أكل أمير المؤمنين ان لم يخلط السمك بغيره » . وجعل في القذح الثالث قطعة من السمك ومعهما قطعاً من اللحم من ألوان مختلفة ، ومن شواء وحلواء وپوارد وفراريج ويقول « وصب عليه ماء بثلج وقال : « هذا طعام أمير المؤمنين ان خلط السمك بغيره » . ورفع الثلاثة الأقذاح الى صاحب المائدة ، وقال : « احتفظ بها الى ان يلقب أمير المؤمنين من قائلته » ^(٢) .

قال سليمان الخادم : ثم أقبل جبرائيل على السمكة فأكل منها حتى تفضل . وكان كلما عطف دعا بقدح مع الخمر الصرف فشربه ثم نام . فلما اتلبه الرشيد من فومه دعاني فسألني عما عندي من خير جبرائيل ، وهل أكل من السمكة شيئاً أم لم ياكل ؟ فأخبرته بالخبر ، فأمر بإحضار الثلاثة الأقذاح فوجد الذي صب عليه الخمر الصرف قد تقطعت ولم يبق منه شيء . ووجد الذي صب عليه الماء بالثلج قد ربا وصار على أكثر من الضعف عما كان ، ووجد القذح الذي السمك واللحم فيه قد تغيرت رائحته وحددت له ^(٣) سهوكة شديدة . فأمرني الرشيد بحمل خمسة آلاف دينار الى جبرائيل ، وقال : « من يلومني على محبة هذا الرجل الذي يدبرني هذا التدبير ؟ فأوصلت اليه المال .

وقال اسحق ^(٤) بن علي الراهمي ، في كتاب أدب الطبيب عن عيسى بن ماسة ^(٥) : ان يوحنا

(١) قبة المراكب النخمين في المراكب كانت محل بحد خمسة اكيال « كيلو متر » جنوبي الكوفة والى الجنوب الشرقي من النجف . وقد إاد الزمان « ن . د » .

(٢) النور في الظيرة .

(٣) وبع كرية .

(٤) اسد الاطباء المراقبين وكان من الاطباء المميزين طلاً بكلام جالينوس .

(٥) من الاطباء السريين وله طريقة حسنة في علاج المرضى (ن . د) .

بن ماسويه أخبره ان الرشيد قال لجبرائيل بن جئيشوع وهو حاج بمكة : « يا جبرائيل علمت مرقبتك عندي » . قال يا سيدي وكيف لا أعلم ؟ قال له : دعوت لك والله ، في الموقف دعاء كثيرًا ، ثم التفت الى بني هاشم فقال : « عسى أنكرتم قولي له ؟ فقالوا : يا سيدنا ذمي فقال : نعم ، ولكن صلاح بلدي وقوامه به ، وصلاح المسلمين في . فصلاحهم بصلاحه وبقائه » . فقالوا : صدقت يا أمير المؤمنين .

ونقلت من بعض التواريخ ، قال جبرائيل بن جئيشوع المتطبب : اشارت ضيعة بسبعماية ألف درهم ، فتلفت بعض الثمن وتعلمر علي بعضه فدخلت على يحيى بن خالد وعنده ولده ، وأنا أفكر . فقال : مالي أراك مفكرًا ؟ فقلت : اشارت ضيعة بسبعماية ألف ، فتلفت بعض الثمن ، وتعلمر علي بعضه . قال : قدما بالذواة وكتب : يعطى جبرائيل سبعمائة ألف درهم . ثم دفع الى كل واحد من ولده ، فوقع فيه ثلثائة ألف . قال : « فقلت : جعلت فداك ، قد أدبت عامة الثمن ، وإنما بقي أقله » . قال : « اصرف ذلك فيما ينوبك » ، ثم صرت الى د - أمير المؤمنين . فلما رأي قال : « ما أبطأ بك ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، كنت عند أبيك واخوتك ففعلوا بي كذا وكذا ، وإنما ذلك لخدمتي لك » . قال: فما حالي أنا ؟ ثم دعا بديانته فركب الى يحيى ، فقال : « يا أبت أخبرني جبرائيل بما كان ، فما حالي أنا من بين ولدك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين مر بما شئت يعمل اليه . فأمر لي بخمسمائة ألف .

قال يوسف بن ابراهيم الحاسب المعروف بابن الداية : كاتب لأم جعفر بليت أبي الفضل في قصر عيسى بن علي ، الذي كانت تسكنه ، مجلس لا يجلس فيه الا الحاسب والمتطببون ، وكانت لا تشكي علة الى متطبب حتى يحضر جميع أهل الصنائع ، ويكون مقامهم في ذلك المجلس الى وقت جلوسها ، فكانت تجلس لهم في احد موضعين ؛ اما عند الشباك الذي على الدكان الكبير الهادي للشباك وللأبواب الاول من ابواب الدار ؛ او عند الباب الصغير الهادي لمسجد الدار . فكان الحاسب والمتطببون يجلسون من خارج الموضع الذي تجلس فيه . ثم تشكي ما تجد فيتناظر المتطببون فيما بينهم حتى يتمموا على العلة والعلاج ، فان كان بينهم اختلاف دخل الحاسب بينهم ، وقالوا بتصديقي المصيب عندهم . ثم تسأل الحاسب عن اختيار وقت لذلك العلاج . فارت اجتمعوا على وقت ، والا نظر المتطببون فيما بين الحاسب ، وحكوا لازمهم القياس ، فاعتلت عند اجتماعها على الحجج ، آخر حجة حجتها ، علة اجمع متطببوها على اخراج الدم من ساقها بالحجامة ، واختار الحاسب لها يوما مجتمع فيه ، وكان ذلك في شهر رمضان فلم يمكن ان تكون الحجامة الا في آخر النهار . فكان من يختلف اليها من الحاسب ، الحسن بن محمد الطوسي التميمي المعروف بالابنح ، وعمر بن الفرخان الطبري ، وشعيب اليهودي .

قال يوسف بن ابراهيم : وكنت متى عرضت للابح علة او عاقه عن حضور دار ام جعفر عائق حضرت عنه . فحضرت ذلك المجلس في الوقت الذي وقع الاختيار على حجامة ام جعفر فيه .

فوافيت ابناً لداؤد بن مرقاوين حدثاً ، يشبه ان يكون ابن أقل من عشرين سنة ، قد أمرت أم جعفر باحضاره مع المتطهين لتأديب بحضور ذلك المجلس ، وقد تقدمت الى جميع من يطيف بها من المتطهين في تعليمه وتوقيفه عنابة به لكان أبيه من خدمتها ، فوافيته وهو يلاحى متطهياً راهباً احضر دارها في ذلك اليوم ، من اهل الاهواز ^(١) ، في شرب الماء للفتنة من ثومه ليلا . فقال ابن داؤد : « ما الله خلق باحثى بمن يشرب ماء بعد انتباهه من ثومه » . ووافى جبرائيل ، عندما قال الغلام هذا القول ، باب البيت ، فلم يدخل المجلس الا وهو يقول : « احق والله منه من تضرع نار على كبده فلم يطفئها » . ثم دخل فقال : من صاحب الكلام الذي سمعت ؟ فقيل له ابن داؤد ، فغنفه على ذلك وقال له : « كانت لانيك مرتبة جليلة في هذه الصناعة ، وتكلم بثل ما سمعت منك ؟ فقال له الغلام : فكانك ، أعزك الله ، تطلق شرب الماء بالليل عند الانتباه من النوم ؟ فقال جبرائيل : « المحرور الجاف المعدة ، ومن تشى وأكل طعاماً مالاً فأطلقه له . وأنا أمتنع منه الرطبي المد ، واصحاب البلغم المالح ، لأن في منهم من ذلك شفاء من رطوبات معدم ، وأكل بعض البلغم المالح بعضاً . » فسكت عنه جميع من حضر ذلك المجلس غيبي ، فقلت : « يا ابا عيسى ، قد بقيت واحدة . قال : وما هي ؟ قلت : « ان يكون العطشان يفهم من الطب مثل فهمك ، فيفهم عطشه من مرار أو من بلغم مالح . فضحك جبرائيل ثم قال لي : متى عطشت ليلاً فابرز رجلك من لحافك ، وتناول قليلاً ، فان تزايد عطشك فهو من حرارة ، او من طعام يحتاج الى شرب الماء عليه ، فأشرب . وان نقص من عطشك شيء ، فأمسك عن شرب الماء فانه من بلغم مالح » .

قال يوسف بن ابراهيم : وسأل أبو اسحق ابراهيم بن المهدي جبرائيل عن علة الورشكين ، فقال : هو اسم ركبته الفرس من الكسر والصدر ، واسم الصدر بالفارسية القصيبة : ور ، والمامة تسميه بر . واسم الكسر اشكين ، فاذا جمعت اللفظتين كلتتا : ورشكين ، أي هذه العلة من العلل التي يجب ان يكسر عليها الصدر وهي علة لا تستحكم بالناس فيكاد ينهض منها . وانت من نهض منها لم يؤمن عليه النكسة سنة إلا أن يخرج منه استقراغ دم كثير تقذفه الطبيعة من الانف او من أسفل ، في وقت العلة أو بعدها قبل السنة ، فمتى حدث ذلك سلم منه . فقال أبو اسحق كالمستجب : سنة ! قال : « نعم » جعلني الله فداك . وعلة اخرى يستخف بها الناس وهي : الحصبه ^(٢) . قاني ما أمنت على من أصابته من النكسة سنة ، إلا ان يصيبه بحبها استطلاق بطن يكاد أن يأتي على نفسه ، او يخرج به خراج كثير ، فاذا أصابه أحد هذين أمنت عليه » .

قال يوسف : ودخل جبرائيل على أبي اسحق يوماً بسبق علة كان فيها ، وقد أنبت له في أكل اللحم الغليظ ، فحين جلس وضعت بين يديه كشكية ^(٣) رطبة فأمر برفعها ، فسألت عن السبب .

(١) من اقاليم البصرة السياسية يسمى اليوم خوزستان ، وهو من ايران وفيه مدينة عبادان المنطوية للفتنة بالهرول .

(٢) مرض معد يخرج في الجسم بثوراً ويسبب حى . وأكثره سلم الحاقبة اذا ما تداركوه في اول أمره .

(٣) الطعام المصنوع من الكشك وهو عند عامتنا طعام يتخذ من البرغل مع اللبن بعد اخذاره ويطح . (ن . د)

فقال : « ما أطلقت لحيفة قط حم يوماً واحداً أكل الكشك سنة كاملة . قال ابو اسحق : أي الكشكين أردت ، الذي بلين أم الذي يغير لبن ؟ قال : الذي يغير لبن ، لا أطلق له أكله سنة ، وعلى قياس ما يوجب الطب ، فليس ينبغي ان يطلق له أكل الكشك كالمول بلبن الا بعد استكمال ثلاث سنين .

حدث ميمون بن هرون ، قال : حدثني سعيد بن اسحق النصراني ، قال : قال لي جبرائيل بن بختيشوع : « كنت مع الرشيد بالرقعة ^(١) ومعه المأمون ومحمد الأمين ولداه ، وكان رجلاً باندًا كثير الاكل والشرب ، فأكل في بعض الأيام أشياء غلط فيها ، ودخل المسارح ففشي ^(٢) عليه ، وأخرج فقوي عليه الغشي حتى لم يشك في موته . وأرسل الي ، فحضرت وجسست عرقه فوجدته نبضاً خفياً ، وقد كان قبل ذلك يأبم يشكو امتلاء وحركة الدم فقلت لهم : يموت ، والصواب ان يحجم الساعة . فأجلب المأمون اليه وأحضر الحجام ، وتقدمت بقماده ، فلما وضعت الحجام عليه ومصنها رأيت الموضع قد احمر ، فطابت نفسي وعلمت انه حي . فقلت للحجام : افرط . فشرط ، فخرج الدم ، فسجدت شكرًا لله . وجعل كلما خرج الدم يعرك رأسه ، ويسفر ^(٣) لونه ، الى ان تكلم . وقال أين أنا ؟ فطيننا نفسه وغديناه بصدر دراج ^(٤) ، وسقيناه غراباً ، وما زلنا نشمه الروائح الطيبة ، ونجمل في انفه الطيب ، حتى تراجعت قوته ، وادخل الناس اليه ، ثم وهب الله عافيته ، فلما كان بعد أيام دعا صاحب حرسه فسأله عن غلته في السنة فعرفه انها ثلثائة الف درهم . وسأل حاجبه عن غلته فعرفه انها الف درهم . فقال : « ما الصنفاك حيث غلات هؤلاء وهم يحرسوني من الناس على ما ذكروا ، وانت تحرسني من الامراض والاسقام ، وتكون غلتك ما ذكرته » ، وأمر باقطاعي غلة الف درهم . فقلت له : يا سيدي ، مالي حاجة الى الاقطاع ، ولكن تهب لي ما اشترى به ضياعاً غلته الف درهم ، فجميع ضياعي املك لا اقطاع .

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني ابو اسحق ابراهيم بن المهدي ان جبرائيل لما اليه حين انتهت العوام داره في خلافة محمد الأمين ، فأسكنه معه في داره ، وجاء من كل من يحاول قتله . قال ابو اسحق : « فكنت أرى من هلع جبرائيل وكثرة أسفه على ما تلف من ماله ، وشدة اغتنامه ، ما لم اقوم ان احداً بلغ به الوجد بما له مثل الذي بلغ جبرائيل . قال ابو اسحق : فلما ثارت الميضة فظهرت العلوية ^(٥) بالبصرة والاهواز ، أظني وهو مسرور ، كأنه قد وصل بمائة الف دينار ، فقلت له : أرى أبا عيسى مسروراً ! فقال : اني والله لمسور عين السرور . فسألته عن سبب سروره ، فقال : انه حاز العلوية ضياعاً ، وضربوا عليها النار . فقلت له : « ما أعجب أمرك ، انتهت لك

(١) قاعدة ديار مصر في الجزيرة على الفرات . وفيها آثار قديمة .

(٢) فقد حسه وحركته .

(٣) يظهر ويرفع منه ما يطفئه

(٤) طائر شبيه بالحجل وأكبر منه . ارتبط بجماد ويبيض . قصير المنقار .

(٥) الدعوة الى ابناء علي باسقيتهم في الخلافة . (ن . د)

العوام حزاً من مالك ، فخرجت نفسك من الجزع الى ما خرجت اليه ؛ وتحوز العلوية جميع ما تلك فبظهر منك من السرور مثل الذي ظهر ؟ فقال : جزعي بما ركبني به العوام ، لاني أوتيت في منامي وسلبت في عزي ، واسلني من يجب عليه حمايتي . ولم يتعاطفني ما كان من العلوية ، لانه من أكبر المحال عيش مثلي في دولتين بنعمة واحدة ، ولو لم تفعل العلوية في ضياعي ما فعلوا ، وقد كان يجب عليهم مع عليهم بصحة طويتي^(١) لوالاي الذين أنعم الله علي بنعمتهم التي ملكوتها ، ان يتقدموا في حفظ ولايتي ، والرؤساء بضياعي ومزارعي ؛ وان يقولوا لم يزل جبرائيل مالاً اللينا في أيام دولة أصحابه ، ومتفضلاً علينا من أمواله ، ويؤدي إلينا اخبار سادته . فكان الخبر متى تأدى بذلك الى السلطان قتلي ، فسروري بجيازة ضياعي وبسلامة نفسي بما كان هؤلاء الجهال ملكوه منها فلم يهدوا اليه .

قال يوسف : وحدثني فرخ الحادم ، المعروف بأبي خراسان ، مولى صالح بن الرشيد ووصيه ، قال : كان مولاي صالح بن الرشيد على البصرة ، وكان عامله عليها أبو الرازي . فلما أحدث جبرائيل ابن بختيشوع عمارة داره التي في الميدان ، سأل مولاي ان يهدي له خمسمائة ساجة^(٢) ، وكانت الساجة بثلاثة عشر ديناراً ، فاستكثر مولاي المال . وقال له : اما خمسمائة فلا ، ولكفي اكتب الى ابن الرازي في حل مائتي ساجة اليك . وقال جبرائيل : فليست بي حاجة اليها . قال فرخ فقلت لسيدي : أرى جبرائيل سيدبر عليك تدبيراً بغيضاً . فقال : جبرائيل أهون علي من كل حين ، لاني لا اثرب له دواء ولا أقبل له علاجاً . ثم استأزر مولاي أمير المؤمنين المأمون ، فلما استوى المجلس بالمأمون ، قال له جبرائيل : أرى وجهك متغيراً . ثم قام اليه فجس عرقه ، وقال له : يشرب أمير المؤمنين شرية سكتنجين^(٣) ويؤخر الغداء حتى يفهم الخبر ، ففعل المأمون ما أشار به ، وأقبل يحس عرقه في الوقت بعد الوقت ، ثم لم يشعر بشيء حتى دخل غلمان جبرائيل ومعههم رغيف واحد ، ومعه الوان قد اتخذت من قرع^(٤) وماش^(٥) وما أشبه ذلك . فقال : « اني اكركه لامير المؤمنين ان يأكل في يومه هذا شيئاً من لحوم الحيوان ، فليأكل هذه الالوان ، فأكل منها وقام . فلما اتكبه من قائلته ، قال له : يا أمير المؤمنين ، رائحة التنيد تروى في الحرارة ، والرأي لك الانصراف . فانصرف المأمون وتلفت نفقة مولاي كلها . فقال لي مولاي يا أبا خراسان : التمييز بين مائتي ساجة وخمسمائة ساجة واستازرة الخليفة ، لا يحتمل .

قال يوسف : وحدثني جورجس بن ميثائيل عن خاله جبرائيل وكان جبرائيل له مكرماً لكثرة علمه ، لاني لم أر في أهل هذا البيت ، بعد جبرائيل ، أعلم منه على عجب كان فيه شديداً ، وسخف

(١) النية والغصير .

(٢) الخشية الطوية الرينة كما جلبت من الهند . (ن . د)

(٣) شراب يتخذ من خل وعسل .

(٤) فرع من البقلين تطبخ صفاره .

(٥) حب كالسكرنة يؤكل مطبوخاً . (ن . د) .

كثير ؛ ان جبرائيل اخبره انه انكر من الرشيد قلة الرزق للطعام ، اول المحرم سنة سبع وثمانين ومائة ، وانه لم يكن يرى في مائه ولا في جبة عرقه ما يدل على علة توجب قلة الطعام ، فكان يقول للرشيد : يا أمير المؤمنين : بدئك صحيح سليم بحمد الله من الحلال ؛ وما اعرف لتترك استيفاء الغذاء معنى . فقال لي ، لما اكثرت عليه من القول في هذا الباب : قد استوخت مدينة السلام ؛ وانا أكره الاستجماد عنها في هذه الايام . افتعرف مكاناً بالقرب منها صحيح الهواء ؟ فقلت له الحيرة يا أمير المؤمنين . فقال : قد نزلنا الحيرة مراراً ؛ فاجحفنا بعون العبادي في نزولنا بلده ؛ وهي أيضاً بعيدة . فقلت : يا أمير المؤمنين ، فالانبار طيبة وظهرها فأصبح هواء من الحيرة ، فخرج اليها فلم يزد في طعامه شيئاً ؛ بل نقص وصام يوم الخميس قبل قتله جعفرأ بيومين ولية . وأحضر جعفرأ عشائه ؛ وكان ايضاً صائماً ؛ فلم يصب الرشيد من الطعام كثير شيء . فقال له جعفر : يا أمير المؤمنين ، لو استردت من الطعام ؟ فقال : لو اردت ذلك لقدرت عليه ، إلا اني احببت ان أبيت خفيف المعدة لاصبح وانا اشتهي الطعام ، واتقنى مع الحرم . ثم بكر بالركوب غداة يوم الجمعة متسلماً ، وركب معه جعفر بن يحيى ، فرايته وقد ادخل يده في كم جعفر حتى بلغ بدنه ، فضمه اليه وعانقه ، وقبل بين عيبيه ؛ وسار يده في يد جعفر اكثر من الف ذراع . ثم رجع الى مضربه وقال : « بجياني ، أما اصطحبت في يومك هذا وجعلته يوم سرور ؟ فاني مشغول باهلي . ثم قال لي : يا جبرائيل انا اتقنى مع حرمي فكأن اخي تمر بسروره . فسرت مع جعفر ، واحضر طعامه فتفدينا واحضر ابا زكار المتني ، ولم يحضر مجلسه غيره ، ورأيت الخادم بعد الخادم يدخل البنا فيساره ^(١) فيتنفس عند مسارتهم اياه ويقول : ويحك يا ابي عيسى ، لم يطعم أمير المؤمنين بعد ، واذا والله خائفان تكون به علة تخمه من الأكل . ويأمر كلما اراد ان يشرب قلداً ابا زكار ان يغنيه .

| | |
|--------------------------------------|------------------------|
| ابن بني النضر حين انتصوا | بحيث شاد البيعة الراهب |
| أضضوا ولا يرههم راهب | حقاً ، ولا يرجوم راغب |
| كانت من الحز ^(٢) لبوساتهم | لم يحلب الصوف لهم جالب |
| كانوا جنتهم لعبة | سار الى ابن بها راكب |

(السريح)

فبينما أبو زكار هذا الصوت ، ولا يقترح عليه غيره . فلم تزل هذه حالنا الى أن صلبت العتمة . ثم دخل الينا ابو هاشم مسرور الكبير ، ومعه خليفة هرمة بن أعين ، ومعه جماعة كثيرة من الجند . فمد يده خليفة هرمة الى يد جعفر ، ثم قال له : « قم يا فاسق ، قال جبرائيل ؛ ولم أكلم ولم يؤمر في بأمر ؟ وصرت الى منزلي من ساعتى ، وأأنا لا أعقل . فانا أقمت فيه الا اقل من مقدار نصف ساعة ، حتى صار الى رسول الرشيد يأمرني بالمسير اليه فدخلت اليه ورأس جعفر في طشت بين يديه ، فقال

(١) يكله سراً .

(٢) الحرير ، او ما تنسج من صوف وحرير .

يا يا جبرائيل : أليس كنت تأتيني عن السبب في قلة رزقي للطعام ؟ فقلت : بلى يا أمير المؤمنين ، فقال : الفكرة ، فيما ترى ، أصارتني إلى ما كنت فيه وأنا اليوم يا جبرائيل عند نفسي كالناقة^(١) .
قدم غذائي حتى ترى من الزيادة على ما كنت تراه صحيحاً ، وإنما كنت أكل الشيء بعد الشيء لئلا ينقل الطعام على فميرضني . ثم دعا بطعامه في ذلك الوقت فأكل كلأ صالحاً من ليلته .

قال يوسف : حدثني ابراهيم بن المهدي أنه تخلف عن مجلس محمد الأمين ، أمير المؤمنين ، أيام خلافته ، عشية من العشايا لدواء كان أخذه ؛ وإن جبرائيل بن جئوشوع بإكره غداة اليوم الثاني ، وأبلغه سلام الأمين ، وسأله عن حاله كيف كانت في دوائه . ثم حدثه ، فقال له أمير المؤمنين في تجهيز علي بن عيسى بن ماهان إلى خراسان ليأتيه بالأمان أسيراً في قيد من قضة وجبرائيل يريه من دين النصرانية أن لم يغلب المأمون محمداً وقتله ، ويجوز ملكه - فقلت له ويحك ! ولم قلت هذا القول ؟ وكيف قلته ؟ قال : لأن هذا الخليفة الموسوس ^(١) سكر في هذه الليلة ، فدعا أبا عصمة الشيعي صاحب حرمة ، وأمر بسواده فنزع عنه وألبسه ثيابي وزراري وقلنسوتي ، والبسي أقييته ^(٢) ، وسواده وسيفه ومنطقته ^(٣) ، واجلسني في مجلس صاحب الحرم إلى وقت طلع الفجر ؛ وأجلسه في مجلسي ؛ وقال لكل واحد ، مني ومن أبي عصمة قد قدلك ما كان يتقلده صاحبك . فقلت : انت الله مغير ما به من نعمة لتغييره ما بنفسه منها . وإنه إذا جعل حراسته إلى نصراني . والنصرانية أذل الأديان ، لأنه ليس في عقد دين غيرها التسليم لما يريد به عدوه من المكروه ، مثل الأعداء أن يسفروه بالسخرة ، وأن يمسي ميلاً أن يزيد على ذلك ميلاً آخر ، وإن لم لهم له خد حول الآخر ليطمم ، غير ديني . فقصيت بأن عز الرجل زائل ، وقصيت أنه حين أجلس في مجلس متعصبه الحافظ عنده لحبائه والقائم بمصالح بدنه والحادم لطبيعته ، أبا عصمة الذي لا يفهم من كل ذلك قلباً . ولا كثيراً ، بأنه لا امر له ، وإنه نفسه تالفه . قال أبو اسحق : فكان عز ما تقامل جبرائيل به .

قال يوسف بن ابراهيم : وسمعت جبرائيل بن جثنشوع يحدث ابا اسحق ابراهيم بن المهدي انه كان عند العباس بن محمد اذ دخل عليه شاعر امتدحه ، فلم يزل جبرائيل يسمع منه الى ان صار الى هذا البلد وهو :

لو قيل للعباس يا ابن عمه ، قل : لا ، وأنت عمه ما قالها
(الكامل)

قال جبرائيل : فلما سمعت هذا البيت لم اصبر لملي ان العباس أبجل أهل زمانه ، فقلت لا ، فنسب العباس ثم قال لي : اغرب قمح الله وجهك .

(١) المل من الموهن ،

(٢) المصاب بالوسواس وهو مرض يحدث من غلبة السوداء فيختلط معه الذهن .

(٣) واحدهما قباء وهو الثوب يلبس فوق الثياب .

(۴) ما یشد به الوسط، «ن، و»

أقول . هذا الشاعر الذي يشار اليه هو ربيعة الرقي .

قال يوسف : وحدث جبرائيل أبا اسحق في هذا المجلس انه دخل على العباس بعد فطر النصارى بيوم وفي رأسه فضة من نبيذه بالأمس ، وذلك قبل ان يخدم جبرائيل الرشيد . فقال جبرائيل للعباس : كيف أصبح الأمير أعزه الله ؟ فقال العباس ، أصبحت كما تحب . فقال له جبرائيل : والله ما أصبح الأمير على ما أحب ، ولا على ما يحب الله ، ولا على ما يحب الشيطان . فغضب العباس من قوله ثم قال له : ما هذا الكلام قبحك الله ؟ قال جبرائيل فقلت : عليّ البرهان . فقال العباس : لتأتيني به والا احسنت أدبك ولم تدخل لي داراً ؟ فقال جبرائيل : الذي كنت احب ان تكون أمير المؤمنين ، فأنت كذلك ؟ قال العباس : لا . قال جبرائيل : والذي يحب الله من عباده الطاعة له فبا أمرهم به ، ونهائم عنه . فأنت أيها الملك كذلك ؟ فقال العباس : لا واستغفر الله . قال جبرائيل : «والذي يحب الشيطان» من العباد ان يكفروا بالله ويحملوا روبيته . فأنت كذلك أيها الأمير ؟ فقال له العباس : لا ، ولا تعد الى مثل هذا القول بعد يومك هذا .

قال قتيوب الترمذاني : ولما هزم المأمون على الخروج الى بلد الروم في سنة ثلاث عشرة ومائتين مرض جبرائيل مرضاً شديداً قوياً . فلما رآه المأمون ضعيفاً التمس منه انفاذ بختيشوع ابنه معه الى بلد الروم . فاحضره وكان مثل ابنه في الفهم والعقل والسرو^(١) . ولما خاطبه المأمون وسمع حسن جوابه ، فرح به فرحاً شديداً وكرمه غاية الاكرام ، ورفع منزلته واخرجه معه الى بلد الروم . ولما خرج المأمون طلاق مرض جبرائيل الى ان بلغ الموت ، وعمل وصيته الى المأمون ودفعها الى ميخائيل صهره ومات . فمضى في تجميل موته ما لم يرض لامثاله بحسب استحسانه بإعماله الحسنة وخيرته ، ودفن في دير مار سرجس بالمداين^(٢) . ولما عاد ابنه بختيشوع من بلد الروم جمع للدير رهباناً واجرى عليهم جميع ما يحتاجون اليه .

وقال قتيوب الترمذاني : ان جلس جورجس وولده كلثا أجل أهل زمانهم بما خصهم الله به من شرف النفوس ، ونبل الهمم ، ومن البر والمعروف ، والافضال والصدقات ، ولتفقد المرضى من الفقراء والمساكين ، والاخذ بأيدي المتكويين والمهوقين على ما يتجاوز الحد في الصفة والشرح .

اقول : وكانت مدة خدمة جبرائيل بن بختيشوع للرشيد منذ خدمه والى ان توفي الرشيد ثلاثاً وعشرين سنة . ووجد في خزانة بختيشوع بن جبرائيل مدرج فيه عمل بخط كاتب جبرائيل بن بختيشوع الكبير ، واصطلاحات بخط جبرائيل لما صار اليه في خدمته الرشيد يذكر ان رزقه كان من رسم العامة : في كل شهر من الورق عشرة آلاف درهم ، يكون في السنة مائة وعشرون ألف درهم ، في مدة ثلاث وعشرين سنة ألفا ألف وسبائة وستون ألفاً ، ونزله في الشهر خمسة آلاف درهم ، يكون في السنة ستون ألف درهم ، في مدة ثلاث وعشرين سنة ألف الف وثلاثمائة وثمانون ألف درهم . ومن رسم

(١) العقل والسخاء

(٢) اسم مدينة ار حدة مدن في العراق على مسافة ٣٠ كيلو جنوبي بغداد على جالي دجلة « ن.د. »

الخاصة في المهرم من كل سنة : من الورق خمسون ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ألف ألف ومائة وخمسون ألف درهم . ومن الثياب : خمسون ألف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ألف ألف ومائة وخمسون ألف درهم .

تفصيل ذلك : القصب الخاص الطرازي عشرون شقة . الملحم الطرازي عشرون شقة . الخبز المنصوري عشر شقاق . الخبز المبسوط عشر شقاق . الوشي الياباني ثلاثة أرباب . الوشي النصبي ثلاثة أرباب . الطيالة ثلاثة طيالس . ومن السمور (١) والفنك (٢) والفتاقم (٣) والدلق (٤) والسنباب (٥) للقططين (٦) .

وكان يدفع اليه في مدخل صوم النصارى في كل سنة من الورق خمسون ألف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين ألف ألف ومائة وخمسون ألف درهم . وفي يوم الثمانين من كل سنة ثياب من وشي وقصب وملحم وغيره بقيمة عشرة آلاف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ؛ مائتا ألف وثلاثون ألفا ، وفي يوم الفطر في كل سنة من الورق : خمسون ألف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة : ألف ألف ومائة وخمسون ألف درهم ، وثياب بقيمة عشرة آلاف درهم ، على الحكاية ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة : مائتا ألف وثلاثون ألف درهم .

ولفصد الرشيد : دفعتين في السنة كل دفعة خمسون ألف درهم من الورق ، مائة ألف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة : ألفا ألف وثلاثمائة ألف درهم .

ولشرب الدواء دفعتين في السنة ، كل دفعة خمسون ألف درهم ، مائة ألف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ألفا ألف وثلاثمائة ألف درهم .

ومن أصصاب الرشيد ، على ما فصل منه مع ما فيه من قيمة الكموة ومن الطيب والدواب ، وهو : مائة ألف درهم من الورق ، فيكون أربع مائة ألف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة تسعة آلاف ألف ومائتا ألف درهم . تفصيل ذلك : عيسى بن جعفر خمسون ألف درهم ؛ زبيدة أم جعفر خمسون ألف درهم ؛ العباسة (٧) خمسون ألف درهم ؛ إبراهيم بن عثمان ثلاثون ألف درهم ؛ الفضل بن الربيع (٨) خمسون ألف درهم ؛ فاطمة أم محمد سبعون ألف درهم ؛ كموة وطيب ودواب

(١) فرع من الفراء يتخذ من جلد السمور وهو حيوان بري لونه أحمر مائل إلى السواد . وقد أطلق على جلده اسمه .

(٢) فراء أيضا من جلد الحيوان المسمى الفنك وهو جنس من الثعالب وفروته من أحسن الفراء .

(٣) صغار القردان . ويقصد هنا مجاميعها .

(٤) حيوان يقرب من السمور وهو أصغر اللون وبطنه وعنقه مائلان إلى البياض . ويراد هنا فرواه .

(٥) فراء حيوان أكبر من الجرذ له ذنب طويل كثيف للشعر لونه أزرق ومادي ومن اللون السنجابي .

(٦) اظن أنها أم جعفر البرمكي زوجة يحيى بن خالد .

(٧) بنت المهدي وأخت هارون الرشيد . ونعبد الموزعون ولشعراء مناهيهم في الكلام عن علاقتها بجعفر البرمكي وأنها كانت سبب نكبتهم .

(٨) وزير الأمين فيما بعد ، حشد البرامكة ومن السائس عليهم ورمى البغضاء بين الأمين والمأمون . « ن . ر »

مائة الف درهم .

ومن غلة ضياعه يميندي ساپور والوسوس والبصرة والسواد في كل سنة قيمته ، بعد المقاطعة ، ورقا ثمانى مائة الف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ثمانية عشر الف الف ومائة الف درهم .

وكان يصير اليه من البرامكة في كل سنة من الورق الفا الف واربعماية الف درهم ، وتفصيل ذلك : يحيى ^(١) بن خالد ستاية الف درهم ؛ جعفر بن يحيى الوزير الف الف ومائتا الف درهم ؛ الفضل ^(٢) ابن يحيى ستاية الف درهم ، يكون في مدة ثلاث عشرة سنة : احمد وثلاثين الف الف ومائتى الف درهم .

يكون جميع ذلك مدة ايام خدمته للرشد ، وهي ثلاث وعشرون سنة ، وخدمته للبرامكة وهي ثلاث عشرة سنة ، سوى الصلات الجسام فانها لم تذكر في هذا المدرج من الورق ثمانية وثمانين الف درهم . وثمانائة الف درهم ؛ ثلاثة آلاف الف واربعماية الف درهم .

التذكرة : الخراج من ذلك ومن الصلات التي لم تذكر في النفقات وغيرها على ما تضمنه المدرج المعمول من العين : تسماية الف دينار ، ومن الورق : تسعون الف الف وستائة الف درهم .

تفصيل ذلك ، ما صرفه في نفقاته وكانت في السنة : الف الف ومائتى الف درهم على التقريب . وجعلتها في السنين المذكورة سبعة وعشرون الف الف درهم وستاية الف درهم . ثمن دور وبساتين ومنقذات ورقيق ودواب والجمازات سبعون الف الف درهم ، ثمن آلات وأجر وصناعات وما يجري هذا الجرى ثمانية آلاف الف درهم . ما صار في ثمن ضياع ابتاعها لحاصته اثنا عشر الف الف درهم . ثمن جواهر وما اعدده للخائز عن قيمة خمسمائة الف دينار خمسون الف الف درهم . ما صرفه في البر والصلوات والمعروف والصدقات ، وما بذل به حظه في الكفالات لاصحاب المصادرات ، في هذه السنين المقدم ذكرها ثلاثة آلاف الف درهم . ما كبره ^(٣) عليه اصحاب الودائع وجعلوه ثلاثة آلاف الف درهم . ثم وصى بعد ذلك كله عند وفاته الى المأمون لابنه بجنتيشوع ، وجعل المأمون الرضى فيها فلسها اليه ، ولم يعترض في شيء منها عليه بتسماية الف دينار .

وجبرائيل بن بجنتيشوع هو الذي يعنيه أبو نواس ^(٤) في قوله

سألت أخى أبا عيسى وجبريل له عقل
فقلت الراح ^(٥) تمجيني فقال : كثرها قتل.

(١) والد جعفر البرمكي وموعد هارون الرشيد ومستشاره .

(٢) قول الحكم بن قيس هارون الرشيد على جرجان وطبرستان والري وخراسان . ومات سجيناً . في الرقة بعد نكبة البرامكة «ن.د» .

(٣) عاتده وغالبه .

(٤) من كبراء شعراء العصر العباسي . ولد في الامواز . لقب بشاعر الحيرة وقضى حياته مقرباً من الرشيد والامين والمأمون .

(٥) الحر (ن.د)

فقلت له : فقدر لي . فقال ، وقوله فصل :
وجدت طبائع الانسا ن أربعة هي الاجل
فأربعة لأربعة لكل طبيعة رطل
(الواقف)

وذكر أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني في كتاب المجرى في الاغاني هذه الابيا

ألا قل للقي ليس على الاسلام والملة
جبريل أبي عيسى أخي الاندال والفة
أقي طبلك يا جبريل ما يشفي فوي الملة
غزال قد سبي عقلي بلا جرم ولا زلة
(المخرج)

قال أبو الفرج : والشعر للمأمون في جبرائيل بن بختيشوع المتطبب . والقناة لثم « خفيف رمل » .
ومن كلام جبرائيل بن بختيشوع قال : أروية تهدم العمر :

ادخال الطعام على الطعام قبل الانضمام . والشرب على الرق . ونكاح المجوز . ولتتمتع في الحمام .
وجبرائيل بن بختيشوع من الكتب : رسالة الى المأمون في الطعام والمشرب . كتاب المدخل الى
صناعة المنطق . كتاب في الهاء . رسالة مختصرة في الطب . كتابه . كتاب في صناعة البخور ، الله
لهبداه المأمون .

بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع

كان مريانياً نبيل القدر . وبلغ من عظم المنزلة والحال وكثرة المال ، ما لم يبلغه أحد من سائر
الاطباء الذين كانوا في عصره . وكان يضاهي المتوكل^(١) في اللباس والفرش .

ونقل حنين بن اسحق لبختيشوع بن جبرائيل كتباً كثيرة من كتب جالينوس الى اللغة السريانية
والعربية .

قال قتيون التبرجاني : لما ملك الواثق^(٢) الامر ، كان محمد^(٣) بن عبد الملك الزيات وابن أبي داود
يماديان لبختيشوع . ويحسدانه على فضله ، وبره ، ومعرفته ، وصداقته ، وكأله مروءته . فكانا يفریان

(١) الخليفة العباسي المأمون . وكان متعلماً بفتح الهوى اراد ان ينقل حاصته من بغداد الى دمشق فلم يستطع تحمل برد
الشم فرجع . اضطهد المعتزلة . (٨٢٢-٨٦١)

(٢) طبع خلفاء بني العباس « ٨٤٧-٨٤٦ » تسلط في ايامه الغزو الاثرائ على الحكم .

(٣) وزير العباسيين . غضب عليه المتوكل فأمر بقتله سنة « ٨٤٧ »

الرائق عليه اذا خاوا به . فسخط عليه الرائق ، وقبض على أملاكه وضياعه ، وأخذ منه جلة طائفة من المال . ونفاه الى جندي سابور ، وذلك في سنة ثلاثين ومائتين . فلما اعتل بالاستسقاء ^(١) ، وبلغ الشدة في مرضه ، انتفخ من يحضر بختيشوع . ومات الرائق قبل ان يوافي بختيشوع . ثم صلحت حال بختيشوع ، بعد ذلك في أيام المتوكل ، حتى بلغ في الجلالة ، والرفعة ، وعظم المزية ، وحسن الحال ، وكثرة المال ، وكال المروءة ، ومباراة الخلافة في الزي واللباس ، والطبيب ، والفرش ، والصناعات ، والتفسيح ، والبلخ في النفقات ، مبلغاً يفوق الوصف ، فحسده المتوكل وقبض عليه .

ونقلت من بعض التواريخ ، ان بختيشوع بن جبرائيل ، كان عظيم المزية عند المتوكل . ثم ارت بختيشوع أقرط في ادلاله عليه ، فنكبه وقبض أملاكه ووجه به الى مدينة السلام . وعرض للمتوكل بعد ذلك قولنج ^(٢) ، فاستعصره المتوكل واعتذر اليه ، وعالجه وبرأ ، فانعم عليه ورضي عنه ، واعاد ما كان له .

ثم جرت على بختيشوع حيلة أخرى فنكبه نكبة قبض فيها جميع أملاكه ، ووجه به الى البصرة ، وكان سببه الحيلة عليه : ان عبد الله استكتب المنتصر أبا العباس الحسيني وكان رديئاً ، فالتحقا على قتل المتوكل واستخلاف المنتصر . وقال بختيشوع للوزير : كيف استكبت المنتصر الحسيني وانت تعرف رداءته ؟ فظن عبد الله ان بختيشوع قد وقف على التدبير . ففرغ الوزير ما قاله له بختيشوع ، وقال : « انتم تعلمون كيف عجة بختيشوع له ، واحسب انه يبطل التدبير فكيف الحيلة ؟ فقالوا للمنتصر : « اذا سكر الخليفة ، فخرق ثيابك ولوئها بالدم ، وادخل اليه . فاذا قال : ما هذا ؟ فقل بختيشوع ضرب بيني وبين اخي ، فكاد ان يقتل بعضنا بعضاً . وانا اقول : يا أمير المؤمنين ، يبعد عنهم . فانه يقول : افعلوا . فتنفيه ، قال ان يسأل عنه نكون قد فرغنا من الامر . ففعل ذلك ، ونكب ، وقتل المتوكل . ولما استخلف المستعين ^(٣) رد بختيشوع الى الخدمة وأحسن اليه احساناً كثيراً ، ولما ورد الامر الى ابن عبد الله محمد ^(٤) بن الرائق ، وهو المهدي ، جرى على حال المتوكل في أنه بالاطباء وتقديده ايام واحسانه اليهم . وكان بختيشوع لطيف المحل من المهدي بالله . وشكا بختيشوع الى المهدي ما اخذ منه في أيام المتوكل ، فأمر بأن يدخل الى سائر الخزائن فكل ما اعترف به فليرد اليه بغير استئجار ولا مراجعة . فلم يبق له شيء الا اخذه ، واطلق له سائر ما قاله ، وحاطه كل الحياطة .

وورد على بختيشوع كتاب من صاحبه بمدينة السلام يصف فيه ان سليمان بن عبد الله بن طاهر قد

(١) في الطب هو جمع سائل مصلية في تجويف او اكثر من تجاويف الجسد او في خلاياه .

(٢) مرض معوي مؤلم . د. ن. ر

(٣) الخليفة العباسي الثاني عشر ٨٢٢ - ٨٦٦ « بايعه الامراء واكابر المليك . وكانت ايامه شديدة الاضطراب . خلع وقتل بسعي اخيه المعتز .

(٤) الخليفة الرابع عشر العباسي . ولد في سمرقند ، اراد تجليص الخلافة من سلطنة القواد وورث شأنها . وكلف كثيراً متعسكاً بالشرية . قتل بخيانة موسى بن بشار القائد التركي ٨٦٩ - ٨٧٠ « د. ن. ر

تمرض له لئلا له ، فعرض بختيشوع الكتاب على المهدي بعد صلاة العتمة ، فأمر بإحضار سليمان بن وهب في ذلك الوقت ، فحضر ، وتقدم إليه بأن يكتب من حضرته إلى سليمان بن عبد الله ، بالانكار عليه لما اتصل به من وكيل بختيشوع ، وإن يتقدم إليه بإعزاز منازله وأسبابه بأوك ما يكون . وانفذ الكتاب ، من وقته ، مع أخص خدمه إلى مدينة السلام .

وقال بختيشوع للمهدي في آخر من حضر الدار : « يا أمير المؤمنين ، ما اقتصدت ولا شربت الدواء منذ أربعين سنة ، وقد حكم المنجمون بأني أموت في هذه السنة . ولست اغتم لموتي وإنما غمي لمفارقكم . فكله المهدي بكلام جميل ، وقال : قلتما يصدق المنجم . فلما انصرف كان آخر العهد به .

وقال إبراهيم بن علي الحصري في كتاب نور الطرف ونور الظرف ، أنه تنازع إبراهيم بن المهدي وبختيشوع الطبيب بين يدي أحمد ابن داود في مجلس الحكم في عقار بناحية السواد ، فأدبى عليه إبراهيم وأغلظ له فغضب لذلك أحمد بن أبي داود وقال : « يا إبراهيم ، إذا تنازعت في مجلس الحكم بحضورنا أمراً فليكن قصديك أمراً ^(١) ، وطريقك نهجاً ، وريحك ساكنة ، وكلامك معتدلاً ، ووف مجالس الخليفة حقوقها من التوفيق والتنظيم والاستطاعة ، والتوجيه إلى الحق . فان هذا أشكل ^(٢) بك ، واجل بمذهبك في عندك ^(٣) وعظم خطرنا . ولا تملن ، فرب العجة ثورث ربياً ^(٤) ، والله يصممك من الزلل ، وخطئ القول ، والعمل ، ويتم نعمته عليك كما اتها على آباءك من قبل ، ان ربك علم حكيم . فقال إبراهيم : « أمرت ، أصلحك الله ، بسداد ، وحضضت على رشاد ، ولست بمائد إلى ما يثلم قدرتي عندك ، ويسقطني من عينك ، ويخرجني من مقدار الواجب إلى الاعتذار ، فما أنا معتذر إليك من هذه البادرة ، اعتذار مقر بذنبه ، بائع ^(٥) ، يجرمه ، لأن الغضب لا يزال يستغزني بمراده ، فيردني مثلك بجله ، وتلك عادة الله عندك وعندنا فيك ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . وقد خلعت حظي من هذا المقار لبختيشوع . فليت ذلك يكون وإفياً بأورش ^(٦) الجنابة عليه ، ولن يتلف مال أفاد موعظة وإله للتوفيق . »

حدث أبو محمد بدر بن أبي الأصبح الكاتب قال : حدثني جدي ، قال : دخلت إلى بختيشوع في يوم شديد الحر وهو جالس في مجلس غشيش بمدة طاقات من الجيش طلاقان ربح بينها طاق أسود وفي وسطها قبة عليها جلال ^(٧) من قصب مظهر يديقي ^(٨) قد صبغ بماء الورد والكافور ^(٩) والصلندل ^(١٠)

(١) الوسط ما بين القريب والبعيد أو الطريق البين .

(٢) أشبه . (٣) الأصل . (٤) الحق .

(٥) مقر به رمدن .

(٦) الدية .

(٧) احكية .

(٨) الثوب الجليل المنسوب إلى ديق وهي بلدة بصر .

(٩) نبت طيب تستخرج منه مادة عطرية يضاه متبورة .

(١٠) شجر هندي طيب الرائحة يشبه شجر الجوز وله حب اخضر في حنظله .

وعليه جبة يمانى سمدي مثقلة ، ومطرف قد التحف به ، فعميت من زيه . فحين حصلت معه في القبة نالني من البرد أمر عظيم فضحك وأمر لي بحجة ومطرف وقال : يا غلام ، اكشف جوانب القبة ، فكشفت فساذا ابواب مفتوحة من جوانب الابواب الى مواضع مكبوسة بالثلج ، وغلمان يروحون ذلك الثلج فيخرج منه البرد الذي لحقني . ثم دعا بطمامه فأتي بائدة في غاية الحسن عليها كل شيء ظريف . ثم اتى بفرايرج مشوية في نهاية الحجرة ، وجاء الطبايح فنفضها كلها فانتفضت وقال : هذه فرايرج تملف اللوز والبزر قطونا ، ^(١١) وتسمى ماء الزمان ، ولما كانت في صلب الشتاء دخلت عليه يوماً والبرد شديد ، وعليه جبة محشوة وكساء ، وهو جالس في طارمة ^(١٢) في الدار على يستان في غاية الحسن ، وعليها سمور قد ظهرت به ، وفوقه جلال حرير مصبغ ، ولبود مغربية وانطاع ^(١٣) آدم يمانية . وبين يديه كلون فضة مذهب غرق ، وخادم يوقد المود الهندي ، وعليه غلالة قصب في نهاية الرقعة . فلما حصلت معه في الطارمة وجدت من الحر أمراً عظيماً ، فضحك وأمر لي بفلاة قصب ، وتقدم يكشف جوانب الطارمة ، فاذا مواضع لها شبائك خشب بعد شبائك حديد ، وكوانين فيها فحم النضا ^(١٤) ، وغلمان ينفضون ذلك الفحم بالزقاق ^(١٥) كما تكون للعدادين . ثم دعا بطمامه فاحضروا ما جرت به العادة في السرو والنظافة ، فاحضرت فرايرج بيض شديدة البياض فبشعها ^(١٦) ونفت ان تكون غير نظيفة ووافى الطبايح فنفضها فانتفضت ، فسألته عنها فقال : هذه تملف الجزر المشر ، وتسمى اللبن الحليب . وكان بختيشوع بن جبرائيل يهدي البخور في درج ، ومعه درج آخر فيه فحم يتخذ له من قضبان الارج ^(١٧) والصفصاف ^(١٨) ، وشسن ^(١٩) الكرم المرشوش عليه هند احراقه ماء الورد المختلط بالملك ^(٢٠) والكافور ، وماء الخلاف ^(٢١) والشراب العتيق . ويقول : انا اكره ان اهدي بخوراً يغير فحم ، فيفسده فحم العامة ، ويقال هذا عمل بختيشوع .

وحديث ابو محمد بدر بن ابي الأصبح ، عن ابيه ، عن ابي عبدالله محمد بن الجراح ، عن ابيه ، ان المتوكل قال يوماً لبختيشوع : ادعني ، فقال السمع والطاعة فقال : اريد ان يكون ذلك غداً . قال : نعم وكرامة ، وكان الوقت صائفاً ، وحره شديداً ، فقال لبختيشوع لأعوانه وأصحابه : « أمرنا كله مستقيم الا الخيش فانه ليس لنا منه ما يكلني . فاحضر وكلاءه وأمرهم بإتياع كل ما يوجد ، من

«١٦» حبة يستنقى بها .

«١٧» لكن أر البيت من خشب كالقبة .

«١٨» واحداً نطع وهي البساط من الجلد يفرش فوق الأرض . واصله ما يفرش تحت المحكوم عليه بالذاب ار يقطع الرأس .

«١٩» شجر من الألال خشبه من اصل الخشب وجره يبقى زمناً طويلاً لا ينطلى .

«٢٠» واحداً ذق وهو جلد يمز ولا ينتف .

«٢١» هنا معنى استحسنها .

«٢٢» شجر من فصيلة الحمضيات يعرف بالكباد .

«٢٣» شجر حرجي مائي قيل هو الخلاف .

«٢٤» قضبان شجر .

«٢٥» حليب يستخرج من دم حيوان يدهى غزال الملك .

«٢٦» ما يعرف في الشام بالزيفون المنب (ن.د) .

الحيش يمر من رأى ، ففعلوا ذلك واحضروا كل من وجدوه من التجادين والصناع ، فقطع لداره كلها صونها ^(١) وحجروها وبجاسها وبيوتها ومستراحاتها ، خيشا حتى لا يمتاز الخليفة في موضع غير غيش . وانه فكر في روايته التي لا تزول الا بعد استمالة مدة ، فامر ببيع كل ما يقدر عليه يمر من رأى من البطيخ ، وأحضر أكأثر حشمة وغلثانه وأجلسهم يدلكون الحيش بذلك البطيخ ليلتهم كلها ، وأصبح وقد انقطعت روايته . فتقدم الى فراشه فملقوا جميعه في المواضع المذكورة ، وأمر طبائخه بأن يعملوا خمسة آلاف جونة ^(٢) في كل جونة باب خبز سمد ، دسست وقاق وزن الجميع عشرون رطلاً ؛ وحمل مشوي وجدي بارد ، وفاككة ودجاجتان مصدرتان ، وفرخان ومصوصان ^(٣) ، وثلاثة ألوان وجام حلواء ^(٤) .

فلما وافاه المتوكل رأى كثرة الحيش وجدته فقال : « اي شيء ذهب برائحتي ؟ فاعاد عليه حديث البطيخ فسحب من ذلك ، وأكل هو وبنو عمه والفتح ^(٥) بن خاقان على مائدة واحدة . وأجلس الامراء والحجاب على سباطين ^(٦) عظيمين لم ير مثلهما لامثاله . وفرقت الجون على الفئان والخدم والتقباء والركابية والفراشين والملاحين وغيرهم من الحاشية لكل واحد جونة ، وقال : « قد أمنت نعمهم لانني ما كنت آمن لو أطمعوا على موائد ان يرضى هذا ويفضب الآخر ، ويقول واحد شمت ويقول آخر لم أشبع ، فاذا اعطى كل إنسان جونة من هذه الجون كفته واستشرف المتوكل على الطعام فاستظمه جداً ، وأراد النوم ، فقال لبختيشوع : « أريد ان تنومي في موضع مضى لا ذباب فيه وظن أنه يتصنعه بذلك ، وقد كان بختيشوع تقدم بأن يجعل اجاجين ^(٧) السيلان في سطوح الدار ليجمع الذباب عليه ، فلم يقرب أسافل الدور ذباباً واحدة . ثم أدخل المتوكل الى مريح كبير سقفه كله بكواء فيها جامات يضيء البيت منها ، وهو غيش مظهر بمد الحيش بالدبقي المصبوغ بماء الورد والصندل والكافور .

فلما اضطلع لقوم أقبل يشم روائح في نهاية الطيب لا يدري ما هي لانه لم ير في البيت شيئاً من الروائح والفاككة والأوار ، ولا خلف الحيش لا طعقات ولا موضع يحمل فيه شيء من ذلك . فتعجب وأمر الفتح بن خاقان ان يتبع حال تلك الروائح حتى يعرف صورتها . فخرج يطوف فوجد حول البيت من خارجه ومن سائر فراحيه وجوانبه أبواباً صفاراً لطافاً كالطافات محشوة بصنوف الزاحين

(١) من النار : مساحتها او وسطها .

(٢) الحانية الطويلة .

(٣) واحدها مصوص وهو لحم يطبخ ويتبع في الحل .

(٤) كأس .

(٥) وزير المتوكل قتل مع المتوكل سنة ٨٦١هـ .

(٦) السباط : ما يبسط ليرضع عليه الطعام .

(٧) واحدها اجانة وهي الالة « ن ، ر » .

والفواكه واللحائخ^(١) ، والمشام التي فيها اللقاح^(٢) ، والبطنخ المستخرج ما فيها الحشوة بالغام^(٣) والماحم^(٤) الياباني المعمول بماء الورد والخقوق^(٥) والكافور والشراب المتيق والزعفران^(٦) الشمر . ورأى الفتح غلماناً قد وكلوا بتلك الطاقات مع كل غلام بحجرة فيها ندى بسجوره^(٧) ويبخر به . والبيت من داحه ازار من اسفيداج غرم غروما صفاراً لا تبين تخرج منها تلك الروائح الطيبة العجيبة الى البيت .

فلما عاد الفتح وشرح للتوكل صورة ما شاهده كان تعجبه منه ، وحسد بختيشوع على ما رآه من نعمته ، وكال مروءته ، وانصرف من داره قبل ان يستم يومه . وادعى شيئاً وجدته من الثبات بدله ، وحقد عليه ذلك فنكبه بمد أيام بسيرة ، وأخذ له مالا كثيراً لا يقدر . ووجد له في جملة كسوته أربعة آلاف سراويل ديبقي سينيزي في جميعها تكك ايريس ارميني . وحضر الحسين بن محمد ففتح على خزائنه ونحل الى دار المتوكل ما صلح منها وباع شيئاً كثيراً . وبقي بعد ذلك حطب وفحم ونبيذ وتوابل ، فاشترى الحسين بن محمد بسنة آلاف دينار . وذكر أنه باع من جلته ببلغ ثمانية آلاف دينار ، ثم حسده حمدون ووشى الى المتوكل . وبذلك فيا بقي في يده ما ابتاعه ستة آلاف دينار . فاجيب الى ذلك ، وسلم اليه ، فباعه بأكثر من الضعف . وكان هذا في سنة أربع وأربعين ومائتين للهجرة .

قال فثيون الترجمان : كان المعتز بالله قد اعتزل ، في أيام المتوكل ، علة من حرارة امتنع . ١ من أخذ شيء من الادوية والاغذية . فشق ذلك على المتوكل كثيراً ، واغتم به . وصار اليه بختيشوع ، والاطباء عنده وهو على حاله في الامتناع ، فهازحه وحادثه فادخل المعتز يده في كم جبة وشي يات مثله كانت على بختيشوع وقال : « ما أحسن هذا الثوب » ! فقال بختيشوع : « يا سيدي ما له والله نظير في الحسن وثمنه غلي ألف دينار فكل لي ثقتين وخذ الجبة » . فدعا بتفاح فأكل الثنتين ثم قال له : محتاج يا سيدي الجبة الى ثوب يكون معها ، وعندني ثوب هو أغلها ، فأشرب لي شرية سكتنجين وخذه . فشرب شرية سكتنجين . ووافق ذلك اندفاع طييمته فبرأ المعتز وأخذ الجبة والثوب وصلح من مرضه . فكان المتوكل يشكر هذا الفعل أبداً لبختيشوع .

وقال ثابت بن سنان بن ثابت : ان المتوكل اشتهى في بعض الاوقات الحلاوة أن يأكل مع طعامه خردلا فمنعه الاطباء من ذلك لحدة مزاجه وحرارة كبده وغائقة الحردل . فقال بختيشوع : أنا اطعمك اياه وان شربك علي ا فقال : افعل . فامر بإحضار قرعة وجعل عليها طيناً وتركها في تنور

(١) ضرب من الطيب . (٢) نبات يعطني اصفر طيب الرائحة اصغر من اللقاح . (٣) نبت له برور كالريحان قوي الرائحة .

(٤) الخبز البستاني العريض الرق . (٥) ضرب من الطيب يتخذ من زعفران وشيرة او هو الزعفران . (٦) نبات اصفر الزهر له اصل كالبلبل .

(٧) يحميه ويحرقه . « ن . د »

واستخرج مامها وامر بان يقشر الخردل ويضرب بماء القرع . وقال : « ان الخردل في اللبوة الرابعة من الحرارة والقرع في الدرجة الرابعة من الرطوبة فيمتدلان ، فكل شهوتك » . وبات تلك الليلة ولم يحس بشيء من الاذى ، وأصبح كذلك . فأمر بان يجعل اليه ثلاثمائة الف درهم وثلاثون تحتاً من اصناف الثياب .

وقال اسحق^(٦) بن علي الرهاوي ، عن عيسى بن ماسة قال : رأيت يحنثشوع بن جبرائيل وقد اعتل ، فأمر أمير المؤمنين المتوكل والمعتز^(٧) ان يموده وهو اذ ذاك ولي عهده . فعاده ومعه محمد^(٨) بن عبدالله بن طاهر ووصيف^(٩) التركي قال : وأخبرني ابراهيم^(١٠) بن محمد المعروف بابن المدير ان المتوكل امر الوزير شفاعاً وقال له : اكتب في ضياع يحنثشوع فانها ضياعي وملكي فان عله منا محل ارواحنا من ابداننا .

وقال عبيد الله بن جبرائيل بن عبيد الله بن يحنثشوع ، هذا المذكور : بما يدل على منزلة يحنثشوع عند المتوكل وابنساطه معه ، قال : من ذلك : ما حدثنا به بعض شيوخنا ، انه دخل يحنثشوع يوماً الى المتوكل وهو جالس على سدة في وسط دار الخاصة ، فجلس يحنثشوع على عادته معه على السدة وكان عليه^(١١) دراعة ديباج رومي ، وقد انفتق فيها قليلاً ، فجعل المتوكل يحادث يحنثشوع ويبحث بذلك الفتق حتى بلغ الى حد النيفق^(١٢) . ودار بينهما كلام اقتضى ان يمال المتوكل يحنثشوع : بماذا تعلم ان المشوش يحتاج الى الشد والقيادة ؟ قال : اذا بلغ فتق دراعة طيبة الى حد النيفق شدته . فضعك المتوكل حتى استلقى على ظهره ، وأمر له في الحال بمخلع سليه ومال جزيل .

وقال ابو الريحان^(١٣) البيروني في كتاب « الجواهر في الجواهر » : ان المتوكل جلس يوماً لهدايا النيزوز فقدم اليه كل علق^(١٤) نفيس ؛ وكل ظرف فاجر . وان طيبه يحنثشوع بن جبرائيل دخل وكان يأنس به ، فقال له : ما ترى في هذا اليوم ؟ فقال مثل جبرائيل الشعاذين اذ ليس قدر ، واقبل على ما معي . ثم أخرج من كه درج ابنوس مضيب بالذهب ، وفتحته عن حرير أخضر انكشف عن ملمعة كبيرة من جواهر لم منها شهاب ووضعها بين يديه ، فرأى المتوكل ما لا عهد له بمثله ، وقال :

(١) طيب من الاحياء القرائين الف تاريخاً ذكر فيه الوقائع والحوادث من زمان المعتز حتى ايام الطائع هـ .

(٢) الخليفة العباسي الثالث عشر تسلط عليه القواد الاثراك وانتدت الازمة المالية في الدولة فلم يتمكن من حل مشاكلها .
ورغل ومات جوعاً في السجن « ٨٦٩ » .

(٣) من رجال الدولة العباسية جملة المتوكل حاكماً على بغداد « ٨٥٦ » قضى على الفلق التي ارما الطويون ورتي سنة ٨٦٧

(ج) احد القواد الاثراك الذين استأثروا بالحكم وقضوا على الخليفة في الزمن الذي استولى فيه سلطان الاثراك على الحكم .

(هـ) قولي الخراج في مصر ومشرق والاردن وفلسطين .

(و) جبة مشفوفة القدم .

(٧) الموضع المتسع من القميص او السروال .

(٨) مؤلف عربي من اصل فارسي ولد في خوارزم . عالم بالرياضيات والعلوم والفن . كان بينه وبين ابن سينا مراسلة

(٩٧٣ - ١٠٤٨) .

(٩) النفيس من كل شيء (ن . د) .

« من ابن لك هذا ؟ قال : من الناس الكرام ، ثم حدث انه صار الى أبي من أم جعفر زبيدة في ثلاث مرات ثلثمائة ألف دينار بثلاث شكايات عاجلها فيها : واحدتها أنها شكت عارضاً في حلقها منكرة بالحنق فأشار اليها بالنفس والتفطنة والتغدي بحشو وصفه ، فاحضر على نسخه في غضارة صينية عجبية الصفة وفيها هذه اللقمة ، فغمزني أبي على رفعها ، ففعلت ولففتها في طيلساني وجاذبتها الخادم. فقالت له : لاطفه ومره بردها ، وعوضه منها عشرة آلاف دينار . فامتنعت وقال أبي : يا سقي ان ابني لم يسرق قط فلا تقضيه في اول كراته لئلا ينكسر قلبه . فضحكت ووهبت له . وسئل عن الآخرتين : فقال انها اشتكت اليه النكبة^(١) بإخبار احدي بطانتها اباه ، وذكرت أن الموت أسهل عليها من ذلك ، فجوعها الى العمر ، واطمعا سمكا بمقوراً^(٢) ، وسقاها دردي^(٣) نبيذ دقل بأكرام ففتشت نفسها وفقدت . وكرر ذلك عليها ثلاثة أيام ثم قال لها : تنكبي في وجه من اخبرك بذلك واستخبره هل زال ؟ والثالثة انها أشرفت على التلف من فواق شديد يسمع من خارج الحجرة ، فامر الخدم بأصعاد خواني الى سطح الصحن وقصيفها حوله على الشفير وملأها ماء ، وجلس خادم خلف كل جب حتى اذا صفق بيده على الاخرى دفعوها دفعة الى وسط الدار ، ففعلوا وارفعوا لذلك صوت شديد ارجعها ، فوثبت وزايلها الفواق .

قال أبو علي القتيبي ؟ حدثني أبي قال : دخلت يوماً الى بختيشوع ، وكان من أيام الصيف ، وجلست فاذا هو قد رفع طرفه الى خادمه وقال له : هات . فجاء بقدر فيه نحو نصف رطل شراب عتيق ، وعلى طرف خلاله ذهب شيء اسود قمضه ، ثم شرب الشراب عليه ، وصبر ساعة ، فראبت وجهه يتقد كالنار . ثم دعا بطابق فيها خوخ جبلي في نهاية الحسن ، فاقبل يقطع ويأكل حتى انتهى وسكن قلبه ، وعاد وجهه الى حاله . فقلت له : حدثني بخبرك ؟ فقال : اشتبهت الخوخ شهوة شديدة وخفت ضررها ، فاستعملت اليراق والشراب حتى نقرت الحجر ليجيد الطحن . وقال أبو علي القتيبي عن ابيه ، قال : حدثني محمد بن داود بن الجراح ، قال : كنت ببختيشوع الطبيب صديقاً لأبي . وكان لنا نديم كثير الأكل عظيم الحلق ، فكان كلما رآه قال له : أريد ان تترك لي شربة ، وأبرمه الى ان وصف له دواء فيه شعير الحنظل وسقمونيا ، وقال ببختيشوع لأبي : ملاك الامر كله ان يأكل أكلاً خفيفاً ويضبط نفسه فيما بعد عن التخليط ، فاطعم يوم الحمية في دارنا واقتصر على اسفيداج من ثلاثة أرطال خبز ، فلما استوفى ذلك طلب زيادة عليه فنحن واعتقله أبي عنده الى آخر الاوقات ، ووجه الى امرأته وصيها ان لا تقدم شيئاً يؤكل في داره . ولما علم ان الوقت قد ضاق عليه أطلقه الى منزله . فطلب من امرأته شيئاً يأكله فلم يجد عندها شيئاً . وكانت قد أغلقت برنية فيها فتيت على الرف « فوجدته وأخذ منه أرطالا . ثم أصبح وأخذ الدواء فتعير ، وورد على المدة وهي ملأى فلم يؤثر ، وتعالى النهار ، فقال : قد خرف ببختيشوع . وعمد الى عشرة أرطال لحم شرائح فاكلها مع

«١» رائحة اللحم .

«٢» مشروباً حتى الاحراق .

«٣» الكدر الراسب في اسفله « ن . د » .

عشرة اوطال خبز ، وشرب دورقاً ماءً بارداً . فلما مضت ساعة طلب الدواء طريقاً للخروج من فوق أو من أسفل فلم يجد فانتفضت بطنه وعلا نَفْسُه ، وكاد يتلف . وصاحت امرأته واستغاثت بالي . فدعا بمحمل وحمل فيه الى بختيشوع ، وكان ذلك اليوم حاراً جداً . وكان بختيشوع حين انصرف من داره وهو ضجر . فسأل عن حاله الى ان علم شرح امره . وكان في داره أكثر من مائتي طير من الطيويان^(١) والحصانيات^(٢) والبيضانيات^(٣) وما يجري مجراها . ولها مسقاة كبيرة مملوءة ماء ، وقد حمي في الشمس وخرقت فيه الطيور . فدعا بملح جريش ، وأمر بطرحه في المسقاة كله وتذويبه في الماء ودعا بقمع ، وسقى الرجل كله ، وهو لا يعقل ، وأمر بالتباعد عنه . فأتى من طبيعته فوق وأسفل أمر عظم جداً حتى ضعف . وحفظت قوته بالرائحة الطيبة وبماء الدراج . وأفاق بعد ايام وعجبنا من صلاحه .

وسألنا عنه بختيشوع فقال : فكرت في أمره فرأيت اني ان اتخذت له دواء طال أمره حتى يطبخ ويستقى فيموت الى ذلك الوقت . ونحن نعالج أصحاب القولنج الشديد بذرق الحمام والملح . وكان في المسقاة الماء في الشمس وقد سخن ، واجتمع فيه من ذرق الحمام ما يحتاج اليه ، وكان امرع تناولاً من غيره ، فعالجته به ونجح بحمد الله .

ونقلت من بعض الكتب ان بختيشوع كان يأمر بالحفن ، والقمر متصل بالذنب ، فيحل القولنج من ساعته . ويأمر يشرب الدواء ، والقمر على مناظرة الزهرة^(٤) فصلح العليل من يومه .

ولما توفي بختيشوع خلف عبيد الله ولده ، وخلف معه ثلاث بنات . وكان الوزراء والنظار يصادرونهم ويطلبونهم بالاموال . ففترقوا واختلوا . وكان موته يوم الاحد لثان بقين من صفر سنة ست وخمسين ومائتين .

ومن كلام بختيشوع بن جبرائيل قال :

الشرب على الجوع وديء ، والأكل على الشبع أردأ .

وقال : أكل القليل مما يضر ، أصلح من أكل الكثير مما ينفع .

ولبختيشوع بن جبرائيل من الكتب : كتاب في الحجة على طريق المسئلة والجواب .

جبرائيل بن عبيد الله

جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع ، كان فاضلاً عالماً متقناً لصناعة الطب ، جيداً في اعمالها ، حسن

(١) و (٢) انواع من طيور الماء ، وهي من صفات الطير لا تفارق الماء

(٣) ابن الماء وهو فوج من مالك الحزين شديد البياض له قمة مرغوب فيها .

(٤) كوكب من الكواكب السائرة (ن.ر) .

الدراية لها . وله تصانيف جليلة في صناعة الطب . وكانت اجداده في هذه الصناعة كل منهم أوجد زمانه وعلمه وقته .

ونقلت من كتاب عبيد الله ، ولد هذا المذكور ، في اخباره عن ابيه جبرائيل ما هذا مثاله . قال : ان جدي عبيد الله بن مجتيشوع كان متصرفاً ولما ولي المقتدر ^(١) رحمة الله عليه ، الخلافة استكتبه لحضرته وبقي مدة مديدة ، ثم توفي . وخلفه والذي جبرائيل وأختاً كانت معه صغيرين . وأنفذ المقتدر لية موته ثمانين فراشاً حمل الموجود من رحل وأثاث وآنية . وبعد مواريثه في القبر اختفت زوجته ، وكانت ابنة انسان عامل من أجلاء المال يعرف بالحرسون . فقبض على والدها بسببها وطلب منه ودائع بئس مجتيشوع ، وأخذ منه مالا كثيراً ومات عقيب مصادره ، فخرجت ابنته ومعها ولدها جبرائيل وأخته وما صغيران الى عكبراء ^(٢) مستترين من السلطان . واتفق انهما تزوجتا برجل طبيب وصرفت ولدها الى عم كات له بدقواء ^(٣) وإقامت مدة عند ذلك الرجل وماتت ، وأخذ ما كان معها جميعه ، ودفع ولدها . فدخل جبرائيل الى بغداد وما معه إلا اليسير الزر . وقصد طبيباً كان يعرف بدمرة ، فلأزمه وقرأ عليه ، وكاتب من اطباء المقتدر وخواصه . وقرأ على يوسف الواسطي الطبيب ، ولأزم البيارستان والعلم والدرس . وكان يأوي الى اخواله لا يسكنون بدار الروم ، وكانوا يسيئون عشرتهم عليه ، ويلومونه على تعرضه للعلم والصناعة ، ويعجبون معه ، ويقولون : يريد ان يكون مثل جده مجتيشوع وجبرائيل وما يرضى ان يكون مثل اخواله ، وهو لا يلتفت الى مثل اقوالهم .

واتفق أن جاء رسول من كرمان ^(٤) الى ممز ^(٥) الدولة وحمل له الحمار المحطط ، والرجل الذي كان طوله سبعة اشبار ، والرجل الذي كان طوله شبرين ، واتفق انه نزل في قصر فرخ من الجانب الشرقي قريباً من الدكان الذي كان يجلس عليه والذي جبرائيل ، وصار ذلك الرسول يجلس عنده كثيراً ويحدثه ، ويبسطه . فلما كان في بعض الايام استدعاء وشاوره بالفصد ، فأشار به وفصده ، وترده اليه يومين ، فأنفذه له على رسم الديلم الصينية التي كانت فيها المصائب ، والطلشت والابريق وجميع الآلة . ثم استدعاء وقال له : ادخل الى هؤلاء القوم وانظر ما يصلح لهم ، وكان مع الرسول جارية يدعها قد عرض لها بزف الدم ولا بقي بفارس ولا بكرمان ولا بالعراق طبيب مذكور الا وعالجها ولم ينصح فيها العلاج ، فعند ما رأها رتب لها تدبيراً وعمل لها معجوناً وسقاهما إياه ، فها

(١) الخليفة العباسي الثامن عشر قولي الحسك وعمره ١٣ سنة وظل ايامه انسلخت اقاليم الدولة من الحامية وتأسست دول اخرى وتوفي سنة ٩٣٢

(٢) بلد منها عبدالله الكنجري القوي الكثير .

(٣) ويقال ايضاً دقوق ودقومي وهي بلدي العراق بين بغداد واربيل «ن»

(٤) مدينة في ايران هي قاعدة القلم يعرف باسمها .

(٥) احد افراد بني بويه الاسرة الفارسية التي استولى ابناءؤها على اصفهان وكارون وشيراز وكرمان وبغداد «٩٤٥» واصبح الخليفة على عهدهم العربية في ايتهم .

مضى عليها أربعون يوماً حتى برئت وصلح جسمها ، وفرج الرسول بذلك فرحاً عظيماً . فلما كان بعد مدة ، استدعاه وأعطاه ألف درهم ودراعة سقلاطون وثوباً قوياً ، وعمامة قصب ؛ وقال له : « طالبهم بمحك فأعطته الجارية ألف درهم وقطعتين من كل نوع من الثياب ، وحل على بغله بركب واتبع ذلك بماء زنجي ، فخرج وهو أحسن حالاً من أحد أخواله . فلما رآوه وثبوا له وتلقوه لقباً جليلاً فقال لهم : للثياب تكرمون لا لي . فلما مضى الرسول انتشر ذكره بفارس وبكرمان بما عمل ، وكان ذلك سبب خروجه من شيراز .

فلما دخل رفع خبره إلى عضد^(١١) الدولة ، وكان أول تبوئه ولاية شيراز^(١٢) ، واستدعى به فحضر ، واحضر معه رسالة في عصب العين تكلم فيها بكلام حسن ، فحسن موقعه عنده ، وقرر له جبار وجارية كالباقين ، ثم أنه عرض لكوكين ، زوج خالة عضد الدولة ، وهو والي كورة جورق ، مرض واستدعى طبيباً فأنفذه عضد الدولة ، فلما وصل أكرم موضعه وأجله أجيالاً عظيماً . وكان به وجمع المفاصل والتهرس وضعف الأحشاء ، فركب له جواربين^(١٣) تقاسي وذلك في سنة سبع وخسين وثلاثمائة للهجرة ، فانتفع به منفعة بينة عظيمة فاجزل له عطاه وأكرمه ورده إلى شيراز مكرماً . ثم أن عضد الدولة دخل إلى بغداد وهو معه من خاصته ، وجدد البيارستان وصار يأخذ رزقين وهما : برسم خاص ثلاثمائة درهم شجاعية ؛ وبرسم البيارستان ثلاثمائة درهم شجاعية ؛ سوى الجارية . وكانت نوبته في الأسبوع يومين وليثتين .

واتفق أن صاحب^(١٤) بن عباد ، رحمه الله تعالى ، عرض له مرض صعب في معدته فكتب عضد الدولة يلتمس طبيباً . وكان عمله وقعه وفضه مشهوراً ، فأمر عضد الدولة يجمع الأطباء البغداديين وغيرهم وشاورهم فيمن يصلح أن ينفذ إليه . فلما جمعهم واستشارهم . فأشار جميع الأطباء ، على سبيل الإيثار له من بينهم وحسداً على تقدمه ، ما يصلح أن يلقي مثل هذا الرجل إلا أبو عيسى جبرائيل ، لأنه متكلم جيد الحجة ، عالم باللغة الفارسية . فوقع ذلك بوفاق عضد الدولة ، فاطلق له ما لا يصلح به امره وحل إليه مركوب جميل ويقال للحمل وسيره . فلما وصل الري تلقاه صاحب لقاء جميلاً وأزله في دار مزاحة الملل بفراش وطباخ وخازن ووكيل وبواب وغيره . ولما أقام عنده أسبوعاً استدعاه يوماً وقد أعد عنده أهل العلم من اصناف العلوم . ورتب لمناظرته انساناً ، من أهل الري وقد قرأ طرفاً من الطب . فسأله عن أشياء من امر النبض ، فلم هو ما تعرض في ذلك . فبدأ وشرح أكثر مما تحتمله المسألة . وعلل تعليلات لم يكن في الجماعة من سمع بها . وأورد شكوكاً ملاحاً

«١» السلطان البرقي لقبه الخليفة بعد أن هزم الأتراك ودخل بغداد وظفر بالعراق وجرجان وطبرستان بشامخانة
«٢» مدينة في إيران قاعدة إقليم فارس «ن . د . ر» .
«٣» وهي الجوارش أي القسيمة ، وهي كلسفوف يتخذ الهضم .

«٤» وزير بني بويه واسمه أبو القاسم اسحاق بن الطالقاني ولقب بالصاحب قرني في الري ودفن في اصفهان (٩٣٨ - ٩٩٥) (ن . د) .

وحلها ، فلم يكن في الحضور إلا من أكرمه وعظمه . وخلع عليه الصاحب خلعاً حسنة ، وسأله أن يعمل له كنيشاً يختص بذكر الامراض التي تعرض من الرأس الى القدم ولا يخلط بها غيرها . فعمل كنيشه الصغير وهو مقصور على ذكر الامراض المعارضة من الرأس الى القدم حسباً أمر الصاحب به . وحمله اليه ، فحسن موقعه عنده ووصله بشيء قيمته ألف دينار . وكان دائماً يقول : « صنت مائتي ورقة أخذت عنها ألف دينار » . ورفع خبره الى عضد الدولة فأعجب به وزاد موضعه عنده . فلما عاد من الري دخل الى بغداد بزي جميل وأمر مطاع وغلطان وحشم وخدم ، وصادف من عضد الدولة ما يسره ويختاره .

قال وحدائي من اتى اليه انه دخل الاطباء ليهنئوه بوروده وسلامته . فقال ابو الحسين بن كشكرايا : تليد سنان : يا أبا عيسى ، زرنا وأكلت ، وأردناك تبعد فازددت قرباً ، لأنه كان كما تقدم ذكره . فضحك جبرائيل من قوله وقال له : ليس الامور الينا بل لها مدير وصاحب . وأقام ببغداد مدة ثلاث سنين .

واعتل خسرو شاه بن مبادر ملك الديلم^(١) وآلت حاله الى المراقبة ، ونحس جسمه ، وقوي استسماؤه . وكان عنده اثنا عشر طبيباً من الري وغيرها ، وكلما عالجوه ازداد مرضه . فأنفذ الى الصاحب يلتمس منه طبيباً . فقال : ما أعرف من يصلح لهذا الأمر إلا أبو عيسى جبرائيل . فسأله مكاتبته لما بينها من الانس ، وكاتب عضد الدولة يسأل انفاذه ويمليه ان حاله قد آلت الى أمر لا يحتمل الروية في ذلك . فأنفذه مكرماً . فلما وصل الى الديلمي قال له : ما عاجلك أو ينصرف من حورك من اطباء . فصرف الاطباء مكرمين ، وأقام عنده وسأله أن يعمل في صورة المرض مقالة يقف على حقيقته ، وتدير يختاره ويعول عليه ، فعمل له مقالة ترجها في ألم النماغ بمشاركة فم المعدة والحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات التنفس المسمى ذياً فرغها .

ولما اجتاز بالصاحب سأل عن أفضل استسقاط البدن فقال : هو الدم فسأله أن يعمل له في ذلك كتاباً يبرهن عليه فيه ، فعمل في ذلك مقالة مليحة بين فيها البراهين التي تدل على هذا ، وكانت في هذه المدة مستمراً لعمل كنيشه الكبير .

ولما عاد الى بغداد وكان عضد الدولة قد مات ، فقام ببغداد سنين مشغولاً بالتصنيف فتم كنيشه الكبير وسماه « بالكافي » بلقب الصاحب بن عباد لحيته له ، ووقف منه نسخة على دار العلم ببغداد . وعمل كتاب المطابقة بين قول الانبياء والفلاسفة ، وهو كتاب لم يعمل في الشرع مثله لكثرة احتوائه على الأقاويل ، وذكر المواضع التي استخرجت منها ؛ وأكثر فيه من أسئلة الفلاسفة في كل معنى لفضولها وقلة وجودها ؛ وقلل من الأقاويل الشرعية لظهورها وكثرة وجودها ؛ وفي هذه المدة عمل مقالة في الرد على اليهود جمع فيها أشياء منها جواز النسخ من أقوال الانبياء ؛ ومنها شهادات على صحة

(١) القسم الجبلي من بلاد جيلان شمالي بلاد قزوين اعتنق اهل الاسلام وخدموا في جيش الخلفاء « ٩١٣ » « ن.د. »

بحيى المسيح وانه قد كان ، وابطل انتظارهم له ؛ ومنها صحة القربان بالحبز والخمر وعمل مقالات آخر كثيرة صفاراً منها ، لم يجل من الخمر قربان وأصله محرم ؟ وأبان علل التحليل والتحرير .

وعرض له ان سافر الى بيت المقدس ، وصام به يوماً واحداً وعاد منه الى دمشق واتصل خبره بالعزيز ، رحمه الله ، وكتب من الحضرة بكتاب جميل ، فاحتج ان له ببغداد أشياء يمضي وينجزها ويعود الى الحضرة قاصداً ليفوز بحق القصد فحين عاد الى بغداد أقام بها وعدل عن المضي الى مصر .

ثم ان ملك الديلم أنفذ خلفه واستدعاه ، فعند حصوله بالري وقف بها نسخة من كتابه الكبير . قال: ويلني ان البهارستان يعمل بها وانه يعرف به بين اطبايهم اذا ذكر ابو عيسى صاحب الكتاب . واقام عند ملك الديلم مدة ثلاث سنين ، وخرج من عنده على سبيل الغضب ، وكانت قد حلف له بالطلاق انه متى اختار الانصراف لا يئتمه فلم يمكنه رده .

وجاء الى بغداد وأقام بها مدة . ثم انه استدعي الى الموصل الى حسام الدولة فعالجه من مرض كان به . وجرى له معه شيء استعظمه ، وكان ابداً يميده عنه . وذلك انه كانت له امرأة علية برهن ساد ، فأشار بحفظ القارورة ، واتفق انه عند حسام الدولة وقال له : هذه المرأة توت ، فأتبع لذلك ، ونظرت الجارية الى ازعاجه وصرخت وغرقت ثيابها وولت فاستدعاهما في الحال وقال لها : جرى في أمر هذه المرأة شيء لا أعلمه ؟ فحلفت أنها لم تجاوز التدبير . فقال : لعلكم غضبتوهما بالخناء ، قالت : قد كان ذلك . فحرد وقال للجارية أقوالاً ، ثم قال لحسام الدولة أبشر بعد ثلاثة أيام تبرا ، فكان كما قال فعظم هذا عنده وكان ابداً يميده ويتعجب منه .

ولما عاد الى بغداد كان المميد لا يفارقه ويلزمه ويباينه في دار الوزارة لاجل المره التي كان به ، وحظي لديه .

ثم ان الامير محمد الدولة أنفذ اليه ولأطفه حتى أصعد الى ميفارقين ، فلما وصل اليه أكرمه الاكرام المشهور عند كل من كان يراه . ومن لطيف ما جرى له معه انه اول سنة ورد فيها سقى الامير دواء مسكاً وقال له : يجب ان تأخذ الدواء مسكراً ، فعمد الامير وأخذه اول الليل ، فلما أصبح ركب الى داره ، ووصل اليه ، واخذ نبضه ، وسأله عن الدواء ، فقال له : ما عمل معي شيئاً امتحاناً له ، فقال جبرائيل : النبض يدل على نفاذ دواء الامير وهو اصدق . فضحك ، ثم قال له : كم ظنك بالدواء ؟ فقال : يعمل مع الامير خمسة وعشرين مجلساً ، ومع غيره زائداً ونقصاً . فقال له : عمل معي الى الآن ثلاثة وعشرين مجلساً ، فقال : وهو يعمل تمام ما قلت لك . ورتب ما يستعمله وخرج من عنده مغضباً وأمر ان يشد رحله ، ويصلح اسباب الانصراف . فبلغ محمد الدولة ذلك ، وانفذ اليه يستعلم خبر انصرافه . فقال : مثلي لا يحرب ، لانني اشهر من ان احتاج الى تجربة . فأرضاه وحل اليه بقعة ودرهم لما قدر .

وفي هذه المدة كاتبه ملك الديلم يكتب جمة يسأله فيها الزيارة ، وكتب محمد الدولة يسأله في ذلك . فمضى من المضي واقام في الخمسة ثلاث سنين ، وتوفي يوم الجمعة الثامن شهر رجب من شهر سنة

ست وتسعين وثلاثمائة للهجرة ، وكان عمره خمسا وثمانين سنة ، ودفن بالمصلى بظاهر ميفارقين .

ولجبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع من الكتب : كتابه الكبير ، الملقب بالكافي ، خمس مجلدات ألفه للصاحب بن عباد ، رسالة في عصب العين ، مقالة في ألم الصماغ بمشاركة فم المصدة والحجاب الفاسل بين آلات الغذاء وآلات التنفس المسمى فياقرضا ، ألفها لخروشا بن مبادر ملك الديلم . مقالة في ان افضل استنقعات البدن هو السم ، ألفها للصاحب بن عباد ، كتاب المطابقة بين قول الانبياء والفلاسفة ، مقالة في الرد على اليهود ، مقالة في انه لم جعل من الخمر قربان واصله محرم .

عبيد الله بن جبرائيل

هو أبو سعيد عبيد الله بن جبرائيل بن عبد الله بن بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع بن جورجس ابن جبرائيل . كان فاضلا في صناعة الطب ، مشهورا بجمود الاعمال فيها ، متقنا لاصولها وفروعها ، من جملة التمييز بين اهلها والعريقين من اربابها ، وكان جيد المعرفة بعلم النصارى ومذاهبهم ، وله عناية بالغة بصناعة الطب ، وله تصانيف كثيرة فيها . وإقام ميفارقين ، وكان معاصر ابن بطلان ويحتمس به ويأس اليه وبينها صحبة .

وتوفي عبيد الله بن جبرائيل في شهر سنة نيف وخمسين وأربعمائة .

ولعبيد الله بن جبرائيل من الكتب : مقالة في الاختلاف بين الالبيان ، ألفها لبعض اصدقائه في سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، كتاب مناقب الاطباء ، ذكر فيه شيئا من احوالهم ومآثرهم ، وكان تأليفه لذلك في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ، كتاب الروضة الطبية كتب به الى الاستاذ ابي الحسن محمد بن علي ، كتاب التواصل الى حفظ التناسل ، ألفه في سنة احدى وأربعين وأربعمائة ، رسالة الى الاستاذ ابي طاهر بن عبد الباقي المعروف بابن قطرمين جوابا عن مسألته في الطهارة ووجوبها . رسالة في بيان وجوب حركة النفس . كتاب نواذر المسائل مقتضبة من علم الاوائل في الطب . كتاب تذكره الحاضر وزاد المصائر ، كتاب الحفاص في علم الحفاص ، كتاب طبائع الحيوان وخواصها ومنافع اعضائها ألفه للامير نصير الدولة .

خصيب

كان نصرانياً من أهل البصرة ومقامه بها ، وكان فاضلا في صناعة الطب جيد المعالجة .

حدث محمد بن سلام الجمحي قال : مرض الحكيم بن محمد بن قنبر المازني الشاعر بالبصرة فأتوه بخصيب الطبيب يملج فقال فيه :

ولقد قلت لاهلي إذ أتوني بخصيب

ليس والله خصب
الذي بي بطيب
من به مثل الذي في
(الرمل)

وحدث أيضاً محمد بن سلام قال : كان خصب الطيب نصرانياً نبيلاً ، فسقى محمد بن أبي العباس السفاح شربة دواء وهو على البصرة فمرض منها ، وحل الى بغداد فمات بها ، وذلك في أول سنة خمسين ومائة . فاتهم خصب فحبس حتى مات . فنظر في علة الى مائه وكان عالماً ، فقال : قال جالينوس : ان صاحب هذه العلة اذا صار هكذا ماؤه لا يمشي ، فقل له ان جالينوس ربما أخطأ فقال : ما كنت الى خطئه قط أحوج مني اليه في هذا الوقت ، ومات من علة !

عيسى المعروف بابي قريش

قال اسحق بن علي الرهاوي في كتاب أدب الطبيب عن عيسى ابن ماسة قال : اخبرني يوحنا بن ماسويه أن أب قريش كان صيدلانياً يجلس على موضع نحو باب قصر الخليفة ، وكان ديناً صالحاً في نفسه ، وان الخيزران^(١) جارية المهدي^(٢) وجهت بمائها مع جارية لها الى الطبيب ، فخرجت الجارية من القصر فأرت أب قريش الماء فقال لها : هذا ماء امرأة حبلى بفلام ، فرجعت الجارية بالبشارة ، فقالت لها : ارجعي اليه واستقصي المسألة عليه . فرجعت فقالت لها : ما قلت لك حق ، ولكن لي عليك البشري . فقالت : كم تريد البشري ؟ قال : جامعة فالونج^(٣) وخلمة سنية فقالت لها : ان كان هذا حقاً فقد سقت الى نفسك خير الدنيا ونعيمها . وانصرفت . فلما كان بعد أربعين يوماً أحسبت الخيزران بالحمل فوجعت ببدرة دراهم وكنتت الحبر عن المهدي . فلما مضت الايام ولدت موسى اخا هرون الرشيد . فمئذ ذلك اعلمت المهدي وقالت له : ان طبيباً على الباب أخبر بهذا منذ تسعة اشهر . وبلغ الحبر جورجس بن جبرائيل فقال : كذب وبخرقة . ففضبت له الخيزران وأمرت فالتخذ بين يديها مائة خوان فالونج ، ووجهت بذلك اليه مع مائة ثوب ، وقرس بسرجه ولجامه .

وما مضى بعد ذلك الا قليل حتى حبلى بأخيه هرون الرشيد . فقال جورجس للمهدي جرب أنت هذا الطبيب ! فوجه اليه بالماء فلما نظر اليه قال : هذا ماء ابنتي أم موسى وهي حبلى بفلام آخر . فرجعت الرسالة بذلك الى المهدي وأثبت اليوم عنده ، فلما مضت الايام ولدت هرون ، فوجه المهدي الى أبي قريش فاحضره وأقم بين يديه ، فلم يزل يطرح عليه الخلع ويدبر الدنانير والدرهم

«١» هكذا ورد في - طبعة سابقة - واطن انها على الاصح داني .

«٢» جارية اشترها المهدي واعتها ثم تزوجها وارادها موسى المهدي وهارون الرشيد .

«٣» ابن المنصور ، وهو ثالث الخلفاء للباسيين . وفي اسمه ظهرت الدعوة للاسميين في الاندلس .

«٤» مررب بقرؤه وهكذا تعرف اليوم وهي حلواء تمل من لباب الحنطة - ذر - .

حتى علت رأسه ، وسير هرون وموسى ^(١) في حجره ، وكناه أبا قريش أي أبا العرب . وقال لجورجس : هذا شيء أنا بنفسى جريته . فصار أبو قريش نظير جرجس بن جبرائيل بل اكبر منه ، حتى تقدمه في المرتبة . وقوفي المهدي واستخلف هرون الرشيد ، وقوفي جرجس وسار ابنه تبع أي قريش في خدمة الرشيد ، ومات أبو قريش وخلف اثنين وعشرين ألف دينار مع نعمة سنية .

وقال يوسف بن ابراهيم : حدثني العباس بن علي بن المهدي : أن الرشيد اتخذ مسجداً جامعاً في بستان موسى الهادي ، وأمر اخوته وأهل بيته بحضوره في كل يوم جمعة ليتولى الصلاة بهم فيه . قال فحضر والذي علي بن المهدي ذلك المسجد في يوم حار ، وصلى فيه وانصرف الى داره بسوق يحمي . فكسبه حر ذلك اليوم صداعاً كاد يذهب ببصره . فأحضر له جميع متطبيي مدينة السلام ، وكان آخر من احضر منهم عيسى أبو قريش ، فوافقهم قد اجتمعوا للمناظرة . فقال : ليس يتلق للجماعة رأي حتى يذهب بصر هذا . ثم دعا بدهن بنفسج وماء ورد وخل خر وثلج ، فجعل في مضربة من ذلك الدهن بقدر وزن دوهين ، وصب عليه شيئاً من الخل وشيئاً من الماء ، وقت فيه شيئاً من الثلج وحرك المضربة حتى اختلط جميع ما فيها ، ثم أمر بتصير راحه منه وسط رأسه والصبر عليه حتى يشفى الرأس ، ثم زيادة راحة أخرى . فلم يزل يفعل ذلك ثلاث مرات أو أربع حتى سكن عنه الصداع وعوفي من العلة .

قال يوسف : وحدثني شكلة ام ابراهيم ابن المهدي أن المهدي هتف بها وهي معه في مضربه بالريذة ^(٢) من طريق مكة بلسان متغير أنكرته فصارت اليه وهو مستلق على القفا ، قامرها بالجلاوس . فلما جلست وثب فماتها معاقبة الانسان أن يسلم عليه ، ثم عبرها الى صدره وزال عنه عقله . فوجد جميع من حضرها بأن يخلص يديه من عنقها لما وصلوا الى ذلك . وحضر المتطبيون فاجمعوا على أن الذي به فالج . فقال عيسى أبو قريش : المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن العباس يضره فالج ؟ لا والله لا يضرب أحداً من هؤلاء ولا نسلهم فالج أبداً إلا ان يندروا بذورهم في الروميات والصقليات وما اشبهن فيعرض الفالج لمن ولده الروميات وأشباهن من نسلهم . ثم دعا بالحجام فحجمه ، فوافقه ما ان خرج من دمه الا عجة واحدة حتى رد اليه يديه . ثم تكلم مع المسحجة الثانية ، ثم ثاب اليه عقله قبل فراغ الحجام من حجامته . ثم طعم بعد ذلك ودعا بأسماء بنت المهدي فواقها فاحبلها بأسماء .

قال يوسف : ولما اشتدت بإبراهيم بن المهدي طلته التي توفي فيها ، استأرض لحيه ، وظلظ لسانه في فيه فصعب عليه الكلام . وكان اذا تكلم توهم ساممه مفاجئاً . فدعاني وقت صلاة العصر من يوم الثلاثاء لست خلون من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائتين فقال لي : « اما تعجب من عرش هذه

(١) الخليفة العباسي الرابع قتل بعد توليه الخلافة بسنة بسعاية الخيزران ام الرشيد لأنه ولي اخيه جعفر على الرشيد . وفي عهده غزا العرب اسيا الصغرى .

(٢) قرية قرب المدينة فيها قبر أبي ذر الطماري (ن. د.)

العمة التي لم تعرض لأحد من ولد أبي غير اسماعيل بن موسى أمير المؤمنين ومحمد بن صالح المسكين .
وانما عرضت لحمد لأن أمه كانت رومية ، وأم أبيه كانت كذلك . وكانت ام اسماعيل رومية . وأنا
فلم تلدني رومية ، فما العمة عندك في عرض هذه العمة لي ؟ فقلت انه كان حفظ عن أمه قول عيسى أبي
قريش في المهدي وولده انه لا يعرف لقبه الفالاح الا ان يبدروا يبدروهم في الروميات ، وانه قد أمل
ان يكون الذي به فالج لا عارض الموت . فقلت : « لا أعرف لانكارك هذه العمة معنى » اذ كانت
أمك التي قامت عنك دنياونديّة ودنياوند^(١) أشد برداً من كل أرض الروم ، فكانه تفرج الى قولي
وصدقني وأظهر السرور بما سمع مني . ثم توفي في وقت طلوع الفجر من يوم الجمعة لتسع خاوت من
شهر رمضان .

قال يوسف : وحدثني ابراهيم بن المهدي أن لحم عيسى بن جعفر بن المنصور كثر عليه حتى كاد
أن يأتي على نفسه . وان الرشيد اغتم لذلك هما شديداً أضر به في بدنه ومنعه لذة الطعام والمشرّب ،
وأمر جميع المتطبّين بمعالجته . فكلهم دفع ان يكون عنده في ذلك حيلة . فزادوا الرشيد غماً الى ما
كان عليه منه . وان عيسى المعروف بأبي قريش صار الى الرشيد سراً فقال « له : يا أمير المؤمنين ،
ان اخاك عيسى بن جعفر رزق مودة صحيحة وبدناً قابلاً للفناء احسن قبول ، وجميع الامور جارية
له بما يحب ، فليس يتمنى شيئاً الا تم له على اكثر مما يحبه . وقد وفي موت احبته ، ودخول النقص في
ماله ، والظلم من ناحية سلطانه ، والاستقصاء عليه . والابدان متى لم تحتلظ على اصحابها طبائهم
واحوالهم فتناهم الملل في بعض الاوقات ، والصحة في بعضها والقصور في بعضها ، والسرور في بعضها
ورؤية المكاره في بعضها والحجاب في بعضها ، وتدخلها الروعة احياناً ، والفرح احياناً ، لم يؤمن على
صاحبها التلف . لان لحم يزداد حتى تضعف عن حمله العظام ، وحتى يفرغ فمبل التمس ، وتبطل
قوى الدماغ والكبد . ومتى كان هذا عدمت الحياة ، وأخوك هذا ان لم تظهر موجودة عليه او تغير
له او تقصده بما ينكي قلبه من حيازة مال او أخذ عزيز عليه مسن حرمة ، لم آمن عليه ترايد هذا
الشعم حتى ينأتي على نفسه . فان احببت حياته فافعل ذلك به والا فلا اخ لك . »

فقال الرشيد : انا اعلم أن الذي ذكرت على ما قلت . غير انه لا حيلة عندي في التنفير له او غمه
بشيء من الاشياء ، فان تكن عندك حيلة في امره فاحتل بها . فاني اكفئك عنه متى رايت لحمه قد
انحط بعشرة آلاف دينار ، وأخذ لك منه مثلاً . فقال عيسى : عندي حيلة إلا اني اتخوف ان
يعمل على عيسى بالقتل فتتلف نفسي . فليوجه معي امير المؤمنين خادماً جليلاً من خدمه ، ومعه
جماعة يمنونه مني ان امر يقتلي . ففعل ذلك به وسار اليه ، فحبسه واعله انه يضطر الى بحسة عرقه
ثلاثة ايام قبل ان يذكر له شيئاً من العلاج . فأمره عيسى بالانصراف والعود اليه . ففعل ذلك وعاد
في اليوم الثاني والثالث . فلما فرغ من بحسة عرقه قال له : « ان الوصية مباركة ، وهي غير مقدمة

(١) جبل شافع في ناحية كرومان وكذلك في ناحية الري الذي غرب اليه ابا الحسنكة لمكانه التبراج - وهو اخذ كالسحر
وليس به - .

ولا مؤخرة ، واذا ارى للامير ان يمهّد فان لم يحدث حادث قبل اربعين يوماً عاجلته في ذلك بعلاج لا يمضي به إلا ثلاثة ايام حتى يخرج من علته هذه ، ويعود بدنه الى احسن مما كان عليه . و نهض من مجلسه وقد اسكن قلب عيسى من الخوف ما امتنع له من اكل الفداء ، ومنعه من النوم فلم يبلغ اربعين يوماً حتى انحط من منطقتة خمس بشنجات ، واستقر عيسى ابو قريش في تلك الايام عن الرشيد خوفاً من اعلام الرشيد عيسى بن جعفر تدبير عيسى المتطبيب لاسكان الغم قلبه ، فيفسد عليه تدبيره . فلما كان ليلة يوم الاربعين سار الى الرشيد وأعلمه انه لا يشك في نقصان بدن عيسى ، وسأله احضاره مجلسه او الركوب اليه ، فركب اليه الرشيد ، فدخل عليه ومعه عيسى ، فقال له عيسى : « اطلق لي يا امير المؤمنين قتل هذا الكافر فقد قتلني » . واحضر منطقتة فشدّها في وسطه وقال : يا امير المؤمنين نقص هذا العدو ، والله ، من بدني بما ادخل علي من الروح خمس بشنجات ، فسجد الرشيد شكراً لله ، وقال له : يا اخي مَنَعْتَ^(١) بك بابي عيسى - وكان الرشيد كثيراً ما يقول له بابي عيسى - ردت اليك بعد الله الحياة ، ونعم الحياة احتال لك ، وقد امرت له بشرة آلاف دينار فأرسل اليه مثلاً . ففعل ذلك له وانصرف المتطبيب الى منزله بالمال ، ولم يرجع الى عيسى بن جعفر ذلك الشحم الى ان فارق الدنيا .

قال يوسف : وسدثني ابراهيم بن المهدي انه اعتل بالرقّة مع الرشيد علة صعبة ، فامر الرشيد بحمله الى والدته بمدينة السلام ، فكان بختيشوع جد بختيشوع الذي كان دهرنا هذا لا يزايله ويتولى علاجه . ثم قدم الرشيد مدينة السلام ومعه عيسى ابو قريش ، فذكر أن ابا قريش اناه عانداً ، فرأى العلة قد أذهبت له واذا بهت شحمة واسارته الى اليأس من نفسه ، وكان اعظم ما عليه في علة شدة الحمة . قال ابو اسحق ، فقال لي عيسى وحق المهدي لاعالملك غداً علاجاً يكون به برك قبل خروجه من عندك . ثم دعا القهرمان بعد خروجه فقال له لا تدع بمدينة السلام أمن من ثلاثة فراريج كسكرية تلججها الساعة ، وتعلقها في ريشها حتى آمرك فيها بأمرى غداة غد . ثم بكر إلى ومعه ثلاث بطيخات رمشية قد بردها في الثلج ليلته كلها فلما دخل علي دعا بسكين فقطع لي من احداهن قطعة ثم قال لي : كل هذه القطعة ، فاعلته أن بختيشوع كان يحميني من راحة البطيخ ، فقال لي : لذلك طالعت علتك ، فكل فانه لا بأس عليك . فأكلت القطعة التذاذاً مني لها ثم امرني بالاكل ، فلم أزل أكل حتى استوفيت بطيختين . ثم انتهت نفسي فقطع من الثالثة قطعة وقال : جميع ما أكلت للثة فكل هذه القطعة للعلاج . فاكلتها بتركه . ثم قطع قطعة اخرى وأوما الى الغلات باحضار الطشت وقال لي : كل هذه القطعة أيضاً . لما أكلت لثتها حتى جاشت نفسي وفزعني القيء فتعبت أربعة أضعاف ما أكلت من البطيخ ، وكل ذلك مرة صفراء . ثم اغمي علي بعد ذلك القيء وغلب علي العرق والنوم الى بعد صلاة الظهر ، فأنهت بها وما اعتل جوعاً ، وقد كانت شهوة الطعام بمنتهى مني ، فنفعت بشيء آكله ، فاحضرني الفراريج الثلاثة ، وقد طبخ لي منها

(١) منع بفلان كذب .

مكياج وأجادها طهاتها فأكلت منها حتى تفضلعت ، ونمت بعد أكلها إلى آخر أوقات العصر - ثم قامت وما أبعد من الملة قليلا ولا كثيرا ، واتصل بي البرء فما عادت إلى تلك الملة منذ ذلك اليوم .

الجلجلاج

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني اسمعيل بن ابي سهل بن نوبخت ^(١) ان أباه أبا سهل ، حدثه : أن المنصور لما حج حجة التي توفي فيها ، رافق ابن الجلجلاج متطيب المنصور ، فكأنما متى ثم المنصور تنادى إلى أن سأله ابن الجلجلاج ، ^(٢) وقد عمل فيه التبيذ ، أبا سهل عما بقي من عمر المنصور . قال اسمعيل : فاعظم ذلك والذي وقطع التبيذ وجعل على نفسه أن لا ينادمه ، وهجره ثلاثة أيام ، ثم اصطلحا بعد ذلك ، فلما جلسا على نبيذهما ، قال ابن الجلجلاج لابي سهل : « سألتك عن عليك ببعض الأمور فبخلت به وهجرتي ، ولست أبخل عليك بملي فاسمعه » ثم قال : « ان المنصور رجل محرور تزود يبوسة يذنه كلما أسن ، وقد حلق رأسه بالحيرة ، وجعل مكان الشعر الذي حلقه غالية ^(٣) وهو في هذا الحجاز يداوم الغالية ، وما يقبل قولي في تركها ، ولا أحسبه يبلغ إلى قيد ^(٤) حتى يحدث في دماغه من اليليس ما لا يكون عندي ولا عند أحد من المتطيبين حيلة في تطيبه . فليس يبلغ قيد ، إن بلغها ، إلا مريضاً ؛ ولا يبلغ مكة ، إن بلغها ، وبه حياء . قال اسمعيل ، قال لي والذي : فوالله ما بلغ المنصور قيد إلا وهو عليل ؛ وما وافى مكة إلا وهو ميت ، فدفن ببئر ميمون ^(٥) .

قال يوسف : فحدثني ابراهيم بن المهدي بهذا الحديث فاستحسنه ، وسألني عن اسم أبي سهل بن نوبخت فاعلمته بأنني لا أعرفه . فقال ابن الخبر في اسمه أطرف من حديثك الذي حدثتني عن ابنه ، فاحفظ عني . ثم قال لي : حدثني أبو سهل بن نوبخت ، أنه لما ضعف عن خدمة المنصور أمره المنصور بإحضار ولده ليقوم مقامه ، قال أبو سهل : فادخلت على المنصور فلما مثلت بين يديه قال لي : تسم لأمير المؤمنين ؟ فقلت : خرخشا ذماه طيأذاه ما فریاد خسرو بهمشاد . فقال لي : كل ما ذكرت اسمك ؟ قلت : نعم ، فتبسم ثم قال لي : ما صنع أبوك شيئاً ؟ فاستخر مني خة من خلتين ، قلت : وما هما ؟ قال : أما أن أقصر بك من كل ما ذكرت على طيأذ ، وأما أن أجعل لك كنية تقوم مقام الاسم وهي أبو سهل قال أبو سهل : قد رضيت بالكنية . فثبتت كنيته ويطلق اسمه . فحدثني بهذا الحديث اسمعيل بن ابي سهل فقال : صدق أبو اسحق ، كذا حدثني والذي .

-
- (١) بنو نوبخت عائلة اشتهرت في بغداد بنوهم ومطالبتها بمقوق اهل الشيعة .
(٢) الخليفة العباسي الثاني دني عهده تأسست بغداد فصارت عاصمة العباسيين توفي سنة ٢٢٥ هـ .
(٣) اختلاط من الطيب .
(٤) موضع بالبادية أو قلعة أو بلدة في طرف مكة في منتصف الطريق من الكوفة (ن) .
(٥) بئر بككة .

عبدالله الطيفوري

كان حسن العقل ، طيب الحديث على لكتة سوادية كانت في لسانه شديدة لان مولده كان في بعض قرى كسكر كان من احطى خلق الله عند الهادي .

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني الطيفوري انه كان متطببا لطيفور الذي كان يقول انه اخو الخيزران والناس يقولون أو أكثرهم انه مولى الخيزران ولما وجه المتصور المهدي الى الري لمحاربة سنقار ، حمل المهدي الخيزران ، وهي حامل بموسى ، وخرج طيفور معها وأخرجني معه ، ولم تكن الخيزران علمت بما رزقت من الحمل . وكان عيسى المعروف بابي قريش صيدلانيا في العسكر ، فلما تبينت الخيزران ارتفاع الملة بعثت بانثا مع عجوز من معها وقالت لها : « أعرضي هذا الماء على جميع المتطبيين الذين في عسكر المهدي » وجميع من ينظر في ذلك . ففعلت العجوز ، وكنا في ذلك الوقت بهمدان (١) . واجتازت في منصرفها بحيمة عيسى قرأت جماعة من غلمان اهل العسكر وقوقا يمرضون عليه قوارير الماء فكرهت ان تجوزه قبل ان ينظر الى الماء ، فقال لها « عند نظره الى الماء : « هذا ماء امرأه » وهي حامل بغلام » فادت (٢) العجوز عنه ما قال الى الخيزران . فسجدت شكراً لله وأطلقت عدة بمالك ، وسارت الى المهدي فأخبرته بما قالت العجوز فأعلمه ان الأمر على ما ذكرت . فوصله ووصلته الخيزران بال جليل ، وأمره بلزوم الخدمة وترك خيمته وما كان فيها من متاع الصيادلة .

قال الطيفوري : فاراد طيفور ان ينفعني فارسل الى الخيزران إن متطبي ماهر بصناعة الطب فابشني اليه بالماء حتى يراه . ففعلت ذلك في اليوم الثاني ، فقال : لي قل مثل قول عيسى فاعلمته أن الماء يدل على انها حامل ، فاما تميز الغلام من الجارية فذلك ما لا أقوله . فجهد بي كل الجهد أن اجيبه الى ذلك فلم افعل صيانة لنفسى عن الاكساب بالخرقة . فادى قولي اليها فامرت لي بألف درهم واحد وأمرت بملازمتها . فلما وافت الري ولنت بها الهادي . وصح عند المهدي أن اباً قريش عتبن (٣) بعد ان امتحن بكل عنة ، فسر بذلك واحطاه وتقدم عنده على جميع الحصيان . وكان ذلك من اسباب الصنع لي . فضممت الى امير المؤمنين موسى ودعيت متطبي وهو رضيع وقطيم .

ثم ولدت هرون الرشيد بالري ايضاً فكان مولده كان شوما على الهادي لان الخطوة كلها او اكثرها صارت له ذونه . فأضر بي ذلك في جامي ، وما كنت فيه من كثرة السهل ، الى ان ترعرع موسى ففهم الامر . فكان ذلك بما زاد في جامي وجعل رأيه في . فكانت يثليني من افضاله أكثر مما كانت الخيزران تلبثني ، وفتح الله على المهدي وقتل سنقار وطراحتة شهرار أباً مهرويه : وخلق ، ويستغفر

(١) مدينة في ايران جنوباً بقرب منها قبر ابن سينا .

(٢) امرعت .

(٣) مصاب بالسنه وهي عدم القدرة على مقارفة النساء (ن.د) .

أبا الحرث بن بسختز ، والربيعين وسبى ذرارهم ، فكان من ذلك السي مهرويه وخلد وقرابتها شاهك
وكانت على مائدة شهريار وهي أم السندي ابن شاهك^(١) ، وكان منهم الحرث بن بسختز ، وجميع
هؤلاء الموالي الرازيين .

ثم أدرك الهادي وأفضت الخلافة الى المهدي فاقبل في الامر وعظم قدره لاني صرت متطبب
ولي المهدي . ثم ملك الهادي أمة العزيز ، فكانت اعز عليه من جليلة ما بين علييه ، وهي أم جعفر
وعبدالله واسمعييل واسحق وعيسى المعروف بالجرجاني وموسى الأعمى ، ولم عيسى زوج المأمون
وأم محمد وعبيدالله ابتنيه . فبناني موسى الهادي جميع ولدنا ، وأعلم أمة العزيز أنه ينكرني بي ، فقلت
منها اكثر من أملي بما كان من الهادي.

ثم دبر الهادي البيعة لابنه جعفر ابن موسى ، فدعاني قبل البيعة بيوم فخلع علي وحلني على دابة
من صواب رحله بسرجه ولجامه ، وأمر لي بمائة الف حلت الى منزلي ، وقال : لا تبرح الدار باقي
يومك وليلتك واكثر نهار غداك حتى ابيع لابنك جعفر ، فتصرف الى منزلك وأنت انبل الناس
لانك توليت قرية ابن خليفة صار ولي المهدي ، ووكي ولي العهد الخلافة فريت ابنه الى ان صار ولي
عهده وبلغ أمة العزيز الخبر ، ففعلت بي مثل الذي فعل الهادي من الصلة وحملت الى منزلي ثياب
صالح ، ولم تحلني على دابة واقمت في الدار بمساواة الى أن طلعت الشمس من غد اليوم الذي
نلت فيه ما نلت .

ثم جلس الهادي وقد أحضر جميع بني هاشم فاخذت عليهم البيعة لجعفر ، وأحلفوا عليها وعلى
خلع الرشيد . ثم آل زائدة فكانت يزيد بن مزيد أول من خلع الرشيد وبيع جعفر بعده ، ثم
شراحيل بن ممن بن زائدة وأهل بيته ، ثم سميد بن سلم بن قتيبة بن مسلم ، ثم آل مالك . وكانت
أول من بايع منهم عبدالله ، ثم الصحابة وسائر مشايخ العرب ، ثم القواد ، فما انتصف النهار الا
وقد بايع اكثر القواد ، وكان في القواد هرقة بن أعين ولقب المشؤوم ، وكان التصور قد قوّه على
خمسة ولم يكن له حركة بعد أن قود فتوفي اكثر أصحابه ، ولم يثبت له مكان من توفي منهم فاحضروه
وأمروه بالبيعة . فقال له : يا امير المؤمنين ، لمن ابيع ؟ فقال له لجعفر بن امير المؤمنين . قال : ان
يعني مشغولة ببيعة امير المؤمنين وشعالي مشغولة ببيعة هرون فابيع بماذا ؟ فقال له : تخلع هارون
وتبايع جعفرأ . فقال : « يا امير المؤمنين ، أنا رجل ادين بتصيعتك ونصيحة الائمة منك اهل البيت
وبالله لو تخوفت ان تحرقني على صديقي اياك بالنار لما حيزني ذلك عن صنعك . ان البيعة ، يا امير
المؤمنين ، انما هي ايمان وقد خلعت هارون بمنزل ما تستخلفني به لجعفر . وان خلعت اليوم هارون
خلعت جعفر في غد ، وكذلك جميع من خلف هرون على هذا فقد ر به . قال : فاستشاط موسى من
قوله وأمر بوجه^(٢) عنقه . وتسمرت جماعة من المساوي والقواد نحوه بالجرة^(٣) والعهد ، فنهام

(١) صاحب الحسب على أيام المهدي .

(٢) ضربه بالسكين وقطعه .

(٣) الأعمدة من حديد .

الهادي عنه .

ثم عاوده الامر بالبيعة فقال : يا امير المؤمنين قولي هذا قولي الاول . فزبره ^(١) الهادي وقال له : اخرج الى لعنة الله ، لا بيعت ولا بايع اصحابك الف سنة . ثم امر بإخراجه من الدار بمساياذا واسقاط قيادته ، وقال : أطلقوه لينفذ حيث أحب ، لأصحابه الله ولا كلاًه . ثم وجم مقدار نصف ساعة لا يأمر ولا ينهى ، ثم رفع رأسه ، وقال لبيدون خادمه : الحق الفاجر . فقال له : الحق فأصنع به ماذا ؟ فقال : رده على امير المؤمنين . قال ، فقلعه يندون فيا بين باب خرابسان وباب بردان بالقرب من الموضع المعروف بباب الثقب وهو يريد منزله على نهر المهدي فرده . فلما دخل قال له : يا حائك تبائع أهل بيت امير المؤمنين فيهم عم جده وعم أبيه وعمومته واشوته وسائر لمحته ، وتبايع وجوه العرب والوالي والفقاد ، وتمسك أنت عن البيعة ؟ فقال هرمة : يا امير المؤمنين وما حاجتك الى بيعة الحائك بعد بيعة من ذكرت من اشراف الناس ؟ ألا ان الامر على ما حكيت لك ، انه لا يتخلع اليوم احد هرون ويبقى في غد لجعفر .

قال الطيفوري : فالتفت الهادي الى من حضر مجلسه فقال لهم : شأته الوجوه ، صدق والله هرمة وبر ، وغدرتم . وأمر الهادي جند هذا الكلام لهرمة بخصمين الف درهم ، وأقطع الموضع الذي لحقه فيه يندون ، فسمي ذلك الموضع عسكر هرمة الى هذه الغاية . وانصرف الناس كلهم ، في أمر عظيم من أمر ذي قدر ، قد غم ما لقيه به الخليفة . وما يتوقعه من البلاء إن حدث بدني . حدثت ، لمسارعتهم الى خلع الرشيد ، ومن بطانته لجعفر قد كلوا أملوا خلافة صاحبهم ، والغنى بما قد قلد منها ، فصاروا يتخوفون على نفس صاحبهم التلف . وعلى أنفسهم ان سلوا من القتل والبلاء والفقر .

ودخل موسى الهادي على أمة العزيز فقالت له : يا امير المؤمنين ما أحسب احداً عاين ولا سمع بمثل ما عاينا وسمنا ، فانا اصبحنا في غاية الأمل لهذا الفتى ، وأمسينا على غاية الخوف عليه . فقال : « ان الأمر لمي ما ذكرت وأزبدك واحدة » . قالت : « وما هي يا امير المؤمنين » ؟ قال : « أمرت برد هرمة لأضرب عنقه . فلما مثل بين يدي حبل بيني وبينه واضطرت الى ان وصلته واقطعته ، وأنا على زيادة ورفع مرتبته والتنويه باسمه » ، فبكيت أمة العزيز ، فقال لها : « ارجو ان يسرك الله » . فتوهمت وتوهم جميع من يطيف بها انه على اختيار الرشيد باسم ، فلم يميل ولم تمض به ليال قلائل حتى توفي الهادي وولي الخلافة هرون الرشيد ، فوالله لقد أحسن غاية الاحسان في أمر جعفر وزاده نعماً الى نعمه وزوجه أم محمد ابنته .

قال يوسف بن ابراهيم ، وحدثني أبو مسلم عن حميد الطائي المعروف بالطوسي — ولم يكن حميد طوسياً ، وكانت كورته في النيران مرو ، وكذلك كورة طاهر مرو ، والطاهر ولي بوشنج ، وموسى ابن أبي العباس الشاشي لم تكن كورته الشاش ، وكورته هراة ، ومحمد بن أبي الفضل الطوسي كورته

(١) انتهر .

نسا ، وهو منسوب الى طوس ؛ والسبب في نسب هؤلاء زعدة من اصحاب الدولة الى غير كورم أن منهم من كان مخرجه في كورة فسلم الى الكورة التي فيها ضياعه ، ومنهم من ولي بسلدا طالت فيه ولايته إياه فسلم الى ذلك البلد - قال ابو مسلم : اعتل ابو غانم ، يعني أباه ، عة صعبة فتولى علاجها منها الطيفوري المتطبب ، وكانت في ابي غانم حدة شديدة تخبرجه الى قذف اصحابه ، والى الاقدام بالمكرهه عليهم . فاني لواقف على رأسه وانا غلام في قبادر زيرون اذ دخل عليه الطيفوري فجلس عرقه ونظر الى مائه ، ثم ناجاه بشيء لم افهمه ، فقال له : كذبت يا ماص بظر (١) أمه ، فقال له الطيفوري : أعض الله ، أكذبنا بكذا وكذا من أمه . فقلت في نفسي ذهبت والله نفس الطيفوري . فقال أبو غانم : « يا ابن الكافرة لقد أقدمت ، وبلك ، كيف اجترأت علي بهذا ؟ » فقال له : « والله ما احتملت سيدي الهادي قط على لغائي بحرف خشن » ولقد كنت يقذفني فارد عليه مثل قوله فكيف احتمل لك وأنت كلب قذفي ؟ » فحلف لي ابو مسلم انه رأى أباه ضاحكاً باكياً بفهم في بعض أسرة وجهه الضحك ، وفي بعضها البكاء . ثم قال له : « والله ! انك كنت ترد على امير المؤمنين الهادي القذف الذي كنت يقذفك به ؟ » فقال له الطيفوري : اللهم نعم . فقال له : فأسألك بالله لما أحبيت في عرض حميد ما أحبيت ، وقذفته بما شئت من القذف ؟ متى قذفتك ؟ ثم بكى على الهادي بكاء كثيراً .

قال يوسف : سألت الطيفوري عما حدثني به ابو مسلم من ذلك ، فبكى حتى تحوفت عليه الموت بما قد اخذله من المجرع عند ذكر حميد وقال : والله ما عاشرت بعد الهادي أحد نفساً ، ولا أكرم طبعاً ، ولا أطيب عشرة ، ولا أشد انصافاً من حميد ؛ إلا انه كان صاحب جيش ، فكان يظهر ما يجب على أصحاب الجيوش اظهاره ، فاذا صار مع اخوانه كان كأنه من المتقطعين اليهم لان المفضلين عليهم .

قال يوسف : وحدثني الطيفوري انه كان مع حميد الطوسي بقصر ابن هيرة أيام تغلب صاحبنا على مدينة السلام وما والاها ، فقدمت عليه جماعة من جبل طيء عليهم رئيس لهم يقدمونه على أنفسهم ، ويقرون له بالفضل والسؤدد عليهم . فأذن له في البسول عليه في مجلس عام قد احتشد لاطهار عدده فيه ، ثم قال لذلك الرئيس : « ما أقدمك يا ابن عم ؟ » فقال له : قدمت مدداً لك اذ كنت على حاربة هذا النحى لا لا يجب له ولا يستحقه ، يعني صاحبنا . فقال له حميد : « لست أقبل مدداً إلا من وثقت بصرامته ، وقوة قلبه ، واحتاله لا تصعب على أكثر الناس في نصرتي ؛ ولا يسد من امتحانك ، فان خرجت على الهنة قبلتك ، والا رددتك الى أمك » . فقال له الطائي : « فامتحنني بما أحبيت ! » فأخرج حميد عموداً من تحت مصلاه ثم قال له : « أبسط ذراعك » . فبسط ذراعه ، فعمل حميد العمود على عاتقه ثم هوى به الى ذراع الطائي . فلما قرب العمود من ذراعه رفع يده فظاهر حميد غضباً عليه ، ثم قال له : رددت يدي . ففرض الطائي ثم دعاه الى معاودة امتحانه . فأمره حميد باظهار ذراعه ، فقبل ، فرفع حميد العمود ليضرب به ذراعه . فلما قرب العمود من ذراع

(١) البظر ما يطعم في ختان الجارية . وعرقه يا ماص بظر أمه شتيمة وتحقير .

الطائي قمل مثل قملة في المرة الاولى . فلما جذب ذراعه ولم يمكن حيداً من ضربه بالعمود أمر بسجنه بعد سجنه في مجلسه ، وأخذ دوابه ودواب أصحابه وطردهم من معسكره . فانصرفوا من عنده رجالة بأسوأ حال .

قال الطيفوري فلهذه على ما كان منه . فاستضحك ثم قال لي : « قد أطلقت لك الضحك مني ، والاستهزاء بي ، وقذف عرضي متى تكلمت في الطب بحضرتك بشيء تنكره . فأما قيادة الجيوش فذلك ما ليس لك فيه حظ ، فلا تتكبرن غائلة رأيك رأبي » . ثم قال لي : أنا رجل من بين ، وكان الرسول ، ^{صلى الله عليه وسلم} ، مضرباً ، والخلافة في أيدي مضر . فكما اني أحب قومي فكذلك الخلفاء تحب قومها ؛ وإن أظهرت ميلاً الى قومي في بعض الاوقات ، وانحرافاً عن هو أمس بها رجلاً مني ، فاني غير شاك في ميلها إليهم اذا حقت الحقائق . ومعي من أبناء نزار بشر كثير . وكان في استعماري من قدم علي من قومي مفسدة لقلوب من قد امتحنته ، وعرفت بسلاطه من النزارية . ولست أدري لعل كل من أظني من عشيرتي لا يساوي رجلاً واحداً من النزارية ، فاردت بما كان مني استعجاب قلوب من معي ، وأن ينصرف من أظني من عشيرتي منذرين لا مبشرين . لأنهم متى انصرفوا منذرين انقطعت عنا ماديهم ، ومتى انصرفوا مبشرين أظني منهم من لا يسمه مال ما في أيدينا من السواد . فعلت أنه قد أصاب التدبير ولم يخطئه فيما بنى عليه امره .

ذكر يا بن الطيفوري

قال يوسف بن ابراهيم ، حدثني زكريا بن الطيفوري قال : كنت مع الافشين ^(١) في معسكره وهو في محاربة بابك ^(٢) فأمر بإحصاء جميع من في عسكره من التجار وحوانيتهم ، وصناعة رجل رجل منهم ، فرفع ذلك اليه . فلما بلغت القراءة بالقراءة الى موضع الصيالة قال لي : « يا زكريا ، ضبط هؤلاء الصيالة عندي أولى ما تقدم فيه ، فامتنعهم حتى نعرف منهم الناصح من غيره ، ومن له دين ومن لا دين له » . فقلت : « اعز الله الأمير ، ان يوسف لقوة الكيميائي كان يدخل على المأمون كثيراً ويمثل بين يديه . فقال له يوماً : ويحك يا يوسف ، ليس في الكيمياء شيء ؟ فقال له : « بلى يا أمير المؤمنين ، وإنما آفة الكيمياء الصيالة . قال له المأمون : ويحك ، وكيف ذلك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ان الصيدلاني لا يطلب منه انسان شيئاً من الأشياء كان عنده أو لم يكن إلا أخبره بأنه عنده ، ودفع اليه شيئاً من الأشياء التي عنده ، وقال هذا الذي طلبت . فان رأى أمير المؤمنين أن يفسح اسماً لا يعرف ، ويوجه جماعة الى الصيالة في طلبه لبيئته فليعمل . فقال له المأمون : قد وضعت الاسم وهو سقطيثا - وسقطيثا ضيمة تقرب من مدينة السلام . ووجه

(١) هو قائد جيوش المنتصم . ومي بالكفر ومات في السجن جوعاً .

(٢) زعيم فرقة الحرورية من الاسماعيليين . حارب للمنتصم وانكسر ثم صلب سنة ٨٣٨ (٥٠ ر)

الأمون جماعة من الرسل يسألهم عن سقطيتنا ، فكلمهم ذكر انه عنده ، وأخذ الثمن من الرسل ودفع اليهم شيئاً من حافوته ، فصاروا الى الأمون بأشياء مختلفة . ففهم من أتى بعض البزور ، ومنهم من أتى بقطعة من حجر ، ومنهم من أتى بوبر . فاستحسن الأمون نصيح يوسف لقوة عن نفسه ، وأقطعهم ضيعة على النهر المعروف بنهر الكلبة ، فهي في أيدي وركته ومنها معاشهم . قال رأى الأمير ان يتحن هؤلاء الصيادلة بمثل حنة الأمون فليفعل . فدعا الأفشين بدفتر من دفاتر الاسروشبة فخرج منها نحواً من عشرين اسماً ووجه الى الصيادلة من يطلب منهم أدوية مساة بتلك الاسماء ، فبعضهم أنكرها وبعضهم ادعى معرفتها وأخذ الدرهم من الرسل ودفع اليهم شيئاً من حافوته ، فأمر الأفشين بإحضار جميع الصيادلة ، فلما حضروا كتب لمن أنكر معرفة تلك الاسماء منشورات اذن لهم فيها بالمقام في عسكره ، ونفى الباقين عن العسكر ، ولم يأذن لأحد منهم في المقام ، وادى المنادي بنفيهم ، وإباحة دم من وجد منهم في عسكره . وكتب الى المتصم يسأله البعثة اليه بصيادلة لم أدبوا ولمذهب جميل ، ومتطبين كذلك ؟ فاستحسن المتصم ذلك ووجه اليه بما سأل .

اسرائيل بن زكريا الطيفوري

متطبب الفتح ^(١) بن خاقان ، كان مقدماً في صناعة الطب ، جليل القدر عند الخلفاء والملوك ، كثيري الاحترام له . وكان مختصاً بخدمة الفتح بن خاقان بصناعة الطب وله منه الجامكية الكثيرة والأمانم الزائرة ، وكان المتوكل بالله يرى له كثيراً ويعتمد عليه ، وله عند المتوكل الميزة الكنية . ومن ذلك بما حكاه اسحق بن علي الراهوري في كتاب أدب الطبيب ان اسرائيل بن زكريا ابن الطيفوري وجد ^(٢) على أمير المؤمنين المتوكل لما احتجج بغير اذنه ، فافتدى غضبه بثلاثة آلاف دينار وضبعة ثقل له في السنة خمسين ألف درهم ، ومبها له وسجل له عليها .

وحكي عن عيسى بن ماسة قال : رأيت المتوكل وقد عادته يوماً ، وقد غشي عليه ، فصر يده تحت رأسه نخدة ، ثم قال للوزير : يا عبداه حياتي معلقة بحياته ان عمدته لا أعيش . ثم اعتل فوجه اليه سعيد بن صالح حاجبه وموسى بن عبد الملك كاتبه يهودانه .

ونقلت من بعض التواريخ ان الفتح بن خاقان كان كثير العناية بإسرائيل بن الطيفوري ، فقدمه عند المتوكل ولم يزل حتى انس به المتوكل وجهه في مرتبة يجتشیع وعظم قدره ، وكان متى ركب الى دار المتوكل يكون موكبه مثل موكب الأمراء وأجلاء القواد ، وبين يديه أصحاب المقارع ، واقطعه المتوكل قطعة يهر من رأى وأمر المتوكل صغلاب وابن الخيزري بأن يركبا معه ويدور جميع سر من رأى حتى يختار المكان الذي يريد ، فركبا حتى اختار من الحيز خمسين ألف ذراع وضربا المتار عليه ، ودفع اليه ثلثائة ألف درهم لتنفقة عليه .

(١) دبر المتوكل وقتل مع المتوكل سنة ٨٦١ .

(٢) غضب .

يزيد بن زيد

يزيد بن زيد بن يوحنا بن ابي خالد ، متطبب المأمون ، كان جيد العلم ، حسن المعالجة ، موصوفاً بالفضل . وكان قد خدم المأمون بصناعة الطب ، وخدم أيضاً ابراهيم بن المهدي ، وكان له منه الاحسان الكثير ، والانعام الغزير ، والعناية البالغة ، والجامكية الوافرة . وكان يقال له أيضاً يزيد بور .

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني أبو اسحق ابراهيم بن المهدي ان ثمامة الميسي القعقاعي وهو ابو عثان بن ثمامة صاحب الجبار اعتزل من خلفه ^(١) تطاولت به ، وكانت شيخاً كبيراً . قال ابو اسحق : فسألني الرشيد عن علته وأين بلغت به ، فأعلمته اني لا أعرف له خبراً ، فأظهر انكاراً للولي ، ثم قال : رجل غريب من أهل الشرف قد رغب في مصاهرة أهل عبد الملك بن مروان ، وقد ولدت أخته خليفتين الوليد وسليمان ابني عبد الملك ، وقد رغب أبوك في مصاهرته فتزوج أخته ورغبت أنا أخوك في مثل ذلك منه فتزوجت ابنته ، وهو مع ذلك صحابي لجدك وأبيك ، ولاختك وأخيك ، فلا ترجب على نفسك عيادته ؟ ثم امرني بالمسير اليه لعيادته ، فنهضت وأخذت معي متطبي يزيد وصرت اليه . فنخلت على رجل قومت انه في آخر حشاشة بقيت من ناسه ، ولم أر فيه للسالة موضعاً . فأمر يزيد متطبي بإحضار متطبيه فحضر ، فعال له من حاله فاتخذه انه يقوم في اليوم واليلة مائة مجلس . وأقبل يزيد يسأل المتطبيب عن باب باب من الأدوية التي تشرب وعن السفوفات والحلقن ، فلم يذكر لذلك المتطبيب شيئاً إلا أعلمه انه قد عالجه به فلم ينجع فيه . فوجم عند ذلك يزيد مقدار ساعة ، ثم رفع رأسه وقال : قد بقي شيء واحد ان عمل به رجوت أن يلتنع به ، وان لم ينجع فيه فلا علاج له .

قال أبو اسحق : فرأيت ثمامة قد قويت نفسه عندما سمع من يزيد ما سمع ثم قال : وما ذلك الشيء الذي بقي ، تمتع بك ؟ قال له شربة اصطمخيقون . فقال ثمامة : أحب أن أرى هذه الشربة حتى اشم رائحتها . فأخرج يزيد من كمه مندبلاً فيه ادوية وفيه شربة اصطمخيقون . فأمر بها ثمامة ففعلت ، ثم أتى بها فرمى بها في فيه وابتلعها . فوالله ما وصلت الى جوفه حتى سمعت منه أصواتاً لم أشك في اني لم ابلغ باب داره إلا وقد مات . فنهضت ومتطبي معي ، وما أعقل غماً . واهرت خادماً لي كان يحمل معي الاسطرباب ^(٢) اذا ركبت بالقمم في داره وتعرف خبر ما يكون منه . ففتخلف ، فوافاني كتاب الخادم بعد الزوال يعطيني « انه قام من بعد طلوع الشمس الى زوالها خمسين مرة » فقلت : تلفت والله نفس ثمامة . ثم وافى كتاب الخادم بعد غروب الشمس « انه قام

(١) تغاب شهوة الطعام من الرجز .

(٢) آلة يمس بها الملوكيون او تفتح الكواكب .

منذ زوال الشمس الى غروبها عشرين مجلساً . ثم صار الى الغلام مع طلوع الشمس فذكر انه لم يكن منه منذ غروب الشمس الى انتصاف الليل الا ثلاثة مجالس ، ولم يكن منه الى وقت طلوع الفجر شيء . فركبت اليه بمد ان صليت الغداة فوجدته قائماً ، وكان لا ينام ، فأتته لي ، فسالته عن خبره ، فاعلمني انه لم يزل في وجع من جوفه مانع له النوم والقرار منذ أكثر من اربعين ليلة حتى أخذ تلك الشرية . فلما انقطع فعل الشرية انقطع عنه ذلك الوجع ، وانه لم يشته طعاماً منذ ذلك الوقت وانه ما يبصريني في وقته من غلبة الجوع عليه . وسأل الاذن في الأكل فاذن له يزيد في اكل أسفدياباجه قد طبخت من فروج كسكري سمين ، ثم اتباعها زرباجة ، ففعل ذلك .

وصرت الى الرشيد فاخبرته بما كان من أمر ثامة . فاحضر المتطبب وقال له : ويحك كيف اقدمت على اسفاته سب الاصطمخيون ؟ فقال : يا أمير المؤمنين هذا رجل كان في جوفه كيموس فاسد ، فلم يكن يدخل في جوفه دواء ولا غذاء الا أفسده ذلك الكيموس . وكان كلما فسد من تلك الادوية والاعذية صار مادة لذلك الفساد ، فكانت العلة لهذا السبب ترداد . ففعلت أنه لا علاج له الا بدواء قوي يقوى على قلع ذلك الكيموس . وكان اقوى الاشياء التي يمكن ان يسفاهها الاصطمخيون ، فقلت له فيه الذي قلت . ولم أقدم أيضاً على القول انه يبرئه لا بحالة ، وانما قلت بقي شيء واحد فان هو لم ينفعه فلا علاج له . وانما قلت ذلك لاني رأيت الرجل عليه قد اضمفته العلة ، وأذهبت أكثر قواه . فلم آمن عليه التلف ان شره ، وكنت أرجو له العافية بشره اباه . وكنت اعلم انه ان لم يشربه أيضاً تلف . فاستحسن الرشيد ما كان من قوله ووصله بمشرة آلاف درهم . ثم عاد الرشيد ثامة وقال له : ولقد اقدمت من شرب ذلك الدواء على امر عظيم ، وخاصة اذ كانت المتطبب لم يصرح لك بأن في شربه العافية . فقال ثامة : يا أمير المؤمنين ، كنت قد بئست من نفسي وسمعت المتطبب يقول ان شرب هذا الدواء رجوت ان ينفعه ، فاخترت الهفام على الرجاء ولو لحظة ، على اليأس من الحياة فشرته ، وكنت في ذلك خيرة من الله عطيمة .

اقول وهذه الحكاية تناسب ما روي عن النبي ﷺ ، انه جاء اليه رجل من العرب فقال : يا رسول الله ، ان اخي قد غلب عليه الخوف وداويناؤه ولم ينقطع عنه بشيء ، فقال له عليه السلام : اطعمه عسل النحل . فراح واطعمه إياه فزاد الاسهال ، فأتى اليه وقال : يا رسول الله ، كثرت الاسهال به من وقت اطعمته العسل ، فقال : اطعمه العسل . فاطعمه ، فزاد الاسهال اكثر . فشكا ذلك الى النبي ، عليه السلام ، فقال : اطعمه أيضاً العسل . فاطعمه أيضاً في اليوم الثالث فتقاصر الاسهال وانقطع بالكلية . فآخبر النبي ، عليه السلام ، بذلك فقال : صدق الله وكذبت بطن اخيك . وانما قال النبي ، عليه السلام ، له ذلك لكونه كان قد علم ان في خلل معدة المريض رطوبات لزجة غليظة قد ازلقت معدته فكلمها مر بها شيء من الادوية القابضة لم يؤثر فيها ، والرطوبات باقية على حالها والاطعمة تزلق عنها ، فيبقى الاسهال دائماً . فلما تناول العسل جلا تلك الرطوبات واستدرها ، فكثرت الاسهال اولاً وبخروجها وتوالي ذلك الى ان نفذت تلك الرطوبات بأسرها ، فانقطع

الاسهال ، ويرى الرجل . فقله « صدق الله » يعني بالعلم الذي اوجده الله عز وجل لثبته وغرفته به ، وقوله « وكذبت بطن اخيك » يعني ما كان يظهر من بطنه من الاسهال وكثرة بطريق المرض ، وليس هو مرض حقيقي ، فكانت بطنه كاذبة في ذلك .

عبدوس بن زيد

قال ابو علي القباني عن ابيه ان القاسم بن عبيد الله مرض في حياة ابيه مرضاً حاداً في تموز ، وحل به القولنج الصمب ، فانفرد بعلاجه عبدوس بن زيد وسقاه ماء اصول قد طبخ وطرح فيه اصل الكرفس^(١) والرازيانج^(٢) ودهن الخروع وجعل فيه شيئاً من ايارج فيقرا ، فحين شربه سكن وجعه واجاب طبعه بملسين ، فافاق ، ثم اعطاه من غد ذلك اليوم ماء شمير فاستطرف هذا منه .

وقال ابو علي القباني ايضاً ان اشاه اسحق بن علي مرض وغلبت الحرارة على مزاجه ، والنحول على بدنه ، حتى ادها الى الضعف ورد ما يأكله . فسقاه عبدوس بن زيد هذه الاصول بالايارج ودهن الخروع في حيزران اربعة عشر يوماً فعوفي وصلمت معدته . وقال : في مثل هذه الايام نجم حمى حادة فان كنت حياً خلصتك باذن الله وان كنت ميتاً فعلامه عافيتك له دائر سنة ان تنطلق طبيعتك في اليوم السابع فان انطلقت عوفيت ومع هذا فقد نقرت معدتك نقرأ لو طرحت فيها الحماصة لطعنتها ، فلما انقضت السنة مرض عبدوس وحمى أخي كما قال وكان مرضها في يوم واحد . فما زال عبدوس يراعي اخي ويسأل عن خبره الى ان قيل له قد انطلقت طبيعته ، فقال : قد تخلص ومات عبدوس في الغد من ذلك اليوم .

ولعبدوس بن زيد من الكتب : كتاب التذكرة في الطب .

سهل الكوسج

كان سهل الكوسج ، ابو سابر بن سهل صاحب الاقرباذين ، المشهور من اهل الاهواز ، وكان الحلي^(٣) . واتما لقب بالكوسج^(٤) على سبيل التضاد . وكان عالماً في الطب إلا انه دوت ابنه في العلم ، وكانت في لسانه لكثرة خوزية^(٥) . وكان كثير الهزل فقلب هزله جده . وكان متى اجتمع

(١) من يقول لتي لاكل .

(٢) نبات يعرف اليوم بالشمر .

(٣) له حلية

(٤) الذي لحيته طر ذقته لا طر المراضين .

(٥) نسبة الى خوز وهم جيل من التماس ، او اسم اهل خوزستان .

مع يوحنا بن ماسوية : وجورجس بن بختيشوع ، وعيسى بن حكم ، وعيسى بن أبي خالده ، وذكروا ابن الطيفوري ، ويعقوب صاحب البيلارستان ، والحسن بن قريش ، وعيسى المسلم ، وسهل بن جببر ، وهذه الطلبة من الخطيبين قصر عنهم في العبارة ولم يقصر عنهم في العلاج . وكلهم كانت يخاف لسانه لطول كان فيه وبذاءه . وكانت له السن ^(١) على جماعتهم . وكان انقطاعه الى سلام الأبرش ، وكانت سلام لا يفارق هرثمة بن أعين أيام محاصرته مدينة السلام ، فكان سهل هذا قد خصّ هرثمة بن أعين حتى كان يكون معه في ليله ونهاره وممره . وكان بدعايته الكثيرة التي كانت فيه طيب الشرة .

قال يوسف بن إبراهيم : ومن دعايات سهل الكوسج انه يجارض في سنة ثلث ومائتين ، وأحضر شهوداً يشهدهم على وصيته ؛ وكتب كتاباً أثبت فيه أسماء أولاده . فاثبت أولهم جورجس بن ميخائيل وأمه مريم بنت بختيشوع أخت جبرائيل ، والثاني يوحنا بن ماسوية ، والثالث والرابع والخامس ساوير ويوحنا وخذاهيوب ولد سهل المعروفين . وذكر انه أصاب ام جورجس وام يوحنا بن ماسوية زنا واحببها يوحنا ويوحنا .

قال يوسف : ومن دعاياته اني حضرته عند أعين بن هرثمة بن أعين ، وقد دارت بينه وبين جورجس ملاحة في حى ربيع قد كانت طالت باعين ، فعرفه بمثل ما اشهد به في وصيته . وكان في جورجس ثلثت كثير الى من عن يمينه وشماله من الناس ، واخرجته الحدة الى زمع ^(٢) أصابه ، فصاح سهل : « صرى وهكذا المسية ، أخروا في افنه ، آية خرسى ، اراد صرع » - وحق المسيح اقرؤوا في افنه آية الكرسي .

قال يوسف : ومن دعاياته انه خرج في يوم الثمانين ^(٣) يريد دير الجليلين ^(٤) والمواضع التي تخرج اليها النصارى في يوم الثمانين ، فرأى يوحنا بن ماسوية في هيئة احسن من هيئته وعلى دابة افره من دابته ، ومعه غلمان له روقة ^(٥) فحسده على الظاهر من نعمته ؛ فصار الى صاحب مسلحة الناحية ، فقال له : « ان ابني يعقني وقد اعجبته نفسه ، وربما اخرجني الصبح بنفسه وينعمته الى جعود أوري ، وان انت بطمحت وضربت عشرين درة ^(٦) موعة اعطيتك عشرين ديناراً » . ثم أخرج الدنانير فدفعها الى رجل وثق به صاحب المسلحة ، ثم اعتزل ناحية الى ان بلغ يوحنا الى الموضع الذي هو فيه ، فقدمه الى صاحب المسلحة وقال : « هذا ابني يعقني ويستغني بي » . فوجد ان يكون ابنه فلم يكلمه صاحب المسلحة حتى بطع يوحنا وضربه عشرين درة ضرباً وجيعاً مبرحاً .

(١) اي أكبرهم عمراً .

(٢) الرعدة تعني الانسان اذا لم يلازم .

(٣) يوم الأحد الذي قبل عيد الفصح .

(٤) مقدم الاساقفة عند التمارى اي الرئيس العام .

(٥) الجمل والحسن .

(٦) السوط يضرب به .

سابور بن سهل

كان ملازماً لبيارستان جندي سابور ومعالجة المرضى به . وكان فاضلاً عالماً بقوى الادوية المفردة و تركيبها ، وتقدم عند المتوكل وكانت يرى له وكذلك عند من قولي بعده من الخلفاء . وتوفي في ايام المهدي بالله . وكانت وفاة سابور بن سهل في يوم الاثنين لتسع بقين من ذي الحجة سنة خمس وخمسين ومائتين .

ولسابور بن سهل من الكتب : كتاب الاقرا باذين الكبير المشهور ، جملة سبعة عشر باباً وهو الذي كان من الممول عليه في البيارستان ، ودكاكين الصيدلة وخصوصاً قبل ظهور الاقرا باذين الذي ألفه أمين الدولة بن التلميز . كتاب قوى الاسلحة ومضارها ومنافعها ، كتاب الرد على حنين في كتابه في الفرق بين الغذاء والدواء المسهل . القول في النوم واليقظة ، كتاب ابدال الادوية .

اسرائيل بن سهل

كان متقدماً في صناعة الطب ، حسن العلاج خبيراً بتركيب الادوية . وله كتاب مشهور في الفرياق وقد أجاد عمله وبألفه .

موسى بن اسرائيل الكوفي

متطبب ابراهيم بن المهدي . قال يوسف بن ابراهيم : كان موسى هذا قليل العلم بالطب إذا قيس الى من هو في دهره من مشايخ المتطببين ، إلا أنه كان أملاً لجلسه منهم بمخاض اجتمعت فيه ، منها : فصاحة اللمعة : ومعرفة بالنجوم ، وعلم بأيام الناس ، ورواية الاشعار . وكان مولده في ذكر لي سنة تسع وعشرين ومائة ووفاته في سنة الثنتين وعشرين ومائتين . فكان ابو اسحق يحتمله لهذه الحلال ولأنه كان طبيب العشرة جداً يدخل في كل ما يدخل فيه منادمو الملوك . وكان قد خدم وهو حدث عيسى بن موسى بن محمد ولي العهد .

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني موسى بن اسرائيل قال : كان لعيسى بن موسى متطبب يهودي يقال له فرات بن شعاف ، كان تباذوق المتطبب يقدمه على جميع تلامذته ، وكان شيعياً كبيراً قد خدم الحجاج بن يوسف وهو حدث . قال : وكان عيسى يشاور في كل أمر ينويه هذا المتطبب . قال موسى . فلما عقد المتصور لعيسى على محاربة عمه ^(١) بن عبد الله بن حسن العلوي وصار اللواء في داره

(١) ليل الحسن بن علي وقاطعة احتمل اضطهاد الامويين والعباسيين لطالبته بالخلافة لقب بالنفس الزكية وقتل في المدينة (٧٦٧) .

قال للغرات : ما تقول في هذا الواء ؟ . قال له المتطبيب : أقول انه لواء الشحنة بينك وبين اهلك الى يوم القيامة . إلا أني أرى لك نقل اهلك من الكوفة الى أي البلدان أحببت ، فأبى الكوفة بلد شيعية من محارب ، فان قلت لم تكن لمن تخلف بها من اهلك بقيا ، وان قلت وأصبت من تتوجه اليه زاد ذلك في اخفائهم عليك ، فان سلت منهم حياتك لم يسلم منهم عقبك بعد وفاتك . فقال له عيسى : ويحك ان أمير المؤمنين غير مفارق للكوفة ، فلم أنتقل أهلي عنها وهم معي في دار ؟ فقال له ان الفصيل (١) في خرجك ، فان كانت الحرب لك فالخليفة مقم بالكوفة ؛ وان كانت الحرب عليك لم تكن الكوفة له بدار وسيهرب عنها ، ويخلف حرمه فضلا عن حرمك .

قال موسى : فحاول عيسى نقل عياله من الكوفة فلم يسوغه ذلك المنصور . قال : ولما فتح الله على عيسى ورجع الى الكوفة وقتل ابراهيم بن عبيد الله انتقل المنصور الى مدينة السلام ، فقال له متطبيه : بادره بالانتقال معه الى مدينته التي قد احدثها ، واستأذن المنصور في ذلك فاعطاه انه لا سبيل اليه ، وانه قد دبر استخلافه على الكوفة ، فاخبر بذلك عيسى متطبيه .

فقال له المتطبيب : « استخلافه اياك على الكوفة قد حل لمعدك عن العهد لانه لو دبر تمام الامر لك لولاك خراسان بلد شيعتك . فأما ان يعملك بالكوفة مع اعدائه وأعدائك ، وقد قتلت محمد بن عبدالله ، فوالله ما دبر فيك الا قتلك وقتل عقبك . ومن الحال أن يوليكم خراسان بمسد الظاهر منه فيك . فسد توليتك الجزيرتين او الشام ، فاخرج الى أي الولايتين ولاك فاوطنها . فقال له : « تكره لي ولاية الكوفة وأهلها من شيعية بني هاشم ، وترغب لي في ولاية الشام او الجزيرتين ، وأهلها من شيعية بني امية ؟ » فقال له المتطبيب : أهل الكوفة وان رحمو أنفسهم بالتشيع لبني هاشم فطست وأهلك من بني هاشم الذين يتشيعون لهم . وانما تشيعهم لبني أبي طالب وقد أصبت من دماهم ما قد أكسب أهل الكوفة بفضتك ، وأحل لهم عند أنفسهم الاقتياد (٢) منك . وتشيع أهل الجزيرتين والشام ليس على طريق الديانة ، وانما ذلك على طريق احسان بني امية اليهم . وان انت أظهرت لهم مودة متى وليتهم فأحسننت اليه كلوه لك شيعية ، وبدلك على ذلك محاربتهم مع عبدالله بن علي على ما قد قال من دماهم لما تألفهم ، وتضمن لهم الاحسان اليهم ، فهم اليك لسلامتك من دماهم أميل . واستعفى عيسى من ولاية الكوفة وسأل تعويضه عنها ، فاعلمه المنصور ان الكوفة دار الخلافة ، وانه لا يمكن أن تجاو من خليفة أو ولي عهد . ووعد عيسى أن يقيم بمدينة السلام سنة ، وبالكوفة سنة . وانه اذا صار الى الكوفة صار عيسى الى مدينة السلام ، فأقام بها . قال موسى : فلما طلب أهل خراسان عقد البيعة للهيدي قال لمططبيه : ما تقول يا فرات ، فقد دعيت الى تعدد محمد بن أمير المؤمنين على نفسي ؟ فقال له : فتدفع بماذا ! أرى أن تسمع وتطيع اليوم ، وبعد اليوم . « فقال له : وما بعد اليوم ؟ قال : اذا دعاك محمد بن أمير المؤمنين الى خلعت نفسك وتسلم الخلافة الى بعض ولده ان تصارع . فليست عندك منعة ولا يمكنك مخالفة القوم في شيء يريدونه منك ، قال موسى : فمات المتطبيب في

(١) ما يفصل بين الامور (ن.د).

(٢) طلب القوم وهو التماس وقتل القتال بدل القتيل .

خلافة المنصور .

فلما دعى المهدي عيسى الى خلع نفسه من ولاية العهد وتسلم الامر الى الهادي قال عيسى بن موسى قاتلك الله يا فرات ما كان اجد رأيك ، واعطاك بما تفوه به ، كأنك كنت شاهداً ليومنا هذا ! قال موسى بن اسرائيل ، ولما رأيت فسل أبي السرايا بنازل العباسيين قلت مثل ما قال عيسى ابن موسى .

وقال يوسف بن ابراهيم : لما بلغه وهو بمصر ما ركب الطالبيون واهل الكوفة من العباسيين ، وقتل عبدالله بن محمد بن داود مثل ما قال عيسى بن موسى وموسى المتطبيب . قال يوسف : وحديثي موسى بن اسرائيل المتطبيب ان عيسى بن موسى شكاً الى فرات متطبيب ما يصيبه من النعاس مع مسامريه ، وانه ان تعشى معهم ثقلت معدته فنام وفاته السر ، واصبح ومعه ثقلة تمنعه من الغداء ، وان لم يتمش معهم أضرت به الشهوة للكاذبة فقال له : شكوت الي مثل ما شك الحجاج الى استاذي ثيادوق ، فوصف له شيئاً اراد به الخير فصار شراً . فقال له : وما هو ؟ قال : وصف له العتب بالفسق ، فذكر ذلك الحجاج لحظاياه فلم يبق له حظية الا قشرت له جاماً من الفستق وبعثت به اليه . وجلس مع مسامريه فأقبل يستف الفستق سفاً فأصابته هيضة كادت تأتي على نفسه ، فشكا ذلك الى ثيادوق . فقال : انما امرتك ان تعتب بالفسق ، وأردت بذلك الفستق الذي بقشريه جميعاً لتتولى انت كسر الواحدة بعد الواحدة ، ومص قشرها المصالح لمدة مثلك من الشباب المرورين ، واصلاح الكبد بما يتأدى اليها من طعم هذا الفستق ، وذهبت الى انك اذا أكلت ما في الفستقة من الثمرة وحاولت كسر أخرى لم يتم لك كسرها الا وقد اسرعت الطبيعة في هضم ما أكلت من ثمرة الفستقة التي قبلها . فأما ما فعلت فليس بمجيب ان ينالك معه اكثار مما انت فيه . وان كنت تأخذ ايها الامير الفستق على ما رأى استاذي ان يؤخذ انتفعت به . قال موسى فازم عيسى بن موسى أخذ الفستق اكثار من حشرين سنة فكان يحده .

ماسر جويه متطبيب البصرة

وهو الذي نقل كتاب اهرن من السرايا الى العربي . وكان يهودي المذهب مريانياً ، وهو الذي يرضيه أبو بكر محمد بن زكريا الرازي في كتاب الحاوي بقوله قال اليهودي .

وقال سليمان بن حسان المعروف بابن جليل : ان ماسر جويه كان في أيام بني أمية . وانه تولى في الدولة مروانية تفسير كتاب اهرن بن اعين الى العربية الذي وجدته عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، في خزائن الكتب ، فأمر بإخراجه ووضع في مصلاه واستشار الله في إخراجه الى المسلمين للانتفاع به ، فلما تم له في ذلك أريمون صباحاً أخرجه الى الناس وبثه في ايديهم .

قال سليمان بن حسان : حدثني أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بهذه الحكاية في مسجد الترمذي

سنة تسع وخمسين وثلاثمائة .

وقال يوسف بن ابراهيم : حدثني ايوب بن الحكم البصري المعروف بالكسروي صاحب محمد بن طاهر بن الحسين - وكان ذا أدب ومروءة ، وعلم بإيام الناس واخبارهم . قال : كان أبو نواس ^(١) الحسن بن هانيء يشق جارية لامرأة من ثقف تسكن الموضع المعروف بمحكان من ارض البصرة ، يقال لها جنان ^(٢) ، وكان المروغان بأبي عثمان وأبي امية من ثقف قريبين لولاية الجارية . فكانت ابو نواس يخرج في كل يوم من البصرة يتلقى من يقدمه من ناحية حكان فيسائلهم عن اخبار جنان . قال : فخرج يوماً وخرجت معه ، وكان اول طالع علينا مامرجويه : المتطرب ، فقال له أبو نواس : كيف خلقت أبا عثمان ومية ؟ فقال مامرجويه : جنان صالحة كما تحب . فأنشأ أبو نواس يقول .

| | |
|---------------------------|--------------------------|
| أسأل القادمين من حكان | كيف خلقت أبا عثمان |
| وأبا مية المهذب والمأ | مول والمرحى لرب الزمان |
| فيقولون لي جنان كما | مرك في حالها فصل عن جنان |
| ما لهم لا يبارك الله فيهم | كيف لم يقن عنهم كتابي |
| | الخفيف |

قال يوسف : وحدثني أيوب بن الحكم انه كان جالساً عند مامرجويه ، وهو ينظر في قوارير الماء ، إذ أتاه رجل من الحوز فقال له : « اني بليت بداء لم يبل أحد بشئ » . فسأله عن دائه فقال : اصبح وبصري علي مظلم ، وأنا أجهد مثل لحس الكلاب في معدتي ، فلا تزال هذه حالي حتى أطعم شيئاً ، فإذا طعمت سكن عني ما أجهد الى وقت انتصاف النهار ، ثم يعاودني ما كنت فيه ، فإذا عاودت الاكل سكن ما بي الى وقت صلاة العشاء ، ثم يعاودني فلا أجهد له دواء الا معاودة الاكل ، فقال مامرجويه : « على هذا الداء غضب الله فانه أساء لنفسه الاختيار حين قرنها بسفة مثلك ، ولوددت ان هذا الداء يحول الي والى صبياني، وكنت أعرضك بما نزل بك منه مثل نصف ما أملك » ، فقال له : ما أفهم عنك ؟ فقال له مامرجويه : هذه صفة لا تستعجبها ، أسأل الله ثقلها عنك الى من هو أحق بها منك .

قال يوسف : وحدثني أيوب بن الحكم ، الكسروي قال : شكوت الى مامرجويه تمر الطيبة ، فسألني أي الانبذة أشرب ، فاطلته أنني اضمن التنبيد المعمول من الدوشاب ^(٣) البستاني الكثير الداذي ^(٤) . فأمرني أن أكل في كل يوم من ايام الصيف على الزيت قتادة صغيرة من قتاد البصرة يعرف

(١) من كبراء شعراء العصر العباسي ولد في الاهواز ولقب بشاعر الحيرة . وكان مقرباً من الأمين والمأمون واتصل بالبرامكة . ثم ناب في اواخر ايامه .

(٢) جارية لامرأة من ثقف اسبها وعشقاها ابو نواس . (ن.د) .

(٣) التنبيد الاسود او تنيد القنص .

(٤) ثبت ان شيه له عتقده مستطيل حبه على شكل حب الشعير يوضع منه مقدار رطل في اللرق فتنبق والتمتة ويعود اسكاره .

بالخريبي . قال فكنت أوتي بالقضاء وهو قضاء دقيق في دقة الاصابع وطول القضاء منه نحو من فتر فأكل منه الحس والسبب ، فكثرت على الاسهال ، فشكوت ذلك اليه فلم يكلفني حتى حقني بمحنة كثيرة الشجوم والصمغ والخطمي والارز الفارسي ، وقال لي : « كدت تقتل نفسك باكثرارك من القضاء على الريق لانه كان يحذر من الصفراء ما يزيل عن الامعاء من الرطوبات اللاصقة بها ما يمنع الصفراء من سحيجها واحداث الدوسنطاريا فيها .
ولما سرجه من الكتب : كفاش ، كتاب في الغذاء ، كتاب في العين .

سلمويه بن بنان متطبب المعتصم

لما استخلف أبو اسحق محمد المعتصم^(١) بالله وذلك في سنة ثمان عشرة ومائتين اختار لنفسه سلمويه الطيب وكرمه اكراما كثيرا يفوق الوصف ، وكان يرد الى الدواوين توقيعات المعتصم في السجلات وغيرها بخط سلمويه ، وكل ما كان يرد على الامراء والقواد من خروج أمر وتوقيع من حضرة أمير المؤمنين فيخط سلمويه . وولى أيضا سلمويه ابراهيم بن بنان خزن بيوت الاموال في البلاد ، وخافقه مع خاتم أمير المؤمنين . ولم يكن أحد عنده مثل سلمويه وأخيه ابراهيم في المنزلة . وكان سلمويه بن بنان نصرانيا حسن الاعتقاد في دينه ، كثير الخير ، محمود السيرة ، وافر العقل ، جميل الرأي .

وقال اسحق بن علي الراوي ، في كتاب ادب الطيب ، عن عيسى بن ماسة قال : أخبرني يوحنا بن ماسويه عن المعتصم ، انه قال : سلمويه طيبني اكبر عندي من قاضي القضاة ، لان هذا يحكم في نفسي ، ونفسي اشرف من مالي وملكي ، ولما مرض سلمويه الطيب أمر المعتصم ولده أن يعمده فعمده . ثم قال : أنا أعلم وأتقن اني لا أعيش بعده لانه كان يراعي حياتي ويدبر جسمي ولم يمش بعده تمام السنة .

وقال اسحق بن حنين ، عن ابيه : ان سلمويه كان أعلم أهل زمانه بصناعة الطب . وكان المعتصم يسميه أبي . فلما اعتل سلمويه عمده المعتصم وبكى عنده وقال : تشير علي بعدك بما يصلحني فقال سلمويه : يعز علي بك يا سيدي ولكن عليك بهذا الفضولي يوحنا بن ماسويه ، واذا شكوت اليه شيئا فقد يصف فيه أوصافا ، فاذا وصف فخذ أقلها أخلاطا . فلما مات سلمويه امتنع المعتصم من أكل الطعام يوم موته ، وأمر بأن تحضر جنازته النار ويصلى عليه بالشمع والبخور على زي النصراني الكامل . ففعل وهو بحيث يبصرهم ويباهي في كرامته ، وحزن عليه حزنا شديدا .

وكان المعتصم المضم في جسمه قوي ، وكان سلمويه يفصده في السنة مرتين ، وسقيه بعد كل مرة دواء مسهلا ، ويعالجه بالحمية في اوقات . فاراد يوحنا بن ماسويه

(١) الخليفة العباسي الثامن (٧٩٥ - ٨٤٢) حط من شأن العرب واعتمد على المايك ونقل حاشيته الى سامراء فسيب المخطاط الدولة العباسية (ن. د.)

أن يريه غير ما عهد ، فسقا دواء قبل الفصد وقال : اخاف ان تتحرك عليه الصفراء ، فمعد ما شرب الدواء حي دمه ، وحرم جسمه ، وما زال جسمه ينقص ، والعلل تقرايد الى ان نحل بدنه ومات بعد عشرين شهراً من وفاة سلويه . وكانت وفاة المعتصم في شهر ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين .

قال يوسف بن ابراهيم : قال المعتصم لأبي اسحق ابراهيم بن المهدي في أول مقدمه من بلد الروم ، وهو خليفة : يا عم أمورك مضطربة عليك منذ أول أيام الفتنة لانك بليت في أولها مثل ما شمل الناس ، ثم خصلك بعد ذلك من خراب الضياع وتحرم حدودها لاستتارك سبع سنين من الخليفة الماضي ما لو لم يتقدمه شيء من المكروه لقد كانت فيه كفاية ؛ ثم ظهر من سوء رأي المأمون ، بعد ذلك ، فيك ما طم على كل ما تقدم من المكروه النازل بك ، فزاد ذلك في أمرك . وفكرت فيك فوجدتك تحتاج الى أن يرد علي في يوم خبرك وما تحتاج اليه لمصالح أمورك . ورأيت ذلك لا يتم الا بتقليدي من القيام برفع حوائجك الى خادم خاص بي . وقد وقع اختياري لك على خادمين لي يصل كل واحد منها الي في مجالس جدي وهزلي ، بل يصل إلي في مرقدتي ومتوضي : وهما : مسرور سمائه الخادم وسلويه بن بنان . فاختر أياً شئت وقلده حوائجك ؟ فوقع اختياره على سلويه ، وأحضره أمير المؤمنين فأمره أن يتولى إيصال رسائله اليه في جميع الأوقات .

قال يوسف : ففربني أبو اسحق بسلويه ، وكنت لا أكاد أفارقه . وكان خروج أمير المؤمنين عن مدينة السلام آخر خروجه عن غير ذكر تقدم لخروج الى ناحية من النواحي . وكان الناس قد حضروا الدكة بالشامية لحلية السروج في يوم الاربعاء لسبع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة عشرين ومائتين ، فاخرجت الخيل ، ودعا بالمازات فركبها ونحن لا نشك في رجوعه من يومه . ثم أمر الموالي والقواد بالحقاق به ، ولم يخرج معه من أهل بيته احد الا العباس بن المأمون وعبد الوهاب ابن علي . وخلف المعتصم الواثق^(١) بمدينة السلام ، إلى أن صلى بالناس يوم النحر سنة عشرين ومائتين . ثم أمر بالخروج الى القاطول^(٢) فخرج . فوجهني أبو اسحق بجوائج له الى باب امير المؤمنين ، فتوجهت ، فلم يزل سيارة مرة بالقاطول ومدينة القاطول ومرة بدير بني الصقر ، وهو الموضع الذي سمي في أيام المعتصم والواثق بالانتاخية وفي أيام المتوكل بالمحمدية . ثم صار المعتصم الى سر من رأى فحضره مضاربه فيها وأقام بها في المضارب . فاني في بعض الأيام ، على باب مضرب المعتصم اذ خرج سلويه بن بنان فاجتري أن أمير المؤمنين امره بالضي الى الدور والنظر الى سوار تكين الفرغاني ، والتقدم الى مطبعية في معالجته من علة يحدها بما يراه سلويه صواباً . وحلف علي ان لا افارقه حتى نصير الى الدور وترجع ، فمضيت معه فقال لي : حدثني في غداة يومنا هذا نصر بن منصور بن بسم انه كان يسير المعتصم باه في هذا البلد يعني بلد سر من رأى وهو أمير .

(١) تأسع الخلفاء العباسيين وفي أيامه تسلط القواد الانراك على جيرش الخلافة . حكم (٨٤٢-٨٤٦)

(٢) موقع على دجلة .

قال لي سلويه : قال لي نصر : ان المعتصم أمير المؤمنين قال له يا نصر أسمعك قط باعجب من اتخذ في هذا البلد بناء وأوطنه ! ليت شعري ما اعجب موطنه حزونة^(١) أرضه ، أو كثرة أخافيقه ، أم كثرة تلاحه وشدة الحر فيه اذا حي الخضر بالشمس . ما ينبغي ان يكون متوطن هذا البلد إلا مضطراً مقهوراً أو ردي التمييز :

قال لي سلويه : قال لي نصر بن منصور : وانا والله خائف أن يوطن أمير المؤمنين هذا البلد ، فان سلويه ليحدثني عن نصر اذ رمى ببصره نحو المشرق فرأى في موضع الجوسق^(٢) المعروف بالمصيب أكثر من ألف رجل يضمون أساس الجوسق. فقال لي سلويه : أحسب ظن نصر بن منصور قد صح . وكان ذلك في رجب سنة إحدى وعشرين ومائتين . وصام المعتصم في الصيف في شهر رمضان من هذه السنة . وغدى الناس فيه يوم الفطر ، واحتجم المعتصم بالقاطول يوم سبت وكان ذلك اليوم آخر يوم من صيام النصاري، فحضر غداه سلويه بن بنان ، واستأذنه في المصير الى القادسية^(٣) ليقيم في كنيسة^(٤)ها في يومه وليلته ، ويتقرب فيها يوم الأحد ، ويرجع الى القاطول قبل وقت الغداء من يوم الأحد فاذن له في ذلك وكساه ثياباً كثيرة ، ووهب له مسكاً وبخوراً كثيراً. فخرج منكسراً مغموماً وعزم علي المصير معه الى القادسية فاجبته الى ذلك . وكانت عادتنا متى تسارنا قطع الطريق إما بمنظرة في شيء من الآداب وأما بدعابة من دعايات المتأدين ، فلم يجازني شيء من البابين جميعاً ، وأقبل على الفكرة وتحريك يده اليمنى ، وشفته تهمس من القول بما لا يملنه ، فسبق الى وهي انه رأى من أمير المؤمنين في أمر نفسه شيئاً انكره ، ثم أزال ذلك اليوم عني إقدامه على الاستئذان في المصير الى القادسية والثياب والطيب الذي جيء به . فسألته عن سبب قراءته وفكرته . فقال لي : سيملك تحكي عن بعض ملوك فارس قولاً في العقل ، وانه يجب أن يكون أكثر ما في الانسان عقله فاعده علي وخبرني باسم ذلك الملك ؟ قال له : قال ابو شروان : اذا لم يكن أكثر ما في الرجل عقله كان أكثر ما فيه بريد ، فقال : قاتله الله فما احسن ما قال ، ثم قال : أميرة هذا يعني الواصل ، حفظه لا يقرأ ويقرأ عليه من الكتب أكثر من عقله ، وأحسبه قد وقع في الذي يكره وأنا استدفع الله في المكارة عنه . وبكى . فسألته عن السبب فقال : أشرت على أمير المؤمنين بترك الشرب في عشيّة أمس ليياكر الحجابة في يومنا هذا على نقاء، فجلس واحضر الأمير هرون وابن أبي داود وعبد الوهاب ليتحدث معهم ، فاندفع هرون في عهد أردشير بن بابك ، وأقبل يسره جميع ما فيه ظاهراً حتى اتى على العهد كله فتخوفت عليه حسد ابيه له على جودة الحفظ الذي لم يرزق مثله وتخوفت عليه امساك ابيه ما حدث أردشير بن بابك في عهده من ترك اظهار البيعة لولي عهده . وتخوفت عليه ما ذكر أردشير في هذا الباب من ميل الناس نحو ولي العهد متى عرفوا مكانه وتخوفت عليه ما ذكر أردشير من انه لا يؤمن اضطغان ولي العهد على أسباب والده متى علم انه الملك بعد ابيه وأما ، والله ، عالم بأن أقل ما

(١) خلاطة الارض .

(٢) القصر .

(٣) قرية قرب سرمن رأى .

يناله في هذا الباب التضييق عليه في معاشه ، وانه لا يظهر له بيمة ابداً ، فاعتامي بهذا السبب فكان جميع ما تخوف سلوويه علي ما تخوف ،

قال يوسف : واستبطأ المتعمم أبو اسحق ابراهيم بن المهدي في بعض الامور واستشفاه . فكتب اليه كتاباً امرني بقراءته على سلوويه ومناظرته فيه ، فان استصوب الرأي في ايصاله ختمته وأوصلته ، وان كره ذلك رددته على أبي اسحق . فقرأته على سلوويه فقال لي : قل له قد جرى لك المقدار مع المؤمن والمنتم ، أعز الله الباقي ورحم الماضي ، بما يوجب عليك شكر ربك ، والا تنكر علي بالخليفين تنكرهما في وقت من الأوقات ، لانك تسميت باسم لم يلسم به احد قط فكلوا الاحياء ، فان كان المقدار استعطف عليك رحلك حتى صرت الى الامن من المكروه . فليس ينبغي ان تتعجب من تنكر الخليفة ، في وقت من الاوقات ، ان طعن بعض أعدائك عليك بما كان منك ، فيظهر بالخفاء اليومين والثلاثة أو نحو ذلك . ثم ينمط عليك ويذكر مائة رحلك وشابكتها فيقول امرك الى ما تحب . ولك ايضا آفة يجب عليك للتحرز منها وهي انك تجلس مع الخليفة في مجلسه وفيه جماعة من أهله وقواده ووجوه مواليه ، فهو يجب ان يكون أجل الناس في عيونهم وأملأ لقلوبهم ، فلا يمر جبار من الغول الا ظهرت لنفسك فيه قولاً يتبين نصرتك فيه عليه فلو كنت مثل ابن ابي داود أو مثل بعض الكتاب لكان الامر فيه اسهل عليه . لانه ما كان لتلك الطبقة ، فهو للخليفة لانهم من عبيده ، وما كان لرجل من أهله له السن والقعد عليه فهو موجب لن السن والقعد له ، وذلك مزر بالخليفة . وأما أرى أن لا أوصل هذا الكتاب وان يتخاف ، أعزه الله ، حتى يشوق اليه الخليفة . فاذا صار اليه تجر بما كرهته له ، ففي ذلك غنى عن التناوب والاستبطاء . قال فانصرفت الى أبي اسحق بالكتاب ولم أوصله ، فوجدت سبياً الدمشقي عند صاحبنا وقد أبلغه رسالة المتعمم بوصف شوقه اليه ، وبالأمر بالكوب اليه . فاختبرته بما دار بيني وبين سلوويه ، وركب فاستعمل ما أشار به ، فلم ينكر بعد ذلك منه شيئاً حتى فرق بينهما الموت .

قال يوسف وجرى بيني وبين سلوويه ذكر يوحنا بن ماسويه ، فاطنبت في وصفه وذكرت منه ما أعرف من اقاصع علمه . فقال سلوويه : يوحنا آفة من آفات من اتخذته لنفسه ، واتكل على علاجه وكثرة حفظه للكتب ، وحسن شرحه ووصفه بما يلجم به المكروه . ثم قال لي : أول الطب معرفة مقدار الداء حتى يصلح بمقدار ما يحتاج اليه من العلاج . ويوحنا أجمل خلق الله بمقدار الداء والدواء جميعاً . فان زاول مرور عاجله من الادوية الباردة والاعغنية المفردة الباردة وبما يزيل عنه تلك الحرارة ، ويمقب معدته وبدنه برداً ، يحتاج له الى الممايلة بالادوية والاعغنية الحارة ، ثم يفعل في ذلك كلمه في العلة الاولى من الافراط ليزول عنه البرد ، ويمتل من حرارة مفردة . فصاحبه ابداً عليل اما من حرارة واما من برودة . والابدان تضعف عن استحال هذا التدبير . وانما التفرش في اتخاذ الناس المتطيين لحفظ صحتهم في ايام الصحة ، ولخدمة طبائهم في ايام العلة . ويوحنا لجهل بمقادير الملل والعلاج غير قائم بينين البابين . ومن لم يرق بها فليس بتطبيب .

قال يوسف وأصاب ابراهيم بن بنان أسخا سلوويه بن بنان هيضة من خوخ أكله فاكث منه فكاتت

تأتي على نفسه . فسقاه أخوه سلوية شهرياران كثير السقمونيا ، فاسهله اسهالا كثيرا زائداً على المقدار الذي يجب أن يكون من شرب مثل ما شرب ابراهيم من الشهرياران . وانتقطع مع انقطاع فعل الشهرياران فعل الهضة ^(١) ، فقلت له : أحسبك امتثلت فيما فعلت بأخيك ، من اسقائه الدواء المسهل ، طريقة يزيد بور في ثامة الميسي . فقال : ما استعملت له طريقة ولكني استعملت فكري كما استعمل فكره فنتج لي من الرأي ما نتج له

قال يوسف : وكنت يوماً عند سلوية وقد أجرينا حديث أيام الفتنة بمدينة السلام أيام محمد الأمين ، فقال لي : لقد نعمنا الله في تلك الأيام بحوار بشر وبشير ابني السميع ، وذلك انا كنا معها في كل حي . ثم قال لي ؟ هل لك أن تركب الى بشير ، فتعوده ، فقد كنت يست منه أول من أمس ثم أفرق أمس ؟ فاجبته الى الركوب معه وركبنا . فلما صرنا الى باب الدرب الذي كان بشير ينزله طلع علينا بولس بن حنون المتطبب ، الذي هو اليوم متطبب أهل فلسطين ، وهو منصرف من عند بشير . فسأله عن خبره فاجابه بكلمة بالسريانية معناها يش . فقال له سلوية : ألم تخبرني أمس انه قد أفرق ؟ فقال له بولس : قد كان ذلك الا انه أكل البارحة دماغ جدي فعاوده الاسهال . فغطف سلوية رأس دابته وقال : انصرف بنا فليس يبيت بشير في الدنيا . فسألته عن السبب ، فذكر انه رجل مبطون ، وان أول آفته كانت في البطن ، فساد معدته ، فتناولت أيامه في البطن بفساد المعدة الى أن كان ذلك سبباً لفساد كبده . وان الدماغ الذي أكله سيطبق بمعدته ، فخرني ما بين غضونها فلا يدخلها غذاء ولا دواء الا زلق . وانصرفنا ولم يعبده سلوية ولا عدته فما بات حتى توفي .

قال يوسف وصعبت بعد وفاة أبي اسحق ، أبا دلف . فصحبته وقد كان مبطوناً قبل صحبتي اياه بخمسة عشر شهراً . وكان مجلس أبي دلف مجماً للتطبيين لانه كان معه من المرتوقة جماعة منهم يوسف بن صليبا ، وسليمان بن داود بن بابان ، ويوسف القصير البصري ولا احفظ نسبه ، وبولس بن حنون متطبب فلسطين وحقن ^(٢) كان له من العلاج ، والحسن بن صالح بن بهجة الهندي . وكان يحضر مجلسه من المتطبيين غير المرتوقين جماعة ، فربما اجتمع في مجلسه منهم عشرون رجلاً ، فكافوا على سبيل اختلاف في أصل علمه ، فمعظمهم كان يرى أن يسقيه الدرياق ، ومعظمهم كان يرى أن يعالجه بالادوية التي يقع فيها الابيون مثل الماروديوس وغيره . وكلمهم كان مجماً على معالجه بالحمية وبالقيء في كل بضع عشرة ليلة لانه كان متى تقباً صلحت حاله ثلاثة أيام أو نحوها . فاقمت معه عشرة أشهر لا اذكر اني تشاغلته في يوم منها بأمر من أمور الاعمال التي أكلها . فسلمت من رسول له يستعضي المسير اليه والنظر فيما بين المتطبيين من الاختلاف .

(١) النطلاق البطن .

(٢) كل من كان من قبل المرأة مثل الاب والاح ، او زوج الابنة .

ثم أمر المتصم حيدر بن كلوس بالمقد لابي دلف^(١) على قزوين^(٢) وزنجان^(٣) ورواحبا؛ وإبراهيم ابن البعاري بتقليده خراج الناحية؛ وعهد بن عبد الملك بتقليده ضياعها. ففقد أبو دلف ابنه معنا بن القاسم، المونة؛ وقلندي، الخراج والضياع؛ وأمرنا بالخروج. فالتفت سلوويه مودعاً ومشاوراً. فقال لي، انتزاعك من بلادك مع رجل منسل بدنه منذ خمسة وعشرين شهراً، وجميع من يطيف به معك لا يجمعك وإياهم رحم، وإنما هم أهل الجبل واصبيان^(٤)، وأكثرهم صاعليك. ولملك قد استقصيت على بعضهم بالحضرة، وحيث كنت تأمن على نفسك بما لا أحبه لك، لانه ان حدث بالرجل حادث كنت في ارض غريبة أسيراً في أيدي من لا بجانبك بينك وبينهم. وامتناعك على الرجل بعد أن أحبه الى أن تقدمه تسمع. ولكن استأجله في الخروج بعد سبعة أيام، وأشرف في هذه الأيام على مطعمه ومشربه حتى لا يصل الى جوفه في هذا الاسبوع ما كول ومشروب الا عرفت مبلغ وزنه على الحقيقة. وكل من يعرف وزن ما يخرج منه في هذا الاسبوع من ثقل ويول، وارفع وزن ذلك ليوم بعد يوم اليك، وصر لي بعد هذا الاسبوع بمبلغ وزن جميع ما دخل بطنه من الطعام والشراب وغير ذلك، ووزن ما يخرج منه.

فنفيت بذلك غاية العناية وتعرفته حتى صح عندي. فوجدت ما خرج من بدنه قريباً من ضعف ما دخله من مطعم ومشرب. فاعطت ذلك سلوويه، فقال لي: لو كان خرج منه يوزن ما دخل بدنه لدل ذلك على سرعة تلفه، فكيف ترى الحال كائنة والخارج منه مثل ضعف ما دخل بدنه الحرب من التلييس بأمر هذا الرجل، فان الشوق قد جذب به. فما لبث بعد هذا القول إلا بضعة عشرة ليلة حتى توفي أبو دلف.

قال أبو علي القباني: حدثني ابي قال: كانت بين جدي الحسين بن عبد الله وبين سلوويه المتطبب مودة، فحدثني أنه دخل اليه يوماً الى داره، وكان في الحمام ثم خرج وهو مكتم والعرق يسيل من جبينه، وجاءه خادم جائدة عليها دراج، مشوي، وشيء اخضر في زبدية، وثلاث رقاقات كزمازك^(٥)، وفي سكرجة^(٦) خل. فأكل الجميع، واستدعى ما مقداره درهمان شرباً فمزجه وشربه وغسل يديه بآء. ثم أخذ في قشير ثيابه البخور. فلما فرغ أقبل يحدثني فقلت له: قبل أن أجيبك الى شيء عرفني ما صنعت؟

فقال: أنا أعاليج السل منذ ثلاثين سنة لم آكل في جميعها الا ما رأيت، وهو دراج مشوي، وهندبا مساوقة مطبونة بدهن لوز، وهذا المقدار من الحبز. واذا خرجت من الحمام احتجت الى

(١) هو القاسم بن عيسى ابو دلف من قواد المأمون ثم المتصم توفي في بغداد ٨٤٢.

(٢) مدينة في إيران.

(٣) مدینه في ایران الشمالية قاعدة القلم.

(٤) مدينة في إيران قتل تيمورلنك سكانها.

(٥) حب الأكل أي طعم الطرافاء، وتفسيره المص الاخرج.

(٦) الصلصة التي يوضع فيها الطعام د، ر.

مبادرة الحرارة بما يسكتها كيلا تعطف على بدني فتأخذ من رطوبته ، فاشغلها بالغذاء ليكون عطفها عليه ، ثم أفرغ لغيره .

ابراهيم بن فزاروت

متطبب غسان بن عباد . وابراهيم بن فزاروت هو شيخ بني فزاروت الكاتب . قال يوسف ابن ابراهيم : كان ابراهيم بن فزاروت قد خرج مع غسان عباد الى السند^(١) . فحدثني أن غسان بن عباد مكث بارض السند من يوم الثوروز^(٢) الى يوم المهرجان^(٣) يشتهي أن يأكل قطعة لحم باردة ، فما قدر على ذلك . فسألته عن السبب فقال : « كنا نطبخه فلا يبرد حتى يروح فيرمى به .

قال يوسف : وأخبرني ابراهيم بن فزاروت انه ما أكل بارض السند لحما استطابه إلا لحوم الطواويس^(٤) وانه لم يأكل لحما قط أطيب من لحم طواويس بلاد السند .

وحدثني ابراهيم بن عيسى بن المنصور المعروف بابن زغبة عن غسان بن عباد في لحوم الطواويس بمثل ما حدثني ابراهيم بن فزاروت .

قال يوسف : وحدثني ابراهيم بن فزاروت انه رفع الى غسان بن عباد أن في النهر المعروف بمهران بارض السند سمكة تشبه الجدي ، وانها تصاد ثم يطبخ رأسها وجميع بدنها الى موضع مخرج الثقل منها ، ثم يحمل ما لم يطبخ منها على الجمر ، ويمسكها بمسك بيده حتى يثوي منها ما كانت موضوعة على الجمر ، وينضج ثم يؤكل ما نضج أو يرمى به ؛ وتلقى السمكة في الماء ما لم ينكسر العظم الذي هو صلب السمكة ، فتعيش وتثبت على عظمها اللحم . وان غسان أمر بحفر بركة في داره وملأها ماء وأمر بامتعان ما يلقه .

قال ابراهيم : فكنّا نؤتي كل يوم بعدة من هذا السمك فثوبه ، على الحكاية التي ذكرت لنا ، ونكسر من بعضه عظم الصلب ونترك بعضه لا نكسره ، فكان ما يكسر عظمه يموت ، وما لم يكسر عظمه يسلم وتثبت عليه اللحم ويستوي الجلد . إلا أن جلدة تلك السمكة تشبه جلد الجدي الاسود ؛ وما قشرناه من لحوم السمك التي شويناها ورددناها الى الماء يكون على غير لون الجلدة الاولى لانه يضرب الى البياض .

قال يوسف : وسألت ابراهيم بن فزاروت عن قول من يزعم أن نهر مهران هو نهر النيل فقال لي : رأيت نهر مهران وهو يصب في البحر المالح إلا أن علماء الهند والسند أعلموني أن مخرج النيل ومخرج نهر مهران من عين واحدة عظيمة ، فنهر مهران يشق أرض السند حتى يصب في بحرهما المالح ، والنهر

(١) مقاطعة في باكستان الغربية ويحتاجها نهر هندوس .

(٢) يوم الفرج عموما وهو اول يوم من السنة لشمسية عند الفرس .

(٣) عيد الفرس وهو اليوم السادس عشر من شهر مهرجان وذلك عند زول الشمس في اول برج الميزان .

(٤) واحد طواويس وهو طائر حسن الشكل ملون القريش .

الأخر يشق أرض الهند وجميع أرض السودان حتى يخرج إلى أرض النوبة ، ثم يصب باقيه في أرض مصر فيروها ثم يصب باقيه في بحر الروم .

قال يوسف : وحديثي عنبة بن اسحق الضبي من أمر العين التي منها يخرج نهر مهران والتيل بمثل ما حدثني به ابراهيم ، وكان يحدثنا بحديث السمك في كل وقت .

أيوب المعروف بالأبرش

كان له نظر في صناعة الطب ومعرفة بالنقل ، وقد نقل كتباً من مصنفات اليونانيين إلى السرياني وإلى العربي وهو متوسط النقل ، وما نقله في آخر عمره فهو أجود مما نقله قبل ذلك .

ابراهيم بن أيوب الأبرش

قال اسحق بن علي الرماري في كتاب « أدب الطبيب » حديثي عيسى بن ماسة قال : رأيت ابراهيم بن أيوب الأبرش وقد عالج اسمعيل أخا المعتز ويرى . فكلمته أمه قبيصة المتوكل أن يحيزه ، فقال لها : لا تحيزيه ليس عندك ما تعطيه حتى أعطيه أنا مثله . وابراهيم واقف بين أبيهما ؛ فأمرت قبيصة فاحضرت بدرة دراهم لابراهيم ، وأمر المتوكل باحضار مثل ذلك ؛ فاحضرت قبيصة بدرة أخرى فأمر باحضار مثلها ، فلم يزالا يأموران باحضار بدرة وبدرة حتى أحضرت ست عشرة بدرة ، فأومت قبيصة إلى جاريتها أن تمسك ، فقال لها ابراهيم سرّاً : لا تقطعي وأنا أرد عليك . فقالت له: املأ الله عين الآخر . فقال لها المتوكل : والله لو أعطيتك إلى الصباح لأعطينك مثل ذلك . فصلت البدر إلى منزل ابراهيم .

وقال ثابت بن سنان بن ثابت ان الخلافة لما تأدت إلى المعتز بالله كان أخص المتطيين عنده ابراهيم ابن الأبرش لمكانه من والدته قبيصة . وكانت صلاته أبداً واصله إليه . وخلع أبو عبدالله المعتز بالله بسر من رأى ، وقبض عليه صالح بن وصيف يوم الاثنين ثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وحجبه خمسة أيام ، ثم قتل وقت العصر من يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان من السنة المذكورة وله ثلاث وعشرون سنة

جبرائيل كحال المأمون

قال يوسف بن ابراهيم : كان المأمون يستخف يد جبرائيل الكحال ، ويذكر أنه ما رأى أبداً على عين أخف من يده . والتخذ مراراً^(١) ومكاحل ومستجبا^(٢) ودفعه إليه ، فكان أول من يدخل

(١) واحسبوا مرده وهو الميل الذي يكمل به.

(٢) المستجبة ؛ الإله الكبير من الزجاج ؛ (ن، د).

اليه في كل يوم عند تسليمه من صلاة الغداة ، فيفضل أجفانه ويكحل عينيه ، فإذا انقلب من قائمته فعل مثل ذلك . وكان يجري عليه ألف درهم في كل شهر . ثم سقطت منزلته بمسء ذلك ، فسأته عن السبب في ذلك فأخبرني أن الحسين الخادم اعتل ، فلم يمكن يأسراً أخاه عيادته لاستغاله بالخدمة ، إلى أن وافى يأسر باب الحجرة التي كان فيها المأمون ، وقد خرج جبرائيل من عنده بعد أن برد أجفانه ، وكحل عينيه . فسأله يأسر عن خبر المأمون فأخبره أنه أغفى ، ففتن يأسر ما أخبره به من لومه فصار إلى حسين فعاده . وانتبه المأمون قبل انصراف يأسر من عند حسين ، ثم انصرف يأسر فسأله المأمون عن سبب تخلفه ، فقال يأسر : أخبرت بنوم أمير المؤمنين ، فصرت إلى حسين فعدته . فقال له المأمون : ومن أخبرك برقادي ؟ فقال له يأسر : جبرائيل الكحال . قال جبرائيل : فأحضرنى المأمون ثم قال : يا جبرائيل اتخلدك كحالا لي أو عاملا على الأخبار عني ؟ أردد علي مكاحلي وامياي ، وأخرج عن داري . فأذكره خدعتي ، فقال : ان له لحرمة ، فليقتصر له على اجراء مائة وخمسين درهماً في كل شهر ولا يؤذن له في الدخول . فلم يخدم المأمون بعده حتى توفي .

ماسويه أبو يوحنا

قال قتيون الترمذاني : ان ماسويه كان يعمل في دق الأدوية في بيارستان جندي ساپور ، وهو لا يقرأ حرفاً واحداً بلسان من اللسان ، إلا انه عرف الامراض وعلاجها وصار يصبراً بانتقاد الادوية ، فأخذ جبرائيل بن بختيشوع فأحسن اليه ، وعشق جارية لداود بن سرايون ، فابتاعها جبرائيل بثمانمائة درهم ، ووهبها لماسويه ورزق منها ابنه يوحنا وأخاه ميخائيل .

وقال اسحق بن علي الرهاوي في كتاب « أدب الطبيب » عن عيسى بن ماسة : ان ماسويه أبا يوحنا كان تلميذاً في بيارستان جندي ساپور ثلاثين سنة ، فلما اتصل به محل جبرائيل من الرشيد ، قال : هذا أبو عيسى قد بلغ السها ، ونحن في البيارستان لا نتجاوزه . فبلغ ذلك جبرائيل ، وكان البيارستان اليه ، فأمر بإخراجه منه ، وقطع رزقه . فبقي منقطعاً به ، فصار إلى مدينة السلام ليعتذر إلى جبرائيل ويخضع له . فلم يزل على بابيه دهرأ طويلاً ، فلم يأذن له . فكان إذا ركب دعا له ، واستعطفه فلا يكلمه . فلما ضاق به الامر صار إلى دار الروم بالجانب الشرقي فقال للنس : اكرز لي في البيمة لعله أن يقع لي شيء ، فأنصرف إلى بلدي ، فان أبا عيسى ليس يرضى عني ولا يكلمني . فقال له النس : أتت في البيارستان منذ ثلاثين سنة ، ولا تحسن شيئاً من الطب ؟ فقال : بلى ، والله ، أطلب وأكحل ، وأعالج الجراحات . فأخرج له صندوقاً وأعطاه إياه ليداري ، وأجلسه بسباب الحرم عند قصر الفضل بن الربيع ، وهو وزير الرشيد ، فلم يزل هناك يكسب الشيء بعد الشيء حتى حسنت حاله . واشتكت عين خادم للفضل بن الربيع فنفذ اليه جبرائيل بكحالين فعالجوه بأصناف العلاج ، فلم ينتفع به واشتد وجعه حتى عدم النوم . فلما اشتد أرقه وقلقته ، خرج من القصر هائلاً من الضجر والقلق . فقرأى ماسويه فقال له : « يا شيخ ما تصنع هنا ؟ ان كنت تحسن شيئاً فعالجني

وإلا فقم من ههنا . فقال له : يا سيدي احسن واجيد . فقال له : ادخل معي حتى ثمالجني . فدخل معه ، وقلب جفنه وكحله ، وسكب على رأسه وسطحه . فقام الخادم وهادئاً . فلما أصبح أنفذ إلى ماسويه جونة فيها خبز سميد ، وجدي ودجاجة وحلوى ، ودنانير ، ودرهم ، وقال له : هذا لك في كل يوم ، والدرهم والدنانير رزقك مني في كل شهر . فبكى ماسويه قرحاً ، فتوهم الرسول انه قد استقله فقال له : لا تقم فانه يزيدك ويحسن اليك . فقال له : يا سيدي رضيت منه بهذا ان يدره على الأيام . فلما رجع عرف الخادم ما كان منه ، فعجب منه وبرأ الخادم على يديه . ولم يمض إلا أيام يسيرة حتى اشتكت عين الفضل ، فنفذ اليه جبرائيل الكحالين ، فلم يزالوا يعالجه فلم ينتفع بهم ، فأدخل الخادم ماسويه اليه ليلاً ، فلم يزل يكحله الى ثلث الليل ، ثم سقاه دواء مسهل ففصلح به .

ثم حضر جبرائيل فقال له الفضل : يا أبا عيسى ، ان ههنا رجلاً يقال له ماسويه ، من أفره الناس وأعرفهم بالكحل ، فقال له : ومن هذا ؟ لعله الذي يحلّس بالباب ؟ فقال له : نعم . قال جبرائيل : هذا كان أكراً^(١) لي فلم يصلح للكروث^(٢) فطرده ، وقد صار الآن طبيباً ! وما عالج الطب قط ! فان شئت فاحضره وأنا حاضر . وتوهم جبرائيل انه يدخل ويقف بين يديه ويتذلل له . فأمر الفضل بإحضاره ، فدخل وسلم وجلس بمخاض جبرائيل . فقال له جبرائيل : يا ماسويه اصرت طبيباً ؟ فقال له : لم أزل طبيباً ، أنا أخدم البيارستان منذ ثلاثين سنة ، تقول لي هذا القول ! ففرح جبرائيل أن يزيد في المنى ، فبادر وانصرف في الحال وهو خجل . وأجرى الفضل على ماسويه في كل شهر سائة درهم وعلوفة دابتين ، ونزل خمسة غلمان ، وأمره أن يعمل عياله من جندي ساور ، وأعطاه نفقة واسعة . فحصل عياله ويوحنا ابنه حينئذ وهو صبي

فما مضت إلا أيام حتى اشتكت عين الرشيد ، فقال له الفضل : يا أمير المؤمنين طيبي ماسويه من أحذق الناس بالكحل . وشرح له قصته وما كان من أمر خادمه ، وأمر نفسه . فأمر الرشيد بإحضاره ، فأحضر ماسويه فقال له : تحسن شيئاً من الطب سوى الكحل ؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين ، وكيف لا أحسن وأنا قد خدمت المرضى بالبيارستان منذ ثلاثين سنة ؟ فأداه منه ونظر عليه ، فقال : الحجام الساحة . فحججه على ساقيه ، وقطر في عينيه ، فبرأ بعد يومين . فأمر بأن يجري عليه ألفا درهم في الشهر ، ومعمونة في السنة عشرون ألف درهم ، وعلوفة ونزل ، والزمه الخدمة مع جبرائيل وسائر من كان في الخدمة من المتطبيين . وصار نظيراً لجبرائيل ، بل كان في ذلك الوقت يحضر بحضوره ، ويصل بوضوئه ، ودونه في الرزق ، لان جبرائيل كثر له في الشهر عشرة آلاف درهم ومعمونة في السنة ، مائة ألف درهم ، وصلات دائمة واقطاعات .

ثم انه اعتلت فإمرأته الرشيد ، فلم يزل جبرائيل يعالجها بالوجع فلم تنتفع ، فأغتم بها ،

(١) فلاح .

(٢) لزراعة .

فقال الرشيد ذات يوم : قد كان ماسويه ذكر انه خدم المرضى بالمرستان ، وانه يعالج الطبائع ، فليدخل الى عيالتنا لعل عنده فرجاً لها . فاحضر جبرائيل وماسويه ، فقال له ماسويه : عرفني حالها وجميع ما دبرتها به الى وقتنا هذا . فلم يزل جبرائيل يصف له ما عالجها به ، فقال ماسويه : التدبير صالح ، والعلاج مستقيم ، ولكن احتاج الى ان اراها . فأمر الرشيد ان يدخلها اليها . فدخل وقاملها ، وجس عروقها بحضرة الرشيد وخرجوا من عنده . وقال ماسويه للرشيد : يا امير المؤمنين ، يكون لك طول العمر والبقاء ، هذه تقضي بمد غد ما بين ثلاث ساعات الى نصف الليل . فقال جبرائيل : كذب يا امير المؤمنين ، انها تبرا وتعيش . فأمر الرشيد بحبس ماسويه ببعض دوره في القصر ، وقال : لاسبرن^(١) ما قاله وأنذرها به ، فها رأينا بطل الشيخ بأساً . فلما حضر الوقت الذي حده ماسويه ، توفيت . فلم يكن للرشيد همة بمد دفنها إلا أن أحضر ماسويه ، فقال له وأعجب بكلامه .

وكان أعجمي اللسان ، ولكنه كان بصيراً بالعلاج ، كثير التجارب ، فصوره نظيراً لجبرائيل في الرزق والزلزل والعلوفة والمربة . وعنى بإبنة يوحنا ووسع التفقة عليه ، فبلغ المرتبة المشهورة .

قال يوسف بن ابراهيم : عدت جبرائيل بن بختيشوع بالعلث^(٢) في سنة خمس عشرة ومائتين ، وقد كان خرج مع المأمون في تلك السنة ، حتى نزل المأمون في دير النساء . فوجدت عنده يوحنا ابن ماسويه وهو يناظره في علته ، وجبرائيل يستحسن استماعه واجابته ووصفه . فدعا جبرائيل بتحويل سقته ، وسألني للنظر فيه ، واخبراه بما يدل عليه الحساب . فنهض يوحنا عند ابتدائي بالنظر في التحويل ، فلما خرج من الحراسة^(٣) قال لي جبرائيل : ليست بك حاجة الى النظر في التحويل لاني أحفظ جميع قولك وقول غيرك في هذه السنة ، وانما أردت بدفعي التحويل اليك أن ينهض يوحنا فأسألك عن شيء بلغني عنه ، وقد نهض . فأسألك بحق الله ، اهل سمعت يوحنا قط يقول انه أعلم من جالينوس بالطب ؟ فحلفت له اني ما سمعته قط يدعي ذلك ! فها انتقضى كلامنا حتى رأيت الحراقات تنحدر الى مدينة السلام ، فالمحدر المأمون في ذلك اليوم ، وكاث يوم خميس ، ووافينا مدينة السلام غداة يوم السبت ، ودخل الناس كلمهم الى مدينة السلام خلا ابي العباس بن الرشيد فانه أقام في الموضع المعروف بالفلائن من الجانب الغربي بمدينة السلام ، وهو بإزاء دار الفضل بن يحيى بباب الشامية ، التي صار بعضها في خلافة المتعمم لابي العباس بن الرشيد . فكثت وجاعة ممن يريد المصير الى أبي العباس من منازلهم في قنطرة البردات ونهر المهدي لا يحتم أنفسنا المصير الى الجسر ثم المصير الى الفلائن ، لبعيد الشقة ، فنصير الى قصر الفضل بن يحيى ونقف بإزاء مضرب أبي العباس ، وكانت الزبيديات قوافينا فتمير بنا .

(١) استعنه ليعرف قدره .

(٢) قرية شرقي دجلة وقف على العارية .

(٣) المدينة الخليفة المراد التي فيها مرابي التيهان يرمى بها العدو بالبحر .

فاجتمعت ويوحنا بن ماسويه عند أبي العباس بعد موافاة المأمون مدينة السلام بثلاثة أيام. وجمعتنا الزبيدية عند انصرافنا فسألني عن عهدي بجبرائيل ، فاعلمته اني لم أره منذ اجتماعنا بالعت ، ثم قلت له : قد شئمت عنده . فقال . بماذا ؟ فقلت له : بلغه انك تقول أنا أعلم من جالينوس . فقال : على من ادعى علي هذه الدعوة لعنه الله ؛ والله ما صدق مؤدي هذا الخبر ، ولا بر . فسرى ذلك من قوله ما كان في قلبي ، وأعلمته اني أزيل عن قلب جبرائيل ما نادى اليه من الخبر الاول. فقال لي : افعل ، نشدتك الله ، وقرر عنده ما أقول ، وهو ما كنت أقوله فحرف عنده . فسألته عنه فقال : « انما قلت لو ان بقراط وجالينوس عاشا الى أن يسمعا قولي في الطب وصفاتي لسألا ربيها أن يبدلها بجميع حواسها من البصر والشم والذوق واللمس حساً سمياً يضيفانه الى ما معها من حس السمع ، ليمعا حكمي ووصفي . فاسألك بالله أما أدبت هذا القول عني اليه . » فاستغفرت من القاء هذا الخبر عنه فلم يعني . فاديت الى جبرائيل الخبر ، وقد كان أصبح في ذلك اليوم مفرقاً من علته ، فتدخله من الفيل والضبج ما تخوفت عليه منه للنكسة ، وأقبل يدعو على نفسه ويقول : « هذا جزء من وضع الضئيلة في غير موضعي ؛ وهذا جزء من اصطنع السفلى ، وأدخل في مثل هذه الصناعة للشريعة من ليس من أهلها . ثم قال : هل عرفت السبب في يوحنا وأبيه ؟ فاجبته اني لا أعرفها . فقال لي : اب الرشيد امرني بالخذ بيارستان ، وأحضرت « **دهشتك** » ، رئيس بيارستان جندي سابور ، لتقليده البيارستان الذي أمرت بالخذاه ، فامتنع من ذلك . وذكر ان السلطان ليست له عليه أرزاق جارية ، وانه انما يقوم بيارستان جندي سابور وميخائيل ابن أخيه حسيه . وتحمل علي بطيانيوس الجالليق في اعفائه وابن أخيه فاعفيتها . فقال لي : أما اذ قد أعفيتني فأني أهدي اليك هدية ذات قدر يحسن بك قبولها ، وتكثر منفعتها لك في هذا البيارستان . فسألته عن الهدية ، فقال لي : « اب صيبا كان بمن يدق الأدوية عندنا بمن لا يعرف له اب ولا قرابة ، أقام في البيارستان أربعين سنة ، وقد بلغ الخمسين سنة او جاوزها ، وهو لا يقرأ حرفاً واحداً بلسان من اللسان ، الا أنه قد عرف الأدوية داء داء ، وما يعالج به كل داء . وهو أعلم خلق الله بانتقاد الأدوية ، واختيار جيدها ، ونفي رديها . فأنا اهديه لك فاضمه الي من أحببت من تلامذتك . ثم قد تلميذك البيارستان فان اموره تخرج على احسن من خرجها لو قلديت هذا البيارستان . » فاعلمته اني قد قبلت الهدية ، وانصرف « **دهشتك** » الى بلده ، وأنفذ الي الرجل ، فأدخل علي في زي الرهبان ، وكشفته فوجدته على ما حكى لي عنه . وسألته عن اسمه ، فاجبني ان اسمه ماسويه . وكنت في خدمة الرشيد وداود بن سراييون مع أم جعفر . وكان المنزل الذي ينزله ماسويه يبعد من منزلي ويقرب من منزل داود بن سراييون . وكنت في داود دعابة وبطالة ، وكان في ماسويه ضعف من ضعف السفلى فيستطيع كل بطال . فما مضى بماسويه الا يسير حتى صار الي وقد غير زيّه ، وليس الثياب البيض . فسألته عن خبره ، فاعلمته انه قد عشق جارية لداود بن سراييون صليبة يقال لها « **رسالة** » ، وسألني ابتياعها له ، فابتعتها له بمائة درهم ووهبتها له ، فأولدها يوحنا وأخاه . ثم رعيت لماسويه ابتياعي له رسالة وطلبه منها النسل ، وصيرت ولدهم كأنهم ولد قرابة لي ، وعينت برفع اقدارهم وتقديهم على ابناء اشراف أهل هذه المهنة وعلمهم ، ثم رقت ليوحنا ، وهو غلام ، المرتبة الشريفة ووليته البيارستان وجعلته رئيس تلامذتي ، فكانت

مشويتي منه هذه الدعوى التي لا يسمع بها أحد الا كذف من خرج به ، وقوله باسمه وأطلق لسانه يمثل ما أطلقه به . ولعل ما خرج اليه هذه السفلة ، كانت الاعاجم تمنع جميع الناس من الانتقال عن صناعات آبائهم ، وتحظر ذلك غاية الحظر والله المستعان .

يوحنا بن ماسويه

كان طبيباً ذكياً فاضلاً خيراً بصناعة الطب ، وله كلام حسن وتصانيف مشهورة وكل من مبدعاً حطفاً عند الخلفاء والملوك .

قال اسحق بن علي الرهاوي في كتاب « ادب الطبيب » عن عيسى بن ماسه الطبيب ، قال : اخبرني أبو زكريا يوحنا بن ماسويه انه اكتسب من صناعة الطب ألف ألف درهم ، وعاش بعد قوله هذا ثلاث سنين أخر . وكان الواصل مشغولاً ضيقاً به ، فشرّب يوماً عنده فسقاه الساقى شراباً غير صاف ولا لذيق ، على ما جرت به العادة ، وهذا من عادة السقاة اذا قصر في برهم ^(١) . فلما شرب القدر الأول قال : يا أمير المؤمنين ، أما المذاقات فقد عرفتُها واعتدتها ، ومذاقة هذا الشراب فخارجة عن طبع المذاقات كلها ، فوجد أمير المؤمنين على السقاة وقال : يسعون أطبائي ، وفي مجلسي ، مثل هذا الشراب ! وأمر يوحنا ، بهذا السب ، وفي ذلك الوقت ، بمائة ألف درهم ودعا بسانة الخادم ، فقال له : اجعل اليه المال الساعة . فلما كان وقت العصر سأل سمانه هل حمل مال الطبيب أم لا ؟ فقال لا ، بعد ، فقال : يحمل اليه مائتا ألف درهم الساعة . فلما صلاوا المشاء سأل عن حمل المال فقيل له لم يحمل بعد ، فدعا بسانة وقال : اجعل اليه ثلاثمائة ألف درهم . فقال سمانه لحازرت بيت المال : اجعلوا مال يوحنا والا لم يبق في بيت المال شيء . فحمل اليه من ساعته .

وقال سليمان بن حسان : كان يوحنا بن ماسويه مسيحي المذهب مريانيا . قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة بما وجد بأنقره ^(٢) وحمورية ^(٣) وسائر بلاد الروم حين سباه المملوكون ، ووضعه أميناً على الترجمة . وخدم هرون والأمين والمأمون ، وبقي على ذلك إلى أيام المتوكل . قال : وكانت ملوك بني هاشم لا يتناولون شيئاً من أطعمتهم إلا بحضوره . وكان يقف على رؤوسهم ومعه البراني بالجوارشنت ^(٤) الماهجة المسخنة الطابخة المغموسة للحرارة الغريزية في الشتاء ، وفي الصيف بالاشربة الباردة والجوارشنتات .

وقال ابن التديم البغدادي الكاتب : إن يوحنا بن ماسويه خدم بصناعة الطب للمأمون والمعتصم والواصل والمتوكل .

(١) حطامهم والاحسان اليهم .

(٢) بلدة بالأشول وهي عاصمة تركيا الحديثة منذ ١٩٢٣ .

(٣) مدينة بيزنطية في الأشول لم يبق منها إلا أثر .

(٤) الجوارشنت أي القنينة وهي كالسرف يتشدق بهن .

وقال يوسف بن ابراهيم : كان مجلس يوحنا بن ماسويه أعمر مجلس كنت أراه بمدينة السلام لتطلب أو متكلم أو متفلسف ، لانه كان يجتمع فيه كل صنف من أصناف أهل الأدب . وكانت في يوحنا دعابة شديدة ، يحضر بعض من يحضر من أجليها ، وكان من ضيق الصدر ، وشدة الحدة ، على اصغر مما كان عليه جبرائيل بن جنتيشوع . وكانت الحدة تخرج منه ألفاظاً مضحكة ، وكان أطيب ما يكون مجلسه في وقت نظره في قوارير الماء ، وكنت وابن حدود بن عبد الصمد بن علي الملقب بابي المعطرده ، واسحق بن ابراهيم بن محمد بن اسمعيل الملقب ببيض البغل ، قد توكلنا به بحفظ نوادره وأظهرت له التلذة في قراءة كتب المنطق عليه ، وأظهرا له التلذة بقراءتها كتب جالينوس في الطب عليه .

قال يوسف : فمما جففت من نوادره في وقت نظره : أرت امرأة أخته فقالت له : ان فلانة وفلانة وفلانة يكرأن عليك السلام ، فقال لها : انا بأسماء اهل قسطنطينية^(١) وعورية أعلم مني بأسماء هؤلاء الذين مميتن ، فاطهري بولك حتى أنظر لك فيه .

قال يوسف : وحفظت عليه : ان رجلاً شكى اليه علة كان شفاؤه منها الفصد ، فاشار به عليه ، فقال : لم اعتد الفصد ، فقال له : ولا أحسب أهدأ اعتاده في بطن أمه . وكذلك لم تمتد العلة قبل ان تموت ، وقد حدثت بك فاختر ما شئت من الصبر على ما أحدثت لك الطبيعة من العلة او اعتياد الفصد لتسلم منها .

قال يوسف : وشكى اليه رجل مجصري جرباً^(٢) قد أضر به فأمره بفصد الأكمل^(٣) من يده اليمنى ، فأعله . أنه قد فعل . فأمر بفصد الأكمل أيضاً من يده اليسرى ، فذكر انه قد فعل . فأمره بشرب المطبوخ ، فقال : قد فعلت فأمره بشرب الاخميقون ، فأعله انه قد فعل . فأمره بشرب ماء الجبن اسبوعاً ، وفرب خيض البقر اسبوعين ، فأعله انه قد فعل . فقال له : لم يبق شيء مما أمر به المتطببون إلا وقد ذكرت انك فعلته ، وبقي شيء مما لم يذكره بقراط ولا جالينوس ، وقد رأيتاه يعمل على التجربة كثيراً ، فاستعمله فاني أرجو أن ينفع علاجك ان شاء الله . فساله : ما هو ؟ فقال ابتع زوجي قراءليس ، وقطعها رقاعاً صفاراً ، واكتب في كل رقعه : « رحم الله من دعا لمبتلى بالعافية » والقي نصفها في المسجد الشرقي بمدينة السلام ، والنصف الآخر في المسجد الغربي ، وفرقها في المجالس يوم الجمعة ، فاني أرجو ان ينفعك الله بالنعاء ، اذ لم ينفعك العلاج .

قال يوسف : وصار اليه ، وأنا حاضر ، قميس الكنيسة التي يتقرب فيها برحنا وقال له : قد فسدت علي معدتي . فقال له : استعمل جوارشن الحوزي ، فقال : قد فعلت . فقال له برحنا : فاستعمل السقمونيا ، قال : قد أكلت منه أرطالاً ، فأمره باستعمال المقدانيون ، فقال : قد شربت

(١) مدينة على ضفتي البوسفور وهي بيزنطيا القديسة اسمها الاغريق في القرن السابع قبل الميلاد وجعلها قسطنطين من عواصم الامبراطورية وحامها باسمه .

(٢) مرض يحدث في الجلد يتورأ لما حكة شديدة .

(٣) عرق في القزاح . (ن . د)

منه جرة . قال له : فاستعمل الروسيه ، فقال : قد فعلت واكثر . فغضب وقال له : ان اردت أن تبرا فأسلم فان الاسلام يصلح المدة .

قال يوسف : واشتدت على يوحنا علة كان فيها حتى يش منه أهله ، ومن عادة النصارى احضار من يش منه أهله جماعة من الرهبان والقسيسين والشمامسة يقرؤون حوله ، ففعل مثل ذلك يوحنا . فافرق والرهبان حوله يقرؤون ، فقال لهم : يا أولاد الفسق ما تصنعون في بيتي ؟ فقالوا له : كنا ندعو ربنا في التفضل عليك بالعافية . فقال لهم يوحنا : قرص ورد أفضل من صلوات جميع أهل النصرانية منذ كانت الى يوم القيامة ، اخرجوا من منزلي فخرجوا .

قال يوسف : وشكى ، بحضرتي ، إلى يوحنا رجل من التجار جربا به في أيام الشتاء فقال : ليست هذه من أيام علاج ما نجد ، وإنما علاج دائك هذا في أيام الربيع ، فتشكب أكل المعفونات كلها ، وطري السمك وماله صفار ذلك وكباره ، وكل حريف من الازرار والبقول ، وما يخرج من الضرع . فقال له الرجل : هذه أشياء لست أعطى صبرا على تركها . فقال له يوحنا : فان كان الامر على ما ذكرت فادمن أكلها وحك بدلك ، فلو نزل المسيح لك خاصة لما انتفعت بدعائه ، لما تصف به نفسك من الشره ^(١) .

قال يوسف : وعاتبه النصارى على اتخاذ الجوارى وقالوا له خالفت ديننا وانت شماس ، فاما إن كنت على سنتنا واقصرت على امرأة واحدة وكنت شماسا لنا ، وإما أخرجت نفسك من الشمامسة واتخذت ما بدا لك من الجوارى ، فقال : اتنا أمرا في موضع واحد لا نتخذ امرأتين ولا ثوبين ، فمن جعل الجانيق ^(٢) المعاش بظر ^(٣) أمه أولى ان يتخذ عشرين ثوبا من يوحنا الشقي في اتخاذ اربع جوار ، فقولوا للجانيق أن يلزم قانون دينه ، حتى نلزمه معه ، وان خالفه خالفناه .

قال يوسف : وكان بختيشوع بن جبرائيل يداعب يوحنا كثيرا ، فقال له يوما في مجلس ابني اسحق ، ونحن في عسكر المنتصم بالمدائن ، في سنة عشرين ومائتين : أنت يا أبا زكريا أخي لأبي فقال يوحنا لأبي اسحق : أشهد ايا الأمير على اقراره فواظ لأقامته ميراثه من أبيه ، فقال له بختيشوع : ان أولاد الزنا لا يرثون ولا يورثون وقد حكم دين الاسلام للماهر بالمهر ، فانقطع يوحنا ولم يمر جوابا .

قال يوسف : وكانت دار الطيفوري في دار الروم من الجانب الشرقي بمدينة السلام لصيقة دار يوحنا بن ماسويه ، وكان للطيفوري ابن قد علم الطب علما حسنا يقال له دانيال ، ثم تهرب بعد ذلك ؛ فكان يدخل مدينة السلام عند تأدي الخبر اليه بعله والده أو ما أشبه ذلك . وكان ليوحنا طاروس كان يقف على الحائط الذي قيا بين داره ودار الطيفوري ، فقدم دانيال مدينة السلام ليلا في

(١) اشتداد الميل الى الطعام .

(٢) متقدم الأساقفة ،

(٣) القلفة التي تقطع في الحتان من الجارية ابي ما بين اسكتي المرأة . والمجة عبارة عن سبة . (د . و .)

الشهر المعروف بآب ، وهو شهر شديد الحر كثير الرمد ^(١) ، فكان الطاووس كلما اشتد عليه الحر صاح قائبه دانييل ، وهو في ثياب صوف من ثياب الرهبان ، فطرده مرات فلم ينفع ذلك فيه ، ثم رفع مرزبته ^(٢) فضرب بها رأس الطاووس فوقع ميتاً . واستأجر الخبز عن يوحنا إلى أن ركب ورجع ، فصادف عند منصرفه طاووسه ميتاً على باب داره ، فاقبل يقذف بالحدود من قتله . فخرج إليه دانييل فقال : لا تشتم من قتله ، فإني أنا قتلته ، ولك علي مكانه عدة طاووس . فقال له يوحنا : بمحضري ليس يعجبني راهب له سنام وطول ذكر . إلا أنه قال ذلك بفحش . فقال له دانييل : وكذلك ليس يعجبني شماس له عدة نساء ، واسم رئيسة نسائه قراطيس - وهو اسم رومي لا عربي . ومعنى قراطيس عند الروم القرانة ، وليس تكون المرأة قرانة حتى تنكح غير بعلها - . فخبيل يوحنا ودخل منزله مفعولاً .

قال يوسف : وحدثنى بصر أحد بن هرون الشرايبي : أن المتوكل على الله حدثه في خلافة الراجي أن يوحنا بن ماسويه كان مع الراجي على دكان كان للراجي في دجة ، ومع الراجي قصة فيها شخص ^(٣) وقد ألغاهما في دجة ليصيد بها السمك ، فحرم الصيد ، فالتفت إلى يوحنا وكان على يمينه ، فقال : قم يا مشؤوم عن يميني . فقال له يوحنا : يا أمير المؤمنين ، لا تتكلم بحال ، يوحنا بن ماسويه الخواري وأمه رسالة الصقلية المتابعة بثمانمائة درهم أقبلت به السعادة إلى أن صار نديم الخلفاء وميهرم وعشيرهم ، وحتى غرره الدنيا فقال منها ما لم يبلغه أصله . فمن أعظم محال أن يكون هذا مشؤوماً ، ولكن ، إن أحب أمير المؤمنين أن أخبره بالمشؤوم من هو ، أخبرته . فقال : ومن هو ؟ فقال : من ولدت أربع خلفاء ثم ساق الله إليه الخلافة ، فترك خلافته وقصورها وبساتينها وقعد في دكان مقدار عشرين ذراعاً في مثلها في وسط دجة ، لا يأمن عصف الريح عليه فيترقه . ثم تشبه بالفرس قوم في الدنيا وشهرهم ، وهم صيادو السمك . قال لي أحمد بن هرون قال لي المتوكل : فرأيت الكلام قد أجمع فيه إلا أنه أملك لمكاني .

قال يوسف : وحدثنى أحمد بن هرون أن الراجي قال في هذا ليوحنا وهو على هذه الدكان : يا يوحنا ألا أعجبك من خة ؟ قال : وما هي ؟ قال : أن الصياد ليطلب السمك مقدار ساعة ، فيصيد من السمكة ما تساوي الدينار أو ما أشبه ذلك . وأنا أقعد مذ غدوة إلى الليل فلا أصيد ما يساوي درهماً . فقال له يوحنا : وسخ أمير المؤمنين التمجيد في غير موضعه ، إن رزق الصياد من صيد السمك ، فرزقه بأثني لانه قوته وقوت عياله ، ورزق أمير المؤمنين بالخلافة فهو غني عن أن يرزق بشيء من السمك ، ولو كان رزقه جعل في الصيد لوفاه رزقه منه مثل ما يوفاني الصياد .

قال يوسف : وحدثنى إبراهيم بن علي متعطب أحد بن طولون ، أنه كان في دهليز يوحنا بن ماسويه

(١) ربيع المين وانتفاخها .

(٢) عصية من حديد .

(٣) حديدة عظيمة يصاد بها السمك وهي مربوطة أو شت (د . و) .

ينتظر رجوع يوحنا من دار السلطان ، فانصرف وقد أسلم في ذلك الوقت عيسى بن ابراهيم بن نوح بن أبي نوح كاتب الفتح بن خاقان . قال ابراهيم : فعمت اليه وجاعة من الرهبان ، فقال لنا : اخرجوا يا اولاد الزنا من داري واذهبوا أسلوا فقد أسلم المسيح الساعة على يد المتوكل .

قال يوسف : وقدم جرجة بن زكريا ، عظيم التوبة ، في شهر رمضان سنة احدى وعشرين ومائتين الى سر من رأى ، وأهدى الى المتصم هدايا فيها قردة . فاتي عند يوحنا في اليوم الثاني من شوال من هذه السنة ، وأنا اعاتبه على تخلفه عن حضور الدار ، في ذلك الوقت ، لاني رأيت سلوكه ويختيشوع والجريش المتطبين ، وقد وصلوا ، اذ دخل علينا غلام من الازراك الخاصة ومعه قرود من القردود التي أهداها ملك النوبة لا أذكر اني رأيت اكبر منه جثة وقال له : يقول لك أمير المؤمنين زوج هذا القرد من «حامم» قردتك وكان ليوحنا قردة يسميها حامم ، كان لا يصبر عنها ساعة . فوجم لذلك ثم قال للرسول : قل لأمير المؤمنين الخناذي لهذه القردة غير ما نوحه أمير المؤمنين ، وانما دبرت تشريحها ووضع كتاب على ما وضع جالينوس في التشريح يكون جمال وضي اياه لأمير المؤمنين ، وكان في جسمها قرة تكون العروقة فيها ، والاوراد والنصب مفاقا ، فلم أطع في اتضاع الأمر فيها مثل اتضاعه فيما عظم جسمه . فارتكتها لتكبر ويغفل جسمها ، فاما إذ قد وافى هذا القرد فسيمل أمير المؤمنين أبي ساضع له كتابا لم يوضع في الاسلام مثله . ثم فعل ذلك بالقردة فظهر له منه ككتاب حسن استحسنة اعداؤه فضلا عن اصداقائه .

قال يوسف : ودخل يوحنا على محمد بن أبي أيوب بن الرشيد ، وكانت به حمى مثلية ، وهي التي تأخذ غيبا ، فنظر الى مائه وجس عرقه وسأله عن خبره ، كيف كان في أمسه وميئته وصباحه ، الى أن وافته . فاخبره بذلك فقال يوحنا : حكاك هذه من اسهل الحميات ما لم يخلط صاحبها ، لاني أقصى عنها سبعة أدوار واكثر ذلك يترك في الدور الرابع . وابت خلط فيها الطليل الثقلت فرجا تطاولت به العلة ، وربما قلت نفسه . فقال ابن أبي أيوب: قف في على ما رأيت ، فأني لا أخالفك . فامرته أن يقتصر على لباب الخبز المنسول بالماء الحار ثلاث غسلات ، ثم يأكل اللباب . ان كانت شهوته للطعام ضميغه ، وعلى المزروعات (١) من الطعام مثل الماس (٢) والقرع (٣) والسرمد (٤) ، والخيبر وما أشبه ذلك ان كانت شهوته قوية ؟ وان يرفع يده عن الطعام وهو يشتهي . فقال له محمد : فهذا ما أمرت بأكله فدلتني على ما لا أكل . فقال له : أول ما أتاك عن أكله ، فيوحنا بن ماسويه ثم بغلة الجاثليقي ، فان حقه على أهل النصرانية واجب ، ثم الزنبريتان وهما السفيلتان اللتان في الجسر في الجانب الشرقي ، فان الجسر لا يصلح الا بها . ثم نهض مغضبا وهو يدعو علي لاني كنت السبب في مصيره الى محمد بن أبي أيوب

(١) واحتملها مزودة وهي مرققة يطعمها المريض تطبخ خاليه من الادمان

(٢) حب من الطعالي أغصن يؤكل مطبوخا .

(٣) نوع من البقلتين وتسميه العرب النبله .

(٤) نبات قيل هو اللطف ، والنعطف بقية من احرار البقول . والسرمد ، فارسية او فارسيته السرمك (ن.و)

قال يوسف : واعتل محمد بن سلمان بن الهادي المعروف بابن مشغوف علة تطاولت به ، وكان أبو العباس بن الرشيد يأنم يوحنا تعاهده ، وكان محمد ابن سلمان ربما يزيد في الحديث أشياء لا ينجيل باطلها على سامعها . فدخل اليه يوماً وأنا عنده ، فاستشاره فيما يأخذ . فقال يوحنا : قد كنت أشير عليك بما تأخذ في كل يوم وأنا أحسبك محب الصحة والعافية ، فاما إذ صبح عندي انك تكره العافية وتحب العلة ؟ فلست استحل أن أشير عليك بشيء . فقال له ابن مشغوف : يا جاهل من يكره العافية ويحب العلة ؟ فقال له يوحنا : أنت ، والبرهان على ذلك ان العافية في العالم تشبه الحق والسقم يشبه الكذب ، وأنت تتكلم أكثر دهرك بالكذب ، فيكون كذبك مادة لسقمك فتى تبرا أنت من علة متطاولة ، وأنت عندما أكثر دهرك بالكذب الزائد فيها ، فالزم الصدق ثلاثة أيام ولا تكذب فيها ، فيوحنا بريء من المسيح ، إن لم تخرج من هذه العلة قبل انقضاء هذه الثلاثة أيام

قال يوسف بن ابراهيم ، وكان ليوحنا بن ماسويه ابن يقال له ماسويه أمه بنت الطيفوري جد اسرائيل متطبع الفتى بن خاقان . وكان ماسويه هذا أشبه خلق الله بابيه في خلقه ولفظه وحركانه . إلا انه كان قليلاً لا يكاد يفهم شيئاً إلا بعد مدة طويلة ، ثم ينسى ذلك في أسرع من اللعظ . فكان يوحنا يظهر محبة ابنه تقيّة^(١) من السنة الطيفوري وولده . وكان أشد بغضاً له منه اسهل الكوسج الذي هتكه بإدعائه انه وضعه في فرج أمه .

قال يوسف : أول سنة سبع عشرة ومائتين صالح بن شيخ بن عميرة بن حيان بن مرارة الأسدي علة أضره منها ، فاتيته عائداً ، فوجدته قد أفرق بعض الافراق ، فدارت بيننا أحاديث كان منها ان عميرة جده أصيب بأخ له من ابيه ، ولم يخلف ولداً ، فمظمت عليه المصيبة . ثم ظهر حبل بحارية كانت له بعد وفاته فصرى عنه بعض ما دخل من النعم وسوأل الى بيته ، وقدمها على حرم نفسه ، فوضعت ابنة فتنبى بها وقدمها على ذكور ولده وانثى . فلما عرفت رغبها في كفء يزوجهامنه . فكان لا يخطبها اليه خاطب الا فرغ نفسه للتفتيش عن حسبه والتفتيش عن اخلاقه ، فكان بعض من زرع اليه خاطبها ابن عم خالد^(٢) بن صفوان بن الأهم التميمي ، وكان عميرة عارفاً بوجه الفتى وبسمه . فقال : يا بني أما نسبك فلست أحتاج الى التفتيش عنه ، وانك لكفء لابنة أخي من جهة الشرف ، ولكنه لا سبيل الى عقد عقدة النكاح على ابنتي دون معرفتي باخلاق من أعقد العقدة له ، فان سهل عليك المقام عندي وفي دارى سنة أكشف فيها أخلاقك كما أكشف احساب وأخلاق غيرك ، فاقم في الرحب والسعة ، وان لم يسهل ذلك عليك فانصرف الى أهلك فقد أمرنا بتجهيزك وحمل جميع ما تحتاج اليه ملك الى موافاتك بصرتك . قال صالح بن شيخ : حدثني أبي عن جدي أنه كان لا يبيت ليلة الا انه عن ذلك الرجل أخلاق متناقضة . فواصف له باحسن الامور ، وواصف له باسجها . فاضطره تناقض اخباره الى التكذيب بكلمها ، وأن يترك الأمر على أن مادحه مايله ، وان عابته تحامل عليه .

(١) الخلد .

(٢) نديم السلاج وكان يرجع الى مشورته في معضلات اموره اتخذته ندياً لأدبه توفي سنة ٧٥٧ .

فكتب الى خالد : « أما بعد فان فلانا قدم علينا خاطباً لابنة أخيك فلانة بنت فلان ، فان كانت أخلاقه تشاكل حسب فيه الرغبة لزوجه ، والحظ لولي عقد نكاحه . فان رأيت علي بما ترى العمل به في ابن عمك وابنة أخيك ، فان المشتار مؤتمن فعلت ان شاء الله » . فكتب اليه خالد : « قد فهمت كتابك وكان أبو ابن عمي هذا احسن أهلي خلقاً وأسمجهم خلقاً ، واحسنهم عن أسماء به صفها ، واسخام كفاً ، إلا انه مبتل بالمهار^(١) وسجاجة الخلق . وكانت امه من احسن خلق الله وجهاً ، واعظم فرجاً ، الا انها من سوء الخلق والبخل وقة العقل على ما لا اعرف احداً على مثله . وابن عمي هذا ، فقد تقبل من ابويه مساويها ، ولم يتقبل شيئاً من محاسنها . فان رغبت في تزويجه على ما شرحت لك من خبره فانت وذاك . وان كرهته رجوت ان يغير الله لابنة اخينا ان شاء الله

قال صالح : فلما قرأ جدي الكتاب أمر باعداد طعام للرجل ، فلما ادرك حله على طاقة مهربية واكل به من اخرجته من الكوفة . فاعجبني هذا الحديث وحفظته . وكان اختياري ، في منصرفي من عند صالح بن شيخ ، على دار هرون بن سليمان بن المتصور فدخلت عليه مسلماً وصادفت عنده ابن ماسويه . فسألني هرون عن خبري وعن لفتي . فحدثته بما كان عند صالح بن شيخ . فقال : لقد كنت في معادن الاحاديث الطيبة الحسان . وسألني ! هل حفظت عنه حديثاً ؟ فحدثته بهذا الحديث . فقال يوحنا : عليه وعليه ان لم يكن شبه هذا الحديث بمحدثي وحديث ابني اكثر من شبه ابني بي . بليت بطول الوجه وارتفاع قحف الرأس وعرض الجبين ، وزرقة العين ، ورزقت ذكاه وحفظاً لكل ما يدور في مسامي . وكانت بنت الطيفوري احسن انثى رأيتها او سمعت بها الا انها كانت ورهاء^(٢) بلهاء ، لا تميل ما تقول ، ولا تفهم ما يقال لها . فتقبل ابنها مساجناً جميعاً ، ولم يرزق من محاسنها شيئاً . ولولا كثرة فضول السلطان ودخوله فيها لا يعنيه لشرحت ابني هذا حياً ، مثل ما كان جالينوس يشرح للقرود والناس . فكنت اعرف بتشريحه الأسباب التي كانت لها بلادته ، واربعة الناس من خلقته ، واكسب اهلها بما اضع في كتابي في صفة تركيب بدنه ، ومجاري عروقه واوراده وعصبه علماً ولكن السلطان يمنع من ذلك . وكأني بابي الحسين يوسف قد حدث الطيفوري وولده بهذا الحديث ، فالفني لنا شراً ومنازعات ليضعك بما يقع بيننا ، فكان الامر على ما توهم .

واعتل ماسويه بن يوحنا بعد هذا بليال قلائل ، وقد ورد رسول المتصم من دمشق ايام كان بها مع الأمون في إشغاص يوحنا اليه ، فرأى يوحنا فصدده ورأى الطيفوري وابناء زكريا ودانيل خلقت ما رأى يوحنا . فصدده يوحنا وخرج في اليوم الثاني الى الشام ، ومات ماسويه في اليوم الثالث من مغرجه . فكان الطيفوري وولده يحلفون في جنازته ان يوحنا تعمد قتله ، ويحتجون بما حدثتهم به من كلامه الذي كان في منزل هرون بن سليمان .

ونقلت من كتاب الهدايا والتحف لأبي بكر وابي عثمان الخالدين قالاً : حدثنا ابو يحيى ،

(١) الفجور . (٢) ذ. و .
(٢) حقا .

قال : اقتصد المتوكل فقال لخاصته وندمائه اعدوا لي يوم قصدي ، فاحتفل كل واحد منهم في مدينته . وأمدى اليه الفتح بن خاقسان جارية لم ير الراؤون مثلاً حسناً وطرفاً وكلاً ؛ فدخلت اليه ومعهام جام^(١) ذهب في نهاية الحسن ، وذن بلور لم ير مثله فيه شراب يتجاوز الصفات ، ورقة فيها مكتوب :

إذا خرج الامام من الدواء وأعقب بالسلامة والشفاء
فليس له دواء غير شرب بهذا الجام من هذا الطلاء
وقض الخاتم المهدي اليه فهذا صالح يمد الدواء
(الوافر)

واستظرف المتوكل ذلك واستحسنه ، وكان بحضرته يوحنا بن ماسويه . فقال : يا أمير المؤمنين ، الفتح ، والله ، أعطب مني فلا تحالف ما أشار به .

أقول : ومن نوادر يوحنا بن ماسويه ان المتوكل على الله قال له يوماً : بعت بيتي بقصرين . فقال له : آخر الغداء يا أمير المؤمنين - أراد المتوكل تعشيت فصرني لانه تصحيفها - فأجابه ابن ماسويه بما تضمن العلاج . وعقب ابن حمدون التندم ابن ماسويه بحضرة المتوكل ، فقال له ابن ماسويه : لو ان مكان ما فيك من الجهل عقلاً ، ثم قسم على مائة خنفساء لكانت كل واحدة منهن أعقل من ارسطوطاليس .

ووجدت في كتاب جراب الدولة قال : دخل ابن ماسويه المتطبيب الى المتوكل ، فقال المتوكل لحادم له : خذ پول فلان في قارورة واثتر به الى ابن ماسويه . فأثني به فلما نظر اليه ، قال : هذا پول يغفل لا محالة . فقال له المتوكل : كيف علمت أنه پول يغفل ؟ قال ابن ماسويه : أحضرني صاحبه حتى أراه ، ويتبين كلني من صدقي . فقال المتوكل : هاتوا الغلام . فلما مثل بين يديه قال له ابن ماسويه : ايش أكلت البارحة ؟ قال : خبز شعير ، وماء قراح . فقال ابن ماسويه : هذا والله طعام حماري اليوم .

ونقلت من خط المختار بن الحسن بن بطلان ان أبا عثمان الجاحظ^(٢) ويوحنا بن ماسويه قال اجتماعاً ، بغالب ظني ، على مائدة اسماعيل بن بلبل الوزير . وكان في جملة ما قدم مضيرة^(٣) بعد سبك ، فامتنع يوحنا من الجمع بينهما . قال له أبو عثمان : « أيها الشيخ لا يخفى أن يكون السمك من طبع اللين أو مضاداً له ، فان كان أحدهما ضد الآخر فهو دواء له ، وان كلا من طبع واحد فلنحسب اننا قد اكلمنا من أحدهما الى أن اكلفينا » . فقال يوحنا : « والله مالي خبرة بالكلام ، ولكن كل يا

(١) الكأس .

(٢) من لغة الادب في العصر العباسي ومن اشهر الكتاب والمؤلفين . وكان ذا ملاحظة دقيقة وروح مرحة فكبة وقلم شيق يمزج الجلد بالدهابة واند في البصرة وتوفي فيها سنة ٨٦٨ هـ .
(٣) طعام يطبخ بالبن الحمر اي حامض (ن.د.)

أبا عثمان ، وانظر ما يكون في غد . فأكل أبو عثمان نصرة لصواء ، ففلج في ليلته ، فقال : « هذه والله نتيجة التماس الحال » . والذي ضلل أبا عثمان اعتقاده ان السمك من طبع اللبن . ولو ساعتهما في أنهما من طبع واحد لكان لامتازجهما قوة ليست لاحدهما .

وقال الشيخ أحمد بن علي ثابت الخطيب البغدادي عن الحسين بن فهم قال : قدم علينا محمد بن سلام صاحب طبقات الشعراء وهو المجعي سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، فاعتل علة شديدة ، فما تخلف عنه أحد ، وأهدى اليه اجلاء أطبايهم ، فكان ابن ماسويه ممن اهدى اليه ، فلما جث ونظر اليه ، قال : ما ارى من العلة ما ارى من الجزع . فقال : والله ما ذاك حرص على الدنيا مع اللتين وثانين سنة ، ولكن الانسان في غفة حتى يوقظ بمة ، ولو وقفت بعرفات وقفة ، وزرت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم زورة ، وقضيت اشياء في نفسي ، لرأيت ما اشتد علي من هذا قد سهل . فقال له ابن ماسويه : فلا تجزع فقد رأيت في عرقك من الحرارة الغريزية وقوتها ما ان سلك الله من هذه العوارض ، بلغك عشر سنين اخرى . قال الحسين بن فهم فوافق كلامه قدراً فعاشر عشر سنين بعد ذلك .

وحدث الصولي في « كتاب الاوراق » قال : كان المأمون تازلاً على البندنون -- نهر من أعمال طرسوس -- فجلس يوماً واخوه المنصور عليه ، وجعلاً أرجلها فيه استبراداً له ، وكان أبرد الماء وأرقه وألذ . فقال المأمون للمنصور : أحببت الساعة من أزا^(١) العراق آكله واشرب من داء الماء البارد عليه ، وسمع صوت حلقة البريد واجراسه ، فقيل هذا يزيد بن مقبل بريد العراق ، فأحضر طبقاً من فضة فيه رطب ازا^(٢) فعبج من ثمنه وما تم له . فأكلوا وشربوا من الماء ونهضا وتودع المأمون وأقال ، ثم نهض محمواً وقصد فظهرت في رقبته نفخة كالت تمتاده وبراعها الطبيب الى أن تنضج وفتتح وتبرأ . فقال المنصور للطبيب ، وهو ابن ماسويه ، ما أطرف ما نحن فيه تكون الطبيب المفرد المتوسد في صناعتك ، وهذه للنفخة تمتاد أمير المؤمنين ، فلا تزيلها عنه ، وتلطّف في جسم مادتها حتى لا ترجع اليه ! والله لئن عادت هذه العلة عليه لاضرب عنقه . فاستطرق ابن ماسويه لقول المنصور وانصرف ، فحدث به بعض من يثق به ويأنس اليه فقال له : « تدري ما قصد المنصور ؟ قال : لا . قال : قد أملك بقتله حتى لا تعود النفخة اليه ، والا فهو يعلم ان الطبيب لا يقدر على دفع الأمراض عن الاجسام ، وانما قال لك لا تدعه يمشي ليعود المرض عليه » . فتعالم ابن ماسويه وامر تليذاً له بشاهدة النفخة والازداد الى المأمون نيابة عنه ، والتلميذ يحميه كل يوم ويعرفه حال المأمون وما تجدد له ، فامر بفتح النفخة ، فقال له : اعينك بالله ، ما اجرت ولا بلغت الى حد الجرح ، فقال له : امض وافتحها كما أقول لك ولا تراجعني ، فمضى وفتحتها ومات المأمون رحمه الله .

اقول : انما فعل ابن ماسويه ذلك لكونه عديماً للرؤية والدين والأمانة ، وكان على غير ملة

(١) فرع من الثمر .

الاسلام ، ولا له تمسك بدينه أيضاً كما حكى عنه يوسف بن ابراهيم في اخباره المتقدمة . ومن ليس له دين يتمسك به ويعتقد فيه فالواجب ان لا يدينه عاقل ولا يركن اليه حازم .

وكانت وفاة يوحنا بن ماسويه بصرى من رأى يوم الاثنين لاربع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث واربعين ومائتين في خلافة المتوكل .

ومن كلام يوحنا بن ماسويه انه سئل عن الخير الذي لا شر معه فقال : شرب القليل من الشراب الصافي

ثم سئل عن الشر الذي لا خير معه فقال : نكاح المجوز .

وقال : أكل التفاح يرد النفس .

وقال : عليك من الطعام بما حدث ، ومن الشراب بما عتق .

وليوحنا بن ماسويه من الكتب : كتاب الفهران ثلاثون باباً ، كتاب البصيرة ، كتاب الكمال والتمام ، كتاب المحييات مشعر ، كتاب في الاغذية ، كتاب في الاثرية ، كتاب المنجج ، في الصفات والعلاجات ، كتاب في القصد والحجامة ، كتاب في الجذام لم يسبقه أحد الى مثله ، كتاب الجوهر ، كتاب الرجحان ، كتاب في تركيب الادوية المسيلة واصلاحها وخاصة كل دواء منها ومنفعت ، كتاب دفع معضات الاغذية ، كتاب في غير ما شئ به مما عجز عنه غيره ، كتاب السر الكامل ، كتاب في دخول الحمام ومنافعها ومضرتها . كتاب السموم وعلاجها ، كتاب التمييز ، كتاب الازمنة ، كتاب الطبيع ، كتاب في الصداع وعمله وأوجاعه وجميع ادويته والسدد والمائل المولدة لكل نوع منه ، وجميع علاجه ، الله لمبد الله بن طاهر . كتاب الصدر والنوار ، كتاب لم امتنع الاطباء من علاج الحوامل في بعض شهور حملن : كتاب محنة الطبيب ، كتاب معرفة محنة الكحالين ، كتاب دغل العين ، كتاب بحسة العروق ، كتاب الصوت والبعثة ، كتاب ماء الشعر ، كتاب المرة السوداء ، كتاب علاج النساء اللواتي لا يحبلن حتى يحبلن ، كتاب الجنين ، كتاب تدبير الاصحاء ، كتاب في السواك والسنونات ، كتاب المعدة ، كتاب القولنج ، كتاب النوادر العالوية ، كتاب التشريح ، كتاب في ترتيب سقى الادوية المسيلة بحسب الازمنة وبحسب الأمزجة ، وكيف ينبغي ان يسقى ، ولين ومتى وكيف يمان الدواء اذا احتبس ، وكيف يمنسج الاسهال اذا أفرط . كتاب تركيب خلق الانسان وأجزائه وعدد اعضائه ومفاصله وعظامه وعروقه ، ومعرفة أسباب الأوجاع ، ألفه للأمامون . كتاب الابدال فصول كتبها لحنين ابن اسحق بمد أن سأله المذكور ذلك . كتاب المالبخوليا واسبابها وعلاماتها وعلاجها . كتاب جامع الطب مما اجتمع عليه أطباء فارس والروم ، كتاب الحيلة للبره .

ميخائيل بن ماسويه

متطلب المأمون ، وميخائيل هذا هو اخو يوحنا بن ماسويه .

قال يوسف بن ابراهيم مولى ابراهيم بن المهدي : كان هذا المتطبب لا يتمتع بالحديث ولا يحتاج في شيء ، يقوله بحجة ، ولا يوافق أحداً من المتطبيين على شيء أحدث من مائتي سنة ، فلم يكن يستعمل السكتجين^(١) والورد المربى إلا بالصل ، ولا يستعمل الجلاب^(٢) المتخذ بماء الورد ، ولا يتخذة إلا من الورد المسوق بالماء الحار ، ولا يتخذة بالسكر ، ولا يستعمل شيئاً لم يستعمله الأوائل . ولقد سأله يوماً عن رأيه في الموز فقال : « لم أر له ذكراً في كتب الأوائل ، وما كانت هذه حاله لم أقدم على أكله ولا على طعامه للناس . وكان المأمون به معجباً وله على جبرائيل بن جئشوش مقدماً ، حتى كان يدعو بالكتبة أكثر مما يدعو بالاسم . وكان لا يشرب الأدوية إلا بما قولى تركيبة واصلاحه له . وكنت أرى جميع المتطبيين بمدينة السلام يجعلونه تبجيلاً لم يكونوا يظهره لغيره .

قال يوسف : وحضر في النصف من شوال سنة عشرين ومائتين دار ابراهيم بن المهدي مع جماعة من وجوه المتطبيين ، وكانت « شكلة » عليه فوجه المنتصم المتطبيين اليها ليرجعوا اليه بخبرها ، وقد كانوا صاروا اليها قبل ذلك اليوم يوماً ، فنظروا الى ما فيها ، وجسوا عرقها ، وعادوا النظر في اليوم الثاني في امرها ، فقالوا كلهم : « انها أصبحت صالحة » وانهم لا يشكون في افرانها . فسبق الى ومي انهم ، أو اكثرهم ، أحب أن يسر أبا اسحق بما ذكروا من العافية . فلما نهضوا اتبعتهم فسألت واحداً واحداً عما عنده من العلم بمحالها فكلهم قال لي مثل مقالته لابي اسحق ، الا لسويوه بن بنان فانه قال لي : هي اليوم اصعب حالاً منها أمس . وقال لي ميخائيل : قد ظهر أمس بالقرب من قلبها ورم لم نره في يومنا هذا ، افترى ذلك الورم ساخ في الأرض او ارتفع الى السماء ؟ انصرف فاعد لهذه المرأة جهازها فليست تبيت في الأحياء ، فتوفيت وقت صلاة العشاء الآخرة بعد ان ألقى إلي ميخائيل ما ألقى ساعات عشرين او نحوها .

قال يوسف : وحديثي ميخائيل بن ماسويه انه لما قدم المأمون بغداد أدام طاهر^(٣) بن الحسين ، فقال له يوماً ، وبين ايديهم تبيذ قطر بلي : يا أبا الطيب هل رأيت مثل هذا الشراب ؟ قال : نعم ، قال : مثله في اللون والطعم والرائحة ؟ قال : نعم . قال : اين ؟ قال : ببوشنج . قال فاحمل اليها منه . فكتب طاهر الى وكيله فحصل منه ، ورفع الخبر من « النهران »^(٤) إلى المأمون ان لطفاً وافى طاهر من ببوشنج ، فلم الخبز وتوقع حل طاهر له فلم يفعل . فقال له المأمون بعد ايام : يا أبا الطيب لم يواف التبيذ فيما وافى . فقال : أعيد أمير المؤمنين بالله من أن يقيمني مقام خزني وفضيعة . قال : ولم ؟ قال : ذكرت لأمر المؤمنين شراباً ثريته وأنا صعلوك وفي قرية كنت أتمنى ان املكها ، فلما

(١) شراب يتخذ من خل وصل .

(٢) الفسل والسكر عتقاً بماء الورد .

(٣) مؤسس سلالة بني طاهر في خراسان وقائد في جيش الخليفة المأمون .

(٤) بلاد في العراق واقعة بين بغداد وواسط حدث فيها الواقعة بين علي بن ابي طالب والحرار سنة ٦٥٨ هـ . ج. ٥ .

ملكني الله يا أمير المؤمنين أكثر مما كنت اتقى ، وحضر ذلك الشراب وجدته فضيحة من الفضائح . قال : فاحل البنا منه على كل حال ، فحمل منه ، فامر ان يصير في الخزانة ، ويكتب عليه الطاهري ليازحه به من افراط ردايته ، فأقام سنتين ، واحتاج المأمون إلى ان يتقياً فقالوا يتقياً بنبيذ رديء فقال بمضهم ؛ لا يوجد في العراق أردأ من الطاهري وأخرج فوجد مثل القطر يلي أو أجود ، وإذا هواء المراق قد اصلحه كما يصلح ما نبت وعصر فيه .

عيسى بن ماسة

من الأطباء الفضلاء في وقته ، وكان أحد المتميزين من أرباب هذه الصناعة ، له طريقة حسنة في علاج المرضى .

ولم يمس بـن ماسة من الكتب كتاب قوى الاغلية . كتاب من لا يصغره طبيب . مسائل في النسل والثرية . كتاب الرقيا . يخبر فيه بالسبب الذي امتنع به من معالجة الحوامل ، وغير ذلك . كتاب في طلوع الكواكب التي ذكرها بقراط . كتاب في القصد والحجامة . رسالة في استعمال الحمام .

حنين بن اسحق

هو ابو زيد حنين بن اسحق العبادي (يفتح العين وتخفيف الباء ، والعباد بالفتح قبائل شتى من بطون العرب ، اجتمعوا على النصرانية بالحيرة ، والنسبة اليهم عبادي قال الشاعر :

يسقيكما من بني العباد رشا منكسب عيده إلى الأحد

(المشرح)

وكان حنين بن اسحق فصيحاً لساناً بارعاً شاعراً . واقام مدة في البصرة . وكان شيخه في العربية الخليل^(١) بن أحمد . ثم بعد ذلك انتقل الى بغداد واشتغل بصناعة الطب .

قال يوسف بن ابراهيم : اول ما حصل لحنين بن اسحق من الاجتهاد والعناية في صناعة الطب هو ان مجلس يوحنا بن ماسويه كان من أهم مجلس يكون في التصدي لتعليم صناعة الطب ، وكانت يجتمع فيه اصناف أهل الأدب . قال يوسف : وذلك أي كنت أعهد حنين بن اسحق اللرجان يقرأ على يوحنا ابن ماسويه كتاب فرق الطب الموسوم باللسان الرومي والسرياني يهراسيس ، وكان حنين اذ ذلك صاحب سؤال ، وذلك يصعب على يوحنا . وكان يباعده أيضاً من قلبه ان حنيناً كل من أبناء الصيارفة من

(١) نحوي ولغوي اسمه من عمان تملط ايوب السخنياني وعلم سيبويه والأصمعي وغيرهما من لغة اللغة واكتشف علم العروض وروى في البصرة ٧٨٨ ، واشهر كتبه : كتاب العين .

أهل الحيرة ، وأهل جندي ساور خاصة ومتطبوها ينحرفون عن أهل الحيرة ويكرهون أن يدخل في صناعتهم أبناء التجار . فسأله حين في بعض الأيام عن بعض ما كان يقرأ عليه مسألة مستقيم لما يقرأ ، فحده يوحنا وقال : « ما لأهل الحيرة ولتم صناعة الطب ا صر الى فلان قرابتك حتى يهب لك خسين درهما تشتري منها قنفاً صناعاً بدرهم ، وزرنيخاً بثلاثة دراهم ، واشتر بالباقي قلو^(١) كوفية وقادسية . وزرنخ القادسية في تلك القفاف ، واقعد على الطريق ، وصح : « القلوس الجياد للصدقة والنفقة » . ربيع القلوس فإنه أعود عليك من هذه الصناعة . »

ثم أمر به فاخرج من داره فخرج حنين باكياً مكروباً . وغاب عنا حين فلم نره سلتين . وكان للرشد جارية رومية يقال لها « خرشي » ، وكانت ذات قدر عنده محلها منه محل الحوازن . وكانت لها أخت أو بنت أخت ربما أتت الرشد بالكسوة او بالشئ مما خرشي خازنة عليه . فاقتدها الرشد في بعض الاوقات وسأل « خرشي » عنها فأعلمته انها زوجتها من قرابة لها ، فغضب من ذلك وقال : كيف اقدمت على تزويج قرابة لك ، أصل ابتياعك ايها من مالي فهي مال من مالي ، بغير اذني . وأمر سلاماً الابرش بتعرف أمر من زوجها ويتأديه . فتعرف سلام الخبر حتى وقع على الزوج فلم يكلمه حين ظهر به حتى خصاه ، فبلى بالخصاء بعد ان علقته الجارية منه . وولدت الجارية عند غرج الرشد الى طوس^(٢) .

« وكانت وفاة الرشد بعد ذلك ، فتبنت « خرشي » ذلك القلام وأدبته بأداب الروم وقراءة كتبهم . فتعلم اللسان اليوناني علماً كانت له فيه رياسة . وهو اسحق المعروف بابن الحصي . فكنا نجتمع في مجالس أهل الادب كثيراً فوجب لذلك حقه وذمامه ، واعتل اسحق ابن الحصي علة فأثبته عائداً فاني لفي منزله اذ بصرت بانسان له شعرة قد جلقته وقد سار وجهه عني ببعضها ، وهو يردد ويلشد شعراً بالرومية لأوميرس رئيس شعراء الروم ، فشبهت نغمته بنغمة حنين .

« وكان العهد مجتنب قبل ذلك الوقت بأكثر من سلتين ، فقلت لاسحق بن الحصي : هذا حنين ، فانكر ذلك انكاراً يشبه الاقرار ؛ فتهلفت مجتنب فاستجاب لي . وقال ذكر ابن رسالة الفاعلة : انه من المحال أن يتعلم الطب عبادي ، وهو بريء من دين النصرانية انه رضي أن يتعلم الطب حتى يحكم اللسان اليوناني إحكاماً لا يكون في دهره من يحكمه احكامه . وما اطلع علي أحد غير أخني هذا ، ولو علمت انك تفهمني لاستشرت عنك ، لكنني علمت على ان حيلتي قد تغيرت في عينك وانا اسألك ان تستر أمري ، فبقيت أكثر من ثلاث سنين واني لاظنها أربعاً لم أره .

« ثم اني دخلت يوماً على جبرائيل بن مجتنيشوع ، وقد انحدر من معسكر المأمون قبل وفاته بمدة يسيرة . فوجدت عنده حنيناً وقد ترجم له اقساماً قسمها بعض الروم في كتاب من كتب جبالينوس

(١) واحداً قلوس وهو حبل شحم للسفينة .

(٢) مقاطعة في خراسان شمالي شرقي ايران وهي أيضاً مدينة من نفس المقاطعة كان اسمها طابران فيها قبر الامام علي الرضا وقبر حاروت الرشد .

في التثريح ، وهو يخاطبه بالتجليل ويقول له يا ربن حنين وتفسيره ربن المعلم . فاعظمت ما رأيت ، وتبين ذلك جبرائيل في فقال لي : لا تستكثرن ما ترى من تجليل هذا الفتى ، فوالله لئن مد له في العمر ليفضحن مرجس ومرجس هذا الذي ذكره جبرائيل هو الرأس عيني ، وهو أول من نقل شيئاً من علوم الروم الى اللسان السرياني وليفضحن غيره من المترجمين .

« وخرج من عنده حنين وأقت طويلاً ، ثم خرجت فوجدت حنيناً يبابه ينتظر خروجي ، فسلم علي وقال لي : « قد كنت سألتك سار خبري ، والآن فأنا أسألك اظهاره . وأظهار ما سمعت من أبي عيسى وقوله في . « فقلت له : أنا مسود وجه يوحنا بما سمعت من مدح أبي عيسى لك ، فأخرج من كنه نسخة ما كان دفعه الى جبرائيل وقال لي : تمام سواد وجه يوحنا يكون بدفعك اليه هذه النسخة ، وسارك عنه علم من نقلها ، فإذا رأيته قد اشتد عجبها بها أعلمه انه اخراجي . ففعلت ذلك من يومي » وقبل انتهائي الى منزلي .

« فلما قرأ يوحنا تلك الفصول ، وهي التي تسميها اليونانيون الفاعلات ، كثر تعجبه وقال : « أرى المسيح أوحى في دهرنا هذا الى أحد ؟ فقلت له في جواب قوله : ما أوحى في هذا الدهر ولا في غيره الى احد ، ولا كان المسيح الا أحد من يوحى اليه . فقال لي : دعني من هذا القول ، ليس هذا الاخراج الا اخراج مؤيد بروح القدس . فقلت له : هذا اخراج حنين بن اسحق الذي طرده من منزلك وامرته ان يشاري قلوساً . فحلف بأن ما قلت له محال . ثم صدق القول بعد ذلك وأفضل عليه افضالاً كثيراً ، وأحسن اليه ولم يزل مبعجلاً له حتى فارقت العراق ، في سنة خمس وعشرين ومائتين . »

هذا جملة ما ذكره يوسف بن ابراهيم .

اقول : « ثم ان حنيناً لازم يوحنا بن ماسويه منذ ذلك الوقت وتلمذ له واشتغل عليه بصناعة الطب ، ونقل حنين لابن ماسويه كتباً كثيرة وخصوصاً من كتب جالينوس ، بعضها الى اللغة السريانية ، وبعضها الى العربية ، وكان حنين أعلم أهل زمانه باللغة اليونانية والسريانية والفارسية والدرابية فيهم ، مما لا يعرفه غيره من الثقة الذين كانوا في زمانه ، مع ما دأب ايضاً في اتقان العربية والاشغال بها حتى صار من جملة المتميزين فيها .

ولما رأى المأمون المنام الذي أخبر به انه رأى في منامه كان شيئاً يهي الشكل جالس على منبر وهو يخطب ويقول : « أنا ارسطوطاليس » ، اكتبه من منامه وسأل عن ارسطوطاليس فقبل له رجل حكيم من اليونانيين . فاحضر حنين بن اسحق اذ لم يجد من يضايه في ثقته ، وسأله نقل كتب الحكماء اليونانيين الى اللغة العربية ، وبذل له من الأموال والسخايا شيئاً كثيراً . »

ونقلت من خط الحسن بن العباس المعروف بالصناديقي رحمه الله قال : قال ابو سليمان : سمعت يحيى بن عدي يقول : قال المأمون : رأيت فيا يرى المنام كان رجلاً على كرسي جالساً في المجلس الذي أجلس فيه ؟ فتعاطفته وتهيبته وسألت عنه ، فقبل هو ارسطوطاليس ، فقلت أسأله عن شيء .

فسأله ، فقلت ما الحسن ؟ فقال : ما استحسنه القول . فقلت : ثم ماذا ؟ قال : ما استحسنته الشرية . قلت : ثم ماذا ؟ قال : ما استحسنه الجمهور . قلت : ثم ماذا قال ؟ ثم لا ثم .

فكان هذا التمام من أوكد الاسباب في اخراج الكتب فان المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات ، وقد استظهر عليه المأمون فكتب الى ملك الروم يسأله الاذن في انفاذ ما يختار من العلوم القديمة المهزونة ببلد الروم ، فاجاب الى ذلك بعد امتناع . فاخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج ابن مطر وابن البطريق ، وسلمان صاحب بيت الحكمة ، وغيرهم ، فاختدوا بما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه اليه امرم بنقله فنقل . وقد قيل ان يوحنا بن ماسويه ممن نفذ الى بلد الروم . واحضر المأمون أيضاً حنين ابن اسحق وكان فتي السن ، وأمره بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين الى العربي واصلاح ما ينقله غيره فامتثل أمره .

وبما يحكى عنه : أن المأمون كان يمطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى العربي مثلاً بمثل . وقال أبو سليمان المنطقي السجستاني : ان بني شاعر^(١) وهم محمد واحد والحسن ، كلوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحق ، وحبيش بن الحسن ، وثابت بن قرة وغيرهم في الشهر نحو خمسمائة دينار للثقل والملازمة .

وقال حنين بن اسحق ، انه سافر الى بلاد كثيرة ، ووصل الى أقصى بلاد الروم لطلب الكتب التي قصد نقلها . وقال محمد بن اسحق التميمي في كتاب الفهرست : « سمعت اسحق بن شيراز يحدث في مجلس عام أن بلد الروم هيكلًا قديم البناء عليه باب لم يرق قط أعظم منه بمصر عرين من حديد ، كان اليونانيون في القديم عند عبادتهم الكواكب والأصنام يعظمونه ويدعوت فيه . قال : فسألت ملك الروم أن يفتح لي فامتنع من ذلك لانه أغلق منذ وقت تنصرت الروم . فلم أزل ارأسه وأسأله شفاهاً عن حضوري مجلسه فتقدم بفتحه ، فاذا ذلك البيت من المرمر والصخور العظام أواناً ، وعليه من الكتابات والنقوش ما لم أسمع بمثله كثرة وحسنًا . وفي هذا الهيكل من الكتب القديمة ما يحمل على عدة اجمال ، (وكثر ذلك حتى قال ألف جل) بعض ذلك قد أغلق ، وبعضه على حاله ، وبعضه قد أكلته الارضة^(٢) . قال ورأيت فيه من آلات القرايين من الذهب وغيره أشياء ظريفة . قال : وأغلق الباب بعد خروجي وامتن علي بما فعلت معي ، وذلك كان في أيام سيف الدولة بن حمدان وزعم ان البيت على ثلاثة ايام من القسطنطينية ، والمجاورون لذلك البيت قوم من الصابئة والكلدانيين ، وقد أقدمتهم الروم على مذاهبهم ، وتأخذ منهم الجزية .

اقول : وكان كاتب حنين رجل يعرف بالازرق . وقد رأيت اشياء كثيرة من كتب جالينوس وغيره بخطه وبعضها عليه لتكيت بخط حنين بن اسحق باليوناني ، وعلى تلك الكتب علامة المأمون .

(١) حم بنو موسى بن شاعر ثلاثة اخوة اشتهروا بهم الحساب والمهنة والالات من عهد المأمون الى عهد المتوكل . وكثروا يشرفون على حركة الترجمة وجلب المخطوطات من آسيا الصغرى الى بغداد .

(٢) دويبة تاكل الحطب والكتب .

وقال عبيد الله بن جبرائيل بن مجتئشوع في مناقب الأطباء : « ان حنيناً لما قوي أمره ، وانتشر ذكره بين الأطباء ، واتصل خبره بالخليفة أمر بإحضاره . فلما حضر أقطع أقطاعات حسنة ، وقرر له جابر جيد ، وكان بشعره يزور الروم . وكان الخليفة يسمع بملحه ولا يأخذ بقوله دواء يصفه حتى يشاور فيه غيره ، وأحب امتحانه حتى يزول ما في نفسه عليه ظناً منه أن ملك الروم ربما كان عمل شيئاً من الحيلة به . فاستدعاه يوماً وأمر بأن يخلع عليه ، وأحضر توقيعاً فيه أقطاع يشتمل على خمسين ألف درهم . فشكر له حنين هذا الفعل ، ثم قال ، بعد أشياء جرت : أريد أن نصف لي دواء يقتل عدواً تريد قتله ، ولم يكن اشهاره ، وزيدته سراً . فقال حنين : يا أمير المؤمنين اني لم اتعلم الا الادوية النافعة ، وما علمت أن أمير المؤمنين يطلب مني غيرها ، فان احب ان أمضي وأتلم فعلت ذلك . فقال : هذا شيء يطول ، ورجبه وهدده وهو لا يزيد على ما قاله الى ان امر بحجبه في بعض القلاع ، ووكل به من يوصل خبره اليه ، وقتاً بوقت ويوماً بيوم . فمكثت سنة في حجبه دأبه النقل والتفسير والتصنيف ، وهو غير مكثرت بما هو فيه . فلما كان بعد سنة أمر الخليفة بإحضاره ، وأحضر اموال يرغب فيها ، وأحضر سيفاً ونظماً وسائر آلات العقوبات . فلما حضر قال : هذا شيء قد كان ، ولا بد مما قلته لك . فان أنت فعلت فقد فزت بهذا المال وكان لك عندي أضعافه . وان امتنعت قابلتك بشر مقابلة وقتلتك شر قتلة . فقال حنين : قد قلت لأمير المؤمنين اني لم أحسن إلا الشيء النافع ، ولم أعلم غيره . فقال الخليفة : فاني أقتلك . قال حنين : لي رب يأخذ بمجفي غداً في الموقف الأعظم . فان اختار أمير المؤمنين أن يظلم نفسه فليفعل . « فقبض الخليفة وقال له : يا حنين ، طيب نفساً ، وتو اللبنا . فهذا الفعل كانت منا لامتحانك ، لا آفة حرفة من كيد الملوك ، وإصعابنا لتنتفع بملكك . « فقبل حنين الارض وشكر له فقال له الخليفة : يا حنين ما الذي منملك من الاجابة مع ما رأيت من صدق عزيمتنا في الحالين ؟ فقال حنين : شيئاً يا أمير المؤمنين . قال : وما هما ؟ قال : الدين والصناعة . قال : فكيف ؟ قال : الدين يأمرك بفعل الخير والجميل مع أعدائنا فكيف أصعابنا وأصدقائنا ، ويبيد ويحرم من لم يكن كذا . والصناعة تمنعنا من الاضرار بإنشاء الجنس لانها موضوعة لتفهم ومقصورة على مصالحهم . ومع هذا فقد جعل الله في رقاب الاطباء عهداً مؤكداً بإيمان مغلظة أن لا يعطوا دواء قتالا ، ولا ما يؤذي . فلم أر أن أخالف هذين الأمرين من الشرعيتين . ووطنن نفسي على القتل فان الله ما كان يضع من بذل نفسه في طاعته ، وكان يثيبني . فقال الخليفة : انها لثريمتان جليلتان . وأمر بالخلع فخلعت عليه ، وحمل المال بين يديه ، وخرج من عنده وهو أحسن الناس حالاً وجاهلاً

اقول : وكان لحنين ولدان : داود واسحق . وصنف لهما كتباً طبية في المبادئ والتعلم ، ونقل لهما كتباً كثيرة من كتب جالينوس .

فاما داود فاني لم أجده له شهرة بنفسه بين الاطباء ، ولا يوجد له من الكتب ما يدل على براسته وعلمه . وان كان الذي يوجد له انما هو كئاش واحد .

واما اسحق فانه اشتهر وتميز في صناعة الطب ، وله تصانيف كثيرة . . ونقل اسحق من الكتب

اليونانية الى اللغة العربية كتباً كثيرة ، إلا ان جل عنايته كانت مصروفة الى نقل الكتب الحكيمية ، مثل كتب ارسطوطاليس وغيره من الحكماء .

وأما حنين ، أبوه ، فكان مهتماً بنقل الكتب الطبية وخصوصاً كتب جالينوس حتى انه في غالب الامر لا يوجد شيء من كتب جالينوس إلا وهي بنقل حنين أو بإصلاحه لما نقل غيره . فان رؤي شيء منها وقد تفرد بنقله غيره من النقلة مثل اسطاث وابن بكس والبطريق وأبي سعيد عثمان الدمشقي وغيرهم ، فانه لا يعتنى به ، ولا يرغب فيه ، كما يكون بنقل حنين وإصلاحه . وانما ذلك لفصاحته وبلاغته ، ولمعرفته أيضاً بأراء جالينوس ، ولتمهره فيها .

ووجدت بعض الكتب الست عشرة لجالينوس ، وقد نقلها من الرومية الى السريانية مرجس المتطبب ، ونقلها من السريانية الى العربية موسى بن خالد اللرجان فلما طالعتها وتأملت ألفاظها تبين لي بين نقلها وبين الست عشرة التي هي نقل حنين تبان كثير وقاوت بسين . وابن الأكن من البلخ ، والآري من الأريا .

وكان حنين أيضاً ماهراً في صناعة الكحل وله تصانيف مشهورة بالجلودة فيها . وحدثني الشيخ شهاب الدين عبد الحق الصقلي النحوي : ان حنين بن اسحق كتب يشتغل في العربية مع سيديوه وغيره بمن كانوا يشتغلون على الحليل بن أحد ، وهذا لا يبعد ، فانها كانت في وقت واحد على زمان المأمون . واننا نجد في كلامه وفي نقله ما يدل على فصاحته وفضله في العربية وعلمه بها ، حتى ان له تصانيف في ذلك .

وقال سليمان بن حسان : ان حنيناً نهض من بغداد الى ارض فارس ، وكان الحليل بن احمد النحوي بأرض فارس ، فازمه حنين حتى برع في لسان العرب ، وأدخل مكتبته العيين ببغداد ، ثم اختبر للترجمة وأؤتمن عليها ، وكان المتخير له المتوكل على الله . ووضع له كتاباً لمجاري^(١) عالمين بالترجمة ، كانوا يترجمون ويتصفح ما ترجموا ، كصطفن بن بسيل ، وموسى بن خالد اللرجان . قال : وخدم حنين الطب المتوكل على الله وحظي في أيامه ، وكان يلبس زفراً ، وتعلم لسان اليونانيين بالاسكندرية ، وكان جليلاً في ترجمته ، وهو الذي أوضح معاني كتب ابقراط وجالينوس ولخصها أحسن لخصيص ، وكشف ما استغلط منها ، وأوضح مشكلها . وله تواليف فائقة مثقفة بأربعة . وعهد الى كتب جالينوس فاحتذى فيها حلو الاسكندرانيين ، وصنمها على سبيل المسألة والجواب فاحسن في ذلك .

وقال حنين بن اسحق عن نفسه ، ان جميع ما قد كان يملكه من الكتب ذهب حتى لم يبق عنده منها ولا كتاب واحد ، ذكر ذلك في مقاله في فهرست كتب جالينوس .

وقال أبو علي اللباني : كان حنين في كل يوم عند نزوله من الركوب يدخل الحمام فيصب عليه الماء ،

(١) جمع تحرير وهو الحائق القطن المائل .

ويخرج فيلثف بقطيفة وقد أعد له هتاب^(١) من فضة فيه رطل شراب وكسكة ماثودة^(٢) ، فيأكلها ويشرب الشراب وي طرح نفسه حتى يستوفي عرقه . وربما قام ثم يقوم ويتشرب ويقدم له طعامه وهو فروج كبير مسمن قد طبخ زير بالجه ، ورغيف فيه مائتا درهم ، فيحسو من الرق ثم يأكل الفروج والحبز وينام . فإذا انتبه شرب أريمة أرطال شراباً عتيقاً ، ولم يذق غير هذا طول عمره . فإذا اشتهى الفاكهة الرطبة أكل التفتح الشامى والزمان والسفرجل .

وقال أحمد بن الطيب السرخسي في كتاب «اللبو والملاهي» ، قال حنين المتطبب : وإفاني في بعض الليالي ، أيام المتوكل ، رسل من دار الخليفة يطلبوني ويقولون الخليفة يريدك ، ثم وافت بمدم طائفة ، ثم وإفاني زرافة فأخرجني من فراشي ومضى بي ركضاً حتى أدخلني الى الخليفة . فقال : يا سيدي هوذا حنين . قال فقال ادفعوا الى زرافة ما ضمننا له . قال : فدفع اليه ثلاثون ألف درهم . ثم أقبل علي فقال : انا جائع فما جرى في المشاء ؟ فقلت له في ذلك قولاً . فلما فرغ من أكله سألت عن الخبر . فقيل لي ان مغنياً غناه صوتاً ، فسأله لمن هو ؟ فقال لحنين بن بلوع العبدي . فأمر زرافة بالحضار حنين بن بلوع العبدي ، فقال له : يا أمير المؤمنين لا أعرفه . فقال : لا بد منه ، وان أحضرته فلك ثلاثون ألف درهم . قال فأحضرتني ، ونسي المتوكل السبب بما كان في رأسه من النبيذ ، وحضرت وقد جاع فأشرت عليه بأن يقطع النبيذ ويتشوى وينام ففعل .

أقول : وكان مولد حنين في سنة مائة وأربع وتسعين للهجرة ، وتوفي في زمان المتمد^(٣) على الله وذلك في يوم الثلاثاء أول كانون الاول من سنة الف ومائة وثمان وثمانين للاسكندر ، وهو لست خلون من صفر سنة مائتين وأربع وستين للهجرة ، وكانت مدته حياته سبعين سنة ، وقيل انه مات بالثرب^(٤) .

وقال سليمان بن حسان المعروف بابن جليل : ان حنين بن اسحق مات بالنم من ليلته في أيام المتوكل . قال : حدثني بذلك وزير أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله قال ، قال كنت مع أمير المؤمنين المستنصر فجرى الحديث فقال أتعلمون كيف كان موت حنين بن اسحق ؟ قلنا : لا يا أمير المؤمنين . قال خرج المتوكل على الله يوماً وبه خمار فقعده في مقعده فاخذته الشمس ، وكان بين يديه الطيفوري النصراني الطبيب وحنين بن اسحق . فقال له الطيفوري : يا أمير المؤمنين الشمس تضر بالخمار ، فقال المتوكل لحنين : ما عندك فيما قال ؟ فقال حنين : يا أمير المؤمنين لا تضر بالخمار . فلما تناقضا بين يديه طلب كشفها عن صحة أحد القولين . فقال حنين : يا أمير المؤمنين الخمار حال للضهور ، والشمس لا تضر بالخمار اذا تضر الحمور . فقال المتوكل : لقد احرز من طبائع الانفاط وتحديد المعاني ما فاق به نظراؤه . فوجم لها الطيفوري ، فلما كان في غد ذلك اليوم أخرج حنين من كه كتاباً فيه

(١) وعاء .

(٢) مقنونة ومباراة .

(٣) الخليفة العباسي الخامس عشر . كُتبت منه كتاباً بمائة فاستل احمد بن طولون في مصر وظهرت دولة بني سامان في

فارس وفارت ثنتا فميد باليسرة (٨٧٠ - ٨٩٣) .

(٤) داء في المدة يفسد فيها الطعام ولا تمسكه .

صورة المسيح مصلوباً، وصور ثاس حوله فقال له الطيفوري يا حنين هؤلاء صلبوا المسيح ؟ قال : نعم فقال له : ابصق عليهم . قال حنين : لأفعل . قال الطيفوري : ولم ؟ قال : لأنهم ليسوا الذين صلبوا المسيح إنما هي صور ، فاشتد ذلك على الطيفوري ورفقه الى المتوكل يسأله إباحة الحكم عليه بديانة النصرانية . فبعث الى الجائليق والاساقفة وسئلوا عن ذلك، فأوجبوا اللعنة على حنين، فلمن سبهم لعنة بحضرة الملائكة من النصارى ، وقطع زفاره ، وأمر المتوكل أن لا يصل إليه دواء من قبل حنين حتى يستشرف على عمله الطيفوري . وانصرف حنين الى داره فمات من ليلته . فيقال مات غماً وأسفاً .

أقول : هذه حكاية ابن جليل ، وكذلك أيضاً وجدت أحد بن يوسف بن ابراهيم قد ذكر في رسالته في المكافاة ما يناسب هذه الحكاية عن حنين . والاصح في ذلك ان يحنيتشوع بن جبرائيل كان يعادي حنين بن اسحق ويعصده على عمله وفضله ، وما هو عليه من جودة الثقل ، وعلو المنزلة . فاحتال عليه بمجيئة عهده المتوكل وتم مكره عليه حتى أوقع المتوكل به وحبه . ثم ان الله تعالى فرج عنه وظهر ما كان إحتال به عليه يحنيتشوع بن جبرائيل ، وصار حنين حطياً عند المتوكل وفضله على يحنيتشوع ودعى غيره من سائر المتطبيين . ولم يزل على ذلك في أيام المتوكل الى ان مرض حنين فيما بعد المرض الذي توفي فيه ، وذلك في سنة أربع وستين ومائتين . وتبين لي جمة ما يحكى عن حنين من ذلك ، وصح عندي من رسالة ، وجدت حنين بن اسحق قد ألها فيها أصابه من الحن والشدائد من الذين ناصبوه العداوة من اشرار أهلها زمانه المشهورين . وهذا نص قوله .

قال حنين بن اسحق : انه لحفي من اعدائي ومضطهدي الكافرين بنمقي المجاحدين لحفي ، الطالين لي ، المتعدين علي من الحن والمصائب والشعور ما منمني من النوم وأسرهم صيني وأشغلي عن مهاتي . وكل ذلك من الحسد لي على علي وما وهب الله ، عز وجل ، لي من علو المرتبة على اهل زماني . وأكثر اولئك أهلي وأقربائي ، فإنهم أول شروري ، وابتداء عني . ثم من بعدهم الذين علمتهم وأقرأتهم واحسنت اليهم وأرقدتهم وفضلتهم على جماعة اهل البلد من اهل الصناعة ، وقربت اليهم علوم الفاضل جالينوس ، فكافأوني عوض المحاسن مساوئ بحسب ما اوجبه طبعهم . ويلغوا بي الى أقبح ما يكون من اذاعة أوحش الأخبار ، وكتمان جليل الامرار ، حتى ساءت بي الظنون ، وامتدت الي العيون ، ووضع على الرصد حتى انه كان يحصي علي الفاظي ، ويكثر اتهامي ، بما دق منها بما ليس غرضي فيه ، ما أرمأوا اليه ، فأوقعوا بغضتي في نفوس سائر اهل الملل فضلاً عن اهل منمهي . وعلمت لي المجالس والتأريلات الرذلة . وكلما اقبل ذلك بي حدثت الله حداثاً جديداً ، وصيرت علي ما قد دفعت اليه . فألت القضية بي الى أن بقيت بأسوأ ما يكون من الحال من الاضاقة والضرر ، محبوساً مضيقاً علي مدة من الزمان لا تصل يدي الى شيء من ذهب ولا فضة ولا كتاب . وبالجمة ولا ورقة انظر فيها . ثم ان الله عز وجل نظر الي بعين رحمته ، فجدد لي نعمه وردني الى ما كنت عارفاً به من فضله . وكان سبب رد نعمتي الي بعض من كان قد لازم عداوتي واغتصب بها . ومن هنا صح ما قاله جالينوس « ان الاخبار من الناس قد ينتفعون بأعدائهم الأشرار » فلمعري لقد كانت ذلك افضل الاعداء . وأنا الآن مبتدئ بذكر ما جرى علي مما تقدم ذكره فأقول :

كيف لا أبغض ويكثر حاسدي ، ويكثر ثلثي في مجالس ذوي المراتب ؛ وينذل في قتلي الاموال ؛ ويمز من شمتي ، ويهان من أكرمني ؛ كل ذلك بغير جرم لي الى واحد منهم ولا جناية ، لكنهم لما رأوني فوقهم ، وعاليا عليهم بالعلم والعمل ، وتقلي اليهم المادى الفاخرة من اللغات التي لا يحسنونها ولا يهتدون اليها ولا يعرفون شيئا منها ، في نهاية ما يكون من حسن العبارة والفصاحة ، ولا نقص فيها ولا زلل ، ولا ميل لاحد من الملل ، ولا استتلاق ولا لحن ، باعتبار أصحاب البلاغة من العرب الذين يقومون بمعرفة وجوه النعسو والغريب ، ولا يمارون على سبئ ولا شككة ولا معنى ، لكن بأعذب ما يكون عن اللفظ ، وأقربه الى الفهم . يسمعه من ليس صناعته الطب ، ولا يعرف شيئا من طرقات الفلسفة ، ولا من يتشعل ديانة النصرانية وكل الملل ، فيستحسنه ويعرف قدره ، حتى انهم قد يفرمون على ما كان من الذي أنقل الاموال الكثيرة اذ كانوا يفضلون هذا النقل على نقل كل من قبلي . وايضا فاقول : ولا أخطيء ان سائر أهل الأدب ، وان اختلقت ملهم ، يحبون لي ، مائلون الي ، مكرمون لي ، يأخذون ما أقدم بشكر ، ويمجرونني بكل ما يصلون اليه من الجليل . فاما هؤلاء الأطباء النصارى الذين أكثرهم تعلموا بين يدي ، نشأوا قدامي هم الذين يرومون سفك دمي . على انهم لا بد لهم مني .

فمرة يقولون : من هو حنين ؟ انما حنين ناقل لهذه الكتب ليأخذ على نقله الأجرة كما يأخذ الصناع الأجرة على صناعتهم ، ولا فرق عنده بينه وبينهم ؛ لان الفارس قد يعمل له الحداد السيف في المثل بدينار ، ويأخذ هو من أجله في كل شهر مائة دينار . فهو خادم لأدائنا ، وليس هو عامل بها . كما ان الحداد ، وان كان يحسن صنعة السيف ، إلا انه ليس يحسن يعمل به ، فما للحداد وطلب الفروسة ! كذلك هذا الناقل ، ماله والكلام في صناعة الطب ولم يحكم في علمها وامراضها ، وإنما قصده في ذلك التشبيه بنا ليغال حنين الطبيب ، ولا يقال حنين الناقل . والاجود له لو أنه لزم صناعته ، وأمسك عن ذكر صناعتنا ؛ لقد كان يكون اجدى عليه فيما كنا منوصلة اليه من أموالنا ، ونحسن اليه ما امكنا ، وذلك يتم له بترك أخذ المجلس ، والنظر في قوارير الماء ، ووصف الادوية . ويقولون : ان حنيننا ما يدخل الى موضع من الثور الخاصة والعامة الا جزؤون به ، ويتضاحكون منه عند خروجه . فكنت كلما سمعت شيئا من هذا ضاق به صدري ، وسمعت ان اقتل نفسي من الفيظ والزرر . وما كان لي اليهم سبيل ، اذ كان الواحد لا يستوي له مقاومة الجامعة عند تظافرهم عليه ، لكفي كنت أضمر وأعلم ان حسد هم الذي يدعوم الى سائر الاشياء ، وان كان لا يخفى عليهم قبحها . فان الحسد لم يزل بين الناس على قديم الأيام ، حتى من يستمد الديانة قد يعلم ان اول حاسد كان في الأرض قابيل في قتله لآخيه هابيل ، لما لم يقبل الله قربانه وقبل قربان هابيل . وما لم يزل قديما فليس بسبب ان اكون انا ايضا أحد من يؤذى بسببه . وقد يقال كفى بالحسد حسده ويقال : ان الحاسد يقتل نفسه قبل عدوه ، ولقد أكثر العرب ذكر الحسد في الشعر ونظموا فيه الأبيات ، منها قول بعضهم :

ان يحسدني فاني غير لائهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم
أنا الذي يحذوني في صدورهم
ومات اكثرا غيظا بما يجد
لا أرتكني صعدا منها ولا أرد
البسيط

وقد قال قائل هذا وغيره في مثل هذا بما يطول ذكره ، مع قلة الفائدة فيه ، وهذا ايضا مع ان اكثرهم اذا دهمهم الامر في مرض صعب فآلوا بصير ، حتى يتحقق معرفته مني ، يأخذ عني له صفة دوائه وتديره ، ويشتين الصلاح فيما أمر به ان يعمل لامرة ولا مرازا . وهذا الذي يبيثني ويقتدي برأيي هو أشد الناس علي غيظا ، واكثرهم لي ثلما . وليس أزيدهم على ان أحكم رب الكل بيني وبينهم . وانما سكوتي عنهم لانهم ليس هم واحدا ولا اثنين ولا ثلاثة ، بل هم ستة وخمسون رجلا جلستهم من أهل المذهب ، محتاجون الي وانا غير محتاج اليهم . وأيضا فإن إرتهم مع كثرتهم قوة بخدمة الخلفاء وم أصحاب المملكة وأنا فأضعف عنهم من وجهين : أحدهما وحدتي ، والثانية : ان الذين يمتنون بي من الناس محتاجون الي الأصل الذي يمتني بأعدائي الذي هو أمير المؤمنين ، ومع هذا كله لا أشكو الي أحد ما أنا عليه وان كان عظيما ، بل ابوح بشكرهم في المحافل وعند الرؤساء . فإن قيل لي انهم يثلبونك ويلتصون بك في مجالسهم ، ادفع ذلك وأرى الي غير مصدق شيء مما يقال لي ، بل أقول أنا نحن شيء واحد نجتمعنا الديانة والبلدة والصناعة . فما أصدق ان مثلهم يذكر أحدا من الناس فضلا عني بسوء ، فاذا سمعوا عني مثل هذا القول قالوا : قد جزع وأعطى من نفسه الصمة . وكلما ثلبيوني زدت في الشكر لهم .

وانا الآن ذاكر هنا آخر الآبار التي حفروها لي ، سوى ما كان لي معهم قديما خاصة مع بني موسى والجالينوسيين والبراطين في امر البهت الأول . وهذه قصة المحنة الاخيرة القريبة ، وهي : ارت بختيشوع بن جبرائيل المتطبيب عمل على حيلة تمت له علي ، وأمكنته مني ارادته في . وذلك انه استعمل قونة ^(١) عليها صورة السيدة مار مريم ، وفي حجرها سيدها المسيح والملائكة قد احتاطوا بها وعملها في غاية ما يكون من الحسن وصحة الصورة بعد ان غرم عليها من المال شيئا كثيرا . ثم حملها الي أمير المؤمنين المتوكل ، وكان هو المستقبل لها من يد الخادم الحامل لها ، وهو الذي وضعها بين يدي المتوكل . فاستحسنها المتوكل جدا ، وجعل بختيشوع يقبلها بين يديه مرارا كثيرة . فقال له المتوكل : لم تقبلها ؟ فقال له : يا مولانا اذا لم أقبل صورة سيدها العاليين فمن أقبل ؟ فقال له المتوكل : وكل النصارى هكذا يفعلون ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، وأفضل مني ، لأنني أنا قصرت حيث أنا بين يديك . ومع تفضيلنا معشر النصارى ، فإني أعرف رجلا في خدمتك وافضالك وازراقك جارية عليه من النصارى يتأهون بها ويصعق عليها ، وهو زنديق ملحد ، لا يقر بالإسحانة ولا يعرف آخرة يستتر بالنصرانية وهو معطل مكذب بالرسول . فقال له المتوكل : من هذا الذي هذه صفته ؟ فقال له : حين الترجيم . فقال المتوكل : أوجه أحضره ، فان كان الامر علي ما وصفت ، نكلت به

(١) الايقونة وهي الصورة والتمثال ونصيحها للصمة .

وخلفته المطبق^(١) ، مع ما أقدم به في أمره من التضييق عليه ، وتجديد العذاب . فقال ، أنا أحب أن يؤخر مولاي أمير المؤمنين الى أن أخرج وأقيم ساعة ، ثم أقام بإحضاره . فقال : اني اقبل ذلك . فخرج يجتئشوع من الدار وجاءني ، فقال : يا أبا زيد ، أعزك الله ، ينبغي أن تعلم انه قد أهدي الى أمير المؤمنين قونة قد عظم عجبها ، وأحسبها من صور الشام ، وقد استحسناها جداً . وإن نحن تركناها عنده ومدحناها بين يديه قولم بنا بها في كل وقت . وقال : هذا ربكم وأمه مصورين . وقد قال لي أمير المؤمنين : انظر الى هذه الصورة ما أحسنها ، وايش تقول فيها ؟ فقلت له : صورة مثلها يكون في الحمامات ، وفي البسج وفي المواضع المصورة . وهذا بما لا نبالي به ولا نلتفت اليه . فقال : وليس هي عندك شيء ؟ قلت : لا ! قال : فان تكن صادقاً قابضت عليها ، فبصقت ، وخرجت من عنده وهو يضعك ويمطط في^(٢) . وانما فعلت ذلك ليرمي بها ولا يكثر الولع بنا بسببها ، ويميزنا دائماً . ولا سيما ان حرد أحد من ذلك ، فان الولع يكون أزيد . والصواب ان دعا بك وسألك عن مثل ما سألتني أن تفعل كما فعلت أنا . فاني قد علمت على لقاء سائر من يدخل اليه من اصحابنا ، وأتقدم اليهم أن يفعلوا مثل ذلك . فقبلت ما وصاني به ، وجازت علي سحريته ، وانصرف . فما كان إلا ساعة حتى جاءني رسول أمير المؤمنين فاخذني اليه . فلما دخلت عليه اذ القونة موضوعة بين يديه فقال لي : يا حنين ترى ما احسن هذه الصورة واعجبها ؟ فقلت : والله انه لكما ذكر أمير المؤمنين . فقال : فأيش تقول فيها ؟ فقال : أو ليس هي صورة ربكم وأمه ؟ فقلت : بمعاذ الله يا أمير المؤمنين ! إن الله تعالى صورة أو يصور ؟ ولكن هذا مثال في سائر المواضع التي فيها الصور . فقال : فهذه لا تنفع ولا تضر . فقلت : هو كذلك يا أمير المؤمنين . فقال : فان كان الامر على ما ذكرت ، قابضت عليها . فبصقت عليها فلوقت أمر مجبسي . ووجه الى ثؤنيس الجاثليق فاحضره . فلما دخل عليه ورأى القونة موضوعة بين يديه وقع عليها ، قبل أن يدعو له ، فاعتنقها ولم يزل يقبلها ويبكي طويلاً . فذهب الخدم ليمنعوه فأمر بتركه . فلما قبلها طويلاً على تلك الحالة أخذها بيده وقام قائماً ، فدعا لأمير المؤمنين واطنّب في دعائه ، فرد عليه وأمره بالجلوس . فجلس وترك القونة في حجره . فقال له المتوكل : أي فعل هذا ؟ تأخذ شيئاً كان بين يدي وتتركه في حجرك عن غير اذني ؟ فقال له الجاثليق : نعم يا أمير المؤمنين ، أنا أحق بهذه التي بين يديك . وإن كان لأمير المؤمنين ، اطال الله بقاءه ، أفضل الحقوق ، غير ان ديانتي لم تدعني أن ادع صورة ساداتي مرمية على الأرض ، وفي موضع لا يعرف مقدارها ، بل لعل أن يعرف لها قدره لأن هذه حقها أن تكون في موضع يعرف فيه حقها ، ويسرج بين يديها افضل الأدهان من حيث لا تظلم قناديلها ، مع ما يبشر به بين يديها من أطايب البخور في أكثر الاوقات .

فقال امير المؤمنين : فدعها في حجرك الآن ، فقال الجاثليق : اني أسأل مولاي أمير المؤمنين ان

(١) السجن تحت الأرض وهي ما تسمى الزنافة ويقابلها بالفرنسية Cellule .

(٢) يخلط في كلامه ويتتابع صوته .

يمجد بها علي ، ويعمل على انه قد بقطمني ما مقدار قيمته مائة الف دينار في كل سنة حتى أفضى من حقها ما يجب علي ، ثم يأتني امير المؤمنين ما احب بعد ذلك فيا أرسل الي بسبه . فقال له : قد وهبتها لك ، وانا أريد ان تعرفني ما جزاء من يصق عليها عندك ؟ فقال له الجائليق : ان كان مسلماً فلا شيء عليه لانه لا يعرف مقدارها ، لكن يعرف ذلك ويلازم ويربغ على مقدار ما فعل حتى لا يعود الى مثل ذلك مرة أخرى . وان كان نصرانياً وكان جاهلاً لا يفهم ولا معرفة عنده فيسلام ويزجر بين الناس ويتهدد بالجورم العظيمة ويعذل حتى يتوب ؛ وبالجملة ان هذا فعل لا يقوم عليه إلا جاهل لا يعرف مقدار الذبابة . فان كان عاقلاً وقد يصق عليها فقد يصق على مريم أم سيدنا وعلى سيدنا المسيح . فقال له امير المؤمنين : فما الذي يجب علي من فعل ذلك عندك ؟ فقال : ما عندي يا امير المؤمنين ، اذ كنت ، لا سلطان لي ان اعاقبه بسوط او بعصا ، ولا لي حبس ضنك ، بل اسرمة وامنعه من الدخول الى البيع ومن القربان ؛ وامنع التصاري من ملاسته وكلامه ؛ وأضيق عليه ، ولا يزال مرفوضاً عندنا الى ان يتوب ويقطع عما كان عليه ، وينتقل ويتصدق ببعض ماله على الفقراء والمساكين ، مع لزوم الصوم والصلاة ، فحينئذ نرجع الى ما قال كتابنا وهو : ان لم تغفوا للخطئين لم يغفر لكم خطاياكم ، فنتحل حرم الجاني ، ونرجع الى ما كنا عليه .

ثم ان امير المؤمنين أمر الجائليق بأن يأخذ القونة ، وقال له : افعل بها ما تريد ، وأمر له معها ببدرة دراهم ، وقال له : انتقم ما تأخذ على قوتك . فلما خرج الجائليق لبث قليلاً فيصحب منه ومن محبته لمبوده وتعتظيمه اياه . ثم قال : ان هذا الامر عجيب . ثم أمر بإحضاري فاحضرت اليه واحضر السوط والحبال ، وأمر بي فشدت مجرداً بين يديه وضربت مائة سوط ، وأمر باعتقالي والتضييق علي . ووجه فعمل جميع ما كان لي من رحل واثاث وكتب وما شاكل ذلك ، وأمر بنقض منازلتي الى الماء ، واقمت في داخل داره ممتكلاً ستة أشهر في أسوأ ما يكون من الحال ، حتى صرت رحة لمن رأي في . وكان أيضاً في كل يسير من الايام يوجه يضربني ويحدد لي العذاب . فلم أزل على ما شرحتني الى أن اعتل أمير المؤمنين ، وذلك في اليوم الخامس من الشهر الرابع من يوم حبسي ، وكانت علة صعبة جداً فاقمده ولم تمكنه الحركة وأيس منه وأيس هو ايضاً من نفسه . ومع ذلك ، فإن أعدائي الأطباء عنده ليلاً ونهاراً ولا يزالونه ساعة واحدة ، وهم يمالجونه ويداوونه ، ويسألونه في كل وقت في أمري ويقولون له : لو أراحنا مولانا أمير المؤمنين من ذلك الزنديق للملحد لأراح منه الدنيا ، وانكشف عن الدين منه محنة عظيمة .

فلما طالبت مسألتهم له في أمري وكثر ذكرهم لي بين يديه بكل سوء ، قال لهم : فما الذي يسركم أن أفعل به ؟ قالوا : تريح العالم منه ، وكان مع ذلك ، كل من سأل في أمري وتشفع في من اصدقائي يقول بختيشوع : يا أمير المؤمنين هذا بعض تلاميذه وهو يعتقد اعتقاده ، فيقول المعلن لي ويكثر الحركة علي ، وأبست من الحياة ، فقال لهم أمير المؤمنين ، وقد لجوا عليه في السؤال : فاني أقتله في غد يومنا هذا وأريحكم منه . فسر بذلك الجماعة وانصرفوا على ما يحبون .

فجاءني بعض الخدم وقال لي انه جرى في امرك العيش كذا وكذا ، فسألت الله عز وجل التفضل بما لم تول بأدبيه الي بامثاله ، مع ما انا فيه من كثرة الاهتمام وشغل القلب بما أخاف توله لي في غد بغير جرم أستوجبه ولا جنابة جنبتها ، بل بحجة من احتال علي وطاعني من اغتالي . وقلت : اللهم انك عالم برامتي فانت أولى بصرتي . وطال لي الفكر الى أن حلني النوم ، فاذا بهاتف يحركني ويقول لي : « قم فاحمد الله وأثن عليه فقد خلصك من ابدي اعدائك » وجعل عاقبة امير المؤمنين علي يدك قطب نفساً ، فانتبهت مرعوباً ، ثم قلت : كلما كثر ذكره في البيضة لم تنكر رؤيته عند النوم . فلم أزل احمد الله واثني عليه الى أن جاء وجه الصبح ، فجاءني الخادم ففتح علي الباب ولم يكن وقته الذي كان يحينني فيه فقلت هذا وقت منكر ، جاءني ما وعدت به البارحة . وقد جاء وقت رضاه أعدائي وشعائهم بي ، واستعنت بالله .

فما جلس الخادم إلا هنيهة ، إذ جاء غلامه ومعه مزين ، ثم قال : تقدم يا مبارك ليؤخذ من شرك . فتقدمت فاخذ من شعري ثم مضى بي الى الحمام فأمر بغسل وتطييف والقيام علي بالطيب ، كما أمره مولاي امير المؤمنين . ثم خرجت من الحمام فطرح علي ثياباً فاخرة ، وردني الى مقصورته الى أن حضر سائر الاطباء عند امير المؤمنين ، واخذ كل واحد منهم موضعه. فنعاني امير المؤمنين وقال: هاتوا حنيناً ، فلم تشك الجماعة انه انما دعاني لقتلي فادخلت اليه فنظر الي ولم يزل يندبني الى ان اجلسني بين يديه وقال لي : قد غفرت لك ذنبك ، واجبت السائل فيك ، فاحمد الله على حيائك ، واثر علي بما ترى ، فقد طالعت علي . فاحضنت بحسنة وأشرت بأخذ خيار شئبر منقي من قصبه وترجيحين . لأنه شكاً اعتقلاً مع ما كان يوجب الصورة من استعمال هذا الدواء . فقال الاطباء : الأعداء : نعوذ بالله يا امير المؤمنين من استعمال هذا الدواء اذ كان له غائبة ردية . فقال لهم : امسكوا فقد أمرت أن أخذ ما يصله لي ، ثم انه أمر بأصلاحه ، فاصلح وأخذته لوقتته . ثم قال لي : يا حنين اجلسني من كل ما فعلته بك في حل فشبعك الي قوي ، فقلت له : مولاي امير المؤمنين في حل من دمي فكيف وقد من علي بالحياة . ثم قال : تسمع الجماعة ما أقوله : فنصتوا اليه ، فقال : اعلوا انكم انصرفتم البارحة مساء ، الي ايكسر أقتل حنيناً كما ضمنت لكم ، فلم أزل أقلق الى نصف من الليل متوجساً ، فلما كان ذلك الوقت اغفيت فأريت كأني جالس في موضع ضيق وانتم مشر الاطباء يمشون عني بعداً كثيراً مع سائر خدمي وحاشيتي ، وأنا أقول لكم : ويحكم ما تتظرون في أي موضع انا هذا يصلح لملي ، وأنتم سكوت لا تجيبوني عما أخطأكم به . فاذا أنا كذلك حتى اشتق علي في ذلك الموضع ضياء عظيم مهول حتى رعبت منه . واذا أنا برجل قد واثق ، جيل الوجه ومعه آخر خلفه عليه ثياب حسنة فقال : السلام عليك . فرددت عليه . فقال لي : تعرفني ؟ فقلت : لا ، فقال : أنا المسيح ، فقلقت وترعزعت وقلت : من هذا الذي معك ؟ فقال : حنين بن اسحق . فقلت : اعذرني فلست أقدر ان أقوم أصفحك ، فقال : اعف عن حنين ، واغفر ذنبه فقد غفر الله له . واقبل ما يشير به عليك ، فإنك قبرا من عتلك . »

« فانتبهت وأنا مغموم بما جرى علي حنين مني ومفكر في قوة شفيعه الي ، وان حقه الآن علي

واجب ، فانصرفوا ليازمني ، كما أمرت ، وليحمل إلي كل واحد منكم عشرة آلاف درهم لتكون دية من سأل في قتله . وهذا المال ياتم من حضر المجلس البارحة وسأل في قتله ، ومن لم يكن حاضراً فلا شيء عليه . ومن لم يحمل ما أمرت بحمله من هذا المال لأضرب عنقه . ثم قال لي : اجلس انت والزم رقتك . وخرج الجماعة فحمل كل واحد منهم عشرة آلاف درهم . فلما اجتمع سائر ما حملوه أمر بأن يضاف إليه مثله من خزائنه ، فكان زائداً عن مائتي ألف درهم ، وأن يسلم إلي ، ففعل ذلك . فلما كان آخر النهار وقد أقامه الدواء ثلاثة مجالس أحس بصلاح ، وخف ما كان يجد . فقال : يا حنين ابشر بكل ما يحب . فقد عظمت رقتك عندي ، وزادت طبقتك أضعاف ما كنت عليه عندي ، فسأعوضك أضعاف ما كان لك ، واحوج أعداءك إليك ، وأرفعك على سائر أهل صنعائك . ثم انه أمر بإصلاح ثلاث دور من دوره التي لم أسكن قط منذ نشأت في مثلها ، ولا رأيت لاحد من أهل صناعتي مثلها . وجعل إليها سائر ما كنت محتاجاً من الأواني والفرش والآلة والكتب وما يشاكل ذلك ، بعد ان أشهد لي بالدور ، وورقني في بشادات المدول ، لانها كانت خطيرة في قيمتها ، لانها تقوم بالفرد دنانير ، فلمجنبت لي ، وميله الي ، احب ان تكون لي ولعلمي ولا تكون علي حجة لمعارض . فلما فرغ مما أمر به من الحل الى الدور ، وجبى ما ذكر وتعليقها بأنواع الستور ، ولم يبق غير الماضي إليها ، أمر بحمل المال الضعف الكثير بين يدي ، وحلني على خمسة أرواس من خيبار بغلاته الخاصة بواكبها . ووهب لي ثلاثة خدم روم ، وأمر لي في كل شهر بخمسة عشر ألف درهم . اطلق لي الفائت من رزقي في وقت حيسي ، فكان شيئاً كثيراً . وحل من جهة الخدم والحرم وسائر الحاشية والاهل ما لا يمكن ان يحصى من الاموال والخلع والاقطاع . وحصلت وظائفني التي سكنت أخذها خارج الدار من سائر الناس ، أخذها من داخل الدار ، وصرت المقدم على سائر الاطباء من اعواني وغيرهم . وهذا تم لي لما لحقني السعادة التامة ، وهذا ما جرى علي بعددادة الاشرار ، كما قال جالينوس : « ان الأخيار من الناس قد ينتقمون بأعدائهم الاشرار . »

« ولعمري لقد لحق جالينوس عن عظيمة ، الا انها لم تكن تبلغ الى ما بلغت في انا هذه المحن ، واني لاعلم مراراً كثيرة ان اول من كان يبدو الى باب دارني في حاجة تكون له الى امير المؤمنين . او ان يسألني عن مرض قد حار فيه احد اعدائي الذين قد عرفتك ما لحقني منهم . وكنت وحق معبودي ، الله الاول ، اسارع في قضاء حوائجهم ، واتخلص لهم المودة ، ولم أكالفتهم على شيء مما صنعوه بي ولا واحداً منهم اخذته بذلك . فكان سائر الناس يتعجبون من حسن قضائي حوائجهم بعد ما كانوا يسمعونهم يقولون في عند الناس وخاصة عند مولاي امير المؤمنين . وصرت اتقبل لهم الكتب على الرسم بغير عوض ولا جزاء ، واسارع الى جميع محابهم بعد ان كنت اذا نقلت لاحد من كتاباً أخذت منه وزنه دراهم . »

اقول : وجدت من هذه الكتب كتباً كثيرة وكثيراً منها اقليلته وهي مكتوبة 'مولد الكوفي بخط الازرق كاتب حنين وهي حروف كبار بخط غليظ في اسطر متفرقة ، وورقها كل ورقة منها بغلط ما يكون من هذه الاوراق المصنوعة يومئذ ثلاث ورقات او أربع ، وذلك في تقطيع مثل ثلث

البغدادى . وكان قصد حنين بذلك تعظيم حجم الكتاب وتكثير وزنه ، لاجل ما يقابل به من وزنه دراهم ، وكان ذلك الورق يستعمل بالتصد ، ولا جرم أن لفظه بقي هذه السنين المتطاوله من الزمان .

قال حنين : « وانما ذكرت سائر ما تقدم ذكره ليعلم العاقل ان المحن قد تنزل بالعاقل والجاهل ، والشديد والضعيف ، والكبير والصغير . وانما وان كانت لا شك واقعة بهذه الطبقات التي ذكرتها ، فما سبيل العاقل ان يأس من تفضل الله عليه بالخلاص مما يلي به ، بل يتقو ويحسن ثقته بخالقه ، ويزيد في تعظيمه وتعجبه . فالله الذي من علي بتجديد الحياة ، واظهرني على اعدائي الظالمين لي ، وجعلني افضلهم رتبة واكثرهم حالا ، حمداً جديداً دائماً ، وهذا جملة قول حنين بن اسحق بلفظه .

ومن كلام حنين ، قال : الليل نهار الاديب .

ولحنين بن اسحق من الكتب : كتاب المسائل وهو المدخل الى صناعة الطب لانه قد جمع فيه جملة وجوامع تجري مجرى المبادئ والاولائل لهذا العلم ، وليس جميع هذا الكتاب لحنين بل ان تلميذه الاعسم حيثما تمه . ولهذا قال ابن أبي صادق في شرحه له ان حنيناً جمع معاني هذا الكتاب في طروس ومسودات بيض منها البعض في مدة حياته . ثم ان حبيش بن الحسن تلميذه وابن أخته رتب الباقي بعده وزاد فيه من عنده زوائد ، وألحقها بما أثبتته حنين في دستوره . ولذلك يوجد هذا الكتاب معنونا بكتاب المسائل لحنين بزيادات حبيش الاعسم . والذي يوجد في النسخ من هذا الكتاب أن زيادات حبيش من عند ذكره أوقات الأمراض الاربعة الى آخر الكتاب . وقال ابن أبي صادق ان زيادات حبيش انما هي من الكلام في الترياق ، واستدل على ذلك بأنه قال : ثم ان حنين بن اسحق عمل مقاتلين شرح فيها ما قاله جالينوس في الترياق . ولو كان قاله حنين لكان يقول ثم اني عملت مقاتلين شرحت فيها كذا وكذا . وقيل ان حنيناً شرح في تأليف هذا الكتاب في ايام المتوكل ، وقد جمعه رئيس الاطباء ببغداد .

كتاب العشر مقالات في العين ، وهذا الكتاب يوجد في نسخة اختلاف كثير ، وليس مقالته على واحد . فارت بعضها توجد مختصرة موجزة في المعنى الذي هي فيه ، والبعض الآخر قد طول فيه وزاد عما يوجبه تأليف الكتاب . والسبب في ذلك أن كل مقالة منه كانت بمفردها من غير التناهي لها مع غيرها . وذلك لان حنيناً يقول في المقالة الاخيرة من هذا الكتاب أنني قد كنت ألفت منذ نصف وثلثين سنة في العين مقالات مفردة ، نحوت فيها الى أغراض شتى . سألتني تأليفها قوم بعد قوم قال ثم ان حنيناً سألتني أن أجمع له ذلك ، وهو تسع مقالات واجملها كتاباً واحداً وأن أضيف له تسع مقالات الماضية مقالة أخرى أذكر فيها كتبهم لملل العين . وهذا ذكر أغراض المقالات التي يضمها هذا الكتاب :

- المقالة الاولى يذكر فيها طبيعة العين وتركيبها .
- والمقالة الثانية يذكر فيها طبيعة الدماغ ومنافسه .
- والمقالة الثالثة يذكر فيها العصب الباصر والروح الباصر وفي نفس البصار كيف يكون .

والمقالة الرابعة فيها جل الاشياء التي لا بد منها في حفظ الصحة واختلافها .

المقالة الخامسة يذكر فيها أسباب الاعراض الكائنة في العين .

المقالة السادسة في علامات الامراض التي تحدث في العين .

المقالة السابعة يذكر فيها قوى جميع الادوية عامة .

المقالة الثامنة يذكر فيها أجناس الادوية للعين خاصة وأنواعها .

المقالة التاسعة يذكر فيها مداواة أمراض العين .

المقالة العاشرة في الادوية المركبة الموافقة لعلل العين .

ووجدت مقالة أخرى حادية عشرة لحنين مضافة الى هذا الكتاب ، يذكر فيها علاج الامراض ،
التي تفرش في العين بالجلد .

كتاب في العين ، على طريق المسألة والجواب ، ثلاث مقالات ، ألفه لولدي داود واسحق ، وهو
مئتان وتسع مسائل . اختصار الستة عشر كتاباً لجاليينوس على طريق المسألة والجواب اختصره
أيضاً لولدي ، واكثر ما ألفه من الكتب على طريق المسألة والجواب ، انما غرضه بها الى هذا القصد .
كتاب الترياق ، مقالتان . اختصار كتاب جاليينوس في الادوية المفردة ، احدى عشرة مقالة اختصره
بالسرياني ، وانما نقل منه الى العربي الجزء الاول ، وهو خمس مقالات ، نقلها لملي بن يحيى . مقالتي
ذكر ما ترجم من كتب جاليينوس وبعض ما لم يترجم كتبها الى عربي بن يحيى المتجم مقالة في ثبت
الكتب التي لم يذكرها جاليينوس في فهرست كتبه ، وصف فيها جميع ما وجد لجاليينوس من الكتب
التي لا يشك انها له ، وقال : ان جاليينوس يكون صنفاً بعد وضعه الفهرست . مقالة في اعتقاده
لجاليينوس فيما قاله في المقالة السابقة من كتاب آراء ابقراط وافلاطون . محل مقالة جاليينوس في اصناف
الغلظ الخارج عن الطبيعة ، على طريق المسألة والجواب . جوامع كتاب جاليينوس في التبول على
طريق المسألة والجواب . جوامع كتاب جاليينوس في ان الطبيب الفاضل يجب ان يكون فيلسوفاً ،
على طريق المسألة والجواب . جوامع كتاب جاليينوس في كتب ابقراط الصحيحة وغير الصحيحة .
جوامع كتاب جاليينوس في الحث على تعلم الطب ، على طريق المسألة والجواب . جوامع كتاب النبي
لجاليينوس ، على طريق المسألة والجواب . ثمار تفسير جاليينوس ، لكتاب الفصول لابقراط ، على طريق
المسألة والجواب ، سبع مقالات ، وكان تأليفه له بالسرياني ، وانما نقل منه الى العربي المقالة الاولى
والثانية والثالثة والرابعة . وأما الثلاث المقالات الباقية فنقلها الى العربي عيسى بن صهر بنجت . ثمار
تفسير جاليينوس لكتاب تقطعة المعرفة ، على طريق المسألة والجواب . ثمار تفسير جاليينوس لكتاب ابقراط
في تدبير الامراض الحادة على طريق المسألة والجواب . ثمار تفسير جاليينوس لكتاب ابقراط في جراحات
الرأس على طريق المسألة والجواب . ثمار السبع عشرة مقالة الموجودة من كتاب جاليينوس لكتاب ابيديس
لابقراط على طريق المسألة والجواب . ثمار تفسير جاليينوس لكتاب قاطوطريون لابقراط على طريق المسألة
والجواب . ثمار تفسير جاليينوس لكتاب ابقراط في الأهوية والأزمة والبلدان ، على طريق المسألة والجواب ،
شرح كتاب الهواء والماء والمساكن لابقراط لم يتم شرح كتاب الفناء لابقراط : ثمار المقالة الثالثة من

تفسير جالينوس لكتاب طبيعة الانسان لابرقراط ، ثم اشار كتاب ابقراط في المولدين لثانية اشهر ، فصول استخراجها من كتاب ابينيديا . فصول استخراجها من كتاب الاموية والبلدان ، وما في كتاب الفصول من الكلام في الاموية والبلدان بتفسير جالينوس . مقالة في تدبير الناقهين ، ألفها لابي جعفر محمد بن موسى . رسالة في قرص العود ، رسالة الى الفيلسوف في قرص الورد . كتاب الى المعتد فيها سألته عنه من الفرق بين الغذاء واللواء والمنهل ، ثلاث مقالات ، كتاب قوى الاغذية ثلاث مقالات كتاب في كيفية ادراك النفاثة مسائل في البول انتزعها من كتاب ابينيديا لأبقراط . مقالة في تولد الفروج بين فيها أن تولد الفروج اما هو من بياض البيضة ، واعتداؤه من الملح الذي فيها . مسائل استخراجها من كتب المنطق الأربعة . مقالة في الدلائل ، وصف فيها ابرأيا من الدلائل التي يستدل بها على معرفة كل واحد من الامراض .

كتاب في التنبؤ ، كتاب في المحيطات ، كتاب في البول مستخرج من كتاب ابقراط وجالينوس ، كتاب في معرفة أوجاع المعدة وعلاجها ، مقالاتان ، كتاب في حالات الاعضاء . مقالة في ماء البول . كتاب في اليبس ، كتاب في حفظ الاسنان واللثة ، كتاب فيمن يولد لثانية اشهر ، على طريق المسألة ، والجواب ، ألفه لام ولد المتوكل ، كتاب في امتحان الاطباء ، كتاب في طبائع الاغذية وتدبير الابدان كتاب في اسماة الادوية المفردة ، على حروف المعجم ، كتاب في مسائل العربية ، كتاب في تسمية الاعضاء على ما رتبها جالينوس ، كتاب في تركيب العين . مقالة في المد والجذر ، كتاب في افعال الشمس والقمر ، كتاب في تدبير السوداويين ، كتاب في تدبير الاسعاج المظم والمشرّب . كتاب في في العين ، كتاب في تدبير المستعصين ، كتاب في أسرار الادوية المركبة ، كتاب في اسرار الفلاسفة في الباء . جوامع كتاب الماء والعالم ، كتاب في المنطق ، كتاب في النحو . مقالة في خلق الانسان ، وانه من مصلحته ، والتفضل عليه جعل محتاجاً . كتاب فيها يقرأ قبل كتب افلاطون ، مقالة في تولد النار بين الحجرين . كتاب القوائد ، ومقالة في الحمام ، مقالة في الاجال مقالة في الدغذغة ، مقالة في ضيق النفس . كتاب في اختلاف العلوم . كتاب في تشريح آلات الغذاء ، ثلاث مقالات ، تفسير كتاب النفخ لابقراط ، تفسير كتاب حفظ الصحة لرؤف ، تفسير كتاب الادوية المكتومة لجالينوس بين فيه شرح ما ذكره جالينوس في كل واحد من الأدوية . رسالة في دلالة القدر على التوحيد ، رسالة الى سلوهيه بن يمان عما سألته من وجبة مقالة جالينوس في العادات . كتاب في احكام الاعراب على مذهب اليونانيين ، مقالاتان : مقالة في السبب الذي من اجله صارت مياه البحر مالحة ، مقالة في الاران . كتاب قاطيغوريوس على رأي التمسطيوس ، مقالة . مقالة في تولد الحصاة مقالة في اختيار الادوية المفردة . كتاب في مياه الحمامات على طريق المسألة والجواب .

كتاب نواذر الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء ، كناس اختصره من كتاب بولس . مقالة في تقاسم علل العين . كتاب اختيار أدوية علل العين مقالة في الصراع . كتاب الفلاحة ، مقالة في التركيب بما رافقه عليه الفاضلان ابقراط وجالينوس ، مقالة تتعلق بحفظ الصحة وغيرها ، كدم في الاثار العلوية مقالة في قوس قزح . كتاب تلويخ العالم والمبدأ والانبياء والملوك والامم والخلفاء

والمملوك في الاسلام ، وابتداء فيه من آدم ومن أوى من بعده ، وذكر ملوك بني اسرائيل وملوك اليونانيين والروم ، وذكر ابتداء الاسلام وملوك بني أمية وملوك بني هاشم الى الوقت الذي كان فيه حين بن اسحق ، وهو زمان المتوكل على الله . حل بعض شكوك جاميوس الاسكندراني على كتاب الاعضاء الالة جالينوس وصلة فيما أسابه من الحق : الشدائد كتاب الى علي بن يحيى جواب كتابه فيها دعاه اليه من دين الاسلام . جوامع ما في المقالة الاولى والثانية والثالثة من كتاب أبيهيميا لابرقراط على طريق المسألة والجواب . مقالة في كوت الجنين جمع من أقاويل جالينوس وبقرات . جوامع تفصيص القدماء اليونانيين لكتاب أرسطوطاليس في السماء والعالم مسائل مقدمة لكتاب فرغوريوس المعروف بالمدخل ؛ ويليني أن يقرأ قبل كتاب فرغوريوس شرح كتاب الفراسة لارسطاطاليس . كتاب دفع مضار الاغذية . كتاب الزينة . كتاب خواص الاحجار . كتاب البيطرة . كتاب حفظ الاسنان . كتاب في ادراك حقيقة الاديان .

اسحق بن حنين

هو أبو يعقوب اسحق بن حنين بن اسحق المبادي ، كان يلحق بابيه في النقل وفي معرفته بالغات وفصاحته فيها ، الا أن نقله للكتب الطبية قليل جداً بالنسبة الى ما يوجد من كثرة نقله من كتب ارسطوطاليس في الحكمة وشروحها الى لغة العرب . وكان اسحق قد خدم من خدم أبوه من الخلفاء والرواء . وكان منقطعاً الى القاسم بن عبيد الله وخصيصاً به ، ومتقدماً عنده يفضي اليه بأسراره . ولاسحق حكايات مستظرفة واشمار .

قال اسحق بن حنين : شكا إلي رجل علة في احشائه فاعطيته معجوناً وقلت له : تناوله سحراً وعرفني خبرك بالمشي « فبعاني غلامه برقعة من عنده فقرأتها ، واذا فيها : « يا سيدي تناولت الدواء واخنتك ، لا عدمتك ، عسرة مجالس أحر مثل الريق في اللزوجة ، وأخضر مثل السلق^(١) في البقلة ، ووجدت بعده منساً^(٢) في رأسي وهوساً^(٣) في سرتي^(٤) ، فرأيتك في انكار ذلك على الطبيعة بما رواه ان شاء الله . قال : « فتمعجت منه وقلت : ليس للاحق الاجواب يليق به » . وكتبت اليه : « فعمت رقعتك وأأأ أتقدم الى الطبيعة بما تحب ، وأنفذ اليك الجواب اذا التفتينا والسلام » .

ولحق اسحق في آخر عمره الفالج ، وبه مات . وتوفي ببغداد في أيام المقتدر بالله ، وذلك في شهر

(١) نبات يؤكل كالفنداء .

(٢) اللص وهو روج وتطبخ في الاسماء .

(٣) جنون وخلة في العقل .

(٤) الرقبة - الفترة -- في وسط البطن .

ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين ومائتين .
ومن كلام اسحق قال : قليل الراح صديق الروح ؛ وكثيرها عدو الجسم .
ومن شعره :

| | |
|--------------------------------|------------------------------|
| أنا ابن الذين استودع الطب فيهم | وُسِّمُوا به طفل وكل ويافع |
| يبصرني ارسططاليس بأرعاً | يقوم مني منق لا يُدافع |
| وبقراط في تفصيل ما أثبت الالى | لنا الضر والاسقام طب مضارع |
| وما زال جالينوس يشفي صدورنا | لما اختلفت فيه علينا الطبائع |
| ويحيى بن ماسويه وأهرن قبله | لهم كتب للناس فيها منافع |
| رأى أنه في الطب نيلت فلم يكن | لنا راحة من حفظها وأصابع |

(الطويل)

ونقلت من خط ابن بطلان في رسالته المعروفة « بدعوة الاطباء » : ان القاسم بن عبيد الله وزير
المعتضد بالله بلغه ان أب يعقوب اسحق قد شرب دواء مسهلًا فاحب مداعبته ، وكان صديقًا له ،
فكتب اليه :

أبن لي كيف أميت وكما كنت من الحال
وكما سارت بك الناقة نحو المنزل الخالي
(الهزج)

فكتب اليه اسحق بن حنين :

بخير كنت مسروراً رضي الحال والبال
فأما البر والناقة والمرتبع الخالي
فاجلالك انسانيه يا غاية آمالي
(الهزج)

ولاسحق بن حنين من الكتب : كتاب الادوية المفردة . كتاب لطيف ، ويعرف بكناش
الحنف . كتاب ذكر فيه ابتداء صناعة الطب واسماء جماعة من الحكماء والاطباء . كتاب الادوية
الموجودة بكل مكان ؛ كتاب اصلاح الادوية المسهلة . اختصار كتاب اقليدس ، كتاب المقولات ،
كتاب ايساغوجي ، وهو المدخل الى صناعة المنطق . اصلاح جوامع الاسكندرانيين لشرح جالينوس
لكتاب الفصول لابقرط . كتاب في التنبؤ على جهة التقسيم . مقالة في الاشياء التي تفيد الصحة
والحفظ ، وتنعم من النسيان ألفها لبد الله بن شمعون . كتاب في الادوية المفردة . كتاب صنعة
العلاج بالديد . كتاب آداب الفلاسفة ونواحيهم . مقالة في التوحيد .

حبش الاعسم

هو حبش بن الحسن النمشقي ، وهو ابن اخت حنين بن اسحق ، ومنه تعلم صناعة الطب ، وكان يسلك مسلک حنين في نقله وفي كلامه واحواله ، الا انه كان يقصر عنه .

وقال حنين بن اسحق ، وقد ذكره في بعض المواضع : وان حبشاً ذكي مطبوع على الفهم ، غير انه ليس له اجتهاد بحسب ذكائه ، بل فيه تهاون ، وان كان ذكؤه مفرطاً ونهته ثاقباً .

وحبش هو الذي تم كتاب مسائل حنين في الطب الذي وضعه للتملين ، وجمعه مدخل الى هذه الصناعة . ولحبش من الكتب : كتاب اصلاح الادوية المسهلة ، كتاب الادوية المفردة ، كتاب الاغذية . كتاب في الاستمقاء . مقالة في النض على جهة التقسيم .

يوحنا بن بختيشوع

كان طبيباً متميزاً خبيراً باللغة اليونانية والسريانية ، ونقل من اليوناني الى السرياني كتباً كثيرة ، وخدم بصناعة الطب الموفس باثا طلحة بن جعفر المتوكل ، وكان يعتمد عليه كثيراً ويسميه مفرج ككري .

حدث ابراهيم بن العباس بن طومار الهاشمي قال :

« كان الموفق اذا جلس للشراب يقدم بين يديه صيلة ذهب ، ومسل ذهب ، وخرداذي (١) بلور ، وكوز بلور ، ويجلس يوحنا بن بختيشوع عن يمينه ، ويقدم اليه مثل ذلك ، وكذلك بين يدي غالب الطبيب . ثم يقدم الى جميع الجلساء صواني مدهون ، وقتاني زجاج ، واورنج (٢) : قال : وسميته وقد شكاً الى الموفق ما يجري عليه في ضياعه ، فتقدم الموفق الى صاعد بأن يكتب له جميع ما يريد . ثم ان يوحنا حضر بعد مدة مديدة فعدد على الموفق احسانه اليه ، ومعروفه عنده ، وان صاعداً يكد احسانه اليه ويكتب الى العمال كتباً فيما يبطل عليه ضياعه واملاكه . فتقدم اليه الموفق بالانصراف الى مضربه ، واعله بكيفية الفكر في هذا . ووجه الموفق الى صاعد فأحضره وقال له : أنت تعلم انه ليس لي في هذه الدنيا من اسرع اليه ، واعلم ما في سويداء قلبي ، وهو مفرج ككري ، غير يوحنا . وأنت دائب الحيلة على تنفيض عيشي بشغل قلبي عن خدمتي ، فعل الله بك وفعل . فلم يزل صاعد يحلف له حتى حل سببه ومنطقته ، وقال له : « امض الساعة مع راشد الى مضرب يوحنا ، ولا تدع جهداً في أن تتوصل الى جميع ما يحبه ، ووثق له ، وخذ خطه بانك قد بلغت له كل ما اراده ، وانقذه الي مع راشد » . قال : فمضى وكنت أنا أحد من مضى معها ، حتى

(١) الصحيح الخرداذي وهي الخرمنا أي الرءاء الذي فيه الخمر .

(٢) نوع من الليمون تعرفه العامة « ليمون برصغير » . (ن . و)

دخلنا الى مضرب يوحنا ، واذا به قاعد على حصر سامان^(١) في قبة له ، فلما قرب منه صاعد قام له فلم عليه ، وعلى راشد وعلي وجلسوا وجلست . ثم قال صاعد وحلف له ، فقال له «وما يلقيني ، وانت تكتب بضد ما تظهر » . فاعاد اليقين ووثق له . ثم دعا صاعد بمبدال وجعله في حجره ، وأخذ القرطاس والقلم ، وجعل يكتب ويحرق الخرائط حتى بلغ ما اراده يوحنا وأخذ خطه وشهادتي ومن حضر ، وأنفذها مع راشد الى الموفق باؤه . وما احتاج يوحنا بعد ذلك ان يستريد في شيء من أموره .

وليوحنا بن بختيشوع من الكتب : كتاب فيا يحتاج اليه الطبيب من علم النجوم .

بختيشوع بن يوحنا

كان عالماً بصناعة الطب ، حظياً من الخلفاء وغيرهم . واختص بخدمته المقتدر بالله^(٢) ، وكان له من المقتدر الانعام الكثير ، والاقطاعات من الضياع . وخدم بعد ذلك الرازي بالله^(٣) ، فآكرمه وأجراه على ما كان يأمه في أيام أبيه المقتدر .

ومات بختيشوع بن يوحنا في يوم الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة تسع وعشرين وثلثائة ببغداد.

عيسى بن علي

كان طبيباً فاضلاً ومشتغلاً بالحكمة ، وله تصانيف في ذلك . وكان قد قرأ صناعة الطب على حنين ابن اسحق ، وهو من أجل تلاميذه . وكان عيسى بن علي يخدم احمد بن المتوكل ، وهو المتمد على الله ، وكان طبيباً قديماً ولما ولي الخلافة احسن اليه وشرقه وحمله عدة دفعات على دواب وخلع عليه . ولميس بن علي من الكتب : كتاب المنافع التي تستفاد من اعضاء الحيوان . كتاب السموم مقاتلان.

عيسى بن يحيى بن ابراهيم

كان ايضاً من تلامذة حنين بن اسحق ، واشتغل عليه بصناعة الطب .

(١) حصر صنع بسلامان وهي قرية في ايران « بلخ » .

(٢) الخليفة العباسي الثامن عشر في الخلافة وعمره ١٣ سنة وانحطت الدولة في اليه فأسس الفاطميون دولتهم في المغرب مصر ، والقرمطة في البحرين قطفوا طوين الحجاج .

(٣) خليفة عباسي آخر من دوله شعر . انفرد بتدبير الملك وقرب اليه اللطاف . ولكن الخلافة ضمت وقوت شوكة حكم الاقاليم فكان آفة في ايديهم . « ن » و «

الحلاجي

ويعرف بـ يحيى بن أبي حكيم كان من أطباء المعتضد ، وله من الكتب : كتاب تدبير الابدان
النخيلة التي قد علتها الصفراء ، ألفه للمعتضد .

ابن صهار بنت

واسمه عيسى ، من اهل جندي ساور ، وله من الكتب كتاب قوى الادوية المفردة

ابن ماهان

ويعرف بمحبوب السرافي وله من الكتب : كتاب الصغر والحضر في الطب .

الساھر

اسمه يوسف ، ويعرف بيوسف القس . عارف بصناعة الطب ، وكانت متميزاً في أيام المكتفي .
وقال عبيد الله بن جبرائيل عنه انه كان به سرطان في مقدم رأسه ، وكان يئمه من النوم فلقب
بالساھر من أجل مرضه . قال : وصنف كتاباً يذكر فيه أدوية الامراض ، وذكر في كتابه أشياء
تدل على أنه كان به هذا المرض . والساھر من الكتب : كتابه وهو الذي يعرف به وينسب اليه ،
وهو ما استخرجه وجربه في أيام حياته ، وجعله مقسوماً الى قسمين ، فالقسم الاول يجري أبوابه على
غير ترتيب الاعضاء وهي ستة أبواب .

الباب التاسع

طبقات الأطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني الى اللسان العربي وذكر الذين نقلوا لهم

جورجس

وهو من أول من ابتدأ في نقل الكتب الطبية الى اللسان العربي عندما استدعاه المصور وكان كثير الاحسان اليه ، وقد ذكرت أخبار جورجس فيما تقدم .

حنين بن اسحق

كان عالماً باللغات الاربع غريبها ومستعملها : العربية والسريانية واليونانية والفارسية . ونقله في غاية من الجودة .

اسحق بن حنين

كان أيضاً عالماً باللغات التي يعرفها أيوه ، وهو يلحق به في النقل ، وكان اسحق عذب العبارة فصيح الكلام ، وكان حنين مع ذلك أكثر تصنيفاً ونقلًا وقد تقدم ذكر اسحق وابيه .

حيش الاعسم

وهو ابن أخت حنين بن اسحق وتلميذه . ناقل مجود يلحق بحنين واسحق . وقد تقدم أيضاً ذكره .

عيسى بن يحيى بن ابراهيم

كان أيضاً تلميذاً لحنين بن اسحق ، وكان فاضلاً . اتى عليه حنين ورضي نقله ، وقده فيه . وله مصنفات .

قسطا بن لوقا البعلبيكي

كان ناقلاً خبيراً باللغات فاضلاً في العلوم الحكيم وغيرها ، وسياقي ذكره وأخباره فيما بعد ان شاء الله .

أيوب المعروف بالابرش

كان قليل النقل متوسطه . وما نقله في آخر عمره يضاهي نقل حنين .

ماسرجيس

كان ناقلاً من السرياني الى العربي ، ومشهوراً بالطب .
وله من الكتب : كتاب قوى الاطعمة ومنافعها ومضارها . كتاب قوى العقاقير ومنافعها ومضارها .

عيسى بن ماسرجيس

كان يلحق بأبيه . وله من الكتب : كتاب الالوان . كتاب الروائح والطعوم .

شهدي الكرخي

من اهل الكرخ ، وكان قريب الحال في الترجمة .

ابن شهدي الكرخي

كان مثل أبيه في النقل ، ثم انه في آخر عمره فاق أباه ، ولم يزل متوسطاً . وكان ينقل من السرياني الى العربي . ومن نقله كتاب الأجنة لأبقراط .

الحجاج بن مطر

نقل للمأمون . ومن نقله كتاب اقليدس ، ثم أصلح نقله فيما بعد ثابت بن قرة الحراني ابن ناعمة ، واصله عبد المسيح بن عبدالله الحمصي الناعمي ، كان متوسط النقل ، وهو الى الجودة أميل

زرويا بن ماضوه الناعمي الحمصي

كان قريب النقل ، وما هو في درجة من قبله .

هلال بن أبي هلال الحمصي

كان صحيح النقل ، ولم يكن عنده فصاحة ، ولا بلاغة في اللفظ .

فثيون الترجمات

وجدت نقله كثير الحن ولم يكن يعرف علم العربية اصلاً .

أبو نصر بن ثاري بن أيوب

كان قليل النقل ، ولم يمتد بنقله كغيره من النقلة .

بسيل المطران

نقل كتباً كثيرة ، وكان نقله اميل الى الجودة .

اصطقن بن بسيل

كان يقارب حنين بن اسحق في النقل ، الا ان عبارة حنين افسح واحلى

موسى بن خالد الترجمان

وجدت من نقله كتباً كثيرة من السنة عشر لجالينوس وغيرها وكان لا يصل الى درجة حنين أو يقرب منها .

اسطاث

كان من النقلة المتوسطين

حرون بن رابعة

ليس له شهرة بمجودة النقل .

تدرس السنقل

وجدت له نقلاً في الكتب الحكيمية لا بأس به

سرجس الراسي

من اهل مدينة رأس العين . نقل كتباً كثيرة وكان متوسطاً في النقل . وكان حنين يصلح نقله ، فما وجد بإصلاح حنين فهو الجيد ، وما وجد غير مصلح فهو وسط .

أيوب الرهاوي

ليس هو أيوب الأبرش المذكور أولاً ، فقل جيد عالم باللغات الا انه بالسريلية خير منه بالعربية .

يوسف الناقل

هو أبو يعقوب يوسف بن عيسى المتطلب الناقل ، ويلقب بالناعس ، وهو تلميذ عيسى بن صهر بنجت ، وكان يوسف الناقل من خوزستان وكانت في عبارته لكثرة ، وليس نقله بكثير الجودة .

ابراهيم بن الصلت

كان متوسطاً في النقل يلحق بسرجس الرأسي .

ثابت الناقل

كان ايضاً متوسطاً في النقل إلا أنه يفضل ابراهيم بن الصلت . وكان مقلاً من النقل . ومن نقله :
كتاب الكيموسين لجالينوس .

ابو يوسف الكاتب

كان ايضاً متوسطاً في النقل ونقل عدة كتب من كتب أبقراط .

يوحنا بن بختيشوع

نقل كتباً كثيرة الى السرياني ، فاما الى العربي فما عرف بنقله شيء منها .

البطريق

كان في امام المنصور ، وأمره بنقل أشياء من الكتب القديمة . وله نقل كثير جيد ، الا أنه دون
نقل حنين بن اسحق . وقد وجدت بنقله كتباً كثيرة في الطب كتب أبقراط وجالينوس .

يحيى بن البطريق

كان في جملة الحسن^(١) بن سهل ، وكان لا يعرف العربية حق معرفتها ولا اليونانية ، وإنما كان
لطيفاً يعرف لغة الروم اليوم وكتابتها . وهي الحروف المتصلة لا المنفصلة اليونانية القديمة .

قيضا الرهاوي

كان اذا كثرت على حنين الكتب ، وضاق عليه الوقت استعان به في نقلها ، ثم يصلحها بعد ذلك

منصور بن بآناس؛

طبقته في النقل مثل قيضا الرهاوي ، وكان بالسريانية أقوى منه بالعربية .

عبد يشوع بن بهريز

مطران الموصل . كان صديقاً لجبرائيل بن بختيشوع وأقل له .

ابو عثمان سعيد بن يعقوب البمشقي

أسد الثقة الجيدين ، وكان منقطعاً الى حلي^(٢) بن عيسى .

(١) من ولادة المأمون احسن الى العلماء والشعراء وروج ابنته من المأمون قتي سنة ٨٠٠ .
(٢) من تلاميذ حنين اشتهر في صناعة الكحل .

ابو اسحق ابراهيم بن بكس

كان من الأطباء المشهورين ، وترجم كتباً كثيرة إلى لغة العرب ، ونقله أيضاً مرغوب فيه .

ابو الحسن علي بن ابراهيم بن بكس

كان أيضاً طبيباً مشهوراً ، وكان مثل أبيه في النقل .
فاما الذين كان هؤلاء الثقة ينقلون لهم خارجاً عن الخلفاء فمنهم :

شيرشوع بن قطرب

من أهل جندي سابور ، وكان لا يزال يبر الثقة ويهدي اليهم ، ويتقرب إلى تحصيل الكتب منهم بما يمكنه من المال ، وكان يريد السرياني أكثر من العربي وهو أحد الخوز .

محمد بن موسى المنجم

وهو أحد بني موسى بن شاكر الحساب المشهورين بالفضل والعلم والتصنيف في العلوم الرياضية .
وكان محمد هذا من أبر الناس بحنين بن إسحق ، وقد نقل له حنين كثيراً من الكتب الطبية .

علي بن يحيى المعروف بابن المنجم

أحد كتاب المأمون وكان ندياً له ، وعده فضل . ومال إلى الطب فنقلوا له كتباً كثيرة .

ثادرس الاسقف

كان اسقفاً في الكرخ ببغداد . وكان حريصاً على طلب الكتب متقرباً إلى قلوب نقلتها ، فحصل منها شيئاً كثيراً ، وصنف له قوم من الأطباء النصاري كتباً لها قدر وجعلوها باسمه .

محمد بن موسى بن عبد الملك

نقلت له كتب طبية وكان من جهة العلماء الفضلاء يخلص الكتب ، ويعتبر جيد الكلام فيها من رديه .

عيسى بن يونس الكاتب الحاسب

من جهة الفضلاء بالعراق وكان كثير العناية بتحصيل الكتب القديمة والعلوم اليونانية .

علي المعروف بالقيوم

اشتهر باسم المدينة التي كان عاملاً ، وكانت الثقة يحصلون من جانبه ويتأرون من فضله .

احمد بن محمد المعروف بابن المدر الكاتب

وكان يصل الى النقة من ماله وأفضاله شيء كثير جداً .

ابراهيم بن محمد بن موسى الكاتب

وكان حريصاً على نقل كتب اليونانيين الى لغة العرب ومشتغلاً على أهل العلم والفضل وعلى النقلة خاصة .

عبد الله بن اسحق

وكان أيضاً حريصاً على نقل الكتب وتحصيلها .

محمد بن عبد الملك الزيات

وكان يقارب عطاءه النقة والنساج في كل شهر ألفي دينار ، وتقل باسمه كتب عدة .

وكان أيضاً ممن نقلت له الكتب اليونانية ، ووجدت باسمه جماعة من أكابر الأطباء ، مثل :
يوحنا بن ماسويه ، وجبرائيل بن بختيشوع ، وبختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع ، وداود بن سرايون ،
وسلمويه بن بنان ، واليسع ، واسرائيل بن زكريا بن الطيفوري ، وحبيش بن الحسن .

الباب العاشر

طبقات الأطباء العراقيين وأطباء الجزيرة وديار بكر

يعقوب بن اسحق الكندي

فيلسوف العرب واحد أبناء ملوكها . وهو أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح بن عمرات ابن اسماعيل بن محمد بن الاشعث بن قيس بن معدى كرب بن معاوية بن جبة بن عدي بن ربيعة ابن معاوية الأكبر بن الحرث الأصغر بن معاوية بن الحرث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كندة بن عفير بن عدي بن الحرث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ابن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وكان أبوه اسحق بن الصباح أميراً على الكوفة للهندي والرشيد . وكان الاشعث بن قيس من اصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وكان قبل ذلك ملكاً على جميع كندة . وكان أبوه قيس بن معدى كرب ملكاً على جميع كندة أيضاً ، عظيم الشأن ، وهو الذي مدحه الاعشى ، - أعشى بني قيس بن ثعلبة - بقصائده الأربع الطوال التي أولاهن :
لمرثك ما طول هذا الزمن .

والثانية : رحلت سمية غداة أجمالها .

والثالثة : أأزمت من آل ليل ابتكاراً .

والرابعة : أتيجر غانية أم لم .

وكان أبوه معدى كرب بن معاوية ملكاً على بني الحرث الأصغر بن معاوية في حضرموت ^(١) ، وكان أبوه معاوية بن جبة ملكاً بحضرموت أيضاً على بني الحرث الأصغر . وكان معاوية بن الحرث الأكبر وأبوه الحرث الأكبر وأبوه ثور ملوكاً على مملكة بالمشقر ^(٢) والليامة ^(٣) والبحرين ^(٤) .

(١) بلاد في جنوبي الجزيرة العربية عاصمتها مرفأ الكلا . وفيها نهر يجري صيفاً وشتاءً يدعى وادي القصر ويقرب منه كانت تقع عاصمة الحميريين .
(٢) حصن قديم بالبحرين .
(٣) بلاد في أراض الجزيرة العربية ورد ذكرها كثيراً في أخبار العرب .
(٤) مجموعة جزر بالقرب من الشاطئ الغربي .

وكان يعقوب بن اسحق الكندي عظم الميزة عند المأمون والمعتصم وعند ابنه أحمد . وله مصنفات جليلة ورسائل كثيرة جداً في جميع العلوم .

وقال سليمان بن حسان : ان يعقوب بن اسحق الكندي شريف الاصل بصري - كان جده ولي الولايات لبني^(١) هاشم - ونزل البصرة وضيعته هنالك . وانتقل الى بغداد وهناك تأدب ، وكانت عالماً بالطب ، والفلسفة ، وعلم الحساب ، والمنطق ، وتآليف اللحن ، والهندسة ، وطبائع الاعداد ، وعلم النجوم . ولم يكن في الاسلام فيلسوف غيره ، احتذى في تآليفه حذو ارسطوطاليس . وله تآليف كثيرة في فنون من العلم ، وخدم الملوك قباشرهم بالادب ، وترجم من كتب الفلسفة الكثير ، وأوضح منها المشكل ، ونحس المستصعب ، وبسط العويص .

وقال أبو معشر في كتاب المذكرات لشاذان : حذاق التراجمة في الاسلام أربعة: حنين بن اسحق ، ويعقوب بن اسحق الكندي ، وثابت بن قرة الحراني ، وعمر بن الفرخان الطبري .

وقال ابن النديم البغدادي الكاتب المعروف بابن أبي يعقوب في كتاب الفهرست : كان أبو معشر ، وهو جعفر بن محمد البلخي من اصحاب الحديث أولاً ومزله في الجانب الغربي بباب خراسان ببغداد ، يضاغن الكندي ويبري به العامة ويشنع عليه بعلوم الفلاسفة . فدمس عليه الكندي من حسن له النظر في علم الحساب والهندسة ، فدخل في ذلك فلم يكل له ، فعدل الى علم أحكام النجوم وانقطع شره عن الكندي بنظره في هذا العلم لانه من جلس علوم الكندي . ويقال انه تعلم النجوم بعد سبع واربعين سنة من عمره ، وكان فاضلاً حسن الاصابة وضربه المستعين أسوأطاً لانه اصاب في شيء خبره بكونه قبل وقته ، فكان يقول « أصبت فعوقبت » . وكان مولده بواسط يوم الاربعاء لليلتين يلتقيان من شهر رمضان سنة^(٢) وتوفي أبو معشر وقد تجاوز المائة سنة .

وقال أبو جعفر أحمد بن يوسف بن ابراهيم في كتاب « حسن العقبى » : حدثني أبو كامل شعاع ابن اسلم الحاسب قال : كان محمد وأحمد ابنا موسى بن شاذان في أيام المتوكل يكيدان كل من ذكر بالتقدم في معرفة . فاشغصا سند بن علي الى مدينة السلام ، وباعدها عن المتوكل ، ودبرا على الكندي حتى ضربه المتوكل ، ووجها إلى داره فاشغصا كتبه بأمرها وأفرادها في خزانة سميت الكندية . ومكن هذا لها استهتار المتوكل بالآلات المتحركة ، وتقدم إليها في حفر النهر المعروف بالجعفري ، فاسندا أمره الى أحمد بن كثير الفرغاني الذي عمل القياس الجديد بصر . وكانت معرفته أوفى من توفيقه ، لانه ما تم له عمل قط ، فغلط في فوهة النهر المعروف بالجعفري وجعلها أخفض من سائرته ، فصار ما يفرغ الفوهة لا يفرغ سائر النهر . فدافع محمد وأحمد ابنا موسى في أمره واقتضاهما المتوكل ، فسمى بها البه فيه ، فانفذ مستعثاً في احضار سند بن علي من مدينة السلام ، فوافى . فلما تحقق محمد وأحمد ابنا موسى أن سند بن علي قد شخص ، أيقنا بالهلكة ونشأ من الحياة . فدعا المتوكل

(١) بطن من قريش يلبسون الى هاشم بن عبد مناف في عبد المطلب ، راضي عبد شمس والدامية . مدفون في غرة (ن.د) (٢) يباح في كل النسخ .

يسند وقال : « ما ترك هذان الرديان شيئاً من سوء القول الا وقد ذكرناك عندي به : وقد أتلغا جلة من مالي في هذا النهر . فاخرج اليه حق تأمله وتحبرني بالقط فيه . فاني قد آليت على نفسي ، ان كان الامر على ما وصف لي ، اني أصليها على شاطئه » . وكل هذا بعين محمد وأحمد ابني موسى وسميها ، فخرج ومها معه . فقال محمد ابن موسى لسند : « يا أبا الطيب ان قدرة الحر تذهب حفيظته ، وقد فرغنا اليك في أنفسنا التي هي أنفس أعلامنا ، وما ننكر ان اسأنا والاعتراف يهدم الاعتراف ، فنخلصنا كيف شئت » . قال لها : والله انكما لتعلمان ما بيني وبين الكندي من العداوة والمباعدة ، ولكن الحق أولى ما أتبع . أكان من الجليل ما اتياه اليه من اخذ كتبه ؟ والله لا ذكرتكما بصالحه حتى تردا عليه كتبه » . فتقدم محمد بن موسى في حمل الكتب اليه ، وأخذ خطه باستيفائها ، فوردت رقعة الكندي بتسليمها عن آخرها . فقال : « قد وجب لكم علي ذمام يرد كتب هذا الرجل ، ولكما ذمام بالمعرفة التي لم ترعياما في ، والخطأ في هذا النهر يستر أربعة أشهر بزيادة دجة ، وقد أجمع الحساب على أن امير المؤمنين لا يبلغ هذا المدى ، وأنا أخبره الساعة انه لم يقع منكما خطأ في هذا النهر ابقاء على ارواحكما ، فإن صدق المتبحرون اغلقتنا الثلاثة ، وان كذبا وجازت مدته حتى تنقص دجة وتصب ، اوقع بنا ثلاثتنا » . فشكر محمد واحد هذا القول منه واسارقه به ، ودخل على المتوكل ، فقال له : ما غلطا . وزادت دجة ، وجرى الماء في النهر ، فاستتر حاله ، وقتل المتوكل بعد شهرين ، وسلم محمد واحد بعد شدة الخوف مما توقعوا .

وتال القاضي ابو الغامص صاعد بن احمد بن صاعد في كتاب « طبقات الأمم » ، عن الكندي عندما ذكر تصانيفه وكتبه قال : ومنها كتبه في علم المنطق ، وهي كتب قد نفقت عند الناس نفاقاً عاماً ، وقلماً يلتفت بها في العلوم لانها خالية من صناعة التحليل التي لا سبيل الى معرفة الحق من الباطل في كل مطلوب الا بها . وأما صناعة التركيب وهي التي قصد يعقوب في كتبه هذه اليها فلا يتفنت بها الا من كانت عنده مقدمات عديدة ، فحينئذ يمكنه التركيب ، ومقدمات كل مطلوب لا توجد الا بصناعة التحليل ، ولا أدري ما حمل يعقوب على الاضراب عن هذه الصناعة الجليلة ، هل جهل مقدارها ، أو ضنَّ على الناس بكشفه ؟ وأي هذين كان . فهو نقص فيه ، وله بعد هذا رسائل كثيرة في علوم جمة ظهرت له فيها آراء فاسدة ومذاهب بعيدة عن الحقيقة .

أقول : هذا الذي قد قاله القاضي صاعد عن الكندي فيه تحامل كثير عليه وليس ذلك مما يحيط من علم الكندي ، ولا بما يصد الناس عن النظر في كتبه والانتفاع بها .

وقال ابن النديم البغدادي الكاتيب في كتاب « الفهرست » : كان من تلامذة الكندي ووراقه : حسنويه ، ونظطويه ، وسلمويه ، وآخر على هذا الوزن . ومن تلامذته : أخذ بن الطيب ، وأخذ عنه أبو مشر أيضاً .

قال ابو محمد ^(١) عبدالله بن قتيبة في كتاب . « فرائد الدر » : قال بعضهم أنشدت يعقوب بن

(١) ولد في الكوفة (٨٧٨ — ٨٨٩) وطاش وحمل في بغداد . قول للقضاء في دياره وله مولدات جليلة . (ن. د.) .

اسحق الكندي .

وفي أربع مني حلت منك أربع فما أنا أدرى أهاج لي كربي
أوجهك في عيني أم الطعم في فمي أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي
(الطويل)

فقال : والله لقد قسمها تقسيماً فلسفياً .

أقول : ومن كلام الكندي قال في وصيته : وليتق الله تعالى المتطلب ولا يخاطر ، فليس عن
الأنفس غرض . وقال : وكما يجب ان يقال له انه كان سبب عافية العليل وبرئه كذلك فليحذر ان
يقال انه كان سبب تلفه وموته ، وقال : العاقل يظن أن فوق علمه علماً ، فهو ابدأ يتواضع لتلك
الزيادة ؛ والجاهل يظن انه قد تناهى ، فتمتعت النفوس لذلك .

ومن كلامه عما أوصى به لولده أبي العباس نقلت ذلك من كتاب « المقدمات » لابن بختويه - قال
الكندي : « يا بني ، الأب رب ، والابن فخر ، والعم غم ، والحال وبال ، والولد كمد ، والأقارب
عقارب . وقول لا ، يصرف البلاء ؛ وقول نعم ، يزيل النعم ؛ وسماع الفناء ، يرسم حاد ، لا
الإنسان يسمع فيطرب ويفتنق فيسرف فيفتقر فيفتم فيعتل فيموت . والدينار محبوم ، فان صرفته مات
والدرهم محبوس فان اخرجته فر ؛ والناس سخرة ، فيخذ شئهم واحفظ شئك . ولا تقبل من قال
اليمين الفاجرة ، فانها تدع الديار بلائع .

أقول : وان كانت هذه من وصية الكندي فقد صدق ما حكاه عنه ابن النديم البغدادي في كتابه
قائه قال : ان الكندي كان بخيلاً .

ومن شعر يعقوب بن اسحق الكندي ، قال الشيخ ابو أحمد الحسن ^(١) بن عبدالله بن سعيد
المسكري اللغوي في كتاب « الحكم والأمثال » : أنشدني أحمد بن جعفر ، قال : أنشدني أحمد بن
الطيب السرخسي ، قال : أنشدني يعقوب بن اسحق الكندي لنفسه :

| | |
|--------------------------|-------------------------------------|
| ألف النابيس على الأرواس | ففض جفونك أو نكس ^(٢) |
| وزائل سوادك واقبض يدك | وفي قمر بيتك فاستجلس ^(٣) |
| وعند مليكك فابغ الماور | وبالوحدة اليوم فاستأنس |
| فان الغنى في قلوب الرجال | وان التميز بالانفس |
| وكأئن ترى من أخى عسرة | غني وفي قوة مفلس |

(١) لغوي مشهور تعلم على ابن دريد . عاش في بلدة عسكو مكرم (٩٠٦ - ٩٩٣) .

(٢) طاماً وأسه من اللذ .

(٣) قر واجلس (د . د) .

ومن هاهنا شخصه ميت على أنه بعد لم يرسم^(١)
فان تطعم النفس ما تشتهي . فتلك جميع الذي تحسني^(٢)

(المتعارف)

وليعقوب بن اسحق الكندي من الكتب : كتاب الفلسفة الاول فيا دون الطبيعيات والتوحيد .
كتاب الفلسفة الداخلة والمسائل المنطقية والمتناسة وما وافق الطبيعيات . رسالة في انه لا تنال
الفلسفة الا بعلم الرياضيات . كتاب الحث على تعلم الفلسفة . رسالة في كمية كتب ارسطوطاليس
وما يحتاج اليه في تحصيل علم الفلسفة بما لا غنى في ذلك عنه منها وترتيبها ، واغراضه فيها . كتاب
في قصد ارسطوطاليس في المقولات اياما قصد والموضوعة لها . رسالته الكبرى في مقاييسه العلمي .
كتاب أقسام العلم الانسي ، كتاب في ماهية العلم وأقسامه . كتاب في أن أعمال الباريء كلها عدل
لا جور فيها . كتاب في ماهية الشيء الذي لا نهاية له وبأي نوع يقال للذي لا نهاية له . رسالة في
في الايانة أنه لا يمكن أن يكون جرم العالم بلا نهاية ، وان ذلك انما هو في القوة . كتاب في الفاعلة
والمنفعة من الطبيعيات الاول . كتاب في عبارات الجوامع الفكرية . كتاب في مسائل سئل عنها في
منفعة الرياضيات . كتاب في بحث قول المدعي ان الاشياء الطبيعية تقفل فملاً واحداً بإيجاب الحلقة ،
رسالة في الرقى في الصناعات ، رسالة في رسم رقاع الى الخلفاء والوزراء . رسالة في قسمة القانون .
رسالة في ماهية العقل والايانة عنه . رسالة في الفاعل الحق الاول التام والفاعل الناقص الذي هو في
الجهاز . رسالة الى المأمون في العلة والمعلول . اختصار كتاب ايساغوجي لفرغوريوس . مسائل كثيرة
في المنطق وغيره وحدود الفلسفة . كتاب في المدخل المنطقي باستيفاء القول فيه . كتاب في المدخل
المنطقي باختصار وإيجاز . رسالة في المقولات المشر . رسالة في الايانة عن قول بطليموس في أول
كتابه في المجسطي عن قول ارسطوطاليس في افلاطون . رسالة في الاحتراس من خدع السوفسطائية .
رسالة بإيجاز واختصار في البرهان المنطقي . رسالة في الاسماء الخمسة اللاحقة لكل المقولات . رسالة
في سمع الكيان . رسالة في عمل آلة مخترجة الجوامع . رسالة في المدخل الى الارثاغطيقي ، خمس
مقالات ، رسالة الى احدث بن المنتصم في كيفية استعمال الحساب الهندي ، أربع مقالات . رسالة في
الايانة عن الاعداد التي ذكرها افلاطون في السياسة . رسالة في تأليف الاعداد . رسالة في التوحيد من
جهة العدد . رسالة في استخراج الحياء والضمير . رسالة في الزجر والفعال من جهة العدد . رسالة في
الخطوط والضرب بعدد الشعير . رسالة في الكمية المضافة . رسالة في السلب الزمانية . رسالة في الحيل
المدنية وعلم انصارها . رسالة في ان العالم وكل ما فيه كروي الشكل . رسالة في الايانة على أنه ليس
شيء من العناصر الأولى والجرم الأقصى غير كروي . رسالة في أن الكرة أعظم الاشكال الجهرية ،
والدائرة أعظم من جميع الاشكال البسيطة . رسالة في الكريات . رسالة في عمل السم على الكرة .
رسالة في أن سطح ماء البصر كروي . رسالة في تسطيح الكرة . رسالة في عمل الحلقى الست

(١) لم يعبر . (٢) تشرب .

واستعمالها . رسالته الكبرى في التأليف . رسالة في ترتيب النغم الدالة على طبائع الاشخاص العالية وتشابه التأليف . رسالة في المداخل الى صناعة الموسيقى . رسالة في الإيقاع . رسالة في خير صناعة الشعراء . رسالة في الاخبار عن صناعة الموسيقى . يختصر الموسيقى في تأليف النغم وصناعة المود ، ألفه لأحمد ابن المتصم . رسالة في أجزاء جبرية للموسيقى . رسالة في أدب رؤية الهلال لا تضبط بالحقيقة رأينا القول فيها بالتقريب . رسالة في مسائل مثل عنهما من أحوال الكواكب . رسالة في جواب مسائل طبيعية في كيفيات نجومية سأله أبو معشر عنها . رسالة في الفصلين . رسالة فيما يلبس اليه كل بلد من البلدان الى برج من البروج وكوكب من الكواكب . رسالة فيما سئل غنه من شرح ما عرض له من الاختلاف في صور المواليد . رسالة فيما حكى من أعمار الناس في الزمن القديم وخلافها في هذا الزمن . رسالة في تصحيح عمل نحو دارات المواليد والهيجال والكنهدهاء . رسالة في إيضاح عدة رجوع الكواكب . رسالة في الإبانة أن الاختلاف الذي في الاشخاص العالية ليس عدة الكيفيات الاول . رسالة في مرة ما يرى من حركة الكواكب اذا كانت في الافق وابطالها كلما علت . رسالة في الشماعات . رسالة في فصل ما بين السر وعمل الشماع . رسالة في علل الاوضاع النجومية . رسالته المنسوبة الى الاشخاص العالية المسماة ثمانية وخمسة . رسالة في علل القوى المنسوبة الى الاشخاص العالية الدالة على المطر . رسالة في علل احداث الجو . رسالة في العلة التي لها يكون بعض المواضع تكاد لا تطر . رسالة الى زرنب تلميذه في أسرار النجوم وتعلم مبادئ الاعمال . رسالة في العلة التي ترى من المالات الشمس والقمر والكواكب والاضواء النيرة أعني النيرين . رسالة في اعتذاره في موته دون كاله لسي الطبيعة التي هي مائة وعشرون سنة . كلام في الجرات . رسالة في النجوم . رسالة في أغراض كتب اقليدس . رسالة في اصلاح كتب اقليدس . رسالة في اختلاف المناظر . رسالة في عمل شكل المتوسطين . رسالة في تقريب وتر الدائرة . رسالة في تقريب وتر التسع . رسالة في مساحة ايوان . رسالة في تقسم المثلث والمربع وعملها . رسالة في كيفية عمل دائرة مساوية لسطح اسطوانة مفروضة . رسالة في شروق الكواكب وغروبها بالهندسة . رسالة في قسمة الدائرة لثلاثة اقسام . رسالة في اصلاح المقالة الرابعة عشرة والخامسة عشرة من كتاب اقليدس . رسالة في البراهين المسماة لما يعرض من الحسابات الفلكية . رسالة في تصحيح قول ارسطاس في المطالع . رسالة في اختلاف مناظر المرأة . رسالة في صنعة الاضطراب بالهندسة . رسالة في استخراج خط نصف النهار وسمت القبلة بالهندسة . رسالة في عمل الرخامة بالهندسة . رسالة في أن عمل الساعات على صفيحة تنصب على السطح الموازي للافق خير من غيرها .

رسالة في استخراج الساعات على نصف كرة بالهندسة . رسالة في السوائج . مسائل في مساحة الانهار وغيرها . رسالة في النسب الزمانية . كلام في العدد . كلام في المرايا التي تحرق . رسالة في امتناع وجود مساحة الفلك الأقصى المدير للأفلاك . رسالة في أن طبيعة الفلك مخالفة لطبائع العناصر الأربعة ، وأنه طبيعة خامسة . رسالة في ظاهريات الفلك . رسالة في العالم الأقصى . رسالة في سجد الجرم الأقصى لباريه . رسالة في الرد على المنانبة في الشر مسائل في موضوعات الفلك .

رسالة في الصور . رسالة في أنه لا يمكن ان يكون جرم العالم بلا نهاية . رسالة في المناظر الفلكية . رسالة في امتناع الجرم الاقصى من الاستحالة . رسالة في صناعة بطليموس الفلكية . رسالة في تنامي جرم العالم . رسالة في ماهية الفلك واللون اللازم للازوردي المحسوس من جهة السماء . رسالة في ماهية الجرم الحامل بطباعه للالوان من العناصر الاربعة . رسالة في البرهان على الجسم السائر وماهية الاضواء والاضلام . رسالة في المعطيات . رسالة في تركيب الافلاك . رسالة في الاجرام الهابطة من العلو ، وسبق بعضها بعضاً . رسالة في العمل بالآلة المساهة الجامعة . رسالة في كيفية رجوع الكواكب المتحررة . رسالة في الطب البقراطي . رسالة في الغذاء والدواء الملوك . رسالة في الابخرة المصلحة للجو من الاوباء . رسالة في الادوية المشفية من الروائح المؤذية . رسالة في كيفية اسهال الادوية والمجذبات الاخلاط . رسالة في علة نفث الدم . رسالة في تدبير الاصحاء .

رسالة في أشفية السموم ، رسالة في علة مجارين الامراض الحادة ، رسالة في تبين المضو الرئيس من جسم الانسان والابانة عن الالباب . رسالة في كيفية الدماغ ، رسالة في علة الجذام وأشفيته . رسالة في علة الكلب الكليلب . رسالة في الأعراض الجاذنة من البلغم وعلة موت الفجأة ، رسالة في وجع المدة والنقرس . رسالة الى رجل في علة شكاه اليه في بطنه ويده رسالة في أقسام الحيات ، رسالة في علاج الطحال الجاسي من الامراض السوداوية . رسالة في اجساد الحيوان اذا فست . رسالة في تدبير الاطعمة ، رسالة في صناعة اطعمة من غير عناصرها ، رسالة في الحياة . كتاب الادوية المختصة ، كتاب الاقرباوين . رسالة في الفرق بين الجنون العارض من مس الشياطين وبينما يكون من فساد الاخلاط . رسالة في الفراسة . رسالة في ايضاح العلة في السائم الغائة السائية وهو على الفال المطلق الوفاء ، رسالة في الحيلة لدفع الأحران . جوامع كتاب الادوية المفردة لجاليينوس . رسالة في الابانة عن منفعة الطب اذا كانت صناعة النجوم مقرونة بدلائلها . رسالة في الكثفة للأخرس رسالة في تقدمه المعرفة بالاستدلال بالأشخاص العالية على المسائل .

رسالة في مدخل الاحكام على المسائل . رسالته الأولى والثانية والثالثة الى صناعة الاحكام بتقاسم ، رسالة في الاخبار عن كية ملك العرب وهي رسالته في اقتران التحسين في برج السرطان ، رسالة في قدر منفعة صناعة الاحكام ومن الرجل المسمى منجماً باستحقاق رسالته المختصرة في حدود المواليد ، رسالة في تحويل سني المواليد . رسالة في الاستدلال بالكسوفات على الحوادث ، رسالة في الرد على الثنويه ، رسالة في نقض مسائل الملعدين . رسالة في تثبيت الرسل عليهم السلام ، رسالة في الاستطاعة وزمان كونها ، رسالة في الرد على من زعم ان للاجرام في هويتها في الجوتوقفات ، رسالة في بطلان قول من زعم ان بين الحركة الطبيعية والعرضية سكون ، رسالة في أن الجسم في اول ابداعه لا ساكن ولا متحرك ظن باطل . رسالة في التوحيد بتفسيرات ، رسالة في اوائل الجسم . رسالة في افتراق الملل في التوحيد ، وانهم يجمعون على التوحيد ، وكل قد خالف صاحبه . رسالة في التجسد ، رسالة في البرهان .

كلام له مع ابن الراوندي في التوحيد ، كلام رد به على بعض المتكلمين ، رسالة الى محمد بن الجهم في الايانة عن وسدالية الله عز وجل ، وعن تناهي جرم الكل . رسالة في الافكار والتضليل رسالة في ان النفس جوهر بسيط غير دائر مؤثر في الاجسام ، رسالة في ما للنفس ذكره وهي في علم العقل قبل كونها في عالم الحس . رسالة في خبر اجتماع الفلاسفة على الرموز المثقبة ، رسالة في علة النوم والرويا وما يرمز به النفس . رسالة في ان ما بالانسان اليه حاجة مباح له في العقل قبل ان يحظر . رسالته الكبرى في السياسة ، رسالة في التنبيه على الفضائل . رسالة في نوادر الفلاسفة ، رسالة في خبر فضيلة سقراط ، رسالة في محاورة جرت بين سقراط وارسولس . رسالة في خبر موت سقراط ، رسالة فيما جرى بين سقراط والحرايين رسالة عن علة الفاعلة القريبة للكون والفساد في الكائنات الفاسدات . رسالة في العلة التي لها قبل ان النار والهواء والماء والارض عناصر تجمع الكائنة الفاسدة ، وهي وغيرها يستحيل بعضها الى بعض . رسالة في اختلاف الأزمنة التي تظهر فيها قوى الكيفيات الاربع الاولى . رسالة في خبر العقل .

رسالة في النسب الزمانية . رسالة في علة اختلاف انواع السنة . رسالة في ماهية الزمان وماهية الدهر والحين والوقت . رسالة في العلة التي لها يبرد أعلى الجو ويسخن ما قرب من الارض . رسالة في الأمر الذي يظهر في الجو ويسمى كوكبا . رسالة في الكوكب الذي ظهر ورصده أياما حتى اضمحل . رسالة في الكوكب ذي الذؤابة . رسالة في العلة الحادثة بها البرد في آخر الشتاء في الابان المسمى أيام المعجوز . رسالة في علة كون الضباب والأسباب المحدث له . رسالة فيما رصد من الامر العظيم في سنة اثنتين وعشرين ومائتين للهجرة . رسالة في الآثار العلوية . رسالة الى ابنه أحمد في اختلاف مواضع المساكن من كرة الارض ، وهذه الرسالة شرح فيها كتاب المساكن لثاودوسيوس . رسالة في علة حدوث الرياح في باطن الارض المحدثه كثير الزلازل والحسوف . رسالة في علة اختلاف الازمات في السنة وانتقالها بأربعة فصول مختلفة . كلام في عمل السم . رسالة في ابعاد مسافات الاقاليم . رسالة في المساكن . رسالته الكبرى في الربع المنكون . رسالة في اخبار ابعاد الأجرام . رسالة في استخراج بعد مركز القمر من الارض . رسالة في استخراج آلة تحمليها يستخرج بها ابعاد الاجرام . رسالة في عمل آلة يعرف بها بعد المعائنات . رسالة في معرفة ابعاد قتل الجبال . رسالة الى أحمد بن محمد الحراساني فيما بعد لطيفة ، وابطاح تناهي جرم العالم . رسالة في مقدمة الأخبار . رسالة في مقدمة المعرفة بالأحداث . رسالة في مقدمة الخبر . رسالة في مقدمة المعرفة في الاستدلال بالأشخاص الساجية . رسالة في انواع الجوهر والاشياء . رسالة في نعت الحجارة والجواهر ومعادنها وجيدها وردنها وأثمانها . رسالة في توزيع الزجاج . رسالة فيما يصنع قيعطي لونا . رسالة في أنواع الحديد والسيوف وجيدها ومواضع انتسابها . رسالة الى أحمد بن المتصم بالله فيما يطرح على الحديد والسيوف حتى لا تنظم ولا تكمل . رسالة في الطائر الانسى . رسالة في غريخ الحمام . رسالة في الطرح على البيض . رسالة في أنواع النخل وكرائمه . رسالة في عمل القعقم الصياح . رسالة في العطر وأنواعه . رسالة في كيمياء العطر . رسالة في الاسماء المسماة . رسالة في التنبيه على خدع الكيميائيين . رسالة في الاثرين المحسوسين في الماء . رسالة في المد والجزر . رسالة في اركاب الخيل . رسالته الكبيرة في

الاجسام الغائصة في الماء . رسالة في الاجرام الهابطة .

رسالة في شمار المرات . رسالة في اللفظ وهي ثلاثة اجزاء أول وثاني وثالث . رسالة في الحشرات . مصور عطاردي . رسالة في جواب أربع عشرة مسألة طبيعيات سأله عنها بعض اخوانه . رسالة في جواب ثلاث مسائل سئل عنها . رسالة في قصة المتفلسف بالسكوت . رسالة في علة الرعد والبرق والثلج والبرد والصواعق والمطر . رسالة في بطالات دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة وخدمهم . رسالة في الابانة ان الاختلاف الذي في الاشخاص العالية ليس علة الكيفيات الاولى كما هي علة ذلك في التي تحت الكون والفساد ، ولكن علة ذلك حكمة مبدع الكل عز وجل . رسالة في قلع الآثار من الثياب وغيرها . رسالة إلى يوحنا بن ماسويه في النفس وأفعالها . رسالة في ذات الشمتين . رسالة في علم الحواس . رسالة في صفة البلاغة . رسالة في قدر المنفعة بأحكام النجوم . كلام في المبدع الاول . رسالة في صنعة الاحبار واليق . رسالة الى بعض اخوانه في رموز الفلاسفة في المجمعات . رسالة في عناصر الاخبار . كتاب في الجواهر الحسة . رسالة الى أحمد بن المصنم في تجويز اجابة الدعاء من الله عز وجل لمن دعا به . رسالة في الفلك والنجوم ، ولم قسمت دائرة فلك البروج على اثني عشر قسماً وفي تسميتهم السعود والنحوس ، وبيوتها واشراقها وحدودها بالبرهان الهندسي .

أحمد بن الطيب السرخسي

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مروان السرخسي ، من ينتمي الى الكندي ، وعليه قرأ ، ومنه أخذ . وكان متقناً في علوم كثيرة من علوم القدماء والعرب ، حسن المعرفة ، جيد القريحة ، بليغ اللسان ، ملبح التصنيف والتأليف ، أوحداً في علم النحو والشعر . وكلت حسن المشرة ، ملبح النادرة ، خليماً طريفاً . وسمع الحديث أيضاً وروى شيئاً منه .

ومن ذلك ، روى أحمد بن الطيب السرخسي قال : حدثنا عمرو بن محمد الناقل ، قال : أخبرنا سليمان بن عبيد الله ، عن يasmine بن الوليد ، عن معاوية بن يحيى ، عن هيران القصير ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا اكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فليعلم الدبار ^(١) » .

وروى أحمد بن الطيب ايضاً ، عن أحمد بن الحرث ، عن أبي الحسن علي بن محمد المدائني ، عن عبد الله بن المبارك ، عن عبد العزيز بن أبي سالم ، عن مكحول ، قال : قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة من سب نبياً أو صحابة نبي أو أمّة المسلمين » .

وقول أحمد بن الطيب في أيام المعتضد الحسبة ببغداد . وكان أولاً معلماً للمعتضد ، ثم تادمه وخص به ، وكان يفضي اليه بأسراره ويستشيره في أمور مملكته . وكان الغالب على أحمد بن الطيب علمه لا

(١) الهلاك .

عقله . وكان سبب قتل المعتضد إياه ، اختصاصه به ، فإنه أفضى إليه بسر يتعلق بالقاسم بن عبيد الله وبدر غلام المعتضد ، فأفشأه وأذاع بحجة من القاسم عليه مشهورة . فسله المعتضد إليها فاستصفا ماله ، ثم أودعاه المطامير ^(١) . فلما كان في الوقت الذي خرج فيه المعتضد لفتح أمد ^(٢) وقتال أحد ابن عسى بن شيخ ، أفلت من المطامير جماعة من الخوارج وغيرهم ، والتقطهم مؤنس النحل وكان إليه الشرطة وخلافة المعتضد على الحضرة ، وأقام أحد في موضعه ورجا بذلك السلامة ، فكان قعوده سبباً لميئته ، وأمر المعتضد القاسم بإثبات جماعة ممن ينبغي أن يقتلوا ليسارع من تعلق القلب بهم فاجتبتهم ، ووقع المعتضد بقتلهم ، فادخل القاسم اسم أحد في جملتهم ، فبأ بعد ، فقتل . وسأل عنه المعتضد ، فذكر له القاسم قتله ، وأخرج إليه الثبوت فلم ينكره . ومضى بعد أن بلغ السماء رفعة في سنة ^(٣) وكان قبض المعتضد على أحد بن الطيب في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وقتله في الشهر المحرم من سنة ست وثمانين ومائتين .

ولاحد بن الطيب السرخسي من الكتب : اختصار كساب إيساغوجي لفرفوروس ، اختصار كتاب إاطيغورياس ، اختصار كتاب باربرميناس ، اختصار كتاب الإوطيا الأولى ، اختصار كتاب الإوطيا الثانية ، كتاب النفس ، كتاب الأغشاش وصناعة الحسبة الكبير ، كساب غش الصناعات والحسبة الصغير ، كتاب نزهة النفوس ولم يخرج باسمه ، كتاب اللهو والملاهي ونزهة المفكر الساهي في الفناء والخدين ، والمنادمة ، والمجالسة وأنواع الأخبار والملح ، صنفه الخليفة ، وقال أحد بن الطيب في كتابه هذا أنه صنف هذا الكتاب وقد مر له من العمر إحدى وستون سنة ، كتاب السياسة الصغير كتاب المدخل إلى صناعة النجوم ، كتاب الموسيقى الكبير ، مقالتان ولم يعمل مثله ، كتاب الموسيقى الصغير ، كتاب المسالك والممالك ، كساب الأريثاطيقي في الأعداد والجبر والمقابلة ، كتاب المدخل إلى صناعة الطب ، نقص فيه على حنين بن إسحق ، كتاب المسائل ، كتاب فضائل بغداد وأخبارها ، كتاب الطبائع ، ألفه على الشهور والأيام للمعتضد ، كساب زاد المسافر وخدمة الملوك ، مقالة من كتاب أدب الملوك ، كتاب المدخل إلى علم الموسيقى ، كتاب المجلساء والمجالسة ، رسالة في جواب ثابت بن قره فيما سأل عنه ، مقالة في البهق والنمش والكلف ، رسالة في السالكين وطرائف اعتقادهم ، كتاب منفعة الجبال ، رسالة في وصف مذاهب الصابئين ، كتاب في أن المبدعات في حال الإبداع لا تمتددة ولا ساكنة . كتاب في ماهية النوم والرويا ، كتاب في العقل . كتاب في وحدانية الله تعالى . كتاب في وصايا فيثاغورس ، كتاب في الفاظ سقراط ، كتاب في المشق ، كتاب في برد أيام المعوز ، كتاب في كون الضباب . كتاب في الفأل ، كتاب في الشطرنج المالية ، كتاب أدب في النفس إلى المعتضد ، كتاب في الفرق بين نحو العرب والمنطق ، كتاب في أن أركان الفلسفة بعضها على بعض ،

(١) واحدها مطمورة يعني الحفرة تحت الأرض تحبباً فيها الجيوب وغمرها .

(٢) أو ديار بكر ، مدينة على شاطئ دجلة الأيسر فتحها عياض بن غنم الشهري ومتوجاتها الحرير والعطن والجبل .

(٣) (د . ن)

(٤) الفياض في كل التسخ .

وهو كتاب الاستيفاء . كتاب في احداث الجو ، كتاب الرد على جالينوس في المجل الاول . رسالة الى ابن ثوبان ، رسالة في الحضائمت المدودة للشعر وغير ذلك . كتاب في ان الجزء ينقسم الى ما لا نهاية له . كتاب في اخلاق النفس ، كتاب سيرة الانسان ، كتاب الى بعض اخوانه في القوانين العامة الأولى في الصناعة الديالقطبية أي الجدلية على مذهب ارسطوطاليس ، اختصار كتاب سوفسطيا لارسطوطاليس ، كتاب القيان .

أبو الحسن ثابت بن قرة الحراني

كان من الصابئة المتبعين بجران^(١) ، ويقال الصابئون نسبهم الى صاب - وهو طاط ابن النبي ادريس^(٢) عليه السلام - وثابت هذا هو ثابت بن قرة بن مروان بن ثابت بن كرايا بن ابراهيم بن كرايا بن مارينوس بن سالايونوس . وكان ثابت بن قرة صيرفياً بجران ، ثم استصحبه محمد بن موسى لما انصرف من بلد الروم لانه رآه فصيحاً . وقيل انه قرأ على محمد بن موسى فتعلم في داره ، فوجب حقه عليه . فوصله بالمعتضد وأدخله في جملة المتبحرين . وهو أصل ما تمجد للصابئة من الرئاسة في مدينة السلام ، وبحضرة الخلفاء . ولم يكن في زمن ثابت بن قرة من يماثله في صناعة الطب ولا في غيره من جميع أجزاء الفلسفة . وله تصانيف مشهورة بالجلودة . وكذلك جاء جماعة كثيرة من ذريته ومن أهله يشارونهم فيما كان عليه من حسن التخرج والتمهر في العلوم .

ولثابت ارساد حسان للشمس قولها ببقداد وجمها في كتاب بين فيه مذهبه في سنة الشمس ، وما أدركه بالرصد في موضع أوجها ، ومقدار سلبها ، وكيفية حركتها ، وصورة تمثيلها . وكان جيد النقل إلى العربي حسن العبارة ، وكان قوي المعرفة باللغة السريانية وغيرها .

وقال ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة : ان الموفق لما غضب على ابنه أبي العباس المعتضد بالله حبسه في دار اسماعيل بن بلبل . وكان أحمد الحاجب موكلاً به . وتقدم اسماعيل بن بلبل الى ثابت ابن قرة بأن يدخل الى أبي العباس ويؤنسه . وكان عبد الله بن أسلم ملازماً لأبي العباس ، فأنس أبو العباس بثابت بن قرة أنساً كثيراً . وكان ثابت يدخل الى الحبس في كل يوم ثلاث مرات بمجادته ويسليه ، ويعرفه أحوال الفلاسفة ، وأمر الهندسة والنجوم ، وغير ذلك . فشغف به ولطف منه عمله . فلما خرج من حبسه قال لبدر غلامه : يا بدر ، أي رجل أفندك بمدك ؟ فقال : من هو يا سيدي ؟ فقال : ثابت بن قرة . ولما تقلد الخلافة اقطعه ضياعاً جليلاً وكان يحمله بين يديه كثيراً بحضرة الخاص والعام ، ويكون بدر غلام الامير قائماً والوزير ، وهو جالس بين يدي الخليفة .

(١) مدينة قديمة ما بين القهرين قاعدة بلاد مصر اشتهرت بالفلاسفة والشفاء اعظمهم ثابت هذا واولاده ، والثباتي .
(٢) قيل ان ادريس والياس والحضر هي ثلاثة اسماء لمسي واحد . ذكر مرتين في القرآن ، ولقب بالبار والنجي ، وذكر بين الصابرين وقالت العرب : انه كان تقياً ملهاً بالعلوم والفنون ، وانه عاش ٣٦٥ عاماً ثم رفعه الله اليه (ن.د).

قال أبو اسحق الصابي، الكاتب : ان ثابتاً كان يمشي مع المعتضد في الفردوس - وهو بستان في دار الخليفة للراحة - وكان المعتضد قد اتكأ على يد ثابت وهما يتشايان ، ثم نثر المعتضد يده من يد ثابت بشدة ، ففزع ثابت . فان المعتضد كان مهيباً جداً ، فلما نثر يده من يد ثابت قال له : يا أبا الحسن ، - وكان في الحلاوت بكتبه وفي الملاء بسمه - سهوت ووضعت يدي على يدك واستندت عليها ، وليس هكذا يجب أن يكون ، فان الملاء يملأون ولا يملأون .

ونقلت من كتاب الكتابات للقاضي أبي العباس أحمد بن محمد الجرجاني قال : حدثني أبو الحسن هلال بن الحسن بن ابراهيم ، قال : حدثني جدي أبو اسحق الصابي ، قال : حدثني عمي أبو الحسين ثابت بن ابراهيم ، قال : حدثني أبو محمد الحسن بن موسى التويني قال : سألت أبا الحسن ثابت بن قرة عن مسألة بمضرة قوم فكره الاجابة عنها بشهدهم ، وكنت حديث السن ، فدافني عن الجواب . فقلت متمثلاً :

ألا ما ليل لا ترى عند مضجعي بليل ولا يحري حالي طائر
بلى ان عجم الطير تجري اذا جرت بليلي ولكن ليس لطير زاجر
(الطويل)

فلما كنت من غد لقيني في الطريق وسرت معه ، فاجابني عن المسألة جواباً شافياً ، وقال : زجرت الطير يا أبا محمد ؟ فاجبني ، فاعتذرت اليه ، وقلت : والله يا سيدي ما أردتك هاليتين .

ومن بديع حسن تصرف ثابت بن قرة في المعالجة ما حكاه أبو الحسن ثابت بن سنان ، قال : حكى احد اجدادي ، عن جدنا ثابت بن قرة ، انه اجتاز يوماً ماضياً الى دار الخليفة فسمع صياحاً وعويلاً ، فقال : مات القصاب الذي كان في هذا الدكان ؟ فقالوا له : اي والله يا سيدنا البارحة فجأة . وعجبوا من ذلك . فقال : ما مات خذوا بنا اليه . فعدل الناس معه الى الدار فتقدم الى النساء بالامساك عن اللطم والصياح ، وأمرهن بأن يملن مزورة . وأومأ الى بعض غلمانها بأن يضرب القصاب على كعبه بالعصا . وجعل يده في جسده ، وما زال ذلك يضرب كعبه الى ان قال : حسبك . واستدعى قدساً وأخرج من شنتكة في كفه دواء فدافه ^(١) في القدح بقليل ماء ، وفتح فم القصاب وسقاه اياه ، فأماغفه . ووقعت الصبغة والزعة في الدار والشارع بأن الطبيب قد أحيا الميت . فتقدم ثابت بفتح الباب والاستياق منه . وفتح القصاب عينه وأطعمه مزورة وأجلسه . وقعد عنده ساعة ، واذا بالصحاب الخليفة قد جاءوا يدعونه ، فخرج معهم والدنيا قد انقلبت ، والعامه حوله يتعادون ، الى أن دخل دار الخلافة .

ولما مثل بين يدي الخليفة قال له يا ثابت ما هذه المسيحية التي بلفتنا عنك ؟ قال : يا مولاي كنت اجتاز على هذا القصاب وألحظه يشرح الكبد ، ويطرح عليها الملح ويأكلها . فكنت أستقدر فعله أولاً ، ثم اعلم ان سكتة سئل عنه . فصرت أراهيه ، واذا علمت عاقبته انصرفت وركبت للسكتة

(١) اذابه في الماء وضربه فيه ليضار .

دواء استصحبته معي في كل يوم . فلما اجتازت اليوم وسمعت الصباح قلت : مات القصاب ؟ قالوا : نعم ، مات فبأية البارحة . فعلت أن السكنة قد لحقته ، فدخلت اليه ولم أجد له نبضاً . فضررت كعبه الى أن عادت حركة نبضه ، وسقيته الدواء ففتح عينيه ، وأعلمته مزورة . والية يأكل رغيفاً بدرج ، وفي غد يخرج من بيته .

أقول : وكان مولد ثابت بن قرة في سنة إحدى عشرة ومائتين بجران في يوم الخميس الحادي والعشرين من صفر . وتوفي سنة ثمان وثمانين ومائتين ، وله من العمر سبع وسبعون سنة . وقال ثابت ابن سنان بن ثابت بن قرة : كانت بين أبي أحمد يحيى بن علي بن يحيى بن المنجم التميمي ، وبين جدي أبي الحسن ثابت بن قرة ، رحمة الله ، مودة أكيدة . ولما مات جدي في سنة ثمان وثمانين ومائتين رثاه أبو أحمد بأبيات هي هذه :

| | |
|------------------------------|------------------------------------------|
| ألا كل شيء ما خلا الله ماله | ومن يغترب يرجى ومن حات فائت |
| أرى من مضى عنا وخم عندنا | كسفر نورا أرضاً فصار وراثت |
| نعينا العلوم الفلسفيات كلها | خبا نورها إذ قيل قد مات ثابت |
| وأصبح أهلها حيارى لفقده | وزال به ركن من العلم ثابت |
| وكالوا إذا ضلوا هدام لتبجحها | خير بفصل الحكم للعق ثاكت ^(١) |
| ولما آله الموت لم يثن طبه | ولا تاطق ما حواه وصامت |
| ولا أمتعت بالقنى بفتنة الردى | ألا رب رزق قابيل وهو فائت |
| فلو أنه استطاع للموت مدفع | لدافعه عنه حماة مصالت ^(٢) |
| ثقاة من الاخوات يصنفون وده | وليس لما يقضي به الله لاف ^(٣) |
| أبا حسن لا تبعتن وكلنا | لهلكك مفجوع له الحزن كابت ^(٤) |
| أأمل أن تجلى عن الحق شبهة | وشخصك مقبور وصوتك خافت |
| وقد كان يسرو حسن تبينك العمى | وكل قول حين تنطق ساكت |
| كانك مسؤولاً من البحر خارف | ومستبداً نطقاً من الصخر فاحت |
| فلم يتفقدني من العلم واحد | ^(٥) هراق إله العلم بمدك كابت |
| وكم من محب قد أفلتت وإنه | لتفرك من رام شاك حافت |
| عجبت لارض غيبتك ولم يكن | لثبت فيها مثلك النهر ثابت |
| تهللت حتى لم يكن لك مبغض | ولا لك لما اغتالك الموت شامت |

(١) اصل معنى ثكت: ضرب الارض بضبيب او اصبع حال التفكير فار فيها. وكأنه هنا ينكت عن الحق ليكشف عنه.

(٢) شيمان ماضون في الحوائج .

(٣) صارف .

(٤) الله وكسره (د).

(٥) اراقه .

وبرزت حتى لم يكن لك دافع
عن الفضل الا كاذب القول باهت
مضى علكم العليم الذي كان مقنماً
فلم يبق الا غطىء متهافت^(١)

(الطويل)

وكان من تلامذة ثابت بن قرة : عيسى بن أسيد النصراني ، وكان ثابت يقدمه ويفضله وقد نقل عيسى بن أسيد من السرياني الى العربي بحضرة ثابت ويوجد له كتاب جوابات ثابت لمسائل عيسى ابن أسيد .

ومن كلام ثابت بن قرة قال: ليس على الشيخ أضر من أن يكون له طباح حاذق وجارية حسناء .
لانه يستكثر من الطعام فيسقم ، ومن الجوع فيهرم .

وقال : راحة الجسم في قلة الطعام ، وراحة النفس في قلة الآثام ، وراحة القلب في قلة الاهتمام ، وراحة اللسان في قلة الكلام .

ولأبي الحسن ثابت بن قرة الحراني من الكتب : كتاب في سبب كور الجبال . مسائل الطبية . كتاب في النبض . كتاب وجع المفاصل والقرص . جوامع كتاب بارييلياس . جوامع كتاب اناطوليقا الاولى . اختصار النطق . نادر عفوطة من طويقا . كتاب في السبب الذي من أجله جعلت مياه البحر مالحة . اختصار كتاب ما بعد الطبيعة . مسائل المشوقة الى العلوم . كتاب في أغاليط السوفسطائيين . كتاب في مراتب العلوم . كتاب في الرد على من قال ان النفس مزاج . جوامع كتاب الادوية المفردة لجالينوس . جوامع كتاب المرة السوداء لجالينوس . جوامع كتاب سوء المزاج المختلف لجالينوس . جوامع كتاب الامراض الحادة لجالينوس . جوامع كتاب الكثرة لجالينوس . جوامع كتاب تشريح الرحم لجالينوس . جوامع كتاب جالينوس في المولودين لسبعة أشهر . جوامع ما قاله جالينوس في كتابه في تشريف صناعة الطب . كتاب أصناف الامراض . كتاب تسهيل المجسطي . كتاب المدخل الى المجسطي كتاب كبير في تسهيل المجسطي لم يتم وهو أجود كتبه في ذلك . كتاب في الوقفات التي في السكون الذي بين حركتي للشریان المتضادين ، مقالاتان ، صنف هذا الكتاب سريانياً لانه أوما فيه الى الرد على الكندي، ونقله الى العربي تلميذ له يعرف بعيسى بن أسيد النصراني، وأصلح ثابت العربي . وذكر قوم أن الناقل لهذا الكتاب حيش بن الحسن الأعمى ، وذلك غلط . وقد رد أبو احمد الحسين بن اسحق بن ابراهيم المعروف بابن كرنيب على ثابت في هذا الكتاب بعد وفاة ثابت بما لا فائدة فيه ولا طائل . وهذا الكتاب أنفذه لما صنفه الى اسحق بن حنين فاستحسنه استحساناً عظيماً ، وكتب في آخره بخطه يقرط أباً الحسن ثابتاً ويدعو له ويصفه . جوامع كتاب الفصد لجالينوس . جوامع تفسير جالينوس لكتاب أبقراط في الاهوية والمياه والبلدان . كتاب في العمل بالكثرة . كتاب في الحمى المتولد في الكلى والمثانة . كتاب في السباح الذي يظهر في البدن . كتاب في مساملة الطبيب للمريض . كتاب في سوء المزاج المختلف . كتاب في تدبير الامراض الحادة .

(١) ملاحظات ومتابع .

رسالة في الجندري والحصبة . اختصار كتاب النبض الصغير لجالينوس . كتاب في قطع الاسطوانة
كتاب في الموسيقى . رسالة الى علي بن يحيى النجم فيما أمر بأثباته من ابواب علم الموسيقى . رسالة الى
بعض اخوانه في جواب ما سأل عنه من أمور الموسيقى كتاب في أعمال ومساائل اذا وقع خط مستقيم
على خطين ومقالة أخرى له في ذلك . كتاب في المثلث القائم الزوايا . كتاب في الاعداد المتحابية . كتاب في الشكل
القطاع . كتاب في حالة الفلك . كتابه المعروف بالخيرة ألفه لولده سنان بن ثابت . جوابه لرسالة أحمد بن
الطيب اليه . كتاب في التصرف في اشكال القياس . كتاب في تركيب الافلاك وخلقتها وعددها وعدد
حركات الجهات لها ، والكواكب فيها ، ومباغ سيرها ، والجهات التي تتحرك اليها . كتاب في
جوامع المسكونة . كتاب الفرستيون . رسالة في مذهب الصابئين وديانهم . كتاب في قسمة الارض
كتاب في الهيئة . كتاب في الاخلاق . كتاب في مقدمات اقليدس . كتاب في اشكال اقليدس .
كتاب في اشكال الجسطي . كتاب في استخراج المسائل الهندسية . كتاب رؤية الالهة بالجنوب .
كتاب رؤية الالهة من الجداول . رسالة في سنة الشمس . رسالة في الحجة المنسوبة الى سقراط
كتاب في ابطاء الحركة في فلك البروج وسرعتها وتوسطها بحسب الموضع الذي يكون فيه من الفلك
الخارج المركز . جواب ما سأل عنه عن البقراطيين كم مبلغ عددهم . مقالة في عمل شكل مجسم ذي
اربع عشرة قاعدة تحيط به كرة معلومة . مقالة في الصفرة العارضة للبدن وعدد اصنافها واسبابها
وعلاجها . مقالة في وجع الفصائل . مقالة في صفة كون الجنين . كتاب في علم ما في التكوين بالمتن
كتاب في الاطلال . كتاب في وصف القرص . كتاب في تدبير الصحة . كتاب في حجة حساب
النجوم . كتاب تفسير الاربعة . رسالة في اختيار وقت لسقوط النطفة . جوامع كتاب النبض
الكبير لجالينوس . كتاب الخاصة في تشريف صناعة الطب وترتيب اهلها وتتميز المنفوسين منهم
بالنفوس والاخبار ان صناعة الطب أجل الصناعات ، كتب به الى الوزير ابي القاسم عبيد الله بن
سليمان . رسالة في كيف ينبغي ان يسلك الى نيل المطلوب من المعاني الهندسية ، فيها ذكر آثار
ظهرت في الجو ، واحوال كانت في الهواء بما رصد بنو موسى وابو الحسن ثابت بن قرة . اختصار
كتاب جالينوس في قوى الاغذية ، ثلاث مقالات . مسائل عيسى بن أسيد لثابت بن قرة واجوبتها
الثابت . كتاب البصر والبصيرة في علم العين وعلاها ومداراتها . المدخل الى كتاب اقليدس وهو في
غاية الجودة . كتاب المدخل الى المنطق . اختصار كتاب حيلة البرد لجالينوس . شرح الساع الطبيعى ،
(مات وما تمه) . كتاب في المربع وقطره . كتاب فيما يظهر في القمر من آثار الكسوف وعلاماته .
كتاب في علل كسوف الشمس والقمر ، عمل اكثره ومات وما تمه . كتاب الى ابنه سنان في الحث
على تعلم الطب والحكمة . جوابان عن كتابي محمد بن موسى بن شاكر اليه في امر الزمان . كتاب في
مساحة الاشكال المسطحة وسائر البسط والاشكال . كتاب في ان سبيل الانفال التي تلتقي على عمود
واحد منفصلة هي سبيلها اذا جعلت ثقل واحد مشبوتاً في جميع العمود على تساوي . كتاب في طبائع
الكواكب وتأثيراتها مختصر في الاصول من علم الاخلاق . كتاب في آلات الساعات التي تسمى
رخامات . كتاب في ايضاح الوجه الذي ذكر بطليموس ان به استخراج من تقدمه مسيرات القمر

الدورية وهي المستوية . كتاب في صفة استواء الوزن واختلافه وشرائط ذلك ، جوامع كتاب
 نيقوماخس في الارتماتيقي ، مقالات . اشكال له في الجبل . جوامع الخلة الاولى من الاربع
 بطليموس . جوابه عن مسائل سألها عنها أبو سهل النونجي . كتاب في قطع القروط المكافي . كتاب
 في مساحة الاجسام المكافية . كتاب في مراقب قراءة العلوم . اختصار كتاب أيام البحران لجالينوس
 ثلاث مقالات . اختصار كتاب الاسطقات لجالينوس . كتاب في اشكال الخطوط التي يمر عليها
 ظل المقياس . مقالة في الهندسة الفها لاسمئيل بن بلبل . جوامع كتاب جالينوس في الادوية المتقية .
 جوامع كتاب الاعضاء الآلة لجالينوس . كتاب في العروض . كتاب في اغفله ثاؤون في حساب كسوف
 الشمس والقمر . مقالة في حساب خسوف الشمس والقمر . كتاب في الاتواء . ما وجد من كتابه في
 النفس . مقالة في النظر في امر النفس . كتاب في الطريق الى اكتساب الفضيلة . كتاب في النسبة
 المؤلف . رسالة في العدد الوقفي . رسالة في تولد النار بين حجرين . كتاب في العمل بالمتنن ورجته .
 ما استدركه على حبيش في المتنن . كتاب في مساحة قطع الخطوط . كتاب في آلة الزمر .
 كتب عدة له في الارصاد عربي وسرياني . كتاب في تشريح بعض الطيور واطننه مالمك الحزين .
 كتاب في اجناس ما تقسم اليه الادوية ، صنفه بالسرياني . كتاب في اجناس ما توزن به الادوية ،
 بالسرياني . كتاب في جهاد السرياني واعرابه . مقالة في تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسية .
 اصلاحه للغة الاولى من كتاب ابيونيس في قطع النسب المحدودة ، وهذا الكتاب مقالات اصلح
 ثابت الاولى اصلاً جيداً وشرحها وأوضحها وفسرها والثانية لم يصلحها وهي غير مفهومة . مختصر
 في علم النجوم ، مختصر في علم الهندسة . جوابات عن مسائل سألها عنها المعتضد . كلام في السياسة .
 جواب له عن سبب الخلاف بين زيج بطلموس وبين المتنن . جوابات له عن عدة مسائل سأل عنها
 سند بن علي . رسالة في حل رموز كتاب السياسة لافلاطن . اختصار القاطيفورياس .

وما وجد ثابت بن قرة الحراني الصابي بالسريانية فيما يتعلق بمذهبه : رسالة في الرسوم والفروض
 والسنن . رسالة في تكفين الموتى ودفنهم . رسالة في اعتقاد الصابئين . رسالة في الطهارة والنجاسة .
 رسالة في السبب الذي لاجله الفز الناس في كلامهم . رسالة فيما يصلح من الحيوان للضحايا وما لا يصلح .
 رسالة في أوقات المبادات . رسالة في ترتيب القراءة في الصلاة . صلوات الايتها الى الله عز وجل .

أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة

كان يلحق بابيه في معرفته بالعلوم واشتغاله بها وتمهره في صناعة الطب . وله قوة بالغة في علم
 الهيئة . وكان في خدمة المعتضد بالله ، والقاهر^(١) ، وخدم أيضاً بصناعة الطب الرازي بالله . وقال
 ابن النديم البغدادي الكاتب في « كتاب الفهرست » : ان القاهر بالله أراد سنان بن ثابت بن قرة على

(١) الخليفة العباسي التاسع عشر . أسر وهو بمحالة السكر وحملت عيناه وسجن ثم عاش متسولاً ووفي سنة ٩٥٠ (ن.د)

الاسلام ، فهرب ثم أسلم ، وخاف من القاهر فضى الى خراسان وعاد وتوفي ببغداد مسلماً . وكانت وفاته بمة الذرب في الليلة التي صيحتها يوم الجمعة ، مستهل ذي القعدة سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة . وقال ثابت بن سنان في تاريخه : « أذكر ، وقد وقع الوزير علي بن عيسى بن الجراح الى والدي سنان بن ثابت في أيام تقلده الدواوين من قبل المقتدر بالله وتدبير الملكة في أيام وزارة حامد بن العباس في سنة كثرت فيها الامراض جداً وكان والذي اذ ذاك يتقلد البيمارتات ببغداد وغيرها ، توقيماً يقول فيه : « فكرت ، مد الله في عرك ، في أمر من في الحبوس وانه لا يخلو ، مع كثرة عددهم وجفاء أمانتهم ، أن تنالهم الامراض وهم موقوفون عن التصرف في منافعهم ولقاء من يشاورونه من الأطباء فيما يعرض لهم . فيليني ان ترد لهم أطباء يبخلون اليهم في كل يوم ، وتحمّل البهم الادوية والأشربة . ويطوفون في سائر الحبوس ، ويمالجون فيها المرضى ، ويحسون عليهم فيما يحتاجون اليه من الأدوية والأشربة . ويتقدم بأن تقام لهم المزورات لمن يحتاج إليها منهم » . فعمل والذي ذلك طول أيامه .

ورود توقيح آخر اليه فيه : « فكرت في من في السواد من أهل ، فانه لا يخلو أن يكون فيه مرضى لا يشرف عليهم منطبب نحو السواد من الأطباء . فتقدم ، مد الله في عرك ، بانقاذ منطببين وخزانة للأدوية والأشربة يطوفون في السواد ويقسمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة اليه . ويمالجون من فيه من المرضى ثم يلتقون الى غيره . » فعمل والذي ذلك الى ان انتهى أصحابه الى سورا^(١) ، والغالب على أهلها اليهود . فكتب الى أبي الحسن علي بن عيسى يعرفه ورود كتابة من أصحابه من السواد يذكر فيه كثرة المرضى وان أكثر من حول نهر الملك جود ، وانهم استأنفوا في المقام عليهم وعلاجهم ، وانه لم يعلم ما يجيبهم به لانه لا يعرف رأيه فيهم . وأعلمه ان رسم البيارستان أن يعالج فيه الملى والذمي . وبأله أن يرسم له في ذلك ما يعمل عليه . فوقع له توقيماً نسخته : « فهمت ما كتبت به ، أكرمك الله ، وليس بيننا خلاف في ان معالجة أهل الذمة والبهائم صواب . ولكن الذي يجب تقديره والعمل به معالجة الناس قبل البهائم ، والمسلمين قبل أهل الذمة .

« فاذا اخضل عن المسلمين ما لا يحتاجون اليه ، صرف في الطبقة التي يعدم . فاعمل ، أكرمك الله ، على ذلك واكتب الى اصحابك به . ووصهم بالتقل في القرى والمواضع التي فيها الأوباء الكثيرة والامراض الفاشية . وأب لم يمدوا بذرة^(٢) توقفوا عن السير حتى تملح لهم الطريق ، ويصح السبيل ، فانهم اذا فعلوا هذا غنوا عن السور ان شاء الله تعالى . »

قال ثابت بن سنان : وكانت النفقة عن البيارستان ، الذي لبس المتضدي ، فأخرج من ارتفاع وقف سباح أم المتوكل على الله . وكان الوقف في يد ابي الصقر وهب بن محمد الكلوفاني . وكلت قسط من ارتفاع هذا الوقف يصرف الى بني هاشم ، وقسط منه الى نفقة البيارستان . وكانت ابو

(١) مرضع من أعمال العراق .

(٢) تبييناً للخال وصرفاً .

الصقر يروح على بني هائم مالمهم ، ويؤخر ما يصرف الى نفقة البيارستان ويضيقه . فكتب والدي الى ابي الحسن علي بن عيسى يشكو اليه هذه الحال ويعرفه ما يلحق المرضى من الضرر بذلك ، وقصور ما يقام لهم من الفهم واللون والدثار وغير ذلك عن مقدار حاجتهم . فوقع على ظهر رقبته الى أبي الصقر توقيعاً نسخته : « انت ، أكرمك الله ، تقف على ما ذكره وهو غلط جداً والكلام فيه مملك خاصة فيما يقع منك يلزمك ، وما أحسبك تسلم من الائم فيه . وقد حكيت عني في الهاشمين قولاً لست أذكره . وكيف تصرفت الاحوال في زيادة المال او نقصانه ووفوره او قصوره ، لا بد من تعديل الحال فيه ، بين ان تأخذ منه وتعمل للبيارستان قسطاً ، بل هو أحق بالتقديم على غيره لضعف من يلجأ اليه ، وعظم النفع به . فمرقي ، أكرمك الله ، ما التكتة في قصور المال ونقصانه في تخلف نفقة البيارستان هذه الشهور المتتابعة ، وفي هذا الوقت خاصة مع الشتاء واشتداد البرد . فاحتل بكل حيلة ما يطلق لهم ويعمل حتى يدفأ من في البيارستان من المرضى والمرورين بالدثار والكسوة والفهم . ويقام لهم الثقوت ، ويتصل لهم العلاج والخدمة . وأجني بما يكون منك في ذلك . وأنفذ لي عرو يدلني على سبيلك . واعن بأمر البيارستان فضل عناية ، ان شاء الله تعالى . »

قال ثابت بن سنان : انه لما كان في اول يوم من المحرم سنة ست وثلاثمائة ، فتح والدي سنان بن ثابت بيارستان السبلة الذي اتخذها لها بسوق يحيى . وجلس فيه ، وربب المتطبيين ، وقبل المرضى . وهو كان بناء على حيلة ، وكانت النفقة عليه في كل شهر سائة دينار . قال : وفي هذه السنة أيضاً أشار والدي على المقتدر بالله بأن يتخذ بيارستاناً ينسب اليه . فامره بالتحاضد ، فاتخذ له في باب الشام ومعه البيارستان المختدرى . وأتفق عليه من ماله في كل شهر مائتي دينار . قال ثابت بن سنان : ولما كان في سنة تسع عشرة وثلاثمائة اتصل بالمقتدر ان غلطاً جرى على رجل من العامة من بعض المتطبيين فمات الرجل . فامر ابراهيم بن محمد بن بطحا بمنع سائر المتطبيين من التصرف إلا من امتنعه والدي سنان بن ثابت . وكتب له رقعة بخطه بما يطلق له من الصناعة . فصاروا الى والدي وامتنعهم وأطلق لكل واحد منهم ما يصلح أن يتصرف فيه . وبلغ عددهم في جانبي بغداد ثمانمائة رجل وبنفاً وستين رجلاً ، سوى من استغنى عن معنته بأشهاره بالتقدم في صناعته ، وسوى من كان في خدمة السلطان .

وقال أيضاً ثابت بن سنان : لما مات الرازي بالله استدعى الامير أبو الحسين بَحْكَم والدي سنان ابن ثابت وسأله أن يتعهد اليه الى واس . ولم يكن يطمع في ذلك منه في أيام الرازي بالله للآزمته بخدمته . فاتخذ اليه والدي ، فآكرمه ووصاه ، وقال له : « أريد أن اعتمد عليك في تدبير بدني وتقدمه ، والنظر في مصالحه . وفي أمر آخر هو أهم الي من أمر بدني ، وهو أمر اخلاقي ، لتثني بملكك وفضلك ودينك وعبتك . فقد غني غلبة الغضب والخط علي ، وافرأطها بي حتى أخرج الى ما اندم عليه عند سكوتها من ضرب وقتل . وأنا أسألك أن تتقدم ما أمحه . واذا وقفت لي على عيب لم تحتمس أنت تصدفي عنه ، وتذكره لي ، وتنبهي عليه ، ثم ترشدني الى علاجه ليؤزل عني . » فقال له والدي : « والسمع والظاعة لما أمر به الأمير . أنا أفضل ذلك ، ولكن يستمع الأمير مني بالمجال جملة علاج ما أنكره من نفسه ، الى أن يتجيبه التفصيل في أوقاته . أعلم أيها الأمير انك قد أصبحت وليس فوق

يدك يد لأحد من المخطوقين . وانك مالك لكل ما تريد ، قادر على أن تقم بأي وقت أردته .
لأنهياً لأحد من المخطوقين منكم منه ، ولا لأن يحول بينك وبين ما تهواه أي وقت أردته . وأنتك متى
أردت شيئاً بلغت أي وقت شئت ، لا يفوتك أمر تريد .

«واعلم ان الغضب والغيظ والحرد تحدث في الانسان سكرأ أشد من سكر النبيذ بكثير . فكما
أن الانسان يعمل في وقت السكر من النبيذ ما لا يقبل به ، ولا يذكره اذا صبحا ، ويندم عليه
اذا حدث به ويستحي منه ؛ كذلك يحدث له وقت السكر من الحرد والغيظ ، بل أشد . فلما يندى
بك الغضب ونحس بأنه قد ابتدأ يسكره ، قبل أن يشتد ويقوى ويتقادم ويخرج الامر عن يدك ،
فضع في نفسك أن تؤخر العقوبة عليه الى غد ، وانقأ بأن ما تريد أن تعله في الوقت لا يفوتك عمله
في غد . وقد قيل « من لم يخف فواتاً حلم » ، فانك اذا فعلت ذلك وبت ليلتك وسكنت فورة
غضبك ، فانه لا بد لفورة الغضب من أن تبوح وتسكر ، وان تصحو من السكر الذي أحدثه لك
الغضب . وقد قيل « ان أصبح ما يكون الانسان رأياً اذا استدير ليه واستقبل ناره . » فاذا
صحو من سكره فتأمل الأمر الذي أغضبك ، وقدم أمر الله عز وجل أولاً والخوف منه وترك
التعرض لسخطه ، ولا تشغ غيظك بما يؤثرك . فقد قيل « ما شغ غيظه من أثم يره . » واذكر
قدرة الله عليك ، وانك محتاج الى رحمة ، والى أخذه بيدك في أوقات شادئك . وهو وقت لا غلك
لنفسك فيه شرأ ولا نفعاً ولا يقدر لك عليه أحد من المخطوقين ، ولا يكشف ما قد اظلك غيره عز
وجل . واعلم ان البشر يفلطون ويخطون . وانك مثلهم تفلط وتخطى . وان كان لا يحسر أحد
على ان لا يراهك حتى ذلك . فكما تحب ان يغفر الله لك ، كذلك غيرك يؤمل عطفك وعفوك .
وفكر بأي لية بات المذنب قلقاً لخوفه منك ، وما يتوقعه من عقوبتك ويخافه من سطوتك . واعرف
مقدار ما يصل اليه من السرور وزوال الرعب عنه بمفوك ، ومقدار الثواب الذي يحصل لك من ذلك .
واذكر قول الله تعالى : « ولينفوا وليصنعوا » ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم . فان
كان ما أغضبك بما يجوز فيه العفو ، ويكفي فيه العتاب والتوبيخ ، والعدل والتهديد متى وقعت
معاودة ، فلا تتجاوز ذلك . واعف واصفح ، فانه أحسن بك ، وأقرب الى الله تعالى . والله سبحانه
يقول : « وأن تمفوا فهو أقرب للتقوى . وليس يظن بك المذنب ولا غيره انك عجزت عن التقوى
والعقوبة ، ولا قصرت بك القدرة . وأن كان بما لا يحتمل العفو عاقبت حينئذ على قدر الذنب ولم
تتجاوز الى ما يوقع الدين ؛ ويفد به أمرك ، ويقبح عند الناس ذكره . فانما يشتد عليك تكلف
ذلك أول دفعة وثانية وثالثة . ثم يصير عادة لك وخلقاً وسجية ، ويسهل عليك . »

فاستحسن بحكم ذلك وعود أن يفعله . وما زالت أخلاقه تصلح ، والوادي ينهب على شيء شيء
بما ينكره منه من أخلاقه وافماله ، ويرشده الى طريق ازالته ، إلى أن لانت أخلاقه ، وكف عن
كثير ما كان يسرع اليه من القتل والمقوبات الفلظة . واستحل واستطاب . ما كان يشر عليه من
استعمال العدل والانصاف ورفع الظلم والجور ويستصوبه ويعمل به . فانه كانت بين له أن العدل
أريح للسلطان من الظلم بكثير ، وانه يحصل له به دنيا وآخرة . وان مواد الظلم ، وإن كثرت

وتعجلت ، سريعة الفساد والفناء والانتطاع ، محوقة لا يبارك فيها وتحدث حوادث تتجرمها ثم تمود بحراب الدنيا وفساد الآخرة . ومواد المدل تسمى وتزيد وتدم وتصل ، وبارك فيها ، وتعود بصلاح الدنيا وعمارها ، وحصول الآخرة والفوز فيها ، وحسن الذكر ما بقي الدهر . فتيين ذلك وعرف صحته وابتدأ بالعمل به . وعمل بواسطة في وقت المجاعة دار ضيافة ، وببغداد بيارستانا يعالج فيه الفقراء ويملكون ، وأنفق في ذلك جملة . ورقته الرعية ، وأرقفها ، وعدل فيها ، وأنصف في معاملاتها ، وأحسن إليها ، ورأى ما يجب . إلا أن مدته في ذلك لم تطل ، وقتل عن قرب ، والله أمر هو بألفه .

ولأبي سعيد سنان بن ثابت بن قرة من الكتب — وهو بما نقل من خط أبي علي الحسن بن ابراهيم ابن هلال الصابئ — : رسالة في تاريخ ملوك السريانيين . رسالة في الاستواء . رسالة في سبيل . رسالة إلى بحكم . رسالة إلى ابن رائق . رسالة إلى أبي الحسن علي بن عيسى رحمه الله تعالى . الرسائل السلطانية والأخوانيات . السيرة وهي في أجزاء تعرف بكتاب الناجي صنفه لعهد الدولة وتاج الملة ، تشمل على مفاخره ومفاخر الديلم وأنسابهم وذكر أصولهم وأسلابهم . رسالة في النجوم . رسالة في شرح مذهب الصابئين . رسالة في قصة أيام الجمعة على الكواكب السبعة كتبها إلى أبي اسحق ابراهيم ابن هلال ورجل آخر . رسالة في الفرق بين المارسل والشاعر . رسالة في أخبار آباءه وأجداده وسلفه .

ونقل إلى العربي نواميس هرمس والصور والصلوات التي يعلي بها الصابئون . اصلاحه لكتاب^(١) في الاصول الهندسية ، وزاد في هذا الكتاب شيئاً كثيراً . مقالة أنفذها إلى الملك عضد الدولة في الاشكال ذوات الخطوط المستقيمة التي تقع في الدائرة ، وعليها استخراجها للشيء الكثير من المسائل الهندسية . اصلاحه لعبارة أبي سهل الكوهي في جميع كتبه ، لأن أبي سهل سأل ذلك . اصلاحه وتهذيبه لشيء نقله من كتاب يوسف القس من السرياني إلى العربي . من كتاب ارشيدس في المثلثات .

أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة

كان طبيباً فاضلاً ، يعلق بإبيه في صناعة الطب . وقال في التاريخ الذي عمله — وهذا التاريخ ذكر فيه الوقائع والحوادث التي جرت في زمانه ، وذلك من أيام المقتدر بالله إلى أيام المطيع لله — : انه كان وولده في خدمة الرازي بالله . وقال بعد ذلك أيضاً عن نفسه : انه خدم بصناعة الطب المتقي^(٢) بن المقتدر بالله ، وخدم أيضاً المستكفي^(٣) بالله والمطيع^(٤) لله . قال : وفي سنة ثلاث

(١) بياض في الأصل .

(٢) أبو اسحق الخليفة العباسي ٢١ تسلط عليه قورون التركي وقتل عليه حكم (٩٤٠ - ٩٤٢)

(٣) عبد الله الخليفة ٢٢ العباسي كان آله بيد الأتراك حملت حينه ولم يملك إلا علماً واحداً .

(٤) الخليفة ٢٣ العباسي ، قُتِل عليه مصر وفارس لأنه كان ضعيفاً وانتشرت الفتنة في بغداد فتنازل عن الخلافة

٩٤٦ - ٩٤٧ .

عشرة وثلاثه قندي الوزير الحاقاني^(١) اليلارستان الذي اتخذ ابن القرات بدرب الفضل . وقال ايضاً في تاريخه : انه لما سلم أبو علي^(٢) بن مقة الى الوزير أبي علي^(٣) عبد الرحمن بن عيسى من جهة الرازي بالله في سنة أربع وعشرين وثلاثه ، حله الى داره في يوم الخميس ثلاث ليال خلون من جمادى الآخرة ؛ وضرب أبو علي بن مقة بالمقارع في دار الوزير عبد الرحمن ، وأخذ خطه بالف ألف دينار . وكان الذي تولى ذلك منه بنان الكبير من الحجرية^(٤) . ثم سلم الى أبي العباس الحسيني ، ووكل به ما كرد وبنان الكبير ، ورد الحسيني مناظرته الى أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله الاسكافي المعروف بأبي نمره ، ومطالبتة الى الدستوايي . فحرت عليه منه من المكارة والتعلق والضرب والذبح أمر عظيم . والذي شاهدت أنا من أمره أن أبا العباس الحسيني كلفني يوماً الدخول اليه ، لمعرفة خبره من شيء تشكاه وقال : ان كان يحتاج الى الفصد فتقدم الى من يفصده بمحضرتك . فدخلت اليه فوجدته مطروحاً على حصير خثيث على بارية^(٥) وغدة وسخة خلية تحت رأسه ، وهو عريان بسر اويل . فوجدت بدنه من رأسه إلى أطراف أصابع رجليه كلون الباذنجان سواء ، ليس منه عقد سليم . ووجدت به ضيق نفس شديد . لان الدستوايي كان قد دهم صدره ، فمرقت الحسيني انه شديد الحاجة الى الفصد . فقال لي : يحتاج أن يلحقه كد في المطالبة ، فكيف نعمل به ؟ قلت : « لا أدرى ؟ الا انه ان ترك ولم يفصد مات ، وان فصد ولحقه مكروه بعدة تلف : » فقال لأبي القاسم بن أبي نمره الاسكافي : « ادخل اليه وقل له : ان كنت تظن أنه يلحقك رغبة اذا اقتصدت فبش ما تظن . فاقصد وضع في نفسك ان المطالبة لا يد منها ! » ثم قال لي : « أحب ان تدخل اليه معه ، فاستغفيتها من ذلك فلم يغني ، فدخلت معه وأدى الرسالة بمحضرتي . فقال : اذا كان الأمر على هذا ، فقلت اريد ان اقتصد ، وأنا بين يدي الله ، فعدنا اليه وعرفناه ما قال ، فقال لي : أي شيء عندك وما الذي ترى ؟ قلت الذي أرى أنت يفصد وان يرفه . فقال : افعل . فعدت اليه وقصد بمحضرتي ، ورفه يومه ، وخف ما به ، وبتوقع المكروه من غد وهو يرعب طائر القمل . فالتفت سبب للحسيني أحوجه الى الاستئثار في ذلك اليوم . وبقي ابن مقة مرفهاً ليس أحد يطالبه ، وكفي أمر عدوه من حيث لم يحسب ، ورجعت نفسه اليه . وحضر ابن فراية فضمن ما عليه وتسلمه ، وقد كان أدى قبل ذلك الى الحسيني نيفاً وخمسين ألف دينار ، وأشهد عليه المدول بأنه قد باع جميع ضياعه وضياع اولاده وأسبابه من السلطان .

وقال في موضع آخر من كتابه هذا : انه لما قطعت يد ابن مقة استدعاني الرازي بالله في آخر

(١) اظن انه عبد الله بن احمد وزير المعتز على ايمه اصيبت البلاد بالفسط فليز الامر اليه فسجن .

(٢) هو محمد بن مقة استوزره الخلفاء ولم يوفق في وزارته فسجن وقطعت يمينه . اشتهر بخله وقد نكته من الوضع الكوفي

(٣٨٦ - ٩٤١)

(٤) وزير الرازي بالله .

(٥) قبيلة تزلز جنوبي بلاد العرب يقولون انهم الحويريون الاصليون .

(٥) الحصيرة المصنوعة من القصب .

التنهار وأمري بالانسحار إليه وعلاجه ، فصرت إليه يوم قطع يده فوجدته محبوساً في القلاية التي في صحن الشجرة ، والباب مقفل عليه . ففتح الخادم الباب عنه ، ودخلت إليه ، فوجدته جالساً على قاعدة من بعض أساطين القلاية ، ولونه كالون الرصاص الذي هو جالس عليه ، وقد ضمف جداً وهو في نهاية القلق من ضربان ساعده ورأيت له في القلاية قبة خيش نصبت له ، وعليها طاقان من الخيش وفيها مصلى وغاد طبري ، وحول المصلى أطباق كثيرة بفأكهة حسنة . فلما رأيته بكى وشكى حاله ، وما يزل به وما هو فيه من الضربان ^(١) . ووجدت ساعده قد ورم وربما شديداً ، وعلى موضع القطع خرقه غليظة قردواني كحلية مشدودة بخيط قنب ^(٢) ، فحاطبته بما يجب ، وسكنت منه ، وحملت الخيط ، ونجيت الخرقه ، فوجدت تحتها على موضع القطع سرجين ^(٣) الدواب ، فأمرت بأن ينفض عنه ، فنفض ، وإذا رأس الساعد أسفل القطع مشدود بخيط قنب وقد غاص في ذراعه لشدة الورم ، وقد ابتدأ ساعده يسود ، وعرفته أن سيل الخيط ان يحمل وان يحمل موضع السرجين كافور ، ويطل ذراعه بالصفندل وماء الورد والكافور .

فقال : يا سيدي اقل ما رأيت . فقال الخادم الذي معي : احتاج ان استأذن مولانا في ذلك . ودخل ليستأذن ، وخرج معه مخزنة كبيرة مملوءة كافوراً ، وقال : « قد أذن لك مولانا ان تعمل ما ترى . وأمر بأن ترفق به ، وتوفر العناية عليه ، وتلزمه إلى ان يهب الله عافيته . » فحملت الخيط وفرغت المخزنة في موضع القطع وطلبت ساعده ، فماش واستراح وسكن الضربان . وسألته : هل اغتلى ؟ فقال : وكيف يلباغ لي طعام ؟ فتقدمت بإحضار طعام ، فاحضر وامتنع من الأكل . فررفت به ولقمته بيدي ، فحصل له نحو عشرين درهماً خبزاً ، ومن لحم فروج نحو ذلك . وحلف انه لا يقدر ان يبلع شيئاً آخر . وشرب ماء بارداً ، وعاشت روحه ، وانصرفت . وقفل الباب عليه ، وبقي وحده .

ثم أدخل عليه من غد خادم أسود يتقدمه وحبس معه ، وترددت إليه أياماً كثيرة ، وعرض له في رجله اليسرى علة النقرس فقصده ، وكان ينأى من يده اليمنى التي قطعت ، ومن رجله اليسرى ، ولا ينأى الليل من شدة الألم ، ثم عرفني . وكنت اذا دخلت إليه يبتدئ بالمسألة عن خبر ابنه أبي الحسين ، فاذا عرفته سلامته سكن غاية السكون ، ثم باح على نفسه ويكى على يده ، وقال : « يد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات للثلاثة خلفاء ، وكتبت بها القرآن دفتين ، تقطع كما تقطع أيدي القصوص ؟ تذكر ، وانت تقول لي : انت في آخر نكبة ، وان الفرج قريب ؟ » قلت : بلى . فقال : « قد ترى ما حل بي ؟ فقلت : ما بقي يمد هذا شيء ، والآن ينبغي ان تتوقع الفرج فانه قد حمل بك ما لا يعمل بتظير لك ، وهذا انتهاء المكروه . ولا يكون بعد الانتهاء الا الانحطاط . فقال : لا تفعل ، فان الحنة قد تشبثت بي تشبثاً تنقلني من حال الى حال ، الى أن تؤديني الى التلف ، كما تشبهني حي الدق

(١) الشدة والألم .

(٢) نبات ينال من لحته سيل وشيطلات .

(٣) الزبل .

بالاعضاء فلا تقارق صاحبها حتى تؤديه الى الموت . ثم تمثل بهذا البيت :
إذا ما مات بمضك فابك بمضا . فبعض الشيء من بعض قريب
(الوافر)

فكان الامر كما قال .

ولما قرب بحكم من بغداد نُقل ابن مقلة من ذلك الموضع الى موضع أعرض منه ، فلم يُوقف له على
خبر ، وحُبِيت عنه . ثم قطع لسانه وبقي في الحبس مدة طويلة ثم لحقه ذرب ، ولم يكن له من
يعالجه ولا من يخدمه . حتى بلغني أنه كان يستقي الماء لنفسه بيده ، يجذب الحبل بيده اليسرى ،
ويسكه بضمه . ولحقه شقاء عظيم ، الى ان مات .

وكان ثابت بن سنان المذكور خال هلال بن الحسن بن ابراهيم الصابئ الكاتب البليغ .

ولثابت بن سنان بن ثابت بن قرة من الكتب : كتاب التاريخ ذكر فيه الوقائع والحوادث التي
جرت في زمانه ، وذلك من سنة خمس وتسعين ومائتين الى حين وفاته ، ووجدته بخطه وقد أبان فيه
عن فضل .

وكانت وفاة ثابت بن سنان في شهر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة .

أبو اسحق ابراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة

كان كاملاً في العلوم الحكيمة فاضلاً في الصناعة الطبية ، متقدماً في زمانه ، حسن الكتابة ، وافر
الذكاء . مولده في سنة ست وتسعين ومائتين . وكانت وفاته في يوم الأحد النصف من المحرم سنة خمس
وثلاثين وثلاثمائة ببغداد . وكانت اللمة التي مات فيها ورم في كبده .

أبو اسحق ابراهيم بن زهرون الحراني

كان طبيباً مشهوراً ، وافر العلم في صناعة الطب ، جيد الاعمال ، حسن المعاملة . وكانت وفاته
في ليلة الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة تسع وثلاثمائة ببغداد .

أبو الحسن الحراني

هو أبو الحسن ثابت بن ابراهيم بن زهرون الحراني ، كان طبيباً فاضلاً كثير الدراية ، وافر العلم ،
بارعاً في الصناعة ، موفقاً في المعالجة ، مطلعاً على أسرار الطب . وكان مع ذلك ضئيلاً بما يحسن .

نقلت من خط ابن بطالان في مقالاته في عة نقل الاطباء المهرة تدبير أكثر الامراض التي كانت

تعالج قديماً بالأدوية الحارة الى التدبير المبرد ، قال : كان قد اسكت^(١) الوزير أبو طاهر بن بقيه في داره الشاطئ على الجسر ببغداد ، وقد حضر الامير معز الدولة بختيار ، والاطباء مجتمعون على انه قد مات . فتقدم أبو الحسن الحراني ، وكنت أصحابه يومئذ ، فقال : أيها الامير اذا كان قد مات فلن يضره الفصد ، فهل تأذن في فصده ؟ قال له : افعل يا أبا الحسن . ففصده ، فرشح منه دم يسير . ثم لم يزل يقوى الرشح الى أن صار الدم يجري قافاق الوزير . فلما خلوت به سأله عن الحال وكأنت ضئيلاً بما يقول ، فقال : إن من عادة الوزير أن يستفرغ في كل ربيع دماً كثيراً من عروق المعدة ، وفي هذا الفصل انتقطع عنه فلما قصده ثبتت الطبيعة من خناتها .

وقال عبد الله بن جبرائيل لما دخل عضد الدولة ، رحمه الله ، الى بغداد كان أول من لقيه من الاطباء ابو الحسن الحراني ، وكان شيخاً مسناً ، وسنان وكان اصغر من ابي الحسن ، وكان عالماً فاضلاً ، وكانا جميعاً يسمران^(٢) المرضى ، ويعضيان الى دار السلطان ، فحسن ثناؤه عليهما . ولما دخلا الى عضد الدولة قال : من هؤلاء ؟ قالوا : الاطباء . قال : نحن في عافية ، وما بنا حاجة اليهم . فانصرفا شخيلين . فلما خرجا الى الدليل قال سنان لابي الحسن : يحمل أن ندخل الى هذا الاسد ، ونحن شيخا ببغداد فيفتربنا ؟ قال له أبو الحسن : لما الحية ؟ قال ترجع اليه ، وانا أقول ما عندي ، ولننظر أيش الجواب قال : افعل . فاستأذنا ودخلا . فقال سنان : أطال الله بقاء مولانا الملك ، موضوع صناعتنا حفظ الصحة لا مداواة الامراض . والملك اسوج الناس اليه . فقال له عضد الدولة : صدقت . وقرر لهما الجاري السني وصارا ينوبان مع أطبائه .

قال عبيد الله بن جبرائيل : ولها أحاديث كثيرة حسنة ، منها حديث قلاء الكبود . وذلك انه كان بباب الأزج^(٣) انسان يقلي الكبود ، فكانا اذا اجتازا عليه دعا لهما وشكرهما ، وقام لهما حتى ينصرفا عنه . فلما كان في بعض الأيام اجتازا فلم يرياه ، فظننا انه قد شغل عنها . ومن غد سالا عنه ، فقبل لهما انه الآن قد مات . فمعبيا من ذلك ، وقال أحدهما للآخر : له علينا حق يوجب علينا قصده ومشاهدته . فمضيا جميعاً وشاهداه ، فلما نظرا اليه تشاورا في فصده ، وسالا أهله أن يؤخروه ساعة واحدة ليفكروا في أمره . ففعلوا ذلك ، وأحضروا قصاداً ففصده فصدته واسعة ، فخرج منه دم غليظ . وكان كلما خرج الدم خف عنه ، حتى تكلم . وسقياه ما يصلح . وانصرفا عنه . ولما كان في اليوم الثالث خرج الى مكانه . فكان هذا من المبعج لهما .. فمسلًا عن ذلك فقالا : سببه انه كان اذا قلى الكبود يأكل منها ، وبدنه ممتلئ دماً غليظاً وهو لا يحس ، حتى فاض من المروق الى الاوعية ، وغمر الحرارة الغريزية وخنقتها ، كما يخنق الزيت الكثير الفتية التي تكون في السراج . فلما بدروه بالفصد نقص الدم وخف عن القوة الحمل الثقيل ، وانتشرت الحرارة وعاد الجسم الى الصحة .

(١) أصابته سكة قلبية .

(٢) يطرفان

(٣) علة ببغداد .

وهذا الامتلاء قد يكون من البلقم أيضاً . وقد ذكر أسبابه الفاضل جالينوس في كتابه في تحريم الدفن قبل أربع وعشرين ساعة .

قال عبيد الله بن جبرائيل : ومن أحسن ما سمعت عن أبي الحسن الحراني انه دخل الى قرابة الشريف الجليل محمد بن عمر ، رحمه الله ، وكان انساناً نبيل القدر قد عارضه ضيق نفس شديد صعب . فالتفت بضبط وأشار بما يستعمله ، فشاورة في الفصد فقال له : لا أراه . وان كان يخفف المره تخفيفاً بيناً . وانصرف . وجاءه ابو موسى المعروف بقة لطيب ، وأبصر نبضه وقارورته وأشار بالفصد . فقال له الشريف : قد كان عندي أبو الحسن الحراني الساعة وشاورته في الفصد فذكر انه لا يراه صواباً . فقال بقة : أبو الحسن أعرف . وانصرف ، فجاءه بعض الاطباء الذين هم دون هذه الطبقة ، فقال : يفصد سيدنا فانه في الحال يسكن ، وقوى عزمه على الفصد ولم يرح حتى فصدته فندما فصدته خف عنه ما كان يحده خفياً بيناً ، وطم وسكن عنه واعتدى وهو في عافية . فعاد اليه أبو الحسن الحراني آخر النهار فوجده ساكناً قاراً ، فقال له ، لا رآه على تلك الحال : قد فصدت ؟ قد قل كيف كنت أفضل ما لم تأمرني به ؟ قال : ما هو هذا السكون إلا للفصد . فقال له الشريف : لما علمت بهذا لم لا تقصدي ؟ قال له ابو الحسن الحراني : اذ قد فصد سيدنا فليشر بحمي ربيع سبعين دوراً ، ولو أن أبقراط وجالينوس عنده ما تخلص إلا بعد انقضاءها . واستدعى دواة ودرجاً ، ورتب تدبيره لسبعين يوبه ودفعه اليه . وقال : هذا تدبيرك ، فاذا انقضى ذلك جئت اليك . وانصرف . فما مضى أيام حتى جاءت الحمى وبقيت كما قال ، فما خالف تدبيره حتى برىء .

قال عبيد الله بن جبرائيل : ومن أخبارة انه كان للحاجب الكبير غلام وكان مشغولاً به ، واتفق ان الحاجب صنع دعوة كبيرة كان فيها الجلاء الدولة . ولما اشتغل بأمر الدعوة سم الغلام حمى حادة ، فورد على قلب الحاجب من ذلك مورداً عظيماً ، وقلق قلقاً كثيراً . واستدعى أبو الحسن الحراني فقال له : يا أبا الحسن اريد الغلام يخدمني في غداة غد ، تعمل كل ما تقدر عليه ، وأنا أكافئك بما يضاهاه فعملك . فقال له : يا حاجب انت تركت الغلام يستوفي أيام مرضه عاش ، والا ، فيمكنني من ملازمته أن يقوم في غد لخدمتك . ولكن اذا كان في العام المقبل في مثل هذا اليوم يحم حمى حادة ، ولو كان من كان عنده من الاطباء لم تنجع فيه مداواته ، ويموت اما في البُحران الاول أو الثاني فانظر أيها أحب اليك . فقال له الحاجب : أريد أن يخدمني في غداة غد ، والى العام المقبل فرج . طناً منه أن هذا القول من الاحاديث المدفوعة . فلزمه أبو الحسن ، ولما كان في غد أفاق وقام في الخدمة واعطى الحاجب لأبي الحسن خلعاً سنبة ومالاً كثيراً ، وصار يكرمه غاية الاكرام . فلما كان في العام المقبل في مثل اليوم الذي حم فيه الغلام ، عاودته الحمى ، فاقام محمواً سبعة أيام ومات . فطمع في نفس الحاجب وجماعة من الناس قول أبي الحسن ، وكبر للنهم عمله ، وكان هذا منه كاللعجن .

وقال هلال بن الحسن بن ابراهيم الصابي ، الكاتب : حدثنا أبو محمد الحسن بن الحسين النوبختي قال : حدثني الشريف أبو الحسن محمد بن عمر بن يحيى : أنه أراد ابتلاع جارية عاقلة من دور بني

خاقان بأحد عشر ألف درهم ، وكان الوسيط في ذلك أبو المنيب فهد بن سليمان . فقال لابي المنيب : أحب أن تستشير لي في أمرها أبا الحسن الحراني بعد ان تكلفه مشاهدتها ، فمضى اليه وسأله الركوب معه إلى دار القوم ليرى الجارية وكانت متشكية . وشاهدها أبو الحسن الحراني وأخذ يحسبها وتأمل قارورتهما ثم قال له سرا : ان كانت أكلت البارحة من سحاقية أو حصرمية وقثاء أو خيار فاشترها ، والا فلا تمارض لها . فسلنا عما أكلته في ليلتها فقبل لنا بعض ما قاله أبو الحسن ، فابتاعها ، فمجبنا من ذلك ، وعجب من جمع .

وقال الحسن بن إبراهيم : كان أولاد أبي جعفر بن القاسم بن عبيد الله يشتمون على أبي الحسن الحراني ، عمن ، بأنه قتل أباهم ، فسألت أبا اسحق إبراهيم بن هلال والذي عن ذلك ، فقال : كان أبو جعفر عدواً لأبي الحسن عمي ، وعازماً على قتله لأمور تقعها عليه ، وقد قبض عليه وحسبه . فالتقى ان اعتل أبو جعفر علته التي مات فيها ، فاشير عليه بمشاوره أبي الحسن وهو في حبسه ، فقال لا أثنى به ، ولا أسكن اليه ، مع ما يمله من سوء رأيي فيه . وعول على غيره من الاطباء . فدخل بعض اخوان أبي الحسن اليه وشرح له ما يدبر به أبو جعفر في مرضه . فقال أبو الحسن ، وكانت ياتقنه : أنت تعرف رأي هذا الرجل في ، ومتى استمر على هذا التدبير هلك بلا محالة ، وكفيتمنا كفاية عاجلة . فأحب أن تتمه مشاورتي وتصوبه على رأيي في المدلول عني . واشتدت العلة بأبي جعفر ، ومضى ليلته بعد قبض القاهر بالله عليه بمشيرة أيام .

وقال الحسن أيضاً : أصابتنى حمى حادة كان هجومها علي بفترة ، فحضر أبو الحسن عمن وأخذ يحسب سبابة ، ثم نهض ولم يقل شيئاً . فقال له والذي : ما عندك يا عمي في هذه الحمى ؟ فقال له سرا : لا تسألني عن ذلك انى ان يحوزه خمسين يوماً . فوأل لعد فارقتنى في اليوم الثالث والخمسين .

وحكى أبو علي بن مكتبا النصراني الكاتب ، قال : لما وافى عضد الدولة في سنة أربع وستين وثلاثمائة إلى مدينة السلام استدعاني أبو منصور نصر بن هرون ، وكان قد ورد معه اذ ذاك ، وسألني عن أطباء بغداد . فاجتمعت مع عبد يشوع الجاثليق وسألته عنهم ، فقال : ههنا جماعة لا يعمل عليهم ، ولينظور اليه منهم أبو الحسن الحراني وهو رجل عاقل لا مثل له في صناعته^(١) وهو قليل التحصيل ، وأبو الحسن صديقي وأنا ابشع إلى الخدمة ووافقه عليها وأشير عليه باللائمة لها . وخطاب الجاثليق أبا الحسن على قصد أبي منصور نصر بن هرون فقصدته ، وتقدم اليه بأن يحضر دار عضد الدولة ويتأمل حاله وما يدبر به أمره . فتلقي ذلك بالسمع والطاعة ، وشرط ان يعرف صورته في ما كره ومشريه وبواطن أمره وطالع أبو منصور عضد الدولة بالصورة . وحضر أبو الحسن الدار وعرف جميع ما سأل عنه ، وردد أياها ثم انقطع ، واجتمع مع الجاثليق فعاتبه على انقطاعه وعرفه وقوع الانكار له ، فقال له : لا فائدة في مضيي ، ولست اراه صواباً لنفسي ، ولذلك اطباء فضلاء عقالا علماء ، وقد عرفوا من طبعه وتديبه ما يستغنى به عن غيرهم في ملازمته وخدمته . فألح

(١) يراى في كل النسخ .

الجائلي عليه وسأله عن علة ما هو عليه في هذا الفعل ، والاحتجاج فيه بثل هذا المذمور ؟ فقال له : « هذا الملك متى أقام بالعراق سنة فسد عقله . ولست أؤثر أن يجري ذلك على يدي وأنا مدبره وطيبه . ومتى انتهى الجائلي هذا القول عني جحدته وحلفت بالله والبراءة من ديني ما قلته . وكان عليك في ذلك ما تملنه » فأمسك الجائلي بـ « وكنتم هذا الحديث » فلما عاد عضد الدولة الى العراق في الدفعة الثانية كان الامر على ما انذر به فيه .

وتوفي ابو الحسن الحراني في الحادي عشر من ذي القعدة سنة خمس وستين وثلثمائة للهجرة ببغداد . وكان مولده بالورقة ليلة يوم الخميس لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ثلاث وثمانين ومائتين . ولاي ابو الحسن الحراني من الكتب : اصلاح مقالات من كناش يوحنا بن سرايون ، جوابات مسائل مثل عنها .

ابن وصيف الصابي

كان طبيباً عالماً بعلاج أمراض العين ، ولم يكن في زمانه أعلم منه في ذلك ، ولا أكثر مزاولة . قال سليمان بن حسان . حدثني احمد بن يونس الحراني ، قال : حضرت بين يدي احمد بن وصيف الصابي وقد أحضر سبعة أنفس لفتح أعينهم ، وفي جلستهم رجل من أهل خراسان أقعده بين يديه ونظر الى عينيه ، فرأى ماء متبياً للفتح ، فسامه على ذلك ، فطلب اليه فيه ، واتفق معه على ثمانين درهماً ، وحلف انه لا يملك غيرها . فلما حلف الرجل اطمان وضعه الى نفسه ، ورفع يده على عضده فوجد بها نطقاً صغيراً فيه دغاب فقال له ابن وصيف : ما هذا ؟ فتلون الحراساني . فقال ابن وصيف : حلفت بالله حائناً وانت ترجو رجوع بصرك اليك ؟ والله لا عاجلتك اذ خادعت ربك . فطلب اليه فيه فأبى ان يقدهه وصرف اليه الثمانين درهماً ولم يقده عينه .

غالب طبيب المعتضد

شهر بخدمة المعتضد بالله وكان اولاً عند الموفق طلحة بن المتوكل لانه خدمه منذ ايام المتوكل واختص به . وارتفع سائر ابناء المتوكل من ابن اولاد غالب فكان يسر بهم . فلما تمكن الموفق من الامر أقطعه ونوله وأغناه ، وكان له مثل الوالد يناديه ويطلبه بيده . وعالج الموفق من سهم كان أصابه في ثنودته ^(١) وبرأ ، فأعطاه مالا كثيراً ، وأقطعه ، وخلع عليه . وقال لنفاته : من أراد اكرامي فليكرمه ، وليلص غالباً . فوجه اليه مسرور بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب ؟ ووجه اليه سائر الغلمان مثل ذلك ؟ وصار اليه مال عظيم . ولما قبض على صاعد وعبدون أخذ لمبدون عدة غلمان نصارى مماليك ، فن أسلم منهم أجري له رزق وترك ، ومن لم يسلم منهم بشه الى غالب . وكان

(١) هي للرجل كالشمي للمرأة .

عدد من أنفذ اليه سبعين غلاماً أزمه وغيرها. فلما ورد عليه معهم رسول من قبل الحاجب قال غالب: أي شيء أحمل هؤلاء؟ وركب من وقته الى الوقت، فقال هؤلاء يستفرون حال ضيعتي مع رزقي. فضحك الموفق وتقدم الى استئجيل زيادة في اقطاعه الحرسيات، وكانت ضياعاً جليلة تغل سبعة آلاف دينار وأجرها له بمئتين ألف درهم في السنة.

وبعد الموفق طلحة خدم لولده المتضد بالله أبي العباس أحمد، وكان مكينا عنده حظيا في أيامه. وكان المتضد يحسن الظن به ويعتمد على مداواته. قال ثابت بن سنان بن ثابت: ان غالباً الطيب توفي مع المتضد بالله بأمد^(١)، وكان كبيراً عنده. وكان سعيد بن غالب مع المتضد بالله بأمد، وكان بأنس اليه ويقدمه على جميع المتطبين. واتصل الخبر بوفاة غالب بالمتضد قبل وقوف سعيد ابنه على ذلك، فلما دخل سعيد عليه ابتداء المتضد وعزاه وقال له: يا سعيد طول البقاء لك، لما تم عليك. فانصرف سعيد الى مضربه كثيراً حزينا. فأتبعه المتضد بخفيف السر قندي، وبنات الرصاصي، وبسرخاب الكسوة، وكافوا أجل خدم السلطان، وجلسوا معه طويلاً. وعرف الخبر فلم يبق أحد من أهل الدولة إلا صار الى سعيد بن غالب، وعزاه بابيه، من الوزير القائم بن عبيدالله ومؤنس الخادم ومن بعدهما من الامتازين والامراء والوفاد والأولياء على طبقاتهم. ثم أنفذ اليه المتضد وقت الظهر يحون طعام وتقدم اليه أن لا يبرح أو يطعمه ويطعم دانيال كاتب مؤنس وسعدون كاتب يانس، وكانا صهره على أختيه، لفعل ذلك. ولم يزل يحضره في كل يوم ويشافله بالحديث ويصرفه ويقتنه يحون الطعام مدة سبعة أيام. ورد اليه ما كان الى ابنه من أمر الجارية والتلامذة. وأقر في يده اقطاعه وضياعه، ولم يزل ذلك له ولولده الى آخر عمره.

أبو عثمان سعيد بن غالب

كان طبيباً عارفاً حسن المداواة مشهوراً في صناعة الطب. خدم المتضد بالله وحظي عنده وكان كثير الاحسان اليه، والانعام عليه.

وتوفي أبو عثمان سعيد بن غالب في يوم الاحد لست بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثمائة ببغداد.

عبدوس

كان طبيباً مشهوراً ببغداد، حسن المعالجة، جيد التدبير، ويعرف كثيراً من الادوية المركبة. وله تجارب حميدة، وتصرفات بليغة في صناعة الطب. قال أبو جعفر^(٢) محمد بن جرير الطبري في

(١) عبار بكر. وقد وردت سابقاً.

(٢) ولد في آمل (طبرستان) وتوفي ببغداد (٨٣٩-٩٢٣) وهو من مشاهير الفروخين. اشهر كتبه تاريخ الامم والملوك. (ن.د.)

تاريخه : حكى عن داؤد بن ديلم ، وعن عبدوس المتطيين ، قال : لما غلظت علة المعتضد ، وكانت من استسقاء وقساد مزاج من يثقل يقتل منها ، وخاف على نفسه أحضرنا جميع الأطباء فقال لنا : أليس تقولون ان العلة اذا عرفت عرف دواؤها ؟ فاذا أعطي العليل ذلك الدواء صلح ؟ قلنا له : بلى . قال : فقلتي عرفتموها ودواها ، أم لم تعرفوها ؟ قلنا : قد عرفناها . قال : فما بالك تماجلوني ولست أصلح ؟ وطننا انه قد عزم على الإيقاع بنا فحطت قوائنا فقال له عبدوس : يا أمير المؤمنين نحن على ما قلنا في هذا الباب ، الا ان في الأمر شيء ، وهو اننا لا نعرف مقدار اجزاء العلة فنقابلها من الدواء بمثل اجزائها ، وانما نعمل في هذا على الحدس ، ونبتدىء بالأقرب فالأقرب ، ونحن ننظر في هذا الباب ونقابل العلة بما ينبع فيها ان شاء الله تعالى .

قال فأمسك عنا واخلونا ففشاورة على ان نزميه بالعابة وهي للتتور ، فاحيناه له ورميناه فيه ، فمرق وخف ما كان به لدخول العلة الى باطن جسمه ، ثم ارتقت الى قلبه ، فمات بعد ايام ، وخلصنا مما كنا أشرفنا عليه . وكانت وفاة المعتضد ليلة الثلاثاء لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع ومائتين .

ولعبدوس من الكتب : كتاب التذكرة في الطب .

صاعد بن بشر بن عبدوس

ويكنى أبا منصور ، كان في أول امره فاسداً في البيارستان ببغداد . ثم انه بعد ذلك اشتغل في صناعه الطب وتميز حتى صار من الاكابر من اهلها ، والمتمينين من اربابها . نقلت من خط المختار ابن حسن بن بطلان في مقاتله في علة نقل الأطباء المهرة تدبير أكثر الامراض التي كانت تعالج قديماً بالأدوية الحارة الى التدبير المبرد ، كالفالج والقوة والاسترخاء وغيرها وغالفتهم في ذلك لمسطور اقدماء ، قال : ان اول من فطن لهذه الطريق ونبه عليها ببغداد وأخذ المرضى في المداواة بها وأطرح ما سواها ، الشيخ ابو منصور صاعد بن بشر الطبيب رحمه الله ، فانه اخذ المرضى بالفصد والتبريد والترطيب ومنع المرضى من الغذاء فالجهم تدبيره وتقدم في الزمان بعد ان كان فاسداً في البيارستان ، وانتهت الرئاسة اليه فمولى الملوكة في تدبيرهم عليه . فرغم عن البيارستان المعاجين الجارة والأدوية الحادة . ونقل تدبير المرضى الى ماء الشير ومياه البزور ، فاظهر في المداواة عجائب .

من ذلك ما حكاه لي بيافارقين الرئيس أبو يحيى ولد الوزير أبي القاسم (١) المغربي ، قال : عرض للوزير بالأخبار قولنج صلب أقام لاجله في الحمام ، واحتقن عدة حقن ، وشرب عدة شربات فلم ير صلاحاً ، فاتفقنا رسولاً الى صاعد ، فلما جاء ورآه على تلك الحال ولسانه قد قصر من العطش وشرب الماء الحار والسكر ، وجسمه يتوقد من ملازمة الحمام ومداومة المعاجين الحارة والحقن

(١) وزير العباسيين ولد في مصر وتوفي في بيافارقين .

الحادة ، استدعى كوز ماء مثاوج فاعطاه الوزير فتوقف عن شربه . ثم انه جمع بين الشهوة وترك
 الخافلة وشربه فقويت في الحال نفسه ثم استدعى فاصداً ففصده واخرج له دماً كثيراً المقدار . وسقاه
 ماء البزور ولعاباً وسكنجييناً ، ونقله من حجرة الحمام الى الحيش ، وقال له : ان الوزير اأدام الله
 عافيته سينام من بعد الفصد ؛ ويعرق ويتبّه ؛ فيقوم عدة مجالس ، وقد تفضل الله بمافيته . ثم تقدم
 بصرف الخدم لينام . فقام الوزير الى مرقدته وقد وجد خفاً من بعد الفصد فنام مقدار خمس ساعات ،
 وانتبه يصبح بالفراش . فقال صاعد للفراش : اذا قام من الصبيحة فقل له يساود النوم ، حتى لا
 ينقطع العرق . فلما خرج الفراش من عنده قال : وجدت ثيابي كأنها قد صبغت بماء الزعفران ، وقد
 قام مجلساً ونام . ثم لا زال الوزير يتردد دفعات الى آخر النهار مجالس عدة ، ومن بعدها غداه بزوارة
 وسقاه ثلاثة أيام ماء الشعير ، فبرأ برأ تاماً . فكان الوزير أبداً يقول طوبى لمن سكن بغداد داراً
 شاطئة وكان طبيباً أبو منصور ، وكتبه أبو علي بن موصلياً ، قبله الله امانيه فيما طلب .

ونقلت أيضاً من خط ابن بطلان : ان صاعد الطبيب عالج الأجل المرتضى ^(١) رضي الله عنه من
 لسب ^(٢) عرّب ، بان ضمد المكان بكافور فسكن عنه الألم في الحال .

ونقلت من خط أبي سعيد الحسن بن أحمد بن علي في كتاب « ورطة الاجلاء من هفوة الاطباء »
 قال : كان الوزير علي بن بلبل ببغداد ، وكان له ابن أخت فلعنته سكتة دموية ، وخفي حاله
 على جميع الاطباء ببغداد ، وكان بينهم صاعد بن بشر حاضراً ، فسكت حتى افر
 جميع الاطباء بوته ، ووقع اليأس من حياته ، وتقدم الوزير في تجهيزه ، واجتمع الخلق في العزاء ،
 والنساء في الطم والنجاح ، ولم يبرح صاعد بن بشر من مجلس الوزير . فعند ذلك قال الوزير
 لصاعد بن بشر الطبيب : « هل لك حاجة ؟ فقال له : نعم يا مولانا ، ان رسمت وامرت لي
 ذكورت ذلك . فقال له : « تقدم وقل ما يلج في صدرك ؟ » فقال صاعد : « هذه سكتة دموية ، ولا
 مضرة في ارسال مبيض واحد وتنظر ، فان لم يجع كان المراد ، وان تكن الاخرى فلا مضرة فيه . »
 ففرح الوزير وتقدم بإيعاد النساء ، وأحضر ما وجب من التمريخ والتطويل ^(٣) والبضور والنشوق ،
 واستعمل ما يجب . ثم شد عضد المريض وأقعدته في حضن بعض الحاضرين ، وارسل المبيض بعد
 التليق على الواجب من حاله ، فخرج الدم ووقعت البشائر في الدار . ولم يزل يخرج الدم حتى تم
 ثلثائه درهم من الدم ، فالتفتحت العين ولم ينطق بعد ، فشد اليد الاخرى ونشقه ما وجب تشقيقه . ثم
 فصده فانياً واخرج مثله من الدم واكثر . فتكلم ، ثم أسقي اطعم ما وجب ، فبرئ من ذلك ،
 وصح جسمه وركب في الرابع الى الجامع ، ومنه الى مهران الخليفة ، ودعا له ونثر عليه من الدراهم

(١) ارشد اهل زمانه علماً وكلاماً وحديثاً وشراً لكب اللغويين في بغداد وكان مثلاً لثلاثة الكاتبة في عصره . وله
 كتاب الامالي .

(٢) لفة (مت.د)

(٣) ماء تفل فيه الادوية ويصب فافراً على العضو المصاب (ن.د)

والدنانير الكثيرة . وحصل لصاعد بن بشر الطيب مال عظيم ، وحشمه الخليفة والوزير وقدمه وزكاه ؛
وقدم على جميع من كان في زمانه .

أقول : ووجدت صاعد بن بشر قد ذكر في مقاتله في مرض المراقيا ما عينه في ذلك الزمان من
أهوال وجدها ، وبخاوف شاهدها ، ما هذا نصه . قال : « وانه عرض لنا من تضاييق الزمان علينا ،
والتشاكل بالباس الأمر الضروري ، ولما قد شملنا من الخوف والحذر والفزع ، واختلاف السلاطين ؛
وما قد بليتنا به ، مع ذلك ، من التنقل في المواضع ؛ وضياح كتبنا وسرقتها . ولما قد أظننا من
الامور المذعرة الموهوبة التي لا نرجو في كشفها الا الله تقدس اسمه . »

هذا ما ذكره . وما كان في أيامه الا اختلاف ملوك الاسلام بعضهم مع بعض ، وكان الناس سالمين
في أنفسهم ، آمنين من القتل والسبي ، فكيف لو شاهد ما شاهدناه ونظر ما نظرناه في زماننا من
التناحر الذين أهلوكوا البعاد ، وأخروا البلاد ، وكونهم اذا أتوا الى مدينة فما لهم هم الا قتل جميع من
فيها من الرجال ، وسبي الاولاد والنساء ، ونهب الاموال ، وتخريب القلاع والمدن . لكان استصغرها
ذكره ، واستقل ما عينه وحقره . ولكن ما طامة إلا فوقها طامة أعظم منها ؛ ولا حادثة إلا
وغيرها تكبر عنها ؛ وله الحمد على السلامة والعافية .

ولصاعد بن بشر من الكتب : مقالة في مرض المراقيا ومداوائه الفها لبعض اخوانه .

ديلم

كان من الاطباء المذكورين ببغداد المتقدمين في صناعة الطب ، وكان يتردد الى الحسن ^(١) بن مخلد
وزير المعتمد ويخدمه .

ووجدت في بعض التواريخ أن المعتمد على الله وهو أحد بن المتوكل أراد ان يقتصد ، فقال للحسن
بن مخلد : « اكتب لي جميع من في خدمتنا من الاطباء حتى أقدم بان تصل كل واحد منهم على
قدره . » فكتب الأسماء وادخل فيها اسم ديلم المتطبب . وكان ديلم يخدم الحسن بن مخلد ، فوقع
تحت الأسماء بالصلوات . فقال ديلم : اني جالس في منزلي حتى وافى رسول بيت المال ومعه كيس فيه
ألف دينار ، فسلفه إلي وانصرف فلم أدر ما السبب فيه ، فبادرت بالكوب الى الحسن بن مخلد ، وهو
حينئذ الوزير ، فمرفته ذلك . فقال لي : اقتصد أمير المؤمنين ، وأمرني بان أكتب أسماء الاطباء
ليتقدم بضلتهم ، فادخلت اسمك معهم ، فخرج لك الف دينار .

داؤد بن ديلم

كان من الاطباء المتميزين ببغداد الجيدين في المداواة ، وخدم المعتمد بالله وخص به . فكانت

(١) كان كاتب الموفق وورث الى اخيه المعتمد اسماء التدير قصودت املاكه . وهو بن دير قس . كان على ديوان القضاء
١١١١ هـ .

وكان مفسراً . ولطيفه قرأ أبو بشر متى بن يوهان . وكتب قويري مطرحة عجوة ، لان عباراته كانت غطية ^(١) غلفة .

ولقويري من الكتب : كتاب تفسير قاطيفورياس مشجر . كتاب بارمينياس مشجر . كتاب افالوطيقا الاولى مشجر . كتاب افالوطيقا الثانية مشجر .

ابن كرنيب

هو أبو أحد الحسين بن أبي الحسين اسحق بن ابراهيم بن زيد الكاتب ، ويعرف بابن كرنيب . وكان من جلة المتكلمين ، وينهب مذهب الفلاسفة الطبيعيين . وكان في نهاية الفضل والمعرفة والاطلاع بالعلوم الطبيعية القديمة .

ولأبي أحمد بن كرنيب من الكتب : كتاب الرد على أبي الحسن ثابت بن قرة في نفيه وجوب وجود السكونين بين كل حركتين متساويتين . مقالة في الاجناس والانواع ، وهي الامور العامة . كتاب كيف يعلم ما مضى من النهار من ساعة من قبل الارتفاع .

أبو يحيى المروزي

كان طبيباً مشهوراً بمدينة السلام متميزاً في الحكمة ، وقرأ عليه أبو بشر متى بن يوهان . وكانت فاضلاً ، ولكه كان سريانياً . وجميع ما له من الكتب في المنطق وغيره بالسريانية .

متى بن يوهان

كان أبو بشر متى بن يوهان من أهل ديرقنى ^(١) ، من نشأ في أسكول مرماري . قرأ على قويري وعلى روفيل وبنيامين ويحيى المروزي ، وعلى أبي أحمد بن كرنيب . وله تفسير من السرياني الى العربي ، واليه انتهت رئاسة المنطقين في عصره . وكان نصرانياً . وتوفي ببغداد يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وللمائة .

ولمتى من الكتب : مقالة في مقدمات صدر بها كتاب افالوطيقا . كتاب المغائيس الشرطية . شرح كتاب ايساغوجي للرفوروريوس .

يحيى بن علي

وابو زكريا يحيى بن حيد بن زكريا المنطقي ، واليه انتهت الرئاسة ومعرفة العلوم الحكيمة في

(١) غير معينة .

(٢) دير على ستة عشر فرسخاً من بغداد وكان كملاً في اوائل القرون الوسطى وغرب مع الزمان

وقته ، قرأ علي أبي بشر متى وعلى أبي نصر الفارابي^(١) وعلى جماعة آخر ، وكان أوحدهم . ومذهبه من مذاهب النصارى اليعقوبية . وكان جيد المعرفة بالنقل . وقد نقل من اللغة السريانية الى اللغة العربية . وكان كثير الكتابة ، ووجدت بخطه عدة كتب .

قال محمد بن اسحق النديم البغدادي في كتاب « الفهرست » . قال لي يحيى بن عدي يوماً في الوراقين ، وقد عاتبته على كثرة نسخه ، فقال لي : من أي شيء تمسب في هذا الوقت ، من صبري؟ قد نسخت بخطي نسختين من التفسير الطبري ، وحملتها الى ملوك الاطراف ، وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى ، ولعمري بنفسي ، وأنا أكتب في اليوم واليلة مائة ورقة وأقل .

وقال الامير أبو الوفاء المبرور بن فاذك حدثني شيعي أبو الحسين المعروف بابن الأعمدي انه سمع من أبي علي اسحق بن زرعة^(٢) يقول : ان أبا زكريا يحيى بن عدي وصى اليه أن يكتب على قبره حين حضرته الوفاة ، وهو في بيمة مرقوما بقطيعة الدقيق هذين البيتين :

رب ميت قد صار بالملم حياً وميتى قد مات جهلاً وعيلاً
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً لا تعدوا الحياة في الجهل شيئاً
الحفيف

وليحيى بن عدي من الكتب : رسالة في نقض حجج أنفذهما الرئيس في نصره قول الغائلين بان الاعمال خلق لله ، واكتساب للعبد . تفسير كتاب طويقا لارسطوطاليس ، مقالة في البحوث الأربعة مقالة في سياسة النفس ، مقالة في أهمية صناعة المنطق وماهيتها وأوليتها ، مقالة في المطالب الحسة للرووس الثانية . كتاب في منافع البناء ومضاره وجهة استعماله بحسب اقتراح الشريف أبي طالب فاصر بن اسمعيل صاحب السلطان المقيم في القسطنطينية .

أبو علي بن زرعة

هو أبو علي عيسى بن اسحق بن زرعة بن مرقس بن زرعة بن يوحنا . أحد المتقدمين في علم المنطق ، وعالم الفلاسفة ، والنفق الجرسين . ومولده ببغداد في ذي الحجة سنة احدى وسبعين وثلاثمائة ونشأ بها ، وكتب كثير الصحبة والملازمة ليحيى بن عدي .

نقلت من خط المختار بن الحسن بن بطلان في مقالاته في عدة نقل الاطباء المهرة تدبير اكثر الامراض التي كانت تعالج قديماً بالادوية الحارة الى التدبير المبرد ، كالفالج والقوة

(١) أبو النصر محمد ولد في فاراب رقي في دمشق درس الفلاسفة واقام في بغداد وفي بلاط سيف الدولة بن حمدان ولقب بالملم الثاني (٨٧٣ - ٩٥٠) (د . ن)

(٢) ولد رما في بغداد وكان فليحاً فأنصرف الى العلم والفروجة والتأليف تحت اشراف استاذة يحيى بن عدي (٩٢٣)

(د . ن)

(١٠٠٨)

والاسترخاء وغيرها ومخالفتهم في ذلك لمسطور القدماء . قال : ان اول من فطن لهذه الطريق ونبش عليها ببغداد ، وأخذ المرضى في المداواة بها ، وأطرح ما سواها ، الشيخ ابو منصور صاعد بن بشر الطبيب ، رحمه الله ، فأنني سمعته يقول : اول ما خطر لي التنقل في الفالج الذي عرض لشيخنا ابي علي ابن زرعة ، رحمه الله ؛ وذلك أن أبا علي كانت رجلاً منحرف الجسم ، حاد الخاطر ، عذاباً ملبس المجلس ، ملازماً للتدريس والتنقل والتصنيف ، عاباً للواردات المحرفات والمطجبات ، ومليح الاسماء ، وما عمل من الجوارد بالجرى (١) . ثم انه حرص في آخر عمره على عمل مقالة في بقاء النفس . فأقام نحواً من سنة يفكر فيها ويسهر لها حرصاً على عملها . وكانت أيضاً مقنونة بالتجارة الى بلد الروم ، وله فيها أصداء من تجار السريان قد سموا به دفعات الى السلطان ، وصودر على اموال ، ولحقته عدة نكبات ، فالتام عليه حرارة المزاج الاصيل ، وفساد الاغذية ، وكد الخاطر بالتصنيف ، ومداواة السلاطين ، فمرضت له مرضة حادة واختلاط أبحر فيها بفالج كما يمرض المرضى بأورام ونحوها .

« وكان الناس يعظمونه للم فاجتمع اليه مشايخ الأطباء : كآب بكس ، وابن كشكرايا ، وتقليد سنان وابن كزورا والحرفاني ، فمضوا في تدبيره بحسب المسطور في الكنائش حراً أقول من حيث لا قدرة لي على مجاهرتهم بالخالفات لتقدمهم في الزمان : « والله انهم لم يخطئون » ، لانه فالج تابع لمرض حاد لشخص حار المزاج . ثم انهم سموا من تدبيره فنقلته الى الرطوبات ، فغف قليلاً وشارف الصلاح ، وبعد زمان مات في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة من فرط ما دبر به من الحار اليابس بالجمود الحادث في مؤخر الدماغ عن خلط سوداوي » .

ولابي علي بن زرعة من الكتب : اختصار كتاب ارسطوطاليس في المصور من الارض . كتاب اغراس كتب ارسطوطاليس المنطقية . مقالة في معاني كتاب ايساغوجي . مقالة في معاني قطعة من المقالة الثالثة من كتاب السهام . مقالة في العقل . رسالة في علة استنارة الكواكب مع انها والكرات الحاملة لها من جوهر واحد . بسائط رسالة أنشأها الى بعض اوليائه في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة .

أقول : وفي هذه الرسالة معاني يرد بها على اليهود . ووجدت لبشر بن عيسى المعروف بابن عنيان الاسرائيلي رسالة يرد فيها على عيسى بن اسحق بن زرعة ، وقد أجاب فيها عن رسالته هذه .

موسى بن سيار

هو أبو ماهر موسى بن يوسف بن سيار ، من الأطباء المشهورين بالحذق وجودة المعرفة بصناعة الطب . وهو لموسى بن سيار من الكتب : مقالة في الفصد . الزيادة التي زادها على كنانش الحف لأسحق بن حنين .

علي بن العباس المجوسي

من الاهواز ، وكان طبيباً جيداً متميزاً في صناعة الطب . وهو الذي صنف الكتاب المشهور الذي

(١) نبات له حب صغير جداً اسود مفرح .

يعرف « بالملكي » صنفه لذلك عضد^(١) الدولة فتناخسرو بن ركن الدولة^(٢) أي علي حسن بن يويه الديلمي ، وهو كتاب جليل مشتمل على أجزاء الصناعة الطبية عليها وعملها .

وكان علي بن العباس الجوسي قد اشتغل بصناعة الطب على أبي ماهر موسى بن سيار وتتلذذ له .
ولعلي بن العباس الجوسي من الكتب : كتاب الملكي في الطب ، عشرون مقالة .

عيسى طيب القاهر

كان القاهر بالله وهو أبو منصور محمد بن المعتضد يعتمد على طبيبه هذا عيسى ، ويركن اليه ، ويفضي اليه بأمراره . وتوفي عيسى طيب القاهر بالله في سنة ثمان وخسين ولثلاثة ببغداد . وكان كُفَّ قبل موته بستين . قال ثابت بن سنان في تاريخه : « واعلني أن مولده كل في النصف من جمادي الأولى سنة إحدى وسبعين ومائتين .

دانيال المتطبيب

قال عبيد الله بن جبرائيل : كان دانيال المتطبيب لطيف الخلق ، ذميع الأعضاء ، متوسط العلم ، له إلمة بالمعالجة ، وكانت فيه غفلة وتبديد . وكان قد استخصه معز^(٣) الدولة لخدمته ، فدخل عليه يوماً فقال له : يا دانيال ، فقال : لبيك أيها الأمير ، قال : ليس عندي أن السرجيل إذا أكل قبل الطعام أسك الطبع وإذا أكل بعد الطعام أسهل ؟ قال : بلى . قال : فانا أكلته بعد الطعام عصمني^(٤) . قال له دانيال : ليس هذا الطبع للناس ، فلكه معز الدولة بيده في صدره ، وقال له : قم تمل أدب خدمة الملوك وتعال . فخرج من بين يديه ونقث الدم ولم يزل كذلك مدة مديدة حتى مات .

قال عبيد الله : وهذه من غلطات العلماء التي تهلك ، وإلا مثل هذا لا يخفى ، لآث هناك معداً ضميعة لا يمكنها دفع ما فيها فإذا وردما السرجيل قوامها واعانها على دفع ما فيها فتجيب الطبيعة . وقد شاهدت النساء إذا اراد القتيء شرب الشراب المحلى أو سكتجيين السرجيل فتقيء ما أراد . قال : وحكى جبرائيل أنه كان الأمير أبو منصور مهذب الدولة ، رحمه الله ، إذا شرب شراب السرجيل أسهله . وهذه أمور اسبابها معروفة ، وإنما كانت غلطة من دانيال حتى هلك .

(١) السلطان البرجي ولد في اصفهان ومات في بغداد وكان عباً للعلوم حسناً للفراء لقبه الخليفة بشاهنشاه (٩٨٣-٩٣٦).
(٢) ثاني الأخيرة الثلاثة الذين أسروا دولة بني يويه في بغداد لقب أمير الأمراء وتوفي سنة ٩٤٩ (٥.٩)
(٣) ط بن أبي شجاع يويه لقب بمنز الدولة وعلى زمانه وزمان اخوته أصبح الخليفة العوية بأيديهم ان اهل غلبهم طغول بك السليوقي سنة ١٠٥٥ .
(٤) منفي .

اسحق بن شليطا

كان هذا طبيباً بقداديا له يد في الطب ، تقدم بها الى ان انتقل الى خدمة المطيع ه^(١) ، واختص به الى ان مات في حياة المطيع ، وخلف على موضعه أبو الحسين عمر بن عبد الله الدحلي . وقد كان اسحق مشاركا في طب المطيع لثابت بن سنان بن ثابت بن قره الحراني الصابئ .

أبو الحسين عمر بن الدحلي

كان متطببا للمطيع ه^(٢) ، وكان شديد التمكن منه والاختصاص به . قال عبيد الله بن جبرائيل : حدثني من أثنى به ، انه كان لا يحتشمه في شيء جمة . ولا صرف المطيع ه^(٣) أباه محمد الصلحي كاتبه ، توسط أبو الحسين بن الدحلي لأبي سعيد وهب بن إبراهيم حتى تقلد كنية الخليفة ، وبقي مدة ، ثم شرع أبو الحسين صهر أبي بشر البكري ، فقتله . وكانت أبو سعيد ، وهب ، بقي إلى ان صارت الخلافة الى الطائع^(٤) وقبض عليه ، وبقي في الحبس إلى أن دخل بختيار وعضد الدولة الى بغداد وهرب الخليفة ، وخرج من الحبس عند كسر أبواب الجبوس .

فنون المتطلب

كان متقدما يختص بخدمة بختيار ، وكان يكرمه ويمرزه أمراً عظيما . قال عبيد الله بن جبرائيل : ومن أخباره معه انه رمدت عين بختيار في بعض الإوقات فقال له : يا أبا نصر ، ليس والله أبرح من عندي أو أبرى عيني . واريدهما تبرأ في يوم واحد وأبرمه . قال فسمعت أبا نصر يتحدث انه قال له : إن أردت أن تبرأ فتقدم الى الفراشين والغلمان ان ياتمروني دونك في هذا اليوم واخلفك ومن خالفني في أمري قتلته ، ففعل بختيار ذلك . فامر أبو نصر ان يحضروا اجانة ملوثة غسل الطبرزد^(٥) . فلما حضر غمس يدي بختيار في العسل ، ثم بدأ يداوي عينيه بالاشياش^(٦) الابيض الابيض ، وما يصلح الرمد . وجعل بختيار يصيح بالغلمان فلا يجيبه أحد . ولم يزل كذلك يكمل الى آخر النهار فبرى . وكان هو السفير بين بختيار والخليفة . واذا خرجت الخلع فقل يديه تخرج ، وله فيها السهم الاوفر .

أبو الحسين بن كسكرايا

كان طبيباً عالماً مشهوراً بالفضل والافتان لصناعة الطب ، وجودة المزاولة لاعمالها . وكان في خدمة

(١) الخليفة الثالث والمشرعون العباسي وكنت ضيفاً فتمردت عليه مصر وفارس فتنازل عن الخلافة (٩٤٦ - ٩٧٤)

(٢) الخليفة الرابع والمشرعون العباسي وبلغت في ايامه سلطة بني بويه ارجبا بقره جاء الدولة عليه وخلفه (٩٧٤ - ٩٩١)

(٣) مغرب تبرزد وهو يطلق على نوع من التمر خلادته ويقال سكر طبرزد وهو السكر المعروف بسكر الثبات .

(٤) واحدا شيف وهو للشوك يكون يوغر عيب التشل .

« ن . د »

الامير سيف الدولة^(١) بن حمدان. ولا بنى عضد الدولة البيارستان المنسوب اليه ببغداد ، استخدمه فيه وزاد حاله . وكان أبو الحسين بن كشكرايا كثير الكلام ، يجب أن يحجل الاطباء بالمسألة والتهميم . وكان له أخ راهب ، وله حقنة تنفع من قيام الاغراس والمواد الحادة ، ويعرف بصاحب الحقنة . وكان أبو الحسين بن كشكرايا قد اشتغل بصناعة الطب على سفان بن ثابت بن قرة ، وكان من أجل تلامذته . ولاي الحسين بن كشكرايا من الكتب : كناش المعروف بالحاري . كناش آخر باسم من وضعه اليه .

أبو يعقوب الاهوازي

كان مشكوراً في صناعة الطب ، جليل الطريقة . وكان من جملة الاطباء الذين جعلهم عضد الدولة في البيارستان الذي أنشأ ببغداد ، ويعرف به . ولاي يعقوب الاهوازي من الكتب : مقالة في أن السكتنجين البزوري أحر من الترياق .

نظيف القس الرومي

كان خبيراً باللغات ، وكان ينقل من اليوناني الى العربي ، وكان يعد من الفضلاء في صناعة الطب ، واستخدمه عضد الدولة في البيارستان الذي أنشأ ببغداد . وكان عضد الدولة يتطير^(٢) منه وكان الناس يولعون به اذا دخل الى مريض . حتى حكي في بعض الاوقات ان عضد الدولة أنفذه الى بعض القواد في مرض كان عرض له ، فلما خرج من عند القائد استدعى بثقته وأنفذه الى حاجب عضد الدولة يستعمل منه نية الملك فيه ، ويقول ان كان ثم تغير نية فلأخذ له الأذن في الانصراف والبصد ، فقد قتل لما جرى ، فقال الحاجب عن ذلك وسببه . فقال الفلام : ما أعرف أكثر من انه جاءه نظيف الطبيب وقال له : يا مولانا الملك أنفدني لميادتك . فمضى الحاجب ، وأعاد بحضرة الملك عضد الدولة هذا الحديث فضحك ، وأمره أن يمضي اليه ويعمله بحسن نيته فيه ، وان ذلك أشغل قلبه فأنفذه اليه ليعوده . وحملت اليه خلع سنية فسكنت بها نفسه ، وزال عنه ما كان أضره من شغل القلب ، وكان دائماً يولع به بسببها .

أبو سعيد الياهي

كان مشهوراً بالفضل والمعرفة متقناً لصناعة الطب ، جيداً في أصولها وفروعها ، حسن التصنيف . ولاي سعيد الياهي من الكتب : شرح مسائل حنين ، مقالة في امتحان الاطباء ، وكيفية التمييز بين طبقاتهم .

(١) صاحب حلب واشتهر بالشفاعة في الحروب وحمائته للمسلم والادب منهم الثني . ابو فراس والقفاري . وقدم اليه ابو الفرج الاصبهاني كتابه الاغانى (٩١٦ - ٩١٤)
(٢) يشاء . (ن.د)

أبو الفرج بن أبي سعيد البجلي

كان فاضلاً في الصناعة الطبية متميزاً في العلوم الحكمة . اجتمع بالشيخ الرئيس ابن سينا وجرت بينهما مسائل كثيرة في صناعة الطب وغيرها . ولابي الفرج بن أبي سعيد البجلي من الكتب رسالة في مسألة طيبة دارت بينه وبين الشيخ الرئيس ابن سينا .

أبو الفرج يحيى بن سعيد بن يحيى

كان طبيباً مشهوراً عالماً بصناعة الطب جيداً في أعمالها .

نقلت من خط ابن بطلان في مقاله في علّة نقل الاطباء المهرة تدبير أكثر الأمراض التي كانت تعالج قديماً بالادوية الحارة الى التدبير المبرد كالفالج والقوة والاسترخاء وغيرها ، وغالفتهم في ذلك لمسطور القدماء ، قال : حدثني الشيخ الفاضل أبو الفرج يحيى بن سعيد بن يحيى الطبيب بإنطاكيا قال : وهذا السيد في زماننا علم في العلم ، مقدم في الديانة والمروءة ، وله تصانيف جليلة . قال ؛قال: ورد من القسطنطينية غلام للملك رومي شاب به سوء مزاج حار وجسّاً في طعاله ، وسعنته حائلة لغلبة الصفراء ، وكان ماؤه أحمر في أكثر الاوقات ، وبه عطش ، فسقاه طبيب دواء مسلاً ثم فصدّه وسقاه دواء مقبياً فساءت حاله ، وادخله طبيب رومي الحمام ولطخ جميع جسمه بالثورة ولطخه بعد ذلك بمسل محل والزّم معدته حماداً حاراً فأحدث مزاجه ، وكثر عطشه ، وبطلت شهوته وعرض له في الحال فالج في الشقّ الأيمن ، فسقي مرءاء الشعير كثيراً فصلحت حاله من الاسترخاء في تمام الاربعين . ثم وقف طبيعه فحقن فقام دفعات ، وجاءه دم أسود غليظ فلم يجد له نفعاً ، ثم انقطعت شهوته واستولى عليه القيام والسهر فمات في الستين .

أبو الفرج بن الطبيب

هو الفيلسوف الامام العالم أبو الفرج عبد الله بن الطبيب ، وكان كاتب الجائليق ومتميزاً في النصراري ببغداد ، ويقرىء صناعة الطب في البجارسن العسدي ، ويعالج المرضى فيه . وجدت شرحه لكتاب جالينوس الى اغلوت وقد قرىء عليه ، وعليه الخط بالقراءة في البجارسن العسدي في يوم الخميس الحادي عشر من شهر رمضان سنة ست واربعائة ، وهو من الاطباء المشهورين في صناعة الطب وكان عظيم الشأن ، جليل المقدار ، واسع العلم ، كثير التصنيف ، خبيراً بالفلسفة ، كثير الاشتغال فيها . وقد شرح كتباً كثيرة من كتب ارسطوطاليس في الحكمة وشرح أيضاً كتباً كثيرة من كتب ابقراط وجالينوس في صناعة الطب . وكانت له مقدرة قوية في التصنيف وأكثر ما يوجد من تصانيفه كانت تنقل عنه إملاء من لفظه . وكان معاصراً للشيخ الرئيس بن سينا . وكان الشيخ الرئيس يحمّد

(١) يبي رصلاة وظلط .

كلامه في الطب . وأما في الحكمة فكان يذمه .

ومن ذلك قال في مقالته في الرد عليه ما هذا نصه : انه كان يقع اليها كتب يعملها الشيخ أبو الفرج ابن الطبيب في الطب ، ونجدها صحيحة مرضية خلاف تصانيفه التي في المنطق والطبيعات وما يجري معها .

وحدثني الشيخ موفق الدين يعقوب بن اسحق بن الغف النصراني ، ان رجلين من بلاد المعجم كانا قد قصدا بغداد للاجتماع بأبي الفرج بن الطبيب والقراءة عليه ، والاشتغال عنده ، ولما وصلا دخلا بغداد وسالا عن منزل أبي الفرج فقبل لهما انه في الكنيسة للصلاة ، فتوجها نحوه ودخلا الكنيسة . فلما قبل لهما انه ذلك الشيخ وكلف ابن الطبيب في ذلك الوقت لباساً ثوب صوف ، وهو مكشوف الرأس وببسة مبخرة بسلال وفيها ثار وبخور ، وهو يدور بها في لوحات الكنيسة ويبخر ، تأملاه ونجدنا بالفارسية ونقيا يديان النظر اليه ويتمجبان منه أنه على هذه الهيئة ويفعل هذا الفعل ، وهو من أجل الحكماء ، وسعته في أقاصي البلاد بالفلسفة والطب ، وفهم عنها ما هما فيه . ولما فرغ وقت الصلاة وخرج الناس من الكنيسة خرج أبو الفرج بن الطبيب ولبس ثيابه المعتاد لبسها ، وقدمت له البغلة فركب والنفان حوله ، وتبعاه أولئك المعجم الى داره وعرفاه انها قاصدان اليه من بلاد المعجم للاشتغال ، وأن يكونا من جملة تلاميذه . فاستحضرا في مجلسه وسمعا كلامه ودرسوا المشتغلين عليه ثم قال لهما : كنيتا حبيبتا قط ؟ قالوا لا فاطلها بالقراءة الى أوان الحج ، وكان الوقت قريباً منه . فلما نودي بالحج قال لهما ان كنيتا تريدان أن تقرأ علي وأن أكون شيخكما فحسبا ، وإذا جئتما مع السلامة ، ان شاء الله ، يكون كل ما تريدان مني في الاشتغال علي . فقبل أمره وحسبا ، ولما عاد الحاج جاءه اليه من أثر الحج وهما أفرعان وقد غلب الشحوب عليهما من حر الشمس والطريق ، فسألهما عن مناسك الحج وما فعلا فيها ، فذكرا له سورة الحال . وقال لهما : لما رأيتهما الجمار بقيتا عراة موشحين وبأنديكما الحجارة ، وأنتا تهرولان وعرميان بها ؟ قالوا : نعم . فقال : هكذا الواجب ان الأمور الشرعية تؤخذ نفلا لا عقلا . وما كان قصده بذلك ، وانه أمرهما بالحج الا حين يتبين لهما ان الحال التي رأياه عليهما وتمجبا من فعله ان ذلك راجع إلى الأوامر الشرعية ، وهي فانما تؤخذ من أربابها متسلسلة ممثلة في سائر الملل . ثم اشتغلا عليه بعد ذلك الى أن تميزا وكانا من أجل تلاميذه .

وقال أبو الخطاب محمد بن محمد أبي طالب في كتاب « الشامل في الطب » : ان أبا الفرج بن الطبيب أخذ عن ابن الجار ، وخلف من التلاميذ : أبا الحسن بن بطلان ، وابن بدرج ، والهروري ، وبني حيون ، وأبا الفضل كشيقات ، وابن أودي ، وعبدان ، وابن مصوصا ، وابن الملق .

قال : وكان في عصر أبي الفرج من الأطباء : صاعد بن عيادوس ، وابن تلاح ، وحسن الطبيب ، وبنوسنان ، والثناي . وعنه أخذ : ابن سينا ، وأبو سعيد الفضل بن عيسى الباهلي . وذكر لي انه من تلاميذه : ابن سينا ، وعيسى بن علي بن إبراهيم بن هلال الكاتب ، وأظنه يكنى بكس ، وعلي بن عيسى الكحال ، وأبو الحسين البصري ، ورجاء الطبيب من أهل خراسان ، وزهرون .

ولابي الفرج بن الطبيب من الكتب : تفسير كتاب قاطنوريس لارسطوطاليس . تفسير كتاب بارمينياس لارسطوطاليس . تفسير كتاب انطوطيقا لارسطوطاليس . تفسير كتاب انطوطيقا الثانية لارسطوطاليس . تفسير كتاب طويقا لارسطوطاليس . تفسير كتاب سوفسطيا لارسطوطاليس . تفسير كتاب الخطابة لارسطوطاليس . تفسير كتاب الشعر لارسطوطاليس . تفسير كتاب الحيوان لارسطوطاليس . تفسير كتاب ابيديا لابقرات . تفسير كتاب الفصول لابقرات . تفسير كتاب طبيعة الانسان لابقرات . تفسير كتاب الاخلاط لابقرات . تفسير كتاب الفرق جالينوس . تفسير كتاب الصناعة الصغيرة جالينوس . تفسير كتاب النبض الصغير جالينوس . تفسير كتاب اغلاق جالينوس . تفسير كتاب الاسطقسات جالينوس . تفسير كتاب المزاج جالينوس . تفسير كتاب القوى الطبيعية جالينوس . تفسير كتاب التشريح الصغير جالينوس . تفسير كتاب العلل والاعراض جالينوس . تفسير كتاب تعرف علل الاعضاء الباطنة جالينوس . تفسير كتاب النبض الكبير جالينوس . تفسير كتاب الحميات جالينوس . تفسير كتاب البعران جالينوس ، تفسير كتاب أيام البعران جالينوس ، تفسير كتاب حمة البرد جالينوس . تفسير كتاب تدابير الاصحاء جالينوس . ثار السنة عشر كتاباً جالينوس . وهو اختصار الجوامع .

شرح ثار مسائل حنين بن اسحق املاه سنة خمس واربعمائة . كتاب النكت والثار الطبية والفلسفية . تفسير كتاب ايساغوجي لفرقوريوس . مقالة في القوى الطبيعية . مقالة في الملة لم جعل لكل خلطدواء يستقرغه ، ولم لم يحمل للدم دواء يستقرغه مثل سائر الاخلاط . تالمق في العين . مقالة في الاسلام وتفصيل الصحيح منها من السقم على مذهب الفلسفة . مقالة في عراف اخبر بما ضاع وذكر الدليل على صحته بالشرح والطب والفلسفة . مقالة أملاها في جواب ما سئل عنه من ابطال الاعتقاد في الاجزاء التي لا تنقسم ، وهذا السؤال سأل اياه ظافر بن جابر السكري . ووجدت بخط ظافر بن جابر السكري على هذه المقالة ما هذا مثاله ، قال : هذه الكراسة بخط سيده الأستاذ الأجل أبي نصر محمد بن علي بن برزج تلميذ الشيخ أبي الفرج أملاها الشيخ أبو الفرج . أطال الله بقاءه ونكب أعداءه . عليه ببغداد . وكان السبب في ذلك ظافر بن جابر بن منصور السكري الطبيب ، وهي الدستور بعينها . شرح كتاب منافع الاعضاء جالينوس . مقالة مختصرة في الحبة ، شرح الانجيل .

ابن بطلان

هو أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان . نصراني من أهل بغداد ، وكان قد اشتغل على أبي الفرج عبدالله بن الطبيب وتلمذ له ، وأثنى عليه قراءة كثير من الكتب الحكيمة وغيرها . ولزم أيضاً أبا الحسن ثابت بن ابراهيم بن زهرون الحارثي الطبيب واشتغل عليه وانتفع به في صناعة الطب وفي مزاوله أعمالها .

وكان ابن بطلان معاصراً لملي بن رضوان الطبيب المصري ، وكانت بين ابن بطلان وابن رضوان

المراسلات المعجبية والكتب البدئية الغربية، ولم يكن أحد منهم يؤلف كتاباً ولا يبتدع رأياً إلا ويرد الآخر عليه ، ويسفه رأيه فيه . وقد رأيت أشياء من المراسلات التي كانت فيما بينهم ، وقانص بعضهم في بعض .

وسافر ابن بطلان من بغداد الى ديار مصر قصداً منه الى مشاهدة علي بن رضوان والاجتماع به ، وكان سفره من بغداد في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ولما وصل في طريقه الى حلب أقام بها مدة وأحسن اليه معز الدولة نبال بن صالح بها وأكرمه أكراماً كثيراً . وكان دخوله القسطنطينية^(١) في مستقبل جادى الآخرة من سنة احدى وأربعين وأربعمائة ، وأقام بها ثلاث سنين ، وذلك في دولة المستنصر^(٢) بالله من الخلفاء المصريين . وجرت بين ابن بطلان وابن رضوان وقائع كثيرة في ذلك الوقت ، وروادر ظريفة لا تحصى من فائدة . وقد تضمن كثيراً من هذه الاشياء كتاب ألفه ابن بطلان بعد خروجه من ديار مصر واجتماعه بابن رضوان . ولاين رضوان كتاب في الرد عليه . وكان ابن بطلان أعذب ألفاظاً وأكثر ظرفاً وأميز في الادب وما يتعلق به . وبما يدل على ذلك ما ذكره في رسالته التي وممها دعوة الأطباء : وكان ابن رضوان أعطب وأعلم بالعلوم الحكمية وما يتعلق بها .

وكان ابن رضوان أسود اللون ولم يكن بالجميل الصورة . وله مقالة في ذلك رد فيها على من عيره بصبغ الخلقة . وقد بين فيها ، بزعمه ، أن الطبيب الفاضل لا يجب أن يكون وجهه جليلاً . وكان ابن بطلان أكثر ما يقع في علي بن رضوان من هذا القبيل وأشباهه ، ولذلك يقول فيه في الرسالة التي وممها دعوة الأطباء .

فلما تبدى للقوايل وجهه نكصن^(٣) على أعقابين من الندم
وقلن وأخفين الكلام تساراً : ألا ليتنا كنا تركناه في الرحم

(الطويل)

وكان يلقبه بتساح الجن ، وسافر ابن بطلان من ديار مصر الى القسطنطينية وأقام بها سنة وعرضت في زمنه أوباء كثيرة .

ونقلت من خطه فيما ذكره من ذلك ما هذا مثاله ، قال : « ومن مشاهير الأوباء في زماننا الذي عرض عند طلوع الكوكب الآباري في الجوزاء من سنة ست وأربعين وأربعمائة ، فان في تلك السنة دفن في كنيسة لوقا بعد ارب امتلأت جميع المدافن التي في القسطنطينية أربعة عشر ألف نسمة في الحريق . فلما توسط الصيف في سنة سبع وأربعين لم يوف التيل ، فمات في القسطنطينية والشام أكثر أهلها ، وجميع الثوباء إلا من شاء الله . وانتقل الوباء الى العراق فأثى على أكثر أهلها ، واستولى عليه

(١) اول مدن المسلمين في مصر بنماها عمر بن العاص (٦٣٩) وكان موقعا بين القاهرة ومصر العتيقة وتسمى الآن امبابه .

(٢) الخليفة الفاطمي الثامن ملك مصر سنة ٥٨٠ هـ دولة مغربية الاطراف (د.ن)

(٣) رجع عما كان عليه .

الخراب يطروق العساكر المتبادية ، واتصل ذلك بها الى سنة أربع وخمسين وأربعمائة . وعرض للناس في اكثر البلاد قروح سوداوية وأورام الطحال ، وتغير ترتيب فئات الحيات ، واضطرب نظام البحارين ، فاختل علم القضاء في مقدمة المعرفة

وقال أيضاً بعد ذلك : ولان هذا الكوكب الاثري طلع في برج^(١) الجوزاء وهو طالع مصر أوقع الزوال في الفسطاط بنقصان النيل في وقت ظهوره في سنة خمس وأربعين وأربعمائة . وصح انذار بطليموس الغائل : الويل لأهل مصر اذا طلع أحد فوات الذوائب ، وانجهم^(٢) في الجوزاء . ولما نزل زحل^(٣) برج السرطان^(٤) تكامل خراب العراق والموصل^(٥) والجزيرة^(٦) ، واختلت ديار بكر وريمية ومضر وفارس وكرمان^(٧) وبلاد المغرب واليمن والفسطاط والشام ؛ واضطربت أحوال ملوك الارض ، وكثرت الحروب والغلاء والوباء ، وصح حكم بطليموس في قوله : « ان زحل والمريخ^(٨) متى اقتربا في السرطان زلزل العالم . »

ونقلت أيضاً من خط بن بطلان ، فيا ذكره من الاوباء العظيمة العارضة العلم بفقد العلماء في زمانه قال : ما عرض في مدة يضع عشرة سنة وفاة الأجل المرتضى والشيخ أبي الحسن البصري ، والفقهاء أبي الحسن القدوري^(٩) ، وأقضى الغضاة الماوردي^(١٠) ، وابن الطيب^(١١) الطبري ، على جماعتهم وضوان الله ؛ ومن أصحاب علوم القدماء أبو علي بن^(١٢) الهيثم وابو سعيد البجلي ، وأبو علي بن السمح ، وصاعد الطيب وابو الفرج عبد الله بن الطيب ؛ ومن متقدمي علوم الادب والكتابة : علي ابن عيسى الربيعي ، وابو الفتح التنيسابوري ، وصيار^(١٣) الشاعر ، وأبو الملا بن زياد ، وأبو علي ابن موصلايا ، والرئيس ابو الحسن الصابي ، وأبو الملا^(١٤) للمري . فانطفأت سرج العلم وبقيت

(١) برج من ابراج السماء عند الفلكيين .

(٢) أصبح جيئاً ، واجلهم الكالغ من الوجوه .

(٣) كوكب يحيط به منطقة نيرة .

(٤) البرج الرابع من ابراج السماء .

(٥) لواء في العراق ومدينة لقبث بالحلج موقعها على نهر دجلة بالقرب من انتفاش نينوى .

(٦) بلاد بين دجلة والفرات وتعرف ببلاد ما بين النهرين القسم الشمالي الغربي منها يسمى الجزيرة الجنوبية الشرقي العراق .

(٧) قاعدة القلح كرماني في ايران .

(٨) كوكب من الكواكب السيارة واقربا الى الشمس .

(٩) ابو الحسين احمد بن حمدان البغدادي الحنفي فقيه نسب الى صنعة القدور (٩٧٢ - ١٠٣٧) .

(١٠) ابو الحسن علي المصري البغدادي فقيه شافعي تولى القضاء واستوطن بغداد وتوفي فيها (٩٩١ - ١٠٣١) وله تصانيف كثيرة .

(١١) فقيه شافعي ولد في آمل وتعلم في ليسانبور وبغداد . اتى بمقت جلال الدولة على لقب ملك الملوك تامل القضاء

(١٢) ٩٥٩ - ١٠٥٨

(١٣) من علماء العرب في الرياضيات والفلسفة ارسطو (٩٦٥ - ١٠٣٩

(١٤) صيار بن مرزويه الديلمي كان عروبياً واسلم على يد الشريف الرضي وتخرج عليه في الشعر . توفي في بغداد ١٠٣٧ .

(١٥) ولد في مرة التيمان ٩٧٩ - ١٠٥٨ شاعر وفيلسوف ومفكر فقد بصره وهو في الرابعة من عمره . عاش

متمزلاً واهداً . وكان قوي الشعور ، فلب العقل ، لاذع الانتقاد .

المقول بعدم في الظلة .

أقول : ولأن بطلان أضرار كثيرة وفوائد طريفة ، وقد ضمن منها أشياء في رسالته التي وسعها دعوة الأطباء وفي غيرها من كتبه . وتوفي ابن بطلان ولم يتخذ امرأة ، ولا خلف ولدًا . ولذلك يقول من أبيات .

ولا أحد انت يبكي لميتي سوى مجلسي في الطب والكتب باكيا
(الطويل)

ولابن بطلان من الكتب : كمناش الاديرة والرهبان ، كتاب شراء العبيد وتقليب الممالك والجواري ، كتاب تقويم الصحة .مقالة في شرب الدواء المسهل ،مقالة في كيفية دخول الغذاء في البدن وهضمه وخروج فضلاته وسقي الادوية المسهلة وعكسها . مقالة الى علي بن رضوان عند وروده القسطنطين في سنة احدى وأربعين وأربعمائة ، جواباً عما كتبه اليه . مقالة في علة نقل الأطباء المهرة تدبير أكثر الامراض التي كانت تعالج قديماً بالادوية الحارة الى التدبير البارد ، كالفالج والقوة والاسترخاء وغيرها ، ومخالفهم في ذلك لمسطور القدماء في الكنائش والاقرباذينات ، وتدرجهم في ذلك بالعراق وما والاها على استقبال سنة سبع وسبعين وثلاثمائة والى سنة خمس وخمسين وأربعمائة . وصنف ابن بطلان هذه المقالة بانطاكيا في سنة خمس وخمسين وأربعمائة . وكان في ذلك الوقت قد اهل لبناء بيارستان انطاكية . مقالة في الاعتراض على من قال ان الفرج أحر من الفرج بطريق منطقية ، ألفها بالقاهرة في سنة احدى وأربعين وأربعمائة . كتاب المدخل الى الطب . كتاب دعوة الأطباء للفه للأمير نصير الدولة أبي نصر أحمد بن مروان ونقلت من خط ابن بطلان وهو يقول في آخرها : « فرغت من نسخها انا مصنفها يوانيس الطبيب المعروف بالهتاتار بن الحسن بن عبدون ، بدير الملك المتبحر قسطنطين ، بظاهر القسطنطينية في آخر ايلول من سنة خمس وستين وثلاثمائة وألف . » هذا قوله . ويكون ذلك بالتاريخ الاسلامي من سنة خمسين وأربعمائة . كتاب دعوة الأطباء . دعوة القسوس . مقالة في مداواة صبي عرضت له حصة .

الفضل بن جرير التكريتي

كان كثير الاطلاع في العلوم ، فاضلاً في صناعة الطب حسن العلاج . وخدم بصناعة الطب للأمير نصير الدولة بن مروان .

والفضل بن جرير التكريتي من الكتب : مقالة في أساء الأمراض واشتقاقها ، كتبها الى بعض اخوانه وهو يوحنا بن عبد المسيح .

أبو نصر يحيى بن جرير التكريتي

كان كاخيه في العلم والفضل والتدريز في صناعة الطب ، وكان موجوداً في سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة .

وليحيى بن جرير التكريتي من الكتب: كتاب الاختبارات في علم النجوم، كتاب في الباه ومنافع الجاه ومضاره . رسالة كتبها لكافي الكفاة أبي نصر محمد بن محمد بن جوير في مناقح الرياضة وجهة استعمالها .

ابن دينار

كان ميمافارقين في أيام الأمير نصير الدولة بن مروان ، وكان فاضلاً في صناعة الطب جيد المداواة خبيراً بتأليف الأدوية . ووجدت له اقرباًدينياً بديع التأليف ، بليغ التصنيف ، حسن الاختبار مرضي الاخبار . وابن دينار هذا هو الذي ألف الشراب المنسوب اليه المعروف بشراب الديناري المتداول استعماله المشهور بين الاطباء وغيرهم . وذلك مذكور في كتابه هذا يقول انه الذي ألفه ولابن دينار من الكتب : كتاب الاقرباءدين .

ابراهيم بن بكس

كان ماهراً في علم الطب ، ونقل كتباً كثيرة الى العربي ، ثم كف بصره ، وكان مع ذلك يحاول صناعة الطب ويزاولها بحسب ما هو عليه ، وكان يدرس صناعة الطب في البهارستان المضدي لا بناء عضد الدولة ، وكان له منه ما يقوم بكفايته .

ولابراهيم بن بكس من الكتب : كتابه ، كتاب الاقرباءدين اللحن بالكتاش ، مقالة بان الماء القراح ابرد من ماء الشعير ، مقالة في الجذري .

علي بن ابراهيم بن بكس

كان طبيباً فاضلاً عالماً بصناعة الطب مشهوراً بها جيد المعرفة بالنقل ، وقد نقل كتباً كثيرة الى العربي .

قسطا بن لوقا البعلبيكي

قال سليمان بن حسان : انه مسيحي النحلة ، طبيب حاذق ، نبيل ، فيلسوف ، منجم ، عالم بالهندسة والحساب . قال : وكان في أيام المقتدر بالله . وقال ابن التديم البغدادي الكاتب : ان قسطا كان بارعاً في علوم كثيرة منها الطب والفلسفة والهندسة والاعداد والموسيقى ، لا مطمئن عليه ، فصيحاً في اللغة اليونانية ، جيد العبارة بالعربية ، ووقفي بلومينية عند بعض ملوكها . ومن ثم أجاب أبا عيسى ابن المنجم عن رسالته في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وثم عمل : كتاب للفرديوس في التاريخ .

أقول : ونقل قسطا كتباً كثيرة من كتب اليونانيين الى اللغة العربية . وكلت جيد النقل فصيحاً باللسان اليوناني والسرياني والعربي واصلح نقولا كثيرة وأصله يوفاني . وله رسائل وكتب كثيرة في صناعة الطب وغيرها ، وكان حسن العبارة جيد التريخ .

وقال عبيد الله بن جبرائيل : ان قسطا اجتذبه سنحاريب الى ارمينية ^(١) وأقام بها ، وكانت بأرمينية أبو الفطريف البطريق من أهل العلم والفضل ، فعمل له قسطا كتباً كثيرة ، جليلة نافعة ، شريفة الماني ، غنصرة الألفاظ في اصناف من العلوم ، ومات هناك دفن وبني عليه قبة ، واكمم قبره كأكرام قبور الملوك ورؤساء الشرائع .

ولقسطا بن لوقا من الكتب : كتاب في اوجاج النقرس ، كتاب في الروائع وعلاها . رسالة الى ابي محمد الحسن بن غلد في احوال الباء واسبابه ، على طريق المسألة والجواب ، كتاب في الاعداء ألفه للبطريق قتي أمير المؤمنين . كتاب جامع في الدخول الى علم الطب الى ابي اسحق ابراهيم بن محمد المعروف بابن المدر . كتاب في التنبؤ وشربه في الولايم ، كتاب في الاسطقات . كتاب في السهر ، ألفه لأبي الفطريف البطريق مولى أمير المؤمنين ، كتاب في العطش ، ألفه لأبي الفطريف مولى أمير المؤمنين . كتاب في القوة والضعف ، كتاب في الأغذية على طريق القوانين الكلية ، ألفه لبطريق البطارقة ابي غانم العباس بن سباط كتاب في النبض ومعرفة الحيات وضروب البحرات ، كتاب في علة الموت فجاء ، ألفه لأبي الحسن محمد بن احمد ، كلب بطريق البطارقة ، كتاب في معرفة الحذر وأنواعه وعلاها وأسبابه وعلاجه ، ألفه لقاضي القضاة أبي محمد الحسن بن محمد . كتاب في أيام البهران في الامراض الحادة ، كتاب في الأخلاط الأربعة وما تشارك فيه . مختصر كتاب في الكبد وخلقتها وما يمرض فيها من الأمراض ، رسالة في المروحة وأسباب الريح . كتاب في مراتب قراءة الكتب الطبية ، كتبه الى ابي الفطريف البطريق ، كتاب في تدبير الابدان في سفر الحج ، ألفه لأبي محمد الحسن بن غلد ، كتاب في دفع ضرر السموم . كتاب في المدخل الى علم الهندسة ، على طريق المسألة والجواب ، ألفه لأبي الحسن علي بن يحيى مولى أمير المؤمنين . كتاب آداب الفلاسفة ، كتاب في الفرق بين الحيوان الناطق وغير الناطق ، كتاب في تولد الشعر ، كتاب في الفرق بين النفس والروح ، كتاب في الحيوان الناطق ، كتاب في الجزء الذي لا يتجزأ . كتاب في حركة الشريان ، كتاب في النوم والرويا ، كتاب في العضو الرئيس من البدن ، كتاب في البلغم ، كتاب في الدم ، كتاب في المرة الصفراء ، كتاب في المرة السوداء ، كتاب في شكل الكرة والاسطوانة ، كتاب في الهيئة وتركيب الافلاك ، كتاب في حساب الثلاثي على جهة الجبر والمقابلة ، كتاب في ترجمة ديوفنطس في الجبر والمقابلة ، كتاب في العمل بالكرة الكبيرة النجومية ، كتاب في الآلة التي ترم عليها الجوامع وتعمل منها النتائج ، كتاب في المنعة ، كتاب في المرايا المحرقة ، كتاب في الاوزان والمكاييل ، كتاب السياسة ، ثلاث مقالات ، كتاب المة في اسوداد الخيش وتغيره من الرش ، كتاب في القرسطون ، كتاب في الاستدلال بالنظر الى اصناف البول ، كتاب المدخل الى المنطق ، كتاب مذهب اليونانيين . رسالة في الحفص ، كتاب في شكوك كتاب اقليدس ، كتاب الفصد ، وهو أحد وتسعون باباً ألفه لأبي اسحق ابراهيم بن محمد المعروف بابن المدر . كتاب المدخل الى علم النجوم ، كتاب الحام ، كتاب الفردوس في التاريخ . رسالة في استخراج مسائل عدديات من المقالة الثالثة من اقليدس . تفسير ثلاث مقالات ونصف من كتاب برقفنطس في المسائل العددية ، كتاب «١» بلاد ذات الجهاد وجبال احمها اراورات جنوبي القفلس بمثلها نهر اراوس .

في عبارة كتب المنطق ، وهو المدخل الى كتاب أساغوجي ، كتاب أساغوجي ، كتاب في البخار رسالة الى ابي علي بن بنان بن الحرث . مولى أمير المؤمنين قيا سأل عنه من علل اختلاف الناس في اخلاقهم وسيرهم وشهواتهم واختياراتهم ، مسائل في الحدود على رأي الفلاسفة .

مسكويه^(١)

هو ابو فاضل في العلوم الحكيمة متميز فيها خبير بصناعة الطب ، جيد في أصولها وفروعها . ولمسكويه من الكتب : كتاب الاشربة ، كتاب الطبسج ، كتاب تهذيب الاخلاق .

أحمد بن أبي الاشعث

هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي الاشعث ، كان وافر العقل ، شديد الرأي محباً للخير ، كثير السكينة والوقار ، متفهماً في الدين . وعمره عراً طويلاً ، وله تلاميذ كثيرة . وكان فاضلاً في العلوم الحكيمة متميزاً فيها : وله تصانيف كثيرة في ذلك تدل على ما كان عليه من العلم وعلم المنزل . وله كتاب في العلم الالهي في نهاية الجودة وقد رأيت بخطه . رحمه الله تعالى . وكان عالماً بكتب جالينوس خبيراً بها ، متعلماً على اسرارها ، وقد شرح كثيراً من كتب جالينوس . وهو الذي فصل كل واحد من الكتب الستة عشر التي لجالينوس الى جمل وابواب وفصول ، وقسمها تقسماً يسبقه الى ذلك أحد غيره . وفي ذلك معونة كثيرة لمن يشتغل بكتب الفاضل جالينوس ، فانه يسهل عليه كل ما يلتصق منها ، وتبقى له اعلام تدله على ما يريد مطالعته من ذلك ، ويتمتع به كل قسم من أقسام الكتاب وما يشتمل عليه وفي اي غرض هو . وفصل أيضاً كذلك كثيراً من كتب ارسطوطاليس وغيره ، وجملة مصنفات أحمد بن أبي الاشعث في صناعة الطب وغيرها . كل منها تام في معناه لا يوجد له نظير في الجودة .

ونقلت من كتاب عبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع قال : ذكر لي من خبر احمد بن أبي الاشعث ، رحمه الله ، انه لم يكن منذ ابتداء عمره يتظاهر بالطب ، بل كان متصرفاً وصوراً ، وكان أصله من فارس ، فخرج من بلده هارباً ودخل الموصل بحالة سيئة من العري والجوع . واتفق انه كان لناصر الدولة ولد عليل في حالة من قيام الدم والاغراس ، وكان كلما عالجته الاطباء ازداد مرضه ، فتوصل الى ان دخل عليه وقال لاه أنا عالجته . وبدأ يريها غلط الاطباء في التدبير ، فسكنت اليه ، وعالجته فبراً ، وأعطني وأحسن اليه . وأقام بالموصل الى آخر عمره ، واتخذ له تلاميذ عدة ، الا أن الحاصل به والمتقدم عنده كان أبو الفلاح . وبرع في صناعة الطب .

اقول : وكانت وفاة أحمد بن أبي الاشعث ، رحمه الله ، في سنة ثلثمائة ونيّف وستين للهجرة ،

(١) هكذا في الأصل والاصح هو ابن مسكويه وله من الكتب غير المذكورة هنا كتاب « تجارب الأمم » في التاريخ وصل به الى حواشي سنة ٩٨٠ .

وكان له عدة اولاد ، والذي وجدته مشهوراً منهم في صناعة الطب محمد .

ولاحد بن أبي الاشعث من الكتب : كتاب الأدوية المفردة ، ثلاث مقالات ، وكان السبب الباعث له على تصنيفه قوم من تلامذته سألوه ذلك وهذا نص كلامه في صدر الكتاب : قال : « سألني أحمد بن محمد البلدي أن أكتب هذا الكتاب ، وقديماً كان سألني محمد بن ثواب ، فتكلمت في هذا الكتاب بحسب طبقتها وكتبتها اليها وبدأت به في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ، وهما في طبقة من تجاوز تعلم الطب ، ودخلا في جملة من يتفقه فيما علم من هذه الصناعة ويفرع ويقيس ويستخرج ، وإلى من في طبقتها من تلامذتي ومن إثمٌ بكثي . فإن من أراد قراءة كتابي هذا ، وكان قد تجاوز حد التعليم إلى حد التفقه ، فهو الذي يلتفت به ويحظى بمله ، ويعتد أن يستخرج منه ما هو فيه بالقوة مما لم اذكره ، وإن يفرغ على ما ذكرته ويشيد . وهذا قولي لجمهور الناس دون ذوي القرائح الافراد ، التي يمكنها تلهم هذا وما فوقه بقوة النفس الناطقة فيهم . فإن هؤلاء تسهل عليهم المشقة في العلم ، ويقرب لديهم ما يطول على غيرهم . » كتاب الحيوان . كتاب في العلم الالهي ، مقالاتان فرغ من تأليفه في ذي القعدة سنة خمس وخمسين وثلاثمائة . كتاب في الجديري والحصبية والحمية ، مقالاتان . كتاب في السراسم والبرسام ومداواتها ، ثلاث مقالات ، صنفه لتلميذه محمد بن ثواب الموصل ، أمله عليه أملاء من لفظه ، وكتبه عنه بخطه ، وذكر تاريخ الأملاء والكتابة في رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة . كتاب في القولنج وأصنافه ومداواته والأدوية النافعة منه ، مقالاتان . كتاب في اللبرس واللبق ومداواتها ، مقالاتان . كتاب في الصرع وكتاب آخر في الصرع . كتاب في الاستسقاء . كتاب في ظهور الدم ، مقالاتات . كتاب المايخوليا . كتاب تركيب الأدوية . مقالة في النوم واليقظة . كتبها إلى أحمد بن الحسين ابن زيد بن فضالة البلدي بحسب سؤاله على لسان عزور بن الطيب اليهودي البلدي . كتاب الفاذي والمفتدي ، مقالاتان ، فرغ من تأليفه بقلمه برقي من ارمينية في صفر سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة . كتاب امراض المعدة ومداواتها . شرح كتاب الفرق لجالينوس ، مقالاتان ، فرغ منه في رجب سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ، شرح كتاب الحبيات لجالينوس .

محمد بن ثواب الموصل

هو أبو عبدالله محمد بن ثواب بن محمد ، ويعرف بابن التلاج ، من أهل الموصل ؟ فاضل في صناعة الطب ، خبير بالعلم والعمل . وشيخه في صناعة الطب أحمد بن أبي الاشعث ، لازمه واشتغل عليه وتميز . وكتب بخطه كتباً كثيرة .

أحمد بن محمد البلدي

هو الشيخ أبو العباس احمد بن محمد بن يحيى من مدينة بلد ^(١) . وكان خبيراً بصناعة الطب ، حسن

«١» مدينة الجزيرة ارم مدينة بارس .

العلاج والمداواة ، وكان من أجل تلامذة أحد بن أبي الاشعث . لازمته مدة سنين واشتغل عليه وتميز .
ولاحد بن محمد البلدي من الكتب : كتاب تدبير الحبال والاطفال والصبيان وحفظ صحتهم
ومداواة الامراض المارضة لهم ، صنف للوزير أبي الفرج يعقوب بن يوسف المعروف بابن كلث^(١)
وزير العزيز بالله في الديار المصرية .

ابن قوسين

كان طبيباً مشهوراً في زمانه ، وله دراية بصناعة الطب ، ومقامه بالموصل . وكان يهودياً وأسلم ،
وعمل مقالة في الرد على اليهود .
ولابن قوسين من الكتب ، مقالة في الرد على اليهود .

علي بن عيسى وقيل عيسى بن علي الكحال

كان مشهوراً بالحدق في صناعة الكحل متميزاً فيها وبكلامه يقتدى في أمراض العين ومداواتها .
وكتابه المشهور « تذكرة الكحالين » هو الذي لا يبدل لكل من يعاني صناعة الكحل أن يحفظه ،
وقد اقتصر الناس عليه دون غيره من سائر الكتب التي قد الفت في هذا الفن وصار ذلك مستمراً
عندهم ، وكلام علي بن عيسى في أعمال صناعة الكحل أجود من كلامه فيما يتعلق بالأمور العلمية وكانت
وفاته سنة ٢٠١^(٢) وأربعمئة . ولعلي بن عيسى من الكتب : كتاب تذكرة الكحالين ، ثلاث مقالات .

ابن الشبل البغدادي

هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن يوسف بن شبل ، مولده وملتؤه ببغداد ، وكانت حكيماً
فيلسوفاً ، ومتكلماً فاضلاً ، وأديباً بارعاً ، وشاعراً مجيداً ، وكانت وفاته ببغداد سنة أربع وسبعين
وأربعمئة .

ومن شعر قاله في الحكمة ، وهذه القصيدة من جيد شعره ، وهي تدل على قوة اطلاع في العلوم
الحكيمة والاسرار الالهية . وبعض التماس ينسبها الى ابن سينا وليست له وهي هذه ،
يربك أيها الفلك المدار
مدارك ، قل لنا في أي شيء
وفيك نرى القضاء ، وهل فضاء
وعندك ترفع الارواح أم هل
وموج ، ذا المجرة أم فرند ،
وفيك الشمس راقعة شعاعاً
اقصد ذا المير أم اضطراب
ففي أفهامنا منك ابتهاج
سوى هذا القضاء ، به تدار
مع الاجساد يدركها النوار
على لجج الدروع له أوار
بأجنحة قوادمها^(٣) قصار

(١) يروي من اهل بغداد اشتهر بإخارته المالية ثم أسلم واصبح حجة في العلوم الاسلامية ١٢٠ - ١١٩ « ٥٠٠ »

(٢) بياض بالأصل .

(٣) كبار الريش وهي التي في مقدمة الجناح وضدها الخروافي .

هلا لك أم يد فيها سوار
عليها المرح^(١١) يقدم والمغار^(١٢)
تؤلف بينه الحجج - النزار
نهاراً ، مثل ما طوي الأزار
وما يصدى لها أبداً غرار
وتكلس^(١٣) مثل ما كلس الصور^(١٤)
تلقاها من القرب المحدار
طوال منى وآجال قصار
لها أنفاسنا أبداً شفار
كما للفنن بالورد انتشار
غذاه من فرائبها طوار^(١٥)
هي الصبابة ما جرحت جبار
بغير غد لإليه ينأ يسار
لروع المرء في الجسم انتشار
حسوماً عن مجامعها تطار
فكم بالقرب عاد لها نثار
يلذب ماله منه اعتدار
وما نفع السجود ولا الجوار
قارب الساقيات له شمار
من الكلمات للذنب اشتعار
يُمَيَّر ما تلا ليل نهار
وحل بآدم وبنا الصغار^(١٦)
ولا صجل أفضل ولا خوار^(١٧)

وطوق في النجوم من الليالي ،
وشهب ذا الخواطف أم ذبال
وتصيح نجومك أم حباب^(١٨)
تعد رقومها ليل ، وتطوي
فكم بصقالها^(١٩) صدي البرايا
تباري ثم تحلس^(٢٠) راجعات
فبيننا الشرق يقدمها صوداً
على ذا ما مضى وعليه يمضي
وأليم تعرفنا مداهما
ودهر ينثر الاعمار نقرأ
ودنيا كلها وضعت جنينا
هي العشواء ما خبطت مشم
فمن يوم بلا أمس ليوم
ومن نفسين في أحد ورد
وكم من بعد ما ألفت نفوس
ألم تلك بالجوارح آنسات
فان يك آدم أشقى بنيه
ولم ينفعه بالاسماء علم
فلخرج ثم أميط ثم أودي
فأدركه بعلم الله فيه
ولكن بعد غفران وعفو
لقد بلغ العدو بنا مناه
وتتنا ضائمين ، كقوم موسى

(١) شجر رقيق سريع الري يقتدح به .

(٢) شجر ينشد منه الزهد .

(٣) القفاقيص التي تملأ الماء أو الحار .

(٤) حقل الشيء : جلده وملسه .

(٥) تأنس وتقبض .

(٦) قبيب وتستنقر .

(٧) قطيع البئر .

(٨) وأحدها ظئر وهي المنطقة على غير ولدتها المرشمة له .

(٩) الذل والقمع .

(١٠) صوت البئر ويطلق أيضاً على صوت التنم والظبية والملمم .

علينا نعمة وعليه عار !
ويذبح في حشا الأم الحوار^(١)
وبعد ، فبالرعيد لنا انتظار ؟
«خروج للشبأحوجه الوجار^(٢)
لغير الموجدن به الحيار ؟
تخير قبله أو نستشار .
وهذا الكسر ليس له الحيار ؟
وليس لعمق جرحهم انسبار
وغال كواكب الليل انتثار^(٣) ،
وطوح بالسماوات انقطار ،
لحيرتها ، وعطلت العشار^(٤) ،
خسوف للتوعد لا سرار^(٥) ،
مهبيلات . وسجرت البحار ،
وآين مع الرجوم لنا اصطبار ؟
يراد بنا ، وآين الاعتبار ؟
ضياؤك من سناه مستعار ؟
فقم يقول ألجمها انكدار ؟
دخاناً ما لقاره^(٦) شرار ،
دجهاا فهي للاموات دار .
ولا لسمو ما أرسى قرار ،
لذني الالباب وعظ وازدجار .
(الوافر)

فبا لك أكلة ما زال منها
تخاقب في الظهور وما ولدا
ونتظر الرزايا والبلايا ،
ونخرج كارهين كما دخلنا
فإذا الامتنان على وجود
وكانت أنما لو أن كونا
أهذا الداء ليس له دواء ،
تخير فيه كل دقيق فهم
إذا التكوير^(٧) غال الشمس عنا ،
وبدلنا بهذي الارض أرضا ،
وأذهلت المراضع عن بليها
وغشى البدر ، من فرق وذعر ،
وسيرت الجبال فكن كسبا
فأين ثبات ذي الالباب منا
وآين عقول ذي الافهام ما
وآين يقبب لب كالت فينا
وما أرض عصته ولا مياه ،
وقد وافته طائفة ، وكانت
قضاها سبعة والأربع مهادا
فما لسمو ما أهلا انتهبنا
ولكن كل ذا التهويل فيه

وقال يرثي أخاه أحد :

غاية الحزن والسرور انقضاء ،
ما لحى من بعد ميت بقاء .

«١» ولد الناقة قبل أن يفصل عنها .

«٢» الجحر .

«٣» التلقيب على جهة الاستدارة أي يلف حولها فتدب .

«٤» التفرق كطلب المتور .

«٥» النبايق الحاملات القواني مضى على حلين عشرة اشهر أو ثمانية واحدها عشرة وهي كالنفساء من اللداء

«٦» د . ن . ر .

«٧» آخر ليلة من الشهر .

«٨» البشيل الذي يضيق على أهله .

لا ليبد (١١) ياريد (١٢) مات حزنا . وملت عن شقيقها الخنساء (١٣)
مثل ما في القراب يبلى الفتى فالخزرت يبلى من بعده والبكاء .
غير أن الاموات زالوا وابقوا . غصصا لا يسبقه الاحياء ،
انما نحن بين ظفر وطب . من خطوب أسودهن ضراء .
نتمنى ، وفي التي قصر العمر ، فنغدو بما نسر نساء ،
صحة المرء للسقام طريق ، وطريق للفناء هذا البقاء ؛
بالذي لفتدي ثوب ونحيا ، أقتل الداء للنفوس ، الدواء .
ما لقينا من غير دنيا فلا كا . نت ولا كان أخذها والعطاء ،
راجع جودها عليها ، فبها . يهب الصبح ، يسترد المساء .
ليت شعري حلفا تمر بنا الايام ، أم ليس تغفل الاشياء ؟
من فساد يحنيه للعالم الكور . ن فما للنفوس منه اتقاء ،
فبح الله لذة لأذا . فالحا الاموات والآباء ،
نحن لولا الوجود لم نألم . للقد ، فايحدا علينا بلاء
وقليلا ما تصعب المهجة الجسم ، ففيم الاسى وفيم العناء ؟
ولقد أيد الله عتولا . حجة المود ، عندها ، الابداء
غير دعوى قوم على الميت شيئا . أنكرت الجلود والاعضاء .
واذا كان في الصياث خلاف ، كيف بالقيوب يمكن الخفاء ؟
ما دهانا من يوم أحبد إلا . ظلمات ، ولا استبان ضياء ،
يا أخي عاد بعدك الماء سما ، وسعوما ذاك التسم الرخاء ؛
والسموع الفزار ، عادت من الأ . نفاس نأرا تثيرها الصعداء ،
وأعد الحياة علرا وان كسا . نت حياة يرضى بها الاعداء
ابن تلك الحلال ، والحرم ، ابن العزم ، ابن السناء ، ابن البهاء ؟
كيف أودى النعم من ذلك الظل وشيكا ، وزال ذاك الفناء .
ابن ما كنت تنتضي من لسان . في مقام للمواضي انتضاء ؟
كيف أوجو شفاهما في ، وما بي . دون سكتاني في فراك شفاه ؟
أين ذاك الرواء والمنطق المو . تق ؟ أين الحياة ؟ أين الآباء ؟
ان عا حسنك القراب لما للدمع يوما من صحن خدي انحصاء !
أو تبين لم بين قديم وداد . أو تمت لم ميت عليك للثناء .

١٥ « شاعر جاهلي من اصحاب المملكات من بني عامر انتقل الى الكوفة بعد اسلامه »

٢٥ « اسم اخيه وهو اريد بن قيس . »

٣ « اعظم شاعر العرب قتل اخواته فرفتها . واصلت مع قومها واشترك أولادها الاربعة وقتلوا في معركة القادسية . »

« ن . و »

شطر نفسي دفنت ، والشطر باق يتمنى ، ومن مناه الفناء ؟
 إن تكن قدمته ايدي المتايا قال السابقين تمضي البطاء .
 يدرك الموت ، كل حي ، ولو أخفته عنه في برجهـ الجوزاء
 ليت شعري ، والبلـى كل ذي الخلق ، بماذا تميز الانبياء ؟
 موت ذا الصالح المفضل بالنطق ، وذا السارح البعـ ، مواء ،
 لا غوي لفقده تيسم الارض ولا لتقي تبكي السماء !
 كم مصاييح أوجه أطفأتها تحت أطباق رصمها البيداء ؟
 كم بدور ، وكـ شمس ، وكـ أطواد حلم ، أمسى عليها الفناء ؟
 كم عاغرة الكواكب صبح ؟ ثم حطت ضياءها الظلماء ،
 انما الناس قادم اثر ماض ، بدم قوم للأخـرين انتهاء .

(الخفيف)

وقال أيضاً

وكأنما الانسان فيه غيره متصرفاً وله القضاء مصرف ،
 طوراً تصوبه الخطوط ، وفرة طوعاً بصيرته ويصير بعدما
 ففراه يؤخذ قلبه من صدره فيظل يضرب باللامة نفسه
 لا يعرف الاقراط في ايراده حتى يبينه له الاصدار
 (الوافر)

وقال من أبيات :

إذا اخنى الزمان على كريم أعار صديقه قلب العدو
 (الوافر)

وقال أيضاً :

تلق بالصبر ضيف الهم ترحله فالخطب ما زاد إلا وهو منتقص
 ففروح النفس بالتعليل ترض به عسى الى ساعة من ساعة فرج

(البسيط)

وقال أيضاً :

تسل عن كل شيء بالحياة فقد
يعوض الله مالا أنت متلقه ،
يكون يمد بقاء الجوهر العرش
وما عن النفس ، ان أطلقها ، عرض
(البسيط)

وقال أيضاً :

وعلى قدر عقله فاعتب المرء
كم صديق بالثوب صار عدواً
وحاقد^(١١) برأ يصير حقوقاً^(١٢)
وعسو بالحلم صار صديقاً
(الخفيف)

وقال أيضاً :

ليكنفكم ما فيكم من جوى نلقى
وحزمة ودي ، لاسوت هواكم
سأزجر قلباً ، برام في الحب ساوة ،
علبت الهوى ، ياصاح ، حتى ألفت
فلا الصبر موجود ، ولا الشوق بارج ،
أخاف ، اذا ما الليل ، مد سدوله
أجمل أن أجزى عن الوصل بالجفا
أحظي هذا ، أم كذا كل عاشق
سل النهر ، هل النهر يجمع بيننا ،
فمهل بنا مهلاً ورفقاً بنا رفقاً
ولا رمت منه ، لا فكاً ولا اعتقاً
وأهجرة ان لم يمت بك عشقاً
فاضناه لي أشقى ، وافناه لي أبقي
ولا ادممي تطفي القلب ولا توقاً^(١٣) !
على كبدي حرقاً ومن مقلتي غرقاً
وينم طريقي والفؤاد بك يشقى
يضام فلا يشفى ، وينظمي فلا يسقى ؟
فلم أر مخلوقاً على حالة ييقى !
(الطويل)

وقال أيضاً :

ان تكن تجزع من حمي ، اذا فاض ، فسنه ،
أو تكن أبصرت يوماً سيداً ينفو ، فكنه ،
أنا لا أصبر ممن لا يحمل الصبر عنه ،
كل فنب في الهوى يفر لي ما لم أخذ

(الزمل)

١١ > الوسم البار .

١٢ > الماصي ارامر والده المستخف به .

١٣ > جف وانقطع .

وقال أيضاً :

ثقلت زجاجات ، ألتنا فرغنا ،
خفت فكادت أن تطير بما حوت ،
حقن إذا ملئت بمصرف الراح ،
وكنذا الجسوم تخف بالارواح
(الكامل)

وقال أيضاً :

قالوا : القناعة عز ، والكفاف غنى
صدقم ، من رضاه سدجوعته ،
والذل والمار حرص النفس والطمع
ارت لم يصبه ، بماذا عنه يقتنع ؟
(البسيط)

وقال أيضاً :

احفظ لسانك لا تبج بثلاثة :
فعلى الثلاثة تبلى بثلاثة :
سر ، ومال ما استطمت ، ومذهب .
بمكر ، وبجاسد ، ومكذب
(الكامل)

وفي هذا المعنى قد قال بعضهم نثرأ ، وفيه جناس : « الرجل يخفي ذنبه ومذهبه وذهابه ».

وقال : أيضاً :

قالوا ، وقد مات محبوب فجمت به
ثانيه في الحسن موجود ، فقلت لهم :
وبالصبا ، وأرادوا عنه سألاني :
من أين لي في الهوى الثاني صبا ثاني ؟
(البسيط)

وقال أيضاً :

وفي اليأس إحدى الراحتين لذي الهوى
أعف وبني وجد ، وأسلو وبني جوى ،
على ان إحدى الراحتين عذاب .
ولو ذاب مني أعظم واماب .
بلحظ ، وأن يروي صدي^(١) رضاب
فحين تجرّح الضاربات تهاب
(الطويل)

وقال أيضاً :

بنا ، الى الدبر من درنا ، صبايات .
لا تبعدن ، وان طال الزمان به ،
فلا تلقي فما تغني الملامات .
أيام هو عهده وليلات

(١) الفتاة البكر لم تمس أو الحية الطوية للسكرت .

(٢) عطش .

فكم قضيت لباتات الشباب بها
ما أمكنت دولة الافراح مقبلة
قبل ارجاع الليالي وهي عارية ؟
قم فاجل في فلك الظلماء شمس ضعى
لعله ان دعا داعي الحمام بنا
يم التمل ؟ لولا ذاك من زمن
دارت نجمي ، فقابلنا نجميتها ،
عنراء أخفى لنا بلمور صورتها
مدت مرادق برق من ألبرقا
فلاح في أذرع الساقين أسورة
قد وقع النهر سطرا في صحيفته :
خذ ما تمجبل ، واترك ما وعدت به ،
والسماعة أوقات ميسرة

غنا ، وكم بقيت عندي لباتات !
فانتم ولد ، فان العيش ثارات ،
وانما لذة الدنيا اعارات .
بروجها الدهر ، طاسات وجامات ،
نقضي ، وأنفسنا من رويات .
احياؤه باعتماد الهم أموات
وفي حشاها لفزع المزج روعات
لم يبق من روحها الا حشاشات
على مقابلها منها بلالات ،
تبرأ ، وفوق نحر الشرب جامات^(١) .
لا فارقت شارب الخمر المسرات .
فعل اللبيب : فلتنأخير آفات ،
تعطي السرور ، وللأحزان أوقات .
البسيط

ابن بختويه

هو ابو الحسين عبدالله بن عيسى بن بختويه ، كان طبيباً وخطيباً من أهل واسط^(٢) ، لديه معرفة ،
وكلامه في صناعة الطب كلام مطلع على تصانيف القدماء ، وله نظر فيها ودراية لها . وكان والده
أيضاً طبيباً .
ولأبي الحسين بن بختويه من الكتب : كتاب المقدمات ، ويعرف ايضاً بكنز الاطباء ، ألله لولده
في سنة عشرين وأربعمائة ، كتاب الزهد في الطب ، كتاب القصد الى معرفة القصد .

أبو العلاء صاعد بن الحسن

من الفضلاء في صناعة الطب ، والتميز من أهلها ، وكان ذكياً بليفاً ، ومقامه بمدينة الرحبة^(٣)
وله من الكتب : كتاب التشويق الطبي ، صنفه بمدينة الرحبة في رجب سنة أربع وستين وأربعمائة .

(١) الأكلس ، (ث.د.)

(٢) مدينة في العراق انشأها الحجاج بن يوسف بين الكوفة والبصرة . وبعد ان تحولت عنها مياه دجلة قاررت تحت ومال
للمصر .

(٣) مدينة على الفرات الأوسط اسما مالك التنلي إمام المأمون وتعرف برحبة مالك وقد أصبحت اليوم اثار المدينة .

زاهد العلماء

هو أبو سعيد منصور بن عيسى، وكان نصرانياً نسطورياً^(١)، وأخوه مطران نصيبين المشهور بالفضل وخدم زاهد العلماء بصناعة الطب، نصير الدولة بن مروان الذي ألف له ابن بطلان دعوة الأطباء. وكان نصير الدولة محترماً لزاهد العلماء، معتمداً عليه في صناعته، محسناً إليه. وزاهد العلماء هو الذي بنى بيارستان ميفارقين.

وحدثني الشيخ سديد الدين بن رقيقة الطبيب: أن سبب بناء بيارستان ميفارقين هو أن نصير الدولة بن مروان لما كان بها مرضت ابنة له، وكان يرى لها كثيراً، فألّى على نفسه أنها متى برئت أن يتصدق بوزنها دراهم. فلما عالجها زاهد العلماء وصلحت، أشار على نصير الدولة أن يجعل جمة هذه الدراهم، التي يتصدق بها، تكون في بناء بيارستان ينتفع للناس به، ويكون له بذلك أجر عظيم، وحملة حسنة. قال فأمره ببناء البيارستان، وأنفق عليه أموالاً كثيرة، وقف له املاكاً تقوم بكفايته، وجعل فيه من الآلات وجميع ما يحتاج إليه شيئاً كثيراً جمداً فجهاد لا مزيد عليه في الجودة.

ولزاهد العلماء من الكتب: كتاب البيارستانات، كتاب في الفصول والمسائل والجوابات، وهي جزآن: الأول يتضمن ما أثبتته الحسن بن سهل مما وجدته في خزائنه رقايع وكراريس وأدراج وغير ذلك من المسائل والجوابات. والجزء الثاني على جهة الفصول والمسائل وجوابات أجاب عنها في مجلس العلم المقرر في البيارستان الفارقي. كتاب في المنامات والروايات. كتاب فيما يجب على المتعلمين لصناعة الطب لتقديم علمه، كتاب في امراض العين ومداواتها.

المقبلي

هو أبو نصر محمد بن يوسف القبلي، فاضل في صناعة الطب، من التميزين فيها، والأعيان من أربابها. وللقبلي من الكتب: مقالة في الشراب تلخيص كتاب المسائل لحنين بن اسحق.

النسيلي

هو أبو سهل سعيد بن عبد العزيز النسيلي، مشهور بالفضل، عالم بصناعة الطب، جيد التصنيف، متفنن في العلوم الأدبية، بارع في التنظيم والنثر ومن شعره.

يا مفدئى المذار والحد والقد بنفسي، وما أراما كثيراً!

(١) فرقة من النصارى اصحاب نسطور الحكيم. (١٠٠٠)

ومعيري من سقم عينه سقما
استقي الراح ، تشف لوعة قلب
هي في الكاس خرة فاذا ما
دعت مضني به ودمت معيرا ،
بات مذ يفت الهموم سميرا .
أفرغت في الحشا استخالت سرورا
(الخفيف)

(وللتبلي) من الكتب : اختصار كتاب المسائل الحنين ، تلخيص شرح جالينوس لكتاب الفصول مع نكت من شرح الرازي .

اسحق بن علي الراوي

كان طبيباً متميزاً عالماً بكلام جالينوس ، وله أعمال جيدة في صناعة الطب .
ولاسحق بن علي الراوي من الكتب : كتاب أدب الطبيب . كنش جمعه من عشر مقالات
لجالينوس المعروفة باليامر في تركيب الادوية بحسب امراض الاعضاء من الرأس الى القدم ، جوامع
جمعها من اربعة كتب جالينوس التي رتبها الاسكندرانيون في أوائل كتبه ، وهي كتاب الفرق ،
وكتاب الصناعة الصغيرة ، وكتاب النبض الصغير وكتابه الى أغلوت ، وجمل هذه الجوامع على طريق
الفصول وأوائل فصولها أعلى حروف للمجم .

سعيد بن هبة الله

هو أبو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين بن الأطباء المتميزين في صناعة الطب . وكان أيضاً
فاضلاً في العلوم الحكيمة مشتهراً بها . وكان في أيام المقتدي بأمر الله ، وخدمه بصناعة الطب وخدم^(١)
أيضاً ولده المستظهر^(٢) بالله .

وقال أبو الخطاب محمد بن محمد بن أبي طالب في كتاب « الشامل في الطب » : ان الطب انتهى في
عصرنا الى أبي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين . وولد في ليلة السبت الثالث والعشرين من جمادى
الآخرة سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، وقرأ على أبي العلاء بن التلميد ، وعلى أبي الفضل كتيفات وعلى
عبدان الكاتب . وألف كتباً كثيرة طبية ومنطقية وفلسفية وغير ذلك ، ومات ليلة الاحد سادس
شهر ربيع الاول سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، وعاش ستاً وخمسين سنة ، وخلف من التلاميذ
جماعة موجودين .

وحديثي الحكم رشيد الدين أبو سعيد بن يعقوب النصراني ان أبا الحسن سعيد بن هبة الله كان
يتولى مداواة المرضى في اليبلاستان المضدي . وانه كان يوماً في اليبلاستان وقد أتى الى قاعة المرويين

(١) خليفة جاسي « ١٠٧٥ - ١٠٩٤ » كان الحكم في إيمه بيد السجوقيين ولم يتركوا له إلا السلطة الروحية .
(٢) الخليفة المباسي الثامن والعشرين توفي سنة ١١١٨ وفتح للمليين على إيمه القدس سنة ١٠٩٩ (د.٥)

لتنقد احوالهم ومعالجتهم ، واذا بامرأة قد أتت اليه واستفتته فيما تمالج به ولدا لها فقال : « ينبغي أن تلازمه بتناول الاشياء المبردة المرطبة . » فزها به بعض من كان مقيما في تلك القاعة من المرورين وقال : هذه صفة يصلح أن تقولها لاحد تلامذك ممن يكون قد اشتغل بالطب وعرف أشياء من قوانينه ، وأما هذه المرأة فأني شيء تدري ما هو من الاشياء المبردة المرطبة ، وإنما سببه أن تصف لها شيئا معينا لتمتد عليه . ثم قال له بعد ذلك : ولا أؤمك في قولك هذا فانك قد فعلت ما هو أعجب منه . فساله عن ذلك ، فقال : صفت كتابا عتصرا وسميته المنفي في الطب ، ثم انك صفت كتابا آخر في الطب بسيطا يكون على قدر أضماف كثيرة من ذلك الكتاب الأول وسميته الاقتناع . وكان الواجب ان يكون الامر على خلاف ما فعلته من التسمية . فاعترف بذلك لمن حضره وقال : والله لو أمكنتي تبديل اسم كل واحد منهما بالآخر لفعلت . وإنما قد تناقل الناس الكتابين وعرف كل واحد منهما بما سميته به .

أقول : وكان ابو الحسن سعيد بن هبة الله موجودا في سنة تسع وثمانين وأربعمائة لأني وجدت خطه في ذلك التاريخ على كتابه التلخيص النظامي ، وقد قرأه عليه أبو البركات .
ولسعيد بن هبة الله من الكتب : كتاب المنفي في الطب صنفه للمقتدي بامر الله . مقالة في صفات تراكيب الأدوية المحال عليها في كتاب المنفي . كتاب الاقتناع . كتاب التلخيص النظامي . كتاب خلق الانسان . كتاب في البرقان . مقالة في ذكر الحدود والفروق . مقالة في تحديد مبادئ الاقاويل المألوفة بها وتعليدها . جوابات عن مسائل طبية سئل عنها .

ابن جزلة

هو يحيى بن عيسى بن علي بن جزلة وكان في أيام المقتدي بامر الله ، وقد جعل باسمه كثيرا من الكتب التي صنفها . وكان من المشهورين في علم الطب وعمله ، وهو تلميذ أبي الحسن سعيد بن هبة الله . ولابن جزلة أيضا نظر في علم الادب . وكان يكتب خطأ جيدا مفسوبا . وقد رأيت بخطه عدة كتب من تصانيفه وغيرها تدل على فضله ، وترب عن معرفته . وكان نصرانيا ثم أسلم ، وألف رسالة في الرد على النصاري ، وكتب بها إلى إلبا القس .

ولا بن جزلة من الكتب : كتاب تقويم الابدان وصنفه للمقتدي بامر الله . كتاب منهاج البيان في ما يستعمله الانسان ، وصنفه ايضا للمقتدي بامر الله . كتاب الاشارة في تلخيص الصابة وما يستعمل من القوانين الطبية في تدبير الصحة وحفظ البدن ، خصه من كتاب تقويم الابدان . رسالة في مدح الطب وموافقة الشرع ، والرد على من طعن عليه . رسالة كتب بها لا أسلم الى إلبا القس وذلك في سنة ست وستين وأربعمائة .

ابو الخطاب

هو محمد بن محمد بن أبي طالب ، مقامه ببغداد . وقرأ صناعة الطب على أبي الحسن سعيد بن هبة

الله وكان متميزاً في الطب وعمله . ورأيت خطه على كتاب من تصنيفه قد قرئ عليه ، وهو كثير الحسن ، يدل على أنه لم يشتغل بشيء من العربية . وكان تاريخه لذلك في تاسع شهر رمضان سنة خمسائة .

ولاي الخطاب من الكتب : كتاب الشامل في الطب جمعه على طريق المسألة والجواب في العلم والعمل ، وهو يشتمل على ثلاث وستين مقالة .

ابن الواسطي

كان طبيباً للمستظهر بالله ، وكان عنده رفيع المنزلة . فالتقى ابن أبي سعيد بن الموحج تولى صاحب ديوان واستقر عليه قرية مبلغها ثلاثة آلاف دينار ، فوزن منها ألفي دينار ، وبقي عليه ألف دينار ، فسأل انظاره بها سنة إلى أن يصل المستغل . فلما حل المبلغ نكبت القلة والثرثرة ولم يحصل له من ملكه ما يعرفه في ذلك .

وكان حاجبه وخاصة مظفر بن الدواني ، فأشار إليه بالخفي إلى ابن الواسطي الطبيب ، ويقصده في داره ويسأله أن يخاطب الخليفة المستظهر بالله في إنظاره إلى سنة أخرى إلى أن تدخل القلة . فلما نهض من الديوان أشار إلى اصحابه بالعود وأنه يريدان يمضي إلى داره ، فلما عادوا مضى هو والحاجب مظفر بن الدواني . فحيث وصل استأذن عليه ، فخرج وقبل يده وقال : الله الله يا مولانا ومن ابن الواسطي حتى يميء مولانا إلى داره ؟

فلما دخل جلس بين يديه فأشار ابن الموحج إلى الحاجب مظفر ، وقال له : تصرف الجماعة للخلوة وتعود أنت بمفردك ، فلما صاروا بالدليل قال له : تصون الباب . ففعل . فلما عاد قال له : أتقول للحكم فيما أنا أتيينا ؟ فقال له الحاجب : ان مولانا جاء إليك يعرفك انه كان قد استقر عليه قرية مبلغها ثلاثة آلاف دينار وأنه صح منها ألفا دينار وتختلف عليه ألف دينار ، وكان سأل الخليفة انظاره إلى أوان القلة فلم يتحصل له من ملكه في هذه السنة شيء ، وقد أنفذ الديوان وضائق على ذلك . وقد رهن كتب داره على خمسائة دينار ، وهو يسألك ان تسأل الخليفة أن يؤخر إلى سنة أخرى بالباقي إلى حين أوان القلة . فقال : السمع والطاعة ، أخدم وأبالغ وأقول ما يتبين . فنهض من عنده فلما كان من القدر عند نهوضه من الديوان صرف الحاشية على العادة ، وقال : يا مظفر نخفي إليه ، فان كان قد خاطب الخليفة سمعنا الجواب ، وان لم يكن خاطبه فيكون على سبيل الأذكار . فمضى إليه واستأذن عليه فأذن له وخرج إلى الباب وقبل يده مثل ذلك ودعا له . فلما دخل وجلس أخرج له خط الخليفة بوصول الحساية دينار ، وقال له : هذه كتب الدار التي رهنها مولانا يقبلها من الخادم وكان قد استفكها من ماله . فشكره وقبض الكتب والخط وانصرف .

فلما جاوز الدليل صاح بالحاجب مظفر ، وأخرج له مشقة فيها جبة خارا وبقية قميص وقيص

تحتاني انطاكي ولباس ممياطي^(١) ، وفيه تكة ابريسم^(٢) وصره فيها خمسون ديناراً ، وقال له : أريد من انعام مولانا يلبس هذه الثياب وأراما عليه وهذه الخمون ديناراً يرسم الحمام ، وأعطى الحاجب جبة عثاني وعشرين ديناراً ، وأعطى الدرواني جبة عثاني وخمسة مثاليير ، وأعطى الركاكي دينارين ، وقال : اسأل مولانا ان يشرف الخادم بقبول ذلك . فغضب الحاجب بالجميع الى ابن المعوج ، وشرح له الحال فقبله منه .

أبو طاهر بن البرخشي

هو موفق الدين أبو طاهر أحمد بن محمد بن العباس ، يعرف بأبن البرخشي ، من أهل واسط . فاضل في الصناعة الطبية ، كمل في الفنون الأدبية . وقد رأيت من خطه ما يدل على رزانة عقله وغزارة فضله وكان في أيام السرتشد بالله .

حدثني شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن الكريم البغدادي قال : حدثني أحمد بن بدر الواسطي قال : كان الحكيم أبو طاهر أحمد بن محمد البرخشي بواسط يعالج مريضاً به أحد أنواع الاستسقاء^(٣) ، فطال به المرض ولم ينجع فيه علاج . وعبر حد الحية فسهل له في استعمال مهما طلبته النفس ومالت اليه الطبيعة من المأكّل والأغذية . فاطلق المريض يده ثم أكل ما نجا له . فلما كان في بعض الأيام اجتاز به انسان يبيع الجراد المسلوّق في الماء والملح . فالتفت اليه نفس المريض فطلبه ثم اشترى منه وأكل ، فعرّض له من ذلك اسهال مفرط ، وانقطع الحكيم عنه لما رأى به من الافراط في الاسهال . ثم افاق منه بعد أيام ، وأخذ المزاج في الصلاح وابتدأ به البرء ، وتدرجت حاله الى كمال الصحة ، والحكيم قد أبس من صلاحه . فلما علم الحال أنه وسأله عما استعمل ومم وجد الحف؟ فقال : لا أعرف إلا انني منذ أكلت الجراد المسلوّق شرعت في المافية . ففكر الحكيم في ذلك طويلاً ثم قال : ليس هذا من فعل الجراد ولا من خاصته .

وسأل المريض عن بائع الجراد فقال لا أعلم بمكانه ولكني ان رأيت عرقته . فشرع الحكيم في البحث والسؤال عن كل من يبيع الجراد وهو يحضره الى المريض واحداً بعد واحد الى ان عرف صاحبه الذي اشترى منه . فقال له الحكيم : أعرف الموضع الذي صدت منه الجراد الذي أكل منه هذا المريض؟ قال : نعم . قال : امض بنا اليه . ففضيا جميعاً الى المكان ، واذا هناك حشيشة يرعاها الجراد . فاخذ الحكيم من تلك الحشيشة ، ثم كان يداوي بها من الاستسقاء ، وأبرأ بها جماعة من هذا المرض ، وذلك معروف مشهور بواسط .

أقول : وهذه هي حكاية قديمة قد جرى ذكرها ، وان تلك الحشيشة التي كان الجراد يرعاها هي

(١) نسبة الى ممياط وهي مدينة في صعيد مصر على نهر النيل شوية بالعين.

(٢) الحرير أو الحمام منه «ن.د»

(٣) تجمع سواكل مملعة في تجريف أو أكثر من تجريف الجسد أو في غلايه .

المازريون^(١) ، وقد ذكرها ايضاً القاضي التنوخي في كتاب «الفرج بعد الشدة» .
وكان أبو طاهر بن البرخشي حياً بواسط في سنة ستين وخمسة ، وكان عنده ادب بارع ، ومعرفة
في النظم والنثر . ومن شعره قال في غلام تاول خلافاً .

وأولني من كفه مثل خصره ومثل محب ذاب من طول هجره
وقال خلالي ؟ قلت : كل حميدة ، سوى قتل صاب حار فيك بأمره
الطويل

وقال في انسان سوء حج من بعض قرى واسط :
لما حبيبت استبشرت واسط وقوليا وقتي مرشد^(٢)
وانتقل الويل الى مكة وركنها والمجر الاسود
(السريع)

وقال ايضاً ، وقد رأى انساناً يكتب كتاباً الى صديق له فكتب له صدره العام :
لما اتحت مان المسكارم والمعل وغدا الايام يوجه جهل قائم
ورضوا باسماء ولا معنى لها مثل الصديق تكالبوا بالعام
(البامل)

وكتب اليه نجم الدين أبو الغنائم محمد بن علي بن المعلم الحرثي الشاعر الراسطي وقد أبيل من
مرض وألزمه الحمية ومنعه الغذاء :

صبحت ففراً بالمني واخذني قدرك فوق النجم مرقوعا
يا متقلدي من حلقات الودي حاشاك أن تقتلني جوعا
(السريع)

فكتب ابن البرخشي اليه الجواب :

تبعت مرسومك يا ذا المل لكن اشفاقي على من به
أوصي تأخيراً الغذاء يومنا اصبر لما أقصرها مدة
فأجابه هو :

يا عالماً ابن ثوى رحمة لم عندك الاعمار موصولة
أجرى من العلم ينابها يضحى ويمسي الرزق مقطوعا

(١) جلس من الجنابات والجنسيات قترين .

(٢) قوله قوليا لا يمشى فراسي واسط من ضياها وقتي مرشد الانسان .

والله ان بت ولم يجديني شعري يا ذا الفضل متفوعا
ليخلن الجوع مني الحيا وأوسن الم تقطعا

ابن صفة

هو أبو غالب بن صفة ، وكان نصرانياً . وقال بعض العراقيين : أن أبا المظفر يوسف المستنجد^(١) بالله كان خليفة صارماً متيقظاً قنأكاً ، وكان وزيره أبو المظفر يحيى بن^(٢) هيرة ، ثم توفي فاستوزر شرف الدين بن البلدي ، وكان يجري مجراه . وكان في الدولة أمراء أكابر ، كان متقدم الجماعة قطب الدين قاياز ، وكان أصله أرمنياً : وقد عظم شأنه وعلا مكانه واستولى على البلاد وتحكم في الدولة ، ولم يبق له ضد ولا مناور ، وعهد الى أكابر أمراء الدولة فزوجهم بناته ، وكان بينه وبين الوزير مودة . ثم ان الخليفة مرض وكان طبيبيه ابن صفة أبو غالب النصراني ، وكان الوزير ابن البلدي يجتهد الخليفة ويخوفه من استطالة قطب الدين ومن يجري معه من الأمراء ، فاطلع الطبيب على بعض الاحوال وأراد التهرب عند الأمير قطب الدين ، فنقل اليه الحديث ، واستمر الحال على ذلك .

فلما مرض الخليفة عزم في القبض على قطب الدين وجماعته ، واطلع ابن صفة على ذلك ، فمضى على قطب الدين وعرفه الحال وقال له : قد جرى من الوزير كذا وكذا فتقد به قبل ان يتمشى بك . فاختد قطب الدين يعمل فكرته ورأيه في التدبير في مكاييد الوزير ، وتغل الخليفة في المرض واشتغل عما كان قد دبره مع الوزير في القبض على الأمراء . فاجتمع قطب الدين وأبوه على قتل الخليفة ثم يتفرغ لهلاك الوزير ، فأسفر رأيه على انه قرر مع ابن صفة الطبيب أن يصف للخليفة الحمام ، فدخل الحكيم الى الخليفة وأشار بالحمام والخليفة يعلم من نفسه الضعف فأبى ذلك . فدخل قطب الدين وبعض الجماعة وقال : يا مولانا ، الحكيم قد أشار بالحمام ، فقال قد رأينا أن نخشعه ، فقبلوا على رأيه وأدخلوه الحمام ، وقد كان أوقد عليه ثلاثة أيام بلياليهن وردوا عليه باب الحمام ساعة فبات . واطهروا الحزن المظم وأتوا الى ولده أبي محمد الحسن فاستخلفوه على ما أرادوا وبأيامه ، ولقب بالمستضي^(٣) بأمر الله ، وأقام مدة وفي نفسه شيء مما فعلوا . وكان قد استوزر عضد الدين^(٤) أبا الفرج ابن رئيس الرؤساء ، وكان ابن صفة الطبيب على حاله ملازم الخدمة ، فشرع الخليفة في الاستعداد بالأمور مع وزيره وكان قطب الدين قاياز وابن صفة مها اطلع عليه من الاحوال نقله الى قطب الدين وهو مارد

(١) الخليفة العباسي الثاني والثلثون تآمر عليه لعل البلاد مسح الطبيب فوسف له الحمام ليمجروا موته فحبسوه ليه حتى مات . وفي إيشة سقطت سلالة الفاطميين في مصر (١١١٦ - ١١٧٠) .

(٢) عون الدين أبو المظفر يحيى ابن هيرة وزير الكتفي (١٠٩٧ - ١١٦٥) (د . ن)

(٣) الخليفة الثالث والثلثون العباسي وأمه أرمنية وقد خطب باسمه في مصر واليمن بعد قتل أبيه المستنجد . واحتجب عند ظهور صلاح الدين « ١١١٨ - ١١٨٥ » .

(٤) هو الأستاذ الدار الوزير ، تغلب على الخليفة المستنجد وادخله الحمام وهو مريض حتى مات . وقتله الاتصاليون سنة ١١٨٧ « د . ن » .

الى الدار ، ولا يمنع لكونه طبيب الخدمة . فاستحضره الخليفة ليلا وقال له : يا حكيم عندي من أكره رؤيته وأريد إبعاده بوجه لطيف غير شفيح ، فقال له : رقب له شربة قوية بالغة يشربها ، وقد حصل الخلاص منه كما تقول . قضى وركب شربة كما وصف وأحضرها ليلا ودخل بها الى عند الخليفة ، ففتحها ونظر اليها ، وقال : يا حكيم استف هذه الشربة حتى تجرب فعلها ، فتلوى من ذلك وقال : الله الله يا مولانا في ؟ فقال له : الطبيب متى تمدى حده وتجاوز طوره وقع في مثل هذا ، وليس لك من هذا خلاص إلا السيف . فاستف الحكيم الشربة التي ركبها وفر من الهلاك الى الهلاك . ثم خرج من دار الخليفة وكتب الى الأمير قطب الدين يشمره بالخال ويقول له : والانتقال من أمري إلى أمركم . ثم هلك .

وأما قطب الدين فعزم أن يوقع بالخليفة ، فرد الله سبحانه كيده اليه ، ونهت أمواله وهرب من بغداد بنفسه ومضى الى الشام الى الملك الناصر صلاح الدين فلم يقبله . وعاد على طريق البرية الى الموصل فمرض في الطريق ثم دخل الموصل فمات بها .
أقول : وضد هذه الحكاية ما حدثني به شمس الدين محمد بن الحسن بن الكريم البغدادي عن بعض المشايخ ببغداد قال :

كان السلطان محمد بن محمود خوارزمشاه (١) قد حضر بغداد في سنة (٢) وخمسةائة فمرض وهو بمسكره ظاهر البلد ، ومرض الخليفة المقتفي (٣) أبو عبد الله محمد بن المستظهر ببغداد ، فأنفذ السلطان يلمس الرئيس أمين الدولة بن التلميز فخرج الى ظاهر المدينة فكان يداويه بظاهر ببغداد ، ويداوي الخليفة ببغداد فقال له وزير السلطان : أيها الرئيس اني قد كنت عند السلطان ، وذكرت له من فضلك وأدبك وراستك . وقد أمر لك بمشرة آلاف دينار . فقال له : يا مولانا ، قد أمر لي من بغداد بأثني عشر ألف دينار أفيأذن لي في قبولها السلطان ؟ يا مولانا ، أنا رجل طبيب ، لا أتجاوز وظائف الأطباء وما يلزمهم ، ولا أعرف إلا ماء الشعير والتفوح وشراب البنفسج والتيلوفر (٤) ، ومعنى أخرجت عن هذا لا أعرف شيئا .

وكان الوزير قد عرض له في حديثه بما معناه انه يدبر في ائتلاف الخليفة ، وقدر الله سبحانه براء الخليفة والسلطان ووقع الصلح بينهما على ما اقترحه الخليفة . وهذا كان من عقل الرئيس أمين الدولة ودينه وأمانته ، فانه كان يقول : لا ينبغي للطبيب ان يداخل الملوك في امراهم ، ولا يتجاوز كما

(١) هو صلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة الأيوبية اشتهر بكرمه وحرمة نفسه ولد في تكريت ورتقي في دمشق. (١١٣٨-١١٩١) . وهزم الأفرنج في معركة حطين .
(٢) لقب ملوك خوارزم ومحمد هذا هو السلطان السلجوقي أبو شعاع غياث الدين والدنيا (١١٥٣ - ١١٥٩) وقتلك بجيش الخليفة المقتفي وحاصره في بغداد .
(٣) الخليفة الواحد والتلاتون العباسي قبض بيده على الملك فتشاهل نفوذ السجوليين . وفي اليوم خرج أمير الموصل إلحى ثم ابنه نور الدين للجهاد في الحروب الصليبية .
(٤) دج - من الراشدين يثبت في المياه الراكية «ن. د»
(٥) جاهد : الأصل .

تقدم ذكره ماء الشعير والنقوع والشراب ، فقد جاوز هذا تلف وكان سيب هلاكه . وكان يشد :
 وإذا أنبت الميمن للتلف جناحاً أطارها للتردي
 ولكل امرئ من الناس حد وهلاك الفتى جواز الحد
 (الحقيف)

أمين الدولة بن التليذ

هو الاجل موفق الملك أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن أبي العلاء صاعد بن ابراهيم بن التليذ
 أوحده زمانه في صناعة الطب ، وفي مباشرة أعمالها . ويدل على ذلك ما هو مشهور من تصانيفه
 وسواشيه على الكتب الطبية ، وكثرة من رأيناه ممن قد شاهدوه . وكان ساعور ^(١) البيارستان العسدي
 ببغداد الى حين وفاته . وكان في اول امره قد سافر الى بلاد المصم ، وبقي بها وهو في الخدمة سنتين
 كثيرة . وكان جيد الكتابة يكتب خطاً مملوياً .

وقد رأيت كثيراً من خطه وهو في نهاية الحسن والصحة . وكان خبيراً باللسان السرياني والفارسي
 متبحراً في اللغة العربية . وله شعر مستطرف حسن المعاني ، الا ان أكثر ما يوجد له البيتان أو
 الثلاثة وأما القصائد فلم أجد له منها الا القليل . وكان أيضاً يترسل ، وله ترسل كثير جيد . وقد
 رأيت له من ذلك مجلداً ضخماً كله يحتوي على انشاء ومراسلات وأكثر أمه كتاب .

وكان والد أمين الدولة وهو أبو العلاء صاعد طبيباً فاضلاً مشهوراً . وكان أمين الدولة وأوحد
 الزمان أبو البركات في خدمة المستضيء بأمر الله . وكان أبو البركات أفضل من ابن التليذ في
 الصناعات الحكيمة وله فيها كتب جليلة ، ولو لم يكن له الا كتابه المعروف بالمختبر لكفى .
 فاما ابن التليذ فكان أكثر بصره بصناعة الطب واشتهر بها . وكان بينهما شأن وعداوة ، إلا أن
 ابن التليذ كان أوفر عقلاً وأخبر طباعاً من أبي البركات . ومن ذلك ان أوحد الزمان كان قد كتب
 رقعة يذكر فيها عن ابن التليذ أشياء يبعد جداً ان تصدر عن مثله ، وهب لبعض الخدم شيئاً
 واستمره ان يرميها في بعض طرق الخليفة من حيث لا يعلم بذلك أحد ، وهذا مما يدل على شر عظيم .
 وان الخليفة لما وجد تلك الرقعة صعب عليه جداً في اول امره ، وكم ان يقع بأعين الدولة . ثم انه
 بعد ذلك رجع الى رأيه وأشير عليه ان يبعث ويستأصل عن ذلك ، وان يستمر من الخدم من يتهمه
 بهذا الفعل . ولما فعل ذلك انكشف له ان أوحد الزمان كتبها للوقعة بابن التليذ ، فحنق عليه حقاً
 عظيماً وهب دمه وجميع ماله وكتبه لأمين الدولة بن التليذ . ثم ان أمين الدولة كان عنده من كرم
 الطباع وكثرة الخبرة انه لم يتعرض له بشيء . وبعد أوحد الزمان بذلك عن الخليفة والمحطت منزلته
 ومن مطبوع ما لأمين الدولة فيه ، قوله :

لنا صديق يهودي حقاقتة اذا تكلم تبدو فيه من فيه

(١) التقدم في صناعة الطب ومنا بمنى رئيس الاطباء .

يقيه والكلب أعلى منه منزلة كأنه يصد لم يخرج من التيه
(البسيط)

ولبعضهم في أمين الدولة وأوحد الزمان :
أبو الحسن الطييب ومقتيه أبو البركات في طرقي نقيض
فهذا بالتواضع في الثريا وهذا بالتكبر في الخضيض
(الوافر)

ونقلت من خط الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي فيما حكاه عن الاجل أمين الدولة بن التليذ قال : كان أمين الدولة حسن العشرة ، كريم الاخلاق ، عنده سخاء ومروءة ، وأعمال في الطب مشهورة ، وحدوس صائبة . منها انه أحضرت اليه امرأة محمولة لا يعرف أهلها في الحياة هي أم في المات ، وكان الزمان شتاء ، فأمر بتجريدتها وصب الماء المبرد عليها صباً متتابعاً كثيراً . ثم أمر بنقلها الى مجلس دفيه قد نجر بالعود^(١) والند^(٢) ، ودثرت بأصناف الفراء ساعة ، فعمطت ومجركت وقعدت وخرجت ماشية مع أهلها الى منزلها .

قال : ودخل اليه رجل منزف يمرق دماً في زمن الصيف ، فسأل تلاميذه وكلوا قدر خسين نفساً فلم يعرفوا المرض ، فأمره أن يأكل خبز شعير مع إذنجان مشوي ، ففعل ذلك ثلاثة أيام فبرأ . فسأله أصحابه عن المة فقال : ان دمه قد رق ومسامه قد تفتحت ، وهذا الغذاء من شأنه تغليظ الدم وتكثيف السام .

قال : ومن مروءته ان ظهر داره كان يلي النظامية ، فاذا مرض فقيه نقله اليه ، وقام في مرضه عليه ، فاذا أبلى وهب له دينارين وصرفه .

وما حكاه ايضاً عن أمين الدولة بن التليذ وكأنه قد تجاوز في هذه الحكاية قال : وكان أمين الدولة لا يقبل عطية الا من خليفة أو سلطان ، فمرض لبعض الملوك النائية داره مرض مزمن فقبل له : ليس لك الا ابن التليذ ، وهو لا يقصد أحداً فقال : أنا أوجه اليه . فلما وصل أفرد له ولغفاته دوراً وأفاض عليه من الجرايات قدر الكفاية ، ولبت مدة فبرأه الملك وتوجه الى بلاده وأرسل اليه مع بعض التجار أربعة آلاف دينار وأربعة نخوت عتاني وأربعة ممالك وأربعة افراس ، فامتنع من قبولها وقال : علي ميمناً ان لا أقبل من أحد شيئاً فقال التاجر : هذا مقدار كثير ، قال : لما حلفت ما استثنيت . وأقام شهراً براوده ولا يزداد الا إياه . فقال له عند الوداع : ها انا اسافر ولا ارجع الى صاحبي ، واتبع بالمال فتتقلد منته ، وتقولك منفعته ، ولا يعلم احد بألك رددته . فقال: أأست اعلم في نفسي اني لم أقبله ، فنفسي تشرف بذلك ، عليم الناس او جهلوا .

وحدثني الحكم مذهب الدين عبد الرحيم بن علي ، قال: حدثني الشيخ موفق الدين اسمعدين الياس بن

«١» ضرب من الطيب يتبخر به .

«٢» عود يتبخر به .

المطران ، قال : حدثني ابي : حدثني اسمعيل بن رشيد قال : حدثني ابو الفرج بن قوما وأبو الفرج المسيحي ، قال : كان الاجل أمين الدولة بن التليذ جالساً ونحن بين يديه اذ استأذنت عليه امرأة ومعه مبي صغير ، فأدخلت عليه ، فحين رآه بدرها فقال ان صبيك هذا به حرقة البول ، وهو يبول الرمل ، فقالت : نعم . قال : فيستعمل كذا وكذا وانصرفت . قال : فسأله عن العلامة للذلة على ان به ذلك ، وانه لو ان الآفة في الكبد او الطحال لكان اللون من الاستدلال مطابقاً . فقال : حين دخل رأيته يولع بإحليله ويحككه ، ووجدت أأمل يديه مشققة قاححة ، فعلمت أن الحكمة لاجل الرمل ، وان تلك المادة الحادة الموجبة للحكة والحركة ربما لامست أأمله عند ولوعه بالقصيب فتشعل وتشقق ، فصكت بذلك وكان موافقاً .

ومن نوادر أمين الدولة وحسن إشارته : انه كان يوماً عند المستضيء^(١) بأمر الله ، وقد أسن أمين الدولة . فلما نهض للقيام تركاً على ركبتيه ، فقال له الخليفة : كبرت يا أمين الدولة . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، وتكسرت قواريري ، فضكر الخليفة في قول أمين الدولة وعلم انه لم يبق الا لعني قد قصده وسأل عن ذلك فقيل له : ان الامام المستنجد بالله كان قد وهبه ضعة تسمى قوارير وبقيت في يده زماناً ، ثم من مدة ثلاث سنين حط الوزير يده عليها . فتنجب الخليفة من حسن أدب أمين الدولة ، وانه لم ينه أمرها اليه ولا عرض بطلبها . ثم أمر الخليفة باعادة الضعة الى أمين الدولة ، وان لا يمارض في شيء من ملكه .

ومن نوادره : ان الخليفة كان قد فوض اليه رئاسة الطب ببغداد ، ولما اجتمع اليه سائر الاطباء ليرى ما عند كل واحد منهم من هذه الصناعة ، كان من جملة من حضره شيخ له هيئة ووقار وعنده سكينه ، فأكرمه أمين الدولة وكانت لذلك الشيخ دربة ما بالمعالجة ، ولم يكن عنده من علم صناعة الطب الا التظاهر بها . فلما انتهى الامر اليه قال له أمين الدولة : ما السبب في كون الشيخ لم يشارك الجماعة فيما يبحثون فيه . حتى نعلم ما عنده من هذه الصناعة ؟ فقال يا سيدنا ، وهل شيء مما تكلموا فيه الا وانا أعلمه . وقد سبق الى فهمي أضعاف ذلك مرات كثيرة ؟ فقال له أمين الدولة : فعل من كنت قد قرأت هذه الصناعة ؟ فقال الشيخ : يا سيدنا اذا صار الانسان الى هذه السن ما يبقى يلقى به إلا ان يسأل كم له من التلاميذ ، ومن هو المتميز فيهم . واما المشايخ الذين قرأت عليهم فقد ماتوا من زمان طويل . فقال له أمين الدولة : يا شيخ ، هذا شيء قد جرت العادة به ولا يضر ذكره ، ومع هذا ، فما علينا ، اخبرني اي شيء قد قرأت من الكتب الطبية ؟ وكان قصد أمين الدولة : ان يتحقق ما عنده . فقال : سبحان الله العظيم ، صرنا الى حد ما يسأل عنه السبيان ، وأي شيء قد قرأته من الكتب ، يا سيدنا لئلي ما يقال إلا اي شيء صنفته في صناعة الطب ، وكم لك فيها من الكتب والمقالات ؟ ولا بد انني اعرفك بنفسي . ثم نهض الى أمين الدولة ودعا منه وقعد عنده ، وقال

(١) هذا خطأ من المؤلف لأن المستضيء، قول الخلافة سنة ١١٧١ والشيخ أمين الدولة توفي سنة ١١٦٥ وأرجح ان الخليفة هو المعتز وهو الخليفة الثاني والثلاثون والامام المستنجد الذي ومعه قوارير هو الخليفة الراشد والثلاثون . بينا المستضيء هو الخليفة الثالث والثلاثون . هن .

له ، فيما بينها : يا سيدي ، اعلم انني قد شخت وانا اوسم بهذه الصناعة ، وما عندي منها الا معرفة اصطلاحات مشهورة في المداواة ، وعمرى كله اتكسب بها ، وعندى عائلة ، فسألتك بالله يا سيدنا مشي حالي ولا تفضحني بين هؤلاء الجماعة . فقال أمين الدولة : على شريطة ، وهي انك لا تهجم على مريض بما تعلمه ، ولا تشير بفصد ولا بدواء مسهل الا لما قرب من الامراض . فقال الشيخ : هذا مذهبي منذ كنت ، ما تمديت السكتيجين والجلاب . ثم ان أمين الدولة قال له معلناً ، والجماعة تسبح : يا شيخ ، اعذرنا فاننا ما كنا نعرفك ، والآن فقد عرفناك ، استمر فيما انت فيه ، فان احداً ما يمارضك . ثم انه عاد بعد ذلك فيما هو فيه مع الجماعة ، وقال لبعضهم : على من قرأت هذه الصناعة ؟ وشرع في امتحانه ، فقال يا سيدنا . انا من تلامذة هذا الشيخ الذي قد عرفته ، وعليه كنت قد قرأت صناعة الطب . ففطن أمين الدولة بما اراد من التعريض بقوله ، وتبسم ثم امتحنه بعد ذلك .

وكان لأمين الدولة بن التليذ اصحاب وجماعة يترددون اليه ، فلما كان في بعض الايام أتى اليه ثلاثة ، منجم ، ومهندس ، وصاحب أدب . فسألوا عن أمين الدولة غلامه قنبر ، فذكر لهم ان سيده ليس في الدار ، وانه لم يأت في ذلك الوقت . فراحوا ، ثم انهم عادوا في وقت آخر ، وسألوه عنه ، فذكر لهم مثل قوله الأول . وكان لهم ذوق من الشمر فتقدم المنجم وكتب على الحائط عند باب الدار

قد بلينا في دار أسعد قوم ، بمدير

ثم كتب المهندس بعده :

بقصير مطول وطويل مقصر

ثم تقدم صاحب الادب وكان عنده مجون فكتب :

كم تقولون قنبراً مخرجوا رأس قنبر

(الحقيف)

ومضوا . فلما جاء أمين الدولة قال له قنبر : يا سيدي جاء ثلاثة الى هنا يطلبونك ، ولما لم يجدوك ، كتبوا هذا على الحائط . فلما قرأه أمين الدولة قال لمن معه : يوشك أن يكون هذا البيت الاول خط فلان المنجم ، وهذا البيت الثاني خط فلان المهندس ، وهذا الثالث خط فلان صاحبنا ، فان كل بيت يدل على شيء مما يمانيه صاحبه . وكان الأمر كما حسده أمين الدولة سواء . وكانت دار أمين الدولة هذه يسكنها ببغداد في سوق المطرما يلي بابها الجوار لباب القرية من دار الخلافة المظلمة ، بالسرعة النازلة الى شاطئ دجلة .

وقال أمين الدولة بن التليذ : فكرت يوماً في أمر المذاهب فرأيت هاتفاً في النوم وهو ينشدني .

أعوم في بحر ك علي أرى فيه لسا أطلبه قمر

فأرى فيه سوى موجة تدفني عنها الى أخرى
(السريع)

وحدثني سعد الدين بن أبي السهل البغدادي المواد ، وكان قد عمر ، قال : رأيت أمين الدولة بن التليذ واجتمعت به ، وكان شيخاً ربع اللقمة ، عرض الحبة ، حلو الشبائل ، كثير النافذة . قال : وكان يحب صناعة الموسيقى وله ميل الى أهلها .

وحدثني سعيد الدين محمود بن عمرو ، رحمه الله ، قال : حدثني الامام فخر الدين محمد بن عبد السلام المارديني ، وكان صديقاً لأمين الدولة وعاشره مدة ، قال : كان الاجل أمين الدولة بن التليذ من المتميزين في العربية ، وكان يحضر مجلسه في صناعة الطب خلق كثير يقرآن عليه . وكان اثنتان من النحاة بلازمان مجلسه ولهما منه الانعام والافتقاد ، فكان من يحده من المشتغلين عليه يلحن كثيراً في قراءته ، أو هو ^(١) ولكن يترك أحد ذينك النحويين يقرأ عنه وهو يسمع . ثم يأمر ذلك التليذ أيضاً بأن يقرر للنحوي شيئاً يعطيه إياه عن قراءته عنه . وكان لأمين الدولة ولد ، ولم يكن مدركاً لصناعة الطب ، وكان في سائر أحواله بعيداً عما كان عليه أمين الدولة . ولأمين الدولة فيه :

أشكو الى الله صاحباً شكواً تسفه النفس وهو يصفها
فنحن كالشمس والهلل معاً تكسبه النور وهو يكسها
(الملرح)

وكان أمين الدولة يؤنب ولده أيضاً بهذا البيت :
والوقت أنفس ماعتيت بحفظه ، وأراه أسهل ما عليك يضيع
(الكامل)

وحدثني الشيخ الامام رضي الدين ^(٢) الطبيب الرحي رحمه الله قال : اجتمعت في بغداد بأمين الدولة ، فلما جرى بيننا حديث قال في ساقاة كلامه : ان في السماء من الجانب الجنوبي مثقلاً تطلع فيه الامتحنة ، وتزل منه الارواح . ويدت منه أشياء كثيرة من هذا القليل ظهر بها ان ليس عنده شيء من تحقيق العلم ، ولا له فطرة سليمة .

وحدثني الشيخ السني البعلبكي الطبيب قال : راح من عندنا من دمشق ثلاثة من أطباء النصارى الى بغداد ، سمام ، فلما اقاموا بها سمعوا بأمين الدولة ، فقالوا : « سمعة والده عظيمة ، والمصلحة اننا نروح اليه ونسلم عليه ونخدمه ، ونكوث قد اجتمعنا به قبل السفر الى الشام . فقصدوا داره ودخلوا اليه وسألوا وعرفوه انهم نصارى ، وان قصدم للتشرف برويته ، فأكرمهم وأجلسهم عنده . قال السني فعدتوني انه تبين لهم سخافة عقل وضعف رأي . وذلك انه من جهة ما

(١) المي السان .

(٢) هو الامام ابو الحجاج يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحي وسياقي الكلام عنه في طبقة الاطباء المشهورين من اطباء الشام .

حدثهم انه قال : يقولون ان الشام مليح ، ودمشق طيبة ، وانا قد عزمت ان ابصرهما ، إلا انني أعمل من حيث العلم والمهندسة شيئاً أكون اذا سافرت اليها يكون بسهولة ، ولا أجد كلفة . قالوا : فقلنا له يا سيدنا ، كيف تعمل ؟ فقال : اما تملكون ان الشام منخفض عن اقليم بغداد وانه مستقل عنه ، وذلك المذكور في علم الهيئة وارتفاع المواضع بعضها على بعض . فقلنا : نعم يا سيدنا . فقال : أستعمل عجلان من الخشب ببيكر كبار ، ويكون فوقهم دغوف مبسوطة مسعرة ، واجمعل فوقهم جميع ما احتاج اليه ، واذا اطلقنا العجل تروح بالبكر بسرعة في الانحدار ، ولا تزال كذلك الى ان نصل الى دمشق بأهون سعي . قالوا : فتعجبنا من غفلته وجهله . ثم قال : والله ما تروحون حتى اضيفكم وتاكلون عندي طعاماً . وصاح بالفراس فاحضر سفرة فاخرة ومد عليها رقاقاً رقيقاً ابيض لا يكون شيء احسن منه ، كانه النصافي البغدادي ، وهناباً فيه خل وهندبا^(١) منقاة جعلها حواليه ، ثم قال : بسم الله كلوا . قالوا : فاكلنا شيئاً يسيراً اذ هو على خلاف عادتنا في الأكل . ثم رفع يديه وقال : يا غلام هات الطست ، فاحضر طستاً مفضفاً وقطعة صابون رقى كبيرة ، وسكب عليه الماء وهو ينسل يديه فأرغى الصابون ثم مسح به قمه ووجهه ولحيته ، حتى بقيت عيناه ووجهه ملآن من ذلك الصابون وهو ابيض ، ونظر البنا . قالوا وكان منا فلان لم يتأكل ان ضحك وزاد عليه وقام فخرج من عنده . فقال : ما لهذا ؟ فقلنا له : يا سيدنا هذا فيه خفة عقل وهذه عادته . فقال : لو أقام عندنا داويناه ، فتعجبنا منه ثم ودعناه وانصرفنا ، ونحن نسأل الله العافية مما كان فيه من الجهل .

وحدث بعض العراقيين ان امين الدولة مات ، لصديق له ولد ، وكان ذا أدب وعلم ، ولم يعزه امين الدولة . فلما اجتمع به بعد ذلك عتب عليه اذ لم يعزه عن ولده للوادة التي بينها . فقال امين الدولة : لا تلني في هذا ، فوالله انا أسقى بالتزنية منك ، اذ مات ولدك وبقي مثل ولدي .

ووجدت كلاماً لأمين الدولة في عین رسالة كتبها الى ولده ، وكان يعرف برضي الدولة أبي نصر قال : والتفت بذهنك عن هذه الترهات^(٢) الى تحصيل مفهوم تميز به . وخذ نفسك من الطريقة بما كررت تنبيهك عليه ، وارشادك اليه ، واغتم الامكان ، واعرف قيمته . وتشاغل بشكر الله تعالى عليه . وفز بحظ نفيس من العلم تثق من نفسك بان عقلك وملكتك ، لاقرأته ورويته ، فان بعية الحظوظ تتبع هذا الحظ المذكور وتلزم صاحبه . ومن طلبها من دونه ، فاما أن لا يجدها ، واما ان لا يعتمد عليها اذا وجدها ولا يثق بدوامها . واعوذ بالله أن فرضي لنفسك الا بما يليق بمثلك أن يتسامى اليه بعلومه ، وشدة أنفته ، وغيرة على نفسه . وما قد كررت عليك الرضا به ان لا تفرح على أن تقول شيئاً لا يكون مهذباً في معناه ولفظه ، ويتمين عليك ابراده . فاما معظم حرصك فتصرفه الى ان تسمع ما تستفيد لا مما يلهيك ويذل للاغمار^(٣) وأهل الجهالة ، تزهك الله

(١) البقلة المروقة .

(٢) الأباطيل والنداهي .

(٣) واحدتها غمر وهو الذي لم يحرب الامور اي الجاهل .

عن طبقتهم ، فان الامر كما قال افلاطون : « الفضائل مرة الورد حلوة الصدر ، والذائل حلوة الورد مرة الصدر . وقد زاد ارسطوطاليس في هذا المعنى فقال : « ان الذائل لا تكون حلوة الورد عند ذي فطرة فائقة ، بل يؤديه تصور قبحها أدى يفسد عليه ما يستلذه غيره منها » . وكذلك يكون صاحب الطبع الفائق قادراً بنفسه على معرفة ما يتوخى وما يمتنع ، كالنابض للصحة يكتفي حسه في تعريفه النافع والضار . فلا ترض لنفسك ، حفظك الله ، إلا بما تعلم انه يناسب طبقة امثالك . واغلب خطرات الهوى بمزمار الرجال الراشدين ، واطمح بنفسك اليها تتركك في طاعة عهلك . فانك تسر بنفسك وترها في كل يوم مع اعتاد ذلك في رتبة علية ، ومراقبة من سماء في السعادة .

وكانت وفاة أمين الدولة ببغداد في الثامن والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ستين وخمسة ، وله من العمر أربع وتسعون سنة . ومات نصرانياً ، وخلف نعماً كثيرة وأموالاً جزيلة ، وكتباً لا نظير لها في الجودة . فورث جميع ذلك ولده وبقي مدة ، ثم ان ولد أمين الدولة خنت في دهليز داره الثلث الاول من الليل ، وأخذ ماله ، ونقلت كتبه على اثني عشر رجلاً الى دار المجد بن صاحب . وكان ابن أمين الدولة قد أسلم قبل موته . وقيل انه كان شيخاً قد هازم الثنتين سنة .

ووجدت في أثناء كتاب كتبه السيد النقيب الكامل بن الشريف الجليل الى أمين الدولة بن التليد وهو يتلصحه فيه بهذه القصيدة :

| | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| أمين الدولة أسلم للأيدي | علي رغم المناوي والمهادي |
| وللمعروف قشره اذا ما | طواه تناوب النوب الشداد . |
| فانت المرأة تكلفى ، حين تدعى ، | جواداً بالطريف والبلاد ، |
| وصولا للخليل على التثاني ، | ودوداً لا يحول عن الوداد ، |
| سديد الرأي والأقوال تأبى | نهائ أن يميل عن السداد . |
| سأشكر ماصنعت من الأيادي | التي على التداني والبعاد ، |
| وأنتي ، والثناء عليك حق ، | بما أوليتني في كل نادي . |
| وهل شكرني على مر الليالي | ينال مدى ولائي واعتقادي ؟ |
| دعوتك ، والزمان به حران ، | فأمسى وهو لي سهل القباد ، |
| أنا فيه فيسمعي ، وقدماً | تجانب لي أصم عن المتادي . |
| وكم من منه لك لا توازي | بلا من لدي ولا اعتداد ، |
| ومن بيضاء قد حمرت بغلي | عملك منه في أقصى سواد ، |
| أرى الاشواق تحرك في فؤادي | كثل النار في سحر الزناد (١) |
| متى ولست به ذكراك كادت | لحر الوجد تلفظني بلادي . |
| تحن ركابي واسن شوقا | اذا خطر اللقاء على فؤادي ، |

(١) الحبر التي تفتح عليه .

وأطمع في الرقاد رجاء زور
 سابعها تثير اليد وخداً^(١)
 لو ان النجم جاراها دليلاً
 تلفت بي الى الزوراء زوراً ،
 ولو ان الزمان جرى ، ومن لي ،
 وأمكنني المزار لما عدتني ،
 فمن لي ، ان تسيرني المطايا
 أقول لصاحب لم يدرك جهلاً :
 اذا واليت فانظر من قوالي ،
 فان أحببت تعرف ما التناهي
 ودعني والثناء على مبر
 على متوحد في الفضل سام
 أخني حكم ، شواهدا عليه ،
 إذا ما قيس قصر عنه قص^(٢)
 وان جاورته ، جاورت غيهاً
 أو استجده ، أعداك منه
 جواد بالذي تحوي يده
 يحبك قبل ان تدعو نداء
 أخو كرم يقل الثوب فيه ،
 وأخلاق كمثل الراح شيت
 بأفنى سميه حاز المعالي
 وفي الغايات ان ل^(٣) المذاكي
 أيا الحسن استمع مني ثناء
 كأنفاس الرياض سرت عليها
 أنادي فيه باسمك ، والقرافي
 وقد عرضته لك مستجيراً

يلم . وأين طرفي والرقاد ؟
 وتعتسف الظلام بغير هادي ،
 تحير أو شكا طول السهاد .
 كما التفتت الى الماء الصوادي ،
 بأن يجري الزمان على مرادي
 وحفك ، عن زيارتك الموادي
 إليك ، ولو سريت بغير زاد
 أغني ما تحاول أم رشادي
 وان عانيت فانظر من تعادي ،
 من الاشياء فانظر في المبادي ؟
 عرفت به صلاحي من فسادني .
 الى امد العلي ، مبني الايدي ،
 براد في الحواضر والبرادي ؛
 وقس ما علمنا في اباد .
 يذوب نداء في العام الجماد ؛
 أخو عزم على الايام عادي .
 اذا نودي : ألا هل من جواد ؟
 ويكفي كل سائدة بنادي ،
 وافضال تقر به الاعادي ،
 بمشمول من الصفو البراد .
 وأخفق غيره بعد اجتهاد .
 تبين المخرقات^(٤) من الجياد
 حلا ، فخلا من المعنى المعاد ،
 صبا ، فتمطرت غيب السهاد^(٥)
 تخرج لا بسمدي أو سعاد ؛
 بعد ذلك فيه من جور انتقاد .

(١) السير السريع .

(٢) هو قس بن ساعدة الايادي خطيب جامعي يشرب به المثل في الفصاحة والبلاغة والمروعة . كان يؤمن بالتوسيد ويدهو العرب اليه .

(٣) الملاحة والمضايقة .

(٤) القوس الذي امه عربي لا ايمه وقيل المكس .

(٥) مواقع الرسمي من الارض - الرسمي : اول مطر الربيع -

(ن.د)

ومثلك من رأى قصد القوافي
جزيت الصالحات، فانت اهل
ودمت على الزمان، وكل شيء
اليه ، وقال فيها باقتصاد ،
لها ، وسقيت أنواء الفوادي؟
على مر الزمان الى نفاذ :

وقال الشريف أبو يعلى عمى بن الهبارية العباسي من قصيدة يمدح بها الأجل أمين الدولة بن التليد
يقول فيها :

يا بني التليد لو وافيتكم
وقليت بكم عن صبيتي ،
انما طلقت كرماني بكم ،
برئيس الحكاه المرجي ،
عوقفتي عن حميد الملك ، دنياي ،
لو رأيته الله ، ابو الحسن ،
فهو من نخلة دمري طلحة
غدت الدنيا، ومن فيها معا ،
فاساني الوري ، كلهم ،
وبأبراد معالي ظله ،
شمس مجد لا تراها أبداً ،
جل ان يدرك وصفا مجده ،
فهو غدر الدهر، بل احسانه ،
لو تمكنت لكنت جملي ،
سن ، في دنيا المعالي ، سننا
فيه تفتخر الدنيا التي
سيدي ، كم غمة جلبتها
وأباد جة اوليتها
نثرت منك بروق لم تكن ،
وجراءى منك بر شكره
انما أحبو بني التليد بالمدح
فان يحبي منهم محبي الندي
وهو في الفضل له الفضل على

لم تكن نفسي بأهلي شفه ،
وغدا وسطى ثقيل المنصفه .
انكم لي عوى ، ما اشرفه
انه لي جنة عتقته (١) .
عوقفتي عن حميد الملك ، دنياي ،
لو رأيته الله ، ابو الحسن ،
فهو من نخلة دمري طلحة
غدت الدنيا، ومن فيها معا ،
فاساني الوري ، كلهم ،
وبأبراد معالي ظله ،
شمس مجد لا تراها أبداً ،
جل ان يدرك وصفا مجده ،
فهو غدر الدهر، بل احسانه ،
لو تمكنت لكنت جملي ،
سن ، في دنيا المعالي ، سننا
فيه تفتخر الدنيا التي
سيدي ، كم غمة جلبتها
وأباد جة اوليتها
نثرت منك بروق لم تكن ،
وجراءى منك بر شكره
انما أحبو بني التليد بالمدح
فان يحبي منهم محبي الندي
وهو في الفضل له الفضل على

(١) مجتاة .

(٢) اصول الزرع بقي بعد الحصاد .

حقق الكتيبة من والده
 وهم من صاعد عن سادة ،
 لا تقسم بالورى كلمم
 فابن ابراهيم ، لاهوت الملى ،
 يا رئيس الحكاء استجلبها
 اني انقذت لخلي قاصدا ،
 وبانامك قد علقها
 فابق للمجد ثالا (٣١) ما رغت (٤١)
 كم لكم من نعمة لالدة (٣٢) ،
 جدموا ايرادها ، يا سادتي ،

كرما فيه وطبعها الله .
 بائي ، مجدم ما أنظفه ا
 فتقس ليت الشرى بالجمدفة .
 من دعاه بشراً ما انصفه .
 من بنات الفكر بكرا ماتفه ،
 أشتكي دهرأ قليل النصفه (١١) ،
 انه يحلو الخطوب المندفه (٢١) .
 لغبا (٥١) جيرة (٦١) سار موجفه .
 تارجى اختها المطرفه ،
 بأباد منكم مؤتفه (٨١)

(الرمل)

وكتب ابو اسمعيل الطبراني إلى امين الدولة بن التليذ :

يا سيدي ، والذي مودعه
 من ألم . الظهر أستغيث وهل
 عندي روح يحيا بها الجسد .
 يألم ظهر اليك يستند ؟

(المشرح)

وكان محمد بن جكيننا قد مرض وزاره امين الدولة فقال فيه ابن جكيننا :
 قصدت ربي ، فتعالى به
 فها رأى العالم ، من قبلها ،
 قنري ، فذلك النفس من قاصد .
 بحرأ مشى قط الى وارد

(السريع)

وكان بعض الشعراء ينفدوا الى امين الدولة وشكى حاله واستوصفه فوصف ما يصلح للمرض .
 الذي شكاه ، ثم دفع له صرة فيها دنانير وقال له : هذه تصلح بها مزورة زرباج فاخذها وبرأ بعد
 ايام فكتب اليه :

اتيتك اشتكي وفي مرض
 فقلت ، اذ برني وابرائي :
 الى التداوي والرفد محتاج
 هذا طبيب عليه زرباج

(المشرح)

-
- (١) الانصاف والمعدل .
 (٢) المستورة الرخي عليها السدول الكثيرة .
 (٣) قبال : الثياب التي يعتم بالامر . (٤) صاحت وصوتت . (٥) اعياء . (٦) جرة رشجاعة .
 (٧) الاصيل الموروث .
 (٨) المتبداً بها اي التي لم تقدم بعد . «ن. ر»

ومن كلام امين الدولة بن التليذ ، حدثني سديد الدين بن رقيقة ، قال ؛ حدثني
فخر الدين المارديني ، قال : كان يقول لنا امين الدولة : لا تقدروا ، ان أكثر الامراض تحيطون
بها خبرة ، فان منها ما يأتيكم من طريق السهولة . وكان يقول أيضاً : متى رأيت شوكة في البدن
ونصفها ظاهر فلا تشترط انك تقلمها ، فانها ربما انكسرت .

ومن كلامه قال : ينبغي للعاقل أن يختار من اللباس ما لا تحسده عليه العامة ، ولا تحقره
فيه الخاصة .

ومن شعر الاجل امين الدولة بن التليذ ، وهو مما أنشدني مذهب الدين أبو نصر محمد بن محمد بن
ابراهيم بن الحضر الحلبي بما سمعه من والده قال : أنشدني امين الدولة بن التليذ نفسه .

حي سعيداً جوهر ثابت ، وحبه لي عرش زائل ،
به جهاتي الست مشغولة وهو: إلى غيري بها مائل .
(السريع)

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني والدي ، قال : أنشدني المذكور نفسه .
اذا وجد الشيخ في نفسه نشاطاً ، فذلك موت خفي .
أنت ترى أن ضوء السراج له لب قبل أن ينطفي
(المتقارب)

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني والدي ، قال : أنشدني المذكور نفسه .
تص القياس فلفرام قضية ليست على نهج الحبي تنقاد
منها بقاء الشوق وهو يعرفنا عرش وقني دونه الاجساد
(الكامل)

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني والدي ، قال : أنشدني المذكور نفسه في الوزير السركزني
قالوا فلان قد وزر ^(١) فقلت كلا لا وزر
والله لو حكمت فيه جطلته يرعى البقر
(الرجز)

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني والدي ، قال ، أنشدني المذكور نفسه :
قال الأنام ، وقد وأوه مع الحداثة ، قد قصدر :
من ذا الجاوز قدسه ؟ قلت : المقدم بالخوض .
(الكامل المرفل)

(١) اصبح وزيراً .

وانشدني ايضاً ، قال : انشدني والدي ، قال : انشدني المذكور لنفسه :
 قد قلت للشيخ الجليل الارمني أبي المظفر :
 ذكرته فلان الدين بي . قال : المؤنث لا يذكر
 (الكامل المرفل)

وانشدني ايضاً قال : انشدني والدي ، قال : انشدني المذكور لنفسه لغزا في السمك .
 لبسن الجواشن خوف الردي ، وعلين فوق الرؤوس الخوذ .
 فلما أظها الردي أهلكته ، بشم نسيم الهوا المستذ .
 (المقارب)

ومن شعر أمين الدولة بن التلميز ايضاً قال :
 سقى النفس بالعلم نحو الكمال ،
 ولا ترج ما لم تسبب له ،

تواف السعادة من باها ،
 فان الامور بأسبابها
 (المقارب)

وقال ايضاً :
 لولا حجاب أمام النفس بينهما
 لادركت كل شيء عز مطلبه
 عن الحقيقة فيما كان في الازل ،
 حتى الحقيقة في المعاول والمطل .
 (البسيط)

وقال ايضاً :
 العلم للرجل اللبيب زيادة ،
 مثل النهار يزيد ابصار الوري
 وتقيصة للاحمق الطباش .
 نوراً ، ويفشي أعين الخفاش
 (الكامل)

وقال ايضاً :
 بزجاجتين قطعت عمري ،
 بزجاجة ملئت بحبر ،
 فبدي أثبتت حكمتي ،
 وعليهما عولت دمري :
 وزجاجة ملئت بخمر .
 وبلي أزيل هوم صدري
 (الكامل المرفل)

وقال ايضاً :
 نواضح كالبدر استنار لناظر
 ومن دونه ، يسمو الى المجد صاعداً ،
 على صفحات الماء ، وهو رفيع
 سمو دخان النار وهو وضيع

وقال ايضاً :
 اذا كنت محموداً فانك مرمد
 عيون الوري ، فأكظمهم بالتواضع
 (الطويل)

وقال أيضاً :

لا تحقرن عدواً لأن جانيه ،
فلذابة في الجرح المدة^(١) يد
ولو يكون قليل البس والجلا ،
تال ماقصرت عنه يد الأسد
(البسيط)

وقال أيضاً :

نفس الكريم الجواد باقية
والحر حر وإن ألم به
والنذل لا يتندي لكرمة
فالقطر^(٢) سم إن احتواه فم الصل ،
فيه ، وإن من جلده العصف^(٣)
الضرفيه العفان والأنف ؛
لأن ذاك المزاج منحرف .
(المشرح)

وقال أيضاً :

كانت بلهنية^(٤) الشيبية سكرة ،
وقعدت أرتقب الفناء كراكب ،
فصحت ، فاستأنفت سيرة بجل ؛
عرف الحل قبات دون النزل
(الكامل)

وقال أيضاً :

قالوا : شباب الفتى خוות
فقلت : أبعتم قياساً
والشيب واف فليس يرسل
ذاك سيب ، وذا موكل
(البسيط)

وقال أيضاً :

وأرى صوب العالمين ولا أرى
كالطرف يستجلي الوجوه ووجه
عيماً لنفسي وهو مني قريب
منه قريب وهو عنه مشيب
(الكامل)

وقال أيضاً :

أجدك ، إن من شم اللبالي العنيفة أن تجبور على القهف ،
كثل الخلط أغلب ما تراه
يصب أناءه في المضو الضيف
(الوافر)

«١» المصح .

«٢» المزال .

«٣» الشبه التي مطر .

«٤» زخاؤه ونمته .

« ذر د »

وقال ايضاً :

كأس يطفي لب الأروام ، فان يعين هاضم الطعام ،
والسرور ثالث الدمام ، والعقل ينفيه مزيد جام
(الرجز)

وقال ايضاً :

يا من رماني ، عن قوس فرقته ، بسهم هجر غلا تلافيه
ارض لمن غاب عنك غيبته ، فذاك ذل عفايه فيه ؛
لو لم ينله من المذاب سوى بعدك عنه لكان يكفيه
(المشرح)

وقال ايضاً :

عائيت إذ لم يزر خيالك والنوم بشوقي اليه مسلوب
فزارني منما وعائتي كما يقال الماء مقلوب
(المشرح)

وقال ايضاً :

لسيف جفونك فضل على مواضي السيف التي في الجفون .
فتلك ، مع القتل ، لا تستطيع رجح النفوس بدفع التون
وعيناك يقتلني شورها^(١) وأحيا بإيضاها^(٢) في سكون
(المتقارب)

وقال ايضاً :

تقت محاسنه سوى كلف ، حاو الواقع ، زانه بشر
وسموا به لألاء غرته عداً ليمل أنه يدّر
(الكامل)

وقال ايضاً :

لا تحسبن سواد الحال عن خال من الطبيعة ، أو احداه خطا ،
وانما قلم التصوير حين جرى بنون حاجبه ، في حده نقاط
(البسيط)

وقال ايضاً :

ابصره عاذلي عليه ، ولم يكن قبله وآه ،
فقال لي : لو عشقت هذا ما لامك الناس في هواه ،

«١» انظر بامراض او غضب . «٢» مساواة للخطر .

قل لي الى من عدلت عنه
فظل من حيث ليس يدري

وقال ايضاً :

يا من ليست عليه اثواب الغنا
ادرك بقية مهجة لو لم تذب ،

وقال ايضاً :

انت شغلي في كل حال ، فنومي
طال ليلى بطول هجره ، لا دا

وقال ايضاً :

براني الهوى يري المدى فاذا بيني
ولست أرى حتى أراك ، وانما

وقال ايضاً :

وغزال ، فاق الفزالة حسناً ،
قال إذ رمت : أألك سخطاً .

وقال ايضاً :

لئن تموضت عن وصلي بمطرف
اني بعزة نفس انت تعرفها

وقال ايضاً :

قد كنت اعتد حيناً
فقد بليت عن ساو
مالي أهم بحسن

وليس أهل الهوى سواء
يأمر بالمشق من نهـاء
(البسيط)

صلاً مشهورة بحمر الادمع ،
شوقاً اليك ، نغيتها عن اضلمي
(الكامل)

بحيـال ، ويعطني بأذكـار .
م ، وشوقي الى الليالي القصـار
(الخفيف)

صدودك حتى صرت أغل من امس
يبين هباء النـر في افق الشمس
(الطويل)

فاتر الطرف ذي جفون مراض
لينة قالها بصفحة راض
(الخفيف)

فلا تظنن اني غير متاه
لسابق سواة السالي بإعراض
(البسيط)

لغياك انفس ربح
سماء عقلي تصحي
يكون علة قبح
(المجتـب)

وقال أيضاً :

لو كان يحسن غصن البان مشيتها
في صدرها كوكبا نور أقلها
صانتها في حرير من غلائلها
تأوداً ، لمشاهها غير محشم .
ركنان لم يبنوا من كف مستلم
فنحن في الحل ، والركنان في الحرم
(البسيط)

وقال أيضاً :

عانقتها ، وظلام الليل منسدل ،
قبت أحبه خوفاً ان يفبها ،
ثم انتبعت يبرد الحلي في الفللس^(١) ،
واقفي ان أذيب العقد بالنفس
(البسيط)

وقال أيضاً :

لا تظني تجنبي لملال ،
رب هجر يكون أدمى الى الوصل ،
انت من خوف ساوتي في أمان .
ووصل أدمى الى الهجران .
(الخفيف)

وقال أيضاً :

وكان عذارى^(٢) عندها عنبر وصلها ،
فأعجب بأمر أمسى داعية الهوى
فشاب ، فصار العنبر في صدعها عندي
يحول فيضحي اليوم داعية الصد
(الطويل)

وقال لفرأ في السحاب :

وهاجم ليس له من عدوى ،
بكأواء وضحكك في معنى
مستبدل بكل مثوى مثوى
إذا بكى أضحك أهل الدنيا
(الرجز)

وقال أيضاً لفرأ في الميزان :

ما واحد ، مختلف الاهواء ،
يحمك بالقسط بلا رياء ،
يعدل في الارض وفي السماء ،
أخسر لا من علة وداء ،
بالرفع والخفض عن النداء .
يحيب ، ان ناداه ذو امتراء ،
(الرجز)

(١) ظلة آخر الليل .

وقال أيضاً لنزا في الدرع :

وبيضاء ، لا البيض والسمر قدما ،
تجلت لنا حياء ، ولم تجر في رجا
وقيت بها نفسي فكانت ، كأنها ،

تظاهر في تقويها الحر والبرد ؛
ولكن تولاه لها الدق والبرد ،
هي الشمس محبوا بها الكوكب الفرد
(الطويل)

وقال أيضاً لنزا في الابرّة

وكاسبة رزقا سواها يحوزه ،
مفرقة للشمل ، والجمع دأيا ؛
إذا خطر جرت فضول فهو لها
تري الناس طرا يلبسون الذي نضت
لها البيت بمد المز غير مدافع
أضر بها مثلي لمحول يحسها

وليس لها حد عليه ، ولا أجر .
وخادمة للناس ، تخدعها عشر .
سجية ذي كبر^(١) وليس بها كبر .
تعمهم جوداً ، وليس لها وفر .
الى يأسه تعزى المهندة البتر .
وان لم يرعها ، مثل ما راعني ، هجر .
(الطويل)

وقال أيضاً لنزا في الظل

وشيء من الاجسام ، غير مجسم ،
يتم أواني كونه وفساده
إذا بانت^(٢) الاوار بان لناظر

له حركت فارة وسكون .
وفي وقت يحياه الحلقا يكون
وأما اذا بانت^(٣) فليس يبين
(الطويل)

وقال أيضاً بما يكتب على حصير

أفرشت خدي للضيوف ولم يزل
فتواضعي أعلا مكاني بينهم

خلفي التواضع لليبب الاكيس ؛
طورا ، فصرت أحل صدر المجلس
(الكامل)

وقال أيضاً في مناه

رب وصل شهادته فتشمت عناقا بالماشقين جيما
وجداني للود أهلا ، والسر مكافا ، ولالصديق مطيما .

(الحفيف)

(١) الشرف والرفعة .

(٢) ظهرت وانقضت .

(٣) انقطع وفارق .

وقال ايضاً في مدخنة البخور

اذا الهجر أضرم نار الهوى ،
أبوح بسراري المضررات
اذا ما طوى خبري صاحب
فقلي يضرهم للهجر نارا ،
تبدو سرا^(١) وتبدو جهارا .
أبى طيب عرفي الا انتشارا ا

وقال ايضاً فيها

كل نار للشوق تضرم بالهجر ، وناري تشب عند الوصال ،
فاذا الصد راعني سكن الوجـد
ولم يخطر الغرام ببالي .
(الحفيف)

وقال ايضاً فيها

يشكون المحبوت الجوى
وأشد ما أصلى بنا
عند التفرق والزوال^(٢)
والشوق أوقات الوصال .
(الكامل المرفل)

وقال ايضاً فيها

رب حمى لا ترام عزله
بيدي عياني لمن تأملني
أجته النفس غير محبوب
نار محب وثشر محبوب
(اللمسرح)

وقال ايضاً في فصل الشرب

اذا ما خطبت الود بين معاشر ،
اذا استأثروا من كل كأس بصفوها ،
فكن لهم مثلي تعد اخا صدق ؟
رضيت بما أبقوه من مشرب رتي^(٣)
(الطويل)

وقال ايضاً

لا تدع ربك ان يعذب عاشقاً ،
لقبيح صورتها ، بنير وصالها
(الكامل المرفل)

وقال ايضاً

أكثر حسو^(٤) البيض حكياً يستديم قيام أيرك
ما لا يقوم ببضيتك فلا يقوم ببيض غيرك
(الكامل)

(١) خفيه غير ظاهرة
(٢) للبعد .
(٣) شرب .
(٤) كثر

وقال أيضاً هجو انساناً بالعين

مدور العين فأتخذته
لو رمت عينه الثريا

لئل (١) غرس وثل (٢) عرش
أخرجها في بنات نمش
(البسيط)

وقال أيضاً

يا دار، لا تكبرني مني التفات فتى
عهدت فيك قديراً كان يؤنسني

فراق أحبابه أجرى مدامه
حيناً فسيناي تستقرى مطاله .
(الطويل)

وقال أيضاً

خليل نأى عني فبدلت بعده
أغار عليه صرف دهر فذاله

مقيم الجوى من صفو عيش وطيه
وعما قليل سوف يلحقني به
(الطويل)

وقال أيضاً

لا تمجروا من حنين قلبي
فالقوس مع سكنها جاداً ،

اليهم ، واعنوا غرامي
تثن من فرقة السهام
(البسيط)

وقال أيضاً

كيف ألد العيش في بلدة
لو أنها الجنة قد ازلقت (٣)

سكان قلبي غير سكانها
أرضها إلا برضائها (٤)
السريع

وقال أيضاً يرثي :

كم ذا الوقوف على غرور أماني
هل عيشة بعد الرضى مرضية
ان الساء لفقدته لحزينة ،
والغيث احممه وما برقت به

أأخذت من دنياك عهد أمان
كلا ، ولو كنت خلوه جنان !
فربها نفس الكتيب العالي ؛
نار الجوى والزعد للارنان (٥) .

(١) لله : صرحه .

(٢) لله : مدحه .

(٣) قدمت .

(٤) الملك خازن الجنان .

(٥) الإربان : الصورت الشديدة .

لو ذاق فقدك من يالوم على البكا
تبوءك اذا صلوا عليك، ولم تزل
كنت المخدم في الصفوف لجولة
لا تبعدن، وما البعيد بين نأى
وقال ايضاً يرثي الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور ديبس الأسدي لما قتل .
لَيْتَكَ ابْنُ مَنْصُورٍ عَفَا^(٢) قواله
ويذكرهم من ردم بمبوسة
ولما سما فوق السهـاء بهمة ،
رمته الليالي ، بل رمتنا برزقه
عليك سلام ، لا تزال قلوبنا
ولا برحت عين السهـاء يربلها^(٤)

(الطويل)

وقال ينفى بجملة :

لئن شرفت مناسبتها وجلت
الى من زانها وأزان منها

(الوافر)

وكتب اليه الرئيس ابو القاسم علي بن أفلح الكاتب وقد نقه من مرض كان به .
انا جوهان فائق في من هذي الجاهه
فرجني في الكسرة الحزن ولو كانت قطاعة^(٦)
لا تقبل لي ساعة تصبر ، ما لي صبر ساعه
فخواري اليوم ما يقبل في الحزن شفاعه

(الرملي)

فكتب اليه امين الدولة بن التلميد الجواب :

هكذا اضياف مثلي
غير الي ليس عندي
يتشكون الحضر من شفاعه

(١) حاب .

(٢) طلاب الفضل او رزق .

(٣) الريح البارد الشديد الحبيب .

(٤) المطر الشديد .

(٥) ما علق في الأذن او اعلما من الحلى .

(٦) القصة التي يؤكل نصفها ويرد نصفها .

قتل بموسى (١)
بجيتي قل : كما
فهو خير من قطاعه
سعد مما وطاعه

وامدى الى الوزير ابن صدقه كتاب المحاضرات للراغب وكتب معه .
لما تملر أن اكون ملازماً
لجناب مولانا الوزير صاحب ،
اذكرته بمحاضرات الراغب
ورغبت في ذكرى بحضرة مجده ،
(الكامل)

وكان ابو القاسم بن الفضل قد عتب على امين الدولة بن التليذ عتبا مريباً ، فاجابه امين الدولة
بأن خلع عليه قيصاً مصمتاً اسود وكتب اليه .
احبك في السوداء تصعب ذيلها
خطيباً ولكن لا بذكر مثالي (٢)
(الطويل)

وقال ايضا
أتاني كتاب لم يزدني بصيرة
فقلت وقد اخجلتني بإبتدائه
بؤدد مهديه الي وفضله
أبى الفضل إلا ان يكون لاهله
(الطويل)

وكتب الى الوزير سعد الملك نصير الدين في صدر كتاب .
لا زال جددك بالاقبال موصولا
ولا عدمت من الرحمن موهبة
فتمن منطلق الكفين أنت اذا
تجود بالمال لا تسأل يده وارث
لا يستريح الى العلات معتنوا
يبادر الجود سبقاً للسؤال يرى
لا غرو ان كسفت شمس الضحى وبنت
فأنت سيف غياث الدين أحمد
فلا خلا الدست (٣) من غيث اذا قنطوا
فما يلقى بغير السعد مسنده
فاسلم على الدم في نهام صافية
وجد ضدك بالاذلال مغاولا
تميد ريمك بالمافين مأهولا
اضى القثم عن المروف مغاولا
تسأل فصاحته بد الورى قبالا
اذا الضنين رأى لبخل تأويلا
تمجبه بمد بذل الوجه تأجيلا
فأكثر الناس تبجيلاً وتعليلا
صوا ، وعاد على الاعداء مسولا
ظل نداه لدى الرواد مبذولا
وان أعاروه إعطاماً وتبجيلا
من النوائب مرهوباً ومأمولا
« البسيط »

(١) طمام يتخذ من دقيق الحنطة أو الشعير الخلي

(٢) المايب .

(٣) المايب .

وكتب في صدر كتاب الى جمال الرؤساء أبي الفتح هبة الله بن الفضل بن صاعد جواباً :

| | |
|-----------------------------------------------------|-----------------------------------------------------|
| عوادها طل الندى وقطار ^(١) | ما نشر انفاس الرياض مريضة |
| وحبا عليها حنوة ^(٢) وعرار ^(٣) | بدمية ^(٤) ميثاء ^(٥) حلى وجهها |
| وكفى صداها جدول مدرار | كفلت بثروتها مؤبدة بها |
| أبكي فتضعك بي الفداة نوار | بكت السماء فأضعكتها مثل ما |
| فتمازج النوار والنوار | وإذا تعارضها ذكاه تشعثت |
| فصبا المشوق وغيره استعبار | مشت الصبا بفروعها غشالة |
| أبدى بلابل صدره التذكار | وإذا تقنى الطير في ارجائها |
| أو غائباً تدنو بك الاخبار | يوماً باطيب من جوارك شامدا |

وكتب اليه جمال الملك ابو القاسم علي بن أفلح في أثناء كتاب :

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| نهارى حنين وليلي أنين . | إني ، وحسبك ، منذ ارتحلت |
| يحمي يقيم وقلب يمين . | وما كنت اعرف قبلي امرءاً |
| ولوعي بذكراك لا تسكين ؟ | يقول الحلي ، اذا ما رأى |
| أندري جوى البين أنى يكون ؟ | تل . فقل : دهاك الفراق ، |
| وحزني وفي وصبري خؤون ؟ | وكيف السبل الى سلوتي |

« المتقارب »

فكتب أمين الدولة في جوابه :

| | |
|-----------------------------------------------|---------------------------|
| واني ، وحبك ، مذ بنت عنك قلبي حزين ودمعي هتون | وأخلف ظني صبر 'معين' ، |
| وشاهد شكواي دمع 'ممين' . | فله أيماننا الحاليات |
| لو رد سالف دهر حنين . | واني لأرعى عهد الصفاء ، |
| ويكلؤها لك ود مصون . | واحفظ ودك عن قاذح ، |
| وود الاكارم علق ثمين . | ولم لا يكون ، ونحن اليدا |
| ن ، أنت بفضلك منها اليمين . | اذا قلت اسأوك قالوا الفرا |
| م : هيات ذلك ما لا يكون ا | وهل لي في سواة مطعم |
| وصبري خؤون وودي أمين | |

وكتب في صدر كتاب الى العزيز أبي نصر بن محمد بن حامد مستوفي الممالك :

لعمري ايئك ، الخير ليس لواحد من الناس إلا حامد لابن حامد

(١) السحاب الكثير القطر - المطر - .

(٢) ما سهل دلائل . (٣) لينة سفة من غير رمل .

(٤) نبت سهلي طيب الرائحة أو هو الريمان أو الرند أو الفار ، أو هو آذريون البر ، نبتة شديدة الحفزة طيب الريح .

(٥) العرجس البري (ن.د.)

كانهم داروا الاله يشكروهم علاه ولكن لا كشكر ابن ساعد
هم خيروا عنه فالتوا بصالح وعندي بما اتيت خير المشاهد
(الطويل)

وكتب الى ابن أفلح
أسأت بنفسي حين أزمعت رحلة فهمي بمجوع بشملي المشرق
فان امرأاً سره الموفق قريبه وفارقه طوعاً لغير موفق
وكتب الى موفق الدين أبي طاهر الحسين بن محمد لما اجتاز بساوة
(الطويل)

ودخل الى دار كتبها التي وقفها المذكور المكتوب اليه :

وفقت للغير اذ عمت به طلابه يا موفق الدين
أزلت للناس حجة جمعت عيون فضل اشهى من العين
فيها ثمار العقول دانية قطوفها حلوة ألافانين
لا زلت لسمو بكل صالحة بممدي قدرة وتمكين
ويرحم الله كل متمم مشيع دعوتي بتأمين
(المسرح)

ولامين الدولة بن التليذ من الكتب : أقراباذينه العشرين باباً ، وشهرته وتداول الناس له أكثر من
سائر مكتبته . أقراباذينه الموجز البيارستاني ، وهو ثلاثة عشر باباً . الهالة الأميلية في الادوية
البيارستانية . اختيار كتاب الجاوي للرازي . اختيار كتاب مسكويه في الاشربة . اختصار شرح
جالينوس لكتاب الفصول لابن قراط . اختصار شرح جالينوس لكتاب مقدمة المعرفة لابن قراط . تمة
جوامع الاسكندرانيه لكتاب حجة البره لجالينوس . شرح مسائل حنين بن اسحق على حجة التعليق .
شرح احاديث نبوية تشتمل على طب . كناش . مختصر الحواشي على كتاب القانون للرئيس ابن سينا .
الحواشي على كتاب المائة للمسيحي . التعاليق على كتاب المنهاج ، وقيل انها لملي بن هبة الله بن ازدي
البغدادي . مقالة في القصد . كتاب يشتمل على توقيعات ومراسلات . تعاليق استخرجها من كتاب
المائة للمسيحي . مختار من كتاب ابدال الادوية لجالينوس .

أبو الفرج يحيى بن التليذ

هو الاجل الحكيم ممتد الملك أبو الفرج يحيى بن ساعد بن يحيى بن التليذ ، كان متمنياً في العلوم
الحكيمة ، متقناً للصناعة الطبية ، متحلياً بالادب بالغاً فيه أعلى الرتب . وكذلك أيضاً كان
لامين الدولة بن التليذ جماعة من الانساب كل منهم متعلق بالفضائل والآداب . وقد رأيت بخط الاجل

معتمد الملك يحيى بن التليذ ما يدل على فضله ، وعلو قدره ونبله . وكلف من المشايخ المشهورين في صناعة الطب ، وله تلاميذ عدة .

وقال الشريف أبو العلاء محمد بن الهبارية المباسي من قصيدة يمدح الحكيم أبا الفرج يحيى بن صاعد ابن التليذ ، وكان ابن الهبارية قد أتاه الى اصبهان فحصل له من الامراء والاكابر مالا جزيلا ، يقول فيها :

| | |
|------------------------------|---------------------------------------------|
| وجميع ما حصلته وجمعه | منهم ، وكنت له بشعري كاميا |
| نعمي أبي الفرج بن صاعد الذي | ما زال عني في المكاسب ثابيا . |
| هو ، لا عدت علاه ، حصل كل ما | أملته ، ومري ^(١) فكنت الحالبيا . |
| يحيى بن صاعد بن يحيى لم يزل | للكرمات الى جنباني جالبيا ؟ |
| أشيا مطامي التي مالت قتي ، | أشيا الفتوة والمروءة دائبيا ؟ |
| ما زال ينمشني نداء حاضرا ، | وينوب عني في المطالب غائبيا . |
| في باب سيف الدولة بن يائها ، | وكذا نصير الدين كان مخاطبيا ، |
| صكائبته بمواجبي وهزرتيه | فوجدته فيها الحسام القاضيا . |
| وكذلك في باب الاغر وغيره | في الخطب كنت له بذاك مخاطبيا |
| ما زال يفرسني يداه ولم ازل | بملاء ما بين البرية خاطبيا . |

ومنها

| | |
|------------------------------------------------------------------|--------------------------------|
| لا تحوين أخاك ، لا بل عبدك القن ابن عبدك ، ان يروم اجانبيا | فلأنت أولى بي ، لما عودتني ، |
| عن غدا لي في الاصول مناسبا . | |
| لا زلت التي بالذي أوليتني ، | وعلى المديح محافطاً ومواطبا ، |
| وبقيت لي ذخراً ، ودمت ممتما | بالجهد ، للابرار منه ساحبيا . |
| ثقة الخلفاء ، سيد الحكماء ، معتمد الملوك ، الفيلسوف ، الكلابيا ، | |
| لم لا تكاتبني ، فكتبك تزهة | حسنا تحمال من الجلال كتابيا ، |
| ومن الملاحة واللطافة روضة ، | ومن الافادة في البيات سحابيا . |
| مازح وطايب ما استطعت فالفتي ، | من لا يكون نمازاً ومطابيا . |
| وقد اك من قرب الزمان وصرفه ، | قوم يريدون الزمان مهابيا . |

(الكامل)

ومن شعر ابي الفرج يحيى بن التليذ ، نقلت من كتاب زينة الدهر لملي بن يوسف بن أبي المعالي سعد بن علي الخطيري قال : وجدت بخط الاجل الحكيم معتمد الملك يحيى بن التليذ لنفسه لفرأ في الابرة .

وفاغرة فما في الرجل منها ، ولكن لا تسبخ به طعاما ؛

(١) مسح الضرع لتدر

وغظفة الحشا في الرأس منها ،
تصول بشوكة تبدو وسم ،
تجر وراءها ابتداء اسيراً ،
منيعا ذا قوى لكن تراه
فتلقيه بحبها مقيا
أيا حببا لها سوداء خلفا ،
غدت عريانة من كل لبس ،
لسان لا تطيق به الكلاما ؛
وما من ذاقه يرد الهلما ؛
كما قادت يد الحادي الزماما ؛
بقبضتها ذليلا مستضاما ،
طوال الدهر ، لا يأبى الهلما .
وبك خلقتا بيضا كراما ،
وقاضل ذيلها يكسو الاثاما .
(الوافر)

قال وجدت بخطه في دار جديدة بناها سيف الدولة صدقة ، وقعت فيها ثار يوم الفراغ منها

يا باني دار الملى ملائها
علت بذلك انما شيدتها
للتريدها شرفا على كيوان
للمجد والافضل والاحسان
ففتت عوائد الكرام وسابقت
تستقبل الاضياف بالثيران
(الكامل)

ومن شعر أبي الفرج يحيى بن التليذ أيضا قال لنزأ في القوس

وما ذو قامة ذات احواج
لها المكر الخفي مع التمتطي
ثن وتحنى عند الهياج
تكر الراح في الفلح الزجاج
(الوافر)

وقال ايضا :

علق للفؤاد على خلو حبها
لا يستطاع الدهر فرقة بينهم
علق الذبالة في الحشا المصباح
الا حين تفرق الاشباح
(الكامل)

وقال ايضا :

فراقك هندي فراق الحياة
علقتك كالنار في شمها
فلا تجهزن على مدنف
فما ان تفارق او تنطفي
(المتقارب)

وقال ايضا :

بدا بنا أرج القادم
روح عن قلبي على نأيه
فبرء النفة من حاتم
وقد يلد الطيف للعالم
(السريع)

وقال في ذم من :

لنا من ان شدا قدغننا ثلوجه
فوتنا خروجه وبشنا خروجه
(الرجز)

أوحـد الزمان أبو البركات هبة الله بن علي ملكا

البلدي لان مولده ببلد ، ثم أقام ببغداد ، كان يوديا وأسلم بعد ذلك . وكان في خدمة المستنجد بالله ، وتصانيفه في نهاية الجودة . وكان له اهتمام بالغ في العلوم وفطرة فائقة فيها . وكان مبدأ تعلمه صناعة الطب أن أبى الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين كان من المشايخ التميزين في صناعة الطب ، وكان له تلاميذ عدة يتناوبونه في كل يوم للقراءة عليه ، ولم يكن يقرئ يوديا أصلا . وكانت أبو البركات يشتهي ان يجتمع به ، وأن يتعلم منه ، وثقل عليه بكل طريق ، فلم يقدر على ذلك . فكان يتخادع للبواب الذي له ؛ ويجلس في دهليز الشيخ بحيث يسمع جميع ما يقرأ عليه ، وما يجري معه من البحث ، وهو كلما سمع شيئا تفهمه وعقله عنده .

فلما كان بعد مدة سنة أو نحوها ، جرت مسألة عند الشيخ وبحوثا فيها فلم يتجه لهم عنها جواب وبقوا متطلعين الى حلها . فلما تحقق ذلك منهم أبو البركات ، دخل وخدع الشيخ ، وقال : يا سيدنا ، عن أمر مولانا اتكلم في هذه المسألة ؟ فقال : قل ان كان عندك فيها شيء . فاجاب عنها بشيء من كلام جالينوس ، وقال: يا سيدنا ، هذا جرى في اليوم الفلاني من الشهر الفلاني ، في ميعاد فلان ، وعلق بخاطري من ذلك اليوم . فبقي الشيخ متعجبا من ذكائه وحرصه ، واستخبره عن الموضوع الذي كانت يجلس فيه ، فاعطه به . فقال : من يكون بهذه المثابة ما نستعمل أن نمنه من العلم وقربه من ذلك الوقت ، وصار من أجل تلاميذه .

ومن نوادر اوحـد الزمان في المداواة: ان مريضاً ببغداد كان قد عرهرله علة المالبخوليا، وكان يعتقد ان على رأسه داء ، وانه لا يفارقه أبداً . فكان كلما مشى يتعاهد المواضع التي سوفها قصيرة ويمشي يرفق ، ولا يترك أحداً يدنو منه ، حتى لا يميل الدن أو يقع عن رأسه . وبقي بهذا المرض مدة وهو في شدة منه . وعالجه جماعة من الاطباء ولم يحصل بمعالجتهم تأثير يلتفت به . وانتهى أمره الى اوحـد الزمان ففكر انه ما بقي شيء يمكن ان يبرأ به الا بالأمر الرومية ، فقال لاهله : اذا كنت في الدار فاقوني به . ثم ان اوحـد الزمان أمر أحد غلمانا بان ذلك المريض اذا دخل اليه وشرع في الكلام معه ، واثار الى الغلام بعلامه بينهما ، انه يسارع بنخبة كبيرة فيضرب بها فوق رأس المريض على بعد منه كأنه يريد كسر الدن الذي يزعم انه على رأسه ، وأوصى غلاماً آخر ، وكان قد أعد معه دنا في أعلى السطح ، أنه متى رأى ذلك الغلام قد ضرب فوق رأس صاحب المالبخوليا ان يرمي الدن الذي عنده

بسرعة الى الارض . ولما كان اوحـد الزمان في داره ، وأناه المريض شرع في الكلام معه وحادثه ، وانكر عليه حله للـدن ، و اشار الى الغلام الذي عنده من غير علم المريض فاقبل اليه ، وقال والله لا بد لي أن اكسر هذا الدن وأريحك منه . ثم أدار تلك الحشبة التي معه وضرب بها فوق رأسه بنحو ذراع ، وعند ذلك رمى الغلام الآخر الدن من أعلى السطح ، فكانت له جلبة عظيمة ، وتكسر قطعاً كثيرة. فلما عاين المريض ما فعل به ، ورأى الدن المنكسر ، تأوه لكسـرم إياه ، ولم يشك انه الذي كان على رأسه يزعمه ، واثـر فيه الورم أوأ يرىـه من علته تلك .

وهذا باب عظيم في المداواة ، وقد جرى امثال ذلك لجماعة من الاطباء المتقدمين مثل جالينوس وغيره في مداواتهم بالأمور الرومية . وقد ذكرت كثيراً من ذلك في غير هذا الكتاب .

وحدثني الشيخ مهذب الدين عبد الرحمن بن علي ، قال ؛ حدثني موفق الدين أسعد بن الياس المطران قال ؛ حدثني الاوحد بن التقي ، قال ؛ حدثني أبي ، قال حدثنا عبد الودود الطيب ، قال ؛ حدثني أبو الفضل تلميذ أبي البركات المعروف بأوحد الزمان ، قال ؛ كنا في خدمة أوحد الزمان في معسكر السلطان، ففي يوم جاءه رجل به داحس ، الا ان الورم كان ناقصاً ، وكان يسيل منه صديد، قال: فعين رأى ذلك أوحد الزمان بأدر الى سلامة^(١) اصبه فقطعها ، قال ؛ فقلنا له يا سيدنا لقد اجهضت في المداواة ، وكان يفنيك ان تدويه بما يداوي به غيرك ، وتبقي عليه اصبه ، ولناه وهو لا ينطق بحرف . قال: ومضى ذلك اليوم ، وجاء في اليوم الثاني رجل آخر مثل ذلك سواء ، فاوأمأ اليـنا بمداواته ، وقال ؛ افعلوا في هذا ما ترونه صوابا . قال ؛ فدأوناه بما يداوي به الداحس، فاتسع المكان وذهب الطفر وتمدى الامر الى ذهاب السلامة الأولى من سلاميات الاصبع . وما تركنا دواء إلا ودأوناه به ، ولا علاجاً إلا وعالجناه ، ولا لطوخاً إلا ولطخناه ، ولا مسحلاً إلا ومسحناه ، وهو مع ذلك يزيد ويأكل الاصبع أسرع أكل ، وآل امره الى القطع ، فعملنا ان فوق كل ذي علم عليم . قال ؛ وفشا هذا المرض في تلك السنة ، وغفل جماعة منهم عن القطع فتأدى أمر بعضهم الى اليد ، وبعضهم الى هلاك انفسهم .

ونقلت من خط الشيخ موفق الدين عبد الاطيف البغدادي^(٢) فيما ذكره عن ابن الدهان المنجم ، قال ؛ قال كاتب الشيخ أبو البركات قد عمي في آخر عمره ، وكان يـلي على جمال الدين بن فضلان ، وعلى ابن الدهان المنجم ، وعلى يوسف والد الشيخ موفق الدين عبد الاطيف ، وعلى المهذب بن النقاش ، كتاب المختبر .

وقيل ان أوحد الزمان كان سبب اسلامه انه دخل يوماً الى الخليفة ، فقام جميع من حضر إلا قاضي القضاة ، فانه كان حاضراً ولم ير انه يقوم مع الجماعة لكونه خفياً . فقال ؛ يا أمير المؤمنين ،

(١) عظم الاصبع التي بين كل مصلين .

(٢) اشتهر بـلم الكلام والفلسفة والطب والمنجم . جـول في العراق وسوريا ومصر (١١٦٦ - ١٢٣١)

ان كان القاضي لم يوافق الجليعة لكونه يرى اني على غير ملته ، فأنا أسلم بين يدي مولانا ، ولا أتركه ينتقصني بهذا . وأسلم .

وحدثني الشيخ سعد الدين أبو سعيد بن أبي السهل البغدادي المواد ، وكان في اول أمره يهوديا ، انه كان يسكن ببغداد في عجة اليهود قريبا من دار أوحد الزمان ، وانه لم يحقه كثيرا ، بل كان وهو صغير يدخل الى داره . وقال : وكان لأوحد الزمان بنات ثلاث ، ولم يخلف ولدا ذكرا ، وعاش نحو ثمانين سنة .

وحدثني القاضي نجم الدين عمر بن محمد المعروف بابن الكريدي قال : كان أوحد الزمان وأمين الدولة بن التليذ بينهما مصاداة ، وكان أوحد الزمان لما أسلم يتنصل كثيرا من اليهود ويعلمهم ويسبهم ، فلما كان في بعض الايام في مجلس بعض الأعيان الأكبر ، وعنده جماعة وفيهم أمين الدولة بن التليذ ، وجرى ذكر اليهود ، فقال أوحد الزمان : لمن الله اليهود . فقال أمين الدولة : نعم ، وابناء اليهود . فوجم لها أوحد الزمان وعرف انه عناء بالإشارة ولم يتكلم .

ومن كلام أوحد الزمان ، حدثني بدر الدين أبو العز يوسف بن مكي قال : حدثني مذهب الدين ابن هبل ، قال : سمعت أوحد الزمان يقول : «الشهوات أجبر تستخدم بها النفوس في حارة عالم الطبيعة لتذهل عما يلزمها من التعب ، ويلحقها من الكلال ، فأعملها في ذلك أحسها ، وأزهدا أحسها .

ولأوحد الزمان من الكتب : كتاب المختار ، وهو من أجل كتبه ، واشهرها في الحكمة . مقالة في سبب ظهور الكواكب ليلا واختلافها نهارا ، ألها للسلطان المظفر غياث الدين أبي شجاع محمد بن ملك شاه . اختصار التشريح ، اختصره من كلام جالينوس ، ولخصه بأوجز عبارة . كتاب الاقرباذين ، ثلاث مقالات . مقالة في الدواء الذي ألله المسمى برشما استقصى فيه صفته وشرح أدويته ، مقالة في معجون آخر ألله وسماه أمين الارواح . رسالة في العقل وماهيته .

البديع الاصطرباني

هو بديع الزمان أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن أحمد البغدادي . من الحكماء الفضلاء ، والادباء النبلاء ، طيب عالم ، وفيلسوف متكلم ، وغلبت عليه الحكمة وعلم الكلام ، والرياضي ، وكان متقنا لعلم النجوم والرصد . وكان البديع الاصطرباني صديقا لأمين الدولة بن التليذ . وحكي انه اجتمع على أمين الدولة بأصبهان في سنة عشرة وخمسة .

وحدثني مذهب الدين أبو نصر محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحضر الحلبي قال : كان البديع الاصطرباني أوحد زمانه في علم الاصطربان^(١) وعلمه ، واقتان صنمته ، فعرف بذلك .

(١) او الاصطربان : آلة يقس بها الفلكيون ارتفاع الكواكب .

أقول : وكان والد مذهب الدين أبي نصر من طبرستان ^(١) ، وهو المعروف بالبرهان المنجم . وكان علامة وقته في أحكام النجوم ، وله حكايات عجيبة في ذلك . وقد ذكرت أشياء منها في كتاب أصابات المنجمين . وكان قد اجتمع بالبديع الاضطرابي وصاحبه مدة . وللبديع الاضطرابي نظم جيد المعاني .

ومن شعر البديع الاضطرابي وهو ما أنشدني مذهب الدين أبو نصر محمد بن محمد بن إبراهيم الحلبي قال : أنشدني والدي قال : أنشدني البديع الاضطرابي لنفسه :

يا ابن الذين مضوا على دين الهدى والطاعتين مقاعد الاعداء
فوجروهم قبل العلى وأكفهم سحب الندى ومنابر الأقلام
(الكامل)

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني والدي قال : أنشدني المذكور لنفسه :

أهدي لمهلك الشريف ، وأما أهدي له ما حزت من لعائله ؟
كالبجر يطهره السحاب وماله من عليه ، لأنه من مائه
(الكامل)

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني والدي قال : أنشدني المذكور لنفسه :

قام الى الشمس بآلته ، لينظر السعد من النجس .
فقلت : أين الشمس ؟ قال الفق : في الثور . قلت : الثور في الشمس
(السريع)

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني والدي ، قال : أنشدني المذكور لنفسه :

قيل لي : قد عشقته أمرد الحسد ، وقد قيل : انه نكريش ^(٢)
قلت : فرخ الطاووس أحسن ما كا ن اذا ما علا عليه الريش
(الخفيف)

وأنشدني أيضاً ، قال : أنشدني والدي ، قال : أنشدني المذكور لنفسه :

هل عثرت أقلام خط المذار في مشقها ، فالحال نقط المثار ؟
أم استدار الخط لما غدت تقطعته مركز ذاك المذار ؟
وريقة الحر ، فهل ثمره در حباب نظمته المقار ؟
(السريع)

(١) بلاد واقعة جنوبي بحر قزوين وشمالى جبال البرز تناوب الحكم فيها بنو طاهر ، وبنو بويه ، وبنو سامان ، وبنو ملجوق .

(٢) الحسن اللحية .

وقال أيضاً :

وفو هيئة ، يزهو بخال مهندس ،
محيط بأوصاف الملاحة وجهه ،
فما رضى خط استواء ، وخاله
أموث به في كل وقت وأبعث ؛
كان به أقليدس يتحدث ،
به نقطة ، وأخذ شكل مثلث .
(الطويل)

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني والدي ، قال : أنشدني المذكور لنفسه جواباً عن قصيدة كتبها
إليه القيسراني ، أولها :

(أعرب الفضل من بديع الزمان ،
ما تلاها ، لما تلاها ، ولكن
عن معان عزت على يوثان .
فاتها حائزاً خصال الرهان)
(الخفيف)

قال مذهب الدين أبو نصر محمد : فرد جوابها قصيدة لم يبق على ذكرها منها شيء سوى
هذه الأبيات :

أعيا السيد الذي أطراي
والذي زاد في علي وقدي ،
فتنفقت ، أي باني كما قا
وترشعت للجواب فأعيا
عجبا عجبا يقول اتق الله ،
أتظن الوهاد مثل الروابي ؟
أم تجاري طرفاً يفوت مدى الطر
بجار ينوته الزمن المقعد
فاكتنفي سراً ، فشمري بخطي
بديع كالدار ، قد أطفائي ؛
وأذل الثاني بتعظيم شاني .
ل عجيب الطباع سهل الجنان .
في وانسل هارباً شيطاني
فهاهي بما تروم اليدان .
أم تخال المهجين مثل الهجان ؟
ف اذا ما تجارياً في مكان ؟
ان ارسلا غداة الرهان .
حين يبدو لناظر ، عورفان

ومن شعر البديع الاسطرابي أيضاً قال في غلام معطر :

كن كيف شئت قانني
وقعدت انتظر الكسو
قد صنت قلباً من حديد
ف وليس ذلك من بريد
(الكامل المرفل)

وقال أيضاً :

تسم قلبي في عجة مشر ،
كان لؤادي مركز ، وم له
بكل فتى منهم هواي منوط
محيط ، وأهواني إليه خطوط
(الطويل)

وقال ايضاً :

| | |
|----------------------|--------------------|
| وشادن في حبه سنة | قد جعلت حي له فرضا |
| ارضى بان اجعل خدي له | اذا مشى متملا أرضا |

(السريع)

وقال ايضاً :

| | |
|---------------------|------------------------|
| اذاقني خرة الثايبا | لما اكلمني خضرة العذار |
| وقد تبدى السواد فيه | وكارني بمد في العيار |

(البسيط)

وقال ايضاً :

| | |
|----------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------|
| هيجرت النكاريش ^(١) ثم انتثيت اعنف من بات هوام | وما زلت في المرد ^(٢) الحام ^(٣) الى ان بليت نظام ^(٤) |
|----------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------|

(المتقارب)

وقال ايضاً

| | |
|------------------------|-----------------------|
| ناه على الناس ياغرائه | أي فاحلدوني انني ملسن |
| ان كان في أقواله معربا | فانه في فعله يلحن |

(السريع)

وقال ايضاً هجو

| | |
|--------------------|----------------------|
| مستيقظ فاذا استضيف | به يصير من التيام |
| وتراه في عدد الطفا | م اذا رأى مضغ الطعام |
| تبدو مصائبه العطا | م أو ان تجريد المظام |

(الكامل المرفل)

وقال هجو فاصدا

| | |
|--------------------------|-----------------------|
| وقاصد مبضمه مشرع | كأنه جاء الى حرب |
| فصد بلا نفع لما حاصل | غير دم يخرج من ثقب |
| لو مر في الشارع من خارج | لمات من في داخل النوب |
| خذله اذا جاشت عليك المدا | فوحده يفتيك عن حرب |

(السريع)

(١) الحسن البصري .

(٢) جمع امرد وهو الذي يهلبت بعد شرفه (٣) انهم والرمم (٤) اكثفهم لجة (ن.د.)

وقال أيضاً وقد جاء بالعراق وفر كثير - يعني بالوفر الثلج -

يا صدور الزمان ليس يفر
ما رأيناه في فواحي العراق
انما هم ظلمك سائر الار
هن فشايت فواشب الافاق

(الخفيف)

وقال في مفصل الشراب وهو جردان

اني اذا ما حضرت في ملا
عندت من بعض آلة الفرح
اذا تصدرت في مجالسهم
تتنصوا لي بفاضل القدح

(المشرح)

وللبديع الاسطروالي من الكتب اختصار ديوان ابي عبدالله الحسين بن الحجاج . زيج سماه العرب
المحمودي ألفه للسلطان محمود أبي القاسم بن محمد

ابو القاسم هبة الله بن الفضل

بغدادى المولد والمنشأ ، وكان يماي صناعة الطب ويباشر اعمالها ، ويمد من جهة الموصفين بها .
وكان ايضاً يكمل إلا ان الشعر كان أغلب عليه وكان كثير النوادر خبيث اللسان ، وله ديوان شعر .
وكان بينه وبين الأمير أبي الفوارس سعد بن محمد بن الصفي الشاعر المسمى حيص بيص (١) شكان (٢)
وتهاز (٣) ، وكان قد يصطلمحان وقتاً ثم يعودان الى ما كانا فيه . وسبب تسمية الحيص بيص بهذا
انه كان المسكر ببغداد قد م بالحروج الى السلطان السليبي ، وذلك في أيام الختفي لأمر الله ،
فكان الناس من ذلك في حديث كثير ، وحركة زائدة . فقال : ما لي ارى الناس في حيص بيص ؟
فلقب بذلك ، وكان الذي الصق به هذا النعت أبو القاسم هبة الله بن الفضل ، وكان الحيص بيص
يقصد في كلامه أبداً ، وفي رسائله الفصاحة البليغة ، والالفاظ القريبة من اللغة .

ومن ذلك حديثي بعض العراقيين ان الحيص بيص كان قد نقه من مرض عاده فيه أبو القاسم
ابن الفضل ، فوصف له أكل الدراج ، فمضى غلامه واشترى دراجاً واجتاز على باب أمير وبه غلمان
ترك أصغار يلعبون ، فخطف أحد الدراج من الغلام ومضى . فأتى الغلام اليه فلخبره الخبر فقال
له انتني بدواة وبضاه ، فأراه بها فكتب : لو كان مباد (٤) دراجه قنجاه (٥) كاسر وقف بها السقب (٦)

(١) شاعر رقيق شامي وكان لا يتكلم إلا اللصفي ويوما رأى الناس في حركة مزهجة فقال : ما لك في حيص بيص ؟
فبقي عليه القلق . وكان في سنة ١١٧٩ .

(٢) البغض .

(٣) مسامية بالقيح .

(٤) اللينة الجناحين من الطيور ثم اطلق على الغبان . (٥) العطش .

بين التدوين والتمطر ^(١) فهي تسمى ^(٢) وتصف ^(٣) ، وكان بحيث تقب أخفاف ^(٤) الايل ، لوجب
الاخذ ^(٥) الى نصرته ، فكيف وهو يبعوكة كرمك والسلام . ثم قال لغلام امض يساً وأسن
السفارة في وصلتها الى الامير فمضى ودفعها لحاجبه فدعا الامير بكاثبه وبأوله الرقة فقرأها ، ثم فكر
ليعبر له عن المعنى فقال له الامير: ما هو ؟ فقال مضمون الكلام ان غلاما من غلمان الامير أخذ
درابجا من غلامه ، فقال : اشتر له قمصاً ملبأ درابجا فاحمله اليه . ففعل .

وحدثني شيخنا الحكيم مذهب الدين عبد الرحيم بن علي رحمه الله ان الحصيص الشاعر ينفد
كان قد كتب الى امين الدولة بن التلميز ورقة يقصد فيها أن ينفذ اليه شياف أبار وهي أركنك :
ايا الطب ^(٦) اللب ^(٧) الاسي ^(٨) التنطاسي ^(٩) النفيس ^(١٠) التقريس ^(١١) ، أرجنت ^(١٢) عندك أم
خنور ^(١٣) ، وسكنت ^(١٤) عنك أم هور ^(١٥) ، اني مستأخذ أشعر في حنادري ^(١٦) وطسا ^(١٧) ليس
كاسب ^(١٨) شوبة ^(١٩) ، ولا كنز ^(٢٠) المتصصة ^(٢١) ، ولا كنز ^(٢٢) الحضب ^(٢٣) ،
بل كسفع ^(٢٤) الزشيخ ^(٢٥) ، فأنا من التبشير الى التبشير ^(٢٦) لا اعرف ابن مسير
من ابن جدير ، ولا أخسبن صقوان من هام ، بل آونة أرجعن ^(٢٧) شاصيا ^(٢٨) ، وقينة أسنطبي ^(٢٩)
مقلوليا ^(٣٠) ، وثارة أعزترم ^(٣١) وطورا واسلتي ^(٣٢) ، كل ذلك مع أح وأخ وحس وهم قروني ^(٣٣)
أن ارفع عقبرتي ببعاط ^(٣٤) عايط الى مياط ^(٣٥) ومياط ^(٣٦) وهالي أول وأهوت وجبار ^(٣٧)
ودبار ^(٣٨) ومؤنس وعروبة وشيار ، ولا أحيص ^(٣٩) ولا اكيس ^(٤٠) ولا اغرندي ^(٤١) ولا اسرندي ^(٤٢)
فتبادرني بشياف ^(٤٣) الأبار النافع لماتي النافع ^(٤٤) ، لفتي . قال فلما قرأ أمين الدولة الورقة ، نهض
لوقتته وأخذ حفنة شياف أبار ، وقال لبعض أصحابه أوصه اياها عاجلا ولا تتكلف قراءة ورقة ثانية .
وكتب الحصيص بصر الى المفتي لأمر الله سبع رقايع عند طلبه بمقربا ^(٤٥) منه :
الاولي انها لطايا ولأه حملت سفر ثناء ، غرد بها حادي رجاء ، والمزلز الفناء .

الثانية : أجري جياذ حد في ساحات مجد ، اجراء ممطر نهد من غير باعثة ^(٤٦) وجهد ، منتجعا

(١) الاسراع في الهوي . (٢) وقع في طيراتها ونجوم . (٣) أثر على وجه الارض . (٤) جمع خف وهو لابل كالخال للفرس .
(٥) الاسراع في السير .

(٦) الحافق يمشي . (٧) الطيف القريب من الناس . (٨) طبيب الجرح . (٩) الحافق يطلب والامور .
(١٠) ذو القدر والخطر .

(١١) الطبيب الماهر اللدق العطن (١٢) ألفت (١٣) الدنيا (١٤) ضلت (١٥) لم اجد لها معنى في المعاجم (١٦) اسحقاي اي يهوي
(١٧) ضربا (١٨) شعر العانة واسله وسب وهو المشب فكثير المثلث (١٩) المغرب (٢٠) رخن (٢١) الحيلة اي الآفة
(٢٢) طعن الحية بأنفها (٢٣) ذكر الحيات الضخم أو الايض أو الدقيق منها (٢٤) اللعج اليسير (٢٥) قتار (٢٦) ما بين
الليل والنهار من الضوء (٢٧) مال واعتز . (٢٨) والها يدي ورجلي (٢٩) يتلفع بطني ضبا - راصل المعنى في التخبط
الورم - (٣٠) قلنا مستونزا (٣١) تجميع وتقبض (٣٢) نام على ظهره (٣٣) نفسي (٣٤) كفة استنائه (٣٥) (٣٦) في
المياط والمياط اي دفر وتباعد أو اضطراب أو المياط أشد السوق في الوردع والمياط أشد في الصدر ويراد منه الجمي والنعاب
(٣٧) كل ما اسند واملك (٣٨) الخلاك والعمار (٣٩) عدل وحساد وانزيم (٤٠) حيز (٤١) علاه بالشم والقضرب والقهر
(٤٢) علاه وغلبه أو جهل عليه (٤٣) ادوية للعين (٤٤) الذي يقطع العيش وينعشه ويسكنه من الشراب (٤٥) وردت هنا
بمعنوا والاصح بمعربة وهي واحة في العراق مشهورة ببلحها ويسمون بها في الماضي (٤٦) سبب .

غيب الغاية كرماء .

الثالثة : جد يا أمير المؤمنين يرفر دژ^(١) ، لا بكي^(٢) ولا زور ، لمصح شعر ، يم لجة بحر يرناد
عناد دهر ، فالغافية سحر ، والسامع حير ، والطاء غمر^(٣) .

الرابعة : ان الموصل واليناران هما اقطاع ملكين سلجوقيين ، وكالتا جائزين لشاعرين طائيين من
إمامين مرضيين ، أحدهما معتصم بالله ، والآخر متوكل على الله ، وللبناء الأشرف اعظم ، وعطاؤه أكرم
فعلام الحرمان ؟

الخامسة : خامسة من الخدم ، في انتجاع شايب الكرم ، من القدس الاعظم ، حوان قافية ،
تجري كنجانية ، بمضرق يادية ، تهدي سفرأ ، وتسهل وعرا ، والرأي بنجح آمالها أخرى .

السادسة : ان وراء الحجاب المسدل لا هم طود ، وخضم م غرس خطب ، وقاتل جذب ، جل
فهر ، وعز فقهر ، وقال فقهر ، صلوات الله عليه ما هبت الريح ، ونبت الشبح^(٤) .

السابعة : يا أمير المؤمنين ، مائة بيت شعر او سبع رقاع نثر ، اتذاد عن النجيع زياد الحانات ؟
كلا ان الاعراق لبوية ، والمكارم عباسية ، والفتنة لوزعية^(٥) ، وكلى بالجد محاسباً .

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| ماذا اقول اذا الرواة ترموا ؟ | بفصح شعري في الامام العادل ؟ |
| واستحسن الفصحاء شأن قصيدة ، | لأجل ممدوح ، وأفصح قائل ؟ |
| وترجمت أعطافهم فكأنما | في كل قافية سلافة بابل ؟ |
| ثم انتنوا غيب التقرض وخمنه ، | يكساملون عن التندى والنائل . |
| هب ، يا أمير المؤمنين ، بأنني | قص القصاصة ، ما جواب السائل ؟ |
| « الكامل » | |

وكانت وفاة أبي القاسم بن الفضل في سنة ثمان وخسين وخمسمائة (ومن شعر) أبي القاسم هبة الله
أنشدني مذهب الدين أبو نصر محمد بن محمد بن ابراهيم الحلبي ، قال : أنشدني بديع الدين أبو الفتح
منصور بن أبي القاسم بن عبد الله بن عبد الدائم الواسطي المعروف بابن سواد العين ، قال : أنشدني أبو
القاسم هبة الله بن الفضل لنفسه :

| | |
|----------------------------------------------|--------------------------------------------------------|
| في العسكر المتصور ، نحن عصابة | مرفولة ، أخمس بنا من معشر |
| خذ عقلنا من عقدنا فما ترى | من خسة ورقاعة وتهور ، |
| تكرير ^(٦) تمجيزنا ونحن ، يجهلنا ، | نحضي لناخذ ترمذا ^(٧) من سنجر ^(٨) |

(١) كثير . (٢) الكثير البكاء اي الراقى الكثير . (٣) سفي كثير . (٤) نبت سهل له وائمة طيبة ، وهو
مر الطوم . (٥) د.

(٦) اللوزعي : الحديد للواء والنفوس او اللسان الطريف معنا بمعنى سريع الى الفهم والصراب .
(٧) مدينة على عين شاطيء دجلة شمالي سامراء وفيها ولد صلاح الدين الايوبي . (٨) مدينة على الضفة الشمالية لنهر جيحون
(آمو داريا) شمالي ايران فيها اثار تاريخية الى العهد البرقي . (٩) سلطان سلجوقي ١٠٨٦ - ١١٠٧ وهو فاتح تركستان .

أما الخويزي الدعي فإنه
يكنى أبا العباس ، وهو بذلة
في كنف والده وفي أقدامه
يشي إلى حجر القبان بلشطة
وحديثه في الحق أو في باطل
وإذا رأى البركيل^(١) يردد خيفة
نسب إلى العباس ليس شبيهه
والحيس يص مبارز بفنائه ،
هذاك لا يخشى لتقل بموضة ،
أجري بيطمي الدماء ، وسيفه
لقرينه في الحرب طول سلامة ،

(الكامل)

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني البديع أبو الفتح الواسطي ، قال : أنشدني المذكور نفسه بدمع
سيد الدولة^(٢) أبا عبد الله محمد بن الأنباري كاتب الإنشاء ببغداد :

يا من هجرت فما تبالي ،
ما أطمع ، يا عذاب قلبي ،
الطرف من الصدود بك ،
والقلب ، كما عهدت ، صاب
والشوق بخاطري مقيم ،
يا من نكأت صميم قلبي
هيات ، وقد سلبت غمضي ،
لو شئت وقفت عند حد
ما ضرك أن تعليني
أهواك ، وأنت حظ غيري ،
والقتل لظاهري شمار ،
ذا الحكم ، علي من قضاة ؟

هل ترجع دولة الوصال ؟
أن بنعم في هواك بالي ،
والجسم حكما زين بالي ،
بالوعة والغرام صالي ،
ما يؤذن عنه بالرحمال .
بالحزن وصورة الحبال ،
أن أظفر منك بالخيال .
لا يسمح منك في الدلال ،
في الوصل ، بمعهد محال ،
يا قاتلتي فما احتيالي ؟
أن أنت عززت باغتيال
من أرخصني لكل غالي ؟

(١) لبات يصبح بمصارته وهو العظيم ولونه عسافرة الزرقاء ، (٢) نبات يصبح به ولون عسافرة العسافرة ،

(٣) الضمك والمزل (٤) هكذا في الأصل والصحيح البركل كما في التاج وهو فرخ الثمان الكبير . (٥) داسة على الطريق
بين المدينة ودمشق وغزاهما التي (من) عام ٦٢٨ وضرب الأترة على سكانها اليهود ، ثم أخرجهم منها عبر بن الخطاب ، وهنا
يقصد الشاعر بما يتمتعير والدم (ن.د.)
(٦) من مشاهير الكتاب والمثليين.

ما أشبهن بالبياتي !
 عن حبك ، ما لهم ومالي ؟
 عن ذكر سواك في اشتغال ؛
 في الصدر تشب باشتغال .
 الصب أنا ، وأنت سالي ؟
 ما أحسنه لو استوى لي !
 وتو وثغن عن غزال ،
 أمضى وأمض من نبال ؛
 لا يره لها من اغتيال .
 واعلره فما العذار خالي ؛
 ان هام بربة الجمال ،
 في الوجد ، مسلماً لحالي
 دعني فهداي في ضلالي :
 قد صح بعشقا اختلالي ،
 والصبوة بعد في حبالي
 عن حسن بعيدة المثال .
 الا بزخارف الحال ،
 فالقلب لذلك في نكال ؛
 في القاع ، على ظمأ الزلال
 من أكرم معشر وآل ؟
 بالانتم سابغ الظلال ؛
 كالغيث يسح في العمال !
 الدولة في الندى المدال ،
 بالضم مرادها الليالي ،
 قد رغن له بلا اعتدال ،
 ما شاء يبارد زلال .
 في الازمة مسبل المزالي .
 بالشدة أرحم الموالي .

أيام عتاتي فيك سود
 واللوم فيك يزجروني
 المشتق ، به الشفاف أضحي
 والنار وان خبت لظاهما
 يا مازمي السو عنها ،
 والقول بتركها صواب ،
 دعني وقلزلي بخود^(١) ،
 حوراء ، لطرفها سهام
 في القلب لوقعها جراح ،
 فارحم قلعا يا وقيدا^(٢) ،
 ما يجعل ان تلوم صبا
 اياك ، وخطئي وويلي
 ان كنت تمدد صلاحا ،
 في طاعتها بلا اختيار ،
 طلقت تجلدي ثلاثا ،
 من أين ؟ وكيف لي بصير ؟
 لم أحظ بطائل لنسبا ،
 كم قد نكلت^(٣) عقيب عهد
 كما غرني الحداغ منها
 هلا صدقت كأريحي
 راجية لديه في جناب
 ما الغيث يسح من يديه
 من موافق فرى سديد
 لا تطلع ان تنال منه
 والغدر لمدد تمام
 تنفيه يد النجاح منها
 في ربيع منها المطايا
 أمتصرخ منه حين أشقى

(١) المرأة للشابة .

(٢) الشديد المرض المشرف على الموت

(٣) تكس وجع .

(٤) الارمل .

في القحط براتب الميال ،
 ان أبصرني بسوء حال .
 يعطي كرماً ولا يبالي
 في الدب عن العلي بمال
 في دار مفرق النوال ،
 يحمده بأحسن . الحلال
 فالأعظم منه صك الحلال
 من خير مناقب الرجال
 يدعوك لدائه الضال :
 في دفع مأربي اتكالي
 يحبره نداءك بأندمال .
 في حال وقوفه حيالي ،
 في قبضة عامل الجوالي
 الا بصماحك الثقال .
 في العود لثلبا سوالي .
 بالظاء على فراخ بآلي
 بالقصد لكفك اشتغالي .
 والكيس محالف الهزال
 بالخلق لصورة الكمال
 وإفاه برزقه الحلال .
 شهدت بدائحي رحابي
 مذ أصبح ظاهر الكلال .
 عن نعت معظم الجلال ،
 في الكثرة عدة الرمال ،
 عن خطك ساعة التزال .
 في كفك واسع المجال
 والنقش لمن كالتصال .
 والقارة ساعة التفضال
 في الروح لكفها العوالي ،

من جود يديه لي كقبل
 لا ينظر في سوى صلاحي
 ما زال ، ولا يزال طبعاً
 لا يعجبه ملام فاه
 فالسودد شهله جميع
 من يلتق محمداً بملح
 والوجد بغادة رملح^(١)
 والجلود بكف ذي سماح
 مولاي ، نداه مستجير
 يا أكرم منعم عليه
 دير محفي ، لعل جرحي
 كم أوقفني غريم سوء ،
 كالنفس من يهود هطرى^(٢)
 ما صح لي الخلاص منه
 والمادة في صلاح عديمي ،
 تفریطك ، ما حبيت ، دأبي
 ما أكصل بالمجاه لكن
 فالعرض أرده مميناً
 من دير هكدا مزاجاً
 فالصبيغ اذا أذه عفواً
 يا خير مؤمل إليه
 لم يقضك خاطري حقوقاً ،
 ان أن عليك أبد صبراً
 أو صافك في الفخار ، جازت
 فالخط^(٣) طوالها قصار
 كم راح بك للقنا يراح
 أقلامك أسهم قواض ،
 تقضي لعل لها بغير
 لو شاجرت الرماح كانت

(١) القصة الأدراك قلعة الخلق .

(٢) انقاض مدينة في العراق جنوبي غربي الموصل على وادي الفرات غربتها الزلازل اكتشف فيها الاوي العراقي لمبي الاصيل حصناً عريقاً على مثال آفة الجماعلة للزهر واللات واللات .

(٣) (د . ر)

(٣) قصد بها هنا الرماح نسبة الى الخط . وقد بالبحر تباح فيها الرماح

أو صافحت الصفاح فلتت
أو حيرت المثال أبدت
تملى فقرأ من المعاني
ينفثن على الصباح ليلا
كتب خمئت بلا افتراط
هاروت اذا أته ولى
فيها سبح على لجين^(١)
في البشر كلوجه العذارى
الفاطك للوعول حطت
بالكيد تقتل الاعادي ،
كم رضت من الورى جموحاً
لا زلت موفق المساعي
تنقاد لك الامور طوعاً
يا أكرم والد لتجمل
أكرم بفتاك من ولى
ان جاد ينجل النوادي
يا شمس علا زمت بيدى
لا زال مشرقاً منيراً
ما عادك بالسرور عيد
في أسبخ نمة وعيش
لا زال علاك في ثبات
عن أغلص نية بصدق
ما يلتبس الصحيح يوماً

غربي متشنع الصقال
ما دق وجل عن مثال.
مدد مفاقر المال
أهيك بسحرها الحلال
تزيق ككتائب جلال
لا يخطر بأبلا ببال
اسنى قبيماً من اللالي
غلغن بفاجر الغوالي^(٢)
مستزلة من الفلال
في السلم لها بلا قتال .
للعقل فماد في عقال^(٣)
بلجد مشفع بالسؤال
يا خير بقية الرجال ،
يتنوه مهذب الحلال
للدولة غلص موال
أو قال أجاد في المبال
حاشاه يقاس بالهلال
في ظلك دائم السكال
رعاه باحسن اشتال
بالطية دائم التوالي
لا يسله الى زوالي
في طول بفاذك ابتهاي
تالله عليك بالمال

وأنشدني أيضاً قال ، أنشدني البنيح الواسطي قال ، أنشدني المذكور لنفسه

لا أمدح اليأس ولكنه
أفلح من أبصر عشب المنى
أروح للقلب من المطمع
يرعى فلم يرع ولم يرتع
(السريع)

(١) الفضة .

(٢) الثلاث .

(٣) الجبل الذي يشد به البحر في وسط ذواحه .

وأنشدني أيضاً قال ، أنشدني البديع الواسطي قال ، أنشدني المذكور لنفسه

يا معشر الناس ، التغير التغير ، قد جلس الهردب^(١) فوق السرير ؟
وصار فينا آمراً تاهياً ، وكنت أرجو أنه لا يصير .
فكلما قلت : قذى ينجلي وظلما عما قليل تبي
فتحت عيني فإذا الدولة الدولة والشيخ الوزير
(السريع)

وأنشدني أيضاً قال ، أنشدني البديع الواسطي قال ، أنشدني المذكور لنفسه . وقال في الحيص
بيص الشاعر وكانت قد نبحت عليه كلبة مجرية^(٢) ، فقتل جرواً لها بالسيف :

يا أيها الناس ، ان الحيص بيص أتى بقمة أورثته الحزي في البلد
هو الجبان الذي أبدى شجاعته على جري ضميعة البطش والجد ؟
فأنشدت أمه ، من بعدما احتسبت : دم الأبلقي عند الواحد الصمد ،
أقول للنفس : تأساء وتمزية احدى يدي أصابتي ، ولم ترد ،
كلامها خلف من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذو ولي
(البسيط)

وأنشدني أيضاً قال ، أنشدني البديع الواسطي قال أنشدني المذكور لنفسه

يا ابن المرخم صرت فينا حاكاً ! خرف الزمان تراه أم جن الفلك ؟
ان كنت تحكم بالنجوم قريباً ، أما شريعة أحد من ابن لك ؟
(الكامل)

وأنشدني أيضاً قال ، أنشدني البديع الواسطي قال ، أنشدني المذكور لنفسه **يعجو**
البديع الاصطرابي

لا غرو ان دمي الحبيص وان رموا منه ينكبه ،
سج البديع وعمره^(٣) وقناه فانظر أي عصبه ؟
فثلاثة من منزل : علق^(٤) ، وقواه^(٥) ، وقصبه^(٦)
(الكامل المرفل)

ومن شعر أبي التماس هبة الله بن الفضل أيضاً قال يعجو أمين الدولة بن التليد

هذا تواضعك المشهور عن ضعة قد صرت فيه بفضل الاوم متم

(١) المجوز (٢) ذلت جراه وهي ستار للكلاب

(٣) امرأته (٤) العلق في اللغة النفيس من كل شيء او الخراب وارى انه قد استعملها هنا لما تشتملها العامة عندنا من المسبة والقيح (٥) الذي يحبه المرأة ليفسر بها ذور المجوز اي الديوث (٦) الفاجرة « مودة » لانها كانت تسمل او تشتمح لتزفن طلابها بها .

قعدت عن أمل الراجي وقت له هذا وثوب على القصاد لا لهم
(البسيط)

وقال ايضاً
غزال قط لا يحوى سوى المطبوعة التبر
ولا يعجبه المطبو ع من نظمي ولا نثري
(المزج)

وقال ايضاً
أحسنت يا عكر دين الهدى متزماً في خمسمائة الف
مكانه الجبال في سيره يزداد إقداماً الى خلف
(السريع)

وقال ايضاً
ألا قل ليحيى ، وزير الأثم بحوث الشريعة عو السطور ،
كسرت الصمحاء بتصحيحها ، واصبحت تضربها في الجدور .
وما انت قصدت لتهديبها ، ولكن لتهدئ بها في الصدور .
(المتقارب)

وقال ايضاً
وقالوا قد تحجب عنك مولى وصار له مكان مستنص
فقلت سيفتح الاقفال شعري ويدخلها فانت البرد لص
(الوافر)

وقال يملح الدواء المعروف بـر شعنا لما ألف تركيبه أوحـد الزمان :
تجرعت بر شعنا وحالي اشـت فما نزلت بي بعده عة شعنا
ولو بمد عيسى جاز احياء ميت لاصبح يحيا كل ميت بـر شعنا
الطويل

وقال ايضاً
هذا يقول استرحنا وذا يقول عسنا
ويكذبنا ويهذي الذي يصدق منا
المجئت

وقال ايضاً
كم ترددت مراراً وتجرعت مراره

(١) خاص به (ن ، ر)

ثم لما وفق الله
لم يكن فيها من الخطئة ما تقرض قساره
ووقعت بكاره
الرمل

وقال أيضاً

أمدحه طوراً ، وأهدى به
مثل امام بين أهل القرى ،
طوراً ، ولا أطمع في رفده ^(١)
صلى بهم والزيت من عنده
السريع

وقال أيضاً

يا خائف الهجو على نفسه
أنت بهذا العرض بين الورى
كن في امان الله من مبه
مثل الخرا ينسج من نفسه
السريع

وقال أيضاً

كلما قلت قد تبعد ^(٢) قومي تمحصوا ^(٣)
ليس إلا سار يشا ل ، وباب مجصص ^(٤)
والتواشي ^(٥) على الرو وس عليها القرنص ^(٦)
وأنا الكلب كل ير م لقرنر أبصص ^(٧)
كلما صفق الزما ن لهم قمت أرقص
فتى اسمع النداء ه وقد جاء غخلص ؟
(الحقيق)

ولأنى الغامض هبة الله من الكتب : تعاليت طيبة ، مسائل وأجوبتها في الطب ، ديوان شعره .

الغنتري

هو أبو المؤيد محمد بن المجلي بن الصائغ الجزائري ، كان طبيباً مشهوراً وعالماً مذكوراً ، حسن المعالجة ، جيد التدبير ، واغفر الفضل ، فيلسوفاً متميزاً في علم الادب . وله شعر كثير في الحكمة وغيرها .

(١) البطاء .

(٢) انتسب الى بغداد .

(٣) انتسب الى حمص .

(٤) مطلي بالجلس - الجلسين .

(٥) واحدتها غاشية وهي البطاء على البصر والصدر ومنها يطلقها على البطاء للرأس للكتب .

(٦) مشتق من القرانيس وهي خرز في اطل الحف وذلك من القرنوس الذي هو مقدم الحف .

(٧) امره فني (د . د .)

وحديثي الحكيم شديد الدين محمود بن عمر رحمه الله : ان المتأدي كان في أول امره يكتب أحاديث
عثر للمبسي قصار مشهوراً بنسبته اليه .

ومن كلامه في الحكمة قال :

بني ، تعلم العلوم فان لم تتل من الدنيا الا الغنى عن يستبدك بحق أو بباطل .

وقال : بني ، ان الحكمة العقلية تريك العالم يقادون بأزمة الجهل الى الخطأ والصواب . وقال :
الجاهل عبد لا يستقر رقبه الا بالمعرفة .

وقال : الحكمة سراج النفس فمتى عدمتها عميت النفس عن الحق .

وقال : الجاهل سكران لا يفتيق الا بالمعرفة .

وقال : الحكمة غذاء النفس وجالها ، والمال غذاء الجسد وجماله ، فمتى اجتمعا للمرء زال نقصه ، وتم
كأله ، ونعم بالله .

وقال : الحكمة دواء من الموت الابدي .

وقال : كون الشخص بلا علم كالجسد بلا روح .

وقال : الحكمة شرف من لا شرف له قديم .

وقال : الادب أزين للمرء من نسبه ، وأولى بالمرء من حسبه ، وأدفع عن عرضه من ماله ، وأرفع
لذكره من جماله .

وقال : من أحب ان ينوه باسمه فليكثر من العناية بعلمه .

وقال : العالم المحروم أفسد من الجاهل المرزوق .

وقال : عدم الحكمة هو المقم العظيم .

وقال : الجاهل يطلب المال ، والعالم يطلب الكمال .

وقال : الغم ليل للقلب ، والسرور نهاره ، وشرب السم أهون من معاناة الهم .

ومن شعر أبو المؤيد محمد بن الجعفي بن الصائغ المعروف بالمتري أنشدني إياه الحكيم شديد الدين
محمود بن عمر بن ربيعة قال ، أنشدني مؤيد الدين ولد المتري قال : أنشدني والذي لنفسه .

فأطلب مجموع بنص كلامي :
في حفظ قوته مع الأيام ،
والضد فيه شفاء كل سقام .
ماء الحياة يراق في الأرحام ،
واحتنط طاماً قبل هضم طعام ،
كالنار يصبح وهي ذات ضرام .
فاحتل لرجمة حل عقد نظام .

احفظ بني وصيتي واعمل بها
قدم على طب المريض عناية
بالتبج تحفظ صحة موجودة
أقلل نكاحك ما استطعت فانه
واجعل طعامك كل يوم مرة ،
لا تحقر المرض اليسير فإنه
واذا تقرر منك حال خارج ،

كيموسه سبب الى الاسقام ؛
شاف من الأمراض والالام ؛
أو تأكل بمقب شرب مدام ؛
بها وليس بنوع كل قيام .
بالاحتلام وكثرة الاحلام ؛
فدواء ما في الجلد بالهام .
فتفقد طبعك للأذى بزمام ،
زادت فنقص فضلها بقوام .
حل وعقد طبيعة الاجسام
يشفى المرض بها وبالأوام
(الكامل)^(١١)

لا تهجرن القبيء ، واهجر كل ما
ان الحى ، عون الطبيعة ، مسعد
لا تشرين بمقب أكل عاجل ،
والقبيء يقطع والقيام كلاما
وخذ الدواء اذا الطبيعة كررت
واذا الطبيعة منك نكت باطناً
إياك تلزم أكل شيء واحد
وتزيد في الاخلاط ان نقصت به
والطب جلته ، اذا حلقته ،
ولمقل تدبير المزاج فضية

أقول وهذه اللصيدة تلسب أيضاً الى الشيخ الرئيس ابن سينا ، وتنسب الى المختار بن الحسن بن
بطلان ، والصحيح انها لحمد بن الجمل لما قدمته من انشاد سيد الدين محمود بن عمر لي مما أنشده مؤيد
الدين بن المناري لوالده مما سمعه منه . وجدت المناري أيضاً ذكرها في كتابه المسمى « بالنور
المجتبى » وقال انها له وقال أيضاً أنشدنيها سيد الدين .

من العالم المعقول والمركب :
تضيء بمصباح الحب الملتب ؛
يصب على ذاتي بنير تسكب ؛
تنزه عن وصف بشرق ومغرب .
بتدليلها الشفاف أشرف كوكب
(الطويل)

وجودي ، به من كل فوح مركب
فلذهني مشكاة ، ونفسي زجاجة
ونوري من النور الالهى دائماً ،
وزيتي من الزيتون العذب ههنا ،
كافي في وصفي منارة راعب

وقال أيضاً

يفرد في أرجائها كل طائر
على شرف منها سجون المناصر
(الطويل)

اذا ان غدا والنفس منه كجنة
تدبره السبع الطباقي وفازت

وقال أيضاً

من عالم أنير والمظلم
وبعضنا يرقى الى الانجم
(السريع)

كأننا ممتزج لم يزل
فبعضنا يختارها داره

(١) ابر علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا من كبار فلاسفة العرب وثقة المفكرين وسياتي الكلام عليه .

وقال أيضاً :

الحق ينكره الجهول لأنه
فهو المدر لكل ما هو جاهل

وقال أيضاً :

لو كنت تعلم كل ما علم الوري
لكن جهلت ، فصرت تحسب كل من
استعجبني ان العقل اصبح ضاحكا
لو كنت تسمع ما سمعت ، وعالماً
وضع الله الخلف^(١) في كل الوري

وقال أيضاً :

أبلغ العالمين عني باني
قد كشفت الاشياء بالقلم حتى
وعرفت الرجال بالملم لما

وقال أيضاً

قالوا: رضىت، وانت اعلم هذا الوري،
تجتأب أبواب الحول. فقلت : عن
لي همة مأسورة لي صادفت
ضاق الفضاء بها ، فلا يستطيعها
ما المقاصد حجة ومقاصدي
اطوي الليالي بالمتى ، وصرورها
اني على نوب الزمان لصابر
أما الذي يبقى فقد اسرزته

وقال أيضاً

بني ، كن حافظاً للملم مطرحة
فقد يسود الفتى ، من غير سابقة
غذ العاوم يتذكر كارد أبداً ،
اني أرى عدم الانسان اصلح من

(١) الاختلاف .

عدم التصور فيه والتصديق
فاذا تصوره يعود صديقا
(الكامل)

جماً ، لكنت صديق كل العالم ؟
عزى خلاف هواك ، ليس بعالم .
بما تقول وأنت مثل النائم
ما قد علمت ، شجبت شجرة أدم
بالطبع حتى صار ضربة لازم
(الكامل)

كل علمي تصور وقياس
ظهرت لي وليس فيها التباس
عرف الملم بالرجال الناس
(الخفيف)

بحقائق الاشياء عن بارها
كره ولست يجادل راضيا ؟
سعدا بغير عوائق تثنيها ؟
لعلوها الافلاك أن تجوحها ،
طاط القضاء بها الفضا والتنيها ؟
تثترني أضفاف ما اطويها .
أما سيفني العمر أو يفنيها ؟
والفانيات لها افكر فيها .
(الكامل)

جميع ما الناس فيه تكتسب نسباً
للأصل ، بالملم حتى يبلغ الشها .
فالنار تحمد بها لم تجد حطبا ،
عمر به لم ينل علماً ولا نسباً

قضى الحياة ، فلما مات شيعه

جهل ، وفقر ، فقد قضاهما نصبا .

(البسيط)

وقال ايضاً

كن غنياً ان استطعت والا
اتمنا سؤدد الفتى المال والعلم

كن حكيماً فما عداوين غفل
وما ساد قط فقر وجهل

(الخفيف)

وقال ايضاً

اقسم العمر ثلاثاً واستمع
فاطلب الحكمة في أوله ،
واكسب الاموال في الثاني ، وكل
وترقب آخر العمر فان
وان اعتاقلك ، في احدهما ،
هذه سيرة مسمود بها

يا بني النصيح مني ، والرشادا :
واحرز العلم وجب فيه البلادا ؛
واشرح الراح ولا تبغ الفسادا ؛
جاءك الموت ، فقد نلت المرادا ؛
طارق الموت فقد حزت الجهادا .
قال في الدنيا وفي الاخرى السدادا^(١)

(الرمل)

وقال ايضاً

بني تعلم حكمة النفس انها
ولا تطلب الدنيا فان كثورها
فن كان في الدنيا حريصاً فانه
ومن يترك الدنيا واصبح راهباً

طريق الى رشد الفتى ودليل
قليل ومهما رقدة فتقول
يظل كتيب القلب وهو ذليل
فما لأذى يوماً اليه سبيل

(الطويل)

وقال ايضاً

نفسى : تطالبي بما في طبيعها
والنفس تعلم ان ذلك واجب
والطبع يقصر عن مراد كليها
والنفس من خير الحياة وسكرها

والعقل يزجرها عن الشهوات
والطبع يجتنبها الى العادات
فكلامها وقف على الحسرات
ستبقى بين عساكر الاموات

(الكامل)

وقال ايضاً

لا تدنين فتى يودك ظاهرا
وامهر صديقك ان تذكر وده

حبا وفدا وداده في طبيعه
فالمنصور يحمم دلوؤه في قطعه

(الكامل)

(١) الرشاد والصواب والاستقامة .

وقال ايضاً

من لزم الصمت اكسى هية
لسان من يعقل في قلبه

تنفي عن الناس مساويه
وقلب من يحجل في فيه

(السريع)

وقال ايضاً

عدل مزاجك ما استطعت ولا تكن
واحفظ عليك حرارة برطوبه
واعلم بانك كالسراج بقاءه

كسوف أودى به التخليط
تبقي فاركك حفظها تفريط
ما دام في طرف الذبال سليط

(الكامل)

وقال ايضاً

ثقة الجسم يستمد غذاه
هو لما رأى التحلل طبعاً

طلباً منه للبقا والذوام
أنخلف المثل بال غذا والطعام

(الخفيف)

وقال ايضاً

ومخطف^(١) الحصر زاروا سعرا
يحمل قلحاة مودة
كأنها النجم في توقده

في غنج عيبيه سحر هاروت
كدرة رصعت بياقوت
قارن بدر السماء في حوت

(المنسرح)

وقال : اهدى إلي بالرحبة بشر بن عبدالله الكاتب طبعاً من تفاح لم أشاهد مثله حمرة وندا ،
فكتبت اليه . وقد كان طلب مني تشبيهاً في التفاح ، فقلت له اذا حضر علمت فيه تشبيهاً ، فنفذ
ذلك فكتبت اليه

'هيا' فان الديك هب وصاحا ،
راح تريح من الهوم ، وطبعها
اهدى الرئيس ، وفي نداء سعية
طبعاً من التفاح . اني لم ازل
ان للطيعة والمزاج لشارصكا
صاغاه كالكاפור ، لكن جلده
فكأنه من لون حبي قابس

جنح الظلام واسقياني الراحا ،
ينفي السقام ، وينمش الارواحا .
تهدي النفائس غدوة ورواحا ،
أهوى الثار وأعشق التفاحا .
في الكون لما اوجداه سماحا ،
قد البساه من التنجيع وشاحا ،
وصكانه من نشر بشر فاحا

(الكامل)

(١) ضامر خفيف لم الجنب .

وقال في النارنج

سقياني من غدرات الدنان
وأدرها في مجلس أرمجته
وكان الكؤوس فيه نجوم
وابتدت بعد قطعها فلك السعد
وكان النارنج بين الندامى
بنت كرم حراء كالارجوان
تغيات الثنايات والعيان
أطلعتها أيدي البذور الحسان
أكرمنا مثلت من الزعفران
(الخفيف)

وقال في الرمان الحامض

وشادن ابلج كالبدر
بات به يصرف عنه الأذى
ينتعل الرمان في أفرها
كانه وهو شخير به
تأدمته ليلًا إلى الفجر
ينهل كأسات من الخمر
غخافة من ضرر السكر
يكسر الياقوت بالدر
(السريع)

وقال أيضاً

وبأبلي الحماض كالقمر
أولاه فيض الجلال أجمعه
خشيت من عقرب به قمر
أصبح في الأرض فتنة البشر
والحسن والطرف واهب الصور
فكيف بالعريقين في قمر
(المنسرح)

وقال أيضاً

ومنهف^(١) ينفى العمون غريقه
قلم الطبيعة خطه والمشاري^(٢)
في لج ماء الحسن منه وموجه
يللي عليه عطارده^(٣) من أوجه
(الكامل)

وقال في غلمان يسبحون بدجة

وسرب غيد بشاطيء دجة خرجوا
كأنهم وسط لج الماء أجمعهم
عن الثياب والقوا سائر الكلف
در تجرد في بحر عن الصدف
(البسيط)

وقال في غلام في الحمام

سجده الحمام من كل ثوب
بدنًا كالصباح من تحت ليل
وأرتقي منه الذي كان قصدي
حالك اللون اسود غير جمدي

(١) الضامر البطن الدقيق الحصر (٢) نجم من الكواكب السيارة (٣) نجم من السيارات وهو اقربها من الشمس (ن.د.)

سكب الماء فوق جسم حكي النضة حتى اكتسى غلالة ورد
(الخفيف)

وقال وكتبها الى صديق

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| فاسقياني راحاً بماء اللثام ، | جاء شعبان منذراً بالصيام |
| وضياء ، أسقى من الاوهام . | خندريساً ، كاتها الشمس لونا ، |
| من بني الترك مثل بدر التمام . | واسقني من بين أغيد ريم |
| في بها والحباب فوق المدام : | فكان الصبباء في الحسن والسا |
| سمط در ، حكي نجوم الظلام ؛ | شمس ظهر ، في كف بدر ، عليها |
| يومه يشارى بسبعين عام | سيا والربيع بالورد عاف |

(الكامل)

وقال أيضاً

| | |
|------------------------------|--------------------------------|
| البك جوى يوهي القوى والقواما | كنت وبني من لأعج الشوق والاسى |
| كأحسن ما كنا أيتك قادم | ولولا الرجا ان يجمع الله بيننا |
| يرى كل شيء ان يردك سالا | ولكنني أدعو الى الواحد الذي |

(الطويل)

وقال أيضاً :

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| يدعى من السمداء عش أبدا ، | يا من تربع جلعا (١) وغدا |
| هي جنة الله التي وعدا ، | لا تطلبن بغيرها بدلا ، |
| تقدأ يوعد وتجيء غدا ، | قض الزمان ولا تبغ ، طمعا ، |
| تنفي الموم وتسلب الكمدا ؛ | واشرب بها صفراء صافية |
| قدفت على حافاتها الزبدا | راحا اذا بزلت بانية |
| قال المتي ، في منزل ، قعدا ، | فالماتل الفطن القيب اذا |
| مقطوبة في الكاس من بردى | اني لاهوى شرب صافية |
| تسمى بها والليل قد بردا | من كف من يهوى الفؤاد بها |
| بيض الوجوه تحالفا بردا | تسقي ندامي كالنجوم غدا |
| يلقي الماموم وشاديا غردا | ما نلتقي الا حليف حبي |

(- الكامل)

(١) اي دمشق .

وقال أيضاً :

سلام كنفاس الرياح بمالج^(١) إلى ساكن فيها وفي القلب مثله
إلى جنة الدنيا جميعاً وليتني وأنت بها فالراح غير لنيدة
سميع مطيع للاغلاء قد صفا وإني ليدعوني الهوى كل ساعة
سلام من الشعرى^(٢) إلياني دائماً وإن مرق الدهر الماحد شملنا
وبداني بالعد منك فعالتي ومن نكد الدهر الغشوم وصرفه
يملأه ربح الصبا أرض جلق مقيمياً به عقل إلى حين نلتقي
أغلت بها يوماً من الدهر أيتني بشير نديم خالص الود مشفق
بشير قلدي صفو الشراب المعتق إليك وتقر يد الحمام المطوق
إلى قريحها الشامية المتألق فارت ودادي ليس يلتمزق
كحالة مأسور بغربة موثق يحاور رغباً فيلسوف لأحق
(الطويل)

وقال أيضاً :

يا حجة الدين سر بالله متمصاً فلكواكب علر في تقطعها
الدر لولا محور القيد ما خرجت فاقبل إلى ملك ما قال غايته
هو الهيسولى^(٣) وانت الجسم لتبل أصناف المحالي قبولاً غير مختلف
(البسيط)

وقال: استدعاني الرضا وزير الجزيرة في ليلة ممطرة فكتبته إليه مع الفلام :

قبل الوزير أدام الله نعمته بمشت في طلي والقيث منسكب
وقد رددت الذي نفلت في طلي في دولة أمرها في الحضر والبادي
والوحد قد كف سير الرائع للفاذي فاهبت إلى بركوب ولباد
(البسيط)

فبعث إليه ما أراد وقال وكتبه إلى بعض الكتاب :

دعي من المطل الذي لا ينقضي أبداً وسقم القلب بالتجليل

(١) رمال معروفة بالبادية قال في المصباح : جبال متواصلة يتصل بعضها بالبحر ، والديانة ، قرب اليلامة ، واسفلها يتجدد
لتسع كثيراً حتى قال البكري : رمل عالج يحيط بأكثر أرض العرب (د.و.)
(٢) كوكب لير يقال له الرزم ، يطلق في شدة الحر بعد الجوزاء ، وما الشعران .
(٣) المادة الأولى والأصل وهي في اصطلاح الحكماء أصل جميع السور (د.و.)

قل لي نعم او لا بنير توقف
لاكون من طمعي الكذوب كن رأي

وقال يهجو علي بن مسهر الشاعر :

مبا ولدت سلاء من جن عبقر
لهامة صلواة من فوق قامة
بها جمل^(١) ما بين فكيه كامن يزج
ولأشكي داء قديماً بديره
فقلت دواء الدبر طمئة اجرد
تناك به من بين فضلي موسوس
وما يشتكي فوق الخيث دواؤه
وكل من جوارثن البطون فانه
ففيك من العاهات ما لو تقسمت

وقال في المرأة :

قد أقبلت خولة الصبايا
فقلت ما أعظم الزايا
أحسن ما كنت في عبادة

وقال يمدح فضيلة الشرع :

ان الشريعة ألقت بصلاحها
الشرع اصلح كل غاو مارد
لولا الشريعة ما تجمع واستوى
ان الشريعة حكمة ومنافع
والعقل نور الله الا انه
فمن اكتفيت بفعل عقل داخل
الانبياء كحواكب تهدي الى

قاليس أروح لي من التطويل
أضغات احلام بلا تأويل
(الكامل)

بأقبح شخص من علي بن مسهر
مقوسة حدباء في دور خنصر
الخرا من قبه في كل محضر
الى وداء من قم منه انجر^(٢)
عريض القضا عريان اقصر اعور
به جنة كالدير هوج أثر
بسواك جمس^(٣) عجه سحر شياي
لداثك أشقى من جوارثن قبصر
على الخلق جمعا لم تجد غير مدبر
(الطويل)

تنظر عن معلم النقاب
قفل على منزل شراب
ملفوفة الرأس في جراب
(البسيط)

للعالم المتضاد المتنازع
وأما شرة كل جان مارج
شمل الوري ومنوا بشر هائج
لداخل ومصالح تخارج
للعالم المحسوس غير مجازج
فسدت أمورك كلها من خارج
سبل الهدى لنوري السرى^(٤) والدالج^(٥)
(الكامل)

(١) ضرب من الخنازير

(٢) الكثرة النفس

(٣) الخرا

(٤) مسير الليل

(٥) القائل في آخر ساعات الليل :

وقال حين ترك الحجر وطاب عنه وعن المدح بالشعر

فار الحميا وثار الفكر مذ تها
والكاسم بالطبع تصدي عقل شارها
جسمي تركت الحميا خشية النار
والسكر يسلب منه حكمة الباربي
(البسيط)

وقال أيضاً :

صددت عن الصبياء^(١) لما وجدتها
وعوضت عنها النفس كاسات حكمة
مناقرة مني طباعي واخلاقي
تملئتها فازدعت شوقاً الى الساقبي
(الطويل)

والمنقري من الكتب : كتاب النور المجتبي من روض الندما وتذكر الفضلاء الحكما وزهرة الحياة الدنيا ، رثبه على فصول السنة وضمنه اشعاراً وفوائد حسنة لجماعة من الأدباء ولنفسه أيضاً ، وأبان فيه عن فضل . كتاب الجمالة في العلم الطبيعي والاهلي . كتاب الاقرباذين ، وهو اقرباذين كبير استقصى فيه ذكر الأدوية المركبة وأجاد في تأليفه . رسالة الشعرى البانية الى الشعرى الشامية ، كتبها الى عرفة النحوي بدمشق جواباً عن رسالة كتبها اليه من دمشق . رسالة حركة العالم هنيء بها وزيراً استدعي الى وزارة بلد آخر ، وهو حجة الدين مروان لما وزره اناهلك زكني بن آق سنقر . رسالة الفرق ما بين الدهر والزمان والكفر والايمان . رسالة العشق الالهلي والطبيعي .

أبو الفنائم هبة الله بن علي بن الحسين بن ائردى

من أهل بغداد متميز في الحكمة ، فاضل في صناعة الطب ، مشهور بالجودة في العلم والعمل . ولأبي الفنائم هبة الله بن علي بن ائردى من الكتب : تعاليق طبية وفلسفية . مقالة في أن اللذة في النوم في أي وقت توجد منه ، وألف هذه المقالة لأبي نصر التكريتي طبيب الامير ابن مران .

علي بن هبة الله بن ائردى

هو أبو الحسن علي بن هبة الله بن علي بن ائردى من أهل بغداد . طبيب فاضل مشهور بالتقدم في صناعة الطب وجودة المعرفة لها ، حسن المجالعة جيد التصنيف . ولعلي بن هبة الله بن ائردى من الكتب : شرح كتاب دعوة الاطباء ألفه لأبي العلاء عفووط ابن المسيحي الخطيب .

سعيد بن ائردى

هو أبو الفنائم سعيد بن هبة الله بن ائردى ، من الاطباء المشهورين ببغداد ، وكان ساعور البيارستان العضدي ، ومتقدماً في أيام الختفي بأمر الله .

(١) صفة للشعر

أبو علي الحسن بن علي بن ائردى

فاضل في صناعة الطب جيد الاعمال حسن المعالجة ، وكان من المشكورين ببغداد .

جمال الدين علي بن ائردى

هو جمال الدين أبو الحسن علي بن أبي الفناثم سعيد بن هبة الله بن علي بن ائردى ، فاضل في صناعة الطب ، عالم بها ، متميز في علمها وعملها .

كان هام الدين العبيدي الشاعر قد استعار من جمال الدين علي بن ائردى كتاب مسائل حنين ، فقال يمدحه ويشعره بأن المسائل العارية قد وقع عليها اختياره على سبيل الدعابة ، وذلك في سنة ثمانين وخمسةائة :

حياتك رقرق الحيا عني وخفاف النسيم ،
فلأنت ذو الخلق الكريم ، وأنت ذو الخلق الوسم .
غديق الافامل بالندي ، لتيق الشائل بالنسيم ،
ما افتر الا فرّ جيش دُجَيْتِ الليل البهيم .
نضر الفكاهة كالحا م جرى على زهر الجهم^(١) ،
ويسير أوقات الزا ، كثير افراح النديم
لا باللول ، ولا الجدو ل ، ولا الجهول ، ولا المليم ،
بل يشفع القول اللطيف ، برفا الطول الجسم .
فاد الورى مسترخفاً هل من صديق او حم ،
حال أعباء القرن ، منيع أكناف الحريم ؟
وادع الكرام ، ولن يحيب سوى أبي الحسن الحكيم .
ممعاً جمال الدين قو ل مصاحب الود السليم :
هل للمسائل رجعة يوما الى الوطن القديم ؟
هيات ، أهوز ما يرو م الفعل إلقاح العقيم .
بيني وبينك وصة الافضال والفضل العميم ،
والوصة العظيمى ، جيد ولاية الثبا العظيم ،
اذا ليجمضنا الولا ، على صراط مستقيم .
(الكامل المرفل)

وقال ايضاً يمدحه

سل لم جفا جفني الوسن^(٢) يمدد يمداد من ظعن^(٣)

(١) لكثير والمتشر التامض .

(٢) قنوم . (٣) سار ورحل .

ومن نأى بالصبر لم
وقل لمن خال الهوى ،
لم يبعد الوجد الذي
ولن ترى جوالحي
يا من يظن الحب من
الحب ما صير في
لا ما أسال ملهما
أما ، ومشوق القوا
ينص جيد مطلق
اني لاشتاق فتى
ولن ترى أحسن من
مفتن به فتى
أحن شوقاً وجوى
ولا أزال سائلاً
هيات أين ذو خلا
أخو الهوى ليس له
تكاد تجري نفسه
وكيف لا أعشق موصول العطاء والهن
المجد ما جاد به
فمنعه ذكراؤه
لا تلّ عرش سعده
أحمد لا طالباً
ولا وداد من نأى
فابق لنا ما سجت
وامض كما تقرر من
وليتهك العيد الذي

غامر في قلبي الحزن
قل لي ، على البعد وطن ؟
خلفه البين ولن ،
ساكنة بعد سكن .
أيسر أحداث الزمن
ب المرء للمرء كفن
او جعل السر علن
م ناص الطرف أغن^(١)
تلشد خشفاً^(٢) ما شذن^(٣)
لا يتبع المن^(٤) مان^(٥)
شوقي الى أبي الحسن
لولا هواه ما افتتن
قلبيته اشتاق وحر
عنه فهل يسأل عن
من ذي غرام وشجن
من أسهم الوجد جان
لولا ارتباط بالبدن
مسول العطاء والهن
وللمباح ما خزت
وللمباحات فطن
ولا وهى ولا وهن
منه على الحمد ثمن
عن الأطباء والضيق
حامة على فتن
نهج الملى على سنان
به العداة لم تمن

(الرجز)

(١) فرد اللذة وهو الصوت من اللهاة والالنف .

(٢) للصوت والحركة والحي الخفي (٣) قوي وامتننى .

(٤) ذكر التهمة بما يكدرها ويقطع شكرها .

(٥) واحد ما منه ومنه هي بالفعل الاحسان والقول اعتداد المرء بما يفضل من الاحسان على الحسن اليه . (ن . ر)

فخر الدين المارديني

هو الامام فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عبد الساتر الانصاري . كان أوحده زمانه وعلامة وقته في العلوم الحكيمة . قوي الذكاء فاضل النفس ، جيد المعرفة بصناعة الطب ، محاولاً لأعمالها ، كثير التحقيق ، زيه النفس ، محباً للخير ، متقناً للغة ، متقناً في العربية . مولده في ماردين^(١) ، واجده من القدس وكان أبوه قاضياً . ولما فتح نجم الدين الغازي^(٢) بن ارتق القدس بعث جده عبدالرحمن الى ماردين وقطن بها هو وأولاده . وكان شيخ فخر الدين المارديني في الحكمة نجم الدين بن صلاح ، وهو نجم الدين أبو الفتوح أحمد بن السري ، وكان عجبياً من همدان استدعاه حسام الدين قرقاش بن الغازي بن ارتق . وكان ابن الصلاح فاضلاً في الحكمة جيد المعرفة بها ، خبيراً بدقائقها واسرارها . وله تصانيف في الحكمة وأقام في آخر عمره بدمشق و توفي رحمه الله في سنة (٦٠٠) ودفن في مقابر الصوفية عند نهر بانياس بظاهر دمشق ، وقرأ فخر الدين المارديني صناعة الطب على أمين الدولة بن التليذ .

وحدثني الحكيم سديد الدين محمود بن عمر المعروف بابن رقيقة عن فخر الدين المارديني انسه قرأ كتاب القانون لابن سينا على أمين الدولة بن التليذ ، وباحث فيه ، وبالغ في تصحيحه وتحريره معه . وكان ابن التليذ يقرأ عليه صناعة المنطق . وما قرأ عليه في ذلك كتاب المختصر الاوسط للبرجاني^(٣) لابن سينا . وأقام فخر الدين بن عبد السلام المارديني في مدينة حبي سنة كثيرة ، وكان في خدمة نجم الدين بن ارتق . قال سديد الدين محمود بن عمر وكان قد صحب فخر الدين المارديني في مدينة حبي وقرأ عليه صناعة الطب ، ولازمه مدة طويلة ، ولم يكن يفارقه في سفره ولا حضره ، ان الشيخ فخر الدين المارديني رحمه الله وصل الى دمشق ، وكنت معه في سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، وأقرأ بها صناعة الطب ، وكان له مجلس عام للتدريس . وكان من جملة من اشتغل عليه ولازمه مدة مقامه بدمشق الشيخ مذهب الدين عبدالرحيم بن علي ، وقرأ عليه الشيخ مذهب الدين بعض كتاب القانون لابن سينا وصحبه معه . ولم يزل الشيخ فخر الدين المارديني مقبلاً بدمشق الى آخر شهر شعبان سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، فانه توجه قاصداً الى بلده ، ولما عزم على السفر أراه الشيخ مذهب الدين وسأله ان كان يمكنه ان يقيم بدمشق ليتعم عليه قراءة كتاب القانون ، وأن يكون يوصل الى وكيله برسنة النفقة في كل شهر ثلثائة درهم فاصرية فلم يفعل . وقال : العلم لا يباع أصلاً ، بل من كان معي فاني اشغله اين كنت . ولم يمكن مذهب الدين التوجه معه ، ولما سافر فخر الدين المارديني من دمشق

(١) مدينة في تركيا تبعد عن حلب ١١٠ كيل (كيلومتر) بالقرب منها محطة القطاران البريان (٢) تركاني من بني ارتق هذه السلالة التي حكمت بلاد حسن كيلا وماردين ، وارتق اولهم حاكم اورشليم سنة ١٠٨٦ .

(٣) بياض بالأصل

(٣) احسب انه عيسى بن يحيى من كبار الاطباء تعلم في بغداد وعلم في خراسان وخوارزم ومن تلاميذه ابن سينا (ن، د)

وكان في طريقه مجلب ، نفذ اليه الملك الظاهر غازي ^(١) بن الملك الناصر صلاح الدين ، واستحضره وأعجبه كلامه ، فطلب ان يقع عنده فاعتذر اليه . ولم يقبل منه الملك الظاهر ذلك وأطلق له مالا كثيرا وأنعم عليه ، وكان عظيم المازلة عنده ، وبقي في خدمته نحو سنتين ، ثم سافر الى ماردين .

أقول : توفي فخر الدين المارديني رحمه الله يوم السبت الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وتسعين وخمسة بآمد ، وله من العمر اثنان وثلاثون سنة ووقف جميع كتبه في ماردين في المشهد الذي وقفه حسام الدين بن ارق ، وكان حسام الدين هذا فاضلا حكيما ، فيلسوفا ، وقد وقف ايضا في مشهده كتابا حكيما . والكتب التي وقفها الشيخ فخر الدين هي من اجود الكتب وهي نسخة التي كان قد قرأ أكثرها على مشايخه وحررها ، وقد بالغ في تصحيحها واتقانها .

وحدثني سيد الدين محمود بن عمر وكان حاضرا عند الشيخ فخر الدين المارديني وقت موته قال لم يزل الشيخ فخر الدين لما أحس بالموت يذكر الله تعالى ويمجده ولهفار عن ذلك الى حين قضى ، وكان آخر شيء سمعناه منه : اللهم اني آمنت بك وبرسولك ؛ صدق صلى الله عليه وسلم ان الله يستحي من عذاب الشيخ .

ولفخر الدين المارديني من الكتب : شرح قصيدة الشيخ الرئيس ابن سينا التي أولها : هبطت اليك من الملأ الارفع .

وكان شرحه لهذه القصيدة لما سأله الامير عز الدين أبو القاسم الحفص بن أبي غالب نصر الازدي المحصي ذلك ، رسالة فضع فيها بعض من اتهمه باليل الى مذهب معين .

أبو نصر بن المسيحي

هو أبو نصر سعيد بن أبي الخير بن عيسى بن المسيحي من التميميين في صناعة الطب ، والأفاضل من أهلها والأعيان من أربابها . حدثني شمس الدين محمد بن الحسن بن محمد بن الكرم البغدادي قال : مرض الخليفة الناصر ^(٢) لدين الله في سنة ثمان وتسعين وخمسة مرضا شديدا ، وكان المرض بالرمل ، ومرض له في المثانة حصاة كبيرة مفرطة في الكبر واشتد به الالم وطال المرض . وكان طبيبه أبو الخير المسيحي ، وكان شيخا حسنا مسنا وقد خدمه مدة طويلة ، وكان خيرا متقنا للصناعة ، ومات وقد قارب المائة سنة ، فامتد به المرض وضجر من المعالجات ، فاشار بان تشق المثانة لاجراء الحصاة . فسأل عن حذائق الجراحين ، فاجبر برجل منهم يقال له ابن عكاشه من ساكني الكرخ بجانب بغداد الغربي ، فاحضر وشاهد العضو الليل وامره بيطه ^(٣) . فقال أحتاج أن أشاور مشايخ الأطباء في هذا . فقال له من

(١) صاحب حلب « ١١٦٧ » - « ١٢١٥ » وهو في اولاد صلاح الدين الازدي وسع مملكته الى حدود ارمينيا شمالا وحماة جنوبا وحارب الصليبيين . « ن. د. »

(٢) الخليفة العباسي الرابع والثلاثون « ١١٨٠ - ١٢٢٥ » طمع بالامتياز على غورستان وفارس فاستنجد بالفرق وبذلك هيا السيل الى غزوات جنكيزخان . وفي ايامه فتح صلاح الدين القدس .

(٣) بشفه . « ن. د. »

تعرف ببغداد من صالحه هذه الصناعة ؟ فقال يا مولانا استاذني وشيخي ابو نصر بن المسيحي ، ليس في البلاد بأسرها من يائله . فقال له الخليفة اذهب اليه ومعه . بالحضور فلما حضر خدم وقبل الارض ، امره بالجلوس فيجلس ساعة ، ولم يكله ولم يأمره بشيء حتى سكن روعه . فلما آنس منه ذلك قال له يا أبا نصر ، مثل نفسك انك قد دخلت الى بيارستان وانت تبأثر به مريضاً قد ورد من بعض الضياع ، وأريد ان تبأثر مداواي وتعالجني في هذا المرض كما تفعل بن همد صفتي . فقال : السمع والطاعة ولكنني احتاج ان اعرف من هذا الطبيب المتقدم مبادئ المرض واحواله وتغيراته ، وما عالج به منذ اول المرض والى الآن .

فاحضر الشيخ ابو الخير واخذ يذكر له ابتداءات المرض وتغيرات احواله وما عالج به في اول الامر والى آخر وقت . فقال : التدبير صالح ، والعلاج مستقيم . فقال الخليفة : هذا الشيخ اخطأ ولا بد لي من صلبه . فقام ابو نصر بن المسيحي وقبل الارض ، وقال : يا مولانا ، بحق نعمة الله عليك وعين مضى من اسلافك الطاهرين لا تسن على اطباء هذه السنة ، وأما الرجل فلم يخطئ في التدبير ، ولكن لسوء حظه لم ينته المرض . فقال : قد عفوت عنه ، ولكن لا يعود يدخل علي . فانصرف ، ثم اخذ ابو نصر في مداواته ، فسقاه ودهن العضو بالأدهان اللينيات ، وقال له : ان امكن ، نلاطف الامر بحيث تخرج هذه الحصة من غير بط فهو المراد ، وان لم تخرج فذلك لا يفوتنا . فلم يزل كذلك يومين ، وفي ليلة اليوم الثالث رمى الحصة ، فقيل انه كان وزنها سبعة مثاقيل ^(١) ، وقيل خمسة ، وقيل انها كانت على مقدار اكبر نواة تكون من فوى الزيتون . وبرأ وتتابع الشفاء ، ودخل الحمام ، فأمر ان يدخل ابو نصر الى دار الضرب ، ويعمل من الذهب مما قدر ان يحمله ، ففعل به ذلك . ثم أتته الخلع والنفير من أم الخليفة ومن ولديه الاميرين محمد وعلي ، والوزير نصير الدين أبي الحسن ابن مهدي الماوي الرازي ، ومن سائر كبار الامراء بالدولة . فأما أم الخليفة وأولاده والوزير والشرايين نجاح فكانت البنات من كل واحد منهم ألف دينار ^(٢) ، وكذلك من أكابر الامراء ، والباقين على قدر احوالهم . فأخبرت انه حصل من العين البنات عشرين ألف دينار ، ومن الثياب والخلع جمة وافرة ، وألزم الخدمة ، وفرضت له الجامكية السلية ، والرتائب والاقامة . ولم يزل مستمراً في الحكمة الى ان مات الناصر .

قال : وحدثني بعض اطباء ان ابن عكاكش الجراحي كان قد نذر عليه انه يتصدق في بيعة سوق الثلاثاء بالربيع بما يحصل له ، وانه حل الى البيعة مائتين وخمسين ديناراً ، وصرف ابو الخير المسيحي من الخدمة ، وقد كانت منزلته قبل هذا جليلة عنده ، وعمله مرتفع ، ووصله هبات وصلات عظيمة .

(١) القتال : درهم وثلاثة اسباح الدم . وهو : شرعي وروثه ثمان وستون حبة واربعه اسباع الحبة . ويعادل بالوزن الشرعي ٣٠٤٣٦٤٦ غرام هو قانون حبة اي ٤٠٠٠٩٢ : وصيرني وهو اربع وقانون حبة اي ٤٠٨١١٤٣٧ غ .
(٢) فقد قدّم وزنه مثقال وهو عشرة اسباح الدم وهو في الوزن الشرعي زنة للقتال الشرعي اي ٣٠٤٣٦ غ .
و ن . د .

فمن جعلها انه اعطاه خزانة كتب الأجل أمين الدولة بن التليذ . وكان مرض الناصر مراراً وبرأ على يده ، فحصل له فيها جل وافرة . ثم توفي الشيخ ابو الخير في أيام الناصر فقيل له انه قد توفي ، وترك ولداً متخلفاً وجة عظيمة من المال . فقال لا يتوخى ولده فيها وورثه من ابيه ، فما خرج عنا لا يعود لنا .

ولابي نصر بن المسيحي من الكتب : كتاب الاقتضاب على طريق المسألة والجواب في الطب كتاب انتخاب الاقتضاب .

أبو الفرج

هو صاعد بن هبة الله بن توما نصراني من اهل بغداد . وكان من الاطباء التميزين والاكابر المتعنين . حدثني شمس الدين محمد بن الحسن بن محمد بن الكرمي البغدادي انه كان طبيب نجم النولة أبي اليمين لمجاش الشراي ، وارتقت به الحال الى ان صار وزيره وكتابه . ثم دخل الى الناصر وكان يشارك من يحضر من أطبائه في أوقات أمراضه . ثم حظي عنده الخطوة الثامنة وسلم اليه عدة شهادات يخدم بها ، وكان بين يديه فيها عدة دراهم وكتاب . وقتل في سنة عشرين وسبائه وكان سببه انه احضر جماعة من الاجناد الذين كانت معاشهم تحت يده ، وانه خاطبهم بما فيه بعض المكروه ، فكان له منهم اثنان ليلاً فقتلاه بالسكاكين . واضرقت تركته فامر الخليفة بان يحمل ما فيها من المال الى الخزانة ، وبقي القماش والملوك لولده . قال فاشهرني بعض البغداديين انه حمل من داره الى الخزانة من الدنانير العيين ثمانمائة ألف وثلاثة عشر ألف دينار ، وبقي الآلات والاملاك بما يقارب تتمبة ألف ألف دينار فترك لولده .

اقول : ووجدت صاحب جمال الدين بن الفطحي^(١) قد حكى من أحوال صاعد بن توما المذكور ما هذا نصه قال : كان حكيماً طبيباً حسن العلاج ، كثير الاصابة ، ميمون المائة في الاكثر ، له سعادة تامة في هذا الشأن ، وكان من ذوي المرويات والامانات . تقدم في أيام الناصر الى ان كان بمنزلة الوزراء واستوفقه على حفظ أموال خواصه ، وكان يودعها عنده ، ويرسله في أمور خفية الى وزرائه ويظهره في كل وقت ، وكان حسن الوساطة ، جميل المحضر ، قضيت على يديه حاجات واستكفيت بوساطته شروره . وسالته الايام مدة طويلة ، ولم ير له غير شاكر وناشر . وكان الامام الناصر في آخر أيامه قد ضف بصره وادركه سهو في اكثر اوقاته لاحزان توارثت على قلبه ، ولما عجز عن النظر في النقص والانهاءات استعصر امرأة من النساء البغداديات تعرف « بست نسيم » وقرها ، وكانت تكتب خطاً قريباً من خطه ، وجعلها بين يديه تكتب الاجوبة والرقاع ، وشاركها في ذلك خادم اسمه تاج الدين رشيق . ثم تزايد الامر بالناصر ، فصارت المرأة تكتب الاجوبة بما تراه ، فمرة تصيب ومرة تحطىء

(١) ولد في قط (١١٦٧ - ١٢٤٨) وسع الحديث في مصر وحلب وجمع من الكتب الشهيرة الكثير فارسي بها الناصر صاحب حلب . وورد للملك العزيز (١٢٢٥)

ويشاركها رشيق في مثل ذلك . وانتق ان كتب الوزير القمي المدعو بالمويد^(١) مطالعة وحلها وعاد جوابها وفيه اختلال بين . فتوقف الوزير وأنكر ، ثم استدعى الحكيم صاعد بن قوما وأسر اليه ما جرى وسأله عن تفصيل الحال ، فعرفه ما الخليفة عليه من عدم البصر والسهو الطاريء في أكثر الاوقات ، وما تمتددة المرأة والخادم من الاجوبة . فتوقف الوزير عن العمل بأكثر الامور الواردة عليه ، وتحقق الخادم والمرأة ذلك . وقد كانت لها أغراض يريدان تمشيتها لاجل الدنيا واغتنام الفرصة في نيلها . فحدسا ان الحكيم هو الذي دله على ذلك ، فقرر رشيق مع رجلين من الجند في الخدمة أن يقتالا الحكيم ويقتلاه ، وهما رجلان يعرفان بولدي قمر الدولة من الاجناد الواسطية ، وكان أحدهما في الخدمة والآخر بطلا . فرصدا الحكيم في بعض الليالي الى أن أتى الى دار الوزير^٢ وأخرج عنها عائدا الى دار الخلافة ، وتبعاه الى ان وصل باب حرم المظلة ، ووثب عليه بسكينها فقتله . وكان بين يديه مشعل وغلما ، وانزهم الحكيم لما وقع الى الارض بحمارة الضرب الى أن وصل الى باب خربة الحراس ، والقاتلان تابعا له ، فبصرهما واحد وصاح خذوهم فمادا اليه وقتلاه وجرحا النفاط الذي بين يدي الحكيم . وحل الحكيم الى منزله ميتا ودفن بداره في ليلته . ونفذ من البدرية من حفظ داره ، وكذلك من دار الوزير لاجل الدوايح التي كانت عنده للحرم والحشم الخاص ، وبحث عن القاتلين فامر بالقبض عليها وتولى القبض والبحث ابراهيم بن جميل بمفرده وحلها الى منزله . ولما كان في بكرة تلك الليلة أخرجا الى موضع القتل وشق بطناهما وصلبا على باب المذبح المهادي لباب القلة التي جرح بها الحكيم . وكان موت الحكيم وقتله في ليلة الخميس ثامن عشر جمادى الاولى سنة عشرين وسبائة

أبو الحسين صاعد بن هبة الله بن المؤمل

كان نصرانياً وأصله من الحظيرة ونزل الى بغداد ، وكان اسمه أيضاً ماري ، وهو من اسماء الكنيسة عند النصارى ، فانهم يسمون اولادهم عند الولادة باسماء فاذا عديمهم سموم عند المعمودية باسم من اسماء الصالحين منهم . وكان ابو الحسين هذا طيباً فاضلاً وخدم بالدار العزیزة الناصرية الامامية ، وتقرب قريبا كثيراً وكسب بخدمته وصحبته الاموال ، وكانت له الحرمة الوافرة والجلاء العظيم . وكان قد قرأ الأدب على أبي الحسن علي بن عبد الرحمن العصار ، وعلى أبي محمد عبد الله بن احمد بن الحشاش النعموي ، وعلى شرف الكتاب بن حيا وغيرهم . وله معرفة تامة بالناطق والفلسفة وأنواع الحكمة ، وكان فيه كبر وحق وتبه وعيرفة ، ويلبس الى ظم مفرط . ولم يزل على أمره يلتمس بخطه كتب الحكمة ، ويتصرف فيها هو بصده من الطب ، وعلى حاله في القرب الى ان مات في يوم العشرين من ذي الحجة سنة احدى وتسعين وخسبائة ببغداد ودفن ببيعة النصارى بها .

(١) هو مؤيد الدين محمد ولد في قم ووزر للناصر ثم الظاهر ثم المستنصر الى ان حبسه لمرض ومات في بغداد سنة ١٢٢٢ (ن.د)

ابن المارستانية

هو ابو بكر عبيد الله بن ابي الفرج علي بن نصر بن حمزة ، عرف بابن المارستانية .
حدثني شمس الدين ابو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن الكرمي البغدادي الكاتب : ان ابن المارستانية كان فاضلاً في صناعة الطب وأعمالها ، وسمع شيئاً من الحديث وكان عنده تميز وأدب . وعمل خطيباً ، قال : وكان يعرضها على شيخنا أبي البقاء عبد الله بن الحسين العسكري ^(١) ، وكان يستجدها . وتولى النظر بالبليارستان العضدي ثم قبض عليه وحبس به سنتين ، ثم أفرج عنه . وعمل تاريخاً لمدينة السلام ^(٢) سماه ديوان الاسلام الأعظم وكتب منه كثيراً ولم يتمه . وندب من اللجوان في صفر سنة تسع وتسعين وخمسة للرسالة إلى تقيس ^(٣) ، وخلع عليه خلمة سوداء وطيلسان ، وتوجه الى هناك فأدى الرسالة وعاد الى بغداد ، فتوفي قبل وصوله بموضع يعرف يخرج بند في ليلة ذي الحجة سنة تسع وتسعين وخمسة فدفن هناك .

ابن سدير

هو ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الله من اهل المدائن يعرف بابن سدير — وسدير لقب لابيه — وكان طبيباً عالماً بصناعة الطب والدواوة ، ويقول الشعر . وكان فيه دماثة ودعابة ، وتوفي بالمدائن فجأة في الشهر الاخير من رمضان سنة ستة وستائة .
ومن شعر ابن سدير قال الحافظ ابو عبد الله محمد بن سعيد بن يحيى بن الديلمي الواسطي في كتابه :
أنشدني ابن سدير نفسه :

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| أيا منقذي من مشر زاد لأومهم | فأعيا دوائني واستكان له طيبي |
| إذا اعتل منهم واحد فهو صحي | وان ظل حياً كدت أقضي به نحيبي |
| أداوهم إلا من الكرم إنه | ليعي علاق الحاذق الفطن الطب |

(الطويل)

مهذب الدين بن هبل

هو ابو الحسن علي بن احمد بن علي بن هبل البغدادي ، ويعرف أيضاً بإخلاطي . كان أوحده وقته ، وعلامة زمانه في صناعة الطب وفي العلوم الحكمة . متميزاً في صناعة الادب وله شعر حسن وألفاظ بليغة . وكان متقناً لحفظ القرآن . ولد ببغداد في باب الأزج بدرب ثل في ثالث وعشرين ذي القعدة

«١» لتري علم ابن الجوزي « ١١٣٤-١٢١٩ » .

«٢» لقب ببغداد .

«٣» هي عاصمة الجمهورية الكرجية السوفياتية اليوم « ن.د. »

من سنة خمس عشرة وخمسة ، ونشأ بفنداد ، وقرأ الأدب والطب ، وجمع بها من أبي القاسم اسمعيل
ابن احمد بن السمرقندي ، ثم صار الى الموصل واستوطنها الى حين وفاته .

وحدثني عفيف الدين ابو الحسن علي بن عدنان النحوي الموصل قال : كان الشيخ مهذب الدين بن هبل من بغداد ،
وأقام بالموصل ثم بخلاط^(١) ، عند شاه ارمن صاحب خلاط ، وبقي عنده مدة ، وحصل من جهة من المال العين مبلغاً
عظيماً . وقبل رحيله من خلاط بعث حجة ما له من المال العين الى الموصل الى مجاهد الدين قبايز الزيني وديعة
عنده ، وكان ذلك نحو مائة وثلاثين ألف دينار . ثم أقام ابن هبل بماددين عند بدر الدين لؤلؤ متزوجاً بأم ناصر الدين
والنظام الى ان قتلها ناصر الدين بن ارتق صاحب ماردين . وكان بدر الدين لؤلؤ متزوجاً بأم ناصر الدين
وعمر مهذب الدين بن هبل بماء نزل في حيليه عن ضربة ، وكان عمره اذ ذاك خمساً وسبعين سنة . ثم
وجه الى الموصل وحصلت له زمانة فقام منزله بسكة أبي نجيج . وكان يجلس على سرير ويقتصد كل
أحد من المشتغلين عليه بالطب وغيره .

أقول : وكان أيضاً يسمع الحديث ومن ذلك ، حدثني الحكيم بدر الدين أبو العز يوسف بن أبي محمد
ابن المكي الدمشقي المعروف بابن السنجاري قال : حدثنا مهذب الدين أبو الحسن علي بن أبي العباس
أحمد بن هبل البغدادي المعروف بخلاط ، أخبرنا الشيخ الحافظ أبو القاسم اسمعيل بن أحمد بن عمر
ابن الاشعث السمرقندي ، أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن احمد بن محمد الكناي ، أخبرنا أبو محمد
عبد الرحمن بن عثمان بن أبي نصر ، وأبو القاسم قام بن محمد الرازي ، والقاضي محمد بن أحمد بن هرون
القسائي المعروف بابن المجندي ، وأبو القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن علي بن أبي العقب ، وأبو بكر
محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن يحيى القطان ، قالوا : أخبرنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن ابراهيم
ابن أبي العقب ، حدثنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمر بن عبد الله بن صفوان البصري ، حدثنا علي بن
عياش ، حدثنا شبيب بن أبي حزة عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنها قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة .

وكان شيخ مهذب الدين بن هبل في صناعة الطب أواحد الزمان ، وكان بن هبل في أول أمره
قد اجتمع بعدد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الحشاش النحوي ، وقرأ عليه شيئاً من النحو ، وورد أيضاً
الى النظامية ، وقرأ الفقه . ثم اشتهر بعد ذلك بصناعة الطب وفاته بها أكثر أهل زمانه من الاطباء ،
وتوفي مهذب الدين بن هبل ، رحمه الله ، بالموصل ليلة الاربعاء ثالث عشر محرم سنة عشر وسبعمائة ،
ودفن بظاهرها بباب الميدان بقبرة الماعى بن حران بالقرب من القرطبي .

ومن شعر مهذب الدين بن هبل قال :

أيا أثلاثاً^(٢) بالمرأق ألفتها عليك سلام لا يزال يفوح

^(١) بك إرميليا .

^(٢) حتى فر الدن ركبي املك الوصل . قصي قصاً من حياه يحارب الامراء المتصاميين في بلاد الموصل وجوارها .
وله شعر (١١٨٠ - ١٢٥٩)

^(٣) واسمها انة وهي شجرة الاثل وهو يشبه الطرفاء إلا انه اعظم منه وشبهه اصلب جيد تصنع منه القصاص والجلفان .

لقد كنت جلدأ ثاوياً بفنائها
فما أحسن الأيام في ظل أنسها
وقد غرد القمري^(١١) في غسق الدجى
ذكرت ليال بالصراط وطيبها

فقد عاد مكتوم الفؤاد ييوع
قبيل طلوع الشمس حين تلوح
وراعى حمام في الاصول ينوح
نظير لها شوقاً ونحن جموح
الطويل

وقال أيضاً :

أيا حوحة هام الفؤاد بذكرها
رميتي التوى بالبعد منك وقربها
فيا ليت أني بعد بُعد أحبتي
والأفليت الدهر يمكن منهم
إذا جال طرفي في المراق وجوه
تبدل تغليبي الرياح مع الغشا
واعترضت ذوياً كانت للمجد شاملاً
فمن لا يرى سوء القضاء وقدره
يمش ثائلاً في الخلق اعشى مشوها

عليك سلام الله يا حوحة الانس
وقد كنت جاراً لاصقاً لك بالامس
تقلت كريماً راضي النفس بالرمس
بقبضي حبال الوصل بالانفل الحس
كأنني نظرت الافق من مطلع الشمس
بتكليب مطبوع بقلب بالفلس
ينوب رجال كان أشبه بالجلس^(١٢)
بمقل رصين لا يقايس باللس
يميد للرامي التيح الخلق بالنكس
الطويل

وقال أيضاً :

لقد سجتني غداة الحيف غانية^(١٣)
قامت قميس كخوط^(١٤) البان غازلة
يكاد من دقة خصر تدل به
لو لم يكن اقحوان الثغر مبسمها

قد حازت الحسن في دل بها وصبا^(١٥)
مع الاوائل ريمي شمال وصبا^(١٦)
يشكو الى ردفا من ثقه وصبا^(١٧)
ما هام قلبي بمحبها هوى وصبا^(١٨)

ولهذهب الدين بن هبل من الكتب : كتاب المختار في الطب وهو كتاب جليل يشتمل على علم
وعمل ، كتاب الطب الجمالي ، صنفه جمال الدين محمد الوزير المعروف بالجواد ، وكان تصنيفه للمفتاخر
سنة ستين وخمسةائة بالموصل .

١١» ضرب من الحمام حسن الصوت .

١٢» كل ما يوضع على ظهر النابذة تحت السرج أو الرجل .

١٣» اسم لينة إما كن .

١٤» جبة الفتوة .

١٥» الفصن التمام .

١٦» روح تهب مع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار .

١٧» التنب والفتور .

١٨» الشرق .

شمس الدين بن هبل

هو شمس الدين ابو العباس احدى مذهب الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن علي بن هبل، مولده في يوم الجمعة العشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسة ، انشقاق الصباح قبل طلوع الشمس . وكان مشغولاً بصناعة الطب ، متميزاً في الادب ، وجيهاً في الدولة . وسافر الى بلاد الروم وأكرمه صاحب الروم الملك الفالب كيكافوس بن كيخسرو^(١١) اكراماً كثيراً وبقي عنده قليلاً وتوفي هناك رحمه الله ، ثم حل الى الموصل وحفن بها .

وكان لشمس الدين بن هبل ولدان من أعين الفضلاء وأكابرهم وهما في وقتنا هذا مقبران بمدينة الموصل .

كمال الدين بن يونس

هو كمال الدين أبو عمران موسى بن يونس بن محمد بن منعة ، علامة زمانه وأوحد أوانه ، وقدره العلماء ، وسيد الحكماء . قد اتقن الحكمة ، وتبحر في سائر العلوم . وكان عظيماً في العلوم الشرعية والفقه . وكان مدرساً في المدرسة بالموصل ، وقرأ العلوم بأسرها من الفلسفة والطب والتعاليم وغير ذلك . وله مصنفات في نهاية الجودة . ولم يزل مقبلاً بمدينة الموصل الى ان توفي الى رحمة الله .

حدثني القاضي نجم الدين عمر بن محمد بن الكريدي قال : وكان ورد الى الموصل كتاب الارشاد للعميدي^(١٢) ، وهو يشتمل على قوة من خلاف علم الجدل ، وهو الذي يسمونه المعجم (جست) أي الشطار . فلما احضر الى الشيخ كمال الدين بن يونس نظر فيه وقال علم مليح ، ما قصر فيه مؤلفه ، وبقي عنده يومين حتى حور جميع معانيه . ثم انه أقرأه الفقهاء وشرح لهم فيه أشياء ما ذكرها احد سواء . وقيل ان كمال الدين بن يونس كان يعرف علم السيمياء^(١٣) من ذلك .

حدثني ايضاً القاضي نجم الدين بن الكريدي قال : حدثني القاضي جلال الدين البغدادي تلميذ كمال الدين بن يونس وكان الجلال مقبلاً عند ابن يونس في المدرسة - قال : كان قد ورد الى الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل من عند الانبؤور^(١٤) ملك الفرنج - وكان متفتناً في العلوم - رسول ويبدع مسائل في علم التنجيم وغير ذلك ، وقصد ان كمال الدين بن يونس يرد أجوبتها . فبعث صاحب الموصل الى ابن يونس يعرفه بذلك ، ويقول له أن يتجمل في لبسه وزيه ويجعل له مجلساً بأية لاجل

(١١) أحد الملوك السلجوقيين في آسيا الصغرى .

(١٢) عمده السمرقندي للعميدي فقيه حنفي سوفي اشتهر في الجدل وله حلاوة عن كتابه «الارشاد» في الجدل كتاب «مرآة الحياة على المعاني في ادراك العالم الانساني في الفلسفة وقد توفي في بخارى سنة ١٢١٨

(١٣) العلامة التي يعرف بها الشيء . واصله الارتفاع لأنه علامة وفست للظهور اصلها وعلم السيمياء هو علم السحر .

(١٤) د.

(١٥) كلنا في الاصل وهي الامبراطور ترميزاً .

الرسول ، وذلك لما يعرفه من ابن يونس انه كان يلبس ثياباً رثة بلا تكلف ، وما عنده خير من احوال الدنيا ، فقال : نعم . حكى جلال الدين ، قال : فكنت عنده ، وقد قبل له هذا رسول الفرنج قد أتى وقرب من المدرسة ، فبعث من الفقهاء من تلقاه فلما حضر عند الشيخ ، نظرنا فوجدنا الموضوع فيه يتطمن أحسن ما يكون من البسط الرومية الفاخرة ، وجماعة بمالك وقوف بين يديه وخدام وشارة حسنة . ودخل الرسول وتلقاه الشيخ وكتب له الاجوبة عن تلك المسائل بأسرها . ولما راح الرسول غاب عنا جميع ما كنا نراه ، فقلت للشيخ يا مولانا ما أعجب ما رأينا من ساعة من تلك الابهة والحشمة فتبسم وقال : يا بغداداي ، هو علم .

وقال جلال الدين : وكان للشيخ كال الدين عند بدر الدين لؤلؤ حاجة . فركب عند الصبح يلحقاه فيها ، وكانت عادة بدر الدين أن يركب الخيل والبغال السريمة المشي ، فلما قدموا في السحر فرساً وركبه لم ينبعث في المشي ، ففزله عنه وركب غيره فلم يقدر على المشي خطوة ، فبقي متجعراً في أمره ، وإذا بالشيخ قد وصل إليه وقال له عن حاجته فقضاها له ، ثم قال : ما كان القرس امتنعت من المشي إلا حتى تقدم ، فقال : يا مولانا ، هذا من همة المشايخ . وعاد وسار بدر الدين لؤلؤ وبعده العسكر

حدثني نجم الدين حزة بن عابدين الصرخدي ان نجم الدين القمراوي وشرف الدين الحافني - وقروا ومثان هما قريتان من قرى صرخد^(١) قال : كان قد اشتغل بالعلوم الشرعية والحكمية ونمى واشتهر فضلهما ، وكلا قد سافرا الى البلاد في طلب العلم ، ولما جاما الى الموصل قصدا للشيخ كال الدين ابن يونس وهو في المدرسة يلقي الدرس ، فلما وقعا مع الفقهاء . ولما جرت مسائل فقهية تكلموا في ذلك وميثا في الاصول ، ذبان فضلهما على أكثر الجماعة ، فأكرمهما الشيخ وأدبهما . ولما كان آخر النهار سألاه ان يريها كتاباً له أكان قد ألفه في الحكمة وفيه لفرز ، فامتنع وقال : هذا كتاب لم اجد أحداً يقدر على حله وأنا ضنين به . فقالا له : نحن قوم غرباء ، وقد قصدها ليحصل لنا الفوز بنظرك ، والوقوف على هذا الكتاب ، ونحن بائنون عندك في المدرسة ، وما نريد نطالعهم سوى هذه اليلة ، وبالفداء يأخذه مولانا وتلطفا له حتى المم لها وأخرج الكتاب ، فقعدا في بيت من بيوت المدرسة ولم يناما أصلاً في تلك اليلة ، بل كل واحد منها عي على الآخر وهو يكتب حتى فرغا من كتابته وقابلاه ، ثم كررا النظر فيه مرات ، ولم يتبين لهما حل الى آخر وقت ، وقد طلع النهار ، فظهر لهما حل شيء منه ، من آخره ، واتضح أولاً فأولاً حتى الحسل لهما اللفر وعرفاه . فقصلا للكتاب الى الشيخ وهو في الدرس ، فجلسا وقالوا : يا مولانا ما طلبنا الا كتابك الكبير الذي فيه اللفر الذي يصير حل له ، واما هذا الكتاب فنحن نعرف معانيه من زمان ، واللفر الذي فيه حله جندة قديم ، واثبت شئت أوردناه .. فقال : قولاً حتى اسمع ، فتقدم النجم القمراوي ، وبعده الآخر ، وأوردا جميع معانيه من اول الكتاب الى آخره ، وذكرنا حل اللفر بمباراة حسنة فصيحة . فمضب منها وقال :

«١» بلدة بالشام في جبل حوران .

من ابن توكوان ؟ قال : من الشام . قال من اي موضع منه ؟ قال : من حوران . فقال : لا أشك ان احداً كالنجم القمراوي ، والآخر الشرف المتاني . قال : نعم . فقام لها الشيخ وأضافها عنده وأكرمها غاية الاكرام واشتغلا عليه مدة ثم سافرا .

اقول : وكان عمي رشيد الدين بن خليفة ، وهو في أول شببته ، قصد السفر الى الموصل ليجتمع بالشيخ كال الدين بن يونس ويشتغل عليه ، لما بلغه من علمه وفضله الذي لم يلحقه فيه احد ويجهز للمفر ، فلما علمت بذلك والدته ، جدتي ، بكت وتضرعت اليه ان لا يفارقها ، وكان يأخذ بقلبها فلم يمكنه خالفها ، وأبطل الرواح اليه .

ولكمال الدين بن يونس أولاد بمدينة الموصل قد اتقنوا الفقه وسائر العلوم ، وهم من سادات المدرسين وأفاضل للصنفين .

ومن شعر كمال الدين بن يونس قال :

| | |
|-------------------------|--------------------------|
| ولا جرى هجره على بالي | ما كنت ممن يطيع عدائي |
| أرخصت أرخصت قدرك الغالي | حلت كما حلت غادراً ، وكأ |
| (الملتصيح) | |

وقال

| | |
|-----------------------------|--------------------------|
| مطل واف واثل مذكور | حتى ومتى لي وعدكم لي زور |
| زوروا فمسي يثمر وصلاً زوروا | في قلبي حسب حبكم مذكور |
| (دو بيت) | |

ولكمال الدين بن يونس من الكتب بكتاب كشف المشكلات وایضاح المضلات في تفسير القرآن . شرح كتاب التنبيه في الفقه مجلدان . كتاب مفردات الفاظ القانون . كتاب في الاصول . كتاب حيون المتطق . كتاب لفر في الحكمة . كتاب الاسرار السلطانية في النجوم .

الباب الحادي عشر

طبقات الأطباء الذين ظهروا في بلاد العجم

تيادورس

كان نصرانياً وله معرفة جيدة بصناعة الطب ، ومحاولة لاعمالها ، وبنى له ساير ذو الاكتاف البيع في بلده ، ويقال ان الذي بنى له البيع بهرام جور . ولتيادورس من الكتب : كناش .

برزويه

قيل انه كان عالماً بصناعة الطب موسوماً بها ، متميزاً في زمانه ، فاضلاً في علوم الفرس والهند . وانه هو الذي جلب كتاب كلية ودمنة من الهند الى أورشولان^(١) بن قباد بن فيروز ملك الفرس ، ووجه له من اللغة الهندية الى الفارسية ، ثم ترجمه في الاسلام عبدالله بن المقفع^(٢) الخطيب من اللغة الفارسية الى اللغة العربية .

أقول : وهذا الكتاب كما قد عظمت شهرته انه في اصلاح الاخلاق وتهذيب النفوس لا نظير له في معناه . وكان عبدالله بن المقفع الخطيب فارسياً أيضاً ، وكان كاتب ابي جعفر التصور . وترجم أيضاً من كتب ارسطوطاليس كتاب قاطينورياس وكتاب بارمينيلاس وكتاب افالوطيقا ، وترجم مع ذلك المدخل الى كتب المنطق المعروف بإيساغوجي لفرقوريوس الصوري ، وعبارته في الترجمة عبارة سهلة قريبة المأخذ . ولابن المقفع أيضاً تاليف حسان منها رسالته في الادب والسياسة ، ومنها رسالته

«١» المعروف بنسور الاول « ٥٣١ - ٥٧٩ » والملقب انوشروان - لنفس الخاتمة - وهو اعظم ملوك بني ساسان حارب البيزنطيين واصر الساماء ونقلت يهره مؤلفات اليونان والفرس والهند الى الفارسية .
«٢» مؤلف وكاتب حرني من اشهر الكتاب اسلم ثم اتهم بالزندقة وقتل . له عدة مؤلفات وترجم كتاب كلية ودمنة عن اللغة البهلوية - الفارسية القديمة - الى اللغة العربية .

المعروفة بالقيمة في طاعة السلطان .

ربن الطبري

قال صاحب جمال الدين بن القفطي في كتابه : ان هذا ربن الطبري كان يهودياً طبيباً منجماً من أهل طبرستان ، وكان متميزاً في الطب ، عالماً بالهندسة وأنواع الرياضة ؛ وحل كتباً حكيمية من لغة الى لغة اخرى . قال : وكان والده علي بن ربن طبيباً مشهوراً انتقل من طبرستان الى العراق ، وسكن سر من رأى . ورين هذا كان له تقدم في علم اليهود - والربن والرين والراب اسماء لمقدمي شريعة اليهود .

وسئل أبو مشر عن مطارح الشماع فذكرها وساق الحديث الى أن قال : ان المترجم لنسخ المخطوطات المخرجة من لغة يونان ما ذكروا الشماع ولا مطارحه ، ولا يوجد ذلك الا في النسخة التي ترجمها ربن المتطبب الطبري . ولم يوجد في النسخ القديمة مطرَح شماع بطليموس ، ولم يعرفه ثابت ولا حنين القلاوسي ولا الكندي ولا أحد من هؤلاء الترجمة الكبار ، ولا احد من ولد نوبخت .

ابن ربن الطبري

هو أبو الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري . وقال ابن النديم البغدادي الكاتب : علي بن رسل (باللام) وقال عنه انه كان يكتب للمازير بن قارن فلما اسلم على يد المحتشم قربه وظهر فصله بالحضرة ، وأدخله المتوكل في جمة ندماؤه . وكان بموضع من الادب ، وهو معلم الرازي صناعة الطب . وكانت مولده وملثؤه بطبرستان .

ومن كلامه قال : الطبيب الجاهل مستحق الموت . ولابن ربن الطبري من الكتب : كتاب فردوس الحكمة ، وجمعه سبعة أنواع ؛ والأنواع تحتوي على ثلاثين مقالة ، والمقالات تحتوي على ثلثائة وستين باباً . كتاب ارفاق الحياة كتاب تحفة الملوك ، كتاب كنائس الحضرة ، كتاب منافع الاطعمة والاشربة والمعايير ، كتاب حفظ الصحة ، كتاب في الحجابة ، كتاب في ترتيب الاغذية .

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي

مولده وملثؤه بالري^(١) ، وسافر الى بغداد وأقام بها مدة . وكان قدومه الى بغداد وله من العمر ثيف وثلاثون سنة ، وكان من صفوه مشتتاً للعلوم العقلية مشتتلاً بها ويعلم الادب ، ويقول الشعر . وأما صناعة الطب فانما تعلمها وقد كبر ، وكان الملم له في ذلك علي بن ربن الطبري . وقال أبو سعيد زاهد العلماء في كتابه في البيارستانات : سبب تعلم أبي بكر محمد بن زكريا الرازي صناعة الطب انه

«١» مدينة قديمة في مادي جنوبي طهران بشرق . فتحها العرب في زمن الخليفة عمر سنة ٦٣٩ وفيها ولد هارون الرشيد .

عند دخوله مدينة السلام بغداد ، دخل الى البيارستان المعصدي ليشاعده ، فاتفق له ان يظفر برجل شيخ صيدلاني البيارستان ، فقال له عن الادوية ومن كان المظهر لها في البدء « فأجابه بان قال : ان اول ما عرف منها كان حي العالم^(١) وكان سببه أفولون سليمة اسقليديوس ، وذلك ان افولون كان به ورم حار في ذراعه مؤلم ألماً شديداً ، فلما أشفي منه ارتاحت نفسه الى الخروج الى شاطئ نهر ، فأمر غلمانة فحملوه الى شاطئ نهر كانت عليه هذا النبات ، وانه وضعه عليه تبرداً به فحفف ألمه بذلك ، فاستطاع وضع يده عليه واصبح من غد فعل مثل ذلك فبرأ . فلما رأى الناس سرعة برئه وعلوا انه انما كان بهذا الدواء سموه حياة العالم ، وتداولته الالسن وخففته فسمي حي العالم . فلما سمع الرازي ذلك اعجب به . ودخل ثارة اخرى الى هذا البيارستان ، فرأى صبيماً مولوداً يوجع من رأس واحد ، فسأل الأطباء عن سبب ذلك فأخبر به فأعجبه ما سمع . ولم يزل يسأل عن شيء شيء ويقال له وهو يملق بقلبه ، حتى تصدى لتعلم الصناعة ، وكان منه جالينوس العرب ، هذه حكاية ابي سعيد.

وقال بعضهم ان الرازي كان في جهة من اجتماع على بناء هذا البيارستان المعصدي ، وان عضد الدولة استشاره في الموضع الذي يجب ان يبنى فيه للمارستان ، وان الرازي امر بعض الفلسان ان يملق في كل ناحية من جانبي بغداد شقة لحم ، ثم اعتبر السقي لم يتغير ولم يسك^(٢) فيها اللحم بسرعة ، فأشار بان يبنى في تلك الناحية وهو الموضع الذي بني فيه البيارستان

وحدثني كمال الدين ابو القاسم بن ابي تراب البغدادي الكاتب ان عضد الدولة لما بنى البيارستان المعصدي المنسوب اليه ، قصد ان يكون فيه جماعة من أفاضل الأطباء وأعيانهم ، فأمر ان يحضروا له ذكر الأطباء المشهورين حينئذ ببغداد وأعمالها ، فكانوا متوافرين على المائة ، فاختار منهم نحو خمسين بحسب ما علم من جودة احوالهم وتقدمهم في صناعة الطب ، فكان الرازي منهم . ثم انه اقتصر من هؤلاء ايضاً على عشرة ، فكان الرازي منهم . ثم اختار من العشرة ثلاثة فكان الرازي احدهم . ثم انه ميز فبا بينهم فبان له ان الرازي افضلهم ، فجعله ساعور^(٣) البيارستان المعصدي .

اقول والذي صح عندي ان الرازي كان اقدم زماناً من عضد الدولة بن بويه ، وانما كان روده الى البيارستان من قبل ان يعمده عضد الدولة . وللرازي كتاب في صفات البيارستان وفي كل ما كان يعمده من احوال المرضى الذين كانوا يعالجون فيه .

وقال عبيد الله بن جبرئيل انه لما عمر عضد الدولة البيارستان الجديد الذي على طرف الجسر من الجانب الغربي من بغداد ، كانت الاطباء الذين جعمهم فيه من كل موضع ، وأمر القرايب منه اربعة وعشرون طبيباً ، وكان من جملتهم ابو الحسن علي بن ابراهيم بن بكس ، وكان دأبه ان يدوس فيه الطب لانه كان محبواً ، وكان منهم ابو الحسن بن كشكرايا المعروف بتفليد سنان ، وابو يعقوب

«١» جلس ثبات عشيبة لمحبة معمورة تزرع لزهرها وللتزيين من قصبة الخانات وهي بالفرنسية Joubarle

«٢» لم تتغير رائحته ويتقن .

«٣» القدم في مرفق الطب وأداته . واصله بالبريانية ساعوراء ومنه متلفد المرضى .

الاهوازي وابو عيسى بقية والعس الرومي وبنو حسنون ، وجاعة طبائعيون . قال عبيد الله : وكان والذي جبرئيل قد اصعد مع عضد الدولة من شيراز ورتب في جملة الطبائعين في البيلارستان ، وفي جملة الاطباء الخواص . قال : وكان في البيلارستان مع هؤلاء من الكحالين الفضلاء ابو نصر بن الدحلي ، ومن الجراثمين ابو الخير وابو الحسن بن تقاح وجعاعته ، ومن المبرزين ائشار اليهم ابو الصلت . وقال سليمان بن حسان : ان الرازي كان متولياً لتدبير مارستان الري زماناً قبل مزاولته في البيلارستان العسدي . وقال : ان الرازي كان في ابتداء نظره يضرب بالعمى ، ثم انه اكب على النظر في الطب والفلسفة ، فبرع فيها براعة المتقدمين . وقال القاضي صاعد في كتاب « التمرين طبقات الامم » : ان الرازي لم يوغل في العلم الا لهي ، ولا فهم غرضه الاقصى ، فاضطرب لذلك رأيه وتقلد آراء سقيمة ، وانتحل مذاهب خبيثة ، ودم أفواهاً لم يفهم عنهم ولا اهتدى لسبيلهم . وقال محمد بن اسحق النديم المعروف بابي الفرج بن أبي يعقوب في كتاب الفهرست : ان الرازي كان يلتفت في البلدان ، وبينه وبين منصور بن اسمعيل صداقة . وألف له كتاب التصوري . قال واخبرني محمد بن الحسن الوراق قال ، قال لي رجل من أهل الري شيخ كبير سألته عن الرازي فقال : كان شيخاً كبير الرأس مسقطه ، وكان يجلس في مجلسه ودونه تلاميذ ، ودونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ آخر ، فكان يحكي الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه ، فان كان عندهم علم والا ندمام الى غيرهم ، فان اصابوا والا تكلم الرازي في ذلك . وكان كريماً متفضلاً ، باراً بالناس ، حسن الرأفة بالفقراء والاعلاء ، حتى كان يجري عليهم الجرايات الراسعة ويمرضهم ولم يكن يفارق المدارس والنسخ . ما دخلت عليه قط إلا رأيت بنسخ اما يسود او يبيض ، وكان في بصره رطوبة لكثرة أكله الباقلاء ، وعي في آخر عمره ، وكان يقول انه قرأ الفلسفة على البلخي . قال محمد بن اسحق النديم : وكان البلخي من اهل بلخ يطوف البلاد ويحول الارض ، حسن المعرفة بالفلسفة والعلوم القديمة . وقد يقال ان الرازي ادعى كتبه في ذلك ، ورأيت بخطه شيئاً كثيراً في علوم كثيرة مسودات ودساير لم يخرج منها الى الناس كتاب تام ، وقيل ان بخراسان كتبه موجودة . قال : وكان في زمان الرازي رجل يعرف بشهيد بن الحسين ويكنى أبا الحسن يجري مجرى فلسفته في العلم ، ولكن لهذا الرجل كتب مصنفة ، وبينه وبين الرازي مناظرات ، ولكل واحد منها نقوش على صاحبه

اقول : وكان الرازي ذكياً فطناً رؤوفاً بالمرضى ، مجتهداً في علاجهم وفي برهم بكل وجه يقدر عليه ، مواظباً للنظر في غوامض صناعة الطب والكشف عن حقائقها واسرارها ، وكذلك في غيرها من العلوم بحيث انه لم يكن له دأب ولا عناية في جل اوقاته الا في الاجتهاد والتطلع فيما قد دونه الافاضل من العلماء في كتبهم ، حتى وجدته يقول في بعض كتبه انه كان لي صديق نبيل يسامرنى على قراءة كتب بقراط وجالينوس . والرازي اخبار كثيرة وفوائد متفرقة فيما حصل له من التمرن في صناعة الطب ، وفيما تفرد به في مداواة المرضى ، وفي الاستدلال على احوالهم من تقدمه المعرفة ، وفي خبره من الصفات والادوية التي لم يصل الى علمها كثير من الاطباء . وله في ذلك حكايات كثيرة وقعت له قد تضمنها كثير من ، وقد ذكر من ذلك جلاً في باب مفرد من كتابه الحاروي ، وفي كتابه

في سر الطب .

وبما حكي عنه من بدائع وصفه وجودة استدلاله ، قال القاضي ابو علي ^(١) الحسن بن علي بن أبي جهم التنوخي في كتاب «الفرج بعد الشدة» : حدثني محمد بن علي بن الخلال البصري ابو الحسين أحد أمناء القضاء ، قال : حدثني بعض اهل الطب الثقات ، ان غلاماً من بغداد قدم الري وهو ينفث الدم ، وكان لحقه ذلك في طريقه ، فاستدعى أبا بكر الرازي ، الطبيب المشهور بالحدق ، صاحب الكتب المصنفة ، فاراه ما ينفث ووصف ما يجد . فأخذ الرازي يحسبه ورأى قارورته ، واستوصف حاله منذ بدأ ذلك به ، فلم يبق له دليل على سل ^(٢) ولا قرحة ^(٣) ؛ ولم يعرف الملة ؛ فاستنظر الرجل ليتفكر في الامر ، فقامت على العلبل القيامة ، وقال : هذا يأس لي من الحياة لحق المتطبب وجهه بالمة . فإزداد ما به وولد الفكر للرازي ان اعاد عليه فسأله عن المياه التي شربها في طريقه فأخبره ان قد شرب من مستنقعات وصهاريج ^(٤) ، فقام في نفس أبي بكر محمد بن زكريا الرازي المتطبب الرأي بمجدة الخاطر وجودة الذكاء ، ان علة كانت في الماء فحصلت في معدته ، وان ذلك النثث الدم من فعلها . فقال له اذا كان في غد جئتكم فمأجلك ولم انصرف او فبراً ، ولكن بشرط تأمر غلمانك ان يطيعوني فبك بما آمرهم به . فقال : نعم . وانصرف الرازي فتقدم فجمع له ملل مركتين ^(٥) كبيرتين من طعلب ^(٦) اخضر فاحضرهما من غد معه واره اياهما وقال له ابلغ جميع ما في هذين المركتين . فبلغ الرجل شيئاً يسيراً ثم وقف فقال : ابلغ . فقال : لا استطيع ، فقال للغلمان : خذوه فاني موه على فقاه . ففعلوا به ذلك وطرحوه على فقاه وفتحوا فاه ، واقبل الرازي يدس الطعالب في حلقه ويكبسه كبساً شديداً ويطالعه بيلمه شاء ام أبى ، ويتهده بالضرب الى ان بلشمه كرهاً احد المركتين بإساره ، والرجل يستنبت فلا ينفعه مع الرازي شيء ، الى ان قال : الساعة اقذف . فزاد الرازي فيا يكبسه في حلقه ، فذره ^(٧) الذي تقذف . وتأمل الرازي قذفه فاذا فيه علة ، واذا هي لا وصل اليها الطعلب قرمت ^(٨) اليه بالطبع وترك موضعها . والتفت على الطعلب ؛ فلما قذف الرجل خرجت مع الطعلب ، وتض الرجل معافى .

قال القاضي التنوخي : وحدثني ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الرازي المعروف بابن حمدون قال : حدثني ابو بكر احمد بن علي الرازي الفقيه قال : سمعت ابا بكر بن قارن الرازي الطبيب

«١» رجل سياسي تلم بالصرة وتولى القضاء في بغداد ثم الاموال «سنة ٩٤١ - ٩٩٤»

«٢» مرض يصيب الرئة .

«٣» مرض يتفرع فيه انتشاء الحطاي للجهاز الهضمي .

«٤» جمع صهرج وهو حوض الماء .

«٥» الاجانة ونحوها لنسل الثياب .

«٦» نباتات تعيش في البعاد والمياه الحارة وهي من مستورات الزهر لا تتميز في اجسامها السيلان والاوراق والجلود

«٧» سبق الى فيه وغلبه .

«٨» اشتدت شوبتها اليه .

وكان محققاً في الطب ، قال : ابو بكر بن حدرن ، وقد رأيت هذا الرجل ، وكان يحسن علوماً كثيرة منها الحديث ويرويه ويكتبه للناس عنه ويوهونه ، ولم أسمع هذا منه ، قال القاضي التنوخي ، ولم يتفق لي ، مع كثرة ملاحاة ابي بكر الرازي ، ان اسمع هذا الخبر منه ، قال ابن قارن الرازي ، وكان تلميذاً لابي بكر محمد بن زكريا الرازي الطيب في الطب : سمعت ابا بكر محمد بن زكريا الرازي الطيب بعد رجوعه من عند امير خراسان ، لما استدعاه فعالجه من علة صعبة قال : اجبت في طريقي ينسابور ^(١) بيقام ، وهي النصف من طريق نيسابور الى الري ، فاستقبلني رئيسها فانزلني داره وخدمني اثم خدمة ، وسألني ان اقف على ابن له به استسقاء ، فادخلني الى دار قد أفردها له ، فشهدت الليل فلم اطمع في برئه فلما ثقلت القول بمشهد من الليل ، فلما انقردت انا بابيه سألتني ان اصدقه فصعدته وآبسته من حياة ابنه ، وقلت له مكته من شواله فانه لا يعيش ، وخرجت من خراسان وعدت منها بعد اثني عشر شهراً فاجتقت به ، فاستقبلني الرجل بعد عودتي ، فلما لقينته استحييت منه غاية الحياء ولم اشكك في وفاة ابنه ، واني كنت نعيمته اليه وخشيت من تنفله بي ، فانزلني داره فلم اجد عنده ما يدل على ذلك . وكرهت مسألته عن ابنه لئلا أجد عليه حزناً . فقال لي يوماً : تعرف هذا الفتى ؟ وأوماً الى شاب حسن الوجه والصحة ، كثير الدم والقوة ، قائم مع الغلمان يخدمنا . فقلت : لا ! فقال : هذا ولدي الذي آتيتني منه عند مضيك الى خراسان ، فتعجرت وقلت : عرفني سبب برئه ؟ فقال لي : انه بعد قيامك من عنده فطن انك آتيتني منه فقال لي : لست أشك ان هذا الرجل وهو أوحده في الطب في عصره هذا قد آتيتك مني ، والذي أسألك ان تمنح هؤلاء الغلمان ، يعني غلاني الذين كنت اخدمهم ايام ، فانهم اترابي ، واذا رأيتهم معافين ، وقد علت ابي ميت تجدد على قلبي حتى تميل لي الموت ، فأرحمني من هذا بان لا اراهم ، وأفرده لخدمتي فلانة دايي . ففعلت ما سأل ، وكان يحمل الى الداية في كل يوم ما تأكله ، واليه ما يطلب على غير حمية .

فلما كان بعد ايام حل الى الداية مضيرة ^(٢) لتأكل ، فتركها بحيث يقع عليها نظر ولدي ، ومضت في شغل لها ، فذكرت انها لما عادت وجدت ابني قد اكل اكثر مما كان في الفضارة ^(٣) ، وبقي في الفضارة شيء يسير . غير اللون ، قالت المجوز : فقلت له : ما هذا ؟ فقال : لا تقرني الفضارة ، وجدها اليه ، وقال : رأيت أنمي عظيماً وقد خرج من موضع ودب اليها فأكل منها ، ثم قلد فصار لونها كما ترى ، فقلت أنا ميت ولا اوده ان يلحقني ألم شديد ، ومتى اظفر بمثل هذا ، وأكلت من الفضارة ما استطعت لاموت عاجلاً وأسريع . فلما لم استطع زيادة أكل رجعت الى موضعي وجئت انت . قالت ورأيت المضيرة على يده وفيه قصصت . فقال : لا تعمل شيئا أو تدقي الفضارة بما فيها

«١» عاصمة خراسان . من اعظم المدن الاسلامية في القرون الوسطى غربت بالحروب والزلازل . وهي مسقط رأس عمر الحيام ومزيد الدين الططار .

«٢» مريقة تطبخ بالبن المشير او الصريح وهي تشبه ما يسمى اليوم لبن امه او شاكريه او مقودة ، وهي لحم يطبخ باللبن الرائب .

«٣» القصة الكبيرة .

لئلا يأكلها انسان فيموت ، او حيوان فيلسع انساناً فيقتله .: ففعلت ما قال . وغرجت الي ، فلما عرفتني ذلك ذهب علي امري ودخلت الي ابني فوجدته نائماً ، فقلت لا ترقظوه حتى تنظر ما يكون من امره ، فالتب آخر النهار وقد عرق عرقاً شديداً وهو يطلب المستعم (١) ، فانهض اليه فاندفع بطنه ، وقام من ليته ومن غد اكثر من مائة مجلس ، فازداد بأسناً منه ، وقل الطعام بعد ان استمر اليماً ، وطلب فراريج فاكل ، ولم تول قوته ثوب اليه ، وقد كان بطنه التصق بظهره ، وقوي طمعنا في عافيته فغمناه من التخليل ، فترايدت قوته الي ان صار كما ترى . فمجتب من ذلك وذكرنا ان الارائل قالت: ان المستسقي اذا اكل من لحم حية عتيقة مزمنة لها مئون سنين برأ ، ولو قلت لك ان هذا علاجه لظننت اني اداقلك ومن أين نعلم كم سنوحيه اذا وجدناها فسكت عنك .

اقول : وللازلي أمثال هذا من الحكايات اشياء كثيرة جداً مما جرى له وقد ذكرت من ذلك جملة وافرة في كتاب «حكايات الاطباء في علاجات الادواء» . وكان اكثر مقام الرازي ببلاد الحزم ، وذلك لكونها موطنه وموطن اهلها واخيه ، وخدم بصناعة الطب الاكابر من ملوك الحزم وصنف هنالك كتباً كثيرة في الطب وغيره ، وصنف كتابه المنصورى للمنصور بن اسمعيل بن خاقان صاحب خراسان وما وراء النهر ، وكذلك صنف كتابه الذي سماه الملوكى لملي ابن صاحب طبرستان . وكان الرازي أيضاً مشفقاً بالعلوم الحكيمية فائتماً فيها . وله في ذلك تصانيف كثيرة يستدل بها على جودة معرفته وارتفاع منزلته . وكان في اول امره قد عنى بعلم السمياء والكيمياء وما يتعلق بهذا الفن ، وله تصانيف أيضاً في ذلك . وقلت من خط بلطغر بن معرف (٢) قال : كان الرازي يقول أنا لا اسمي فيلسوفاً إلا من كان قد علم صنعة الكيمياء ، لانه قد استغنى عن التكسب من أوساخ الناس ، وقتره عما في أيديهم ولم يحتج اليهم .

وحدثني بعض الاطباء ان الرازي كان قد باع لقوم من الروم سبائك ذهب وساروا بها الي بلادهم ، ثم انهم بعد ذلك بستين عدة وجدوها وقد تغير لونها بعض التغير ، وحين لم يرضها فباعوها اليه ، وأزم بردها . وقال غيره ان الوزير كان أضافه الرازي فاكل عنده أطعمة لذيذة لا يمكن ان يأكل باطبيب منها ، ثم ان الوزير حميل بعد ذلك حتى اشترى احسدى الجوارى التي تطبخ الاطعمة عند الرازي ظناً منه ان تطبخ مثل ذلك الطعام ، فلما صتمت له اطعمة لم يحدها كما وجدها عند الرازي . فلما سألها عن ذلك ، ذكرت له أن الطبخ واحد ، بل اتنا كنا نجد القدر الذي عند الرازي جميعاً ذهباً وفضة . فسبق الي وحمه حينئذ ان جودة الاطعمة انما هي من ذلك ، وان الرازي قد حصلت له معرفة الكيمياء . فاستحضر الوزير الرازي وسأله ان يعرفه ما قد حصل له من معرفة الكيمياء . فلما لم يذكر له الرازي شيئاً من ذلك ، وانكر معرفته خنقه مرأ برؤ .

(١) موضع الاستحمام (ن.د)

(٢) من اطباء ديار مصر المشهورين وسياي الكلام عنه .

وقيل ان الرازي كان في أول امره صيرفياً . ومما يحقق ذلك انني وجدت نسخة من النصوري قديمة قد سقط آخرها ، واحترق أكثرها من عتقها ، وهي مخرجة بذلك الخط على هذا المثال : كناش النصوري ، تأليف محمد بن زكريا الرازي الصيرفي . واخبرني من هي عنده انها خط الرازي . وكان الرازي معاصراً لاسحق بن حنين ومن كان معه في ذلك الوقت ، وعي في آخر عمره بقاء زول في عينيه فقيل له : لم قدسحت ؟ فقال : لا قد نظرت من الدنيا حتى مللت . فلم يسمع بميله للقدح . وقال أبو الخير الحسن بن سوار بن بابا ، وكان قريب العهد منه : إن الرازي توفي في سنة نيف وتسعين ومائتين أو ثلاثمائة وكسر ، قال : والشك مني .

ونقلت من خط بلظفر بن معرف أن الرازي توفي في سنة عشرين وثلاثمائة . وقال عبيد الله بن جبرئيل : كان أبو بكر محمد بن زكريا الرازي له الميزة الجلية بالري وسائر بلاد الجبل . قال : وعاش الى أن لحق ابن العميد ^(١) استاذ الصاحب ^(٢) بن عباد ، وهو كاتب سبب اظهار كتابه المعروف بالحلوي ، لانه كان حصل بالري بعد وفاته فطلبه من اخذ أبي بكر ، ويدل لما دفن كثيره حتى أظهرت له مسودات الكتاب . فجميع تلاميذه الاطباء الذين كانوا بالري حتى رتبوا الكتاب، وخرج على ما هو عليه من الاضطراب .

ومن كلام أبي بكر محمد بن زكريا الرازي قال :
الحقيقة في الطب غاية لا تدرك ، والملاج بما تنصه الكتب دون اعمال الماهر الحكيم برأيه خطر .
وقال : الاستكثار من قراءة كتب الحكماء، والاشراف على أسرارهم، دافع لكل حكم عظيم الخطر.
وقال : العمر بقصر عن الوقوف على فعل كل نبات في الارض ، فملك بالاشهر ، مما اجمع عليه ، ودع الشاذ ، واقتصر على ما جريت .

وقال : من لم يمن بالامور الطبيعية ، والعلوم الفلسفية ، والقوانين المنطقية ، وعدل الى اللغات الدنيائية ، فاتمه في علمه ؛ لا سجا في صناعة الطب .

وقال : متى اجتمع جالينوس وارسطوطاليس على معنى فذلك هو الصواب ؛ ومتى اختلفا صعب على العقول ادراك صوابه جداً .

وقال : الامراض الحارة اقل من الباردة لسرعة حركة النار . وقال : الناقون من المرض اذا اشتوا من الطعام ما يضرم قيبب الطبيب ان يحتمل في تدبير ذلك الطعام وصرقه الى كيفية موافقة ، ولا ينهم ما يشتون به .

وقال : ينبغي للطبيب ان يوم المرض أبداً الصحة ويرجيه بها ، وان كان غير واثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لاختلاق النفس .

(١) ابو الفضل محمد الخطيب ابن العميد وزير دكن الدولة البويهي . ظب الخراسانيين واسعد منهم اصفيان ومنبع عنهم الري . توفي سنة ٩٧١ . (٢) ابو القاسم اسماعيل الطالقاني وزير بني بويه ولقب بالصاحب . اخضع طبرستان وروم امورها . وتوفي في الري ودفن في اصفهان (٩٣٨-٩٩٥) (ن.د).

وقال : الاطباء الاميون والمقلدون ، والاحداث الذين لا تجربة لهم ، ومن قلت عنايته وكثرت شهوراته ، قتالون .

وقال : ينبغي للطبيب ان لا يدع مساواة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علته من داخل ومن خارج ، ثم يقضي بالاقوى .

وقال : ينبغي للمريض أن يقتصر على واحد من يوثق به من الاطباء ، فخطؤه في جنب صوابه يسير جداً .

وقال : من تطبب عند كثيرين من الاطباء يوشك ان يقع في خطأ كل واحد منهم .

وقال : متى كان اقتصار الطبيب على التجارب دون القياس وقراءة الكتب خذل .

وقال : لا ينبغي ان يوثق بالحسن العناية في الطب حتى يبلغ الاشد ويحرب .

وقال : ينبغي ان تكون حالة الطبيب معتدلة ، لا مقلًا على الدنيا كلية ولا معرضاً عن الآخرة كلية ، فيكون بين الرغبة والرغبة .

وقال : بانتقال الكواكب الثابتة في الطول والمرض تنتقل الاخلاق والمزاجات .

وقال : باختلاف عروض البلدان تختلف المزاجات والاخلاق والعمادات وطباع الادوية والاغذية ، حتى يكون ما في الدرجة الثانية من الادوية في الرابعة ، وما في الرابعة في الثانية .

وقال : ان استطاع الحكم ان يعالج بالاغذية دون الادوية فقد وافق السعادة .

وقال : ما اجتمع الاطباء عليه ، وشهد عليه القياس ، وعرضته التجربة ، فليكن أمامك ، وبالصد .

ومن شعر أبي بكر محمد بن زكريا الرازي قال :

| | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| لعمري ، ما ادري ، وقد آذن البلى | بما جل رحال ، الى اين ترحالي ؟ |
| واين محل الروح بعد خروجه | من الهيكل المتحل والجسد البالي ؟ |
| | الطويل |

ولابي بكر محمد بن زكريا الرازي من الكتب : كتاب الحاوي ، وهو . أجل كتبه واعظمها في صناعة الطب . وذلك أنه جمع فيه كل ما وجده متفرقاً في ذكر الامراض ومدداواتها من سائر الكتب الطبية للمتقدمين ، ومن أتى بعدهم الى زمانه . ونسب كل شيء نقله فيه الى قائله ، هذا مسح ابن الرازي توفي ولم يفسح له في الاجل ان يمرر هذا الكتاب . كتاب البرهان ، مقلتان ، الاولى سبعة عشر فصلاً ، والثانية اثنا عشر فصلاً . كتاب الطب الروحاني ، ويعرف أيضاً بطب النفوس ، غرضه فيه اصلاح أخلاق النفس ، وهو عشرون فصلاً . كتاب في أن للانسان خالقاً متقناً حكماً ، وفيه دلائل من التشريح ومنافع الاعضاء تدل على ان خلق الانسان لا يمكن ان يقع بالاتفاق ، كتاب سمع

الكيان عرضه فيه ان يكون مدخلاً الى العلم الطبيعي ومسهلاً للتعلم لحق المعاني المتفرقة في الكتب الطبيعية . كتاب ايساغوجي وهو المدخل الى المنطق . جل معاني قاطينورياس . جل معاني بارمينياس . جل معاني افلاطون الاول الى تمام القياسات الحلية . كتاب هيئة العالم غرضه أف بيّن ان الارض كرية وانها في وسط الفلك ، وهو ذو قطبين يدور عليها ، وان الشمس اعظم من الارض والقمر اصغر منها وما يتبع ذلك من هذا المعنى . كتاب فيمن استعمل تفضيل الهندسة من الموسمين بالهندسة ، ويوضح فيه مقدارها ومنفعتيها ويرد على من رفعها فوق قدرها . مقالة في السبب في قتل ربح السعوم لاكثر الحيوان . كتاب فيما جرى بينه وبين سيس الثاني يريه خطأ موضوعاته وفساد تاموسه ، في سبع مباحث . كتاب في اللغة غرضه فيه ان يبين انها داخلة تحت الراحة . مقالة في العلة التي لها صار الحريف مرضاً والربيع بالصد ، على أن الشمس في هذين الزمانين في مدار واحد ، صنفها لبعض الكتاب . كتاب في الفرق بين الرؤيا المنذرة ، وبين سائر ضروب الرؤيا . كتاب الشكوك والتناقضات التي في كتب جالينوس . كتاب في كيفية الابصار يبين فيه ان الابصار ليس يكون بشمع يخرج من العين ، وينقص فيه اشكالا من كتاب اقليدس في المناظر . كتاب في الرد على الناسخ في مسائله البصر التي رام بها نقض الطب . كتاب في علل الفصائل والنقرس وعرق النساء ، وهو اثنا عشر فصلاً . كتاب آخر صغير في وجع المفاصل .

الاثنا عشر كتاباً في الصنعة : الأول كتاب المدخل التعليمي ، الثاني كتاب المدخل البرهاني ، الثالث كتاب الاثبات ، الرابع كتاب التدبير ، الخامس كتاب الحجر ، السادس كتاب الاكسير عشرة ابواب ، السابع كتاب شرف الصناعة وفضلها ، الثامن كتاب التقريب ، التاسع كتاب التدابير ، العاشر كتاب الخواهد ونكت الرموز ، الحادي عشر كتاب المحبة ، الثاني عشر كتاب الحيل . كتاب الاحجار يبين فيه الايضاح عن الشيء الذي يكون في هذا العمل . كتاب الاسرار . كتاب سر الاسرار . كتاب التوبيخ . كتاب رسالة الخاصة . كتاب الحجر الاصفر . كتاب رسائل الملوك . كتاب الرد على الكندي في ادخاله صناعة الكيمياء في المنتع . كتاب في ان الحمية المفرطة والمبادرة الى الادوية والتقليل من الاغذية لا يحفظ الصحة ، بل يجلب الامراض . مقالة في ان جهل الاطباء يشددون على المرضى في منعهم من شهواتهم وان لم يكن الانسان كثير مرض جهلاً وجزافاً . كتاب سيرة الحكماء . مقالة في ان الطين للثقل به فيه منافع ألها لابي حازم القاضي . مقالة في الجندري والحصبه ، أربعة عشر باباً . مقالة في الحصى في الكلي والمثانة . كتاب الى من لا يحضره طبيب ، وغرضه ايضاح الامراض ، وتوسيع في القول ، ويذكر فيه عدة ، وانه يمكن ان يعالج بالادوية الموجودة ، ويعرف ايضاً بكتاب طب الفقراء . كتاب الادوية الموجودة بكل مكان يذكر فيه ادوية لا يحتاج الطبيب الحاذق معها الى غيرها ، اذا ضم اليها ما يوجد في المطابخ والبيوت . كتاب في الرد على الجاحظ في نقض صناعة الطب . كتاب في تناقض قول الجاحظ في كتابه في فضيلة الكلام وما غلط فيه على الفلاسفة . كتاب التقسيم والتشجير يذكر فيه تقاسم الامراض واسبابها وعلاجها بالتشريح والبيان ، على سبيل تقسيم وتشجير . كتاب الطب الموكي في السبل وعلاج الامراض كلها بالأغذية ،

ودس الادوية في الاغذية حيث لا بد منها ، وما لا يكرهه العليل . كتاب في الفالج . كتاب في القترة . كتاب في هيئة العين . كتاب في هيئة الكبد ، كتاب في هيئة الانثيين . كتاب في هيئة القلب . كتاب في هيئة الصباح . كتاب في هيئة الفواصل أقراباذين . كتاب في الانتقاد والتحرير على المعتزلة . كتاب في احياء المر . كتاب في كيفية الاختداء ، وهو جوامع ذكر الادوية المدنية . كتاب في افعال الادوية المركبة . كتاب في خواص الاشياء . كتاب كبير في الهوى ، كتاب في سبب وقوف الارض وسط الفلك على استدارة . كتاب في نقض الطب الروحاني على ابن الجان . كتاب في ان العالم لا يمكن ان يكون الا على ما نشاهده . كتاب في الحركة وانها ليست مرئية بل معلومة . مقالة في ان للجسم تحريكاً من ذاته وان الحركة مبدأ طبيعي . قصيدة في التطبيقات . قصيدة في العلم الالهي . قصيدة في العظة اليونانية . كتاب الكرى ومقادير مختصرة .

كتاب في ايضاح العلم التي بما تدفع الهوام بالتنزي ومرة بالتدبير . كتاب في الجبر وكيف يسكن الله ، وما علاقة الحر فيه والبرد . مقالة في الاسباب المسببة لقلوب اكثر الناس عن افاضل اطباء الى اخصائهم . مقالة فيما ينبغي ان يقدم من الاغذية والفواكه وما يؤخر منها . مقالة في الرد على احد بن الطيب السرخسي فيما رد به على جالينوس في امر الطعم المر . كتاب في الرد على المسمي المتكلم في رده على اصحاب الهوى . كتاب في المدة ، وهي الزمان ، وفي الحلاء والملا ، وما المكان . مقالة بأن فيها خطأ جرير الطبيب في انكاره مشورته على الامير احمد بن اسمعيل ، في تناول الثوب الشامي على أثر البطح في حاله ، وايضاح عذره فيها . كتاب في نقض كتاب انايو الى فرفوروس في شرح مذاهب ارسطوطاليس في العلم الالهي . كتاب في العلم الالهي . كتاب في الهوى المطلقة والجزئية . كتاب الى أبي القاسم بلخي والزيادة على جوابه وجواب هذا الجواب . كتاب في العلم الالهي على رأي افلاطون . كتاب في الرد على أبي القاسم بلخي فيما ناقض به في المقالة الثانية من كتابه في العلم الالهي . كتاب في حنة الذهب والفضة والميزان الطبيعي . كتاب في الثبوت في الحكمة . كتاب في عذر من اشتغل بالشرنج . كتاب في حكمة الرد . كتاب في حيل التنس . كتاب في ان العالم خالقاً حكيماً . كتاب في الباء بين فيه الامزاج ومنافع الباء ومضاره . كتاب الزيادة التي زادها في الباء .

كتاب المنصوري لآله للامير منصور بن اسحق بن اسمعيل بن أحمد صاحب خراسان ومحرم في الاختصار والايجاز ، مع جمعه لجل وجوامع ونكت وعيون من صناعة الطب عليها وعلمها ، وهو عشر مقالات : المقالة الاولى في المسئل الى الطب وفي شكل الاعضاء وخلقها ؛ المقالة الثانية في تعرف امزاج الابدان وهيئتها والاخلط الغالبة عليها ؛ واستدلالات وجيزة جامعة من الفراسة ؛ والمقالة الثالثة في قوى الاغذية والادوية ؛ والمقالة الرابعة في حفظ الصحة ؛ والمقالة الخامسة في الزينة ؛ والمقالة السادسة في تدبير المسافرين ؛ والمقالة السابعة جل وجوامع في صناعة الجبر والجراحات والقروح ؛ والمقالة الثامنة في السموم والهوام ، والمقالة التاسعة في الامراض الحادثة من القرن الى القدم ؛ والمقالة العاشرة في الحيات وما يتبع ذلك مما يحتاج الى معرفته في تحديد علاجها . مقالة اضافها الى كتاب المنصوري وهي في الامور الطبيعية . كتاب الجامع ويسمى حاصر صناعة الطب ، وغرضه في هذا الكتاب جمع ما وقع اليه وأدركه من

كتاب طب قديم أو محدث الى موضع واحد في كل باب ، وهو ينقسم اثني عشر قسمًا : القسم الاول في حفظ الصحة وعلاج الامراض والرئي والجبر والملاجات ؛ القسم الثاني في قوى الاغذية والادوية وما يحتاج اليه من التدبير في الطب ؛ القسم الثالث في الادوية المركبة فيه ذكر ما يحتاج اليه منها على سبيل الاقرباذين ؛ القسم الرابع قسما يحتاج اليه من الطب في سحق الادوية واحراقها وتصميداتها وغسلها واستخراج قوامها وحفظها ، ومقدار بقاها كل دواء منها وما أشبه ذلك ؛ القسم الخامس في صيدلية الطب ، فيه صفة الادوية وألوانها وطموها وروائحها ومعادنها وجيدها وردنها ، ونحو ذلك من علل الصيدلة ؛ القسم السادس في الابدال ، يذكر فيه ما ينوب عن كل دواء أو غذاء اذا لم يوجد ؛ القسم السابع في تفسير الاسماء والاوزان والمكاييل التي للمعاقير ، وتسمية الاعضاء والادواء باليونانية والسريانية والفارسية والهندية والعربية على سبيل الكتب المسماة بشقشاهي ؛ القسم الثامن في التشریح ومنافع الاعضاء ؛ القسم التاسع في الاسباب الطبيعية من صناعة الطب ، غرضه فيه ان يبين اسباب العلل بالامر الطبيعي ؛ القسم العاشر في المدخل الى صناعة الطب وهو مقالاتان : الاولى منها في الاشياء الطبيعية ، والثانية في أوائل الطب ؛ القسم الحادي عشر جل علاجات وصفات وغير ذلك . القسم الثاني عشر فيها استدركه من كتب جالينوس ولم يذكرها حينئذ ولا هي في فهرست جالينوس . اقول هذا التقسيم المذكور هنا ليس هو لكتابه المعروف بالحايي ولا هو لتقسيم مرضي ، ويمكن ان هذه كانت مسودات كتاب وجئت للرازي بعد موته وهي مجموعة على هذا الترتيب فصصبت انها كتاب واحد ، والى غاييتي هذه ما رايت نسخة لهذا الكتاب ولا وجدت من أخبرائه رآه .

كتاب الفخار في الطب . اقول وانما اثبت هذا الكتاب في جملة كتبه لكونه قد نسب اليه ، واشتهر انه له ، وبالجملة فانه كتاب جيد قد استوعب فيه مؤلفه ذكر الامراض ومداواتها واختيار معالجتها على أتم ما يكون وأفضل ، وجهور ما فيه منقول من كتاب التقسيم والتشجير للرازي ، ومن كناش ابن مريون وكل ما فيه من كلام الرازي ، فاوله قال محمد . ولأمين الدولة بن التليذ حاشية على هذا الكتاب وانه للرازي ، قال : « الذي كثيراً ما يذكره الرازي في كتاب الفاخر ، قال محمد هو المعروف بالحسن طبيب المقتدر كان طبيباً ببغداد ماهراً في علم الطب وكان بيته بيت الطب . وكانت له ثلاث اخوة أحدهم كحال حاذق يعرف بسلیمان ، وآخر طبيب ليس في رتبته يعرف بهرون ، والثالث صيدلاني كبير الصيت ببغداد في الحرفة . وله كناش عجيب في تجاربه لكنه قليل الوجود إلا ببغداد المحروسة ، كتاب في العلة التي صار لها متى اقتطع من البدن شيء حتى . يتبرأ منه أنه لا يلتصق به » . وان كان صغيراً ، ويلصق به من الجراحات العظيمة القدر غير المتبرئة مما هو أعظم من ذلك كثيراً . رسالة في الماء المبرد على الثلج ، والمبرد مسن غير أن يطرح فيه الثلج ، والذي يغلى ثم يبرد في الجليد والثلج . كتاب في العلة التي لها صار السمك الطري معطشاً . رسالة في أنه لا يوجد شراب غير مسكر يفي بجميع أفعال الشراب المسكر الممود في البدن . كتاب في علامات اقبال الدولة . كتاب في فضل العين على سائر الحواس . رسالة في أن غروب الشمس وسائر الكواكب عنا وطلوعها علينا ليس من أجل حركة الارض بل من حركة الفلك . كتاب في المنطق ، يذكر فيه جميع ما يحتاج اليه منه بالفاظ متكلمي الاسلام . كتاب في فسخ ظن

من يتوهم ان الكواكب ليست في نهاية الاستدارة وغير ذلك . كتاب في أنه لا يتصور لمن لا حربة له
بالبرهان ان الارض كرية وان الناس حولها .

رسالة يبعث فيها عن الارض الطبيعية ، طين هي أم حجر ، داخل سمع الكيان . كتاب يوضح
فيه ان التركيب نوعان وغير ذلك . مقالة في المادة وانها تكون طبيعية . مقالة في المنفعة في اطراف
الاجفان دائماً . مقالة في العلة التي من أجلها تضيق النواظر في التنور وتلصق في الظلمة . مقالة في العلة
التي لها زعم الجهال ان الثلج يمتش . مقالة في العلة التي لها يحرق الثلج ويقرح . كتاب أطعمة
المرضى . مقالة فيها استدركه من الفصل في الكلام في الفائلين بحدوث الاجسام ، وعلى الفائلين بقدومها
كتاب في أن الملل البسيرة بعضها أعسر تعرفاً وعلاجاً وغير ذلك . كتاب العلة التي لها قدم العوام
الاطباء الحذاق . رسالة في الملل المشكلة وعذر الطبيب وغير ذلك . رسالة في الملل الفائلة لمظلمها ،
والفائلة لظهورها بنقطة بما لا يقدر الطبيب على صلاحها ، وعذره في ذلك . كتاب في أن الطبيب
الحاذق ليس هو من قدّر على ابراء جميع الملل ، فان ذلك ليس في الوسع ولا في صناعة ابقراط ؛
وأنة قد يستحق أن يشكر الطبيب ويمدح ، وأن تعظم صناعة الطب وتشرف ، وان هو لم يقدر على
ذلك ، بعد أن يكون متقدماً لأهل بلده وعصره . رسالة في أن الصانع المتصرف بصناعته معدوم في
جل الصناعات لا في الطب خاصة ، والعلة التي من أجلها صار ينجع جهال الاطباء والعوام والنساء في
المدن في علاج بعض الامراض أكثر من العلماء ، وعذر الطبيب في ذلك . كتاب الممتحن في الطب على
سبيل كناش . كتاب في أن النفس ليست بحجم . كتاب في الكواكب السبعة في الحكمة . رسالة الى
الحسن بن اسحق بن عمارس القمي . كتاب في النفس المفردة . كتاب في النفس الكبيرة . مقالة في
العلة التي من أجلها يمرض الزكام لاني زيد البلخي في فصل الربيع عند شمه الورد . رسالة في عنة
الطبيب وكيف ينبغي ان يكون حاله في نفسه ويدينه وسيره وأدبه . رسالة في مقدار ما يمكن أن
يستدرك من أحكام النجوم على رأي الفلاسفة الطبيعيين ، ومن لم يقل منهم أن الكواكب أحياء وما
يمكن ان تستدرك على رأي من قال انها أحياء . كتاب في العلة التي لها صار يحدث النوم في رؤوس
بعض الناس شيئاً بالزكام . كتاب في الشكوك التي على برقلس . كتاب في تفسير كتاب افلوطرخس
لكتاب طليانوس . رسالة في علة خلق السباع والحوام . كتاب في اتمام ما ناقض به الفائلين بالميوبي .
كتاب في أن المناقضة التي بين أهل النهر وأهل التوحيد في سبب احداث العالم ، اما جاز من نقصان
السمة في اسباب الفعل ، وبعضه على التجادية وبعضه على الفائلين يقدم العالم . كتاب في نقضه على علي بن
شهيد البلخي فيما ناقضه به في أمر اللذة . كتاب في الرياضة . كتاب في التنصص على الكيال في الامامة .
كتاب في أنه لا يجوز أن يكون سكون واقتراق . كتاب في اتمام كتاب افلوطرخس . كتاب في
نقض كتاب التدوير . اختصار كتاب حيلة البره لجاليونوس . اختصار كتاب النض الكبير لجاليونوس .
تلخيص كتاب الملل والاعراض لجاليونوس . تلخيص كتاب الاعضاء الآلة لجاليونوس . كتاب
الانتفاع على أهل الاعتزال . كتاب في نقض كتاب البلخي لكتاب المصم الالهي ولرده عليه . كتاب
في أنه يجوز أن يكون سكون واجتماع ، ولا يجوز أن يكون حركة واجتماع لم يزل . رسالة

في أن قطر المربع لا يشارك الضلع من غير هندسة . كتاب في الاشتاق على أهل التحصيل من المتكلمين بالفلسفة ، وغرضه يبين مذهب الفلاسفة في العلم الالهي لمنى القارئ بذلك عن المتحرك اليهم . كتاب في السيرة الفاضلة وسيرة أهل المدينة الفاضلة . كتاب في وجوب الدعاء والدعوى . كتاب الحاصل وغرضه فيه ما يعمل من العلم الالهي من طريق الأخذ بالحرص وطريق البرهان . رسالة لطيفة في العلم الالهي . كتاب منافع الأغذية ودفع مضارها ، وهو مقالات ثلاث يذكر في الأولى منها ما يدفع به ضرر الأطعمة في كل وقت ومزاج وحال ، وفي الثانية قولان استعمال الأغذية ودفع التخم ومضارها ، ألفه للأمير أبي العباس أحمد بن علي . كتاب إلى علي بن شهيد البلخي في تثبيت المعاد ، غرضه فيه النقد على من أبطل المعاد ، ويثبت أن معاداً . كتاب على جذب حجر المغنطيس للحديد وفيه كلام كثير في الخلاه . كتاب كبير في النفس . كتاب صغير في النفس . كتاب ميزان العقل . كتاب في الشراب المسكر وهو مقالاتان . مقالة في السكتبين ومنافعه ومضاره . كتاب في القولنج . مقالة في القولنج الحار وهو المعروف بكتاب القولنج الصغير . كتاب في تفسير كتاب جالينوس لفصول ابقراط . كتاب في الابنة وعلاجها وتبينها . كتاب في نقض كتاب الوجود لمشهور من طلحة . كتاب فيما يرومه من اظهار ما يصح من عيوب الاولياء . أقول وهذا الكتاب ان كان قد ألف ، والله اعلم ، فربما ان بعض الأحرار المعادين للرازي قد ألفه ونسبه اليه ، ليس من يرى ذلك الكتاب او يسمع به الظن بالرازي ، والا فالرازي أجل من ان يحاول هذا الأمر ، وان يصف في هذا المعنى ، وحتى ان بعض من يمد الرازي بل يكفره كعلي بن رضوان المصري وغيره يسمون ذلك الكتاب كتاب الرازي في غرائب الانبياء . كتاب في آثار الامام الفاضل المعصوم . كتاب في استغراق المحمومين قبل النضج . كتاب الامام والمأموم المحقين . كتاب خواص التلاميذ . كتاب شروط النظر . كتاب الآراء الطبيعية . كتاب خطأ غرض الطبيب . أشعار في العلم الالهي . صفة مداد معجون لا نظير له . نقل كتاب الأس لجابر إلى الشعر . رسالة في التركيب . رسالة في كيفية النحو . رسالة في العطش وازدياد الحرارة لذلك . كتاب في جل الموسيقى . كتاب في الاوهام والحركات النفسانية . كتاب في العمل بالحديد والجبر . كتاب فيما يمتدده رأياً . كتاب فيما اغفلته الفلاسفة . كتاب السر في الحكمة . كتاب منافع الاعضاء . كتاب الكافي في الطب . كتاب في المتنقل . كتاب الاقرباذين المختصر . كتاب في البرء يوضح فيه ان التركيب نوعان اما تركيب اجسام مختلفة ، واما تركيب الاجسام المتشابهة الاجزاء ، وانه ليس واحد على الحقيقة الاخرى . كتاب إلى أبي القاسم بن دلف في الحكمة . كتاب إلى علي بن وهبان فيه باب واحد في الشمس . كتاب إلى ابن أبي الساج في الحكمة . كتاب إلى الداعي الاطروش في الحكمة . كتاب سر الاسرار في الحكمة . كتاب سر الطبيب . كتاب في شرف الفصد عند الاستفراغات المتتالية رداً وكيفية وفصله على سائر الاستفراغات والابانة على ان الفصد لا يمتنع عند الاحتياج اليه شيء البتة ، ألفه للامير أبي علي أحمد بن اسمعيل بن أحمد . كتاب المرشد ويسمى كتاب الفصول . رسالة في ان العلل المستكتمة التي لا يقدر الاعلاء ان يمبروا عنها ويحتاج الطبيب إلى لزوم العلل والى استعمال بعض التجربة لاستفراجها والوقوف عليها وتحجير الطبيب . كتاب مختصر في اللبن .

كلام جرى بينه وبين السعودي في حدوث العالم . كتاب المخل إلى الطب . مقالة في المذاقات . مقالة في البهق والبرص . كتاب زينة الكتاب . كتاب براء ساعة ، ألفه الوزير أبي القاسم ابن عبد الله . مقالة في البواسير والشقاق في المقدمة . كلام في الفروق بين الامراض . مقالة في الحرقة الكائنة في الاحليل والثانة . كتاب طب الفقراء . رسالة إلى الوزير أبي الحسن علي ابن عيسى بن داود بن الجراح الغنائي في الاعلال الحادثة على ظاهر الجسد . رسالة إلى تليذه يوسف بن يعقوب في ادوية العين وعلاجها ومداواتها ، وتركيب الادوية لما يحتاج اليه من ذلك . كتاب صيدلة الطب . كتاب في جواهر الاجسام . كتاب في سيرة . مقالة في الزكام والنزلة وامتلاء الرأس ، ومنع النزلة إلى الصدر ، والريح التي تسد المنخرين ومنع التنفس بها . مقالة في ابدال الادوية المستعملة في الطب والعلاج وقوانينها وجهة استعمالها . كتاب صفة البيارستان . مقالة في الاغذية مختصر مقالة فيها سئل عنه في انه لم صار من قل جماعة من الانسان طال عمره ، ألفها لأمير أبي العباس أحمد بن علي . مقالة في العلة التي لها اذا أكلت الحيوانات سخنت أبدانها ما خلا الانسان فانه يجد عند أكله فتوراً . مقالة في الكيفيات ، رسالة في الحمام ومنافعه ومضاره . كتاب في الدواء المسهل والقيء . مقالة في علاج العين بالحديد .

أبو الحسن أحمد بن محمد الطبري

من أهل طبرستان فاضل عالم بصناعة الطب وكان طبيب الأمير ركن (١) الدولة . ولاحد بن محمد الطبري من الكتب : الكناش المعروف بالمعالجات البقراطية ، وهو من أجل الكتب وأتقنها ، وقد استقصى فيه ذكر الامراض ومداواتها على أتم ما يكون ، وهو يحتوي على مقالات كثيرة .

أبو سليمان السجستاني

هو أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني التطفي كان فاضلاً في العلوم الحكمة متقناً لها مطلقاً على دقائقها ، واجتمع ببعضه بن عدي ببغداد وأخذ عنه وكان لأبي سليمان التطفي السجستاني أيضاً نظر في الادب والشعر ومن شعره قال :

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| لا تحسبن على تطاهر نعمة | شخصاً تبئت له التون برصد |
| أو ليس بعد بلوغه آماله | يلقي الى عدم كل لم يوجد |
| لو كنت أسعد ما تجاوز خاطري | حسد النجوم على بقاء مرصد |

(الكامل)

(١) هو أحمد بن أبي شعاع بويه من امراء البرجوين الذين أصبح الخليفة في اليوم العربي في ايامهم . (ن.د)

وقال أيضاً :

المجوع يدفع بالرغيف اليابس فصلام أكثر حسرتي ووساوسي^٩
والموت أنصف ، حين ساوى حكمه بين الخليفة والفقير البائس
(الطويل)

وقال أيضاً :

لذة العيش في بهيمة اللذة لا ما يقوله الفيلسفي^{١٠}
حكم كاس المنون أن يتساوى في حساها القبي والامي^(١١)
ويحل البليد تحت روى الار من كاحل تحتها القودعي^(١٢)
اصبعا رمة^(١٣) ورايل عنها فصلها الجمهوري والمرضي^{١٤}
وتلاشى مكانها الحيواني وأودى تمييزها المنطقي^{١٥}
فاسأل الارض عنها انت أزال الشك والمرية^(١٦) الجواب الحقي^{١٧}
بطلت تلك الصفات جيماً ومحال أن يبطل الاذلي^{١٨}
(الحفيف)

ولاني سليمان السجستاني من الكتب : مقالة في مراتب قوى الانسان ، وكيفية الانذارات التي تنذر بها النفس فيما يحدث في عالم الكون . كلام في المنطق . مسائل عدة سئل عنها وجواباته لها . تعليقات حكيمية وملح وواحد . مقالة في ان الاجرام العلوية طبيعتها طبيعية خامسة ، وانها ذات أنف ، وان النفس التي لها هي النفس الناطقة .

ابو الخير الحسن بن سوار

ابن بابا بن بهنام المعروف بابن الحار وبنام لفظة فارسية مركبة من كلمتين وهي به : خير ، ونام : اسم ، أي اسم الخير وكان هذا ابو الخير الحسن نصرانياً عالماً بأصول صناعة الطب وفروعها ، خبيراً بغوامضها ، كثير الدراية لها ، ماهراً في العلوم الحكمية . وله مصنفات جليلة في صناعة الطب وغيرها . وكان خبيراً بالتقل ، وقد نقل كتباً كثيرة من السرياني الى العربي . ووجدت بخطه شيئاً من ذلك ، وقد أجاد فيها . وقرأ الحكمة على يحيى بن عدي . وكان في نهاية الذكاء واللفظة ، ومولده في شهر ربيع الاول سنة احدى وثلاثين وثلثمائة .

وقال ابو الخطاب محمد بن محمد بن ابي طالب في كتاب « الشامل في الطب » : ان ابا الخير الحسن ابن سوار كان موجوداً في سنة ثلاثين وثلثمائة . وقد ذكر ابو الحسن علي بن رضوان عنه في كتاب

(١) الذكي المتروك . (٢) الذكي التحديد للفوائد او الفصحى الانسان . (٣) قطعة باليه . واحداً القطعة من الجبل البالي . (٤) الجدل والاشك .

« حل شكوك الرازي على جالينوس » ما هذا نصه ، قال : كما فعل في عصرنا هذا الحسن بن بابا المعروف بابن الحارث فانه وصل بالطب الى ان قيل له محمود الملك للارض ، وكان الملك محمود عظيماً جداً . وذلك ان هذا الرجل كان فيلسوفاً حسن التعلل حسن المعرفة . وقال عنه انه كان حسن السياسة لفقيه الناس ، وروساء العوام والمظلاء والملوك . وذلك انه كان اذا دعاه من اظهر العبادة والزهد مشى اليه راجلاً وقال له : جعلت هذا المشي كفارة لمروري الى اهل الفسق والجباية . فاذا دعاه السلطان ركب اليه في زى الملوك والمظلاء ، حتى انه ربما حجبه في هذه الحال ثلثائه غلام تركي بالحنول الجياد ، والهيئة البسية . ووفى صناعته حقها بالتواضع للصفاء ، وبالتعاطف على المظلاء . وهكذا كان طريق بقراط وجالينوس وغيرهما من الحكماء . فمنهم من تواضع ولزم الزهد والتصاوت ، ومنهم من أظهر من حكمته ما ظهرت به عمارن الحكمة .

قال ابو الفرج بن هندو في كتاب « مفتاح الطب » : انه رأى في بلاد الحجاز جماعة كانوا ينفون من صناعة الطب . قال وقد كان زعم الفرقة النافية للطب يعادي استاذي ابا الخير بن الحارث الفيلسوف ، ويفري العامة بايذائه فاشتكى الزعم رأسه ، واستقنى ابا الخير في مواته فقال : ينبغي ان يضع تحت رأسه كتابه الفلاني الذي نفى فيه فعل الطب ليشفي الله ولم يدأوه .

ولابي الخير الحسن بن سوار بن بابا من الكتب : مقالة في الهوى . كتاب الوفاق بين رأي الفلاسفة والنصارى ثلاث مقالات . كتاب تفسير ايساغوجي مشروح كتاب تفسير ايساغوجي مختصر . مقالة في الصديق والصداقة ، مقالة في سيرة الفيلسوف ، مقالة في الآثار الخفية في الجو الحادثة عن البخار المائي وهي الحالة والوقوس والضباب على طريق المسألة والجواب . مقالة في السمادة . مقالة في الاقصاد عن رأي القدماء في الباري تعالى وفي الشرائع ومورديها . مقالة في امتحان الاطباء ، صنفاً للامير خوارزمشاه ابي العباس مأمون بن مأمون . كتاب في خلق الانسان وتركيب اعضائه اربع مقالات . كتاب تدبير المشايخ ، وقد ذكر في اوله ان حنين بن اسحق كان قد ألف ذلك بالسرياني ، وجمع من كلام جالينوس وروفس في تدبير المشايخ ما الحاجة داعية الى معرفته ، مع زيادات ذكر انه زادها من عنده ، وصير ذلك على طريق المسألة والجواب ، وان ابا الخير بسط القول وأوضحه من غير مسألة وجواب ، وجمعه ستة وعشرين باباً . كتاب تصفح ما جرى بين ابي زكريا يحيى بن عدي وبين ابي اسحق ابراهيم بن بكوس في سورة النار ، وتبين فساد ما ذهب اليه ابو سليمان محمد بن طاهر في صور الاسطوانات . مقالة في المرض المعروف بالكاهني وهو الصرع ، تقاسيم ايساغوجي وقاطيفوريوس لانيوس الاسكندراني ، مما نقله من السرياني الى العربي الحسن بن سوار بن بابا ، وشرحه على طريق الحواشي . نقلت ذلك من الدستور من خط الحسن بن سوار .

أبو الفرج بن هندو

هو الاستاذ السيد الفاضل أبو الفرج علي بن الحسين بن هندو من الاكابر التميزين في العلوم الحكيمة ، والامور الطبية ، والفنون الادبية ، له الالفاظ الرائقة ، والاشعار الفاتقة ، والتصانيف المشهورة ،

والفضائل المذكورة ، وكان أيضاً كاتباً جيداً ، وخدم بالكتابة وتصرف . وكان اشتغاله بصناعة الطب والعلوم الحكمة على الشيخ أبي الخير الحسن بن سوار بن بابا المعروف بابن الحمار وتلمذ له ، وكان من أجل تلاميذه وأفضل المشتغلين عليه . قال أبو منصور الثعالبي^(١) في كتاب « بتيمة الدهر » في وصف أبي الفرج بن هندو ، قال : هو مع ضربه في الاداب والعلوم بالسهام الفائزة ، ومملكه رقة البلاغة والبراعة ؛ فرد الدهر في الشعر ، وأوحد أهل الفضل في صيد المعاني الشوارد ، ونظم الفرائد في القلائد ، مع تهذيب الالفاظ البليغة ، وتقريب الاغراض البعيدة ، وتذكير الذين يسمعون ويرون ؛ أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون . قال أبو منصور الثعالبي : وكان قد اتفق لي معنى بديع لم أقدر اني سبقت اليه ، وهو قولني آخر هذه الايات .

| | |
|--------------------|--------------------|
| قلبي وجداً مشتمل | على المومم مشتمل |
| وقد كستني في الهوى | ملابس الصب للفرل |
| السانة فتانة | بدر النجى منها خجل |
| إذا زنت عيني بها | فبالدموع تنسل |

(الرجز)

حتى أنشدني لأبي الفرج بن هندو :

| | |
|-------------------------------|-------------------------------------------|
| يقولون لي ما بال عينك مذ رأيت | عاسن هذا الطي أدمعها هطل ^(٢) |
| فقلت زنت عيني بطلعة وجهه | فكان لها من صوب ^(٣) أدمعها غسل |

(الطويل)

فعرفت ان السبق له .

ومن شعر أبي الفرج بن هندو قال :

| | |
|------------------------------|-----------------------------------------|
| قوى خيامك من أرض تضام بها | وجانب الدل ان الدل يحتلب |
| وارحل اذا كانت الاوطان منقصة | فندل ^(٤) الهند في اوطانه حطب |

(البسيط)

وقال أيضاً :

| | |
|------------------------|----------------------|
| أطال بين البلاد بجوالي | قصور مالي وطول آمالي |
| ان رحت عن بلدة غدت الى | اخرى فما تستقر احالي |

(١) أبو منصور التيسافوري (٩٦١-١٠٣٧) اديب ولغوي ومؤرخ .

(٢) الذي يترل متتابعاً من المطر أو المطر الضيف النائم .

(٣) الانصباب .

(٤) المورد الطيب الرائحة .

كأنني فكرة الموسوس لا

تبقى مدى لحظة على حال
(المشرح)

وقال في الحث على الحركة والسعي :
خليلي ، ليس الرأي ما تروان
خليلي ، لولا أن في السعي رفعة

فثانكنا اني ذمبت لثاني
لما كان يوماً بدأب القمران
(الطويل)

وقال ايضاً :
وحقك ما أخرت كتي عنكم
ولكن معي ان كتبت مشوش

لقالة^(١) واش أو كلام محرش^(٢)
كتاني وما تقع الكتاب المشوش
(الطويل)

وقال ايضاً في النهي عن اتخاذ الميال والأمر بالوحدة :
ما للعيل وللعمالي انما
فالشمس تجتأب السماء فريدة

يسمو اليهن الوحيد الفارد^(٣)
وأيوبنات النمش^(٤) انيها راكد
(الطويل)

وقال في الصبر :
تصبر اذا اطم اسرى اليك

فلا اطم يبقى ولا صاحبه
(التقارب)

وقال ايضاً :
قالوا اشتغل عنهم يوماً بغيرهم
قد صيغ قلبي على مقدار حبهم

وخادع النفس ان النفس تشدع
لما لحب سوام فيه متع
(البسيط)

وقال ايضاً :
عارض ورد الفصوص وجنته
يزداد باللطف ورد وجنته

فاتقنا في الجلال واختلقنا
وينقص الورد كلما قطعنا
(المشرح)

وقال ايضاً :
قولاً لهذا القمر البادي

ما لك اصلاحي وافسادي

(١) لقالة . (٢) قصائد .

(٣) الذي لا مثيل له (ن.د.)

(٤) سبعة كراكب تشاهد من جهة القطب الشمالي .

زود فؤاداً راحلاً بقية

وقال ايضاً :

تمتت من أهوى فلما لقيته
وأطرقت اجلاً له ومهابة
وقد كان في قلبي دفاقر عتبه

وقال ايضاً :

عابوه لما التحى فقلنا
هذا غزال ولا عجب

وقال ايضاً في العذار :

أوحى لعارضة العذار فما
فكان غملاً قد دهبين به

وقال ايضاً :

قالوا صحا قلب الحب وما صحا
ما ضره شعر العذار وانما

وقال ايضاً في خط العذار :

الآن قد صحت لدي شهادة
خط يكتبه حوالي خده

وقال ايضاً :

يا من يحياه كاسمه حسن
قيد كنت قبل العذار في يمن
يا شرارت جيمهما فتن

(١) التي ظهرت رائحته واشتدت ،

لا بد للراحل من زاد
(السريع)

بيت فلم املك لساناً ولا طرفاً
وحاولت ان يخفى الذي بي فلم يخفا
فلما التقينا ما فهمت ولا حرفاً
(الطويل)

عيتم وغيتم عن الجمال
تولد المسك في الفزال
(البسيط)

أبقى على ورعي ولا نسكي
غمست أكارهين في مسك
(الكامل)

وعجا العذار سنا الجيب وما عجا
وافى يسلمل حسنه ان يبرحا
(الكامل)

أن ليس مثل جماله لمصور
قلم الاله بنقش مسك أذفر^(١)
(الكامل)

ان نمت عني فليس لي ومن
حتى تبدي فزادت الهن
يتيه في كنه وصفها الفطن

قد كان غصناً فأورق النصن
(المنسرح)

ما عيروا من عذاره سفها

وقال في ذم العذار :

فكف عيناً بدمعها غرقه
الا بما من جماله ورقه
(المنسرح)

كنى فؤادي عذاره حرقه
ما خط حرف من العذار به

وقال في الشراب :

فان شربت أبليت طباع الجواهر
اذا لم تتق منها بحسن السرائر
(الطويل)

أرى الخمر تارا والنفوس جواهرها
فلا تقصصن النفس يوماً بشرها

وقال ايضاً :

أوصى الفقيه المكري بأن أكف عن الشراب
فصيبته أن الشرا ب عمارة البيت الخراب
(الكامل المرفل)

وقال لبعض الرؤساء وقد انصبت الخمر على كفه في مجلس الشراب :

انصبت الخمر على كفه تلثم منه كفه خدمه
لو لم رد خدمته بالتي قد فطمت ما خصصت كفه
(السريع)

وقال وكتبها على عود :

رأيت العود مشتقاً من العود بإتقان
فهذا طيب آذان وهذا طيب آذان
(المزج)

وقال ايضاً :

ودودة انس اصبحت ثمراتها أغاريد تجنيها ندامي وجلاس
تغنى عليها الطير وهي رطية فلما عت غنى على عودها الناس
(الطويل)

وقال في الاذنين^(١) :

رب روض خلعت آذر يونه لما توقد

(١) جلس زهر من المركبات الانثوية الزهر . اصفر اللون تسميه العامة دوار الشمس .

نمبا أشمل مكا

وقال في عز الكمال :

فاذا رأيت الفضل فاز به الفتى
والله اكمل قدرة من انت يرى

وقال في الشكوى :

ضمت بارض الري في اهلها
صرت بها بعد بلوغ المني

وقال ايضا :

لنا ملك ما فيه للملك آلة
اقم لاصلاح الورى وهو فاسد

وقال ايضا :

عجبت لتولج هذا الامير
وفي كل يوم له حقنة

وقال في مدح الجرب وملح وظرف .

بيج مسرتي جرب بكفي
تجنبي اللثام لذاك حتى

وقال في مراجعة الشعر بعد تركه اياه .

وكننت تركت الشعر آنف من خنا
فما زال في حبيك حتى تطلعت
ول القسواني عن لساني كأنا
فأصبح شعر الاعشين من المشا

(١) لئل الشرف او كل ما ارتفع من الارض .

في كوائين زبرجد

(الرمل)

فاعلم بان هناك نقصا خافيا
لكماله ممن تراه ثانيا

(الكامل)

ضباع حرف الرءاء في اللثغة
يعجبني انت أبلغ البلغة

(السريع)

سوى انه يوم السلاح متوج
وكيف استواء الظل والعود أعوج

(الطويل)

وأبى ومن أين قد جاءه
تفرغ بالزب أممائه

(المتقارب)

اذا ما عد في الكرب المعظام
كفيت به مصافعة اللثام

(الوافر)

واكبر عن مدح وأزهد عن غزل
خواطر شعر كانت طالعاه أقل
بفاع^(١) ذل السيل منه على عجل
لديه وشعر الاخطلين من الخطل

(الطويل)

ولاني الفرج بن هندو من الكتب : المقالة الموسومة بفتح الطب نفسها لآخوانه من المتعلمين وهي عشرة أبواب . المقالة المشوقة في المدخل الى علم الفلسفة - كتاب الكلم الروحانية من الحكم اليونانية ، ديوان شعره ، رسالة هزلية مترجمة بالوساطة بين الزنقة واللطافة .

الحسن النسوي

كان طبيباً معروفاً من أرض فارس ، من مدينة فسا^(١) . متميزاً في الطب والقيام به والتقدم بسببه . خدم الدولة البويجية^(٢) واختص منها بخدمة الملك بهاء الدين بن عضد الدولة ، وصحبته في أسفاره وتقدّر عنده . ولما مرض أمير الأمراء أبو منصور بويه بن بهاء الدولة في رجب سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة مع والده بالبصرة وعزم بهاء الدولة على التوجه من البصرة الى تستر^(٣) للصيد والفرجة ، وكان شديد الأشفاق على ولده من هذا المرض كثير الاحتراس منه ، خائفاً من جانبه مانعاً للجنود من لقائه ، وهو مع أبيه كالمحصور بينهم من جميع مراده . واتفق ان حم هذا الولد في رجب حتى أضعفت قوته قبل اليوم الذي أراد بهاء الدولة أيوه المسير فيه . فقال الأثير لبهاء الدولة أمير الأمراء محموم ، ولا فضل فيه لحركة والرأي تركه . فقال : لا يحمل من فوره ويخرج قولاً واحداً . فقال له : هو اذا انزعج هلك ، ومدة مقامه بعداً لا تطول ، فلم يرجع الى مقال الأثير ، وتقدم الى الحسن الطبيب النسوي هذا بالضيء اليه والعود بخبره ، لثقت به بما يقول ، فمضى اليه وشاهده وعاد وقال : الصواب في تركه وتأخيريه ، فنزل وأشعر الملك سرّاً بخاطر مرضه ، وعرفه اعراضه وآيسه من حياته . فعينئذ تقدم بتركه واستمرت عليه الحمى وأشياء أخرى حدثت له ، فتوفي في يوم الاحد ثاني شعبان سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة .

أبو منصور الحسن بن نوح القمري

كان سيد وقته وواحد زمانه ، مشهوراً بالجلودة في صناعة الطب محمود الطريقة في اعمالها ، فاشتهر في أصولها وفروعها . وكان ، رحمه الله حسن المعالجة جيد المداواة ، متميزاً عند الملوك في زمانه ، كثيري الاحترام له .

وحدثني الشيخ الامام شمس الدين عبد الحميد بن عيسى الحنبل وشاهي أن الشيخ الرئيس ابن سينا

(١) مدينة في فارس جنوبي شرقي شيراز .

(٢) التي استهنا المائلة الفارسية بنو بويه وكان مركزها في اصفهان وكازرون وشيراز وكرمان وبندها .

(٣) الحاكم الحقيقي في بندها وكان آله في يد الجنود وبتمريضه خلق الخليفة الثالث . ونشبت الحرب بينه وبين ذوي طمعا بالرياسة .

(٤) مدينة في ايران (عربستان) سكانها شيعيون من العرب والایرانیين . وهي مركز تجاري هام . (ن ، د) .

كان قد خلق هذا وهو شيخ كبير ، وكان يحضر مجلسه ويلزم دروسه ، وانتمعه به في صناعة الطب .
ولأبي منصور الحسن بن نوح القعري من الكتب : كتاب غنى ومنى ، وهو كنش حسن ، وقد
استقصى فيه ذكر الامراض ومداواتها على أفضل ما يكون ، ولخص فيه جملاً من اقوال المتينين في
صناعة الطب ، وخصوصاً ما ذكره الرازي متفرقاً في كتبه . كتاب علل الملل .

ابو سهل المسيحي

هو ابو سهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني ، طبيب فاضل بارع في صناعة الطب علمها وعملها ،
فصح المبرة جيد التصنيف . وكان حسن الخط متقناً للعربية . وقد رأيت بخطه كتابه في أظهار
حكمة الله تعالى في خلق الانسان وهو في نهاية الصحة والاتقان ، والاعراب والضبط . وهذا
الكتاب من أجل كتبه وأنفعها ، فانه قد اتى فيه بحمل ما ذكره جالينوس وغيره في منافع
الاعضاء بأفصح عبارة وأوضحها ، مع زيادات نفيسة من قبله تدل على فضل باهر وعلم غزير ، ولذلك
يقول في اول كتابه هذا : وليس يعرف فضيلة ما أوردناه على ما أوردوا إلا من قابل بين كلامنا هذا
وكلامهم مع دراية وانصاف منه ، فان من لا يدري ما يعتبره لم يصلح للحكم فيه ، ومن لا انصاف
فيه لم يحكم للأفضل ولم يؤثرو ، فمن اعتبر من يصلح للاعتبار وهو العالم المنصف بمناية واستقصاء منه
ما أوردناه وما أوردوا رأى كيف صححنا ما أوردوه وهذبناه وأقمناه وسهّلناه وربّناه ترتيباً أفضل
لمحة الكلام ولكل فصل منه ؛ وأسقطنا من هذا الصنف من العلم ما ليس منه . ثم كم زدها من عندنا
معاني دقيقة عجيبة كانت قد خفيت عليهم لطفها وجلالة رتبها ، وكيف جعلنا البيانات من الاشياء
المتقدمة على الاشياء المتأخرة بالعكس بما فعلوه ، ليكون بياناً للشيء بياديه واسبابه ، فيكون برهاناً
حقيقاً .

وسمعت من الشيخ الامام الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي ، رحمه الله ، وهو يقول انني لم
اجد احداً من اطباء النصارى المتقدمين والمتأخرين افصح عبارة ولا اجود لفظاً ولا احسن معنى من
كلام ابي سهل المسيحي . وقيل ان المسيحي هو معلم الشيخ الرئيس صناعة الطب ، وارت كان الشيخ
الرئيس بعد ذلك تميز في صناعة الطب ومهر فيها وفي العلوم الحكيمة حتى صنف كتباً للمسيحي
وجعلها باسمه .

وقال عبيد الله بن جبرئيل : ان المسيحي كان بخراسان ، وكان متقدماً عند سلطانها ، وانه مات
وله من العمر اربعون سنة .

ومن كلام المسيحي قال :

فرمة بالنهار بعد أكلة خير من شريرة دواء نافع .

ولأبي سهل المسيحي من الكتب : كتاب المائة في الطب وهو من اجود كتبه واشهرها ؛ ولأمين
الدولة بن التليذ حاشية عليه قال : يجب ان يعتمد على هذا الكتاب فانه كثير التحقيق قليل التكرار

واضح العبارة منتخب العلاج . كتاب اظهار حكمة الله تعالى في خلق الانسان ، كتاب في العلم الطبيعي
كتاب الطب الكلي ، مقالتان . مقالة في الجدري . اختصار كتاب الجسطي . كتاب تبير الرؤيا .
كتاب في الوفاء لله للملك المعادل خوارزمشاه ابي العباس مأمون بن مأمون .

الشيخ الرئيس ابن سينا

هو ابو علي الحسين بن عبدالله بن علي بن سينا ، وهو ان كان أشهر من ان يذكر ، وقضائه أظهر من
أن تسطر ، فإنه قد ذكر من أحواله ، ووصف من سيرته ما يفي غيره عن وصفه . ولذلك اننا نقتصر
من ذلك على ما قد ذكره هو عن نفسه ، نقله عنه أبو عبيد الجوزجاني ، قال ، قال : الشيخ الرئيس ،
ان أبي كان رجلاً من أهل بلخ ^(١) ، وانتقل منها الى بخارى ^(٢) في أيام فوج بن منصور ^(٣) واشتغل
بالتصرف ، وتولى العمل في أثناء أيامه بقرية يقال لها خرمتين من ضياع بخارى ، وهي من أمهات
القرى ، وبقرية قريبة يقال لها أفشنة ، وروج أبي منها بالذي وقطن بها وسكن ، وولدت منها بها .
ثم ولدت أخي ، ثم انتقلنا الى بخارى . وأحضرت معلم القرآن ومعلم الادب ، وأكلت العشر من
العمر وقد أثبت على القرآن وعلى كثير من الادب ، حتى كان يقضى مني للمعجب . وكان أبي من أعاجيب
داعي المصريين ويعد من الاجاميلية ^(٤) . وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه
ويعرفونه هم ، وكذلك أخي . وكفوا ربما تذكروا بينهم وأنا اسمعهم وأدرك ما يقولونه ولا قبله
نفسي ، وابتدأوا يدعوني أيضاً اليه ، ويمجرون على سنتهم ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند ،
وأخذ يوجهني الى رجل كان يبيع البقل ، ويقوم بحساب الهند حتى اتلمه منه . ثم جاء الى بخارى
أبو عبدالله الثاني وكان يدعى المتفلسف ، وأزله أبي داراً وجاء تلميذ منه . وقبل قدومه كنت أشتغل
بالفقه والتردد فيه الى اسمعيل الزاهد ، وكنت من أجود السالكين . وقد ألفت طرق المطالبة ووجوه
الاعتراض على الحبيب على الوجه الذي جرت عادة القوم به .

ثم ابتدأت بكتاب ايساغوجي على الثاني . ولما ذكر لي حد الجنس ، انه هو القول على كثيرين
مختلفين بالنوع في جواب ما هو ، فاضلخت في تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله ، وتعجب مني كل المعجب
وحذر والذي من شغلي بغير العلم . وكان أي مسألة قالها لي أتصورها خيراً منه ، حتى قرأت ظواهر
المنطق عليه . وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبرة . ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي واطالع

- (١) كانت القصب السياسية لولاية خراسان . ثم أصبحت للترك الثاني والديني لمملكة طغستان . وفي سنة ١٠٢٤ شد عليها ابن قيس الاحتفال الحصار حتى قتها . واجتاحها جنكيز خان سنة ١٢٢٠ فدمرها .
- (٢) مدينة في اوزبكستان (الاتحاد السوفياتي) على ملتقى الطرق بين روسيا وفارس والهند والصين . فيها مآبيل الحجاج .
- (٣) هو فوج الثاني ابن منصور (٩٧٦ - ٩٩٧) جلس على العرش وهو في الثالثة عشرة من عمره فتولت الحكم امه مع الوزير ابي الحسين عبدالله الغني . ولم يتمكن من اخضاع امراء الاقاليم واخضعهم سبكتكين .
- (٤) او السيمية طائفة من أهل الشيعة ينتسبون الى اسماعيل بن جعفر الصادق سادس الائمة . وهم يقيمون اليوم في فارس والهند وسوريا .

الشروح حتى احسكت علم المنطق . وكذلك كتاب اقليدس فقرأت من أوله خمسة أشكال أو ستة عليه ، ثم قوليت بنفسي حل بقية الكتاب بأسره . ثم انتقلت الى الجسطي ، ولما فرغت من مقدماته وانتهيت الى الاشكال الهندسية ، قال لي الثاني قول قراءتها وحلها بنفسك ، ثم عرضها علي لأبين لك صوابه من خطئه ، وما كان الرجل يقوم بالكتاب . وأخذت أحل ذلك الكتاب فكم من شكل ما عرفه الى وقت ما عرضته عليه ومهتته اياه . ثم فارقتي الثالثي متوجهاً الى كركانج ، واشتغلت انا بتحصيل الكتب من الفصوص والشروح ، من الطيبي والاهلي ، وصارت ابواب العلم تنفتح علي

ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه ، وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة . فلا جرم أني برزت فيه في أقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرأون علي علم الطب . وتعمدت المرضى فانفتح علي من ابواب المعالجات المتبينة من التجربة ما لا يوصف ، وأنا مع ذلك اختلفت الى الفقه وأأظفر فيه ، وأنا في هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة . ثم توفرت علي العلم والقراءة سنة ونصفاً ، فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة . وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها ، ولا اشتغلت النهار بغيره وجمعت بين يدي ظهوراً ، فكل حجة كنت أنظر فيها اثبت مقدمات قياسية ، ورببتها في تلك الظهور . ثم نظرت فيما عساهما تنتج ، ورأيت شروط مقدماته حتى تحقق لي حقيقة الحق في تلك المسألة ، وكلما كنت أعجيز في مسألة ولم أكن أظفر بالحسد الاوسط في قياس ترددت الى الجامع ، وصليت وابتهلت الى مبدع الكل ، حتى فتح لي المنطق ، وتيسر التمسر .

وكنت أرجع بالليل الى داري واضح السراج بين يدي ، واشتغل بالقراءة والكتابة . فنها غلبي النوم أو شمرت بضعف ، عدلت الى شرب قحح من الشراب ريثما تعود الي قوتي ، ثم أرجع الى القراءة . ومما أغلبي أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأحيانها ، حتى ان كثيراً من المسائل اتضح لي وجوها في المنام . وكذلك حتى استحكم معي جميع العلوم ، ووقفت عليها بحسب الامكان الانساني . وكل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن لم ازدد فيه الى اليوم ، حتى أحسكت علي المنطق والطبيبي والرياضي . ثم عدلت الى الاهلي ، وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة . فما كنت أفهم ما فيه ، والتبس علي غرض واضمه ، حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظاً . وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به ، وايست من نفسي وقلت : هذا كتاب لا سبيل الى فهمه . واذا أنا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الوراقين ، وبید دلال مجلد ينادي عليه . فمعرضه علي فردته رد متبهم ، معتقد ان لا فائدة من هذا العلم . فقال لي اشر مني هذا فانه رخيص ابيمكة بثلاث دراهم ، وصاحبه محتاج الى ثمنه ، واشتريته فاذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي^(١) في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة : ورجعت الى بيتي واسرعت قراءته . فانفتح علي في الوقت اغراض ذلك الكتاب بسبب انه كان لي محفوظاً علي ظهر القلب . وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يومه بشيء كثير علي الفقراء شكرأ لله تعالى . وكان سلطان بخاري في ذلك الوقت نوح بن منصور ، والتقى له مرض التلج^(٢) الاطباء فيه ،

(١) ابو النصر محمد ولد في فارياب روفي في دمشق (٨٧٣-٩٥٠) من اعظم فلاسفة العرب حين القام في بغداد وفي بلاد سيف الدولة بمجلب . ولقب العلم الثاني بعد ارسطو ، ويسمونه اليه اشتراح آلة الفاعون . (٢) دخل (ن.د.)

وكان اسمي اشتهر بينهم بالتوفر على القراءة . فأجروا ذكرى بين يديه وسألوه إحضاري ، فحضرت وشاركهم في مداراته وتوسعت بخدمة فآثته يوماً الاذن لي في دخول دار كتبهم ومطالعتها وقراءة ما فيها من كتب الطب . فأذن لي فدخلت داراً ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض ، في بيت منها كتب العربية والشعر ، وفي آخر الفقه وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد .

فطالعت قهرست كتب الاوائل وطلبت ما احتجبت اليه منها .. ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه الى كثير من الناس قط ، وما كنت رأيته من قبل ولا رأيته أيضاً من بعد . فقرأت تلك الكتب وظفرت بفوائدها ، وعرفت مركبة كل رجل في علمه . فلما بلغت ثمانى عشرة سنة من عمري ، فرغت من هذه العلوم كلها . وكنت اذ ذاك للعلم احفظ ، ولكنه اليوم معي انضج ، والا فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شيء . وكان في جواري رجل يقال له ابو الحسين العروضي . فآلتي اث اصنف له كتاباً جامعاً في هذا العلم ، فصنفت له المجموع وسميته به . وأتيت فيه على سائر العلوم سوى الرياضي ، ولي اذ ذاك احدى وعشرون سنة من عمري . وكان في جواري، أيضاً رجل يقال له ابو بكر البرقي ، خوارزمي المولد ، فقيه النفس ، متوحد في الفقه والتفسير والزهد ، مائل الى هذه العلوم ، فسألني شرح الكتب له فصنفت له كتاب الحاصل والحصول في قريب من عشرين مجلدة ، وصنفت له في الاخلاق كتاباً سميته كتاب البر والاثم . وهذان الكتابان لا يوجدان الا عنده فلم يمر أحداً يسلخ منها ثم مات والذي وتصرفت في الاحوال ، وتقلدت شيئاً من أعمال السلطان ، ودعيتي الضرورة الى الاخلاق ببخاري والانتقال الى كركانج . وكانت ابو الحسين السلي الهب لهذه العلوم بها وزيراً ، وقدمت الى الامير بها وهو علي بن مأمون وكنت على زي الفقهاء اذ ذاك بطبرستان ونجت الخنك ، واثبتوا لي مشاورة دارة بكفاية مثلي . ثم دعت الضرورة الى الانتقال الى نسا^(١) ، ومنها الى بورد^(٢) ، ومنها الى طوس^(٣) ، ومنها الى شغان ، ومنها الى سمنقان ومنها الى جاجرم رأس حد خراسان ، ومنها الى جرجان^(٤) ، وكان قصدي الامير قابوس^(٥) ، فالتقي في أثناء هذا أخذ قابوس وحبه في بعض القلاع وموته هناك ، ثم مضيت الى دهستان ومرضت بها مرضاً صعباً وعدت الى جرجان ، فافتصل أبو عبيد الجوزجاني^(٦) في وأنشأت في حالي قصيدة فيها بيت القائل .

لما عظمت فليس مصر واسمي لما خلا ثمني خدمت الشاري
(الكامل)

(١) عدة مواضع في ايران وقاوس وكومان وهمدان . اشهرها نساخراسان.

(٢) بلدة في خراسان

(٣) مدينة في خراسان فيها قبر الامام علي الرضا وقبر هارون الرشيد .

(٤) مدينة في مقاطعة جرجان وتدعى ايضاً لمارباد .

(٥) من امراء بني زاهد في العراق المجسي وطبرستان (ث.د.)

(ن . د)

(٦) نسبة الى جوزجان وهو اسم قديم لمنطقة في بلاد تركستان الافغانية قرب جيسون

قال ابو عبيد الجوزجاني ، صاحب الشيخ الرئيس ؛ فهذا ما حكى لي الشيخ من لفظه ، ومن هاهنا شاهدت أنا من احواله ، وكان يجران رجل يقال له ابو محمد الشيرازي يحب هذه العلوم ، وقصد اشترى للشيخ داراً في جواره وأتزله بها ، وأنا اختلف اليه في كل يوم اقرأ المجمعطي وأستعلي المنطق . فاملى علي المختصر الاوسط في المنطق . وصنف لابي محمد الشيرازي كتاب المبدأ والمعاد ، وكتاب الارصاد الكلية . وصنف هناك كتباً كثيرة ، كاول القانون ومختصر المجسطي ، وكثيراً من الرسائل ثم صنف في ارض الجبل بقية كتبه .

وهذا فهرست كتبه ، كتاب المجموع مجلدة ، الحاصل والمحصول عشرون مجلدة ، الانسان عشرون مجلدة ، البر والاثم مجلدان ، الشفاء ثلثي عشرة مجلدة ، القانون أربع عشرة مجلدة ، الارصاد الكلية مجلدة ، كتاب النجاة ثلاث مجلدات ، الهداية مجلدة ، القولنج مجلدة ، لسان العرب عشر مجلدات ، الادوية القلبية مجلدة ، الموجز مجلدة ، بعض الحكمة المشرقية مجلدة ، بيان ذوات الالهة مجلدة ، كتاب المعاد مجلدة ، كتاب المبدأ والمعاد مجلدة ، كتاب المباحثات مجلدة .

ومن رسائله : القضاء والقدر ، الآلة الرصدية غرض قاطيفوريوس . المنطق بالشعر القصائد في المعظمة والحكمة في الحروف . تعقب المواضع الجدلية . مختصر اقليدس . مختصر في النبض بالعجمية . الحدود ، الاجرام السماوية . الاشارة الى علم المنطق . اقسام الحكمة في النهاية والالاهية ، عهد كتبه لنفسه حي بن يقظان في ان ابعاد الجسم غير ذاتية له . خطب ، الكلام في الهندبا . في انه لا يجوز ان يكون شيء واحد جوهرياً وعرضياً . في ان علم زيد غير علم عمرو . رسائل له اخوانية وسلطانية . مسائل جرت بينه وبين بعض الفضلاء . كتاب الحواشي على القانون . كتاب عيون الحكمة ، كتاب الشبكة والطير .

ثم انتقل الى الري واتصل بخدمة السيدة وابنها مجد الدولة ، وعرفوه بسبب كتب وصلت معه تتضمن تعريف قدره . وكان بمجد الدولة اذ ذاك غلبة للسوداء ، فاشتغل بمداوائه ، وصنف هناك كتاب المعاد ، واقام بها الى ان قصد شمس الدولة ^(١) بعد قتل هلال بن بدر بن حسنويه وهزيمة عسكر بغداد . ثم اتفقت اسباب اوجبت الضرورة لها خروجه الى قزوین ^(٢) ، ومنها الى همدان ^(٣) ، واتصاله بخدمة كذابويه والنظر في اسبابها . ثم اتفق معرفة شمس الدولة واحضاره مجلسه بسبب قولنج كان قد اصابه ، وعالجه حتى شفاه الله ، وفاز من ذلك المجلس بمبلغ كثيرة ، ورجع الى داره بعد ما أقام هناك اربعين يوماً ببلالها ، وصار من ندماء الامر . ثم اتفق نهوض الامير الى قرسين ^(٤) لحرب عناز ، وخرج الشيخ في خدمته ، ثم قومه نحو همدان منهزماً راجعاً .

ثم سألوه تقلد الوزارة فتقلدها ، ثم اتفقت تشويش المسكر عليه ، واشغافهم منه على انفسهم ،

(١) ابو طاهر بن فخر الدولة البويهي ساجم همدان وكرومانشاه .

(٢) مدينة في ايران .

(٣) مدينة في ايران جنوباً بغرب فيها قبر ابن سينا .

(٤) هكذا وردت والمصحح قريمين وهي موب كرومانشاه - جلد - .

فكسبوا داره وأخذوه الى الحبس ، وأغاروا على اسبابه ، واخذوا جميع ما كان يملكه . وسألو الامير قتله فامتنع منه وعدل الى تقيه عن الدولة طلباً لمرضاتهم ، فتوارى في دار الشيخ أبي سعد ابن دخدوك اربعين يوماً فعاد الامير شمس الدولة القولنج ، وطلب الشيخ فحضر مجلسه ، فاعتذر الامير اليه بكل الاعتذار ، فاشتغل بمجالسته ، وأقام عنده مكرماً مبهجاً . واعيدت الوزارة اليه ثانية ، ثم سأله أنا شرح كتب ارسطوطاليس ، فذكر انه لا فراخ له الى ذلك في ذلك الوقت . ولكن ان رضيت مني بتصنيف كتاب أورد فيه ما صح عندي من هذه العلوم بلا مناظرة مع المخالفين ، ولا اشتغال بالرد عليهم فعلت ذلك ، فرضيت به . فابتدأ بالطبيعات من كتاب مماء كتاب الشفاء ، وكان قد صنف الكتاب الاول من القانون . وكان مجتمع كل لبة في داره طلبة العلم ، وكنت أقرأ من الشفاء . وكان يقرء غيري من القانون نوبة . فاذا فرغنا حضر المغنون على اختلاف طبقاتهم وهمية مجلس الشراب بالآلة : وكنا نشغل به ، وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار خخدمة للامير ، فقضينا على ذلك زمناً ، ثم توجه شمس الدين الى طارم^(١) الحرب الامير بها ، وعادوه القولنج قرب ذلك الموضع واشتد عليه ، وانضاف الى ذلك أمراض أخر جلبها سوء تدبيره ، وقلة القول من الشيخ ، فخاف المسكر وفاته فرجعوا به طالبين ممدان في المهد فتوفي في قطريق في المهد . ثم يروج ابن شمس الدولة وطلبوا استئجار الشيخ فأبى عليهم وكتب علاء الدولة^(٢) سر أطلب خدمته ، والمصير اليه ، والانضمام الى جوانبه . وأقام في دار أبي غالب المطار متوارباً . وطلبت منه اتمام كتاب الشفاء ، فاستعصر أبا غالب وطلب الكاغد^(٣) والمهرة فاحضرهما ، وكتب الشيخ في قريب من عشرين جزءاً على الثمن بخطه رؤوس المسائل . وبقي فيه يومين حتى كتب رؤوس المسائل كلها بلا كتاب يحضره ولا أصل يرجع اليه ، بل من حفظه ، وعن ظهر قلبه . ثم ترك الشيخ تلك الاجزاء بين يديه وأخذ الكاغد فكان ينظر في كل مسألة ويكتب شرحها ، فكان يكتب كل يوم خمسين ورقة حتى أتى على جميع الطبيعيات والالهييات ما خلا كتابي الحيوان والنبات . وابتدأ بالتلحق وكتب منه جزءاً . ثم اتهمه تاج الملك بكتابة علاء الدولة ، فانكر عليه ذلك ، وحث في طلبه فدل عليه بعض أعدائه ، فاحذوه وأدوه الى قلعة يقال لها قردجان وانشأ هناك قصيدة منها :

دخولي باليقين كما تراه وكل الشك في أمر الخروج
(الوافر)

وبقي فيها اربعة اشهر . ثم قصد علاء الدولة ممدان وأخذها ، وانهمز تاج الملك ومرو الى تلك القلعة بعينها . ثم رجع علاء الدولة عن ممدان ، وعاد تاج الملك وابن شمس الدولة الى ممدان وحلوا معهم الشيخ الى ممدان ، وزل في دار العلوي ، واشتغل هناك بتصنيف التلحق من كتاب الشفاء ، وكان قد صنف بالقلعة كتاب الهدايات ، ورسالة حي بن يقظان ، وكتاب القولنج . واما الادوية

(١ . ٥ . د)

(١) اسم موضع في الحجاز .

(٢) من امراء بني كاكوية استوزر ابن سينا . وتوفي سنة ١٠٢٩ .

(٣) القوطلس .

القلبية فانما صنفها اول وروده الى همدان ، وكان قد تقضى على هذا زمان ، وبلغ الملك في اثناء هذا بينه بمواعيد جميلة . ثم عن الشيخ التوجه الى اصفهان^(١) ، فخرج متنكراً وأخوه وغللمان معه في زي الصوفية^(٢) الى ان وصلنا الى طبران^(٣) على باب اصفهان ، بعد ان قاسينا شذائد في الطريق ، فاستقبلنا اصغاه الشيخ وندماء الامير علاء الدولة وخواصه ، وحمل اليه الثياب والمراكب الخاصة وأرزل في محبة يقال لها كونكتيد في دار عبادته بن بابي ، وفيها من الآلات والفرش ما يحتاج اليه . وحضر مجلس علاء الدولة فصادف في مجلسه الاكرام والاعزاز الذي يستحقه مثله . ثم رسم علامات الدولة لياالي الجمعات مجلس للنظر بين يديه بمحضرة سائر العلماء على اختلاف طبقاتهم ، والشيخ من جملتهم . فما كان يطاق في شيء من العلوم .

واشتغل باصفهان في تجميع كتاب الشفاء ، ففرغ من المنطق والجسطي ، وكان قد اختصر اولقليدس والارغاطيقي والموسيقى . وأورد في كل كتاب من الرياضيات زيادات رأى ان الحاجة اليها داعية . اما في الجسطي فأورد عشرة اشكال في اختلاف القطر وأورد في آخر الجسطي في علم الهيئة اشياء لم يسبق اليها ، وأورد في اولقليدس شيئا ، وفي الارغاطيقي خواص حسنة ، وفي الموسيقى مسائل غفل عنها الاولون : وتم الكتاب المعروف بالشفاء ما خلا كتابي النبات والحیوان فانه صنفها في السنة التي توجه فيها علاء الدولة إلى سامور^(٤) خواست في الطريق . وصنف ايضا في الطريق كتاب النجاة ، واختصر بعلاء الدولة وصار من ندمائه الى ان عزم علاء الدولة على قصد همدان ، وخرج الشيخ في الصعبة ، فمضى ليله بين يدي علاء الدولة . ذكر الخلل الحاصل في التقويم المعمولة بحسب الارصاد القديمة ، فأمر الامير الشيخ الاشتغال برصد هذه الكواكب وأطلق له من الاموال ما يحتاج اليه . وابتدأ الشيخ به وولاني الخزاز آلاتها واستخدم صناعها حتى ظهر كثير من المسائل ، فكان يقع الخلل في أمر الرصد لكثرة الاسفار وعوائلها . وصنف الشيخ باصفهان الكتاب للعلائي :

وكان من عجائب امر الشيخ اني صعبته وخدمته خمساً وعشرين سنة لما رأيته اذا وقع له كتاب يجده ينظر فيه على الولاء ، بل كان يقصد المواضيع الصعبة منه والمسائل المشككة ، فينظر ما قاله مصنفه فيها ، فيبين مرتبته في العلم ودرجته في الفهم . وكان الشيخ جالساً يوماً من الأيام بين يدي الامير وأبو منصور الجبائي^(٥) حاضر فمضى في اللغة مسألة تكلم الشيخ فيها بما حضره ، فالتفت أبو منصور الى الشيخ يقول انك فيلسوف وحكيم ، ولكن لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها ، فاستنكف الشيخ من هذا الكلام وتوفر على درس كتب اللغة ثلاث سنين ، واستهدى كتاب

(١) مدينة في ايران كانت عاصمة الصفويين قبل تيمورلنك اهلها وعمل هراً من ٧٠٠٠٠٠ جهة .

(٢) فئة من المسلمين واحد من صوفي وهو عديم من كان فانياً بنفسه بقياً بالله تعالى مستغنياً من الطوائف متصلاً بمجموعة الحقائق . ويرسلني الجامعة عليهم السلام

(٣) بك يتخوم قورم من عمل خراسان .

(٤) كورة في فارس .

(٥) من علماء اللغة .

تهذيب اللغة من خراسان من تصنيف أبي منصور الأزهري^(١) ، فبلغ الشيخ في اللغة طبقة قلما يتفق مثلاً . وأنشأ ثلاث قصائد ضمنها الألفاظ غريبة من اللغة . وكتب ثلاثة كتب أحدها على طريقة ابن العميد^(٢) والآخر على طريقة الصائي^(٣) والآخر على طريقة صاحب^(٤) ، وأمر بتجليدها وإخلاق جلدها . ثم أوعز الأمير بفرض تلك المجلدة على أبي منصور الجبائي ، وذكر أنه ظفرت بهذه المجلدة في الصحراء وقت الصيد فيجب أن تنقدها وتقول لنا ما فيها ، فنظر فيها أبو منصور واشكل عليه كثير مما فيها . فقال له الشيخ أن ما تجهه من هذا الكتاب فهو مذكور في الموضع الفلاني من كتب اللغة ، وذكر له كثير من الكتب المعروفة في اللغة كان الشيخ حفظ تلك الألفاظ منها ، وكانت أبو منصور مجزفاً فيما يورده من اللغة غير ثقة فيها ، ففطن أبو منصور أن تلك الرسائل من تصنيف الشيخ ، وأن الذي حمله عليه ما جبه به في ذلك اليوم ، فقتصل واعتذر إليه . ثم صنف الشيخ كتاباً في اللغة سماه لسان العرب لم يصنف في اللغة مثله ولم ينقده في البيضاء حتى توفي فبقي على مسودته لا يتدنى أحد إلى ترتيبه . وكان قد حصل للشيخ تجارب كثيرة فيما يشره من المبالغات عزم على تدوينها في كتاب القانون ، وكان قد علقها على أجزاء فضاعت قبل تمام كتاب القانون . من ذلك أنه صدع يوماً فتصور أن مادة تريد النزول إلى سحاب رأسه ، وأنه لا يأمن وربما ينزل فيه فأمر بإحضار ثلج كثير ودقه ولفه في خرقة وتغطيه رأسه بها فعمل ذلك حتى قوي الموضع ، وامتنع عن قبول تلك المادة وعرفي . ومن ذلك أن امرأة مسالوة بخوارزم أمرها أن لا تتناول شيئاً من الأدوية سوى الجلنبيين السكري حتى تناولت على الأيام مقدار مائة منه وشفيت المرأة .

وكان الشيخ قد صنف يجرجان المختصر الأصغر في المنطق وهو الذي وضعه بعد ذلك في أول النجاة ، ووقعت نسخة إلى شيراز^(٥) فنظر فيها جماعة من أهل العلم هناك فوَقعت لهم الشبه في مسائل منها ، فكتبوها على جزء . وكان القاضي بشيراز من جملة القوم ، فأنفذ بالجزء إلى أبي القاسم الكرماني صاحب إبرايم بن بابا الديلمي المشتغل بعلم التناطر ، وأضاف إليه كتاباً إلى الشيخ أبي القاسم وانفذها إلى يدي ركاكي قاصد ، وسأله عرض الجزء على الشيخ واستبجاز أجوبته فيه . وإذا الشيخ أبي القاسم دخل على الشيخ عند اصفرار الشمس في يوم صائف ، وعرض عليه الكتاب والجزء ، فقرأ الكتاب وورده عليه ، وترك الجزء بين يديه وهو ينظر فيه والناس يتعبدون . ثم خرج أبو القاسم ، وأمرني الشيخ بإحضار البيضاء وقطع أجزاء منه ، فشددت خمسة أجزاء كل واحد منها عشرة أوراق

(١) ولد في هراة . من علماء الله له كتاب التهذيب .

(٢) أبو الفتح علي بن العميد (٩٢٠ - ٩٩٧) لقب بذي الكفایتین - السيف والقلم - ووزر لركن الدولة ومؤيد الدولة . ثم دس عليه الدمانس فسجن وعذب ومات .

(٣) كاتب موهان الانشاء في دولة بني بويه .

(٤) وزير مؤيد الدولة الذي لقبه بكافي الكفاية له مؤلفات في الأدب والشعر (٩٢٦ - ٩٩٥) ولد في طلائع وتوفي في اصفهان . (ن.د.)

(٥) مدينة في إيران هي قاعدة إقليم فارس قتلها أبو موسى الاشعري وعثمان بن أبي العاصي في اواخر خلافة عثمان . نشأ منها عدة علماء . (٦) الجماعة «ن.د.»

بالربع الفرعوني ، وصلينا العشاء وقدم الشمع فأمر باحضار الشراب وأجلسني وإخاه ولأنا بتناول الشراب ، وابتدأ هو يحوط تلك المسائل . وكان يكتب ويشرب الى نصف الليل حتى غلطني وإخاه النوم ، فأمر بالانصراف فعند الصباح قرع الباب فإذا رسول الشيخ يستحضرني فحضرتة وهو على المصلى ، وبين يديه الاجزاء الخمسة ، فقال خذها وصر بها الى الشيخ أبي القاسم الكرمانى ، وقل له استجلبت في الاجوبة عنها لئلا يتعوق الركابي ، فلما حملته اليه تعجب كل تعجب وصرف الضيق وأعلمهم بهذه الحالة ، وصار هذا الحديث تاريخاً بين الناس .

وضع في حال الرصد آلات ما سبق اليها ، وصنف فيها رسالة وبقيت أنا ثماني سنين مشغولاً بالرصد ، وكان غرضي تبين ما يحكيه بطليموس عن قصته في الارصاد ، فتبين لي بعضها . وصنف الشيخ كتاب الانصاف واليوم الذي قدم فيه السلطان مسعود الى اصفهان نهى عسكره رحل الشيخ وكان الكتاب في جلته ، وما وقفنا على اثر . وكان الشيخ قوي القوى كلها ، وكانت قوة الجامعة من قواه الشهوانية أقوى وأغلب . وكان كثيراً ما يشتغل به فائز في مزاجه : وكان الشيخ يعتمد على قوة مزاجه حتى صار امره في السنة التي حارب فيها علاء الدولة تاش غراش على باب الكرخ الى ان أخذ الشيخ قولنج ، ولحضره على برئه اشفاقاً من هزيمة يدفع اليها ، ولا يتأق له المسير فيها مع المرض حلق نفسه في يوم واحد ثمان كرات ، فتقرح بعض أمعائه وظهر به سحج (١) ، وأوحج الى المسير مع علاء الدولة فاسرعوا نحو اينج فظهر به هناك الصرع الذي يتبع علة القولنج ، ومع ذلك كانت يدبر نفسه ويحقق نفسه لاجل السحج ولبيعة القولنج ، فأمر يوماً بالتحاذ دانقين من بزر الكرفس (٢) في جلة ما يحتتن به وخلطه بها طلباً لكسر الرياح ، فقصده بعض الاطباء الذي كان يتقدم هو اليه بمعالجته ، وطرح من بزر الكرفس خمسة دراهم لست أدري أحمد فله أم خطأ لانني لم أكن معه ، فازداد السحج به من حدة ذلك البزر . وكان يتناول المارود بطوس لاجل الصرع فقام بعض غلانه وطرح شيئاً كثيراً من الاقيون (٣) فيه ، واوله فأكله وكان سبب ذلك خيانتهم في مال كثير من خزانته ، فتمنوا هلاكه ليأمنوا عاقبة أمهالهم .

ونقل الشيخ كما هو الى اصفهان ، فاشتغل بتدبير نفسه ، وكان من الضعف بحيث لا يقدر على القيام فلم يزل يعالج نفسه حتى قدر على المشي وحضر مجلس علاء الدولة . لكنه مع ذلك لا يتحفظ ، ويكثر التخليط في أمر الجامعة ، ولم يدرأ من العلة كل البره ، فكان يلتبس ويبدأ كل وقت . ثم قصد علاء الدولة همدان فسار معه الشيخ فمادته في الطريق تلك العلة الى ان وصل الى همدان ، وعلم ان قوته قد سقطت ، وانها لا تقى بدفع المرض فأهل مداواة نفسه واخذ يقول المدير الذي كان يدبر بدني قد عجز عن التدبير ، والان فلا تنفع المعالجة . وبقي على هذا أياماً ، ثم انتقل الى جوار ربه .

(١) سحر .

(٢) القطن .

(٣) صخرة المشعشع وهو نبات يحمل اكراداً يضاف وهو منوم غدر .

وكان عمره ثلاثاً وخمسين سنة ، وكان موته في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، وكانت ولادته في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة . هذا آخر ما ذكره ابو عبيد من احوال الشيخ الرئيس ، وقبره تحت السور من جانب القبة من ممدان ، وقيل انه نقل الى اصفهان ودفن في موضع على باب كونكتبد . ولما مات ابن سينا من القولنج الذي عرض له قال فيه بعض اهل زمانه .

رأيت ابن سينا يمادي الرجال والحبس مات أحسن المات
فلم يشف ما آله بالشفاء ولم ينسج من مولة بالنبجاة
(المتقارب)

— وقوله بالحبس يريد انحباس البطن من القولنج الذي اصابه ، والشفاء والنجاة يريد الكتابين من تأليفه وقصد بهما الجنس في الشعر —

ومن كلام الشيخ الرئيس وصية أوصى بها بعض أصدقائه وهو ابو سعيد ابن أبي الخير الصوفي قال : « ليكن الله تعالى اول فكر له وآخره ، وباطن كل اعتبار وظاهره ، ولتكن عين نفسه مكشوفة بالنظر اليه ، وقدمها موقوفة على الثول بين يديه ؛ مسافراً بقله في الملكوت الاعلى وما فيه من آيات ربه الكبرى . واذا انحط الى قراره ، فليزده الله تعالى في آفاره ، فانه باطن ظاهر تجلى لكل شيء بكل شيء .

ففي كل شيء له آية تدل على انه واحد

(المتقارب)

« فاذا صارت هذه الحال له ملكة ، انطبع فيها نقش الملكوت ، وتجلي له قدس اللاهوت ، فالف الانس الاعلى ، وذاق اللذة القصوى ، واخذ عن نفسه من هو بها اولي ، وافاضت عليه السكينة وحقت عليه الطمأنينة . وتطلع الى العالم الادنى اطلاع راسم لاهله ، مستوهم لحيله ، مستخف لثقله ، مستحسن به لقله ، مستضل لطرقه ؛ وتذكر نفسه وهي بها لهجة ، وبهيجتها بهجة ، فتعجب منها ومنهم تصعيب منه ، وقد ودعها وكان معها كأنه ليس معها . ويعلم ان أفضل الحركات الصلاة ، وامثل السكنتات الصيام ، وانفع البر الصدقة ، وازكى السر الاحتال ، وابطل السهي المراءاة . ولن تخلف النفس عن الدرن ما التفتت الى قيل وقال ، ومناقشة وجدال ، وانفصلت بحال من الاحوال . وخير العمل ما صدر عن خالص نية ؛ وخير النية ما ينفجر عن جناب علم ، والملكة أم الفضائل ، ومعرفة الله اول الاوائل (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) . ثم يقبل على هذه النفس المزينة بكاملها الذاتي فيعبرها عن التلطف بما يشينها من الهيات الانتقادية للنفس المادية التي اذا بقيت في النفوس المزينة كان حالها عند الاتصال كحالها عند الاتصال ، إذ جوهرها غير مشاوب ولا غاطل ، وانما يدنسها هيئة الانتقاد لتلك الصواحب ؛ بل يفيدها هيآت الاستيلاء والسياسة والاستعلاء والرياسة . وكذلك يجر الكذب قولاً وتخيلاً حتى تحدث للنفس هيئة صدوقة ، فتصدق الاحلام والرؤيا . واما الذات فيستعملها على اصلاح الطبيعة وابقاء الشخص أو النوع او السياسة . اما التسرب فانه يجر شربه تلبساً

بل تشفياً وتداوياً ؛ ويمائر كل فرقة بمادته ورمحه ؛ ويسمح بالقدور والتقدير من المال ؛ ويركب لمساعدة الناس كثيراً ما هو خلاف طبعه . ثم لا يقصر في الاوضاع الشرعية ، ويعظم السنن الالهية ، والمواظبة على التجمعات البدنية . ويكون دوام عمره اذا خلا وخلص من المعائير تطربه الزينة في النفس والفكرة في الملك الاول وملكوته ، وكيس النفس عن عيار الناس من حيث لا يقف عليه الناس عامداً انه يسير بهذه السيرة ، ويدين بهذه النينة ، والله ولي الذين آمنوا وهو حسبنا ونعم الوكيل .
ومن شعر الشيخ الرئيس قال في النفس وهي من أجل قصائده وامرئها :

| | |
|------------------------------------------|-------------------------------|
| هبطت اليك من المحل الارفع | ورقاء ذات تمزج وتفسح |
| محموية عن كل مفة عارف | وهي التي سمرت ولم تتبرقع |
| وصلت على كره اليك وربما | كرهت فراقك وهي ذات تفسح |
| أنقت وما أنست فلما واصلت | ألفت مجاورة الخراب البلع |
| وأظنها نسيت عهداً بالحي | ومنازلا بفراقها لم تفسح |
| حتى اذا اتصلت بهاء هبوطها | في ميم مركزها بذات الاجرع |
| علقت بها له التثليل فاصبحت | بين المام والطلول الخضع |
| تبكي اذا ذكرت دياراً بالحي | بدماع تهيم ولما تلتطح |
| وتظل ساجدة على النين ^(١) التي | درست بتكرار الرياح الاربع |
| اذ عاقها الشر والكتيف وصدها | قفص عن الاوج الفسح الاربع |
| حتى اذا قرب المسير الى الحي | ودعا الرحيل الى الفضاء الاوسع |
| سجبت وقد كثف الغطاء فاصبرت | ما ليس يدرك بالعيون المجمع |
| وغدت مفارقة لكل خلف | عنها حليف التراب غير مشيع |
| ويدت لتفرد فوق ذروة شامخ | سام الى قمر الحضيض الاوضح |
| ان كان ارسلها الاله لحكمة | طويت عن الفطن اللبيب الاروح |
| فهبوطها ان كان ضربة لازب | لتكون سامعة بما لم تسمع |
| وتعود عالة بكل خفية | في المالمين فغرقها لم يرقع |
| وهي التي قطع الزمان طريقها | حتى لقد غريت بغير المطلع |
| فكانه يرق تالقي الحمى | ثم انطوى فكانه لم يلح |
| | (الكامل) |

وقال في الشيب والحكمة والزهد :

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| أما أصبحت عن ليل التصابي | وقد أصبحت عن ليل الشباب |
| تنفس في عذارك صبح شيب | وعصم ليك فك التصابي |

(١) جمع دميئار النار أي ما يتركه الحي من الاقتدار بعد الرحيل

شبابك كان شيطاناً مريداً
وأشهب من بزة الدهر خوى^(٢)
عفا رسم الشباب ورسم دار
فذاك ابيض من قطرات دمي
فذا ينمي اليك النفس نمياً
كذا دنياك تراب لانصداع
ويعلق مشتمز النفس عنها
فلولها لمجلت انصلاخي
عرفت عقوقها فلووت عنها
بليت بعالم يعار أذاه
وسيل للصواب خلاط قوم
أخالطهم وتنسي في مكان
ولست بمن يلعننه خلاط
إذا ما لحث الأبصار قالت

فرجم^(١) من مشيك بالشباب
على قودي^(٣) فالأ^(٤) بالتراب
لهم عهدي بها مفتى رباب
وذاك اخضر من قطر السحاب
وذاك نشور للروابي
مغالطة وتبني للخراب
فلما عفتها اغريتها بي
عن الدنيا وان كنت اهابي
بأثراك تموق عن اضطراب
سوى^(٥) صبري ويسفل عن عثابي
وكم كان الصواب سوى الصواب
من العلياء عنهم في حجاب
متى اغبرت اثاث عن تراب
خيلاً واشمازت عن لباب
(الوافر)

وقال أيضاً :

يا ربيع ، زكرك الاحداث والقدم
كثما رسمك السر الذي لم
كاننا سعة الانقي باقية
أو حسرة بقيت في القلب مظلة
ألا بكاه سحاب دمه مع^(٦)
لم لم تجدها سحاب جودها ديم
ليت الطول اجابت من به أبداً
أو عليها بلسان الحال فاطقة

فصار عينك^(٦) كالآثار تهم ،
عندي ، وتؤيك صبري الدارس الهدم ؛
بين الرياح كطابونية^(٧) جثم
عن حاجة ما قضوها إذ هم أمم^(٨)
بالرعد مزدر^(٩) بالبرق مبسم
من النموع الهوامي كلن دم
في حبههم صحة في حبههم سقم
قد تفهم الحال ما لا تفهم الكلم

(١) وهي .

(٢) ارسل جناحه .

(٣) جانب الرأس بما يلي الاذن الى الامام .

(٤) ذهب به خفية .

(٥) اللندل والساي .

(٦) اهل النار .

(٧) ما يقطن فيه .

(٨) القصد .

(٩) سائل . (١٠) عمل .

أما ترى شيتي تبيك ناطقة
الشيب يوعد والآمال واعدة
مالي أرى حكم الأفعال ساقطة
مالي أرى الفضل فضلاً يستأثر به
جوتك في هذه الدنيا وزخرفها
كجيفة مودت فاللود منشؤه
سيان عندي إن پروا وانت فبروا
لا تحسدنهم إن جد جدم
ليسوا وإن نموا عيشاً سوى نعم
الواجدون غنى ، المادمون نهى ،
خلطت فيهم وأيضاً قد خلطت بهم
اسكتت بينهم كالكث في أجم
ألي وإن بات عني من بليت به
مميز من بني الدنيا يميزني
بأي مائة ينقاس بي أحد
أمثل عنجهي^(٦) شوكه^(٧) يلحق في
فذا عجزو ولكن بعدما قصدت
إني وإن كانت الأقلام تحمدني
قد أشهد الروح مراتحاً فأكشفه
الضرب محتدم ، والطنن منتظم ،
والحق يافوخه^(٨) من نغمهم^(٩) قار^(١٠)
والبيض والسمر حمر تحت عثيره^(١١)
وأعدل للقسام في حربي وحريم

بأن حدي الذي امتدلقته^(١٢) ثم^(١٣)
والمرء يفتر والأيام تصرم
وأسمع الدهر قولاً كله حكم
قد أكرم النفس لا استقص الكرم
عيني ، فألقيت داراً ما بها أرم^(١٤)
فيها ، ومنها له الأرزاء والطعم
فليس يحري على أمثالهم قلم
فالجد يحدي ولكن ما له عصم
وربما نعمت في عيشها النعم^(١٥)
ليس الذي وجدوا مثل الذي عدوا
كرها فليس غنى عنهم ولا لهم
رأيت لينا له من جلسه أجم
في عينه كه^(١٦) في أخته حمم
أقل ما في ليس الجبل والعظم
بأي مكربة تحكيكي الاسم
أم مثل شعبر^(١٧) حش^(١٨) عرضة زيم^(١٩)
وذاك جود ماع المسك منهم
كذاك يجدم كفي الصارم الخدم^(٢٠)
إذا تناكر عن تباره البهم
والدم مرتك^(٢١) ، والبأس مقتل^(٢٢)
والافلك قسطاه^(٢٣) من سفكهم قتم^(٢٤)
والموت يحكم والابطال تختم
منهم لنا غم منا لهم حرم^(٢٥)

(١) استخرجته .

(٢) مكسور الحاء أي الحلفة .

(٣) أي أحد .

(٤) الأبل وتطلق على البحر والتمن .

(٥) القمي أو القمي في الدين .

(٦) الجلفا والكبر . (٧) ذات اشراك . (٨) ابن آوى . (٩) الراد الغالك في بطن أمه تهرق دماً عليه وتطوي عليه

أي يبيى فلا يخرج . (١٠) جمع لذة وهي اللطمة من لحم وغيره . (١١) للقاطع . (١٢) مجتمع . (١٣) مشتد

(١٤) مقدم الرأس . (١٥) القنار الساطع . (١٦) أي عليه غيره . (١٧) اللبزان أو اللبان . (١٨) صار لونه القتمة

أي ضارب إلى السواد . (١٩) السجاج الساطع . (٢٠) اللحم .

أما البلاغة فإسألني الخبير بها
لا يعلم العلم غيري معلماً علماً
كانت فتاة حلوهم الحق عاطلة
نبيد أرواحهم بالرعب تغلفه
ماتت أكلة ذا الدهر القفاح على
لو شئت كان الذي لو شئت بحت به
ولو وجدت طلائع الشمس متسماً
ولو بكت عزماقي دونها الحشم
وكانت البيض ظلالاً للسود له
وطن أن ليس تحجيل سوى شمر
وغشيت صلفات الأرض معدلة
لكنها بقعة حلف الشفاء بها

أما اللبان قديماً والزمان فم
لأمله أنا ذاك المعلم العلم
حتى جلاها بشرحي البند والعلم
فيهم وأجسادهم بالغضب لتلثم
عزائي وأسفت في لها الهيم
ما الحزن أسكت بل إن دلم الحشم
لحط رجل عزيمي كنت أعظم
ولم يعم سيبي نحوها العم
وقد تباغل^(١) عرض الحيل والحكم
وأن الخيل في ميلادها اللجم
فلاسد تفر عن مرضى به غم^(٢)
فكل صاغ^(٣) إليها صاغر سدم
(البسيط)

وقال أيضاً :

هو الشيب لا بد من ونطه^(٤)
أأقلقك الطل من ويله
وكم منك شرك غصن الشباب
فلا تجزعن لطريق سلكت
ولا تجشمن فإت ينال
وكم حاجة بذلت نفسها
إذا انصب المرء من عقله
ومن عاجل الحزم في عزمه
وكم ملق دونها خيلة
إذا ما أحال آخر زلة
وما يتصب النفس تميزه
ووقر أخا الشيب واللع الشباب
ولا تبغ في العذل واقصد فكم

فعرشه واخضبه أو غطه
وجرعت من البحر في شطه
وريقاً فلا بد من حطه^(٥)
كم أنيت غيرك في وسطه
من الرزق شكل سوى قسطه
فطوتها الحرص من فرطه
نشا في الزمان على قطعه
فإن الندامة من شرطه
كما يبرط الشعر من مشطه
على الفدر فاجعل على بسطه
فلا تسجلن إلى خلطه
إذا ما تصف في خطبه
كتب قديماً على خطه

(١) تشبه بالبطل في سعة مشية أو تبهه .

(٢) أي فيه قسمة . (٣) ماثل ومستمع . سدم: قدم .

(٤) خالط سواد الشعر . د. ر. ع .

(٥) أي تمريته من وقفه .

وكم عانده النصع ذو شية
تراه مريعاً الى مطمح
وكم رام ذو ملل حاشم
وذو حسد أسقطته لقي
يحاول حطي عن رقتي
يظل على دهره ساخطاً

عناد القناد لدى غرطه
كما أنشط البكر^(١) عن نشطه^(٢)
لينصب حلي فلم أعطه
فما يأنف الدهر من لقطه
قد ارتفع النجم عن حطه
وكم يضعك الدهر من مسخه
(المقارب)

وقال أيضاً :

قفا تجزي معادهم قليلا
تجونه المفاة كما تراه
لقد عشنا بها زمناً قصيرا
ومن يستثبت الدنيا بحال
إذا ما استعرض الدنيا اعتباراً
خليلي ابلغ المذال ألي
وأني من أفس ما أخطا
مآقينا وأبدينا إذا ما
وقفت فموج عيني دون سمدي
على جفني لسمعي فرض دمع
عقدت لها الوفاء وإن عقدي
وكم أخت لها خطبت فؤادي
لأعاذل لست في شيء فأسهب
فلم ير مثلاً قلبي ألوقا
وعذل الشيب أولى لي لواني
أجل قد كررت هذي الليالي
أتكرر فرة لما عطني
يعبرني ذبولي أو تحولي
كما أن الحفيش أبا وجيم
يقول مبلر ليفض مني

نفيت بدمعنا الريح الهبلا
فأسمى لا رسوم ولا طولا
نقاسي بدمع زمناً طويلاً
يرم من مستحيل مستحيلة
تنحى الحرص عنها مستحيلة
هجرت تجملني هجرأ جيلة
على عزم فاعقبنا لزولا
هين^(٣) رأيتنا نصي المذولا
على الأطلال ما وجدت مميلة
أقت له به قلبي كليل
هو العقد الذي لن يستحيل
فما وجدت الى عذري سيلة
مدى الملوين^(٤) أو أقصر قليلاً
ولم تر مثلاً اذني ملولا
أطلقت وإن جهدت له قبولا
على ليالي زماناً لن يزولا
ترين كزينة الأثر النصولا
كسيت الذبل والجسد النعيل
يعبرني بأن لست البنجيل
يمد علو ذي كرم سفولا

(١) لقي من الإبل .

(٢) ذهابه .

(٣) أرسلت معها بانتشرت .

(٤) القيل والقيار .

ابرز او اتيل به جزىلا
وكم خرق وقت به خيلا
عسى ان لا تطوف ولا تتولا
نفائس ما تصان بما اذىلا
يباح ببعض ما تحوي كيلا
قلست بذاك مذخوراً مهولا
قطب نفساً ولا تفرق قبيلا
فقد ما روع القيل الاقيل
(الوافر)

متى وسمعت لقصدي الارض حتى
يقول به الخراق الكف جدا
فجل خلل الاصابع منك واجهد
بنحش ان مالك فوق مالي
حكاك غياف ما افناه بدلي
يمدرك الاحبة وقع كيدي
سقطت عن اعتقادي فيك سوءاً
فأما ان اركع بغير قصدي

وقال أيضاً :

كافي الكفاة بعيني يحمل النظر
من حسن تأثير عين الشمس في القمر
(البسيط)

اوليتي نعمة مذ صرت تلحظني
كذا اليواقيت فيا قبل نشأتها

وشكا اليه الوزير ابو طالب العلوي آثار بثر بدا على جبهته ونظم شكواه شراً وأنفذه اليه وهو :

| | |
|--------------------------|------------------------------|
| وغرس انعامه بل نشء نعمته | صنيعة الشيخ مولانا وصاحبه |
| آثار يثر تبدى فوق جبهته | يشكو اليه ادم الله مدته |
| شكر التي له مع شكر عاقته | قامن عليه بحمس الداء مقتنماً |
| (البسيط) | |

فاجاب الشيخ الرئيس عن أبياته ووصف في جوابه ما كان به برؤه من ذلك فقال :

| | |
|-------------------------------------------|--------------------------------|
| من الاذى ويصافيه برحمته | الله يشفي وينفي ما يحبته |
| ختمت آخر ابياتي بلمسته | أما العلاج فاسهل يقدمه |
| دم القذال ويشفي عن حجامته | وليرسل الملق المصاص يرشفه |
| يدلي اليه شرباً من مدامته | والصم يحجره الا الحقيف ولا |
| فيه الخلاف ^(١) مداها وقت مبعثه | والوجه يطليه ماء الورد متمصراً |
| ولا يصيبن أيضاً عند سخطه | ولا يضيق منه الزر غثتفاً |
| آثار خير ويكفي أمر علقه | هذا العلاج ومن يعمل به سيرة |

وقال أيضاً :

| | |
|---------------------|----------------------------|
| وحقيق كيات ماهياتها | خير النفوس العارفات ذواتها |
|---------------------|----------------------------|

(١) نوع من السلفات .

أعضاء ينبتها على هياكلها
ملا كذاك سمائه كسماكتها
منه النفوس تحب^(١) في ظلماتها

ويم الذي حلت ومم تكونت
نفس النبات ونفس حس ركبا
يا للرجال لعظم رزء لم تول

وقال أيضاً :

وذو الكل فهي للكل بيت
سراج وحكمة الله زيت
وإذا أظلت فانك نيت
(الحفيف)

مذهب النفس بالعلوم لتزقي
أنما النفس كالزجاجة والعلم
فاذا أشرقت فانك حي

وقال أيضاً :

ظلمت ضوء السراج
فطفأها بالزجاج
(الرميل)

صبها في الكاس صرفا
ظنها في الكاس فارا

وقال أيضاً :

يا صاح بالقدح الملا بين الملا
ولها بنو همران أغلخت الولا
قالت : ألت يريمك ؟ قالوا : بلى
(الكامل)

قم فاستنينا قهوة كدم الطلا
خجراً تظل لها النصارى سجدا
لو أنها يوما وقد ولعت بهم

وقال أيضاً :

كنزول الشمس في أبراج يوح
مثل ما قال النصارى في المسيح
كأب متعمد وابن روح
(الرميل)

زول اللاهوت^(٢) في فاسوتها^(٣)
قال فيها بعض من هام بها
هي والكاس وما مازجها

وقال أيضاً :

لكل قديم اول هي اول
هي الة الاولى التي لا تمل
(الطويل)

شربنا على الصوت القديم قديعة
ولو لم تكن في حيز قلت انها

(١) تضطرب وتسير خبيثاً .

(٢) الألوهة ، واصله (لاه) اي انه زويت فيه الوار وقتاء للقبالة كما في جبروت وملكوت .

(٣) الطبيعة الانسانية .

وقال أيضاً :

ما بين غيائي الى عدائي
واستوحشوا من نقصهم وكائي
كالطود يحقر نطحة الاوعال
هانت عليه ملامة الجبال
(الكامل)

عجبا لنوم يحمدون فضائي
عتبوا على فضلي وذبوا حكمتي
اني وكيدم وما عتبوا به
واذا الفتى عرف الرشاد لنفسه

وقال أيضاً :

سجايها استمرن من الرحيق
وان كنت تناعي عن صديق
(الوافر)

أساجية الجفون أكل خرد
هي الصبأ خبرها عرو

وقال أيضاً

فلم ير ما أرى الناس وجن
لوافد لا يقوم بها عجن^(١)
على منفذ ما أكلوه ضنوا
أجال سهامهم حدس وطن
تواروا واستكاثوا^(٢) واستكنوا^(٣)
(الوافر)

أكاد أجن^(١) فيا قد أجن^(٢)
رميت من الخطوب بمسميات^(٣)
وجاورني الناس لو أريدوا
فان عنت مسائل مشكلات
وان عرضت خطوب معضلات

وقال أيضاً :

أبلى جديد قواي وهو جديد
قد صرت مغناطيس وهي حديد
(الكامل)

أشكو الى الله الزمان فصرفه
عن الي توجّهت فكأنني

وقال أيضاً :

تنهنه وحاذر ان ينالك بفتة
وقال أيضاً ، ان هذه الايات اذا قيلت عند رؤية عطارذ وقت شرفة ؟ فانها تنيد علماً وشيراً
بأذن الله تعالى .

(١) اللقد عظمي .

(٢) ما أخير به وأخفي .

(٣) قاتله .

(٤) كل ما وقع من السلاح أو القوس .

(٥) ذلوا وخضعوا

(٦) استنصروا .

(٧) جروح .

عطارد قد والله طال ترددي
فها أنت قاعدني قوى ادرك المي
وروقي المحذور وللشر كله
مساء وصباحاً كي أراك فاغنيا
بها والعلوم الغامضات تكرمها
بأمر ملك خالق الارض والسما
(الطويل)

ومما ينسب الى الشيخ الرئيس ابن سينا قصيدة فيما يحدث من الامور والاحوال عند قران المشتري
وزحل في برج الجدي ، بيت زحل ، وهو المحس البروج ، لكونه بيت زحل لمحس الفلك النعس
الاكبر واول القصيدة :

« احذر بني من للقران العاشر »

وجملة ما قيل في هذه القصيدة من أحوال التار وقتلهم للخلق وخرابهم للقلاع جرى ، وقد رأيناها
في زماننا . ومن أعجب ما أتى فيها عن التار بقنبيهم الملك المظفر^(١) ، وكان كذلك أفتانم الملك
المظفر قطز لما وصل من الديار المصرية بمساكر الاسلام ، وكانت الكسرة على التار منه في وادي
كنمان^(٢) كما ذكر ، وذلك في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وستائة . وكذلك أشياء أخر من
ذلك كثيرة صحت الاحكام بها في هذه القصيدة ، مثل القول عن خليفة بغداد ، وكذا الخليفة جعفر
البيت والبيت الذي يليه بعده نعى خلافته وملكت التار بغداد كما ذكر ، وكان ذلك في أول سنة سبع
 وخمسين وستائة . وكان الاعتقاد بها في هذه القصيدة من كتاب الجفر^(٣) عن امير المؤمنين علي بن ابي
طالب عليه السلام . والله أعلم ، ان يكون الشيخ الرئيس قال هذه القصيدة او غيره وقد عن لي ان
اذكر القصيدة منها سواء كانت لابن سينا او لغيره وهي :

احذر بني من القران العاشر
لا تشغلتك لذة تلهو بها
واسكن بلاداً بالحجاز وقم بها
لا ترسكن^(٤) الى البلاد فانها
من قتيبة قطس الانوف كانتهم
خزر^(٥) السيون ترام في ذلة
ما قصدم الا للسماء كاتنا
وخراب ما شادالورى حتى ترى
وانفر بنفسك قبيل نفر النافر
فالخوت اولى بالظلوم الفاجر
واصبر على جور الزمان الجائر
سيمها حد الحسام الباور
سيل طما أو كالجراد النافر
كم قد ابادوا من ملك قاهر
ثار لحسم من كل ثاء أمر
قفرأ عمارتهم برغسم العامر

(١) احمد سلاطين المليك البصريين تولى الحكم ١٢٥٩ - ١٢٦٠

(٢) هي ط ما اعتقد ناحية في العراق « لراه دلي »

(٣) الجفر : راد الشاة اذ استكورش راكل ، رسمي العلم الذي كتب عليه بلم الجفر ، وهو العلم الاجمالي على طريقة علم
الحروف بلوح القضاء والتدوير المتوي على ما كان وما يكون ، وقالوا انه مختص بالبيت ،

(٤) سكن واستلمن ،

(٥) شيعيو السيون ،

للعشب ليس لاهلها من جابر
تضعي وليس يربعها من صافر
ورما ستخرب بعد اخذ نشاور
من آل احد لا يسيف الكافر
فر الحام من المقاب الكاسر
في نصف شهر من ربيع الآخر
من ملكه في لج بحر زاهر
لظهور نجم للذوبة زاهر
لكن سعادته كلعج الناطر
ويعود منزماً بصفقة خاسر
يسري اليه وما له من سائر
عنه الى الحشم الالذ الفاجر
بالسيف بين اصغر وأكابر
نصبت لجابجا من عدو حكاير
متزقاً في كل قفر واعر
بالذل بين اصغر وأكابر
ما بين دجلتها^(٥) وبين الجازر^(٦)
من شهرزور الى بلاد السامر
قفا تدأوس باختلاف الحافر
تسما ولقنتح في النهار العاشر
ودوايها من معشر متجاوز

اما خراسان تعود منابتا
وكذا الخوارزم^(٧) وبلغ^(٨) بعدها
والديلمان^(٩) جبالها ودحاها
والري يسفك فيه دم عصابة
وتفر سفك النسا منهم كما
فهر الخوارزمي يكسر جيشه
ويؤت من كد على ما لاله
وتذل عترته وتشتى ولده
ويكون في نصف القران ظهوره
وتور أعداء طيبه ويلتقي
ويكون آخر عمره في آمد
وتعود عظم جيوشه موكدة
وذياب بكر سوف يقتل بعضهم
وترى بأذربيج^(١٠) بدو خيامه
تفنى صاكره ويفنى جيشه
والويل ما تلقى النصارى منهم
والويل ان حلوا ذياب ربيعة
ويكسحون ذياب بابل^(١١) كلها
وشلاط^(١٢) ترجع بعد هجرة منظر
هذا وتلقى اربل^(١٣) من دونهم
ويطون نينوه^(١٤) ويؤخذ مالها

(١) بلاد واقعة على نهر آموداريا الاسفل في تركستان الروسية ، ذكرها هيرودوتس ، رأى البيروني فيها العشرات قبل سنة ١٢٩٢ ق.م .

(٢) كانت القصبه السياسيه لولاية خراسان ثم اصبحت المركز الثقافي والديني لمملكة طشارستان اجنابها قبائل جنكيز خان لدمرتها .

(٣) الديلم هي القسم الجبلي من جبال جيلان شمالي بلاد قزوین .

(٤) اقليم في بلاد ايران على الحدود الشماليه للقرية جاسنته تبريز ، ومنهاسم يؤولف اليوم جمهوريه سوفيائيه على ساحل بحر قزوین وحاصتها باكو .

(٥) نهر يذبح من تركيا ويجري بذياب بكر والموصل وينداد ويتفرع بنهر الفرات في شط العرب ومن سواعده : الزاب الاكبر والزاب الاصغر وديالى .

(٦) واد بين الكوفة وبيد (٧) البلاد التي تتألف منها مملكتبايل .

(٨) بلد بآرمينية (٩) مدينة الموصل في شماليه قرب الموصل .

(١٠) مدينة اريه في العراق وهي حاصه بلاد آشور القديمة واسمها اليوم كويجيك بالقرب من الموصل .

ولربما ظهرت عساكر موصل^(١)
فترام نزلا بشاطيء دجلة
وترى الى الآثار^(٢) نهباً واقصاً
ويكون يوم حريق زهرتها التي
واسمرها على البلاد وأهلها
ولربما ظهرت عليهم فتية
يسفون من ماء الفرات^(٣) خيولهم
للقام حلب^(٤) يحيش لو مرى
واذا مضى حد القران رأيتهم
يفنيهم الملك المظفر مثل ما
ويبدى نجل الامام محمد
ولربما أبقي الزمان عصاة
والذكى ثقي الفرس لا يبقى لهم
في أرض كتمان^(٥) تظل جوسهم
وتجول عباد الصليب عليهم
يا ريع بغداد لما تحويه من
وكذا الخليفة جعفر سيظل في
وكذا العراق قصورها وروعها
يفنيهم سيف القران فيا لها
والروم^(٦) تكسرم وتكسر بدم
تحى خلافته وليس ذكره
فقرى الحصون الشاغبات مهدة

تبني الأمان من الحوون الغادر
ومضوا الى بلد بنير تقار
ودعاً يسيل وهتك سار سار
ثائبهم مطر كبير زاخر
ماذا يكون وما لهم من ناصر
من آل صعصعة^(٧) كرام عشائر
من كل نظام فوق صهوة ضامر
في البحر أظلم بالمعاج الثائر
يردون جلق وهي ذات عساكر
ففتت نمود^(٨) في الزمان الغابر
بحسامه الماضي الفرار الباسر
منهم فيهلكهم حسام الناصر
أور كذا حكم الملك القادر
مرعى الذئاب وكل سر طائر
بالسيف ذات ميامن ومياسر
جثث مخلفة ورأس طائر
أرض وليس لسبيلها من خاطر
لك النواحي والمشيّد الصامر
من سفرة أودت بمال التاجر
عاماً وليس لكسرها من جابر
بين البرية صنع رب قادر
لم يبق فيها ملجأ لمسافر

(١) مدينة في العراق لبث بالحلب ، كتبت على نهر دجلة بالقرب من انقاض نينوى كملت قاعدة بلاد بني ربيعة .

(٢) عين غزوة بلقاء بالجزيرة ، او هي نهر بينه واد كائن قرب سامراء بني عليه اليوم سد .

(٣) قبة عربية تلسب الى صعصعة .

(٤) نهر يلعب من ارمينيا يقطع جبال طوروس ويمتاز سوريا والعراق ويصب متحداً مع دجلة في شط العرب

(٥) قاعدة سوريا الحالية وهي من اقدم مدن العالم فقد ذكرت في الكتابات الحثية سنة ٢٠٠٠ ق.م . اتلخا سيف الدولة عاصمة لمملكته غلامهوت فيها العلوم والفنون الاسلامية .

(٦) شعب عربي قديم بدأ اژه قبل ظهور الاسلام وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم وثبت وجودهم تاريخياً في كتابه مرجون سنة ٣١٥ ق.م . وفي كتب الرومان واليونان وفي الشعر الجاهلي .

(٧) تابعة في العراق كان اسمها جروز وهي الآن تدعى لواء ديالى .

(٨) اسم اطلقه العرب على البيزنطيين

وترى قراها والبلاد تبدلت

بعد الانيس بكل وحش نافر

(الكامل)

وأشدني بعض التجار من أهل العجم قصيدة لابن سينا في هذا المعنى على قافية الراء الساكنة وأولها:

إذا شرق المريع من أرض بابل

واقترت النحسان فالخدر الخدر

ولا بد أن تجري أمور عجيبة

ولا بد أن تأتي بلادكم التار

(الطويل)

ولم يكن يحفظ الا بعض القصيدة على غير الصواب فما نقلتها عنه .

ولشيخ الرئيس من الكتب كما وجدته غير ما هو مثبت فيا تقدم من كلام أبي عبيد الجوزجاني :
كتاب الواحق يذكر انه شرح الشفاء . كتاب الشفاء . جمع جميع العلوم الاربعة فيه وصنف
طبيعياته والهيئات في عشرين يوماً بعمدات . كتاب الحاصل والموصول ، صنفه ببلده للفقير
أبي بكر البرقي في أول عمره في قريب من عشرين مجلدة ، ولا يوجد الا نسخة الأصل . كتاب
البر والأثم ، صنفه أيضاً للفقير أبي بكر البرقي في الأخلاق مجلدات ، ولا يوجد الا عنده .
كتاب الانصاف عشرون مجلدة شرح فيه جميع كتب أرسطوطاليس وانصف فيه بين الشرقيين
والمغربيين ، ضاع في نهب السلطان مسعود . كتاب المجموع ويعرف بالحكمة العروضية ، صنفه وله
احدى وعشرون سنة لابي الحسن العروضي من غير الرياضيات . كتاب القانون في الطب صنف بعضه
يبرجان وبالرس ، وقمه بعمدان ، وعول على ان يعمل له شرحاً وتجارب . كتاب الأوسط الجرجاني
في المنطق صنفه يبرجان لابي محمد الشيرازي . كتاب المبدأ والمعاد في النفس ، صنفه له أيضاً يبرجان
ووجدت في اول هذا الكتاب انه صنفه للشيخ أبي أحمد محمد ابراهيم الفارسي . كتاب الارصاد الكلية
صنفها أيضاً يبرجان لابي محمد الشيرازي . كتاب المعاد صنفه بالري للملك محمد الدولة . كتاب لسان
العرب في اللغة صنفه باصفهان ولم ينقله الى البهاض ، ولم يوجد له نسخة ولا مثله ، ووقع الي بعض
هذا الكتاب وهو غريب التصنيف . كتاب دانش ما به الملائي بالفارسية ، صنفه لعلاء الدين بن كاكويه
باصفهان . كتاب النجاة صنفه في طريق ساور خواست ، وهو في خدمة علام الدولة . كتاب
الاشارات والتلبيحات وهي آخر ما صنف في الحكمة واجوده ، وكان يرض بها . كتاب الهداية في
الحكمة صنفه وهو محبوس بقلعة فردجان لاختيه علي ، يشتمل على الحكمة مختصراً . كتاب القولنج
صنفه بهذه القلعة أيضاً ، ولا يوجد ظاهراً . رسالة حسي بن يقظان صنفها بهذه القلعة أيضاً رمزاً عن النقل
الفعال . كتاب الادوية القلبية صنفها بعمدان وكتب بها الى الشريف السعيد أبي الحسين علي بن الحسين
الحسيني . مقالة في النبض بالفارسية . مقالة في غارح الحروف ، وصنفها باصفهان للجبائي . رسالة
الى أبي سهل المسيحي في الزاوية صنفها يبرجان . مقالة في القوى الطبيعية الى أبي سعد الجلمي . رسالة
الطير مرموزة تصنيف فيها يرسله الى علم الحق . كتاب الحدود . مقالة في تعرض رسالة الطبيب في
القوى الطبيعية . كتاب عيون الحكمة يجمع العلوم الثلاثة . مقالة في عكوس فوات الجهة . الخطب

التوحيدية في الالهيات . كتاب الموجز الكبير في المنطق ، واما الموجز الصغير فهو منطق النجاة . القصيدة الزموجة في المنطق صنفها للرئيس أبي الحسن سهل بن محمد السهلي بكر كرايج . مقالة في تحصيل السعادة ، وتعرف بالحجج الثمر . مقالة في القضاء والقدر صنفها في طريق أصفهان عند خلاصه وهرية الى أصفهان . مقالة في الهنديا . مقالة في الاشارة الى علم المنطق . مقالة في تقاسم الحكمة والعلوم . رسالة في السكتجين . مقالة في اللانابة . كتاب تعاليق علقه عنه تلميذه ابو منصور بن زيلا . مقالة في خواص خط الاستواء . المباحثات بسؤال تلميذه ابي الحسن بهمنيار بن المرزبان وجوابه له . عشر مسائل أجاب عنها لابي الريحان البيروني . جواب ست عشرة مسألة لابي الريحان . مقالة في هيئة الارض من السماء وكونها في الوسط . كتاب الحكمة الشرقية لا يوجد تلاماً . مقالة في تعقب المواضع الجدلية . المداخل الى صناعة الموسيقى ، وهو غير الموضوع في النجاة . مقالة في الاجرام السماوية . كتاب التدارك لانواع خطأ التدبير ، سبع مقالات ألفه لابي الحسن أحمد بن محمد السهلي . مقالة في كيفية الرصد ومطابقته مع العلم الطبيعي . مقالة في الاخلاق . رسالة الى الشيخ أبي الحسن سهل بن محمد السهلي في الكيمياء . مقالة في آلة رصدية صنفها باصفهان عند رصده لعلاء الدولة . مقالة في غرض قاطيفورياس . الرسالة الاضغوية في المواد صنفها للأمير أبي بكر محمد بن عبيده معتمد الشراء في العروض ، صنفه ببلاده ، وله سبع عشرة سنة . مقالة في حد الجسم . الحكمة العرشية وهو كلام مرتفع في الالهيات عهد له عاهد الله به نفسه . مقالة في ان علم زيد غير علم عمرو . كتاب تدبير الجند والممالك والساكن وأرزاقهم وخراج الممالك . منازعات جرت له في النفس مع أبي علي النيسابوري ، خطب وتجددات وأسجاع جواب يتضمن الاعتذار فيها نسب اليه من الخطب . مختصر أوقليس أظنه المضمون الى النجاة . مقالة الارتماطقي . عشر قصائد وأشعار في الزهد وغيره يصف فيها احواله . رسائل بالفارسية والعربية ، وغايطات ومكاتبات وهزليات . تعاليت مسائل حنين في الطب . قوانين ومعالجات طبية . مسائل عدة طبية عشرون مسألة سأله عنها بعض أهل العصر . مسائل ترجمها بالتذاكير جواب مسائل كثيرة . رسالة له الى عفاء بنفاد يسأله الانصاف بينه وبين رجل همداني يدعي الحكمة . رسالة إلى صديق يسأله الانصاف بينه وبين الهمداني الذي يدعي الحكمة . جواب لعدة مسائل كلام له في تبين ماهية الحروف . شرح كتاب النفس لارسطوطاليس ويقال انه من الانصاف . مقالة في النفس تعرف بالفصول . مقالة في ابطال احكام النجوم . كتاب الملح في النحو . فصول الهية في اثبات الاول . فصول في النفس وطبيعيات . رسالة الى أبي سعيد بن أبي الخير الصوفي في الزهد . مقالة في انه لا يجوز أن يكون شيء واحد جوهرأ وعرضأ . مسائل جرت بينه وبين بعض الفضلاء في فنون العلوم . تعليقات استفادها أبو الفرج الطبيب الهمداني من مجلسه وجوابات له . مقالة ذكرها في تصانيفها في الممالك ويقاسم الارض . مختصر في ان الزاوية التي من المحيط والمماس لا حكمة لها . اجوبة لسؤالات سأله عنها أبو الحسن العامري وهي اربع عشرة مسألة . كتاب الموجز الصغير في المنطق . كتاب قيام الارض في وسط السماء ألفه لابي الحسين أحمد بن محمد السهلي . كتاب مفاتيح الخزان في المنطق ، كلام في الجوهر والعرض كتاب تأويل الرؤيا . مقالة في الرد على مقالة الشيخ ابي الفرج بن الطبيب . رسالة في العشق

ألفها لابي عبيد الله الفقيه . رسالة في القوى الانسانية وادراكاتها . قول في تبين ما الحزن واسبابه . مقالة الى ابي عبيد الله الحسين بن سهل بن محمد السهلي في أمر مشوب .

ألا يلاقي

هو السيد أبو عبد الله محمد بن يوسف شرف الدين ، شريف النسب ، فاضل في نفسه ، خبير بصناعة الطب ، والعلوم الحكمية . وهي من جملة تلاميذ الشيخ الرئيس والأخضدين عنه ، وقد اختصر كتاب القانون وأجاد في تأليفه وللإيلاقي من الكتب باختصار كتاب القانون لابن سينا ، كتاب الاسباب والعلامات .

ابو الريحان البيروني

هو الاستاذ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني منسوب إلى بيرون ، وهي مدينة في السند^(١) ، كان مشتغلاً بالعلوم الحكمية فاضلاً في علم الهيئة والنجوم ، وله نظر جيد في صناعة الطب . وكان معاصر الشيخ الرئيس ، وبينهما محادثات ومراسلات . وقد وجدت للشيخ الرئيس أجوبة مسائل سأله عنها ابو الريحان البيروني وهي تحتوي على أمور مفيدة في الحكمة . وأقام ابو الريحان البيروني بخوارزم .

ولابي الريحان البيروني من الكتب : كتاب الجماهر في الجواهر وأنواعها وما يتعلق بهذا المعنى ، ألفه للملك المسلم شهاب الدولة أبي الفتح مودود بن مسعود بن محمود . كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية . كتاب الصيدلة في الطب استقصى فيه معرفة ماهيات الادوية ومعرفة أسمائها واختلاف آراء المتقدمين ، وما تكلم كل واحد من الأطباء وغيرهم فيه ، وقد رتبته على حروف المعجم . كتاب مقاليد الهيئة . كتاب تسليح الكرة . كتاب العمل بالاصطرلاب . كتاب القانون الموسوي ، ألفه لمسعود بن محمود بن سبكتكين ، وحذا فيه حذو بطليموس . كتاب التتميم في صناعة التنجيم . مقالة في تلافي عوارض الزلّة في كتاب دلائل القبله . رسالة في تهذيب الاقوال . مقالة في استعمال الاصطرلاب الكري . كتاب الاطلاق . كتاب الزيج الموسوي ألفه السلطان مسعود بن محمود ملك غزنة . اختصار كتاب بطليموس القلوزي . و توفي في عشر الثلاثين والاربعائة .

ابن مندويه الاصفهاني

هو أبو علي احمد بن عبد الرحمن بن مندويه ، من الأطباء المذكورين في بلاد المعجم ، وخدم منالكة جماعة من ملوكها ورؤسائها . وكانت له اعمال مشهورة مشكورة في صناعة الطب ، وكان من البيوتات الاجلاء باصفهان . وكان أبوه عبد الرحمن بن مندويه فاضلاً في علم الأدب ، وافر الدين ، وله اشعار

(١) مقاطعة في الباكستان الغربية عاصمتها كراتشي .

حسنة من ذلك قال :

ويحمرز أموالاً رجال اشعة وتشغل عما خلفهن وتذهل
لمرلك ما الدنيا بشيء ولا التي بشيء ولا الانسان الا محلل
(الطويل)

وقال أيضاً :

ومسي المرء ذا أجل قريب وفي الدنيا له أمل طويل
ويجمل بالرحيل وليلى يدوي الى ماذا يقر به الرحيل
(الوافر)

ولابي علي بن مندويه الاصفهاني من الكتب رسائل عدة ، من ذلك أربعون رسالة مشهورة الى جماعة من أصحابه في الطب ، وهي رسالة الى احمد بن سعد في تدبير الجسد ، رسالة الى عباد بن عباس في تدبير الجسد . رسالة الى ابي الفضل المارضي في تدبير الجسد . رسالة الى ابي القاسم احمد ابن علي بن بحر في تدبير المسافر . رسالة الى حمزة بن الحسن في تركيب طبقات العين . رسالة الى ابي الحسن الوارد في علاج انتشار العين . رسالة الى عباد بن عباس في وصف انقسام الطعام ، رسالة الى احمد بن سعد في وصف المعدة والتصد لملاحتها . رسالة الى مستنصر في تدبير جسده وعلاج دائه . رسالة الى ابي جعفر احمد بن محمد بن الحسن في القولنج . رسالة اخرى اليه في تدبير اصحاب القولنج ، وتدبير اصحاب القولنج في أيام صحته فيتنافع عنه بعون الله تعالى . رسالة الى ابي محمد بن ابي جعفر في تدبير ضعف الكلى لمن يستبشع الحقنة . رسالة الى ابي الفضل في علاج المثانة . رسالة الى الأستاذ الرئيس في علاج شقاق البواسير . رسالة في أسباب الباه . رسالة في الإبانة عن السبب الذي يولد في الاذن القرقرة عند اتقاد النار في خشب اللتين . رسالة الى الوفاي في علاج وجع الركبة . رسالة الى ابي الحسن بن دليل في علاج الحكمة المارضة للشبيخة . رسالة في فعل الاثرية في الجسد . رسالة في وصف مسكر الشراب ومنافعه ومضاره . رسالة الى ابنه في علاج بثور خرجت يحمده بماء الجبن وهو صغير . رسالة في منافع الفقاع ومضاره . رسالة الى ابي الحسين احمد بن سعيد في الحنديقون والبقاع وجوابه اليه . رسالة الى بعض اخوانه في التمر الهندي رسالة الى بعض اخوانه في الكافور . رسالة الى حمزة بن الحسن في النفس والروح على رأي اليونانيين . رسالة اخرى الى حمزة بن الحسن في الاعتذار عن اعتلال الاحباء ، رسالة في الرد على كتاب نقض الطب المنسوب الى الجاحظ . رسالة الى حمزة بن الحسن في الرد على من انكر حاجة الطبيب الى علم اللغة . رسالة الى المتقدين علاج المرضى ببيارستان اصفهان . رسالة الى ابي الحسن بن سعيد في البحث عما ورد من ابي حكم اسحق بن يوحنا الطبيب الاموازي في شأن علته . رسالة الى يوسف بن زداد المطيب في انكاره دخول لعاب بز الكتان في أدوية الحقنة . رسالة أبي محمد عبدالله بن اسحق المطيب ينكر عليه ضرورياً من العلاج . رسالة اخرى الى ابي محمد المطيب في علة الامير المتوفي شيرزبل بن ركن الدولة . رسالة اخرى الى ابي محمد المدني في شأن للتكميد بالجاورس . رسالة اخرى لابي مسلم محمد بن بحر عن

لسان ابي محمد الطبيب المدني، رسالة في علة الازهر احمد ابن اسحق البرجي، وذكر الفاظ الجاري من يوسف ابن اسطفن المتطبب . رسالة في أوجاع الاطفال ، كناش . كتاب المدخل الى الطب . كتاب الجامع المختصر من علم الطب وهو عشر مقالات. كتاب المفاتيح في الطب. كتاب في الشراب . كتاب الاطعمة والاشربة. كتاب نهاية الاختصار في الطب. كتاب الكافي في الطب ويعرف أيضاً بكتاب القانون الصغير.

ابن أبي صادق

هو ابو القاسم عبد الرحمن بن علي بن احمد بن أبي صادق النيسابوري، طبيب فاضل بارع في العلوم الحكيمة، كثير الدراية للصناعة الطبية ، له حرص بالغ في التطلع على كتب جالينوس، وما أودعه فيه من غوامض صناعة الطب وأمرارها ، شديد التخصص عن اصولها وفروعها ، وكان فصيحاً بليغ الكلام . وما فسره من كتب جالينوس فهو في نهاية الجودة والاتقان ، كما وجدنا تفسيره كتاب منافع الاعضاء لجالينوس ، فانه اجهد نفسه فيه ، وأجاد في التخصيص معانيه ، وهو أيضاً يقول في أوله . وأما نحن فقد حررنا معاني هذا الكتاب شرحاً للمعنى، وحذفنا الزائد . ونظمنا للمتشكك ، وإضافة اليه بما وجدته من الزيادات في مصنفات جالينوس ومصنفات غيره من المحصلين في هذا الباب ، ورتبنا كل مقالة تعليمياً تعليمياً ، والحقا باواخر كل منها ما يتبين به من تشريح عضو عضو يتضمن منافعه تلك المقالة ، ليسهل على من اراد تشريح أي عضو كان او منافع أي جزء من اجزائه وجدانه . وكان فراغه من هذا الكتاب في سنة تسع وخمسين وأربعمائة .

وحدثني بعض الأطباء ان ابن أبي صادق كان قد اجتمع بالشيخ الرئيس ابن سينا وقرأ عليه وكان من جملة تلاميذه . وهذا لا استبعد بل هو اقرب الى الصحة ، فان ابن أبي صادق لحق زمان ابن سينا وكان في بلاد المعجم ، وسمعه ابن سينا كانت عظيمة ، وكذلك غزارة علمه وكثرة تلامذته وكان اكبر من ابن أبي صادق قدراً وسناً .

ولابن أبي صادق من الكتب : شرح كتاب المسائل في الطب لحنين بن اسحق . اختصار شرحه الكبير لكتاب المسائل لحنين . شرح كتاب الفصول لابرقراط ، ووجد خطه على هذا الشرح بتاريخ سنة ستين وأربعمائة على قراءة من قرأه عليه . شرح كتاب مقدمة المعرفة لابرقراط . شرح كتاب منافع الاعضاء لجالينوس ، ووجدت الأصل من هذا الكتاب تاريخ تاريخ الفراج منه في سنة تسع وخمسين وأربعمائة ، موقعاً عليه بخط ابن أبي صادق ما هذا مثاله : بلغت المقابلة وصح ان شاء الله تعالى وبه الثقة . وكتب ابو القاسم بخطه حل شكوك الرازي على كتب جالينوس . كتاب التاريخ .

طاهر بن ابراهيم السجري

هو الشيخ ابو الحسين طاهر بن ابراهيم بن محمد بن طاهر السجري . كان طبيباً فاضلاً عالماً بصناعة الطب ، متميزاً فيها خيراً بأعمالها . وله من الكتب : كتاب ايضاح منهج حجة العلاج ، ألّفه للقاضي ابي الفضل محمد بن حمويه .

كتاب في شرح البول والنض . تقسم كتاب الفصول لابقراط .

ابن خطيب الري

هو الامام فخر الدين ابو عبدالله محمد بن العمر بن الحسين الرازي افضل المتأخرين وسيد الحكماء المحدثين ، قد شاعت سيادته ، وانتشرت في الافاق مصنفاته وتلامذته ، وكان اذا ركب يمشي حوله ثلثة تلميذ فقهاء وغيرهم وكان خوارزمشاه يأتي اليه . وكان ابن الخطيب شديد الحرص جداً في سائر العلوم الشرعية والحكفية ، جيد الفطرة ، حاد الذهن ، حسن العبارة ، كثير البراعة ، قوي النظر في صناعة الطب ومباحثها ، عارفاً بالأدب ، وله شعر بالفارسي والعربي . وكان عبلاً (١) البدن ، ربيع القامة ، كبير الحمة . وكان في صوته فضاخمة ، وكان يخطب ببلده الري وفي غيرها من البلاد ، ويتكلم على المنبر بأنواع من الحكمة ، وكان الناس يقصدونه من البلاد ، ويهاجرون اليه من كل ناحية على اختلاف مطالبهم في العلوم ، وتفتنهم فيما يشتغلون به . فكان كل منهم يحمد عنده النهاية القصوى فيما يرومه منه . وكان الامام فخر الدين قد قرأ الحكمة على مجد الدولة الجيلي بمراغة (٢) ، وسكان مجد الدين هذا من الافاضل المطاه في زمانه ، وله تصانيف جليلة . وحكى لنا القاضي شمس الدين الخوئي عن الشيخ فخر الدين انه قال : والله انني أتأسف في الفوات عن الاشتغال بالعلم في وقت الاكل ، فارت الوقت والزمان عزيز . وحديثي عبي الدين قاضي مرند (٣) قال : لما كان الشيخ فخر الدين برند ، أقام بالمدرسة التي كان ابي مدرستها ، وكان يشتغل عنه بالفقه . ثم اشتغل بعد ذلك لنفسه بالعلوم الحكفية ، وتميز حتى لم يوجد في زمانه آخر يضاهيه ، واجتمعت به ايضاً يمدان وهرارة ، واشتغلت عليه قال : وكان لجلسه جلالة عظيمة ، وكان يتعاطم حتى على الملوك ، وكان اذا جلس لتدريس يكون قريباً منه جماعة من تلاميذه الكبار ، مثل زين الدين الكشي والقطب المصري وشهاب الدين النيسابوري ، ثم يليهم بقية التلاميذ وسائر الخلق على قدر مراتبهم ، فكان من يتكلم في شيء من العلوم يباحثونه أولئك التلاميذ الكبار ، فارت جرى بحث مشكل أو معنى غريب شاركهم الشيخ فيما هم فيه ، وتكلم في ذلك المعنى بما يفوق الوصف .

وحديثي شمس الدين محمد الوزار الموصل قال : كنت ببلد هراة في سنة (٤) وسبائة وقد قصدتها الشيخ فخر الدين بن الخطيب من بلد إمامان ، وهو في أبهة عظيمة وحشم كثير . فلما ورد اليها تلقاه السلطان بها ، وهو حسين بن خرمن ، وأكرمه اكراماً كثيراً ، ونصب له بعد ذلك منبراً وسجادة في صدر الدewan من الجامع بها ليجلس في ذلك الموضع ، ويكون له يوم مشهور يراه فيه سائر الناس ويسمعون كلامه . وكنت في ذلك اليوم حاضراً مع جملة الناس ، والشيخ فخر الدين في صدر الايران ، وعن جانبيه بينة وديرة صفان من ممالكه الترك متكئين على السيوف وجاء فيه السلطان حسين بن

(١) غليظ ايض .

(٢) عاصمة اندريجان الايرانية قديماً .

(٣) مدينة في اندريجان قالت الاساطير الارمنية ان فيها قبر فرند زوجة فوح .

(٤) يياض بالاصل .

خرمين صاحب هراة^(١) فسلم ، وأمره الشيخ بالجلوس قريباً منه . وجاء اليه أيضاً السلطان محمود ابن أخت شهاب الدين الغوري صاحب فيروز كوه^(٢) ، فسلم وأشار اليه الشيخ بالجلوس في موضع آخر قريباً منه من الناحية الأخرى . وتكلم الشيخ في النفس بكلام عظيم وقصاحة بليغة . قال وبينما نحن في ذلك الوقت وإذا بمجاعة في دائر الجامع ووراما صقريكا ان يقتنصها وهي تطير في جوانبه الى أن أعيت ، فدخلت الايران الذي فيه الشيخ ، ومرت طائرة بين الصفيين الى ان رمت بنفسها عنده ويحنت ، فذكر لي شرف الدين بن عنين انه عمل شعراً على البديع ، ثم نهض لوقته واستأذنه في أن يورد شيئاً قد قاله في المعنى فأمره الشيخ بذلك فقال :

جاءت سليمان الزمان بشجوها والموت يلعب من جناحي خاطف
من نبأ الورقاء^(٣) أن محلكم حرز^(٤) وانك ملجأ للخائف

(الكامل)

فطرب لها الشيخ فخر الدين واستدناه وأجلسه قريباً منه ، وبعث اليه ، بعد ما قام من مجلسه ، خبطة كاملة ودنانير كثيرة ، وبقي دائماً محسناً اليه . قال : لي شمس الدين الرواس لم يشد قدامي لابن خطيب الري سوى هذين البيتين ، وانما بعد ذلك زاد فيها ابياتاً أخر . هذا قوله ، وقد وجدت الابيات المزايدة في ديوانه على هذا المثال .

يا ابن الكرام المطمئين اذا استوى في كل خصصة^(٥) وثلج خائف^(٦)
العاصمين اذا النفوس تطايرت بين الصوارم والوشج^(٧) الراعف^(٨)
من نبأ الورقاء أن محلكم حرم وانك ملجأ للخائف
وقدت اليك وقد تدانى حتفها فصوتها ببقائها المستأنف
أولو انها تحبى بمال لانتنت من راحتك بنائل متضاعف
جاءت سليمان الزمان بشجوها والموت يلعب من جناحي خائف
قرم لواه القوت حتى ظله بأزائه يجري بقلب راجف

(الكامل)

-
- (١) مدينة في افغانستان يسمىون بنامها الى الاسكندر
(٢) حصن في الجبال في غور افغانستان صار قاعدة لمملكة غور ثم خربه التتار .
(٣) المجاعة او التي يشرب لونها الى الخضرة .
(٤) الموضع الحصين .
(٥) المجاعة .
(٦) جامد .
(٧) شجر الرماح او الرماح نفسها .
(٨) السائل منها الدم .

اقول وما حكاه شرف الدين بن عتير انه حصل من جهة فخر الدين بن خطيب الري ويحاجه في بلاد المعجم نحو ثلاثين ألف دينار ، ومن شعره فيه قوله وسيرها اليه من نيسابور الى هراة .

خدمني الى الصدر الامام الافضل
لور الهدى متألّفاً لا يأبلي
طابت مفارص مجدها المتأثل
وقرورها فوق السباك الاعزل^(١)

خلف الحيا^(٢) في كل عام محل
لا يعرف الوسمي^(٣) منها والولي^(٤)
بحراً تصدر قبله في محفل
والدين سريال^(٥) الصفاة المسيل
دهراً وكاد ظلامها لا ينجلي
ورسا سواه في الحضيض الاسفل
هيات قصر عن هداه ابو علي
من لفظ لمرته هزة أفكل^(٦)
برهانه في كل شكل مشكل
ان القضية لم تكن للاول
هزت رباح الطيش ركبي يذبل^(٧)
ويحود مسؤولا وارت لم يسأل
عن دينه وأقر عين المرسل
ترو الى فلك الثوابت من عل
فيمجدك السامي يعني ما تلي
افضي اليك فقال أشرف منزل
أبدأ وجودك كهف كل مؤمل

ريح الشال عساك ان تحملي
وقفي براديه القدس وانظري
من دوحة فخرية عمرة
مكية الانساب زاك اصلها
واستطري جدوى^(٨) يديه فطالما
لهم سحائبها تعود كما بدت
بحر تصدر للعلوم ومن رأى
ومشم في الله يسحب التقى
ماتت به بدع شادي عمرها
فعلا به الإسلام أرفع هضبة
غلط أمرؤ بائي علي قاسه
لو أن رسطاليس يسمع لفظه
ويحار بطليموس لو لاقاه من
فلو انهم جمعوا لديه تيقنوا
وبه بييت الحلم معتصبا اذا
يفقو عن الذنب العظيم تكوما
أرضى الاله بفضله وحفاه
يا ايها المولى الذي درجاته
ما منصب إلا وقدرك فوقه
فحق اراد الله رفعة منصب
لا زال ريمك للوفود محطة

(الكامل)

- (١) كوكب منير حي بالاعزل لأنه ليس أمامه شيء .
- (٢) عطية .
- (٣) المطر .
- (٤) اول مطر الربيع .
- (٥) المطر يسقط بعد المطر .
- (٦) القميص او كل ما يلبس .
- (٧) المرقع من خوف أو برد .
- (٨) اسم جبل .

ومحدثي نجم الدين يوسف بن شرف الدين علي بن محمد الاسفاري ، قال : كان الشيخ الامام ضياء الدين عمر والد الامام فخر الدين من الري وفقه واشتهل بعلم الخلاف^(١) والاصول حتى تميز تميزاً كثيراً وصار قليل المثل ، وكان يدرس بالري ويخطب في أوقات معلومة هنالك ، ويجمع عنده خلق كثير لحسن ما يورده ويلاغته ، حتى اشتهر بذلك بين الخاص والعام في تلك النواحي . وله تصانيف عدة توجد في الاصول وفي الوعظ وغير ذلك ، وخلف ولدين أحدهما الامام فخر الدين والاخر وهو الاكبر سنّاً كان يلقب بالركن ، وكان هذا الركن قد شدا شيئاً من الخلاف والفرقة والاصول ، إلا انه كان أهوج كثير الاختلال ، فكان أبداً لا يزال يسير خلف أخيه فخر الدين ، ويتوجه اليه في أي بلد قصده ، ويشنع عليه ، ويصفه المشتغلين بكتبه والناظرين في اقواله ، ويقول: ألسنت اكبر منه واعلم منه واكثر معرفة بالخلاف والاصول ؟ فما للناس يقولون فخر الدين ، فخر الدين ، ولا أجمعهم يقولون ركن الدين ؟ . وكان ربما صنف بزمه شيئاً ويقول هذا خير من كلام فخر الدين ويثلبه^(٢) ، والجماعة يصبون منه ، وكثير منهم يصغون ويهزلون به . وكان الامام فخر الدين كلما بلغه شيء من ذلك صعب عليه ولم يؤثر أن أخاه بتلك الحالة ولا احد يسمع قوله . وكان دائم الاحسان اليه ، وربما سأله المقام في الري أو في غيره وهو يفتقده ويصه بكل ما يقدر عليه . فكان كلما سأله ذلك يزيد في فعله ولا ينتقل عن حاله . ولم يزل كذلك لا ينقطع عنه ، ولا يسكت عما هو فيه ، الى ان اجتمع فخر الدين بالسلطان خوارزمشاه ، وأنهى اليه حال أخيه وما يقاسي منه ، والتبس منه ان يتركه في بعض المواضع ويوصى عليه انه لا يمكن من الخروج والانتقال عن ذلك الموضع ، وان يكون له ما يقوم بكفائته وكل ما يحتاج اليه . فبجعله السلطان في بعض القلاع التي له ، واطلق له اقطاعاً يقوم له في كل سنة بما مبلغه الف دينار ، ولم يزل مقبلاً هنالك حتى قضى الله فيه أمره .

قال : وكان الامام فخر الدين علامة وقته في كل العلوم ، وكان الخلق يأتون اليه من كل ناحية ، ويخطب أيضاً بالري . وكان له مجلس عظيم للتدريس . فإذا تكلم به الغائلين . وكان عبل البدن باعتدال ، عظيم الصدر والرأس ، كث اللحية . ومات وهو في سن الكهولة ، أخبط شعر اللحية . وكان كثيراً ما يذكر الموت ويؤثره ، ويسأل الله الرحمة ، ويقول : انني حصلت من العلوم ما يمكن تحصيله بحسب الطاقة البشرية ، وما يبيت أؤثر الا لقاء الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم .

قال . وخلف فخر الدين ابنتين الاكبر منها يلقب بضياء الدين ، وله اشتغال ونظر في العلوم ، والاخر وهو الصغير لغيره شمس الدين وله فطرة فائقة وذكاء خارق ، وكان كثيراً ما يصفه الامام فخر الدين بالذكاء ويقول إن عاش ابني هذا فانه يكون أعلم مني ، وكانت التجابة تتبين فيه من الصغر . ولما توفي الامام فخر الدين بقيت اولاده مقيمين في هراة ولقب ولده الصغير بعد

«١» العلم الذي يستدل فيه بالمتنازع احد التقيدين على تحقيق الآخر

«٢» يمينه ويساره

ذلك فخر الدين بلقب ابنه ، وكان الوزير علاء الملك المملوكي متقلداً الوزارة لسلطان خوارزمشاه ، وكان علاء الملك فاضلاً متيناً العلوم والأدب، والشعر بالعربية والفارسية . وكان قد تزوج بابنة الشيخ فخر الدين ، ولما جرى ان جنكز خان^(١) ملك التتر قهر خوارزمشاه وكسره ، وقتل أكثر عسكره ، وفقد خوارزمشاه ، توجه علاء الملك قاصداً الى جنكز خان ومعتصماً به فلما وصل اليه أكرمه وجعله عنده من جملة خواصه . وعندما استولى التتر على بلاد المجمع وخربوا قلاعها ومدنها . وكلوا يقتلون في كل مدينة جميع من بها ولم يبقوا على أحد ، تقدم علاء الملك الى جنكز خان ، وقصد توجهت فرقة من عساكره الى مدينة هراة ليخبروها ويقتلوا من بها ، فسأله ان يعطيه اماناً لاولاد الشيخ فخر الدين بن خطيب الري وان يمينوا بهم مكرمين اليه ، فوهب لهم ذلك واعطاهم اماناً . ولما ذهب اصحابه الى هراة وشارفوا أخذها نادوا فيها بأن لاولاد فخر الدين بن الخطيب الامان فليزلوا ناحية في مكان . ويكون هذا الامان معهم .

وكان في هراة دار الشيخ فخر الدين هي دار السلطنة ، كان خوارزمشاه قد اعطاها له وهي من اعظم دار تكون واكبرها وابهاها واكثرها زخرفة واحتفالاً ، فلما بلغ اولاد فخر الدين ذلك أقاموا بها مأمونين ، والتحق بهم خلق كثير من أهاليهم واقربائهم واعيان الدولة وكبراء البلد ، وجماعة كثيرين من الفقهاء وغيرهم ظنوا ان يكونوا في امان لاتصالهم باولاد فخر الدين ، ولكونهم خصيصين بهم وفي دارهم ، وكلوا خلقاً عظيماً . فلما دخل التتر الى البلد وقتلوا من وجدوه بها وانتبوا الى الدار نادوا باولاد فخر الدين ان يروم ، فلما شاهدوم أخذوم عندهم وهم ضياء الدين وشمس الدين واختهم . ثم شرعوا بسائر من كان في الدار فقتلوم عن آخرهم بالسيف . وتوجهوا باولاد الشيخ فخر الدين من هراة الى سمرقند^(٢) لان ملك التتر جنكز خان كان في ذلك الوقت بها وعنده علاء الملك قال: ولست اعلم ما تم لهم بعد ذلك .

أقول : كانت أكثر مقام الشيخ فخر الدين بالري ، وتوجه أيضاً الى بلدة خوارزم ومريض بها وتوفي في عتايبه ببلدة هراة ، وأمل في شدة مرضه وصية على تلميذه ابراهيم بن أبي بكر بن علي الاصفهاني ، وذلك في يوم الاحد الحادي والعشرين من شهر المحرم سنة ست وستائة . وامتد مرضه الى ان توفي يوم العيد غرة شوال من السنة المذكورة ، وانتقل الى جوار ربه رحمه الله تعالى . وهذه نسخة الوصية :

بسم الله الرحمن الرحيم

بقول العبد الراجي رحمة ربه الواتق بكرم مولاه ، محمد بن عمر بن الحسين الرازي وهو في آخر

١ « ولد في اقليم دولون ببلق ١١٥٥-١٢٢٧ » وهو من مشايخ امبراطورية المنيغالية وسلطان التتر . من اكبر جلاي العالم .
٢ « هي اليوم مدينة في الجمهورية الاوكرانية السوفياتية . وقد غويها قديماً جنكز خان . واستولى عليها تيمورلنك وجعل فيها كرسي ملكه وفيها قبره . »

عهده بالدنيا واول عهده بالآخرة ، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاس ، ويتوجه الى مولاه كل ابق : اني اُحد تامل بالحمد التي ذكرها اعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجههم ، ونطق بها أعظم انبيائه في أكمل أوقات مشاهدتهم ؛ بل أقول كل ذلك من نتائج الحدوث والامكان ، فاحمده بالحمد التي تستحقها الوهيته ، ويستوجبها لكلال الوهية ، عرفتها أو لم اعرفها لانه لا مناسبة لقرب مع جلال رب الارباب ؛ واصلي على الملائكة القربين ، والانبياء المرسلين ، وجميع عباد الله الصالحين . ثم اقول بمد ذلك : اعلموا اخواني في الدين ، وأخذائي في طلب اليقين . ان الناس يقولون الانسان اذا مات انقطع تعلقه عن الخلق ، وهذا العام بخصوص من وجهين : الاول انه ان بقي منه عمل صالح صار ذلك سبباً للدعاء ، والدعاء له أو عند الله . والثاني ما يتعلق بمصالح الاطفال والاولاد والموراث ، وأداء المظالم والجنبايات . اما الاول فاعلموا اني كنت رجلاً عباً للعلم فكنيت اكتب في كل شي شيئاً لا اقف على كمية وكيفية سواء كان حقاً أو باطلاً أو غناً أو سميناً . لا ارب الذي نظرتة في الكتب المتبرية لي ، ان هذا العالم المحسوس تحت تدبير مدبر منزّه عن بمائة المتحيزات والاعراض ، وموصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة . ولقد اخترت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم ، لانه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى ، ويبتعد عن التعمق في ايراد الممارضات والمناقضات . وما ذاك الا لئلا يأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل في تلك المضائق العميقة ، والمناهج الخفية فلماذا اقول :

كلما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحده وبراهنه عن الشركاء في القدم والازلية ، والتدبير والفعالية ، فذاك هو الذي أقول به وألقى الله تعالى به . واما ما انتهى الامر فيه الى النقة والغموض ، فكل ما ورد في القرآن والاخبار الصحيحة المتفق عليها بين الأمة المتبعين للمعنى الواحد ، فهو كما هو . والذي لم يكن كذلك اقول : يا الله العالمين اني ارى الخلق مطيعين عني انك اكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ، فلك ما مر به قلبي أو خطر ببالي فامشده عليك . وأقول : ان علت مني اني اردت به تحقيق باطل أو ابطال حق فافعل بي ما أنا أهله ؛ وان علت مني اني ما سميت الا في تكرر ما اعتقدت انه هو الحق ، وتصورت انه الصدق ، فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع جاسلي ، فذاك جهد القل ، وأنت اكرم من ان تضايق الضمير الواقع في الزلة . فاعشني ، وارحمني ، واسد زلتي ، وامح حوبي ، يا من لا يزيد ملكه عرفان المارقين ، ولا ينتقص بخطأ المجرمين . وأقول : ديني متناهية محمد سيد المرسلين وكتابي هو القرآن العظيم ، وتمويلي في طلب الدين عليها . اللهم يا سامع الاصوات ، ويا مجيب الدعوات ، ويا مقيل المعثرات ، ويا راحم المعيرات ، ويا قيام المحدثات والممكنات . ان كنت حسن الظن بك ، عظيم الرجاء في رحمتك ، وأنت قلت . أنا عند ظن العبد بي . وأنت قلت : أمن يجب المضطر اذا دعاه . وأنت قلت : واذا سألك عبادي عني فاني قريب . فهب أني ما جئت بشيء فأنت الغني الكريم ، وأنا المحتاج القم . وأعلم انه ليس لي احد سواك ، ولا اجد محسناً سواك ، وأنا معترف بإزالة والقصور ، والميب والقصور ، فلا تحجب رجائي ، ولا ترد دعائي ، واجعلني آمناً من عذابك قبل الموت وعند الموت وبعد الموت ، وسهل علي سكرات

الموت ، وخفف عني نزول الموت ، ولا تضيق علي بسبب الآلام والأسقام ، فأنت أرحم الراحمين .
وأما الكتب العلمية التي صنفتها أو استكثرت من إيراد السؤالات على المتقدمين فيها ، فمن نظر في شيء منها فإن طابت له تلك السؤالات فليذكرني في صالح دعائه ، على سبيل التفضل والانعام ، والا فليحذف القول السيئ فاني ما أردت الا تكثير البحث وتشجيع الخاطر ، واعتادي فيه على الله تعالى .

وأما المهم الثاني وهو اصلاح أمر الاطفال والمورث فاعتادي فيه على الله تعالى ، ثم على نائب الله محمد . اللهم اجعله قرين محمد الأكبر في الدين والعلو ، إلا ان السلطان الاعظم لا يمكنه ان يشتمل باصلاح مهيات الاطفال ، فرأيت الأولى ان افوض وصاية اولادي الى فلان ، وأمرته بتقوى الله تعالى ، فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

ومرد الوصية الى آخرها ، ثم قال :

وأوصيه ثم أوصيه ثم أوصيه بان يبلغ في تربية ولدي ابي بكر . فان آثار الذكاء والفطنة ظاهرة عليه ، ولعل الله تعالى يوصله الى خير . وأمرته وأمرت كل تلامذتي وكل من عليه حق اني اذا مت يباليون في اخفاء موتي ولا يخبرون احداً به ويكفونني ويدفونني على شرط الشرع ، ويجعلونني الى الجبل المصاقب لقرية مزداخان ، ويدفونني هناك ، واذا وضوني في القبر قرأوا علي ما قدروا عليه من آيات القرآن ، ثم يناثون القراب علي . وبعد الانعام يقولون : يا كريم جاهد الفقير المحتاج فاحسن اليه . وهذا منتهى وصيتي في هذا الباب ، والله تعالى للفعال لما يشاء ، وهو علي ما يشاء قدير ، وبالإحسان جدير .

ومن شعر فخر الدين بن الخطيب أنشدني بديع الدين البندمي مما سمعه من الشيخ فخر الدين بن خطيب الري لنفسه فمن ذلك قال :

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| وأكثر سعي المسالين ضلال | نهاية اقدام العقول عقال |
| وحاصل دنيا لا أذى وويل | وأرواحنا في عفة من جسمنا |
| سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا | ولم نستغف من بحثنا طول عمرنا |
| فبادوا جميعا مسرعين وزالوا | وكم قد رأينا من رجال ودولة |
| رجال فزالوا والجبال جبال | وكم من جبال قد علت شرفاتها |

(الطويل)

وأنشدني أيضاً قال ، الشندي المذكور لنفسه :

| | |
|-----------------------------|---------------------------------------|
| لما سبقت في المكرمات رجالها | فأرقمت نفسي بيسور بلغة ^(١) |
| لما استعقرت نقصانها وكألمها | ولو كانت الدنيا مناسبة لها |
| ولا أتوقى سوماها واختلالها | ولا أرمق الدنيا بعين كرامة |

«١» ما يكتلي من الميت ولا يفضل .

وذلك لاني عارف بفنائها
وروم أموراً يصغر الدهر عندها
ومستعين ترحالها وانحلالها
وتستظم الافلاك طرأ وصلها
(الطويل)

وأنشدني ايضاً قال : أنشدني المذكور لنفسه :
أرواحنا ليس تدري أين مذعبها
وفي التراب قواري هذه الجثث
كون يرى وفساد جاء يتبعه
الله أعلم ما في خلقه عبث
(الطويل)
نظر الى قوله عز وجل : « أفصبت أمّا خلقناكم عبثاً وانكم البنا لا ترجعون » .

وأنشدني بعض الفقهاء للشيخ فخر الدين بن الخطيب في تحذومه علاء الدين علي خوارزم شاه حين
كسر الفوري قال :

الدين بممدود الرواق موطنه
بمد علاء الدين والملك الذي
والليل قاري^(١) الدجّة أسود
أسد ولكن في المحافل سيد
في حمن راحته الخضم^(٢) المزبد
في طي لأمته^(٣) الهزير^(٤) اللبد
لا يدرك العلياء من لا يجهد
سناً تخيرها النبي محمد
والكفر لا يحصى فليست اعدد
خيل جياذ وهو منها اجود
فأطاعه الثقلان فهو مسود
صيد^(٥) الملوك وذاك عندي أسيد
لك في الزمان على الجياذ مفند
أفئدت أعداء الاله بسفل^(٦) الماضي شياه على المدة مهند

(١) لسبة الى الفار وهو مادة سوداء تطلق بها السفن قبل انما التفت .

(٢) البحر العظيم .

(٣) الدرع . (٤) الأسد (نور)

(٥) اسم حدة ملوك من بني سببان ويقصد بها هنا من طيب المعتقد .

(٦) اي داروس وهم اسم ثلاثة ملوك من ملوك فارس من سلالة الاخمينيين .

(٧) الاصل والحطب .

(٨) واسمها أسيد وهو الشامخ يرأسه كبراً وزمراً لا يلتفت تماطياً .

« مكلدا في جميع التسخ واعتقد انها يجب ان تكون بسيفك » .

أمروزقو ملك الزمان بأمره .
 لا شيء مثل علاك أنت الأوحده
 أشبهت ضحكك البلاد بسطوة
 ترحى وتخشى جرح قو وتسمده

(الكامل)

أقول وللشيخ فخر الدين أيضاً اشماراً كثيرة بالفارسي ودويت .

ولفخر الدين بن الخطيب من الكتب : كتاب التيسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب ، اثنتا عشرة مجلده بخطه الدقيق سوى الفاتحة ، فانه افرد لها كتاب تفسير الفاتحة مجلده . تفسير سورة البقرة على الوجه العقلي لا النقلي مجلد . شرح وبيز الغزالي ، لم يتم حصل منه المبادات والنكاح في ثلاث مجلدات . كتاب الطريقة العلانية في الخلاف اربع مجلدات . كتاب لوايح البينات في شرح اسماء الله تعالى والصفات . كتاب المحصول في علم اصول الفقه . كتاب في ابطال القياس . شرح كتاب المحصل للزنجشيري في النحو لم يتم . شرح سقط الزند ، لم يتم . شرح نهج البلاغة ، لم يتم . كتاب فضائل الصعابة . كتاب مناقب الشافعي . كتاب نهاية العقول في دراية الأصول ، مجلدان . كتاب المحصل ، مجلد . كتاب المطالب العالية ، ثلاث مجلدات ، لم يتم ، وهو آخر ما ألف . كتاب الاربعين في اصول الدين . كتاب العالم ، وهو آخر مصنفاته من الصغار . كتاب تأسيس التقيديس ، مجلد ، ألفه للسلطان الملك المعادل ابي بكر بن ايوب ، قبض له عنه ألف دينار . كتاب القضاء والقدر . رسالة الحديث . كتاب تمييز الفلاسفة ، بالفارسية . كتاب البراهين البهائية ، بالفارسية . كتاب الطوائف الفياتية . كتاب شفاء العبي والخلاف . كتاب الحلق والبعث . كتاب الحسين في اصول الدين . كتاب عمدة الانظار وزينة الافكار . كتاب الأخلاق . كتاب الرسالة الساجية . كتاب الرسالة الحمدية . كتاب عصمة الانبياء . كتاب المختص . كتاب المباحث الشرقية . كتاب الاشارات في شرح الاشارات . كتاب لباب الاشارات . شرح كتاب عيون الحكمة . الرسالة الكبالية في الحقائق الالهية ، ألها بالفارسية لجمال الدين محمد بن ميكايل ، ووجدت شيخنا الامام العالم تاج الدين محمد الارموي قد نقلها الى العربي في سنة خمس وعشرين وسبعمائة بدمشق . رسالة الجوهر الفرد . كتاب الرعاية . كتاب في الرمل . كتاب مصادر اقليدس . كتاب في الهندسة . كتاب نفثة المصدر . كتاب في ذم الدنيا . كتاب الاختبارات العلانية . كتاب الاختبارات الساجية . كتاب إحكام الأحكام . كتاب الموسوم في السر المكتوم . كتاب الرياض المونقة . رسالة في النفس . رسالة في النبوات . كتاب الملل والنحل . منتخب كتاب فنكاوشا . كتاب مباحث الوجود . كتاب نهاية اليعجاز في دراية الاعجاز . كتاب مباحث الجدل . كتاب مباحث الحدود . كتاب الآيات البينات . رسالة في التنبيه على بعض الاسرار المودعة في بعض سور القرآن العظيم . كتاب الجامع الكبير ، لم يتم . ويعرف أيضاً بكتاب الطب الكبير . كتاب في النبض ، مجلد . شرح كليات القانون ، لم يتم ، وألفه للحكيم ثقة الدين عبد الرحمن بن عبد الكرم السرخسي . كتاب التشريع من الرأس الى الخلق ، لم يتم . كتاب الاشربة . مسائل في الطب . كتاب الزبدة . كتاب للفراصة .

القطب المصري

هو الامام قطب الدين ابراهيم بن علي بن محمد السلي ، وكان اصله مغريباً وانما انتقل الى مصر وأقام بها مدة ، ثم سافر بعد ذلك الى بلاد المجمع . واشتغل على فخر الدين بن خطيب الري واشتهر هناك ، وكان من اجل تلامذة ابن الخطيب وأميزهم . وصنف كتباً كثيرة في الطب والحكمة ، وشرح الكليات بأسرها من كتاب القانون لابن سينا . ووجدته في كتابه هذا بفضل المسيحي وابن الخطيب على الشيخ ابي علي بن سينا ، وهذا نص قوله قال :

والمسيحي اعلم بصناعة الطب من الشيخ ابي علي فان مشايخنا كانوا يرجعونهم على جمع عظيم من هم افضل من ابي علي في هذا الفن . وقال ايضاً : وعبارة المسيحي اوضح وأبين بما قاله الشيخ وغرضه في كتبه تلييد العبارة من غير فائدة . وقال في تفضيل ابن الخطيب على الشيخ الرئيس : فهذا مما تتدخل من كلام الامامين العظيمين الامام المتقدم ، والامام المتأخر عنه زماناً ، اراجع عليه علماً وعلاً واعتقاداً ومذهباً . وقتل القطب المصري بمدينة نيسابور ، وذلك عندما استولى التتر على بلاد المجمع وقتلوا اهلها ، فكان من جملة القتلى بنيسابور .

والقطب المصري من الكتب : شرح الكليات من كتاب القانون للشيخ الرئيس ابن سينا .

السموأل

هو السموأل بن يحيى بن عباس المغربي ، كان فاضلاً في العلوم الرياضية عالماً بصناعة الطب ، وأصله من بلاد المغرب ، وسكن مدة في بغداد ، ثم انتقل الى بلاد المجمع ولم يزل بها الى آخر عمره ، وكان ابوه ايضاً يشدو شيئاً من علوم الحكمة ، ونقلت من خط الشيخ موفق الدين عبد الطيف بن يوسف البغدادي قال : هذا السموأل شاب بغدادى كان يهودياً ثم اسلم ، ومات شاباً براءة وبلغ في المحدثات مبلغاً لم يصله احد في زمانه . وكان حاد الذهن جداً ، بلغ في الصناعة الجبرية الغاية القصوى . وأقام يدير بكر وآذربيجان ، وله رسائل في الجبر والمقابلة يرد فيها على ابن الحشاش النحوي . وذلك ان ابن الحشاش كان معاصره ، وكان لابن الحشاش مشاركة في الحساب ، ونظر في الجبر والمقابلة . وقال الصاحب جمال الدين بن القفطي ان السموأل هذا لما اتى الى المشرق ارحل منه الى آذربيجان ، وخدم بيت البهلوان وامراء دولتهم . وأقام بمدينة المراغة وأولد اولاداً هناك سلكوا طريقته في الطب . وارجل الى الموصل ودير بكر واسلم فحسن اسلامه ، وصنف كتاباً في اظهار معاييب اليهود ، وكذب معاجم في التوراة وموضع الدليل على تبديلها ، واحكم ما جمعه في ذلك ، ومات بالمراغة قريباً من سنة سبعين وخمسة .

والسموأل بن يحيى بن عباس المغربي من الكتب : كتاب المفيد الاوسط في الطب صنفه في سنة

اربع وستين وخمسة ببغداد الوزير مؤيد الدين ابي اسمعيل الحسين بن محمد بن الحسن بن علي . رسالة الى ابن خلدون في مسائل حسابة جبر ومقابلة . كتاب اعجاز المهندسين ، صنفه لنجم الدين ابي الفتح شاه غازي ملك شاه بن طغرل بك ، وفرغ من تصنيفه في صفر سنة سبعين وخمسة . كتاب الرد على اليهود . كتاب القوامي في الحساب الهندي ، ألفه في سنة ثمان وستين وخمسة . كتاب المثلث القائم الزاوية ، وقد احسن في تمثيله وتشكيكه ، صنفه لرجل من اهل حلب يدعى الشريف . كتاب المنبر في مساحة اجسام الجواهر المختلطة لاستخراج مقدر مجهولها . كتاب في المياه .

بدر الدين محمد بن يهرام بن محمد القلانسي السمرقندي

مجيد في صناعة الطب ، وله عناية بالنظر في معالجات الامراض ومداواتها . وله من الكتب : كتاب الاقرباذين ، وهو تسمية واربعون باباً قد استوعب فيه ذكر ما يحتاج اليه من الادوية المركبة ، وجمع اكثر ذلك من الكتب المتعمد عليها كثيراً مثل القانون ، والهاوي والكامل ، والمنصوري ، والنخيرة ، والكفاية ، وذكر انه قد اورد مع ذلك ايضاً ذرواً من لسغ الامام العالم قوام الدين صاعد المهني ومن لسغ الامام شرف الزمان المايرسامي .

نجيب الدين ابو حامد محمد بن علي بن عمر السمرقندي

طبيب فاضل بارع وله كتب جليلة وتصانيف مشهورة ، وقتل مع جملة الناس الذين قتلوا بمدينة هراة لما دخلها التتر ، وكان معاصراً لفخر الدين الرازي بن الخطيب . ولنجيب الدين السمرقندي من الكتب : كتاب اغذية المرضى وقسمه على حسب ما يحتاج اليه في التنفيذ لكل واحد من سائر الامراض . كتاب الاسباب والعلامات ، جمعه لنفسه ونقله من القانون لابي علي بن سينا ، ومن المعالجات البقراطية وكامل الصناعة . كتاب الاقرباذين الكبير . كتاب الاقرباذين الصغير .

الشريف شرف الدين اسمعيل

كان طبيباً عالي القدر ، وافر العلم ، وجيهاً في الدولة . وكان في خدمة السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه . وله منه الانعام الوافر والمرتبة المكنية . وكان له مقر على السلطان في كل شهر ألف دينار ، وكانت له معالجات بديمة وآثار حسنة في صناعة الطب . وتوفي في ايام خوارزمشاه بمدينة * بعد ان عمر . وله من الكتب : كتاب النخيرة الخوارزم شاهية في الطب ، بالفارسي ، اثنا عشر مجلداً . كتاب الاغراض في الطب ، بالفارسي : مجلدات . كتاب يادكار في الطب ، بالفارسي ، مجلد ألفه لخوارزم شاه .

* يباح بالاسم .

الباب الثاني عشر

طبقات الأطباء الذين كانوا من الهند

كنهه الهندي

حكيم بارع من متقدمي حكماء الهند^(١) وأكبرهم ، وله نظر في صناعة الطب وقوى الأدوية وطبائع المولدات وخواص الموجودات ، وكان من اعلم الناس بيضة العالم وتركيب الافلاك وحركات النجوم . وقال أبو مشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي في كتاب الالف : ان كنهه هو المقدم في علم النجوم عند جميع الملأه من الهند في سالف الدهر .
ولكنه من الكتب : كتاب النموذار في الاعار . كتاب اسرار المواليد . كتاب القراءات الكبير . كتاب القراءات الصغير . كتاب الطب وهو يجري مجرى كناش . كتاب في التوم . كتاب في احداث العالم والدور في القران .

صنجل

كان من علماء الهند وفضلاتهم الجيدين ب علم الطب والنجوم .
ولصنجل من الكتب : كتاب المواليد الكبير .

وكان من بعد صنجل الهندي جماعة في بلاد الهند ولهم تصانيف معروفة في صناعة الطب وفي غيرها من العلوم مثل باكر ، راسه ، صكة ، داهر ، انكرزكل ، جيه ، اندى ، جارى ، كل هؤلاء اصحاب تصانيف ، وهم من حكماء الهند واطبائهم ولهم الاحكام الموضوعة في علم النجوم ، والهند تشتغل بمؤلفات هؤلاء فبا بينهم ويقتدون بها ويتناقلونها وقد نقل كثير منها الى اللغة العربية . ووجدت الرازي قد نقل في كتابه الحاوي وفي غيره عن كتب جماعة من الهند مثل كتاب شرك الهندي وهذا الكتاب فسر عبد الله بن علي من الفارسي الى العربي لانه أولا نقل من الهندي الى الفارسي ؛ وعن

كتاب سسرده ، وفيه علامات الادواء ومعرفة علاجها وادويتها وهو عشر مقالات ، أمر يحيى بن خالد بتفسيره ، وكتاب بدان في علامات أربعمائة وأربعة أدواء ومعرفتها بغير علاج ، وكتاب سندھشان وتفسيره ، وكتاب صورة النجم ، وكتاب فيا لاختلف فيه الهند والروم في الحار والبارد وقوى الادوية وتفصيل السنة ، وكتاب تفسير اسماء العقار بأسماء عشرة ، وكتاب اسانكر الجامع ، وكتاب علاجات الحبالى للهند ، وكتاب مختصر في العقاقير للهند ، وكتاب نوقشل ، فيه مائة داء ومائة دواء ، وكتاب روسي الهندية في علاجات النساء ، وكتاب السكر للهند ، وكتاب رأي الهندى في أجناس الحيات وسحومها ، وكتاب التوم في الامراض والملل لابي قبيل الهندى .

شافاق

ومن المشهورين ايضا من اطباء الهند شافاق . وكانت له معالجات وتجارب كثيرة في صناعة الطب ولفنن في العلوم وفي الحكمة ، وكان بارعا في علم النجوم حسن الكلام متقدما عند ملوك الهند . ومن كلام شافاق قال في كتابه الذي سماه متتل الجوهر :

يا ايها الوالي اتى عفات الزمان ، واخش تسلط الامام ولوعة غلبة الدهر . واعلم ان الاعمال جزاء ، فاتق حوائق الدهر والايام فان لها غدرات ، فكن منها على حذر ، والاقدار مفنيات فاستمد لها ، والزمان منقلب فاحذر دولته ، لئلا الكرة ففخ سقطته ، سريع الفرة فلا تأمن دولته . واعلم أن من لم يداو نفسه من سقام الآلام في أيام حياته لما أبعد من الشفاء في دار لا دواء لها ، ومن أذل حواسه واستبعد لها فيما تقدم من خير لنفسه أيان فضله وأظهر نبهه ، ومن لم يضبط نفسه وهي واحدة لم يضبط حواسه وهي خمس . فاذا لم يضبط حواسه مع قلتها وذلتها صعب عليه ضبط الأعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم ، فكانت عامة الرعية في أقاصي البلاد وأطراف المملكة أبعد من الضبط .

ولشافاق من الكتب : كتاب السموم ، خمس مقالات ، فسر من اللسان الهندى الى اللسان الفارسي منكه الهندى ، وكان المتولي لنقله بالخط الفارسي رجل يعرف بأبي حاتم البلخي فسر له يحيى بن خالد ابن برمك ، ثم نقل للأموون على يد العباس بن سعيد الجرهرى مولاه ، وكان المتولي قراءته على الأموون . كتاب السيطرة . كتاب في علم النجوم . كتاب المتتل الجوهر ، وألفه لبعض ملوك زمانه ، وكان يقال لذلك الملك ابن قانص الهندى .

جودر

حكيم فاضل من حكماء الهند وعلمائهم متميز في أيامه ، وله نظر في الطب وتصانيف في العلوم الحكمة .

وله من الكتب : كتاب المواليد ، وهو قد نقل الى العربى .

منكه الهندي

كان عالماً بصناعة الطب حسن المعالجة ، لطيف للتدبير فيلسوفاً ، من جملة المشار اليهم في علوم الهند متقناً للغة الهند ولغة الفرس ، وهو الذي نقل كتاب شافان الهندي في السموم من اللغة الهندية إلى الفارسي وكان في أيام الرشيد هرون ، وسافر من الهند إلى العراق في أيامه ، واجتمع به ودواوه .

ووجدت في بعض الكتب ان منكه الهندي كان في جملة اسحق بن سليمان بن علي الهاشمي ، وكان ينقل من اللغة الهندية الى الفارسية والعربية . ونقلت من كتاب « أخبار الخلفاء والبرامكة » : ان الرشيد اعتل علة صعبة فمالجه الأطباء فلم يجد من علته افاقة . فقال له أبو عمر الاهجمي بالهند طبيب يقال له منكه ، وهو أحد عبادهم وفلاسفتهم ، فلو بعث اليه أمير المؤمنين لفلل أن يب له الشفاء على يده . قال فوجه الرشيد من حله ووصله بصفة ثمينه على سفره ، فقدم وعالج الرشيد فبرأ من علته بعلاجه . فأجرى عليه رزقاً واسعاً وأموالاً كافية . قال ، فيينا منكه ماراً في الحسا اذا هو برجل من المائتين قد بسط . كساه وألقى عليه عفاقر كثيرة ، وقام يصف دواءً عنده ، فقال في صفته هذا دواء للحمى الدائمة وحى الغب^(١) وحى الربيع^(٢) ولوجع الظهر والركبتين والحام واللبواسير^(٣) والربح ووجع المفاصل ووجع العينين ، ولوجع البطن والصداع والشقيقة^(٤) ولتطهير البول والفالج والارتعاش ، ولم يدع حلة في البدن إلا ذكر ان ذلك النواء شافوها . فقال منكه لثريانه : ما يقول هذا ؟ فترجم له ما سمع فتبسم منكه وقال : على كل حال ملك العرب جاهل ، وذلك انه ان أت كان الامر على ما قال هذا ، فلم حلني من بدني وقطعتني عن أهلي وتكلف الغليظ من مؤونتي وهو يجد هذا نصب عينه وبإزائه ؟ وان كان الامر ليس كما يقول هذا فلم لا يقتله ؟ فان الشرمة قد أباحت دم هذا ومن اشبهه ، لأنه ان قُتل ما هي الا نفس تحيا بفنائها أنفس خلق كثير ، وان ترك وهذا الجبل قتل في كل يوم نفساً . وبالبحري أن يقتل اثنين وثلاثة وأربعة في كل يوم ، وهذا فساد في الدين ووهن في المملكة

صالح بن جملة الهندي

متميز من علماء الهند ، وكان خبيراً بالمملكات التي لهم ، وله قوة وانذارات في تقدمه المعرفة . وكان بالعراق في أيام الرشيد هارون . قال أبو الحسن يوسف بن ابراهيم الحاسب المعروف بابن الدابة : حدثني أحمد بن رشيد الكاتب ، مولى سلام الأبرش ، ان مولاه حدثه ، ان الموائد قدمت بين يدي الرشيد في بعض الايام وجبرائيل بن مجتئشوع غائب ، فقال لي أحمد قال ابو سلمة ، يعني مولاه .

(١) التي تنوب يوماً بعد يوم .

(٢) هي التي تنوب ثلاثة أيام وثلاثي في الربيع .

(٣) داء في المقعدة مسبب عن تعد اللزوق فيها بحيث ترقأ دمويًا .

(٤) وجع يصيب نصف الرأس .

فأمرني أمير المؤمنين بطلب جبرائيل ليحضر أكله على عادته في ذلك ، فلم أدر منزلًا من منازل الولد ، ومن كان يدخل إليه جبرائيل من الحرم إلا طلبته فيه ، ولم أقع له على أثر . فاعتلت أمير المؤمنين بذلك ، فطفق يلتمنه ويقذفه ، إذ دخل عليه جبرائيل والرشيدي على تلك الحال من قذفه ولتمنه . فقال له : لو اشتغل أمير المؤمنين بالبكاء على ابن عمه إبراهيم بن صالح ، وترك ما فيه من تناولي بالسب لكان أشبه . فسأله عن خبر إبراهيم ، فأعلمه أنه خلفه وبه رمق ينتقضي بآخرة وقت صلاة العتمة ، فاشتد جزع الرشيدي لما أخبره به وأقبل على البكاء . وأمر برفع الموائد فرفعت ، وكثر ذلك منه حتى رحمه مما نزل به جميع من حضر .

فقال جعفر بن يحيى يا أمير المؤمنين : ان طب جبرائيل طب رومي وصالح بن بهته الهندي في العلم بطريقة أهل الهند في الطب مثل جبرائيل في العلم بمقالات الروم ، فان رأى أمير المؤمنين انت يأمر بأحضاره وتوجيهه الى إبراهيم بن صالح لتفهم عنه ما يقول مثل ما قمنا عن جبرائيل ، فقل . فأمر الرشيدي جمعاً بأحضاره وتوجيهه والمصير به إليه ، وردّه بعد منصرفه من عنده ، ففعل ذلك جعفر ، ومضى صالح الى إبراهيم حتى عاينه وجس عرقه وصار الى جعفر وسأله عما عنده من العلم ، فقال لست أخبر بالخبر غير أمير المؤمنين ، فاستعمل جعفر مجوده بصالح ان يخبره بحيلة من الخبر فلم يجب له ذلك . ودخل جعفر على الرشيدي فآخبره بمحضور صالح وامتناعه عن أخباره بما عاين ، فأمر بأحضار صالح ، فدخل ثم قال : يا أمير المؤمنين أنت الامام ، وعائد ولاية القضاء للحكام ، ومها حكمت به لم يميز لحاكم فسخره ، وأنا أشهدك يا أمير المؤمنين وأشهد على نفسي من حضرك ان إبراهيم ابن صالح ان توفي في هذه الليلة أو في هذه الليلة ان كل مملوك لصالح بن بهته احرار لوجه الله ، وكل دابة له فحيس في سبيل الله ، وكل مال له فصدقة على المساكين ، وكل امرأة له فطلاق ثلاثاً بتاتاً . فقال له الرشيدي : خلقت ويمك يا صالح على غيب . فقال صالح : كلا يا أمير المؤمنين ، انما الغيب ما لا علم لاحد به ، ولا دليل له عليه ، ولم أقل ما قلت الا بعلم واضح ودلائل بينة . قال أحد بن رشيد ، قال لي أبو سلمة : فسرني عن الرشيدي ما كان يحمد وطعم ، واحضر له الشراب فشرب . ولما كان وقت صلاة العتمة ورد كتاب صاحب البريد بمدينة السلام يخبر ب وفاة إبراهيم بن صالح على الرشيدي فاسترجع وأقبل على جعفر بن يحيى بالوم في ارشاده اياه الى صالح بن بهته . وأقبل يلتمن الهند وطبهم ويقول واسوءاه من الله ان يكون ابن عمي يتجرع غصص الموت ، وأنا اقرب التنبذ ! ثم دعا برطل من التنبذ بالماء وألقى فيه شيئاً من ملح ، وأخذ يشرب ويتقيأ حتى قذف ما كان في جوفه من طعام وشراب ، ويكر الى دار إبراهيم فقصده خدمه بالرشيدي الى رواق على مجلس لإبراهيم على بين الرواق ويصاره فرأشاه بكراسيها ومتكئاتها ومساندها ، وفيها بين الفراشين غمارق فلانكا الرشيدي على سيفه ووقف وقال : لا يحسن الجفوس في الحسبية بالاحبة من الامل على أكثر من البسط ، ارفقوا هذه الفرش والبارقي ففعل ذلك الفراشون وجلس الرشيدي على البساط ، فصارت سنة لبني العباس من ذلك اليوم ، ولم تكن قبله ، ووقف صالح بن بهته بين يدي الرشيدي فلم يناطقه احد ان سطلت روائع الجمار ، فصاح عند ذلك صالح : الله الله يا أمير المؤمنين ان تحمك علي بطلاق زوجتي فتزجعا وتروجها

غيري وإنا رب الفرج المستحق له ، وتنكحها من لا تحمل له ، والله إله ان نخرجني من نعمتي ولم يلزمي سحت ، والله إله ان تدفن ابن عمك حياً ، فوالله يا أمير المؤمنين ما مات ، فاطلق لي الدخول عليه والنظر اليه ؟ وهتف بهذا القول مرات ، فاذن له بالدخول على ابراهيم وحده .

قال أحد ، قال لي ابو سلمة : فاقبلنا نسمع صوت ضرب بدن بكف ، ثم انقطع عنا ذلك الصوت ، ثم سمعنا تكبيراً فخرج إلينا صالح وهو يكبر ثم قال : قم يا أمير المؤمنين حتى أريك صعباً . فدخل اليه الرشيد وأنا ومسرور الكبير ، وأبو سليم معه ، فخرج صالح ابرة كانت معه فادخلها بين ظفر إبهام يده اليسرى ولحمه ، فجذب ابراهيم بن صالح يده وردعا الى بدنه . فقال صالح يا أمير المؤمنين هل يحس الميت بالوجع ؟ فقال الرشيد : لا ، فقال له صالح : لو شئت ان يكلم أمير المؤمنين الساعة لكلمه . فقال له الرشيد : فأنا أسألك ان تعمل ذلك ا فقال : يا أمير المؤمنين أخاف ان عاجلته وأفارق وهو في كفن فيه رائحة الحنوط ان ينصدح قلبه فيموت موتاً حقيقياً ، فلا يكون لي في أحيائه حيلة ، ولكن يا أمير المؤمنين تأمر بتجريدته من الكفن ورده الى المفصل وإعادة الغسل عليه حتى تزول رائحة الحنوط عنه ، ثم يلبس مثل ثيابه التي كان يلبسها في حال صحته وعفته . ويطيب بمثل ذلك الطيب ويحول الى فراش من فرش التي كان يجلس وينام عليها ، حتى أعاجله بمحضرة أمير المؤمنين ، فانه يكلمه من ساعته . قال أحد ، قال ابو سلمة : فوكاني الرشيد بالعمل بما حده صالح ، ففعلت ذلك . ثم صار الرشيد وأنا معه ومسرور وأبو سليم وصالح الى الموضع الذي فيه ابراهيم ، ودعا صالح بن بهلة يكنس^(١) ومنفحة من الخزانة ونفخ من الكندس في انفه فكنت مقدار ثلث ساعة ، ثم اضطرب بدنه وعطس وجلس قدام الرشيد ، وقبل يده وسأله عن قصته ، فذكر انه كان دائماً نوماً لا يذكر انه نام مثله قط طيباً إلا انه رأى في منامه كلباً قد أهوى اليه فتوقاه بيده ، فعض إبهام يده اليسرى عضه انكبه وهو يحس وجعها ، وأراه إبهامه التي كان صالح ادخل فيها الابرة . وعاش ابراهيم بعد ذلك دهراً ثم تزوج العباسة بنت المهدي ، وولي مصر وفلسطين وقرقي بصر وقبره بها .

الباب الثالث عشر

طبقات الأطباء الذين ظهروا في بلاد المغرب وأقاموا بها

اسحق بن عمران

طبيب مشهور وعالم مذكور ويعرف باسم ساعة . وقال سليمان بن حسان المعروف بابن جليل : ان اسحق بن عمران مسلم النخعة ، وكان بغدادى الاصل ، ودخل افريقية في دولة زيادة الله بن الاغلب التميمي^(١) وهو استعجله وأعطاه شروطاً ثلاثة لم يف له بأحدها . بعث اليه عند وروده عليه راحة أفقته وألف دينار لنفقاته ، وكتاب امان بخط يده انه متى أحب الانصراف الى وطنه انصرف . وبه ظهر الطب بالمغرب وعرفت الفلسفة . وكان طبيباً حاذقاً متميزاً بتأليف الادوية المركبة بصيراً بترقية المال ، أشبه الاوائل في علمه وجودة قريحته . استوطن القيروان^(٢) حيناً ، وألف كتباً منها كتابه المعروف بنزعة النفس ، وكتابه في داء المالتفوليا لم يسبق الى مثله ، وكتابه في الفصد ، وكتابه في النبض .

ودارت له مع زيادة الله بن الاغلب محنة اوجبت الرجدة بينها ، حتى صلبه ابن الاغلب . وكان اسحق قد استأذنه في الانصراف الى بغداد فلم يأذن له ، وكان اسحق يشاهد اكل ابن الاغلب فيقول له : كل هذا ، ودع هذا . حتى ورد على ابن الاغلب حدث يهودي اندلسي فاستقره وخف عليه ، وأشهده اكله فكان اسحق اذا قال له اترك هذا لا تأكله قال الاسرائيلي يصعب عليك . وكان بابن الاغلب علة اللسمة ، وهي ضيق النفس ، فقدم بين يديه لبناً مريئاً فهم يأكله ، فنهاه اسحق ، وسهل عليه الاسرائيلي ، فواقفه بالاكل فمرضه له في الليل ضيق النفس

(١) من ملوك الاغالبية السليين (٨١٢ - ٨٣٨) قاعدة حكمه القيروان . وهو الذي بنى جامع القيروان الكبير . وغزا مرات عديدة القواطع الأوروبية .

(٢) مدينة في تونس مشهورة بسجسها كانت عاصمة افريقية وبلغت اوج عزها على أيام الملوك الاغالبية (ن. د.)

حتى اشرف على الهلاك ، فارسل الى اسحق . وقيل له هل عندك من علاج ؟ فقال قد نيتي فلم يقبل مني ، ليس عندي علاج . فقبل لاسحق هذه خمسةة مثقال وعاجله فأبى حتى بلغ الى ألف مثقال ، فأخذها وأمر بأحضار الثلج وأمره بالأكل منه حتى تملأ ، ثم قبأه فخرج جميع اللبن قد تجبن ببرد الثلج . فقال اسحق : أيها الأمير لو دخل هذا اللبن الى أظبيب رثلك ولج^(١) فيها اهلكك بضعة النفس ، لكنني اجهدته وأخرجته قبل وصوله . فقال زيادة الله : باع اسحق روحي في البدء أقطعوا رزقه . فلما قطع عنه الرزق خرج الى موضع فصيح من رحاب القيروان ، ووضع هنالك كرسيًا ودواة وقرطيس فكان يكتب الصفات كل يوم بطنشير . فقبل لزيادة الله عرضت لاسحق القنى ، فأمر بضمه الى السجن ، فتيهه الناس هنالك . ثم أخرجه بالليل الى نفسه وكانت له معه حكايات ومعاتبات احقنته عليه لفرط جوروه وسخف رأيه . فأمر بفصده في ذراعيه جيماً وسال دمه حتى مات ثم أمر به فصلب ومكث مصلوباً زماناً طويلاً حتى عشن في جوفه طائر . وكان مما قال لزيادة الله في تلك الليلة : والله انك لتدعي بسيد العرب ، وما أنت لها بسيد ، ولقد سقيتك منذ دهر دواء ليعفن في علك ، وكان زيادة الله مجنوناً فتمخل ومات .

ولاسحق بن عمران من الكتب : كتاب الادوية المفردة . كتاب النعصر والثيام في الطب . مقالة في الاستسقاء . مقالة وجيزة كتب بها الى سعيد ابن توفيل المتطبب في الابانة عن الاشياء التي يقال انها تشفي الامقام ، وفيها يكون البرء ، مما أراد التحافه به من فوائد الطب ولطائف الحكمة . كتاب زهرة النفس . كتاب في المالتخوليا . كتاب في النصد . كتاب في التنبض . مقالة في علل القولنج وأنواعه وشرح أدويته وهي الرسالة التي كتب بها الى العباس وكيل ابراهيم بن الاغب . كتاب في البول من كلام ابقراط وجالينوس وغيرها . كتاب جمع فيه أقاويل جالينوس في الشراب . مسائل له مجموعة في الشراب على معنى ما ذهب اليه ابقراط وجالينوس في المقالة الثالثة من كتاب تدبير الامراض الحادة وما ذكر فيها من الحجر . كلام له في بياض المعدة ورسوب البول وبياض المنى .

اسحق بن سليمان

الاسرائيلي ، كان طبيباً فاضلاً بليفاً عالماً مشهوراً بالحدق والمعرفة ، جيد التصنيف عالي الامة ، ويكنى أبا يعقوب . وهو الذي شاع ذكره وانتشرت معرفته بالاسرائيلي . وهو من أهل مصر ، وكان يكمل من أوليته . ثم سكن القيروان ولزم اسحق بن عمران وتلقاه ، وخدم الامام أبا محمد عبيد الله المهدي^(٢) صاحب افريقية بصناعة الطب . وكان اسحق ابن سليمان مع فضله في صناعة الطب بصيراً بالنتطق ، متصرفاً في ضروب المعارف . وعمر عمراً طويلاً الى ان نيف على مائة سنة ،

(١) تشب .

(٢) اول الخلفاء الفاطميين (٩٠٩ - ٩٤٤) هاجر من سببه حص الى المغرب واعلن عن نفسه انه الهندي وطرد منها الاغالبة وفتح مصر واقام بمراكش . وغزا مالطة وسفيلة ومردية والباليار . وهو الذي اسس في القيروان عاصمته المهدي .

ولم يتخذ امرأة ولا أعقب ولداً. وقيل له أيسرك ان لك ولداً؟ قال: اما اذا صار لي كتاب الحيات، فلا . يعني ان بقاء ذكره بكتاب الحيات أكثر من بقاء ذكره بالولد .

ويروى انه قال : لي أربعة كتب تحمي ذكري أكثر من الولد وهي كتاب الحيات ، وكتاب الاغذية والادوية وكتاب البول ، وكتاب الاسطوانات وتوفي قريباً من سنة عشرين وثلاثمائة .

وقال أحمد بن ابراهيم بن أبي خالد المعروف بابن الجزار^(١) في كتاب « أخبار الدولة » يعني ابتداء دولة الامام أبي محمد عبيد الله المهدي الذي ظهر من المغرب: حدثني اسحق بن سليمان المتطبب قال : لما قدمت من مصر على زيادة الله بن الاغلب وجدته مقبياً بالجيش في الأريس فرحلت اليه ، فلما بلغه قدومي قد كان بنث في طلي وأرسل إلي بخصائصة دينار وتقويت بها على السفر ، فأدخلت اليه ساعة وصولي فسلت بالامرة، وفعلت ما يجب ان يفعل للملوك من التعمد ، فرأيت مجلسه قليل الوقار والغالب عليه حب الله، وكل ما حرك الضحك، فابتدأني بالكلام ابن خنيس المعروف بالوفاقي فقال لي: تقول ان الملوحة تجلو ؟ قلت : نعم . قال: وتقول ان الخلوة تجلو ؟ قلت: نعم. قال لي: فالخلوة هي الملوحة، والموحة هي الخلوة فقلت : ان الخلوة تجلو بطف وملاءمة ، والموحة تجلو بمنف . فتأدى على المكابرة وأحب المغالطة . فلما رأيت ذلك قلت له : تقول أنت حي ؟ قال : نعم . قلت : والكلب حي ؟ قال : نعم . قلت : فانت الكلب والكلب انت . فضحك زيادة الله ضحكاً شديداً ، فعلمت ان رغبته في الهزل أكثر من رغبته في الجد . قال اسحق : فلما وصل ابو عبد الله^(٢) داعي المهدي الى رقادة^(٣) اداني وقرب منزلي ، وكانت به حصة في الكلي ، وكنت اعالجه بدواء فيه العقارب المحرقة . فجلست ذات يوم مع جماعة من كتامة^(٤) فسالوني عن صنوف من الملل ، فكلمنا أجبتهم فلم يفقهوا قولي . فقلت لهم : انما أنتم بقر وليس معكم من الانسانية الا الاسم . فبلغ الخبر الى ابي عبد الله فلما دخلت اليه قال لي : تقابل اخواننا المؤمنين من كتامة بما لا يجب ، وبالله الكريم لولا انك عذرنا بانك جاهل بمقهم ، وبقد ما صار اليهم من معرفة الحق وأهل الحق لأخربن عنقك . قال لي اسحق: فرأيت رجلاً شانه الجد فيما قصد اليه وليس للهزل عنده سوق .

ولاسحق بن سليمان من الكتب : كتاب الحيات ، خمس مقالات ، ولم يوجد في هذا المعنى كتاب أجود منه ، ونقلت من خط ابي الحسن علي بن رضوان عليه ما هذا مثاله اقول : أنا علي بن رضوان الطيب ان هذا الكتاب نافع وجمع رجل فاضل ، وقد حملت بكثير مما فيه فوجدته لا مزيد عليه ، وبالله التوفيق والمعونة . كتاب الادوية المفردة والأغذية . كتاب البول اختصار كتابه في البول . كتاب الاسطوانات . كتاب الحدود والرسوم . كتاب يستان الحكيم وفيه مسائل من العلم الالهي .

(١) سيأتي ذكره تالياً . (ن.د)

(٢) القنبر او القنبري ولد في سنة ٢٠٠هـ وقيل انه كان عسكرياً في العراق . سار من مكة مع الحجاج البهر الى بلادهم واعلن فيها ظهور المهدي عبيد الله . وتوفي سنة ٢٩١هـ .

(٣) قاعدة الامراء الاغلبية في افريقيا كالقنطرة جنوب النوبة .

(٤) هي مركز بني كتامة من بلاد البهر (ن.د)

كتاب المدخل الى المتعلق . كتاب المدخل الى صناعة الطب . كتاب في النبض . كتاب في الترياق .
كتاب في الحكمة ، وهو احد عشر ميمراً .

ابن الجزار

هو ابو جعفر احمد بن ابراهيم بن ابي خالد، ويعرف بابن الجزار من اهل القيروان طبيب ابن طبيب وعده ابو بكر طيب وكان ممن لقي اسحق بن سليمان وصحبه وأخذ عنه . وكان ابن الجزار من اهل الحفظ والتطلع والدراسة للطب وسائر العلوم ، حسن الفهم لها . وقال سليمان بن حسان المعروف بابن جليل : ان احمد بن أبي خالد كان قد أخذ لنفسه مأخذاً عصبياً في سمته وهدبه وتعمده ولم يحفظ عنه بالقيروان زلة قط ، ولا أخذ الى لذة . وكان يشهد الجنائز والمراثي ، ولا يأكل فيها ، ولا يركب قط الا اسد من رجال أفريقية ولا الى سلطانهم الا إلى أبي طالب عم معد ، وكان له صديقاً قديماً ، فكان يركب اليه يوم جمعة لا غير . وكان ينفض في كل عام الى رابطة على البحر المستنير ، وهو موضع مرابطة مشهور البركة ، مذكور في الاخبار ، على ساحل البحر الرومي ، فيكون هنالك طول أيام القيظ ، ثم ينصرف الى افريقية . وكان قد وضع على باب داره سقفة اقمده فيها غلاماً له يسمى برشيق ، أعد بين يديه جميع المعجونات والاشربة والادوية ، فاذا رأى القوارير بالقداء أمر بالمجوار الى القلعة وأخذ الادوية منه نزاهة بنفسه ان يأخذ من أحد شيئاً . قال ابن جليل ، حدثني عنه من أتى به فقال : كنت عنده في مدينته وقد غص بالناس اذ أقبل ابن أخي النعمان^(١) القاضي وكان حدثاً جليلاً بأفريقية يستخلفه القاضي اذا منعه مانع عن الحكم ، فلم يجد في السليط موضعاً يجلس فيه إلا مجلس أبي جعفر ، فخرج أبو جعفر فقام له ابن أخي القاضي على قدم لما اقمده ولا اتزله ، وأراه قارورة ماء كانت معه لابن عمه ولد النعمان . واستوفى جوابه عليها وهو واقف ثم نهض وركب وما كدح ذلك في نفسه ، وجعل يتكرر اليه بالماء في كل يوم حتى يرى العليل . قال ، قال الذي حدثني : فكنت عنده ضعوة نهار اذ أقبل رسول النعمان القاضي بكتاب شكره فيه علي ما قرئ من علاج ابنه ، ومعه منديل بكسوة وثلاثمائة مثقال . فقرأ الكتاب وجوابه شاكرأ ، ولم يقبض المال ولا الكسوة ، فقلت له : يا أبا جعفر رزق ساقه الله البك . قال لي : والله لا كان لرجل معد قبلي نعمة . وعاش احمد بن الجزار نيفاً وثمانين سنة ومات عتياً بالقيروان ، وورجده له أربع مئة وعشرون ألف دينار ، وخمسة وعشرون قططاراً من كتب طبية وغيرها . وكانت قد تم بالرحمة الى الاندلس^(٢) ولم ينفذ ذلك . وكان في دولة معد . وقال كشاجم^(٣) يمدح أبا جعفر أحمد بن الجزار ويصف كتابه المعروف بزيادة المسافر .

(١) من فقهاء الاسماعيلية ومن اوائل انصار الخلفاء الفاطميين في مصر . تولى القضاء وانصرف الى درس التواريخ والفلسفة واللفظ . توفي في مصر الشيفقة سنة ٩٧٤ .

عن

(٢) اسم الملقب العرب على شبه جزيرة اسبانيا بعد ان اخضعوها لحكمهم .

(٣) ويعرف بالسندقي . تعامل في التتبع له كتاب « ادب التتبع »

أبا جعفر أبقيت حياً وميتاً
رأيت على زاد المسافر عنده
فايقنت أن لو كان حياً لوقت
سأجد أفعالا لأحمد لم يزل
مفاخر في طهر الزمان عظاما
من الناظرين العارفين زحاما
يحنوا لما سمى التأم غاما
مواقفها عند الكرام كراما
(الطويل)

ولابن الجزار من الكتب : كتاب في علاج الامراض ، ويعرف بإزداد المسافر مجلدان . كتاب في الادوية المفردة ، ويعرف باعتقاد ، كتاب في الادوية المركبة ، ويعرف بالبنية ، كتاب العدة لطول المدة ، وهو أكبر كتاب وجدته له في الطب . وحكى صاحب جمال الدين القفطي انه رأى له بقسط كتاباً كبيراً في الطب اسمه قوت المقيم ، وكان عشرين مجلداً . كتاب التعريف بصحيح التاريخ ، وهو تاريخ مختصر يشتمل على وفيات علماء زمانه ، وقطعة جيدة من أخبارهم . رسالة في النفس وفي ذكر اختلاف الاوائل فيها ، كتاب في المدة وامراضها ومداواتها . كتاب طب الفقراء . رسالة في ابدال الادوية . كتاب في الفرق بين الملل التي تشبه اسبابها وتختلف اعراضها . رسالة في التحلر من اخراج الدم من غير حاجة دعت الى اخراجه . رسالة في الزكام وأسبابه وعلاجه . رسالة في النوم واليقظة . مجربات في الطب ، مقالة في الجذام واسبابه وعلاجه . كتاب الحواس . كتاب نصائح الاربار . كتاب المختبرات . كتاب في نمت الاسباب المولدة للغوابة في مصر وطريق الحبة في دفع ذلك وعلاج ما يتخوف منه ، رسالة الى بعض اخوانه في الاستئانة بالموث . رسالة في المقدمة وأوجاعها . كتاب المكمل في الادب . كتاب البلغة في حفظ الصحة . مقالة في الحمامات . كتاب اخبار الدولة ، يذكر فيه ظهور المهدي بالغرب . كتاب الفصول في سائر العلوم والبلغات .

ابن السمينة

ومن أطباء الاندلس يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة من أهل قرطبة ^(١) . قال القاضي صاعد ابن أحمد بن صاعد ، في كتاب « التعريف في طبقات الامم » : انه كان بصيراً بالحساب والنجوم والطب ، متصرفاً في العلوم ، متفنناً في ضروب المعارف ، بارعاً في علم النحو واللغة والعروض ومعاني الشعر والفقه والحديث والاخبار والجدل . وكان معتزلي المذهب . ورسول الى المشرق ، ثم انصرف . وتوفي سنة خمس عشرة وثلاثمائة .

ابو القاسم مسلعة بن أحمد

المعروف بالمريبطي من أهل قرطبة ، وكان في زمن الحكم ^(٢) . وقال القاضي صاعد في كتاب

(١) مدينة في الاندلس أصبحت عاصمة الخلفاء الامويين فيها . يوجد فيها قصر الزمراء .

(٢) هو الحكميم الاول ثالث امراء قرطبة . قامت على رمنه الفلك في قرطبة وطليطله فقصمها بالسيف وضمت قرواه فاستنزل ذلك الفولس الثاني وراشد يوسع ارجاء مملكته على حسابيه .

« التعريف في طبقات الامم » : انه كان امام الرياضيين بالاندلس في وقته وأعلم من كان قبله بصلم الافلاك وحركات النجوم ، وكانت له عناية بارصاد الكواكب ، وشغف بتقنم كتاب بطليموس المعروف بالمسطي . وله كتاب حسن في تمام علم العدد المعروف عندنا بالمعاملات . وكتاب اختصر فيه تعديل الكواكب من زيج البتاني ، وعنى بزيج محمد بن موسى الخوارزمي^(١) وصرف تاريخه الفارسي الى التاريخ العربي ، ووضع أوساط الكواكب فيه لأول تاريخ الهجرة وزاد فيه جداول حسنة على انه اتبعه على خطه فيه . ولم ينبه على مواضع الغلط منه . وقد نهت على ذلك في كتابي المؤلف في اصلاح حركات الكواكب ، والتعريف بخط الراصدين .

وتوفي أبو القاسم مسلمة بن أحمد قبل مبعث الفتنة في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة . وقد انجب تلاميذ جلة لم ينجب عالم بالاندلس مثلهم . فمن أشهرهم ابن السمع وابن الصفار والزهراوي والكرواني وابن خلدون .

ولابي القاسم مسلمة بن أحمد من الكتب : كتاب المعاملات ، اختصار تعديل الكواكب من زيج البتاني .

ابن السمع

هو أبو القاسم أصبغ بن محمد بن السمع المهندس القرطابي ، وكان في زمن الحكم . قال القاضي صاعد : ان ابن السمع كان محققا لم العدد والهندسة ، متقدما في علم هيئة الافلاك وحركات النجوم . وكانت له مع ذلك عناية بالطب ، وله تأليف حسان منها : كتاب المدخل الى الهندسة في تفسير كتاب اقليدس . ومنها كتاب ثمار العدد المعروف بالمعاملات ، ومنها كتاب طبيعة العدد ، ومنها كتابه الكبير في الهندسة يقضي فيه اجزاءها من الخط المستقيم والمقوس والمتعني ، ومنها كتابان في الآلة المساة بالاسطرلاب ، أحدهما في التعريف بصورة صنعها وهو مقوم على مقالتين ، والاخر في العمل بها والتعريف بمجوامع ثمرتها وهو مقسم على مائة وثلاثين بابا . ومنها زيجه الذي ألفه على احد مذاهب الهند المعروف بالسند هند ، وهو كتاب كبير مقسم على جزأين أحدهما في الجداول والاخر في رسائل الجداول . قال القاضي صاعد وأخبرني عنه تلميذه ابو مروان سليمان بن محمد بن عيسى بن الناشي المهندس انه توفي بمدينة غرناطة^(٢) قاعدة ملك الامير جحوس بن ماكنس بن زيري بن مناد الصنهاجي ، ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت لرجب سنة ست وعشرين وأربعمائة ، وهو ابن ست وخمسين سنة شمسية .

ولابن السمع من الكتب : كتاب المدخل الى الهندسة . كتاب المعاملات . كتاب طبيعة العدد .

(١) احد تنجيم المأمون اعتمد في مؤلفاته الحسابية على الهندوس والفرس وعلى تعليم مدرسة جندسابور . نقلت مؤلفاته الى اللغة اللاتينية .

(٢) د .

(٣) عاصمة المملكة العربية في الاندلس سابقا اخضعها الاسبان من صاحبها ابي عبد الله . وفيها اختصر الجوار .

كتاب كبير في الهندسة يقضي فيه اجزاءها من الحظ المستقيم والمغوس والمخفي . كتاب التعريف بصورة صنعة الاسطرلاب ، مقالتان . كتاب العمل بالاسطرلاب والتعريف بمواعيم غمرته . زيج على أحد مذاهب الهند المعروف بالسندهند، وهو كتاب كبير مقسم على جزئين احدهما في الجداول والاخر في رسائل الجداول .

ابن الصفار

هو ابو القاسم احمد بن عبدالله بن عمر ، كان ايضاً متحققاً بعلم العدد والهندسة والنجوم . وقعد في قرطبة لتعلم ذلك . وله زيج مختصر على مذهب السندهند ، وكتاب في العمل بالاسطرلاب موجز حسن العبارة قريب المأخذ ، وكان من جملة تلامذة ابي القاسم مسلمة بن احمد المرحيطي . وخرج ابن الصفار عن قرطبة بعد ان مضى صدر من الفتنة، واستقر بمدينة دانية^(١) قاعدة الامير مجاهد المالامري^(٢) من ساحل بحر الاندلس الشرقي وتوفي بها رحمه الله . وقد انجب من اهل قرطبة جماعة ، وكان له أُنح يسمى محمداً مشهور بعمل الاسطرلاب لم يكن بالاندلس قبله اجمل صنفاً لها منه .

ولابن الصفار من الكتب : زيج مختصر على مذهب السند هند . كتاب في العمل بالاسطرلاب .

أبو الحسن علي بن سليمان الزهراوي

كان عالماً بالعدد والهندسة، معتنياً بعلم الطب . وله كتاب شريف في المعاملات على طريق البرهان، وهو الكتاب المسمى بكتاب الاركان . وكان قد اخذ كثيراً من العلوم الرياضية عن ابي القاسم مسلمة ابن احمد المعروف بالمرحيطي وصعبه مدة .

ولابي الحسن علي بن سليمان الزهراوي من الكتب : كتاب في المعاملات على طريق البرهان وهو الكتاب المسمى بكتاب الاركان .

الكرماني

هو ابو الحكم عمرو بن احمد بن علي الكرماني من اهل قرطبة ، احد الراشدين في علم العدد والهندسة . قال القاضي صاعد : أخبرني عن الكرماني تلميذه الحسين بن محمد بن الحسين بن يحيى المهندس المنجم انه ما لقي احداً يجاربه في علم الهندسة. ولا يشق غيابه في فك غامضها، وتبيين مشكلها، واستيفاء اجزاها . ورحل الى ديار المشرق وانتهى منها الى حران من بلاد الجزيرة وعني هناك بطلب الهندسة والطب، ثم رجع الى الاندلس واستوطن مدينة سرقسطة^(٣) من قرطها، وجلب معه الرسائل المعروفة

(١) قصبة الناحية الشمالية الشرقية من كورة الفنت الاسانية . اودمرت تحت الحكم العربي .

(٢) رئيس مملكة دانية وجزائر البايور . كان له اسطول بحري يدخل الرعب في بلاد كتالونيا وبروفانس وإيطاليا في القرن الحادي عشر .

(٣) مدينة في اسبانيا الاندلس. كانت تتسج فيها الثياب الرقيقة المعروفة بالسرقسطية . « ن. د. »

برسائل اخوان الصفاء . ولا نعلم أحداً ادخلها الاندلس قبله . وله عناية بالطب ومجربات فاضلة فيه ونفوذ مشهور في الكي والقطع والشق والبط^(١) وغير ذلك من اعمال الصناعة الطبية . قال : ولم يكن بصيراً بعلم النجوم التنليسي ، ولا بصناعة المنطق ، اخبرني عنه بذلك أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي الاسرائيلي^(٢) وكان خبيراً به . ومحل في العلوم النظرية المحل الذي لا يحارى فيه عندنا بالاندلس . وتوفي أبو الحكم الكرمانى رحمه الله بسرقطة سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وقد بلغ تسعين سنة أو جاوزها بقليل .

ابن خلدون

هو أبو مسلم عمر بن أحمد بن خلدون الحضرمي ، من اشراف أهل اشبيلية^(٣) ومن جملة تلامذة أبي القاسم مسلمة بن أحمد أيضاً ، وكان متصرفاً في علوم الفلسفة مشهوراً بعلم الهندسة والنجوم والطب مشبهاً بالفلاسفة في اصلاح اخلاقه وتعديل سيرته وتقوم طريقته . وتوفي في بلده سنة تسع وأربعين وأربعمائة . وكان من اشراف تلامذة أبي مسلم بن خلدون : أبو جعفر أحمد بن عبد الله المعروف بابن الصفار المتطبب .

أبو جعفر أحمد بن خميس بن عامر بن دميح

من أهل طليطلة أحد الممتنين بعلم الهندسة والنجوم والطب ، وله مشاركة في علوم اللسان ، وحظ صالح من الشعر ، وهو من أقران القاضي أبي الوليد هشام بن أحمد بن هشام .

حمد بن أبان

كان في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط وكان طبيباً حافذاً مجرباً ، وكان صهر بني خالد ، وله بقربة أصول ومكاسب . وكان لا يركب الدواب الا من نتاجه ، ولا يأكل الا من زرعه ، ولا يلبس الا من كتان ضيخته ، ولا يستخدم الا بتلاده من أبناء عبيده .

جواد الطبيب النصراني

كان في أيام الأمير محمد أيضاً ، وله القوق المنسوب الى جواد ، وله هواء الراهب والشرابات والسفوفات المنسوبة اليه والى حمد بن ، وبني حمد بن كلها شجارية .

خالد بن يزيد بن رومان النصراني

كان بارعاً في الطب ، فاضاً في زمانه فيه . وكان بقربة وسكنه عند بيمة سبت أشلج . وكانت

(١) الشق الجرح .

(٢) سياني ذكره قريباً .

(٣) مدينة في إسبانيا فتحها العرب وهي مشهورة بصراعها القصر (Alcazar) .

داره الدار المعروفة بدار ابن السطخيري الشاعر . وكسب بالطب مبلغاً جليلاً من الاموال والمغار . وكان صانعاً بيده ، عالماً بالادوية الشجرية ، وظهرت منه في البلد منافع . وكتب اليه نسطاس بن جريج الطبيب المصري رسالة في البول . وأعقب خالد ابناً حماد زيد ، ولم يدرغ في الطب براعة أبيه .

ابن ملوكة النصراني

كان في أيام الامير عبيد الله ، وأول دولة الامير^(١) عبد الرحمن الناصر وكان يصنع بيده ويفسد المروق . وكان على باب داره ثلاثون كرسيًا للعود الناس .

عمران بن أبي عمرو

كان طبيباً نبيلاً ، خدم الامير عبد الرحمن بالطب ، وهو الذي ألف له حب الانيسون ، وكان عالماً فيها .

ولعمران بن أبي عمرو من الكتب : كئاش .

محمد بن فتح طملون

كان مولى لعمران بن أبي عمرو ، وبرع في الطب براعة علاجها من كان في زمانه . ولم يخدم بالطب ، وطلب ليلحق فاستغنى من ذلك واستعان على الامير حتى عفي ، ولم يكن احد من الاشراف في وقته إلا وهو يحتاج اليه . قال ابن جليل ، حدثني أبو الاصبغ بن حوى قال : كنت عند الوزير عبد الله ابن بدر وقد عرض لابنه محمد قرع شمل يده ، وبين يديه جماعة من الاطباء فيهم طملون ، فتكلم كل واحد منهم في تلك القروح ، وطملون ساكت . فقال له الوزير : ما عندك في هذا فاني أراك ساكناً فقال : عندي مرم ينفع هذه القروح من يومه . فقال الى كلامه وأمره بإحضار المرم ، فاحضره وطلّى على القروح فجفت من ليلتها ، فوصله عبد الله بن بدر بخمسين ديناراً وانصرف الاطباء دونه بغير شيء .

الحراني

الذي ورد من المشرق ، كان في أيام الامير محمد بن عبد الرحمن ، وكانت عنده مجربات حسان للطب ، فاشتهر بقرطبة وحاز الذكر فيها . قال ابن جليل : رأيت حكاية عند أبي الاصبغ الرازي بخط امير المؤمنين المستنصر ، وهي ان هذا الحراني ادخل الاندلس معجوناً كان يبيع الشربة منه بخمسين ديناراً لا وجاج الجوف ، فكسب به مالا . فاجتمع خمسة من الاطباء مثل حمد بن وجواد

(١) عبد الرحمن الثالث الملعب بالناصر فمن الخلفاء الامويين في الاندلس ازدهرت المملكة على ايامه وعاشت الاندلس صرماً النعمي ٩٢٦ - ٩٦١

وغيرهما وجعوا خمسين ديناراً واشتروا منه شربة من ذلك الدواء ، وانفرد كل واحد منهم بمجزء يشمه ويدنوقه ويكتب ما تأدى اليه منه بحسه . ثم اجتمعوا واتفقوا على ما حدسوه وكتبوا ذلك . ثم نهضوا الى الحراني وقالوا له قد تفعلك الله بهذا الدواء الذي انفردت به ، ونحن أطباء اشتهرنا منك شربة وفعلنا كذا وكذا ، وتأدى الينا كذا وكذا ، فإنا نكون ما تأدى الينا حقاً فقد اصبنا ، وإلا فاشركنا في علمه فقد انتقمتم . فاستعرض كتبهم فقال ما أعددتم من أدوية دواء ، لكن لم تصيبوا تعديل اوزانه . وهو الدواء المعروف بالقيث الكبير ، فاشركهم في علمه وعرف مسن حينئذ بالأندلس .

أحمد وعمر ابنا يونس بن أحمد الحراني

رحلوا الى المشرق في دولة الناصر في سنة ثلاثين وثلاثمائة ، وأقاما هنالك عشرة ايام ، ودخلا بغداد وقرأ فيها على ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابئ كتب جالينوس عرضاً ، وخبدا ابن وصيف في عمل علل المين ، وانصرفا الى الاندلس في دولة المستنصر بالله ، وذلك في سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وغزوا معه غزواته الى سنة الثلاثين ، وانصرفا والحقها في خدمته بالطب ، واسكنها مدينة الزهراء^(١) واستخلصها لنفسه دون غيرها من كان في ذلك الوقت من الأطباء . ومات عمر بيلة المدة ، ورمت له فلقحه فبول من اجلها ومات ، وبقي احمد مستخلصاً . واسكنه المستنصر في قصره بمدينة الزهراء ، وكان لطيف المهل عنده ، أميناً مؤتمناً ، يطلعه على السبال والكرائم . وكان رجلاً حليماً ، صحيح العقل ، عالماً بما شاهد علاجه ورآه عياناً بالمشرق . وتوجه عند المستنصر بالله لان المستنصر كان نهماً في الاكل ، وكان يحدث له في أكله نخمة لكثرة ما كان يتناول من الاكل ، وكان يصنع له الجوارشات الحادة المحببة وكان وافقه في ذلك موافقه وأفاده مالا عظيماً . وكثر لكن اللسان ، رديء الخط ، لا يقيم هجاء حروف كتابه . وكان بصيراً بالأدوية المفردة ، وصانماً للأشربة والمجموعات ، ومعلماً لا وقف عليه .

قال ابن جليل : ورأيت له اثني عشر صبياً صغالباً ، طبائخين للأشربة ، صناعين للمجموعات بين يديه . وكان قد استأذن امير المؤمنين المستنصر ان يعطي منها من احتاج من المساكين والمرضى ، فأجابه له ذلك . وكان يداري المين مداواة نفيسة . وله بقرطبة آثار في ذلك . وكان يراسي بطله صديقه وجاره والمساكين والضعفاء . وولاه هشام المؤيد^(٢) بالله خطة الشرطة وخطة السوق . ومات بحمي الربيع وعلة الاسهال . وخلف عما قيمته أزيد من مائة ألف دينار .

(١) مدينة الأندلس بنامها عبد الرحمن الثالث مشهورة بإعانتها المستعجلة من روما والقسطنطينية وتروطنجة غربت في ثورة البربر «ن.د»

(٢) احمد ملوك قرطبة الامويين .

اسحق الطليب

والد الوزير ابن اسحق ، مسيحي النخعة ، وكان مقيماً بقرطبة ، وكان صائماً بيده ، مجرياً ، يحكى له منافع عظيمة وآثار عجيبة ، وتحكى قاق به جميع اهل دهره . وكانت في أيام الامير عبد الله الاموي .

يحيى بن اسحق

كان طبيباً ذكياً عالماً بصيراً بالمعلاج صائماً بيده ، وكان في صدر دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله ، واستوزره وولي الولايات والعمالات ، وكان قائد بطليوس^(١) زماناً ، وكان له من امير المؤمنين الناصر محل كبير . كان ينزله منزلة الثقة ويتطلع على الكرائم والخدم . وألف في الطب كتاباً يشتمل على خمسة اسفار ذهب فيها منذهب الزوم . وكان يحيى قد اسلم ، واما ابوه اسحق فكان نصرانياً كما تقدم ذكره . قال ابن جلجل : سمعتني عن يحيى بن اسحق ثقة ، انه كان عنده غلام للحاجب موسى او للوزير عبد الملك قال ، قال : بعثني اليه مولاي بكتاب ، فاقا قاعد عند داره بباب الجوز إذ أقبل رجل بدوي على حمار وهو يصيح ، فاقبل حتى وقف بباب الدار . فجعل يتضرع ويقول : ادركوني وتكلموا الى الوزير بخبري . اذ خرج الى صراخ الرجل ومعه جواب كتابه ، فقال للرجل : ما بالك يا هذا ؟ فقال له : أها الوزير ورم في احليلي منعتي البول منذ أيام كثيرة وأنا في الموت . فقال له : اكشف عنه ، قال فكشف عنه فاذا هو وارم . فقال لرجل كان أقبل مع الطليل : اطلب لي حجراً أملس . فطلبه فوجده وأراه به . فقال : ضعه في كفك وضع عليه الاحليل . قال ، فقال الخبر لي : فلما تمكن احليل الرجل من الحجر جمع الوزير يده وضرب على الاحليل ضربة غشي على الرجل منها . ثم اندفع الصيديد يجري لما استوفى الرجل جري صديد الورم حتى فتح عيبيه ثم بال البول في أثر ذلك . فقال له : اذهب فقد برئت من طلك ، وأنت رجل هائن واقعت بهيمة في دبرها فصادفت شميرة من علفها لحبت^(٢) في عين الاحليل ، فورم لها وقد خرجت في الصيديد . فقال له الرجل : قد فعلت هذا . وأقر بذلك ، وهذا يدل على حدس صحيح وقريحة صادقة حسناء .

وقال ابن جلجل : وله فادر محفوظ في علاج الناصر قال : عرض للناصر وبع في أذنه والوزير يومئذ قائد بطليوس ، فولج منه فلم يفر ، فأمر الناصر في الخروج فيه فرانقا ، فلما وصل اليه الفرائق استنطقه عن الحاجة التي أوجبت الخروج فيه . فقال له : أمير المؤمنين عرض لي في أذنه وجمع أعيان الاطباء فرجع في طريقه الى بعض أديار النصارى وسأل عن عالم هناك ، فوجد رجلاً مسناً فسأله : هل عندك من تجربة لوجع الاذن ؟ فقال للشيخ الراهب : دم الحمار حاراً ، فوصل الى أمير

(١) اقليم في اسبانيا القريبة ار هي مدينة في اسبانيا على وادي يلا كانت قاعدة لبني الاطلس وتدعى اليوم داغوس .
(٢) بلات .

المؤمنين وعالجه بدم الحمار حاراً كما يسفح ويراً . وهذا بحث واستقصاء ودؤوب على التعلم .
وليحيى بن اسحق من الكتب : كتاب كبير في الطب .

سليمان أبو بكر بن تاج

كان في دولة الناصر ، وخدمه بالطب . وكان طبيباً ذليلاً وعالج أمير المؤمنين الناصر من رمه^(١) عرض له من يومه بشيافه . وطلب منه نسخه بعد ذلك فأبى أن عليها وعالج سماً صاحب البريد من ضيق النفس بلموق^(٢) فبرأ من يومه بعد أن أعيا علاجه الأطباء . وكان بعالم وجع الحاصرة بحب من حبه فيبرأ الوقت ، وكان ضنيناً بنسخ الأدوية . وله نوادر في الطب كثيرة . وكان أديباً فاضلاً ، حسن المحاضرة والمذاكرة ، وادركه في آخر أيامه مرض القروح في أحليه فلم يمكنه دواؤه وعرفه الله القادر عجزه فقطع أحليه . وولاه أمير المؤمنين الناصر قضاء شذونة^(٣) .

ابن أم البنين

سمي بالأعرج ، وكان من أهل مدينة قرطبة ، وخدم أمير المؤمنين الناصر بصناعة الطب . وكان ينادمه وكانت معه فطنة في الطب . وله نوادر اندر بها . وكان محبباً بنفسه . وكان الناصر ربما استغله لذلك وربما اضطر إليه لجودة فطنته .

سعيد بن عبد ربه

هو أبو عثمان سعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن محمد بن سالم مولى الأمير هشام الرضي^(٤) بن عبد الرحمن الداخل^(٥) بالاندلس ، وهو ابن اخي أبي عمرو واحد بن محمد بن عبد ربه الشاعر صاحب كتاب المقصد^(٦) . وكانت وفاة عمه هذا احمد بن محمد بن عبد ربه في شهر جادى الاول من سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، ومولده في سنة ست واربعين ومائتين لشرخون من شهر رمضان . وكان سعيد بن عبد ربه طبيباً فاضلاً وشاعراً محسناً ، وله في الطب رجز جليل عتو على جملة حسنة منه دل به على تمكنه من العلم وتحققه لمذاهب القدماء . وكان له مع ذلك بصيرة بحركات الكواكب وطبائنها ، ومهاب الرياح وتغير الاموية ، وكان مذهبه في مداواة الحميات ان يخلط بالمبردات شيئاً من^(٧) . وله في ذلك مذهب جليل ولم يخمد بالطب سلطاناً . وكان بصيراً بتقدمة

(١) داء يصيب العين لتوالم وتنتفخ .

(٢) كل ما يلقى أي يلمس كالصل وغيره .

(٣) بلدة ينشئ في غربي الاندلس في إقليم وادي ياش كانت قاعدة ولاية اشبيلية وكانت حاميتهما من حرب لمسلمين .

(٤) ثاني مفرد قرطبة اتم بناء الجامع الكبير وبناء جسر القنطرة وغزا فرنسا .

(٥) فر من مذابح بني المباس الى الاندلس وراس دولة عربية في قرطبة وهو باي جامعها سمي "مقر قريش لبأسه" .

(٦) مجموعة اديبة من غنط وشعر واقوال الحكماء والعلماء والتأريخ وعلم العروض ألفه ابن عبد ربه "د ، ر" .

(٧) يياض بالأصل ،

المعرفة ، وتفسير الاهوية ، ومهب الرياح ، وحركة الكواكب . قال ابن جليل : حدثني عنه سليمان ابن ايوب النقي قال ، قال : اعتلت بحمة فطاولتني واشرفت منها ، اذ مر بأبي وهو ناهض الى صاحب المدينة احمد بن عيسى ، فقام اليه وقضى واجب حقه بالسلام عليه ، وسأله عن علي واستخبر ابي عما عولجت به ، فسفه علاج من عالجني وبعث الى ابي بثلاث عشرة حبة من حبوب مدورة ، وأمر ان اشرب منها كل يوم حبة فما استوعبتها حتى اقلعت الحصى وبرتت برأ فامس . وعني سعيد في آخر ايامه .

ومن شعر سعيد بن عبد ربه انه افتصد يوماً فبعث الى عمه احمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر الاديب راغباً اليه في ان يحضر عنده مؤانساً له ، فلم يجبه عمه الى ذلك وأبطأ عنه فكتب اليه :

| | |
|-------------------------|--------------------------|
| لما علمت مؤانساً وجليسا | فادمت بقراطاً وجالينوسا |
| وجعلت كتبها شفاء لقردي | وهما الشفاء لكل جرح يرسا |
| ووجدت عليها اذا حصلته | يذكي ويحيي للجسم نفوسا |

(الكامل)

فلما وصل الشعر الى عمه جاوبه بابيات منها :

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| ألفت بقراطاً وجالينوسا | لا يا كلان وبرزآن جليسا |
| فجعلتهم دون الاقارب حجة | ورضيت منهم صاحباً وأنيسا |
| وأظن يخفك لا يرى لك طركا | حتى تتسادم بدمم ابليسا |

وقال سعيد بن عبد ربه ايضاً في آخر عمره ، وكان جميل المذهب متقبضاً عن الملوك :

| | |
|------------------------------|--------------------------------|
| أمن بعد غوصي في علوم الحقائق | وطول انبساطي في مواهب خالقي |
| وفي حين اشرافي على ملكوته | أرى طالباً رزقا الى غير رازقي |
| وأيام عمر المرء متممة ساعة | تجيه حثيثاً مثل لمح ببارقي |
| وقد أذنت نفسي بتقويض رحلها | وأسرع في سوقي الى الموت سائقي |
| واني وإن أوغلت أو سرت هارباً | من الموت في الآفاق فالوت لاحقي |

(الطويل)

ولسعيد بن عبد ربه من الكتب : كتاب الاقرباذين . ثعالبتي ومجربات في الطب . ارجوزة في الطب .

عمر بن حفص بن برقوق

كان طبيباً فاضلاً قارئاً للقرآن مطرب الصوت ، وكان له رحلة الى القيروان الى أبي جعفر ابن الجزار لزمه ستة اشهر لا غير . وهو ادخل الى الاندلس كتاب زاد المسافر ، ونبل بالاندلس وخدم

بالطب الناصر . وكان نجم بن طرفة صاحب البيازرة قد استخلصه لنفسه وقام به واغناه وشاركه في كل دنياه ولم يطل عمره .

أصبح بن يحيى

كان متقدماً في صناعة الطب ، وخدم بها الناصر ، وألف له حب الانيسون . وكان شيخاً وسيماً بهياً سورياً معظماً عند الرؤساء .

محمد بن تميم

كان رجلاً ذا وقار وسكينة ومعرفة بالطب والنمو واللفة والشعر والرواية . وخدم الناصر بصناعة الطب . وكان المقيم برئاسة احمد بن الياس القائد ، وولاه الناصر خطبة الرد وقضاء شذونة . وله في الطب تأليف حسن الاشكال . وأدرك صدرأ من دولة الحكم المستنصر بالله وكان حطياً عنده وخدمه بصناعة الطب . قال القاضي صاعد : وولاه النظر في بليان الزيادة من قبلي الجامع بقرطبة ، فتولى ذلك وكملت تحت اشرافه وأمانته . ورأيت امه مكتوباً بالذهب وقطع الفيسفاء على حائط الهراب بها . وان ذلك البيان كل على يديه عن أمر الخليفة الحكم في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة . ولحمد بن تميم من الكتب : كتاب في الطب .

ابو الوليد بن الكتاني

هو ابو الوليد محمد بن الحسين المعروف بابن الكتاني ، كان عالماً بهياً سورياً حلو اللسان محبوباً من العامة والخاصة لسخائه بعله ومواساته بنفسه ، ولم يكن يرغب في المال ولا جمعه ، وسكان لطيف المعاشة وخدم الناصر والمستنصر بصناعة الطب ، ومات بعد الاستغناء .

ابو عبد الله بن الكتاني

هو ابو عبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن الكتاني ، كان أخذ الطب عن عمه محمد بن الحسين وطبقته وخدم به المنصور بن أبي عامر^(١) وابنه المظفر . ثم انتقل في صدر الفتنة الى مدينة سرقرطة واستوطنها ، وكان بصيراً بالطب ، متقدماً فيه ، ذا حظ من النطق والنجوم ، وكثير من علوم الفلسفة . قال القاضي صاعد : أخبرني عنه الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن وأند اللخمي^(٢) : انه كان دقيق الذهن ، ذكي الخاطر ، جيد الفهم ، حسن التوحيد والتبسيح ،

(١) من تسمية معارف اليمنية ، حاجب مشام الثاني في قرطبة ، استبد يامره وتلقب المنصور لدين الله ، اتصم على الاسبان في لارن وقتلته وقتلوا فيها . وبلغت السلطة في الياء ارج مجعما .

(٢) هو ابو مروان حاجب الاتملى حل على الاسبان بمروم عديدة روجع ظالماً .

وكان ذا قوة وغنى واسع ، وتوفي قريباً من سنة عشرين وأربعمائة وهو قد قارب ثمانين سنة . قال وقرأت في بعض تأليفه انه أخذ صناعة المنطق عن محمد بن عبدون الجيلي ، وعمر بن يونس بن احمد الحراشي ، واحمد بن حفصون الفيلسوف ، وابي عبد الله محمد بن ابراهيم القاضي النحوي ، وابي عبد الله محمد بن مسعود البجائي ، ومحمد بن ميمون المعروف بمركوس ، وابي القاسم قيد بن نجم ، وسعيد ابن قنصون السرقسطي المعروف بالحمار ، وابي الحارث الاسقف تلميذ ربيع بن زيد الاسقف الفيلسوف وابي مري بن البجائي ، ومسلمه بن احمد المرحيطي .

احمد بن حكيم بن حفصون

كان طبيباً عالماً جيد الفريجة ، حسن الفطنة ، دقيق النظر ، بصيراً بالمنطق ، مشرفاً على كثير من علوم الفلسفة . وكان متصلاً بالحاجب جعفر الصقلي ومستولياً على خاصته ، فأوصاه بالحكم المستنصر بالله وخدمه بالطب الى ان توفي الحاجب جعفر فأسقط حينئذ من ديوان الاطباء وبقي مخولاً الى ان توفي ومات بمة الاسهال .

ابو بكر احمد بن جابر

كان شيخاً فاضلاً في الطب ، حليماً عفيفاً وخدم المستنصر بالله بالطب وادرك صدره من دولة المؤيد وكان اولاد الناصر جميعهم يعتمدون على تعظيمه وتبجيله ومعرفة حقه . وكان وجيهاً عديم مؤتمناً ، وكذلك عند الرؤساء ، وكان اديباً قها . وكتب بخطه كتباً كثيرة في الطب والمجامع والفلسفة . وعمر زماناً طويلاً .

أبو عبد الله الملك الثقفي

كان طبيباً اديباً عالماً بكتاب اقليدس ، وبصناعة المساحة ، وخدم الناصر والمستنصر بصناعة الطب ، وكان أخرج . وله في الطب نوادر . وولاه المستنصر أو الناصر خزانة السلاح ، وعي في آخر عمره بماء تزل في عينيه ، ومات بمة الاستسقاء .

هرون بن موسى الاشبوني

كان من شيوخ الاطباء واخيارهم ، مؤتمناً مشهوراً بأعمال اليد وخدم الناصر والمستنصر بصناعة الطب .

محمد بن عبدون الجيلي العلوي

رحل الى المشرق سنة سبع وأربعين وثلثمائة ، ودخل البصرة ولم يدخل بغداد ، وأتى مدينة فسطاط مصر ودير مارستانها . ومهر بالطب ونزل فيه وأحكم كثيراً من اصوله ، وعانى صناعة المنطق عناية صحيحة . وكان شيخه فيها أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني البغدادي . ورجع الى

الاندلس سنة ستين وثلاثمائة ، وخدم بالطب المستنصر بالله والمؤيد بالله ، وكان قبل ان يتطبب مؤدبا بالحساب والهندسة ، وله في التفسير كتاب حسن . قال القاضي صاعد : واخبرني أبو عثمان سعيد بن محمد بن البعوش الطليطلي انه لم يلق في قرطبة ايام طلبه فيها من يلحق بمحمد بن عبدون الجبلي في صناعة الطب ، ولا يماريه في ضبطها ، وحسن درسته فيها واحكامه لغوامضها .
ومحمد بن عبدون من الكتب : كتاب في التفسير .

عبد الرحمن بن اسحق بن الهيثم

من اعيان اطباء الاندلس وفضلائها ، وكان من أهل قرطبة .

وله من الكتب : كتاب الكيال والتهام في الادوية المسهلة والمهينة . كتاب الاقتصاد والايحاء في خطا ابن الجزار في الاعتماد . كتاب الاكتفاء بالدواء من خواص الاشياء ، صنفه للعاجب القائد أبي عامر محمد بن أبي عامر . كتاب السهائم .

ابن جلجل

هو أبو داود سليمان بن حسان يعرف بابن جلجل ، وكان طبيباً فاضلاً شبيهاً بالمعالجات ، جيد التصرف في صناعة الطب ، وكان في أيام هشام المؤيد بالله . وخدمه بالطب وله بصيرة واعتناء بقوى الادوية المفردة ، وقد نشر اسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس السين زربي ، وأفصح عن مكنونها ، وأوضح مستطلق مضمونها ، وهو يقول في أول كتابه هذا ان كتاب ديسقوريدس ترجم بمدينة السلام في الدولة العباسية في ايام جعفر المنصور وكان المترجم له اصطف بن بسيل الترجان من اللسان اليوناني الى اللسان العربي ، وتصفح ذلك حنين بن اسحق المترجم ، فصصح الترجمة وأجازها لما علم اصطفن من تلك الاسماء اليونانية في وقته له اسماً في اللسان العربي فصره بالعربية ، وما لم يعلم له في اللسان العربي اسماً تركه في الكتاب على اسمه اليوناني اتكالا منه على ان يثبت الله بعمده من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربي ، اذ التسمية لا تكون بالتواطؤ من أهل كل بلد على اعيان الادوية بما رأوا ، وان سموا ذلك اما بشتقاق واما بغير ذلك من تواطئهم على التسمية فاتكل اصطفن على شخص يأثون بعمده ممن قد عرف اعيان الادوية التي لم يعرف هو لها اسماً في وقته فيسميها على قدر ما سمع في ذلك الوقت فيخرج الى المعرفة .

قال ابن جلجل : وورد هذا الكتاب الى الاندلس وهو على ترجمة اصطفن منه ما عرف له اسماً بالعربية ، ومنه ما لم يعرف له اسماً . فانتفع الناس بالمعروف منه بالشرق والاندلس الى ايام الناصر عبد الرحمن ^(١) بن محمد ، وهو يرمئ صاحب الاندلس . فكانت له أرمانينوس ^(٢) الملك ، ملك قسطنطينية ،

(١) ثامن الامراء في قرطبة لقب نفسه بالناصر . وحد صفوف العرب والبربر وقد مر ذكره في غير هذا المكان .

(٢) امبراطور بيزنطية (٩٠٥ - ٩٥٩) ظهر بالبحر والبر . ٢٠٥

في سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وهاداه يهنايا لما قدر عظم ، فكان في جمة هديته كتاب ديسقوريدس مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب . وكان الكتاب مكتوباً بالآغريقي الذي هو اليوناني ، وبعث معه كتاب هرويس صاحب القصص ، وهو تاريخ الروم عجيب ، فيه أخبار الدهور وقصص الملوك الاول ، وفوائد عظيمة . وكتب أرمانيوس في كتابه الى الناصر ان كتاب ديسقوريدس لا تجتسى فائدته الا برجل يحسن العبارة باللسان اليوناني ، ويعرف اشخاص تلك الادوية ، فان كان في بلدك من يحسن ذلك فزت ايها الملك بفائدة الكتاب ؛ واما كتاب هرويس فعندك في بلدك من اللطيليين من يقرأ باللسان اللطيني ، وان كشفتهم عنه نقلوه لك من اللطيني الى اللسان العربي .

قال ابن جليل : ولم يكن يومئذ بقرطبة من نصارى الاندلس من يقرأ اللسان الآغريقي الذي هو اليوناني القديم ، فبقي كتاب ديسقوريدس في خزانة عبد الرحمن الناصر باللسان الآغريقي ، ولم يترجم الى اللسان العربي ، وبقي الكتاب بالاندلس . والذي بين أيدي للناس بترجمة اسطفن الواردة من مدينة السلام بغداد .

فلما جابوب الناصر ارمانيوس الملك سأله ان يبعث اليه برجل يتكلم بالآغريقي واللطيني ليعلم له عبيداً يكونون مترجمين ، فبعث ارمانيوس الملك الى الناصر براهب كان يسمى نقه لا^(١) ، فوصل الى قرطبة سنة اربعين وثلثمائة وكان يومئذ بقرطبة من الاطباء قوم لهم بحث وتفتيش وحرص على استخراج ما جهل من اسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس الى العربية ، وكان يجمعهم وحرصهم على ذلك من جهة التقرب الى الملك عبد الرحمن الناصر ، مسداي بن بشروط الامراتيلي ، وكان نقولا الراهب عنده اسطى الناس واخصم به . وفسر من اسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس ما كان مجهولاً ، وهو اول من عمل بقرطبة رفاق الفاروق على تصحيح الشجارية التي فيه . وكان في ذلك الوقت من الاطباء الباحثين عن تصحيح اسماء عقاقير الكتاب وتمييز اشخاصه محمد المعروف بالشجار ، ورجل كان يعرف بالباسباسي ، وابو عثمان الجزار الملقب باليابسة ، ومحمد بن سعيد الطبيب ، وعبد الرحمن بن اسحق بن هيثم وأبو عبد الله الصقلي ، وكان يتكلم باليونانية ويعرف اشخاص الادوية .

قال ابن جليل : وكان هؤلاء النفر كلهم في زمان واحد مع نقولا الراهب أدركنه وأدركت نقولا الراهب في أيام المستنصر ، وصحتهم في أيام المستنصر الحكم . وفي صدر دولته مات نقولا الراهب ، فصع ببحث هؤلاء النفر الباحثين عن اسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس تصحيح الوقوف على أشخاصا بمدينة قرطبة خاصة بناحية الاندلس ، ما أزال الشك فيها عن الغلو ، وأوجب المعرفة بها بالوقوف على اشخاصها ، وتصحيح النطق باسمائها بلا تصحيف إلا القليل منها الذي لا بال به ، ولا خطر له . وذلك يكون في مثل عشرة أدوية .

قال : وكان لي في معرفة تصحيح هيولى الطب الذي هو أصل الادوية المركبة حرص شديد وبحث

(١) راهب بيزنطي سام في نقل غطوطة ديسقوريدس الطبية الى العربية التي اهداها قسطنطين السابع فارمانيوس الى عبد الرحمن الثالث الاندلسي .

عظم ، حتى وهبني الله من ذلك بفضل بقدر ما اطلع عليه من نيتي في احياء ما خفت يُدرس وتذهب منفتحة لأبدان الناس ، فاق قد خلق الشفاء وبثه فيا انبثته الارض ، واستقر عليها من الحيوان المشاء ، والسابع في الماء والمساب ، وما يكون تحت الارض في جوفها من المدينة ، كل ذلك فيه شفاء ورحمة ورقق .

ولابن جليل من الكتب : كتاب تفسير اسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس ، الله في شهر ربيع الاخر سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة بمدينة قرطبة ، في دولة هشام بن الحكم المريد بالله . مقالة في ذكر الادوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه بما يستعمل في صناعة الطب وينتفع به ، وما لا يستعمل لكيلا يفشل ذكره . وقال ابن جليل : ان ديسقوريدس اغفل ذلك ولم يذكره إما لانه لم يره ولم يشاهده عيانا ، واما لان ذلك كان غير مستعمل في دهره وابناء جلسه . رسالة التبيين فـيا غلط فيه بعض المتطبيين . كتاب يتضمن ذكر شيء من اخبار الاطباء والفلاسفة الله في أيام المريد بالله .

أبو العرب يوسف بن محمد

احد المتحققين بصناعة الطب والراسخين في علمه . قال القاضي صاعد : حدثني الوزير أبو المطرف ابن واقد وأبو عثمان سعيد بن محمد بن البغوش : انه كان يحكما لاصول الطب فافذا في فروعه حسن التصرف في أنواعها . قال : وصممت غيرها يقول لم يكن أحد بعد محمد بن عبدون يوازي أبو العرب في نيته بصناعة الطب ونفذه فيها . وكان غلب عليه في آخر عمره حب الحرف فكان لا يوجد صاحباً ولا يرى مفعياً من غمار ، وحرم بذلك الناس كثيراً من الانتفاع به وبعلمه . و توفي وقد قارب تسعين سنة ، وذلك بعد ثلاثين وأربعمائة .

ابن البغوش

هو أبو عثمان سعيد بن محمد بن البغوش . قال القاضي صاعد : كان من أهل طليطلة ^(١) ، ثم رحل الى قرطبة لطلب العلم بها ، فآخذ عن مسلمة بن احمد علم العدد والهندسة ، وعن محمد بن عبدون الجيلي وسليمان بن جلجل وابن الشناعة ونظراتهم علم الطب . ثم انصرف الى طليطلة واتصل بها بأميرها الظاهر اسمعيل بن عبد الرحمن بن اسمعيل بن عامر بن مطرف بن ذي النون ، وحظي عنده وكأثر أحد مدبري دولته . قال : ولقيته انا فيها بعد ذلك في صدر دولة المأمون ^(٢) ذي الحمد بن يحيى بن الظاهر اسمعيل بن ذي النون ، وقد ترك قراءة العلوم وأقبل على قراءة القرآن ، ولزم داره والانتباه عن الناس ، فقلت منه رجلاً عاقلاً ، جميل الذكر والمذهب ، حسن السيرة ، نظيف الثياب ، ذا كتب جليلة في انواع الفلسفة وضروب الحكمة . وتبليت منه انه قرأ الهندسة وفهمها ، وقرأ المنطق وضبط كثيراً منه ، ثم أعرض عن ذلك وتشاغل بكتب جالينوس وجمعا ، وتناولها بتصحيحه

(١) مدينة في اسبانيا قرب مدريد قسماً طارق بن زياد (٧١٤) فيها آثار عربية قديمة .

(٢) من ملوك الطوائف في الاندلس . حالف أمراء قشتالة الاسبان على سائر ملوك العرب في الاندلس « ذ ر » .

ومعاناته ، فحصل بتلك العناية على فهم كثير منها . ولم تكن له دربة بعلاج المرضى ولا طبيعة نافذة في فهم الامراض . ووفي عند صلاة الصبح من يوم الثلاثاء اول يوم من رجب سنة اربع واربعين واربعمائة . واخبرني انه ولد سنة تسع وستين وثلاثمائة . فكان اذ توفي ابن خمس وسبعين سنة .

ابن وافد

هو الوزير ابو للطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى بن وافد بن مهند اللخمي أحد أشراف اهل الاندلس ، وفوي السلف الصالح منهم ، والسابقة القديمة فيهم . عنى عناية بالغة بقراءة كتب جالينوس وقتهما ، ومطالمة كتب ارسطوطاليس وغيره من الفلاسفة . قال القاضي صاعد : وقهر بلم الادوية المفردة حتى ضبط منها ما لم يضبطه أحد في عصره ، وألف فيها كتاباً جليلاً لا نظير له جمع فيه ما تضمن كتاب ديسقوريدس وكتاب جالينوس المؤلفان في الادوية المفردة ، ورتبه احسن ترتيب . قال : واخبرني انه عانى جمه ، وحاول ترتيبه وتصحيح ما ضمنه من أسماء الادوية وصفاتها ، وأودعه إياه من تفصيل قواها وتحديد درجاتها نحواً من عشرين سنة ، حتى كل موافقاً لغرضه ، وتم مطابقاً لبنيته . وله في الطب منزع لطيف ومذهب نبيل ، وذلك انه كان لا يرى للتداوي بالادوية ما امكن للتداوي بالأغذية أو ما كان قريباً منها ، فاذا دعت الضرورة الى الادوية فلا يرى التداوي بمركبها ما وصل الى التداوي بمفردها ، فان اضطر الى المركب منها لم يكابر التركيب بل اقتصر على الأقل ما يمكنه منه . وله نوادر عفوطة وغرائب مشهورة في الإبراء من العلل الصعبة والامراض المخوفة بأيسر العلاج واقربه . واستوطن مدينة طليطلة ، وكان في أيام ابن ذي النون . ومولد ابن وافد في ذي الحجة من سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، وكان في الحياة في سنة ستين واربعمائة . ولابن وافد من الكتب : كتاب الادوية المفردة . كتاب الوساد في الطب . مجربات في الطب . كتاب تدقيق النظر في علل حاسة البصر . كتاب المنيث .

الرميلي

هو ^(٥) وكان بالمرية ^(٦) في أيام ابن معن ^(٧) المعروف بابن صمادح ، ويلقب بالمتصم بأف . وقال ابو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم بن اليسع في كتاب « المغرب عن محاسن أهل المغرب » : إن الرميلي صحبه ترفيق يساعده ويصعده ، ويقع له الجساء ويقعده ، مع دربة جرى بها فأدرك ، وقياس جررة للمحاورة فتحرك ، فأصبح يقتدى بلسخه ويتنافس في مستصرخه ويتوسل اليه برأسة

(٥) يابض بالأصل .

(٦) مرفاً في الاندلس على البحر المتوسط . كانت من مدن مملكة غرناطة عظم شأنها على أيام عبد الرحمن الاول (الداخل)

(٧) هو المتصم محمد بن معن بن صمادح من ملوك الطوائف خلف والده على ولاية المرية في الاندلس . وهو صديق يوسف ابن هشام (د.ن)

نفس لا ترضى بدنيّة ، ولا تعامل إلا بالحرية . وربما عالج في بعض أوقاته المستورين بماله أدوية وأغذية ، فأحب البعيد والقريب ، وأصبح ما له إلا حبيب أو حبيب حتى اودت به الأيام فاقسدة احسانه ، فادبة مكانه .

وللرميلي من الكتب : كتاب البستان في الطب .

ابن النهي

هو أبو محمد عبد الله بن محمد الأزدي ويعرف بابن النهي ، أحد المتنبئين بصناعة الطب ، ومطالمة كتب الفلاسفة ، وكان كلفاً بصناعة الكيمياء مجتهداً في طلبها . وتوفي ببغداد سنة ١١٠١ في جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وأربعمائة .

ولابن النهي من الكتب : مقالة في ان الماء لا يفقد .

ابن النباش

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حامد البجائي ويعرف بابن النباش ، اهتم بصناعة الطب مواظب لعلاج المرضى ، ذو معرفة جيدة بالعالم الطبيعى ، وله أيضاً نظر ومشاركة في سائر العلوم الحكيمية ، وكان مقبلاً بحجة مرسية (١) .

أبو جعفر بن خميس الطليطلي

قرأ كتب جالينوس على مراتبها ، وتناول صناعة الطب من طرقها ، وكانت له رغبة كثيرة في معرفة العلم الرياضي والاشتغال به .

أبو الحسن عبد الرحمن بن خلف بن عساكر الناصري

اعتنى بكتب جالينوس عنابة صحيحة ، وقرأ كثيراً منها على أبي عثمان سعيد بن محمد بن بغوش ، واشتغل أيضاً بصناعة الهندسة والمنطق وغير ذلك ، وكانت له عبارة بالغة ، وطبع فاضل في المعاني ، ومزج حسن في العلاج ، وله تصرف في دروب من الاعمال الطيبة والصناعات الدقيقة .

ابن الحياط

هو أبو بكر يحيى بن احمد ويعرف بابن الحياط ، كان أحد تلاميذ أبي القاسم مسلمة بن احمد المرحطي في علم العدد والهندسة ، ثم مال الى احكام النجوم وبرع فيها واشتهر بطلها ، وخدم بها سليمان بن حكم بن الناصر لدين الله في زمن الفتنة وغيره من الامراء ، وآخر من خدم بذلك الامير

(١) مدينة في الاندلس (اسبانيا) كانت من هواصم الحضارة العربية .

(٢) مدينة في جنوب آسيا احتلها المرابطون ثم الموحدون . (ن،د)

المؤمن يحيى بن اسمعيل بن ذي النون ، وكان مع ذلك معتنياً بصناعة الطب ، دقيق العلاج
حقيقاً حليماً دمثاً حسن السيرة كريم المذهب ، وتوفي بطليطلة سنة سبع وأربعين وأربعمائة وقد
قارب ثمانين سنة .

منجم بن القوال

يهودي من سكان سرقسطة ، وكان متقدماً في صناعة الطب متمرساً مع ذلك في علم المنطق وسائر
علوم الفلسفة .

ولمنجم بن القوال من الكتب : كتاب كنز العقل ، على طريق المسألة والجواب ، وضمنه جملاً من
قوانين المنطق وأصول الطبيعة .

مروان بن جناح

كان أيضاً يهودياً وله عناية بصناعة المنطق والتوسع في علم لسان العرب واليهود ، وسمعة جيدة
بصناعة الطب . وله من الكتب كتاب التلخيص وقد ضمنه ترجمة الادوية المفردة ، وتحديد المقادير
المستعملة في صناعة الطب من الاوزان والمكاييل .

اسحق بن قسطار

كان أيضاً يهودياً وخدم الموفق مجاهداً العامري^(١) وابنه اقبال الدولة حلياً . وكان اسحق بصيراً
بأصول الطب ، مشاركاً في علم المنطق ، مشرفاً على آراء الفلاسفة . وكان وافر العقل ، جميل
الاخلاق . وله تقدم في علم اللغة العبرانية ، بارعاً في فقه اليهود ، حبراً^(٢) من احبارهم ، ولم يتخذ
قط امرأة . وتوفي بطليطلة سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وله من العمر خمس وسبعون سنة .

حسداي بن اسحق

معتن بصناعة الطب ، وخدم الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ، وكان حسداي بن اسحق من
احبار اليهود متقدماً في علم شريعتهم ، وهو اول من فتح لاهل الاندلس منهم باب علمهم من الفقه
والتاريخ وغير ذلك . وكالوا قبل يضطرون في فقه دينهم وسني تاريخهم ومواقبت اعيادهم الى يهود
بغداد ، فيستجلبون من عندهم حساب عدة من السنين يتعرفون به مداخل تاريخهم ومبادئ سليمهم .
فلما اتصل حسداي بالحكم ، وقال عنده نهاية الخطوة توصل به الى استجلاب ما شاء من تأليف اليهود
بالمشرق ، فعمل حينئذ يهود الاندلس ما كانوا قبل يجهلون واستغنوا عما كانوا يتبعثمون الكلفة فيه .

(١) مؤسس مملكة دانية وجزائر البايار .

(٢) العالم يقبس الكلام من اهل البيت .

أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي

من ساكني مدينة سرقسطة ، ومن بيت شرف اليهود بالأندلس ، من ولد موسى النبي عليه السلام . عني بالعلوم على مراتبها ، وتناول المعارف من طرقها ، فأحكم علم لسان العرب ، وقال حظاً جزيلاً من صناعة الشعر والبلاغة ، وبرع في علم العدد والهندسة وعلم التنجيم ، وفهم صناعة الموسيقى وحاول عملها ، واتقن علم المنطق وتحرر بطرق البحث والنظر ، واشتغل أيضاً بالعلم الطبيعي ، وكان له نظر في الطب ، وكان في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة في الحياة وهو في سن الشيبة .

أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي

من الفضلاء في صناعة الطب ، وله عناية بالغة في الاطلاع على كتب ابقراط وجالينوس وفهمها . وكان قد سافر من الاندلس الى الديار المصرية . واشتهر ذكره بها وتقيز في أيام الامر بإحكام الله ^(١) من الخلفاء المصريين ، وكان خصيصاً بالأمون ، وهو أبو عبيد الله محمد بن نور الدولة أبي شجاع الآمري ، في مدة أيام دولته وتدبيره للملك . وكانت مدته في ذلك ثلاث سنين وتسعة أشهر : لان الامر كان قد استوزر للأمون في الخامس من ذي الحجة سنة خمس عشرة وخمسمائة وقبض عليه ليلة السبت الرابع من شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة في القصر بمد صلاة المغرب . ثم قتل بمد ذلك في رجب سنة الثنتين وعشرين وخمسمائة وصلب بظاهر القاهرة ^(٢) . وكان الأمون في أيام وزارته له همة عالية ، ورغبة في العلوم فكان قد امر يوسف بن أحمد بن حسداي ان يشرح له كتب ابقراط اذ كانت أجل كتب هذه الصناعة وأعظمها جدوى وأكثرها غموضاً . وكان ابن حسداي قد شرع في ذلك ، ووجدت له منه شرح كتاب الايمان لابقراط ، وقد أجاد في شرحه لهذا الكتاب ، واستقصى ذكر معانيه وتبيينها على أتم ما يكون ، وأحسنه . ووجدت له أيضاً شرح بعض كتاب الفصول لابقراط ، وكان بينه وبين أبي بكر محمد بن يحيى المعروف بابن باجة صداقة فكان أبداً يرأسه من القاهرة .

وكان يوسف بن أحمد بن حسداي مدمناً للشراب ، وعنده دعابة وفوادير . ويلغني عنه انه لما أفي من الاسكندرية ^(٣) الى القاهرة ، كان هو وبعض الصوفية قد اصطحبوا في الطريق فكانا يتعاهدان ، وأنس كل واحد منهما الى الآخر ، ولما وصلا الى القاهرة قال له الصوفي أنت ابن تزل في القاهرة حتى اكون أراك ؟ فقال : ما كان في خاطري أن ازل إلا حانة الخمار وأشرب فان كنت توافق وتأتي الي فرأيتك . فصعب قوله على الصوفي وأنكر هذا الفعل ، ومشى الى الخانكاه ^(٤) . ولما كان في بعض

(١) ابو علي الامر بإحكام الله التصود (١٠٩٦ - ١١٣٠) حاشر الخلفاء الفاطميين بمصر .

(٢) بيت بامر جبرهم الفوائد الفاطمي في ٩ تموز سنة ٩٦٩ وفيها اعظم الآثار الاسلابية والقرنية . وهي اليوم حاصمة جمهورية مصر العربية .

(٣) من امم ثنور البسر المتوسط . أسماها الاسكندر الكبير (٣٣١ ق.م) اشتهرت بمدريستها الفلسفية ومن اساتذتها الفيلسوفين .

(٤) الخان الذي يتزل فيه المسافرين .

الأيام ، بعد مدينة ، وابن حسداي في السوق ، وإذا يجمع من الناس وفي وسطهم صوفي يعزر وقد اشتهر أمره بأنه وجد سكران ، ولما قرب إلى الموضع الذي فيه ابن حسداي ونظر إليه وجده ذلك الصوفي يمينه . فقال : يا لله قتلك التماس (١) .

وليوسف بن أحمد بن حسداي من الكتب : الشرح المأموني لكتاب الايمان لابن قراط المعروف بعمده إلى الأطباء ، صنفه للمأمون أبي عبدالله محمد الأمري . شرح المقالة الأولى من كتاب الفصول لابن قراط . تعليقات وجدت بخط كتبها عند وروده على الاسكندرية من الاندلس . فوائد مستخرجة استخرجها وهذا من شرح علي بن رضوان لكتاب جالينوس إلى اغثوقن ، من القول على أول الصناعة الصغيرة لجالينوس . كتاب الاجال في المنطق . شرح كتاب الاجال .

ابن سمجون

وهو أبو بكر حامد بن سمجون فاضل في صناعة الطب متميز في قوى الادوية المفردة وافعالها ، متقن لما يجب من معرفتها . وكتابه في الادوية المفردة مشهور بالجودة ، وقد بالغ فيه واجهد نفسه في تأليفه ، واستوفى فيه كثيراً من آراء المتقدمين في الادوية المفردة . وقال أبو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم بن اليسع في كتاب «المغرب عن عباس أهل المغرب» : ان ابن سمجون ألف كتابه هذا في أيام المتصور الحاجب محمد بن أبي عامر . أقول وكانت وفاة محمد بن أبي عامر في سنة التثنية وتسعين وثلاثمائة .

ولابن سمجون من الكتب : كتاب الادوية المفردة . كتاب الاقرباذين .

البكري

هو أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري ، من مرسية ، من أعيان أهل الاندلس وأكابرهم ، فاضل في معرفة الادوية المفردة وقواها ومنافعها واسماؤها ونوعاتها وما يتعلق بها . وله من الكتب : كتاب أعيان النبات والشجريات الاندلسية .

الغافقي

هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن السيد الغافقي . امام فاضل ، وحكيم عالم ويعد من الأكابر في الاندلس . وكان أعرف أهل زمانه بقوى الادوية المفردة ومنافعها وخواصها وأعيانها ومعرفة اسمائها . وكتابه في الادوية المفردة لا نظير له في الجودة ولا شبيه له في معناه . قد استقصى فيه ما ذكره ديسقوريدس والفاضل جالينوس بأوجز لفظ وأتم معنى ، ثم ذكر بعد قولها ما تجد للمتأخرين من الكلام في الادوية المفردة ، أو ما ألم به واحد واحد منهم وعرفه فيما يسد ،

(١) المسرقي يسريك .

فجاء كتابه جامعاً لما قاله الأفاضل في الادوية المفردة ودستوراً يرجع اليه فيما يحتاج الى تصحيحه منها.
وللفاقي من الكتب : كتاب الادوية

الشريف محمد بن محمد الحسني

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني ويلقب بالمالي بالله . كان فاضلاً عالماً
بقوى الادوية المفردة ومنافعها ومنابئها وأعيانها .
وله من الكتب . كتاب الادوية المفردة

خلف بن عباس الزهراوي

كان طبيباً فاضلاً خبيراً بالادوية المفردة والمركبة ، جيد العلاج . وله تصانيف مشهورة في صناعة
الطب ، وافضلها كتابه الكبير المعروف بالزهراوي .
وخلّف بن عباس الزهراوي من الكتب : كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف ، وهو أكبر
تصانيفه وأشهرها ، وهو كتاب تام في معناه .

ابن بكلاروش

كان يهودياً من أكابر علماء الأندلس في صناعة الطب ، وله خبرة واعتناء بالغ بالادوية المفردة .
وخدم بصناعة الطب بني هود .
ولابن بكلاروش من الكتب : كتاب المجدولة في الادوية المفردة ، وضعه مجدولا ، وألفه بمدينة
المرية للسّتمين بالله أبي جعفر أحمد بن المؤتمن بالله بن هود

أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت

هو من بلد دانية ^(١) من شرق الأندلس ، وهو من أكابر الفضلاء ، في صناعة الطب وفي غيرها من
العلوم ، وله التصانيف المشهورة والمآثر المذكورة . قد بلغ في صناعة الطب مبلغاً لم يصل اليه غيره
من الأطباء ، وحصل من معرفة الادب ما لم يدركه كثير من سائر الادباء . وكان أوسع في العلم الرياضي ،
متقناً لعمق الموسيقى وعمله ، جيد اللعب بالعود . وكان لطيف التآدرة ، فصيح اللسان ، جيد المعالي .
ولشعره رونق . وأتى أبو الصلت من الأندلس الى ديار مصر وأقام بالقاهرة مدة : ثم عاد بعد ذلك
الى الأندلس . وكانت دخول أبي الصلت الى مصر في حدود سنة عشر وخمسةائة . ولما كان في
الاسكندرية حبس بها .

وحدثني الشيخ سعيد الدين المتطفي في القاهرة سنة اثنين وثلاثين وستائة : ان أبا الصلت أمية بن
عبد العزيز كان سبب حبسه في الاسكندرية ان مركباً كان قد وصل اليها ، وهو موفر بالناحس ففرق
قريباً منها ، ولم تكن لهم حيلة لتخليصه لطول المسافة في عمق البحر ففكر أبو الصلت في أمره وأجال

(١) قصة التاجية الشهابية الشرقية من كورة الفت « وقد مر ذكرها » .

النظر في هذا المعنى حتى تلخص له فيه رأي ، واجتمع بالافضل بن أمير الجيوش ملك الاسكندرية وأوجده انه قادر ان تيا له جميع ما يحتاج اليه من الآلات ان يرفع المركب من قعر البحر ، ويجعله على وجه الماء مع ما فيه من الثقل فتعجب من قوله ، وفرح به ، وسأله ان يفعل ذلك . ثم آتاه على جميع ما يطلبه من الآلات وغرم عليها جثة من المال . ولما تهيأت وضعا في مركب عظيم على موازاة المركب الذي قد غرق ، وأرسل اليه جبلا مبرومة من الابريسم ، وأمر قوما لهم خبرة في البحر ان يفوضوا ويرثقوا ربط الجبال بالمركب الغارق وكان قد صنع آلات باشكال هندسية لرفع الانتقال في المركب الذي هم فيه . وأمر الجماعة بما يفعلونه في تلك الآلات . ولم يزل شأنهم ذلك والجبال الابريسم ترتفع اليهم أولا فأولا وتتطوي على دواليب بين أيديهم حتى بات لهم المركب الذي كان قد غرق ، وارتفع الى قريب من سطح الماء . ثم عند ذلك انقطعت الجبال الابريسم ، وهبط المركب راجعا الى قعر البحر . ولقد تطفأ أبو الصلت جدا فبا صنعهم ، وفي التحيل الى رفع المركب ، إلا ان القدر لم يساعده وحقق عليه الملك لما غرمه من الآلات وكونها مرت ضائعة ، وأمر بحجسه ، وان يستوجب ذلك . وبقي في الاعتقال مدة ان ارت شفع فيه بعض الأعيان وأطلق . وكان ذلك في خلافة الأمر بإحكام الله ، ووزارة الملك الأفضل بن أمير الجيوش .

ونقلت من رسائل الشيخ أبي القاسم علي بن سليمان المعروف بابن الصيرفي في ما هذا مثاله . قال : وردتني رقعة من الشيخ أبي الصلت ، وكان ممتقلا ، وفي آخرها نسخة قصيدتين خدتم بها المجلس الافضل أول الاولى منها .

الشمس دونك في المحل والطيّب ذكرك بل أجل
(الكامل)

وأول الثّانية

نسخت غرائب مدحك التشييبا وكفى بها غزلا لنا ونسيبا
(الكامل)

فكتبت اليه :

لئن سارتك الجمر هنا فربما رأينا جلابيب السحاب على الشمس
(الطويل)

وردتني مولاي فاخذت في تقبيّلها وارتشافها ، قبل التأمل لها منبها واستشفافها ، حتى كأني ظفرت بيد مصدرها ، وتمكنت من أنامل كاتبها ومسطرها ، ووقفت على ما تضمنته من الفضل الباهر ، وما أودعتها من الجواهر التي كذّفت بها فيض الخاطر . قرأيت ما قيد فكري وطرفي ، وجل عن مقابلة تقريبي ووصفي . وجعلت أجدد تلاوتها مستفيدا ، وأرددها مبتدئا فيها ومعيدا .

نكرر طورا من قراءة فصوله فان نحن أئمتنا قراءته عدنا

إذا ما نشرناه فكلملك نشره ونطويه لا طي السامة بل ضنا

(الطويل)

فأما ما اشتملت عليه من الرضا بحكم الدهر ضروره ، وكون ما اتفق له عارض بتحقيق نهايه ومروره ، ثقة بمواطف السلطان ، خلد الله أيامه ومراحه ، وصكونا الى ما جبلت النفوس عليه من معرفة فواضله ومكارمه . فهذا قول مثله بمن طهر الله نيته . وحفظ دينه ، ونزه عن الشكوك خبيره وبقينه ، ووقفه بلطفه لاعتقاد الخير واستشماره ، وصانه عما يؤدي الى عاب الاثم وعاره .

لا يؤرسك من تفرج كربة خطب رماك به الزمان الانكد
صبرا فان اليوم يلجمه غد ويد الخلافة لا تطاولها يد

(الكامل)

وأما ما اشار اليه من ان الذي مني به تمحيص أوزار سبقت ، وتمحيص ذنوب انقثت ، فقد حاشاه الله من الدنيا وبرأه من الآثام والخطايا . بل ذاك اختبار لتوكله وثقته ، وابتلاء لصبره ^(١) وسريته كما يبذل المؤمنون الاقتياء ، ويمتنع الصالحون والاولياء . والله تعالى يدبره بحسن تدبيره ، ويقضي له بما لحظ في تسهيله وتيسيره ، بكرمه . وقد اجتمعت بفلان فاعلمني انه تحت وعد أداه الاجتهاد الى تحصيله واحرازه ، ووقت من المكارم الفائضة بالوفاء به والمجازة ، وانسه ينتظر فرصة في التذكر يلتزمها ويفتنمها ، ويرتقب فرجة للخطاب يتولجها ويقتمحها . والله تعالى يعينه على ما يضر من ذلك وينويه ، ويوفقه فيما يحاوله وينيه .

وأما القصيدتان اللتان ألحفي بها فما عرفت أحسن منها مطلما ، ولا أجود منصرفا ومقطعا ، ولا أملك للقلوب والاسماع ، ولا أجمع للاغراب والابداع ، ولا أكل في فصاحة الالفاظ وتمكن البقائي ، ولا أكثر تناسبا على كثرة ما في الاشعار من التباين والتنافي . ووجدتها تردادات حسنا على التكرير والتدريد ، وتقاءت فيها بترتيب قصيدة الاطلاق بعد قصيدة التقييد . والله ، عز وجل ، يحقق رجائي في ذلك وأمل ، ويقرب ما أوقعه فمعظم السعادة فيه لي ، انشاء الله .

أقول : وكانت وفاة أبي الصلت رحمه الله يوم الاثنين مستهل محرم سنة تسع وعشرين وخمسة المهدية ^(٢) ، ودفن في المستبر ^(٣) ، وقال عند موته ابياتا وأمر ان تنقش على قبره وهي :

سكنتك يا دار الفناء مصدقا بالي الى دار البقاء أصير
وأعظم ما في الامر الي صائر الي جادل في الحكم ليس يحور
فيا ليت شمري كيف ألقاه عندها وزادي قليل والذنوب كثير

(١) الصبر : متنى الامر وعاقبته .

(٢) مدينة في القنودان انشاء المهدى حيد الله سنة ٩٧١

(٣) اسم بركة في قرص القرب كان فيها دير لليسيين . ومنه سميت البقرة .

بشر عقاب المذنبين جدير
فتم نعم دائم وسرور

فان أك مجزياً بذنبي فأنني
وان يك عفو ثم عني ورحمة

(الطويل)

ولما كان ابو الصلت أمية بن عبد العزيز قد توجه الى الاندلس ، قال ظافر الحداد الاسكندري
وانقلها الى المهدي الى الشيخ أبي الصلت من مصر يذكر شوقه اليه ، وإيام اجتماعها بالاسكندرية :

هو السم لكن في لفائك درياق
على كل قطر بالشارق اشراق
بقلي عهد لا يضيع وميثاق
وريقاء كنتها^(١) من الايك اوراق
وأكثر اخلاق الخليفة اخلاق^(٢)
ديارك عن داري هوم واشواق
جرت ولها ما بين جفني احراق
خلال التراقي^(٣) والثرائب^(٤) تشواق
فلي منه في صعب الثواب اتفاق
لجيش خطوط صدها منه ارهاق
غرور وان الكنز فقر واملاق
وليس له من رق ودك اعتاق
ومطرود طامي الغوارب خفاق
طلائع^(٥) انضاها ذميل^(٦) واعناق^(٧)
يلزم احناق الحمايم اطواق
كمهدي وثغر الثغر أشنب براق
من القرب كالصنوبر ضمها ساق
بها حسدت منا المسامع احداق
مقيد الى قلب المحدث سباق
له كل بحسر فائض اللج رقاق

ألا هل لدائي من فراقك افراق^(٨)
فيا شمس فضل غريت ولضوئها
سقى العهد عهدا منك عمر عهده
يحمده ذكر يطيب كما شئت
لك الخلق الجزل الرفيع طرازه
لعد ضاءتني يا ابا الصلت مذ نأت
اذا عزني اطفالها بمدامي
سحائب يحدها زفير تجره
وقد كان لي كنز مع الصبر واسع
وسيف اذا جردت بعض غراره
إلى ان ابان اليبس ان غراره
اخى سيدي مولاي دحوة من صفا
لئن بعمت ما بيننا شقة النوى
وبعيد اذا كلفتها الميس قصرت
فمندي لك الود الملازم مثل ما
ألا هل لا يمي بك الثغر عودة
لبالي ينفينا جواب أعادنا
وما بيننا من حسن حظك روضة
حديث حديث كلما طال موجز
يزجيه بحر من علومك زاهر

(١) يره وليلة .

(٢) ساقها . (٣) الباني .

(٤) جمع رقرة وهي مقدم الخلق في اهل الصدر حيث يقرئ فيه النفس ، او هو العظم الذي في اهل الصدر بين ثرة
البحر والمائق .

(٥) واحدها قرية وهي موضع القلادة من الصدر .

(٦) متممة مائة (٧) السير القين (٨) السير السريع (٩) ر

معان كاطواد الشوامخ جزلة
به حَكَمٌ مستنبطات غرائب
فلو عاش رسطاليس كان له بها
فيا واحد الفضل الذي العلم قوته
لئن قصرت كتيي فلا غرو انه
كتبت وآفات البحار ترجمها
بحار بإحكام الريح قانها
ومن لي ان أحطى اليك بنظرة

تضمنها علب من اللفظ غداق^(١)
لا يكادها الفلاس عشاق
غرام وقلب دائم الفكر تراق
وأهلوه مشتاق بشم وفراق
لما تقي عذر والمقادير أوهاق^(٢)
فان لم يكن ره علي فافراق
مفاتيح في أبوابهن وأغلاق
فيكن مقلاك^(٣) ويرقا مهران^(٤)

(الطويل)

ومن شعر أبي الصلت امية بن عبد العزيز قال يندح ابا الطاهر يحيى بن تميم بن المز بن ياديس^(٥)
ويذكر وصول ملك الروم بالهدايا راغباً في ترك الفزو وذلك في سنة خمس وخمسة :

يأديك من لو شئت كان هو المهدي
وكل سريحي^(٦) اذا ابتار غمده
تخير فردا في طلبا الهند شأنه
ظبا^(٧) ألفت غلب الرقاب وصالها
توكت بقسطنطينة رب ملكها
سددت عليه مغرب الشمس بالظبا
وبالرغم منه ما اطاعك مبديا
لانك ان اوعده^(٨) أو وعدته
اجل ، واذا ما شئت جردت نحوه
يردون اطراف الرماح دواميا
قد تلك ملوك الارض ابعدها مدى

والا فضمنه المتفقه^(٩) المدا^(١٠)
تعوي من هام الكفاة له غمدا
اذا شيم يوم الروح ان يزوج الفردا
كا ألفت منهن أغمدها الصدا
وللرعب ما أخفاه منه وما أبدى
فود حذارا منك لو جاوز الصدا
لك الحب في هذي الرسائل والودا
وقيت ولم تخلف وعيدا ولا وعدا
جساجعة^(١١) شيا وصيانة مردا
يخلن على أيديهم مقل رمدا
وارفعها قدرأ واقدمها مجددا

(١) الفزير .

(٢) جمع ريق وهو جبل في طرفه الشوطة يطرح في حلق الدابة حتى توخذ .

(٣) كتي به من قلبه (٤) كتي به عن منعمه .

(٥) من بني زيري ملوك غرناطة .

(٦) الرماح (٧) لقائمة البنية .

(٨) السيفوف التسوية الى رجل اسمه سريج كان ماهرأ بضمها .

(٩) حد السيف والسنان « ن. ر. »

(١٠) مدله .

(١١) الاسياد للمارحون الى الكاكرم .

إذا كفوا بالطرف ادعج ساجياً
وكل اضة^(٢٢) احكم اللعين^(٢٣) نسجها
واسمر عسال^(٢٤) وابيض صارم
محاسن لو ان الليالي^(٢٥) سطيت
فمَرُ بالذي تحتاره الدهر يمثل
كلفت بحب الطرف عبل^(٢٦) الشوى^(٢٧) نهدا
فضاعف في اثناها الخلق السردا
يعنق ذا قدأ ويلثم ذا خدا
بايسرها لابيض منهن ما اسودا
لامرك حكاً لا يطبق له ردا
(الطويل)

وقال ايضاً ورفعها الى الافضل^(٢٨) يذكر تجريده للمساكر الى الشام لمحاربة الفرنج بعد انزام عسكره
في الموضع المعروف بالبعص^(٢٩) ، وكان قد اتفق في اثناء ذلك التاريخ ان قوماً من الاجناد وغيرهم
ارادوا الفتك به فوقع على خيرهم فقبض عليهم وقتلهم .

هي العزائم من انصارها القدر
جردت للدين والاسياف مفصدة
وقت اذ قعد الاملاك كلم
بالبيض تسقط فوق البيض انجمهم
بيض اذا خطبت بالنصر السنه
وذيل من رماح الخط مشرعة
يفشى بها غمرات الموت اسد شرى
مستلثمين^(٣٠) اذا سارا سيوفهم
قوم تصول ببيض الهند اذرعهم
اذا انتصوها وذيل النقع فوقهم
ترشح انفسهم نحو الوغى طرباً
وان لم تكسوا يوماً فلا حجب

وهي الكتاب من اشياها الظفر
سيفاً تقل به الاحداث والغير
تذب عنه وتحميه وتلتصر
والسمر تحت ظلال النقع تشتجر
لبن منارها الاكباد والقصر^(٣١)
في طولن لاحمار المدا قصر
من الكياة اذا ما استنجدوا ابتدروا
شبهتها خلعاً^(٣٢) مدت بها غدر^(٣٣)
لما يضر ظباها انها بستر
كالشس طالمة والليل ممتكر
كأنما الدم راح والظبا زهر
قد يكهم^(٣٤) السيف وهو الصائم الذكر

- (١) ضخم .
- (٢) العبدان والرجلان والاطراف .
- (٣) كنى بها عن الدرع .
- (٤) الحداد .
- (٥) الرمح الشديد الاعتزاز .
- (٦) هو وزير الدولة الفاطمية وامير جيوشها .
- (٧) موقع قرب الناقورة على حدود فلسطين .
- (٨) واسمها نخوة وهي اصل الرقية .
- (٩) متدربين .
- (١٠) جمع خليج .
- (١١) جمع غدير « ن . د »
- (١٢) كل .

العود اُحد والايم ضامنة
 وربما سامت الاقدار ثم جرت
 الله زان بك الايام من ملكك
 له بأسك والالباب طائشة
 وللمعاج على صم القنا طلل
 اذ يرجع السيف يبدني خده علقاً
 واذا قد مدد السيف منفرداً
 أما يولك ما لاقيت من عدد
 هي الساحة إلا انها شرف
 الله في الدين والدنيا فما لها
 ورام كيدك اقوام وما علوا
 هيئات أين من الميوق^(١) طالبي
 ان الاسود لتأبى أن يروعا
 أمر نووه ولو هوا به وقفوا
 فاضرب بسيفك من ثاوك منتقيا
 ما كل حين ترى الاملاك صافعة
 ومن ذوي البني من لا يستهان به
 ان الرماح غصون يستظل بها
 وليس يصبح شمل الملك منتظما
 والرأي رأيك فيما الت فاعله
 أضحي شهنشاه غنياً للندى غدقاً
 الطاعن الالف، الا انها نسق^(٢)
 ملك ثبواً فوق النجم مقعده
 يرجى نداء ويخشى عند سطوته
 ولا سمعت ولا حدثت عن أحد
 ولا بصرت بشمس قبل غرقه
 يا ايا الملك السامي الذي ابتهجت
 جامتك من كلم الحاكمي محبرة

عقبى التجاج وورعد الله ينتظر
 بما يترك ساعات لها أخر
 لك المجهول من الايام والفسر
 والخل تردى وفار الحرب تستمر
 هي النخاع واطراف القنا شرور
 كصفحة البكر آدمى خدها الحفر
 ولا يصدك لا حين ولا خور
 سيان عندك قل للقوم أو كانوا
 هي الشجاعة الا انها غرور
 سواك كهف ولا ركن ولا وزر
 أن المني خطرات بعضها خطر
 لو كان سد منه الفكر والنظر
 وسط المرين طباه الرب^(٣) المفور
 كوقفة المير لا ورد ولا صدور
 ان السيوف لاهل البني تدخور
 عن الجرائر تقفو حين تقتدر
 وفي القلوب فلوب ليس تقتدر
 وما لمن سوى هام المدى ثمر
 الا بحيث ترى الهامات تكثر
 وأنت أصرى بما تأتي وما تنذر
 كل البلاد الى سقياء تقتدر
 والواهب الالف الا انها يندر^(٤)
 فكيف تطمع في غاياته البشر
 كالدهر يوجد فيه النفع والضرر
 من قبله عيب الدنيا ويعتمر
 اذا تجلى سناها أغدق المطر
 به البالي وقر البهو والحضر
 تطوى ليهبتها الارباد والحبر

(١) نجم يتلو القريا ولا يتقدمها .

(٢) القطيع من بحر الرمش .

(٣) ما كان على طريقة نظام واحد .

(٤) جمع بدرة وهي في الأصل جلد السخنة اذا فطم وسمي بها الكيس الذي فيه عشرة آلاف درهم .

طبي الضمير ومن غواصها الفكر
أولى بقائلها من قوله الحصر
بان كل مطيل فيه غنصر
أجساد تلك الممالي هذه الدرر
البيسط

هي الآلاء إلا ان غاظمها
تبلى وقذهب اشعار ملفقة
ولم اظلمها لاني جد معارف
بقيت للدين والغنى ولا عدمت

وقال أيضاً :

ما عجه في الكاس من إهريقه
من وجنتيه ، وطعمها من ريقه
الكامل

ومهلل شركت محاسن وجهه
ففعالها من مقلتيه ، ولونها

وقال أيضاً يصف الغريا :

منظرها فيها معجب
يريك غزالها المقرب
وتغرب كالكاس اذ يشرب
المقارب

رأيت الغريا لها حالتان
لها عند مشرقها صورة
فتطلع كالكاس اذ تستعت

وقال في الموضع المعروف ببركة الحبش بمصر :

والااق بين الضياء والغبش
كالسيف سلكه كصف مرثش
دبج بالنور عطفها ووشي
فنعن من نسجها على فرش
دعاه داعي الصبا فلم يطش
من سورة (١) ألم غير منتش
فتلك أروى لشدة العطش
المسرح

له يومي ببركة الحبش
والنيل تحت الرياح مضطرب
ولحن في روضة مدفوعة
قد نسجتها يد الريح لنا
وأثقل الناس كلهم رجل
فما طفي الزاح ان تاركها
واسقني بالكبار مقوعة

وقال أيضاً :

كيف يصيد البطيل الاصيدا
ما يفعل السيف اذا جردا
السريع

عجبت من طرفك في ضعفه
يفعل فينا وهو في جفنه

(١) حدة الهم وسطوته .

وقال أيضاً :

حجبت مسامحه عن العذال
وبح التبع لا يزال معذباً
وإذا البلابل بالمشي تجاوت
وارحمنا لمذهب يشكو الجوى
نشوان من خمرين خر زجاجة
كالريم إلا أن هذا عاطل
لا يستقيم وهل يفيق بحالة
علم العدو بما لقيت فرق لي
يا من يرى جسمي بطول صدوره
قد كنت أطمع منك لو عاقبتني

قابى فليس عن الغرام يسالي
بمخفوق برق او طروق خيال
بعثت بأشله جوى البلبال
بنعم يشكو فراغ البال
عبثت بظلمته وخر دلال
أبدأ وذا في كل حال حالي
من ريق فيه سلافة الجريال^(١)
ورأى الحسود بليتي فرتي لي
ألا سمعت ولو يعد وصال
بصدود عتب لا صدود ملال
الكامل

وقال يصف فرساً أشهب :

وأشهب كالشهاب اضمى
قال حسودي وقد رآه
من ألبم الصبح بالثرى

يحول في منعب الجلال
يجنب خلقي الى القتال
وأمرج البرق بالهلال
البسيط

وقال أيضاً :

تقريب في الامر لاهل النهى
هذا به أولى وما ضره
عطار^(٢) في جل أوقاته

أفضل ما ساس به أمره
تقريب أهل اللهو في التندره
أدنى الى الشمس من الزهره^(٣)
(السريع)

وقال أيضاً :

في من بني الاصفر ريم رمى
سهم من اللط رمتي به
كانما مقلته في الحشا

قلبي بسهم الحور الصائب
عن كتب قوس من الحاجب
سيف علي بن أبي طالب
(السريع)

(١) الغر .

(٢) نجم من الكواكب السيارة وهو اقربها الى الشمس .

(٣) كوكب من الكواكب السيارة ويضي عند القدماء آلهة الجبال .

وقال أيضاً :

يا موقداً بالجهر في اضلعي
ان لم يكن وصل فعدني به

أراداً بشعر الوصل ما تنطفي
رضيت بالوعد وان لم تف
(السرير)

وقال أيضاً :

وليت وردت اليك الامور
وها انا بين عدا كلهم

ولم أك منتظراً أن تلي
عليّ فكن باي أنت لي
(التقارب)

ذكرت نوام لدى قريهم
كيف اكون اذا هم نأوا

فجئت بادمي المم
وهذا بكائي اذ هم ممسي
(التقارب)

وقال أيضاً :

اذا أليت حراً ذا وفاء
وان آخيت ذا أصل خبيث

وكيف به فدورك فاغتنمه
وساهك في الفعالي فلا تله
(الوافر)

وقال أيضاً :

أقول وقد شطت به غربة النوى
لئن بان عني من كلت بجبه
فان له في أسود القلب منزلاً
أراه بين الوم والوم مدره

والحب سلطان على مهجتي فظ
وشط لما للعين من شخصه حظ
تكلفه فيه الرعاية والحفظ
معاني شتى ليس يدركها الا حفظ
(الطويل)

وقال أيضاً :

وراض في الصاوم مجتهد
فهو كذي عنة (٢٢) به شيق (٢٣)

لكنه في القبول جلود (١)
او مشتهي الاكل وهو جمود (٢)
(المنسرح)

وقال أيضاً :

تفكر في نقصان مالك دائماً

وتنفل عن نقصان جسمك والممر

(١) الصبر .

(٢) الذي لا يقدر على مقاومة النساء .

(٣) شدة الشهوة للنساء .

(٤) المصاب بداء في مدته .

ويشيك خوف الفقر عن كل بنية
الم تر ان النهر جهم صروفه
فكم فرحة فيه أزيلت بقرحة

وقال في البراغيث :

وليلة دائمة النشوق
كليلة المسح المشوق
أحب خلق لأذى مخلوق
يقب فيه غير مستقيم
لو بت فوق قمة الميوق^(١)
كماشق اسرى الى مشوق
من أكحل منها وإسليق
من خطمه المذرب الذليق

وقال أيضا :

مارست دهري وجريت الآلام فلم
وكم تمنيت أن ألقى به احدا
فما وجدت سوى قوم اذا صدقوا
وكان لي سبب قد كنت احسبني
فيها مقل أظفاري سوى قلبي

وقال يصف الاسطرلاب

أفضل ما استصحب النيل فلا
جرم اذا ما التمت قيمته
غتمر وهو اذ تفتشه
نور مقلة يستبين ما رمقت
تحمله وهو حامل فلكا

وخوفك حال الفقر من أعظم الفقر
وان ليس من شيء يدوم على الدهر
وكم حال عمر فيه آلت الى اليسر
(الطويل)

بعيدة المسمى من الشروق
أطال في ظلماتها تشريفي
يرى دمي أشهى من الرحيق
لا يترك الصبوح^(١) للقبوق^(٢)
ما عاقه ذلك عن طروقي
أعلم من يفرط بالبروق
يفضها بمضغ دقيقي
فصد الطبيب الحاذق الرقيق
(الزاجر)

أحدم قط في جد ولا لعب
يلبي من المم أو يعدي على التوب
كلت مواعيدهم كالآل في الكذب
أحطى به واذا دائي من السبب
ولا مكتائب اعدائي سوى كشي
(البسيط)

تعديل به في الغمام والفر
جل على التبر وهو من صفر
عن ملح العلم غير غتمر
عن صائب اللحظ صادق النظر
لو لم يدر بالبنات لم يدر

(١) ما يشرب في الصباح .

(٢) ما يشرب في العشي .

(٣) قمة الميوق وهو نجم ينزل القريا ويرود به اليمد ولتأني .

مسكنه الارض وهو ينبتنا
أبدعه رب فكرة بمدت
فاستوجب الشكر والثناء له
فهو لندي الب شاهد عجب
وأن هندي الجسم بأثثة

(المشرح)

وقال في بكرة

ومحرورة الاحشاء لم تدبر ما الهوى
إذا ما بدا يرق المدام رأيتها
ولم أر فأراً كلما شب جرها

(الطويل) :

وقال أيضاً

قامت تدبر المدام ككفاما
ان أقبلت فالقضيض قامتها
للسك ما فاح من مراشفها
غزالة أخلت سميتها
هبك لها حسنها ويهجنها
شمس ينير النجى عياها
أو أدبرت فالكتيب ردفاها
والبرق ما لاح من ثنائها
فلم تشبه بها وحاشاها
فهل لها جيدها وعينها

(المشرح)

قال وقد باع داره من رجل اسود :

حكم الزمان ببيع داري ظالماً
يا بؤس ما صنع الزمان بمنزل
وأعادها ملكاً لألام مشقري
أسمى به زحل^(١) بديل المشقري^(٢)

(الكامل) :

وقال أيضاً :

خلط الصبا ماء الشباب بناره
من ورد وجنته وآس^(٣) عذاره

(١) كوكب يحيط به منطقة نيرة يضرب به المثل في العار والبيد ، وأما هنا فقد أراد التورية فهي من رجل زحل ، يتنسى
من العمل حسناً كان أو قبيحاً .
(٢) كوكب من الكواكب السيارة .
(٣) شجر يعرف بالريحان .

صنم حوى بدع الجبال بأسرها
البدر في أزراره ، والنصن في

ليحوز قلبي في وفاق إيساره
زفاره ، والحيف (١) ملء أزاره
(الكامل)

وقال أيضاً :

من تقبل الدنيا عليه فانها
وكذاك مها أدبرت عن فاضل

تثني محاسن غيره من ليسه
سلبته ظالمة محاسن نفسه
(الكامل) :

وقال أيضاً :

لا تقعن بكسر البيت مكشياً
واحتمل لنفسك في رزق تعيش به
ولا تقل انت رزقي سوف يدركني

يفنى زمانك بين اليأس والامل
فان اكثر عيش الناس بالليل
وان قعدت فليس الرزق كالاجل
(البسيط) :

وقال أيضاً :

لا ترج في أمرك سعد المشاري
وارج وخف رهبا فهو الذي

ولا تخف في فوته نحس زحل
ما شاء من خير ومن شر فعل
(الرجز) :

وقال أيضاً :

لا تمتبوني على أن لا أزورك
اني من القوم يحلو الموت عندهم

وقد تمتعني عني بحجاب
دون الوقوف لخلق على باب
(البسيط)

وقال في طيب اسمه شبان :

يا طيباً ضجر العا
فيك شهران من العا
أنت شعبان ولكن

لم منه وتبرم
م اذا العام تصرم
قتلك الناس محرم
(الرمل)

وقال في وقت شدة :

يقولون لي صبراً واني لصابر
سأصبر حتى يقضي الله ما قضى

على ثاببات الدهر وهي قواجع
وإن أنا لم اصبر فما أنا صانع
(الطويل)

وقال في الزهد :

(١) ما اخرج من الرمل واستطال .

ما أغفل المرء وألمأه
يا أمر بالنبي شيطانه
غرته دنياه فلم يستلق
يا ويحه المسكين يا ويحه
بعصي ولا يذكر مولا
والعقل لو يرشد ينهأ
من سكرها يوماً لآخره
ان لم يكن يرجحه الله
(السريع)

وقال ايضاً :

ساد صفار الناس في عصرنا
كالدست^(١) مها هم ان ينفضي
لا دام من عصر ولا كذا
عاد به البيدق^(٢) فرزانا^(٣)
(السريع)

وقال ايضاً :

يا مفرداً بالغنج والشكل
البدر من شمس الضحى نوره
من دل عيليك على قتلي
والشمس من نورك تستملي
(السريع)

وقال وقد رأى أمرد جبلاً قام من موضع وجاء أسود قعد في مكانه :

مضت جنة المأوى وجاءت جهنم
وما هي الا الشمس حان افولها
فقد صرت اشقى بعدما كنت انعم
وأعقبها قطع من الليل مظلم
(الطويل)

وقال ايضاً :

وقائفة ما بالي مثلك خاملاً
فقلت لها ذنبي الى القوم أنني
وأنت ضعيف الرأي أم أنت عاجز
لما لم يحوزوه من الحمد حائز
وما فاتني شيء سوى الحظ وحده
وأما المصالي فهي في غرائز
(الطويل)

ولاني الصلت أمة بن عبد العزيز من الكتب : الرسالة المصرية ، ذكر فيها ما رآه في ديار مصر من هيبتها وآثارها ، ومن اجتمع بهم فيها من الأطباء والمتجمين والشعراء وغيرهم من أهل الأدب ، وألف هذه الرسالة لاني الطاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس . كتاب الادوية المفردة على ترتيب الاعضاء المشابهة الاجزاء والآلية ، وهو مختصر قد رتبته احسن ترتيب . كتاب الانتصار لحنين بن اسحق على ابن رضوان في تتبعه لمساقل حنين . كتاب حديقة الادب . كتاب الملح المصرية من شعراء

(١) قالوا هو حسن البنت اي شطرنجي حافظ وكفى به عن الشطرنج نفسه .

(٢) هكذا وردت في الاصل والصحيح هي البيدق وهو من المسكر الرجالة وهما يعني به يلدق الشطرنج وهو المعروف بالمسكري .

(٣) ما يسمى الملكة في لعبة الشطرنج . « ن.و »

اهل الاندلس والطائرين عليها . ديوان شعره . رسالة في الموسيقى . كتاب في الهندسة . رسالة في العمل بالاسطرلاب . كتاب تقوم منطق النهن .

ابن باجة

هو ابو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ ، ويعرف بابن باجة ، من الأندلس . وكان في العلوم الحكيمة علامة وقته وأوحد زمانه . وبلي بجمع كثيرة وشناعات من العلوم ، وقصدوا هلاكه مرات وسله الله منهم . وكان متميزاً في العربية والأدب حافظاً للقرآن . ويعد من الافاضل في صناعة الطب . وكان متقناً لصناعة الموسيقى جيد اللعب بالعود . وقال ابو الحسن علي بن عبد العزيز بن الامام ، في صدر المجموع الذي نقله من اقاويل ابي بكر محمد بن الصائغ ابن باجة ما هذا مثاله : هذا مجموع ما قيد من اقوال ابي بكر بن الصائغ رحمه الله في العلوم الفلسفية . وكان ذا ثقافة النهن . ولطف الفوص على تلك الماني الشريفة النقيفة اعصوية دهره ، وفادرة الفلك في زمانه . فان هذه الكتب كانت متداولة بالاندلس ، من زمان الحكم مستجلبها ، ومستجلب غرائب ما صنف بالشرق ، ونقل من كتب الاوائل وغيرها ، نصر الله وجهه ، وتردد النظر فيها ، فما انتج فيها الناظر قبله سبيلاً ، وما تقيد عنهم فيها إلا ضلالات وتبديل ، كما تبعد عن ابن حزم الاشبيلي^(١) . وكان من أجل نظار زمانه وأكثرم لمن تقدم على اثبات شيء من خواطره . وكان احسن منه نظراً وأقرب لنفسه تمييزاً . ولما انتهجت سبل النظر في هذه العلوم بهذا الجبر وبإلك بن وهيب الاشبيلي ، فانها كالا متماصرين ، غير ان مالك لم يقيد عنه الا قليل لزر في أول الصناعة الذهنية ، واضرب الرجل عن النظر ظاهراً في هذه العلوم ، وعن التكلم فيها لما لحقه من المطالبات في دمه لسببها ، ولقصده للثبة في جميع محاوراته في فوز المعارف . وأقبل على العلوم الشرعية فأرأس فيها او زاحم ذلك ، لكنه لم يلوح على اقواله ضياء هذه المعارف ، ولا قيد فيها بإطناً شيئاً الفى بعد موته . وأما ابو بكر فنهضت به فطرته الفاتقة ، ولم يدع النظر والتتبع والتقييد لكل ما ارتسمت حقيقته في نفسه على أطوار أحواله ، وكيفما تصرف به زمنه ، وأثبتت في الصناعة الذهنية في أجزاء العلم الطبيعي ما يدل على حصول هاتين الصناعتين في نفس صورة ينطق عنها ، ويفصل ويرصك فيها فعل المستولي على أمدها .

وله تاليف في الهندسة وعلم الهيئة تدل على بروعه في هذا الفن . وأما العلم الإلهي فلم يوجد في تاليفه شيء مخصوص به اختصاصاً تماماً الا نزعات تستقرأ من قوله في رسالة الوداع ، والاتصال الانسان بالعقل الفعال ، وإشارات مبددة في أثناء أقاويله لكنها في غاية القوة ، والدلالة على نزوعه في ذلك العلم الشريف الذي هو غاية العلوم ومتنهاها ، وكل ما قبله من المعارف فهو من أصله وقرينة له . ومن المستحيل ان ينزع في التوططات وتفصل له أنواع الوجود على كالمها ، ويكون مقصراً في العلم الذي هو

(١) فقيه وطبيب وشاعر وفيلسوف ومؤرخ غربي ولد في قرطبة (٩٩٤ - ١٠٦٤) تول الوزارة ثم اعتزل وانصرف لتأليف . (ن . ر)

الغاية ، واليه كان التشوق بالطبع لكل ذي فطرة بارعه ، وذي موهبة إلهية ترقبه عن أهل عصره ، وتخرجه من الظلمات الى النور . كما كان ، رحمه الله ، وقد صدرنا هذا المجموع بقول له في الغاية الانسانية ، على نهاية من الوجازة ، تعرب عما أشرنا اليه من ادراكه في العلم الالهي . وقبلا قبله من العلوم الموطنة له . وعسى انه قد علق فيه ما لم يعثر عليه ، ويشبه انه لم يكن بعد ابي نصر الفارابي^(١) مثله في الفنون التي تكلم عليها من تلك العلوم ، فانه اذا قارنت أقاويله فيها بأقاويل ابن سينا والنزالي^(٢) ، وهما اللذان فتح عليهما بعد ابي نصر بالشرق في فهم تلك العلوم ، ودونا فيها ، بأن لك الرجحان في أقاويله . وفي حسن فهمه لأقاويل ارسطو . والثلاثة أئمة دون ريب ، وأقرب ما جاء به من قبلهم بارع الحكمة عن يقين تمتاز به أقاويلهم ، ويتواردون فيها مع السلف الكريم .

أقول : وكان هذا أبو الحسن علي بن الامام من غرناطة ، وكان كاتبا قاضيا متميزا في العلوم ، وصعبا بأكبر بن باجة مدة واشتغل عليه . وسافر أبو الحسن علي بن الامام من المغرب ، وتوفي بقوص^(٣) . وكان من جهة تلاميذ ابن باجة أيضا القاضي أبو الوليد محمد بن رشد^(٤) . وروفي ابن باجة شابا بدينة فاس^(٥) ودفن بها . واخبرني القاضي أبو مروان الاشيلي انه رأى قبر ابن باجة ، وقريبا من قبره قبر أبي بكر بن العربي الفقيه ، صاحب التصانيف .

ومن كلام ابن باجة قال : الاشياء التي ينفع تعلمها بعد زمان طويل لا يضيع تذكرها . وقال : حسن عملك قلز بخير من الله سبحانه .

ولابن باجة من الكتب : شرح كتاب السمع الطبيعي لارسطوطاليس ، قول على بعض كتاب الآثار العلوية لارسطوطاليس ، قول على بعض كتاب الكون والفساد لارسطوطاليس . قول على بعض مقالات الاخيرة من كتاب الحيوان لارسطوطاليس . كلام على بعض كتاب النبات لارسطوطاليس . قول ذكر فيه التشوق الطبيعي وماهيته ، وابتدأ أن يعطي أسباب البرهان وحقيقته . رسالة الوداع . قول يتلو رسالة الوداع . كتاب اتصال العقل بالإنسان . قول على القوة النزوعية . فصول تتضمن القول على اتصال العقل بالإنسان . كتاب تدبير المتوحد . كتاب النفس . تعاليت على كتاب أبي نصر في الصناعة الذهنية . فصول قليلة في السياسة المدنية ، وكيفية المدن وحال المتوحد فيها . نبذة يسيرة على الهندسة والهيئة . رسالة كتب بها الى صديقه أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي بعد قدومه الى مصر . تعاليت حكيمة وجدت متفرقة . جوابه لما سئل عن هندسة ابن سيد المهندس وطرقه . كلام على شيء من كتاب الادوية المفردة للجالينوس . كتاب التجربتين على أدوية ابن وافد ، واشترك في تأليف هذا

(١) ولد في غراب وتوفي في دمشق ٨٧٣ - ٩٥٠ من اعظم فلاسفة العرب لثب بالمعلم الثاني .

(٢) ابرو حامد النزالي مفكر من اعظم فلاسفة العرب ولد في طوس ١٠٥٩ - ١١١١ انصرف الى الحياة الصوفية بعد ان علم في المدرسة النظامية في بغداد .

(٣) مدينة في صعيد مصر المجتبت عدة علماء .

(٤) فيلسوف وطبيب عربي ولد في قرطبة وتوفي في مراكش ١١٢٦ - ١١٩٨ ولي القضاء في قرطبة ومن أهم آرائه قدم العالم ، ووحدة الفعل المشترك بين لكل .

(٥) إحدى المدن السلطانية المربوعة في المغرب وعاصمة الشمال كانت مركزا ثقافيا وادبيا عظيما في القرن الماشر .

الكتاب أبو بكر بن باجه ، وأبو الحسن مفيان . كتاب اختصار الحاوي للرازي . كلام في الفسافة الإنسانية . كلام في الأمور التي بها يمكن الوقوف على العقل الفعال . كلام في الاسم والمسمى . كلام في البرهان . كلام في الاسطوانات . كلام في الفحص عن النفس النزوعية وكيفيه هي ولم تنزع وبماذا تنزع . كلام في المزاج بما هو طلي .

أبو مروان بن زهر

هو أبو مروان عبد الملك بن الفقيه محمد بن مروان بن زهر الإيادي الأشبيلي ، كان فاضلاً في صناعة الطب خبيراً بأعمالها مشهوراً بالخلق ، وكان والده الفقيه محمد من جمة الفقهاء والمتميزين في علم الحديث بأشبيلية . وقال القاضي صاعد أن أبا مروان بن زهر رحل إلى المشرق ودخل القيروان ومصر وتطبيب هناك زمناً طويلاً . ثم رجع إلى الأندلس وقصد مدينة دانية . وكان ملكها في ذلك الوقت مجاهداً . فلما وصل أبو مروان بن زهر إليه أكرمه أكراماً كثيراً ، وأمره أن يقيم عنده ففعل وحظي في أيامه ، واشتهر في دانية بالتقدم في صناعة الطب ، وطار ذكره منها إلى أقطار الأندلس . وله في الطب آراء شاذة منها منعه من الحمام ، واعتقاده فيه أنه يفسد الأجسام ، ويفسد الأمزجة قال : هذا رأي يخالفه فيه الأوائل والآخر ، ويشهد بخطئه الحواصس والمواميل إذا استعمل على الترتيب الذي يجب بالتدريج الذي ينبغي يكون ريشة فاضلة ، ومهنة ناعمة لتفتيحه للسام وطريقه وتطليقه لها غلط من الكيموسات .

أقول : وانتقل أبو مروان بن زهر من دانية إلى مدينة أشبيلية ، ولم يزل بها إلى أن توفي وخلفه أموالاً جزئية ، وكان غني أشبيلية يحط انظارها في الرباع والضباع .

أبو العلاء بن زهر

هو أبو العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان ، مشهور بالخلق والمعرفة ، وله علاجات مختارة تدل على قوته في صناعة الطب وإطلاعه على دقائقها . وكانت له نوادر في مداواته المرضي ومعرفة لخواصهم ، وما يحدونه من الآلام من غير أن يستخرجهم عن ذلك بل ينظره إلى قواريرهم ، أو عندما يحس نبضهم . وكان في دولة الملتين^(١) ، ويعرفون أيضاً بالمرباطين وحظي في أيامهم ، وقال المتنزه الرقيمية والذكر الجليل . وكان قد اشتغل بصناعة الطب وهو صغير في أيام المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن عباد^(٢) . واشتغل أيضاً بعلم الأدب ، وهو حسن التصنيف جيد التأليف . وفي زمانه وصل كتاب القانون لابن سينا إلى المغرب ، وقال ابن جسيم المصري في « كتاب التصريح

(١) اسم يطلق على قبائل الصنهاجة في إفريقيا الشمالية الغربية . كان رجلهم يضمون التام على رؤسهم . والسلافة الملكية التي تركت عليهم هي المرباطون . فتحت للغرب وبسطت سلطانها على الأندلس مؤسسها يحيى بن إبراهيم الجدي وأشهر ملوكها يوسف بن طاشفين

(٢) صاحب أشبيلية وأعمالها خلف والده في الحكم واستبد وكان معه وزراء فلتانهم . حارب البربر وظفر بهم «ن»

بالمكون في تنقيح القانون ، ان رجلا من التجار جلب من العراق الى الاندلس نسخة من هذا الكتاب ، قد بولغ في تحسينها فاتحت بها لابي الملاء بن زهر تقربا اليه ، ولم يكن هذا الكتاب وقع اليه قبل ذلك فلما تأمله ذمه واطرحه ، ولم يدخله خزانة كتبه ، وجعل يقطع من طوره ^(١) ما يكتب فيه نسخ الادوية لمن يستفتيه من المرضى وقال ابو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم ابن اليسع في كتاب « المغرب عن محاسن اهل المغرب » : ان ابا الملاء بن زهر كانت مع صغر سنه تصرخ التجابة بذكره ، وتخطب المعارف بشكره . ولم يزل يطالع كتب الاوائل متفها ، ويلقى الشيوخ مستعفاً ، والسعد ينهج له مناهج التيسير ، والتقدير لا يرضى له من الوجاهة باليسير ، حتى برز في الطب الى غاية عجز الطب عن مرامها ، وضعف الفهم عن ابرامها وخرجت عن قانون الصناعة الى ضروب من الشناعة ؛ يخبر فيصيب ، ويضرب في كل ما ينتحله من التعاليم باوفى نصيب ، ويشمر سابق مدى ، ويغبر في وجوه الفضلاء علماً ومعتداً ، ويفوق الجلة سماحة وندى ، لولا بذاء لسان ، وعجبة انسان . واي الرجال تكلل خصاله ، ولتناسب اوصاله ؟

ونقلت من خط محمد بن احمد بن صالح العبدي ، وهو من اهل المغرب ، وله نظر وعناية بصناعة الطب . قال ابو الميناء المصري ، وهو شيخ ابو الملاء بن زهر ، ومن قبله انصرف من بغداد وحكايته معه طويلة ، قال : اخبرني بهذا الشيخ الطبيب ابو القاسم هشام بن اسماعيل بن محمد بن احمد بن صاحب الصلاة بداره باشيلية حرسها الله .

اقول : وكان من جملة تلاميذ ابي الملاء بن زهر في الطب ابو عامر بن ينق الشاطلي الشاعر . وتوفي ابو الملاء بن زهر في سنة ^(٢) ودفن باشيلية خارج باب الفتح .

ومن شعر ابي الملاء بن زهر ، قال في التفتول :

| | |
|-------------------------------|---------------------------|
| يا من كلفت به وذلت عزتي | لقرامسه وهو العزيز القاهر |
| رمت التصبر عندما ألقى الجفا | ويقول ذاك الحسن مالك ناصر |
| ما الجاه الا جاء من ملك القوى | واطاعه قلب عزيز قاصر |

الكامل

وقال ايضاً :

| | |
|---------------------------|------------------------------|
| يا راشقي بهام ما لها غرض | الا اللؤاد وما لها منه عوض |
| ومرضي يحفون حشوها سقم | صحت ومن طبها التمرريض والمرض |
| أمتن ولو تخيال منك يطرقتي | قلد يسد معد الجوهر العرض |

البيط

وقال في ابن منظور قاضي قضاة اشيلية ، وقد وصله عنه انه قال : ابرض ابن زهر ؟ على

(١) حاشيته .

(٢) بياض بالاصل .

جبهة الاحتزاه .

قالوا ابن منظور تعجب دأبها
قد كان جالينوس يمرض دهره
إني مرضت فقلت يما من مشى
لمن الفقيه المرتضى أكل الرشا
الكامل

وقال أيضاً :

معمت بوصف الناس هنداً فلم ازل
فلما اراني الله هنداً وزجها
أخا صبوة حتى نظرت الى هند
تثبت ان ازداد بعداً على بعد
الطويل

ولابي العملاء ابن زهر من الكتب : كتاب الخواص ، كتاب الادوية المفردة ، كتاب الايضاح بشواهد الاختصاص في الرد على ابن رضوان فيما رده على حنين بن اسحق في كتاب المدخل الى الطب . كتاب حل شكوك الرازي على كتب جالينوس ، مجربات ، مقالة في الرد على ابي علي بن سينا في مواضع من كتابه الادوية المفردة ، ألفها لابنه ابي مروان . كتاب التكت الطبية ، كتب بها الى ابنه ابي مروان . مقالة في بسطة رسالة يعقوب بن اسحق التكندي في تركيب الادوية ، وامثلة ذلك نسخ له ومجربات امر يجمعها علي بن يوسف بن تاشفين بعد موت ابي العملاء . فجمعت براكش ، وبسائر بلاد المدوة والاندلس ، وانتسخت في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وخمسةائة .

أبو مروان بن ابي العملاء بن زهر

هو ابو مروان عبد الملك بن ابي العملاء ، زهر بن ابي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر ، لحق بابيه في صناعة الطب ، وكان جيد الاستقصاء في الادوية المفردة والمركبة ، حسن المعالجة ، قد ذاع ذكره في الاندلس وفي غيرها من البلاد ، واشتغل الأطباء بمصنفاته . ولم يكن في زمانه من يماثله في مزاولة اعمال صناعة الطب . وله حكايات كثيرة في تأتبه لمعرفة الامراض ومداراتها بما لم يسبقه احد من الأطباء الى مثل ذلك . وكان قد خدم المؤمنين ، وقال من جهتهم من النعم والاموال شيئاً كثيراً . وفي الوقت الذي كان فيه ابو مروان عبد الملك بن ابي العملاء بن زهر دخل المهدي الى الاندلس وهو ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن قورمت^(١) ومعه عبد المؤمن^(٢) ، وشرح في بث الدعوة لعبد المؤمن ، وتحميد امره الى ان انتشرت كلمته واتسعت مملكته ، ومملك البلاد وأطاعه الخلق . وحكاية المهدي في تأتبه الى ان قال للملك وصفا له الأمر معروفة مشهورة . ولما استقل عبد المؤمن بالمملكة ، وعرف بأمر المؤمنين ، واستولى على خزائن المغرب ، بذل الاموال ، وأظهر العدل ، وقرب أهل العلم وأكرمهم ، ووالى احسانه اليهم ، واختص ابا مروان عبد الملك بن زهر لنفسه ، وجعل

(١) مصلح ديني مراكني يعرف بهدي الوحدين ، ولد في جبل الموس .

(٢) مؤسس سلالة الموحدين في المغرب ، حل بالحرب على الاندلس وقرني في سلا « ن . و »

اعتماده عليه في الطب ، وأثله من الانعام والمطام فوق امثله . وكان مكيناً عنده ، عالي القدر ، متميزاً على كثير من ابناء زمانه . وألف له ابو مروان بن زهر اللاتيقي السبعيني ، واختصره عشارياً ، واختصره سباعياً ، ويعرف بلاتيقي الالته .

حدثني ابو القاسم المعاجيني الاندلسي ان الخليفة عبد المؤمن احتاج الى شرب دواء مسهل ، وكان يكره شرب الادوية المسهلة قتلطف له ابن زهر في ذلك ، وأتى الى كرمه في بستانه فجعل الماء الذي يسقيها به ماء قد اكسبه قوة ادوية مسهلة بنقعها فيه ، او بنليانها معه . ولما شربت الكرمه قوة الادوية المسهلة التي ارادها ، وطلع فيها العنب ، وله تلك القوة ، احم الخليفة ، ثم آله بمنقود منها وأشار عليه ان يأكل منه . وكان حسن الاعتقاد في ابن زهر ، فلما اكل منه وهو ينظر اليه قال له يكفيك يا امير المؤمنين فانك قد اكلت عشر حبات من العنب ، وهي تخدعك عشر مجالس . فاستخبره عن حلة ذلك وعرفه به . ثم قام على عدد ما ذكره له ووجد الراحة فاستحسن منه فعله هذا وترايدت منزلته عنده .

وحدثني الشيخ محيي الدين ابو عبد الله بن علي بن محمد بن العربي اللطائي الحاتمي من اهل مرسية ان ابا مروان عبد الملك بن زهر ، كان في وقت مزوره الى دار امير المؤمنين باشيلية ، يمد في طريقه عند حمام ابي الخير بالقرب من دار ابن مؤمل مريضاً به سوء قته^(١) ، وقد كبر جوفه ، واصفر لونه فكان أبداً يشكو اليه حاله ، ويسأله النظر في امره . فلما كان بعض الأيام سأله مثل ذلك فوقف ابو مروان بن زهر عنده ، ونظر اليه فوجد عند رأسه ابريقاً عتيقاً يشرب منه الماء ، فقال اكسر هذا الابريق فانه سبب مرضك . فقال له لا بالله يا سيدي فاني ما لي غيره ، فأمر بعض خدمه بكسره فكسره فظهر منه لما كسر ضفدع وقد كبر ما له فيه من الزمان . فقال له ابن زهر : خلصت يا هذا من المرض انظر ما كنت تشرب . ويرأ الرجل بعد ذلك .

وحدثني القاضي ابو مروان محمد بن احمد بن عبد الملك اللخمي ثم الباجي قال : حدثني من اتق به انه كان باشيلية حكيم فاضل في صناعة الطب يعرف بالفار ، وله كتاب جيد في الادوية المفردة سفران ، وكان ابو مروان بن زهر كثيراً ما يأكل التين ويميل اليه . وكان الطبيب المعروف بالفار لا يقتدي منه بشيء ، وان اخذ منه شيئاً فيكون واحدة في السنة ، فكان يقول هذا لابي مروان بن زهر انه لا بد ان تعرض لك نفة صعبة بمداومتك اكل التين ، والنفقة هو الدية بلغتهم . وكان ابو مروان يقول له لا بد لكثرة حبيتك وكونك لم تأكل شيئاً من التين ان يصيبك الشنجاج قال : فلم يمت المعروف بالفار الا بمة الشنجاج وكذلك ايضاً عرض لابي مروان بن زهر دبة في جنبه ، ووفي بها . وهذا من ابلغ ما يكون من تقدمه الانذار . قال : ولما عرض لابي مروان هذه المة ، كانت يعالجها ويصنع لها مراحم وادوية ، ولم تفر نفعاً يعتد به . فكان يقول له ابنه ابو يكر : يا ابي لو غيرت هذا الدواء بالدواء الفلاني ، ولو زدت من هذا الدواء او استعملت دواء كذا وكذا ، فكان

يقول له : يا بني اذا اراد الله تغيير هذه البنية فانه لا يقدر لي ان استعمل من الاودية الا ما يتم به مشيئته وارادته .

اقول : وكان من اجل تلاميذ ابي مروان عبد الملك بن ابي العلاء بن زهر في صناعة الطب والاختار عنه : ابو الحسين بن اسدون ، شهر بالمصدوم . وابو بكر بن الفقيه القاضي ابي الحسن قاضي اشيلية ، وابو محمد الشاذلي والفقيه الزاهد ابو عمران بن ابي عمران . وقرئ ابو مروان عبد الملك بن ابي العلاء بن زهر في سنة * وخمسةائة ، ودفن باشيلية خارج باب الفتح .

ولابي مروان بن ابي العلاء بن زهر من الكتب : كتاب التيسير في المسداواة والتدبير ، ألفه للقاضي ابي الوليد محمد بن احمد بن رشد . كتاب الاغذية الفه لابي محمد عبد المؤمن بن علي . كتاب الزينة تذكره الى ولده ابي بكر . في امر الدواء المسهل وكيفية اخذه ، وذلك في صغر سنه ، واول سفره سافرها فتاب عن ابيه فيها . مقالة في علل الكلى . رسالة كتب بها الى بعض الاطباء باشيلية في هائي البرص والبهق . كتاب تذكره ذكر بها لابنه ابي بكر اول ما تعلق بعلاج الامراض .

الحفيد ابو بكر بن زهر

هو الوزير الحكيم الاديب الحبيب ابو بكر محمد بن ابي مروان بن ابي العلاء بن زهر ، مولده بمدينة اشيلية ونشأ بها وتبحر في العلوم ، واخذ صناعة الطب عن ابيه ، وبأمر اعماله ، وكان معتدل الغامة صحيح البنية ، قوي الاعضاء . وصار في سن الشيوخوخة ونضارة لونه وقوة حركاته لم يبين فيها تغير ، وانما عرّض له في اواخر عمره ثقل في السمع . وكان حافظاً للقرآن ، وسمع الحديث ، واشتغل بعلم الادب والعربية ، ولم يكن في زمانه اعلم منه بمعرفة اللغة . ويوصف بأنه قد اكل صناعة الطب والادب ، وعانى عمل الشعر وأجاد فيه . وله موشحات مشهورة وينفي بها ، وهي من أجود ما قيل في ذلك .

وكان ملازماً للامور الشرعية ، متين الدين ، قوي النفس ، محباً للخير . وكان مهيباً وله جرأة . في الكلام ، ولم يكن في زمانه اعلم منه بصناعة الطب ، وذكره قد شاع واشتهر في اقطار الاندلس وغيرها من البلاد . وحديث القاضي ابو مروان محمد بن احمد بن عبد الملك الباجي من اهل اشيلية قال ، قال لي الشيخ الوزير الحكيم ابو بكر بن زهر انه لازم لجدي عبد الملك الباجي سبع سنين يشغل عليه ، وقرأ عليه كتاب الدعوة لسختون^(١) في مذهب مالك ، وقرأ ايضاً عليه مسند ابن ابي شيبة . وحديثي ايضاً القاضي ابو مروان الباجي عن ابي بكر بن زهر انه كان شديد لباس يجنب قوساً مائة وخمسين رطل بالاشيلي ، والرطل الذي باشيلية ستة عشر أوقية ، وكل أوقية عشرة دراهم ، وانه كان

(*) يمان بالاسم .

(١) عبد السلام سختون (٧٧٦ - ٨٠٦) ولي القضاء بالقيروان . وصنف كتاب الدعوة في فقه الامام مالك . وعنه انتشر علم مالك بالغرب

جيد اللعب بالشطرنج جداً ولم يكن في زمانه احد مثله في صناعة الطب ، وخدم الدولتين . وذلك انه لحق دولة الملتين واستمر في الخدمة مع ابيه في آخر دولتهم . ثم خدم دولة الموحدين^(١) وهم بنو عبد المؤمن . وذلك انه كان في خدمة عبد المؤمن هو وابوه ، وفي أيام عبد المؤمن مات ابيه وبقي هو في خدمته ثم خدم لابن عبد المؤمن ابي يعقوب يوسف^(٢) ، ثم لابنه يعقوب ابي يوسف^(٣) الذي لعب بالمتصور . ثم خدم ابنه ابا عبد الله محمد الناصر^(٤) ، وفي اول دولته توفي ابو بكر بن زهر ، وكنت وفاته رحمه الله في عام ستة وتسعين وخمسة مائة^(٥) وقد اتاهها ليزور بها ودفن هناك في الموضع المعروف بقباب الشيوخ ، وعمر نحو الستين سنة .

قال : وكان ابو بكر بن زهر صاحب الرأي ، حسن المعالجة ، جيد التدبير . وقد عرف هذا منه ، حتى انه يوماً كان قد كتب والده ابو مروان ابن زهر نسخة دواء مسهل لعبد المؤمن الخليفة ، فلما رآه ابو بكر بعد ذلك ، وكان في حال شيبته قال : يجب أن يبدل هذا الدواء المفرد منه بدواء آخر ، فلم يتناول عبد المؤمن ذلك الدواء . ولما رآه ابيه قال : يا امير المؤمنين ان الصواب في قوله . وبدل الدواء المفرد بغيره فائثر نفعاً بينا . وألف ابو بكر ابن زهر الترياق الحسني للمتصور ابي يوسف يعقوب . قال : وحدثني من أتى به ان رجلاً من بني اللبناقي كان صديقاً للحفيد ابي بكر بن زهر ، وكان يحالسه كثيراً ويلعب معه بالشطرنج ، وانه كان عند الحفيد ابي بكر يوماً وما يلعبان بالشطرنج ، فراه الحفيد على غير ما يعهده به من الانبساط ، فقال له : ما لحاظك كأنه مشتغل بشيء عرفي ما هو ؟ فقال : نعم ان لي بنتاً زوجها رجل وهو يطلبها ، وقد احتجت الى ثلاثة دينار فقال له : اللعب وما عليك فان عندي في وقتنا هذا ثلاثة دينار الا خمسة دقائق تأخذها . فلبس منه ساعة واستدعى بالذهب واعطاه له ، فلما كان عن قرب أهـ صاحبه وترك بين يديه ثلاثة دينار الا خمسة . فقال له ابن زهر : ما هذا ؟ فقال : اني بعت زيتونة لي بسبعة دينار ، وقد أئيت منها بثلاثة دينار الا خمسة حوض الذي تفضلت به علي ، وأقرضتني اياه ، وقد بقي عندي حاصل اربعة دينار . فقال له ابن زهر : ارفع هذا عندك وانتفع به ، فاني ما دفعت لك الذهب على اني اعود آخذه أبداً . فابى الرجل وقال : اني بحمد الله بحال سعة ، ولا لي حاجة ان آخذ هذا ولا غيره . من أحد أصلاً . وتفاوضا في ذلك ، فقال له ابن زهر : يا هذا ، انت صديقي او عدوي ؟ فقال له : بل صديقك ، وأحب الناس فيك . فقال له ابن زهر : والله لئن لم تأخذه لاعاديتك بسببه ، ولا اعود اكلمك أبداً . فأخذه منه ، وشكره على قمسه .

(١) سلالة من ملوك القيروان في المغرب اسمها المهدي بن تومرت . تغلبت على المرابطين في المغرب والاندلس . واستولت على الملك (١٠٥٥-١٢٢٩) .

(٢) صاحب اشبيلية . خليفة وامام في مراکش من الموحدين قاتل الأفرنج وتوفي سنة ١١٨٤ .

(٣) سلطان من الموحدين ١١٨٤-١١٩٩ .

(٤) رابع سلاطين الموحدين في المغرب حكم ١١٩٩ - ١٢١٣ . وحارب الاسبان . والناصر لعب شرف ولاهي عبد الله محمد .

(٥) مدينة في المغرب الاقصى موقها في اسفل جبل اطلس الاطل . اسمها المرابطون «ن»

قال القاضي أبو مروان الباجي : وكان المنصور قد قصد ان لا يترك شيئا من كتب المنطق والحكمة باقيا في بلاده . وأباد كثيرا منها بأحراقها بالنار وشد في ان لا يبقى أحد يشتغل بشيء منها ، وأنه متى وجد أحد ينظر في هذا العلم او يجد عنده شيء من الكتب المصنفة فيه فإنه يلحقه ضرر عظيم . ولما شرع في ذلك جعل أمره مفوضا إلى الحفيد أبي بكر بن زهر ، وأنه الذي ينظر إليه . واراد الخليفة انه ان كان عند ابن زهر شيء من كتب المنطق والحكمة لم يظهر ، ولا يقال عنه انه يشتغل بها ، ولا يناله مكروه بسببها ولما نظر ابن زهر في ذلك ، وامثل أمر المنصور في جمع الكتب من عند الكتبيين وغيرهم ، وان لا يبقى شيء منها ، واهانة المشتغلين بها . وكان باشييلة رجل من اعيانها يعادي الحفيد أبا بكر بن زهر ويحسده وعنده شر ، فعمل محضرا في أن ابن زهر دائم الاشتغال بهذا الفن والنظر فيه ، وان عنده في داره شيئا كثيرا من كتبه ، وجمع فيه شهادات عدة وبعث به إلى المنصور ، وكان المنصور حينئذ في حصن الفرج وهو موضع بناءه قريبا من اشبيلية على ميلين منها ، صحيح الهواء بحيث بقيت الحنطة فيه ثمانين سنة لم تتغير لصلته . وكان أبو بكر بن زهر هو الذي أشار على المنصور ان يئليه في ذلك الموضع ، ويقع فيه في بعض الاوقات . فلما كانت المنصور به ، وقد اتاه المحضر نظره ، ثم أمر بأن يقبض على الذي علمه وان يردع السجن ففعل به ذلك . وانهم جميع الشهود الذين وضعوا خطوطهم فيه . ثم قال المنصور : انني لم أول ابن زهر في هذا الا حتى لا ينسب أحد إلى شيء منه ، ولا يقال عنه . ووالله لو ان جميع أهل الاندلس وقفوا قدامي وشهدوا على ابن زهر بما في هذا المحضر لم أقبل قولهم ، لما اعرف في ابن زهر من متانة دينه وعقله .

وحدثني أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الاشيلي قال : كان الحفيد أبو بكر بن زهر قد أتى إليه من الطلبة اثنان ليشتغلا عليه بصناعة الطب فرددوا إليه ، ولأزماء مدة وقرأ عليه شيئا من كتب الطب . ثم انها أتياه يوما ويبدأ أحدهما كتاب صغير في المنطق ، وكان يحضر معها أبو الحسين المعروف بالمصدوم ، وكان غرضهم ان يشتغلوا فيه ، فلما نظر ابن زهر إلى ذلك الكتاب قال : ما هذا ؟ ثم اخذه ينظر فيه ، فلما وجدته في علم المنطق رمى به ناحية ، ثم نهض إليهم حافيا ليشرحهم وانهمزوا قدامه ، وتبهمم يمدو على حالته تلك وهو يببالغ في شتمهم ، وهم يتعادون قدامه الى ان رجع عنهم عن مسافة بعيدة فبقوا منقطعين عنه اياما لا يحسرون ان يأتوا إليه . ثم انهم قسوا الى ان حضروا عنده واعتذروا بأن ذلك الكتاب لم يكن لهم ، ولا لهم فيه غرض أصلا ، وانهم اتوا رأوه مع حدث في الطريق وهم قاصدون إليه فوئزوا بصاحبه : وعثوا به واخذوا منه الكتاب قهرا وبقي معهم ودخلوا إليه ، وهم ساهمون عنه . فتخادع لهم ، وقبل مملوهم ، واستمروا في قرامتهم عليه صناعة الطب .

ولما كان بعد مديدة أمرهم ان يحيدوا حفظ القرآن ، وان يشتغلوا بقراءة التفسير والحديث والفقه ، وان يراطلوا على مراعاة الامور الشرعية والاقتداء بها ، ولا يتخلوا بشيء من ذلك . فلما امتثلوا امره ، وأتقنوا معرفة ما أشار به عليهم ، وصارت لهم مراعاة الامور الشرعية سجية وعادة قد ألغوها كانوا يوما عنده واذا به قد أخرج لهم الكتاب الذي كان رآه معهم في المنطق ، وقال لهم : الآن

صلحتم لان تقرأوا هذا الكتاب وأمثاله علي . وأشغلهم فيه ، فتصبروا من فقه رحمه الله . وهذا يدل منه على كمال عقله وتوفر مروهه .

وحدثني القاضي ابو مروان الباجي قال : كان أبو زيد عبد الرحمن بن يوجان وزير المتصور يمادي الحفيد أبا بكر بن زهر ويحسده لما يرى من عظم حاله ، وعلو منزلته وعلمه ، فاحتمل عليه في سم صوره مع احد من كان عند الحفيد بن زهر فقدمه الى الحفيد بن زهر في بيض ، وكانت مع الحفيد أيضاً بنت اخته ، وكانت اخته وابنتها هذه عالمتين بصناعة الطب والمداواة ، ولها خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء ، وكنتا تدخلان الى نساء المتصور ، ولا يقبل^(١) للفنصور وأهله ولداً الا أخت الحفيد او بنتها لا توفيت امها . فلما أكل الحفيد من ذلك البيض وبنت اخته ما جميعاً ولم ينفع فيها علاج . قال : ولم يت أبو زيد عبد الرحمن بن يوجان إلا مقتولا قتله مع بعض أقاربه .

أقول وكان من أجل تلامذة الحفيد أبي بكر بن زهر في صناعة الطب ، والاخذين عنه أبو جعفر ابن الفزال .

ومن شعر الحفيد أبي بكر بن زهر أنشدني محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن علي بن محمد العربي الحاتمي قال : أنشدني الحفيد أبو بكر بن زهر لنفسه ينشوق الى ولده .

| | |
|------------------------|-----------------------|
| ثأت عنه دارى فيا وحشقى | لذاك الشخص وذاك الوجه |
| تشوقني وتشوقته | فيكي علي وأبيكي عليه |
| وقد تمب الشوق ما يبتنا | فنه الي ومعي اليه |

(المقارب)

أنشدني القاضي أبو مروان الباجي قال ، أنشدني أبو عمران بن عمران الزاهد المرتلي القاطن بإشبيلية قال أنشدني الحفيد أبو بكر بن زهر لنفسه في آخر عمره .

| | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| اني نظرت الى المرأة اذ جلست | فأنكرت مقلتي كلما رأنا |
| رأيت فيها شيئاً لست أعرفه | وكنيت أعرف فيها قبل ذاك فتى |
| فقلت اين الذي منواه . كان هنا | متى رحل عن هذا المكان متى؟ |
| فاستجبتني وقالت لي وما نطقبت: | قد كان ذاك . وهذا بعد ذاك أنى ، |
| هون عليك . فهذا لا يقام له | أما ترى العشب يفتى بعدما تبنا |
| كان التواني يقطن يا أجنبي فقد | صار التواني يقطن اليوم يا أبتنا |

(البسيط)

وانشدني أيضاً القاضي ابو مروان الباجي عن الحفيد بن زهر له من أبيات :
أعد الحديث علي من جنبااته ان الحديث عن الحبيب حبيب
الكامل :

(١) تتولى قبالة لسان الله اي تولى يمن .

وأنشدني شيخنا علم الدين قيسر بن أبي القاسم بن عبد الغني بن مسافر الحنفي المهندس ، الحفيد
أبي بكر بن زهر ، وهي بديعة المعنى كثيرة التجنيس .

| | |
|-------------------------------------|-----------------------------|
| أودى به لما ألب ^(١) يلبه | له ما صنع الغرام بقلبه |
| من يدعه داحي الغرام يلبه | لباه لما أت دعاه وهكذا |
| رد السلام وان شككت فمعج به | بأبي الذي لا تستطيع لمحبه |
| أحاطه من سلوة محبه | ظني من الأثر كما ترك الضنا |
| في سلبه يوم التوير فسل به | ان كنت تنكر ما جنى بلعاطه |
| في صربه اسد العرين فسر به | او شئت ان تلقى غزالا أعيداً |
| وأعزه وأذلني في حبه | يا ما املعه وأعذب ريقه |
| وأرقها وأشد قسوة قلبه | أو ما ألطف وردة في غده |
| وعذاب قلب دون رائق عذبه | كم من خمار دون خرة ريقه |
| يا عاشقين تمنوا من قربه | نادى بنفسج عارضيه تمعداً |

(الكامل)

ومن مرشحات ما أنشدني أبو عبدالله محمد ، سبط الحكم أبي محمد عبدالله ابن الحفيد أبي بكر بن
زهر ، وكان والد هذا المذكور أبي عبدالله ، وهو أبو مروان احمد بن القاضي أبي عبدالله محمد بن أحمد
ابن عبد الملك الباسي ، قد تزوج بنت أبي محمد عبدالله بن الحفيد أبي بكر بن زهر ، ورزقا منها أبا
عبدالله محمد . وكان - أعني أبا مروان احمد - قد ملك أشيلية ، وبقيت في يده تسعة اشهر . ثم
قتله ابن الأحمر غدرًا في سنة ثلاثين وسبعمائة ، وكان عمره اذ ذاك سبعمائة وثلاثين سنة فمن ذلك قال وهي
من اول قوله

زعمت انقاسي الصعدا ان افراح الهوى تكذ
هام قلبي في معلبه وأنا اشكو لطلبه ان كتمت الحب مت به
واذا ما صحت واكيدا فرح الاعداء وانتقدوا
ايا الباكي على الطلل ومدير الراح بالامل انا من عينك في شغل
فدع النسم السفوح سدى وضرام الشوق تنقد
مقلة جادت بما ملكك عرفت ذل الهوى فبكت وشكت بما بها ورثت
وفؤادي هائم أبدا ما طيه السور يد
ان عيني لا اذنبا اقميت قلبي واتعبها لتجوم بت ارقبها
رمت ان احصي لها عددا وهي لا يحصى لها عدد
وغزال ينلب الاسدا جئت لاستتجاز ما وعدا فانزوى عني وقال غدا

(١) اقام .

أترى يا قوم أين هو غدا
في أي مكان يسكن أو يجد
(المديد)

وقال أيضاً :

شمس قارنت بدرا راح ونديم
أدر أكوس البحر عتيرة النسر ان الروض ذو بشر
وقد درع النهر هبوب النسيم
وسلت على الأفق يد الغرب والشرق سيوفاً من البرق
وقد اضحك الزهرا بكاء القيوم
الا ان لي مولى تحسم فاستولى أما انه لولا
دمع يفضح السرا لكنت ككتوم
أنى لي كنان ودمعي طوفان شبت فيه نيران
لمن ابصر البحر في لج يموم
إذا لامني فيه من رأى تجنيه شدوت اغضب
لمل له علوا وابت قلوب

وقال أيضاً :

أها الساقى اليك المشتكى قد دعوك وان لم تسمع
ونديم همت في غرته وشربت الراح من راحته كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق إليه والكا وسقاني اربماً في أربح
غصن بان مال من حيث استوى بات من عواء من قوط الجوى
خفق الاحشاء موهون القوى
كلما فكر في البين بكى ما له يبكي لما لم يقع
ليس لي صبر ولا لي جلد يا لغومي عذلو واجتهدوا انكروا شكواي ما وجد
مثل حالي حقه ان يشتكي كمد اليأس وذل الطمع
ما لعيني عشت بالنظر انكرت بمدك ضوء القمر واذا ما شئت فاسمع خبري
شقيت^(١) عيناى من طول البكا وبكى يمضي على يمضي ممي
كبد حرى ودمع يكف يعرف الذنب ولا يعترف ايها المعرض عما اصف
قد نمتى حبك عندي وزكا لا يظن الحب^(٢) اني مدعي

وقال أيضاً :

يا صاحبي نداء مقتبط بصاحب الله ما اللقاء من فقد الجباب

(١) مكثا في الأصل والمشهور عشت .

(٢) الحبيب .

قلب احاط به الجوى من كل جانب
 اي قلب هائم لا يسريح من الواحي
 يا من أعانقه باحناء الضلوع وأقيمه بدلاً من القلب الصديق
 أنا للفرام وأنت للحسن البديع
 وكلام السلام شيء يمر مع الريح
 ألحى على رشدي وأفقدني صلاحي ثمر ثنى الابصار عن نور الصباح
 يسقى بمختلطين من مسك وراح
 كالطباب العائم في صفحة الماء القراح
 من لي به بديراً تجلى في الظلام علفت من وجناته بدر التام
 وعلفت من أعطافه لدن القوام
 كالفضيب الناعم لم يتطعم حمل الوشاح
 حملتي في الحب ما لا يستطيع شوقاً يراح لذكره من لا يراع
 بل أنت اظلم من له حكم مطاع

(الكامل والرمل)

وقال أيضاً :

حر، الوجوه الملاحا وحي كحل العيون
 هل في الهوى من جناح وفي نديم وراح رام النصوص صلاحا
 وكيف أرجو صلاحا بين الهوى والجنون
 يا غالباً لا يفيب أنت البعيد القريب كم تشتتيك القلوب
 أنختن جراحاً وأسأل سهام العيون
 ابكى العيون البواكي فذكر أخت الهالك حتى حمام الاراك
 بكى بشجو وثاحا على فروع الفصوص
 ألقى اليها زمامه صب يداوي غرامه ولا يطبق الملاصه
 غدا بشوق وراحا ما بين سي الظنون
 يا راحلاً لم يردع رحلت بالانس أجمع والمجز يمني وينع
 مروا وانفخوا الرواحا صحراً وما ودعوني

(المجت)

وقال أيضاً :

هل ينفع الوجد أو يفيد أم هل على من يكي جناح
 يا منية القلب غبت عني فالليل عندي بلا صباح

أقديه من ممرض تولى
عذبني في هواه ككلا
يا عين عيني فليس الا
ويفعل الشوق ما يريد
يا غميل اليد لا تساني
زاد على بهجة النهار
لحظ له سطوة المقار
خداه كالورد في البهار^(١)
وقللك الميسم البرود
أو مثل ما قلت ماء مزن
يا من له ابداع الصفات
غبت فلم يأت منك آت
لولا صبا تلك الجهات
يا أهما التازح البعيد
ان الصبا عنك اخبرتني
يا ساحرا فوق كل ساحر
وجه له كالصباح بأمر
كالروض حلت به الازاهر
كالبدر في ليلة السمود
كالنصن الدن في التثني
من لي بمخضوبة البنات
من هجرها مشية الزمان
فيها رثي عاذلي لثاني
عاشق ومسكين الله يريد
قدح حجر أو يصفني

لا عين منه ولا أو
لم يبق مني ولا ينذر
صبر على الدمع والسر
في كبد كلها جراح
عن جور الحافظك الملاح
من حسنه الدهر في ازدياد
يفعل في العقل ما اراد
يقطف باللعظ ام يكاد
حصاه جر وصرف راح
يسقي به يانع الاقاح
يا غصن يا دعص^(٢) يا قر
فاستوحش للجمع والبصر
لذاب قلبي من الفكر
جاءت بإنائك الرياح
ما اهتز روض الربي وفاح
ومن له حسنه أصف
أردية الحسن يلتحف
يقطف باللعظ ام قطف
افرق للأزوه^(٣) ولاح
تهز أعطافه الرياح
ممشوقة القند والدلال
ماض ومستقبل وحال
ثم انتنى ضاحكاً وقال
وارض لمن يمشق الملاح
ليس على ساحر اقتراح

أبو محمد بن الحفيد أبي بكر بن زهر

هو أبو محمد عبد الله بن الحفيد أبي بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلام زهر بن أبي

(١) الجلال .

(٢) كتيب الرمل المجتمع .

(٣) ضوء .

مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر . كان جيد الفطرة ، حسن الرأي ، جميل الصورة ، مفرط الذكاء ، عمود الطريقة ، محباً لليس الفاخر . وكان كثير الاعتناء بصناعة الطب والنظر فيها ، والتحقيق لمانيها . واشتغل على والده ووقفه على كثير من اسرار علم هذه الصناعة وعملها . وقرأ كتاب النبات لابي حنيفة الدينوري^(١) على أبيه واتقن معرفته . وكان الخليفة ابو عبد الله محمد الناصر بن المنصور أبي يعقوب يرى له كثيراً ويحترمه ، ويمرر مقدار علمه ويثوقته^(٢) .

حدثني القاضي ابو مروان الباجي قال : لما توجه ابو محمد عبد الله بن الحفيد الى الحضرة خرج منه فيها اشراؤه لسفره ونفقته في الطريق نحو عشرة آلاف دينار . قال : ولما اجتمع بالخليفة الناصر بالمهدي لما فتحها الناصر خدمه على ما جرت به العادة وقال له : انني يا أمير المؤمنين بمحمد الله بكل خير من انعامكم واحسانكم علي وعلى آياتي ، وقد وصل الي مما كان بيد ابي من احسانكم ما يقيني مدة حياتي واكثر ، وانما آليت لاكون في الخدمة كما كان ابي ، وان اجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه بين يدي أمير المؤمنين . فأكرمه الناصر اكراماً كثيراً ، وأطلق اليه من الاموال والنعم ما يفوق الوصف . وكان مجلسه اذا حضر قريباً منه في الموضع الذي كان يجلس فيه والده الحفيد ، فكانت يجلس الى جانب الخليفة الناصر الخطيب أبو عبد الله محمد بن الحسن بن ابي يوسف حجاج القاضي ، وكان يجلس ثلوه القاضي الشريف ابو عبد الله الحسيني ، وكان يجلس ثلوه ابو محمد عبد الله بن الحفيد ابو بكر بن زهر ، وكان يجلس الى جانبه ابو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي^(٣) صاحب المقدمة المشهورة في النحو المعروفة بالجزولية . وكان هذا في النحو يشتغل عليه ابو محمد عبد الله بن الحفيد ، ويجلس بين يديه ويتعلم منه .

وكان مولد أبي محمد عبد الله بن الحفيد أبي بكر في سنة سبع وسبعين وخمسة مئذنة أشيلية . وتوفي رحمه الله مسموماً في سنة الثنتين وسئائة في مدينة سلا^(٤) في الجهة المسماة برباط الفتح ودفن بها . وكان متوجهاً الى مراكش فاشترمه الاجل دونها ، ثم حمل من الموضع الذي دفن فيه الى أشيلية ، ودفن عند آياته بأشيلية خارج باب الفتح فكانت مدة حياته خمساً وعشرين سنة .

ومن أعجب ما حدثني القاضي أبو مروان الباجي عنه قال : كنت يوماً عنده وإذا به قد قال لي انني رأيت البارسة في النوم أختي ، وكانت أخته قد ماتت قبله ، قال : وكاني قلت لها يا أختي بالله عرفيني كم يكون عمري ؟ فقالت لي : طابيتين ونصفاً والطابية هي خشبة البناء معروفة في المغرب بهذا الاسم طولها عشرة اشبار فقلت لها : أنا اقول لك جد وأنت تجيبيني بالهزء ! فقالت : لا والله ما قلت لك الا جداً ، وانما أنت ، فهمت . أليس الطابية عشرة اشبار والطابيتين ونصفاً خمسة وعشرون

(١) احمد بن دلود بن حنيفة الدينوري من علماء اللغة وعالم في الحيوان والنبات توفي سنة ٢٨٩ او ٢٩٠ هجرية .

(٢) لسيه .

(٣) ولد في جزولة - المغرب - وأخذ عن ابن بري وعلم في بجاية واسبانيا والجزائر

(٤) مرقا على الاطلسي في المغرب شمالي الرباط عند مصب وادي ابو القرقاق .

يكون عرك خساً وعشرين سنة . قال القاضي ابو مروان فلما قص علي هذه الرؤيا قلت له لا تتوهم من هذا فلمه من أضغاث الاحلام . قال : ولم تكمل تلك السنة الا وقد مات فكان عمره كما قيل له خساً وعشرين سنة لا أزيد ولا أنقص ، وخلف ولدين كل منهما فاضل في نفسه كريم في جنبه . أحدهما يسمى أبا مروان عبد الملك ، والآخر أبا العلاء محمد ، والاصغر منهما وهو أبو العلاء معتن بصناعة الطب ، وله نظر جيد في كتب جالينوس . وكان مقامهما في اشبيلية

ابو جعفر بن هارون الترحالي

من اعيان اهل اشبيلية ، وكان عبقراً للعلوم الحكيمة ، متقناً لها مكتنباً بكتب ارسطوطاليس وغيره من الحكماء المتقدمين ؛ فاضلاً في صناعة الطب ، متميزاً فيها ، خبيراً بأصولها وفروعها ؛ حسن المعالجة ، محمود الطريقة . وخدم لابي يعقوب والد المنصور . وكان من طلبة الفقيه أبي بكر بن العربي^(١) لازمه مدة واشتغل عليه بلم الحديث . وكان أبو جعفر بن هارون يروي الحديث وهو شيخ أبي الوليد بن رشد في التعاليم والطب ، وأصله من ترجمة من فنور الاندلس . وهي السقي أصابها المنصور خالية ، وهرب أهلها وعمرها المسلمون . وكان أبو جعفر هارون أيضاً عالماً بصناعة الكحل ، وله آثار فاضلة في المداواة .

حدثني القاضي أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي ، ثم الباجي : ان أخاه القاضي أبا عبد الله محمد بن أحمد لما كان صغيراً أصاب عينه عود ، واخترق السواد حتى انه يش له من البرء فاستدعى أبوه ابا جعفر بن هارون ، واره عين ولده وقال له : أنا أدفع لك لثلاثة دينار وتعالجها . فقال والله ما حاجة الى هذا الذي ذكرته ، وإنما ادواويه ويصلح ان شاء الله تعالى . وشرع في مداواته الى ان صلحت عينه وابصر بها ، واصاب ابن هارون خدر وضعف في اعضائه ، فالتزم داره بأشبيلية وكان يطب الناس ، وتوفي بأشبيلية .

ابو الوليد بن رشد

هو القاضي ابو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد؛ مولده وملتؤه بقرطبة مشهور بالفضل معتن بتحصيل العلوم ، أرحد في علم الفقه والخلاف ، واشتغل علم الفقيه الحافظ أبي محمد بن رزق . وكان أيضاً متميزاً في علم الطب ، وهو جيد التصنيف حسن المعاني . وله في الطب كتاب الكليات ، وقد أجاد في تأليفه . وكان بينه وبين أبي مروان بن زهر مودة . ولما ألف كتابه هذا في الأمور الكلية قصد من ابن زهر أن يؤلف كتاباً في الأمور الجزئية لتكون جهة كتابتها ككتاب كامل في صناعة

الطب . ولذلك يقول ابن رشد في آخر كتابه ما هذا نصه ، قال: فهذا هو القول في معالجة جميع أصناف الامراض بأوجز ما أمكننا وأبينه ، وقد بقي علينا من هذا الجزء القول في شفاء عراض عرض من الاعراض الداخلة على عضو عضو من الأعضاء . وهذا وإن لم يكن ضرورياً لانه منطوق بالقوة فيما سلف من الاقاويل الكلية فيه تتميم ما وارتياض ، لانا نزل فيها الى علاجات الامراض بحسب عضو عضو ، وهي الطريقة التي سلكها أصحاب الكنائيش ، حتى نجتمع في اقاولنا هذه الى الاشياء الكلية الامور الجزئية . فان هذه الصناعة أحق صناعة ينزل فيها الى الامور الجزئية ما أمكن إلا اذا تفرغ هذا الى وقت نكون فيه أشد فراغاً لعنايتنا في هذا الوقت بما هم من غير ذلك ، فمن وقع له هذا الكتاب دون هذا الجزء ، واحب أن ينظر بعد ذلك الى الكنائيش فأوفق الكنائيش له الكتاب الملقب بالتيسير الذي ألفه في زماننا هذا أبو مروان بن زهر وهذا الكتاب سألته أبا إياه وانتسخته فكان ذلك سبيلا الى خروجه ، وهو كما قلنا كتاب الاقاويل الجزئية التي قلت فيه ، شديدة المطابقة للأقاويل الكلية ، إلا انه مزج هنالك مع العلاج والعلامات واعطاء الاسباب على عادة اصحاب الكنائيش ، ولا حاجة لمن يقرأ كتابنا هذا الى ذلك بل يكفي من ذلك مجرد العلاج فقط . وبالجملة من تحصل له ما كتبناه من الاقاويل الكلية أمكنه أن يقف على الصواب والخطأ من مداواة اصحاب الكنائيش في تفسير العلاج والتركيب .

حدثني القاضي أبو مروان الباجي قال : كان القاضي أبو الوليد بن رشد حسن الرأي ذكياً رث البزة قوي النفس ، وكان قد اشتغل بالتعاليم وبالطب على أبي جعفر بن هارون ، ولازمة مدة وأخذ عنه كثيراً من العلوم الحكيمة . وكان ابن رشد قد قضى مدة في اشبيلية قبل قرطبة ، وكان مكيناً عند المنصور وجيهاً في دولته ، وكذلك أيضاً كان ولده الناصر يحترمه كثيراً قال : ولما كان المنصور بقرطبة وهو متوجه الى غزو ألفتس^(١) وذلك في عام احد وتسعين وخمسة استدعى أبا الوليد بن رشد ، فلما حضر عنده احترمه كثيراً ، وقربه اليه حتى تعدى به الموضع الذي كان يجلس فيه أبو محمد عبد الواحد بن الشيخ حفص الهنتاتي^(٢) صاحب عبد المؤمن ، وهو الثالث او الرابع من العشرة ، وكان هذا أبو محمد عبد الواحد قد صاهره المنصور وزوجه بابنته لمظم منزلة عنده ، ووزق عبد الواحد منها ابناً اسمه علي ، وهو الآن صاحب افريقية فلما قرب المنصور ابن رشد وأجلسه الى جانبه حادثه ، ثم خرج من عنده وجماعة الطلبة ، وكثير من اصحابه ينتظرونه فيقودونه بمنزلته عند المنصور واقباله عليه ، فقال والله ان هذا ليس بما يستوجب الهناء به فان أمير المؤمنين قد قربني دفعة الى أكثر مما كنت أومله فيه ، او يصل رجائي اليه ، وكان جماعة من اعدائه قد شيعوا بان أمير المؤمنين قد أمر بقتله فلما خرج سالماً أمر بعض خدمه ان يمضي الى بيته ، ويقول لهم اني يصنعوا له قطلا وفراخ حمام مسلوقة الى متى يأتي اليهم ، وانما كان غرضه بذلك تطيب قلوبهم بمافيته .

(١) هو الفرنسي الثاني ملك البرتغال .

(٢) احد افراد اسرة من البربر يدعون الحفصيين وعبد المومني حفص عمر بن يحيى الهنتاتي القائد البربري ومن اولاد المومني ابن قومت واحد نسياب عبد المؤمن المخلصين .

ثم ان المنصور فيما بعد نعم على ابي الوليد بن رشد ، وامر بان يقيم في البسطة وهي بلد قريب من قرطبة ، وكانت اولاً لليهود ، وان لا يخرج عنها . ونعم أيضاً على جماعة اخر من الفضلاء الاعيان ، وامر ان يكونوا في مواضع اخر واطهر انه فعل بهم ذلك بسبب ما يدعي فيهم انهم مشغولون بالحكمة وعلوم الاوائل . وهؤلاء الجماعة هم : أبو الوليد بن رشد ، وأبو جعفر الذهبي ، والفقيه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم قاضي بيجية ، وأبو الربيع الككفي ، وأبو العباس الحافظ الشاعر القرابي . وبقيوا مدة ثم ان جماعة من الاعيان باشييلة شهدوا لابن رشد انه على غير ما نسب اليه ، فرضي بالمنصور عنه وعن سائر الجماعة ، وذلك في سنة خمس وتسعين وخمسة . وجعل أبا جعفر الذهبي مزاراً للطلبة ومزاراً للاطباء . وكان يصفه المنصور ويشكوه ويقول : ان ابا جعفر الذهبي كالذهب الابرز الذي لم يرد في السبك إلا جوده .

قال القاضي ابو مروان : وما كان في قلب المنصور من ابن رشد انه كان مقى حضر مجلس المنصور ، وتكلم معه أو بحث عنده في شيء من العلم يخاطب المنصور بان يقول : تسمع يا اخي . وأيضاً فان ابن رشد كان قد صنف كتاباً في الحيوان ، وذكر فيه انواع الحيوان ، ولعل كل واحد منها . فلما ذكر الزرافة وصفها ثم قال : وقد رأيت الزرافة عند ملك البربر يعني المنصور ، فلما بلغ ذلك المنصور صعب عليه ، وكان احد الاسباب الموجبة في انه نعم على ابن رشد وأيمده . ويقال انه بما اعتذر به ابن رشد انه قال : انما قلت ملك البربر ، وانما تصحفت على القاريء فقال ملك البربر . وكانت وفاة القاضي ابي الوليد بن رشد رحمه الله في مراكش أول سنة خمس وتسعين وخمسة ، وذلك في اول دولة الناصر ، وكان ابن رشد قد عمر عمراً طويلاً ، وخلف ولداً طيباً عالماً بالصناعة ، يقال له ابو محمد عبد الله . وخلف أيضاً اولاداً قد اشتغلوا بالفقه واستخدموا في قضاء الكور .

ومن كلام ابي الوليد بن رشد قال : من اشتغل بعلم التشريع ازداد ايماناً بالله .

ولابي الوليد بن رشد من الكتب : كتاب التحصيل جمع فيه اختلاف اهل العلم مع الصحابة والتابعين وابيهم ، ونصر مذاهبهم وبين مواضع الاحتمالات التي هي مثار الاختلاف . كتاب المدمات في الفقه . كتاب نهاية المجتهد في الفقه . كتاب الكليات . شرح الارجوزة المنسوبة الى الشيخ الرئيس ابن سينا في الطب . كتاب الحيوان . جوامع كتب ارسطوطاليس في الطبيعيات والاهيات . كتاب الضروري في المنطق . ملحق به تلخيص كتب ارسطوطاليس ، وقد خصها تلخيصاً تاماً مستوفياً . تلخيص الافيات لنيقولاوس . تلخيص كتاب ما بعد الطبيعة لارسطوطاليس . تلخيص كتاب الاخلاق لارسطوطاليس . تلخيص كتاب البرهان لارسطوطاليس . تلخيص كتاب السباع الطبيعي لارسطوطاليس . شرح كتاب السماء والعالم لارسطوطاليس . شرح كتاب النفس لارسطوطاليس . تلخيص كتاب الاسطوانات لجالينوس . تلخيص كتاب المزاج لجالينوس . تلخيص كتاب القوى الطبيعية لجالينوس . تلخيص كتاب العلل والاعراض لجالينوس ، تلخيص كتاب التعرف لجالينوس . تلخيص كتاب الحيات لجالينوس . تلخيص أول كتاب الأدوية المفردة لجالينوس . تلخيص النصف الثاني من كتاب حيلة البرء لجالينوس . كتاب تهافت التهافت يرد فيه على كتاب التهافت للغزالي . كتاب منهاج الأدلة في

علم الاصول . كتاب صغير سماه فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال . المسائل المهمة على كتاب البرهان لارسطوطاليس . شرح كتاب القياس لارسطوطاليس . مقالة في العقل . مقالة في القياس . كتاب في الفحص هل يمكن العقل الذي فينا ، وهو المسمى بالهولاني ان يعقل الصور المفارقة بآخره أو لا يمكن ذلك ، وهو المطلوب الذي كان ارسطوطاليس وعدنا بالفحص عنه في كتاب النفس . مقالة في ان ما يعتقد المشاؤون ، وما يعتقد المتكلمون من أهل ملتنا في كيفية وجود العالم متقارب في المعنى . مقالة في التعريف يحية نظر أبي نصر في كتبه الموضوعة في صناعة المنطق السقي بأيدي الناس ، وبجهة نظر ارسطوطاليس فيها ، ومقدار ما في كتاب كتاب من اجزاء الصناعة الموجودة في كتب ارسطوطاليس ، ومقدار ما زاد لاختلاف النظر يعني نظريها . مقالة في اتصال العقل المغارق بالانسان . مقالة في اتصال العقل بالانسان . مراجعات ومباحث بين أبي بكر بن الطفيّل وبين ابن رشد في رسمه للدواء في كتابه الموسوم بالكليات . كتاب في الفحص عن مسائل وقعت في العلم الالهي في كتاب الشفاء لابن سينا . مسألة في الزمان . مقالة في فسخ شبة من اعترض على الحكم وبرهانه في وجود المادة الاولى ، وتبين ان برهان ارسطوطاليس هو الحق المبين . مقالة في الرد على أبي علي بن سينا في تقسيمه الموجودات الى ممكن على الاطلاق ، وممكن بذاته واجب بغيره . والى واجب بذاته . مقالة في المزاج . مسألة في نوائب الحمى . مقالة في حيات العفن . مسائل في الحكمة . مقالة في حركة الفلك . كتاب فيما خالف ابو النصر لارسطوطاليس في كتاب البرهان من ترتيبه وقوانين البراهين والحدود . مقالة في الترياق .

ابو محمد بن رشد

هو ابو محمد عبد الله بن ابي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، فاضل في صناعة الطب عالم بها مشكور في افعالها ، وكان يقد الى الناصر ويطلبه .
ولابي محمد بن رشد من الكتب : مقالة في حية البرد .

ابو الحجاج يوسف بن موراطير

من شرقي الاندلس ، وموراطير قرية قريبة من بلنسية . كان فاضلا في صناعة الطب خيرا بيا ، مزاولا لاعمالها ، محمود الطريقة ، حسن الرأي ، عالما بالامور الشرعية ، وسمع الحديث وقرأ المدونة . وكان اديبا شاعرا محبا للبحوث كثير النادرة .

حدثني القاضي ابو مروان الباجي قال : كنا في تونس مع الناصر وكان في العسكر غلاء ، وقل وجود الشعير فعمل ابو الحجاج بن موراطير موشعا في الناصر ، واتى في ضمنه تغيير بيت عمل الحفيد ابو بكر بن زهر في بعض موشعائه وذلك ان ابن زهر قال :

ما العيد في حة وطاق وشم طيب وانما العيد في التلاقي مع الحبيب

فعمل ابن موراطير :

ما العبد في حلة وطبق من الحرير انما الفيد في التلاقي مع الشعير
فاطلق له الناصر عشرة امداد شعير كانت قيمتها في ذلك الوقت خمسين ديناراً . وكان أبو الحجاج
ابن موراطير قد خدم بصناعة الطب المنصور أبا يوسف يعقوب . ولما توفي المنصور خدم لولده الناصر ،
وهو ابو عبد الله محمد بن يعقوب ، ومن بعد الناصر أيضاً خدم لولده أبي يعقوب يوسف المستنصر بن
الناصر . وكان ابو الحجاج بن موراطير قد عمر عمراً طويلاً ، وكان حظاً عند المنصور ، مكيناً
عنده رفيع المنزلة . وكان يدخل مجلس الخاصة مع الاشياخ للذاكرة في العربية وغيرها ، ومات
بالقرس في مراكش في دولة المستنصر .

ابو عبد الله بن يزيد

هو ابن أخت أبي الحجاج يوسف بن موراطير كان طبيباً فاضلاً واديباً شاعراً وشعراً موصوفاً
بالجودة .

ابو مروان عبد الملك بن قبلال

مولده ومنشؤه بفرطلة . وكان جيد النظر في الطب ، حسن الملاج ، وخدم بصناعة الطب المنصور ،
ثم خدم بعمده لولده الناصر ، ومات في دولة الناصر في مراكش .

ابو اسحق ابراهيم الداني

كانت له عناية بالغة في صناعة الطب ، وأصله من بجاية^(١) ، ونقل الى الحضرة ، وكان أمين البيارستان
وطيبه بالحضرة ، وكذلك ولده . والاكبر منها ، وهو ابو عبد الله محمد قتل في غزوة العقاب في
الأندلس مع الناصر ، وتوفي الداني في مراكش في دولة المستنصر بن الناصر .

ابو يحيى بن قاسم الاشيلي

كان فاضلاً في صناعة الطب ، خبيراً بقوى الادوية المفردة والمركبة ، كثير العناية بها . وكان
صاحب خزانة الاشربة التي بأخذها الخليفة المنصور من عنده ، وكذلك كان والده في خدمة أبي يعقوب
والد المنصور . وتوفي أبو يحيى في مراكش في دولة المستنصر ، وكان له ولد فجعل موضعه في الخزانة
عوضاً عن أبيه .

ابو الحكم بن غلندو

مولده وملشؤه بأشيلية ، وكان ادبياً شاعراً حسن الشعر ، متميزاً في صناعة الطب بمحمود الطريقة .

(١) مدينة ساحلية بالجزائر .

وكان مفتناً وخدم بصناعة الطب النصور ، وكان مكيناً عنده وجبها في دولته . وكان المنصور في عام ثمانين وخمسة مئة لما ولي الخلافة ، وكان ابن غلندو صاحب كتب كثيرة ، ويكتب خطين اندلسيين وتوفي براكش ودفن بها .

ابو جعفر احمد بن حسان

هو الحاج ابو جعفر احمد بن حسان الفرغاطي . مولده وملتؤه بفرغاطة . واشتغل بصناعة الطب ، واجاد في علمها وعملها ، وخدم المنصور بالطب . وحج ابو جعفر بن حسان مع ابي الحسين بن جبير^(١) الفرغاطي ، الاديب الكاتب ، صاحب كتاب الرحلة وذكره معه في الرحلة . وتوفي ابو جعفر بن حسان بمدينة فاس .
ولابي جعفر بن حسان من الكتب : كتاب تدبير الصحة ألفه للمنصور .

أبو العلاء بن أبي جعفر أحمد بن حسان

من مدينة غرناطة ، واحد الاعيان بها والمتميزين من أهلها . قوي الذكاء ، حسن الفطرة ، مشتغل بالادب ، وعنده براعة وفضل ، وهو طيب وكاتب . وخدم بصناعة الطب المستنصر ، وكان حلياً عنده . وهو من جهة الفضلاء في صناعة الطب بإشبيلية وقد قطن بها .

أبو محمد الشنوني

مولده وملتؤه بإشبيلية وكان ذكياً فطناً ، وله معرفة جيدة بعلم الهيئة والحكمة . وكان قد اشتغل بصناعة الطب على أبي مروان عبد الملك بن زهر ، ولأزمه مدة وبأمر أعالها . وكان مشهوراً بالعلم جيد العلاج . وخدم الناصر بالطب وتوفي بإشبيلية في دولة المستنصر .

المصدوم

هو ابن الحسين بن اسدون ، شهر بالمصدوم ، وهو تلميذ ابي مروان عبد الملك بن زهر . وكان المصدوم ديناً كثير الخير معتنياً بصناعة الطب ، مشهوراً بها ، ادبياً شاعراً ، ومولده وملتؤه بإشبيلية . وكان مقبلاً في البلد ويحضر عند المنصور ، ويطلبه في أوقات السداواة . وتوفي المصدوم في اشبيلية سنة ثمان وثمانين وخمسة مئة .

عبد العزيز بن مسامة الباجي

أصله من ناحية الغرب ، كان من أعيان أهل الاندلس وأجلائها ، ويعرف بابن الحفيد . وكان فاضلاً

(١) رسالة عربي ولد في بلنسية « ١١٤٥ » وتوفي في الاسكندرية « ١٢١٧ » طوف البلاد ووصف رحلاته في كتاب يعرف برحلة ابن جبير « ن.د. »

في صناعة الطب ، متميزاً في الادب ، وله شعر جيد . وكان تلميذ المصدوم ، وخدم بالطب المستنصر .
وتوفي في دولته في مراكش .

أبو جعفر بن الغزال

مولده بقمبجيرة من أعمال المرية ، وأتى الى الحفيد أبي بكر بن زهر ، ولازمه حتى الملائمة ،
وقرأ عليه صناعة الطب وعلى غيره حتى اتقن الصناعة . وخدم المنصور بالطب وكان خبيراً بتركيب
الادوية ومعرفة مفرداتها . وكان المنصور يعتمد عليه في الادوية المركبة والمالجين ويكناولها منه .
وكان المنصور قد أبطل الحجر ، وشدد بأن لا يأتي بشيء منه الى الحضرة ، أو يكون عند أحد . فلما
كان بعد ذلك بمدة ، قال المنصور لأبي جعفر بن الغزال أريد ان تجمع حوائج الترياق الكبير وتركبه
فامثل أمره ، وجمع حوائجه وأعوزه الحجر الذي يعجن به أدوية الترياق ، وأنهى ذلك الى المنصور
فقال له تطلبه من كل ناحية وانظر لعل يكون عند أحد منه ولو شيء يسير لتكمل الترياق . فتطلبه
أبو جعفر من كل أحد ، ولم يجد شيئاً منه . فقال المنصور : والله ما كان قصدي بتركيب الترياق في
هذا الوقت الا لا اعتبر هل بقي من الحجر شيء عند أحد أم لا ، وتوفي أبو جعفر بن الغزال في
أيام الناصر .

أبو بكر بن القاضي أبي الحسن الزهري

هو أبو بكر بن الفقيه القاضي أبي الحسن الزهري القرشي قاضي اشبيلية مولده وملتؤه بأشبيلية .
وكان جواداً كريماً حسن الخلق شريف النفس ، قد اشتغل بالأدب وتغيز في العلم . وكان أحد
الفضلاء في صناعة الطب والمتمنين في أعمالها . وخدم الطب للسيد أبي علي بن عبد المؤمن صاحب
اشبيلية . وكان يطلب الناس من دون اجرة ويكتب اللسخ لهم ، وكان في مبدأ أمره محباً للشطرنج
كثير اللعب به ، وجاد لمبه في الشطرنج جداً حتى صار يوصف به .

وحدثني القاضي أبو مروان الباجي قال : سألت القاضي أبا بكر بن أبي الحسن الزهري عن سبب
تلهه صناعة الطب فقال لي : انني كنت كثير اللعب بالشطرنج ، ولم يكذب يوجد من يلعب مثلي به في
اشبيلية الا القليل ، فكأنوا يقولون أبو بكر الزهري الشطرنجي ، فكان اذا بلغني ذلك أغشاه منه
ويصعب علي . فقلت في نفسي لا بد ان اشتغل عن هذا بشيء غيره من العلم لانمت به ، ويؤزل عني
وصف الشطرنج ، وعلمت ان الفقه وسائر الأدب ، ولو اشتغلت به عمري كله ، لم يخصني منه وصف
أنمت به ، فعدلت الى أبي مروان عبد الملك بن زهر واشتغلت عليه بصناعة الطب . وكنت أجلس
عنده ، وأكتب لمن جاء مستوصفاً من المرضى الوقاع ، واشتهرت بعد ذلك بالطب ، وزال عني ما
كنت أكره الوصف به .

وعاش أبو بكر بن أبي الحسن الزهري خمسا وعشرين سنة ، وتوفي في دولة المستنصر ،
ودفن بأشبيلية .

أبو عبد الله الندرومي

هو أبو عبد الله محمد بن سحنون ، ويعرف بالندرومي منسوباً إلى ندرومة^(١) من نظر مدينته تلمسان^(٢) ، وهو كومي أيضاً ينسب إلى قبيلة ، جليل القدر ، فاضل النفس ، محب للفضائل ، ساد الذهن ، مفرط الذكاء . ومولده بقرطبة في نحو سنة ثمانين وخمسة ، ونشأ بقرطبة ، ثم انتقل إلى اشبيلية . وكان قد لحق القاضي أبا الوليد بن رشد واشتغل عليه بصناعة الطب ، واشتغل أيضاً على أبي الحجاج يوسف بن موراطير . والندرومي من جملة التميزين في علم الأدب والعربية وجمع كثيراً من الحديث ، وخدم الناصر في آخر دولته بصناعة الطب ، وخدم بعده لولده المستنصر ، وأقام بإشبيلية ، وخدم بعد ذلك النجاء سالم بن هود ، ولاخيه أبي عبد الله بن هود صاحب الأندلس . ولاي عبد الله الندرومي من الكتب : اختصار كتاب المستصفي للغزالي .

أبو جعفر أحمد بن سابق

أصله من قرطبة ، وكان فاضلاً ذكياً جيد النظر ، حسن العلاج ، موصوفاً بالعلم . وكان من طلبة القاضي أبي الوليد بن رشد ، ومن جملة المشتغلين عليه بصناعة الطب . وخدم بالطب الناصر ، وتوفي في دولة المستنصر .

ابن الحلاء المرسي

من مرسية^(٣) وكان موصوفاً بمودة المعرفة بصناعة الطب ، وخدم المنصور لما أتى إليه خدمة وافداً ، وتوفي ببليده .

أبو أسحق بن طملوس

من جزيرة شقر من أعمال بلنسية ، وهو من جملة الفضلاء في صناعة الطب ، وأحد المتعينين من أهلها ، وخدم الناصر بالطب وتوفي ببليده .

أبو جعفر النهي

هو أبو جعفر أحمد بن جريج ، كان فاضلاً عالماً بصناعة الطب ، جيد المعرفة لها ، حسن التأني في أعمالها . وخدم المنصور بالطب وكذلك أيضاً خدم بعده الناصر ولده . وكان يحضر مجلس المذاكرة في الأدب . وتوفي أبو جعفر النهي بتلمسان عند غزوة الناصر إلى إفريقية سنة ستائة .

(١) مدينة في الجزائر نشأت في مقاطعتها دولة الموحدين .

(٢) مدينة في الجزائر فيها تجارة الحبوب والفلين والواشي اليوم .

(٣) مدينة في جنوبي إسبانيا استلها الرابطون ثم للموحدين ثم دجيت إلى الأسبان .

أبو العباس بن الرومية

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج النباتي المعروف بابن الرومية ، من أهل أشبيلية ومن أعيان علمائها وأكابر فضلائها . قد اتقن علم النبات ومعرفة أشخاص الادوية وقواها ومنافعها ، واختلاف أوصافها ، وتباين مواطنها . وله الذكر الشائع والسمة الحسنه ، كثير الخير ، موصوف بالديانة ، محقق للامور الطبية . قد شرف نفسه بالفضائل ، وسمع من علم الحديث شيئاً كثيراً عن ابن حزم^(١) وغيره . ووصل سنة ثلاث عشر وسبائة الى ديار مصر ، وأقام بمصر والشام والعراق نحو سنتين ، وانتفع الناس به ، وسمع الحديث ، وعان نباتاً كثيراً في هذه البلاد مما لم ينبت بالمغرب ، وشاهد اشخاصاً في منابها ونظرها في مواضعها . ولما وصل من المغرب الى الاسكندرية سمع به السلطان الملك العادل أبو بكر^(٢) بن أيوب رحمه الله ، وبلغه فضله وجودة معرفته بالنبات . وكان الملك العادل في ذلك الوقت بالقاهرة فاستدعاه من الاسكندرية ، وثلغاه وكرمته ورسم بأن يقرر له جامكية وجراية ، ويكون مقياً عنده فلم يفعل . وقال انما أثبت من بلدي لاسج ان شاء الله وارجع الى أهلي وبقي مقياً عنده مدة ، وجمع الترياق الكبير وركبه ، ثم توجه الى الحجاز . ولما حج عاد الى المغرب وأقام بأشبيلية ولاي العباس بن الرومية من الكتب : تفسير أسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس . مقالة في تركيب الادوية .

أبو العباس الكنتناري

هو أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد ، من أهل أشبيلية ، عارف بصناعة الطب ، من فضلاء أهلها والتميزين من أربابها . قرأ الطب في أول أمره على عبد العزيز بن صلبة الباجي . ثم قرأ بعد ذلك على أبي الحجاج يوسف بن مورايطر في مراكش وأقام بأشبيلية . وخدم لابي النجم ابن هود صاحب أشبيلية . وكان يطب أيضاً لاختيه أبي عبد الله بن هود .

ابن الاصم

هو^(١) من الأطباء المشهورين بأشبيلية ، وله خبرة في صناعة الطب ، وقوة نظر في الاستدلال على الامراض ومداراتها . وله حكايات مشهورة وفوائد كثيرة في معرفته بالقوارير واخباره

(١) علي بن حزم ولد في قرطبة ٩٩٤ - ١٠٦٤ هـ في عرني اندلس وطبيب وشاعر وفيلسوف .

(٢) أبو بكر سيف الدين ولد في المنصورة ومات في القاهرة سجيناً وهو من اعظم الامراء الايوبيين حكم (١٢٢١ - ١٢٢٨) وقائده اخوه الصالح أيوب على الملك

«ن.و»

(٣) يهاج بالأصل .

عندما يراها يحملة حال المريض ، وما يشكوه وما كان قد تناوله من الاغذية . وحدثني ابو عبد الله
المريني قال : كنت يوماً عند ابن الاصم واذا يجماعة قد اقبلوا اليه ، ومعهم رجل على دابة ، وهو
منكب عليها فلما وصلوا وجدنا ذلك الرجل وفي فمه حبة قد دخل بعضها مع رأسها في حلقه ، وبقيتها
ضاهرة ، وهي مربوطة بخيط قنب الى ذراع الرجل فقال : ما شأن هذا ؟ فقالوا له ان عادته
ينام وفيه مفتوح ، وكان قد اكل لبناً ، فنام ، فلما جاءت هذه الحبة لمقت فمه ، وداخل فمه وهو
نائم . ولما احسنت بن أتى خافت وانساب بعضها في حلقه ، وادركناها فربطناها بهذا الخيط لئلا
تدخل في حلقه . فلما نظر الى ذلك الرجل وجده وهو في الموت من الخوف فقال له ما عليك ، كدتم
تهلكون الرجل . ثم قطع الخيط فانسابت الحبة في حلقه واستمرت في معدته ، فقال له : الآن تبرأ .
وأمره ان لا يتحرك واخذ ادوية وعقاقير فاغلاها في ماء غلياً جيداً ، وجعل ذلك الماء في ابريق ،
وسقاه الرجل وهو حار فشربه ، وصار يحس معدته حتى قال مانت الحبة . ثم سقاه ماء آخر مغلياً
فيه حوائج ، وقال هذه تهريء الحبة مع هضم للمعدة . وصار مقدار ساعتين وسقاه ماء قد اغلي فيه
ادوية مقيئة فبجاشت نفس الرجل وذرعه اللقيء فعصب عينيه وبقي يتقيأ في طشت فوجدنا فيها الحبة وهي
قطع ، وهو يأمره بكثرة اللقيء ، حتى تنظفت معدته ، وخرجت بقايا الحبة فقال له : طب نفساً
فقد تعافيت ، وذهب الرجل معلماً صليحاً بعد ان كان في حالة الموت .

الباب الرابع عشر

طبقات الأطباء المشهورين من أطباء ديار مصر

بليطيان

كان طبيباً مشهوراً بديار مصر، نصرانياً عالمًا بشرية النصارى الملكية^(١). قال سعيد بن البطريق في كتاب نظم الجواهر. لما كان في السنة الرابعة من خلافة المنصور من الخلفاء العباسيين صير بليطيان بطريركا على الاسكندرية وكان طبيباً اقام ستاً واربعين سنة ومات. قال: ولما كان في ايام الرشيد هرون وولى الرشيد عبيد الله بن المهدي مصر، اهدى عبيد الله الى الرشيد جارية من اهل البيا من أسفل الأرض، وكانت حسنة جميلة، وكان الرشيد يحبها حباً شديداً فاحتلت علة عظيمة فمالجها الاطباء، فلم تلتفع بشيء. فقالوا له: ابعت الى عبيد الله عاملك بمصر ليوجه اليك واحداً من اطباء مصر فانهم ابصر بعلاج هذه الجارية من اطباء العراق. فبعث الرشيد الى عبيد الله بن المهدي يختار له من احذق اطباء مصر من يعالج الجارية فدعا عبيد الله بليطيان بطريرك الاسكندرية وكان حاذقاً بالطب فاعلمه بحب الرشيد الجارية وعلتها، وحمله الى الرشيد. وحمل بليطيان معه من صمك مصر الخشن والصير^(٢)، فلما دخل الى بغداد ودخل الى الجارية اطعمها الكمك والصير فرجعت الى طبيعتها، وزالت عنها الة فصار من ذلك الوقت يحصل من مصر الى خزانة السلطان الكمك الخشن والصير. ووهب الرشيد لبليطيان البطريرك مالا كثيراً، وكتب له منشوراً في كل كنيسة في يد البقوبية^(٣) بما اخذوها، وتلقبوا عليها ان ترد اليه فرجع بليطيان الى مصر واسعد من البقوبية كنائس كثيرة. و توفي بليطيان في سنة ستة وخمسين ومائة للهجرة.

(١) هم المسيحيون الذين حضروا للجمع الخليلي الذي اُقيم له الملك مرتانوس. وهم في خاصة بطريرك انطاكية لغتهم الطاسية اليونانية والعربية.

(٢) السمك المالح.

(٣) طائفة من النصارى قالت بالطبيعة الواحدة يسمون اليوم السريان القديم او الارثوذكس تميزاً عن السريان الكاثوليك.

ابراهيم بن عيسى

كان طبيباً فاضلاً معروفاً في زمانه متميزاً في اوانه ، صاحب برحنا بن ماسويه ببغداد وقرأ عليه وأخذ عنه . وخدم بصناعة الطب الأمير أحمد بن طولون^(١) ، وتقدم عنده وسافر معه الى الديار المصرية ، واستمر في خدمته ولم يزل ابراهيم بن عيسى مقيماً في فسطاط مصر الى ان توفي ، وكانت وفاته في نحو سنة ستين ومائتين .

الحسن بن زيرك

كان طبيباً في مصر أيام أحمد بن طولون يصعبه في الإقامة ، فاذا سافر صحبه سعيد بن توفيل . ولما توجه ابن طولون الى دمشق في شهور سنة تسع وستين ومائتين ، وامتد منها الى الثغور لاصلاحها ، ودخل انطاكية حائداً عنها اكثر من استعمال لبن الجواميس فادركته هيبضة لم ينجع فيها معانة سعيد ابن توفيل ، وعاد بها الى مصر وهو ساخط على سعيد بن توفيل . فلما دخل الفسطاط احضر الحسن ابن زيرك وشكا اليه سعيداً فسهل عليه ابن زيرك أمر علقه ، واعلم انه يرجو له السلامة منها عن قرب . وخفت عنه علته بالراحة والطمانينة واجتاع الشمل ، وهدوء النفس ، وحسن القيام . وبر الحسن بن زيرك . وكان يسر التخليط مع الحرم فازدادت علته ، ثم دعا لاطباء فأرهبهم وخوفهم وكنتمهم ما اسلفه من سوء التدبير والتخليط ، واشتهى على بعض خطايه سمكاً قريضاً فأحضرته اياه سرّاً فيما تمكن من معدته ، حتى تتابع الاسهال فأحضر الحسن بن زيرك وقال له : احسب الذي سقيته انيوم غير صواب . قال له الحسن بن زيرك يأمر الأمير ايده الله بإحضار جماعة اطباء الفسطاط داره في غداة كل يوم ، حتى يتفقوا على ما يأخذوه كل غداة ، وما سقيتك الا أشياء تولى عجنها ثقتك ، وجميعها تنهض القوة الماسكة في معدتك وكبدك . فقال أحمد : والله لئن لم تنجعوا في تدبيركم لاضر بن أعناقكم فانما تجربون على العليل ، ولا يحصل منكم على شيء في الحقيقة . فخرج الحسن بن زيرك من بين يديه وهو برعد . وكان شخصاً كبيراً فحسيت كبده من سوء فكره وخوفه ، وتشاغله عن الطعام والنوم فاعتراه اسهال سريع ، واستولى الظم عليه فضلط وكان يحذي بمه أحمد بن طولون ، حتى مات في غد ذلك اليوم .

سعيد بن توفيل

كان طبيباً نصرانياً متميزاً في صناعة الطب ، وكان في خدمة أحمد بن طولون من اطباء الخاص يصعبه في السفر والحضر ، وتغير عليه قبل موته . وسببه ان أحمد بن طولون ، كما تقدم ذكره ،

(١) مؤسس الدولة الطولونية لمصر واول ولاتها مع الشام الذين لم يكرهوا غلبتين للعلاقة في بغداد الا اسماً . بنى الجوامع المعروف باسمه في القاهرة . وهو اول من اجري تأميم مناجم النطرون .

كان قد خرج الى الشام ، وقصد الثغور لاصلاحها ، وعاد الى انطاكية فأدركته هبسة من البارت الجواميس ، لانه أسرع فيها، واستكثر منها فالتصم طبيبه سعيداً فوجد قد خرج الى بيمه بانطاكية فتمكن غيظه عليه ، فلما حضر اغلظ له في التأخر عنه ، وأنف أن يشكو اليه ما وجده . ثم زاد الأمر عليه في الليلة الثانية فطلبه فجاء متنبذاً ، فقال له : لي من يمين عليل وأنت شارب نبيذ ؟ فقال : يا سيدي طلبتني أمس وأنا في بيعتي على ما جرت عادتي ، وحضرت فلم تحبطني بشيء ! قال : فما كان ينبغي أن تسأل عن حالي ؟ قال : ظنك يا مولاي سيء ، ولست أسأل أحداً من حاشيتك عن شيء من أمرك . قال : فما الصواب الساعة ؟ قال : لا تقرب شيئاً من الغذاء ، ولو قرمت ^(١) اليه الليلة وغداً . قال : أنا والله جائع ، وما أصبر . قال : هذا جوع كاذب لبرد المدة . فلما كان في نصف الليل استدعى شيئاً يأكله فجاءه بفراريج كردباج ^(٢) حارة ، وبزماورد ^(٣) من دجاج ، وجداء ^(٤) باردة فأكل منها فانقطع الاسهال عنه ، فخرج لئس الخادم ، وسعيد في الدار فقال له أكل الأمير خروف كردباج فخفف عنه القيام . قال سعيد : الله المستعان ضعفت قوته الدافعة بغير الغذاء لها ، واستمررت حركة منكورة فواءها ما وافى السحر حتى قام أكثر من عشرة مجالس ، وخرج من انطاكية ، وعلمته تقرايد إلا أن في قوته احتمالاً لها . وطلب مصر وثقل عليه ركوب النواب فعملت له عجلة كانت تجر بالرجال ، وطئت له ، فما وصل الثرما ^(٥) حتى شكاً ازعاجها فركب، الما الى القسطنطينية ، وضرب له بالبدان قبة نزل فيها .

ولما حل ابن طولون بمصر ظهرت منه نبوة في حق سعيد الطبيب هذا ، وشكاه الى اسحق بن ابراهيم كاتبه وصاحبه فقال اسحق بن ابراهيم لسعيد يماثي : ويحك ، أنت حاذق في صناعتك وليس لك عيب إلا أنك مدلل بها ، غير خاضع ان تخدعه فيها . والأمير ، وإن كان فصيح اللسان ، فهو أعجمي الطبع ، وليس يعرف أوضاع الطب فيدبر نفسه بها وينقاد لك . وقد أفسده عليك الاقبال فتلطف له ، وارفق به ، وواظب عليه ، وراع حاله . فقال سعيد : والله ما خدمتي له إلا خدمة الفار للسور ، والسفلة للذئب ، وإن قتلي لأحب إلي من صحبته . ومات أحمد بن طولون في علقته هذه .

وقال لئس خادماً أحمد بن طولون : ان سعيد بن توفيل المتطبيب ، كان في خدمة الأمير احمد بن طولون فطلبه يوماً فقبل له مضى يستريح ضيعة يشترها فامسك حتى حضر . ثم قال له : يا سعيد اجعل ضيعتك التي تشتريها فلتشتريها ضيعتي ولا تنقلها ، واعلم أنك تسبقني الى الموت إن كنت موثي على فراشي ، فاني لا امسكك بالاستمتاع بشيء بعدي . قال لئس : وكان سعيد بن توفيل أيضاً من

(١) اشتكت واشتدت شهرتك اليه .

(٢) هكذا في الأصل والصحيح كردباج وهي معرب كردك وهو شواء في سفرد يقالب على النار لينضج ويؤكل .

(٣) أو الزماورد طعام قيل هو الرقاق الملقوف بالحم ويسمى لقمة القاضي .

(٤) جمع جدي وهو الذكر من اولاد البئر ما كان دون ستة أشهر . (ن. د.)

(٥) الثرما : مدينة قديمة عند مدخل مصر شرقاً اصطدم فيها العرب بالروم عند هجومهم على مصر فتحها عمرو بن العاص .

الحياة لان احمد بن طولون امتنع من مشاورته ولم يكن يحضر إلا ومعه من يستظهر عليه برأيه ، ويعتقد فيه انه فرط في أول أمره . وأبتداء العلة به حتى قات أمره .

وفي التاريخ ان سعيد بن توفيل كان له في أول ما صاحب أحد شاكري^(١) قبيح الصورة ، كان ينفذ الكتان مع اب له واسمه هاشم ، وكان يجذب بشفة سعيد ويمسكها له اذا دخل دار احمد ابن طولون . وكان سعيد يستعمله في بعض الاوقات في سحق الأدوية بداره اذا رجع معه ، وينفخ النار على المطبوعات . وكان لسعيد بن توفيل ابن حسن الصورة ، ذكي الروح ، حسن المعرفة بالطب فتقدم احمد بن طولون الى سعيد اول ما صاحبه ان يرثد متطببا يكون لحرمه ، ويكون مقيا بالحضرة في غيبته ، فقال له سعيد : لي ولد قد علمته وخرجته . قال : لرنيه فأحضره ، فرأى شابا راقعا حسن الأسباب كلها . فقال له احمد بن طولون : ليس يصلح هذا لخدمة الحرم ، احتاج لمن حسن المعرفة قبيح الصورة ، فأشقى سعيد ان ينصب لهم غريبا فيلبو عنه ، ويخالف عليه ، فأخذ هاشما وألبسه دراعة^(٢) وخفين ونصب للحرم . فذكر جريج ابن الطباخ المتطبب قال : لقيت سعيد بن توفيل ومعه عمر بن صخر ، فقال له عمر : قد كان في إنباء الأطباء قبيح قد حسنت تربيته ، وطاب مفرسه يصلح لهذا ، ولكنك استرخصت الصنعة . والله يا أبا عمار ان قويت يده ليرجعن الى دواء منصبه ، وخساسة بحدته . فضاحك سعيد بفرقه من هذا الكلام . وتمكن هاشم من الحرم بإصلاحه لهم ما يرافقه من عمل أدوية الشمع والجل ، وما يحسن اللون ويفزر الشعر ، حتى قدمه للنساء على سعيد . فلما جمع الأطباء على التدو الى احمد بن طولون في كل يوم عند اشتداد علته قالت «مائة الف» أم ابي المشائر : قد احضر جماعة من الأطباء ، ولم يحضر هاشم ، والله يا سيدي ما فيهم مثله ، فقال لها احضريني سرا حتى اشافيه واسمع كلامه ، فادخلته اليه سرا وشجعت على كلامه . فلما مثل بيديده نظر وجهه وقال أغثيل الأمير حتى بلغ الى هذه الحالة ، لا احسن الله جزاء من كرت يتولى أمره . قال له احمد بن طولون : فما الصواب يا مبارك ؟ قال : لتناول قمحة فيها كذا وكذا ، وعدد قريبا من مائة عفار ، وهذه الفوائض تمسك وقت اخذها وتعود بضرر بعد ذلك لانها تتعب القوى . ففعلنا ولما أخذ ، وأمسك عن تناول ما عمله سعيد والأطباء . ولما امسكت حسن موقع ذلك عند أحمد وظن ان البرء قد تم له . ثم قال أحمد هاشم : ان سعيدا قد حامي من شهر عن لقمة عسيده^(٣) وأنا أشبهها : قال : يا سيدي ، أخطأ سعيد دهي مغذية ولها أثر جيد فيك . فتقدم أحد بن طولون بإصلاحها فيهي منها بجام واسع فاكل اكثره وطاب نفسا ببلوغ شهوته ودام ولجعت العصيدة فتوهم ان حاله زادت صلاحا . وكل هذا يطوى عن سعيد بن توفيل . ولما حضر سعيد قال له : ما نقول في العصيدة ؟ قال هي ثقيلة على الاعضاء وتحتاج أعضاء الأمير الى تخفيف عنها . قال له احمد : دعني

(١) الاجير والمستخدم .

(٢) جبة مشققة القدم .

(٣) يثقي بكت بالسن ويبيض .

من هذه الحرقه (١) قد أكلتها ونفقتني والحمد لله . وجيء بفاكهة من الشام فسأل احمد بن طولون سعيد بن توفيل عن السفرجل فقال : تمص منه على خلو المدة والاحشاء فانه نافع . فلما خرج سعيد من عنده أكل أحد بن طولون سفرجلا فوجد السفرجل المعصيدة فصرها فتدافع الاسهال ، فدعا سعيداً فقال يا ابن الفاعلة ذكرت ان السفرجل نافع لي وقد عاد الي الاسهال ، فقام فنظر المادة ورجع اليه فقال : هذه المعصيدة التي حمدتها وذكرتك اني غلطت في منمها فانها لم تزل مقيمة في الاحشاء لا تطيق تسييرها ولا هضمها لضعف قواها ، حتى عصرها السفرجل ، ولم أكن أطلقت لك أكله ، وانما أضرت بحسه . ثم سأله عن مقدار ما أكل منه فقال : سفرجلتين . فقال سعيد : أكلت السفرجل للشبع ولم تأكله للعلاج . فقال يا ابن الفاعلة جلست تناديني وأنت صحيح سوي ، وأنا عليل مدنف . ثم دعا بالسياف فضره مائتي سوط وطاف به على جبل ، ونودي عليه هذا جزء من اثمن فخار ، ونهب الاولياء منزله ومات بعد يومين ، وذلك في سنة تسع وستين ومائتين بمصر . وقيل في سنة تسع وسبعين ومائتين ، وهي السنة التي مات ابن طولون في ذي قعدتها . والله اعلم

خلف الطولوني

هو أبو علي خلف الطولوني مولد امير المؤمنين ، كان مشغلا بصناعة الطب ، وله معرفة جيدة في علم امراض العين ومداواتها .

ولخلف الطولوني بن الكتب : كتاب النهاية والكفاية في تركيب العينين وخلقتهما وعلاجهما وادويتهما ، ونقلت من خطه في كتابه هذا ، وجملة الكتاب بخطه ، ان معاناه كانت لتأليف هذا الكتاب في سنة أربع وستين ومائتين ، وفراغه منه في سنة اثنتين وثلاثمائة .

نسطاس بن جريج

كان نصرانياً عالماً بصناعة الطب ، وكان في دولة الاخشيد بن طنج (٢) . ولنسطاس بن جريج من الكتب : كتاب . رسالة إلى يزيد بن رومان النصراني الاندلسي في البول .

اسحق بن ابراهيم بن نسطاس

هو أبو يعقوب ، اسحق بن ابراهيم بن نسطاس بن جريج ، نصراني فاضل في صناعة الطب . وكان في خدمة الحاكم بأمر الله (٣) ويعتمد عليه في الطب وتوفي اسحق بن ابراهيم بن نسطاس بالقاهرة في أيام الحاكم ، واستطعب بعده أبا الحسن علي بن رضوان ، واستمر في خدمته وجعله رئيساً على سائر الاطباء .

(١) الكتب والاختلاق .

(٢) احد ملوك الاخشيديين الذين تفرأوا الحكم في مصر وسوريا واصلهم ايرانيون .

(٣) هو التصور بن العزيز سادس الخلفاء الفاطميين (٩٨٥-١٠٢١) . اشتغل بغاية فطيل انه قتل وقيل انه عمد الى الاختلاء ومن انتصاره دولي داعي الباطنية .

البالسي

هو (*) كان طبيباً فاضلاً متميزاً في معرفة الادوية المفردة وافعالها . وله من الكتب : كتاب التكميل في الادوية المفردة ألفه لكافور الاخشيدي^(١) .

موسى بن العازار الاسرائيلي

مشهور بالتقدم والخلق في صناعة الطب ، وكان في خدمة المزلدين الله ، وكان في خدمته أيضاً ابنه اسحق بن موسى المتطبب . وكان جليل القدر عند المزل ومتولياً أمره كله في حياة أبيه وتوفي اسحق بن موسى لاثني عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة . واغتم المزل لموت اسحق لموضعه منه ولكفايته ، وجعل موضعه اخاه اسمعيل بن موسى وابنه يعقوب بن اسحق ، وكان ذلك في حياة أبيهم موسى وتوفي قبل وفاة اسحق بيوم اخ له مسلم اسمه عون الله بن موسى . ول موسى بن العازار من الكتب : الكتاب المزي في الطب ، ألفه للمزل . مقالة في السعال . جواب مسألة سألها عنها أحد الباحثين عن حقائق العلوم الراغبين جني ثمارها ، كتاب الاقرباذين .

يوسف النصراني

كان طبيباً عارفاً بصناعة الطب فاضلاً في العلوم . وقال يحيى بن سعيد بن يحيى . في كتاب «تاريخ الذيل» : انه لما كان في السنة الخامسة من خلافة العزيز صير يوسف الطبيب بطريقاً على بيت المقدس . اقام في الرئاسة ثلاث سنين وثمانية أشهر ، ومات بمصر ودفن في كنيسة مار يوحنا مع آباء أخر منطودا القيسراني .

سعيد بن البطريق

من اهل فسطاط^(٢) مصر ، وكان طبيباً نصرانياً مشهوراً عارفاً بعلم صناعة الطب وعملها متقدماً في زمانه ، وكانت له دراية بعلوم النصارى ومذاهبهم ، ومولده في يوم الاحد ثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين ومائتين للهجرة . ولما كان في اول سنة من خلافة القائم^(٣) بالله محمد بن احمد المستضد بالله ، صير سعيد بن البطريق بطريقاً على الاسكندرية ، وسمي أوثوشوس ، وذلك لثان خلون من شهر صفر سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وسعيد بن البطريق من العمر نحو ستين سنة . وبقي في الكرسي والرئاسة سبع سنين وستة أشهر . وكانت في أيامه شقاق عظيم وشر متصل بينه وبين

(١) بياض بالأصل .

(٢) هو ابر المسك قولى الحكم سنة ٩٦٦ ولد في المهدية - تونس - وهو رابع الخلفاء الفاطميين . بسط سيادته على مصر وسوريا والحبشة . وفي أيامه اُسس القلعة جوه مدينة القاهرة (د.ر).

(٣) اول مدن المسلمين في مصر بنما عمرو بن العاص . كان موقعها بين القاهرة ومصر الشقيقة وتسمى الآن امبابية .

(٤) الخليفة العباسي التاسع عشر اُسما سياسة الرعية فاسر وهو بحالة السكر وحملت عيناه وسجن وحاش متسولاً .

شعبه . واعتزل سعيد بن البطريق بمصر بالإسهال . وكانت متميزاً في صناعة الطب فحسب
 انها علة موته ، فصار الى كرسيه بالاكندرية ، وأقام به أياماً عدة علياً ، ومات يوم
 الاثنين سلخ^(١) رجب من سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

وسعيد بن البطريق من الكتب: كتاب في الطب ، علم وعمل . كتاب الجدل بين المخالف
 والنصافي . كتاب نظم الجوهر ، ثلاث مقالات . كتبه الى أخيه عيسى بن البطريق المتطبب في
 معرفة صوم النصارى وقطرم وتواريخهم وأعيادهم ، وتواريخ الخلفاء والملوك المتقدمين ؛ وذكر
 البطارقة وأحوالهم ، ومدة حياتهم ومواقعهم ، وما جرى لهم في ولايتهم . وقد ذيل هذا الكتاب
 لسعيد بن البطريق يقال له يحيى بن سعيد بن يحيى ، وسعى كتابه كتاب تاريخ الذيل .

عيسى بن البطريق

كان طبيباً نصرانياً عالماً بصناعة الطب علماً وعملها ، متميزاً في جزئيات المداواة والعلاج ،
 مشكوراً فيها . وكان مقامه بمدينة مصر القديمة ، وكان هذا عيسى بن البطريق أخاً سعيد بن البطريق
 المقدم ذكره ولم يزل عيسى بمدينة مصر طبيباً الى ان توفي بها .

أعين بن أعين

كان طبيباً متميزاً في الديار المصرية ، وله ذكر جميل وحسن معالجة . وكان في أيام العزيز بالله^(٢)
 وتوفي أعين بن أعين في شهر ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة .
 وله من الكتب : كنش . كتاب في امراض العين ومداواتها .

التميمي

هو أبو عبد الله محمد بن سعيد التميمي . كان مقامه أولاً بالقدس^(٣) ، وفراحيها وله معرفة جيدة
 بالنبات وماهياته والكلام فيه . وكان متميزاً أيضاً في أعمال صناعة الطب والاطلاع على دقائقها ؛ وله
 خبرة فاضلة في تركيب المساجين والأدوية المفردة ؛ واستقصى معرفة أدوية الترياق الكبير للنفاروق
 وعركيه وركب منه شيئاً كثيراً على أتم ما يكون من حسن الصنعة . وانتقل الى الديار المصرية وأقام
 بها الى أن توفي رحمه الله . وكان قد اجتمع في القدس بحكم فاضل راهب يقال له انبا زخريا بن
 قزاية . وكان هذا الراهب يتكلم في شيء من اجزاء العلوم الحكيمة والطب ، وكان مقيماً في القدس
 في المائة الرابعة من الهجرة ، وكان له نظر في أمر تركيب الأدوية . ولما اجتمع به محمد التميمي لازمه

(١) آخره .

(٢) أبو منصور خامس خلفاء الفاطميين بمصر (٩٧٥-٩٩٦) بلغت الدولة ارج جزءاً في أيامه . رضى الجوامع والقصور
 والآنية لكنه اعتمد على الصاكر الفرعية فاقتصرها عنه السيادة .

(٣) حامية فلسطين دمرها الرومان وفتحها العرب وهي مقدسة عند الاديان السابرية الثلاثة (ن. د.)

وأخذ عنه فوائد وجلا كثيرة مما يعرفه . وقد ذكر التميمي في كتابه مادة البقاء ، صفة ملوف
الرجفان الحادث عن المرة السوداء المحترقة وذكر انه نقل ذلك عن ابي زخريا .

وقال صاحب جمال الدين بن التقي القاضي الأكرم في كتاب « أخبار العلماء باخبار الحكماء » :
ان التميمي محمد بن أحمد بن سعيد كان جده سعيد طبيباً ، وصحب أحمد بن أبي يعقوب مولى ولد
العباس ، وكان محمد من البيت المقدس ، وقرأ علم الطب به وبغيره من المدن التي ارحل اليها ، واستفاد
من هذا الشأن جزءاً متوفراً ، وأحكم ما علمه منه غاية الأحكام . وكان له غرام وعناية تامة في تركيب
الادوية ، وحسن اختيار في تأليفها ، وعنده غوص على أمور هذا النوع ، واستفراق في طلب غوامضه .
وهو الذي اكمل الترياق الفاروق بما زاده فيه من المفردات ، وذلك باجماع الأطباء على انه الذي
أكمله . وله في الترياق عدة تصانيف ما بين كبير ومتوسط وصغير . وقد كان مختصاً بالحنين بن
عبد الله بن طنج المستولي على مدينة الرملة ، وما انضاف اليها من البلاد الساحلية وكان مغرمًا به وبما
يعالجه من المفردات والمركبات . وعمل له عدة معالجات^(١) وطبية ودخناً دافعة للوباء وسطر
ذلك في أثناء مصنفاته . ثم ادرك الدولة العلوية^(٢) عند دخولها الى الديار المصرية وصحب الوزير
يعقوب بن كلس^(٣) وزير الحزب والمميز وصنف له كتاباً كبيراً في عدة مجلدات سماه مادة البقاء بإصلاح
فساد الهواء ، والتحرز من ضرر الاوباء وكل ذلك بالقاهرة المصرية . ولقي الأطباء بمصر وناظرهم
واختلط باطباء الخاص القادمين من أهل المغرب في صعبة الحزب عند قدومه والمقيمين بمصر من أهلها .

قال وحكى عبد التميمي خبراً عن ولده وهو ، قال : حدثني والدي رضي الله عنه انه سكرمرة
سكرراً مفرطاً غلب فيه على عقله فسقط في بعض الحانات من موضع عال من أسفل الحان ، وهو لا
يعقل فعله صاحب الحان وخدمه حتى اختله الى الحجرة التي كان ساكنها . فلما أصبح قام وهو يحد
وجعاً ووهناً في مواضع من جسده ، ولا يعرف لذلك سبباً فركب وتصرف في بعض أموره الى ان
تعالى النهار ثم رجع ، فقال لصاحب الحان : اني اجهد في جسدي وجعاً ووهناً شديداً لست أدري
ما سببه ؟ فقال له صاحب الحان : ينبغي ان تحمد الله على سلامتكم . قال : مم ذا ؟ قال : أو ما
علت ما تالك البارحة ؟ قال : لا . قال : فانك سقطت من أعلى الحان الى أسفل وانت سكران .
قال : ومن اي موضع ؟ فأراه الموضع ، فلما رآه حدث به للوقت من الروع والضربان ما لم يجد معه
سيلاً الى الصبر ، وأقبل يضج ويتأوه الى ان جاءوه بطبيب فقصده ، وشد على مفصله الخوذة
جباراً فاقام أياماً كثيرة الى ان برأ ونهب عنه الروع .

اقول : وبما يناسب هذه الحكاية ان بعض التجار كان في بعض أسفاره في مفارة ومعه رفقة له
فنام في منزلة زلها في الطريق ورفقته جلوس فخرجت حية من بعض التماسيح ، وصادفت رجله

(١) مرام وأطلية .

(٢) الدولة الفاطمية .

(٣) يهودي من بغداد (٩٣٠ - ٩٩١) اشتهر بخاوته المالية . واصبح وزيراً للخليفة العزيز الفاطمي . واسلم وأصبح حجة
في العلوم الإسلامية .

فنهشته فيها وذهبت ، وانتبه مرعوباً من الألم وبقي يسك رجله ويتأوه منها . فقال له بعضهم : ما عليك ، انك مددت رجلك بسرعة ، وقد صادفت رجلك شوكة في هذا الموضع الذي يوجعك ، وأظهر له انه اخبر الشوكة ، وقال : ما بقي عليك بأس . وتساكن عنه الألم بعد ذلك ، ورحلوا فلما كان بعد عودهم بمدة وقد نزلوا في تلك المنزلة قال له صاحبه أقدرني ذلك الوجع الذي عرض لك في هذا الموضع من أي شيء كان ؟ فقال : لا . قال ان حية ضربتك في رجلك ورأيناها وما أعلنك . فعرض له للوقت ضرباً قوياً في رجله ، وسرى في بدنه الى ان قرب من قلبه وعرض له غشي ، ثم تزايد به الى ان مات . وكان السبب في ذلك ان الاوهام والاحداث النفسانية تؤثر في البدن أثرأ قوياً فلما تحقق ان الآفة التي عرضت له كانت من نهشة الحية تأثر من ذلك وسرى ما كان في ذلك الموضع من بقايا السم في بدنه . ولما وصل الى قلبه أهلكه .

قال الصاحب جمال الدين : ولما كان التميمي ببلده البيت المقدس معانياً لصناعة الطب واحكام التركيبات ، صنف وركب ترياقاً سماه مخلص النفوس وقال فيه : « هذا ترياق ألقته بالقدس واحسنت تركيبه ، مختصراً ، بالغ الفحل ، دافع لضرر السمومات القاتلة المشربة والمصبوبة في الابدان . يبلع ذوات السم من الافاعي والثعابين والارواح الحيات المهلكة السم ، والمقارب الجرارات وغيرها ، وذوات الاربع والاربعين^(١) رجلاً ، ومن لدغ الرتيلاء^(٢) والمظليات^(٣) يجرب ليس له مثل » . ثم ساق مفرداته وصورة تركيبه في كتابه المسمى بمادة البقاء . ولما كان بمصر صنف جوارشن وركبه وسماه : مفتاح السرور من كل المصوم ، ومفرج النفس ، ألّفه لبعض اخوانه بمصر ، وذكر صورة تركيبه وأسماء مفرداته ، غير انه ركب بمصر وسماه القسطاط ، اسمها الاول في زمن عمرو بن العاص عند افتتاحها ، وذلك المذكور في كتابه مادة البقاء وكان التميمي هذا موجوداً بمصر في سنة سبعين وثلاثمائة .

وللتميمي من الكتب : رسالة الى ابنه علي بن محمد في صنعة الترياق الفاروق والتنبية على ما يفظ فيه من أدويته ، ونمت أشجاره الصحيحة وأوقات جمعها وكيفية عجنه ، وذكر منافعه وتجربته . كتاب آخر في الترياق ، وقد استوصف فيه تكميل أدويته وتجوير منافعه . كتاب مختصر في الترياق . كتاب في مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرر من ضرر الاواء ، صنفه للوزير أبي الفرج يعقوب بن كلس بمصر . مقالة في ماهية الرمد وانواعه وأسبابه ، وعلاجه . كتاب الفاحص والاختبار

سبلان

هو أبو الحسن سبلان بن عثمان بن كيسان ، كان طبيباً نصرانياً من أهل مصر يلتحل رأي الفرقة الملكية ، وخدم الخلفاء المصريين ، وارتفع سجاهه في الايام المزبوية ، ولم يزل مرتفع الذكر محروس الجانب

(١) درية ذات قوائم كثيرة ومن امثالها ام مبيع وسبعين وحريش وعقراين ودخال الاذن .

(٢) من انواع الكسكروت .

(٣) كل درية صغيرة من الحشرات ذوات الاربع منها : سوام ، ابرص ، والمضارف اي الحرايين ، والضباب ، والسحالي .

وفي الاصل ما يسمى عند عامة مصر بالحقلي وفي سواحل الشام بالمقاية (ن.د).

مقتنياً للمال الجزيل الى ان توفي بمصر في أيام العزيز بالله ، في يوم السبت لخمس بقين من ذي الحجة سنة ثمانين وثلاثة وأخرج يوم الأحد بعد صلاة الظهر إلى كنيسة الروم بقصر الشمع : فاخذ بمنازحته من داره على النخاسين على الجامع المتبق على المربعة الى حمام الفارو ، بين يديه خمسون شمعة موقودة ، وعلى ثابوته ثوب مثقل وخلف جنازته المطران أخو السيد ، وأبو الفتح منصور بن مقشر طبيب الخاص مشاة ، وسائر النصارى تبع لهم . ثم اخرج من الكنيسة بعد ان قسس عليه بقية ليلتهم الى دير القصر فدفن هناك عند قبر أخيه كيسان بن عثمان بن كيسان ، ولم يمتري العزيز لتركته ، ولا ترك أحدًا يمد يده اليها على كثرتها .

أبو الفتح منصور بن سهلان بن مقشر

كان طبيباً نصرانياً مشهوراً ، وله دعاية وخبرة بصناعة الطب ، وكان طبيباً للحاكم بأمر الله ، ومن الخواص عنده ، وكان العزيز أيضاً يستطبه ويرى له ويحرمه . وكانت متقدماً في الدولة ، وتوفي في أيام الحاكم واستطب الحاكم بعده اسحق بن ابراهيم بن نسطاس . ومات اسحق بن نسطاس أيضاً في أيام الحاكم بعد ذلك .

عمار بن علي الموصل

كان كحالا مشهوراً ، ومعالجا مذكورا . له خبرة بمداواة أمراض العين ، ودربة بأعمال الحديد . وكان قد سافر الى مصر وأقام بها وكان في أيام الحاكم ولعمار بن علي من الكتب : كتاب المنتخب في علم العين وعلاها ومداواتها بالأموية والحديد ، ألفه للحاكم .

الحقير النافع

كان هذا من أهل مصر ، يهودي النحلة في زمن الحاكم . وكان طبيباً جراتصيا ، حسن المعالجة . ومن ظريف أمره انه كان يرتج بصناعة مداواة الجراح ، وهو في غاية الخمول والفق ان عرض لرجل الحاكم عقر^(١) اذن ولم يبرأ . وكان ابن مقشر طبيب الحاكم والحظي عنده ، وغيره من أطباء الخاص المشاركين له يتولون علاجه فلا يؤثر ذلك الاشرافي^(٢) للمقر فاحضر له هذا اليهودي المذكور ، فلما رآه طرح عليه دواء يابس فلتشفه وشفاه في ثلاثة أيام فاطلق له ألف دينار ، وشغل عليه ، ولقبه بالحقير النافع ، وجعله من أطباء الخاص .

أبو بشر طبيب العظمية

كان في أيام الحاكم . مشهوراً في الدولة ، ويعد من الافاضل في صناعة الطب .

^(١) جرح .

^(٢) مكنا في النسخ والمصحح الاشراف في .

ابن مقشر الطبيب

كان من الاطباء المشهورين والعلماء المذكورين . مكيناً في الدولة ، حظياً عند الحاكم ، وكانت يعتمد عليه في صناعة الطب . وقال عبيد الله بن جبرئيل : ان ابن مقشر الطبيب كان في خدمة الحاكم ، وبلغ معه اعل المتنازل واسناها ، وكان له منه الصلات الكثيرة ، والطبايا العظيمة . قال : ولما مرض ابن مقشر الطبيب عاده الحاكم بنفسه ، ولما مات أطلق لخلفيه مالا وافرا .

علي بن سليمان

كان طبيباً فاضلاً متقناً للحكمة والعلوم الرياضية ، متميزاً في صناعة الطب ، اوحده في احكام النجوم . وكان في أيام العزيز بالله وولده الحاكم ولحق أيام الظاهر لاعزاز دين الله ^(١) ولد الحاكم . ولعلي بن سليمان من الكتب : اختصار كتاب الخلوى في الطب . كتاب الامثة والتجارب والاخبار والنكت والخواص الطبية المنتقاة من كتب ابقراط وجالينوس وغيرها . تذكرة له ورئاسة ووجدت هذا الكتاب بخطه اربع مجلدات وقد ذكر فيه انه ابتداء بتأليفه في سنة احدى وتسعين وثلاثمائة بالقاهرة . كتاب التعاليف الفلسفية ووجدته أيضا بخطه وهو يقول فيه انه ابتداء بتصنيفه مجلب في سنة احدى عشرة وأربعمائة . مقالة في ان قبول الجسم التجزؤ لا يقف ولا يلتهي الى ما لا يتجزأ . وتعميد شكوك تازم مقالة ارسوطاليس في الابصار . وتعميد شكوك في كواكب الذنب .

ابن الهيثم

هو أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم أصله من البصرة ^(٢) ، ثم انتقل الى الديار المصرية وأقام بها الى آخر عمره . وكان فاضل النفس قوي الذكاء متقناً في العلوم . لم يخاله احد من أهل زمانه في العلم الرياضي ، ولا يقرب منه . وكان دائم الاشتغال ، كثير التصنيف ، وافر التزهد ، محباً للخير . وقد لخص كثيراً من كتب ارسطو طاليس وشرحها ، وكذلك لخص كثيراً من كتب جالينوس في الطب . وكان خبيراً بأصول صناعة الطب وقوانينها وامورها الكلية إلا انه لم يباشر أعمالها ، ولم تكن له دوية بالمداداة ، وتصانيفه كثيرة الافادة . وكان حسن الخط ، جيد المعرفة بالعربية .

وحديثي الشيخ علم الدين بن أبي القاسم بن عبد النبي بن مسافر الحنفي المهندس قال : كان ابن الهيثم في أول امره بالبصرة وفرواحها قد وزر ، وكانت نفسه تميل الى الفضائل والحكمة والنظر فيها ، ويشتهي ان يتجرد عن الشواغل التي تنممه من النظر في العلم . فأظهر خيالاً في عقله وتغيراً في تصوره

«١» ابن الحسن علي الظاهر لاعزاز دين الله ٩٩٦ - ١٠٢٠ سابع الخلفاء الفاطميين .

«٢» مدينة عراقية مرفأ على شط العرب كانت مع الكوفة مهاداً لدروس الفورية العربية وهي مسقط رأس حسن البصري والاشعري والحارثي .

وبقي كذلك مدة حتى مكن من تبديل الخدمة ، وصرف من النظر الذي كان في يده . ثم انه سافر الى ديار مصر ، واقام بالقاهرة في الجامع الازهر بها . وكان يكتب في كل سنة اقليدس والجسطي وبيعهما ويقتات من ذلك الثمن . ولم تزل هذه حاله الى ان توفي رحمه الله .

ووجدت الصاحب جمال الدين أبا الحسن بن القفطي قد ذكر أيضاً عن ابن الهيثم ما هذا نصه ، قال : انه بلغ الحاكم صاحب مصر من العلويين ، وكان يميل الى الحكمة ، غلبه وما هو عليه من الالتفات لهذا الشأن ، فتأقت نفسه الى رؤيته . ثم نقل له عنه انه قال : لو كنت بصير لعملي في نيلها^(١) عملاً يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص ، فقد بلغني انه يتعذر على موضع عال هو في طرف الاقليم المصري . فازداد الحاكم اليه شوقاً وسير اليه سراً جلة من المال ، وأرغبه في الحضور فسار نحو مصر ولما وصلها خرج الحاكم للقائه والتبلي بقرية على باب القاهرة المزينة تعرف بالحدق ، وأمر بازاله واكماله واحترامه ، واقام ريثما استراح وطالب بما وعد به من أمر النيل . فسار معه جماعة من الصناع المتولين للمارة بأيديهم ليستعين بهم على هندسته التي خطرت له . ولما سار الى الاقليم بطوله ورأى آثار من تقدم من ساكنيه من الامم الحالية ، وهي على غاية من احكام الصنعة وجودة الهندسة ، وما اشتملت عليه من اشكال معاوية ومقالات هندسية وتصوير معجزة ، تحقق ان الذي يقصده ليس يمكن . فان من تقدمه ، في الصدور الحالية ، لم يقرب عنهم علم ما عمله . ولو امكن للعلوم . فانكسرت همته ، ووقف خاطره ، ووصل الى الموضع المعروف بالجنادل ، قبلي مدينة اسوان ، وهو موضع مرتفع يتعذر منه ماء النيل ، فعاينه وناشره واختبره من جانيه فوجد أمره لا يمشي على موافقة مراده ، وتحقق الخطأ والغلبة عما وعد به . وعاد خجلاً ومتخذلاً واعتذر بما قبل الحاكم ظاهره وواقفه عليه . ثم ان الحاكم ولاء بمض الدواوين فتولاهم رهبة لا رغبة ، وتحقق الخطأ في الولاية فان الحاكم كان كثير الاستعانة مريباً للدماء بغير سبب او بأضعف سبب من خيال بتخيه . فأجأه فكرته في أمر يتخلص به فلم يجد طريقاً الى ذلك الا اظهار الجنون والجناب . فاعتمد ذلك وشاع ، فاحيط على موجوده له بيد الحاكم ورواه وجعل يرسمه من يخدمه ويقوم بمصلحه ، وقبته وترك في موضع من منزله . ولم يزل على ذلك الى ان تحقق وفاة الحاكم ، وبعد ذلك ببسب أظهر العقل وعاد الى ما كان عليه . وخرج عن داره واستوطن قبة على باب الجامع الازهر احد جوامع القاهرة . واقام بها متسكناً متميزاً مقتنماً . واعيد اليه ماله من تحت يد الحاكم ، واشتغل بالتصنيف والنسخ والافادة . وكان له خط قاعدته في غاية الصحة ، كتب به الكثير من علوم الرياضة ، قال : وذكر لي يوسف الفاسي الاسرائيلي الحكيم مجلب قال : سمعت ان ابن الهيثم كان يسخ في مدة سنة ثلاثة كتب في هين اشتغاله ، وهي اقليدس والمتوسطات والجسطي ويستكملها في مدة السنة فاذا شرع في نسخها جاءه من يعطيه فيها مائة وخمسين ديناراً مصرية ، وصار ذلك

(١) نهر يخرج من بحيرة فيكتوريا فيتنجاو اوغندا والسودان وتتحد مياهه ببصر الغزال فيسمى النيل الابيض . ويهاه البصر الازرق فيسمى النيل الازرق ويجري في ارض النوبة ومصر فيصبها ببشانه ويصب في البحر المتوسط .

كلزرم الذي لا يحتاج فيه الى مواكبة^(١) ولا معاودة قول ، فيجعلها مؤوته لسته . ولم يزل على ذلك الى أن مات بالفاهرة في حدود سنة ثلاثين وأربعمائة أو بعدها بقليل . والله أعلم .

أقول : ونقلت من خط ابن الهيثم في مقالة له فيما صنعه وصنعه من علوم الاوائل الى آخر سنة سبع عشرة وأربعمائة لمجرة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، الواقع في شهور سنة ثلاث وستين الهلالية من عمره ما هذا نصه ، قال : اني لم أزل منذ عهد الصبا مرابطاً في اعتقادات هذه الناس المختلفة وتمسك كل فرقة منهم بما تمتدده من الرأي ، فكنت متشككاً في جميعه ، موثقاً بأن الحق واحد ، وان الاختلاف فيه انما هو من جهة السلوك اليه . فلما كملت لادراك الامور العقلية ، انقطعت الى طلب معدن الحق ، ووجهت رغبتي وحسني الى ادراك ما به تبكشف قويمات الظنون ، وتنشع غيابات المتشكك الفنون ، وبمشت عزيتي الى تحصيل الرأي المقرب الى الله جل ثناؤه ، المؤدي الى رضاه الهادي لطاعته وتقواه ، فكنت كما قال جالينوس في المقالة السابعة من كتابه في حيلة البره يخطب تلميذه : لست أعلم كيف تهيأ لي ، منذ صباي ، ان شئت قلت باقتناع عجيبي ، وان شئت قلت بالهام من الله ، وان شئت قلت بالجنون ، أو كيف شئت ان تنسب ذلك ، اني ازدريت عوام الناس واستخففت بهم ، ولم التفت اليهم ، واشتبهت ايثار الحق وطلب العلم ، واستقر عندي انه ليس ينال الناس من الدنيا أشياء أجود ولا أشد قرباً الى الله من هذين الأمرين . قال محمد بن الحسن : فخفضت لذلك في ضروب الآراء والاعتقادات ، وأنواع علوم الديانات ، فلم أحظ من شيء منها بطائل ، ولا عرفت منه للحق منهجاً ، ولا الى الرأي اليقيني مسلوكاً مجدداً . فرأيت اني لا أصل الى الحق إلا من آراء يكون عنصرها الامور الحسية ، وصورتها الامور العقلية . فلم أجهد ذلك إلا فيما قرره ارسطوطاليس من علوم المنطق والطبيعية والالهيات ، التي هي ذات الفلسفة وطبيعتها ، حين بدأ بتقرير الامور الكلاية والجزئية والسامية والحاصية ، ثم تلاه بتقرير الألفاظ المنطقية وتقسيمها الى اجناسها الاوائل ، ثم أقبعه بذكر المعاني التي تتركب مع الالفاظ فيكون منها الكلام المفهوم المعلوم ، ثم أفرد من ذلك الاخبار التي هي عنصر القياس ومادته قسمها الى أقسامها ، وذكر فصولها وغواصها التي تميزها بعضها من بعض ، وبازم منه صدقها وكذبها ، ويعرض معه اتفاقها واختلافها وتضادها وتناقضها . ثم ذكر يمد ذلك القياس فقسم مقدماته ، وشكل أشكاله ، وفروع تلك الاشكال ، وميز من الانواع ما لا يلزم دائماً نظاماً واحداً ، وأفردها بما يلزم أبداً نظاماً واحداً . ثم ذكر النتائج التي تلازم منها مع اقتراحات عناصر الامور التي هي الواجب والممكن والمتنع ، وبين وجوه اكتساب مقدمات القياس الضرورية والاقناعية وما هو من جهة الأولى والأشبه والأكثر ، وما يلزم من جهة المعادات والاصطلاحات وسائر الامور القياسية . وذكر صور القياس ، وفصل فصوله ، ونوع أنواعه ، ثم ختم ذلك بذكر طبيعة البرهان وشرع مواده ، وأوضح صورته ، وبين الشبه المنطوق فيه ، وكشف عن مستوره وخافيه . ثم تلا ذلك بالكلام في الصناعات الاربع الجدلية والمرائية والخطبية والشمعية فأوضح من ذلك ما

(١) غيب ومواضة في الشمن .

يكون سبباً يميزاً لصناعة البرهان من هذه الصناعات الأربع ، وفصلاً فاصلاً لها من جنسها ؛ ثم أخذ بعد ذلك في شرح الأمور الطبيعية . فبدأ في ذلك بكتابه في السماع الطبيعي فقرر فيه الأمور المعلومه بالطبع التي لا تحتاج الى برهان ، انما يؤخذ من الاستقرار والقسمة والتعليل ، وبرهن على بطلان الاعتراضات فيها ، وكشف عن اغلاط من شك في شيء منها ، وكان يحمل كلامه في ذلك على ستة أمور : المبادئ الكونية والطبيعية ، والمكان ، والحلاء ، وما لا نهاية له ، والزمان ، والحركة ، والحرك الأول . ثم أتبع ذلك بكتابه في الكون والفساد ، فأوضح فيه قبول العالم الارضي الكون والفساد . ثم تلاه بكتابه في الآثار والمالوية وهي التي تعرض في الجو كالسحاب ، والضباب ، والرياح ، والأمطار ، والرعد ، والبرق ، الصواعق ، وسائر ما يكون من أنواع ذلك . وذكر في آخره أمور المهنيات وأسباب كونها . ثم أتبعه بكتابه في النبات والحيوان فذكر شروط النبات والحيوان وطوائفها ، وفصولها ، وأنواعها وخواصها ، وأعراضها . ثم أتبع ذلك بكتابه في الساء والعالم فأبان عن طبيعة العالم وذاتيته ، واتصال القوة الالهية به . ثم ولاء بكتابه في النفس فتكلم على رأيه في النفس ، وتنقض آراء جميع من قال فيها قولاً يخالف قوله واعتقد في ذاتيتها اعتقاداً غير اعتقاده ، وقسمها الى : الفاذية ، والحاسة ، والعاقلة . وذكر أحوال الفاذية ، وشرح أمور الحواس ، وفصل أسباب العقل . فذكر من ذلك ما كشف كل مستور ، وأوضح عن كل خفي . ثم ختم جميع ذلك بكتابه فيا بعد الطبيعة ، وهو كتابه في الالهيات فيبين فيه ان الإله واحد ، وأنه حكيم لا يجهل ، وقادر لا يعجز ، وجواد لا يبخل . فأحكم الأصول التي فيها يسلك الى الحق فيذكر طبيعته وجوهره ، وتوحيد ذاته وماهته .

فلما تبينت ذلك أفرغته وسمي في طلب علوم الفلسفة وهي ثلاثة علوم : رياضية ، وطبيعية ، وإلهية . فتعلقت من هذه الأمور الثلاثة بالأصول والمبادئ التي ملكت بها فروعها ، وتوقلت بأحكامها من حيث الخفاضاها وعلوها . ثم اني رأيت طبيعة الانسان قابلة للفساد ، متيئة الى الفناء والنفاذ . وأنه مع حدة الشباب وعنفوان الحداثة ، تلك على فكرة طاعة التصور لهذه الأصول ، فإذا صار الى سن الشيخوخة وأوان الهرم قصرت طبيعته ، وعجزت قوته الناطقة مع إخلال آلتها ، وفسادها عن القيام بما كانت تقوم به من ذلك . فشرحت ولخصت واختصرت من هذه الأصول الثلاثة ما احاط فكري بتصوره ، ووقف تمييزي على تدبره . وصنفت من فروعها ما جرى مجرى الايضاح والافصاح عن غوامض هذه الأمور الثلاثة الى وقت قولي هذا ، وهو ذو الحجة سنة سبع عشرة واربعمائة هجيرة النبوي ، صلى الله عليه وسلم . وأنا ما مدت لي الحياة بأذل جهدي ومستقرغ قوتي في مثل ذلك نوعياً ، به أموراً ثلاثة ، أحدها افادة من يطلب الحق ويؤثره في خباتي ويبدد وقاتي ، والآخر اني جعلت ذلك ارتباطاً لي بهذه الأمور في اثبات ما تصوره وأتقنه فكري من تلك العلوم ، والثالث اني صيرته ذخيرة وعدة لزمان الشيخوخة وأوان الهرم . فكنت في ذلك كما قال جالينوس في المقالة السابعة من كتابه في حيلة البره : انما قصدت وأقصد في وضع ما وضعته وأضحه من الكتب الى أبجد أمرين إما ان نفع رجل أفيدته إياه ، وإما ان أنسجل أنا في ذلك رياضة أروض بها نفسي في وقت وضعي إياه ، وأجمعه

فخيرة لوقت الشيخوخة .

قال محمد بن الحسن : وأنا أشرح ما صنعته في الاصول الثلاثة ليوقف منه على موضع عنايتي بطلب الحق وحرصي على ادراكه ، وتلم حقيقة ما ذكرته من عزوف نفسي عن بمائلة العوام الرعاع الاغبياء وسموها الى مشاية أولياء الله الاخبار الاتقياء . فما صنعته في العلوم الرياضية خمسة وعشرون كتاباً :

احدها : شرح أصول اقليدس في الهندسة والعدد وتلخيصه .

والثاني : كتاب جمعت فيه الاصول الهندسية والمعدية من كتاب اقليدس وابولونيوس ، ونوعت فيه الاصول وقسمتها ، وبرهنت عليها ببراهين نظمتها من الامور التعليمية والحسية والمنطقية ، حتى انتظم ذلك مع انتقاض توالي اقليدس وابولونيوس .

والثالث : شرح المسطوي وتلخيصه شرحاً وتلخيصاً برهانياً لم أخرج منه شيئاً الى الحساب الا اليسير . وان أخر الله في الاجل ، وأمکن الزمان من الفراغ ، استأنفت الشرح المستقصي لذلك الذي أخرجه به الى الامور المعدية والحسابية .

والرابع : الكتاب الجامع في أصول الحساب وهو كتاب استخرجت اصوله لجميع أنواع الحساب ، من أوضاع اقليدس في أصول الهندسة والعدد ، وجعلت السلوك في استخراج المسائل الحسابية يجهتي التحليل الهندسي والتقدير العددي . وعدلت فيه عن أوضاع الجبريين وألفاظهم .

والخامس : كتاب لحضت فيه علم المناظر من كتابي اقليدس وبطلμος وقمته بمعاني المقالة الاولى المفودة من كتاب بطلمیوس .

والسادس : كتاب في تحليل المسائل الهندسية .

والسابع : كتاب في تحليل المسائل المعدية بحجة الجبر والمقابلة مبرهناً .

والثامن : كتاب جمعت فيه القول على تحليل المسائل الهندسية والمعدية جميعاً . لكن القول على المسائل المعدية غير مبرهن بل هو موضوع على أصول الجبر والمقابلة .

والتاسع : كتاب في المساحة على جهة الاصول .

والعاشر : كتاب في حساب المعاملات .

والحادي عشر : مقالة في اجارات الحفور والابلية بجميع الاشكال الهندسية ، حتى بلغت في ذلك الى أشكال قطوع الخروط الثلاثة : المكافئ والزائد والناقص .

والثاني عشر : تلخيص مقالات ابولونيوس في قطوع الخروطات .

والثالث عشر : مقالة في الحساب الهندي .

والرابع عشر : مقالة في استخراج سمات القبة في جميع المكونة ، يمدادول وضعتها ولم أورد البرهان على ذلك .

والخامس عشر : مقالة فيا تدعو اليه حاجة الامور الشرعية من الامور الهندسية ولا يستغنى عنه
بشيء سواء .

والسادس عشر : رسالة الى بعض الرؤساء في الحث على عمل الرصد النجومى .

والسابع عشر : كتاب في المدخل الى الامور الهندسية .

والثامن عشر : مقالة في انتزاع البرهان على ان القطع الزائد والخطان اللذان لا يلتقيانه يعقربان
أولا يلتقيان .

والتاسع عشر : أجوبة سبع مسائل تعليمية سئلت عنها ببغداد فأجبت .

والعشرون : كتاب في التحليل والتركيب الهندسيين على جهة التمثيل للتمثليين ، وهو مجموع مسائل
سنة وعددية حللتها وركبتها .

والحادي والعشرون : كتاب في آلة الظل ، اختصرته ولخصته من كتاب ابراهيم بن سنان في ذلك .

والثاني والعشرون : مقالة في استخراج ما بين بلدين في البعد بمجة الامور الهندسية .

والثالث والعشرون : مقالة في أصول المسائل العددية الصم وتحليلها .

والرابع والعشرون : مقالة في حل شك رداً على اقليدس في المقالة الخامسة من كتابه في
سول الرياضية .

والخامس والعشرون : رسالة في برهان الشكل الذي قدمه ارشميدس في قسمة الزاوية ثلاثة أقسام
يبرهن عليه .

ومما صنعته من العلوم الطبيعية والالهية ، أربعة وأربعون كتاباً :

أحدها : تلخيص مدخل فرفوروس وكتب ارسطوطاليس الأربعة المنطقية .

والآخر : اختصار تلخيص مدخل فرفوروس وكتب ارسطوطاليس السبعة المنطقية .

والثالث : رسالة في صناعة الشمر بمنزجة من اليوناني والعربي .

والرابع : تلخيص كتاب النفس لارسطوطاليس ، وان اشر الله في الاجل وامكن الزمان من

اغ والكشاغل بالملم لمصنعت كتابيه في السماع الطبيعي والسماء والعالم .

والخامس : مقالة في مشاكلة العالم الجزئي وهو الانسان للعالم الكلي .

والسادس : مقالاتان في القياس وشبهه .

والسابع : مقالة في البرهان .

والثامن : مقالة في العالم من جهة مبدئه وطبيعته وكلامه .

والتاسع : مقالة في المبادئ والوجودات .

والعاشر : مقالة في هيئة العالم .

والخادي عشر : كتاب في الرد على يحيى النحوي وما نقضه على ارسطوطاليس وغيره من أقوالهم
في السماء والعالم .

والثاني عشر : رسالة الى بعض من نظر في هذا النقض فشك في معان منه في حل شكوكه ومعرفة
ذلك من فهمه .

والثالث عشر : كتاب في الرد على أبي الحسن علي بن العباس بن فسا نجس نقض آراء المنجمين .

والرابع عشر : جواب ما أجاب به ابو الحسن بن فسا نجس نقض من عارضه في كلامه على المنجمين .

والخامس عشر : مقالة في الفضل والفاضل .

والسادس عشر : مقالة في تشويق الانسان الى الموت بحسب كلام الاوائل .

والسابع عشر : رسالة اخرى في هذا المعنى بحسب كلام المحدثين .

والثامن عشر : رسالة في بطلان ما يراه المتكلمون من أن الله لم يزل غير فاعل ثم فعل .

والتاسع عشر : مقالة في خارج السماء لا فراغ ولا ملاء .

والعشرون : مقالة في الرد على أبي هاشم رئيس المعتزلة ما تكلم به على جوامع كتاب السماء

والعالم لارسطوطاليس .

والخادي والعشرون : قول في تبين مذهبي الجبريين والمنجمين .

والثاني والعشرون : تلخيص المسائل الطبيعية لارسطوطاليس .

والثالث والعشرون : رسالة في تفضيل الاهواز على بغداد من جهة الامور الطبيعية .

والرابع والعشرون : رسالة الى كافة أهل العلم في معنى مشاغب شاغبه .

والخامس والعشرون : مقالة في ان جهة ادراك الحقائق جهة واحدة .

والسادس والعشرون : مقالة في ان البرهان معنى واحد وانما يستعمل صناعياً في الامور الهندسية،

وكلامياً في الامور الطبيعية والالهية .

والسابع والعشرون : مقالة في طبعي العالم والقلّة .

والثامن والعشرون : مقالة في طبائع اللذات لثلاث الحسية والنطقية والمادة .

والتاسع والعشرون : مقالة في اتفاق الحيوان الناطق على الصواب مع اختلافهم في الهامد والاعراض .

والثلاثون : رسالة في ان برهان الخلف يصير برهان استقامة بمحدود وبمحددة .

والخادي والثلاثون : كتاب في تثبيت احكام النجوم بحجة البرهان .

والثاني والثلاثون : رسالة في الاعمار والاجال الكونية .

والثالث والثلاثون : رسالة في طبيعة العقل .

والرابع والثلاثون : كتاب في النقض على من رأى ان الادلة متكافئة .

والخامس والثلاثون : قول في اثبات عنصر الامتناع .

والسادس والثلاثون : نقض جواب مسألة سئل عنها بعض المعتزلة بالبصرة .

والسابع والثلاثون : كتاب في صناعة الكتابة على أوضاع الأوائل وأصولهم .

والثامن والثلاثون : عهد الى الكتاب .

والتاسع والثلاثون : مقالة في أن فاعل هذا العالم إنما يعلم ذاته من جهة فعه .

والأربعون : جواب قول لبعض المنطقيين في معان خالف فيها من الأمور الطبيعية .

والخادي والأربعون : رسالة في تلخيص جوهر النفس الكلية .

والثاني والأربعون : في تحقيق رأي ارسطوطاليس ان القوة المدبرة هي من بدن الانسان في

القلب منه .

والثالث والأربعون : رسالة في جواب مسألة سأل عنها ابن السمع البغدادي المنطقي فلم يجب

عنها جواباً مقنعاً .

والرابع والأربعون : كتاب في تقويم الصناعة الطبية ، نظمته من جل وجوامع ما نظرت فيه من كتب جالينوس وهو ثلاثون كتاباً : كتابه في البرهان ، كتابه في فرق الطب ، كتابه في الصناعة الصغيرة ، كتابه في التشريح ، كتابه في القوى الطبيعية ، كتابه في منافع الاعضاء ، كتابه في آراء ابقراط وافلاطن ، كتابه في المني ، كتابه في الصوت ، كتابه في الملل والاعراض ، كتابه في اصناف الحيات ، كتابه في البحران ، كتابه في النبض الكبير ، كتابه في الاسطسقات على رأي ابقراط ، كتابه في المزاج ، كتابه في قوى الادوية المفردة ، كتابه في قوى الادوية المركبة ، كتابه في مواضع الاعضاء الآلية ، كتابه في حيلة البرء ، كتابه في حفظ الصحة ، كتابه في جودة الكيموس وردائه ، كلاءه في أمراض العين ، كتابه في ان قوى النفس تابعة لمزاج البدن ، كتابه في سوء المزاج المختلف ، كتابه في أيام البحران ، كتابه في الكثرة ، كتابه في استعمال الفصد لشفاء الامراض ، كتابه في الذبول ، كتابه في أفضل هيئات البدن ، جمع حنين بن اسحق من كلام جالينوس وكلام ابقراط في الاغلبية .

ثم شفعت جميع ما صنعت من علوم الأوائل برسالة بينت فيها ان جميع الامور الدنيوية والدينية هي نتائج العلوم الفلسفية . وكانت هذه الرسالة هي المتممة لمدد أقوالي في هذه العلوم بالقول السبعين ، وذلك سوى رسائل ومصنفات عدة حصلت لي في أيدي جماعة من الناس بالصرة والاهواز ضاعت دسايرها ، وقطع الشغل بأمور الدنيا وعوارض الاسفار عن نسخها ، وكثيراً ما يمرض ذلك العلماء . فقد التفت مثله لجالينوس حتى ذكر ذلك في بعض كتبه فقال: وقد صنفت كتباً كثيرة دفعت دسايرها الى جماعة من اخواني ، وقطعتي الشغل والسفر عن نسخها حتى خرجت الى الناس من جهتهم .

قال محمد بن الحسن : وان أطال الله لي في مدة الحياة وفسح في العمر صفت وشرحت ، ولخصت من هذه العلوم أشياء كثيرة تتردد في نفسي ويمتني ويحثني على اخراجها الى فكرتي ، والله يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، ويبدع مقاليد كل شيء ، وهو المبدىء المعيد . وهذا ما وجب ان اذكره في معنى ما صنعت واشتصرته من علوم الأوائل قصدت به مذاكرة الحكماء

الفاضل ، والقلاء الامائل من الناس كالذي يقول :

| | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| ومبقتى قد مات جهلاً وغياً | رب ميت قد صار بالعلم حياً |
| لا تعدوا البقاء في الجهل شياً | فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً |

(الحطيف)

وهذان البيتان هما لابي القاسم بن الوزير أبي الحسن علي بن عيسى رضي الله عنهما ، وكان فيلسوفاً قالهما ووصى بأن يكتبنا على قبره لم أقصد به مخاطبة جميع الناس لا غير الفاضل منهم . وقلت في ذلك كما قال جالينوس في كتابه في النبض الكبير : ليس خطائي في هذا الكتاب لجميع الناس ، بل خطائي لرجل منهم يوازي ألوف رجال بل عشرات ألوف رجال ، إذ كان الحق ليس هو بأن يدركه الكثير من الناس ، لكن هو بأن يدركه الفهم الفاضل منهم ليمروا رتبتي في هذه العلوم ، ويتحققوا منزلتي من إثبات الحق جل وعلا من طلب القرية الى الله في ادراك العلوم والمعارف النفسية ، ويعملوا تحقيقي بفعل ما فرضته هذه العلوم علي من ملازمة الامور الدنيوية ، وكلية الخير وبجانية كلية الشر فيها ، فان مرة هذه العلوم هو علم الحق والعمل بالعدل في جميع الامور الدنيوية ؛ والعدل هو محض الخير الذي يفعله بفوزاً^(١) في العالم الارضي وينعم الآخرة السأوي ويمتأخر عن صعوبة ما يلقاه بذلك مدة البقاء المنقطع في دار الدنيا ، دوام الحياة منها في الدار الاخرى . والى الله تعالى أرغب في توفيعي لما فزت اليه ، وأزلف لديه .

اقول : وكان تاريخ كتاب ابن الهيثم لهذه الرسالة في ذي الحجة سنة سبع عشرة وأربعمائة . وكان تلوها أيضاً بخطه ما هذا مثاله ، ما صنمه محمد بن الحسن بن الهيثم بعد ذلك الى سلع جمادي الآخرة سنة تسع عشرة وأربعمائة . تلخيص السماع الطبيعى لارسطوطاليس . مقالة لحمد بن الحسن في المكان والزمان على ما وجدته ، يلزم رأي ارسطوطاليس فيها . رسالة الى أبي الفرج عبدالله بن الطبيب البغدادي المتطفي . في عدة معارف من العلوم الطبيعية والالهية ، نقض محمد بن الحسن علي ابي بكر الرازي المتطبب رأيه في الالهيات والنبؤات . مقالة له في ابطال رأي من يرى ان المظالم مركبة من اجزاء كل جزء منها لا جزء له . مقالة له في عمل الرصد من دائرة افق بلد معلوم العرض . كتاب له في اثبات النبوات ، وابطاح قصاد رأي الذين يعتقدون بطلانها ، وذكر الفرق بين النبي والمتمني . مقالة لحمد بن الحسن في ايضاح تقصير أبي علي حياثي في نقضه بعض كتب ابن الراوندي ولزومه ما ألزمه اياه ابن الراوندي ، بحسب أصوله ، وابطاح الرأي الذي لا يلزم معه اعتراضات ابن الراوندي . رسالة له في تأثيرات اللحن الموسيقية في النفوس الحيوانية . مقالة في ان الدليل الذي يستدل به المتكلمون على حدوث العالم دليل فاسد ، والاستدلال على حدوث العالم بالبرهان الاضطرازي والقياس الحقيقي . مقالة له رد فيها على المعتزلة رأهم في حدوث صفات الله تبارك وتعالى . رسالة له في الرد على المعتزلة رأهم في الوعيد . جواب له عن مسألة هندسية سئل عنها ببغداد في شهور سنة ثمان عشرة وأربعمائة .

(١) كتب والاعياء .

مقالة ثانية لمحمد بن الحسن في إبانة الغلط من قضى انت الله لم يزل غير فاعل من فعل. مقالة في إبعاد الأجرام السماوية وأقدار اعظامها . تلخيص كتاب الآثار العلوية لارسطوطاليس . تلخيص كتاب ارسطوطاليس في الحيوان ، وبعد ذلك : مقالة في المرايا المحرقة مفردة عما ذكرته من ذلك في تلخيص كتابي اقليدس وبطليموس في المناظر . كتاب في استخراج الجزء العملي من كتاب المجسطي . مقالة في جوهر البصر وكيفية وقوع الابصار به . مقالة في الرد على أبي الفرج عبدالله بن الطيب ، رأيه المخالف به لرأي جالينوس في القوى الطبيعية في بدن الانسان

اقول : وهذا آخر ما وجدته من ذلك بخط محمد بن الحسن بن الهيثم المصنف رحمه الله .

وهذا ايضا فهرست وجدته لكتب ابن الهيثم الى آخر سنة تسع وعشرين واربعائة . مقالة في هيئة العالم . مقالة في شرح مصادرات كتاب اقليدس كتاب في المناظر ، سبع مقالات . مقالة في كيفية الارصاد . مقالة في الكواكب الحادثة في الجو . مقالة في ضوء القمر . مقالة في سمت القبلة بالحساب . مقالة في قوس قزح والحالة . مقالة فيما يمرض من الاختلاف في ارتفاعات الكواكب . مقالة في حساب المعاملات . مقالة في الرخامة الأفقية ، مقالة في رؤية للكواكب . كتاب في بركات القطوع ، مقالتان . مقالة في مراكز الاقمار . مقالة في اصول المساحة . مقالة في مساحة الكرة . مقالة في مساحة الجسم المكافئ . مقالة في المرايا المحرقة بالدوائر . مقالة في المرايا المحرقة بالقطوع . مقالة مختصرة في الاشكال المثلالية . مقالة مستقصاة في الاشكال المثلالية . مقالة مختصرة في بركات الدوائر العظمى . مقالة مشروحة في بركات الدوائر العظام . مقالة في السمات . مقالة في التنبيه على مواضع الغلط في كيفية الرصد . مقالة في أن الكرة أوسع الاشكال الجسم التي احاطتها متساوية ، وان الدائرة أوسع الاشكال المسطحة التي احاطتها متساوية . مقالة في المناظر على طريقة بطليموس . مکتاب في تصحيح الاعمال النجومية ، مقالتان . مقالة في استخراج أربعة خطوط بين خطين . مقالة في تربيعة الدائرة . مقالة في استخراج خط نصف النهار على غاية التحقيق . قول في جميع الاجزاء . مقالة في خواص القطع المكافئ . مقالة في خواص القطع الزائد . مقالة في نسب القوس الزمانية الى ارتفاعها . مقالة في كيفية الاظلال . مقالة في ان ما يرى من السماء هو أكثر من نصفها . مقالة في حل شكوك المقالة الاولى من كتاب المجسطي يشكك فيها بعض أهل العلم . مقالة في حل شك في بحسب كتاب اقليدس . قول في قسمة المقدارين المختلفين المذكورين في الشكل الاول من المقالة العاشرة من كتاب اقليدس مسألة في اختلاف النظر . قول في استخراج مقدمة ضلع المسبوع . قول في قسمة الخط الذي استعمله ارشميدس في كتاب الكرة والاسطوانة ، قول في استخراج خط نصف النهار بظل واحد . مقالة في حمل خمس في مربع . مقالة في الجرة ، مقالة في استخراج ضلع المكعب . مقالة في اضواء الكواكب . مقالة في الامر الذي في القمر . قول في مسألة عديدة . مقالة في اعداد الوقف . مقالة في الكرة المتحركة على السطح . مقالة في التحليل والتكريب . مقالة في المعلومات . قول في حل شك في المقالة الثانية عشرة من كتاب اقليدس . مقالة في حل شكوك المقالة الاولى من كتاب اقليدس . مقالة في حساب الخطأين . قول في جواب مسألة في المساحة .

مقالة مختصرة في سميت القبة . مقالة في الضوء . مقالة في حركة الالتفاف . مقالة في الرد على من خالفه في ماهية الجمرة . مقالة في حل شكوك حركة الالتفاف . مقالة في الشكوك على بطليموس . مقالة في الجزء الذي لا يتجزأ . مقالة في خطوط الساعات . مقالة في القوسطون . مقالة في المكان . قول في استخراج أعمدة الجبال . مقالة في علل الحساب الهندي . مقالة في أعمدة المثلثات . مقالة في خواص الدوائر . مقالة في شكل بني موسى . مقالة في عمل المسبح في الدائرة . مقالة في استخراج ارتفاع القطب على غاية التحقيق . مقالة في عمل النكاح . مقالة في الكرة المحرقة . قول في مسألة عددية مجسمة . قول في مسألة هندسية . مقالة في صورة الكموف . مقالة في أعظم الخطوط التي تقع في قطعة الدائرة . مقالة في حركة القمر . مقالة في مسائل التلاقي . مقالة في شرح الارتماطقي على طريق التعليق . مقالة في شرح القانون على طريق التعليق . مقالة في شرح الرومنطقي على طريق التعليق . قول في قصة المنحرف الكلي . مقالة في الاخلاق . مقالة في آداب الكتاب . كتاب في السياسة ، خمس مقالات . تعليق علىه اسحق بن يونس المططب بصر عن ابن الهيثم في كتاب ديوفنتس في مسائل الجبر . قول في استخراج مسألة عددية .

المبشر بن فاثك

هو الأمير محمود الدولة أبو الوفاء المبشر بن فاثك الأمري من أعيان امراء مصر وأفاضل علمائها . دائم الاشتغال ، يحب الفضائل ، والاجتماع بأهلها ومباحثتهم ، والانتفاع بما يقتضيه من جهتهم وكان ممن اجتمع به منهم ، وأخذ عنه كثيراً من علوم الهيئة والعلوم الرياضية أبو محمد بن الحسن بن الهيثم . وكذلك أيضاً اجتمع بالشيخ ابي الحسين المعروف بأبن الامدي ، وأخذ عنه كثيراً من العلوم الحكيمة ، واشتغل أيضاً بصناعة الطب ، ولازم ابا الحسن علي بن رضوان الطبيب .

وللمبشر بن فاثك تصانيف جليلة في المنطق وغيره من اجزاء الحكمة ، وهي مشهورة فيما بين الحكماء . وكان كثير الكتابة . وقد وجدت بخطه كتباً كثيرة من تصانيف المتقدمين . وكان المبشر بن فاثك قد اقتنى كتباً كثيرة جداً . وكثير منها يوجد وقد تغيرت ألوان الورق الذي له يفرق أصابه .

وحديثي الشيخ سعيد الدين المنطقي بصر قال : كان الأمير ابن فاثك محباً لتحصيل العلوم ، وكانت له خزائن كتب ، فكان في أكثر أوقاته اذا نزل من الركوب لا يفارقها ، وليس له دأب إلا المطالعة والكتابة ، ويرى أن ذلك أهم ما عنده . وكانت له زوجة كبيرة القدر أيضاً من ارباب الدولة : فلما توفي ، رحمه الله ، نهضت هي وسوار معها الى خزائن كتبه ، وفي قلبها من الكتب ، وانه كانت يشتغل بها عنها . ففعلت تنديه ، وفي اثناء ذلك رمي الكتب في بركة ماء كبيرة في وسط الدار هي وسوارها . ثم شلت الكتب بعد ذلك من الماء وقد غرق أكثرها . فهذا سبب ان كتب المبشر بن فاثك يوجد كثير منها وهو بهذه الحال .

أقول : وكان من جهة تلاميذ المبشر بن فائك والاختين عنه أبو الخير سلامة بن مبارك ابن رعموت .

وللمبشر ابن فائك من الكتب : كتاب الوصايا والامثال والموجز من حكم الاقوال . كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم . كتاب البداية في المنطق . كتاب في الطب .

اسحق بن يونس

كان طبيباً عالمًا بالصناعة الطبية ، عارفاً بالعلوم الحكمية ، جيد الدربة ، حسن العلاج . قرأ الحكمة على ابن السمع ، وكان مقياً بمصر .

علي بن رضوان

هو أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر ، وكان مولده ومنشؤه بمصر ، وبها تعلم الطب . وقد ذكر علي بن رضوان في سيرته من كيفية تعلمه صناعة الطب وأحواله ما هذا نصه . قال : انه لما كان يلبيغي لكل انسان أن يلتحل ألبق الصنائع به ، وواقفها له ، وكانت صناعة الطب تتاخم الفلسفة طاعة لله عز وجل ، وكانت دلالات النجوم في مولدي تدل على ان صناعتي الطب . وكان العيش عندي في الفضيلة اذ من كل عيش ، اخذت في تعلم صناعة الطب وأنا ابن خمس عشرة سنة ، والاجود ان اقتص اليك أمري كله: ولدت بأرض مصر في عرض ثلاثين درجة ، وطول خمس وخمسين درجة ، والطالع بزيج يحيى بن أبي منصور الحل (هـ) وعاشرة الجدي (هـ كج) ومواقع الكواكب الشمس بالدلو (اه لب) والقمر بالمقرب (ح يه) وعرضه جنوب (ح يز) وزحل بالقوس (كط) وللشكري بالجدي (ه كج) والمريخ بالدلو (كا) (مح) والزهرة بالقوس (كد) (ك) وعطارد بالدلو (يط) ، وسهم السعادة بالجدي (د) (هـ) وجزء الاستقبال المتقدم بالسرطان (كب ي) ، والجوزهر بالقوس (يز) (يا) والذنب بالجوزاء (ز) (ما) . والسر الواقع بالجدي (ا) (كب) والشمرى العبور بالسرطان (يب) . فلما بلغت السنة السادسة أسلمت نفسي في التعلم ، ولما بلغت السنة العاشرة انتقلت الى المدينة العظمى واجهدت نفسي في التعلم . ولما أتمت أربع عشرة سنة أخذت في تعلم الطب والفلسفة ولم يكن لي مال اتفق منه ، فذلك عرض لي في التعلم صعوبة ومشقة . فكنت مرة ألكسب بصناعه القضايا بالنجوم ، ومرة بصناعة الطب ، ومرة بالتعليم . ولم أزل كذلك وأنا في غاية الاجتهاد في التعليم ، الى السنة الثانية والثلاثين ، فاني اشتهرت فيها بالطب وكفاني ما كنت أكتب بالطب ، بل وكان بفضل عني الى وقتي هذا ، وهو آخر السنة التاسعة والخمسين . وكسبت بما فضل عن نفقي أملاً كما في هذه المدينة ان كتب الله عليها السلامة وبلغني سن الشيخوخه كنفاني في النفة عليها .

وكننت منذ السنة الثانية والثلاثين الى يومي هذا أحمل تذكرة لي وأغيرها في كل سنة الى ان قررتها على هذا التقرير الذي أستقبل به السنة الستين من ذلك . أنصرف في كل يوم في صناعتي بمقدار ما يبغي ،

ومن الرياضة التي تحفظ صحة البدن، وأغتذي بعد الاستراحة من الرياضة غذاء أقصد به حفظ الصحة، واجتهد في حال تصرفي في التواضع والمداراة وغياب الملهوف، وكشف كربة المكروب، واسامع المحتاج. وأجمل قصدي في كل ذلك الالتئذ بالافعال، والافعال الجميلة. ولا بد ان يحصل مع ذلك، كسب ما ينفع فأنفق منه على صحة بدني، وعمارة منزلي نفقة لا تبلغ التبذير، ولا تنسطل التقتير وتلزم الحال الوسطى بقدر ما يوجب التمثل في كل وقت. واتفقد آلات منزلي لما يحتاج الى اصلاح اصلحته، وما يحتاج الى بدل بدله، وأعد في منزلي ما يحتاج اليه من الطعام والشراب والمسل والزيت والحطب، وما يحتاج اليه من الثياب، فما فضل بعد ذلك كله صرفته في وجوه الجميل والمنافع مثل اعطاء الاهل والاخوان والجيران، وعمارة المنزل. وما اجتمع من غلة أملاكي اخبرته لعمارتها ومرمتها، ولوقت الحاجة الي مثله. واذا حمت لتجديد امر مثل تجارة أو بناء أو غير ذلك فرضته مطلوباً، وحلته الى موضوعاته ولوازمها. فان وجدته من الممكن الاكثر بإدبرت اليه، وان وجدته من الممكن القليل اطرحته.

وأترقب ما يمكنني تعريفه من الامور المزمة وأخذ له اهبتة. واجعل ثيابي مزينة بشعار الاخبار والنظافة وطيب الرائحة. وأزعم الصمت وكف اللسان عن معائب الناس. واجتهد ان لا اكلم إلا بما ينبغي. واتوقى الأيمان ومثالب الآراء، فأحذر العجب وحب الغلبة، واطرح الهم الحرصي، والاعتنام. وان دعمني أمر فادح أسلت فيه الى الله تعالى، وقابلته بما يوجب التمثل من غير جبن ولا هور. ومن عاملته عاملته بدأ بيد، لا أسف ولا أتسلف، إلا ان اضطر لذلك. وان طلب مني أحد سلفاً وهيت منه، ولم أرد منه عوضاً وما بقي من يومي بعد فراغي من رياضي صرفته في عبادة الله سبحانه بأن أتزده بالنظر في ملكوت السموات والارض، وتمجيد محكمها، وأتدبر مقالة ارسطاطاليس في التدبير، وأخذ نفسي بازوم وصاياها بالندة والعشي، واتفقد في وقت خلوتي ما سلف في يومي من افعالي وافعالاتي. فما كان خيراً أو جيلاً أو نافعاً صررت به، وما كان شراً أو قبيحاً أو ضاراً اغتممت به، ووافقت نفسي بان لا أعود الى مثله. قال: وأما الاشياء التي أنزده فيها فلأني فرضت لذهي ذكر الله عز وجل وتمجيد بالنظر في ملكوت السماء والارض.

وكان قد كتب القدماء والعارفين في ذلك كتباً كثيرة رأيت ان اقتصر منها على ما أنصه من ذلك خمسة كتب من كتب الادب؛ وعشرة كتب من كتب الشرع؛ وكتب ابقراط وجالينوس في صناعة الطب وما جازها مثل كتاب الحشاشن لديسقوريدس، وكتب روفس، وأريستاسيوس، وبولس وكتاب الحاوي للاراني؛ ومن كتب الفلاحة والصيدلة أربعة كتب؛ ومن كتب التعاليم الجسطي ومداخله، وما انتفع به فيه والمرمية لبطلبيوس؛ ومن كتب العارفين كتب أفلاطون، وارسطوطاليس، والاسكندر، وأماطبيوس، وعبد الفارابي، وما انتفع به فيها. وما سوى ذلك إما أبيهه بأي فمن اتقنى، وإما ان اخزنه في صناديقي. وبهيه أجد من خزته.

اقول: هذا جملة ما ذكره من سيرته. وكان مولده في ديار مصر بالجيزة^(١) ونشأ بمدينة مصر.

(١) مدينة في مصر بالقرب من الاهرام على انقاض منفيس.

وكان أبوه فراتا . ولم يزل ملازماً للاشتغال والنظر في العلم الى ان تميز وصار له الذكر الحسن والسمعة العظيمة ، وخدم الحاكم وجعله رئيساً على سائر المتطيعين . وكانت دار ابن رضوان بمدينة مصر في قصر الشمع ، وهي الآن تعرف به ، وقد تهدمت ولم يتبين الا بقايا بيرة من آثارها . وحدث في الزمان الذي كان فيه ابن رضوان بديار مصر الغلاء العظيم . والجلاء الفادح الذي هلك به أكثر أهلها . ونقلت من خط المختار ابن الحسن بن بطلان ان الغلاء عرض بمصر في سنة خمس وأربعين وأربعمائة قال : ونقص الثيل في السنة التي تليها ، وتزايد الغلاء ، وقبمه وباه عظيم ، واشتد وعظم في سنة سبع وأربعين وأربعمائة . وحكي ان السلطان كفن من ماله ثمانين ألف نفس ، وانه قد ثمانمائة قائد ، وحصل للسلطان من الموارث مال جزيل .

وحدثني أبو عبد الله محمد الملقب بالناسخ : ان ابن رضوان تغير عقله في آخر عمره ، وكان السبب في ذلك انه في ذلك الغلاء ، كان قد أخذ يقيمة رباها ، وكبرت عنده فلما كان في بعض الأيام خلاها الموضع ، وكان قد ادخر اشياء نفيسة ، ومن الذهب نحو عشرين ألف دينار فأخذت الجميع وهربت . ولم يظهر منها على خبر ، ولا عرف أين توجهت فتغيرت احواله من حيثلذ .

أقول : وكان ابن رضوان كثير الرد على من كان يماصره من الاطباء وغيرهم ، وكذلك على كثير من تقدمه . وكانت عنده سفاهة في بحثه ، وتشليح على من يريد مناقشته . وأكثر ذلك يوجد عندما كان يرد على حنين بن اسحق ، وعلى أبي الفرج بن الطيب ، وكذلك ايضا على أبي بكر محمد بن زكريا الرازي . ولم يكن لابن رضوان في صناعة الطب معلم ينسب اليه ، وله كتاب في ذلك يتضمن ان تحصيل الصناعة من الكتب أوفق من المعلمين . وقد رد عليه ابن بطلان هذا الرأي وغيره في كتاب مفرد ، وذكر فصلا في العلل التي لاجلها صار المعلم من اقواء الرجال أفضل من المتعلم من الصنف اذا كان القول واحداً . وأورد عدة حلل :

الأولى منها تجري هكذا : وصول المعاني من التسيب الى التسيب ، خلاف وصولها من غير التسيب الى التسيب . والتسيب الناطق أفهم للتعلم بالناطق وهو المعلم ، وغير التسيب له جاد وهو الكتاب ، ويؤمد الجاد من الناطق مطيل لطريق الفهم ، وقرب الناطق من الناطق مقرب للفهم ، فالفهم من التسيب ، وهو المعلم اقرب وأسهل من غير التسيب ، وهو الكتاب .

والثانية ، هكذا : النفس العلامة علامة بالفعل ، وصورة الفعل عنها يقال له تعلم ، والتعلم والتعلم من المضاف . وكلما هو للشيء بالطبع أخص به مما ليس له بالطبع . والنفس المتعلمة علامة بالقوة ، وقبول العلم فيها يقال له تعلم ، والمضافان معاً بالطبع . فالتعلم من المعلم أخص بالتعلم من الكتب .

والثالثة ، على هذه الصورة : التعلم اذا استعجم عليه ما يفهمه المعلم من لفظ نقله الى لفظ آخر ، والكتاب لا ينقل من لفظ الى لفظ . فالفهم من المعلم أصلح للتعلم من الكتاب ، وكل ما هو بهذه الصفة فهو في اقبال العلم أصلح للتعلم .

والرابعة : العلم موضوعه اللفظ ، واللفظ على ثلاثة أضرب : قريب من المعقل ، وهو الذي صاغه المعقل مثلاً لما عده من المعاني ؛ ومتوسط ، ومتوسط ، وهو المتلفظ به بالصوت ، وهو مثال لما صاغه المعقل ؛ وبعيد ، وهو المثبت في الكتب ، وهو مثال ما خرج باللفظ . فالكتاب مثال مثال المثال المعاني التي في المعقل ، والمثال الاول لا يقوم مقام المثل لموز المثل ، فما ظنك بثال مثال مثال المثل . فالثال الاول لما عند المعقل اقرب في الفهم من مثال المثال ، والمثال الاول هو اللفظ ، والثاني هو الكتاب . واذا كان الامر على هذا فالفهم من لفظ المعلم اسهل وأقرب من لفظ الكتاب .

والخامسة : وصول اللفظ الدال على المعنى الى المعقل يكون من جهة ساسة غريبة من اللفظ، وهي البصر، لان الحاسة النسيية للفظ هي السمع لانه تصويت، والشئ الواصل من النسيب، وهو اللفظ، اقرب من وصوله من الغريب ، وهو الكتابة . فالفهم من المعلم باللفظ اسهل من الكتاب بالخط .
والسادسة هكذا : يوجد في الكتاب أشياء تصد عن العلم قد عذمت في تعلم المعلم، وهي التصعيف العارض من اشتباه الحروف مع عدم اللفظ ، واللفظ يزوغان البصر وقلة الخبرة بالأعراب ، او عدم وجوده مع الخبرة به ، أو فساد الموجود منه . واصطلاح الكتاب ما لا يقرأ وقراءة ما لا يكتب ، ونحو التعليم ونط الكلام ومذهب صاحب الكتاب ، وسقم النسخ ورداءة النقل ، وادماج الغاريء مواضع المقاطع ، وغلط مبادئ التعاليم ، وذكر ألفاظ مصطلح عليها في تلك الصناعة ، والفاظ يونانية لم يجرها الناقل من اللغة كالثوروس وهذه كلها معوقة عن العلم . وقد استراح التلمذ عن تكلفها عند قراءته على المعلم، واذا كان الامر على هذا فالقراءة على المعلم افضل وأجدي من قراءة الانسان لنفسه . وهو ما أردنا بيانه .

قال : وانا أدليك بياناً سابعاً أظنه مصدقاً عندك، وهو ما قاله المنسرون في الاعتبار عن السالبة البسيطة بالموجبة المندولة ، فانهم مجمعون على ان هذا الفصل لو لم يسمعه من ارسطوطاليس تلميذه : ثاوفرسطس وأودنيوس ، لما فهم قط من كتاب . وإذا كان الامر على هذا فالفهم من المعلم افضل من الفهم من الكتاب . وبحسب هذا يجب على كل محب للعلم ان لا يقطع بظن قريباً خفي الصواب ، واذا خفي الصواب، علم الأشياء علماً ردياً، فثار عليه بحسب اعتقاده في الحق انه تحال شكوك يعسر حلها، وكانت وفاة علي بن رضوان ، رحمه الله، في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة بمصر ، وذلك في خلافة المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله الحاكم^(١)

ومن كلام علي بن رضوان قال : اذا كانت للانسان صناعة فراض بها اعضاؤه ، ويمدحه بها الناس، ويكسب بها كفايته في بعض يومه ، فأفضل ما ينبغي له في باقي يومه ان يصرفه في طاعة ربه . وافضل الطاعات النظر في المكتوت ، وتحميد المالك لما سبحانه . ومن رزق ذلك فقد رزق خير الدنيا والآخرة ، وطوبى له وحسن مأب . ومن كلامه نقلته من خطه قال : الطبيب على رأي بقراط هو الذي اجتمعت فيه سبع خصال :

(١) الخليفة الفاطمي السابع (١٠٣٥ - ١٠٩٤)

الاولى : ان يكون تام الخلق ، صحيح الاعضاء ، حسن الذكاء ، جيد الروية ، عاقلاً ، ذكوراً ، خيراً الطبع .

الثانية : ان يكون حسن الملبس ، طيب الرائحة ، نظيف البدن والثوب .

الثالثة : ان يكون كتوماً لاصرار المرضى لا يبيح بشيء من امراضهم .

الرابعة : ان تكون رغبته في ابراء المرضى اكثر من رغبته فيما يلتمسه من الاجرة ، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الاغنياء .

الخامسة : ان يكون حريصاً على التعلم والمبالغة في منافع الناس .

السادسة : ان يكون سليم القلب ، عفيف النظر ، صادق اللمحة ، لا يخطر ببالة شيء من أمور النساء والاموال التي تشاهدها في منازل الاعلاء فضلاً عن ان يتعرض الى شيء منها .

السابعة : ان يكون مأموناً ثقة على الارواح والاموال ، لا يصف دواء قتالاً ولا يعلمه ، ولا دواء يسقط الاجنة ، يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه .

وقال : المعلم لصناعة الطب هو الذي اجتمعت فيه الحصال بعد استكمال صناعة الطب . والمتعلم هو الذي فراسته قتل على انه ذو طبع خير ، ونفس ذكية ، وان يكون حريصاً على التعليم ، ذكياً ، ذكوراً لما قد تعلمه .

وقال : البدن السليم من العيوب هو البدن الصحيح الذي كل واحد من اعضائه باق على فضيلته . اعني ان يكون يفعل فعله الخاص على ما ينبغي .

وقال : تعرف العيوب هو ان تنظر الى هيئة الاعضاء والمحنة والمزاج وملبس البشرة ، وتتفقد أفعال الاعضاء الباطنة والظاهرة ، مثل ان تنادي به من بعيد فتعتبر بذلك حال سمعه ، وان تعتبر بصره بنظر الاشياء البعيدة والقريبة ، ولسانه بمجودة الكلام ، وقوته بشيل الثقل والملك والضببط والمشي والحما ذلك ، مثل ان تنظر مشيه مقبلاً ومدبراً ، ويؤمر بالاستلقاء على ظهره بمدود اليدين قد نصب رجله وصفيها ، وتعتبر بذلك حال احشائه ، وتتعرف حال مزاج قلبه بالنفض والاخلق ، ومزاج كبده بالبول وحال الاخلط ، وتعتبر عقله بان يسأل عن اشياء ، وفهمه وطاعته بان يؤمر بأشياء ، وأخلاقه الى ما قيل بان تعتبر كل واحد منها بما يحركه او يسكنه . وعلى هذا المثال أجبر الحال في تفقد كل واحد من الاعضاء والاخلق . أما فيما يمكن ظهوره للحس فلا تنع فيه حتى تشاهده بالحس ، واما فيما يتعرف بالاستدلال فاستدل عليه بالعلامات الخاصة . واما فيما يتعرف بالسؤال فابحث عنه بالسؤال . حتى تعتبر كل واحد من العيوب فتعرف هل هو عيب حاضر أو كان أو متوقع ، ام الحال حال صحة وسلامة .

ومن كلامه قال : اذا دعيت الى مريض فاعطه ما لا يضره الى ان تعرف علته فتعالجها عند ذلك . ومعنى معرفة المرض هو ان تعرف من أي خلط حدث أولاً ، ثم تعرف بمعد ذلك في أي عضو هو ، وعند ذلك تعالجه .

ولعلي بن رضوان من الكتب : شرح كتاب العرق لجاليئوس ، وفرغ من شرحه له في يوم الخميس
 للبتين بقبتا من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة . شرح كتاب الصناعة الصغيرة لجاليئوس .
 شرح كتاب النبض الصغير لجاليئوس . شرح كتاب جاليئوس الى اغنوقن في الثنائي لشفاء الامراض .
 شرح المقالة الاولى في خمس مقالات . وشرح المقالة الثانية في مقالتين ، بشرح كتاب الاسطوانات
 لجاليئوس . شرح بعض كتاب المزاج لجاليئوس ، ولم يشرح من الكتب الستة عشر لجاليئوس سوى ما
 ذكرت . كتاب الاصول في الطب ، أربع مقالات . كتابش ، رسالة في علاج الجذام . كتاب تتبع
 مسائل حنين ، مقالتان . كتاب النافع في كيفية تعلم صناعة الطب ، ثلاث مقالات . مقالة في ارت
 جاليئوس لم ينل في أقاويله في اللبن على ما ظنه قوم . مقالة في دفع المضار عن الابدان بمصر . مقالة
 في سيرته . مقالة في الشخير وما يعمل منه ، ألفها لابي زكريا يوحنا بن سعادة الطبيب . جواب لمسائل
 في لبن الاثن ، سأله ايها يوحنا بن سعادة . تعاليت طيبة . تعاليت نقلها في صيدلة الطب ، مقالة في
 مذهب ابقراط في علم الطب . كتاب في ان أفضل أحوال عبدالله بن الطبيب الحامي السوفسطائية ،
 وهو خمس مقالات . كتاب في أن الاشخاص كل واحد من الانواع المتناسقة أب أول ، منه تناسلت
 الاشخاص على مذهب الفلسفة . تفسير مقالة الحكم فيثاغورس في الفضية . مقالة في الرد على الفرائيم
 وابن زرة في الاختلاف في الملل . انتزاعات شروح جاليئوس لكتب ابقراط . كتاب الانتصار
 لارسطوطاليس ، وهو كتاب التوسط بينه وبين خصومه المناقضين له في السباح الطبيعي ، تسع
 وثلاثين مقالة

تفسير ثاموس الطب لابقرط . تفسير وصية ابقراط المعروفة بترتيب الطب . كلام في الأدوية
 المسهلة . كتاب في عمل الاشرية والمعالجة ، تعليق من كتاب التميمي في الاغذية والادوية . تعليق من
 كتاب فوسيدونيوس في اشرية لذينة للاصحاء . فوائد علقها من كتاب فيلغوريوس في الاشرية النافعة
 للذيدة في اوقات الامراض . مقالة في الباء مقالة في ان كل واحد من الاعضاء يقتل من الخلط
 المشاكل له . مقالة في الطريق الى احصاء عدد الحيات . فصل من كلامه في القوى الطبيعية ، جواب
 مسائل في النبض وصل اليه السؤال عنها من الشام . رسالة في أجوبة مسائل سأل عنها الشيخ أبو
 الطبيب أزهر بن النعمان في الاورام . رسالة في علاج صبي اصابه المرض المسمى بداء الفيل وداء الاسد .
 نسخة الدستور الذي انقله أبو السكسر الحسين بن مدان ملك مكران في حال علة الفالج في شقه
 الأيسر ، وجواب ابن رضوان له . فوائد علقها من كتاب حيلة البرء لجاليئوس . فوائد علقها
 من كتاب تدبير الصحة لجاليئوس . فوائد علقها من كتاب الادوية المفردة لجاليئوس . فوائد
 علقها من كتاب النصد لجاليئوس . فوائد علقها من كتاب الادوية المفردة لجاليئوس . فوائد
 علقها من كتاب الياهر لجاليئوس . فوائد علقها من كتاب قاطاجانس لجاليئوس . فوائد علقها في
 الاخلاط من كتب عدة لابقرط وجاليئوس .

كتاب في حل شكوك الرازي على كتب جاليئوس ، سبع مقالات . مقالة في حفظ الصحة . مقالة
 في ادوار الحيات . مقالة في التنفس الشديد ، وهو ضيق النفس . رسالة كتب بها الى أبي زكريا يوحنا

ابن سعادة في النظام الذي استعمله جالينوس في تحليل الحلد في كتابه المسمى الصناعة الصغيرة . مقالة في نقض مقالة ابن بطلان في الفرخ والفروج . مقالة في الفأر . مقالة فيما أورده ابن بطلان من التحصيرات . مقالة في ان ما جهل يقين وحسكة ، وما علمه ابن بطلان غلط وسفسطة . مقالة في ان ابن بطلان لا يعلم كلام نفسه فضلاً عن كلام غيره . رسالة الى اطباء مصر والقاهرة في خبر ابن بطلان . قول له في جملة الرد عليه . كتاب في مسائل جرت بينه وبين ابن الهيثم في الهجرة والمكان . اخراجه لحواشي كامل الصناعة الطبية الموجود منه بعض الاولى . رسالة في أزمنة الامراض . مقالة في التطرق بالطب الى السعادة . مقالة في اسباب مدد حيات الاخلاط وقرائنها . جوابه عما شرح له من حال عليل به علة الفالج في شقه اليسر . مقالة في الاروام . كتاب في الادوية المفردة على حروف المعجم ، اثنتا عشرة مقالة الموجود منه الى بعض السادسة . مقالة في شرف الطب . رسالة في الكون والنسาด . مقالة في سبيل السعادة وهي السيرة التي اختارها لنفسه . رسالة في بقاء النفس بعد الموت . مقالة في فضيلة الفلسفة . مقالة في بناء النفس على رأي افلاطون وارسطوطاليس . أجوبته لمسائل منطقية من كتاب القياس . مقالة في حل شكوك يحيى بن عدي المسماة بالمهرسات . مقالة في الحر . مقالة في بحث نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة والفلسفة . مقالة في ان في الوجود نقط وخطوط طبيعية . مقالة في حدث العالم . مقالة في التنبيه على حيل من ينتحل صناعة الفضيا بالنجوم وتشرف أهلها . مقالة في خلط الضروري والوجودي . مقالة في اكتساب الحلال من المال . مقالة في الفرق بين الفاضل من الناس والسديد والمطب . مقالة في كل السياسة . رسالة في السعادة . مقالة في اعتذاره عما ناقض به المحدثين . مقالة في توحيد الفلاسفة وعبادتهم . كتاب في الرد على الرازي في العلم الالهي واثبات الرسل . كتاب المستعمل من المنطق في العلوم والصنائع ، ثلاث مقالات . رسالة صغرى في الميولي ، صنفها لابي سليمان بن بايشاد . تذكرناه المسماة بالكمال الكامل والسعادة القصوى غير كاملة . تعاليفه لفوائد كتب افلاطون المسماة لهوية طبيعة الانسان . تعاليفه فوائد مدخل فرغوريوس . تهذيب كتاب الحابس في ريادة الثنا الموجود منه بعض لا كل . تعاليفه في ان خط الاستواء بالطبع أظلم ليلاً ، وأن جوهره بالعرض أظلم ليلاً . كتاب فيما ينبغي ان يكون في حانوت الطبيب ، أربع مقالات . مقالة في هواء مصر . مقالة في مزاج السكر . مقالة في التنبيه على ما في كلام ابن بطلان من الهديان . رسالة في دفع مضار الحلاوى بالمحرور .

افرائيم بن الوфан

هو ابو كثير افرائيم بن الحسن بن اسحق بن ابراهيم بن يعقوب . امراثيلي المذهب وهو من اطباء المشهورين بديار مصر ، وخدم الخلفاء الذين كان في زمانهم وحصل من جهتهم من الاموال والتمتع شيئاً كثيراً جداً . وكان قد قرأ صناعة الطب على أبي الحسن علي بن رضوان وهو من أجل تلامذته ، وكانت له ممة عالية في تحصيل الكتب ، وفي استنساخها حتى كانت عنده خزائن كثيرة من الكتب

الطبية وغيرها . وكان أبداً عنده النسخ يكتبون ولهم ما يقوم بكفايتهم منه . ومن جملتهم محمد بن سعيد بن هشام الحنجري ، وهو المعروف بابن ملساقه ووجدت بخط هذا عدة كتب قد كتبها لأفرائيم ، وعليها خط أفرائيم . وحدثني أبي أن رجلاً من العراق كان قد أتى إلى الديار المصرية ليشتري كتباً ويتوجه بها وأنه اجتمع مع أفرائيم ، وافترق الحال فيما بينهما أن باعه أفرائيم من الكتب التي عنده عشرة آلاف مجلد ، وكان ذلك في أيام ولاية الأفضل ابن أمير الجيوش ، فلما جمع بذلك أراد أن تلك الكتب تبقى في المصرية ، ولا تنتقل إلى موضع آخر فبعت إلى أفرائيم من عنده بحملة المال الذي كان قد اتفق تميمه بين أفرائيم والمراقي ، ونقلت الكتب إلى خزانة الأفضل وكتبت عليها ألقابها ، ولهذا انني قد وجدت كتباً كثيرة من الكتب الطبية وغيرها عليها اسم أفرائيم ، والقباب الأفضل أيضاً . وخلف أفرائيم من الكتب ما يزيد على عشرين ألف مجلد ، ومن الأموال النعم شيئاً كثيراً جداً .

ولأفرائيم بن الزفان من الكتب : تعاليق ومجربات جعلها على جهة الكتابات ، ووجدت هذا الكتاب بخطه ، وقد استقصى فيه ذكر الأمراض ومداوانها ، وقد ذكر في أوله ما هذا نصه قال : أقول وأنا أفرائيم انني جعلت هذا الكتاب تذكرة على طريق المجموع ، لا على جهة التصنيف احتياطاً على من يعالج من السور . كتاب التذكرة الطبية في مصلحة الأحوال البدنية ، ألفها لتعريف الدولة أبي علي الحسين بن أبي علي الحسن بن حمدان ، لما أراد الانفصال عن مصر ، والتوجه إلى ثغر الاسكندرية والبحيرة وتلك الأعمال ، مقالة في التقرير للقياسي على أن البلغم يكثر تولده في الصيف ، والدسم والمرار الأصفر في الشتاء .

سلامة بن رحون

هو أبو الخير سلامة بن مبارك بن رحون بن موسى ، من اطباء مصر وفضلائها ، وكان يهودياً وله أعمال حسنة في صناعة الطب ، وإطلاع على كتب جالينوس والبحث عن غوامضها . وكان قد قرأ صناعة الطب أفرائيم ، واشتغل بها عليه مدة . وكان لابن رحون أيضاً اشتغال جيد بالمنطق والعلوم الحكمية ، وله تصانيف في ذلك ، وكان شقيقه الذي اشتغل عليه بهذا الفن الأمير أبو الوفاء محمود الدولة المبشر بن فاتك . ولما وصل أبو الصلت أمية بن عبد العزيز ابن أبي الصلت الاندلسي من المغرب إلى الديار المصرية اجتمع بسلامة بن رحون وجرت بينهما مباحث ومشافيات . وقد ذكره ابن أبي الصلت في رسالته المصرية عندما ذكر من رآه من اطباء مصر قال ، وأشبه من رأيته منهم وأدخلهم في عدد الاطباء رجل من اليهود يدعى أبا الخير سلامة بن رحون فإنه لقي أبا الوفاء المبشر بن فاتك ، فأخذ عنه شيئاً من صناعة المنطق فخصص به وتميز عن أضرابه . وادرك أبا كثير بن الزفان لميلد أبي الحسن بن رضوان فقرأ عليه بعض كتب جالينوس . ثم نصب نفسه لتدريس جميع كتب المنطق وجميع كتب الفلسفة الطبيعية والهيئة ، وشرح بزمجه وفسر ولخص ولم يكن هناك في تحصيله وتحقيقه واستقصائه عن لطيف العلم وديمقته . بل كان يكثر كلامه فيفضل ، ويسرح جوابه فيزل . ولقد سأته

أول لقائي له واجتماعي به عن مسائل استفتحت مباحثه بها مما يمكن ان يفهمها من لم يكن يتد في العلم باعه ، ولم يكثر تبهره واتساعه ، فأجاب عنها بما أبان عن تقصيره ونطق بحسره ، وأعرب عن سوء تصووره وفهمه ، وكان مثله في عظم دواعيه وقصوره عن أيسر ما هو متعاطيه كقول الشاعر:

يشمر الحج عن ساقه ويضمه الموج في الساحل
(المتقارب)

تقيم مائتي فارس فردكم. فارس واحد
(المتقارب)

قال أبو الصلت : وكان طبيب من أهل انطاكية يسمى يجرس ، ويلقب بالفيلسوف على نحو ما قبل في الغرب أبو البيضاء ، وفي اللديغ سليم قد تفرغ للتولع بان رحون والازراء عليه ، وكان يزور فصولاً طبية وفلسفية ، يقررها في معارض ألقاظ القوم ، وهي محال لا معنى لها وفارغة لا فائدة فيها ، ثم انه ينفذها الى من يسأله عن معانيها ، ويستوضحه أغراضها . فيتكلم عليها ويشرحها بزرعه دون تيقظ ولا تحفظ ، بل باسترسال واستمجال وقلة اكاثرات وامتنال ، فيوجد فيها عنه ما يضحك منه . وانشدت لجرس هذا فيه وهو أحسن ما سمعته في هجو طبيب مشؤوم . وانا متهم له فيه :

ان ابا الخير على جهله يخف في كفته الفاضل
عليه المسكين من شؤمه في بحر هلك ماله ساحل
ثلاثة تدخل في دفعة طلعت والنمش والفاصل
(السريع)

وبعضهم :

لاني الخير في الملا ج يد ما تقصر
كل من يستطبه يمد يمين يقبر
والذي غاب حكم وشهادته اذكر
(الحنيف)

وله :

جنون أبي الخير الجنون بعينه وكل جنون عنده خاية العقل
خضوه ففاهوه ، فشده ولاقه لما عاقل من يستهين بمقتل
وقد كان يؤذي الناس بالقول وحده فقد صار يؤذي الناس بالقول والعقل
(الطويل)

وسلامة بن رحون من الكتب : كتاب نظام الموجودات ، مقالة في السبب الموجب لقلة المطر بمصر . مقالة في العلم الالهي . مقالة في خصب أبدان النساء بمصر عند تناهي الشباب .

مبارك بن سلامة بن رحون

هو مبارك بن أبي الخير سلامة بن مبارك بن رحون، مولده ومنشؤه بمصر، وكان أيضاً طبيباً فاضلاً:
ولمبارك بن سلامة بن رحون من الكتب : مقالة في الجمة المسماة بالشفقة والخزفة مختصرة .

ابن العين زربي

هو الشيخ موفق الدين أبو نصر عدنان بن نصر بن منصور من أهل عين زربة ، وأقام ببغداد مدة ، واشتغل بصناعة الطب بالعلوم الحكيمية ومهر فيها ، وخصوصاً في علم النجوم . ثم بعد ذلك انتقل من بغداد إلى الديار المصرية إلى حين وفاته وخدم الخلفاء المصريين ، حظي في أيامهم ، وتميز في دولتهم وكان من أجل المشايخ ، وأكثرهم علماً في صناعة الطب . وكانت له فراسة حسنة وإنذارات صائبة في معالجاته . وصنف بديار مصر كتباً كثيرة في صناعة الطب ، وفي المنطق وفي غير ذلك من العلوم . وكانت له تلاميذ عدة يشتغلون عليه ، وكل منهم تميز وبرع في الصناعة . وكان ابن العين زربي في أول أمره إنما يتكسب بالتنجيم .

وحدثني أبي قال : سحى إلى سبط الشيخ أبي نصر عدنان بن العين زربي : ان سبب اشتهار جده في الديار المصرية ، واتصاله بالخلفاء أنه ورد من بغداد رسول إلى ديار مصر ، وكان يعرف ابن العين زربي ببغداد وما هو عليه من الفضل والتحصيل والالتقان لكثير من العلوم ، فلما كان مراراً في بعض الطرق بالقاهرة ، وإذا به قد وجد ابن العين زربي جالساً وهو يتكسب بالتنجيم فعرفه وسلم عليه ، وبقي متمجباً من كثرة تحصيله للعلوم ، وكونه متميزاً في علم صناعة الطب ، وهو على تلك الحال ، وبقي في خاطره ذلك . فلما اجتمع بالوزير ومحمد بن أجمري ذكر ابن العين زربي ، وما هو عليه من العلم والفضل والتقدم في صناعة الطب وغيرها ، وكونهم لم يعرفوا قدره ولا انتهى إليهم أمره ، وارت الواجب في مثل هذا لا يحمل ، فاشتاق الوزير إلى رؤيته ، والاجتماع بمشاهدته ، فاستعصر ، وسمع كلامه فاعجب به ، واستحسن مما سمعه منه ، وتحقق فضله ومزله في العلم ، وأنهى أمره إلى الخليفة فاطلق له ما يليق بمثل ، ولم تزل أنعامهم تصل إليه ومواهبهم تتوالى عليه .

أقول ، وكان ابن العين زربي خبيراً بالعربية ، جيد الدراية لها ، حسن الخط ، وقد رأيت كتباً عدة في الطب وفي غيره بخطه ، هي في نهاية الحسن والجودة ولزوم الطريقة المنسوبة . وكانت أيضاً يشعر وله شعر جيد . وتوفي رحمه الله في سنة ثمان وأربعين وخمسةائة بالقاهرة ، وذلك في دولة الظاهر بأمر الله (١١) .

ولابن العين زربي من الكتب : كتاب الكافي في الطب ، وصنفه في سنة عشر وخمسةائة بمصر وكل في السادس والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وأربعين وخمسةائة . شرح كتاب الصناعة الصغيرة

(١١) هو أبو منصور إسماعيل الظاهر بأمر الله (١١٤٩ - ١١٥٤) الخليفة الفاطمي الحادي عشر . (ن.د)

لجالينوس . الرسالة الغنمة في المنطق ألفها من كلام أبي نصر الفارابي والرئيس ابن سينا . مجربات في الطب على جهة الكناش جمعها ورتبها ظافر بن غيم بمصر بعد وفاة ابن العين زري . رسالة في السياسة . رسالة في تعذر وجود الطبيب الفاضل ونفاق الجاهل . مقالة في الحصى وعلاجه .

بلمظفر ابن معرف

هو بلمظفر نصر بن محمود بن المرف . كان ذكياً فطناً ، كثير الاجتهاد والتمنية والحرص في العلوم الحكيمة ، وله نظر أيضاً في صناعة الطب والأدب ويشعر . وكان قد اشتغل على ابن العين زري ولازمه مدة وقرأ عليه كثيراً من العلوم الحكيمة وغيرها . ورأيت خطه في آخر تفسير الاسكندر لكتاب الكون والفساد لارسطوطاليس ، وهو يقول انه قرأه عليه ، واقتن قراءته ، وفربخ كتابته لذلك في شعبان سنة أربع وثلاثين وخمسةائة . وكان بلمظفر حسن الخط ، جيد العبارة . وكان مغرئ بصناعة الكيمياء ، والنظر فيها ، والاجتماع باهلها . وكتب بخطه من الكتب التي صنفت فيها شيئاً كثيراً جداً . وكذلك ايضاً كتب كثيراً من الكتب الطبية والحكيمة ، وكانت له همة عالية في تحصيل الكتب وقراءتها .

وحدثني الشيخ سديد الدين المنطقي عنه انه كان في داره مجلس كبير مشحون بالكتب على رفوف فيه ، وان بلمظفر بن يزل في معظم اوقاته في ذلك المجلس مشغلاً في الكتب وفي القراءة والنسخ .

أقول : ومن أعجب شيء منه انه كان قد ملك الوفا كثيرة من الكتب في كل فن ، وات جميع كتبه لا يوجد شيء منها إلا وقد كتب على ظهره ملصقاً وفواجر بما يتعلق بالعلم الذي قد صنف ذلك الكتاب فيه . وقد رأيت كتباً كثيرة من كتب الطب وغيرها من الكتب الحكيمة كانت لابي المظفر وعليها اسمه ، وما منها شيء إلا وعليه تعاليق مستحسنة ، وفوائد متفرقة مما يجانس ذلك الكتاب .

ومن شعر بلمظفر بن معرف :

| | |
|----------------------------|------------------------------|
| وقالوا الطبيعة مبدا الكيان | فيا ليت شعري ما هي الطبيعة ؟ |
| أفادرة طبعت نفسها | على ذاك أم ليس بالستطيه ؟ |

(المتقارب)

وقال أيضاً :

| | |
|--------------------------|----------------------|
| وقالوا الطبيعة معلومنا | ولمحن نين ما حطنا |
| ولم يعرفوا الآن ما قبلها | فكيف يرومون ما بملها |

(المتقارب)

ولبلمظفر بن معرف من الكتب : تعاليق في الكيمياء . كتاب في علم النجوم . مختارات في الطب .

الشيخ السديد ورئيس الطب

هو القاضي الأجل السديد أبو المنصور عبد الله بن الشيخ السديد أبي الحسن علي، وكان لقب القاضي أبي المنصور شرف الدين ، وانما غلب عليه لقب أبيه وعرف به وصار له علماً بان يقال الشيخ السديد ، وكان عالماً بصناعة الطب خبيراً بأصولها وفروعها ، جيد المداخلة ، كثير الدربة ، حسن الاعمال باليد . وخدم الخلفاء المصريين وحظي في أيامهم ، وثال من جبهتهم من الاموال الوافرة ، ولتعم الجسيمة ، ما لم ينه غيره من سائر الاطباء الذين كلوا في زمانه ، ولا قريباً منه ، وكانت له عندهم الميزة العليا والجاه الذي لا مزيد عليه . وعمر عمراً طويلاً . وكان من بيتوتة صناعة الطب . وكان أبوه ايضاً طبيباً للخلفاء المصريين مشهوراً في ايامهم .

حدثني القاضي نقيس الدين بن الزبير ، وكأف قد لحق الشيخ السديد وقرأ عليه صناعة الطب ، قال : قال لي الشيخ السديد رئيس الطب : إن اول من مثلت بين يديه من الخلفاء وانعم علي الأمر بإحكام الله (١) ، وذلك ان ابي كان طبيباً في خدمته ، وكان مكيناً عنده ، رفيع المنزلة في ايامه . قال : وكنت صبياً في ذلك الوقت فكان ابي يهب لي في كل يوم دراهم ، واجلس عند باب الدار التي لنا ، واقصد جماعة في كل نهار ، حتى تمرنت وصارت لي دربة جيدة في الفصد ، وكنت قد شدوت شيئاً من صناعة الطب ، فذكرني ابي عند الأمر واخبره بما انا عليه وانني اعرف صناعة الفصد ، ولي دربة جيدة بها . فاستدعاني ، فتوجهت اليه وانا بحالة جميلة من اللبس الفاخر والمركوب الفاره المتحلي بمثل الطوق الذهب وغيره . وانني لما دخلت اليه القصر مشيت مع ابي حتى صرنا بين يديه فقبلت الارض وخدمته . فقال لي : افصد هذا الاستاذ وكان واقفاً بين يديه . فقلت : السمع والطاعة . ثم جئته بطشت فضة وشدت عضده ، وكانت له عروق بيضاء الظهور ففصدته وربطت موضع الفصادة . فقال لي : احسنت وامر لي بانعام كثيرة وخلع فاخرة وصرت من ذلك الوقت مترددأ الى القصر ، وملازماً للخدمة . واطلقت لي من الجاري ما يقوم بكفائتي على افضل الاحوال التي اؤملها ، وقوات علي من الهبات والاطلاقات الشيء الكثير .

وحدثني اسمعيل الدين عبدالعزيز بن أبي الحسن : ان الشيخ السديد حصل له في يوم واحد من الخلفاء في بعض معالجاته لاحد ثلثون الف دينار . وقال لي القاضي نقيس الدين بن الزبير عنه انه لما طهر ولندي الحافظ لدين الله (٢) ، حصل له في ذلك الوقت من المال نحو خمسين الف دينار واكثر من ذلك ، سوى ما كان في المجلس من اواني الذهب والفضة فانها وهبت جميعها له وكانت له هبة عالية وانعام عام .

حدثني الشيخ رضي الدين الرحي قال : لما وصل المهذب بن النفاش الى الشام من بغداد ، وكان

(١) ابو علي الامر بإحكام الله (١١٠١-١١٣٠) وهو تابع الخلفاء الفاطميين .

(٢) ابو اليمون (١١٣٠-١١٤٩) وهو حاشر الخلفاء الفاطميين .

فاضلاً في صناعة الطب ، أقام بدمشق مدة ، ولم يحصل له بها ما يقوم بكفافته ، وسمع بالديار المصرية وانما الخلفاء فيها وكرمهم واحسانهم الى من يقصدهم ولا سيما من ارباب العلم والفضل وثقت نفسه الى السفر ، وتوجهت امانيه الى الديار المصرية . فلما وصلها أقام بها اياماً ، وكان قد سمع بالشيخ السديد طبيب الخلفاء ، وما هو عليه من الافضل وسعة الحال ، والاخلاق الجميلة والمروءة العزيرة . فمشى الى داره وسلم عليه ، وعرفه بصناعته ، وانه انما اتى قاصداً اليه ، ومفوضاً كل اموره لديه ومعتزفاً من بحر علمه ، ومعتزفاً بان مهبا يصله من جهة الخلفاء فانها هو من يره ، ويكون ممتداً له بذلك في سائر عمره . فتلقاه الشيخ السديد بما يليق بمثله واكرمه غاية الاكرام . ثم بعد ذلك قال له : **وكم تفر ان يطلق لك من الجامعة إذا كنت مقيماً بالقاهرة ؟** فقال : يا مولانا يكفيني مهاترا وما تأمر به . فقال له : قل بالجملة . فقال : والله ان اطلق لي في كل شهر من الجاري عشرة مائة مصرية فاني اراها خيراً كثيراً . فقال له : لا ، هذا القدر ما يقوم بكفابتك على ما ينبغي ، انا اقول لو كيلي ان يوصلك في كل شهر خمسة عشر ديناراً مصرية وقاعة قريبة مني تسكنها ، وهي بجميع فرشها وطرحها وجارية حسناء تكون لك . ثم أخرج له بعد ذلك خبطة فاخرة البسة اياها وأمر القلام ان يأتي له ببغلة من اجود دوابه فقدمها له ، ثم قال له : هذا الجاري يصلك في كل شهر وجميع ما تحتاج اليه من الكتب وغيرها فهو يأتيك على ما تختاره ، واريد منك اننا لا نخلو من الاجتماع والانس وانك لا تطاول الى شيء آخر من جهة الخلفاء ، ولا تتردد الى احد من ارباب الدولة . فقبل ذلك منه ، ولم يزل ابن القماش مقيماً في القاهرة على هذه الحال ، الى ان رجع الى الشام ، وأقام بدمشق الى حين وفاته .

اقول : وكان الشيخ السديد قد قرأ صناعة الطب واشتغل على ابي نصر عثمان بن العيين زري . ولم يزل الشيخ السديد مبيحاً عند الخلفاء ، واحواله تسمى ، وحرمة عندهم تزايدت من حين الامر بأحكام الله الى آخر ايام العاضد^(١) بالله ، وذلك أنه كان وهو صبي مع ابيه في خدمة الامر بأحكام الله ، وهو أبو المنصور بن أبي القاسم أحمد المستعلي بالله بن المستنصر ، الى ان استشهد الامر في يوم الثلاثاء رابع ذي القعدة من سنة أربع وعشرين وخمسة بالجزيرة . وكانت مدة خلافته ثمانية وعشرين سنة وتسعة اشهر وايام . ثم بقي في خدمة الحافظ لدين الله ، وهو أبو الميمون عبد المجيد بن الامير أبي القاسم محمد بن الامام المستنصر بالله ويوم للحافظ يوم استشهد الامر ، ولم يزل في خدمة الحافظ الى ان انتقل في اليوم الخامس من جمادى الآخرة من سنة أربع وأربعين وخمسة . ثم خدم بعده للظافر بأمر الله وهو أبو منصور اسمعيل بن الحافظ لدين الله ويوم له في ليلة صباحها الخامس من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسة عند انتقال والده ، ولم يزل في خدمته الى ان استشهد الظافر بأمر الله وذلك في التاسع والعشرين من المحرم سنة تسع وأربعين وخمسة .

ثم بعد ذلك خدم الفائز بنصر الله ، وهو أبو القاسم عيسى بن الظافر بأمر الله ، ويوم له في الثلاثين من المحرم سنة تسع وأربعين وخمسة ، ولم يزل في خدمته الى ان انتقل الفائز بنصر الله في

(١) آخر الخلفاء النساطيين .

سنة (*) وخمسائة ، ثم خدم بعده العاضد لدين الله وهو ابو محمد عبد الله بن المولى بن أبي الحجاج يوسف بن الامام الحافظ لدين الله ، ولم يزل في خدمة العاضد لدين الله الى ان انتقل في التاسع من المحرم سنة سبع وستين وخمسائة ، وهو آخر الخلفاء المصريين ، وخدمهم وقال في أيامهم من العطايا السفينة والمئة الف اوقية خمس خلفاء: الامر والحافظ والظافر والفائز والعاضد . ثم لما استبد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب^(١) بالملك في القاهرة ، واستولى على الدولة كان يفتقد الشيخ السديد بالانعام الكثير ، والمبات المتواقة ، والجامكية السلية مدة مقامه بالقاهرة الى ان توجه الى الشام . وكان يستطبه ويعمل على وصفاته وما يشير به أكثر من بقية الاطباء ولم يزل الشيخ السديد رئيساً على سائر المتطببين الى حين وفاته . وكان يسكن في القاهرة عند باب زويلة في دار قد اعتنى بها وبولغ في تحسينها ، وسجرت عليه في اواخر عمره محنة . وذلك ان داره قد احترقت وذهب له فيها من الآلات والآلات والامثلة شيء كثير جداً ، ولما تهدم بعضها من النار وقمت براني كبار وخواليي بمثلثة من الذهب المصري ، وتكسرت وتناثر فيها بعد الحريق والمهدم منها الذهب الى كل ناحية ، وشاهد الناس وبعضه قد انسبك من النار وكان مقدار ذلك الوفا كثيرة جداً .

وحديثي القاضي نفيس الدين بن الزبير : ان الشيخ السديد كان قد رأى في منامه قبل ذلك بقليل ان داره التي هو ساكنها قد احترقت فاشتغل سره بذلك وعزم على الانتقال منها . ثم انه شرع في بناء دار قريبة منها ، وحث الصناع في بنائها ، وعند كمالها حيث لم يبق منها الا مجلس واحد وينتقل اليها احترقت داره التي كان ساكنها ، وذلك في السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وخمسائة ، والدار التي عمرها قريباً منها هي التي صارت بعده للصاحب صلي الدين بن شكر^(٢) وزير الملك العادل ابي بكر بن ايوب^(٣) ، وهي التي تعرف به الآن .

ونقلت من خط فخر الكتاب حسن بن علي ابن ابراهيم الجويني الكاتب في الشيخ السديد عند حريق داره وذهاب منقوساته بعزبه ، وكان صديقاً له وبينها أنس ومودة .

أيا من حق نعمته قديم على المرووس منا والرئيس
فكم عاف^(٤) أعدت له العوافي وكم عنا نضوت^(٥) لباس بوس
وإا من نفسه أعلى محلا . من المنفوس يعدم والتفيس

(٥) بياض الاصل . واحتشد اياها سنة اربع وخمسين .

(١) هو صلاح الدين الايوبي (١١٣٨-١١٩١) ولد في تكريت وتوفي في دمشق . وهو مؤسس الدولة الايوبية- ٢٠ هـ في مصر .

(٢) هو صلاح الدين الايوبي (١١٣٨-١١٩١) ولد في تكريت وتوفي في دمشق . وهو مؤسس الدولة الايوبية- ٢٠ هـ في مصر .

(٣) هو صلاح الدين الايوبي (١١٣٨-١١٩١) ولد في تكريت وتوفي في دمشق . وهو مؤسس الدولة الايوبية- ٢٠ هـ في مصر .

(٤) هالك .

(٥) راحت .

جرعت مرارة أحلى مذاقاً
فما بين ما عراك بتور تقوى
مصائبك بالذي أضحي ثوابا
عطاه الله يوم للمرض يسمو
هموم الخلق في الدنيا شراب
تروم الروح في الدنيا بمقل
وكل حوادث الدنيا يسير

لذلك من كبت^(١) خندريس^(٢)
خلاتك التي هي كالشموس
يربك البشر في اليوم العويس
مناقة عن المرض الحديس
يدور عليهم مثل الكؤوس
تري الارواح منها في حبوس
إذا بقيت حشاشات للتنفوس

(الوافر)

ونقلت أيضاً من خطه بما نظمه في مآثر القاضي السديد يميزاً البيتين عما فيه وما .

ولكل عافية طفت وقت فإن
صحتك المريض فانت من اوقاتها
فاسلم ليل من تملطه فقد
صحت بك الدنيا على علاها

(الكامل)

فعمل هذه الايات :

بك عرفت نفسي لتبد حياتها
وردت حياض الموت فاستنقذتها
وأعنت فائتها بقوة قادر
فلذاك شكرك بمد شكر إلهها
لله نفسك ما أتم ضياعها
تقوى تقر الروح في اوطانها
كم مثل مهجتي اختلست من الردى
وغرمتها برأ وبرءاً بعدما
وزعت عنها النزح وهو مدافع
ولكم بأذن الله عدت مودعا
يا من غدت ألفاظه لثلاوة القرآن تهدي البرء من فتنها
يا أيها القاضي السديد ومن غدا
يا من يعين العلم منه قريحة
لله فكرك مدركاً ما أكن في
يحيي طريق الروح من دعاره

سبحات مثرها عقيب ماها
بمشية الله بعد وفاتها
يسترجع الاشياء بعد فواتها
في سائر الاوقات من أوقاتها
ألمها تمام ام بركاتها
ونهى تجير النفس من آفاتها
فرددت عنها وهي في سكراتها
قذفت بها الامراض في غراتها
لنسم روح الروح عن لواتها
نفساً قدمت بها الى عادتها
يا من غدت ألفاظه لثلاوة القرآن تهدي البرء من فتنها
يا أيها القاضي السديد ومن غدا
يا من يعين العلم منه قريحة
لله فكرك مدركاً ما أكن في
يحيي طريق الروح من دعاره

(١) من اسماء الحرة ما فيها من سواد وحرة .

(٢) الجر القديس المستقى . (ن . د)

في هذا الايام لطائف
 ولكل عافية عفت وقت فانر
 فاسلم لاسلم من ثملته فقد
 ونقلت ايضا من خطه بما نظمه فيه وقد عالجته من بعض الامراض العظيمة الخطر فكتب اليه :
 اواصل شكرأ لست عنه بلاهي
 اعاد باذن الله روشي ولم اكد
 هو السيد القاضي السديد الذي به
 فغولا التناهي في البرايا لغلت ما
 تثير له المشكلات بصيرة
 زمام العواني والسقام بكفه
 لك الله يا عبد الاله فكم زهت
 تجل عن الماء الزلال وجعل ان
 خفيت عليهم انت من آياتها
 عدت المريض فانت من اوقاتها
 صحت بك الدنيا على علاها
 سفيراً غدا بيني وبين الهي
 اعود الى هذا الوجود ولاهي
 افاخر ارباب الملا وأباهي
 لاماده في المكرات تناهي
 فيه خفايا الغائبات كما هي
 له أمر في الفرقين وأباهي
 بهجتك الدنيا ولست براهي
 يقاس هواء منمش بمياه
 (الطويل)

وتوفي الشيخ السديد رحمه الله بالقاهرة في سنة الثنتين وتسعين وخمسةائة .

ابن جميع

هو الشيخ الموفق شمس الرياسة أبو المشائرية الله بن زين بن حسن بن افرائيم بن يعقوب بن
 اسحق بن جميع الاسرائيلي ، من الاطباء المشهورين ، والطباء المذكورين ، والاكابر المتبحرين . وكان
 متفنناً في العلوم ، جيد المعرفة بها ، كثير الاجتهاد في صناعة الطب ، حسن المعالجة ، جيد التصنيف .
 وقرأ صناعة الطب على الشيخ الموفق أبي نصر عثمان بن المين زربي ولزمه مدة . وكان مولد
 ابن جميع ومنشؤه بفسطاط مصر . وخدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظي في ايامه
 وكان رفيع المنزلة عنده ، عالي القدر ، نافذ الامر ، يمتد عليه في صناعة الطب ، وركب له الترياق
 الكبير الفاروق . وكان لابن جميع مجلس عام للذين يشتغلون عليه بصناعة الطب ، وذكر انه كانت
 كثير التحصيل في صناعة الطب ، متصرفاً في علمها ، فاضلاً في اعمالها

اقول : وما يؤيد ذلك ما مجده في مصنفاته ، فانها جيدة التأليف ، كثيرة الفوائد ، منتبهة
 العلاج . وكان له نظر في العربية ، وتحقيق للالفاظ القفوية . وكان لا يقرأ إلا وكتاب الصحاح ^(١)
 للجوهري ^(٢) حاضر بين يديه ، ولا تمر كلمة لغة لم يعرفها حتى المعرفة الا ويكشفها منه ، ويعتمد

(١) اسد الكتب القفوية مرتب على حروف الهجاء جمع فيه . و ألف كلمة .

(٢) هو ابو نصر اسحاق بن جاد الجوهري القاراني الامام في اللغة والادب . راعاه وروى عنه فانتقل الى الجامع القديم
 بليساوور وصعد سطحه وقال : ايا الناس اني قد علمت في الدنيا شيئاً لم اسبق اليه فاعمل في الآخرة امراً لم اسبق اليه . وضم
 الى جنبيه مصراعي باب وشدهما بحبل وصعد مكاناً عالياً وزعم انه يطير فوق فمات .

على ما اورده الجوهري في ذلك . وكنت يوماً عند الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح ^(١) في داره بدمشق ، وكان ذلك في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب ^(٢) صاحب البلاد المصرية والشامية . والصاحب جمال الدين يرمثه وزيره في سائر البلاد ، وهو صاحب السيف والقلم ، وفي خدمته مائتا فارس ، ومحاربنا الحديث وقفضل وقال لي : ما سبقك الى تأليف كتابك في طبقات الاطباء أحد . ثم قال لي : وذكرت اصحابنا الاطباء المصريين ؟ فقلت له : نعم . فقال : وكأني بك قد اشرت الى ان ما في الاطباء المتقدمين منهم مثل ابن رضوان ، وفي المتأخرين مثل ابن جميع ، فقلت له : صحيح يا مولانا

وحدثني بعض المصريين ان ابن جميع كان يوماً جالساً في دكانه عند سوق القناديل بفسطاط مصر وقد مرت عليه جنازة فلما نظر اليها صاح بأهل الميت ، وذكر لهم ان صاحبهم لم يمت ، وانهم امت دفنوه فاتماً بدفنوه حياً . قال : فبقوا ناظرين اليه كالتسعين من قوله ، ولم يصدقوه فيما قال . ثم ان بعضهم قال لبعض : هذا الذي يقوله ما يضرنا اننا نمتحه ، فان كان حقاً فهو الذي زیده ، وان لم يكن حقاً فما يتغير علينا شيء ؟ فاستدعوه اليهم وقالوا : بين الذي قد قلت لنا ، فأمرهم بالمسير إلى البيت ، وان ينزعوا عن الميت اكفانه ، وقال لهم : احملوه الى الحمام ، ثم سكب عليه الماء الحار ، وادحى بدنه ونظله بنظولات ، وغسله ، فرأوا فيه أدنى حس ، وتحرك حركة خفيفة . فقال : ابشروا بعافيتي ! ثم تم علاجه الى ان افاق وصلى ، فكان ذلك مبدءاً لثمنه بجموده الصناعة والعلم ، وظهرت عنه كالعجزة . ثم أنه سئل بعد ذلك من ابن علمت ان ذلك الميت ، وهو محمول وعليه الاكفان ان فيه روحاً ؟ فقال : اني نظرت الى قدميه فوجدتها قائمتين ، واقدام الذين قد ماتوا منبسطة ، فحدثت انه حي ، وكان حدسي صائباً اقول : وكان بمصر ابن المتجم المصري ، وكان شاعراً مشهوراً خبيث اللسان ، وله أهاجي كثيرة في ابن جميع ومن ذلك بما أنشدت له فيه .

| | |
|----------------------------|-------------------------|
| لأن جميع في طبعه حق | يسب طب المسبح من سببه |
| وليس يدري ما في الزجاجة من | بول مريض ولو تمض به |
| وأعجب الامر أغضه أبداً | أجرة قتل المريض من عصبه |
| (المنسرح) | |

وله أيضاً فيه :

| | |
|------------------------------------|------------------------|
| دعوا ابن جميع وبهتانه | ودعوا في الطب والمهتمة |
| فما هو الا رقيق ^(٣) أئى | وان حل في بلد أنحسه |

(١) ابو الحسن يحيى بن مطروح فاضل الخزانة في مصر ووزير السلطان نجم الدين أيوب الملك الصالح في دمشق (١١٩٧ - ١٢٥٢) .

(٢) أحد الملوك الايوبيين (١٢٥٧ - ١٢٤٩) بسط سلطانه على العراق واحتل دمشق واماره فلسطين من ايدى الصليبيين . وقطع الممالك انطاكية قيسر فطافوه ونصروه . (ن ر)

(٣) أئى .

وقد جعل الشرب من شأنه

ولكن كما تشرب النرجسه
(المتقارب)

وله أيضاً فيه :

كذبت وصمغت^(١) فيها ادعيت
وليس جميع اليهودي أباك

وقلت أبوك جميع اليهودي
ولكن أباك جميع اليهود

ونقلت من خط يوسف بن هبة الله بن مسلم قصيدة لنفسه، وهو يرثي بها الشيخ الموفق بن جميع وهي

أعيني بما تحوي من الدمع فاسجمي^(٢)
فحق بأن تذرفي على فقد سيد
وأفضل أهل العصر علماً ومؤدداً
وأهدام بالرأي والامر مبهم
وأرحبهم صدرأ وكفأ ومنزلاً
وأعجب من يمته لملحة
ولو كان يفتدى من حمام فديته
ويطش أسود كالأسود ترغسي
ولكن قضاء الله في الخلق غافد
وما رد بفراطا عن الموت طبه
ولا حاد جالينوس عن حشف يومه
لا كسر كسرى ثم تابع تبعاً^(٣)
فقل معلنأ للشامتين بيومه
تمر سفهات الرياح عواصفأ
وما سرح السرح الضيف حراكه
ألم يك ذا ورد النفوس يامرهما
فلا فرح الا ويغيبه الأسى
فقبها لدهر ردتا بسد ففده
أما عجب إذ غاله الحشف رامياً

وان نقلت منك الدموع فبالدم
فقدنا به فضل العلا والتكرم
وأفضلهم في مشكل القول مبهم
وأعلمهم بالغب علم تقهم
ووجهاً كعقل الصبح عند التبيم
وأعجب من أملت له لتالم
بنفس متى تقدم على الموت لقرم^(٤)
بهزة هندي وعزة لهلم^(٥)
فلا دافع للامر المتحكم
وقد كلف من اعيانه في التقدم
فسلم ما اعياء للتسلم
وعاد يعاد ثم جر يجرم^(٦)
فوز الجبل ان الجبل منك بآتم
فهل زعزت ضمناً نبات يلم^(٧)
بارض فكان الليث فيها بمجثم
فكل أخير تابع التقدم
ولا غاية البليات غير التهدم
حيارى بلا هاد حليف التبيم
وقد كان أرمى للخطوب بأسهم

(١) صف الكفة : اسطأ في قرامتها أو حرقها عن موضعها .

(٢) اسيلي وحسي كثيراً

(٣) تشدد شهورها لغاله .

(٤) الحاد القاطع مع السيوف والأسنة .

(٥) لقب ملك اليمن الاثمين رقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم .

(٦) قبيلة عربية من العرب الماربة جاءت من اليمن ونزلت مكة وعلقت كما هلكت ثمود وعاد .

(٧) ميقات أهل اليمن ، وهو جبل على مرحلتين من مكة . (ن) .

واهدى الى النباء الحقى بمله
 وارفع بيتا في القليل مكارما
 فيا أيها المولى الموفق أيها
 وما خال ذلك النطق أفصح مقول
 وما أخذ الحس الذي توقدا
 لعمرك ما قلب الشجي كغيره
 ولا كل من أجرى الدماغ فاكل
 فلا تمدوني ان بكيت تأسفا
 ورواه ما وفيت واجب حقه
 واني لافني مدة العمر والها
 فويح المنايا ما درت كنه حادث
 نرى بين أحجار اللرى ولقد غدى
 وطلق الهيا رائق البشر باسم
 وقد كنت أهديه اللثاء مبيلا
 فيا قبره الوضاح لم يدور ما حوى
 سقاك من الومى^(١) كل سحابة
 ولا زال منك القشر يأرج عرقه

(الطويل)

ولان جميع من الكتب : كتاب الارشاد لمصالح النفس والاجساد أربع مقالات . كتاب التصريح
 بالمكنون في تنقيح القانون . رسالة في طبع الاسكندرية وحال هواها ومياها ونحو ذلك من أحوالها
 وأحوال أهلها . رسالة الى القاضي المكين أبي القاسم علي بن الحسين فيا يمتدده حيث لا يجد طيبيا .
 مقالة في الليمون وشرابه ومنافه . مقالة في الراوند ومنافه . مقالة في الحديبة . مقالة في علاج
 القولنج ، واسمها الرسالة السيفيه في الادوية الماوكية .

أبو البيان بن المدور

لقب بالسديد ، وكان يهوديا قرأ علما بصناعة الطب ، حسن المعرفة بأعمالها وله مجربات كثيرة ،
 وآثار محمودة ، وشهد الخلفاء المصريين في آخر دولتهم وبمد ذلك خدم الملك الناصر صلاح الدين ، وكان
 يرى له ويعتمد على معالجته ، وله فيه حسن ظن ، وكانت له منه الجامعة الكثيرة والافتقار للتوفير . وعمر
 الشيخ أبو البيان بن المدور وتعمل في آخر عمره من الكبر والضعف ، من كثرة الحركة والتدرد الى الخدمة ،

(١) اول مطر الربيع .

فاطلق له الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله في كل شهر أربعة وعشرين ديناراً مصرية تصل اليه، ويكون ملازماً لبيته، ولا يكلف خدمة. وبقي على تلك الحال وجامعيته تصل اليه نحو عشرين سنة. وكان في مدة انقطاعه في بيته لا يجزل بالاشتغال في صناعة الطب، ولا يجنل موضعه من التلاميذ والمشتغلين عليه والمستوصفين منه. وكان لا يمضي الى احد لمعالجته في تلك المدة الا من يمن عليه جداً. ولقد بلغني عنه من ذلك ان الامير ابن منفذ لما وصل من اليمن، وكان قد عرض له استسقاء بئث اليه ليأتيه ويعالجه بالمعالجة فاحتذر اليه على قرب موضعه منه، ولم يمض اليه دون ان بئث اليه القاضي الفاضل وكيله ابن سناء الملك، وقصده في ذلك حتى مضى اليه ووصف له ما يعتمد عليه في المداواة. وحاش أبو البيان ابن المدور ثلاثاً وعشرين سنة، وتوفي في سنة ثمانين وخمسةائة بالقاهرة. وكان من تلاميذه زين الحساب. ولاي البيان بن المدور من الكتب : مجرياته في الطب .

أبو الفضائل بن الناقذ

لقبه المذهب . كان طبيباً مشهوراً ، وعالماً مذكوراً . له العلم الوافر ، والاعمال الحسنة ، والمداواة الفاضلة . وكان يهودياً مشتهراً بالطب والكحل ، إلا أن الكحل كان أغلب عليه . وكانت كثير الماش ، عظيم الاشتهار ، حتى ان الطلبة والمشتغلين عليه كانوا في أكثر اوقاته يفرؤون عليه ، وهو راكب وقت مسيره وافتقاده للرضى . وتوفي سنة أربع وثمانين وخمسةائة بالقاهرة ، وأسلم ولده أبو الفرج ، وكان طبيباً وكعالاً أيضاً .

وحدثني أبي قال : كان قد أتى الى أبي الفضائل بن الناقذ صاحب له من اليهود ، ضعيف الحال ، وطلب منه ان يرفده بشيء فأجلسه عند داره وقال له : معاشي اليوم بختك ورزقك . وركب ودار على المرضى والذين يكحلهم ولما عاد أخرج عدة الكحل وفيها قراطيس كثيرة مصرورة ، وشرع يفتح واحدة واحدة منها فنها ما فيها الدينار والاكثر ، ومنها ما فيها دراهم مصرية ، وبعضها فيها دراهم سواد فاجتمع من ذلك ما يكون قيمته الجمة نحو ثلثائة درهم سواد فأعطاهما ذلك الرجل . ثم قال والله جميع هذه الكواغد ما أعرف الذي اعطاني الذهب أو الدرهم ، أو الكثير منها أو القليل بل كل من اعطاني شيئاً أجهل في عدة الكحل ، وهذا يدل على معاش زائد وقبول كثير .

ولاي الفضائل بن الناقذ من الكتب : مجرياته في الطب .

الرئيس هبة الله

كان امراًئيلياً فاضلاً مشهوراً بالطب ، جيد الاعمال ، حسن المعالجة . وكان في آخر دولة الخلفاء المبرزين ، وخدمهم بصناعة الطب، وكانت له منهم الجامكية الوافرة والصلات المتواليه . ثم انقضت دولتهم وبقي بدمع يعيش قياً أنعموا به عليه الى ان توفي ، وكانت وفاته في سنة خمسائة ونيّف وثمانين

الموفق بن شوعة

كان من أعيان العلماء وأفاضل الأطباء ، اسراييلي مشهور باتقان الصناعة وجودة المعرفة في علم الطب والكحل والجراح . كان دمثاً خفيف الروح كثير المجون ، وكان يشعر ويلعب بالقيارة ، وخدم الملك الناصر صلاح الدين بالطب لما كان بمصر ، وعلت منزلته عنده . وكان بدمشق فقيه صوفي صاحب محمد بن يحيى وسكن خانقاه السيمساطي كان يعرف بالخبوشاني ويلقب بالنجم ، وله معرفة بنجم الدين أيوب وبأخيه أسد الدين . وكان الخبوشاني ثقيل الروح ، قشفاً في العيش ، يأساً في الدين ، يأكل الدنيا بالناموس ؛ ولما صعد أسد الدين مصر تبعه ونزل بمسجد عند دار الوزارة يعرف اليوم بمسجد الخبوشاني ؛ وكان يثلب أهل القصر ويجعل تسليحه سبهم . وكان سلطاً ، ومتى رأى ذمياً راكباً قصد قتله فكانوا يتحامونه . ولما كان في بعض الأيام رأى ابن شوعة وهو راكب فرماه بحجر أصاب عينه فقلعها ، وتوفي ابن شوعة بالقاهرة في سنة تسع وسبعين وخمائه .

ومن شعر الموفق بن شوعة أنشدني القاضي نفيس الدين بن الزبير قال : أنشدني الموفق بن شوعة لنفسه ، فمن ذلك قال في النجم الخبوشاني لما قلع عنه :

| | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| لا تصبجوا من شمع الشمس إذ حسرت | منه العمون وهذا الشأن مشهور |
| بل اعجبوا كيف أعمى مقلتي نظري | لنجم وهو ضئيل الشخص مستور |

(البسيط)

وانشدني أيضاً قال : أنشدني المذكور لنفسه وهو ابن جميع اليهودي .

| | |
|------------------------------|-----------------------------------|
| يا أيها المدعي طباً وهندسة | أوضحت يا ابن جميع واضح الزور |
| ان كنت بالطب ذا علم فلم عجزت | قواك عن طب داه فيك مستور |
| تحتاج فيه طبيباً ذا معالجة | ببيض طولك شيران مطرور |
| هذا ولا تشقي منه فقل وأجب | عن ذا السؤال بتميز وتقدير |
| ما هندسي له شكل تميم به | وليس رغب فيه غير منشور |
| بحجم اسطواني على اكر | تألفت بين مخروط وقنبر |
| | . . . فهو كمثل الجبل في البير (*) |

(البسيط)

وقال أيضاً

| | |
|---------------------------|-----------------------------|
| وروضة جادها صوب الريح فقد | جادت علينا يورثي لم تحكه يد |
| كان أصغرها الزاهي وأبيضها | فأبر وورق بكف الريح تلتد |

(د) يياض بالأصل في الومضين .

ولاح نشر خزائنها بما كتبت ولوح قريحاً شجواً بما يمد
(البسيط)

ابو البركات بن القضاعي

لقبه الموفق ، وكان من جملة الاطباء المهرة والمتميزين في صناعة الطب . وكان مشكوراً في علمها ، مشهوراً بمجودة المعرفة في عملها . وكان يماني ايضاً صناعة الكحل والجراح ، ويعد من الافاضل فيها . وخدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين في الديار المصرية وتوفي ابو البركات بن القضاعي بالقاهرة في سنة ثمان وتسعين وخمسةائة .

ابو المعالي بن تمام

هو ابو المعالي تمام بن هبة الله بن تمام ، يهودي ، غزير العلم ، وافر المعرفة . وكان مشهوراً في الدولة ، موصوفاً بالفضل ، مشكوراً بالمعالجة . وكان مقيماً بفسطاط مصر . واسلم جماعة من أولاده . وكان ابو المعالي قد خدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وحظي في أيامه ، وخدم أيضاً بعد ذلك لاختيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب^(١) . ولا في المعالي بن تمام من الكتب : تماثيل ومجربات في الطب .

الرئيس موسى

هو الرئيس ابو عمران موسى بن ميمون القرطبي . يهودي ، عالم بسنن اليهود ، ويعد من أحبارهم وفضلائهم . وكان رئيساً عليهم في الديار المصرية . وهو أواحد زمانه في صناعة الطب . وفي أعمالها ، متفنن في العلوم ، وله معرفة جيدة بالفلسفة . وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدين يرى له ويستطبه ، وكذلك ولده الملك الافضل علي . وقيل ان الرئيس موسى كان قد أسلم في المغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه . ثم انه لما توجه الى الديار المصرية واقام بفسطاط مصر ارتد . وقال القاضي السعيد بن سناء الملك يمدح الرئيس موسى .

| | |
|----------------------------|-------------------------------|
| أرى طب جالينوس للجسم وحده | وطب أبي حنبل للعقل والجسم |
| فلو انه طب الزمان بملء | لا يراه من داء الجهالة بالعلم |
| ولو كان يدر التم من يستطبه | لتم له ما يدهيه من التم |

(١) من الامراء الايوبيين وقد ورد ذكره نيا تقدم .

وداواه يوم التم من كلف به وأبرأه يوم الصرار من السقم

(الطويل)

والرئيس موسى من الكتب : اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس . مقالة في الجواسير وعلاجها . مقالة في تدبير الصحة صفها للملك الافضل علي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب . مقالة في السموم والتحرز من الادوية القتالة . كتاب شرح العقار . كتاب كبير على مذهب اليهود .

ابراهيم بن الرئيس موسى

هو أبو المنى ابراهيم بن الرئيس موسى بن ميمون ، منشؤه بفسطاط مصر ، وكان طبيباً مشهوراً عالمًا بصناعة الطب ، جيداً في اعمالها . وكان في خدمة الملك الكامل^(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب ويردد ايضاً الى البيارستان الذي بالقاهرة من القصر ، ويمالج المرضى فيه . واجتمعت به سنة احدى وثلاثين او اثنتين وثلاثين وسبائة بالقاهرة وكنت حينئذ أطب في البيارستان بها فوجدته شيخاً طويلاً نحيف الجسم ، حسن المشرة ، لطيف الكلام ، متميزاً في الطب . وتوفي ابراهيم بن الرئيس موسى بمصر في سنة (*) وثلاثين وسبائة .

ابو البركل بن شعيا

ولقبه الموفق شيخ مشهور ، كثير التجارب ، مشكور الاعمال في صناعة الطب . وكان يهودياً قراء عاش سنًا وثمانين سنة وتوفي بالقاهرة ، وخلف ولداً يقال له سعيد الدولة أبو القصر ، وهو طبيب ايضاً ، ومقامه بالقاهرة

الاسعد الحلبي

هو اسعد الدين يعقوب بن اسحق . يهودي من مدينة الحلة^(٢) من اعمال ديار مصر ، متميز في الفضائل ، وله اشتغال بالحكمة ، واطلاع على دقائقها ، وهو من المشهورين في صناعة الطب ، والحيرين بالداواة والعلاج . وأقام بالقاهرة ، وسافر في ازل سنة ثمان وتسعين وخمسة الى دمشق . واقام بها مدينة ، وجرت بينه وبين بعض الافاضل من الاطباء بها مباحث كثيرة ونكد ، ورجع بعد ذلك الى الديار المصرية وتوفي بالقاهرة . ومن نوادره في حسن الداواة انه كان بعض اهله من النساء قد عرض لها مرض وتغير مزاج ، وتطاول بها ولم ينفع فيها علاج فلما افتقدما قال لمعي ، وكان صديقه عندي اقراص قد ركبته لهذا المرض خاصة وهي كبراً بها ان شاء الله ، تكون تناول في كل يوم بالقدادة منها قرصاً مع شراب سكتيجين ، واعطاء الاقراص فلما تناولتها برأت .

(١) ابن الملك المنادى (١١٨٠ - ١٢٣٨) وسكن سنة (١٢١٨) دخل اليه ثم بناء القلعة في القاهرة .

(٢) اظن انها الحلة الكبرى وهي مدينة في مصر على دلتا النيل (د . و)

وللامجد الحلي من الكتب : مقالة في قوانين طبية وهي ستة ابواب . كتاب المزه في حل ما وقع من ادراك البصر في المرايا من الشبه . كتاب في مزاج دمشق ووصفها وتفاوتها من مصر ، وانها اصح واعدل ، وفي مسائل آخر في الطب واجوبتها وهو يحتوي على ثلاث مقالات . مسائل طبية واجوبتها سأها لبعض الاطباء بدمشق ، وهو صدقة بن ميكا بن صدقة السامري .

الشيخ السديد بن أبي البيان

هو سديد الدين ابو الفضل داوود بن ابي البيان سليمان بن ابي الفرج اسرائيل بن ابي الطيب سليمان ابن مبارك اسرائيلي ، قراء ، مولده في سنة ست وخسين وخمسائة بالقاهرة . وكان شيخاً عميقاً للصناعة الطبية ، متقناً لها ، متميزاً في علمها وعملها ، خبيراً بالادوية المفردة والمركبة . ولقد شاهدت منه حيث نمالج المرضى بالبيارستان الناصري بالقاهرة من حسن تأنيه لمعرفة الامراض وتحقيقها ، وذكر مداواتها ، والاطلاع على ما ذكره جالينوس فيها ما يصعب عن الوصف . وكان اقدر اهل زمانه من الاطباء على تركيب الادوية ومعرفة مقاديرها واورانها على ما ينبغي ، حتى انه كان في اوقات يأتي اليه من المستوصفين من به امراض مختلفة او قلبية الحدوث ، فكان يملئ صفات ادوية مركبة بحسب ما يحتاج اليه ذلك المريض من الاقراص والسفوفات والاشربة او غير ذلك في الوقت الحاضر ، وهي في نهاية الجودة وحسن التأليف . وكان شيخه في صناعة الطب الرئيس هبة الله بن جميع اليهودي . وقرأ أيضاً على ابي الفضائل بن الناقذ . وكان الشيخ السديد بن أبي البيان قد عدم الملك المادل ابا بكر ابن أريب ووجدت لبعضهم فيه :

اذا اشكل الداء في باطن أتى ابن بيان له بالبيان
فان كنت مريض في صفة فخذ لسقامك منه الامان

(المقارب)

وعاش فوق الثلاثين سنة ، وكان قد ضعف بصره في آخر عمره .

والشيخ السديد بن أبي البيان من الكتب : كتاب الاقرباذين ، وهو اثنا عشر باباً قد أجساد في جمعه ، وبالغ في تأليفه واقصر على الادوية المركبة المستعملة المتداولة في البيارستانات بمصر والشام والمراق وحوانيت الصيدالة ، وقرأته عليه وجمته معه . تعاليت على كتاب الملل والاعراض لجالينوس .

جمال الدين بن أبي الحوافر

هو الشيخ الامام العالم أبو عمرو عثمان بن هبة الله بن أحمد بن عقيل القيسي ، ويعرف بابن أبي الحوافر . أفضل الاطباء ، وسيد العلماء ، وأوحد العصر ، وفريد الدرر . قد اتقن الصناعة الطبية ،

وتميز في اقسامها العلمية والعملية . وله اشتغال جيد بعلم الادب وعناية فيه ، وله شعر كثير صحيح المبانى ، بديع المعاني . وكان رحمه الله كثير المروءة ، غزير العربية ، معروف بالافضال ، موصوفاً بحسن الخلال ، قد غر بإحسانه الخاص والعلم ، وشملهم بكثرة الانعام . مولده ومثواه بدمشق . واشتغل بصناعة الطب على الامام مذهب الدين بن النقاش وعلى الشيخ رضي الدين الرحي . وخدم بصناعة الطب الملك العزيز^(١) عثمان بن الملك الناصر صلاح الدين ، واقام معه في الديار المصرية ، وولاه ريادة الطب ولم يزل في خدمته ، وهو كثير الاحسان اليه والانعام عليه ، الى ان توفي الملك العزيز رحمه الله . وكانت وفاته ليلة الاحد العشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسة بالقاهرة . وبقي هو مقبلاً بالديار المصرية وقطن بها . ثم خدم بعد ذلك الملك الكامل^(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب ، وبقي معه سنتين . وتوفي جمال الدين بن أبي الحوافر رحمه الله بالقاهرة .

وحديثي بعض أصدقائه قال ، كان يوماً راكباً فرأى في بعض النواحي على مصطبة بيع حصص مسلوقة ، وهو قاعد ، وقدامه كحال يهودي ، وهو واقف ، ويده المكحلة والميل ، وهو يكحل ذلك البياع . فعين رآه على تلك الحال ساق بقلته نحوه وضربه بالقرعة على رأسه ، وشتمه . وعندما مشى معه قال له اذا كنت أنت سفة في نفسك ، أما للصناعة حرمة؟ كنت قدملت الى جانبه وكحلته ، ولا تبقى واقفاً بين يدي عامي بيع حصص . ا... فتأبى ان يعود يفعل مثل ذلك الفعل وانصرف .

اقول : واشتغل على الشيخ جمال الدين بن أبي الحوافر جماعة ، وتميزوا في صناعة الطب ، وأفضل من اشتغل عليه منهم ، وكان أجمل تلامذته وأعلمهم عي الحكيم رشيد الدين علي بن خليفة رحمه الله

فتح الدين بن جمال الدين بن أبي الحوافر

كان مثل أبيه جمال الدين في العلم والفضل والتباهة . تزيه النفس ، صائب الحدس ، أعلم الناس بمعرفة الامراض ، وتحقيق الاسباب والاعراض . حسن العلاج والمداواة ، لطيف التدبير والمداواة . عالي الهمة ، كثير المروءة . فصيح اللسان ، كثير الاحسان . وخدم بصناعة الطب الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب ، وبعد الملك الصالح نجم الدين^(٣) أيوب ابن الملك الكامل محمد ، وتوفي رحمه الله في أيامه بالقاهرة .

شهاب الدين بن فتح الدين

هو سيد العلماء ورؤساء الاطباء ، علامة زمانه ، وأوحد أوانه . قد جمع الفضائل ، وتميز على الاواخر والاولائل ، ورائق الصناعة الطبية علماً وعملاً ، وحررها تفصيلاً وجلالاً ، وهو علامة وقته في

(١) تولى الحكم سنة (١١٩٣)

(٢) تولى الحكم سنة (١٢١٨)

(٣) تولى الحكم سنة (١٢٤٠)

حفظ الصحة ومراعاتها ، وإزالة الامراض وعلاجاتها . وقد اقتنى سيرة آيائه ، وفاق نظرائه في مجته وإياه .

ورث المكارم عن أبيه وجده كالرمح انبوساً على انبوب ومقامه في الديار المصرية ، وخدم بصناعة الطب الملك الظاهر ركن الدين بيبرس^(١) الملك الصالح صاحب الديار المصرية والشامية .

القاضي نفيس الدين بن الزبير

هو القاضي الحكيم نفيس الدين أبو القاسم هبة الله بن صدقة بن عبد الله الكرولي ، والكولم من بلاد الهند ، وهو ينسب من جهة أمه إلى ابن الزبير الشاعر المشهور الذي كان بالديار المصرية . وهو القائل :

يا رباع أين ترى الاحبة يموا هل أشهدوا^(٢) من بعدنا أو أنهموا^(٣)

ومولد القاضي نفيس الدين في سنة خمس أو ست وخمسين وخمسة ، وقرأ صناعة الطب على ابن شوعة أولاً ، وقرأ بعد ذلك على الشيخ السديد رئيس الطب ، وتميز في صناعة الطب وحاول أعمالها ، واتن أيضاً صناعة الكحل ، وعلم الجراح . وكثرت شهرته بصناعة الكحل ، وولاه الملك الكامل ابن الملك العادل رئاسة الطب بالديار المصرية ، ويكحل في البيارستان الناصري الذي كان من جملة القصر للخلفاء المصريين . وتوفي القاضي نفيس الدين بن الزبير رحمه الله بالقاهرة في سنة ست وثلاثين وستائة ، وله أولاد مقيمون في القاهرة ، وهم من المشهورين بصناعة الكحل والتميزين في علمها وعملها .

أفضل الدين الخولنجي

هو الإمام العالم ، الصدر الكامل ، سيد العلماء والحكماء ، أوجد زمانه ، وعلامة أوانه ، أفضل الدين أبو عبد الله محمد بن تامار الخولنجي . قد تميز في العلوم الحكيمة ، واتن الأمور الشرعية . قوي الاشتغال كثير التحصيل . اجتمعت به بالقاهرة في سنة اثنتين وثلاثين وستائة فوجدته الغاية القصوى في سائر العلوم . وقرأت عليه بعض الكليات من كتاب القانون للرئيس ابن سينا ، وكانت في بعض الاوقات يعرض له انشدها خاطر لكثرة انصباب ذهنه إلى العلم ، وتوفر فكرته فيه . وفي آخر أمره تولى القضاء بمصر ، وصار قاضي القضاة بها وبأعمالها . وكانت وفاته رحمه الله بالقاهرة يوم الاربعاء

(١) رابع السلاطين من المالك البعريين ملك (١٢٢٣-١٢٧٧) قهر المتول والالراج في موقعة عين جالوت بسوريا . وحطم قوى الصليبيين في الساحل . وغزا جنوده بلاد التوبة والبربر .

(٢) زول نجد ، وهي البلاد الانجليزية الواقعة في شمالي الجزيرة العربية

(٣) نزلوا عامة ، وهي البلاد الساحلية للبرية من جزيرة العرب (ن . د)

خامس شهر رمضان سنة ست وأربعين وستائة ودفن بالقرافة . وقال الشيخ عز الدين محمد بن حمد بن الفنوي الضرير الأربلي يوثقه

| | |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>قضى أفضل الدنيا فلم يبق فاضل فيا أيها الحبيب الذي جاء أخره ومستبطل العلم الخفي بفكرة وفاتح باب المشكلات بها لنا وحبراً اذا قيس البحار بعلمه فلبت المنايا عنه طاشت سهامها أتدري بمن قد سار حامل نعمته ومات فريداً في الزمان وأمله فان غيبوه في الثرى عن عيوننا وانت أفلت شمس المآلي بموته وما كنت أمدري ان للشمس في الثرى الى أن رأيناه وقد حل قبره</p> | <p>وماتت بموت الخونجي الفضائل فصل لنا ما لم تحمل الاوائل بها اتضحت للسائلين المسائل فلم يسم لولاه لها المتداول غدا علمه بجرأ وتلك الجدول وكانت اصيبت من سواء الحائل عداه أحيوه ومن هو حامل وبحر علوم ماله الدهر ساحل فما علمه خاف ولا الذكر خامل فما علمه عن طالب العلم زائل أقولاً وان البدر في الرب فذل قضينا بان البدر في السعد حاصل (الطويل)</p> |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

ولافضل الدين الخونجي من الكتب : شرح ما قاله الرئيس ابن سينا في النبض . مقالة في الحدود والوروم . كتاب المجلد في علم المنطق . كتاب كشف الاسرار في علم المنطق . كتاب الموجز في المنطق . كتاب ادوار الحيات .

ابو سليمان داود بن ابي المثنى بن ابي فانة

كان طبيباً نصرانياً بمصر في زمن الخلفاء ، وكان حظياً عندهم ، فاضلاً في الصناعة الطبية ، خبيراً بعملها وعملها ، متميزاً في العلوم . وكان من أهل القدس ، ثم انتقل الى الديار المصرية . وكانت له معرفة بالغة باحكام النجوم .

حدثني الحكيم رشيد الدين أبو حليقة بن الفارس بن أبي سليمان المذكور قال : سمعت الامير مجد الدين أنشأ الفقيه عيسى ، وهو يحدث السلطان الملك الكامل بشرمساح عند حضوره اليه ، بعد وفاة الملك العادل ، ولزول الفرنج على ثغر دمياط ^(١) من أحوال جدي أبي سليمان داود ما هذا نصه قال : كان الحكيم أبو سليمان في زمان الخلفاء ، وكان له خمسة اولاد ، فلما وصل الملك ماري الى الديار المصرية أعجبه طبعه فطلبه من الخليفة بها ، ونقله هو وأولاده الخمسة الى البيت المقدس ، ونشأ

(١) مدينة في مصر على نهر النيل . حاصرها الصليبيون وقتلوا ثم ردم عنها الملك الكامل (ن.د)

للك مارى ولد مجتم فركب له الترياق الفاروقى بالبيت المقدس ، وجره وترك ولده الأكبر وهو الحكيم المنهب أبو سعيد خليفته على منزله وأخوته .

واتفق ان ملك الفرنج المذكور بالبيت المقدس أسر الفقيه عيسى ، ومرض قسره الملك لمداواته ، فلما وصل اليه وجده في الجب مثلاً بالحديد فرجع الى الملك وقال له : ان هذا الرجل ذو نعمة ، ولو سقيته ماء الحياة وهو على هذا الحال لم يلتفت به . قال الملك : فما أقمل في امره ؟ قال : يطلعه الملك من الجب ويفك عنه حديدته ويكرمه فما يحتاج الى مداواة أكثر من هذا . فقال الملك : تخاف ان يهرب وقطيعته كثيرة . قال الملك : سله الي وخيمانه علي . فقال له : تسله واذا جاءت قطيعته كان لك منها ألف دينار . فمضى وشاله من الجب وفك حديدته ، وأخلى له موضعاً في داره اقام فيه ستة أشهر يخدمه فيها أتم خدمة . فلما جاءت قطيعته طلب الملك الحكيم أبو سعيد ليحضر له الفقيه المذكور فعرض وهو صعبته ، ووجد قطيعته في الكياس بين يديه فاعطاه منها الكيس الذي وعده به . فلما أخذه قال له : يا مولانا هذه الالف دينار قد صارت لي أنصرف فيها تصرف الملاك في املاكهم ؟ فقال له : نعم . فاعطاهما للفقيه في المجلس وقال له : أنا أعرف ان هذه القطيعة ما جاءت إلا وقد تركت خلفك شيئاً وربما قد تدني لك شيئاً آخر فتقبل مني هذه الالف دينار اعانة نفقة الطريق . فقبلها الفقيه منه ، وصافر الى الملك الناصر .

واتفق ان الحكيم أبو سليمان داود المذكور ظهر له في احكام النجوم ان الملك الناصر يفتح البيت المقدس في اليوم الغلاني من الشهر الغلاني من السنة الغلانية ، وانه يدخل اليها من باب الرحمة ، فقال لاحد اولاده الحسة وهو الفارس أبو الخير بن أبي سليمان داود المذكور ، وكان هذا الولد قد تربى مع الولد المجتم ملك البيت المقدس ، وحله الفروسية ، فلما توج الملك ، فرسه وخرج المذكور من بين اخوته الاربعة الاطباء جندياً . وكان قول الحكيم أبي سليمان لولده هذا بان يمضي رسولا عنه الى الملك الناصر ، ويشره بملك البيت المقدس في الوقت المذكور . فامثل مرسومه ومضى إلى الملك الناصر ، فاتفق وصوله اليه في غرة سنة ثمانين وخمسة ، والناس يتنزهون بها وهم على قاميه ، فمضى الى الفقيه المذكور ففرح به غاية الفرح ، ودخل به الى الملك الناصر ، وأرسل اليه الرسالة عن أبيه ، ففرح بذلك فرحاً شديداً ، وانعم عليه بمائة سنية ، وأعطاه طناً أصفر ولشابة من رنكة . وقال له : متى يسر الله ما ذكرت اجمعوا هذا العلم الأصفر واللشابة فوق دارك فالخارة التي أتم فيها تسلم جميعاً في خفارة دارك . فلما حضر الوقت صح جميع ما قاله الحكيم المذكور فدخل الفقيه عيسى الى الدار التي كان مقيم بها ليحفظها ، ولم يسم من البيت المقدس من الامر والقتل ووزن القطيعة سوى بيت هذا الحكيم المذكور . وضاعف لاولاده ما كان لهم عند الفرنج ، وكتب له كتاباً الى سائر ممالكه برأ ومجراً بمساعتهم يجمع الحقوق اللازمة للتصاري ، فاعفوا منها الى الآن . وتوفي الحكيم ابو سليمان المذكور بعد ان استدعاه الملك الناصر اليه ، وقام له قائماً وقال له : أنت شيخ مبارك ، قد وصل النينا بشراك ، وتم جميع ما ذكرته فتمن علي . فقال له : اتنى عليك حفظ أولادي . فآخذ الملك الناصر اولاده واعتنى بهم ، واعطاهم للملك المعادل ، ووصاه بان يكرمهم ويكونوا من

الخواص عنده وعند أولاده ، وكان كذلك أقول : وكان فتح السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب للقدس في سابع وعشرين رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

أبو سعيد بن أبي سليمان

هو الحكيم مذهب الدين أبو سعيد بن أبي سليمان بن أبي المنى بن أبي فانة . كان فاضلاً في صناعة الطب ، عالماً بها ، متميزاً في أعمالها ، متقدماً في الدولة . وقرأ علم الطب على أبيه وعلى غيره . وكان السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب قد جمعه في خدمة ولده الملك المعظم ، وأكرمه غاية الأكرام وأمر أن لا يدخل قلعة من قلاع إلا ركباً مع صحة جسمه . فكان يدخل في قلاعه الأربعة كذلك ، وهي قلعة الكرك^(١) وقلعة جبر^(٢) وقلعة الرها^(٣) وقلعة دمشق . وخدم أبو سعيد بن أبي سليمان الملك الناصر صلاح الدين والملك العادل أيضاً بالطب . وانتقل إلى الديار المصرية ، وأقام بها إلى حين وفاته . ودفن في سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ، ودفن بدير الحنطية عند القاهرة

أبو شاعر بن أبي سليمان

هو الحكيم موفق الدين أبو شاعر بن أبي سليمان دارد ، وكان متقناً لصناعة الطب متميزاً في علمها وعملها جيد العلاج مكيئاً في الدولة وقرأ صناعة الطب على أخيه أبي سعيد بن أبي سليمان ، وتقرب بعد ذلك واشتهر ذكره . وكان السلطان الملك العادل قد جمعه في خدمة ولده الملك الكامل فبقي في خدمته ، وحظي عنده الحظوة العظيمة ، وتكفل عنه التمكن الكثير ، وقال في دولته حظاً عظيماً وكانت له منه إقطاعات ضياع وغيرها . ولم يزل يبدأ بفتحده بالهبات الوافرة ، والصلوات المتواترة . وكان أيضاً الملك العادل يعتمد عليه في المداواة ، ويصفه بحسن العلاج . وكان يدخل أيضاً في جميع قلاعه وهو ركب ، مثل قلعة الكرك وقلعة جبر وقلعة الرها وقلعة دمشق ، ثم قلعة القاهرة ، مع صحة جسمه . ولقد بلغ من أمره عند مكن الملك الكامل بقصر القاهرة المحروسة أن أسكنه عنده فيه . وكان الملك العادل ساكناً بدار الوزارة ، وأنه ركب ذات يوم على بفسلة التوبة التي له ، وخرج إلى بين القصرين فركب فرساً آخر وسير بفلته التي كان ركباً عليها إلى دار الحكيم المذكور بالقصر ، وأمر بركوبه عليها وخروجها من القصر ركباً ولم يزل ركباً بين القصرين إلى أن وصل إليه فأخذ يديه وسأله يتحدث معه إلى دار الوزارة ، وسائر الأمور يمضون بين يدي الملك الكامل . وللعرض ابن منقذ في أبي شاعر :

(١) قلعة في مدينة الكرك الأردنية . وكانت قاعدة المالك . وتشرف هذه قلعة على طريق الحج والتجارة .

(٢) قلعة قديمة سبهاها العرب دوسره على القرات بين رقة وديس .

(٣) قلعة في مدينة الرها . والرها بفتح يطلق عليها أيضاً اسم أروفا . وهي كاتبة بين التبرين في تركيا (ن . ر)

هذا الحكم أبو شاعر
خليفة بقرات في عصرنا
كثير المحبين والشاكر
وثانيه في علمه الباهر
(المقارن)

وتوفي أبو شاعر بن أبي سليمان في سنة ثلاث عشرة وسبئة ، ودفن بدير الخندق عند القاهرة

أبو نصر بن أبي سليمان

كان طبيباً عارفاً بصناعة الطب ، حسن المعالجة ، جيد العلاج . وتوفي بالكرك

أبو الفضل بن أبي سليمان

كان طبيباً مشكوراً في صناعة الطب ، عالماً بها ، متميزاً في المعالجة والمداواة . وكان أصغر اخوته وعمر من دونهم . كان مولده في سنة ستين وخمسة ، ووفاته في سنة أربع وأربعين وسبئة ، فسد حياته أربع وثلاثون سنة لم يبلغها أحد من اخوته وكان طبيباً للملك المعظم ^(١) ، مقيماً بالكرك . ثم خدم الملك الكامل بالديار المصرية وتوفي فيها

رشيد الدين أبو حليقة

هو الحكيم الاجل العالم رشيد الدين ابو الوحش بن الفارس ابى الخير بن ابى سليمان داود بن ابى المنى بن ابى فانة ، ويعرف بأبى حليقة . كان اواحد زمانه في صناعة الطب والعلوم الحكيمية ، متفنناً في العلوم والآداب ، حسن المعالجة ، لطيف المداواة ، رؤوفاً بالمرضى ، محباً لفعل الخير ، مواظباً للامور الشرعية التي هو عليها ، كثير العبادة . ولقد اجتمعت به مرات ، ورأيت من حسن معالجته وعشرته ، وكال مروه ما يفوق الوصف . واشتغل بصناعة الطب في اول امره على عمه مذهب الدين ابى سعيد بدمشق ، واشتغل بعد ذلك بالديار المصرية ، وقرأ ايضاً على شيخنا مذهب الدين عبدالرحيم ابن علي رحمه الله ، ولم يزل دائم الاشتغال ، ملازماً للقراءة . ومولده بقلمه جدير ، وذلك في سنة احدى وتسعين وخمسة . وخرج منها الى الرها وربى بها مدة سبع او ثمان سنين . وكان والده يلبسه لباس الجندي مثل لباسه ، وكان ساكتاً بدار يقال لها دار ابن الزعفراني عند باب شاع بالرها . وكانت هذه الدار ملاصقة لدار السلطان ، فالتقى ان الملك الكامل دخل فيها الحسام فاعطاه والده الفارس المذكور فاكهة وماء ورد . وأمره بحمله الى السلطان فحمه اليه فلما خرج من الحمام وقدمه اليه أخذه ودخل به الى الخزانة ، وفرغ تلك الاطباق الفاخرة وملأها له شقائق سنبة ، وسيرها مع غلامه لوالده وأخذ الملك الكامل بيده ، وكان عمره يومئذ نحو ثمان سنين ، ودخل الى الملك العادل . وعندما أبصره الملك العادل ، ولم يكن رآه قبلاً قط ، قال للملك الكامل : يا محمد هذا ابن الفارس ؟ لأنه

(١) الايمى (١١٨٠ - ١٢٢٨) قولى الحكم في دمشق واختلف مع اولاد صلاح الدين . (ن . د)

أخذه بالشبه ، فقال : نعم . قال : هاته الي . فحمله الملك الكامل ، ووضع بين يديه فمسك بيده وتحدث معه حديثاً طويلاً . ثم التفت الى والده ، وقد كان قائماً في خدمته مع جملة القيام وقال له : ولدك هذا ولد ذكي لا تقبله الجندية فالأجناد عندنا كثيرون ، وأنتم بيت مبارك ، وقد استبركنا بطبكم ، تسيره الى الحكيم أبي سعيد الى دمشق ليعرثه الطب . فامتثل والده الأمر وجهزه وسيره الى دمشق ، أقام فيها مدة سنة كاملة حفظ فيها كتاب الفصول لابن قراط ، وتقدمه المعرفة . ثم وصل الى القاهرة في سنة تسع وخمسة ، ولم يزل مقيماً بها . وخدم بصناعة الطب الملك الكامل ، وكان كثير الاحترام له ، حظياً عنده ، وله منه الاحسان الكثير ، والانعام المتصل ، وله خبزة^(١) بالديار المصرية . وهو الذي كان مقطوعاً باسم عمه موفق الدين أبي شاذي ، فانه لما توفي أبو شاذي جعل الملك الكامل هذا الخبز باسم رشيد الدين المذكور ، وهو نصف بلد يعرف بالعزيرية^(٢) والغربة^(٣) من اعمال الشرقية . ولم يزل في خدمة الملك الكامل الى ان توفي رحمه الله .

ثم خدم بعده ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب ، الى ان توفي الملك الصالح رحمه الله ، وخدم أيضاً ولد الملك الصالح بعد ذلك ، وهو الملك المعظم ترشاذ^(٤) . ولما قتل رحمه الله ، وذلك في يوم الاثنين سابع وعشرين المحرم سنة ثمان واربعين وسبعمائة ، وجاءت دولة الترك واستولوا على البلاد واحتوتوا على الممالك صار في خدمتهم واجروهم على ما كان باسمه . ثم خدم منهم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الملك الصالح ، وبقي في خدمته على عادته المستمرة ، وقاعدته المستقرة وله منه الاحترام التام وجزيل الانعام والاکرام . وللصالح رشيد الدين أبي حليقة نوادر في أعمال صناعة الطب ، وحكايات كثيرة تميز بها على غيره من جماعة الاطباء .

من ذلك انه مرضت دار من بعض الأدر السلطانية بالعباسية ، وكان من سيرته معه ان لا يشرك معه طبيباً في مداواته وفي مداواة من يعز عليه من دوره وأولاده ، فباشر مداواة المريضة المذكورة أياماً قلائل ، ثم حصل له شغل ضروري ألجأه الى ترك المريضة ، ودخل القاهرة وأقام بها ثمانية عشر يوماً . ثم خرج الى العباسية فوجد المريضة قد تولى مداواتها الاطباء الذين في الخدمة . ففلسا حضر وإشتر معهم قالوا له : هذه المريضة تموت والمصلحة ان نعلم السلطان بذلك قبل ان يفاجئ أمرها بقتل . فقال لهم : ان هذه المريضة عندي ما هي في مرضة الموت ، وانها تمانى بمشيئة الله تعالى من هذه المرضة . فقال له أحدم ، وهو أكبرهم سناً ، وكان الحكيم المذكور شاباً : لاني أكبر منك ، وقد باشرت من المرض أكثر منك فتوافقني على كتابة هذه الرقعة ؟ فلم يوافق . فقالت جماعة الحكماء لا بد لنا من المطالعة ، فقال لهم : إن كان لا بد لكم من هذه المطالعة فيكون بإسمائكم من دوني . فكتب اليه الاطباء بوبتها قسیر اليهم رسولاً ومعه نجار ليعمل لها تابوتاً يحمل فيه . ولما وصل الرسول

(١) المكان المسمى المنخفض من الأرض .

(٢) قرية في مصر ولا أدري ايها يريد فالعزيرية اسم لعدة قرى مصرية ولعلها بالشرقية .

(٣) قرية بالقرب من شونة الزبيب في مصر في جوارها القاض معبد ادريس .

(٤) ارطوران شاه ملك سنة ١٢٤٩ .

والنجار معه الى الباب ، والاطباء جلوس ، قال له الحكيم المذكور : ما هذا النجار ؟ قال : يعمل تاجوتاً لمريضكم . فقال له : تضعونها فيه وهي في الحياة ؟ فقال الرسول : لا ، لكن بعد موتها . قال له : ترجع بهذا النجار وتقول للسلطان عني خاصة انها في هذه المرضة لا تموت . فرجع وأخبره بذلك .

فلما كان الليل استدعاه السلطان بخادم وشيعة وورقة بخطه يقول فيها : ولد الفارس يحضر النبا ، لانه لم يكن بعد سمي أبا حليقة ، وانما سماه بذلك فيما بعد السلطان الملك الكامل . فانه كانت في بعض الأيام جالسا مع الاطباء على الباب ، فقال السلطان للخادم في أول مرة اطلب الحكيم ، فقال له يا خوند أي الحكماء هو ؟ فقال له ابو حليقة . فاشتهر بين الناس بهذا الاسم من ذلك اليوم الى حيث غطى غطى نمته ونمت عنه الذي كانوا يعرفون به ببني شاكر . فلما وصل اليه قال : أنت منعت عمل التاجوت ؟ فقال : نعم . قال : بأي دليل ظهر لك هذا من دون الاطباء كلهم ؟ قال له : يا مولانا ، لمرفتي مزاجها ولبوقات مرضها على التحرير من دونهم ، وليس عليها بأس في هذه المرضة . فقال له : امض وطبها واجعل بالك لها . فطب المذكورة وعوفيت . ثم أخرجها السلطان وزوجها وولدت من زوجها اولاداً كثيرين .

ومن جملة ما تم ايضاً له انه حكم معرفة نبض الملك الكامل حتى انه في بعض الايام خرج اليه من خلف الستارة مع الأعداء المرضى فرأى نبض الجميع ووصف لهم . فلما انتهى الى نبضه عرفه فقال هذا نبض مولانا السلطان ، وهو صحيح بحمد الله ، فتعجب منه غاية التعجب وزاد تمكنه عنده .

ومن حكاياته معه : انه أمره بعمل الترياق الفاروق فاشتغل بعمله مدة طويلة ، ساهراً عليه الليل حتى حقق كل واحد من مفرداته اسماً على مسمى بشهادة أئمة الصناعة ابقراط وجالينوس . وفي غضون ذلك حصل للسلطان نزلة على أسنانه فافصد بسببها وهو ببركة القيل يتفرج بها ، فطلع الى القلعة وتولى مداواته الاسد الطبيب بن أبي الحسن ، بسبب شغل المذكور بعمل الترياق . فعالجه الاسد مدة والحال كلها مر اشد ، فشكا ذلك للأسد فقال له ما بقي قدامي إلا الفصد . فقال له : افصد مرة اخرى ، ولي من الفصد ثلاثة أيام ، اطلبوا لي أبا حليقة . فحضر اليه وشكا له حاله ، وأعلمه ان ذلك الطبيب قد أشار عليه بالفصد واستشاره فيه أو في شرب دواء ، فقال : يا مولانا بذلك بحمد الله نقي ، والأمر أيسر من هذا كله . فقال له السلطان : ايش تقول لي أيسر ، وأنا في شدة عظيمة من هذا الألم لا أتم الليل ، ولا أقر النهار . فقال له : يسوك مولانا من الترياق الذي حله الملوكة في البرنية اللضة الصغيرة ، وتري ، إذن الله ، المعجب . وخرج الى الباب ، ولم يشمر إلا بورقة بخط السلطان قد خرجت اليه ، وهو يقول فيها يا حكيم ، استعملت ما ذكرته فزال جميع ما بي لوقت ، وكان ذلك بحضور الاسد الطبيب الذي كان يعالجه أولاً . فقال له : ونحن ما نصلح لمداواة الملوكة ، ولا يصلح لمداواتهم إلا انتم . ثم دخل الملك الكامل الى خزانته ، وبعث اليه منها خلعاً سنية وضمياً متوفرأ .

ومن حكاياته : انه لما طال عليه عمل الترياق الفاروق ، لتعلم حضور أدويته الصعيحة من الإفاق ،

عمل ترياقاً مختصراً توجد أدويته في كل مكان . ونوى انه لا يقصد به قرباً من ملك ، ولا طلب مال ولا جاماً في الدنيا ، ولا يقصد به الا التقرب الى الله بنفع خلقه اجمعين ، والشقة على سائر العالمين ، ويذله للمرضى فكان يخلص به الفلوجين ، ويقوم به الأيدي المتقوسة لوقت وساعته بحيث كان ينشئ في المصعب زيادة في الحرارة الغريزية ، وتقوية وإذابة البلغم الذي فيه فيجذب المريض الراحة به لوقته ، ويسكن وجع القولنج من بعد الاستفراغ ، لوقته . وانه مر على بواب الباب الذي بين السورين بالقاهرة الهروسة ، وهو رجل يعرف بعلي ، وهو ملقى على ظهره لا يقدر ان ينتصب من جنب الى جنب ، فشكا اليه حاله فأعطاه منه شربة ، وطلع القلعة وأبشر المرضى وعاد في الساعة الثالثة من النهار ، فقام الفلوج يمدو في ركابه يدعو له . فقال له : اقم ، فقال : يا مولانا قد شجعت قموذاً خليني أتعلى بنفسي .

ومن حكاياته : ان الملك الكامل كان عنده مؤذن يعرف بأمين الدين جعفر ، حصل له حصاة سدت مجرى البول ، وقاسى من ذلك شدة أشرف فيها على الموت . فكتب الى الملك الكامل وأعلمه بحاله ، وطلب منه دستوراً يشي الى بيته يتداوى ، فلما حضر الى بيته أحضر أطباء العصر ، فوصف كل منهم له ما وصف فلم ينجح . فاستدعى الحكيم أبو حليقة المذكور فأعطاه شربة من ذلك الترياق . فبمقدار ما وصلت الى ممدته نفلت قوتها الى موضع الحصاة ففتتها وخرجت من الارقاسة ، وهي مصبوغة بالدواء ، وخلص لوقته ، وخرج لحمة سلطانه ، وأذن أذان الظهر . وكان السلطان يومئذ غنياً على حيزه القاهرة ، فلما سمع صوته أمر بإحضاره اليه ، فلما حضر قال له ما ورتك ؟ بالامس وصلتنا ، وأنت تقول انك كنت على الموت فاخبرني أمرك . فقال : يا مولانا الامر كان كذلك ، لولا لحقي بملوك مولانا الحكيم أبو حليقة ، فأعطاني ترياقاً خلصت به للوقت والحال . واتفق ان في ذلك اليوم جلس السلطان ليريق ماء فنهشته أفعى في ذكره فقتلته ، فلما سمع السلطان بخبره رن عليه لانه كان رؤوفاً بالخلق . ثم دخل الى قلعة القاهرة بات بها ، واصبح من باكراً والحكيم المذكور قاعد في الخدمة عند زمام الدار على الباب . والسلطان قد خرج فوقف واستدعاه اليه ، وقال له : يا حكيم ايش هذا الترياق الذي عملته ؟ واشتهر نفعه للناس هذه الشهرة العظيمة ، ولم تملني به قط ؟ فقال : يا مولانا ، الملوك لا يعمل شيئاً الا لمولانا ، وما سبب تأخير اعلامه الا ليجريه الملوك لانه هو الذي أنشأه فاذا صحت له تجربته ذكره لمولانا على ثقة منه ، واذا قد صح هذا لمولانا ، فقد حصل المقصود . فقال له : تمضي وتحضر لي كلما عندك منه . وترك خادماً قاعداً على الباب في انتظاره ، ورجع الى داره كان لم يطلع القلعة في تلك الليلة ، ولا خرج من الدار في تلك الساعة الا لهذا المهم خاصة . فعلى الحكيم المذكور الى داره فوجد عنده من ذلك الترياق شيئاً يسيراً ، لان الخلق كانت تقنيه بما يطلبه منه فضى الى اصدقائه الذين كان أهدى لهم شيئاً ، وجمع منه مقدار أحد عشر درهماً ووعدهم بأنه يطعمهم عوضاً عنه أضماؤه ، فجعله في برنية فضة صغيرة وكتب عليه منافعه ومقدار الشربة منه وحملها الى الخادم المذكور للقاعد في انتظاره فحملها الى السلطان ، ولم يزل حافظاً لها ، فلما آلت له أسنانه ذلك عليه فحصل له منه من الراحة ما ذكر .

ومن حكاياته معه : انه كان قد عرض لبعض جهاته مرض عجز عن مداواته ، فسيرت تلك الجهة تقول له أنا أعرف ان السلطان لو عرف ان في الديار المصرية طبيباً خيراً منك لما سلم نفسه واولاده اليك من دون كافة الاطباء ، فانت ما تؤتي في مداواتي من قلة معرفة بل من التهاون بأمرى بدليل أنك تمرض قنطاوي نفسك في أيام يسيرة ، وكذلك يمرض أحد اولادك قنطاويه في أيام يسيرة أيضاً ، وكذلك بقية الجهات التي عندنا ما منهم الا من تداويه وتنجع مداواتك بإيسر سعي . فقال لها : ما كل الامراض تقبل المداواة ، ولو قبلت الامراض كلها المداواة لما مات أحد . فلم تسمع ذلك منه ، وقالت : أنا أعرف ان ما بقي في الديار المصرية طبيب ، وأنا أشير الى السلطان يستخدم لي اطباء من دمشق ، فاستخدم لها طبيبين نصرانيين فلما حضرا لمداواتها من دمشق اتفق سفر السلطان الى دمياط ، فاستؤذن من عيسى معه من الاطباء ومن يترك ، فقال الاطباء كلهم يبقون في خدمة تلك الجهة ، والحكيم فلان وحده يكون معي . فاما اولئك الاطباء فانهم عاجلونها بكل ما يقدرون عليه ، وتسبوا في مداواتها فلم ينبج فانبسط في ذلك عذر المذكور ، وأورد ما ذكر أبقرات في تقديم المعرفة .

ثم انه لما سافر مع السلطان بقي في خدمته مدة شهر لم يتفق له ان يستدعيه ، وبعد ذلك بدمياط استدعاه ليلاً فحضر بين يديه فوجده موهماً ، ووجد به اعراضاً مختلفة يبان بعضها بعضاً فركب له مشروباً يوافق تلك الاعراض المختلفة ، وحمله اليه في السحر فلم تنب الشمس الا وقد زال جميع ما كان يشكوه ، فحسن ذلك عنده جداً . ولم يزل ملازماً لاستعمال ذلك التدبير الى ان وصل الى الاسكندرية ، واتفق اول يوم من صيام شهر رمضان ان الحكيم المذكور مرض بها ، فحضر اليه الاطباء الذين في الخدمة واستشاروه فيما يملكون الى السلطان يفطر عليه ، فقال لهم : عنده مشروب قد جربه وهو يثني عليه ويطلبه دائماً ، فما دام لا يشكو لكم شيئاً متجدداً يمنع من استعماله فاحملوه اليه ، وان تجدد لكم شيء فاستعملوا ما تقتضيه المصلحة الحاضرة .

فحسوا ولم يقبلوا منه قصداً منهم ان يحددوا لتدبيراً من جهتهم ، فلما جدوا ذلك التدبير تغير عليه مزاجه ، فاستدعاه واستدعي نسخة الحكيم المذكور ، وأخذ يحاكيهم^(١) عليها ، فكان من جملة ما فيها يز هندا ، وقد حذفوه فقال لهم لماذا حذفتم هذا البذر وهو مقر للكبد منق للعروق ، قاطع اللعش ؟ فقال أحد الاطباء الذين حضروا : والله ما للمالك في حذفه ذنب ، إلا ان الاسد بن أبي الحسن نقل في يز الهندبا نقلاً شاذاً بأنه يضر بالطحال ، الملوك والله ما يعرفه ، وزعم ان بولاً طعناً لوفائه المالك على ذلك . فقال : والله يكذب ، انما في وجع طحال . وأمر بإعادة يز الهندبا الى مكانه . ثم حاققهم على منقعة دواء من مفردات ذلك الشراب التي حذفوها الى ان أعادوها واعاد استعماله دائماً ولم يزل منتفعاً به شاكرًا له .

(١) حاققه في الامر : خاصه ووافقه وادعى انه اولى بالحق

ومن حكاياته : انه طلب منه يوماً ان يركب له حصلاً^(١) يأكل به البخني في الاسفار ، واقترح عليه ان يكون مقوياً للعدة منها للشوة ، وهو مع ذلك ملين للطبخ فركب له حصلاً هذه صفته : يؤخذ من القندوس جزء ، ومن الرمان الترنجاني وقلوب الأترج القضة الحلاة بالماء والملح إما ثم بالماء الحلو أخيراً ، من كل واحد نصف جزء يذق في جرن الفخاكي كل منهم بمفرده ، حتى يصير مثل المرم . ثم يخلط الجميع في الجرن المذكور ويصير عليه السيمون الأخضر اللينقي ، ويذر عليه من الملح الاندراي مقدار ما يطيه . ثم يرفع في مسلات صفار تسع كل واحدة منها مقدار ما يقدم على المائدة لانها اذا نقصت تكسرت ، وتحتم تلك الاواني بالزيت الطيب وترفع ، فلما استعمله السلطان حصلت له منه المقاصد المطلوبة ، واثنى عليه ثناء كثيراً . وكان مسافراً الى بلاد الروم ، فقال للحكيم المذكور : هذا الصلص يدوم مدة طويلة ؟ فقال له : لا . فقال : ما يعم شهراً ؟ فقال له : نعم اذا عمل على هذه الصورة التي ذكرتها . فقال : تعمل لي منه راتباً في كل شهر ما يكفيني في مدة ذلك الشهر ، وتسيره لي في رأس كل هلال . فلم يزل الحكيم المذكور يحدد ذلك الصلص في كل شهر وسيره له الى دربندهات الروم ، وهو يلزم استعماله في الطريق ويشني عليه ثناء كثيراً

ومن نوادره : انه جاءت اليه امرأة من الريف ، ومعها ولدها ، وهو شاب قد غلب عليه النحول والمرض ، فشكت اليه حال ولدها ، وانها قد أعيت فيهن المداواة، وهو لا يزداد الا سقاماً ورغولاً . وكانت قد جاءت اليه بالمداواة قبل ركوبه ، وكان الوقت بارداً . فنظر اليه واستقرأ حاله ، وجس نبضه . فبينما هو يحس نبضه قال لفلانة : ادخل غاولي الفرجية^(٢) حتى اجعلها علي ، فتغير نبض ذلك الشاب عند قوله فتقرأ كثيراً ، واختلف وزنه ، وتغير لونه أيضاً فحس ان يكون عاشقاً . ثم جس نبضه بعد ذلك فساكن . وعندما خرج الفلام اليه وقال له : هذه الفرجية ، جس نبضه فوجده أيضاً قد تغير ، فقال لوالدته ان ابنك هذا عاشق والتي يهاها اسمها فرجية ، فقالت اي والله يا مولاي هو يجب واحدة اسمها فرجية ، وقد عجزت بما أعذله فيها . وتمجبت من قوله لها غاية التمجيب ، ومن اطلاعه على اسم المرأة من غير معرفة متقدمة له لذلك .

أقول : ومثل هذه الحكاية كانت قد عرضت للجاليوس لما عرف المرأة العاشقة ، وذلك انه كان قد استدعي الى امرأة جليلة القدر ، وكان المرض قد طال بها وحس انها عاشقة . فتقدم اليها . ولما كان يوماً وهو يحس نبضها وكانت الاجناد قد ركبوا في الميدان وهم يلمبون ، فصكى بعض الحاضرين ما كانوا فيه ، وان فلاناً تبيلت له قروسية ولصب جيد ، وعندما سمعت باسم ذلك الرجل تغير نبضها واختلف . جسبه بعد ذلك فوجده قد تساكّن . الى ان عاد الى حاله الاولى . ثم ان جاليوس أشار لذلك الحاكم مرة ان يمد قوله ، فلما أعاده ، وجس نبضها وجده أيضاً قد تغير ، فتعقن من حالها انها تشق ذلك الرجل . وهذا يدل على وفور العلم ، وحسن النظر في تقدمه للمرفة .

(١) يتخذ من اسرار البقول مطيب بالزيت والملح والحل . وهو بيبته معنى الصلصة .

(٢) قوب مطرج من امام رديا فرج من خلف (ن ، د)

أقول : وجماعة أهل الحكيم رشيد الدين أبي حليقة أكثر شهرتهم في الديار المصرية والشام ببني شاعر ، لشهرة الحكيم أبي شاعر وسميته الثالثة ، قصار كل من له نسب إليه يعرفون ببني شاعر ، وإن لم يكونوا من أولاده . ولما اجتمعت بالحكيم رشيد الدين أبي حليقة وكان قد بلغه أنني ذكرت الأطباء المشهورين من أهل ، ووصفت فضلهم وعلمهم فلتشكر مني وتفضل فألشدته بدياً .

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| وكيف لا أشكر من فضلهم | قد سار في المشرق والمغرب |
| تشرق منهم في سماء العلا | نجوم سمد قط لم تغرب |
| قوم ترى أقدرهم في الورى | بالعلم تسمو رتبة الكوكب |
| كم صنفوا في الطب كتباً أتت | بكل معنى مبدع مغرب |
| وابت شكري في بني شاعر | ما زال في الأبعد والأقرب |
| خلقت مجدداً دائماً فيهم | بحسن وصف وثقا طيب |

(السريح)

وأما سبب الحلقة التي وضعت في اذن الرشيد ، واشتهر بها اسمه فإن والده لم يشأ له ولد ذكر غيره ، فوصف له ووالدته حامل به أن يحس له حلقة فضة ، قد تصدق بفضتها ، وفي الساعة التي يخرج فيها الى العالم يكون صائغاً مجزاً يثقب اذنه ويضع الحلقة فيها . ففعل ذلك وأعطاه الله الحياة ، فعاصدته والدته ان لا يظلمها فبقيت . ثم تزوج هو وجاءه أولاد ذكور عدة ، ويموتون كما جرى الحال في أمره فتنبه الى عمل الحلقة المذكورة فعلمها لولده الكبير المعروف بهذب الدين أبي سمي ، لانه سماه باسم عم المذكور .

ومن شعر الحكيم رشيد الدين أبي حليقة وهو مما أنشدني لنفسه ، فمن ذلك قال بحضرة سيف الاسلام :

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| سمح الحبيب بوصفه في ليسة | غفل الرقيب ودام عن جنباتها |
| في روضة لولا الزوال لشابت | جنتا عدت في جميع صفاتها |
| فالطير يطرب في الفصون بصوته | والراح تجلي في كؤوس سقاتها |
| وجالس القمر المنير تنزهت | فيه الخواص بأسمها وكنتاتها |

(الكامل)

وقال أيضاً :

| | |
|--------------------------------------------|--------------------------------|
| احن الى ذكر التواصل يا سمد | حنين النياق العيس عن لها الورد |
| فسمدى على قلبي الذ من المنى | وقربي لها عند اللقاء هو القصد |
| حوت ميسماً كاللبر اضمي منظما | وثرأ كمثل الاقحوان به شهد |
| وفرعاً ^(١) كمثل الليل أوحظ عاشق | ووجهاً كضوء الصبح هذا لذا ضد |

(١) كنى به عن الشعر .

حديث كشر المنك^(١) خالطه ند^(٢)
ويظفر مشتاق اضر به البعد
وذكركم بقي يحده العهد
فيقضي ولا يمضي له منكم وعد
تشابهها في فصل الحافظا الهند
تشابهها قدأ فيا حبذا القند
نشاهده فيها اذا عدم الورد
به عبرتي يوماً وما نفع الجسد
(الطويل)

أقول لها عند الوداع وبيننا
ترى ، نلتقي بعد الفراق بمنزل
تمر الليالي ليلة بعد ليلة
ولكن خوف الصب ان طال مجرّم
عشت سيف الهند من اجل انها
ولي في الرماح السمر سمر لانها
وفي الورد معنى شاهد فوق خدها
وفي من مواها ما جعلت وعبرت

وقال ايضاً :

من الحب مأسور الفؤاد مقيدا
ولا سباً في ليل شر اذا بدا
فوا عجباً منه أفضل وما هدى
ونطق كمثل الدر أمسى مبدا
(الطويل)

خليلي اني قد بقيت مهدياً
بحب فتاة يجعل البدر وجهها
ضلت بها وهي الهلال ملاحة
لها مبسم كالدر اضحى منظماً

وقال ايضاً لما كان بدمياط ، ومرحى والده في القاهرة فجاهه كتابه بعافته :

مد زال ما تشكو من البلاء
فيها أقوم لشكرها يوفاء
(الكامل)

مطرت على سحائب النماء
ولبت مد أبصرت خطك نعمة

ولرشيد الدين أبي حليقة من الكتب : مقالة في حفظ الصحة . مقالة في ابن الملاذ الروحانية الذ
من الملاذ الجسدية ، إذ الروحانية كالات وادراك الكيالات ، والجسدية انما هي دفع الآلام خاصة ،
وان زادت اوقعت في آلام اخر . كتاب في الادوية المفردة ، سماه المختار في الالف عقار . كتاب في
الامراض واسبابها واعلاماتها ومداوانها بالادوية المفردة والمركبة التي قد اظهرت التجربة نجحها ، ولم
يداء بها مرضاً يؤدي الى السلامة الا ونجحت ، التقطها من الكتب المستنفة في صناعة الطب من آدم
والى وقتنا هذا ونظم مشقتها ومتفرقها . مقالة في ضرورة الموت ، ولما ذكر من التحليل في هذه المقالة
ان الانسان لم يزل يتحلل من بدنه بالحرارة التي في داخله ، وبحرارة الهواء الذي من خارج ، كانت
نبايته الى الفناء يهدين السبيين . ومثل بعد ذكرهما بهذا البيت

واحداهما قاتلي فكيف اذا استجمعا

(١) طيب يخرج من دم دابة تدعى غزال المسك .
(٢) مرد شجر يتبخر به .

وهذا البيت مما يكون موقفه بأولى مما هو في هذا الموضع ، فإنه قد جاء موافقاً لما أورده ومطابقاً للمعنى المقصود إليه

مذهب الدين أبو سعيد محمد أبي حليقة

أوحده العلماء وأكل الحكماء . مولده في القاهرة في سنة عشرين وسبائة ، ومعه مجدداً لما اسلم في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الملكي الصالح وهو ، فقد منحه الله من العقل أكثره ، ومن الأدب أفضله ، ومن الذكاء أغزره ، ومن العلم أكثره ، قد اتقن الصناعة الطبية ، وعرف العلوم الحكيمة فلا احد يدانيه فيما يمانيه ، ولا يصل الى الخلائق الجنية التي اجتمعت فيه . لطيف الكلام ، جزيل الانعام . احسانه الى الصديق والنسيب ، والحميد والغريب . وصلني كتابه وهو في المسكر المنصور الظاهري في شهر شوال سنة سبع وستين وسبائة ، وهو يعرب عن فضل باهر ، وعلم وافر ، وفطنة اجمية ^(١) ، وشثنة ^(٢) أخزمية ، وتودد عظيم ، واحسان جسيم . ويقول فيه انه وجد بصر نسخة من هذا الكتاب الذي الفتة في طبقات الاطباء ، وقد اقتناها وصارت في جمة كتبه التي حوaha وبالغ في الوصف الذي يدل على كرم أخلاقه ، وطيب أعرافه . وكان في اول كتابه الاواصل الي :

والي امرؤ أجبشكم لمحسن جمعته بها والاذن كالمعين تعشق

فلقت على الوزن والروي وكتبت اليه الجواب :

| | |
|-------------------------------|----------------------------------------------|
| أفاني كتاب وهو بالنش موتق | وفيه المعاني وهي كالشمس تشرق |
| كتاب كريم اريحي مجيد | صبيح الحيا لوره يتألق |
| هو السيد المولى المذهب والذي | به قد زها في العلم قرب ومشرق |
| حكيم حوى كل العلوم بأمرها | وما عنه باب للكارم يطق |
| كريم لاوواع المامد جامع | ولكنه للال جوداً مفرق |
| اذا ذكرت اوصافه في محافل | لن طيبها نشر من المسك يمتق |
| حوى قصبات السبق في طلب العلا | ومن رام تشيها به ليس يلحق |
| اذا قال ، بذ الفائلين بلاغة | ويصمت قس عنده ، حين ينطق |
| ولو أن جالينوس كان لوقتته | لقال : بهذا في التطيب يوق |
| فما أحد يحكيه في حفظ صحة | ولا مثله في الجسم للداء يحدق |
| اذا قلت مدحاً في معالي محمد | فكل امرئ فيما أقول يصدق |
| ولو رمت أحصي ما حواه من العلا | عجزت ، ولو الي البليغ الفرزدق ^(٣) |

- (١) نسبة الى الاصمعي احد الأئمة في اللغة والأدب . ولد في البصرة (٧٤٠ - ٨٢٠) ولولاه للعسك الكثير من دواوين العرب وأشعارهم .
- (٢) الخلق والطبيعة والمادة .
- (٣) لقب مام بن غالب الشاعر المشهور في العصر الاموي وخصوصاً في الحماء الذي اشتد بينه وبين الاغسل من جهة وبين جوير من جهة اخرى .

ولا غرو في إنا حليقة اني
لوالدم عندي أباد قديمة
وكل ففي العلياء سام وسيا
والى امرؤ احببتكم لسان
فلا يهروا في نمة ولامنة
يصدق الولا في قبضة الرق موثق
فشكري لهم طول الزمان عثق
ان قال لي اذ جد فيه التشوق :
صمعت يا والاذن كالمين تشوق .
مؤيدة ما دامت النوح قورق

ولم يزل مهذب الدين أبو سعيد محمد ملازماً للاشتغال ، محمود السيرة في الأقوال والأفعال . وقرأ على أبيه الصناعة الطبية ، وحرر أقسامها الكلية والجزئية ، وحصل معانيها الطبية والعملية . وخدم السلطان الملك الظاهر بيبرس المكي الصالح بصناعة الطب ، وله منه غاية الاحترام وأوفر الانعام ، والمنزلة الجلية ، والمطايا الجزية . ولمهذب الدين المذكور اخوان احدهما موفق الدين أبو الخير ، متميز في صناعة الكحل ، فزير العلم والفضل ؛ وكان قد حنف للملك الصالح نجم الدين كتاباً في الكحل ، من قبل ان يصير له من العمر عشرون سنة . والاخر علم الدين أبو نصر ، وهو الاصغر ، مفرط الذكاء ، معدود من جملة العلماء ، متميز في صناعة الطب ، وافر العلم واللب .

ولمهذب الدين محمد بن أبي حليقة من الكتب : كتاب في الطب .

رشيد الدين ابوسعيد

هو الحكيم الاجل العالم ، أبو سعيد بن موفق الدين يعقوب بن نصارى القدس . وكان متميزاً في صناعة الطب ، خبيراً بعلومها ، حاد الذهن ، بليغ اللسان ، حسن اللفظ . واشتغل في العربية على شيخنا تقي الدين خزعل بن عسكر بن خليل . وكان هذا الشيخ في علم النحو أواحد زمانه . ثم اشتغل الحكيم رشيد الدين ابو سعيد بعد ذلك بعلم الطب على عمي الحكيم رشيد الدين علي بن خليفة ، لما كان في خدمة السلطان الملك المعظم ، وقرأ عليه ، ولم يكن في تلامذته مثله ، فانه لازمه حق الملازمة ، وكان لا يفارقه في سفره وحضره ، وأقام عنده بدمشق ، وهو دائم الاشتغال عليه ، الى ان اتقن حفظ جميع ما ينبغي ان يحفظ من الكتب التي هي مبادئ لصناعة الطب . ثم قرأ عليه كثيراً من كتب جالينوس وغيرها ، وفهم ذلك فهماً لا مزيد عليه . واشتغل ايضاً على شيخنا الحكيم مهذب الدين عبد الرحمن بن علي . ولما كان في سنة الثلاثين وثلاثين وسبائة ، قررت له جامكية في خدمة الملك الكامل ، وبقي في خدمته زماناً مقيماً بالقاهرة . ثم خدم بعد ذلك الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل وبقي في خدمته نحو تسع سنين .

وكان قد عرض للملك الصالح نجم الدين وهو بدمشق أكلة في فضده ، وكان يعالجه الحكيم رشيد الدين أبو حليقة ولما طال الأمر بالملك الصالح استنصر أبا سعيد وشكا حاله اليه ، وكانت بين الحكيم رشيد الدين أبي حليقة وبين رشيد الدين أبي سعيد منافسة ومنافسة . وتكلم أبو سعيد في أن

معالجة أي حليفة لم تكن على الصواب فنظر الملك الصالح إلى أي حليفة نظر غضب فقام من بين يديه ، وقعد على باب دار السلطان ، وبقي أبو سعيد قياً هو فيه من المناوأة في الدواوة . ثم في أثناء ذلك المجلس بمينة قدام السلطان عرض لابي سعيد فالج ، وبقي ملقى قدامه فامر السلطان بحمله إلى داره ، وبقي أربعة أيام بحاله تلك ومات . وكانت وفاته بدمشق في العشر الاخير من شهر رمضان سنة ست وأربعين وسبائة . ثم ان الملك الصالح توجه إلى الديار المصرية ، وقوي مرضه ولم يزل به إلى ان توفي رحمه الله . وكانت وفاته في يوم الاثنين خامس عشر شعبان سنة سبع وأربعين وسبائة ، بعد ان كان عظيم الشأن قوي السلطان . ولما أتاه الممات ، وحل به هاذم اللذات ، ذهب كأنه لم يكن . وكذلك يفعل بأهله الزمان كما قلت :

| | |
|----------------------------|------------------------------|
| احضر زمانك ما استطعت فانه | دهر يحور على الكرام وان عدل |
| قد كان نجم الدين أيوب الذي | ملك البرية واستطال على الدول |
| في صحة بسموه حتى عشا | في جسمه دام قفاعيته الجبل |
| وصفت له الدنيا وظن بانها | تبقي له أبداً ففاجأه الاجل |
| وعلى الحقيقة أنه نجم علا | وكذا النجوم وبعد ذلك قد أقل |

(الكامل)

ولرشيد الدين أبي سعيد من الكتب : كتاب عيون الطب ، صنفه للملك الصالح نجم الدين أيوب وهو من أجل كتاب صنف في صناعة الطب ، ويحتوي على علاجات مغلصة مختارة . تاليف على كتاب الحاوي لابي بكر محمد بن زكريا الرازي في الطب .

أسعد الدين بن أبي الحسن

هو الحكيم الاوحد العالم أسعد الدين عبد العزيز بن أبي الحسن علي . من أفاضل العلماء ، واعيان الفضلاء ، حاد الذهن ، كثير الاعتناء بالملم ، قد اتقن الصناعة الطبية ، وحصل العلوم الحكيمة . وكان أيضاً عالماً بأمور الشرع مسموع القول . وكان قد اشتغل بصناعة الطب على أبي زكريا يحيى البياسي في ديار مصر ، وخدم الملك المسعود أقيس بن الملك الكامل ، واقام معه باليمن مدة وله منه الاحترام الكثير والاحسان الغزير . وكان قرر له منه في كل شهر مائة دينار مصرية ، ولم يزل في خدمته إلى ان توفي الملك المسعود رحمه الله . ثم أطلق له الملك الكامل إقطاعات يستغلها في كل سنة بالديار المصرية ، وروى بانتظامه في سلك الخدمة . وكان مولد أسعد الدين بالديار المصرية في سنة سبعين وخمسائة ، وكان أبوه طبيباً أيضاً بديار مصر . واشتغل الشيخ أسعد الدين بعلوم الادب والشعر ، وله شعر جيد . واول اجتماعي به كان بدمشق في مستهل رجب سنة ثلاثين وسبائة فوجدته شيخاً حسن الصورة مليح الشبهة ، تام القامة ، أسمر اللون ، حلو الكلام ، غزير المروءة . واجتمعت به أيضاً

بعد ذلك بصر وأحسن إلي واشتمل علي ، وكان صديقاً لابي من السنين الكثيرة . وكانت وفاة الاسعد المذكور بالقاهرة في سنة خمس وثلاثين وستائة .

ولاسعد الدين بن أبي الحسن من الكتب : كتاب نوادر الالباء في امتحان الأطباء ، صنفه للملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب .

ضياء الدين بن البيطار

هو الحكيم الاجل العالم أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي النباطي ، ويعرف بابن البيطار . أوحده زمانه ، وعلامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه واختباره ، ومواقع نباته ، ونمت أسعائه على اختلافها وتنوعها . سافر الى بلاد الاغارقة وأقصى بلاد الروم ، ولقي جماعة يماثون هذا الفن ، وأخذ عنهم معرفة نبات كثير ، وعانته في مواضعه ، واجتمع أيضاً في المغرب وغيره بكثير من الفضلاء في علم النبات ، وعان منابته ، وتحقق ماهيته ، واتقن دراية كتاب ديسقوريدس اتقاناً بلغ فيه الى ان لا يسكاد يوجد من يحاربه فيما هو فيه ، وذلك انني وجدت عنده من الذكاء والفطنة والدراية في النبات ، وفي نقل ما ذكره ديسقوريدس وجالينوس فيه ما يتعجب منه . واول اجتماعي به كان بدمشق في سنة ثلاث وثلاثين وستائة . ورأيت أيضاً من حسن عشرته ، وكال مروءته ، وطيب أعراقه ، وجودة اخلاقه ودرايته ، وكرم نفسه ، ما يفوق الوصف ويتعجب منه .

ولقد شاهدت معه في ظاهر دمشق كثيراً من النبات في مواضعه وقرأت عليه أيضاً تفسيره لامعاء ادوية كتاب ديسقوريدس فكنت اجد من فزارة علمه ودرايته وفهمه شيئاً كثيراً جداً . وكنت أحضر لدينا عدة من الكتب المؤلفة في الادوية المفردة مثل كتاب ديسقوريدس وجالينوس والشافعي وامثالها من الكتب الجليلة في هذا الفن ، فكان يذكر اولاً ما قاله ديسقوريدس في كتابه باللفظ اليوناني على ما قد صححه في بلاد الروم ، ثم يذكر جمل ما قاله ديسقوريدس من نعمته وصفته وأفعاله ، ويذكر أيضاً ما قاله جالينوس فيه من نعمته ومزاجه وأفعاله وما يتعلق بذلك ، ويذكر أيضاً جمل من أقوال المتأخرين وما اختلفوا فيه ، ومواضع الغلط والاشتباه الذي وقع لبعضهم في نعمته . فكنت أراجع تلك الكتب معه ، ولا أجده يقادر شيئاً مما فيها . وأعجب من ذلك ايضاً انه كان ما يذكر دواء الآ وبعين في اي مقالة هو من كتاب ديسقوريدس وجالينوس ، وفي اي عدد هو من جملة الادوية المذكورة في تلك المقالة .

وكان في خدمة الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب ، وكان يعتمد عليه في الادوية المفردة والحشائش ، وجعله في الديار المصرية رئيساً على سائر المشايخين واصحاب البسطات . ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك الكامل رحمه الله بدمشق . وبعد ذلك توجه الى القاهرة فخدم الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ، وكان حظياً عنده متقدماً في ايامه . وكانت وفاة ضياء الدين المشاب

رحمہ اللہ بدمشق فی شہر شعبان سنۃ ست واربعین وستائة فمئة .

ولضیاء الدین بن البیطار من الکتب . کتاب الاجنة والاعلام ، بما فی المتہاج من الخلل والاوہام .
شرح أدویۃ کتاب دیسقوریڈس . کتاب الجامع فی الادویۃ المفردۃ ، وقد استقصی فیہ ذکر الادویۃ
المفردۃ وأسمائها وتحریرها وقولها ومنافعها ، وبین للصالح منها وما وقع الاشتباه فیہ ، ولم یوجد فی
الادویۃ المفردۃ کتاب أجل ولا أجود منه ، وصنفہ للعلک الصالح نجم الدین ایوب بن الملک الکامل .
کتاب الخفي فی الادویۃ المفردۃ ، وهو مرتب بحسب مداواة الاعضاء الالة . کتاب الافعال الغریبة
والخواص المچیبة .



الباب الخامس عشر

طبقات الأطباء المشهورين من أطباء الشام

ابو نصر الفارابي

هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلج بن طرخان، مدينته فاراب، وهي مدينة من بلاد الترك في أرض خراسان، وكان أبوه قائد جيش، وهو فارسي المذهب. وكان ببغداد مدة ثم انتقل إلى الشام وأقام به إلى حين وفاته. وكان رحمه الله فيلسوفاً كاملاً وإماماً فاضلاً قد اتقن العلوم الحكيمية، وبرع في العلوم الرياضية، زكي النفس، قوي الذكاء، متجنباً عن الدنيا، مقتنعاً بما يقوم بأوده، يسير سيرة الفلاسفة المتقدمين. وكانت له قوة في صناعة الطب، وعلم بالأمور الكلية منها. ولم يباشر أعمالها، ولا حاول جزئياتها.

وحدثني سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي الأحمدي أن الفارابي كان في أول أمره فاطوراً في بستان بدمشق وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة والنظر فيها، والتطلع إلى آراء المتقدمين وشرح ممانيتها. وكان ضعيف الحال حتى أنه كان في الليل يسهر للطالعة والتصنيف، ويستضيء بالفتيل الذي للعارس. وبقي كذلك مدة. ثم أنه عظم شأنه وظهر فضله، واشتهرت تصانيفه وكثرت تلاميذه، وصار أوسع زمانه وعلامة وقته. واجتمع به الأمير سيف الدولة^(١) أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي وأكرمه أكراماً كثيراً، وعظمت منزلته عنده وكان له مؤوراً.

ونقلت من خط بعض المشايخ أن أبا نصر الفارابي سافر إلى مصر سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة، ورجع إلى دمشق، ووفي بها في رجب سنة تسع وثلاثين وثلثمائة عند سيف الدولة علي بن حمدان في خلافة الراضي، وصلى عليه سيف الدولة في خمسة عشر رجلاً من خاصته. ويذكر أنه لم يكن يتناول

(١) صاحب حلب (١١٦ - ٩٦٤) اشتهر بشجاعته وحمايته للعلماء منهم التي وأبو فراس الفارابي الفيلسوف. ورفق إليه أبو الفرج كتابه الاغاني.

من سيف الدولة من جمة ما ينعم به عليه سوى أربعة دراهم فضة في اليوم يخرجها فيا يحتاجه من ضروري عيشه . ولم يكن ممتنياً بيته ولا منزل ولا مكتب . ويذكر انه كان يتنقى بماء قلوب الحلان مع الحر الرياحي فقط . ويذكر انه كان في أول امره قاضياً فلما شعر بالمعارف نبذ ذلك ، واقبل بكنيته على تعلمها ، ولم يسكن الى نحو من امور الدنيا البتة . ويذكر انه كان يخرج الى الحرامس بالليل من منزله يستضيء بصابيحهم فيا يقرؤه . وكان في علم صناعة الموسيقى وعلمها قد وصل الى غاياتها وأتقنها اتقاناً لا مزيد عليه . ويذكر انه صنع آلة غربية يستمتع منها الحانا بدبعة يحرك بها الانفعالات . ويذكر ان سبب قراءته الحكمة ان رجلاً اودع عنده جمة من كتب ارسطوطاليس ، فاتفق ان نظر فيها فوافقت منه قبولاً وتحرك الى قراءتها ولم يزل الى ان اتقن فهمها وصار فيلسوفاً بالحقيقة .

ونقلت من كلام لابي نصر الفارابي في معنى اسم الفللفة قال : اسم الفللفة يوناني وهو دخيل في العربية ، وهو على مذهب لسانهم فيلسوفاً ومعناه ايثار الحكمة . وهو في لسانهم مركب من فيلا ومن سوفيا ، ففيلاً الايثار وسوفيا الحكمة . والفيلسوف مشتق من الفللفة ، وهو على مذهب لسانهم فيلسوفوس . فان هذا التفسير هو تفسير كثير من الاشتقاقات عندهم ، ومعناه المؤثر للحكمة . والمؤثر للحكمة عندهم هو الذي يحمل الوجدان^(١) من حياته وغرضه من عمره الحكمة . وحكى ابو نصر الفارابي في ظهور الفللفة ما هذا نصه قال : ان أمر الفللفة اشتهر في أيام ملوك اليونانيين ، وبعد وفاة ارسطوطاليس بالاسكندرية الى آخر أيام المرأة . وانه لما توفي بقي التعليم بماله فيها الى ان ملك ثلاثة عشر ملكاً ، وتوالى في مدة ملكهم من معلمي الفللفة اثنا عشر معلماً أحدهم المعروف باندرونيقوس . وكان آخر هؤلاء الملوك المرأة فغلها أوغسطس الملك من أهل رومية ، وقتلها واستحوذ على الملك . فلما استقر له نظر في خزائن الكتب وصنمها ، فوجد فيها نسخاً لكتب ارسطوطاليس قد نسخت في أيامه وإيام ثاوفرسطس ، ووجد المعلمين والفلاسفة قد عملوا كتباً في المعاني التي عمل فيها ارسطو . فامر أن تلسخ تلك الكتب التي كانت نسخت في أيام ارسطو وتلاميذه ، وان يكون التعليم منها ، وان ينصرف عن الباقي . وحكم اندرونيقوس في تدبير ذلك ، وأمره ان ينسخ نسخاً يحملها معه الى رومية ونسخاً يبقياها في موضع التعليم بالاسكندرية ، وأمره ان يستخلف معلماً يقوم مقامه بالاسكندرية ويسير معه الى رومية . فصار التعليم في موضعين وجرى الامر على ذلك الى ان جاءت النصرانية فبطل التعليم في رومية ، وبقي بالاسكندرية الى ان نظر ملك النصرانية في ذلك ، واجتمعت الاساقفة وتشاوروا فيما يترك من هذا التعليم وما يبطل . فرأوا ان يعلم من كتب المنطق إلى آخر الاشكال الوجودية ، ولا يعلم ما بعده ، لانهم رأوا ان في ذلك ضرراً على النصرانية ، وان فيها أطلقوا تعليمه ما يستعان به على نصرته دينهم فبقي الظاهر من التعليم هذا المقدار ، وما ينظر فيه من الباقي مستوراً الى ان كان الاسلام بعده مدة طويلة فانتقل التعليم من الاسكندرية الى انطاكية ، وبقي بها زمناً طويلاً الى ان بقي معلم واحد فقتل منه رجلان وخرجوا ومعهما الكتب ، فكان أحدهما من أهل حران والاخر من أهل مرو . فأما الذي من أهل مرو

(١) للراد والتفصد .

قتل منه رجلان أحدهما ابراهيم الروزي والآخر يوحنا بن حيلان . وتعلم من الحارثي امرائيل الامقف وقويري وسار الى بغداد فلتشغل ابراهيم بالدين ، وأخذ قويري في التعليم وامسا يوحنا بن حيلان فانه تشغل أيضاً يديه وانحدر ابراهيم الروزي الى بغداد فأقام بها . وتعلم من الروزي متى ابن يوحنا ، وكان الذي يتعلم في ذلك الوقت الى آخر الاشكال الوجودية .

وقال أبو نصر الفارابي عن نفسه انه تعلم من يوحنا بن حيلان الى آخر كتاب البرهان . وكان يسمى ما بعد الاشكال الوجودية الجزء الذي لا يقرأ الى ان قرئ ذلك ، وصار الرسم بعد ذلك حيث صار الامر الى معلمي المسلمين ان يقرأ من الاشكال الوجودية الى حيث قدر الانسان ان يقرأ . فقال أبو نصر انه قرأ الى آخر كتاب البرهان .

وحديثي عمي رشيد الدين أبو الحسن علي بن خليفة رحمه الله : ان الفارابي توفي عند سيف الدولة بن حمدان في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وكان أخذ الصناعة عن يوحنا بن حيلان ببغداد في أيام المعتذر ، وكان في زمانه أبو البشر متى بن يوحنا وكان أسن من أبي نصر ، وأبو نصر أحد ذهنا وأعذب كلاما . وتعلم أبو البشر متى من ابراهيم الروزي وتوفي أبو البشر في خلافة الراضي فيما بين سنة ثلاث وعشرين الى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة . وكان يوحنا بن حيلان وابراهيم الروزي قد تعلموا جميعا من رجل من اهل مرو .

وقال الشيخ أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني ، في تعاليقه ان يعيسى بن عدي أخبره ان متى قرأ ايساغوجي على انسان نصراني وقرأ قاطيغوريوس بارميليئاس على انسان يسمى روبيل ، وقرأ كتاب القياس على أبي يعيسى الروزي . (وقال) القاضي صاعد بن أحمد بن صاعد في كتاب التعريف بطبقات الامم : ان الفارابي اخذ صناعة المنطق عن يوحنا بن حيلان المتوفي بمدينة السلام في أيام المعتذر قبل جميع أهل الاسلام فيها ، وأربى عليهم في التحقق بها . فشرح غامضها ، وكشف سرها ، وقرب تناولها ، وجمع ما يحتاج اليه منها في كتب صحيحة العبارة ، لطيفة الاشارة ، منبهة على ما أغفله الكندي وغيره من صناعة التحليل والنماء التعاليم . ووضح القول فيها عن مواد المنطق الخمس ، وافاد وجوه الانتفاع بها ، وعرف طرق استعمالها ، وكيف تصرف صورة القياس في كل مادة منها . فجاءت كتبه في ذلك الغاية الكافية ، والنهاية الفاضلة . ثم له بعد هذا كتاب شريف في احصاء العلوم والتعريف بأغراضها لم يسبق اليه ، ولا ذهب احد مذهب فيه . لا يستغني طلاب العلوم كلها عن الاخذ به ، وتقديم النظر فيه . وله كتاب في اغراض فلسفة افلاطون ، وارسطو طاليس يشهد له بالبراعة في صناعة الفلسفة والتحقق بفنون الحكمة ، وهو اكبر عون على تعلم طريق النظر ، وتعرف وجه الطلب اطلع فيه على اسرار العلوم وغاياتها علماً ، وبين كيف التدرج من بعضها الى بعض شيئاً شيئاً . ثم بدأ بفلسفة افلاطون فعرف بفرضه منها ، وسمى تأليفه فيها . ثم اتبع ذلك بفلسفة ارسطو طاليس فقدم له مقدمة جليلة ، عرف فيها بتدرجه الى الفلسفة . ثم بدا بوصف اغراضه في تأليفه المنطقية والطبيعية كتاباً ، حتى انتهى به القول في النسخة الواصلة اليها الى اول العلم الالهي والاستدلال بالعلم الطبيعي عليه . ولا اعلم كتاباً اجدى على طالب الفلسفة منه فانه يعرف

بالعلماني المشتركة لجميع العلوم والعلماني المختصة بعلم علم منها . ولا سبيل الى فهم معاني قاطيغورياس وكيف هي الاوائل الموضوعة لجميع العلوم الا منه . ثم له بعد هذا في العلم الالهي وفي العلم المدني كتابان لا نظير لهما ، احدهما المعروف بالسياسة المدنية ، والآخر المعروف بالسياسة الفاضلة عرف فيها يعمل عظمة من العلم الالهي على مذهب ارسطوطاليس في مبادئ السطة الروحانية ، وكيف يؤخذ عنها الجواهر الجسائية على ما هي عليه من النظام واتصال الحكمة . وعرف فيها بمراتب الانسان وقواد النفسانية وفرق بين الوحي والفلسفة ، ووصف اصناف المدن الفاضلة وغير الفاضلة ، واحتياج المدينة الى السيرة الملكية والتواميس النبوية .

أقول : وفي التاريخ ان الفارابي كان يجتمع بأبي بكر بن السراج ^(١) فيقرأ عليه صناعة النحو وابن السراج يقرأ عليه صناعة الخط . وكان الفارابي ايضاً يشعر . وسئل ابو نصر : من اعلم انت ام ارسطو ؟ فقال : لو ادرته لكنت اكبر تلاميذه . ويذكر عنه انه قال : قرأت السماع لارسطو اربعين مرة ، وارى اني محتاج الى معاودته . وهذا دعاء لابي نصر الفارابي قال : اللهم اني اسألك يا واجب الوجود ، ويا علة الملل ، قديماً لم يزل ، ان تصمني من الزلل ، وان تجعل لي من الامل ما رضاه لي من عمل . اللهم امنحني ما اجتمع من المثاقب ، وارزقني في اموري حسن العواقب . ليح مقاصدي والمطالب ، يا ايله المشارق والمغارب . رب الجوار الكنس السبع التي انبجست عن الكون انبجاس الابر ، هن الفواعل عن مشيئته التي همت فضايلها جميع الجوهر . اصبحت أرجو الخير منك وأمتري زحلاً ونفس عطارد والمشاري . اللهم البسني حلل البهاء ، وكرامات الانبياء ، وسعادة الاغنياء ، وعلوم الحكماء ، وخشوع الاتقياء . اللهم انتقذي من عالم الشقاء والفناء واجعلني من اخوان الصفاء ، واصحاب الوفاء ، وسكان الساء ، مع الصديقين والشهداء . انت الله الاله الذي لا ايله الا انت ، علة الاشياء ، ونور الارض والساء . امنحني فيضاً من العقل الفعّال ، يا ذا الجلال والافضال ، هذب نفسي بانوار الحكمة ، واوزعني شكر ما اوليتني من نعمة ، أرني الحق حقاً والهمني اتباعه ، والباطل باطلاً واحرمني اعتقاده واستغاه ، هذب نفسي من طينة الهوى انك انت علة الاول

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| يا علة الاشياء جما والذي | كانت به عن فيضه المنفجر |
| رب السموات الطبايق ومركز | في وسطهن من الفرى والأبجر |
| اني دعوتك مستجيراً مذبياً | فاعفر خطيئة مذنب ومفسر |
| هذب فيض منك رب الكل من | كفر الطبيعة والمناصر عنصرى |

(الكامل)

اللهم ، رب الاشخاص المعوية ، والاسجرام الفلكية ، والارواح السايوية ، غلبت على عبدك المشوبة البشرية ، وحب الشهوات والدنيا الدنية . فاجعل عصمتك مجي من التخليط ، وتقواك حصني من

(١) من علماء وأئمة النحو المشهورين واليه انتهت الرزمة في النحو بعد الجرد ، وكتابه الاصول الكبيرة المرجع عند اضطراب السمل ، وجمع فيه اصول علم العربية .

التفريط ، انك بكل شيء محيط . اللهم انفذني من أسر الطبايع الاربع ، وانتقلني الى جناتك الاوسع وجوارك الارفع . اللهم ، اجعل الكفاية سبيلاً لقطع مذموم العلائق التي بيني وبين الاجسام الترابية ، والهوموم الكونية واجعل الحكمة سبيلاً لاتحاد نفسي بالعوالم الالهية ، والارواح السايوية . اللهم طهر بروح القدس الشريفة نفسي وأثر بالحكمة البالغة عقلي وحسي ، واجعل الملائكة بدلاً من عالم الطبيعة أنسي . اللهم ، ألهمني الهدى ، وثبت إيماني بالتقوى ، وبفض الى نفسي حب الدنيا . اللهم ، قوّ ذاتي على قهر الشهوات الفانية ، وألحق نفسي بمنازل النفوس الباقية ، واجعلها من جملة الجواهر الشريفة الغالية ، في جنات عالية . سبحانه لك اللهم سابق الموجودات التي تتعلق بالسنة الحال والمقال ، إنك المعطي كل شيء منها ما هو مستحقه بالحكمة ، وجاعل الوجود لها بالقياس الى عدمها نعمة ورحمة . فالذوات منها والاعراض مستحقة بالآنك ، شاكرة فضائل نعمائك ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم . سبحانه لك اللهم وتماثلت ، انك الله الاحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً احد . اللهم ، انك قد سجدت نفسي في سجن من العناصر الاربعة ، ووكلت باقتراسها سباعاً من الشهوات . اللهم ، جد لها بالصمة ، وتمطف عليها بالرحمة التي هي بك أبقى ، وبالكرم الفائض الذي هو منك أبجد وأخلق ؛ وامنن عليها بالتوبة الماندة بها الى عالمها السايوي ؛ وصجل لها بالادوية الى مقامها القدسي ؛ وأطلع على ظلماتها شمساً من العطل الفعّال ؛ وأمط عنها ظلمات الجهل والفضال ، واجعل ما في قواها بالقوة كامناً بالفعل ؛ وأخرجها من ظلمات الجهل الى نور الحكمة رضاء العقل . الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور . اللهم ، أر نفسي صور النيوب الصالحة في منامها ، وبدها من الاضغاث برويا الحسرات والبشرى الصادقة في احلامها ؛ وطهرها من الاوساخ التي تأثرت بها عن محسوساتها واوهامها ؛ وأمط عنها كدر الطبيعة ؛ واتزلها في عالم النفوس المنزلة الرقيقة . الله الذي هداني لهذا الذي كلفاني وآواني .

ومن شعر ابي نصر الفارابي قال

| | |
|----------------------|-----------------------|
| لما رأيت الزمان نكسا | وليس في الصعبة انتفاع |
| كل رئيس به ملال | وكل رأس به صداع |
| لزمت بيتي وصنت عرضاً | به من العزة اقتناع |
| أشرب مما اقتنيت راحا | لها على راحتي شعاع |
| لي من قواريرها ندامي | ومن قراقيرها سماع |
| واجبتي من حديث قوم | قد أقفرت منهم البقاع |

(البسيط)

وقال أيضاً :

| | |
|------------------------|----------------------------|
| اخبري خل سبيّ ذي باطل | وكن للعائق في حيز |
| لما الدار دار خلود لنا | ولا المرء في الارض بالمعجز |
| وهل نحن الا خطوط وقمن | على كرة وقع مستوفز |

ينافس هذا لهذا على أقل من الكلم الموجز
يحيط السموات اولى بصنا فكلم ذا التزامم في المركز
(المقارب)

ولاني نصر الفارابي من الكتب: شرح كتاب المحسني لبطليموس. شرح كتاب البرهان لارسطوطاليس،
شرح كتاب الخطابة لارسطوطاليس، شرح المقالة الثانية والثامنة من كتاب الجدل لارسطوطاليس .
شرح كتاب المغالطة لارسطوطاليس . شرح كتاب القياس لارسطوطاليس ، وهو الشرح الكبير. شرح
كتاب إرمينياس لارسطوطاليس على جهة التعليق. شرح كتاب المقولات لارسطوطاليس على جهة التعليق. كتاب
المختصر الكبير في المنطق. كتاب المختصر الصغير في المنطق على طريقة المتكلمين. كتاب المختصر الاوسط في
القياس. كتاب التوطئة في المنطق. شرح كتاب ايساغوجي لفرفوروس. املاء في معاني ايساغوجي. كتاب
القياس الصغير ، ووجد كتابه هذا مرجحاً بخطه . احصاء القضايا والقياسات التي تستعمل على العموم
في جميع الصنائع القياسية . كتاب شروط القياس . كتاب البرهان . كتاب الجدل . كتاب المواضع
المتزعة من المقالة الثامنة في الجدل . كتاب المواضع المغلطة . كتاب اكتساب القدمات وهي
المساة بالمواضع وهي التحليل . كلام في المقدمات المختلطة من وجودي وضروري . كلام في الحلاله
صدر لكتاب الخطابة . شرح كتاب السماع الطبيعي لارسطوطاليس على جهة التعليق . شرح كتاب
السماء والعالم لارسطوطاليس على جهة التعليق . شرح كتاب الآثار العلوية لارسطوطاليس على جهة
التعليق . شرح مقالة الاسكندر الافروديسي في النفس على جهة التعليق . شرح صدر كتاب الاخلاق
لارسطوطاليس . كتاب في التواميس . كتاب احصاء العلوم وترتيبها . كتاب الفلسفتين لفلاطن
وارسطوطاليس غرور الآخر . كتاب المدينة الفاضلة والمدينة الجاهلة والمدينة الفاسدة والمدينة المبدة
والمدينة الضالة ، ابتداء بتأليف هذا الكتاب ببغداد ، وحمله الى الشام في آخر سنة ثلاثين وثلاثمائة ،
وقمه بدمشق في سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة ، وحرره ثم نظر في النسخة بعد التحرير فأثبت فيها
الأرواب . ثم سأل بعض الناس ان يحمل له فصولا تدل على قسمة معانيه ففصل الفصول بمصر في سنة
سبع وثلاثين ، وهي ستة فصول . كتاب مبادي آراء المدينة الفاضلة . كتاب الالفاظ والحروف .
كتاب الموسيقى الكبير ، ألفه للوزم أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخي . كتاب في احصاء الارتفاع .
كلام له في النقة مضافاً الى الارتفاع . كلام في الموسيقى . مختصر فصول فلسفة منازعة من كتب
الفلاسفة . كتاب المبادئ الانسانية . كتاب الرد على الرازي في العلم الالهي . كتاب الرد على جالينوس
فيما تأوله من كلام ارسطوطاليس على غير معناه . كتاب الرد على ابن الراوندي في ادب الجدل .
كتاب الرد على يحيى النحوي فيما رد به على ارسطوطاليس . كتاب الرد على الرازي في العلم الالهي .
كتاب الواحد والوحدة . كلام له في الحيز والمقدار . كتاب في العقل صغير . كتاب في العقل كبير .
كلام له في معنى اسم الفلسفة . كتاب الموجودات المتغيرة الموجود بالكلام الطبيعي . كتاب شرائط
البرهان . كلام له شرح المستعمل من مصادرة المقالة الاولى والخامسة من اقليدس . كلام في اتفاق آراء
أبقراط وأفلاطن . رسالة في التنبيه على اسباب السعادة . كلام في الجزء وما لا يتجزأ .

كلام في اسم الفلسفة وسبب ظهورها واسماء البرزين فيها وعلى من قرأ منهم . كلام في الجن . كلام في الجوهر . كتاب في الفحص المدني . كتاب السياسات المدنية ويعرف بيمادى الموجودات . كلام في الله والفقه مدني ، كلام جمعه من اقاويل للنبي صلى الله عليه وسلم يشير فيه الى صناعة المنطق . كتاب في الخطابة كبير ، عشرون مجلداً . رسالة في قواد الجيوش . كلام في المعاش والحروب . كتاب في التأثيرات العلوية . مقالة في الجهة التي يصح عليها القول بأحكام النجوم . كتاب في الفصول المتنازعة للاجتماعات . كتاب في الحيل والنواميس . كلام له في الرؤيا . كتاب في صناعة الكتابة . شرح كتاب البرهان لارسطوطاليس على طريق التعليل ، املاه على ابراهيم بن عدي تلميذ له بحلب . كلام له في العلم الالهي . شرح المواضع المستفلفة من كتاب قاطيفورياس لارسطوطاليس ويعرف بتعليقات الحواشي . كلام في اعضاء الحيوان . كتاب مختصر جميع الكتب المنطقية . كتاب المدخل الى المنطق .

كتاب التوسط بين ارسطوطاليس وجالينوس . كتاب غرضي المقولات . كلام له في الشعر والقوافي . شرح كتاب العبارة لارسطوطاليس على جهة التعليل . تعاليل على كتاب القياس . كتاب في القوة المتنامية وغير المتنامية . تعليل له في النجوم . كتاب في الاشياء التي يحتاج ان تعلم قبل الفلسفة . فصول له مما جمعه من كلام القدماء . كتاب في اغراض ارسطوطاليس في كل واحد من كتبه . كتاب القاييس . مختصر كتاب الهدى . كتاب في اللغات . كتاب في الاجتماعات المدنية . كلام في ان حركة الفلك دائمة . كلام فيا يصلح ان يدم المذهب . كلام في المالحق والمجون وغير ذلك . كلام في لوازم الفلسفة . مقالة في وجوب صناعة الكيمياء والرد على مبطلها . مقالة في اغراض ارسطوطاليس في كل مقالة من كتابه الموسوم بالحروف ، وهو تحقيق غرضه في كتاب ما بعد الطبيعة . كتاب في الدعاوي المنسوبة الى ارسطوطاليس في الفلسفة مجردة عن بياناتها وحججها . تعاليل في الحكمة . كلام املاه على سائل سأله عن معنى ذات ومعنى جوهر ومعنى طبيعة . كتاب جوامع السياسة مختصر . كتاب بايرغنياس لارسطوطاليس . كتاب المدخل الى الهندسة الوهمية ، مختصراً . كتاب عيون المسائل على رأي ارسطوطاليس ، وهي مائة وستون مسألة . جوابات لمسائل سئل عنها وهي ثلاث وعشرون مسألة . كتاب اصناف الاشياء البسيطة التي تنقسم اليها الفضاء في جميع الصنائع القياسية . جوامع كتاب النواميس لفلان . كلام من املائه وقد سئل عما قال ارسطوطاليس في الحار . تعليقات الطوطيقا الاولى لارسطوطاليس ، كتاب شرائط اليقين . رسالة في ماهية النفس . كتاب السماع الطبيعي .

عيسى الرقي

كان طبيباً مشهوراً في أيامه ، عارفاً بالصناعة الطبية حق معرفتها . وله أعمال فاضلة ومعالجات بديعة ، وكان في خدمة سيف الدولة بن حمدان ومن جملة أطبائه . وقال عبيد الله بن جبرئيل ، حدثني

من اتق يقول : ان سيف الدولة كان اذا أكل الطعام حضر على مائدة أربعة وعشرون طبيباً . قال : وكان فيهم من يأخذ رزقين لاجل قضاياه عفين ، ومن يأخذ ثلاثة لتعاويه ثلاثة عاوم ، وكاتب من جعلهم عيسى الرقي المعروف بالتقليبي . وكان ملحق الطريقة ، وله كتب في المنهوب وغيرها . وكان ينقل من السرياني الى العربي ويأخذ أربعة أرزاق : رزقاً بسبب الطب ، ورزقاً بسبب النقل ، ورزقاً بسبب علفين آخرين .

اليروذي

هو أبو الفرج جورجيس بن يوحنا بن سهل بن ابراهيم ، من النصارى الباقية ، وكان فاضلاً في صناعة الطب عالماً بأصولها وفروعها معدوداً من جملة الأكابر من أهلها والمتمرنين من أربابها ، دائم الاشتغال ، محباً للعلم ، مؤثراً للفضيلة .

حدثني شرف الدين بن عتير رحمه الله . ان اليروذي كان لا يخل الاشتغال ولا يسأم منه . قال : وكان أبداً سائر أوقاته لا يوجد إلا معه كتاب ينظر فيه .

حدثني أحد النصارى بدمشق ، وهو السني البعلبكي الطبيب قال : كان مولد اليروذي وملتؤه في صدر عمره يهوداً^(١) ، وهي ضيمة كبيرة قريبة من صيدنايا^(٢) وبها نصارى كثير . وكان اليروذي بها كسائر أهلها النصارى من ممانتهم الفلاحة وما يصنعه الفلاحون . وكان أيضاً يجمع الشيخ^(٣) من لواحي دمشق القريبة من جهته ويحمله على دابة ويأتي به الى داخل دمشق يبيعه للذين يقدونه في الافرات وغيرها . وانه لما كان في بعض المرات ، وقد عبر من باب توما^(٤) بدمشق ومعه حمل شيخ ، رأى شيئاً من المتطبيين ، وهو يفصد السانك قد عرض له رحاف شديد من الناحية المسامطة للموضع الذي يلبث منه الدم فوقف ينظر اليه ، ثم قال له : لم تقصد هذا ودمه يجري من أنفه باكثر مما يحتاج اليه بالفصد ؟ فمرفه ان ذلك انما يفعله لينقطع الدم الذي يلبث من أنفه ، لكونه يحتذه الى مسامطة الجهة التي يلبث منها . فقال له : اذا كان الامر على ما تقول فاننا في مواضعنا قد اعتدنا انه متى كان نهر جار ، وأردنا ان تقطع الماء عنه فاننا نجعل له مسيلاً الى ناحية اخرى مسامطة له فينقطع مسن ذلك الموضع ويعود الى الموضع الآخر ، فانت لم لا تفعل هكذا أيضاً وتقصد من الناحية الاخرى ؟ ففعل ذلك واتقطع الرحاف عن الرجل . وان ذلك الطبيب لما رأى من اليروذي حسن نظر فيما سأل عنه ، قال له : لو انك تشغل بصناعة الطب جاء منك طبيب جيد . فقال اليروذي الى قوله ، وتلفت نفسه الى العلم ، وبقي متردداً الى الشيخ في اوقات ، وهو يعرفه ويريه أشياء من الاداوة .

(١) قرية في سوريا - قضاء التيك - وهي من قرى جبل قفول .

(٢) قرية في شمالي دمشق شهيرة بدير السيدة .

(٣) ثبت سبيل له راحة طيبة وهو من الطب .

(٤) أحد أبواب دمشق .

ثم انه ترك يبرود وما كان يعانيه ، وأقام بدمشق يتعلم صناعة الطب . ولما تبصر في أشياء منها ، وصارت له معرفة بالقوانين العلمية ، وحاول مداواة المرضى ، ورأى اختلاف الامراض وأسبابها وعلاماتها ، وتفنن مملجاتها ، وسأل عن هو إمام في وقته بمعرفة صناعة الطب والمعرفة بها جيداً . فذكروا له ان ببغداد أبا الفرج بن الطبيب كاتِب الجائليق ، وانه فيلسوف متفنن ، وله خبرة وفضل في صناعة الطب وفي غيرها من الصنائع الحكيمة . فتأهب للسفر وأخذ سواراً كان لامة لنتفتة . وتوجه الى بغداد وصار يتفق عليه ما يقوم بأوده ويشغل على ابن الطبيب الى ان مهر في صناعة الطب وصارت له مباحثات جيدة ، ودراية فاضلة في هذه الصناعة . واشتغل أيضاً بشيء من المنطق والعلوم الحكيمة . ثم عاد الى دمشق واقام بها .

ونقلت أيضاً قريباً من هذه الحكاية المقدمة ، وان كانت الرواية بينها مختلفة ، عن شيخنا الحكم مذهب الدين عبد الرحيم بن علي قال : حدثني موفق الدين أسعد بن الياس بن المطران قال : حدثني أبي قال : حدثني أبو الفرج بن الحديد قال : حدثني أبو الكرم الطيب ، عن أبيه أبي الرجاء ، عن جده قال : كان بدمشق فاصد يقال له أبو الخير ، ولم يكن من المهرة ، فكان من امره ان قصد شاباً فوقع الفصدة في الشريان فتحير وتبدل ، وطلب قطع الدم فلم يقدر على ذلك ، فاجتمع الناس عليه . وفي اثناء ذلك اطلع صبي عليه فقال : يا عماء افصده في اليد الاخرى ، فاستراح الى كلامه وفصده من يده الاخرى . فقال : شد الفصد الاول . فشده ووضع لازوقاً كان عنده عليه ، وشده فوقف جرية الدم . ثم مسك الفصدة الاخرى فوقف الدم وانقطع الجميع . ووجد الصبي يسوق دابة عليها حل شبح فتشبت به وقال : من أين لك ما أمرتي به ؟ قال : أنا ارى أبي في وقت حلي الكرم ، اذا انفتح شق من النهر ، وخرج الماء منه بجدة لا يقدر على امساكه دون أن يفتح فتحة آخر ، ينقص به الماء الاول الواصل الى ذلك الشق ، ثم يسده بعد ذلك . قال : فتمه الجراحي من بيع الشبح واقتطعه ، وعلمه الطب فكان منه اليرودي من مشاهير الاطباء الفضلاء .

اقول : وكانت اليرودي مراسلات الى ابن رضوان بمصر وإلى غيره من الاطباء المصريين ، وله مسائل عدة اليهم طبية ومباحثات دقيقة . وكتب بخطه شيئاً كثيراً جداً من كتب الطب ، ولا سيما من كتب جالينوس وشروحها وجوامعها .

وحدثني أيضاً السني البلبكي : ان اليرودي عبر يوماً في سوق جيرون بدمشق ، فرأى السانبا وقد بايع على ان يأكل ارطالا من لحم فرس مسلوقة مما يباع في الاسواق ، فلما رآه وقد امكن في اكله بأكثر مما يحتمله قواه ، ثم شرب بعده فحماً كثيراً وماء بثلج واضطربت اسواله تفرس فيه انه لا بد ان يفسى عليه ، وان يبقى في حالة يكون الموت أقرب اليه ان لم يتلاشق ، فتبعه الى المنزل الذي له واستشرف الى ماذا يؤول أمره . فلم يكن الا أيسر وقت ، وأهله يصيحون ويضجون بالبكاء ويزعجون انه قد مات فأتى اليهم وقال : انا ابرئه وما عليه بأس . ثم انه أخذه الى حمام قريب من ذلك الموضع وفتح فكبه كرهاً بشيء ، ثم سكب في حلقه ماء مغلياً وقد أضاف اليه ادوية مقيئة ، ولاقي النفاية ، وقبأه برفق . ثم عالج وتلطف في مداواته حتى أفاق وعاد الى صحته . فتمتجب

الناس منه في ذلك الفعل وحسن تأنيبه الى مداواة ذلك الرجل ، واشتهرت عنه هذه القضية ، وتميز بعدها .

اقول : وهذه الحكاية التي قصد البيروني ان يتبع أحوال ذلك الرجل فيها ويشاهد ما يكون من أمره ان يكون عنده من ذلك معرفة بالأعراض التي تحدث له ، وان يتقده أيضاً بما وقع فيه ان امكنه معالجته ومعالجته . ومثل ذلك أيضاً ما حكاه ابو جعفر أحمد بن محمد بن أبي الاشعث رحمه الله في كتاب الغاوي والمقتضي ، وذلك انه قال : ان السانك رأيت يوماً وقد بايع ان يأكل جزراً قدره بجد ما ، فحضرت اكله لارى ما يكون من حاله ، لا رغبة مني لمجالسة من هذه حاله ، ولا لان لي بذلك عادة وهه الحمد ؛ بل لارى ايراد الغذاء على المعدة قسراً الى ماذا يؤول هذا الفعل فرائته يأكل من حائط ليرى من حوله ويضاحكهم ، حتى اذا مر على الاكثر بما كان بين يديه رأيت الجزر مضموجاً قد خرج من حلقه ملتصقاً متجسلاً متعجناً بريقه ؛ وقد جحطت عيناه ، وانقطع حسه ، واحمر لونه ، وحدث وداجاه وعروق رأسه ، واربد وكند وجهه ، وعرض له من التهويع أكثر مما عرض له من الغلف ، حتى رمى من ذلك الذي أكله شيئاً كثيراً . فزكنت (١) ان انقطاع نفسه لدفع المعدة سبحانه الى نحو القم ومنعها اياه من الرجوع إلى الانسباط للتنفس . وأما ما عرض لونه من الاجرار ودرور وداجيه وعروقه فزكنت انه لاقبال الطبيعة نحو رأسه ، كما يمرض لمن شدت يده القصد ان تقبل الطبيعة نحو الجهة التي استنهدت نحوها . وأما ما عرض بعد ذلك لوجهه من الارتداد والكودة فزكنت أيضاً انه لسوء مزاج قلبه ، وانه لو لم يخرج ما خرج ، ودافعت المعدة سبحانه هذه المدافعة التي قد عاقته البتة عن التنفس ، عرض له الموت بالاختناق . كما قد رأينا ذلك في عدد كثير ماتوا بغضب الغدق . وأما ما عرض له من التهويع أكثر مما عرض له من الغلف فزكنت من ذلك ان التهويع لشدة اضطراب المعدة . قال ابن أبي الاشعث بعد ذلك ان الغذاء اذا حصل في المعدة وهو كثير الكمية تمددت قديماً يسط سائر غضوناتها ، كما رأيت ذلك في سبع شرحته حياً بحضرة الامير الفضل بن وقد استصغر بعض الحاضرين معدته فتقدمت بصب الماء في فيه ، فما زلنا نصب في حلقه دورقاً بعد أكثر حتى عدداً من الدوايق عدداً كان مقدار ما حوت نحو أربعين رطلاً ماء ، فنظرت اذ ذاك الى الطبقة الداخلة ، وقد امتدت حتى صار لها سطح مستو ليس يدون استواء الخارج ، ثم شققناها فلما اجتمعت عند خروج الماء منها عاد غضون الداخلة والبواب يشهد الله في جميع ذلك لا يرسل نفسه

وحدثني الشيخ مهذب الدين عبد الرحمن بن علي قال : حدثني موفق الدين اسعد بن الياس بن المطران قال : حدثني أبي ، عن خالي أبي الفرج بن حيان قال : حدثني أبو الكرم الطبيب قال : حدثني أبي ، عن أبيه قال : كنت يوماً اسير للشيخ أبي الفرج البيروني اذ اعترضه رجل فقال : يا سيدي كنت في صناعتك هذه في الحمام ، وحلقت رأسي وأجد الآن في وجهي كله انتفاخاً وحرارة عظيمة . قال : فنظرت الى وجهه فوجدناه يرو ويثخن ويؤيد حرته بغير توقف ولا تدريج . قال :

(١) فطنت .

فأمره ان يكشف رأسه ويلقي به الماء الجاري من قناة كانت بين يديه ، وكان الزمان اذ ذاك صمم الشتاء وغاية البرد ، ثم لم يزل واقفاً حتى بلغ ما اراد بما أمر به . ثم أمر الرجل بالانصراف وأشار عليه بالوقوف له ، وهو تلطيف التدبير واستعمال التفوق الحامض مبرداً ، وقطع الزفر . قال : فامتنع ان يحدث له شراً ما .

وقال الطرطوشي ^(١) في كتاب سراج الملوك : حدثني بعض الشاميين ان رجلاً خبازاً بينا هو يخبز في تنوره بمدينة دمشق اذ عبر عليه رجل يبيع المشمش فاشترى منه ، وجعل يأكله بالحبز الحار فلما فرغ سقط مشياً عليه . فنظروا فاذا هو ميت فجعلوا يتربصون به ويحملون له الاطباء فيلتسمون دلائله ، ومواضع الحياة منه . فلم يجدوا ، ففصوا بوجهه . ففصل وكفن وصلي عليه ، وخرجوا به الى الجبانة . فبينما هم في الطريق على باب البلد ، فاستقبلهم رجل طيب يقال له البرودي ، وكان طبيباً ماهراً حاذقاً عارفاً بالطب فسمع الناس يلهمون بغضبته ، فاستخبرهم عن ذلك فقصوا عليه قصته فقال : حطوه حتى اراه . فحطوه ، فجعل يقلبه ، وينظر في امارات الحياة التي يعرفها . ثم فتح فيه وسقاها شيئاً ، أو قال حقنه فاندفع ما هنالك فسيل ، فاذا الرجل قد فتح عليه وتكلم وعاد كما كان الى حالته .

وتوفي البرودي بدمشق في سنة (٤) وأربعمائة ، ودفن في كنيسة البعاقبة بها عند باب توما . حدثني الشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن علي عن موفق الدين أسعد بن الياس ابن المطراش قال : حدثني خالي ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عبد الله ابن رجا بن يعقوب ، قال : حدثني ابن الكتاني ، وهو اذ ذاك متصرف في اعمال السلطان يومئذ بدمشق ، قال : بلغني ان أبا الفرج جورجس بن يوحنا البرودي لما توفي ظهر في تركته ثلاثمائة مقطع رومي مجموع لباب واحد وخمسةائة قطعة فضة الطفها ثلاثمائة درهم . قال موفق الدين بن المطراش : وليس ذلك بكثير لان الشخص متى تحققت اعماله وصفت نيته ، وطلب الحق ، وعامل الصحيح ، واجتهد في معرفة صناعته كان حقاً على الله تعالى ان يرزقه . ومتى كان بالشد عاش فقيراً وماتاً يائساً . وللبرودي من الكتب : مقالة في ان الفرج أبرد من الفروج . نقض كلام ابن الموقفي في مسائل وردت فيها بينهم في النبض .

جابر بن منصور السكري

من اهل موصل ، وكان مسلماً ديناً ، عالماً بصناعة الطب ، من اكبر التميزين فيها . وكان قد لحق احمد بن ابي الأشعث وقرأ عليه . ثم لازم محمد بن ثواب تلميذ ابن ابي الأشعث وقرأ عليه ، وذلك في

(١) ابن ابي ربيعة ولد في طرطوش - الاندلس - وتوفي في الاسكندرية (١٠٥٩ - ١١٢٦) فيه دار مكتبة المدينة .
واقام في دمشق .
(٢) يباح بالاصل .

نحو سنة ستين وثلاثمائة . واشتهر بصناعة الطب واعمالها ، وعمر وكان اكثر مقامه بمدينة الموصل ،
وانما ابنه ظافر انتقل الى الشام وأقام بها .

ظافر بن جابر السكري

هو أبو حكيم ظافر بن جابر بن منصور السكري ، كان مسلماً فاضلاً في الصناعة الطبية ، متقناً
للعلم الحكيم ، متعلّياً بالفضائل وعلم الادب ، محباً للاشتغال والتضلع بالعلوم . وكان قد لقي أبا الفرج
ابن الطيب ببغداد ، واجتمع به ، واشتغل معه . وكان ظافر بن جابر قد عمر مثل ابيه ، وكان
موجوداً في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة وهو موصل ، وانما انتقل من الموصل الى مدينة حلب ، وأقام
بحلب الى آخر عمره . ومن خلفه جماعة مشتهرين بصناعة الطب ومقامهم بحلب .

ومن شعره :

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| ما زلت أعلم أولاً في اول | حتى عطيت بانني لا علم لي |
| ومن المجائب ان اكون جاهلاً | من حيث كوني انني لا اجهل |
| (الكامل) | |

ولظافر بن جابر من الكتب : مقالة في ان الحيوان يموت مع ان الغذاء يخلف عوض ما يتحلل منه .

موهوب بن الظافر

هو ابو الفضل موهوب بن ظافر بن جابر بن منصور السكري . كان فاضلاً ايضاً في صناعة الطب ،
مشهوراً متميزاً . وكان مقيماً بمدينة حلب .

ولموهوب بن ظافر من الكتب : اختصار كتاب المسائل الحنين بن اسحق .

جابر بن موهوب

هو جابر بن موهوب بن ظافر بن جابر بن منصور السكري ، كان ايضاً مشهوراً في صناعة
الطب خبيراً بها . وأقام بحلب .

أبو الحكم

هو الشيخ الاديب الحكم أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبيد الله الباهلي الاندلسي المريني . كان
فاضلاً في العلوم الحكيم ، متقناً للصناعة الطبية ، متعصباً في الادب ، مشهوراً بالشعر . وكان حسن
التأدرة ، كثير المداعبة ، محباً للهو والخلاعة . وكثير من شعره يوجد مرثي في اقوام كلوا في زمانه
أحياء ، وانما قصد بذلك اللعب والجوون . وكان محباً للشراب مدمناً له ، ويماني الخيال ، وكان اذا

طرب يخرج في الخيال ويفني له :

يا صياد النعمة جاك العمل
قم اخرج من بكرة هات العمل
وكان يعرف الموسيقى ، ويلعب بالعود ، ويحلس على دكان في جيروت للطب . ومسكنه في دار
الحجارة بالبادين ، وله مدائح كثيرة في بني الصوفي الذين كثروا رؤساء دمشق ، والمتحكين فيها ،
وذلك في أيام مجير الدين ابني^(١) بن محمد بن بوري بن أتابك طنتكين . . وسافر أبو الحكم الى بغداد
والبصرة وعاد الى دمشق ، وأقام بها الى حين وفاته . وتوفي رحمه الله لساعتين خلثا من ليلة الاربعاء
سادس ذي القعدة سنة تسع وأربعين وخمسة مئتين . وقال أبو الفضل بن المحيي ، وكتب بها الى
أبي الحكم في اثناء كتاب كتبه اليه شاكرًا لله :

إذا ما جرى الله امره بأفعاله
هو الفيلسوف الفرد والفاضل الذي
يدبر تدبير المسيح مريضه
فيبتاشني من قبضة الدهر بعدما
وبؤاني من رأيه خير معقل
وما زال يهديني الى كل منج
يضيء سنا أفكارها فكأنها
وقام بأمره اذ تقاعد اسرتي
وانقض ظهري ما تحامل ثقله
وظم ولم يئن لجسمي شفاه
فأصبح سلمي الدهر بمد حروبه

فبجازي الاخ البر الحكيم أبا الحكم
أقر له بالحكمة العرب والمجم
فلو رآه أبقراط زلت به القدم
ألم بأنواع من الضر والألم
فبراً من ضري وأبراً من السقم
بآراء مفضال له سنّها الكرم
شموس جلا اشراقها حندس الظلم
مقام أي في كرمي او مقام أم
وكل في طرفاً اذا نمت لم ينم
فلولا قد أصبحت لحماً على عظم^(٢)
عليه سلام الله ما أوردك السلم^(٣)
(الطويل)

وكان أبو الحكم يهاجي جماعة من الشعراء الذين كثروا في وقته ويهاجونه ، وللمعرفة ، وهو أبو
الندى حسان بن نجر الكلي ، يهجو أبا الحكم :

لنا طيب شاعر أشقر^(٤)
ما عاد في صبغة يوم قتي
أراحنا من شخصه الله
الا وفي بقيقه رده
(السرير)

وقال أيضاً فيه :

يا عين سحي بدمع ساكب ودم
على الحكيم الذي يكتى أبا الحكم

- (١) آخر من حكم دمشق من أسرة بني بوري . وكان افرادها يقبلون أتابك .
(٢) الحشبة التي يقطع الجزار عليها اللحم .
(٣) شجر من الشفاء يذهب به .
(٤) من كان جفن عينه متقلبا أو ملتقيا أو متقاربا من أسفل . (ن.د.)

قد كان لا رحم الرحمن شيتة ولا سقى قبره من صيب الدير
 شيخا يرى الصلوات الخمس نافذة ويستحل دم الحجاج في الحرم
 (البسيط)

أقول : وصف العرقلة لابي الحكم في هجومه إياه بأنه اشار العين له سبب ، وهو ان أبا الحكم
 خرج ليلة وهو سكران من دار زين الملك أبي طالب بن الحياط فوقع فانشج وجهه ، فلما أصبح زاره
 الناس يسألونه كيف وقع فكتب هذه الابيات ، وتركها عند رأسه فكان اذا سأله انسان يعطيه
 الابيات يقرأها

وقمت على رأسي وطارث عمامتي وضاع شمشوكي وانبطحت على الارض
 وقتت وأسراب الدماء بلعيتي ووجهي ، وبعض الشر أهون من بعض
 قضى الله أني صرت في الحال منكدة ولا حيلة للمرء فبا به يقضي
 ولا غير في قصف ولا في لذاعة اذا لم يكن سكر الى مثل ذا يقضي
 (الطويل)

واخذ المرأة فرأى الجرح في وجهه غائراً تحت الجفن بعد وقمته فقال :

ترك التنيذ بوجعتي جرحاً ككس النعجة
 ووقعت منبطحاً على وجهي وطارث عمتي
 وبقيت منهكاً فاد لا الليل بانت سوءتي
 وعطت أن جميع ذ لك من تمام اللذة
 من لي بلخرى مثل تلك ولو بجلق اللحية
 (الكامل)

ومن شعر أبي الحكم ، ودعان شعره هو روايتي عن الشيخ شمس الدين أبي الفضل المطويع الكحال ،
 عن الحكم أمين الدين أبي زكريا يحيى البياسي ، عن أبي الجهد ، عن والده أبي الحكم المذكور ، قال
 يمدح الرئيس مؤيد الدين أبا الفوارس بن الصوفي :

وقت لما بي إذ رأيت أوصابي وشكت فقصر وجدها عما بي
 ما ضر يا ذات اللبا المتنوع لو داويت حر جوى يبرد رضاب
 من هائم في حبكم متقنع بمرار طيف أو برد جواب
 ان تسفي بالقرب منك قائماً تحمين نفساً آفنت بدمعاب
 لا تنكري ان بليت صبري بمدك واحتاذني ولهي لعظم مصابي
 فالصبر في كل المواطن دائماً مستحسن الا عن الاحباب
 هيات ان يصفو الهوى لثم لا بد من شهد هناك وصاب
 ما لي وللعدو المراض تديني أرى لحبي وكنت بملابي

وكذا العمود النجل قدما لم تزل
ما لي وحظي لا يني متباعداً
لولا رجاء أبي القوارس لم أزل
دعني أخبر بعض ما قد حاز من
فقد غدا فرضاً مديح مؤيد الدين
من قيس عيلان ثمة هوازت
والبيت من أبناء صمصمة سما
منهم ليبد والطفيل وعامر
وبنو ربيعة ان نبت وخالد
ورث الملا منهم بنو الصوفي اذ
وحوى المصيب ما به اقتضوا كما
في فزوة الشرف الرفيع سما به
واحل أندية المكارم فاشتا
ما مغمم جلب طمى آذيه
بأعم سيباً من نوال بنانه
ليت صولته على أعدائه
وله الى أشياعه وعدائه
يا دولة عقب الندى والجود في
بشجاعها وجمالها ويمزها
حسي بما نسبوا اليه وان غدت
أكرم بهم عرباً اذ اقتضى الورى
شادوا الملا بندقى وعز باذخ
قوم ترى لنوي التفاق لديهم
يا أها المولى الذي نماؤه
الى لأعلم أن برك بي غدا
ولتقت نفسي هناك بأنني
لا زلت ورقى في المكارم دائماً

وقال أيضاً يمدح الرئيس جمال الدولة أبا الفنائم أخوا المدوح :

سواء طلينا هجرها ووصالها
وما برحت ليل تجود بوعدها
ريطمنا مبادها في دنوها
إذا نكتت يوماً وردت حبالها
ويمنع منا بذلها وولائها
ولا وصل الا أن يزور خيالها

أما منك الا عنفة وتملأ
سقام يحسمي من جفونك اصله
فان تحسمي صبا يكن لك أجره
وما ذكرت لك النفس الا تفرقت
وما برحت لمتادني زفرة اذا
ومن عبرات لا يني الدهر: كلما
تصدى الكرى عن مقلتي فتنتني
وكيف يواقي النوم أو يطرق الكرى
اذا قلت أنصاما على ناي دارها
ودوية تردى المطايا تنوفة
قطعت بفتلاء الذراعين عرمى^(١٦)
تلم بنا ربح المسلم حيث لا
ولوا جمال الملك ما جنتها ولا
الى امرة لا يجهل الناس قدرها
اذا اشكلت دهاء فالرأي رأيا
او اضطربت دار الرضى بكلماتها
ترى لهم بأسا يقصر دونه
بأيديهم خطبة يزينة
ويض لقد الدارعين صوارم
وم يطعمون الضيف من قمع الذرى
فما لبني الصوفي في الناس مشبه
مما لهم مجد قديم ورقمة
بني جعفر في العرب خير قبيلة
تقابل فيهم من سلم ذوايلة
أبا ابن علي حزت أرفع رتبة
بك الدولة للفراء ترمي على الورى
ولو أنها أمست سناء ورقمة

لطال علينا عذرها واعتلاها
وقوة عشق نقص جسمي كالها
بقريك يا من شف جسمي زياها^(١٧)
وعاردها من بعد هدي ضلالها
طمعت لها بالبرء راث^(١٨) اندمالها
دعا للهوى دافع أجاب اقا لها
دموع على الحدين يمي انسجالها^(١٩)
جفونا بقاء الخلتين اكتحالها
تصور في عيني وقلبي مثالها
يحار القطا فيها اذا غب^(٢٠) آها^(٢١)
أمون^(٢٢) قواما غير باد كلالها
يحبب لها صمي وينم بالها
ترامت صغارها بنا ورمالها
ويحمد بين العالمين فعالها
وان راب^(٢٣) خطب فالحال مغالها
وطال عليهم حبيبها واشتغالها
أسود الثرى قدامها وزالها
تساقى بأكواب الناي نهالها^(٢٤)
رهاف جلا الاطباع منها صقالها
اذا ناحت نكباء ربح شمالها
ذوي البأس والايدي المهاب مصالها^(٢٥)
شديد عراها لا يخاف الحلالها
سما في زار^(٢٦) فخرها واختيالها
كا قابلت يميني اليبدين شمالها
اذا رامها من رامها لا ينالها
وحق لها اذ أنت فيها جمالها
صماء علينا كمت انت هلالها

- (١) الفرائد . (٢) أبطا . (٣) د. (٤) صار شديدا شبيها . (٥) سراجا .
(٦) قتلة السلب الشديدة . (٧) قتلة الرقيقة الخلق . (٨) أصبا .
(٩) جمع قمل وقملة وهم الذين يشربون اول الورد . (١٠) قتالها ومعاركها .
(١١) أمة قبيلة وهو زوار بن ممد من اجداده (ص) . (د.ر.)

إذا ما ذوق الشقاء أموك غيبوا
ما ظفر من دمري بارغد عيشة
لما لنوي الحاجات عنك تأخر
فدونكها كالدر لا مستمارة
ولكن نتاج الفكر غدواء حسنها
فلا نعمة إلا ومنك نوالها

وعاد عليهم بعد ذلك وبأهلها
بنمائك إن قامت علي ظلالها
لأنك عم المكرمات وخالها
فنكر منها ضعفها واختلالها
بروق إذا شان القوافي انتحالها
ولا مدحة إلا إليك مآلها
(الطويل)

وقال يمدح عز الدولة أخا مؤيد الدين :

دعا بك داعي الهوى فاستجب
لما العيش إن غيض ماء الشباب
وبكر معتلة زانها
كأنت على كأسها لؤلؤاً
يطوف بها بأبلي العماط
يقول الذي رافقه حسنها :
والا فمن أين ذا الاحرار
بنات الكروم حياة الكروم
فقل للذي هم أنت يرى
أكل امرئ يرجي سيئه^(١)
جواد إذا أنت وفيته
فقد شاع من ذكره في الألام
ثناء تأرج منه البلاد
عفاف وحلم إلى مؤدد
وفضل وبشر وجود يرا
فمن قاسه بفتى عصره
ومن قال إن امرأ غيره
وليس الذي فخره خالد
إذا ذكر الصيّد من عامر
تفاخر قيس به خندقا
ولا سبأ إن غدا فيهم

وقصر عتابك عن عتب
ولم يقض من طرفه أرب^(٢)
مرور الليالي بها والحجب
إذا ما استدار عليها الحجب^(٣)
لنبيذ القبل عذب الشنب
أذي الحمر من غده تجتلب ؟
وهذا الصفاء لبنت العنب ؟
وموت الموم عيا الطرب
كرماً ينفس عنه الكرب
رويدك ما الناس فخر العرب
أمنت به حادثات النوب
سوى ما تضمن طي الكتب
وذكر فلولاه لم يقترب
وفخر بأباه صدق الحجب
ه فرضاً على نفسه قد وجب
فقد قايس الدر بالختب^(٤)
سوى بعض ما حازه قد كذب
كن فخره طارف مكلمب
وعد مأزها وانتسب
وتعطيه منها أجل الرقب
وسيطاً بأكرم أم وأب

(١) الحاجة . (٢) التفاتع التي تملو الحمر والماء . (٣) عطاؤه . (٤) المزيف الخداع . (ن.د.)

من الجفريين في باذخ وعبدك يرغب في غلبة
ليرفع ذلك من قدره ويشخذ خاطره صكلا
فلي كلما ظفرت راحتي فني كل دولة أنت عز لها
لأنك من معشر من يرد وأعراسهم ابداً لم تول
هنيئاً لك العيد فانقم به وما العيد أنت اذا ما حضرت
وان غيب النعم عنا الهلال فدونكها حرة تجتلي
ألك بها إلى تهلبيها ولا خير في حكمة لا ترى

من العز تحط عنه الشهب ومثلك تشريفه يحتمس
وان كان قارب فيا طلب اشرب الى مدحكم وانتدب
يحود المظفر أوفى أرب تنال الاماني بأدنى سبب
حياس مكارمهم لم يحب تصان وأموالهم تنتهب
ودم ما بدا كوكب واحتجب سواء علينا نأى أو قرب
فلسنا نبالي اذا لم تغب يناديك قائلها من كتب
حكم تنخلها وانتخب مطرزة بفنون الادب

ومن مطبوع قصائده الارجوزة التي وسما بمرة البيت، يذكر فيها ما ينال الانسان اذا عمل دعوة
للندماء من المضرة والفرامة وهي هذه :

مرة^(١) البيت على الانسان فاصغ الى قول اخي تجريب
جميع ما يحدث في الدعوات فصاحب الدعوة والمسر
أولها لا بد من ثقيل صاحبها ان قدم الطعاما
لو انه يندس في حرمه يقول بعض عازره ايزار^(٢)
وأخر هذا قليل الملح ينهب ما بين يديه نهبا
يرى له في ذلك انتقاما

تطرا بلا شك من الاخوان يأنك بالشرح على ترتيب
وكل ما فيها من الآفات لا بد ان يحتفل المضرة
يكرمه القوم وذو تطفيل يحتاج ان يحتفل الملا
لا بد ان يشرعوا في ذمه وبعضهم حافت عليه النار
يظهر ألي فطن ذو نصح ويشرب الماء الفراح العذا
ويعد ذلك يطلب الانتقام^(٣)

(١) المسادة والفرم والاذى (ن.د.)

(٢) التابل وهي ما يطبخ به الطعام .

(٣) الشراب يشخذ من الشير ويصح اصطلاحه اليوم على البيرة Bières

بالتلج في الصيف وفي الشتاء
وان يزمم أو ذا خلال^(١)
وبعد هذا يحضر التنيذ
فواحد يقول هذا خل
وثم من يسأل عن راوق
وعند هذا تحضر البواطي^(٢)
فواحد يقول هذا صر
وأخر يقول ذا معود
والنقل لا يد مع المشوم
فذا له في نقله اختيار
وذا يقول الورد والتفاح
وان غشيت حبة اللغاني
عجل وقشقل^(٣) لم الدينارا
وربما قد حان منهم شطحه
وان دعوت القوم في كافون
يطير منه ابدأ شرار
ويصبح البساط بعد الجده
فضلاً عن الكباب والشرائح
وازل لهم عند انقضاء البرد
ولندامى ابدأ قنوت
فمنهم من يورد الاخبار
منها جشعاً له بالمغ
ومسك الدور وليس نفسه
ومنهم من يزن الكلاما
ومنهم من يظهر الرضاه
ومنهم من سكره قبيح
وثم من يخلل وقت السكر
ومنهم من في يديه خفه

يلتمس النار بلا استحياء
قد نلوا الحصر ولم يبالوا
الطيب المنتخب اللذيذ
وأخر ذا قافز مثل
يقول لا يد من التصفيق
ويجز التنيذ باحتياط
ويقلب الماء ولا يكف
فاجتنبوا الماء ولا تعودوا
فغير مهجور ولا مسؤوم
بروقه الرجاء والخيار
أحسن ما دارت عليه الراح
وخوفهم من ضامن القيان
في الحال ان كنت تخاف العمار
تميش ان تتموا بالصبحه
لا يد من فحم على كافون
يثبت في البسط لها آثار
منقطاً كسبه جلد الفهد
لكل غاد منهم ورائع
مراوحاً من بعد ماء الورد
يظهرها الحر قسكين
عجباً يا ويؤثر الاحتثارا
وليس فيهم من اليه يصني
قد غيب الادبار عنه حسه
تراؤساً . ويظهر الاعظاما
تعدداً كي تضعك الجماعة
لا يأخذ الدور ولا يروح
صاح ويحصى هفوات الحر
اذا رأى شيئاً مليحاً لفه

(١) ما تخلل به الأسنان .

(٢) جمع باطية وهي اللزج واسع الاط شيق الأسفل .

(٣) لم اعثر على معنى هذه الكلمة في كلام مساجم اللغة العربية . (ن.د)

منيدلا لكم أو سكتة
وبعضهم موكل بقلع
يوم أن يكسوها قتله
ولا تقل في الفمز والإيماء
فان لقوا جارية أو عبدا
وربما تطرق الفساد
أو اخته أو بقلته أو ابنه
وعندها قد تسمع النفوس
فانما الانسان من لجم ودم
وإن يكن فيهم أبو تلور
ياكل ما يلقاه اكلا لما
لا يشرب الراح مع الندامى
وان تقع عريضة هنا
تكسر الاقداح والقناني
وان نادى الامر الجيران
ثم شكوه عاجلا للشحنة^(١)
ويريح الانسان سوء السمعة
وان فشت بينهم جراح
وان تردى بينهم قتيل
وشرحم ان كان في عطشه
ولا تكن تلسى أذى الندمان
وبعده يلتمس الطعاما
ولا الذي يلقي من التفار^(٢)
من ربة البيت اذا ما قامت
تذكره عند طلوع الشمس
هذا اذا راحوا فان أقاموا
فكيف ترجو بمد ذا فلاحا
لوح على القوم بخندريس

أو طاسة التكميب أو قنينة
سلال تسيل فوق الشع
ولقا ذلك منه حيله
اذا مضى القوم لبيت الماء
قد قرصوا نهذاً وعضوا خذا
وكان من عرس الفتى انقياد
لا سوا ان راقهم بحسنه
ويطمع التدم والجلبس
ليس بصغر جامد ولا صنم
فغير مأمون ولا معذور
بلا اكاثات أو يحيد القفا
لانه لا يؤثر المداما
فليس بشقى فيهم سواكا
وكما لاح من الاواني
رموه بالزور والبهتان
وربما تمت عليه محنة
لا سوا ان كان ليل جمعة
فليس يرجى للفتى صلاح
فذاك شيء أرش^(٣) قليل
فانه يقرب المتنبه
والقيء فوق البسط في الاحيان
ليوصل الشرب مع الندامى
اذا انتبهت وقت كلس الدار
وخلفها الصعب اذا ما قامت
بكل ما دار له بالأمس
واقصدوا الصبح ثم ناموا
اذا بدا الصبح لهم ولاحا
في أو الجردق والرؤوس

(١) الذين يعيهم السلطان للمحافظة على الأمن ودم الشرطة . (ن.د.)

(٢) الدية .

(٣) جمع نقرة وهي الوحدة المستديرة في الأرض .

ان صار رهنًا في يد الحجار
فليس تخار عاجلاً من لوم
لكي يقل منهم اللام
وأكثر السرج على المنارة
فانه يستلب المصباحا
ملوءة بزفي بها اصعابه
فكل هذا من خراب البيت
لا سب إلا لئلا^(١) بالميزان
أحق مخلوق يصنع الجرب
ان الفتى لا شك دقن سزم
لو كان شهياً فطناً ذكياً
تتص من يصلى بها في كرة
أحسن من هذا على التقياس
أوفق ما دارت عليه التوبة

(الرجز)

واستغن عن بعض آلات الدار
وان تضع بعض نعال يوم
فوص ان يحفظها الغلام
ولا تبال وبك بالحماره
ومن أراد منهم الرواحا
مستصعباً في يده قوابه
ولا تفكر في فراغ الزيت
فصاحب الدعوة في خسران
وصاحب الوقت بغير شرب
يدل ما يلزمه من غرم
وكان من ذا كله غنياً
معرفة ما مثلها معرفة
فالشرب عندي في بيوت الناس
ويعد هذا كله فالتوبة

وقال في البصرة سنة احدى وعشرين وخمسة :

على البصرة الفراء حيث من مصر
وطيب رايها لا عرين من القطر
برجحة الاعطاف طيبة للشر
رأيت لها وجهاً ينوب عن البدن

(الطويل)

أقول وقد أشرقت من نهر مقل
أيا حبداً ساحاتها ورسومها
فكم فيك من يوم لوت ويلة
وان سمرت جنح الظلام تقايا

وقال ايضاً :

على الورود والرياحم والزرجس النفس
فذلك في عيش لذيق وفي خفض
فاني تقي التوب والنفس والمرض
اذا صاحب زلت به قدم اغضي

(الطويل)

ألا إن شرب الراح من أوكد الفرض
وكل امرئ أعطى الوضاعة حقها
ومها يكن في دائماً من دعابة
وان على أشياء مما تربيني

وقال ايضاً :

حياله تقضي الى موه

ما خير عيش يرحبه امرؤ

(١) قرن . (ن د)

والرزق مضمون فان منفس

فات فلا تأس على فوته
(السريع)

وقال أيضاً :

رحلت فكدرت بالبعد ما
وصكادت تصدع منا القلوب

صفا بدوئك والاقتراب
ب بعدك لولا رجاء الاياب
(المتقارب)

وقال أيضاً :

ألا يا من لصب مستهام
وكيف يفيق عزون كئيب

معنى لا يفيق من النوم
أضر يحسه طول السقام
(الوافر)

وقال أيضاً :

ريح الهين ليت لا خلقوا
ولا رجوا راحة ولا فرساً

ما يرحوا في العذاب مذ عشقوا
إلا وسدت عليهم الطرق
(الملحرح)

وقال أيضاً :

ترى درأً يحيط به حقيق
وما زان الخضاب لها بنانا

اذا ابدت ثناياها العذابا
ولكن كفها زان الخضابا
(الوافر)

وقال أيضاً :

قلت لها اذ عيرتي ضنى
لا تهزئي ان وهنت أعظمي

مع الثناء الطور والارتماش
حبك منها داخل في المشاش
(السريع)

وقال لفرأ في جبد الكويم

بهبجي يا صاح أفدي الذي
صرت له ثلث اسمه طائماً
كانما وجنته ان بدت
هلال تم والذيا له

تيمني تقدير عليه
وهو برصلي ضد ثلثيه
الحجم خيلان بخديه
مقلوب ما يشبه صدغيه
(السريع)

وقال أيضاً لفرأ في اسم شفار وهو لقب لابي الممالى السلمي الشاعر

غزال من بني الاصفر سباني طرفه الاحور

لقد فضله الله بحسن العال والمنظر
 يمتق الشفع والوتر وما قد ضمنا كوتر
 فهذا اسم قضى الرحمن أن يلفز أو يستر
 (المزج)

وقال يهجو الطبيب المشكل اليهودي على سبيل المراثية :

| | |
|------------------------------------------|----------------------------------------|
| ألا عد عن ذكرى حبيب ومزل | وعرج على قبر الطبيب المشكل |
| فيا رحمة الله استهني بغيره | وكولي عن الشيخ الوضيع بمزل |
| ويا منكراً جود هديت قداله ^(١) | بقنعة واسقله سقل السججل ^(٢) |
| وكبكبه في قعر الجعم يرجية | كجلود صخر حطه الحيل من عل |
| فلا زال وكاف ترجيه دية | عليه ينهل من الملح مسبل |
| لقد حاز ذلك اللحد اخبت جيفة | وأوضع ميت بين ترب وجندل |
| ساسبل من بطني عليه مدامي | وأورده من ماها شر منهل |
| لعل أبا حمرات من لشخصه | وقال له أسرع إلي وصبل |
| فأضمر بطن الارض أنجس منها | وأندل من رهط القوي السموال |

(الطويل)

وقال يهجو الاديب نصير الحلبي أيضاً على سبيل المراثية ، وكان نصير قد اشتغل بالكتابة وتعرض
 لشعر والطب والنجوم

| | |
|--------------------|------------------|
| يا هذه قومي انديني | مات نصير الحلبي |
| يرحمه الله لقد | كان طويل الذنب |
| قد ضجت الاموات في | نكته في الثارب |
| وودهم لو عوضوا | منه بكلب أجرب |
| والقوم بين صارخ | وبعن في الهوب |
| ومنكر يقول ذا | أوضع ميت مر بي |
| ما ضم بطن الارض | بين شرقها والغرب |
| اخبت منه طينة | في عجمها والغرب |
| يا قوم ما انجسه | نصبا على التبعج |
| أوصافه من فضته | مسطورة في الكتب |
| وقوله لشكر | أسرفت يا معذني |

(١) ما بين الاثنين من مؤخر الرأس .

(٢) للراء (د.د)

شيخ لأهل الادب
وللتطيق والتطيق
(الرجز)

اما علت أنتي
والنحو والحكمة

وقال ييجو ملك النعنة :

نعم على عارضي ذا الملك
فصار على وجهه مرتبك
ودبح أفق السماء الحبك
(المتقارب)

لقد هب من بطنك الورك
وأقبل سيل على اوره
كما درج الماء من القبا

وقال ييجو أبا الوحش الشاعر :

خلاتي لوم عنه لا تفرح
باقبح ما ييجي به البره يدح
(الطويل)

اذا رمت ان أمجو أبا الوحش عاقتي
تجاوز حد التم حتى كأنه

وقال ييجوه أيضاً :

ولم يدع افكه وظله
قد أكلوا في الحجاز لحه
(البسيط)

ان دام في غيه وحيش
سلقت آذانه بمنز

وقال أيضاً

قد أوجعتني يدي بما أعابه
يحصي الحصى قبل أن تحصي مثاليه
(البسيط)

لنا صديق جفا وازور جالبه
ان قيل لي صفه يوماً قلت ذاك فحق

وقال ييجو عليان المعروف بالمكاز الحلي :

فلم يحمد عندنا دواءه
كل امرئ يبتغي شفاؤه
(البسيط)

شكا اليينا المكاز داءه
لان داء البقاء أعيأ

وقال أيضاً :

بيتا فان زاد شيئاً عاد مفلوجا
ليتهم ان غدا بالشعر مزوجا
مضنى ويطعمه في الحال فروجا
(البسيط)

اذا حنيت بمصوم نظمت له
فقل لقوم رأوا طي لم فرجا
يفرج المم عن أحشاء ذي حرق

وقال في الشجاعة :

اذا خامر القلب تذكراها

ارى الحرب تكسبني نجدة

فأنا في النوم أبصرتها

تبين في القرش آثارها

(المتقارب)

وقال في قصيدته التي سماها ذات المناقب :

وممشر قد جعلوني قدوة
تركزت أعمارهم إذ ركنوا

برونتي فيما أعاني أوحدا
إلي في الطب كاعمار الجدا

(الرجز)

وقال أيضا :

سأظهر في إصلاح شأني تفاؤلا
وأهزل منها قلت شعرا فان بدت

ليعنوني من ظن أنني ذو جهل
به ركة يرما أحلت على الهزل

(الطويل)

وقال أيضا :

وطارق ليل أمتي بعد هجمة
فلو سمعت اذذاك تحني عواءه
وقلت له لولا شقاؤك لم تسر

فتعت جنبيه بمجرء من سلم
لعلت ابن آوى حج في حندس الظلم
بليل ولم تحلل بريح أبي الحكم

(الطويل)

وقال لما أدركته الوفاة في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وخمسةائة :

يا لهف نفسي إذا ادرجت في الكفن
وقيل لا يبمدن من كارت يلبثنا

وغيبوني عن الاهلين والوطن
أنا الذي نظر الاحمى فلم يرني

(البسيط)

ثم أنشد يوم الثلاثاء قبل وفاته وأمر ولده أبا المجد أن يروىها بعد موته عنه .

ندمت على موتي وما كان من امري
والى لاخثار الرجوع لو انني
ولو كنت أدري انني غير راجع
ألا هل من الموت المفرق من بد
مضى الاهل والاحباب عني وودعوا
لبعض على بعض لديكم مزية
لئن كنت قد أفرحتكم بمني
فنفوس للبيدي عليكم خليفتي
فها أنا قد وليته الامر فاعلموا
ولا تظنوا من رحمة الله بمد ذا

فيا ليت شعري من يرثكم بعدي
أرد ولكن لا سبيل الى الرد
لما كنت قد اسرعت سيرا الى اللحد
وهل لزمان قد تسلف من رد
وغودرت في دمهاء موحشة وحدي
ولا يعرف المولى لدينا من العبد
وسرهم موتي وأنكم فقيدي
رضيت به في الهزل بعدي وفي الجدد
وعما قليل سوف أسكنه عندي
فليس لنا من رحمة الله من بد

ولاني الحكم من الكتب : جيران شعره ، وصحي جيرانه هذا نهج الرضاة .

أبو المجد بن أبي الحكم

هو أفضل الدولة أبو المجد محمد بن أبي الحكم ، عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي . من الحكماء المشهورين ، والمعلم المذکورين ، والأفاضل في الصناعة الطبية ، والامائل في علم الهندسة والنجوم . وكان يعرف الموسيقى ، ويلعب بالعود ، ويحيد للفناء والايقاع والزمر وسائر الآلات ، وعمل أرغنا وبالغ في اتقانه . وكان اشتغاله على والده وعلى غيره بصناعة الطب ، وتميز في علمها وعملها ، وصار من الاكابر من أهلها . وكان في دولة السلطان الملك المعادل نور الدين محمود بن زنكي^(١) رحمه الله . وكان يرى له ويمجّزه ، ويعرف مقدار علمه وفضله . ولما أنشأ الملك المعادل نور الدين البيارستان الكبير جعل أمر الطب اليه فيه ، وأطلق له جامعية وجراية ، وكان يتردد اليه ويمالج المرضى فيه .

وحدثني شمس الدين أبو الفضل بن أبي الفرج الكحال المعروف بالطبوع ، رحمه الله ، انه شاهده في البيارستان ، وان أبا المجد بن أبي الحكم كان يدور على المرضى به ويتفقد أحوالهم ، ويعتبر امورهم وبين يديه المشارفون والقوام لخدمة المرضى . فكان جميع ما يكتبه لكل مريض من المداواة والتدبير لا يؤخر عنه ولا يتوانى في ذلك . قال : وكان بعد فراغه من ذلك وطويعه الى القلعة واقتضاه المرضى من اعيان الدولة يأتي ويجلس في الايوان الكبير الذي للبيارستان وجميعه مقروش ، ويحضر الاشتغال . وكان نور الدين رحمه الله قد وقف على هذا البيارستان جهة كبيرة من الكتب الطبية ، وكانت في الخمرستانين الذين في صدر الايوان فكان جماعة من الاطباء والمشتغلين يأتون اليه ويقعدون بين يديه ، ثم تجري مباحث طبية ويقرى التلاميذ ، ولا يزال معهم في اشتغال ومباحثة ، ونظر في الكتب مقدار ثلاث ساعات ، ثم يركب الى داره . ووفي أبو المجد بن أبي الحكم بدمشق في سنة^(٢) وخمسائة .

ابن البندوخ

هو أبو جعفر عمر بن علي بن البندوخ القلمي المغربي . كان فاضلاً خبيراً بمعرفة الادوية المفردة والمركبة ، وله حسن نظر في الاطلاع على الامراض ومداواتها . وقام بدمشق سنيناً كثيرة ، وكانت له دكان عطر بالبادين يجلس فيها ، ويمالج من يأتي اليه أو يستوصف منه . وكانت يبيعه عنده ادوية كثيرة مركبة يصنعها من سائر الماجين والاقراص والسفوفات وغير ذلك ، يبيع منها ويتفقد الناس بها . وكان معتبياً بالكتب الطبية والنظر فيها وتحقيق ما ذكره المتقدمون من صفة الامراض ومداواتها . وله حواش على كتاب القائلون لابن سينا . وكان له ايضاً اعتناء بعلم الحديث ، ويشعر وله رجز كثير إلا ان اكثر شعره ضيف منحل . وعمر عمرأ طويلاً ، وضعف عن الحركة

(١) تأييدك حلب ودمشق (١١١٨ - ١١٧٤) . حارب الصليبيين واجلّام عن البلاد السورية وفلسطين ، ووفي في دمشق . (ن د)
(٢) يباح بالاصل .

حتى انه كان لم يأت الى دكانه إلا محملاً في حفة . وعي في آخر عمره بماه نزل في عينه ، لانه كلت كثير أ يقتدي بالابن ويقصد بذلك طيب بدنه . وتوفي بدمشق في سنة خمس أو ست وسبعين وخمسة

ومن شعر ابن البزوخ قال وهو من قصيدة كبيرة له في ذكر الموت والمعاد فمن مختارها :

مع الامم بوجودي وامكاني
الشير يفرس أغمار التي جاني
والخير يقطر مع كل انسان
اختم بخير وتوحيد وامانة
بل من أطاعك، من للمذهب الجاني؟
أوار عيني وسمعي ثم اساني
ما بين اثنين ، شكواني لرحاني
لي للذة غير تنصت لقرآن
يختص بالطب او تفكه لقرآن
ينله او عى او داه ازمان
عن المات فكم يبقى لتفان
شر المات وشر الانس والجان
فليس يرجى لها توريق اغصان
وحسن رأي صفا من طول ازمان
قد جئت ضيقاً لتعريتي بفقران
فاختم به منعماً يا خير منان

(البسيط)

يا رب سهل لي الخيرات افعلها
فالغبر باب الى دار البقاء ومن
وخير انهن الفتى تقوى بصاحبه
يا ذا الجلالة والاكرام يا املي
ان كان مولاي لا يرجوك ذو زلل
عشر الثمانين يا مولاي قد سلبت
لا استطيع قياما غير متمد
وما بقي في لئيد يستلذ به
أو شرحه او ثروحات الحديث وما
فالشيخ تعميره يفضي الى هرم
فوتيه ساره اذ لا يحصى له
نموذ باله من شر الحياة ومن
ان الشيوخ كاشجار غدت حطباً
لم يبق في الشيخ نفع غير تجربة
يا خالق الخلق يا من لا شريك له
مولاي مالي سوى التوحيد من عمل

وقال في مدح كتب جالينوس :

ما قال بقراط والمضون في القدم
معلم عند اهل الطب في الامم
من يمدد كالتشار للور في الظلم
تري ضياء الشفا في ظلمة السقم
فان وجدانه في الطب كالندم
يحتاج فيهم الى اتمام غيرهم
وعنه كثرة في العرب والمعجم
من ذا يمد جميع الرمل والأكم
من التجارب والآيات والحكم

اكرم بكتب جالينوس قد جمعت
كديسقوريدس علم الدواء له
فالطب عن ذن مع بقراط منتشر
بطبهم تقتدي الافكار مشرقة
لا تبنتني في شفاء الداء غيرهم
لانهم كانوا ما استكوه فما
الا الدواء فما تحصى منافسه
عد النجوم نبات الارض اجمها
في كل يوم ترى في الارض معجزة

ولابن البلوخ من الكتب : شرح كتاب الفصول لابن قراط ، ارجوزة . شرح كتاب مقدمة المعرفة لابن قراط ارجوزة . كتاب ذخيرة الالباء . المفرد في التأليف عن الأشباه . حواش على كتاب القانون لابن سينا .

حكم الزمان عبد المنعم الجليلاني

هو حكم الزمان ابو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الفسائي الاندلسي الجليلاني . كان علامة زمانه في صناعة الطب والكحل وأعمالها بارعاً في الادب وصناعة الشعر وحمل المديجات . أتى من الاندلس الى الشام . وأقام بدمشق الى حين وفاته ، وعمر عمراً طويلاً . وكانت له دكان في البادين لصناعة الطب . وكان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب يرى له ويحترمه . وله في صلاح الدين مدائح كثيرة ، وصنف له كتاباً وكان له منه الاحسان الكثير والانعام الوافر . وكان حكم الزمان عبد المنعم يماني ايضاً صناعة الكيمياء . و توفي بدمشق في سنة ١١٠١ وسنة وخلف ولده عبدالمؤمن بن عبد المنعم وكان كمالاً ويشعر ايضاً ويعمل مديجات . وخدم بصناعة الكحل الملك الأشرف أبا الفتح موسى بن الملك المعادل ابي بكر بن أيوب وتوفي بمدينة الرها في سنة ١١٠١ وعشرين وسنة .

ومن شعر حكم الزمان عبد المنعم الجليلاني ما نقلته من خطه ، وهو ايضاً مما سمعته من ابي قال :
انشدني الحكم عبد المؤمن المذكور ، فمن ذلك قال يمدح الملك الناصر صلاح الدين أبا المظفر يوسف بن أيوب ووجهها اليه من مدينة دمشق الى غيابه المنصور بظاهر عكا ، وهو محاصر للفرنج المحاصرين لمدينة عكا ، فعرضت عليه في شهر صفر سنة سبع وخمسين وخمسائة ، وهذه القصيدة تسمى التحفة الجوهرية .

طلاباً لمنزلة او غلاباً لغنائم
ففض عناء دوت قرع الصوادم
وأني انصاع بآل لا عن مأزم
فأرمني اليها عن قسي الغزائم
ولا اراح نذب لم يصل بصوادم
وليس يبيت هالك في مكارم
رجال قوت آثارم كالماسم
وهزة نفس وإتباع مراحم
بجأة شخص ما اختفى في العوالم
ألا انما التخصيص قسمة راحم

رفاقية الشهم اقتحام العظام
فلم يحط بالعلياء من هاب صدمة
فأي انصاع كان لا بعد مشكل
هي الهمة الثمائم تلحظ غاية
فما انصاع سرب لم يصل سبب الملا
فليس بمجي سالك في غسائس
وما الناس إلا راحلون وبينهم
بمزة بأس ، واطلاع بصيرة
حظوظ كمال اظهرت من عجائب
وما يستطيع المرء يختص نفسه

(٥) و (٥٠) يباين بالأصل في الرضمين .

وأعظم أهل الفضل من ساد بالفوى
 ترى ضمت الافلاك ملكاً كيوسف
 فما مثل ملك ساسه في أحداث
 أباني دار العدل في مارق الوغى
 فدينك من عمل لدينك ميقن
 فانت الذي أبقت حزب محمد
 فعاربت للإيمان لا لضغائن
 أجده لى ينفك يضرب هكذا
 وفي حجرات التمتع سيع صواريخ
 ومقلمة أماسها وشرعها
 فكيف رست فيها خيامك اذ جرت
 فلم يبق الا ملحق بأسنة
 فلا طنب الا قرتب مقدم
 فدارك والابطال لارت حياهما
 لانك فيها اذ هموا جالس على
 وانك فيهم اذ سطوا خالس طلي
 فانت الملك الناصر الحق بمنى
 أتمشك الهيماء أم أنت عاشق
 شتاء وصيفاً لا تزال نراك في
 فهجرت^(١) حتى قبل ليس بفاتل
 وأرجفت روما اذ خرفت فرجة
 كدتهم^(٢) أعلى للتلال كأنهم
 وقيت لهم حتى احبوك ساطيا
 ففخاوا ففخاوا فانتدوا قتلوا
 وشخص صلاح الدين بالنصر اذ اتى
 ففعلوا بأرجاء المياكل حورة
 بدين لها قس ويرقى بوصفها
 يجعل للرء الجزاء بقوله

فقد سبق الطبع اقوى الاعاظم
 من الجبل اللاني خلت في الاقدام
 ولا مثل حرب هاجها في ملاسم
 بمسرب آن من دماء الفواشم
 وافديك من مبل لضدك هادم
 جهاداً وهم في غفة المتناهم
 ورابطت للرضوات لا لغنائم
 قبائك حيث اشتك سدم الالهائم
 سكأموح لج الهضاب ملاطم
 عنارت وخفاق بصعدة داهم
 سفين كماه في بحار شياظم^(٣)
 ولا يلق الا متق بمجيزم
 ولا ود الا تجدد عارم
 مقرر سرور في مفر مآثم
 سرير لبات مطمئن القوائم
 كبير نياب مرجعن^(٤) ألكائهم
 يرى دم شوك الحرب مهد التواهم
 لها في وصال من حيين دائم
 مساء وصبح كالآذان لللازم
 وبيت حتى قبل ليس بنائم
 فكأوا غشاء في سبول الهزائم
 ضباب كدى فزت لأضباب حاطم
 فهم ووقاء العهد قيد المحاصم
 ففألوا خذلنا بإرتكاب الجرائم
 بقلب سليم راحاً للسلام
 لك اعتقدوها كاعتقاد الاقائم
 ويكتبه يشفى به في التائم
 قطوبى لصبار ويؤس لائم

(١) طوال شداد .

(٢) ارجعن : مال واعتز .

(٣) سار في المجاعة .

(٤) كده : طرده طرداً شديداً .

وقد نصد الحر الكريم جليبه
 انما ليح لوم من فيه لراشد
 عجبت من الانسان يعجب وهو في
 يرى جوهر النفس الطليق فيزدهي
 ديوت اضطرار لتقتضي كل ساعة
 وكل فغرور بحجب حياته
 وجعاع مال لا انتفاع له به
 يبيض وما أوعاه برعاه مهدفاً
 ومن عرف الدنيا تيقن انها
 فله ساع في مناهج طاعة
 أفتاح بيت القدس سيفك مفتاح
 فتحكت في الضدين غير معارض
 فاطلقت ركا في ظهور سوابح
 غداة كدحت البيض في آل أصفر
 واذا درجوا كالرمل أعجز عدة
 كالنحل ملثفاً كوارثه هوى
 كأن لهم في تل عكا مصادة
 فسرب كسير موبق في صفائر
 فكتم ملك منهم ألقاها بكثرة
 يشقون من اسبان ألقاج^(١) زاجر
 فهاوا بنجدي جاربات ووخذ^(٢)
 غسلت الطراز الاخضر الرقم منهم
 ولو انبت للرج النفوس لاينعت
 قلب كل يسى بإشطان ذابل
 وأضلع فرسان نعال سوابك
 كذا غليرصع جوهر القول متحف
 فتى ذهنه يرمي بشهب خواطر
 يهاب رقيق الشعر رقبة طيبه

وتضعف بالايعام قوة حسابهم
 توم رشداً في سفاهة لاثم
 نقائص أحوال قسيم السوائم
 وينهل عن اعراض جسم لوازم
 فتتقرض الاعمار بين المغارم
 ويغريه بالادنى خطاء الحواتم
 كما مص مشروطاً زجاج الحاجم
 لرشفة صاد أو لرشفة صادم
 مطية يقطران وطيفة عالم
 لإيلاف عدل أو لإتلاف ظالم
 للقل الهدى مفلح باب المآثم
 فاحسكت في نقر الوغى المتخاصم
 وأغرقت ثركا في بطون القشاعم
 فلم يبق زئد منهم في معاصم
 الى تل عكا كالدي^(٣) المراكم
 من التل تحشى منهم كالمرادم
 يحاش لها أسراب وحش سوائم
 وسرب حسير مرهق في مقاسم
 فزادهم نقصاً زيادة عام
 ومن رومة الكبرى فججاج^(٤) غارم
 وذابوا بمحدي غندم لك هاضم
 بصوت نجيع أحر القطر حاجم
 بما ساح فيه عن حشا وغلاصم
 وعين طلي تجري بيزاب صارم
 وأرؤس أعيان غواشي البراجم
 به لليك مثل يرسف عالم
 تشق حجوت المتفضات العواتم
 كما هاب منه اليأس غلب الضراغم

(١) الجراد .

(٢) جمع شبح وهو الوسط أو معظمه . (٣) الطرق الواسعة بين جبلين أو في الجبل .

(٤) الرخد ضرب من سير الأبل أو الخيل . (٥ . د)

كما انتعلت جدواه وطف الغمام
يظل بها أهل النهى في ولائم
مفلج ثمر مستير الماسم
ولفظ كشدر التبر في عقد ناظم
وجل بصاحي الفكر عن نهج هائم
وبنيت نوراً شاملاً في الاقلام
بتبع اعراب وكسرى أعاجم
مديح سواه كسجنتاب المهارم
وتأيد آثار وتأيد عازم
يكافح عنها كل الب^(١) مقاوم
فليس سواه ناصر نصر عاصم
ويعطيك ما ترجو لحسن الحواتم
الى مجلس فيه منى كل قائم
مفيد الهدى مروى صدى كل حاثم
أقيم عمود المكرمات العظام
(الطويل)

ويتحل الوصف رونق نمته
وما زلت أجلو من حلاه عرائساً
بمنظم التفضيل طلق كأنه
معان صكهر السحر في عقد ناظر
سما عن حضيض الشعر في أوج حكمة
ستلنى بذكراه أقاريل من مضى
كما شاع هذا الامر في الخلق مزرباً
لفرضا أرى مدحي له متجنباً
وليس اجتداه بل تحية شاكراً
لغا خير قوام على خير ملة
تسك بجبل الله معتمداً به
تسك بن أعطاك ما قد رجوه
بعثت بها والشوق يقدم ركبها
بعيد المدى ، عدن الجدا ثار من عدا
سلام على ذاك المقام الذي به

وقال أيضاً :

فياح بما اخفاه من برحائه
فلا بد أن يومي اليه بدائه
وملتحف من دائه بردائه
فأعشى حيوناً أولت بيهائه
حواء حواء لم يزل في حوائه
(الطويل)

أطع له نجواه بعض شقائه
متى لحت عين العليل طيبه
وكم في الهوى من مكلس يرد وجده
سباه حبيب غاب في قبض حسنه
وليس له ثان يلاذ به فمن

وقال أيضاً :

وعن صود دمي تستهل المحائب
ولا الرعد الا من انيني فامب
لدي ولا قلب عن الذكر غائب
وفي كل حال لي عليكم مهاب
فما بمدكم غير الهوى لي صاحب
(الطويل)

على سوق شوقي تستقل الركائب
فما البرق الا من حنيني فابض
نأتم فلا صبر من القلب حاضر
ففي كل وقت لي اليكم تطلم
ويا ليت شعري بعدنا من صبحتم

وقال أيضاً :

ألقى بني الملك بالسؤال
أصوت نفسي بالإبتدال
فخذ من جانب اعتدال
واهرب من الذل في المألي
(البسيط)

بنلت وقتاً للطب كيلاً
فكان وجه الصواب لي أن
لا يد الجسم من قوام
واقرب من المز في التضاح

وقال أيضاً :

أحسن بما قد اقتناه
أنعم للجسم من سواء
يقوى قواه على هواء
(البسيط)

يا منكر المسح اذ رآه
اصبر له اربمين يسي
لا يستقيم المرشد حتى

وقال أيضاً :

مثل ذا فاتخذ ملاذا
أجائز أت يموت هذا
يعطش من ظنه رذاذا
وعز من بالقدم لاذا
(البسيط)

اقبل ذو دولة فقالوا
فقلت للحاضرين حولي
قالوا : نعم ، قلت : فهو ظل
قد ذل من لاذ بالفواني

وقال أيضاً :

عنه ولو كانت عزيز النفس
الى امتحان النفس الا نفر
(السريع)

من لم يسل عنك فلا تسألن
وكن قتي لم تدعه حاجة

وقال أيضاً :

واغن بالمثل فيه عن ترويع
فلتكن خطبة بلا ترويع
(الحنيف)

لا تصدق عليك عهد صدق
ومتى ما ذكرت يوم الخطب

وقال أيضاً :

وما لم همة تسمو ولا ورع
فلم ظمئت وهم في الجاه قد كرعوا
وجئت نفسي فلم اخضع كما خضعوا
وقد بيان لفرط النخوة السبع
(البسيط)

قالوا لمري تقرأ عند الملوك سموا
وأنت ذو همة في الفضل عالية
فقلت لهموا نقوساً واشتروا ثمناً
قد يكرم الفرد اصحاباً بخسته

ولحكيم الزمان عبد النعم الجلباني عدة من الكتب . فها قاله من منظوم الكلام ومطلق عشرة دواوين : «الاول» ديوان الحكم ومبادئ الكلم يشتمل على الاشارة الى كل غامض المدرك من العلم ، والى كل صادق المنسك من العمل ، والى كل واضح المسلك من القضية وهو نظم والثاني ديوان المشوقات الى الملا الاعلى وهو نظم . والثالث : ديوان أدب السوك ، وهو كلام مطلق يشتمل على مشاعر كلمات الحكمة المبصرة . والرابع كتاب نوادر الوحي ، وهو يشتمل على كلام حكمة مطلق في غريب معان من القرآن العظيم ، ومن حديث الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم . والخامس كتاب تحرير النظر ، وهو يشتمل على كلمات حكمة مفردات في البسائط والمركبات والقوى والحركات . والسادس كتاب سر البلاغة وصنائع البديع في فصل الخطاب . والسابع ديوان المبشرات والقدسيات ، وهو نظم وتديبج وكلام مطلق ، يشتمل على وصف الحروب والفتوح الجارية على يد صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب فاتح مدينة البيت المقدس في سنة ثلاث وعشرين وخمسة . والثامن ديوان الفزل والتشبيب والمشجعات والدويدي ، وما يتصل به منظوماً . والتاسع ديوان تشبيهات والنساز ورموز وأحاجي وأوصاف وزجريات وأغراض شتى منظوماً . والعاشر ديوان ترسل ومخاطبات في معان كثيرة وأصناف من الخطب والصدور والادعية . وله أيضاً من الكتب : كتاب منادح المباح وروضة المآثر والمفاخر ، من خصائص الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ألفه في سنة تسع وستين وخمسة . تمايلق في وصفات أدوية مركبة .

أبو الفضل بن أبي الوقار

هو الشيخ الأجل العالم أبو الفضل اسمعيل بن أبي الوقار ، أصله من المرة ، وأقام بدمشق ، وسافر الى بغداد ، وقرأ على أفاضل الأطباء من أهلها ، واجتمع يجماعة من العلماء بها ، وأخذ عنهم . ثم عاد الى دمشق وكان متميزاً في صناعة الطب عليها وعملها ، كثير الخير ، محمود الطريقة ، حسن السيرة ، وافر الذكاء . وكان في خدمة السلطان الملك المعادل نور الدين محمود بن زنكي ، ويعتمد عليه في صناعة الطب ، وكان لا يفارقه في السفر والحضر . وله الحفظ الوافر والانعام الكثير . وتوفي الملك المعادل نور الدين ، وهو في حلب ، في العشر الاول من شهر ربيع الاول سنة أربع وخمسين وخمسة .

مذهب العيني بن النقاش

هو الشيخ الامام العالم أبو الحسن علي بن أبي عبد الله عيسى بن هبة الله النقاش ، مولده ومنشؤه ببغداد . عالم بلم العربية والأدب ، وكان يتكلم الفارسي . واشتغل بصناعة الطب على الأجل أمين الدولة هبة الله بن صاعد بن التليد ، ولازمه مدة واشتغل بلم الحديث . سمع ببغداد من أبي القاسم عمر بن الحصين ، وحدث عنه . سمع منه القاضي عمر بن القرشي وروى عنه حديثاً في معجمه . وكان أبو عبد الله عيسى بن هبة الله بن النقاش بزازاً أديباً . قال عماد الدين أبو عبد الله محمد بن حامد الاصبهاني الكاتب في كتاب الخريدة : أنشدني مذهب الدين أبو الحسن علي بن النقاش لوالده :

إذا وجد الشيخ في نفسه . نشاطاً فذلك موت خفي

ألبت ترى ان ضوء المراج له لب قبل ان ينطفي
(المتقارب)

قال : وأذا لقيت أبا عبد الله بن النقاش ببغداد ، وتوفي رحمه الله في العشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسة مائة بعد مسيره الى أصبهان قال : وقرأت بخط السمعاني أنشدني أبو عبد الله النقاش لنفسه :

رزقت يساراً فوافيت من قدرت به حين لم يرزق
وأملت من بعده فاعتذرت إليه اعتذار أخ مملوك
وان كان يشكر فيها مضي هذا فبمدر فيها بقي
(المتقارب)

قال ، قال ، وأنشدني لنفسه أيضاً من قطعة :

وكذا الرئيس فانه عندي كجبري الروح يجري
أنكوت في دلف عليه تهتكاً من بعد سائر
صحب السوء وقد نلك مهجتي من غير أمري
قرر راء اذا استمر كعشل أريمة وعشر
يرغبو بنجلانين يعلم من مقامها ويبري
واذا تيسم في جبا ليل شهدت له بفجر
ويوره وجنته وحسن عذاره قد قام عذري
(الكامل)

أقول : ولا وصل مذهب الدين بن النقاش الى دمشق بقي بها يطب ، وكان أوحده زمانه في صناعة الطب ، وله مجلس عام للمستفتلين عليه . ثم توجه الى الديار المصرية ، وأقام بالقاهرة مدة . ثم رجع الى دمشق ، ولم يزل مقياً الى حين وفاته . وخدم بصناعة الطب الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي ، وكان يماضي أيضاً كتابة الانشاء : وكتب كثيراً لنور الدين المراسلات والكتب الى سائر النواحي ، وكان مكيناً عنده . وخدم أيضاً في البيارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين بدمشق ، وبقي به سنين . وكتب الأمير مؤيد الدولة أبو المظفر اسامة بن منقذ^(١) الى مذهب الدين ابن النقاش يستهدي بمن بلسان

ركبتي تخدمن المذهب في العلم وفي كل حكمة وبيان
وهي تشكو اليه تأثير طول العمر في ضعفها وطول الزمان
فلها فاقة الى ما يقو بها على مشيها من البلسان

(١) من فرسان العرب ولد في شيزر شمالي حاة وتوفي في دمشق (١٠٩٥ - ١١٨٨) وهو اديب ومؤلف .
(٢) أبو اليسار وهو شجر له وهو ايضاً صخر الرامة .

كل هذا حلاقة ما لم ينجا ز الثاين باليهوى يدان
رغبة في الحياة من بعد طول العمر والموت غاية الانسان

(الخفيف)

فبعث اليه ما أراد من ذلك ، ولم يزل في خدمة نور الدين الى ان توفي رحمه الله . وكانت وفاة نور الدين في شوال سنة تسع وستين وخمسة مدمشق . وخدم مذهب الدين بن النقاش أيضاً بصناعة الطب بعد ذلك للملك الإناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب . لما ملك دمشق . وحظي عنده . وكان مذهب الدين بن النقاش كثير الاحسان محباً للجميل يؤثر التخصص . ولم يتخذ امرأة ولا خلف ولداً ، وكانت وفاته رحمه الله بدمشق في يوم السبت ثاني عشر محرم سنة اربع وسبعين وخمسة ودفن بها في جبل قاسيون ^(١) .

ابو زكريا يحيى البياسي

هو أمين الدين أبو زكريا يحيى بن اسماعيل الأندلسي البياسي من الفضلاء المشهورين والعلماء المذكورين ، قد اتقن الصناعة الطبية ، وتميز في العلوم الرياضية . وصل من المغرب الى ديار مصر ، واقام بالقاهرة مدة ، ثم توجه الى دمشق وقطن بها . وقرأ على مذهب الدين أبي الحسن علي بن عيسى ابن هبة الله المعروف بابن النقاش البغدادي ، ولازمه وكتب الستة عشر جالينوس وقرأها عليه . وكتب بخطه كتباً كثيرة جداً في الطب وغيره . وكان يعرف التجارة ، وعمل لابن النقاش آلات كثيرة تتعلق بالمهندسة . وكان أبو زكريا يحيى البياسي جيد اللعب بالعود ، وعمل الارغن أيضاً ، وحاول اللعب به ، وكان يقرأ عليه علم الموسيقى . وخدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بصناعة الطب ، وبقي معه مدة في البيكار ثم استغنى من ذلك . وطلب الغنا بدمشق فاطلق له الملك الناصر جامكية وبقي مقياً في دمشق وهو يتناولها الى ان توفي رحمه الله

سكرة الحلبي

كان شيعياً قصيراً من جود مدينة حلب . وكانت له دربة بالملاعج ، وقصر في الداواة . حدثني الشيخ صفي الدين خليل بن أبي الفضل بن منصور التنوخي الكاتب اللاذقي قسلاً : كان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بحلب ، وكانت له في القلعة بها حظية يميل اليها كثيراً ، ومرضت مرضاً صعباً . وتوجه الملك العادل الى دمشق وبقي قلبه عندها ، وكل وقت يسأل عنها فتطاول مرضها ، وكان يعالجها جماعة من افاضل الاطباء ، واحضر اليها الحكيم سكرة فوجدها قليلة الاكل متفيرة المزاج ، لم تزل جنبها الى الارض ، فتردد اليها مع الجماعة . ثم استأذن الخادم في الحضور اليها وحده فأذن له ، فقال لها : يا ستي أنا اعالجك بعلاج تترني به في اسرع وقت ان شاء الله تعالى ، وما تحتاجي

(١) هو الجبل المطل على دمشق من الجهة الشمالية .

معه الى شيء آخر. فقالت : اقبل. فقال : اشتبهى ان مها اسألك عنه تخبريني به ولا تخفني. فقالت : نعم . واخذ منها اماناً فقال : ترفيني ما جنسك ؟ فقالت : علانية ^(١١) . فقال : العلان في بلادهم نصارى ، فترفيني ايش كان اكثر اكلك في بلدك ؟ فقالت : لحم البقر . فقال : يا ستي ، وما كنت تشرقي من النبيذ الذي عندم : فقالت : كذا كان. فقال : ابشري بالسافية . وراح الى بيته واشترى صجلاً وذبحه وطبخ منه ، وجاب معه في زبدية منه قطع لحم مصلوق ، وقد جعلها في لبن وقوم ، وفوقها رغيف خبز فأحضره بين يديها وقال : كلي . فالت نفسها اليه ، وصارت تجعل اللحم في اللبن والثوم وتأكل حتى شبع . ثم بعد ذلك اخرج من كه برنية صغيرة ، وقال : يا ستي هذا شراب ينفعك فتناوليه فشربته ، وطلبت النوم ، وغطيت بفرجية فرو سنجاب ، فعمرت عرقاً كثيراً واصبحت في عافية . وصار يحب لها من ذلك الغذاء والشراب يومين آخرين ، فتكاملت عافيتها فأنعمت عليه ، واعطته صبية مملوءة حلياً . فقال : اريد مع هذا ان تكتبي لي كتاباً الى السلطان وعرفيه ما كنت فيه من المرض وانك تعافيت على يدي ، فوعده بذلك وكتبت الى السلطان تشكر منه ، وتقول له فيه انها كانت قد اشرفت على الموت وان فلاناً عاجلني وما وجدت العافية إلا على يديه ، وجميع الاطباء الذين كانوا عندي ما عرفوا مرضي . وطلبت منه ان يحسن اليه . فلما قرأ الكتاب استندعه واستمره ، وقال له : هم شاكرون من مدارائك. فقال : يا مولانا كنت من الهالكين ، وانما الله عز وجل ، جعل عافيتها على يدي لبقية أجل كان لها . فاستحسن قوله ، وقال : ايش تريد أعطيك . فقال : يا مولانا تطلق لي عشرة فدادين خسة في قرية صمع وخسة في قرية عندان . فقال : نطلقها لك ييماً وعشراء حتى تبقى مؤيدة لك. وكتب له بذلك وخلع عليه . وعاد الى حلب وكثرت أمواله بها . ولم يزل في نعمة طائلة بها وأولاده بعده .

عفيف بن سكرة

هو عفيف بن عبد القاهر سكرة يهودي من أهل حلب ، عارف بصناعة الطب ، مشهور بأعمالها وجودة النظر فيها . له أولاد وأهل اكرام مشغولون بصناعة الطب ، ومقامهم بمدينة حلب .

ولطيف بن سكرة من الكتب : مقالة في القولنج فيها للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب ، وذلك في سنة اربع وثمانين وخمسمائة .

ابن الصلاح

هو الشيخ العالم نجم الدين ابو الفتح أحمد بن محمد بن السري ، وكان يعرف بابن الصلاح فاضل في العلوم الحكمية جيد المعرفة بما مطلع على دقائقها وأسرارها ، فصيح اللسان قوي العبارة مليح التصنيف

(١) وتسمى ايضاً اللان او الاذن وهي قيسة فارسية تدعى بالسنترانية وظهر المغول فتعرفوا في آسيا الوسطى حتى الصين.

متميز في علم صناعة الطب ، وكان أعجباً أصله من عذارى ، وقطن بيفداد واستدعاه حسام الدين غزنشاه^(١) بن الغازي بن ارتق اليه واكرمه غاية الاكرام ، وبقي في صعبته مدة . ثم توجه ابن الصلاح الى دمشق . ولم يزل بها الى ان توفي ، وكانت وفاته رحمه الله بدمشق ليلة الاحد سنة ثمان مائة واربعمائة وخمسة ودفن في مقابر الصوفية عند نهر باناس بظاهر دمشق

ونقلت من خط الشيخ الحكيم أمين الدين أبي زكريا يحيى بن اسمعيل البياسي رحمه الله قال : كان قد ورد الى دمشق الشيخ الامام العالم الفيلسوف أبو الفتح بن الصلاح من بغداد ، ونزل عند الشيخ الحكيم أبي الفضل اسمعيل ابن أبو الوزار الطيب . واراد ابن الصلاح ان يستعمل له ثشكا بفساديه وسأل عن صانع مجيد لعمل ذلك ، فدل على رجل يقال له سعدان الاسكاف . فاستعمل الثشك عنده ، ولما فرغ منه بعد مدة وجده ضيق الصدر زائد الطول رديء الصنع ، فبقي في اكثر أوقاته يعبه ، ويستريح صنته ، ويوم الذي استعمله . وبلغ ذلك الشيخ أبا الحكم المغربي الطيب ، فقال على لسان الفيلسوف هذه القصيدة على سبيل المجون ، وذكر فيها اشياء كثيرة من اصطلاحات النطق والالفاظ الحكيمة والهندسية وهي :

وامري عجيب شرهه يا أبا الفضل
وما قد لقيت في دمشق من الدل
على انني حوشيت في العلم من جهل
عليه زمان ليس يعمد في فعل
وهيات ان الفاء في الحزن والسهل
قله ما قاسيت من ذلك التذل
تحوز بها شكر امرئ عالم مثلي
من الامم^(٢) المدبور بالفص^(٣) والخل
على كل انسان يرى منهج العقل
وسوفي شهرين بالدفع والحل
وقلت ترى سعد ان انجز لي شغلي
بكعب غدا حقا على الكعب والرجل
أضيف الى نعل شبيه به فسل
ويجي فوي الالباب والعقد والحل
ووجه الى القطب الجنوبي مستعلي
ولكن فساد شاع في الفرع والاصل
فجزء الى علو وجزء الى سفلى

مصابي مصاب تاه في وصفه عقلي
أبتك ما بي من اسي وصابة
قدمت اليها جاهلا بأمرها
وقد كان في رجلي ثشك فخانني
فقلت عسى ان يخلف الدهر مثله
ولاحقي نللت دعيت بقربه
فقلت له يا سعد جد لي بحاجة
بحقي عسى تستخب اليوم قطعة
فقال على رأسي وحفك واجب
فناوتك في الحال عشرين درهما
فلا قضى الرحمن لي بنجازه
أتى بثشك ضيق الصدر أحف
وبشيكه بثشك سوء مقارب
بشكل على الانعام يمسرحه
وحكبه الى القطب الشمالي مائل
وما كنت في هندامه لي صحة
موازاة خطي بخانيه تخالف

(١) صاحب مازين (١١٠٤ - ١١٥٢) وفي أيامه جرت الحروب الاطليية بين امراء المسلمين والتهنسي الامر بانتصار الاقريق عليهم .
(٢) الحق الجله .
(٣) ثم شجر اللؤل يتخذ منه الخمر .

وكم فيه من عيب وخرز مفتق
يوصل ضروري وقد كان ممكناً
وفيه اختلال من قياس مركب
فلا شكه القطاع بما يلقى ان
ولا جلس ايساغوجيه بين ولا
فساد طرائق شكه عنه كونه
وقد كان فيه قوة لمرادنا
فلو كان معدول الحكيال استعملته
فيما لك في ايجاب ما الصدق سلبه
وما عازني فيه اختلال مقوله
وأبي القضايا لم يكن فيه كذبا
لقد أعوز البرهان منه شرائط
اذا حط في شمس فمضروب باشه
وطبيب في رجلي والعصف ما انقضى
فاندملني حتى بقيت مضيقاً
وفي شكل ذا قد بان ثقف دماغه
وأخرب بيت منه في الخلق ما ترى
واوقليس لو عاش أعبا انحلاله
فحينئذ أقمت بالله خالقي
وسورة بين وطه ومرم
لئن لم اجد في المزلتان ملامه
ولا قلت شعراً في دمشق ولا أرى
دهيت به خلا ينقص عيشي
وكم آلم الاسكاف قلبي بطله
وكان ازسطاليس يدعي بمشر
ويغراط قد لاقى أموراً كثيرة
وقد كان جالينوس ان عض رجله

يضاف ومن قطع من الزرع^(١) والنمل
لمدرك ان يأتي التشك بلا وصل
فلا يتج الشرطي منه ولا الحلي
أصون به رجلي فلا كان من شكل
يجد له نوع اذا جيء بالفصل
فقل اي شيء عن مقابحه يسلي
فاعوزنا منه الخروج الى الفعل
ولكن سلب الحس في الجزء والكل
وعدل قضاياء جاء من غير ذي عدل
فيجورمه والسك والكيف في خيل
وأبي قياس ليس فيه يمثل
فأعياه ثم الضروري والكلبي
للتفت يبدى الخراف الى الظل
فكيف به ان صرت في الطين والوحل
ولم يبق لي سعادان يا صاح من عقل
فاهون بشخص ناقص العقل مختل
سريعاً وأولى بالهوان وبالأزل^(٢)
عليه لان الشكل ممتنع الحل
وهود^(٣) أخيه عاد^(٤) وشيث^(٥) وذوي الكفل^(٦)
وصاد وحس ولقمان والنمل^(٧)
تؤاني كراهي لا جعلناه في حل
اعاتب اسكافاً يحد ولا هزل
فلا بارك الرحمن لي فيه من خل
ولاقيت ما لاقاه موسى^(٨) من الصجل
يرومون منه ان يوافق في الهزل
ولكنه لم يلق في اهله مثلي
تمشك يداوي العقر بالرمم النخلي

(١) اصل الزرع خيط البناء وفي علم الهيئة : الجدول الذي يستدل به على حركة الكواكب السيارة .

(٢) الضيق والشد .

(٣) نبي أرسه الله لاهل عاد . (٤) قوم هود . (٥) ثالث أبناء آدم وحواء . (٦) من الانبياء ورد ذكره في القرآن .

(٧) كل هذه سور من القرآن الكريم .

(٨) نبي الله الكليم .

وقسطا بن لوقا كان يحفى لاجل ذا
وكان أمر نصر اذا زار مشراً
وارباب هذا العلم ما قتلوا كذا
لذلك اني منذ حالت يعلت^(١)
ولو كنت في بغداد قام لنصري
وما كنت أخلو من ولي مساعد
فيا ليتني تستعجل طرت نحوها
ففي الشام قد لاقيت ألف بلية
على أنفي في جلق بين معشر
فاقسم ما فوه الأثيا اذا همي
ولا بكت الخساء صخرا شقيقها
بأخزر من دمعي اذا ما رأيته
وامرضني ما قد لقيت لاجله
فهذا وما عدت بعض خصاله
ومن عظم ما قاسيت من ضيق إسه
فيا لتمشك منذ تأملت شكله
ويشدد من يأتبه نمي يعلت
فلا تسبوا مها دعائي قانسني

وما كان يصغي في حفاء الى عدل
وضاع له نمل يروح بلا نمل
يقاسون ما لا ينبغي من فوي الجمل
ندمت فازمعت الرجوع الى اعلي
هنالك اقوام بكرام فوو نبل
وفي رغبة في العلم اكتب ما اعلي
ومن لي هذا وهو عمتع ، من لي
فيا ليت أني ما حططت بها رحلي
أعاشر منهم مشراً ليس من شكلي
وجاد على الارضين رائحة الهل
وأدمعها في الحد دائمة الهطل
وقد جاء في رجلي منحرف الشكل
فيا ليت أني قد بقيت بلا رجلي
فكيف احتراسي من أفيته قل لي
أخاف على جسمي من السقم والهل
علت يقيناً انه موجب قتلي
بنا منك فوق الرمل ما بك في الرمل
وجدت به ما لم يجد أحد قبلي
(الطويل)

ولابن الصلاح من الكتب : مقالة في الشكل الرابع من اشكال القياس الخلق ، وهذا الشكل
المسبوق الى جالينوس . كتاب في الفوز الاصغر في الحكمة .

شهاب الدين السهروردي

هو الامام العالم الفاضل أبو حفص عمر بن^(١) . كان أرواحاً في العلوم الحكيمة ، جامعاً للفنون
الفلسفية ، بارعاً في الأصول الفلكية ، مفرط الذكاء ، جيد الفطرة ، فصيح العبارة . لم ينظر احداً
الا بزه ، ولم يباحث محصلاً الا اربى عليه . وكان علمه أكثر من عقله . حدثني الشيخ سديد الدين
ابن عمر قال : كان شهاب الدين السهروردي قد اتى الى شيخنا فخر الدين المارديني ، وكان يتردد اليه

(١) اصل جلق موضع في جنوبي سوريا حشد فيه البيزنطيون جيوشهم قبل مراقبة العرب. ثم اطلق على دمشق نفسها (ن.د.)
(٢) يياض بالأصل .

في أوقات وبينها صداقة ، وكان الشيخ فخر الدين يقول لنا ما اذكى هذا الشاب وأقصه ، ولم أجد احداً مثله في زماني ، إلا أنني أخشى عليه لكثرة تهوره واحتفاره ، وقد تحفظه ان يكون ذلك سبباً لتلافه . قال : فلما فارقتا شباب الدين السهروردي من الشرق ، وتوجه الى الشام أتى الى حلب وناظر بها الفقهاء ، ولم يجاره أحد فكثرت تشجيعهم عليه ، فاستحضره السلطان الملك الظاهر ^(١) غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، واستحضره الاكابر من المدرسين والفقهاء والمتكلمين ليسمع ما يجري بينهم وبينه من المباحث والكلام . فتكلم معهم بكلام كثير بان له فضل عظيم ، وعلم باهر ، وحسن موقعه عند الملك الظاهر وقربه ، وصار مكيناً ، عنده مختصاً به ، فازداد تشجيع أولئك عليه وعملوا حاضرة بكفهر وسعروها الى دمشق الى الملك الناصر صلاح الدين . وقالوا : ان بقي هذا فانه يفسد اعتقاد الملك الظاهر ، وكذلك ان اطلق فانه يفسد أي ناحية كان بها من البلاد . وزادوا عليه أشياء كثيرة من ذلك فبعت صلاح الدين الى ولده الملك الظاهر بحلب كتاباً في حقه بخط القاضي الفاضل وهو يقول فيه : ان هذا الشهاب السهروردي لا بد من قتله ، ولا سبيل انه يطلق ولا يبقى بوجه من الوجود . ولما بلغ شباب الدين السهروردي ذلك ، وأيقن انه يقتل ، وليس جهة الى الافراج عنه اختار انه يترك في مكان مفرد ويمتنع من الطعام والشراب الى ان يلقى الله تعالى ففعل به ذلك . وكان في أواخر سنة ست ومائتين وخمسة عشرة حلب ، وكان عمره نحو ست وثلاثين سنة . قال الشيخ سعيد الدين محمود بن عمر : ولما بلغ شيخنا فخر الدين المارديني قتله قال لنا : اليس كنت قلت لكم عنه هذا من قبل ، وكنت أخشى عليه منه .

أقول : ويجري عن شباب الدين السهروردي انه كان يعرف علم السيمياء وله نوادر شوهدت عنه من هذا الفن ومن ذلك حديثي الحكيم ابراهيم بن أبي الفضل بن صلحة انه اجتمع به وشاهد منه ظاهر باب الفرج ، وهم يتمشون الى ناحية الميدان الكبير ، ومعه جماعة من التلاميذ وغيرهم ، وجرى ذكر هذا الفن وبدائعه وما يعرف منه وهو يسمع . فمشى قليلاً ، وقال : ما أحسن دمشق وهذه المواضع . قال فنظروا واذا من ناحية الشرق جواسق عالية متدانية بعضها الى بعض مبيضة ، وهي من أحسن ما يكون بناية وزخرفة ، وبها طاقات كبار فيها نساء ما يكونن أحسن منهن قط ، واصوات مغان واشجار متملقة بعضها مع بعض ، وأتھر جارية كبار ، ولم نكن نعرف ذلك من قبل ، فبقينا نتمتع من ذلك وتستحسنه الجماعة ، وانذهلوا لما رأوا . قال الحكيم : فبقينا كذلك ساعة ثم غابنا عنا ، وعدنا الى رؤية ما كنا نعرفه من طول الزمان . قال لي : إلا ان عند رؤية تلك الحالة الأولى العجيبة بقيت أحسن في نفسي كأنني في سنة خفية ، ولم يكن ادراكي للحالة التي أتصلقها مني .

وحديثي بعض فقهاء المعجم قال : كنا مع الشيخ شباب الدين عند الغايون ^(٢) ، ونحن مسافرون عن دمشق فلقينا قطيع غنم مع تركاني ، فقلنا للشيخ : يا مولانا نريد من هذا الغنم رأساً نأكله ، فقال : معي عشرة دراهم خلوها واشتروا بها رأس غنم . وكان ثم تركاني فاشترينا منه رأساً بها ، فمشينا

(١) صاحب حلب (١١٦٧ - ١٢١٥) وهو ثاني اولاد صلاح الدين . حارب الصليبيين . (ن.د.)

(٢) قرية من غواحي دمشق واريقها .

فلحقنا رفيق له وقال : ردوا الرأس وخذوا أصغر منه فان هذا ما عرف ببيعكم بسوى هذا الرأس المختبة^(١) الذي معكم أكثر من الذي قبض منكم . وتناولنا نحن وإياه ، ولما عرف الشيخ ذلك قال لنا خذوا الرأس وامشوا ، وانا أقف معه وأرضيه ، فتقدمنا وبقي الشيخ يتحدث معه ويخبره ، فلما أبعدها قليلا تركه وتبعنا وبقي التركاني يمشي خلفه ويصيح به ، وهو لا يلتفت اليه ، ولما لم يكله لحقه بذيظ وجذب يده اليسرى وقال: أين تروح وتحليني ؟ وإذا بيد الشيخ قد انخلت من عند كتفه ، وبقيت في يد التركاني ودمها يجري . فبهت التركاني ، وتغير في أمره ، ورعى اليه وخاف . فرجع الشيخ وأخذ تلك اليد بيده اليمنى ولحقنا . وبقي التركاني راجعا وهو يلتفت إلينا حتى غاب . ولما وصل الشيخ إلينا رأينا في يده اليمنى منديل لا غير .

وحدثني صفى الدين خليل بن أبي الفضل الكاتب قال : حدثنا الشيخ ضياء الدين بن صقر رحمه الله ان في سنة خمسائة وتسعة وسبعين قدم الى حلب الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي ، ونزل في مدرسة الجلاوية ، وكان مدرسا يومئذ الشريف رئيس الحنفية افتخار الدين رحمه الله . فلما حضر شهاب الدين الدرس ، وبحث مع الفقهاء ، وكان لابس ملق^(٢) ، وهو مجرد بأبريق وعكاز وما كان احد يعرفه . فلما بحث وتميَّز بين الفقهاء ، وعلم افتخار الدين انه فاضل أخرج له ثوبا عتايبا وغلالة ولباسا وبقيارا^(٣) ، وقال لولده : تروح الى هذا الفقير وتقول له : والدي يسلم عليك ويقول لك انت رجل فقيه ، وتفضل الدرس بين الفقهاء ، وقد سير لك شيئا تكون تلبسه اذا حضرت . فلما وصل ولده الى الشيخ شهاب الدين وقال له ما أوصاه سكنت ساعة وقال : يا ولدي حط هذا القماش ، وتفضل اقض لي حاجة . وأخرج له فص بلخش في قدر بيضة الدجاجة رمانى ، ما ملك أحد مثله في قده ولونه ، وقال : تروح الى السوق تنادي على هذا الفص ومها جاب لا تطلق بيمة حتى تعرفني . فلما وصل به الى السوق عند العريف ، ونادى على الفص فأتته ثمة الى مبلغ خمسة وعشرين ألف درهم . فأخذه العريف وطلع الى الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين ، وهو يومئذ صاحب حلب وقال : هذا الفص قد جاب هذا الثمن ، فأعجب الملك الظاهر قده ولونه وحسنه قبلفه الى ثلاثين ألف درهم . فقال العريف : حتى ازل الى ابن افتخار الدين واقول له . وأخذ الفص ونزل الى السوق واعطاه له ، وقال له : رح شاو والدك على هذا الثمن . واعتقد العريف ان الفص لاقتحار الدين ، فلما جاء الى شهاب الدين السهروردي وعرفه بالذي جاب الفص صعب عليه ، وأخذ الفص وجعله على حجر وضربه بحجر آخر حتى فثته وقال لولد افتخار الدين: خذ يا ولدي هذه الثياب وروح الى والدك قبل يده عني وقل له : لو أردت الملبوس ما غلبنا عنه . فراح الى افتخار الدين ، وعرفه صورة ما جرى فبقي حائرا في قضيته . واما الملك الظاهر فانه طالب العريف وقال ، أريد الفص . فقال : يا مولانا أخذه صاحبه ابن الشريف افتخار الدين مدرس الجلاوية . فركب السلطان ونزل الى المدرسة وقعد في الايوان ،

(١) الأبل الحرامانية وهي طوية الاثاق .

(٢) ثوب متسع الأكمام طويها مقترح فوق كتفيه بنوع تقريج سايل على القدمين يلبسه القضاة في الدولة الايوبية .

(٣) اعتقد انه البعير وهو يرد يمشي فيلبس بلا كفن ولا حبيب .

وطلب اقتنار الدين اليه وقال : اريد النفس . فعرفه انه لشخص فقير فآذله عنده . قال : فأفكر السلطان ثم قال : يا اقتنار الدين ان صدق حدسي فهذا شهاب الدين السهروردي . ثم قام السلطان واجتمع بشهاب الدين وأخذ معه الى القلعة وصار له شأن عظيم . وبحث مع الفقهاء في سائر المذاهب وصبرتم واستطاع على أهل حلب وصار يكلمهم كلام من هو أعلى قدراً منهم ، فحصبوا عليه وأفنوا في دمه حتى قتل . وقيل ان الملك الظاهر سير اليه من خنقه . قال : ثم ان الملك الظاهر بعد مدة نقم على الذين افنوا في دمه ، وقبض على جماعة منهم واعتقلهم ، وأهانهم واخذ منهم اموالاً عظيمة .

حدثني سعيد الدين محمود بن عمر المعروف بابن رقيقة قال : كان الشيخ شهاب الدين السهروردي رث البزة ، لا يلتفت الى ما يليه ، ولا له احتفال بأمور الدنيا . قال : وكنت أأياه يتمشى في جامع صياغاريين وهو لا يلبس جببة قصيرة مضربة زرقاء ، وعلى رأسه فوطة مفتولة ، وفي رجله زربول^(١) ، وروائي صديق لي فأتى الى جاني وقال : ما جئت قاضي الا هذا الخربند ؟ فقلت له : اسكت هذا سيد الوقت ، شهاب الدين السهروردي . فتعاطف قولي وتعجب ومضى .

وحدثني بعض أهل حلب قال : لما توفي شهاب الدين رحمه الله ، ودفن بظاهر مدينة حلب ، وجد مكتوباً على قبره ، والشمع قدجم :

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| قد كان صاحب هذا القبر جوهرة | مكتونة قد برأها الله من شرف |
| فلم تكن تعرف الأيام قيمته | فردحا خيرة منه الى الصدف |

(البسيط)

ومن كلامه قال في دعاء : « اللهم يا قيام الوجود ، وفائض الجود ، ومنزل البركات ، ومتنهي الرغبات ، منور النور ، ومدير الامور ، وواهب حياة المالمين ، امددنا بنورك ، ووقفنا لمرضاتك ، واهمنا وشدك ، وطهرنا من رجس الظلمات ، وخلصنا من غسق الطبيعة الى مشاهدة افلاكك ، ومعاينة اضواءك ، ومجاورة مقربيك ، وموافقة سكان ملكوتك . واحشرنا مع الذين انعمت عليهم من الملائكة والصديقين والانبياء والمرسلين .

ومن شعر شهاب الدين السهروردي :

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| أبدأ نحن اليكم الارواح | ووصالكم ربحانها والراح |
| وقلوب اهل وادعكم تشتاقكم | والى لنيل وصالكم تراح |
| وارحنا للعاشقين تكلفوا | سار الهبة والهوى فضاخ |
| بالسر ان باحوا تباح دعاؤهم | وكذا دعاء البائعين تباح |
| واذا هم كنتموا تحدث عنهم | عند الرشاة المدمع السعاح |
| ويحدث شواهد السقام عليهم | فيها لشكل امرم ايضاح |

(١) الزربول كما في التاج : مايلبس في الربيل « موك » والمعروف عند العامة انها الحذاء الضخم « مرب » .

الصب في خفض الجناح جناح^(١)
والى رضاكم طرقه طباح
فالهجر ليل والوصال صباح
رق الشراب ودارت الاقداح
وبخده الصباء والتفتح
في أحسن الباقوت منه اقاح
(الكامل)

خفض الجناح لكم وليس عليهم
قالى لقاكم نفسه مشتاقه
عودوا بنورالوصل من غسق الدجا
وتتموا فالوقت طاب لكم وقد
مترنخاً وهو النزال الشارد
وبثغره الشهد الشهي وقد بدا

وقال أيضاً :

وتقم الدنيا فليس غلغ
لا يئمنك عن هواك مفند
دنياك يوم واحد يتردد
ولتندمن اذا ناك الموعد
ومساجد خريت ، وعمر معبد
قدماً وكم صالوا لها وتصدوا
(الطويل)

فز بالنعيم فان عمره ينفد
واذا ظفرت بلذة فانقض لها
وصل الصبوح مع القيق فافنا
وعدوك تشرب في الجنان مدامة
كم امة هلكت ، ودار عطلت ،
ولكم ني قد أتى بشريمة

وقال أيضاً :

ولي عزم الرحيل عن الديار
فان الشهب أشرها السواري
كان الليل زين بالنهار
الى كم أجمل التنين جاري
وفوق الفرقدين رأيت داري
يذكرني بها قرب المزار
(الوافر)

أقول لجارتي والدمع جاري
فريني انت أسير ولا تنوحي
واني في الظلام رأيت ضوءاً
الى كم أجمل الحيات صحي
وكم أرسى الاقامة في فلاة
ويأتيني من الصنماء برق

وقال عند وفاته وهو يحود بنفسه لما قتل :

فيكولي اذ رأوني حزوا
ليس ذا الملت والله انا
طرت عنه فتمتل رهنا
وارى الله عيالا بينا
لترون الحق حقاً بينا

قل لاصحاب رأوني ميتاً
لا تظنوني باني ميت
أنا صفور وهذا قفصي
وأنا اليوم النجي ملأ
فاخلعوا الانفس عن اجسادها

(١) الجناح : الاثم .

لا تزعج سكرة الموت فما
عنصر الأرواح فينا واحد
ما أرى نفسي إلا أنتم
فحق ما كان خيراً فلنا
فارحوني ترحوا أنفسكم
من رأيي فليقو نفسه
وعليكم من كلامي حجة
فلام الله مدح وثنا
(الرمل)

ولشهاب الدين السهروردي من الكتب : كتاب التلويحات اللوحية والعرشية . كتاب الاالواح
المعادية ، ألفه لهاد الدين أبي بكر بن قرا أرسلان بن داود بن ارتقى صاحب غرت برت . كتاب
اللحمة . كتاب المقامات وهو لواحق على كتاب التلويحات . كتاب هياكل النور . كتاب المعارج .
كتاب المطارحات . كتاب حكمة الاشراق

شمس الدين الحنوي

هو المصدر الامام العالم الكامل قاضي القضاة شمس الدين ، حجة الاسلام ، سيد العلماء والحكام ،
أمر العباس أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى من مدينة خوي^(١) كان أوحد زمانه في العلوم
الحكمية ، وعلامة وقته في الامور الشرعية . عارفاً بأصول الطب وغيره من أجزاء الحكمة ، عاقلاً ،
كثير الحياء ، حسن الصورة ، كريم النفس ، محباً لفعل الخير . وكان رحمه الله حلازماً للصلاة والصيام وقراءة
القرآن . ولما ورد الى الشام في أيام السلطان الملك المعظم^(٢) عيسى بن الملك المعادل استحضره ، وسمع
كلامه فوجده أفضل أهل زمانه في سائر العلوم . وكان الملك المعظم عالماً بالامور الشرعية والفقه
فحسن موقعه عنده ، واکرمه وأطلق له بجامكية وجراية . وبقي معه في الصحبة . ثم جعله مقياً
بدمشق ، وله منه الذي له . وقرأ عليه جماعة من المشتغلين وانتفعوا به . وكنت أتردد اليه ، وقرأت
عليه التبصرة لابن سهلان . وكان حسن العبارة قوي الذاكرة ، فصيح اللسان بليغ البيان ، وافر
المروءة ، كثير الفتوة . وكان شيخه الامام فخر الدين بن خطيب الري لحقه وقرأ عليه ، ثم ولاه الملك
المعظم القضاء وجعله قاضي القضاة بدمشق . وكان مع ذلك كثير للتواضع لطيف الكلام ، يمضي الى
الجامع ماشياً للصلاوات في أوقاتها . وله تصانيف لا مزيد عليها في الجودة . وكان ساكناً في المدرسة
المعادية ويلقي بها الدرس للفقهاء . ولم يزل على هذه الحال الى ان توفي رحمه الله ، وهو في سن الشباب .

(١) به إندريجان .

(٢) (١١٨٠ - ١٢٢٨) قول الحكم بدمشق واختطف مع أبناء صلاح الدين فتفرقت حكتهم ولم يهروا على الصليبيين .

(ن ر)

وكانت وفاته بحمص الدق^(١) بدمشق ، وذلك في سابع شهر شعبان سنة سبع وثلاثين وسبعمائة .
ولشمس الدين الحنفي من الكتب : تمة تفسير القرآن لابن خطيب الري . كسب في النحو .
كتاب في علم الأصول . كتاب يشتمل على رموز حكمية على ألقاب السلطان الملك المعظم ، صنفه
للكل المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب .

رفيع الدين الجيلي

هو القاضي الاجل ، الامام العالم ، رفيع الدين أبو حامد عبد العزيز بن عبد الواحد بن اسمعيل
ابن عبد الهادي الجيلي ، من اهل فيلان شهر من الجبلان ، وكان من الاكابر المميزين في العلوم الحكمية ،
واصول الدين والفقه والعلم الطبيعى والطب . وكان مقبلاً بدمشق ، وهو فقيه في المدرسة العذراوية
داخل باب النصر . وله مجلس للشتغلين عليه في انواع العلوم والطب . وقرأت عليه شيئاً من العلوم
الحكمية . وكان فصيح اللسان قوي الذكاء ، كثير الاشتغال والمطالعة . واستخدم قاضياً في مدينة
بعلبك ، وبقي بها مديدة . وكان صديقاً للصاحب أمين الدولة ، وبينهما عشرة . ولما تولى السلطان
الملك الصالح^(٢) حماد الدين اسمعيل دمشق ، وتوفي قاضي القضاة شمس الدين الحنفي رحمه الله فآشار
الصاحب أمين الدولة ان يجعل موضعه ، فولاه السلطان ، وصار قاضي القضاة بدمشق ، وارتفعت
منزلته وارتقى ، وبقي كذلك مدة ، وكان كثير من الناس يتظفون منه ، ويشكون سيرته . وبالجملة
فان الحال تأدى به الى ان قبض عليه ، وقتل رحمه الله في أيام الملك الصالح اسمعيل . وكان قد وقع
بين القاضي رفيع الدين وبين الوزير أمين الدولة فيمنوه تحت الحوطة مع رجال عوامه الى قريب
بعلبك في موضع فيه حوة عظيمة لا يعرف لها قعر ، يقال لها مغارة افقه^(٣) . وكانوا أمرهم بما يفعلونه
به فكتفوه ، ثم دفعوه في وسطها . وحدثننا بعض الذين كانوا معه انه لما دفع في تلك الحوة تحطم في
نزوله ، وكأنه تعلق في بعض جوانبها أسفل بشابه . قال : فبقينا نسمع أليته نحو ثلاثة أيام ، وكلما
مر يضعف ويخفى حتى تحققنا موته ورجعنا عنه .

أقول : ومن عجيب ما يحكى ان القاضي رفيع الدين وقف على نسخة من هذا الكتاب بحضوري ،
وما كنت ذكرته في تلك النسخة فطالع فيه ، ولما وقف على اخبار شهاب الدين السهروردي تأثر من
ذلك وقال لي : ذكرت هذا وغيره افضل منه ما ذكرته ، وأشار الى نفسه . ثم قال : وايش كان
من حال شهاب الدين إلا انه قتل في آخر أمره ، وقدر الله عز وجل ان رفيع الدين قتل أيضاً مثله ،
فسبحان الله العظيم المدير في خلقه بما يشاء . وكانت وفاة القاضي رفيع الدين في شهر ذي الحجة سنة
احدى واربعين وسبعمائة . ولما كان رفيع الدين قد تولى القضاء بدمشق ، وصار قاضي القضاة ، وذلك

(١) الجبل التي تعرفها العامة بالسحرة الرفيعة .

(٢) اتايك حلب ودمشق احسن السياسة فأحببه الشعب واطاعه وتوفي سنة ١١٨٠ .

(٣) قرية في كسروان من لبنان ويتعلق من مغارها نهر ابراهيم . (ن. د)

سنة ثمان وثلاثين وسبائة ، علمت فيه هذه القصيدة واهنته فيها :

مجد وسعد دائم وعلاء أبدا الزمان ورفعة وسناء
 بقاء مولانا رفيع الدين ذي الجود العميم ومن له التسمية
 قاضي القضاة أجل مولى لم يزل بعلاده يسمو العلم والعلماء
 متفرد بالمكرمات وانما كل الورى في بعضها شركاء
 لو رام كل بليغ قول انه يحصي علاه القصر البلاء
 كم من عداة شاهدين بفضله والفضل ما شهدت به الأعداء
 وله التصانيف التي قد أعريت عن كل ما قد أعجم القدماء
 وبه لجبل في البلاد مفاخر وكذا لهذا الجبل منه علاه
 يا سيداً فاق الأنام حقيقة يحيل وصف ليس فيه خفاء
 قد كان عندي من فراقك والنوى ألم ومن رؤياك جاء شفاء
 وأنى الى قلبي السرور وافرقت شمس الحبور وزالت البرحاء
 وبنت تباثير الهنداء بمنصب يملوه من نور الآله يباه
 إحكام احكام وعدل شائع ملئت به وبفضلك القبراء
 وتفرقت في الناس منك فوائد وتجمعت منهم لك الامواء
 فلك السيادة والسادة والعلا والفضل والافعال والآلاء
 والمشارقي للسعد أنت وان تغل فصل الخطاب فانك الجوزاء
 ولئن خصصتك بالهناء فانه هم الأنام بما وليت هناء
 هـ كم أوليتني منناً على مر الزمان وما لها احصاء
 فاسلم وهم في رغد عيش دائم ما غردت في أبكها الورقاء

(الكامل)

ولرفيع الدين الجيلي من الكتب : شرح الاشارات والتنبیيات ، ألفه المظفر تقي الدين عمر ابن الملك الامجد بهرام شاه بن فرخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب . اختصار الكليات من كتاب الغاروت لابن سينا . كتاب جمع ما في الاسانيد من حديث النبي ﷺ

شمس الدين الحسروشاهي

هو السيد الصدر الكبير ، العالم شمس الدين عبد الحميد بن عيسى الحسروشاهي . وحسروشاه ضيعة قريبة من تبريز^(١) . إمام العلماء ، سيد الحكماء ، قدوة الأنام ، شرف الاسلام . قد تميز في العلوم الحكيمة ، وحرر الأصول الطبية ، وأتقن العلوم الشرعية ولم يزل دائم الاشتغال ، جامعا للفضل

(١) مدينة في بلاد ايران هي قاعدة إقليم آذربيجان اليوم .

والافضال . وكان شيخه الامام فخر الدين بن خطيب الري وهو من اجل تلامذته . ومن حيث وصل إلى الشام اتصل بمحنة السلطان الملك الناصر صلاح الدين داود ^(١) بن الملك المعظم ، واقام عنده بالكرك ، وهو عظيم المنزلة عنده وله منه الاحسان الكثير والانعام الغزير . ثم توجه شمس الدين بعد ذلك الى دمشق وأقام بها الى ان توفي رحمه الله . وكانت وفاته في شهر شوال سنة اثنتين وخمسين وستائة . ودفن بجبل قاسيون ^(٢)

ولما وصل الى دمشق اجتمعت به فوجدته شيخاً حسن السمات ، مليح الكلام قوي الذكاء ، محصلاً للعلوم . ورأيت يوماً وقد أتى اليه بعض فقهاء المعجم بكتاب دقيق الخط ثمن البغدادي ، معزلي التقطيع . فلما نظر فيه صار يقبله ويضعه على رأسه ، فسألته عن ذلك فقال : هذا خط شيخنا الامام فخر الدين الخطيب رحمه الله . فمطمع عندي قدره لتعظيمه شيخه . ولما توفي شمس الدين الحسروشاخي رحمه الله ، قال الشيخ عز الدين محمد بن حسن الغنوي القشيري الاربلي يرثيه :

وأردى بيد الفضل والبدر كامل
وما كل ذي علم من الناس عامل
فكيف اذا وافيته وهو قائل
اذا أصبت الحقائق منا المسائل
وحيد المعالي من حلى الفضل عاطل
وأى فتى أودى وغال الفوائيل
ومن قصرت في الفضل عنه الاوائل
لما غيب عبد الحميد الجنائيل
ولا في بقاء المرء يطمع أمل
وأبدي الدعاوى في المحافل جاهل
(الطويل)

بورك شمس الدين مات الفضائل
فتى عالم بإلحق بالخير عامل
فتى يد كل القائلين بصمته
وكنا لحل المشكلات نعهده
فريح الحجا من بعده اليوم قد خلا
أندري المتسايا من رمت بساهما
رمت اوجد الدنيا وبجر علومها
ولو كان بالفضل الفتى يدفع الردى
ولكن دفع الموت ما فيه حبة
فبعدك شمس الدين أعوز عالم

وقال صاحب نجم الدين البودي يرثيه :

عليّ فان العلم أدرج في كفن
وعدت فريد الهمة والوجد والحزن
لما حسن صبري بعمده اليوم بالحسن
يقدمه الاسنى على ذلك السن
يخبر فتى وافى الى ذلك الوطن

أيا فاعياً عبد الحميد تصبراً
مضى مفرداً في فضله وعلومه
فبا عين سحي بالدموع لفقده
تلقت أصناف الملائك بجمعه
تقول له : أهلاً وسهلاً ومرحباً

(١) احمد المارك الارمني قضى حياته متافحاً عن حقوقيه ضد خصومه من بني قومه واهل بيته . وكان شاعراً بليغاً .
وتوفي بمرض الطاعون .
(٢) مدينة ارمينية من الكلام هنا (ن . د)

الى مشعر أضى الوجود ذواتهم
وحسبك من ذات هي العين حقة
تبين ترى ذات الذوات برصد
لك الله شمس الدين كم شدت معلماً
مصائبك شمس الدين تسلية لنا
فليس لهم إلف يعوق ولا سكن
فليس بها افك ولا عندهما إحسن
تعالى عن الاكوان والكون والزمن
من الحق أسمى ذا لسان له لسن
ومثلي من أضى بمثلك يمتحن
(الطويل)

ولشمس الدين الحسروشاهي من الكتب: مختصر كتاب المذهب في الفقه على مذهب الامام الشافعي
لابي اسحق الشيرازي . مختصر كتاب الشفاء للرئيس ابن سينا . تنمة كتاب الآيات البينات لابن
خطيب الري، وكان وصل فيها في الشكل الثاني ، وهذه الآيات البينات غير النسخة الصغيرة المعروفة
التي هي عشرة أبواب .

سيف الدين الأمدى

هو الامام الصدر العالم الكامل سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الأمدى،
أوحد الفضلاء ، وسيد العلماء . كان أذكى أهل زمانه ، وأكثرهم معرفة بالعلوم الحكيمة ، والمذاهب
الشرعية ، والبادى الطبية . بهي الصورة ، فصيح الكلام ، جيد التصنيف . وكان قد خدم الملك
المنصور ناصر الدين أبا المالبي محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة ،
وأقام بخدمة بجمدة سنين ، وله منه الجاهلية السنية ، والانصام الكثير . وكان من أكبر الخواص
عنده ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك المنصور وذلك في سنة سبع عشرة وستمائة . فتوجه الى
دمشق ، ولما دخلها انتم عليه الملك المعظم شرف الدين^(١) عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب
انصاماً وكرمه غاية الاكرام ، وولاه التدريس . وكان اذا نزل وجلس في المدرسة وألقى الدرس
والفقهاء عنده يتمجب الناس من حسن كلامه في المناظرة والبحث ، ولم يكن أحد يخاله في سائر
العلوم . وكان قادراً ان يقرئ أحد شيئاً من العلوم الحكيمة . وكنت اجتمعت به واشتغلت عليه في
كتاب رموز الكنوز من تصنيفه ، وذلك لمودة أكيدة كانت بينه وبين أبي . وأول اجتماعي به
دخلت أنا وأبي اليه الى داره ، وكان ساكناً بدمشق في قاعة عند المدرسة العادلية ، فلما جلسنا عنده
بعد السلام ، وتفضل بمحرم التودد والكلام نظر وقال بهذا اللفظ : ما رأيته ولداً أشبه بوالد منكما .
وأشدني صاحب فخر الفضاة بن بصاقة نفسه وقد تشفع به العماد بن السماسي الى سيف الدين
الأمدى بأن يشتغل عليه :

يا سيداً جل الله الزمان به وأمله من جميع السجم والعرب

(١) ولد في القاهرة (١١٨٢-١٢٢٧) وغلب إليه في ولاية الشام .

العبد يذكر مولاه بما سبقت
ومثل مولاي من جاءت مواهبه
فأصفت من بحرك الفياض مورده
وابجعل له نسباً يبدلي إليك به
ولا تكلمه الى كتب تدبسه
وعوده لمهاد الدين عن كتب
عن غير وعد وجدواه بلا طلب
وأغنى من كنوز العلم لا الذهب
فلحمة العلم تملو لحمه النصب
فالسيف اصدق انباء من الكتب
(البسيط)

اقول وقد جاء في هذا البيت احسن ما يكون من تضمين قول أبي تمام ^(١) لاشترائك لقلعة السيف ،
ولم يزل سيف الدين مقيماً بدمشق الى ان توفي رحمه الله . وكانت وفاته في رابع شهر صفر سنة
احدى وثلاثين وسبائة .

ومن شعر سيف الدين الأمدي ، انشدني ولده جمال الدين محمد ما أنشده والده سيف الدين لنفسه :

فلا فضيحة إلا من فضائله ولا غريبة إلا وهو منشاها
حاز الفخار بفضل العلم وارتفعت به الممالك لما ابن تولاها
فهو الوسيعة في الدنيا لطالها وهو الطريق الى الزلفى بأغراها
(البسيط)

ولسيف الدين الأمدي من الكتب : كتاب دقائق الحقائق . كتاب رموز الكنوز . كتاب
لباب الالباب . كتاب ابرار الافكار في الاصول . كتاب غاية المرام في علم الكلام . كتاب كشف
التوهمات في شرح التنبيهات ، ألفه للعلامة المتصور صاحب حياة ابن تقي الدين . كتاب غاية الامل في
علم الجدل . شرح كتاب شهاب الدين المعروف بالشريف المراخي في الجدل . كتاب منتهى السالك في
رتب المسالك . كتاب المبين في معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين . دليل متحد الائتلاف ويجاد في
جميع مسائل الخلاف . كتاب الترجيعات في الخلاف . كتاب المؤاخذات في الخلاف . كتاب التعليلة
الصغيرة . كتاب التعليلة الكبيرة . عقيدة تسمى خلاصة الابرز . تذكرة الملك العزيز بن صلاح الدين
كتاب منتهى السؤل في علم الاصول . كتاب منافع القرائح .

موفق الدين بن المطران

هو الحكيم الامام العالم الفاضل موفق الدين أبو نصر أسعد بن أبي الفتح الياس بن جرجس المطران.
كان سيد الحكماء وأوحد العلماء ، واقر الآلاء ، جزيل النماء ، أمير أهل زمانه في علم صناعة الطب
وعملها ، واكثرهم تحصيلاً لاصولها وجعلها . جيد المداواة لطيف الإدارة ، عارفاً بالعلوم الحكيمية ،
متعنياً في الفنون الادبية . وقرأ علم النحو واللغة والادب على الشيخ الامام تاج الدين أبي العباس زيد بن

(١) حبيب بن اوس الطائي ، ولد في جاسم ومنهم من يقول في جبل عامل وولد هناك وتلم في جبل عامل . وهو من
فطاحل شعراء العصر العباسي . (د. ر)

الحسن الكندي ، وتبين في ذلك . وكان مولد موفق الدين بن المطران ومنشؤه بدمشق ، وكان أبوه ايضاً طبيباً متقدماً جوالاً في البلاد لطلب الفضة . وسافر الى بلاد الروم لالتقان الاصول التي يمتد عليها في علم النصارى ومذاهبهم . ثم عدل بعد ذلك الى العراق واجتمع بأمرين الدولة بن التليذ ، واشتغل عليه بصناعة الطب مدة ، وقرأ عليه كثيراً من الكتب الطبية ، وصار موسوماً بالطب . ثم انه عاد الى دمشق وبقي طبيباً بها الى حين وفاته .

وكان موفق الدين بن المطران حاد الذهن فصيح اللسان كثير الاشتغال . وله تصانيف تدل على فضله ونبله في صناعة الطب وفي غيرها من العلوم واشتغل بالطب على مذهب الدين بن النقاش . وكان ابن المطران جميل الصورة ، كثير التخصص محباً لبس الفلأخر الثمن . وخدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وحظي في أيامه ، وكان رفيع المنزلة عنده عظيم الجاه . وكان يتعجب عنده ويقضي اشتغال الناس ، وقال من جهة المال مبلغاً كثيراً . وكان صلاح الدين ، رحمه الله ، كريم النفس كثير العطاء لمن هو في خدمته ، ولمن يقصده من سائر الناس ، حتى انه مات ولم يوجد في خزانته من المال شيء ، وكان له حسن اعتقاد في ابن المطران لا يفارقه في سفر او حضر ، ولهذا انه غمره بإحسانه ، وأوفاه بامتنانه . وكان يطلب على ابن المطران الزهو بنفسه والتكبر حتى على الملوك . وكان صلاح الدين قد عرف ذلك منه ويحترمه ويحب له ما قد تحققه من علمه واسلم ابن المطران في أيام صلاح الدين .

وحديثي بعض من كان يعرف ابن المطران فيما يتعلق بمجبه وادلاله على صلاح الدين ، انه كان معه في بعض غزواته ، وكانت عادة صلاح الدين في وقت حروبه ان ينصب له خيمة حراء ، وكذلك دهليزها وشقتها . وان صلاح الدين كان يوماً راكباً واذا به قد نظر الى خيمة حراء اللون ، وكذلك شقتها ومستراحها فبقي متأملاً لها ، وسأل ابنه هي ؟ فاجاب انها لابن المطران الطبيب . فقال : والله لقد عرفت ان هذا من حماقة ابن المطران ، وضحك ، ثم قال : ما بنا إلا يبرأ احد من الرسل فيعتقد انها لأحد الملوك ، واذا كان لا بد فيغير مستراحها . وأمر به ان يرمى ولما رمي صعب ذلك على ابن المطران وبقي يومين لم يقرب الخدمة فاسترضاه السلطان ووهب له مالا .

وحديثي ايضاً من ذلك انه كان في خدمة صلاح الدين طبيب يقال له ابو الفرج النصراني ، وبقي في خدمته مدة وله تردد الى دوره ، فقال يوماً للسلطان ان عنده بنات ، وهو يحتاج الى تجهيزهن ، وطلب منه ان يطلق له ما يستعين به من ذلك فقال له صلاح الدين : اكتب في ورقة جميع ما تحتاج اليه في تجهيزهن ، وجيب الورقة . فعرض ابو الفرج ، وكتب في ورقة من المصاغ والقفاش والآلات وغير ذلك ما يكون بنحو ثلاثين الف درهم . ولما قرأ صلاح الدين الورقة أمر الخزاندار بان يشتري لابن الفرج جميع ما تضمنته ، ولا يخل بشيء منه . ولما بلغ ذلك ابن المطران قصر في ملازمته الخدمة ، وتبين لصلاح الدين منه تغير في وجهه فعرف السبب . ثم امر الخزاندار بان يحضر جميع ما وصل الى ابني الفرج الطبيب بما اشار له ، ويحسب جملة ثمنه ، ومما بلغ من المال يدفع الى ابن المطران مثله سواء فعمل ذلك .

وحدثني أبو الظاهر اسمعيل ، وكان يعرف ابن المطران ويأنس به ، انه العجب والتكبر الذي كان يظف على ابن المطران ، لم يكن على شيء منه في اوقات طلبه العلم . وقال : انه كان يراه في الاوقات التي يشتغل فيها بالنحو في الجامع يأتي اذا تفرغ من دار السلطان ، وهو في مركبة حقة ، وحواليه جماعة كثيرة من المبالك الترك ، وغيرهم ، فاذا قرب من الجامع ترجل ، واخذ الكتاب الذي يشتغل فيه في يده أو تحت أبطه ، ولم يترك أحدا ما يصعبه ، ولا يزال ماشياً والكتاب معه الى حلقة الشيخ الذي يقرأ عليه فيسلم ويقعد بين الجماعة ، وهو بكيس^(١) ولطف إلى ان يفرغ من القراءة ويمود إلى ما كان عليه .

وقال صاحب جمال الدين^(٢) القاضي الاكرم ابو الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم الفطفي : ان الحكيم موفق الدين اسعد بن المطران لما أسلم وكان نصرانياً ، حسن اسلامه ، وزوجه الملك الناصر صلاح الدين ، قدس الله روحه ، إحدى حظايا داره واسمها جوزة . وكانت جوزة هذه جارية خوندخان بنت معين الدين وزوجة صلاح الدين ، وكانت مديرة دارها والمتقدمة عندها من جواربها واعطتها الكثير من حلبها وخضاثرها ، ومولتها وخولتها فترقت أمورهم وهذب أحوالهم ، وحسنت زيه ، وجعلت ظاهره وباطنه . وصار له ذكر سام في الدولة وحصلت له أموال جمة من امراء الدولة في حال مباشرته لهم في امراضهم . وتنافسوا في العطاء له ، وترقت حاله عند سلطانه الى أن كاد يكون وزيراً . وكان كثير الاشغال على أهل هذه الصناعة الطبية والحكيمة ، يقدمهم ويتوسط في ارضاقهم . قال : ولقد أخبرني الفقيه اسمعيل بن صالح بن البناء البفطي ، خطيب عيذاب^(٣) قال : لما فتح السلطان الساحل ارحمحت عن عيذاب لزيارة البيت المقدس . فلما حصلت بالشام رأيت جبلاً مشجرة به . براري عيذاب المصعرة فاشتقت الى المقام بالشام ، ونجيت في الرزق به ، فقصدت الفاضل عبد الرحمن وسألته كتاباً الى السلطان في توليت خطابة قلعة الكرك . فكتب لي كتاباً هو مذكور في ترسله ، وهو حسن التلطف . قال : فاحضرته الى دمشق والسلطان بها فارشدت في عرضه الى ابن المطران ، فقصدته في داره ودخلت عليه باذنه فرأيت حسن الخلق والخلق ، لطيف الاستماع والجواب . ورأيت داره وهي على غاية من الحسن في العماره والتجميل . ورأيت أغابي بركته التي يبرز منها الماء وهي ذهب على غاية ما يكون من حسن الصنعة . ورأيت له غلاماً يتحجب بين يديه اسمه عمر في غاية جمال الصورة . ثم رأيت من الفرش الطرح ، وشمعت من الرائحة الطيبة ما هالني ، وبألت الحاجة التي قضدته فيها ، فأنعم بالجزاها . وقال صاحب جمال الدين : ورأيت زوجته وابن عمر حاجبه ، وقد حضرا بعد سنة ستائة الى حلب على رقة من الحال ، وتولا في الكتف الملكي الظاهري ، سقى الله عهداً ، واقيا به بصدقة قررت لها ، وماتت هي بعد مدة ولا أعلم بعدها لولد عمر خيراً

(١) الطريف والوطن والحسن النعم .

(٢) ولد في فسط (١١٦٧ - ١٢٤٨) ووزر للملك العزيز . وجمع كتباً كثيرة ووصى بها لقناصر صاحب حلب له كتاب « اخبار الملك باخبار الحكماء »

(د.د)

(٣) مرقا على البحر الاحمر الاخرجي واقع في جنوبي مصر قرب الحدود السودانية تجاه جدة

وحدثني الشيخ موفق الدين بن البوري الكاتب النصراني قال : لما فتح الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب الكرك ، أتى الى دمشق الحكيم موفق الدين يعقوب بن سقلاب النصراني ، وهو شاب على رأسه كوفية وتخفيفة صغيرة ، وهو لايس جوخة ملوطة زرقاء ، زي اطباء الفرنج ، وقصد الحكيم موفق الدين بن المطران ، وصار يخدمه ويتردد اليه لمله ينفعه ، فقال له هذا الزي الذي انت عليه ما يشي لك به حال في الطب في هذه الدولة بين المسلمين . وانما المصلحة ان تغير زيك ، وتلبس عادة الاطباء في بلادنا . ثم أخرج له جبة واسعة عنابية وبقياراً مكللاً وأمره أن يلبسها . ثم قال له ان هنا أميراً كبيراً يقال له ميمون القصري وهو مريض ، وانا اتردد اليه وادأويه ، فتمال معي حتى تكون تماجله . فلما راح معه قال للامير : هذا طبيب فاضل ، واني اعتمد عليه في صناعة الطب ، وأنت به فيكون يلزمك ويباشر أحوالك في كل وقت ، ويقع عندك الى ان تبرأ ان شاء الله تعالى . فامتثل قوله وصار الحكيم يعقوب ملازماً له ليلاً ونهاراً الى ان تفاقى فأعطاه خمسمائة دينار . فلما قبضها حلبها الى ابن المطران وقال له : يا مولانا هذا ما اعطاني ، وقد أحضرته الى مولانا ، فقال له : خذها فاما ما قصدت الا تفعلك . فأخذه ودعا له .

وحدثني الحكيم عز الدين ابو اسحق ابراهيم بن محمد بن السويدي قال : كان ابن المطران جالساً على باب داره ، وقد اتاه شاب من أهل لسة ، وعليه زي الجنندية ، وأعطاه ورقة فيها اثنا عشر بيتاً من الشعر يتدحس بها . فلما قرأها ابن المطران قال أنت شاعر ؟ فقال : لا ، ولكني من أهل البيوت ، وقد نزل الدهر بي ، وقد أليت المولى وجعلت قيادي بيدك لتدبرني فيها حسن فيه رأيك العالي . فدخل الى داره واستدعى الشاب ، وقدم له طعاماً فأكل وقال له : ايش تقول قد مرض عز الدين فرغشاه صاحب صرخد^(١) ، وهذا المرض يمتاده في كل حين فاني رأيت ان اسيرك اليه تماجله فهو يحصل لك من جهته شيء جيد . قال له : يا مولاي ، من أين لي معرفة بصناعة الطب أو درية ؟ فقال : ما عليك ان اكتب معلق دستوراً تمشي عليه ، ولا تخرج عنه . فقال الشاب : السمع والطاعة ، فلما خرج الشاب لحقه الغلام ببغجة فيها عدة قطع فماش مضطرب ، وفرس بسرجه ولجام فقال له : خذ هذا اللقياش البسه ، وهذا الفرس اركبه ، ونحجز الى صرخد . فقال له : يا سيدي . انه لم يكن لي مكان ابنت الفرس . فقال : اتركها عندنا ، وشد عليها بكرة النهار ، وسافر على خيرة الله تعالى . فلما كان بكرة النهار حضر الشاب الى باب دار ابن المطران فأعطاه كتاباً قد كتبه على يده الى عز الدين فرغشاه صاحب صرخد ، وأعطاه تذكرة بما يعتمد عليه في مداواته ، وأعطاه مائتي درهم ، وقال : اتركها عن بيتك نفقة . وسافر الشاب الى صرخد وداوى عز الدين فرغشاه بما أمره به فبرىء ، ودخل الجاهم وخلع عليه خلعة مليحة من اجدود ما يكون ، وأعطاه بقة بسرجه وسرفسار ذهب ، والاف دينار مصرية ، وقال : تحمديني ؟ فقال له : ما أقدر يا مولانا ، حتى اشاور شخشي الحكيم موفق الدين ، ابن المطران : فقال له عز الدين : ومن هو الحكيم موفق الدين ، ما هو الا غلام أخني لا سبيل الى

(١) بلد بإشام في جبال حوران .

خروجك من صرعد . وألحوا عليه في القول وشددوا ، فقال : اذا كان ولا بد فأنا أمضي الى منزلي وأجيء . فمضى الى منزله وأحضر الحفلة والنخب وما معها ، وقال هذا الذي اعطيتموني خذوه ، وانا فواكه ما أعرف صناعة الطب ، ولا ادري ما هي ، وانا انا جري لي مع الحكيم ابن المطران كذا وكذا . وقص عليه الواقعة كما وقعت . فقال له عز الدين : ما عليك ان لا تكون طبيباً ، انت ما تعرف تلعب بالنرد والشطرنج ؟ فقال : بلى ، وكان الشاب لديه أدب وفضيلة . فقال له عز الدين : قد تركتك حاجي ، وجعلت لك اقطاعاً في السنة يعمل اثنين وعشرين ألف درهم . فقال : السمع والطاعة يا مولانا ، بل أسأل دستوراً الى دمشق ان اروح الى الحكيم موفق الدين واقبل يده وأشكره على ما فعل معي من الخير . فاعطاني دستوراً ، واتي الى الحكيم موفق الدين وقبل يده ، وشكره شكرًا كثيراً ، وأحضر الذي حصل بين يديه ، وقال له : قد حصل لي هذا فخذ . فرده عليه وقال له : انا ما قصدت إلا نفعك ، خذه بآرك الله لك فيه . وعرفه الشاب بما جرى له مع عز الدين وصورة الخدمة ، واستمر الشاب في خدمة عز الدين . وكان ذلك الاحسان من مروءة موفق الدين ابن المطران .

أقول : وكانت لموفق الدين بن المطران همة عالية في تحصيل الكتب ، حتى انه مات وفي خزانته من الكتب الطبية وغيرها ما يناهز عشرة آلاف مجلد خارجياً مما استلسخه . وكانت لهناية بالغة في استلخاس الكتب وتحريرها . وكان في خدمته ثلاثة نساخ يكتبون له ابداً ولهم منه الجامكية والجرانية ، وكان من جلستهم جمال الدين المعروف بابن الجمالة ، وكان خطه منسوباً . وكتب ابن المطران ايضاً بخطه كتباً كثيرة ، وقد رأيت عدة منها ، وهي في نهاية حسن الخط والصحة والاعراب . وكلت كثير منظمالة للكتب لا يفار من ذلك في اكثر اوقاته . وأكثر الكتب التي كانت عنده توجد ، وقد صعبها واتفق تحريرها ، وعليها خطه بذلك . وبلغ من كثرة اعتنائه بالكتب وغوانته فيها انه جامع لكثير من الكتب الصغار والمفالات المتفرقة في الطب ، وهي في الاكثر يوجد جماعة منها في مجلد واحد استلسخ كلا منها بذاته في جزء صغير قطع نصف غن البغدادي بمسطرة واضحة ، وكتب بخطه ايضاً عدة منها واجتمع عنده من تلك الاجزاء الصغار مجلدات كثيرة جداً فكانت ابداً لا يفارق في كنه مجلداً يطالعه على باب دار السلطان أو أين توجه . وبعد وفاته بيعت جميع كتبه ، وذلك انه ما خلف ولداً .

وسعدني الحكيم عمران الاسرائيلي : انه لما حضر بيع كتب ابن المطران وجدتم وقد أخرجوا من هذه الاجزاء الصغار ألواناً كثيرة اكثرها بخط ابن الجمالة . وان القاضي الفاضل بخت يستعرضها فبشوا اليه بجله خزانة صغيرة منها وجدت كذلك ففطر فيها ، ثم ردوا قبلت في المناداة ثلاثة آلاف درهم واشترى الحكيم عمران اكثرها وقال لي : انه حصل الاتفاق مع الورقة في بيعها انهم اطلقوا مع كل جزء منها بدرهم فاشترى الاطباء منهم هذه الاجزاء الصغار على الثمن بالمعد .

أقول : وكان ابن المطران كثير المروءة كريم النفس ، وحب لتلاميذه الكتب ويعمن اليهم واذا جلس احد منهم لمعالجة المرضى يخلف عليه . ولم يزل متنبياً بأمره . وكان أجل لتلاميذه شيخنا مهذب

الدين بن عبد الرحم بن علي رحمه الله . وكان كثير الملازمة له والاشتغال عليه وسافر معه مرات في غزوات صلاح الدين لما فتح الساحل .

وبما حدثني شيخنا مهذب الدين عنه فيما يتعلق بمعالجته قال : كان أسد الدين شيركوه^(١) صاحب حمص قد طلب ابن المطران فتوجه اليه وكنت معه . فبينما نحن في بعض الطريق ، وإذا رجل مجلوم استقبله ، وقد قوي به المرض حتى تغيرت خلقته ، وتشوهت صورته . فاستوصف منه ما يتناوله وما يتداوى به ، فبقي كالتبريم من رؤيته ، وقال له : كل لحوم الافاعي . فعاوده في المسألة فقال : كل لحوم الافاعي فانك تبرأ ، قال ومضينا الى حمص وعالج المريض الذي راح بسببه الى ان تماثل وصلح ، ورجعنا فلما كنا في الطريق ، وإذا بشاب حسن الصورة ، كامل الصحة قد سلم علينا وقبل يده فلم نعرفه . وقال له : من أنت ؟ فعرفه بنفسه وأنه صاحب المرض الذي كان قد شكاه اليه ، وأنه لما استعمل ما وصفه له صلح به من غير ان يحتاج معه الى دواء آخر ، فتعجبنا من ذلك في كال برئه وودعنا وانصرف .

وحدثني أيضاً عنه انه كان معه في البيارستان الكبير الذي انشأه نور الدين ابن زنكي وهو يعالج المرضى المقيمين به فكان من جلتهم رجل به اسقام زقي استحکم به فقصد الى بزله ، وكان في ذلك الوقت في البيارستان ابن حمدان الجراحي ، وله يد طول في العلاج فجزموا على بزل المسكقي قال : فعصموا وبزل الموضع على ما يجب ، فجرت مائة صفراء وابن المطران يتفقد نبض المريض ، فلما رأى ان قوته لا تقى باخراج اكثر من ذلك ، أمر بشد الموضع ، وان يستلقي المريض ولا ينير الرباط أصلاً . ووجد المريض شفة وراحة كبيرة ، وكانت عنده زوجته فأوصاهما ابن المطران انهما لا تمسكته من حل الرباط ، ولا تغيره بوجه من الوجوه الى ان يبصره في ثاني يوم . فلما انصرفنا وجاء الليل قال زوجها اني قد وجدت العافية وما بقي بي شيء ، وانما الاطباء قصدم ان يطولوا بي ففعل الرباط حتى يخرج هذا الماء الذي قد بقي ، واقوم في شفتي فانكثرت عليه قوله ، ولم تقبل منه ، فعادها بالقول وكرر ذلك عليها مرات ، ولم يعلم ان بقية المائية انما جعلوا اخراجها في وقت آخر مراعاة لحفظ قوته وشفة عليه . فلما حلت الرباط وجرت المائية باسرها خارت قوته وهلك

وحدثني أيضاً انه رأى في البيارستان مع ابن المطران رجلاً قد فلجت يده من أحد شقي البدن ورجله الخالفة لها من الشق الآخر فماله في اسرع وقت وديره بالادوية الموضعية فصلح

أقول : وكان لموفق الدين أسد بن الياس ابن المطران اخوان أيضاً قد اشتغلا بصناعة الطب : أحدهما هبة الله بن الياس ، والآخر * ابن الياس . و توفي موفق الدين بن المطران في شهر ربيع الاول سنة سبع وثمانين وخمسة مئتين . وتقلت من خط البديع عبد الرزاق بن أحمد الماعري

(١) هو عم صلاح الدين الايوبي . وكان قائداً ثابته لتور الدين صاحب حلب ودمشق ثم اصبح وزيراً للخليفة الماعز الفاطمي .
(*) يابض بالأصل

الشاعر ينجح موقف الدين بن المطران بعد اسلامه، وذلك في ثالث شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسةائة:

قلب على صاب^(١) الصباية مكرمي
بدله الاغرام غير مدله
ولكم بعدت فبات لآلف تفكه
ما تشتهي فيصد عما يشتهي
عذراً بوجهه بوجه أبله
ما زال مستنداً الى صبر حي
غرراً ولن يدهى سوى الفطن الدهي
يزداد غيباً في هواء اذا نهي
بسوى الموقف ذي الحل الانبه
لم يتلها بفعل غير موه
لوفد ما عنها امرؤ، بمنه
مشف شفاء بذلك الوجه البهي
حمد يطرز حلة المجد الشهي
فغنا الاعز له عضو موله
الاده للستجير فلاله
نصر أخيه الجاه الوجه فلاحه^(٢)
والنطق في النادي ولما ينده
واللؤذعي^(٣) الفيلسوف المدره^(٤)
وحوى الملا طغلا قلب^(٥) وما زهي
في الاكرمين فباله من مشبه
فضل الاثم بخاطر لم يشده
بيدي جواد بالهي متنبه
أغنى باعلى اوجه عن اوجه
عنه الاياب كما اليه توجهي
الحساد بين مقهر ومقهيه

ينهى اليك وليس عنك بمنته
شوقاً أدل على اللؤاذ فلم يند
يدنو فيقدو فيك حلف تفكه
يوى الذي تهوى ويمشق قلبه
لجني ويعلم ما جنيت فيجنتي
لميجت من مفض على نار النضا
فطن دماه في حشاشته الهوى
ولقد نها ، ونهاه عنك ولم يزل
لو ساعد التوفيق لم يك لاثدا
من لا يرى الاحسان في الاقوال ما
جم النهى ويداه أنهاء الندى
رواية للادواء حاسمة فكهم
جد حوى جداً وجود محوز
ضاهى ابن مريم حكمة وسعادة
هو عصمة اللاجي فان هو لم يكن
نصر العفاة على الزمان ندى أبي
ذي المنصب العادي غير مدافع
الالهي^(٦) الارمحي^(٧) المرجي
العالم الخير^(٨) الذي حاز الفنى
واذا الخلائق أشبهت أمثالها
واذا الخواطر أصبحت مشدوهة
أعفى الاثم عن التثناء فعاوزه
فلك من الاحسان حين وصلته
أضحى ترى مغناه وهولي الفنى
هي نقشة المصدر اصدر وردها

(١) مر

(٢) لاج الشبه : اثاره فيه .

(٣) الذي التوقه . (٤) الراسع الخلق .

(٦) زعيم القوم للتكلم عنهم .

(٧) العالم الصالح . (٨) صار ليبياً اي عاتلاً .

(٥) التصبح السان او الذي الحديد اللؤاذ .

سرى وابعدنا من المترفه
من بعد ما سبقت عتاق القره (١)
فصرت اليه وجسمه لم ينقه
بفصيح قول لم يكن بمقهله (٢)
بعلا فاق على البليغ الافوه (٣)
عيسى الرجاء بكل مرت (٤) مهمه
بضياء نور سريره لم تغمه
من شكوت اليه غير مسفه
أمرى بأول واثق يقط دهي
حطاً واسكر في المديح الاتزه
قد زدت في مدحسي له وتألمي
ما سكان كافيه ولا يشوره
في النفس لم يأسن ولم يتسنه (٥)
واخو القناعه وادع لم يجبه
لاقيت من زمن للسل تأوهي
بشاء من لم يمس لي بمنوه
شعر الوليد (٦) ولا غناء البندهي (٧)
عن غيه ومعاقب لا ينتهي

ما اقرب الآمال من ذي الهمة الخ
لولا رجاء البره ما ارجأته
لكتبا سرت ببدا برثه
وغدت مهنته بشهر صياحه
يا اسعد اصغ الى مدائح افوه (٨)
راج حدهاء ولاده فسرى على
وأراك للشكوى الملهة مشكبا
طال اشتكائي للانام ولا أرى
ولكم دعيت مع الوثوق ولست في
قد كنت في اهل الرسوم أقلمه
فلما رأى السلطان نقصي بهدما
شره للفتى داه وخير طعامه
ومطامع الاطباع تأسن (٩) والغنى
لا تحبه الايام الا راغباً
أهلاً لا يامي ولولا سوء ما
ولكم أوه في الزمان وأهله
اذ لا يحرك اهل دهرى للتدى
ومن الثناء معائب لا يرهوي

ولوفق الدين بن المطران من الكتب: كتاب بستان الأطباء وروضة الألباء ، غرضه فيه ان يكون
جامعاً لكل ما يجده من ملح ونوادر وتمريفات مستحسنة بما طالعها او سمعه من الشيوخ او نسخه من
الكتب الطبية ، ولم يتم هذا الكتاب ، والذي وجدته منه بخط شيخنا الحكيم مهذب الدين جزآن :
الاول منها قد قرأه على ابن المطران وعليه خطه ، والجزء الثاني ذكر مهذب الدين فيه ان ابن المطران
وافاه الاجل قبل قراءته له عليه . الفقرة الناصرية في حفظ الامور الصعبة قصد فيها الايماز والبلاغ ،
وقد رتبها احسن ترتيب وجعلها باسم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ووجدت

(١) التشيلة .

(٢) الهبة؛ الهوى .

(٣) متكلم . (٤) التطبيق الجيد للكلام

(٥) ارض يريت : لا نبات فيها .

(٦) تشفير .

(٧) منه الطعام والشراب : تنير .

(٨) الوليد بن يزيد الخليفة الأموي وكان شاعراً جيداً . وكان صاحب لفر ونبون .

(٩) اسد الثغين العرب وينسب الى بنده وهي جموعة جزائر في الانوفيسيا . (ن . ر)

الأصل الأول من هذا الكتاب ، وهو بخط جمال الدين المعروف باسم الجمالة كاتب ابن المطران مرقس .
المقالة النجمة في التدابير الصحية وكأنه كان صنفا لنجم الدين أيوب والد صلاح الدين ، فلما توفي ولم
يوصلها إليه جعلها باسم ولده . اختصار كتاب الاوار للكسندانيين اخراج أبي بكر أحمد بن علي بن
وحشية ، اختصره وفرغ منه في رجب سنة احدى وثلاثين وخمسةائة . لفظ في الحكمة . كتاب على
مذهب دعوة الاطباء . كتاب الادوية المفردة ، لم يتم ، وكان قد قصد فيه ان يستوعب ذكر كل
دواء على غاية ما يمكنه . كتاب آداب طلب الملوكة . وحدثني نسيب له انه لما توفي كانت عنده
مسودات عدة لمصنفات طبية وغيرها وتعالق متفرقة فاخذ اخواته تلك المسودات وضاعت يمين
وقال لي انه رأى عند احدها صندوقاً ارادت أن تبطنه وقد الصقت في باطنه جملة من هذه الاوراق
التي بخطه .

مذهب الدين بن الحاجب

كان طبيباً مشهوراً فاضلاً في الصناعة الطبية ، متقناً للعلوم الرياضية ، معتلياً بالادب ، متعينا في
علم النحو . مولده بدمشق ، ونشأ بها ، واشتغل بصناعة الطب على مذهب الدين بن النقاش ولازمه
مدة . ولما كان شرف الدين الطوسي بمدينة الموصل ، وكان أوسع زمانه في الحكمة والعلوم الرياضية
وغيرها ، سافر ابن الحاجب والحكيم موفق الدين عبد العزيز اليه ليجتمعا به ، ويشغلا عليه فوجداه
قد توجه الى مدينة طوس فأقاما هنالك مدة ، ثم سافر ابن الحاجب الى اربل ، وكان بها فسر الدين
ابن الدهان المنجم فاجتمع به ، ولازمه وحل معه الزيج الذي كان قد صنمه ابن الدهان ، واتفق قراءته
عليه ونقله بخطه ، ورجع الى دمشق . وكان هذا ابن الدهان المنجم يعرف بابي شجاع ويلقب بالثعلب ،
وهو بغدادى أقام بالموصل عشرين سنة وتوجه الى دمشق فأكرمه صلاح الدين والفاضل وجماعة
الرؤساء واجرى له ثلاثين ديناراً كل شهر . وكان له دين وورع ونسك ، كثير الصيام يشتكف في
جامع دمشق اربعة اشهر واكثر ، ولاجله عملت المنصورة التي بالكلاسة ، وله تصانيف كثيرة منها
الزيج المشهور الذي له ، وهو جيد صحيح ، ومنها التبر في الفرائض ، وهو مشهور . كتاب في
غريب الحديث عشر مجلدات ، وكتاب في الخلاف مجدول على وضع تقويم الصحة ، وكان دائم الاشتغال
وله شعر كثير . وقصد الحج فلما رجع الى بغداد توفي بها ودفن عند قبر ابيه وأمه بعد غيبته أكثر
من أربعين سنة .

وكان مذهب الدين بن الحاجب كثير الاشتغال بحب العلم قوي النظر في صناعة الهندسة ، وكان
قبل اشتهاره بصناعة الطب قد خدم في الساعات التي عند الجامع بدمشق . ثم تميز في صناعة الطب
وصار من جملة أعيانها ، وخدم بصناعة الطب في البيلارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين
ابن زنكي . ثم خدم تقي الدين عمر صاحب حماة ، ولم يزل في خدمته بمجاة الى ان توفي تقي الدين .
ثم عاد ابن الحاجب الى دمشق وتوجه الى الديار المصرية ، وخدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن

أيوب بصناعة الطب ، وبقي في خدمته الى ان توفي صلاح الدين ، ثم توجه الى الملك المنصور صاحب
حماة ابن تقي الدين ، واقام عنده نحو سنتين ، وتوفي بحماة بعلة الاستسقاء

الشريف الكحال

هو السيد برهان الدين أبو الفضل سليمان . أصله من مصر ، وانتقل الى الشام . شريف الاعراق ،
لطيف الاخلاق ، حلو الشائل ، مجموع الفضائل . وكان عالماً بصناعة الكحل ، واغزر المعرفة والفضل ،
متقناً للعلوم الادبية ، بارعاً في فنون العربية ، متميزاً في النظم والنثر ، متقدماً في عمل الشعر .
وخدم بصناعة الكحل السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب ، وكان له منه الجاهلية
السنية ، والمنزلة العالية ، والانعام العام والتفضل التام . ولم يزل مستمراً في خدمته متقدماً في دولته
الى ان توفي رحمه الله .

ومن ملح ما للقاضي الفاضل فيه على سبيل الجون ، وما أنشدني الشيخ الحافظ نجيب الدين
أبو الفتح نصر الله بن عجله الشيباني قال : أنشدني القاضي الفاضل عبيد الرحمن بن علي لنفسه في
الشريف الكحال

رجل توكل لي وكعني فدهيت في عيني وفي عيني
(الكامل)

وقال ايضاً :

عاد بني المباس حق انه سلب السواد من الميون بكعها

وكان قد اعدى الشريف أبو الفضل الكحال المذكور الى شرف الدين بن عنين خروفاً ، وهو
يومئذ بالديار المصرية فلما وصل اليه وجده هزئلاً ضعيفاً فكتب اليه يقول على سبيل المداعبة

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| أبو الفضل وابن الفضل انت وأهل | فغير يديع ان يكون لك الفضل |
| أنتني أياديك التي لا اعدنها | لكلثمتها لا كفر نعمي ولا جهل |
| ولكنني انييك عنها بطرفة | تروقك ما وأفى لها قبلها مثل |
| أظني خروف ما شككت بانه | حليف هوى قد شفه الحجر والذل |
| اذا قام في شمس الظهيرة خلته | خيلاً سرى في ظلة ما له ظل |
| فناشدته ما تشتهي قال قنة (١) | وقاسمته ما شفه قال لي الاكل |
| فاحضرتها خضراء بحاجة الثرى | مسلة ما خص او راقها الفتل |
| فطل راعيها بعين ضعيفة | وبلشدها والدمع في العين منهل |
| أنت وحياض الموت بيني وبينها | وجادات يوصل حين لا ينفع الوصل |
| | (الطويل) |

(١) واحدة قلت وهو حب يري يأكله اهل البادية بعد دقه وطبخه .

أبو منصور النصراني

كان طبيباً مشهوراً عالماً حسن المعالجة والمداواة وخدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين ابن أيوب وبقي ستين في خدمته .

أبو النجم النصراني

هو أبو النجم بن أبي غالب بن فهد بن منصور بن وهب بن قيس بن مالك . كان طبيباً مشهوراً في زمانه ، جيد المعرفة بصناعة الطب ، محمود الطريقة فيها ، مشكور المعالجة ، حسن المشورة ، محباً للخير . وكان يقرأ عليه علم الطب ، ويمد من جملة الفضلاء المتميزين في وقته . وحدثنني أبو الفتح بن مهنا النصراني أن أبا النجم كان أبوه فلاحاً في قرية شفا من أرض حوران ^(١) ، وكان يعرف بالعمار . وكان ابنه أبو النجم هذا صبيّاً فآخذ به بعض الأطباء بدمشق عنده . ولما كبر علمه صناعة الطب وعرفه أعماماً ، وخدم أبو النجم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظي عنده ، وكان مكيناً في الدولة ، وبقي في خدمته مدة . وكان يتردد إلى دوره ، ويمالهم مع جملة الأطباء . وتوفي أبو النجم النصراني بدمشق في سنة تسع وتسعين وخمسة . وله ولد طبيب وهو أمين الدولة أبو الفتح ابن أبي النجم . وله من الكتب : كتاب الموجز في الطب ، وهو يشتمل على علم وعمل .

أبو الفرج النصراني

كان طبيباً فاضلاً عالماً بصناعة الطب ، جيد المعرفة بها ، حسن العلاج ، متميزاً في زمانه . وخدم بصناعة الطب الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب . وكان يحترمه ويرى له . وخدم أيضاً الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين وأقام عنده بسميساط ^(٢) وكذلك أيضاً أولاد أبي الفرج اشتغلوا بصناعة الطب ، وأقاموا بسميساط في خدمة أولاد الأفضل .

فخر الدين بن الساعاتي

هو رضوان بن محمد بن علي بن رستم الحراساني الساعاتي . مولده ومنشؤه بدمشق . وكان أبوه محمد من خراسان وانتقل إلى الشام وأقام بدمشق إلى أن توفي . وكانت أوحداً في معرفة الساعات وعلم النجوم . وهو الذي عمل الساعات عند باب الجامع بدمشق ، صنعها في أيام الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي . وكان له منه الانعام الكثير ، والجامكية والجراية للآزمته الساعات . وبقي كذلك إلى أن توفي رحمه الله ، وخلف ولدين أحدهما يسماه الدين أبو الحسن علي بن الساعاتي الشاعر ، الذي هو

(١) الحجاز جنوبي دمشق في سوريا بمحاذاة غرباً جبل الشيخ وشرقاً حراته أرض البادية وأوائل منطقة جبل العرب (الدور) وتنتهي جنوباً إلى شفاف بحيرة طبريا .

(٢) مدينة الأفضل فتحها صلاح الدين الأيوبي . (د. د)

أفضل أهل زمانه في الشعر ، ولا أحد يماثله فيه ، وتوفي بالقاهرة ، ودعيانته مشهور ومعروف. والآخر
فخر الدين رضوان بن الساعاتي الطبيب الكامل في الصناعة الطبية ، الفاضل في العلوم الادبية .

وقرأ فخر الدين صناعة الطب على الشيخ رضي الدين الرحي ، ولازمه مدة . وكان فطنا ذكيا
متقنا لما يماينه ، حريصا في العلم الذي يشتغل فيه . وقرأ ايضا صناعة الطب على الشيخ فخر الدين
المارديني . ولا ورد الى دمشق ، كان فخر الدين بن الساعاتي جيد الكتابة يكتب خطا مسويا في
النهاية من الجودة ويشعر ايضا . وله معرفة جيدة بصناعة المنطق والعلوم الحكيمة ، وكان اشتغاله يعلم
الادب على الشيخ فاج الدين الكندي بدمشق ، وخدم فخر الدين بن الساعاتي الملك الفائز ^(١) بن الملك
العاقل أبي بكر بن ايوب وتوزر له . وخدم ايضا الملك المظفر عيسى بن الملك العادل بصناعة الطب ،
وتوزر له . وكان ينادمه ويلعب بالعود ، وكان محبا لكلام الشيخ الرئيس ابن سينا في الطب مغريا
به ، وتوفي رحمه الله بدمشق بمكة البرقان ^(٢) .

ومن شعره :

| | |
|-----------------------|------------------------|
| يحمدي قومي على صنعي | لأنني بينهم فارس |
| سهرت في ليلي واستمعوا | لن يستوي الدارس والناس |
| (السريح) | |

ولفخر الدين بن الساعاتي من الكتب : تكميل كتاب القولنج للرئيس ابن سينا . الحواشي على
كتاب القانون لابن سينا . كتاب المختارات في الاشمار وغيرها .

شمس الدين بن اللبودي

هو الحكيم الاجام العالم الكبير شمس الدين ابو عبدالله محمد بن عبدان بن عبد الواحد بن اللبودي .
علامة وقته ، وأفضل أهل زمانه في العلوم الحكيمة وفي علم الطب . سافر من الشام الى بلاد المعجم ،
واشتغل هناك بالحكمة على نجيب الدين اسعد الحمداي . وقرأ صناعة الطب على رجل من اكابر العلماء
واعيانهم في بلاد المعجم . كان اخذ الصناعة عن تلميذ لابن سهلان عن السيد الايلاقي محمد . وكانت
لشمس الدين بن اللبودي همة عالية وفطرة سليمة وذكاء مفرط ، وحرص بالغ فتميز في العلوم واتقن
الحكمة وصناعة الطب ، وصار قويا في المناظرة ، جيدا في الجدل ، يعد من الائمة الذين يقتدى بهم ،
والماشيخ الذين يرجع اليهم . وكان له مجلس للاشتغال عليه بصناعة الطب وغيرها. وخدم الملك الظاهر
غياث الدين ^(٣) غازي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب ، وأقام عنده مجلس . وكان يعتمد
عليه في صناعة الطب ، ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك الظاهر رحمه الله ، وذلك في شهر جمادى
الآخرة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة . وبعد وفاته أتى الى دمشق ، وأقام بها يدرس صناعة الطب ،
ويطلب في البجارسنالك الكبير النوري الى ان توفي رحمه الله . وكانت وفاته بدمشق في رابع ذي القعدة

(١) تولى الملك بعد أبيه وهو من ملوك المماليك مصر .

(٢) مرض معروف يصيب الانسان ويسبب اصفرار البدن . « ن. د. »

(٣) ثاني اولاد صلاح الدين . حارب الصليبيين

سنة احدى وعشرين وستائة ، وله من العمر احدى وخمسون سنة . ومن كلام شمس الدين بن البودي :
« كل شيء اذا شرع في نقص مع اصراف الهمة اليه تنامي عن قرب » .

ولشمس الدين بن البودي من الكتب : كتاب الرأي المختار في القضاء والقدر . شرح كتاب
المخلص لابن الخطيب . رسالة في جمع المفصل . شرح كتاب المسائل لحنين بن اسحق .

الصاحب نجم الدين بن الليودي

هو الحكيم السيد العالم الصاحب نجم الدين ابو زكريا يحيى بن الحكيم الامام شمس الدين محمد بن
عبدان بن عبدان بن عبد الواحد ، اوجد في الصناعة الطبية ، ندرة في العلوم الحكيمة ، مفرط
الذكاء ، فصيح اللفظ ، شديد الحرص في العلوم ، متفنن في الآداب . قد تميز في الحكمة على الارائل ،
وفي البلاغة على سعيان^(١) ، وائل ، له النظم البديع ، والقرسل البليغ في يدانيه في شعره لبيد^(٢) ، ولا
في ترسله عبد الحميد^(٣)

ولما رأيت الناس دون محله تيقنت ان الدهر للناس ناقص

مولده بحلب سنة سبع وستائة . ولما وصل أبوه الى دمشق كان معه وهو ضي وكانت النجابة
تبين فيه من الصغر وعلا الهمة . وقرأ على شيخنا الحكيم مذهب الدين عبد الرحمن بن علي ، واشتغل
عليه بصناعة الطب ، واشتغل بعد ذلك وتغيز في العلوم حتى صار أوجد زمانه وفريد أوانه . وعظم
الملك المنصور ابراهيم ابن^(٤) الملك المجاهد بن أسد الدين شيركوه بن شاذي صاحب حصص . وبقي في
خدمته بها . وكان يعتمد عليه في صناعة الطب ، ولم تل أحواله تمي عنده حتى استوزره وفوض
اليه امور دولته ، واعتمد عليه بكليته . وكان لا يفارقه في السفر والحضر . ولما توفي الملك المنصور ،
رحمه الله ، وذلك في سنة ثلاث وأربعين وستائة بعد كسره الخوارزمية^(٥) ، توجه الحكيم نجم الدين
الى الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل ، وهو بالديار المصرية فأكرمه غاية الاكرام ،
ووصله بميزيل الانعام ، وجعله ناظراً على الدواوين بالإسكندرية . وله منه المنزلة الطبية وجعل مقرره
في كل شهر ثلاثة آلاف درهم وبقي على ذلك مدة . ثم توجه الى الشام وصار ناظراً على الدواوين
بجميع الاعمال الشامية .

ومن ترسله كتب رقعة وقف الخادم على الشرفه الكريمة : « ادام الله نعمة النعم بما أودعها من
النعم الجسام ، واقتضبه فيها من الارجية التي اربى فيها على كل من تقدمه من الكرام ، وأبان فيها ما

(١) خطيب يقرب لثقل بفساحته توفي سنة ٦٧٤ .

(٢) شاعر جليلي من اصحاب المظلات . علمي للقبية . ادرك الاسلام فلم ينتقل الى السكوة .

(٣) بن اشهر الكتاب العرب . شامي الاصل . كتب للامويين وقتل بعد ان رمي بالزندقة بعد وفاة مسلم الخراساني .

اشتهر بإساره القسلي

(٤) أمير حصص من الامراء الايوبيين .

(٥) هي الدولة التي ملكها في ايران بعد اغراض دولة سلجوق ايران

يقضي على الخادم بالاسترقاق ، وعلى الدولة خلعها الله عزاي الاستحقاق . وكلما أشار المولى عليه فهو كالنص عليه ، لكنه يعلم بسعادته أن الفرص تمر من السحاب ، وأن الأمور المعينة في الأوقات المحدودة تحتاج إلى تلافى الأسباب . وقد ضاق الوقت بحيث لا يحتمل التأخير ، والمولى يعلم أن المصلحة تقدم النظر في المهم على جميع أنواع التدبير . وما الخادم مع المولى في هذا المهم العظيم إلا كسهم ، والمولى مدده . وسيف والمولى جرده ، فالحق الله في العجبة والبنار . وقد ظهرت تخاليل السعادة والانتصار . والحلور الحلو من التأخير والأعمال فتتقوت والمياد باله الأوقات التي نرجو من الله فيها بلوغ الآمال ، والمرجو من كرم الله أن ينهض المملوك في خدمة مولانا السلطان بما يبيض وجه أمه ، ويكون ذلك على يد المولى ويقول وعمله إن شاء الله تعالى .

ومن شعره وهو بما انشدني لنفسه فمن ذلك قال في الخليل عليه الصلاة والسلام ، وهو متوجه إلى خدمته عند عودته من الديار المصرية ، وانشدتها عند باب السرداب وهو قائم في ذي القعدة سنة إحدى وستين وسبائة .

هرا فـانـا ان يقول القائل
يوماً لديك حسبته هو باقل^(١)
وبيانهم عن ذي الجلال ينأفل
ولديك اضمت خجة ودلائل
والخير والمعروف انت العامل
ومقررأ انت الاله المعامل
لجلاله مقفر ريمك آمل
ما انت يخالف فيه يوماً عاقل
يوم للتناسب في التجار موامل
حتى غدا الحمد هو حاصل
بأتيكها منه ثنا وفواضل
متوسلاً وانا الفقير السائل
غفران ما قد كنت فيه ازاول
وبلفت مقصودي وما أأ آمل
لا ألتقي عن غيره أأ سائل
يعطي بلا من ولا هو بأفل
سأ وأنت لما سألت الحامل
(الكامل)

هذه المباشرة والجلال المائل
لو أن قساً^(٢) حاضراً متملاً
هل تقدر الفصحاء يوماً ان يروا
وبك اقتدى جل النبيين الأولى
أظهرت ابراهيم اسباب الهدى
شدت اركان الشريعة مطناً
ما زال بيتك مهبط الوحي الذي
وجرت في كل الأمور بمعجز
وكفك يوم الفخر أن محمداً
ما زلت تغفل للنبوة سرها
فعليكها صلوات رب لم يزل
وقد التجأت إلى جنبك خاضعاً
أرجوك تسأل لي لدى رب الملا
وأرى وقد غفرت لديه خطيئي
ورجعت منقطعاً إلى ابراهيم
ولقد سألت لكامل في جوده
فحقيقة أني بلغت ارادتي

(١) قس بن ساعدة خطيب جليلي كان يؤمن بالتوحيد ويدعو العرب إليه . ويضرب المثل بحكمته وبلاغته وموهبته.

(٢) هو ابن عمرو بن ربيعة الأندلسي . ضرب به المثل في السعي واللباقة في المعاملة . (ن.د)

وقال ايضاً في الحليل عليه الصلاة والسلام عند عوده من الديار المصرية في شهر جمادى الآخرة سنة أربع وستين وستائة وانشدما عند باب السرداب .

ألا يا خليل الله قد جئت قاصداً
أؤدي حقوقاً واجبات لفضلكم
فأرشدت أقواماً بهديك اقتدوا
وأظهرت أعلام الشريعة مطناً
وأودعتها أسرار كل خفية
وأظهرت برهاناً غدا بك قاطماً
وها أنا قد وافيت بابك سائلاً
بأن تسأل الله الكريم فانه
بأن يحمني من شر كل بلية
ولا يبليني من بعدها بمصيبة
ويخرجني مما ابتليت به
فإني اذا ما نابني خطب حادث
للتشفع لي عند الله فأنثني
فأفرغ عن اشغال دنيا وأنثني
وتسأله ان يعف عني تكرماً
ومن كان مشغولاً وانت شفيحاً

الى بابك المقصود من كل موضع
منتقم بها قدماً على كل من يمي
فصاروا بذلك المهدي في خير مبع
فأضحت بمرأى للأفام ومسمع
فكنت بما أودعته خير مودع
قطعت به من لم يكن قبل يقطع
برفقة مسكين وفذل تخضع
لأفضل مسؤول واكرم من دعي
ويصرف عن صرف الحوادث مجمي
ولا التقي خلا بأنه موجه
فقد بت مهموماً بقلب مصدع
جمعت الى مفناك قصدي ومفرعي
بتبليخ آمالي وتحصيل مطمعي
الى امر اخراي بقلب موسع
وان أسخط من أنواره بتمتع
فلا بد في الجنات يحظى برتع

(الطويل)

ورأى الحليل عليه الصلاة والسلام فيما بين النائم واليقظان عقيب حال كانت اتفقت له يقول له :

لا تأسفن على خيل ولا مال
ما دامت النفس والعلواء سالمة
فاتما المال أعراض مجعدة
ولذة المال ان النفس تصرفه
وخير ما صرفت كفاك ما جمعت
فكم جمعت من الاموال مقتتراً
ولم تر قط محتاجاً الى أحد
وسوف يميزك رب العرش عادته
وتلتقي كل سر بت رقبه

ولا تيقن مهموماً على حال
فانظر الى سائر الاشيا بإهمال
معرضات لتضييع وابدال
فيا تجدد من هم واشغال
في صون عرضك عن قيل وعن قال
وفرقتها يد الاقتدار في الحال
ولم تزل أمل حاجات وآمال
على عوائد إحسان واجمال
كما مضى سائفاً في عصرك الحالي

(البيسط)

وقال ، ونظمه في القدس الشريف عند عوده من مصر في منتصف جادى الاولى سنة ست وستين

وسنة

وشوق الى لقاءك زاد بها كربي
فكنت به المهادي الى السن الرحب
فراح من الاشواق يملو على الشهب
قوين فلا يدغمن بالقدح والتلب
اعفر في مناك خدي على الترب
خدت لكم بالفضل في افضل الكتب
وما يلت من هم واصبح في قلبي
بما حط من شالي وقلل من غربي
لتكشف عني كل مستكروه صعب
وقد فرج الرحمن ما بي من الخطب
به شرفت كل الاعاجم والعرب
ومن كان في الامراء في غاية القرب
وكنزاً عطياً راح في السلم والحرب
من البأس والضرأ والمعب والسلب
يبات قورا آمن القلب والسرب
أفبلا عشاري شاقعين الى ربي
لأعلم ان الله حينئذ حسبي
(الطويل)

الا يا خليل الله عندي صابة
فانت الذي سنتل الناس ملعباً
وأوضحت في طرق النبوة منهجاً
بما كنت مبدية من الحجج التي
وكانت يودي لـ انتك زائراً
واقضي حقوقاً واجبات للضلم
وانهي ما عندي من الوجد والاسى
وان اليالي قد رمتني بعزفها
وأنت الذي أرجوك في كل شدة
وتشفع لي عند الاله فأنثي
ولا سباً والمعب في شيمة الذي
وفلك خير الناس اعني عمداً
ومن كنتنا ذخراً له ووسيلة
فلا عجباً ان راح وهو مسلم
وغير يبيع ان يرى غير خائف
فيا صاسمي طرق النبوة والهدى
فصحبكما لي شاقعات فأنثي

وقال ايضاً :

وورقي بالله فيه استضاء
واسطبر راضياً فذاك الرضاء
فدع المم فهو عندي عناء
ان ألى المم أعطب السراء
(الحفيف)

كلما خفت قد تدامى الرجاء
فدع الخوف والرجاء جميعاً
ليس مما قضى الاله محيد
ويقن انت الاله لطيف

وقال ايضاً :

فكم حر نار أعقبت بسلام
فلست روى أمرا حليف دوام
(الطويل)

اذا شاق أمر فاصبر سوف ينجلي
ولا تسأل الايام فدفع مله

وقال وكتبه الى الملك الناصر يوسف بن محمد :

لينك نيروز ألك مبشرا
وان بقاء الملك مع غير أهله
أسوق اليك الملك طوعا قلقه
وتداب في تحصيل ما أنا قادر
وأقسم لو ساعدني بعض مدة
بنيل الذي عهواه يوما وتطلب
عجيب وحالي منه عندك اعجب
ومن عند غيري في تقاضيه ترغب
عليه من الملك الذي راح يصعب
لأسمى الذي استبدته وهو يقرب
(الطويل)

وقال ايضا :

سارحل عنكم لا لكرهي لفضلكم
ولكننا رزقي قليل وحاسدي
تبدلت عن جباه جليل بذلة
وعاد قصارى منيتي في فراقكم
ولو كانت الملياء تأتي الى الحبي
على انه قد طال ما صرفت يدي
فصبراً على جور البالي وحكما
ومن عجب أني أرجي سواكم
واستخير الأفاق عن كل منهم
وأنت صلاح الدين أكرم ذا الوري
وأنت ملك الأرض طراً فما يرى
واني وأنا اللئ الذي ليس يدهي
علي ومن لي ان اقضي به عري
كثير وقد طالت بنا نوب الدهر
وعن سعة في الرزق بالضيقة والفقر
أساوي بن لا يستعد بأن يدري
علوت محل الشهب مع موضع البدر
صنوف الوري بالجلود والنهي والامر
فما رحمت لا تستمر على أمر
وأرحل عنكم أطلب الير بالير
وأقطع بالتطواف مستصعب الفقير
ومن جوده يزري بتندق البصر
ملك سواكم في البسيطة من قدر
سواي حقوقي اللاه تقطع بالنصر
(الطويل)

وقال ايضا :

لئن كان جسمي سار عنك مفارقاً
وان فؤادي من تنفلك خائفاً
فعلي في اكناف ربك ساكن
على ان قلبي من تنفلك آمن
(الطويل)

وقال ايضا :

أيا قسري أوحشتني وتركنتي
يودي لو أمسيت عندي حاضراً
حليف سهاد دائم الهم والفكر
وأسمى عديم العقل والسمع والبصر
(الطويل)

وقال :

يا مالك مهجتي ويا . متلفها
إن كنت أنا في الحب يعقوب هوى
ك تمسكك النفس وك تمسها
ها أنت على حسانها يوسف
(دويت)

وللصاحب نجم الدين بن البودي من الكتب : مختصر الكليات من كتاب القانون لابن سينا . مختصر كتاب المسائل لحنين ابن اسحق . مختصر كتاب الاشارات والتنبهات لابن سينا . مختصر كتاب حيون الحكمة لابن سينا . مختصر كتاب المخلص لابن خطيب الري . مختصر كتاب المعاملين في الاصولين . مختصر كتاب اوقليدس . مختصر مصائد اوقليدس . كتاب اللمعات في الحكمة . كتاب آفاق الاثران في الحكمة . كتاب المناهج القدسية في المعلم الحكيم . كافية الحساب في علم الحساب . غاية الغايات في المحتاج اليه اوقليدس والمتوسطات . تدقيق المباحث الطبية ، في تحقيق المسائل الخلافية ، على طريق مسائل خلاف الفقهاء . مقاله في البرشعنا . كتاب ايضاح الرأي السخيف من كلام الموفق عبد اللطيف ، ولف هذا الكتاب وله من العمر ثلاث عشرة سنة . غاية الاحكام في صناعة الاحكام . الرسالة السلية في شرح المقدمة المطرزية . الأنوار الساطعات في شرح الآيات البيّنات . كتاب زهرة الناظر في الملل السائر . الرسالة الكامنة في علم الجبر والمقابلة . الرسالة المنصورية في الاعداد الوفيّة . الزاهي في اختصار الزيج المغرب المبني على الرصد المجرّب .

زين الدين الحافظي

هو المصدر الامام العالم الامير زين الدين سليمان بن المؤيد علي بن خطيب عفره^(١)، اشتغل بصناعة الطب على شيخنا مذهب الدين عبد الرحم بن علي رحمه الله فحصل عليها وعملها ، وأتقن فصولها وجعلها ، وخدم بصناعة الطب للملك الحافظ نور الدين ارسلان شاه^(٢) بن أبي بكر بن أيوب ، وكان يومئذ صاحب قلعة جعبر^(٣) . وأقام في خدمته في قلعة جعبر ، وتميّز عنده ، وأجزل رفده ، وخوله في دولته ، واشتغل عليه بكتبه . وكان زين الدين يعاني الأدب والشعر والكتابة الحسنة . وكان ايضاً يعاني الجندية ، وداخل اولاد الملك الحافظ ، وصار خطيباً عندهم مكيّناً في دولتهم . ولما توفي الملك الحافظ ، وتسلّم قلعة جعبر الملك الناصر يوسف^(٤) بن محمد بن غازي صاحب حلب وذلك بمراسلات كان فيها زين الدين الحافظي . وانتقل زين الدين الى حلب ، وصارت له يد عند الملك الناصر ، ومنزلة رفيعة . وتزوج زين الدين بابنة رئيس حلب ، واقتنى اموالاً كثيرة . ولما ملك الناصر يوسف

(١) كورة بدمشق .

(٢) قول الحكم بمد ايده وحالف صلاح الدين .

(٣) قلعة قديمة اطلق عليها العرب اسم دوسرة بين الرقة وديالى على القوات .

(٤) هو صلاح الدين ابو المظفر يوسف جمع كلمة امراء حلب وحسن وبعلبك والشام وهزم الحوارزميين . قتله هولاكو بمد ان اجتاحت بغداد وحلب . (ن.د)

ابن محمد دمشق وصل معه الى دمشق ، وصار مكيناً في دولته ، وجيهاً في ايمه ، معانياً للصناعة الطبية ، معيناً في الامر والجندية . ولذلك قلت فيه :

وما زال زين الدين في كل منصب له في معاه المجد اعلى المراتب
أمر حوى في العلم كل قضية وفاق الورى في رأيه والتجارب
إذا كانت في طب فصدر عجائس وإن كان في حرب فقلب الكتاب
ففي السلم كم احيا ولياً بطيه وفي الحرب كم أفنى العدا بالفواضب
(الطويل)

ولم يزل الملك الناصر بدمشق ، وهو عنده حتى جاءت رسل التتار من الشرق الى الملك الناصر وم في طلب البلاد ، والتشرط عليه بما يحمله اليهم من الاموال وغيرها ، فبث زين الدين الحافظي رسولا الى خاقان هولاءكو^(١) ملك التتار ، وسائر ملوكهم ، فاحسنوا اليه الاحسان الكثير ، واستأجروه حتى صار من جنههم ومازجهم . وترد في المراسلة مرات ، وأطمع التتار في البلاد ، وصار يول على الملك الناصر امورهم ، ويظم شأنهم ويفض مملكتهم ، ويصف كثرة عساكرهم ، ويصغر شأن الملك الناصر ومن عنده من العساكر . وكان الملك الناصر مع ذلك جباناً متوقفاً عن الحرب . ولما جاءت التتار الى حلب ، وكان هولاءكو قد نازلوا بقوا عليها نحو شهر ، وملكوها وقتلوا اهلها وسبوا النساء والصبيان ، ونهبوا الاموال ، وهدموا القلعة وغيرها ، هرب الملك الناصر يوسف من دمشق الى مصر وقصد ان يملكها ، فخرجت عساكر مصر وملكها يومئذ الملك المظفر سيف الدين قطز^(٢) ، فكسر الملك الحافظ ، وفتقرت عساكره وزال ملكه . وملك التتار دمشق بالامان ، وجعلوا فيها نائباً من جنههم . وصار زين الدين أيضاً بها وامروه ، وبقي معه جماعة أجناد حتى كفروا يدعونه الملك زين الدين . ولما وصل الملك المظفر قطز صاحب مصر ، ومعه عساكر الاسلام ، وكسر التتار في وادي كمان الكسرة العظيمة المشهورة ، وقتل من التتار الحلق العظيم الذي لا يحصى ، انهزم نائب التتار ومن معه من دمشق وراح زين الدين الحافظي معهم خوفاً على نفسه من المسلمين ، وصارت بلاد الشام بمجد الله الى ما كانت عليه ، وملكها بعد الملك المظفر قطز رحمه الله السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس^(٣) ، وصار صاحب الديار المصرية والشام خلد الله ملكه .

ابو الفضل بن عبد الكريم المهندس

هو مؤيد الدين أبو الفضل محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن الحارثي ، مولده وملتؤه بدمشق . وكان يعرف بالمهندس لجودة معرفته بالهندسة وشهرته بها قبل ان يتحلى بمعرفة صناعة الطب . وكان

- (١) فاتح مغولي ومؤسس دولة التتار احتل بغداد واباحها لجنده واحرق مكاتبها .
(٢) سلطان مصر (١٢٥٩-١٢٦٠) من دولة المماليك البحريةين . وغلب المغول والافراتج المتحالفين في موقعة عين جالوت بسوريا قتله بيبرس وخلفه في الملك (٥٠د)
(٣) رابع سلاطين المماليك البحريةين ١٢٢٣-١٢٧٧ . حطم قوى الصليبيين وغزا قواده بلاد النوبة والبربر .

في اول امره نجاراً وينعت الحجاره أيضاً ، وكان تكسبه بصناعة التجارة ، وله يد طولى فيها ، والناس كثيراً ما يرغبون الى اعماله . واكثر أبواب البيارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نورالدين ابن زنكي رحمه الله من نجارته وصنمته أخبرني سيد الدين بن رقيقة عنه انه أخبره بذلك .

وحديثي شمس الدين بن المطواح الكحال عنه ، وكان صديقاً له ان اول اشتغاله بالملم انه قصد الى ان يتلمذ لأوقليدس ليزداد في صناعة التجارة جودة ويطلع على دقائقها ويتصرف في اعمالها . قال : وكان في تلك الايام يعمل في مسجد خاقون الذي تحت المنيب غربي دمشق ، فكان في كل غداة لا يصل الى ذلك الموضع الا وقد حفظ شيئاً من أوقليدس ، ويحل أيضاً منه في طريقه ، وعند فراغه من العمل ، الى أن حل كتاب أوقليدس بأسره ، وفهم فيها جيداً وقوي فيه . ثم نظر أيضاً في كتاب المجسطي ، وشرع في قراءته وحله ، وانصرف بكليته الى صناعة الهندسة وعرف بها .

اقول : واشتغل أيضاً بصناعة النجوم وعمل الزيجات . وكان قد ورد الى دمشق ذلك الوقت الشرف الطوسي ، وكان فاضلاً في الهندسة والعلوم الرياضية ، ليس في زمانه مثله فاجتمع به ، وقرأ عليه ، وأخذ عنه شيئاً كثيراً من معارفه وقرأ أيضاً صناعة الطب على أبي الجهد محمد بن أبي الحكم ولازمه حتى الملازمة ونسخ بخطه كتباً كثيرة في العلوم الحكيمة ، وفي صناعة الطب . ووجدت بخطه الكتب الستة عشر للجالينوس ، وقد قرأها على أبي الجهد محمد بن أبي الحكم ، وعليها خط ابن أبي الحكم له بالقراءة . وهو الذي أصلح الساعات التي للجامع بدمشق . وكان له على مراعاتها وتقديرها جامكية مستمرة يأخذها . وكانت له أيضاً جامكية لطبه في البيارستان الكبير ، وبقي سنينا كثيرة يطب في البيارستان الى حين وفاته . وكان فاضلاً في صناعة الطب ، جيد المباشرة لاعمالها ، محمود الطريقة . وكان قد سافر الى ديار مصر ، وجمع شيئاً من الحديث بالاسكندرية في سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين وخمسة ، من رشيد الدين أبي التنايه حماد بن هبة الله بن حماد بن الفضيل الحراني ، ومن أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم السلفي الاصفهاني . واشتغل أيضاً بالادب وعلم النحو ، وكان يشعر وله قطع جيدة . وتوفي رحمه الله في سنة تسع وتسعين وخمسة بدمشق بإسهال عرض له ، وعاش نحو السبعين سنة . ومن شعر أبي الفضل بن عبد الكريم المهندس نقلت من خطه في مقالته في رؤية الهلال ألفها للقاضي عبيد الدين بن القاضي زكي الدين ويقول فيها يمدحه .

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| خصصت بالأب لما ان رأيتم | دعوا بعتك أشخاصا من البشر |
| ضد النوت تزام ان بلوتهم | وقد يسمى بصيرا غير ذي بصر |
| والنت ما لم تلك الافعال تمشه | اسم على صورة خطت من الصور |
| وما الحقيق به لفظ يطابقه الم | نى كنبج القضا الصيد من مضر |
| فالدين والملك والاسلام قاطبة | برأيه في أمان من يد الغير |
| كم من سنة خير في ولايته | وقام لله فيها غير معتذر |
| يرجو بذلك نمجا لا نقاد له | جوار ملك عزيز جبل مقتدر |

فأله يكملوه من كل حادثة ما غرحت هاتفت الزق في الشجر
البسط

ولابي الفضل بن عبد الكريم المهندس من الكتب : رسالة في معرفة رمز التنويم . مقالة في رؤية
الحلال . اختصار كتاب الاغاني الكبير لابي الفرج الاصبهاني . وكتب من تصنيفه هذا نسخة بخطه في
عشر مجلدات ، ووقفها بدمشق في الجامع مضافاً الى الكتب الموقوفة في مقصورة ابن حروة . كتاب
في الحروب والسياسة . كتاب في الادوية المفردة ، على ترتيب حروف ايمد .

موفق الدين عبد العزيز

هو الشيخ الامام العالم موفق الدين عبد العزيز بن عبد الجبار بن أبي محمد السلمي . كثر كتبه
الحير عباً له مؤزراً للجميل ، عزيز المروءة ، وافر العربية ، شديد الشفقة على المرضى وخصوصاً لمن
كان منهم ، ضعيف الحال يفتقدهم ويمالهم ويوصل اليهم النفقة وما يحتاجونه من الادوية والاغذية .
وكان كثير الدين ، طلق الوجه ، يحبه كل احد . وكان في اول امره في المدرسة فقيها في المدرسة
الامينية بدمشق عند الجامع . واشتغل بعد ذلك على الياس بن المطران بصناعة الطب وأقن معرفتها
وحصل عليها وعلمها ، وصار من التميزين من اربابها ، والمشايع الذين يقتدى بهم فيها . وكان له
مجلس عام للشفتين عليه بالطب . وخدم بصناعة الطب في البيارستان الكبير الذي انشأه الملك العادل
نور الدين محمود بن زكي . ثم خدم بعد ذلك الملك العادل أبا بكر بن أيوب ، وبقي معه سنين ،
وله منه الانعام الكثير ، والافضال الغزير ، والمنزلة العلمية ، والجامكية السنية . ولم يزل في خدمته
الى ان توفي موفق الدين عبد العزيز رحمه الله بدمشق بعمه القولنج . وذلك في يوم الجمعة العشرين من
ذي القعدة سنة اربع وتسائة ، ودفن بجبل قاسيون وعمره نحو الستين سنة ، ومولده في سنة
خمسائة وثلث وخمسين .

سعد الدين بن عبد العزيز

هو الحكيم الاجل الامام سعد الدين ابو اسحق ابراهيم بن عبد العزيز بن عبد الجبار بن أبي محمد
السلمي . قد أشبه أباه في خلقه وخلقه ومعرفته وحذقه . كثير الدين ، شريف اليقين ، بارع في العلوم
الفقهية ، ورع في الامور الدينية . ولما كان بدمشق كان يتكف بالجامع شهر رمضان ، ولم يتكلم
فيه . وهو الذي تولى حارة المدرسة الحنبلية في سوق القمع بدمشق ، وذلك في أيام الملك الاشرف
موسى^(١) بن الملك العادل . وكان الامام المستنصر بالله خليفة بغداد قد أمره بمبارتها . وكان الحكيم
سعد الدين اوجده زمانه وعلامة اوانه في صناعة الطب ، قد أحكم كليات اصولها وأقن جزئيات
انواعها وفصولها . ولم يزل مواظباً على الاشتغال ملازماً له في كل الاحوال . مولده بدمشق في اوائل

(١) اعتقد انه الملك الاشرف مظفر الدين ابو القمع موسى بن ملوك اليميني (١١٨٢ - ١٢٢٧) وكان مقر سكته الرقة .

المحرم سنة ثلاث وثمانين وخمسة. وخدم بصناعة الطب في البيارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي .

وبعد ذلك خدم الملك الأشرف أبا الفتح موسى بن أبي بكر بن أيوب وأقام معه في بلاد الشرق وله منه الاحسان الكثير ، والافضل للوزير ، والجامكية الواقعة ، والصلوات المتواترة . وكان حظياً عنده ، مكيناً في دولته . ولم يزل في خدمته الى أن أتى الملك الأشرف الى دمشق وتسلها من ابن اخيه الملك الناصر داود ^(١) بن الملك العظيم . وذلك في شعبان سنة ست وعشرين وسبائة فأتى معه الى دمشق ، وبقي بها . ثم ولاة السلطان رئاسة الطب ، ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك الأشرف . وكانت وفاته رحمه الله بقلعة دمشق ، أول نهار يوم الخميس رابع المحرم سنة خمس وثلاثين وسبائة . ثم بعد ذلك لما ملك دمشق الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب في العشر الاول من جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وسبائة أمر باستخدامه ، وان يقرر له جميع ما كان يأمره من اخيه الملك الأشرف ، وبقي في خدمته مدة يسيرة ، وورثي الملك الكامل رحمه الله ، وذلك في ليلة الخميس أول الليل ثاني وعشرين رجب سنة خمس وثلاثين وسبائة . ولم يزل الحكيم سعد الدين مقيماً بدمشق ، وله مجلس عام للمستغنين عليه بصناعة الطب الى ان توفي رحمه الله ، وكانت وفاته بدمشق في شهر جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وسبائة .

والشريف البكري في الحكيم سعد الدين من أبيات

حكيم لطيف من لطافة وصفه يود المصافي السقم حتى يعود
(العلويل)

رضي الدين الرحي

هو الشيخ الحكيم الامام للعالم رضي الدين ابو الحجاج يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي ، من الاكابر في صناعة الطب ، والمتبحرين من أهلها ، وله القدم والاشتهار والذكر الشائع عند الخواص والعوام . ولم يزل مبعلاً عند الملوك وغيرهم ، كثيري الاحترام له . وكان كبير النفس ، عالي الهمة ، كثير التحقيق حسن السيرة ، محباً للخير وأمله ، شديد الاجتهاد في مداواة المرضى ، رؤوفاً بالخلق ، طاهر اللسان . ما عرف منه في سائر عمره انه آذى احداً ولا تكلم في عرض غيره بسوء . وكانت والده من بلد الرحبة ^(٢) ، وله أيضاً نظر في صناعة الطب ، إلا ان صناعة الكحل كانت اغلظ عليه وعرف بها . وكان مولد الشيخ رضي الدين بجزيرة ابن عمر ، ونشأ بها وأقام ايضاً بتبصيين ^(٣) وبالرحبة سنين . وسافر ايضاً الى بغداد وإلى غيرها . واشتغل بصناعة الطب وتجر فيها . واجتمع ايضاً في ديار

(١) هو صلاح الدين الناصر داود ابن الملك العظيم الابن (١٢٠٦-١٢٥٨) قسى إليه بالكلح طل حرقه ضد اهل بيته ومات بالطاعون .

(٢) مدينة اسمها مالك التنفي طل القرات الاوسط في خلافة المأمون وهي اليوم اطلال وآثار وتعرف برحبة مالك.

(٣) مدينة في ما بين النهرين طل نهر جسيم اشتهرت قديماً بجمودتها السريانية . (ن د)

مصر بالشيخ المورق المعروف بابن جميع المصري ، وانتفع به . وكان وصوله مع ابيه الى دمشق في سنة خمس وخمسين وخمسة ، وكان في ذلك الوقت ملكها السلطان الملك العادل نور الدين عمود بن زكي . وأقام رضي الدين ووالده بدمشق سنتين ، وتوفي والده بها ودفن بجبل قلسيون . وبقي رضي الدين قاطناً بدمشق ، وملازماً للداكان لمعالجة المرضى ونسخ بها كتباً كثيرة ، وبقي على تلك الحال مدة .

واشتغل على مذهب الدين بن النقاش الطبيب ولازمه فنوه بذكره وقدمه ، وتأدت به الحال الى أن اجتمع بالملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فحسن موقعه عنده ، واطلق له في كل شهر ثلاثين ديناراً ، ويكون ملازماً للقلم والييارستان . فبقي كذلك مدة دولة صلاح الدين بإمرها . وكان صلاح الدين قد طلبه للخدمة في السفر فلم يفعل ولما توفي صلاح الدين رحمه الله بدمشق ، وذلك في ليلة الاربعاء ثلث الليل الاول سابع وعشرين صفر سنة تسع وثمانين وخمسة ، وانتقل الملك عن اولاده الى أخيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب واستولى على البلاد أمران يكون في خدمته في الصحبة فلم يبق الى ذلك ، وطلب أن يكون مقياً بدمشق فاطلق له الملك العادل ما كان مقرراً باسمه في أيام صلاح الدين ، وان يبقى مستمراً على ما هو عليه . وبقي على ذلك ايضاً الى ان توفي الملك العادل ، وملك بعده الملك العظيم عيسى ابن الملك العادل فأجرى له خمسة عشر ديناراً ، ويكون متردداً الى الييارستان فبقي متردداً اليه الى أن توفي رحمه الله .

واشتغل عليه بصناعة الطب خلق كثير ونسج منهم جماعة عدة . وأقرأوا لغيرهم وصاروا ممن المشايخ المذكورين في صناعة الطب . ولو اعتبر أحد جمهور الاطباء بالشام لوجد اما أن يكون منهم من قد قرأ على الرحي ، أو من قرأ على من قرأ عليه . وكان من جهة من قد قرأ عليه ايضاً في أول امره الشيخ مذهب الدين عبد الرحيم بن علي قبل ملازمته لابن المطران .

وحديثي الشيخ رضي الدين يوماً قال : ان جميع من قرأ علي ولازمي فانهم سعدوا وانتفع الناس بهم ، وذكر لي اسماء كثيرين منهم قد تميزوا واشتهروا في صناعة الطب منهم من قد مات ، ومنهم من كان بعد في الحياة . وكان يرى انه لا يقرى أحداً من أهل النمة أصلاً صناعة الطب ، ولا ين لا يحده أهلها . وكان يعطي الصناعة حقها من الرأسة والتعظيم . وقال لي انه لم يقرى في سائر عمره من أهل النمة سوى اثنين لا غير أحدهما الحكيم عمران الاسرائيلي ، والآخر ابراهيم بن خلف السامري بعد ان ثقل عليه بكل طريق . وتشفعا عنده يجهات لا يمكنه ردم . وكل منها نبغ وصار طبيباً فاضلاً . ولا شك ان من المشايخ من يكون للاشتغال عليه بركة وسعد كما يوجد ذلك في بعض الكتب المصنفة دون غيرها في علم علم . وكنت في سنة اثنتين وثلاث وعشرين وسبائة قد قرأت عليه كتاباً في الطب ، ولا سيما فيما يتعلق بالجزء العملي من كلام أبي بكر محمد بن زكريا الرازي وغيره وانتفعت به .

وكان الشيخ رضي الدين عباً للتجارة مفرى بها . وكان يراعي مزاجه ويعتني بحفظ صحته . وقال الصاحب جمال الدين ابو الحسن عني بن يوسف بن ابراهيم القفطي عن الحكيم الرحي : انه كان ياتم في

اموره قوانين حفظ الصحة الموجودة . قال : ولقد بلغني انه كان يقتني أجود الطباخات ، ويتقدم اليها بإحكام ما يطلب على ظنه الانتفاع باستعماله في نهاره ذلك بما يشره من نفسه ، وما غلب عليه من الاخلاط في يومه ، فاذا انجزه واعلمته بذلك طلب من يؤاكله من مؤانسه . فاذا حضر منهم من حضر استأذنته في احضار الطعام فيقول لها أخريه فان الشهوة لم تصدق بعد ، فتؤخره الى ان يستدعيه ، ويقول أعجلي فتأتيه به ويتناول منه . فقال له بعض اصحابه يوماً ما المراد بهذا ؟ فقال: الأكل مع الشهوة هو المتدوب اليه لحفظ الصحة فان الاعضاء اذا احتاجت الى تمويض ما تحلل منها استحدثت ذلك من المدة فتستدعيه المدة من خارج . فقال له : وبما ثمة هذا ؟ قال : ان يعيش الانسان العمر الطبيعي . فقال له : انك قد بلغت من السن ما لم يبق بينك وبين العمر الطبيعي إلا القليل ، فأي الحاجة الى هذا التكلف ؟ فقال له : لأبقى ذلك القليل فوق الأرض استنشقي الهواء وأجرح الماء ، ولا أكون تحتها بسوء التدبير . ولم يزل على حاله تلك الى ان الاه اجله .

أقول : وبما يناسب هذا المعنى المتقدم في انه لا ينبغي ان يؤكل الطعام إلا بشهوة صادقة للاكل ، اني كنت يوماً أقرأ عليه في شيء من كلام الرازي في ترتيب تناول الاغذية ، وقد ذكر الرازي ان الانسان ينبغي له ان يأكل في اليوم مرتين . وفي اليوم الثاني مرة واحدة . فقال لي : لا تسمع هذا ، والذي ينبغي ان تعتمد عليه أنك تأكل وقت تكون الشهوة للاكل صادقة في أي وقت كان ، سواء أكان مرتين في النهار أو مرة أو ليل أو نهار . فالأكل عند الشهوة الصادقة للاكل هو الذي ينفع ، واذا لم يكن كذلك فانه مضرة البدن . وصدق في قوله . وقد لزم في سائر أيامه أشياء لا يحل بها ، وذلك انه كان يعمل يوم السبت أبداً لخروجه الى البستان وراحته فيه ، ويتركه يوم بطالة عن الاشتغال . وكان لا يدخل الحمام الا في يوم الخميس ، وقد جعل ذلك له راتباً . وكان في يوم الجمعة يقصد من يريد رؤيته وزيارته من الاحيان والكبراء . وكان أبداً يتوخى أنه لا يصعد في سلم . واذا كان له مريض يفتقده ان لم يكن في موضع لا يصعد اليه اذا أتاه في سلم ، وإلا لم يقربه وكان يصف السلم بأنه منشار العمر .

ومن أعجب ما حكى لابي من ذلك انه قال انني منذ اشغريت هذه القاعة التي انا ساكن فيها أكثر من خمس وعشرين سنة ما اعرف انني طلعت الى الحجرة التي فوقها ، إلا وقت استعرضت الدار واشتريتها . وما عدت طلعت الى الحجرة بعد ذلك الى يومي هذا .

ومن فوائده وحسن تصرفاته فيها يتملق بصناعة الطب ، حدثني صاحب صفي الدين ابراهيم بن مرزوق وزير الملك الأشرف بن الملك العادل ، وقد حكى جلاً من مناقب الشيخ رضي الدين ، فمن ذلك قال : ان صاحب صفي الدين بن شكر^(١) وزير الملك العادل أبي بكر بن أيوب كان أبداً يلازم

(١) ابو محمد عبد الله وزير الملك العادل (١١٥٣-١٢٢٥) انشأ مدرسة قباله داره بالعاصمة واكرم العلماء . وكان داعية.
روفي في العاصمة . (٥، ٦)

أكل لحم الدجاج وبمدل عن لحم الضأن في أكثر الاوقات ، فحسكا اليه شحوباً كان قد غلب على لونه . وكان الأطباء يصفون له كثيراً من الاغذية وغيرها فلما شكا اليه هذا مضى لحظة ، وعاد ومعه قطعة من صدر دجاجة ، وقطعة حراء من لحم ضأن . ثم قال له أنت تلتزم أكل لحم الدجاج فلم يأت الدم المتولد منه مشرق الحمرة كما يأتي من لحم الضأن ، وانت ترى لون هذا اللحم من الضأن ومباينته في اللون لهذه القطعة من الدجاج فينبغي ان تترك أكل لحم الدجاج ، وتلتزم اكل لحم الضأن فانك تصلح ، وما تحتاج معه الى علاج . قال : فقبل هذا الرأي منه وتناول ما أوصاه به ، واستمر على ذلك مدة فصلح لونه ، واعتدل مزاجه .

أقول : وهذا اقتناع حسن أوجده لمن أراد علاجه ، وتدبير بليغ في حفظ صحته . وذلك ان الوزير كان عبل البدن ، تام البنية ، قوي التركيب ، جيد الاستمرار . فكانت اعضاؤه رزاً^(١) من لحم الدجاج بدم لطيف وهي تحتاج الى غذاء أغلظ منه وامتن . فلما لازم أكل لحم الضأن صار يتولد له منه دم متين يقوم بكفاية ما تحتاج اليه اعضاؤه فصلح مزاجه وظهر لونه .

وكان مولد الشيخ رضي الدين الرحي في شهر جمادى الاولى سنة أربع وثلاثين وخمسة مائة بمصر . وكان أول مرضه في يوم عيد الاضحي من سنة ثلاثين وستائة ، ووفاته رحمه الله بكرة يوم الأحد العاشر من المحرم سنة احدى وثلاثين وستائة بدمشق ، ودفن بمجمل قاسيون . فعاش نحو المائة سنة ، ولم يتبين تغير شيء من سمعه ولا بصره . وانما كان في آخر عمره قد عرض له نسيان الاشياء القريبة العهد المتجددة ، وأما الاشياء البعيدة المدة التي كان يعرفها من زمان طويل فانه كان ذاكرة لها . وخلف ولدين الأكبر منها شرف الدين أبو الحسن علي ، والآخر جمال الدين عثمان . وحكى لي بعض أهله من لازمه في المرض انه عند موته جس نبض يده اليسرى بيده اليمنى ، وبقي كالتامل المفكر في ذلك . ثم ضرب يديه كفاً على كف لانه علم ان قوته قد سقطت . قال : وعدل زورقية^(٢) كانت على رأسه يديه . واستقبل للموت ومات بعد ذلك .

ولرضي الدين الرحي من الكتب بتهذيب شرح ابن الطيب لكتاب الفصول لابن ابراهيم . اختصار كتاب المسائل لطنين ، كان قد شرح في ذلك ولم يكمله

شرف الدين بن الرحي

هو الحكيم الامام العالم الفاضل علامة عصره وفريد دهره ، شرف الدين أبو الحسن علي بن يوسف ابن حيدر بن الحسن الرحي . كان مولده بدمشق في سنة ثلاث وثلاثين وخمسة مائة ، وكان قد سلك حذو أبيه ، واقتفى ما كان يقتفيه . وهو أشبه به خلقاً وخلقاً وطرائق . لم يزل متوفراً على قراءة

(١) تصاب .

(٢) نوع من لباس الرأس يشبه الطاقية .

الكتب وتحصيلها ، ونفسه تشرب الى طلب الفضائل وتقصيها . وله تدقيق في الصناعة الطبية وتحقيق لمباحثها الكلية والجزئية . وله في الطب كتب مؤلفة وحواش متفرقة . واشتغل بصناعة الطب على أبيه ، وقرأ أيضاً على الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ، وحرر عليه كثيراً من العلوم ، ولا سيما من تصانيف الشيخ موفق الدين البغدادي . واشتغل أيضاً بالأدب على الشيخ علم الدين السخاوي وعلى غيره من العلماء . وقد اتقن علم الأدب اتقاناً لا مزيد عليه ، ولا يشاركه أحد فيه . وله فطرة جيدة في قول الشعر ، وأحب ما إليه التتخلي مع نفسه ، والملازمة لقراءته ودرسه ، والاطلاع على آثار القدماء ، والانتفاع بمؤلفات الحكماء . وكان تزييه النفس ، عالي ، الهمة لم يؤثر التردد الى الملوك ولا الى أرباب الدولة . وخدم مدة في البيلاستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي . ولما وقف شيخنا مذهب الدين عبد الرحيم بن علي رحمه الله الدار التي له بدمشق ، وجعلها مدرسة يدرس فيها صناعة الطب وينتفع المسلمون بقراءتهم فيها أوصى أن يكون مدرستها شرف الدين بن الرحبي لما قد تحققه من علمه وفهمه ، فتولى التدريس بها مدة ، وتوفي شرف الدين بن الرحبي بدمشق ودفن بجبل قاسيون . وكانت وفاته رحمه الله في الليلة التي صباحها يوم الجمعة حادي عشر المحرم سنة سبع وستين وسبائة بمكة ذات الجانب

وحدثني الحكم بدر الدين بن قاضي بعلبك ، وشمس الدين المكتبي المعروف بإخواني قال : كان شرف الدين قبل أن يمرض ويموت بأشهر يقول للبيعة المترددين اليه ، والتلاميذ المشتغلين عليه : انه بعد قليل أموت وذلك يكون عند قران الكوكبين . ثم يقول لهم : قولوا للناس هذا حتى يبرفوا مقدار علمي في حياتي وعلمي بوقت موتي . وكان قوله موافقاً لما حكم به .

ومن شعر شرف الدين بن الرحبي وهو مما أنشدني لنفسه فمن ذلك قال :

| | |
|------------------------------------------|----------------------------------------|
| سهام التناي في الورى ليس تمنع | فكل له يوماً وان عاش مصرع |
| وكل وان طال المدى سوف يلتهى | الى قمر خدر في فرى منه يودع |
| خفل للتي قد عاش بعد قرينه | الى مثلها مما قليل ستدفع |
| فكل ابن انثى سوف يفضي الى ردى | ورفعه بعد الارائك شرجع ^(١) |
| ويدرك يوماً وان عاش برمة | قضاء تساوى فيه م ^(٢) ومرضع |
| فلا يفرح يوماً بطول حياته | لييب فيها في عيشة المره مطمع |
| فها العيش الا مثل لمة بارق | وما الموت لاما مثل ما العين تهيج |
| وما الناس الا كالنبات فيابس | هشم وعض إر ما باد يطلع |
| فتبا لدنيا ما تزال تلعنا | افاويق كأس مرة ليس لتنع |
| سحاب أمانيتها جهام ^(٣) وبرقها | اذا شمع يرق خلب ^(٤) ليس ينع |

(١) السرور يرفع عليه الميت - الجنائزة . (٢) للشيخ الفاني .

(ن.د)

(٣) لا ماء فيها . (٤) تلوح .

تقر بئسها بالتي فتتودم
فكم أهلكت في حبها من متيم
تمنيه . بالأمال في نيل وصلها
أضاع بها عمراً له غير راجع
فصار لها عبداً لجمع حطامها
ولو كان ذا عقل لاغنته بلفه
إلى أن توافيه المنية وهو بالننا
مصائبها عمت فليس بغلت
ولا سابع في قمر بحر وطائر
ولا ذو امتناع في بروج مشيدة
أصاره من بعد الحياة بوهدة
تساوى بها من حل تحت صيدها
فسيان ذو فقر بها وفقر الفنى
ومن لم يخف عند التوائب حثله
وذو جشع يسطو بناب وغلب
ومن ملك الآفاق بأساً وشدة
ولو كشف الأجداد معتبراً لم
لشاهد احداً تسيل وأوجهاً
غدت تحت أطباق الاري مكفورة
فلم يعرف المولى من السبد فيهم
وأنى له علم بذلك بعدما
رأى ما يسوء الطرف منهم وطالما
رأى أعظم لا تستطيع تماسكاً
مجردة من لها فهي عبدة
تخونها من الليالي فأصبحت
إلى أجنحة (٢) مصودة وجاجم
أزيلت عن الاعناق فهي لراكن
علاها ظلام الليل ولطالما
كان لم يكن يوماً علا مفروقاً لها

إلى قعر مهواة بها المرء يوضع
ولم يحظ منها بالتي فيمتنع
وعن غيبه في حبها ليس يازع
ولم ينل الأمر الذي يتوقع
ولم يتهن فيها بالذي كان يجمع
من العيش في الدنيا ولم يك يجمع
فيها آمن لا . يروع
شجاع ولا ذو ذلة ليس يدفع
يدوم في بوح الفضاء فيزوع
لها في خرى جو السماء ترفع
له من زواها آخر الدهر مضجع
على قرب عهد بالمات وبعث
وذو لكون (١) عند الحال ومصنع (٢)
وذو جبن خوفاً من الموت يسرع
وكل بغاث ذلة ليس ينزع
ومن كان فيها بالضروري يفتح
لينظر آثار البلى كيف تصنع
مفطرة في اللرب شوهاً تقزع
عبوها وقد كانت من البشر تلع
ولا خاملاً من غيبه يرفع
تبين منهم ما له العين تسمع
رأى ما يسر الناظرين ويتبع
تهافت من اوصالها وتقطع
لنبي فكرة فيا له يتوقع
أنايب في أجوافها الريح تسمع
مطاطاة من ذلة ليس ترفع
على اللرب من بعد الوسايد توضع
غدا نورها في حندس الليل يسطع
نفائس تيجان ودر مرصع

(١) هي وتغل في السان .
(٢) الوجة « على البذل » .
(٣) (ن . د)

وعافهم الأمانون والناس اجمع
 يوصلهم وجداً بهم ليس يطمع
 ويرحمهم من كان ضدّاً ويخزع
 وما قد حواه من زخارف تجدد
 تجدد كل ما فيها ودائع ترجع
 من الارض ما كانت به الشمس تطلع
 يقصر عن حياته حين يلزع
 وقد كان حياً للنهاية يتبع
 يسد بها رحب الفياقي ويتزع
 توارى عظاما منه بهاء يلقع
 فليس له حتى القيامة مرجع
 بأقصى فلاة خرقه ليس يرفع
 جديب وقد كانت به الارض تزع
 ولا يستطيعن الكلام فيسمع
 زماناً على فرش من الحز يرفع
 من الناس حياً شمله ليس يصنع
 (الطويل)

تباعد عنهم وحشة كل وامع
 وقاطعهم من كان حال حياتهم
 يبكيهم الاعداء من سوء حالهم
 فقل للذي قد غره طول عمره
 أفق وانظر الدنيا بعين بصيرة
 فأين الملوك الصيد قدماً ومن سوى
 حواه ضريع من فضاء بسيطها
 فم ملك أضفى به ذا مثله
 يقود على الحبل المتاع غوارسا
 فاصبح من بعد التمتع في ثرى
 بعيداً على قرب الزايا لإياه
 غريباً عن الاحباب والأهل ثاوي
 تلح عليه السافيات بنزل
 رهيباً به لا يملك الدهر رجعة
 توسد فيه القرب من بعد ما اغتدى
 كذلك حكم الثائبات فلن ترى

وأنشدني أيضاً لنفسه :

ولا يشر الباقي بمائة من يمضي
 بما تم من سفك الدماء على بعض
 (الطويل)

تساق بنو الدنيا الى الحتف حنوة
 كأنهم الانعام في جهل بعضها

وأنشدني أيضاً لنفسه :

فاطرح ما يقوله السفهاء
 حي لا صخرة صماء
 (الحقيف)

ليس يجدي ذكر الفتي بعد موت
 انما يدرك للتألم واللثة

وقال وأنشدني إياه لما توفي الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب بدمشق ، وذلك في سنة
 خمس وثلاثين وستائة :

يزل النظام ويفسد الثقلان
 حيّ ولم يحفل به اثنان
 لم يلتطع في موته عزاء

كم قال جهلاً بأنني ان امت
 وأفاه مفضي الحام ولم يرج
 فندا لى تحت التراب مجندلاً

من ظن ان لا بد منه وانه
قلبها فهدت وساوس فكره
أنى وما فوق البسيطة فاسد
فد عنية في عالم الاحكوان
منه الى دعوى بشير بيان
إلا ويخلفه بديل ثاني
- الكامل -

وقال وأنشدني اياها بعد وفاة أخيه الحكيم جمال الدين عثمان في سنة ثمان وخمسين وسبائة

تبدلت لما أن وجدت سكينه
وقد طهرت سني ثمانين حبة
ولا سبأ الاغ الشقيق وان غدا
فغانتني الايام فيما رجوه
فصبراً على كيد الزمان لهله
وعزاً فنى شمس الحسود المساند
ومات من الاملين كل مساعد
لدى نازل في الخطب ركبي وساعدي
ولما تول تأني بمكس المصاد
يؤول الى الانصاف بعد التواعد
- الطويل -

وكان يخضب بالحناء فقلت له لو تركت الحية بيضاء كان ألقى فأنشدني لنفسه بدياً .

سارت مشيى بلخضاب لاني
فوارثه كيلا ترى منه مقلتي
فغصة ما يشنى عن العين موجب
وان كنت ذا علم بان ليس ملبسي
تبعت أن الشيب بالوقت مندر
صباح مساء ما به الميش يكدر
تناسى ما منه يخاف ويحذر
شباباً ولا رد التيبة يقدر
- الطويل -

وقال وهو مما كتب به الى من دمشق وكنت يومئذ بصرخد عند مالكها الامير عز الدين
أبيك المعظمي^(١)

موفق الدين ماذا السهو منك على
أبعت نفسك بالزور الحفير لقد
أقمت في بلد يزري بساكنه
فاه عن الحفير ذي جذب فليس به
مضياً فيه هجرأ ما له عوض
أفصص العمر مردوداً قصومه
أم تعصب العمر ما ولت لذاته
إذا تولي شباب العمر في نقص
لو كان ما أنت فيه مكسباً لثنى
ما نلت من رتبة في العلم والادب
أرخصتها بعد طول الجدد والدأب
لا يرتضيه ليبب من ذوي الرتب
سوى صخور وحر منه ملتهب
إذا تصرم وقت منه لم يؤب
هيهات ان يرجع الماضي من الحطب
ينال بعد ذهاب العمر بالذهب
فما له في بقايا العمر من أرب
لما وفى بذهاب العمر في نصب

(١) سلطان دمشق (١٢١٨-١٢٢٧) عبد الطروق التجارية الراضة دمشق ببلاد العرب والعراق (ن.د)

والبعد عن كل ذي فضل وذو أدب
 لمحتلي الحسن في أرواحها القشب
 فالعمر فيها سواها غير محاسب
 وعد إلى الله والذات والطرب
 ما دمت حياً فإن الموت في الطلب
 ولا تبع طيب موجود بمثل
 والدهر ذو غير فأنعم به تصب
 بمن يفند من عمري وذو رغب
 حواء مع نصب من سوء مكاسب
 فليس بالنأي عن ميثاك من كتب
 بمن سمعت همة منه على الشهب
 منذ غبت عنه لبعد منك مكاسب
 يسد بالفتح من عمري ومن سغب
 ولا تصح نحو قدم غير ذي حذب
 عن واضح بين من أعجب العجب

(البسيط)

فكيف مع قلة الجاري وخسته
 فعد إلى جنة الدنيا فقد برزت
 ولا تقم بسواها مع حصول غنى
 واقطع زمانك طيباً في محاسنها
 وبإدراك العمر قبل الفوت مقتنا
 وخذ عياناً إذا ما أمكنت فرص
 فالعمر منصرف والوقت مفتنم
 فاعمل بقولي ولا تمنح إلى أحد
 يرى السعادة في نيل الحطام ولو
 فاستدرك اللغات المضي في عمر
 ولا تمس عيش ذي نقص وكن ابداً
 وانغم حياة أب ما زال ذا حزن
 فليست تقدم مع رؤياه مكاسبها
 فالرأي ما قلته فاعمل به حجة
 فغفلة المرء مع علم ومعرفة

نقلت في جوابه وكتبت بها إليه :

أدنى مساعيه أعلى رتبة الأدب
 فادركت في المعالي أرفع الرتب
 وفاق سبحانه في شعر وفي خطب
 شيء مماثلها من سائر الكتب
 عن كل شبه كمثال السبعة الشهب
 في سلك خط وخير اللفظ منتخب
 من بحر علم لمول في العلى دئب
 من راحة حصلت إلا عن التعب
 البعض منه وكل "سجد" في الطلب
 من يجتديه كقيت دائم الصيب
 إلي في سالف الأيام والحقب
 وشكر نعماء طول الدهر أجدر بي
 للناس في الجذب أشواق إلى السحب
 على فؤاد بنار الشوق ملتهب

مولاي يا شرف الدين الذي بلغت
 ومن سمعت في سماء المجد مته
 قد فاق بقراط في علم وفي حكم
 له التصانيف في كل العلوم ولا
 أقدارها قد علت في الناس وارتفعت
 فيها المعالي التي كاللبر قد نظمت
 ولا عيب لبر كانت موره
 قد قال راحة تحصيل العلوم وما
 ورام مسعاه أقوام وما بلغوا
 وكل علم وجود فهو منه إلى
 لك من أياد منه قد وصلت
 اني لاشكرها ما دمت مجتهداً
 عندي من البين أشواق إليك كما
 تهمني دموعي إذا ما غنّ ذكركم

كأننا حلل طرفي بعد بينكم
وكل عمر تقضى لي ببعدهم
ولو تكون لي الدنيا بأجمعها
هو الذي لم يزل اشفاقه أبداً
واني بعد ما جد الفراق بنا
وكيف يلتذ عيشاً من ألتج به
لم يعرفوا قدر ذي علم لجهلهم
أبيت من ضاع فضلي في فناء وهل
وان اقت بأقوام على خطأ
فقد أقام سمعي قبل في نفر
وهي الامور التي تأتي مقدرة
ومن بدائع نظم أنت قائله
اذا انقضى شباب المرء في نفس
يا حيدا طيب أيام لنا سلفت
وحيدا جنة الدنيا اذا برزت
وقد رأيت صواباً ما أمرت به
وليس ينكر شيئاً انت قائله
وان لي همة تسمو السالك^(١) وما
وسوف أقصد ارضاً قد نشأت بها
واجمل العزم في علم أحصه

وانشدني لنفسه

روحي بكم تتم في القذات
ما جال بخاطري فراقك لكم

وانشدني أيضاً لنفسه

اصبحت بكف طازج الرد مألوف
لو لم يك في الحسن كبر التم

تتم وأتى قلبي أبو لهب
عني فذلك عمر غير محسب
في البعد ما كنت تخشاً فراقك اني
علي والبر من بعد ومن كتب
والبعد لم يصف لي عيش ولم يطب
هذا الزمان الى قوم من الخطب
وليس ذلك في الجهال بالمحسب
غباوة الصبح تدري فطنة العرب
مني وقد مر بعض العمر في نصب
بارض نجة يشكو حادث النوب
وليس شيء من الدنيا بلا سبب
بيت به حكم من رأي ذي حسب
لما له في بقايا العمر من أرب
وطيب اوقاتها لو انها لثوب
لمحتلي الحسن في الوهاج القشب
وما نصحت بلا شك ولا ريب
من النصيحة والآراء غير غي
الا الفضائل والعلباء مطلبي
والقرب من كل ذي فضل وذي أدب
فالعلم في كل حال خير مكتسب

(البسيط)

اذ كنت موقوماً لها كالداني
الا وعجبت من بقاء الذات

(دوبيت)

لا يمطفه مع لينة عذل عذول
ما كان له بمجة القلب لزول

(دوبيت)

(١) كوكب نير . وما مما كان احدهما يقال له السبك الرابع لأن املته كوكباً صغيراً والاخر السبك الاخر لمصم وجود شبه املته . (ن . د)

وانشدني ايضاً لنفسه

لم يسبق قولني بكم غير نمبا ينصب لذا البكا من العين دما
ان كانت يقتلني الهى حكما في حبك لم أجد لموتي الما
(دويت)

ولشرف الدين بن الرحي من الكتب : كتاب في خلق الانسان وهيئة اعضائه ومنفعتها ، لم يسبق
الى مثله . حواش على كتاب القانون لابن سينا . حواش على شرح ابن ابي صادق لمائل حنين

جمال الدين بن الرحي

هو الحكيم الاجل العالم الفاضل جمال الدين عثمان بن يوسف بن حيدرة الرحي . مولده وملثوه
بدمشق من اكابر الفضلاء وسادة العلماء ، اوجد زمانه وفريد اوانه . اشتغل بصناعة الطب على والده
وعلى غيره ، واقتنى اتفاقاً لا مزيد عليه . وكان حسن المألجة ، جيد المداواة . وخدم في البهارستان
الكبير الذي أنشاه الملك العادل نور الدين بن زنكي رحمه الله لمعالجة المرضى ، وبقي به سنين . وكان
يحسب التجارة ويمانيها ، ويسافر بها في بعض الاوقات الى مصر ، ويأتي من مصر بتجارة . ولما وصلت
التار الى الشام وذلك في سنة سبع وخمسين وسائة توجه الحكيم جمال الدين بن الرحي الى مصر ،
وأقام فيها ثم مرض وتوفي بالقاهرة ، وذلك في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وسائة .

كمال الدين الحمصي

هو ابو منصور المظفر بن علي بن ناصر القرشي من الفضلاء المشهورين ، والعلماء المذكورين . وكان
كثير الخير ، وافر المروءة ، كريم النفس عباً لاصطناع المعروف . واشتغل بصناعة الطب على الشيخ
رضي الدين الرحي ، وعلى غيره وشرع في قراءة كتاب القانون على الحكيم القاضي بهاء الدين ابي التتاء
محمود بن ابي الفضل منصور بن الحسن بن اسمعيل الطبري الهزومي ، لما أتى الى دمشق . وقرأ عليه
منه الى علاج الاسهال الدماغي . ثم سافر الشيخ بهاء الدين الى بلد الروم في سنة ثمان وسائة . وكان
كمال الدين الحمصي قد اشتغل ايضاً بالأدب ، وقرأ على الشيخ تاج الدين الكندي . وكان عباً للتجارة
وأكثر معيشته منها . وكانت له دكان في الخواصين بدمشق يجلس فيها ، ويكره التكبب بصناعة
الطب . وانما كان الموك و أكثر الاعيان يطلبونه ويستطبونه لما ظهر من علمه ، وبأن من فضله . وطلبه
الملك العادل ابو بكر بن ايوب وغيره ليشخدمهم ويبقى معهم في الصعبة فما فعل ، وبقي سنين يتردد
الى البهارستان الكبير الذي أنشاه الملك العادل نور الدين بن زنكي ، ويعالج المرضى فيه استسافاً . ثم
أكرم بعد ذلك بأن قررت له فيه جامكية وجراية ، وبقي كذلك الى ان توفي رحمه الله . وكانت وفاته
في يوم الثلاثاء تاسع شهر شعبان سنة اثنتي عشرة وسائة .

ولكمال الدين المحصي من الكتب : مقالة في الباء وهي مستقصاة في فنها . شرح بعض كتاب الملل والاعراض لجاليونوس . الرسالة الكاملة في الادوية المسهية . اختصار كتاب الحاوي للرازي لم يتم . مقالة في الاستسقاء . تعليقات على الكليات من كتاب القانون . تعليقات في الطب . تعليقات في البول ألّفها في أول وجب سنة ثلاث وسبّعة . اختصار كتاب المسائل لحنين بن إسحق وقد أجاد فيه .

موفق الدين عبد اللطيف البغدادي

هو الشيخ الامام الفاضل موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد ويعرف بابن البباد . موصل الأصل ببغداد المولد . كان مشهوراً بالعلوم ، متعلّياً بالفنائل ، ملجح العبارة . كثير التصنيف . وكان متميزاً في النحو واللغة العربية ، عارفاً بلم الكلام والطب . وكان قد اعتنى كثيراً بصناعة الطب لما كان بدمشق واشتهر بملها . وكان يردد اليه جماعة من التلاميذ وغيرهم من الأطباء لقراءة عليه ؛ وكان والده قد اشغله بسماع الحديث في صباه من جماعة منهم أبو الفتح محمد بن عبد الباقي المعروف بابن البطي ، وأبو زرعة طاهر بن محمد القدسي ، وأبو القاسم يحيى بن ثابت الوكيل وغيرهم .

وكان يوسف والد الشيخ موفق الدين مشغولاً بلم الحديث بارعاً في علوم القرآن والقراءات ، مجيداً في المذهب والخلاف والاصول . وكان متطرقاً من العلوم العقلية . وكان سليمان عم الشيخ موفق الدين فقيهاً مجيداً . وكان الشيخ موفق الدين عبد اللطيف كثير الاشتغال لا يخلي وقتاً من أوقاته من النظر في الكتب والتصنيف والكتابة . والذي وجدته من خطه أشياء كثيرة جداً بحيث انه كُتبت من مصنفاته نسخاً متعددة ، وكذلك أيضاً كتب كتباً كثيرة من تصانيف القدماء . وكان صديقاً لجدي وبينها صعبة اكدية بالديار المصرية لما كنا بها . وكان ابي وعمي يشغلان عليه بلم الادب . واشتغل عليه عمي ايضاً بكتب ارسطوطاليس . وكان الشيخ موفق الدين كثير العناية بها ، والفهم لعمانيها . وأتى الى دمشق من الديار المصرية ، واقام بها مدة وكثر انتفاع الناس بلمه . ورأيت لما كان مقبلاً بدمشق في آخر مرة أتى إليها ، وهو شيخ نحيف الجسم ، ربع القامة ، حسن الكلام ، جيد العبارة ؛ وكانت مسطرته أبلغ من لفظه . وكان رحمه الله رباً تجاوز في الكلام لكثرة ما يرى في نفسه . وكان يستقص الفصلاء الذين في زمانه وكثيراً من المتقدمين . وكان وقوعه كثيراً جداً في علماء السجم ومصنفاتهم ، وخصوصاً الشيخ الرئيس ابن سينا ونظرائه .

وتقلت من خطه في سيرته التي ألّفها ما هذا مثاله قال : « اني ولدت بدار لجدي في درب الفالوج في سنة سبع وخمسين وخمسة وتربت في حجر الشيخ أبي التجيب لا أعرف اللب واللبو ، وأكثر زمانى مصروف في سماع الحديث ، وأخذت لي اجازات من شيوخ بغداد وخرسان والشام ومصر . وقال لي والذي يوماً قد ممّنتك جميع عوالي بغداد وألقتك في الرواية بالشيوخ المان . وكنت في أثناء ذلك اتمل الخط ، وأتخفظ القرآن والفصح ، والمقامات ، ودعان المتنبي ونحو ذلك ، وغنصراً

في الفقه ، ومختصراً في النحو . فلما ترعرعت حلني والدي الى كمال الدين عبد الرحمن الانباري^(١) ، وكان يومئذ شيخ بغداد ، وله بالدي صحبة قديمة أيام التفقه بالنظامية^(٢) . فقرأت عليه خطبة الفصيح فهدر كلاماً كثيراً متتابعاً لم أفهم منه شيئاً ، لكن التلاميذ حوله يعجبون منه . ثم قال : أنا أجفون عن تعلم الصبيان احده الى تلميذي الوجهه الواسطي يقرأ عليه فاذا توسطت حاله قرأ علي . وكان الوجهه عند بعض اولاد رئيس الرؤساء ، وكان رجلاً اعمى من أهل الثروة والمروءة . فأسخذي بكلمي يديه ، وجعل يملني من اول النهار الى آخره بوجوه كثيرة من التلطف ، فكنت أحضر حلقتة بمسجد الطغرية ، ويجعل جميع الشروح لي ويخاطبني بها . وفي آخر الامر أقرأ درسي ويخصني بشرحه . ثم نخرج من المسجد فيذكرني في الطريق ، فاذا بلغنا منزله اخرج الكتب التي يشتغل بها مع نفسه فاحفظ له واحفظ معه ثم يذهب الى الشيخ كمال الدين فيقرأ درس ويشرح له ، وأنا اسمع . ونخرجت الى ان صرت أسبقه في الحفظ والفهم ، واصرف اكثر الليل في الحفظ والتكرار ، واقنا على ذلك برهة ، كلما جاء حفطي كثر وجاد ، وفهمي قوي ، واستنار ، وذممي احسد واستقام ، وأنا أأزم الشيخ وشيخ الشيخ . وأول ما ابتدأت حفظت اللع^(٣) في ثمانية أشهر ، اسمع كل يوم شرح اكثرها مما يقرؤه غيري ، وانقلب الى بيتي فاطالع شرح السنانين ، وشرح الشريف عمر بن حنبل ، وشرح ابن برهان ، وكل ما اجد من شروحه . وشرحتها لتلاميذ يمتصون بي الى ان صرت اتكلم على كل باب كرايس ، ولا ينغذ ما عندي . ثم حفظت أدب الكاتب لابن قتيبة^(٤) حفظاً متقناً . اما النصف الاول ففي شهر . واما تقويم اللسان ففي اربعة عشر يوماً لانه كان اربعة عشر كراساً . ثم حفظت مشكل القرآن له وغريب القرآن له ، وكل ذلك في مدة يسيرة . ثم انتقلت الى الايضاح لأبي علي القاسي^(٥) فحفظته في شهر كثيرة ، ولازمت مطالعة شروحه وتلبيته التبع التام حتى تبهرت فيه وجمعت ما قال الشراح . واما التكملة فحفظتها في ايام يسيرة كل يوم كراساً ، وطالمت الكتب المبسوطة والمتحصرات وواظبت على المكتسب للمبرد^(٦) ، وكتابت ابن درستويه^(٧) . وفي اثناء ذلك لا أغفل سماع الحديث والتفقه على شيخنا ابن فضلان بدار الذهب ، وهي مدرسة معلقة بناها فخر الدولة بن المطلب .

قال : « والشيخ كمال الدين مائة تصنيف وثلاثون تصنيفاً ، اكثرها في النحو وبعضها في الفقه والاسولين وفي التصوف والزهد ، واثبت على اكثر تصنيفيه سماعاً وقراءة وحفظاً . وشرح في تصنيفين

- (١) لنوي درس في بغداد ، في كتاب اسرار الافة (١١١٩-١١٨٩) .
- (٢) المدرسة التي اسماها نظام الملك في بغداد وهو من وزراء السلجوقيين . (ن.د.)
- (٣) كتاب في النحو لفته حنبل بن حنبل الموصلي رحمه من ابي علي الفارسي .
- (٤) ابن قتيبة الدينوري (٨٢٨-٨٨٩) ولد في الكوفة وعاش وعلم في بغداد وتولى القضاء في ديار بكر له « ادب الكاتب » و « حيون الاخبار » .
- (٥) ولد في فاس من ام عربية وتوفي في بغداد (٩٠٠-٩٨٧) احد ائمة اللغة البصريين .
- (٦) ابو العباس (٨٢٦-٨٩٨) لنوي من الائمة البصريين خصم ثعلب بن علقمة الكوفي . علم في بغداد اهم كتبه « الكامل » .
- (٧) عبدالله (٨٧١-٩٠٦) احد النحاة المشهورين تلمذ على ابن قتيبة والمبرد وثلث ومن مؤلفاته « كتاب الكتاب » .

كثيرين أحدهما في اللغة والآخر في الفقه ولم يتفق له إتمامها وحفظت عليه طائفة من كتاب سيويه^(١) وأكبت على المتعصب فانقضته . وبعد وفاة الشيخ تجردت لكتاب سيويه وشرحه السيراقي^(٢) . ثم قرأت على ابن عبيدة الكرخي كتاباً كثيرة منها كتاب الاصول لابن السراج^(٣) ، والنسخة في وقف ابن الحشاش برباط المأمونية . وقرأت عليه الفرائض والعروض الخطيب التبريزي^(٤) ، وهو من خواص تلاميذ ابن الشجري^(٥) . وأما ابن الحشاش فمعت بقرائه معاني الزجاج على الكلابية شدة بنت الأبري ، وسمعت منه الحديث المسلسل وهو : الراحون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء . »

وقال أيضاً موفى الدين البغدادي : « ان من مشايخه الذين التفتع بهم كما زعم ولد أمين الدولة بن التليذ . وبالح في وصفه وكثر ، وهذا فلكثرة تمصبه للراقيين ، والا فولد أمين الدولة لم يكن بهذه المثابة ولا قريباً منها . وقال : انه ورد الى بغداد رجل مغربي جوال في زبي التصوف له ابنة ولسن مقبول الصورة ، عليه مسحة الدين ، وهيئة السياحة ، يتفعل لصورته من رآه قبل ان يخرجه ، ويعرف بأن فأثلي ، يزعم انه من اولاد التلثمة ، خرج من المغرب لما استولى عليها عبد المؤمن . فلما استقر ببغداد اجتمع اليه جماعة من الاكابر والاعيان، وحضره الرضي القزويني، وشيخ الشيوخ ابن سكيته . وكنت واحداً ممن حضره فآقارني مقدمة حساب ، ومقدمة ابن بابشاه في النحو ، وكان له طريق في التعليم عجيب . ومن يبحر يظن انه متبحر وانما كان متطرفاً ، ولكنه امكن في كتب الكيمياء والطبائيات وما يجري مجراها ، واتي على كتب جابر^(٦) بأمرها ، وعلى كتب ابن وحشية^(٧) . وكان يحلب القلوب بصورته ومنطقه وانيامه . فلأ قلبي شوقاً الى المعلوم كلها ، واجتمع بالامام الناصر لدين الله واعجبه . ثم سافر واقبلت على الاشتغال ، وشرحت ذيل الجذ والاجتهاد، وهجرت النوم والذات، واكبت على كتب الفزالي^(٨) المقاصد ، والمليار ، والميزان ، وحك النظر . ثم انتقلت الى كتب ابن سينا صفارها وكبارها ، وحفظت كتاب النجاة ، وكتبت الشفاء وبجئت فيه ، وحصلت كتاب التحصيل لبهمنار تليذ ابن سينا . وكتبت وحصلت كثيراً من كتب جابر بن حيان الصوفي وابن وحشية وبشرت عمل الصنعة الباطلة وتجارب الضلال الفارغة ، واقوى من اضلني ابن سينا بكتابه في الصنعة الذي تم به فلسفته التي لا تزداد بالتمام الا نقصاً .

- (١) اعلم المتقدمين والمتأخرين في النحو وهو امام ملعب البحرين ولد في البصرة وتوفي قرب شيراز (ن.د)
- (٢) هو الحسن السيراقي (٩٠٣ - ٩٧٨) من علماء اللغة والفقه والفلسفة . وكان مفتي جامع الرصافة ببغداد .
- (٣) هو ابو بكر محمد المعروف بابن السراج احد لغة النحويين المشهورين واليه انتهت الرضا بعد المير .
- (٤) من علماء النحويين في فقه اللغة .
- (٥) هو الشريف ابو الصادات حبة الله البغدادي ابن الشجري ارسد زمانه في النحو والفقه . وكان تلميذ الطالبيين في الكرخ .
- (٦) جابر بن حيان من علماء الكيمياء العرب عاش في الكوفة وهو اول من بحث بتحويل اللامدان الى ذهب .
- (٧) هو أحد المتطه وكان على جانب عظم من العلم . وله المؤلفات المدينة في الكيمياء والعلوم الحفية، عاش حوالي سنة ٨٠٠
- (٨) ابو حامد محمد الفزالي (١٠٥٩ - ١١١١) من اعظم فلاسفة العرب . علم في التنظيمية ببغداد ثم انصرف الى الحياة الصوفية .

قال : « ولا كان في سنة خمس وثلاثين وخمسة » حيث لم يبق ببغداد من يأخذ بقلبي ويأخذ بعيني ، ويحل ما يشكل عليّ ، دخلت الموصل فلم أجد فيها بغيثي ، لكن وجدت الكمال بن يونس ^(١) جيداً في الرياضيات والفقه متطرفاً من باقي أجزاء الحكمة ، قد استغرق عقله ووقته حب الكيمياء وعلمها ، حتى صار يستخف بكل ما عداها . واجتمع إلي جماعة كثيرة ، وعرضت علي مناصب فاخترت منها مدرسة ابن مهاجر الملقبة ودار الحديث التي تحتها . وأقمت بالموصل سنة في اشتغال دائم متواصل لئلا ونهاراً . وزعم أهل الموصل أنهم لم يروا من أحد قبلي ما رأوا مني من سعة الحفظ ، وسرعة وسكون الطائر ، وسمعت الناس يرجون في حديث الشباب السهروردي المتفلسف ، ويمتدحون أنه قد فاق الأولين والآخرين ، وإن تصانيفه فوق تصانيف القدماء فهمت لقصد ثم أدركني التوفيق فطلبت من ابن يونس شيئاً من تصانيفه ، وكان أيضاً معتمداً فيها فوقعت على التلويحات ، واللغة ، والمراجع ، فصادقت فيها ما يدل على جهل أهل الزمان ، ووجدت لي تعاليت كثيرة لا أرتضيها هي خير من كلام هذا الأثوك ^(٢) . وفي أثناء كلامه بثبت حروفاً مقطعة يوم بها أمثاله أنها أصرار الهية .

قال : « ولا دخلت دمشق وجدت فيها من أعيان بغداد والبلاد من جميع الأحسان الصلاحي ، جمعاً كثيراً ، منهم : جمال الدين عبداللطيف ^(٣) ولد الشيخ أبي النجيب ، وجماعة بقيت من بيت رئيس الرؤساء ، وابن طلحة الكاتب ^(٤) ، وبيت ابن جوير ^(٥) ، وابن المطار القنول الوزير ، وابن هيرة ^(٦) الوزير واجتمع بالكندي البغدادي النحوي وجرى بيننا مباحثات ، وكان شيئاً بيها ذكياً مثارياً ، له جانب من السلطان ، لكنه كان ممجّباً بنفسه مؤذياً لجليسه ، وجرت بيننا مباحثات فآظفرتني الله تعالى عليه في مسائل كثيرة . ثم اتى أهلته جانبه فكان يتأذى بإهلالي له أكثر مما يتأذى الناس منه . وعملت بدمشق تصانيف جمة منها غريب الحديث الكبير ، جمعت فيه غريب أبي عبيد القاسم بن سلام ^(٧) ، وغريب ابن قتبية وغريب الخطابي وكنت ابتدأت به في الموصل وعملت له مختصراً سمّيته المجرّد ، وعملت كتاب الواضحة في أعراب الفاتحة نحو عشرين كراساً ، وكتاب الألف واللام ، وكتاب ربّ ، وكتاباً في الذات والصفات الذاتية الجارية على السنة المتكلمين . وقصدت بهذه المسألة الرد على الكندي ، ووجدت بدمشق الشيخ عبدالله بن ثابتي تازلاً للأذنة الغربية ، وقد عكف عليه جماعة ومحزب الناس فيه حزبين له وعليه فكان الخطيب الدولمي عليه ، وكان من الأعيان له منزلة وقاموس . ثم خلط ابن ثابتي على نفسه فأعان عدوه عليه ، صار يتكلم في الكيمياء والفلسفة ، وكان التشنيع عليه . واجتمعت به فصار يمسألني عن أعمال اعتقد أنها خسيسة تزرع قيمتها ويحتفل بها ويكتبها مني ،

(١) من أعلم علماء زمانه في الحساب والفقه . ولد في الموصل تلم في نظامية بغداد وعلم في كاتبة الموصل

(٢) لاحق .

(٣) المسمى ابن البلاد مشهور بعلم الكلام والفلسفة والطب والتنجيم .

(٤) الملقب بالرسالة تلم في نيسابور وأقام في دمشق .

(٥) بيت خرج منه أربعة من وزراء البساسين أولهم وزير المستظهر وأخوه وزير القتيبي .

(٦) عز الدين وزير المستنجد

(٧) الفردي ولد في حرارة سنة ٧٧٠ ، لقوي فقيه من علماء الدين درس على الاسمي وابن الأعرابي . « ن. د. »

وكاشفته فلم أجده كما كان في نفسي ، فساء به ظني وبطريقه ، ثم باحثته في العاوم فوجدت عنده منها اطرافاً نيرة فقلت له يوماً : لو صرفت زمانك الذي ضيعته في طلب الصنعة الى بعض العاوم الشرعية أو العقلي كنت اليوم فريد عصرك ، غدوماً طول عرك . وهذا هو الكيمياء لا ما تطلبه . ثم اعتبرت بماله وايزجرت بسوء ماله ، والسعيد من وعظ بغيره . فاقلمت ولكن لا كل الاقتلاع . ثم انه توجه الى صلاح الدين بظاهر عكا يشكو اليه الدوالي ، وعاد مريضاً وحمل الى البيارستان فمات به . وأخذ كنبه المتمدن شحنة دمشق وكارت متيناً بالصنعة . ثم اتى توجهت الى زيارة القدس ، ثم الى صلاح الدين بظاهر عكا فاجتمعت بهاء الدين بن شداد قاضي المسكر يومئذ ، وكان قد اتصل به شهري بالموصل فانبسط الي واقبل علي . وقال : نجتمع بمعاد الدين الكاتب فقمنا اليه ، وخبينته الى خيمة بهاء الدين فوجدته يكتب كتاباً الى الديوان المزيين بقلم الثلث من غير مسودة . وقال هذا كتاب الى بلدكم ، وذاكرني في مسائل من علم الكلام ، وقال : قوموا بنا الى القاضي الفاضل فدخلنا عليه ، فرأيت شيئاً شبيهاً كله رأس وقلب ، وهو يكتب ويمل على اثنين ، ووجهه وشفتاه تلمب أرواث الحركات لقوة حرصه في إخراج الكلام ، وكأنه يكتب بحمة أعضائه . وسألني القاضي الفاضل عن قوله سبحانه وتعالى : « حتى اذا جاوزها ففتحت ابوابها وقال لهم خزنتها » اين جواب اذا . واين جواب لو في قوله تعالى : « ولو أن قرأنا سيرة به الجبال » وعن مسائل كثيرة ومع هذا فلا يقطع الكتابة والاملاء . وقال لي ترجع الى دمشق ، وتجري عليك الجرايات فقلت اريد مصر ، فقال السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا وقتل المسلمين بها ، فقلت لا بد لي من مصر فكتب لي ورقة صغيرة الى وكيله بها .

فلما دخلت القاهرة جامعي وكيله وهو ابن سناء الملك ، وكان شيئاً جليل العدر ، فأخذ الامر ، فازلني داراً قد ازيجت عليها ، وجامني بدنانيروعة . ثم مضى الى ارباب الدولة وقال : هذا ضيف القاضي الفاضل فدرت الهدايا والصلات من كل جانب . وكلت كل عشرة ايام او نحوها تصل تذكرة القاضي الفاضل الى ديوان مصر بمهات الدولة وفيها فصل يؤكد الوصية في حقني . وأقمت بمسجدالحانجب لؤلؤ^(١) رحمه الله اقرىء ، وكان قصدي في مصر ثلاثة: أنفس ياسين السيمبالي والرئيس موسى بن ميمون اليهودي وابو القاسم الشارعي ، وكلهم جاؤوني . أما ياسين فوجدته محالياً كذاباً ، مشبهذاً ، يشهد للشاقاني بالكيمياء ، ويشهد له الشاقاني بالكيمياء ، ويقول عنه انه يعمل اعمالاً يمجز موسى ابن عمران عنها . وانه يحضر الذهب المضروب متى شاء ، وبأي مقدار شاء ، وبأي سكة شاء . وانه يعمل ماء النبل خيمة ، ويجلس فيه واصعباه تحتها . وكان ضيف الحال . وجامني موسى فوجدته فاضلاً في الغاية قد غلب عليه حب الرياسة ، وخدمة ارباب الدنيا . وعمل كتاباً في الطب جمعه من الستعشر الجالينوس ، ومن خمسة كتب أخرى ، وشرط ان لا يغير فيه حرفاً الا ان يكون واو عطف أو فاء وصل ، وانما ينقل فصولاً لا يختارها . وعمل كتاباً لليهود سماه كتاب الدلالة ، ولمن من يكتبه بغير القلم العبراني . ووقفت عليه فوجدته كتاب سوء يفسد أصول الشرائع والمعتقد بما يظن انه يصلحها .

(١) هو امين سر رضوان السلجوقي وابابك ألب رسلان .

وكننت ذات يوم بالمسجد وعندي جمع كثير فدخل شيخ رث الثياب ، نير الطلمعة مقبول الصورة فهابه الجمع ورفسوه فوقهم ، وأخذت في اقام كلامي ، فلما تصرع المجلس جاءني امام المسجد وقال : اتعرف هذا الشيخ ؟ هذا أبو القاسم الشارعي فاعتقته وقلت اياك اطلب ، فاخذته الى منزلي واكلنا الطعام ، وتفاوضنا الحديث ، فوجدته كما تشتهي الانفس ، وتلك الاعين ، سيرته سيرة الحكماء المغلاء وكذا صورته . وقد رضي من الدنيا بمرض^(١) ، لا يتعلق منها بشيء يشغله عن طلب الفضيلة . ثم لازمني فوجدته قبا يكتب القدماء وكتب أبي نصر الفارابي ولم يكن لي اعتقاد في احد من هؤلاء لانني كنت اظن أن الحكمة كلها حازها ابن سينا وحشاها كتبه ، واذا تفاوضنا الحديث أغلبه بقوة الجدل وفضل اللسان ، ويفطين بقوة الحجة وظهر المحجة . واذا لا تلين قتالي لعمزه ، ولا اسجد عن سبادة الهوى والتعصب بمرمه ، فصار يحضرني شيئاً بعند شيء من كتب أبي نصر والاسكندر ثمسطيوس يؤنس نفاري ، ويلين عريكة شماسي حتى عطفت عليه اقدم رجلاً واوخر اخرى .

وشاع ان صلاح الدين هادن الفرنج وعاد الى القدس فقادتني الضرورة الى التوجه اليه ، فاخذت من كتب القدماء ما أمكنني وتوجهت الى القدس فرأيت ملكاً عظيماً يلاّ الدين روعة ، والغلوب عجة . قريباً بعيداً ، سهل عجباً ، وأصحابه يتشبهون به ، يتسابقون الى المعروف كما قال تعالى : « ولزنا ما في صدورهم من غل » . وأول ليل حضرته وجدت مجلساً باهل العلم يتذاكرون في اصناف العلوم وهو يحسن الاستماع والمشاركة ويأخذ في كيفية بناء الاسوار وحفر الخنادق ويتفقه في ذلك ويأتي بكل معنى بديع . وكان مهتماً في بناء سور القدس وحفر خندقه ، يتولى ذلك بنفسه وينقل الحجارة على عاتقه ، ويتأسي به جميع الناس الفقراء والاعنياء ، والأقوياء والضعفاء ، حتى العماد الكاتب والقاضي الفاضل ؛ ويركب لذلك قبل طلوع الشمس الى وقت الظهر ، ويأتي داره ، ويمد الطعام ، ثم يستريح . ويركب العصر ويرجع في المساء ، ويصرف اكار الليل في تديبر ما يعمل نهراً . فكنت في صلاح الدين ثلاثين ديناراً في كل شهر على ديوان الجامع وأطلق أولاده رواتب حتى تقرر لي في كل شهر مائة دينار .

ورجعت الى دمشق واكبت على الاشتغال واقراء الناس بالجامع . وكلما أمنت في كتب القدماء ازددت فيها رغبة ، وفي كتب ابن سينا زهادة واطلمت على بطلان الكيمياء ، وعرفت حقيقة الحلال في وضعها ، ومن وضعها وكذّاب بها ، ربما كان قصده في ذلك . وتسلصت من ضلالين عظيمين موبقين . وتضاعف شكري لله سبحانه على ذلك ، فان اكثر الناس انفساً هلكوا بكتب ابن سينا والكيمياء .

« ثم ان صلاح الدين دخل دمشق ، وخرج يودع الحاج ، ثم رجع فسمّ فقصده من لا شهرة عنده فضاوت القوة ومات قبل الرابع عشر ووجد الناس عليه شيئاً بما يجدونه على الانبياء . وما رأيت ملكاً حزن الناس بموته سواء لانه كان محبوباً يحبه البر والفاجر ، والمسلم والكافر . ثم تفرق أولاده

واصحابه ايادي سباً ، ومزقوا في البلاد كل يمزق ، واكثروا توجه الى مصر لحصنها وسعة صدر ملكها واقتد بدمشق وملكها الملك الأفضل وهو اكبر الأولاد في السن الى ان جاء الملك العزيز بمساكر مصر يحاصر أخاه بدمشق ، فلم ينل منه بغية ، ثم تأخر الى مرج الصفر للفرنج عرض له فخرجت اليه بعد خلاصه منه فاذاذ لي في الرحيل معه ، واجرى علي من بيت المال كفايتي وزيادة . وأقمت مع الشيخ أبي القاسم يلزمني صباح مساء الى ان قضى نحبه . ولا اشتد مرضه ، وكان ذات الجنب عن نزلة من رأسه واشترت عليه بدواء فأنشد :

لا انود الطير عن شجر قد بلغت المر من ثمره

— المديد —

ثم سألته عن أله فقال :

ما لجرح يمت ابلام

— الخفيف —

« وكان سيرتي في هذه المدة ، انني اقرئ الناس بالجامع الازهر^(١) من أول النهار الى نحو الساعة الرابعة . وسط النهار يأتي من يقرأ الطب وغيره ، وآخر النهار أرجع الى الجامع الازهر فيقرأ قوم آخرون . وفي الليل اشتغل مع نفسي . ولم أزل على ذلك الى ان توفي الملك العزيز ، وكان شاباً كرمياً شجاعاً كثير الحياء لا يحسن قول لا . وكان مع حدائثه سنة وشرح شبابه كامل الحفة عن الاموال والفروج » .

أقول : ثم ان الشيخ موفق الدين أقام بالقاهرة بعد ذلك مدة ، وله الرتب والجرانيات من اولاد الملك الناصر صلاح الدين ، وأتى الى مصر ذلك الفلاء العظيم والمؤلف الذي لم يشاهد مثله . وألف الشيخ موفق الدين في ذلك كتاباً ذكر فيه اشياء شاهدها أو سمعها من عاينها تذهل العقل ، وسمى ذلك الكتاب « كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر » . ثم لما ملك السلطان الملك المعادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب الديار المصرية وأكثر الشام والشرق، وتفرقت أولاد اخيه الملك الناصر صلاح الدين ، وانتزع ملكهم توجه الشيخ موفق الدين الى القدس ، وأقام بها مدة . وكان يتردد الى الجامع الأقصى^(٢) ويشغل الناس عليه بكثير من العلوم ، وصنف هنالك كتباً كثيرة . ثم انه توجه الى دمشق وتول بالمدرسة العزبية بها ، وذلك في سنة اربع وستائة ، وشرع في التدريس والاشتغال ، وكان يأتيه خلق كثير يشتغلون عليه ويقرأون أصنافاً من العلوم . وتغيز في صناعة الطب بدمشق ، صنف في هذا الفن كتباً كثيرة وعرف به . واما قبل ذلك فانما كانت شهرته بلم النحو ، وأقام بدمشق مدة وانتفع الناس به . ثم انه سافر الى حلب ، وقصد بلاد الروم

(١) مسجد وجامعة في القاهرة بنما القائل جرهر الصلي سنة ٩٧٢ في اول عهد الخاطمين . واصبح مقامه عظيماً فيما بعد يتصدده طلاب العلم من انحاء العالم الاسلامي.

(٢) موت يقع في الماشية .

(٣) من اعظم الاماكن المقدسة الاسلامية . وهو جامع كبير في القدس جنوبي مسجد القبة . (ن.د.)

وأقام بها سنين كثيرة ، وكان في خدمة الملك علاء الدين داود بن جهرام^(١) صاحب ارزنجان . وكان مكيناً عنده ، عظيم المنزلة ، وله من الجامعة الواقعة ، والافتقادات الكثيرة ، وصنف بإسمه عدة كتب . وكان هذا الملك عالي الهمة ، كثير الحياء ، كريم النفس . وقد اشتغل بشيء من العلوم ، ولم يزل في خدمته الى ان استولى على ملكه صاحب ارزن^(٢) الروم، وهو السلطان كيخباد^(٣) بن كيخسرو ابن قلع أرسلان ، ثم قبض على صاحب ارزنجان ولم يظهر له خبر .

قال الشيخ موفق الدين عبد اللطيف : « ولما كان في سابع عشر ذي القعدة من سنة خمس وعشرين وسبئاً ، توجهت الى ارزن الروم ، وفي حادي صفر من سنة ست وعشرين وسبئاً ، رجعت الى ارزنجان من ارزن الروم ، وفي نصف ربيع الاول توجهت الى كاخ^(٤) ، وفي جمادى الاولى توجهت منها الى ديركي ، وفي رجب توجهت منها الى ملطية^(٥) ، وفي آخر رمضان توجهت الى حلب ، وصلنا صلاة عيد الفطر بالبنشاء ، ودخلنا حلب يوم الجمعة تاسع شوال فوجدناها قد تضاعفت عمارتها وخبرها بحسن سيرة ائمة شباب الدين واجتمع الناس على محبة لمعدته في رعيته . »

أقول : واقام الشيخ موفق الدين بحلب والناس يشفقون عليه ، وكثرت تصانيفه . وكان له من شهاب الدين طغرل الخادم ائمة حلب جار حسن ، وهو متنعل لتدريس صناعة الطب وغيرها ، ويرتد الى الجامع بحلب ليمس الحديث ويقرئ العربية . وكلت دائم الاشتغال ، ملازماً للكتابة والتصانيف . ولما أقام بحلب قصدت الي اتوجه اليه واجتمع به فلم يتفق ذلك ، وكانت كتبه ابدأ فصل البناء ومراسلاته ، وبمت الي اشيائه من تصانيفه من خطه (وهذه) نسخة كتاب كتبه اليه لما كان بحلب : « الملوك يواصل بدعائه وثنائه ، وشكره وانثائه الى عبودية المجلس السامي المولوي ، السني السندي ، الأجل الكبير ، العالمي الفاضل ، موفق الدين ، سيد العلماء في الفارين والحاضرين ، جامع العلوم المتفرقة في العالمين ، ولي أمير المؤمنين . أوضع الله به سبل الهداية ، وأثار ببقائه طرق الدراية ، وحقق بحفائقي أفضاله صحيح الولاية . ولا زالت سعادتة دائمة البقاء ، وسيادته سامية الارتقاء ، وتصانيفه في الآفاق قدوة العلماء ، وعمدة سائر الادباء والحكام . الملوك يحدد الخدمة ، ويهدي من السلام اطيبه ، ومن الشكر والثناء أعذبه ، وينهي ما يكابده من ألم التطلع الى مشاهدة اوار شمس المنيرة ، وما يعانيه من الارتياح الى ملاحظة شريف حضرته الاثيرة، وما تزايد من القلق ، وقماطهم عند سماعه قرب المزار من الارق :

وأبرح ما يكون الشوق يوماً اذا دنت الديار من الديار

(الوافر)

(ولولا قفول الركاب العالي ، ووصول الجناب الموقعي الجلال ، لسارع الملوك الى الوصول ،

(١) من ملوك التتار بن جهرام اعظم ملوكهم .

(٢) مدينة قديمه في ارمينيا وانقلضت اليوم في تركيا .

(٣) سلطان من سلاجقة امية الصغرى .

(٤) مدينة معصنة في الاناضول على شاطئ الفرات الايسر .

(٥) مدينة على الفرات في تركيا . (ن.د)

ولبادر المبادرة بالمزول ، ولجاء الى شريف خدمته ، وفاز بالنظر الى بهي طلعته . فبها سعادة من فاز بالنظر اليه ، وبها بشري من مثل بين يديه ، وبها سرور من حظي بوجه اقباله عليه ، ومن ورد بحار فضله من غيرها ، واستضاء بشمس علمه فسرى في ضياء منيرها ، نسأل الله تعالى تقرب الاجتاع ، وتحصيل الجمع بين مسرتي الابصار والاسماع ، بئنه وكرمه ان شاء الله تعالى .

ومن مراسلات الشيخ موفق الدين عبد اللطيف انه بعث الى أبي في أول كتاب ، وهو يقول فيه : « عندي ولد الولد أعز من الولد . وهذا موفق الدين ولد ولدي وأعز الناس عندي ، وما زالت التعابة تدبني في فيه من الصغر » . ووصف وأثنى كثيراً ، وقال فيه : « ولو امكنتي ان آتي اليه بالقصد ليشغلني علي لعلمت » . وبالجملة فانه كان قد عزم ان يأتي الى دمشق ويقع بها ، ثم خطر له انه قبل ذلك يحج ، ويعمل طريقه على بغداد . وان يقدم بها للخليفة المستنصر بالله اشياء من تصانيفه . ولما وصل بغداد مرض في اثناء ذلك ، وتوفي رحمه الله يوم الاحد ثاني عشر المحرم سنة تسع وعشرين وسبائة ، ودفن بالوردية عند ابيه ، وذلك بعد ان خرج من بغداد وبقي غائباً عنها خمساً وأربعين سنة . ثم ان الله تعالى ساقه اليها وقضى منيته بها .

ومن كلام موفق الدين عبد اللطيف البغدادي ، مما نقلته من خطه قال :

« ينبغي ان نحاسب نفسك كل ليلة اذا آويت الى منامك ، وتظهر ما اكتسبت في يومك من حسنة فتشكر الله عليها ، وما اكتسبت من سيئة فلتستغفر الله منها وتقطع عنها . وترب في نفسك ما تعمله في غدك من الحسنات » . ونسأل الله الاعانة على ذلك » .

وقال : أوصيك ان لا تأخذ العلوم من الكتب وان وثقت من نفسك بقوة الفهم . وعليك بالاستاذين في كل علم تطلب اكتسابه ، ولو كان الاستاذ ناقصاً فضد عنه ما عنده حتى تجد أكمل منه . وعليك بتعظيمه وتوجيهه ، وان قدرت ان تقبده من دنياك فافعل ، وإلا فبلسانك وثناك . واذا قرأت كتاباً فاحرص كل الحرص على ان تستظهره وتلك منسأه وتوهم ان الكتاب قد عدم وانك مستغن عنه ، لا تحزن لفقدته . واذا كنت مكباً على دراسة كتاب وقبته فاياك ان تشتغل بأخر معه ، ولصرف الزمان الذي تريد صرفه في غيره اليه . وإياك ان تشتغل بملفين دفعة واحدة، وواظب على العلم الواحد سنة او سنتين أو ما شاء الله . فاذا قضيت منه وطرك فانتقل الى علم آخر . ولا تقن انك اذا حصلت علماً فقد اكتفيت بل محتاج الى مراعاته لينمو ولا ينقص ؛ ومراعاته تكون بالذاكرة ، والتفكير واشتغال المبتدئ باللفظ والتعلم ، ومباحثة الاقران . واشتغال العالم بالتعليم والتصنيف . واذا تصدبت لتعلم علم أو للمناظرة فيه فلا تترج به غيره من العلوم ، فان كل علم مكتف بنفسه مستغن عن غيره ، فان استمانتك في علم بلم عجز عن استيفاء أقسامه كمن يستعين بلغة في لغة أخرى اذا علمها أو جهل بعضها .

قال : وينبغي للانسان ان يقرأ التواريخ ، وان يطلع على السير وتجارب الامم فيصير بذلك كأنه في حمز القصير قد أدرك الامم الخالية ، وعاصرم وعاشرم ، وعرف خيرم وشرم .

قال : وينبغي ان تكون سيرتك سيرة الصدر الاول ، فاقرا سيرة النبي ، عليه السلام ، وتلعب أفعاله وأحواله ، واقف آثاره ، وتشبه به ما امكنتك وبقدر طاقتك . واذا وقفت على سيرته في مطعمه ومشربه وملبسه ، ومنامه ، ويقظته ، وقرضه ، وقطيعه ، وعتقه وقطيعه ، ومعاملته مع ربه ومع أزواجه وأصحابه وأعدائه ، وفطنت اليسير من ذلك فانت السعيد كل السعيد .

قال : وينبغي ان تكثر ايامك لنفسك ولا تحسن الظن بها ، وتعرض خوارك على العلماء وعلى تصانيفهم ، وتثبت ولا تعجل ولا تعجب فع العجب العثار ، ومع الاستبداد الزلل . ومن لم يمرق جبينه الى ابواب العلم لم يمرق في الفضيلة ، ومن لم يجتأه لم يبعث الناس ، ومن لم يبتكوه لم يسد ، ومن لم يحتمل ألم التعلم لم يذق لذة العلم ، ومن لم يكسح لم يفلح . واذا خلوت من التعلم والتفكير فسررك لسانك بذكر الله وبسابقه ، وخاصة عند النوم ، فيشربه لبك ، ويتميم في خيالك ، وتكلم به في منامك . واذا حدث لك فرح وسرور ببعض أمور الدنيا فاذكر الموت وسرعة الزوال وأصناف المنفصات ، واذا أزعرك أمر فاسترجع ، واذا اعتزتك غفلة فاستغفر ، واجعل الموت نصب عينك ، والعلم والتقى زادك الى الآخرة . واذا أردت ان تعصي الله فاطلب مكانا لا يراك فيه . واعلم ان الناس عيون الله على العبد يرهق غيره وان أخفاه ، وشربه وان ساره ، قباطنه مكشوف لله ، والله يكشفه لمباهه . فليكن ان تجمل باطنك خيرا من ظاهرك ، وسرك أصبح من علانيتك . ولا تتألم اذا عرضت عنك الدنيا فلو عرضت لك لشغلتك عن كسب الفضائل . وقلبا يتعمق في العلم ذو الثروة ، إلا ان يكون شريف الهمة جدا أو ان ياتري بعد تحصيل العلم . والي لا اقول ان الدنيا تعرض عن طالب العلم بل هو الذي يمرض عنها ، لان همته مصروقة الى العلم فلا يبقى له التفات الى الدنيا ، والدنيا انما تحصل بمرص وفكر في وجوها فاذا غفل عن اسبابها لم تأت . وايضا فان طالب العلم تشرف نفسه عن الصنائع الرذلة ، والمكاسب الدنية ، وعن اصناف التجارات ، وعن التذلل لارباب الدنيا والوقوف على أبراهيم . ولبعض اخواني بيت شعر

من جد في طلب العلوم افاته شرف العلوم ذلالة التحصيل
(الكامل)

« وجب طرق مكاسب الدنيا محتاج الى فراغ لها وحذق فيها ، وصرف الزمان اليها . والمشتغل بالعلم لا يسمع شيء من ذلك ، وانما ينتظر ان تأتبه الدنيا بلا سبب ، وتطلبه من غير ان يطلبها طلب مثلها ، وهذا ظلم منه وعدوان . ولكن اذا تمكن الرجل في العلم وشربه به ، خطب من كل جهة وعرضت عليه المناصب ، وجماعته الدنيا صاغرة ، وأخذها وماء وجهه موفورا ، وعرضه ودينه مصون . واعلم ان العلم عقبة وعرفا ينادي على صاحبه ، وفرأ وضياء يشرق عليه ويسدل عليه ، كتاجر المسك لا ينفى مكانه ، ولا تجهل بضاعته . وكمن يمشي بمشعل في ليل مدغم . والعالم مع هذا محبوب أينما كان وكيفما كان ، لا يجد الا من ييل اليه ، ويؤثر قربه ويأنس به ، ويرتج بدائاته واعلم ان العلوم تغور ثم تغور في زمان بمنزلة النبات أو عيون المياه ، وتلتغل من قوم الى قوم ومن صقع الى صقع . »

ومن كلامه أيضاً نقلته من خطه قال : « اجمل كلامك في الثغالب بصفات ابن يكون وجيزاً فصيحاً في معنى مهم أو مستحسن فيه إلغاز تام ، وإيجام كثير أو قليل . ولا تجمله مهمل ككلام الجمهور ، بل ارقمه عنه ، ولا تقلعه عليهم جداً »^(١)

وقال : إياك والحذر ، والكلام فيما لا يعني ؛ وإياك والسكوت في محل الحاجة ، ورجوع التوبة إليك إما لاستخراج حق ، أو اجتلاب مودة ، أو تقيية على قضية . وإياك والضعف مع كلامك ، وكثرة الكلام ، وتبتيث الكلام . بل اجمل كلامك مردداً بسكون ، بحيث يستشعر منك أن وراءه أكثر منه ، وأنه عن خبرة سابقة ، ونظر متقدم »

وقال : « إياك والغلظة في الخطاب ، والجفاء في المناظرة . فان ذلك يذهب ببهجة الكلام ، ويسقط غائده ، ويعدم حلوته ، ويحلب الضفائن ، ويحرق المودات ، ويصير الغافل مستقلاً سكوتاً وأشهى إلى السامع من كلامه ، ويثير النفوس على مماندته ، ويبسط اللسن بمخاشنته وأذهاب حرمة . »

وقال : « لا تفرغ بحيث تستقل ، ولا لتنازل بحيث تستخص وتستعقر . »

وقال : « اجمل كلامك كله جدلاً ، واجب من حيث تعقل لا من حيث تماد وتألف . »

وقال : « انتزع عن عادات الصبا ، وتجرد عن مألوفات الطبيعة ، واجمل كلامك لاهوياً في الثغالب لا ينفعك من خبر أو قرآن أو قول حكيم أو بيت نادر أو مثل سائر . »

وقال : « تجنب الرقيمة في الناس وقلب الملوك ، والغلظة على المائثر ، وكثرة التنبؤ . وتجاوز الحد فيه . »

وقال : « استكثر من حفظ الأشعار الأمثالية والنوادر الحكمية والمعاني المستنيرة . »

ومن دعائه رحمه الله قال : « اللهم أعزنا من شغوس الطبيعة ، وجوح النفس الردية . واسلس لنا مقام التوفيق ، وخذ بنا في سواء الطريق . يا هادي العمي ؛ يا مرشد الضلال ، يا محيي القلوب الميتة بالإيمان ، يا منير ظلمة الضلالة بنور الاقتان ؛ خذ بأيدينا من مهواة الهلكة ، نجنا من رمقة^(١) الطبيعة ، طهرنا من دون الدنيا الدنية ، بالإخلاص لك والتقوى . انك مالك الآخرة والدنيا . وتسبيح أيضاً له قال : « سبحان من عم بحكمته الوجود ، واستحق بكل وجه أن يكون هو المعبود . ثلاث بنور جلالك الآفاق ، وأشرقت شمس معرفتك على النفوس اشراقاً وأي اشراق . »

ولموفق الدين عبد اللطيف البغدادي من الكتب : كتاب غريب الحديث ، جمع فيه غريب أبي عبد القاسم بن سلام ، وغريب ابن قتيبة ، وغريب الخطابي . كتاب المجرى من غريب الحديث . كتاب الواضحة في أعراب الفاتحة . كتاب الألف واللام . مسألة في قوله سبحانه إذا أخرج يده لم يكذب بها . مسألة نحوية . مجموع مسائل نحوية وتعاليق . كتاب رب . شرح بآيات سعاد . كتاب ذيل الفصح . الكلام في الذات والصفات الذاتية الجارية على ألسنة المتكلمين . شرح أوائل الفصل .

(١) الطين والوحل الشديد .

خمس مسائل لمحوية . شرح مقدمة ابن إبيشاذ وسماء بالغ الكاملية . شرح الخطيب التباتية . شرح الحديث المتسلسل . شرح سبعين حديثاً ، شرح أربعين حديثاً طبية . كتاب الرد على ابن خطيب الري في تفسير سورة الاخلاص . كتاب كشف الظلمة عن قدامة ، شرح نقد الشعر لقدامة . احاديث مخرجة من الجمع بين الصحيحين . كتاب اللواء العزيز ، باسم الملك العزيز في الحديث . كتاب قوانين البلاغة ، عمله مجلب سنة خمس عشرة وستائة . حواش على كتاب الحصائص لابن جني . كتاب الانصاف ، بين ابن بري وابن الحشاش على المقامات للحريري ، وانتصار ابن بري للحريري . مسألة في قولهم أنت طالق في شهر قبل ما بعد قبله رمضان . تفسير قوله عليه السلام : الراحون يرحمهم الرحمن . كتاب قبسة المجلان في النحو . اختصار كتاب الصناعتين للمسكري . اختصار كتاب العمدة لابن رشيقي .

مقالة في الوقف . كتاب الجلي في الحساب الهندي . اختصار كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري وكتاب آخر في فنه مثله . اختصار مادة البقاء للتمييز . كتاب الفصول وهو بلغة الحكيم سبع مقالات فرغ منه في شهر رمضان سنة ثمان وستائة . شرح كتاب الفصول لابقرات ، شرح كتاب مقدمة المعرفة لابقرات . اختصار وشرح جالينوس لكتاب الامراض الحادة لابقرات . اختصار كتاب الحيوان لارسطوطاليس . تهذيب مسائل مابل لارسطوطاليس . كتاب آخر في فنه مثله . اختصار كتاب منافع الاعضاء لجالينوس . اختصار كتاب آراء ابقرات لافلاطون ، اختصار كتاب الجلسين . اختصار كتاب الصوت . اختصار كتاب المني . اختصار كتاب آلات التنفس ، اختصار كتاب العضل . اختصار كتاب الحيوان للجاحظ . كتاب في آلات التنفس وافعالها ست مقالات مقالة في قسمة الحيات وما يتقوم به كل واحد منها وكيفية تولدها . كتاب التنغية وهو خلاصة الامراض الحادة . اختصار كتاب الحيات للامرائيلي . اختصار كتاب البول للامرائيلي . اختصار كتاب النبض للامرائيلي . كتاب اخبار مصر الكبير . كتاب اخبار مصر الصغير ، مقالاتان ، وترجمة كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المماينة بأرض مصر ، وفرغ من تأليفه في العاشر من شعبان سنة ثلاث وستائة بالبيت المقدس . كتاب تاريخ وهو يتضمن سيرته ألفه لولده شرف الدين يوسف . مقالة في العطش . مقالة في الماء . مقالة في احصاء مقاصد واضعي الكتب في كتبهم وما يتبع ذلك من المنافع والمضار . مقالة في معنى الجوهر والعرض . مقالة موجزة في النفس . مقالة في الحركات المتناضبة . مقالة في العادات . الكلفة في الربوبية .

مقالة تشتمل على أحد عشر باباً في حقيقة الدواء والغذاء ومعرفة طبقاتها وكيفية تركيبها . مقالة في الياوية بصناعة الطب . مقالة في شفاء اللد بالصد . مقالة في ديابيبس والادوية النافعة منه . مقالة في الراوند سررها مجلب في جمادى الآخرة من سنة سبع عشرة وستائة ، وكان قد وضعها بمصر سنة خمس وتسعين وخمسةائة . مقالة في السقنقور . مقالة في الخنطة . مقالة في الشراب والكرم . مقالة في البحران ، صغيرة . رسالة الى مهندس فاضل عملي ، كتب بها من مدينة حلب . اختصار كتاب الادوية المفردة لابن واغد . اختصار كتاب الادوية المفردة لابن سحون . كتاب كبير في الادوية

المجردة . مختصر في الحيات . مقالة في الزواج . كتاب الكفافية في التشریح . كتاب الرد على ابن الخطيب في شرحه بعض كليات القانون ، وألف كتابه هذا لمعي رشيد الدين علي بن خليفة رحمه الله وأرسله إليه ، وكان تأليفه لذلك مجلب قبل توجهه إلى بلاد الروم . كتاب تعقب حواشي ابن جسيم على القانون . مقالة يرد فيها على كتاب علي بن رضوان المصري في اختلاف جالينوس وارسطوطاليس . مقالة في الحواس . مقالة في الكلمة والكلام . كتاب السبعة . كتاب تحفة الأمل . مقالة في الرد على اليهود والنصارى . مقالتان أيضاً في الرد على اليهود والنصارى . مقالة في ترتيب المصنفين . كتاب الحكمة الملائية ذكر فيه اشياء حسنة في العلم الالهي وألف كتابه هذا لعلاء الدين داود بن بهرام صاحب أرزنجان . مقالة على جهة التوطئة في المنطق . حواش على كتاب البرهان للفارابي .

كتاب الترياق فصول متزعة من كلام الحكماء حل شيء من شكوك الرازي على كتب جالينوس . كتاب المراقي إلى الغاية الانسانية ، ثمان مقالات . مقالة في ميزان الادوية المركبة من جهة الكيات . مقالة في موازنة الادوية والادواء من جهة الكيفيات . مقالة في تعقب أوزان الادوية . مقالة اخرى في المعنى وكشف شبه وقعت لبعض العلماء . مقالة في المعنى في جواب ثلاث مسائل . مقالة سادسة مختصرة . مقالة تتعلق بموازن الادوية الطبية في المركبات ، قول ايضاً في المعنى . مقالة في التنفس والصوت والكلام ، مقالة في اختصار كلام جالينوس في سياسة الصحة . انتزاعات من كتاب ديسقوريدس في صفات الحشائش . انتزاعات أخرى في مناقضا . مقالة في تدبير الحرب كتبها لبعض ملوك زمانه في سنة ثلاث وعشرين وسبائة ، ووجدته أيضاً وقد ترجمها . مقالة في السياسة العملية . كتاب المعدة في اصول السياسة .

مقالة في جواب مسألة سئل عنها في ذبح الحيوان وقتله وهل ذلك سائق في الطبع وفي العقل كما هو سائق في الشرع . مقالات في المدينة الفاضلة . مقالة في العلوم المضارة . رسالة في الممكن ، مقالتان . مقالة في المجلس والنوع أجاب بها في دمشق سؤال سائل في سنة أربع وسبائة . النصول الاربعة المطلقة . تهذيب كلام افلاطون . حكم منشورة ايساغوجي مبسوط الواقعات . مقالة في النهاية واللانهاية . كتاب تأريث الفطن في المنطق والطبيعي والالهي . مقالة في كيفية استعمال المنطق ، وكتب هذه المقالة إلى من بلاد الروم . مقالة في حد الطب . مقالة في البادى بصناعة الطب . مقالة في اجزاء المنطق التسعة ، مجلد كبير . مقالة في القياس .

كتاب في القياس ، خمسون كراساً ، ثم اضيف اليه المدخل والمقولات والمباراة والبرهان فبعاه مقداره اربع مجلدات . مقالة في جواب مسألة في التنبيه على سبل السعادة الطبيعية من الساع إلى آخر كتاب الحس والحسوس ثلاث مجلدات . كتاب الساع الطبيعي ، مجدان . كتاب آخر في الطبيعيات من الساع إلى كتاب النفس . كتاب العجيب . حواش على كتاب الثانية للمنطقية للفارابي . شرح الاشكال البرهانية من ثمانية أبي نصر . مقالة في ترتيب الشكل الرابع . مقالة في ترتيب ما يتقدمه ابو علي بن سينا من وجود اقيسة شرطية تنتج نتائج شرطية . مقالة في القيانات المتطلبات والمعرف . بابر مانياس مبسوط . مقالة في ترتيب القاندين الشرطية التي يظنها ابن سينا . مقالة اخرى في المعنى ايضاً .

كتاب النصيحتين الأطباء والحكماء . كتاب المحاكمة بين الحكيم والكيميائي . رسالة في المادان وابطال الكيمياء . مقالة في الحواس . عهد الى الحكماء . اختصار كتاب الحيوان لابن ابي الاشعث . اختصار الفولنج لابن ابي الاشعث . مقالة في السراسم . مقالة في العلة المراقية . مقالة في الرد على ابن الهيثم في المكان . مختصر فيما بعد الطبيعة . مقالة في النخل ، ألفها بمصر سنة تسع وتسعين وخمسة وبعيضاً بمدينة ارزنجان في رجب سنة خمس وعشرين وسائة . مقالة في اللغات وكيفية تولدها . مقالة في الشعر . مقالة في الاقيسة الوضعية . مقالة في القدر . مقالة في الملل . الكتاب الجامع الكبير في المنطق والعلم الطبيعي والعلم الالهي ، وهو زهاء عشر مجلدات التام تصنيفه في نحو نيف وعشرين سنة . كتاب المدهش في اختبار الحيوان المتوج بصفات نبينا عليه افضل الصلاة والسلام قال : ابتدأت بكرامة منه بدمشق سنة سبع وسائة وكل في اربعة اشهر بجلب سنة ثمان وعشرين وسائة وهو في مائة كرام . كتاب الثانية في المنطق وهو التصنيف الوسط .

ابو الحجاج يوسف الاسرائيلي

مفري الاصل من مدينة فاس^(١) ، وأتى الى الديار المصرية ، وكان فاضلاً في صناعة الطب والهندسة وعلم النجوم . واشتغل في مصر بالطب على الرئيس موسى بن ميمون القرطبي . وسافر يوسف بعد ذلك الى الشام ، وأقام بمدينة حلب وخدم الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن ايوب ، وكان يعتمد عليه في الطب . وخدم ايضاً الامير فارس الدين ميمون التصري . ولم يزل أبو الحجاج يوسف مقيماً في حلب ، ويدرس صناعة الطب الى ان توفي بها .

ولابي الحجاج يوسف الاسرائيلي من الكتب : رسالة في ترتيب الاغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها . شرح الفصول لابن قراط .

عمران الاسرائيلي

هو الحكيم أوحده الدين عمران بن صدقة . مولده بدمشق في سنة احدى وستين وخمسة . وكان أبوه ايضاً طبيباً مشهوراً . واشتغل عمران على الشيخ رضي الدين الرحي بصناعة الطب ، وتبحر في علمها وعملها ، وصار من اكابر المتبحرين من اهلها ، وحظي عند الملوك ، واعتمدوا عليه في المداواة والمعالجة ، وقال من جنتهم من الاموال الجسيمة والنعيم ما يفوق الوصف . وحصل من الكتب الطبية وغيرها ما لا يكاد يوجد عند غيره ، ولم يتقدم أحداً من الملوك في الصحة ، ولا تقبذ معهم في سفر ، وإنما كل منهم اذا عرض له مرض أو لمن يمز عليه طلبه . ولم يزل يعالجه ويطيبه بالطف علاج واحسن تدبير ، الى ان يفرغ من مداواته . ولقد حرص به الملك المادل أبو بكر بن أيوب بأن يستخدمه في

(١) احدى المدن السلطانية الأربع في المغرب وعاصمة الشهد اليوم والهدية هي فاس البالي وأول من سكنها الجبر وأهل الاندلس اللاجئين من قرطبة وأقوام من القيروان وفيها كثير من الجوامع والمدارس الازرية .

الصحة لما فعل ، وكذلك غيره من الملوك .

وحديثي الامير صارم الدين التبليبي رحمه الله : انه لما كان بالكرك ، وبه صاحب الكرك يومئذ الملك الناصر داود بن الملك المعظم . وكان الملك الناصر قد قوعك مزاجه ، واستدعى الحكيم عمران اليه من دمشق فاقام عنده مديدة وعالجه حتى صلح فخلع عليه ، ووهب له مالا كثيرا ، وقرر له جامكية في كل شهر ألفا وخمسة درم ناصرية ويكوف في خدمته ، وان يسلف منها عن سنة ونصف سبعة وعشرين ألف درهم قبا فعل .

اقول : وكان السلطان الملك العادل لم يزل يصله بالانعام الكثير ، وله منه الجامكية الوافرة والجرية ، وهو مقع بدمشق ، ويتردد الى خدمة الدور السلطانية بالقلعة . وكذلك في ايام الملك المعظم ، وكان قد اطلق له أيضا جامكية وجرية تصل اليه ، ويتردد الى البيارستان الكبير ، ويمالج المرضى به ، وكان به ايضا في ذلك الوقت شيخنا مذهب الدين عبد الرسيم بن علي رحمه الله ، وكان يظهر من اجتماعها كل فضيلة ، وينتهي للمرضى من المداواة كل خير ، وكنت في ذلك الوقت أندرب معها في اعمال الطب . ولقد رأيت من حسن تأتي الحكيم عمران في المعالجة وتحققه للأمراض ما يتعجب منه . ومن ذلك انه كان يوما قد أتى البيارستان مفلوج والاطباء قد ألحوا عليه باستعمال المغالي وغيرها من صفاتهم ، فلما رآه وصف له في ذلك اليوم قديرا يستعمله ، ثم بعد ذلك أمر بفصده ، ولما فصد وعالجه صلح وبرأ برأ تماما كذلك ايضا رأيت له أشياء كثيرة من صفات مزاوير وألوان كانت يصفها للمرضى على حسب ميل شهواتهم ، ولا يخرج عن مقتضى المداواة فيلتقمونها . وهذا باب عظيم في العلاج . ورأيت ايضا وقد عالج أمراضا كثيرة مزمنة كان اصحابها قد سئوا الحياة ، ويشس الاطباء من برئهم ، فهبوا على يديه بأدوية غريبة يصفها ، ومعالجات بديعة عرفها . وقد ذكرت من ذلك جملا في كتاب التجارب والفوائد وتوفي الحكيم عمران في مدينة حصن في شهر جمادى الاولى سنة سبعمائة وثلاثين وسبعمائة ، وقد استدعاه صاحبها لمداواته .

موفق الدين يعقوب بن سقلاّب

نصراني ، كان أعلم أهل زمانه بكتب جالينوس ومعرفتها والتحقيق لمآلها والدراية لها . وكان من كثرة اجتهاده في صناعة الطب وشدة حرصه ومواظبته على القراءة والمطالعة لكتب جالينوس ، وجودة فطرته وقوة ذكائه ، ان جمهور كتب جالينوس وأقواله فيها كانت مستحضرة له في خاطره . فكان منها تكلم به في صناعة الطب على تقاريق أقسامها ، وتفنن مباحثها ، وكثرة جزئياتها ، انما ينبت ذلك عن جالينوس . ومنها مثل عنه في صناعة الطب من المسائل والمواضيع المستحصية وغيرها لا يحيب بشيء من ذلك إلا ان يقول : قال جالينوس ، ويورد فيه أشياء من نصوص كلام جالينوس ، حتى كان يتعجب منه في ذلك . وربما انه في بعض الاوقات كان يذكر شيئا من كلام جالينوس ، ويقول : هذا ما ذكره جالينوس في كذا وكذا ورقة من المعالة الفلانية من كتاب جالينوس ، ويسمي

ويعني به النسخة التي عنده . وذلك لكثرة مطالعته إياها وأنه بها . وما شاهدته في ذلك من أمره انني كنت أقرأ عليه في أوائل اشتغالي بصناعة الطب ونحن في المعسكر العظيم - وكان أبي أيضاً في ذلك الوقت في خدمة الملك العظيم رحمه الله شيئاً من كلام إبقراط حفظاً واستسراحاً . فكنت أرى من حسن تأنيبه في الشرح ، وشدته استقصائه للعاني - بأحسن عبارة وأوجزها وأتقنها معنى - ما لا يحسر أحد على مثل ذلك ولا يقدر عليه . ثم يذكر خلاصة ما ذكره ، وحاصل ما قاله ، حتى لا يبقى في كلام إبقراط موضع الا وقد شرحه شرحاً لا مزيد عليه في الجودة . ثم انه يورد نص ما قاله جالينوس في شرحه لذلك الفصل على التوالي الى آخر قوله . ولقد كنت اراجع شرح جالينوس في ذلك فأجده قد حكى جملة ما قاله جالينوس بأسره في ذلك المعنى ، وربما الفاظ كثيرة من الفاظ جالينوس يوردها بأعيانها من غير ان يزيد فيها ولا ينقص . وهذا شيء تفرد به في زمانه . وكان في اوقات كثيرة لما أقام بدمشق يجمع هو والشيخ مذهب الدين عبد الرحمن بن علي في الموضع الذي يجلس فيه الأطباء عند دار السلطان ويتباحثان في اشياء من الطب . فكان الشيخ مذهب الدين افصح عبارة ، وأقوى براعة ، واحسن بحثاً . وكان الحكيم يعقوب أكثر سكينه ، وأبين قولاً ، وأوسع نقلاً . لانه كان بمنزلة الدرجان المستحضر لما ذكره جالينوس في سائر كتبه من صناعة الطب . فاما معالجات الحكيم يعقوب فانها كانت في الغاية من الجودة والنجاح ، وذلك انه كان يتعمق معرفة المرض أولاً تحقيقاً لا مزيد عليه ، ثم يشرح في مداواه بالخواص التي ذكرها جالينوس مع تصرفه هو فيها يستعمله في الوقت الحاضر .

وكان شديد البحث واستقراء الاعراض بحيث انه كان اذا افتقد مريضاً لا يزال يستقصي منه عرضاً عرضاً ، وما يشكوه مما يحده ، من مرضه حالاً حالاً الى ان لا يترك عرضاً يستدل به على تحقيق المرض الا ويعتبره ، فكانت أبدأ معالجاته لا مزيد عليها في الجودة . وكان الملك العظيم يشكر منه هذه الحالة ويصفه ويقول : لو لم يكن في الحكيم يعقوب الا شدة استقصائه في تحقيق الاعراض حتى يبالغها على الصواب ، ولا يشبه عليه شيء من امرها . وكان الحكيم يعقوب أيضاً متقناً لسان الرومي خبيراً بلفظه ونقل معناه الى العربي ، وكان عنده بعض كتب جالينوس مكتوبة بالرومي مثل حية البرد والعلل والاعراض وغير ذلك . وكان أيضاً ملازماً لقراءتها والاشتغال بها ، وكان مولده بالقدس وأقام بها سنين كثيرة . ولأزم بها رجلاً فاضلاً فيلسوفاً رامياً في دير السيق كان خبيراً بالعلم الطبيعي ، متقناً للهندسة وعلم الحساب ، قوياً في علم أحكام النجوم والاطلاخ عليها . وكانت له أحكام صحيحة ، وانذارات عجيبة . وأشبهني الحكيم يعقوب عنه معرفته للحكمة وحسن فطرته وقطنته شيئاً كثيراً . واجتمع أيضاً الحكيم يعقوب في القدس بالشيخ أبي منصور النصراني الطبيب ، واشتغل عليه ، وبأمر منه أعمال صناعة الطب وانتفع به

وكان الحكيم يعقوب من أتم الناس عقلاً ، واسدماً رأياً ، واكثرهم سكينه . ولما خدم الملك العظيم عيسى بن أبي بكر بن أيوب ، وصار معه في الصحبة كان حسن الاعتقاد فيه ، حتى انه كان يعتمد عليه في كثير من الآراء الطبية وغيرها فيلتفت بها ويحمد عواقبها . وقصد الملك العظيم ان يولي بعض

تدبير دولته والنظر في ذلك ، فما فعل ، واقتصر على مداومة صناعة الطب فقط . وكان قد عرض للحكيم يعقوب في رجله نقرس^(١) ، وكان يشور به في أوقات ، ويألم بسببه ، وتسر عليه الحركة ، فكان الملك المعظم يستصحبه في أسفاره معه في عفة ويفتقده ، ويكرمه غاية الأكرام ، وله منه الجامكية السنية والأحسان الوافر . وقال له يوماً : يا حكيم لم لا تداري هذا المرض الذي في رجلك ؟ فقال : يا مولانا الخشب اذا سوس ما يبقى في أصلحه حية . ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك المعظم . وكانت وفاته رحمه الله في الساعة الثالثة من نهار يوم الجمعة سلخ ذي القعدة سنة اربع وعشرين وسبائة بدمشق ، وملك بعده ولده الملك الناصر داود فدخل اليه الحكيم يعقوب ، ودعا له وذكره بتقديم ضيعته ، وسالف خدمته ، وانه قد وصل الى سن الشيخوخة والمهرم والضعف والشدة :

اتيتكم وجلايب الصبا قشب^(٢) فكيف ارحل عنكم وهي اسمال^(٣)
لي حرمة الضيف والجار القديم ومن اتاكم وكهول الحي اطفال
(البسيط)

وهذا الشعر لابن منقذ رحمه الله ، فاحسن اليه الملك الناصر احساناً كثيراً ، واطلق له مالا وكسوة ، وأمر بان جميع ما قد كان له مقررأ من الملك المعظم يستمر ، وان لا يكلف لخدمة . فبقي كذلك مديدة ، ثم توفي بدمشق في عيد الفصح^(٤) للنصارى ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وسبائة .

سديد الدين أبو منصور

هو الحكيم الاجل العالم أبو منصور ابن الحكيم موفق الدين يعقوب بن سقلاب ، من افاضل الاطباء وأعيان العلماء ، متميز في علم صناعة الطب وعملها ، متقن لفصولها وجملها . اشتغل على والده وعلى غيره بصناعة الطب ، وقرأ ايضاً بالكرك على الامام شمس الدين الخسروشاهي كثيراً من العلوم الحكية . وخدم الحكيم سديد الدين أبو منصور الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب . واقام في صحبته بالكرك ، وكان مكيناً عنده متمداً عليه في صناعة الطب . ثم أتى أبو منصور الى دمشق وتوفي بها .

رشيد الدين ابن الصوري

هو أبو المنصور بن أبي الفضل بن علي الصوري ، قد اشتغل على جل الصناعة الطبية ، واطلع على

(١) درم ووجع في مفاصل الكمين واصابع الرجلين وفي الأقدام اكثر .

(٢) جديدة نظيفة . (٣) خلقة بالية . (٤) د . ر .

(٤) وهو عيد قيامة السيد المسيح من الموت .

محاسنها الجليلة والحقبة . وكان أوحداً في معرفة الأدوية المفردة وماهياتها واختلاف أسمائها وصفاتها ، وتحقيق خواصها وتأثيراتها ، ومولده في سنة ثلاث وسبعين وخمسة مائة مدينة صور ^(١) ونشأ بها . ثم انتقل عنها واشتغل بصناعة الطب على الشيخ موفق الدين عبد العزيز ، وقرأ أيضاً على الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي . وتميز في صناعة الطب ، وأقام بالقدس سنتين . وكان يطب في البيارستان الذي كان فيه . وصحب الشيخ أبا العباس الجبائي ، وكان شيخاً فاضلاً في الأدوية المفردة متفنناً في علوم أخر ، كثير الدين ، محباً للخير . فانتفع بصحبته له ، وتعلم منه أكثر ما يفهمه . واطلع رشيد الدين بن الصوري أيضاً على كثير من خواص الادوية المفردة حتى تميز على كثير من أربابها ، وأرأس على سائر من حاولها واشتغل بها . هذا مع ما هو عليه من المروءة التي لا مزيد عليها . والعصبة التي لم يسبق إليها ، والمعارف المذكورة ، والشجاعة المشهورة . وكان قد خدم بصناعة الطب الملك العادل أبا بكر بن أيوب في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة لما كان الملك العادل متوجهاً الى الديار المصرية واستصعبه معه من القدس ، وبقي في خدمته الى ان توفي الملك العادل رحمه الله . ثم خدم بعده لولده الملك العظيم عيسى بن أبي بكر ، وكان مكيناً عنده وجيهاً في أيامه . وشهد معه مصافات عدة مع الفرنج لما كانوا نازلوا ثغر دمياط ^(٢) ، ولم يزل في خدمته الى ان توفي العظيم رحمه الله ، وملك بعده ولده الملك الناصر داود بن الملك العظيم فأجراه على جامكيتيه ، ورأى له سابق خدمته ، وفوض اليه رئاسة الطب ، وبقي معه في الخدمة الى ان توجسه الملك الناصر الى الكرك ، فأقام هو بدمشق ، وكان له مجلس للطب والجماعة يترددون اليه ، ويشغلون بالصناعة الطبية . وحرر ادوية التبراق الكبير ، وجمعا على ما ينبغي فظهر نفعه ، وعظمت فائدته . وكان قد صنع منه شيئاً كثيراً في أيام الملك العظيم . ووفي رشيد الدين بن الصوري رحمه الله يوم الاحد اول شهر رجب سنة تسع وثلاثين وسبعمائة بدمشق . وكان رشيد الدين ابن الصوري قد أهدى الي تأليفاً له يحوي على فوائد ووصايا طبية فطنت وكتبت بها اليه في رسالة :

| | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| لعم رشيد الدين في كل مشهد | منار علا ياتمه كل مهتدي |
| حكيم لديه المكرمات بأمرها | توارثها عن سيد بمد سيد |
| جوى الفضل عن آياته وجدوده | فذاك قدح فيه خير مجده |
| تفرد في ذا العصر عن كل مشبه | بغير صفات حصرها لم يحده |
| أنتني وصاياه الحسان التي حوت | بنار كلام كل فصل منضد |
| وأهدى الى قلبي السرور ولم يزل | بأحسانه يسدي لثني من يد |
| وجئت بها ما أرجيه وأنتني | بها أبداً فبأحاول مقتدي |
| ولا أغرو من علم الرشيد وفضله | إذا كان بمد الله في العلم مرشدي |

(الطويل)

(١) مدينة في لبنان الجبتي من عواصم النينقيين قديماً . وكانت تنقسم الى قسمين الجزيرة المحصنة ، وصور الساحلية .
(٢) مدينة في مصر على نهر النيل سامرها الصليبيون وفتحوها ثم ردم الملك الكامل عنها وكبدم خسائر فادحة (ن.د)

« أدام الله أيام الحكيم الاوحد الاعمده ، العامل ، الفاضل الكامل ، الرئيس رشيد الدنيا والدين ، معتمد الملوك والسلاطين ، خالصة امير المؤمنين ، بلغه في الدارين نهاية سؤله وأمانيه ، وكبت حسدته وأعداياه . ولا زالت الفضائل غنية بفنائنه ، والفاضل صادرة منه الى اوليائه . والاسن مجتمعة على شكره وثنائه ، والصحة محفوظة بحسن مراعاته ، والامراض زائلة بتدبيره ومعالجته . الملوك ينهي ما يحده من الاشواق الى خدمته ، والتأسف على الفائت من مشاهدته . ووصلت الشرفه الكريمة التي وجد بها نهاية الامل ، ، والارشاد الى المطالب الطبية الجامعة للمم والعمل . وقد جعلها الملوك اصلاً يعتمد عليه ، ودمتوراً يرجع اليه . لا يخلها من فكره ، ولا يخل بها تتضمنه في سائر عمره . وليس للملوك ما يقابل به احسان مولانا الا الدعاء الصالح ، والثناء الذي يكسب من عاصنة النشر العطر الفائح . وكيف لا اشكر وأنتشر عاسن من لا اجد فضيلة إلا به ، ولا اقال راحة الا بسببه . فانه يتقبل من الملوك صالح ادعيته ، ويميزي مولانا كل خير على كمال مروءته ، انت شاه .

وانشدني مذهب الدين أبو نصر محمد بن محمد بن ابراهيم بن الحضر الحلبي لنفسه بمدح الحكيم رشيد الدين ابن الصوري ويشكره على احسان اسداه اليه .

مرى طيفها والكاشعون^(١) المجد^(٢)
فيا حبا من طيفها كيف زارني
وكيف يزور الطيف طرف مسد
وفي قلبه زر من الوجد والاسى
وقد أخلق المقم المبرج والضنا
وتألف لا عاد الحبال وانما
فيا لثمي كف الملام ولا ترد
ولي كبد حرى وطرف مسد
الا في سبيل الحب من مات صبرة
ولم تر عيني مثل أسماء خة
تجدد اشجاني بها وصباي
رعى الله بياض من لبال وصلتها
وبت وجنت الليل مرخ سدوله
وارشفت راسا روقتها مباسم
الى ان تبدى الصبح غير ملهم
وكيف أذم الصبح أو لا أوده

(١) جمع كاشع ومر العدو الباطن المفخرة . وقيل التي يطوي كشحه - ما بين السرة ووسط الظهر - حل المفخرة .
(٢) هتون .
(٣) الذي عده المثنى

وكل صباح فيه العين حظوة
هو العالم الصدر الحكيم ومن له
رئيس الأطباء ابن سينا وقبله
ولوارث جالينوس حياً بمصره
فقل لبني الصوري قد سدت الورى
وما حزنتم ارث العلا عن كلاله
فيا عالم الدنيا ويا علم الهدى
ويا من له ريع من الفضل آمل
ودوح من الاحسان أثر بالئى
ويا من به العاصي الجوح اطاعني
لفعل عزي في حماه بمنع
ومن راشي^(١) مسروره واصطناعه
واحسن بي فملاً فاحسنت قائلاً
فعمد نداء حاتم الجود باشل
تصدى لكسب الحمد من كل وجهه
له ظل ذي فضل على كل لاجئ
وعرف^(٢) متى ما يبدى فاحرفه^(٣)
تعيد كل الخلق بالجود فانتلت
فكم ماح قد لاذ منه بمائح
فأمسى وللحسن عليه دلائل
فكيف أخاف الحادثات وصرفها
ومن فضله لي ساعد ومساعد
والي لارجو ان متكلم حسدي
وما الصنع الا ما سيمقه الفنى
اذا كان لي من فضله واصطناعه
وغير عجيب ان يكون بقصده
أقول لمن يرجو سواه من الورى
أقمصد أو شألاً^(٤) وتارك لجـ

يرجه رشيد الدين وهو سعيد
كلام يضاهي الدر وهو نضيد
حنين تلاميذ له وعبيد
لكان عليه يبتدي ويميد
وما الناس الا سيد ومسود
كذلك آباء لكم وجدود
ويا من به للكرامات وجود
وقصر معال بالثناء مشيد
وظل على اللاجي اليه مديد
وذل لي الجبار وهو عنيد
حصين وعيشي في ذراه رزيد
وقام بأمري والام قعود
وجاد فني منحي علاه أجيد
وعندي لبند في المديح لبند
والقوم عن كسب الثناء صدود
مفيء وعلم بالامور مفيد
وجود يد ما عز منه وجود
لاحسانه الاحرار وهي عبيد
فأفصح قصد عنده وقصيد
وأضئ وللنعمى عليه شهود
ورأي رشيد الدين في سديد
ومن جاهه لي عدة وعديد
على نيل ما أرجو به وأريد
ويكثر فيه غاظ وحسود
عتاد فمزي ما حيث عتيد
لخلي الى نيل السمود سعود
رويدك ان النجى منك بعيد
تد بها للكرامات مدود

(١) الخطابي .

(٢) الجود والمروء .

(٣) الرائحة الطيبة .

(٤) واسده وشل وهو الماء القليل يتعذب من ستر .

ومن يأتي المنصور أصبح لانذا
 فيا كعبة الآمال ، يادحة الندى ،
 ومن عبده يوم الساحة حاتم
 يا يدك عندي لا اقوم بشكرها
 فلم يصف لي لولا يا يدك مشرب
 فجدي يقصدي بات دارك مقل
 فلا زلت بالعيد السعيد مهناً
 فما لذوي الحاجات غيرك مقصد

فقد قارنته بالنجاح سعد
 ويا من به روض الرجا مجود
 كما عند مدسي في علاه عبيد
 فما فوق ما أولت يدك مزيد
 ولا اخضر لي لولا انتجاعك عود
 ونجومي باردادي اليك سعيد
 تهنيك من بعد الوفود وفود
 ولا لبني الآمال عنك عيد

(الطويل)

ولرشيد الدين الصوري من الكتب : كتاب الادوية المفردة ، وهذا الكتاب بدأ بعمه في أيام الملك المظلم ، وجعله باسمه واستقصى فيه ذكر الادوية المفردة ، وذكر ايضاً ادوية اطعم على معرفتها ومنافعها لم يذكرها المتقدمون . وكان يستصحب مصوراً ، ومعه الاصباغ واليق على اختلافها وتنوعها فكان يتوجه رشيد الدين بن الصوري الى المواضع التي بها النبات ، مثل جبل لبنان وغيره من المواضع التي قد اختص كل منها بشيء من النبات فيشاهد النبات ويحققه ، ويريه للمصور فيمتدح لونه ومقدار ورقه واغصانه وأصوله ، ويصور بحسبها ويحتشد في عما كاتها ، ثم انه سلك ايضاً في تصوير النبات مسلكاً مفيداً ، وذلك انه كان يرى النبات للمصور في ابان نباته وطراوته فيصوره ، ثم يرده اياه ايضاً وقت كاله وظهور بزره فيصوره نلو ذلك ، ثم يرده اياه ايضاً في وقت ذواه ويبيسه ، فيصوره . فيكون الدواء الواحد يشاهده الناظر اليه في الكتاب ، وهو على أنحاء ما يمكن ان يراه في الارض فيكون تحقيقه له أتم ، ومعرفته له أبين . الرد على كتاب التاج للغاوي في الادوية المفردة . تعاليت له وفرائد ووصايا طبية كتب بها الي .

مدبذد الدين بن رقيقة

هو ابو الثناء محمود بن عمر بن محمد بن ابراهيم بن شجاع الشيباني الحافوي ويعرف بابن رقيقة ذو النفس الفاضلة والمروءة الكاملة . وقد جمع من صناعة الطب ما تفرق من أقوال المتقدمين ، وغيز على سائر نظرائه واضرا به من الحكماء والمتطبيين ، هذا مع ما هو عليه من الفطرة الفاتحة ، والالفاظ الرائقة ، والنظم البليغ ، والشعر البديع وكثيراً ما له من الابيات الامثالية ، والفقر الحكيم . واما الرجز فاني ما رأيت في وقته من الاطباء أحداً أسرع عملاً له منه ، حتى انه كان يأخذ ابي كتاب شاء من الكتب الطبية وينظمه رجزاً في اسرع وقت مع استيفائه للعاني ومراماته لحسن القفظ . ولازم الشيخ فخر الدين محمد بن عبد السلام المارديني وصحبه كثيراً واشتغل عليه بصناعة الطب وبغيرها من العلوم الحكيمة . وكلت لسديد الدين بن رقيقة ايضاً معرفة بصناعة الكحل

والجراح ، وحاول كثيراً من اعمال الحديد في مداواة امراض العين . وقدر أيضاً الماء النازل في العين الجماعة ، وأنجب قدسه وأبصروا ، وكان المذبح الذي يمانيه مجوفاً وله عطفة ليتمكن في وقت القدح من امتصاص الماء ، ويكون العلاج به أبلغ .

وكان قد اشتغل أيضاً بعلم النجوم ، ونظر في حيل بني موسى ، وعمل منها أشياء مستطرفة . وكان فاضلاً في النحو واللغة . وله أيضاً أخ فاضل يقال له معين الدين ، أوحده زمانه في العربية وهي فنه وله شعر كثير . وسمع سديد الدين بن رقيقة أيضاً شيئاً من الحديث ، ومن ذلك حدثني سديد الدين محمود بن عمر بن محمد الطبيب الحانوي سمعاً من لفظه قال : حدثني الامام الفاضل فخر الدين محمد بن عبد السلام المقدسي ، ثم المارديني ، قال : حدثنا الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الحضر الجواليقي ، قال : اخبرنا أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي ، قال : حدثنا أبو القاسم علي بن عبيد الله الرقي ، قال : حدثني الرئيس أبو الحسن علي بن أحمد البتي ، قال : حدثني أبو بكر محمد عبدالله الشافعي ، قال : حدثنا القاضي أبو اسحق اسمعيل بن اسحق ، قال : حدثنا اسمعيل بن أبي اويس ، عن هشام بن عروة ، عن ابيه ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اتيناك يا رسول الله ولم يبق لنا جل يثبط ^(١) ، ولا صبي يصططب . ثم انشدته :

| | |
|------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------|
| أتيناك والمذراء تسمى لثاتها | وقد شغلت أم الصبي عن الطفل |
| وألقى بكفيه الفنى لاستكالة | من الجوع هوناً ما يمر وما يحلى |
| ولا شيء مما يأكل الناس عندها | سوى الطلح ^(٢) العامي والحنظل ^(٣) الفسل ^(٤) |
| وليس لنا الا اليك فراراً | واين فرار الناس الا الى الرسل |

(الطويل)

قال الرقي : الطلح الورب يعالج بدم الحلم ، والحلم القراد اذا كبر ويؤكل في الجذب ويروى والمنقر يضم للقاف وقتحها وهو أصل البردي فهذان صهيحان .

ويروى المقبر وهو تصحيف مردود . فقام صلى الله عليه وسلم يمر رداءه حتى رقي المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم رفع نحو السماء يديه ثم قال : « اللهم اسقنا غيثاً مقبلاً^(٥) » مرثلاً^(٦) مرثلاً^(٧) ، سجعاً^(٨) سجعاً^(٩) ، غديقاً^(١٠) طليقاً^(١١) ، ديقاً^(١٢) عاجلاً غير راثت^(١٣) ، فقاما غير ضار ، تثبت به الزرع

(١) يصوت ربحن .

(٢) لباب بيلاد بني سليم له اصل كأصل البردي .

(٣) نبات ينبت على الارض كالطليخ وثمره يشبه ثمر البطيخ الا انه اصفر منه ويضرب مثل برارته .

(٤) المسرذل الرديء (ن د)

(٥) المطر العام .

(٦) طليقاً فلقاً .

(٧) خصيباً .

(٨) سيلاً خزيراً . (٩) منصباً .

(١٠) كثير المطر يطلي وجه الارض . (١١) حشيراً . (١٢) بطيه .

ونقل به الضرع ، وتحبي به الارض بعد موتها . « فواظ ما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الى نحره حتى التقت السماء بأروقها ، وجاءه أمل البطانة يضيئون يا رسول الله الترقى الترقى ، فأوما بطرفه الى السماء وضعك حتى بدت نواجذه ، ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى احسك بها كالاكيل ثم قال : لله دُرُ أي طالب لو كانت حيا قرئت عيناه . من ينشدنا قوله فقال علي عليه السلام يا رسول الله لملك أردت .

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| وابيض يستقي الغمام بوجهه | قال اليتامى عصمة للارامل |
| تطوف به الهلاك من آل هاشم | فهم عنده في نعمة وفواضل |
| كذبتم وبيت الله رب محمد | ولما تقاتل دونه وتناضل |
| ولا نسله حتى نصرع حوله | ونذهل عن أبنائنا والحلائل |

(الطويل)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل . ثم قام رجل من كثانة فأنشده :

| | |
|---------------------------------------------------------|--------------------------|
| لك الحمد والحمد من شكر | سقيننا بوجه النبي المطر |
| دعا الله خالقه دعوة | اليه وأشخص منه البصر |
| فما كلت الا كما ساعة | وأمرع حتى رأينا النور |
| دفاق المزالي ^(١) ، وجم البعاق ^(٢) | أغاث به الله عليا مضر |
| فكان كما قال همه | أمر طالب فا رواء غرر |
| به يتر الله صوب الغمام | فهذا العيان لذلك الامر |
| فمن يشكر الله يلقي للزبد | ومن يكفر الله يلقي للتير |

(التقارب)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجلس ان يك شاعرا أحسن فقد أسنت . »

وأخبرني سيد الدين بن رقيقة ان مولده في سنة اربع وستين وخمسة مائة بمدينة حبيني ونشأ بها . ولما كان فخر الدين المارديني بمدينة حبيني ، وصاحبها نور الدين بن جمال الدين بن أرتق كان قد عرض لنور الدين مرض في عينيه فداواه الشيخ فخر الدين مدة أيام . ثم عزم على السفر وأشار على نور الدين بن أرتق بأن يداويه سيد الدين بن رقيقة فعالجه صريحا ، وبرأ برءا تاما وأطلق له جامكية وجراية في صناعة الطب . وقال لي سيد الدين ان عمره يومئذ كان دون العشرين سنة . واستمر في خدمته . ثم خدم بعد ذلك الملك المنصور محمد صاحب حماء ابن تقي الدين عمر وبقي معه مدة

ثم سافر الى خلاط^(٣) وكان صاحبها في ذلك الوقت الملك الاوحد نجم الدين أيوب بن الملك العادل

(١) وأحدها المزلاء وهي مصب الماء من القرية ونحوها .

(٢) سحاب يسقط مطره بشدة . (ن.د.)

(٣) مدينة بأرمينيا .

ابي بكر بن أيوب . وخدم صلاح الدين بن أيغيسان ^(١) وكان هذا صلاح الدين قد تزوج الملك الاوحد ابن الملك العادل بإخته ، وكان سديد الدين بن ربيعة يتردد الى خدمتها أيضاً ، وكانت كثيرة الاحسان اليه . وأقام بخلاط مدة الى ان توفي الملك الاوحد في ملازكره ^(٢) بعملة ذات الجنب ، وذلك في يوم السبت ثامن عشر ربيع الاول سنة تسع وستائة . وكان يعالجه هو وصدقة السامري . وخدم أيضاً بعد ذلك الملك الاشراف أبا الفتح موسى ابن الملك العادل ، وأقام بميفارقين سنين كثيرة . ولما كان في ثالث جمادى الآخرة سنة الثنتين وثلاثين وستائة ، وصل سديد الدين بن ربيعة الى دمشق الى السلطان الملك الاشراف فأكرمه واحترمه . وأمر بأن يتردد الى الدور السلطانية بالقلمة ، وان يراغب أيضاً معالجة المرضى بالبيارستان الكبير الذي أنشاء الملك العادل نور الدين بن زنكي ، وأطلق له جامكية وجراية

وكان لي ايضاً في ذلك الوقت مقرر جامكية وجراية لمعالجة المرضى في هذا البيارستان ، وتصاحبنا مدة فرجحت من كمال مروءته ، وشرف أرومته ، وغزارة علمه ، وحسن تأنيبه في معرفة الامراض ومداواتها ، ما يفوق الوصف . ولم يزل بدمشق وهو يشتغل بصناعة الطب إلى ان توفي رحمه الله في سنة خمس وثلاثين وستائة ، وكنت اذا قد انتقلت الى صرخد في خدمة صاحبها الامير عز الدين للمظلي في شهر ربيع الاول سنة أربع وثلاثين وستائة .

ومن شعر سديد الدين بن ربيعة ، وهو مما أنشدني لنفسه فن ذلك قال :

| | |
|------------------------------|--------------------------------------|
| يا ملبسي بالنطق ثوب كرامة | ومكلمي جواد ^(٣) به ومقومي |
| خذني اذا اجلي تنامي وانقضى | عمرى على غلط اليك مقوم |
| واكشف بلفظك يا الهي غمّي | واجل الصدا عن نفس عبدك وارحم |
| فصلي من يمد المهانة أكلسي | حلل المهابة في الحل الاكرم |
| وأبوء بالفردوس بعد اقامتي | في منزل يادي السحابة مظلم |
| فقد اجتويت ثوابي فيه ومن تكن | دار الثرور له على يام |
| دار يغادر يؤسها وشقاها | من حلها وكأنه لم ينعم |
| ويدل صافي عيشه وحياته | كندراً فلا تجنح اليها تسل |
| فبك المأذ إلها من شرها | وبك الملاذ من النوايا فاعصم |
| وعليك متكلي وعفوك لم يزل | قصدي فوا خسراه ان لم تحرم |
| يا نفس جدي وادأبي وتمسكي | بمري الهدى وعري الموانع فانصمي |
| لا تهمني يا نفس ذاتك ان في | نسيانها نسيات ربك فاطلي |

(١) كان والده أيغيسان من الامراء السلجوقيين حكم اقطاعية من قبل ملكشاه .

(٢) مدينة في ارمينيا شمالي بحيرة وان .

(٣) مكنذا في الاصل واظن انها جورما به .

وعليك بالتفكير في آلائه^(١)
وتسمي نوح الهداية اله
لا ترتضي الدنيا النية موطننا
وتمايني ما لا رأيت عين ولا
وتشاهدي ما ليس يدرك كنهه
قدس يحل بان يحل جنبه
وهو المنزه ان يكون مركبا
وتجاوري الابرار في مستوطن
يا أيها المفلور شيت ولم تمد
لا تحسن الشيب فيك لمة
لكن شبابك كان شيطانا ومن
لا تفرق الشيب الخير رواؤه
فالشيب اشراق الحبى وضياؤه
واعكف على تعجيد موجدك الذي
فبذكره تشفى النفوس من الجوى
اكرم بنفس قتي رأى سبل الهوى
ذاك الذي يبخار يوم معاده
يا جابر العظم الكسير وغافر الجرم
مالي اليك وسية وفريسة
فاقبل بمنك توبتي عن حوبيتي^(٢)
حدا لك اللهم ينمى ما جلا
وعلى لبيك ذي السناء وآله
المذهبي سقب^(٣) اليقيم ومؤثري
وعلى صحابته الذين بنصره

لتبوتي جناته وتعمي
منج وعن لقم الضلالة أحجمي
تملي على رتب السواري الانجم
اذن وعت فاليه جدي تقبني
بالفكر أو بتوم التوم
يا نفس إلا كل شهم أجم^(٤)
من رابع أو ثالث أو قوام
لا دائر أبدا ولا متهدم
عما لهجت به ولم لتندم
عرضت ولا لتكرج في البلغم
يك ماردا بالشهب سقا يرجم
بظلام أعراض الشيبة تظلم
فأهن هواك أوان شيبك تكرم
فمر الوجود الجود منه وعظم
فعليه ان آثرت برءك صمم
تهوى يقال الى الصراط الاقوم
ملكا سجين^(٥) الدهر لم ينصرم
ألمجو بها الا اعتقاد المسلم
فمضى سعادة أويقي لم احرم
وضع الصباح سواد ليل أسهم
السادة الامناء صل وسلم
المالي الاسير بزادهم والمدم
قاموا وثار الكفر ذات تضرم
(الكامل)

وأنشدني ايضا لنفسه :

اراك عن الغل الراسب سامي

وعنه بمضمحل الاصل لامي

(١) واسلما الي والى ، وهي التمس .

(٢) الرجل الجريء الذي لا يستطاع دفعه .

(٣) سجين الدهر : أي آخره .

(٤) الاثم .

(٥) الجوع .

وكم بالضيق الواهي تباهي
وتشتم الزواجر والتواهي
به تفجأك اصناف الدواهي
وتقنى أنت والدنيا كما هي
عدو بين الشجاء داهي
وعيشك فيه عيش غير زاهي
وحسب أخني النهى بالشيب زاهي
مقامك فيه ليس له تناهي
وكم هذا الجنوح الى اللاهي
أخا مال وبث عريض جاه
بعيد رائه والأيد^(١) واهي
يصاب له شبيه أو مضاهي
صغيراً عند غفران الآله
(الوافر)

فكم بالسجن ويحك أنت زاه
وتعنع من به يفريك ودأ
ألم تلم بأنك كل يوم
تحل قواك جزءاً بعد جزء
وتحبسها صديقا وهي أردى
هولك فيه لا تنفك تدرى
أما يكفيك زجر الشيب زجراً
فعد عنه الى رحب فيسبح
فتحتم التفاضل والتعاسي
فلا تقتر ان اصبحت فيه
فكم من أبد^(٢) أضحى فأمسى
وكان يقول من سفه بأن لا
تتب فجميع ما تأتيه يلقي

وأنشدني ايضاً لنفسه :

الى العالم الاعلى رويك يا نفسي
المهلك من جلس الطبيعة والحس
أمنت وفزت بالخلص من الحس
غطاءك وانضي ما عليك من اللبس
مجاورة الاطهار في حضرة القدس
فتبقي سحيس الدهر في الشك واللبس^(٣)
به قامت الافلاك والمرش والكرسي
به اعتضت بالذعر الطويل عن الانس
مزهة بالعلم عن وصمة الوركس^(٤)
لاخراك ما ينجيك من ظلمة الرمس
كن باع رأس المال بالتمس البض
اليه والا دمت في العالم المنسي
مجاورة أهل الندامة والرجس

أقول لنفسي حين أبدت تشوقاً
محلا ترومين النجاة وانت في
ودونك بحر إن تعديت لجه
فان رمت وصلأحو سنخك فاكشفي
ولا تقبلي نحو الكتيف فتعزمي
ولا تتركي ما يأمر الله ضة
ولا تهمل ي نفس ذالك واسكاري
ولا تنفلي عن ذكرك الاول الذي
وصلت على كره الى الهيكل التي
وما كان هذا الوصل الا لترجمي
فمن أمم يقضي ابلبك فاعلمي
فان لتركني نهج الهدى كنت في غد
فعودي الى باريك يا نفس ترقني
سليقة هم دائم وكأية

(١) الغري . (٢) القوة .
(٣) الشبهة والاشكال وعدم الوضوح .
(٤) التقصان أو الحسارة .

مبدلة بمد التتم بالتمس
مبسوة دار الهوان مذالة
أشد وضوحاً من سنا البدر والشمس
سبل الهدى يا نفس عند ذوي النهى
(الطويل)

وأنشدني أيضاً لنفسه :

لا يفرنك من زمانك بشره
فقطوبه طبع وليس تطبعاً
فالبشر منه لا محالة حائل
والطبع باق وللطبع زائل
(الكامل)

وأنشدني أيضاً لنفسه :

لست من يطلب التكسب بالسخف ولو كنت مت عرباً وجوعاً
ولو أتي ملكك ملك سلباً
ن لا اخفرت عن وقاري وجوعاً
(الحفيف)

وقال اقتداء بقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام « انظر الى ما قال ولا تنظر الى من قال » :

لا تكن ناظراً إلى قائل القو
وخذ القول حين تلقه معقو
ل بل انظر اليه ماذا يقول
لا ولو قال غي جهول
فنباح الكلاب مع خة فيها
وكذلك النصار معدنه الأر
على منزل الكريم دليل
هو ولكنه الخطير الجليل
(الحفيف)

وأنشدني أيضاً لنفسه :

توق صعبة أبناء الزمان ولا
فليس يسلم منهم من تصاحبه
تأمن الى أحد منهم ولا تثق
طبعاً من المكر والتمويه واللق
(البسيط)

وأنشدني أيضاً لنفسه :

أرى كل ذي ظلم اذا كان عاجزاً
ومن فاك من حياه ما كان زائداً
يحف ويبيدي ظلمه حين يقدر
على قدره أخلاقه لتتكر
وكل امرئ ظلمه للشر مؤزاً
فلا بد ان يلقي الذي كان يؤز
(الكامل)

وأنشدني أيضاً لنفسه :

لما رأيت ذوي الفضائل والحجا
لا ينفقون وكل قدم^(١) ينفق

(١) الاحق التليظ الدم او المني عن الكلام في رخاوة وقلة فهم .

ألزمت نفسي اليأس علماً ان لي
ولزمت بيتي واتخذت مسامري
لي منه افي جثته متصفعاً

رباً يحود بما أروم ويرزق
سفرأ بأزواج الفضائل ينطق
عما حوى روعي نضير موقن
(الكامل)

وأنشدني أيضاً لنفسه :

ما ضر خلقي اقلالي ولا شيمي
وكيف والعلم حظي وهو أنفس ما
العلم بالفعل يزكو دائماً أبداً
فالمال صاحبه الأيام يحمره

ولا نهائي عن نهج النهى عذمي
أعطى الميمن من مال ومن نعم
والمال ان اضمن الاتفاق لم يدم
والعلم يحمرس أهليه من التمس
(البسيط)

وأنشدني أيضاً لنفسه :

خلقت مشاركا في النوع قوما
أريد كالمهم والنفع جهدي
اذا عدت ما فيهم عيوباً

وقد خالفتهم اذ ذاك شخصاً
وهم يبقون لي ضراً ونقصاً
فقد حاولت شيئاً ليس يحصى
(الوافر)

وأنشدني أيضاً لنفسه :

لا تصعب فتى اراك تكلف
وامجر اخاك اذا تنكر وده

ودأ وأخمر ضد ذاك بطبعه
فالمضو يحسم دأؤه في قطعه
(الكامل)

وأنشدني أيضاً لنفسه :

إذا جاهل ناوك يوماً بمحفل
فذاك ان سألته كنت عالياً
فكم جاهل رام التقاضي يحبه

فلا ترفن الطرف جهلك لمحوه
عليه وان جاريتك كنت كفوه
رأيت سواء ملحه لي وهجوه
(الطويل)

وقال ايضاً :

ان السد وان بدا لك ضاحكاً
وهو الزعاف لمن تمعد أخنمه

كالثري^(١) تبدو غشة أوراقه
والمجتوي البشع الكريه مذاقه

واعلم بان الصد سم قربه

وانشدني ايضاً لنفسه :

اذا كنت غارس غرساً جيداً
وداوم على سقيه ما استطعت
ولا تبينه بنّ فقد

وانشدني ايضاً لنفسه :

جانِب طباعاً بني الدنيا فقرهم
فالناس ينثر قيمهم من اذا عرض
ولا تن ان حاك الدهر جدك
واطو الفلا طالباً نيل المولى أبداً

وانشدني ايضاً لنفسه :

وان اشد أهل الارض حزناً
ككريم حل فوضه المحلى

وانشدني ايضاً لنفسه :

وضع الموارف عند النذل بقبه
ومحمل الفاضل الطبع الكريم على
فالناس كالارض تسقى وهي واحدة

وانشدني ايضاً لنفسه :

واني امرؤ بالطبع التي مطامي
وعندي غنى نفس وفضل قناعة
وان مد نحو الزاد قوم أكفهم
ومد كانت الدنيا لدي دينية
وذاك لعلمي انما الله رازق
فلا لضعيف يقصي الرزق ان كان دانياً

والبعد عنه حقيقة تواتره
(الكامل)

فلا تمطشه يفتك الثمر
بماء السخا لا بماء المطر
رايناه مفيدة للشجر
(المتقارب)

يجدي المكاره ان ضنوا وان جادوا
عراك من فيه اسعاد والمجاد
فلاحرار عند المخراف الدهر المجاد
ولا يبولتك اغوار والمجاد
(البسيط)

وغما منها لا يستفيق
سواه وانه ليه الخلق
(الوافر)

على معاودة الالحاح في الطلب
حسن الجزاء لمولى العرف عن كتب
عذبا وتنت مثل الثري والرطب
(البسيط)

وازجر نفسي طامها لا لطبا
ولست كمن ان ضاق ذرعاً تضرعا
تأخرت بها ان دنا القوم اصعبا
تمرضت للاعراض عنها رفعا
فمن غيره أرجو وأخشى وأجزعا
ولا الحول يدينه اذا ما مجزعا

وكن شاعراً بالأنف ان كنت مدقها
من العلم لا مال حواء وجمعا
وان فائك القبان أصغ لتسما
فتدراً عن ورد النجاة وتدفعها
(الطويل)

فلا تبطلون ان نلت من دهرك الغنى
فقدت الفنى ما حازه وافاده
فكن عالماً في الناس أو متعلماً
ولا تك للاقسام ما اسطعت رابعاً

وقال ايضاً :

لما حرصه بقبه في طلب الرزق
فاخلاده لمحو الدنا غاية الحسنى
يؤوساً فان اليأس من كرم الخلق
لديه اذا ما رام مسألة الخلق

اذا كان رزق المرء عن قدر أتى
كذا موته ان كانت ضرية لازب
فان شئت ان تحيا كريماً فكن قتي
فيأس الكريم الطبع حلو مذاقه

وقال ايضاً :

الا لتكمل منك النفس فاتتبه
الى رعاية ما الانسان أنت به
ومطمع النفس فيها غير متبته
فمنهج الحق باد غير مشته
(البسيط)

ارى وجودك هذا لم يكن عبثاً
فاعدل عن الجسم لا تقبل عليه ومل
فؤوس النفس عن أهوائها يقط
فاسلك سبيل الهدى محمد مغبته

وأنشدني أيضاً لنفسه :

كن محسناً طبعاً الى من يبدل الحسنى مساء
واشفع بإسداء الجميل صباحه ابدأ مساء
فلعله انت يلتقي ويحول عن حال الاساءه
فالمر يذكرك من اخيه الخير لا ما منه ساءه
فلكم مسيه رده الاحسان عن ورد الرداءه
فصنا وفاء الى الوفاء وصير الحسنى رداءه
فاذا منيت بجائن^(١) في الود لم يحسن آداءه
فاصدقك علك انت تزيل بصدق ودك عنه داءه
(الكامل المرفل)

وأنشدني أيضاً لنفسه :

كن مجلواً لتقول ولا تكل قولاً يحجته بدأ وفساد

(١) كاذب ، غير صادق الود .

فجاعة الحكاء قبلك دأبهم

كان الجميل من الخال فسادوا
(الكامل)

وانشدني أيضاً لنفسه :

وما صاحب السلطان الا كراكب
فان عاد منه سالم الجسم ثجياً

بلجة بحر فهو يستشعر الفرق
فما نفسه فيه يفارقها الفرق
(الطويل)

وانشدني أيضاً لنفسه :

يا ناظرأ فيا قصدت لجمه
علأ بأن المرء لو بلغ المدى

اعذر فان أخوا الفضية يملأ
في العمر لاقى الموت وهو مقصر
(الكامل)

وانشدني أيضاً لنفسه بما كتبه على كأس في وسطه طائر على قبة غرمة ، اذا قلب في الكاس ماء دار دورانا صريعاً ، وصغر صغيراً قوياً . ومن إذا وقف بإزائه الطائر حكم عليه بالشرب فاذا شربه وترك فيه شيئاً من الشراب صغر الطائر ، وكذلك لو شربه في مائة مرة فمتى شرب جميع ما فيه ولم يبق فيه درهم واحد فان صغيره ينقطع .

اذا طائر في هيئة الزرهور^(١)
فاشرب على نغمي صلاف مدامة
صفراء تلح في الكؤوس كأنها
واذا تخلف من شرابك درهما

مستحسن التكوين والتصوير
صرفاً تسيير حنادس الديجور
ثار الكلم بدت بأعلى الطور
في الكلس ثم به عليك صغيري
(الكامل)

وانشدني أيضاً لنفسه وصية طبية :

وقى الامتلاء وعد عنه
واكثر الجماع فان فيه
ولا تشرب عقيب الاكل ماء
ولا عند الحوى^(٢) والجوع حق
وخذ منه القليل ففيه نفع
وهضمك فاصلحته فهو أصل

وادخال الطعام على الطعام
لأن والاء داعية السقام
قلتم من مضرات عظام
تلهن^(٣) باليسير من الادم
لذي العطش المبرح والاورام
وأسهل بالإبرج^(٤) كل عام

(١) طائر اكبر من الصغور منه نوع لونه اسود وآثر اسود متعط ببياض .

(٢) خلاء البطن .

(٣) تملأ بالهبة وهي ما يأكل الانسان قبل الغداء .

(٤) الأبرج هو ثيل من الأدوية المسهلة .

وفصد العرق نكب عنه الا
ولا تتمركن عقيب أكل
لثلا ينزل الكيلوس فجبا
ولا تقدم السكون فان منه
وقلل ما استطعت الماء بعد الرياضة واجتلب شرب المدام
وعدل مزج كأسك فهي تبقي الحرارة فيك دائمة الضرام
وغل السكر واهجره ملياً
واحسن صون نفسك عن هواها
الذي مرض وطيب الطبع حامي
وصير ذاك بند الانضمام
فيلجج في المتافذ والمسام
تولد كل خلط فيك خام
فان السكر من فعل الطعام
تفز بالخلد في دار السلام
(الوافر)

وانشدني أيضاً لنفسه :

غرض الطيب يا أخا اللب عرفا
قيل حالها وما توجب لها
لتدوم الأبدان موجودة
وتزال الامراض ان امكن لها
ن مبادي ابداننا والأصول
لات فيها وما لها من دليل
الصحة منا وذلك بالتعديل
ل وذا بالأفراغ والتعديل
(الخفيف)

وانشدني أيضاً لنفسه

ان الغذاء وان كان الصديق لما
فهو العدو لما أيضاً لان به
هو المدير أعني قوة الوصب^(١)
زيادة الضد أعني عنصر الوصب^(٢)
(البسيط)

وانشدني أيضاً لنفسه

حلل الصحة حقاً ستة
فإذا عدلتها في اربع
وهي ايضاً حلل للعرض
كان ذا التعديل أنهى للعرض
(الرمل)

وانشدني ايضاً لنفسه

إذا ما اشتهى ذو علة بعض ما به
فلا تمننه ما اشتهاه قريباً
وكان كما قد قيل في مثل ما جرى
شفاء من الداء الذي جسمه حلا
تراه وشيكاً حفدة الداء قد حلا
من السعد أن يلقي هوى صادف العقلا
(الطويل)

(١) ما بين السبابة والمختصر .

(٢) الرطب والوجع والآم الشديد .

وانشدني ايضاً لنفسه

| | |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| واحب القد قاني الحـد تـعـني لو حل في القلب ثان غيره وثنى ولو جنيت جنى ما كان غارسه ولو وحق هواه زار في حلمي ألقى ودادي ومقتاه الفؤاد فهل | وفي بحار الامى الثاني ألقاني عنه هواي ثبت الثاني الثاني فيه هواه لكنت الجاني الجاني خياله موهناً ألقاني الثاني لي من مجير وقد ألقاني الثاني (البسيط) |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

وانشدني ايضاً لنفسه

| | |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| وميهن ساجي اللواظـظ أوردوا تخذ العذار مفاضة تحميه من لو كان اورثني برود رضايه ان ماس اودى بالقضيب تأوداً ما شمت شامة خده الا سطا او رمت من حبيه يوما سلوة | عشاقه بدلاله ورد الردى عين الحب ولحظ مقلته ردا لم يصبح السقم المبرج لي ردا او لاح ازرى بالهلل اذا بدا يمهد من مقلته وعريدا الا وقال طلبت مسالة البدا (الكامل) |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

وقال ايضاً :

| | |
|----------------------------------------------------|------------------------------------------------------|
| ايها الشادن الذي طاب متكي علة الجفن فيك علة سقي | وافترضني بمد الصيانة فيكا وشفائي ارتشاف خمرة فيكا |
|----------------------------------------------------|------------------------------------------------------|

وانشدني ايضاً لنفسه يمدح صلاح الدين محمد بن باغيسان :

| | |
|---------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------|
| ومدلل ساجي الجفون مهف وأحلقها فيه فاصبح رجا من جلته سيف الصلاح محمد | جمع الملاح ذو الجلال لديه وأمال أفئدة الانام إليه باد ومن جفني سحب يديه (الكامل) |
|---------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------|

وانشدني ايضاً لنفسه عنى للصاحب جلال الدين ابا الفتح محمد بن بناة ببناء داره :

| | |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| يا ايها الصاحب الصدر الكبير جلا بليت داراً على الجوزاء مشرفة دامت محل مرور لا يحول ولا شرفت أصلاً واخلاقاً وشلثة | ل الدين ابن الكرام السادة الشرفا كا قديماً بليت المجد والشرفا زالت رؤوس أعاديكم لها شرفا فلست بمن باصل وحده شرفا (البسيط) |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

وانشدني ايضاً لنفسه ، وقد كتبها لي شيخه فخر الدين محمد بن عبد السلام المارديني

يا سائقاً نحو ميا فارقين أنخ
وما اعانيه من وجد ومن كمد
الى الذي فات ابناء الزمان نهي
وقل : محب لكم قد شفه مرض
صل^(١) الطبيعة لا ينفك يلقه
شطر الحياة مضى والنفس ناقصة
فأنت أولى بهذيبي وتبصرني
وما يخلص نفسي من مواسمها الوصول
مشكاة ذهني قد امت زجاجتها
ورؤ مصباحها من زيت علك كي
حبس الطبيعة قد طال الثواء به
فاحلل حبال اشراك الشواغل عن
لعل نفسي انت ترقى مهلبة
وتقتدي في نعم لا انتهاء له
يا الركب وبلغ بعض اشواق
ولوعة وصبايات واراق
ومعتداً وثام طيب اعراق
وما سواك له من دائه راق
فاصرف نكايته عنه بترياق
فكن مكلها في شطرها الباقي
بما يذب اوصافي وأخلاقي
عند التفاف الساق بالساق
صديئة فاجلها بالواحد الواق
تعود بعد انطفاء ذات اشراق
لها أنا متوخ منك اطلاق
جيدي وجد لي من رقي باعتاق
عند الفراق اذا ما قيل من راق
ولا فنى في جوار الواحد الباقي
(البسيط)

وأنشدني أيضاً لنفسه يرثي ولداً له :

بني لقد غادرت بين جوانحي
واغريت بالأجفان بعد رقادها
فلست ابالي حين يلت بمن ثوى
وقال انا من يصغر الحزن كلما
وكننت صبوراً عند كل ملة
كنت فوافقتك المنون وهكذا
لقد فارقنا طراً حراً يتسمر
سهاداً فلن تنفك بعدك تسمر
ولم أر من أخشى عليك واحذر
ثمادى وحزني الدهر ينمى ويكبر
ثم لقد أردت عز التصبر
يراني الحسوف البدر ابان يسمر
(الطويل)

وأنشدني أيضاً لنفسه في غرض :

تقربت بالأطرام بالشعر مدة
وأبدعت آلات النجوم وغيرها
وحديث اشبار النبي وما ألى
وعاملتكم بالصدق فيما أقوله
فلم اكسب شيئاً سوى البؤس والعنا
بكل تدابينا فلم يشف ما بنا
اليكم وبالتنجم والنحو والطب
واغريت مما اعتاص من لغة العرب
به الحكاء القدم قبلي في الكتب
ولم آل جهداً في النصيحة والحلب
وانفاق عمري بشئ ذلك من كسب
الا ان بعد الدار خير من القرب

الا ان بعد الدار ليس بضائر اذا كان من تشاء ليس يذي لب
وأنشدني أيضاً لنفسه :

قيل لي لم هجوت نخل فلان الكلب بل لم أوغلت فيه الثاقب
وأول الفضل لا يرون هباء قط إلا لذي حصى ومناب
قلت إني سخطت يوماً على شعري فقابلته به كلماقب
(الحنيف)

وأنشدني أيضاً لنفسه :

قالوا خيلتي بالطبيب بأن يرى بالطبع يمدم روتقاً وجمالاً
صدقوا ولكن لا إلى حد به يؤذي المريض ويفزع الاطفالا
(الكامل)

وقال أيضاً :

أي فاعلاً خلل التظبيب وائند فكم تقتل المرضى المساكين بالجهل
فتركيب اجسام الآلام مؤجل فلم لا كلاك الله تعجل بالحل
كانك يا هذا غفلت موكلاً على رجع أرواح الآلام إلى الاصل
بهت الروا اذ قتلك الناس دائماً وذلك في الاحيان يحدث في فصل
كفى الوصب المسكين شخصك قاتلاً اذا عدته قبل التعرض للقتل
(الطويل)

ولسديد الدين بن ربيعة من الكتب ؛ كتاب لطف السائل وتحف المسائل ، وهذا الكتاب قد نظم فيه مسائل حنين . كليات القانون لابن سينا رجزاً ، ومعاني آخر ضرورية يحتاج اليها في صناعة الطب ، وشرح هذا الكتاب ، وله أيضاً عليه حواش مفيدة . كتاب موضحة الاشتباه في ادوية الباه كتاب الفريدة الشامية ، والقصيدة الباهية ، وهذه القصيدة صنعها بيمافارقين في سنة خمس عشرة وستائة للملك الاشرف ، شاه أرمن ، موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وذكر لي انه نظمها في يومين وهي (١٠) بيت ، وصنع لها أيضاً شرحاً مستقصى بليغاً في معناه . كتاب قانون الحكماء وفرموس التندماء . كتاب الغرض المطلوب في تدبير المأكول والمشروب . مقالة مسائل واجوبتها في الحميات . ارجوزة في الفصد .

صدقة السامري

هو صدقة بن منجا بن صدقة السامري ، من الاكابر في صناعة الطب ، والمتميزين من اهلها ، والأماثل من أربائها . كان كثير الاشتغال بحب النظر والبحث ، وافر العلم ، جيد الفهم ، قوياً في

(١) يباح بالاصل .

الفلسفة ، حسن الدراية لها ، متقناً لغوامضها . وكان يدرس صناعة الطب ، وينظم متوسطاً ، وربما ضمنه لمعاً من الحكمة ، وأكثر ما كان يقوله دوبيت . وله تصانيف في الحكمة وفي الطب . وخادم الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وبقي معه سنين كثيرة في الشرق الى أن توفي في الخدمة . وكان الملك الأشرف يحترمه غاية الاحترام ويكرمه كل الاكرام ، ويعتمد عليه في صناعة الطب ، وله منه الجلمكية الزاهرة والصلوات المتواترة . وتوفي صفقة بمدينة حران^(١) في سنة نيف وعشرين وسبعمائة ، وخلف مالا جزيلا ، ولم يكن له ولد .

ومن كلامه بما نقلته من خطه قال : « الصوم منع البدن من الغذاء ، وكف الحواس عن الخطاء ، والجوارح عن الآثام . وهو كف الجميع عما يليه عن ذكر الله .

وقال : « اعلم أن جميع الطاعات ترى إلا الصوم لا يراه إلا الله فانه حمل في الباطن بالصبر المجرد . وللصوم ثلاث درجات : صوم العموم ، وهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة ؛ وصوم الخصوص ، وهو كف السمع والبصر واللسان وسائر الجوارح عن الآثام ؛ وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن المهم الدنية والأفكار الدنيوية ، وكفه عما سوى الله تعالى .

وقال : « ما كان من الرطوبات الخارجة من الباطن ليس مستحيلا ، وليس له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والحاط . وأما ما له مقر وهو مستحيل فهو نجس ، كالبول والروث^(٢) .

وقال : « اعلم ان الوزير مشتق اسمه من حمل الوزر عن خدمه ، وحمل الوزر لا يكون إلا بسلاسة من الوزير في خلقته وخلقه . أما في خلقته فان يكون تام الصورة ، حسن الهيئة ، متناسب الاعضاء ، صحيح الحواس ، وأما في خلقته فهو ان يكون بعيد الهمة ، سامي الرأي ، ذكي الذهن ، جيد الحديث ، صادق الفراسة ، راسخ الصدر ، كامل المروءة ، عارفا بموارد الامور ومصادرها . فاذا كان كذلك كان افضل عدد المملكة لانه يصون الملك عن التبدل ، ويرفعه عن الدناءة ، ويغوص له على الفرسة . ومنزلة منزلة الآلة التي يتوصل بها الى نيل البنية ، ومنزلة السور الذي يبرز المدينة من دخول الآفة ، ومنزلة الجارح الذي يصيد لطعمة صاحبه . وليس كل أحد يصلح لهذه المنزلة يصلح لكل سلطان ما لم يكن معروفاً بالاخلاص لمن خدمه ، والمحبة لمن استخضه ، والايثار لمن قربه .

وقال : « صبر الشيف ظريف .

ومن شعره قال :

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| ساوه لم صدني تيباً ولم هجرا | وأورث الجفن بعد الرقدة السهرا |
| وقد جفاني بلا ذنب ولا سبب | وقد وفيت يميناتي فلم غفرا |
| يا للرجال قدوا واستشعروا خبري | مني فقيري لم يصدقكم خبري |
| إن كنت ذلاً قسا عزاً علي وإن | دانته كائن أو آنته نفرا |

(١) مدينة قنيطرة في ما بين التبريز ، قاعدة بلاد مشر .

هيات ان يستوي* ادي ومن صدرا
(البسيط)

هذا هو الموت عندي كيف عندكم

وقال ايضاً :

فضية الطب : اعداد
عت عن الجسم بالبعاد
لماد كوناً بلا فساد
(الكامل)

يا وارثاً عن أب وجد
وضامناً رد كل روح
اقسم لو كان طب دهرأ

وقال ايضاً :

سحبان أو يوفي على سحبان
أو ذو الفصاحة من بني قحطان
أولام بفصاحة وديان
لم يختلف في فوزهن الثمان
أعصى وأتخذ من شاة (١) سنان (٢)
ينفي التقى وفرائط الايمان
ترمي اليه بواضح البرهان
عز الفرائع من ذوي الانهان
(الكامل)

فاذا قرأت كلامه قدرته
لو كان شاهده معد خاطباً
لاقر كل طائمين بانه
رب العلوم اذا أجال قداحه
ذو فطنة في المشكلات وخاطر
فاذا تفكر عالم في كتبه
أضعت وجوه الحق في صفحاتها
ودلالة تجاور بطالسح بشرها

ووجدت بخطه ايضاً في الحاشية هذا البيت وهو متكرر القافية :

من حجة ضمن الوفاء بنصرها نص القياس وواضح البرهان
وكانه كتبه عوضاً عن البيت الذي أوله أضعت وجوه
وقال هجو :

حدود شكل النينس بمجوعه
والت تحت الاثني موضوعه
لحرمة بينين مرفوعه
قرينة في دمتق مطبوعه
(المنسرح)

دري ومولائه وسيده
والسيد فوق الاثني منجمل
والسيد محمول ذي وحامل ذا
ذاك قياس جاءت تليجته

وقال ايضاً :

يا ابن قسم اصبحت تلتحل النحر ودعواك فيه منخوله

(١) الحد من كل شيء .

(٢) نعل الرمح .

امك ما بالها ؟ فقل وأجب
فاعلمها الاير وهو منتصب
والعين عطل وعين عصمها

وقال ايضاً :

شيخ لنا من عظمه داهيه
مهندس في طول ايامه
مثلت يدعه قائم

وقال ايضاً :

يا شمس علا بأبرج السعد تسير
ما زلت كذا ملكك بالعدل تسير

وقال ايضاً :

يا سائلي عن صفات منها دائي
في ريقها سلافة الصفاء

وقال ايضاً :

ما لاح لناظري من العين عيون
غزلان تقا بين أراك وغصون

وقال ايضاً :

ياؤه عليكما الما وسلاه
قد اوعد بالوقا فان خان وفاه

وقال ايضاً :

الراح بدت برحما الرمحاني
لما سطعت بثورما للتوراني

وقال ايضاً :

انقي نكد الزمان بالاقداح

مرفوعة الساق وهي مفعوله
مائل قد آتاك مجهوله
بنقطه الخصيتين مشكوله .
(المسرح)

ما مثله في الامم الخاليه
مع قصره يتطلع الساريه
لانه منفرج الزاويه
(السريع)

العالم في عظم ممالك يسير
فينا وثقلك بالندى كل أمير
(الدويت)

اسمع نكتا وغلني مع رائي
في جيبها كواكب الجوزاء
(الدويت)

الا وجرت من أعممي فيض عيون
أعرضن عني فزدن ما بي جنون
(الدويت)

كم يقتلني وبحسب القلب سلاه
قبلت جبينه وعينه وفاه
(الدويت)

ثم اقتضرت بلطفها الروحاني
رقت وصفت خلأتي الانسان
(الدويت)

فالراح قوام جوهر الارواح

لما يفلح من يظل يوماً صاحي أو يسمع من زخارف النصاح
(الدوبيت)

وقال أيضاً :

أطفئني نكد العيش بماء وشراب فالدمر كما ترى خيال وصراب
واغم زمن القذة بين الأتراب فالجسم مصيره كما كان تراب
(الدوبيت)

وقال أيضاً :

الراح هي الروح فواصل يا صاح صفراء بلطفها تنافي الاتراح
لولا شبك يصيدها في الاقداح طارت فرحاً الى محل الارواح

ولصدقة السامري من الكتب : شرح التوراة . كتاب النفس . تعاليتي في الطب ذكر فيها الامراض
وعلاجاتها . شرح كتاب الفصول لابن قراط لم يتم . مقالة في أسامي الادوية المفردة . مقالة أجاب فيها
عن مسائل طبية سأله عنها الاسعد الحلبي اليهودي . مقالة في التوحيد ومنها كتاب الكنز في الفوز .
كتاب الاعتقاد .

مذهب الدين يوسف بن أبي سعيد

هو الشيخ الامام العالم صاحب الوزير مذهب الدين يوسف بن أبي سعيد بن خلف السامري .
قد اثنى الصناعة الطبية ، وتميز في العلوم الحكيمة ، واشتهل بلم الأدب ، وبلغ في الفضائل أعلى الرتب .
وكان كثير الاحسان ، فغزير الامتنان ، فاضل النفس ، صائب الحدس . وقرأ صناعة الطب على الحكم ابراهيم
السامري المعروف بشمس الحكاء . وكان هذا شمس الحكاء في خدمة الملك الناصر صلاح الدين يوسف . وقرأ أيضاً على
الشيخ اسمعيل بن أبي الوزار الطيب . وقرأ على مذهب الدين بن النقاش . وقرأ الادب على تاج الدين
النكدي أبي اليمن . وتميز في صناعة الطب ، واشتهر بمحسن العلاج والمداواة

ومن حسن معالجاته انه كانت ست الشام أخت الملك العادل أبي بكر بن ايوب قد عرض لها
دوسنطاريا كبدية وتزني كل يوم دماً كثيراً . والاطباء يعالجونها بالادوية المشهورة لهذا المرض من
الاشربة وغيرها . فلما حضرها وجس نبضها قال للجباية يا قوم ما دامت اللقوة قوية ، أعطوها الكافور
ليصلح كيفية هذا الخلط الحاد الذي فعل هذا الفعل ، وامر باحضار كافور قصوري وسقاها مع
حليب بزر بقة محصنة ، وشراب رمان وصندل^(١) فتقاصر عنها الدم وحرارة الكبد التي كانت ،
وسقاها أيضاً منه ثاني يوم فقل أكثر ، ولاطفها بعد ذلك الى ان تكامل برؤها وصلحت . وحدثني
بعض جماعة صاحب بن شكر وزير الملك العادل قال : كان قد عرض للصاحب ألم في ظهره عن بره

(١) شجر هندي طيب الرائحة يشبه شجر البروز وله حب اخضر في عناقيد .

فأتى إليه الأطباء فوصف بعضهم مع اصلاح الاغذية ينلي يسير جتديديسار^(١) مع زيت ويدهن به . وقال آخر : دهن بابونج ومصطكى . فقال ، المصلحة أن يكون عوض هذه الاشياء شيء ينفع مع طيب رائحة ، فاعجب صاحب قوله . وأمر مذهب الدين يوسف باحضار غالبية^(٢) ودهن بان، ففعل ذلك على النار ، ودهن به الموضع فانتفع به. وخدم مذهب الدين يوسف بصناعة الطيب لعزالدين فرخشاه ابن شاهان شاه بن ايوب ، ولما توفي عزالدين فرخشاه رحمه الله ، وذلك في جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين وخمسة ، خدم بعده لولده الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه بن عزالدين فرخشاه بصناعة الطب ، واقام عنده ببطبك ، وحظي في ايامه ، وقال من جهته من الاموال والنعم شيئا كثيراً . وكان يستشير في أموره ويعتمد عليه في احواله . وكان الشيخ مذهب الدين حسن الرأي وافر العلم جيد الفطرة . فكان يستصوب آراءه ويشكر مقاصده . ثم استوزره واشتغل بالوزارة وارتفع امره ، وارتقت منزلته عنده حتى صار هو المدير لجميع الدولة والاحوال بأمرها لا تعدل عن أمره ونهيه . ولذلك قال فيه الشيخ شهاب الدين فتيان -

الملك الامجد الذي شهدت له جميع الملوك بالفضل
أصبح في السامري معتقداً ما اعتقد السامري في المعجل
(المسرح)

انشدي هذين البيتين شمس الدين محمد بن شهاب الدين فتيان قال : أنشد فيها والذي لنفسه .
أقول : ولم تزل أحوال الشيخ مذهب الدين على سلتها وعلو منزلته على كيانها ، حتى كثرت الشكاوي من أهله وأقاربه السمرة ، فانه كان قد جاءه الى بطبك جماعة منهم من دمشق ، واستخدمهم في جميع الجهات ، وكثر منهم المصنف وأكل الاموال والفساد . وكان له الجاه المريض بالوزير مذهب الدين السامري فلا يقدر احد ان يقاومهم بالجملة . فان الملك الامجد لما تحقق ان الاموال قد اكلوها وكثر فسادهم ، ولامته الملوك في تسلم دولته للسمره قبض على المذهب السامري ، وعلو جميع السمره المستخدمين واستقصى منهم أموالاً عظيمة . وبقي الوزير متمتلاً عنده مدة الى ان لم يبق له شيء يمتد به . ثم أطلقه وجاء الى دمشق ورأيت في داره . ولما جاء من بطبك وكنت مع أبي لنسلم عليه فوجدته شيئاً حسناً فصيح الكلام لطيف المعالي . ومات بعد ذلك وكانت وفاته يوم الخميس مستهل صفر سنة أربع وعشرين وسبعمائة بدمشق .

ومن شعر مذهب الدين يوسف :

ان سادني الدهر يوماً فانه سر دهر
وان دعاني بمال فقد تموضت اجرا
الله أغنى وأقنى والحمد لله شكرا
(البسيط)

(١) مائة حيوان بحري يروي يكون في الآثار يسمى القندور .
(٢) اخلاط من الطيب .

ولمذهب الدين يوسف بن أبي سعيد من الكتب : شرح التوراة .

الصاحب امين الدولة

هو الصاحب الوزير العالم العامل ، الرئيس الكامل ، افضل الوزراء ، سيد الحكماء ، امام العلماء ، امين الدولة أبو الحسن بن غزال بن ابي سعيد . كان سامرياً واسلم ، ولقب بكمال الدين . وكان مهذب الدين السامري عمه . وكان امين الدولة هذا له الذكاء الذي لا مزيد عليه ، والعلم الذي لا يصل اليه ، والانعام العام ، والاحسان التام ، والهمم العالية ، والآلاء المتواليه . وقد بلغ من الصناعة غاياتها ، وانتهى الى نهايتها ، واشتمل على محصولها ، وأتقن معرفة اصولها وقصوها . حتى قل عنه المائل وقصر عن ادراك معاليه كل فاضل وكامل . كان أولاً عند الملك الايجد مجد الدين بهرام شاه ابن عز الدين فرخشاه بن أيوب ، معتمداً عليه في الصناعة الطبية واعمالها ، مقوضاً اليه امور دولته واسحوالها . ولم يزل عنده الى ان توفي الملك الايجد رحمه الله ، وذلك في داره بدمشق آخر نهار يوم الثلاثاء حادي عشر شهر شوال سنة ثمان وعشرين وسبائة

وبعد ذلك استقل بالوزارة الملك الصالح ^(١) عماد الدين أبي القداء اسمعيل ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب ، فساس الدولة احسن الساسة ، وبلغ في تدبير المملكة نهاية الرياسة ، وثبت قواعد الملك وأيدها ورفع مباني العالي وشيدها ، وجدد معالم العلم والملاء ، وأوجد من الفضل ما لم يكن لاحد من القدماء . ولم يزل في خدمة الملك الصالح ، وهو عالي القدر نافذ الامر ، مطاع الكلمة كثير العظمة الى ان ملك دمشق الملك الصالح نجم الدين ^(٢) ايوب ابن الملك الكامل ، وجعل نائبه بها الامير معين الدين بن شيخ الشيوخ . وكان لما ملك دمشق أعطى الملك الصالح اسماعيل بعلبك ونقل اليها ثقله وأمله ، وذلك في سنة ثلاث واربعين وسبائة . وكان امين الدولة في مدة وزارته يحب جمع المال وحصل لصاحبه الملك الصالح اسماعيل أموالاً عظيمة جداً من أهل دمشق وقبض على كثير من املاكهم .

وكان موافقه في ذلك قاضي القضاة بدمشق وهو رفيع الدين الجليلي والنواب . ولما بلغ نائب السلطنة بدمشق ، وهو الامير معين الدين بن شيخ الشيوخ والوزير جمال الدين بن مطروح ^(٣) بدمشق واكابر الدولة ما وصل الى امين الدولة من الاموال قصدوا ان يقبضوا عليه ، ويستصفوا امواله فعملوا له مكيدة . وهي انهم استحضروه وعظموه ، وقاموا له لا أتي . ولا استقر في المجلس قالوا له : ان اردت ان تقع بدمشق فابق كما أنت ، وان اردت ان تتوجه الى صاحبك ببعلبك فاقبل . فقال : لا والله اروح الى خدومي واكون عنده . ثم انه خرج وجمع أمواله وذخائره

(١) ملك دمشق ١٢٣٧ - ١٢٣٨ واختلف مع الامراء مواطنيه وحالف الافرنج عليهم وقتل في الغامرة .

(٢) صد هجمات التتار في ما بين التهرن وبسط حكمه على الرقاق واحتل دمشق سنة ١٢٤٨ وصادر القدس من ايدي

(ن. د)

العليين .

(٣) ناظر الحزاة في مصر وولير في دمشق .

وحواصله وجميع ما يملكه حتى الثلاث وحصر دوره وجمع الجميع على عدة بقال ، وتوجه قاصداً الى بعلبك .

ولما صار ظاهر دمشق قبض عليه واخذ جميع ما كان معه ، واحتيط على املاكه واعتقل . وكان ذلك يوم الجمعة ثاني شهر رجب سنة ثلاث واربعين وستائة . ثم سير الى الديار المصرية تحت الحوطة ، وادع السجن في قلعة القاهرة مع جماعة آخر من اصحاب الملك الصالح اسمعيل . ولما كان بعد ذلك بزمان وتوفي الملك الصالح نجم الدين ايوب بمصر في سنة سبع واربعين وستائة ، وجساء الملك الناصر يوسف بن محمد من حلب وملك دمشق ، وذلك في يوم الاحد ثامن شهر ربيع الآخر سنة ثمان واربعين وستائة صار معه الملك الصالح اسمعيل وملوك الشام ، وتوجه الى مصر ليأخذها فخرجت عساكر مصر ، وكان ملك مصر يومئذ الملك المنصور بن الملك المنصور ، وكان قد قتل بعد وفاة استاذ الملك الصالح نجم الدين ايوب ، والتفوا فكانت اول الكسرة على عسكر مصر . ثم عادوا وكسروا عسكر الشام ، وقبض على الملك الصالح اسمعيل وجماعة كثيرة من الملوك والامراء وجبوسا جميعهم في مصر ، ثم اطلق بعضهم فيما بعد . واما الملك الصالح اسمعيل فكان آخر العهد به وقيل انه خنق بوتر

حدثني الامير سيف الدين المشدّ علي بن عمر رحمه الله قال : لما سمع الوزير امين الدولة في قلعة القاهرة بان ملوك الشام قد كسروا عسكر مصر ، ووصل الخبر اليهم بذلك من بلبس^(١) . قال امين الدولة لصاحب الامر في القلعة : دعنا نخرج في القلعة حتى تطلع الملوك ، وتصر ايئن تعمل معك من الخير فاطمئنته نفسه ، واخرجهم وكفوا في ذلك الموضع في الحبس ثلاثة من اصحاب الملك الصالح اسمعيل وزيره امين الدولة ، واستاذ داره ناصر الدين بن يغمور . وامير كردي يقال له سيف الدين ، فقال الكردي لهم : يا قوم لا تستمعوا مواضعكم ، فان كان الامر صحيحاً فمسير استاذنا يخرجنا ويمسكنا الى ما كنا عليه ويحسن بيننا ويخلف . وان كان الامر غير صحيح فتكون في موضعنا لمخرج منه فهو اسلم لنا فلم يلبوا منه ، وخرج الوزير وناصر الدين بن يغمور وبسطوا مواضع في القلعة وامروا ونهوا . ولما صح الخبر بعكس ما املوه امر عز الدين التركماني لما طلع القلعة بقتل ناصر الدين بن يغمور قتل ، وامر بشنق الوزير فشنقه . وحكى لي من رآه لما شنق وانه كان عليه قندورة عنابي خضراء ، وسرموزة في رجله ، ولم ينظر مشوقاً في رجله سرموزة سواه . واما رفيقهم الكردي فاطلعه وشلخ عليه وأعطاه خيراً .

أقول وأعجب ما أرى من الأحكام النجومية فيما يتعلق بهذا المعنى ما حكاه الامير ناصر الدين زكري المعروف بابن عليم وكان من جماعة الملك الصالح نجم الدين ايوب قال : لما حبس صاحب امين الدولة أرسل الى منجم في مصر له خبرة بالغة في علم النجوم واصابات لا تسكاد تحرم في احكامها ،

(١) السلطان الموحي سلطان دمشق (١٢١٨ - ١٢٢٧) انشأ عدة مدارس وخلافات (ن، د)

(٢) بدء شامي القاهرة كالت مركزاً حربياً في أيام الصليبيين والايوبيين . وفيها توفي الخليفة العزيز النحاسي .

وسأله ما يكون من حاله وهل يخلص من الحبس قال : فلما وصلت الرسالة اليه اخذ ارتفاع الشمس للوقت ، وحقق درجة الطالع والبيوت الاثني عشر ومركز الكواكب ، ورسم ذلك كله في تحت الحساب وحكم بمقتضاه فقال : يخلص هذا من الحبس ويخرج منه وهو فرحان مسرور ، وتلحظه السعادة ان يبقى له امر مطاع في الدولة بمصر . ويثقل أمره ونهيه جماعة من الخلق . فلما وصل اليه الجواب بذلك فرح به . وعندما وصله مجيء الملوك وان النصر لهم خرج وايقن ان يبقى وزيراً بمصر ، وتم له ما ذكره المنجم من الخروج من الحبس والفرج والامر والنهي وصار له امر مطاع في ذلك اليوم . ولم يعلم امين الدولة ما يجري عليه بعد ذلك . وان الله عز وجل قد أنفذ ما جمعه عليه مقدوراً وكان ذلك في الكتاب مسطوراً .

وكان للصاحب امين الدولة نفس فاضلة وهمة عالية في جمع الكتب وتحصيلها ، واقتنى كتباً كثيرة فاخرة في سائر العلوم ، وكانت النسخ ابدأ يكتبون له حتى انه اراد مرة نسخة من تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر^(١) وهو بالخط الدقيق ثمانون مجلداً . فقال هذا الكتاب ، الزمن يقصر ان يكتبه ناسخ واحد ففرقه على عشرة نساخ ، كل واحد منهم ثمان مجلدات فكتبوه في نحو سلتين وصار الكتاب يكمله عنده وهذا من علو همته . ولما كان رحمه الله بدمشق ، وهو في دست وزارته في أيام الملك الصالح اسمعيل . وكان ابي صديقه وبينهما مودة فقال له يوماً سيد الدين بلنفي ان ابنك قد صنف كتاباً في طبقات الاطباء ما سبق اليه ، وجماعة الاطباء الذين يأتون الي شاكرك من . وهذا الكتاب جليل القدر ، وقد اجتمع عندي في خزائني اكثر من عشرين ألف مجلد ما فيها شيء من هذا الفن . واشتهي منك ان تبعث اليه يكتب لي نسخة من هذا الكتاب . وكنت يومئذ بصرخد عند مالكمها الامير عز الدين ايبك المعظمي فامتثل أمره . ولما وصلني كتاب ابي اتيت الى دمشق واستصحبت معي مسودات من الكتاب واستدعيت الشريف الناسخ وهو شمس الدين محمد الحسيني ، وكان كثيراً يفسخ لنا ، وخطه ملسوب في نهاية الجودة . وهو فاضل في العربية فأخليت له موضعاً عندنا . وكتب الكتاب في مدة يسيرة في تقطيع ربيع البندادي اربعة اجزاء . ولما تجلدت عملت قصيدة مديح في صاحب امين الدولة ، وبعثت بالجميع اليه مع قاضي القضاة بدمشق رفيع الدين الجيلي . وهو من جملة المشايخ الذين اشتغلت عليهم فاني قرأت عليه شيئاً من كتاب الاشارات والتنبهات لابن سينا . وكان يبيني ويبيته أنس كثير ، ولما وقف امين الدولة على ذلك اعجبه غاية الاعجاب ، وفرح به كثيراً وارسل الي مع القاضي المال الجزيل والخلع الفاخرة وتشكر وقال : اشتي منك ان كلما تصنفه من الكتب ترفني به . وهذه نسخة القصيدة التي قلتها فيه ، وذلك في اوائل سنة ثلاث واربعين وسبعمائة .

فؤادي في محبتهم أسير وأنتم سر ركبهم يسير
يحن الى العليبي^(٢) وساكنيه حينئذ قد تضمنه سمير

(١) علي بن الحسن ولد في دمشق (١١٠٥ - ١١٧٦) رطم في كبريات مدن الشرق الف تاريخ دمشق في ٨٠ مجلداً فقد اكملها . (ن.د.)
(٢) موضع فيه ماء .

ويؤى نمة هبت سحيرا
واني قانع بعد التذاني
ومعقول اللي مر التجني
تصدى للصدود قلبي فؤادي
وقد وصلت جفوني فيه سهدي
كان قوامه غصن رطيب
يرى نشوان من خمر التصاني
قضي وجناته للحسن روض
وكم زمن أراه قد تمدى
وحالي مع بنيه غير حال
وان أشكو الزمان فان ذخري
كريم اريحني ذو أيد
تسامي في سماء المجد حتى
وهل شعر يعبر عن علاه
له أمر وعدل مستمر
ففي الازمان للعافي^(١) مبر
لقد فات الاوائل في المال
يطول العالمين بكل علم
وقد صلحت به الدنيا ودانت
أيا من هم انماما ويا من
لقد احييت ميت العلم حتى
وأوردت الانام بحار جود
وكم في الطب من معنى خفي
وقد قاس الرئيس إليك يوما
وهل يحكيك في لفظ وفضل
وقد أرسلت تأليفا ليعي
فريد ما سبقت إليه قدما
ولكن في علومك فهو عدي

بها من طيب نثرهم عبر
بطيف من خيالهم يزور
يجور على الحب ولا يحبر
بوافر هجره أبدا هجير
لما هذي القطيعة والنفور
وطلعة وجهه بدر منير
يمد وفي لواحظه فتور
وفي خدي من دمعي غدير
علي وانتي فيه صبور
وسري لا يانجه سرور
امين الدولة المولى الوزير
تم كما هي الجمون^(٢) المطير
تأثر تحت أخضه الاخير
ودون محله الشعرى العيور
به في الخلق تمتدل الامور
وفي للمزمات للعادي^(٣) مبر^(٤)
وكم من اول فاق الاخير
وبقصر عنه في رأي قصير
لصالحها المدائن والثفور
له الافضال والفضل الفزير
تبين في الوجود له نشور
وقد كادت مناهلها تفور
بشرح منك عاه له ظهور
يحده اليك مروسا يصير
وما لك فيها أبدا نظير
على اسمك لا تغيره الدهور
ومولانا بذلك هو الحبير
كما تهدي الى هجر^(٥) الثفور

(١) الاسود . وهنا كنى بها عن للحباب الاسود الماكن .

(٢) كل طالب فضل او رزق . (٣) الممتدي او المتجاوز للطور او المختلس .

(٤) مهلك . (٥) د . ر .

(٥) بد بالبحر اشتهرت بحودة قرما وهي القصودة بلئل « كجالب التمر الى هجر » . (ن.د)

وحاشا أن ابتكر المالي إذا زفت إلى المولى تبور
وان تك زلة أبدت فيه فمن امثالها أنت الغفور

(الوافر)

ونقلت من خط الشيخ موفق الدين هبة الله أبي القاسم بن عبد الوهاب بن محمد بن علي الكاتب المعروف بابن النحاس ، من أبيات كتبها إلى صاحب امين الدولة يطلب منه خطا وعده به الملك الاحب ، وذلك في سنة سبع وعشرين وسبائة .

وعدت بالخط فارسل ما وعدت به يا من له نعم تترى بلا من
من يفعل الخير يحزن كل مكرومة ويشترى مدحا تلى بلا من
خطا يزيدك خطا كلما صدحت ورفاء في شجر يوما على فن

(البسيط)

وأشدني شرف الدين اسمعيل بن عبدالله بن عمر الكاتب المعروف بابن قاضي اليمن لنفسه قصيدة كتبها إلى صاحب امين الدولة من جلته :

فاني من زماني التفسير ومحا صفو لذني التكدير
كان عيشي يظل حاراً وقد عا د يحور الزمان وهو مرور
ونأى من أحب لم يلو عطفاً فبقلي البحر منه هجير
ورجوت الشفاء من داء سقم شفي فهو في حشاي سعي
قال لي قائل وقد اعضل الداء وعزا الدوا وعاز المشير
كيف تشكو الآلام أو يعضل الداء على الجسم والطبيب الوزير
اقصد صاحب الوزير ولا تحش فاحسانه هم غزير
وإذا الداء خيف منه تلافوا ليس يشفي الا الحكيم البصير
سيد صاحب أريب حكم عالم ماجد وزير كبير
منقذ منصف لطيف رؤوف محسن مؤثر كريم أثير

(الخفيف)

ومن شعر صاحب امين الدولة قال ، وكتب به في كتاب إلى برهان الدين وزير الامير عز الدين المظلي تمزية لبرهان الدين في ولده الخطيب شرف الدين عمر .

قولا لهذا السيد الماجد قول حزين مثله فاقد
لا بد من فقد ومن فاقد هيات ما في الناس من خال
كن المعزي لا للمعزى به ان كان لا بد من الواحد

(السريع)

والصاحب أمين الدولة من الكتب : كتاب النجح الواضح في الطب ، وهو من أجل كتاب صنف في الصناعة الطبية ، وأجمع لقوانينها الكلية والجزئية ، وهو ينقسم الى كتب خمسة : (الكتاب الاول) في ذكر الامور الطبيعية والحالات الثلاث للابدان وأجناس الامراض ، وعلائم الامزجة المتعددة والطبيعية والصحية للاعضاء الرئيسية وما يقرب منها ، وامور غيرها شديدة النفع يصلح ان تذكر في هذا الموضع ، ويتبعها بالنبيذ والبول والبراز والبحران (الكتاب الثاني) في الادوية المفردة وقواها (الكتاب الثالث) في الادوية المركبة ومنافعها (الكتاب الرابع) في تدبير الاصحاء وعلاج الامراض الظاهرة واسبابها وعلاؤها ، وما يحتاج اليه من عمل اليد فيها وفي اكلر المواضع ويذكر فيه ايضاً تدبير الزينة وتدبير السموم (الكتاب الخامس) في ذكر الامراض الباطنة واسبابها وعلاؤها وعلاجها وما يحتاج اليه من عمل اليد .

مذهب الدين عبد الرحيم بن علي

هو شيخنا الامام الصدر الكبير ، العالم الفاضل مذهب الدين أبو محمد عبد الرحيم بن علي بن حامد ويعرف بالسخوار . وكان رحمه الله أوحده عصره ، وفريد دهره ، وعلامة زمانه . واليه انتهت رئاسة صناعة الطب ومعرفتها على ما ينبغي ، وتحقيق كلياتها وجزئياتها . ولم يكن في اجتهاده من يحماريه ، ولا في علمه من يماثله . أتمت نفسه في الاشتغال ، وكند خاطره في تحصيل العلم حتى فاق أهل زمانه ، في صناعة الطب ، وحظي عند الملوك ، وقال من جبهتهم من المال والجاه ما لم ينله غيره من الاطباء الى ان توفي . وكان مولده وملتؤه بدمشق ، وكان ابيه علي بن حامد كحالا مشهوراً ، وكذلك كان اخوه وهو حامد بن علي كحالا . وكان الحكيم مذهب الدين ايضاً في مبدأ امره يكمل ، وهو مع ذلك مواظب على الاشتغال والنسخ . وكان خطه منسويًا . وكتب كتباً كثيرة بخطه ، وقد رأيت منها نحو مائة مجلد أو اكثر في الطب وغيره . واشتغل بالعربية على الشيخ تاج الدين الكندي أبي اليمن ، ولم يزل يجتهد في تحصيل العلوم وملازمة القراءة والحفظ حتى في اوقات خدمته وهو في سن الكهولة . وكان في اول اشتغاله بصناعة الطب قد قرأ شيئاً من المكي على الشيخ رضي الدين الرحي رحمه الله . ثم بعد ذلك لازم موفق الدين بن المطران وتلمذ له ، واشتغل عليه بصناعة الطب . ولم يزل ملازماً له في أسفاره وحضره الى ان تميز ومهر . واشتغل بعد ذلك ايضاً على فخر الدين المارديني لما ورد الى دمشق في سنة تسع وسمين وخمسائة بشيء من القانون لابن سينا . وكان فخر الدين المارديني كثير الدراية لهذا الكتاب والتفتيح لمنايه وخدم الحكيم مذهب الدين الملك العادل أبا بكر بن أيوب بصناعة الطب ، وكان السبب في ذلك أنه في اول امره كان يمانى صناعة الكحل ويحاول اكمالها ، وخدم بها في البيارستان الكبير الذي انشأه ووقفه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي . ثم بعد ذلك لما اشتغل على ابن المطران ، ووسم بصناعة الطب ، اطلق له الصاحب صفي الدين بن شكر وزير الملك العادل ابي بكر بن ايوب جامكية على الطب وخدم بها ، وهو مع ذلك يشتغل ويتزيد في العلم والعمل ، ولا

يُحل بمُخدمة صاحب صفى الدين بن شكر والاردد اليه . وعرف الصاحب منزله في صناعة الطب وعلمه وفضله . ولما كان في شهر شوال سنة أربع وستائة كان الملك العادل قد قال للصاحب بن شكر : زيد ان يكون مع الحكيم موفق الدين عبد العزيز حكيم آخر ، برسم خدمة العسكر والاردد اليهم في امراضهم ، فان الحكيم عبد العزيز ما يلحق لذلك ، فامتثل امره وقال : هنا حكيم فاضل في صناعة الطب يقال له المهذب الدخوار يصلح ان يكون في خدمة مولانا . فأمره باستخدامه .

ولما حضر مهذب الدين عند الصاحب قال له : اني شكرتك للسلطان وهذه ثلاثون ديناراً فاصرية لك في كل شهر وتكون في الخدمة . فقال : يا مولانا الحكيم موفق الدين عبد العزيز له في كل شهر مائة دينار ورواتب مثلها ، وأنا أعرف منزلي في العلم وما أخدم بدون مقرر . وانفصل عن الصاحب ولم يقبل . ثم ان الجماعة فمت مهذب الدين على امتناعه ، وما بقي يمكنه ان يعاود الصاحب ليخدم ، وكان مقرر في البيمارستان شيء يسير . واتفق المقدور ان بعد ذلك الحديث بنحو شهر ، وكان يعاود الموفق عبد العزيز قولنج صعب فمرض له وجرأ به ومات منه . ولما بلغ الملك العادل موته قال للصاحب : كنت قد شكرت لنا حكيماً يقال له المهذب نزل على مقرر الموفق عبد العزيز فتزل على جميع مقرر ، واستمر في خدمة الملك العادل من ذلك الوقت . ثم لم تزل تسمو منزلته عنده ، وتلقى أسواله ، حتى صار جليسه وأمينه وصاحب مشورته .

وظهر أيضاً منه في اول خدمته له نواصر في تقدمه المعرفة ، أكدت حسن ظنه به واعتياده عليه . ومن ذلك ان الملك العادل كان قد مرض ولازمه أعيان الاطباء ، فأشار الحكيم مهذب الدين عليه بالقصد فلم يستصوب ذلك الاطباء الذين كانوا معه ، فقال والله لم نخرج له دماً الا خرج الدم بغير اختيارنا . ولم يوافقوه في قوله فيما كان بعد ذلك بإيسر وقت الا والسلطان قد رصف رعاهاً كثيراً وصلح ففرق ان ما في الجماعة مثله . ومن ذلك أيضاً انه كان يوماً على باب دار السلطان ومعه جماعة من اطباء الدور فخرج خادم ومعه قارورة جارية يستوصف لها من شيء يؤلفها ، فلما رآها الاطباء وصفوا لها ما حضرم ، وعندما عاينها الحكيم مهذب الدين قال : ان هذا الألم الذي تشكوه لم يجب هذا الصبغ الذي للقارورة . يوشك انه يكون الصبغ من حناء قد اختضبت به ، فاعلمه الخادم بذلك وتمسح به ، واخبر الملك العادل فتريد حسن اعتقاده فيه .

ومن محاسن ما فعله الشيخ مهذب الدين من كمال مروءته وواقف عصبيته ، حدثني ابي قال : كان الملك العادل قد غضب على قاضي القضاة معبي الدين بن زكي الدين بدمشق لامر نغم عليه به ، وأمر باعتقاله في القلعة ، ورسم عليه ان يزن السلطان عشرة الاف دينار مصرية وشد عليه في ذلك ، وبقي في الحبس والمطالبة عليه كل وقت فوزن البض وعجز عن وزن بقية المال . وعظم الملك العادل عليه الامر وقال : لا بد ان يزن بقية المال والا عذبت . فتعير القاضي وابلغ جميع موجوده وأثابت بيته حتى الكتب التي له ، وتوسل الى السلطان وتشفع بكثير من الامراء والخواص والإكابر ، مثل الشمس استاذ الدار وشمس الخواص صواب والوزير وغيرهم ان يسامحه بالبعض ، أو يسقط عليه فما

فعل السلطان ، وحمل للقاضي ما عظميا على ذلك حتى قل أكله وقرمه ، وكاد يهلك فافتقده الحكيم مذهب الدين ، وكان بينها صداقة قديمة ، وشكا اليه حاله ، وسأله للمساعدة بحسب ما يقدر عليه ففكر مذهب الدين وقال : انا ادير لك أمراً وأرجو أن يكون فيه نفع لك ان شاء الله تعالى وفارقه .

وكانت سرية الملك العادل أم الملك الصالح استعمل بن الملك العادل متفجرة المزاج في تلك الايام . وكانت تركية الجنس وعندها عقل ودين وصلاح ولها معروف كثير وصدقات . فلما حضر الحكيم مذهب الدين عندها وزمام الدور أوجدها مذهب الدين حال القاضي وضوره وانه مظلوم وقد الزمه السلطان بشيء لا يقدر عليه ، وطلب منها شفاعا لعل السلطان ينظر اليه بعين الرحمة ويساعده ببعض أو يقيسط عليه ، وساعده الزمام في ذلك فقالت : والله كيف لي بالخير للقاضي وان اقول للسلطان عنه . ولكن ما يمكن هذا فان السلطان يقول لي ايش الموجب انك تتكلمي في القاضي ، ومن اين ترفيه ولو كان هو في المثل حكيم يتردد اليها ، او تاجر يشتري لنا القماش كان فيه توجهه للكلام والشفاعة ، وهذا لما يمكن أتكلم فيه . فقال لها الحكيم يا ستي انت لك ولد ومالك غيره . وتطلعي له السعادة والبقاء ، وتلقي من الله كل خير بشيء تقدرني تفعليه ، وما تقوي للسلطان شفاعا اصلا . فقالت ايش هو ؟ فقال وقت يكون السلطان وانتم نيام توجديه انك ابصرت مناما في ان القاضي مظلوم . وعرفها ما تقول ، هذا يمكن .

ولما تكاملت عافيتها ، وكان الملك العادل نائما عندها وهي الى جانبه اتبعت في اواخر الليل ، وأظهرت انها مرعوبة وأمسكت فؤادها وبقيت ترتعد وتتباكى ، فانتبه السلطان وقال : مالك ؟ وكان يحبها كثيرا فلم يجبه بما بها . فأمر بإحضار شراب فلاح وسقاها ورش على وجهها ماء ورد . وقال : أما تخبريني ايش جرى عليك وايش عرض لك ؟ فقالت : يا خوند منام عظم هالتي ، وكدت اموت منه . وهو انني رأيت كأن القيامة قد قامت ، وخلق عظم ، وكان في موضع به نيران كثيرة تشعل وناس يقولون هذا للملك العادل لكونه ظلم القاضي . ثم قالت : هل فعلت قط بالقاضي شيئا ؟ فما شك في قولها واتزعج ، ثم قام لوقته وطلب الخدام وقال : امضوا الى القاضي وطيخوا قلبه وساموا عليه عني ، وقولوا له يحلمني في حل بما تم عليه وان جميع ما وزنه يعاد اليه ، وما اطالبه بشيء فرأحوا اليه وفرح القاضي غاية الفرح بقولهم ، ودعا للسلطان وجمعه في حل . ولما أصبح أمر له بخدمة كاملة وبغلة واعاده الى القضاء ، وأمر بالمال الذي وزنه ان يحمل اليه من الخزانة . وان جميع ماباعه من الكتب وغيرها استرجع من المشتري لها ويمطوا الثمن الذي وزنه . وحصل للقاضي الفرج باهون سعي وألطف تدبير .

قال : ولما كان الملك العادل بالشرق ، وذلك في سنة عشر وستائة مرض مرضاً صعباً وتولى علاجه الحكيم مذهب الدين إلى ان برىء مما كان به فحصل له منه في تلك المرضة نحو سبعة آلاف دينار مصرية ، وبعت اليه ايضاً اولاده الملك العادل وسائر ملوك الشرق وغيرهم الذهب والخلع والبغلات باطوائ الذهب وغير ذلك . وكذلك توجه الملك العادل الى الديار المصرية في سنة اثني عشرة وستائة واقام بالقاهرة ، أتى في ذلك الوقت وباء عظيم الى ان هلك اكثر الخلق . وكان قد مرضى الملك

الكامل ابن الملك العادل ، ومرضى كثير من خواصه ، وهو صاحب الديار المصرية فعلاجه بالطب علاج الى ان برىء . وحصل له ايضا من الذهب والخلع والعطايا السنة شيء كثير . وكان مبلغ ما وصل اليه من الذهب نحو اثني عشر الف دينار واربع عشرة بنة باطواق ذهب ، والخلع الكثيرة من الثياب الاطلس وغيرها .

أقول : وولد السلطان الكبير في ذلك الوقت راسة اطباء ديار مصر بأمرها واطباء الشام ، وكنت في ذلك الوقت مع ابي وهو في خدمة الملك العادل فقوض اليه النظر في أمر الكحالين واعتبارهم ، وان من يصلح منهم لمعالجة أمراض العين ويرتضيه يكتب له خطأ بما يعرفه منه ففعل ذلك . ولما كان في سنة اربعة عشرة وسائة وسمع الملك العادل بتحرك الفرنج في الساحل أتى الى الشام ، واقام برج الصفر ثم حصل له وهو في أثناء ذلك مرض وهو ينزله بمخافين^(١) . وتوفي رحمه الله بها في الساعة الثانية من يوم الجمعة سابع جمادى الآخر سنة خمس عشرة وسائة . ولما استقر ملك الملك المعظم بالشام استخدم جماعة عدة من كلوا في خدمة ابيه الملك العادل ، وانتظم في خدمته منهم من الحكماء الحكيم رشيد الدين بن الصوري وأبي . وأما الحكيم مذهب الدين فإنه اطلق له جامكية وجراية ، ورسم انه يقع بدمشق ، وان يساير الى البيارستان الكبير الذي انشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي ويعالج المرضى به .

ولما اقام الشيخ مذهب الدين بدمشق شرع في تدريس صناعة الطب ، واجتمع اليه خلق كثير من اعيان اطباء وغيرهم يقرأون عليه ، وافتتحت لاهل القراءة عليه . وأما اولاً فكنت اشتغل عليه في المعسكر لما كان ابي والحكيم مذهب الدين في خدمة السلطان الكبير فبقيت اتردد اليه مع الجماعة ، وشرعت في قراءة كتب جالينوس ، وكان خبيراً بكل ما يقرأ عليه من كتب جالينوس وغيرها . وكانت كتب جالينوس تعجبه جداً . واذا سمع شيئاً من كلام جالينوس في ذكر الامراض ومداوتها والاصول الطبية يقول هذا هو الطب . وكان يطلق اللسان حسن لتأديبة للعاني جيد البعث لازمته ايضا في وقت معالجته المرضى بالبيارستان فتدريت معه في ذلك وابشرت أعمال صناعة الطب . وكان في ذلك الوقت ايضا معه في البيارستان لمعالجة المرضى الحكيم عمران وهو من اعيان الاطباء واكابرهم في مداواة والتصرف في انواع العلاج فتضاعفت الفوائد المكتسبة من اجتماعها ، وما كنت يجري بينها من الكلام في الامراض ومداوتها وما كانا يصفاه المرضى .

وكان الحكيم مذهب الدين يظهر من ملح صناعة الطب ومن غرائب المداواة والتقصي في المعالجة والاقدام بصفات الادوية التي تدبره في أسرع وقت ما يفوق به أهل زمانه ، ويحصل من تأثيرها شيء كأنه سحر . ومن ذلك انني رأيته يوماً وقد أتى محوم يحمي محروقة وقواريره في غاية الحدة فاعتبر قوته ، ثم أمر بأن يترك له في قعر برور من الكافور مقداراً صالحاً عينه لهم في الدستور ،

(١) بلدة في العراق في الطريق بين بغداد وخراسان على نهر خزان تشاي . وعندها حدثت وقعة بين العرب والفرس سنة ١٢٧٧ هـ . (٥، ٦)

وان يشربه ولا يتناول شيئاً غيره ، فلما أتينا من الهند وجدنا ذلك المريض والحمى قد انحطت عنه ، وقارورته ليس فيها شيء من الحدة . ومثل هذا أيضاً انه وصف في قساعة الموردين لمن به المرض المسمى مانيا ، وهو الجنون السبعي ، ان يضاف الى ماء الشعير في وقت اسقاؤه اياه مقدار متوفر من الاقيون ، فصلاح ذلك الرجل وزال ما به من تلك الحال . ورأيت يوماً في قاعة المحرمين وقد وقفنا عند مريض ، وجست الاطباء نبضه فقالوا عنده ضعف ليعطى مرققة الفروج للتقوية فنظر اليه ، وقال : ان كلامه ونظر عينيه يقتضي الضعف . ثم جس نبض يده اليمنى وجس الاخرى وقال : جسوا نبض يده اليسرى ، فوجدناه قوياً . فقال : انظروا نبض يده اليمنى وكيف هو من قريب كوعه قد انفرق العرق الضارب شمعتين ، فواحدة بقيت التي تجس والاخرى طلعت في أعلى الزند وامتدت الى ناحية الاصابع . فوجدناه حقاً . ثم قال : ان من الناس ، وهو نادر ، من يكون النبض فيه هكذا ، ويشبه على كثير من الاطباء ويمتدنون ان النبض ضعيف ، وانما يكون جسم لتلك الشبهة التي هي نصف العرق فيمتدنون ان النبض ضعيف . وكان في ذلك الوقت ايضاً في البيلارستان الشيخ رضي الدين الرسي ، وهو من اكبر الاطباء سنأ واعظمهم قدراً واشهرهم ذكراً ، فكان يجلس على دكة ويكتب لمن يأتي الى البيلارستان ، ويستوصف منه للرعي اوراقاً يعتمدون عليها ويأخذون بها من البيلارستان الاشربة والادوية التي يصفها . فكنت بعد ما يفرغ الحكيم مذهب الدين والحكيم حمران من معالجة المرضى المقيمين بالبيلارستان ، واجلس معهم ، اجلس مع الشيخ رضي الدين الرسي فاعانني كيفية استدلاله على الامراض ، وجملة ما يصفه للرعي وما يكتب لهم ، وأجبت معه في كثير من الامراض ومداواتها . ولم يجتمع في البيلارستان منذ بني والي ما بعده من الزمان من مشايخ الاطباء كما اجتمع فيه في ذلك الوقت من هؤلاء المشايخ الثلاثة وبقوا كذلك مدة .

ثم انقضت تلك السنوات وأهلها فكانها وكانهم أحلام

وكان الشيخ مذهب الدين رحمه الله اذا تفرغ من البيلارستان ، واقتصد المرضى من اعيان الدولة واكبرها وغيرهم ، يأتي الى داره ثم يشرع في القراءة والدرس والمطالعة . ولا بد له مع ذلك من نسخ . فإذا فرغ منه اذن للجماعة فيدخلون اليه ويأتي قوم بعد قوم من الاطباء والمشتغلين . وكان يقرأ كل واحد منهم حرسه ، ويبحث معه فيه ، ويفهمه اياه بقدر طاقته ، ويبعث في ذلك مع التمييزين منهم ان كان الموضوع يحتاج الى فضل بحث ، او فيه اشكال يحتاج الى تحرير . وكان لا يقرئ أحداً إلا ويديه نسخة من ذلك الكتاب يقرأه ذلك التلميذ ، ينظر فيه ويقابل به ، فان كان في نسخة الذي يقرأ غلط امره بإصلاحه . وكانت نسخ الشيخ مذهب الدين التي تقرأ عليه في غاية الصعوبة ، وكانت اكبرها بخطه ، وكان أبداً لا يفرقه الى جانبه مع ما يحتاج اليه من الكتب الطبية ومن كتب اللغة كتاب الصحاح للبوهمري ، والمجلد لابن فارس^(١) وكتاب النبات لابن حنيفة الدينوري . فكان اذا قرعت الجماعة من القراءة يعود هو الى نفسه فيأكل شيئاً ثم يشرع بقية نهاره في الحفظ والدرس

(١) احمد بن فارس لغوي ونحوي على طريقة الكوفيين ولد في جهة كركسف وجيانيان رحا قرمتان من رستاق الزهراء وقرني في الري (١٠٠٤) اشهر كتب المجلد في اللغة (٤ د.ر)

والمطالعة يسهر أكثر ليله في الاشتغال .

وكان أيضاً في ذلك الزمان يجتمع بالشيخ سيف الدين علي بن أبي علي الأمدى ، وكان يعرفه قديماً فلازمه في الاشتغال عليه بالعلوم الحكمية ، وحفظ شيئاً من كتبه ، وحصل معظم مصنفاته لاشتغل بها مثل كتاب دقائق الحقائق ، وكتاب رموز الكتوز ، وكتاب كشف التوهمات في شرح التلخيصات وكتاب أباكار الأفكار ، وغير ذلك من مصنفات سيف الدين . ثم بعد ذلك أيضاً نظر في علم الهيئة والنجوم ، واشتغل بها على أبي الفضل الأسراني المتبحر ، واقتنى من آلات النحاس التي يحتاج إليها في هذا الفن ، ما لم يكن عند غيره ومن الكتب شيئاً كثيراً جداً . وسمعه يحمي ان عنده ست عشرة رسالة غريبة من الاصطربلاب لجماعة من المصنفين . وفي أثناء ذلك طلبه الملك الأشرف أبو الفتح موسى ابن الملك المعادل وهو بالشرق فتوجه إليه ، وذلك في شهر ذي القعدة سنة الثنتين وعشرين وسبائة . وقال لي انه خرج منه في هذه السفرة لما عزم على الحركة من شراء بفلات وخم وآلات لا بد منها للسفر عشرون ألف درهم . ولما وصل ذلك إلى الملك الأشرف أكرمه وأحسن إليه ، وأطلق له اقطاعاً في الشرق يغل له في كل سنة ألف وخمسة دينار فيبقى معه مدة ، ثم عرض له ثقل في لسانه واستأخاه فيبقى لا يسترسل في الكلام ووصل الى دمشق لما ملكها الملك الأشرف في سنة ست وعشرين وسبائة ، وهو معه فولاه رئاسة الطب . وبقي كذلك بمدينة ، وجعل له مجلساً لتدريس صناعة الطب . ثم زاد به ثقل لسانه حتى بقي اذا حاول الكلام لا يفهم ذلك منه إلا بعسر . وكانت الجماعة تبحث قدماه فاذا استعصى معنى يجيب عنه بأيسر لفظ يدل على كثير من المعنى . وفي أوقات يصسر عليه الكلام فيكتبه في لوح وتظنر الجماعة . ثم اجتهد في مداواة نفسه ، واستفرغ بدنه بمعدة أدوية مسبهة ، وكان يتناول كثيراً من الأدوية والمعالجين الحارة ويفتدي بثلثها فعرضت له حمى وتزايدت به حتى صفت قوته وقالت عليه امراض كثيرة . ولما جاء الأجل بطل العمل .

واذا التمة أنشئت أظفارها ألفيت ككل نعمة لا تنفع

وكانت وفاته رحمه الله في الليلة التي صبيعتها يوم الاثنين خامس عشر صفر سنة ثمان وعشرين وسبائة ودفن بجبل قاسيون ولم يخلف ولداً .

ولما كان في سنة الثنتين وعشرين وسبائة ، وذلك قبل سفر الشيخ مذهب الدين عبد الرحيم بن علي عند الملك الأشرف وشدته له ، وقف داره وهي بدمشق عند الصاعغة العتيقة شرقي سوق الناخلين ، وجعلها مدرسة يدرس فيها من بعده صناعة الطب ، ووقف لها ضياعاً وعدة أماكن يستقل ما ينصرف في مصالحها ، وفي جامعية المدرس وجامعية المشتغلين بها . ووصى ان يكون المدرس فيها الحكيم شرف الدين علي بن الرحي وابتدأ بالصلاة في هذه المدرسة يوم الجمعة صلاة العصر ثامن ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وسبائة .

ولما كان يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وسبائة حضر الحكيم سعد الدين ابراهيم بن الحكيم موفق الدين عبد العزيز ، والقاضي شمس الدين الخوئي والقاضي جمال الدين

البحرستاني ، والقاضي عزيز الدين المنجاري وجماعة من الفقهاء والحكام . وشرع الحكيم شرف الدين ابن الرعي في التدوين بها في صناعة الطب واستمر على ذلك ، وبقي سنين عدة . ثم صار المدرس فيها بعد الحكيم بدر الدين المظفر بن قاضي بعلبك . وذلك انه لما ملك دمشق الملك الجواد مظفرالدين يونس بن شمس الدين محمود ابن الملك الناصر ، كتب للحكيم بدر الدين ابن قاضي بعلبك مشوراً برباسته على سائر الحكماء في صناعة الطب ، وان يكون مدرساً للطب في مدرسة الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي . وقول ذلك في يوم الاربعاء رابع صفر سنة سبع وثلاثين وستائة .

وأنشدني مهذب الدين أبو نصر محمد بن محمد بن ابراهيم بن الحضر الحلبي ، قال : أنشدني الشيخ الاديب شهاب الدين قتيان بن علي الشاغوري لنفسه يمدح الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي

| | |
|---------------------------------------------------------|------------------------------------------|
| انهم ولد بأقدار كواثيك | حتى تتال بها أقصى امانيك |
| مهذب الدين يا عبد الرحيم لقد | شأوت يا ابن علي من يياريك |
| فازت قداسك (١) | في حفظ الدروس بأيام سلقن وما خابت لباليك |
| ما زلت تسمى لكسب المجد مجتهداً | حتى بلغت الأماني من مساعيك |
| أنت امرؤ أودعت ألفاظه حكماً | أملت دقيق المعاني من معانيك |
| حتى ربيت بحجر العلم متخذاً | لك التواضع لبناً في تعاليك |
| فللمعاني ابتسام في خلافتك الحسان | مثل ابتسام المجد في فيك |
| يا من له قلم كم مد من لعم | في الفضل سبعان باربه وباريك |
| لك الثناء جيلاً حيث كنت فما | خلق عن المجد والعلواء يثنيك |
| متى تمادى المجد الملح في مدح | يبد أقصى المدى ادنى الذي فيك |
| يا جاسماً حسباً عدا الى ادب | جم عدمت امرءاً في الجود يحكيك |
| عندي اليك صبايات يؤكدها | حسن الوفاء بعروف يوافيك |
| ولي اليك اشتياق لا يفارقني | يا ليت لي سبباً للوصل مسلك |
| ولو تهيأ لي المسمى اليك لما | فارقت بابك بواباً أخرجيك |
| لكنني في يدي شينوخة وضنا | قد غادر الجسم منهوياً ومنهوك |
| كم هم لك قد أوفت على الفلك الاعلى بأخصها كيوان (٢) | معروكا |
| وددت أن علياً والرشيد ممأ | عاشاً وقد رأيا ما الله يوليك |
| كلاهما كان في سر وفي علن | لك المحب فما ينفك بطريك |
| عش وابتق وارقل طوال الدهر في | خلق الملوكة واخضع قلوباً من اعداديك |
| ولا تزل أبداً في باب دارك للرسل ازحام الى السلطان تدعوك | |
| ونلت بالمالد الميمون طائره | قصوى بالمثى منجما فيه تدوايك |

(١) واحتمل قدح وعر سم المير .
(٢) زحل . (ن. د)

فهو الذي ثل عرش الشرك اذ دمهم
عمود النصر والفتح القريب فصل
ستهنز الملك الانكور وثبته
دع حل لم دمشق الله كالنبا
هل الرئيس ابن سينا وهو يطرب
وهل مقالات جالينوس صادرة
فنعم حدث ملوك أنت أطلع من
كم قلت لابن خروف دع هجاءك من
حتى هوى. بحضيق قد تبواه
وعشت أنت غنياً بالهبات ومن
دمشق جنة عدن للعالم بها
شوت كل ابن خروف غار سملك اذ
فكم أسير مقام من جوامع
لأهت عن هفوات يستغزها
ولم تقص صلوات ما برحت لها
ولم تكن راقياً في شرب صافية

أسمى وأضحى سيف الدين مسفوكا
به الملوك فكل عنه يليك
وفي كلاء سنان الرمح مشكوكا
بما تحووه والله كاليسكا
بالقانون وافاك بالشرى يفتيك
عما تقول فتاويها فتاويك
منهم بتاديه في الجلى يناديك
تتمى سعادته يا أولكا النوكا
الى القيامة ما ينفك مدكوكا
عاداك مات شديد الفقر صملوكا
فلا نأت عن مفانها مفانيك
دعا به تحسه يوماً ليهجوكا
جعلته بعد ضيق الأمر مفكوكا
سواك من الفضا يبقي المالك
حلاً بخير تحيات محبيك
صحت فأصبح منها الغل موعوكا

(البسيط)

أقول وكان هذا ابن خروف الذي ذكره شهاب الدين قتيان مغربياً شاعراً ، وكان كثير الهجاء
للحكيم مذهب الدين ، وكان آخره ابن خروف انه قربه الى حلب ، ومدح صاحبها الملك الظاهر
غازي بن صلاح الدين ، وانشده المديح : ولما فرغ تأخر القهري الى خلف ، وكان ثم بئر فوق
فيها ومات .

ومن شعر مذهب الدين عبد الرحيم بن علي ، قال وكتب به الى عمي الحكيم رشيد الدين علي بن
خليفة في مرضه مرضها .

يا من أومه لكل ملة
سوشيت من مرض عماد لاجله
أنا نمدك جوهراً في عصرنا
وسواك ان عدوا فهم أعراض

(الكامل)

ولمذهب الدين عبد الرحيم بن علي من الكتب : اختصار كتاب الحاوي في الطب للرازي . اختصار
كتاب الاغاني الكبير لابي الفرج الاصفهاني . مقالة في الاستفراغ لها بدمشق في شهر ربيع الاول
سنة اثنتين وعشرين وسبائة . كتاب الجنينة في الطب . تعاليت ومسانل في الطب وشكوك طبية ورد

أجوبتها له . كتاب الرد على شرح ابن صادق لمائل حنين . مقالة يرد فيها على رسالة أبي الحجاج يوسف الامرائيلي في ترتيب الاغنية اللطيفة والكثيفة في تناولها .

عمي رشيد العن علي بن خليفة

هو أبو الحسن علي بن خليفة بن يونس بن أبي القاسم بن خليفة ، من الخزرج^(١) من ولد سعد بن عبادة^(٢) . مولده بمجبل في سنة تسع وسبعين وخمسة . وكان مولد أبي قبله في سنة خمس وسبعين وخمسة بالقاهرة المعزية ، ونشأ أيضاً بالقاهرة واشتغل بها وذلك ان جدي رحمه الله كانت له همة عالية ومحبة للفضائل واهلها ، وله نظر في العلوم ، ويعرف بأبي اصيصة ، وكان قد توجه الى الديار المصرية عندما فتحها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكان في خدمته وخدمة أولاده ، وكان من جملة معارف جدي واصدقائه من دمشق جمال الدين أبي الحوافر الطبيب ، وشهاب الدين أبو الحجاج يوسف الكحال وذلك ان مولد جدي كان بدمشق ، ونشأ بها وأقام سنين كثيرة . فلما اجتمع جمال الدين بن أبي الحوافر بمصر وبأبي الحجاج يوسف ، وكان قد تزعر أبي عمي ، وقصد الى تعليمها صناعة الطب لمعرفة بشرها ، وكثرة احتياج الناس اليها ، وان صاحبها الملتزم لما يجب من حقوقها يكون مبعجلاً حظياً في الدنيا ، وله الدرجة العليا في الآخرة . ورك أبي عمي يلزمان ذينك الشيخين ويتقنانها . فلزم أبي أبا الحجاج يوسف واشتغل بصناعة الكحل ، وبأمره أعمالها . وكان أبو الحجاج يكعل في البليارستان بالقاهرة غير الموضع الذي صار حينئذ بالقاهرة ببليارستان ، وهو من جملة العصر . وكان البليارستان في ذلك الوقت في السقطين أسفل القاهرة ، وكان جدي يسكن الى جانبه ، فبقي أبي ملازماً لأبي الحجاج يوسف ومتعلماً منه الى ان اتقن صناعته ، وقرأ أيضاً على غيره من أعيان المشايخ الاطباء في ذلك الوقت بمصر مثل الرئيس موسى القرطبي صاحب التصانيف المشهورة ومن هو في طبخته . ولزم عمي جمال الدين بن أبي الحوافر واشتغل عليه بصناعة الطب .

وأول اشتغال عمي بالملم انه كان عند تقي الملم ، وهو أبو التقي صالح بن أحمد ابراهيم بن الحسن ابن سليمان العرشي المقدسي . وكان هذا تقي يعرف علوماً كثيرة ، وكانت له سيرة حسنة في التعليم في الكتب ، وسياسة مشهورة عنه لم يكن أحد يقدر عليها إلا هو . ولما اتقن عمي رحمه الله حفظ القرآن عند تقي وعلم الحساب ، وشرع في تلم صانعة الطب والنظر فيه لازم جمال الدين بن أبي الحوافر ، وكان في ذلك الوقت رئيس الأطباء بالديار المصرية ، وصاحبها الملك العزيز عثمان بن عبد الملك الناصر صلاح الدين . وقرأ عليه شيئاً من كتب جالينوس الستة عشر ، وحفظ منها الكتب الاولى في أسرع وقت .

(١) قبيلة بنية اقرن اسمها دائماً مع قبيلة اخرى هي الاوس وهما من اصل واحد . وهاجرت بعد تدمير سد مأرب من سبل الحرم من الجنوب الى المدينة وانتشرت حتى شير وتباد وتضررت مع الاوس التي (ص) حل قرش واعتنقت الاسلام . وكلاهما ينطقون الجيم الحراساء فرسوا الى مصر وتشرروا فيها نطقهم .

(٢) صليبي خزرجي محمد جرح النبي بعد وفاة أحد توفى في سوران سنة ٦٣٦ . (ن . و)

ثم باحث الأطباء ولازم مشاهدة المرضى بالبيارستان ، ومعرفة امراضهم ، وما يصف الأطباء لهم ، وكان فيه جماعة من أعيان الأطباء . ثم قرأ في أثناء ذلك علم صناعة الكحل ، وبأشر أعمالها عند القاضي نفيس الدين الزبير ، وكان المتولي للكحل في ذلك الوقت في البيارستان . وكذلك أيضاً بأشر معه في البيارستان أعمال الجراح . وكان الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي يومئذ في القاهرة ، وكان صديقاً لجدي وبينهما مودة أكيدة فاشتغل عني عليه بشيء من العربية والحكمة . وكان يبحث معه في كتب ارسطوطاليس ويناقشه في المواضيع المشكلة منها وكان يجتمع أيضاً بمسديد الدين ، وهو علامة في العلوم الحكيمة ، ويشغل عليه .

وكان أيضاً قبل ذلك قد اشتغل بعلم النجوم على أبي محمد بن الجعدي . وكان هذا الشيخ فاضلاً في علم النجوم متميزاً في أحكامه ، وكان لحق الخلفاء المصريين ، ويعد من الخواص عندهم . وكانت أحواله من أعيان الأمراء في دولتهم . وأما صناعة الموسيقى فكان قد أخذها عن ابن الديحوري المصري ، وعن صفى الدين أبي علي بن التبان . ثم بعد ذلك أيضاً اجتمع بأعيان المصنفين في هذا الفن مثل البهاء المصلح الكبير وشهاب الدين النقجوني وشجاع الدين بن الحصن البغدادي ومن هو في طبقتهم وأخذ عنهم كثيراً من تصانيف العرب والعجم . ولم يكن لمعي دأب في سائر أوقاته من صفه إلا النظر في العلوم والاشتغال ، وتكميل نفسه بالفضائل . ولما عاد جدي إلى الشام وانتقل إليها ، وذلك في سنة سبع وتسعين وخمسة ، وكان لمعي في ذلك الوقت من العمر نحو العشرين سنة ، شرع عني في معالجة المرضى وللتزيد في صناعة الطب . وكان في دمشق الشيخ رضي الدين يوسف بن حيدرة الرحبي ، وكان كثير الصداقة لجدي من السنين الكثيرة ، وسمع بعني ولما شاهده ورأى تخصصه فرح به ، وبقي عني يحضر مجلسه ويقراً عليه ، ويبحث معه في صناعة الطب . وبأشر المرضى في البيارستان الذي أنشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي وكان فيه من الأطباء موفق الدين بن الصرف ، والشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن علي .

واشتغل أيضاً بالحكمة في ذلك الوقت على موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ، لانه كان أيضاً قد عاد إلى الشام ، وكان بدمشق أيضاً جماعة من أهل الأدب ومعرفة العربية : مثل زين الدين بن معطي فلازمه واشتغل عليه ، ومثل تاج الدين بن حسن الكندي أبي اليمن ، وكان صديقاً لجدي ، وبينهما مودة سالفة من عند عز الدين فرخشاه . فلازمه عني أيضاً واشتغل عليه بالعربية ، وأثنى عني هذه العلوم بأسرها ، وصار شيخاً يقتدى به في صناعة الطب ، ويشغل عليه بها . وله من العمر دون الخمس وعشرين سنة . وكان أيضاً يشمر ويترسل ، وكان يتكلم بالفارسية ويعرف تصانيف لغة الفرس وينظم شعراً بالفارسي . وكان أيضاً يتكلم بالتركي . ولما كان في يوم الجمعة خامس عشر شهر رمضان سنة خمس وسبعمائة ، استدعاه السلطان الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وسمع كلامه ، وحسن موقعه عنده وأنعم عليه ، وأمر أن ينظم في خدمته فالتفت تعاريف من حركات السلطان .

وبعد ذلك بأيام سمع به صاحب بعلبك ، وهو الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه بن عز الدين

فرخشاہ بن شاہان شاہ بن أيوب ، فبعث الیہ يستدعيه ويستدعي جدي لانه كان يعرفه من عهد أبيه . فلما وصلنا الیہ تلقاها وأحسن الیها غاية الاحسان ، وأطلق لها الجامكية . والجرايسة والرتب . وحسن موقع عمي عنده جداً حتى كان لا يفارقه في اكثر اوقاته ، ولما رأى علمه بالحساب ، وجودة تصرفه فيه ، طلب منه يريه شيئاً من الحساب فامثل امره ، وعرفه جملة منه ، وألف له كتاباً في الحساب يحتوي على اربع مقالات . وكان للملك الامجد رحمه الله نظر في الفضائل ، ورغبة في أهلها ، وينظم شعراً جيداً وله ديوان مشهور .

ولما كان في سنة تسع وستائة مرضت عيني خادماً يقال له سليطة للسلطان الملك العادل أبي بكر ابن أيوب وهو يعزله كثيراً ، وتفاقم المرض في عيني حتى هلكت وبش منها . وراه المشايخ من الأطباء والكهالين ، وكل عجز عن مداواته ، وأجمعوا انه قد عمي ، وان المداواة لم يبق لها فيه تأثير أصلاً . ولما رآه أبي وتأمل عيني قال : أفا أداوي عيني هذا ويصير بها ان شاء الله تعالى . وشرع في مداواته وفي علاجه ، وعيناه في كل وقت تصلح حتى كملت عافيته وبرأ برءاً تاماً ، وركب وعاد الى ما كان عليه أولاً حتى كان يتعجب منه . وظهرت منه في مداواته معجزة لم يسبق اليها فأحسن الملك العادل ظنه به كثيراً ، وأكرمه غاية الاكرام من الخلع وغيرها . وكان له قبل ذلك أيضاً تردد الى الدور السلطانية بالقلعة بدمشق وداوى بها جماعة كانت في أعينهم أمراض صعبة فصلحوا في امره وقت .

وعرف بذلك أيضاً الملك العادل وقال : مثل هذا يجب أن يكون معي في السفر والحضر ، وطلبه للخدمة فقال أن يعفى ، وان يكون مقبلاً بدمشق فلم يجبه الى ذلك ، وأطلق له جامكية وجراية ، واستقرت خدمته له في خامس عشر ذي الحجة سنة تسع وستائة . وكان حطياً عنده وعند جميع أولاده الملوك ويعتمدون عليه في المداواة وله منهم الاحسان الكثير والافتقار التام . ولم يزل في الخدمة الى ان توفي الملك العادل رحمه الله وملك دمشق بعده الملك المعظم فأمر ان يستمر في خدمته ، وكان له فيه أيضاً من حسن الاعتقاد والرأي مثل أبيه وأكثر وعدم الملك المعظم لاستقبال صفر سنة ست عشرة وستائة ، ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك المعظم رحمه الله .

ورسم الملك الناصر دأود ابن الملك المعظم بأن يستمر في خدمته ، وان يجري له ما كان مقرراً في أيام والده . فبقي معه الى ان اتفق توجه الملك الناصر الى الكرك ، فاقام أبي بدمشق وصار يتردد الى القلعة لخدمة الدور السلطانية لكل من ملك دمشق من اولاد الملك العادل وغيرهم ، وكلهم يرون له ويعتمدون عليه في المداواة ، وله الجامكية والجراية والانعام الكثير . ويتردد ايضا الى بياراتسات نور الدين الكبير وله الجامكية والجراية . والناس يقصدونه من كل ناحية لما يجدون في مداواته من سرعة البرء ، وان امراضاً كثيرة بما تكون مداواتها بالحديد يبرئها بذلك على اجد ما يكن ومنها ما يعالجها بالادوية ويبرئها بها ويستغني أصحابها عن الحديد . وهذا المعنى قد مدحه جالينوس في كتابه في حنة الطبيب الفاضل وقال : « رأيت طبيباً يبرئ بالادوية الادواء التي يبرئها المعالجون بالحديد بالقطع فقد ذلك على ان له علماً ودرية وحلقاً . قال : « واحد أيضاً من رأيته يبرئ بالادوية وحدها

من أدواء العين ما يعالجه غيره ، بالقطع ، مثل الظفرة^(١) والجرب^(٢) ، والبرد والماء والغلط والشعر وزيادة اللحم الذي في المآقي ونقصانه . واحد أيضاً من رأته حطل من العين مادة عتقة فيها بسرعة ، أو رد الطبقة التي يقال لها العناية بعد أن تنأت تنوءاً كثيراً إلى موضعها حتى لطئت^(٣) ، أو ظهر منه غير ذلك مما هو شبيه في علاج العين بغير حديد . هذا نص جالينوس . وقد رأيت كثيراً من ذلك وأمثاله قد تأتي لابي في المداواة وكثيراً أيضاً من أمراض العين التي قد ينس من برئها قد صلت بمداواته . كما قال فيه بعض من عالجه وبرأ على يديه وهو شمس العرب البغدادي .

| | |
|--------------------------|-----------------------------------------|
| لم يزل تنفذ طرفاً من قذى | لسديد الدين في الطب يد |
| وأماطت عن جفون من أذى | كم جلّت عن مقلة من ظلمة |
| قط الا حاذق كان كذا | لا يعالي طب عين في الورى |
| بك أضى مبصراً ذاك وذا | يا مسيح الوقت كم من أكمة ^(١) |
| وبالفاتك للروح غدا | فبأرائك للقاء دوا |
| شاكر أسرها يا حبيدا | لك عندي ممن لو انسي |

(الرمح)

وشمس العرب هو أبو محمد عبد العزيز بن النفيس بن هبة الله بن وهبان السلمي . ولم يزل أبي متردداً إلى الخدمة بقلة دمشق وإلى البيارستان الكبير النوري إلى أن توفي رحمه الله . وكانت وفاته في ليلة الخميس الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وستائة . ودفن ظاهر باب الفريديس في طريق جبل قاسيون ، وذلك في أيام الملك الناصر يوسف بن محمد صاحب دمشق . ولما كان عي عند الملك الأجدد ، وأتى إلى بعلبك الملك العظيم لنجدة الملك الأجدد عند عداوته الاستتار ، واجتمعوا كان عي يجمع معهم . ولم يكن في زمانه من يعرف الموسيقى واللعب بالعود مثله ، ولا أطيّب صوتاً منه . حتى أنه شوه من تأثر الانفس عند سماعه مثل ما يحكى عن أبي نصر الفارابي ، فكأن أعجاب الملك العظيم به جداً ، وبعد ذلك أخذه إليه واستمر في خدمته من أول جمادى سنة عشر وستائة ، وأطلق له الجامكية والجراية . ولم يزل يواصله بالافتقار والانعام ، ولا يفارقه في أكثر أوقاته . وكان يعتمد عليه في صناعة الطب . وكذلك كان الملك الكامل محمد والملك الأشرف يشمتدان عليه . وإذا حضر أحدهما عند أخيه الملك العظيم لا يزال عندهما . وكان له منها الانعام الكثير .

وأعرف مرة قد حضر الملك الكامل عند أخيه الملك العظيم ، وكان عي معها ، وكانوا في مجلس الانس فاعطى الملك الكامل له في تلك الليلة خلعة كاملة ، وخمسة دنانير مصرية . ولما كانت الملك

(١) داء في العين يشبهها منه غشائية كالظفر على بياض العين إلى سوادها (٢) كالصدا يور باطن الجفن وربما ألبس كله أو ركب بضمه (ث.د) .
(٣) لصقت .
(٤) احمى .

المعظم بدمشق ندبه أن يتولى كتابة الجيش ، واكد عليه في ذلك ، فلم يسمه إلا امتثال امره ، وقعد في الديوان وحضر عنده الجماعة والنواب ، وشرع في الكتابة أياماً . ثم رأى ان اوقاته تمر بأسرها في الكتابة والحساب ، ولم يبق له وقت لنفسه ، ولاشتغاله في العلوم العقلية وغيرها ، فطلب من السلطان ان يعفيه من ذلك . وقشعق اليه بمجاعة من خواصه حتى أقاله .

ولما كان في سنة احدى عشرة وستائة حج الملك المعظم ، وحج عمي معه . ولم يزل في خدمته الى ان اتفقت لوبة عنا في نصف شعبان سنة اربع عشرة وسبائة ، وتقدمت القرنج وتحالف الطريق بين السلطان الكبير الملك العادل وولده المعظم ، فمضى عمي صحبة الملك العادل نحو دمشق ، ومضى الملك المعظم نحو نابلس . ثم خرج عمي من دمشق صحبة الملك الناصر داود ابن الملك المعظم ، ولما وصلوا عجلون^(١) أمر برجوع ولده فرجعوا . وبعد ذلك مرض عمي مرضاً وطال الى آخر السنة المذكورة فرأى ان الحركة تضره ، وهو بالطبع يميل إلى الانفراد والاشتغال بالكتب . واستدعاه الملك العادل ابو بكر بن أيوب لما سمع بتحصيله وسيرته ، وذلك في الخامس من المحرم سنة خمس عشرة وسبائة وولاه طب البيارستانين بدمشق الذين وقفها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، فكان يتردد اليها والى القلعة . وقرر له جامكية وجراية ، واطلقت له ايضا ست الشام أخت الملك العادل جامكية في الطب ، وكان يتردد الى دارها

ولما أقام بدمشق وجعل له مجلساً عاماً لتدريس صناعة الطب ، واشتغل عليه جماعة ، وكلهم تميزوا في الطب . وكان يجتمع في ذلك الوقت مع علم الدين قيصر بن أبي الغمام بن عبد الغني ، وهو علامة وقته في العلوم الرياضية فقرأ عليه علم الهيئة ، واتقنها في اسرع وقت . ولقد كان علم الدين يوماً عنده ، وهو يريه أشكالاً في علم الهيئة وقال له وانا أسمع : والله يا رشيد الدين هذا الذي قد علمته في نحو شهر دأب غورك في خمس سنين حتى يملئه . واجتمع أيضاً عمي في دمشق بالسيد الامام العالم شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه ، والبسه خرقة التصوف ، وذلك في العشرين من شهر رمضان سنة خمس عشرة وسبائة . وهذه لسبعة ما كتبه له معها :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أنعم به المولى السيد الاجل ، الامام العالم ، شيخ الشيوخ ، صدر الدين ، حجة الاسلام ، علم الموحدين ، أبو الحسن محمد ابن الامام السيد الاجل العالم ، شيخ الشيوخ عماد الدين أبي حفص عمر بن ابي الحسن بن محمد بن حمويه ، أدام الله تأييده ، من لباس خرقة التصوف على مريده علي بن خليفة بن يونس الحزرجي الدمشقي وفقه الله على الطاعات . والبسه وأخبره انه أخذها عن والده المذكور رحمه الله ، وان والده أخذها عن ابيه شيخ الاسلام معين الدين ابي عبدالله محمد بن حمويه

رحمه الله ، وانه اخذها عن الحضرة^(١) عليه السلام . والحضر عن رسول الله ﷺ . واخذها جده
ايضاً عن الشيخ ابي علي الفارندي الطوسي ، واخذها المذكور عن شيخ وقته ابي القاسم الكركاني
واخذها ابو القاسم عن الاستاذ الامام ابي عثمان المغربي . واخذها ابو عثمان عن شيخ الحرم ابي عمرو
الزجاجي ، واخذها المذكور عن سيد الطائفة الجنيدي^(٢) بن محمد ، واخذها الجنيدي عن خاله مري
السطفي^(٣) ، عن معرف الكرخي^(٤) ، عن علي^(٥) بن موسى الرضا عليه السلام ، وصحبه وتآدب
به ، وخدمه . واخذ علي عن ابيه موسى^(٦) بن جعفر الكاظم ، عن ابيه جعفر^(٧) بن محمد الصادق ،
عن ابيه محمد^(٨) بن علي الباقر ، عن ابيه علي بن الحسين زين العابدين^(٩) ، عن ابيه علي بن أبي
طالب عليه السلام . واخذها علي كرم الله وجهه عن سيد المرسلين وامام المتقين نبينا محمد عليه افضل
الصلاة والتسليم . واخذ معروف ايضاً عن داود الطائي ، عن حبيب المعجمي عن سيد التابعين الحسن
البصري^(١٠) عن علي عليه السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان لباسه الخرقه أعاد الله عليه
من بركاتها ، وعل جميع من تشرف بها في العشرين من شهر رمضان سنة خمس عشرة وستائة بدمشق
المهروسة . »

وبين الاسطر بخط المولى صدر الدين شيخ الشيوخ ما هذا مثاله : « ألبست الخرقه المذكور
وفقه الله تعالى . » وكتب ابن حويه ابو الحسن بن عمر بن ابي الحسن بن محمد في شهر رمضان سنة
خمس عشرة وستائة ، حامداً لربه ومصلياً على رسوله ، ومستغفراً من ذنوبه . ولما كان في سنة ست
عشرة وستائة ، وصل الى عمي كتاب من الملك الصالح اسماعيل ابن الملك العادل بخطه ، وهو يطلب
منه ان يتوجه اليه الى مدينة بصرى^(١١) ليمالج والدته ، وعرضي آخر عنده ويعود . وكان قد
عرض في بصرى وباء عظيم فتوجه اليه وعالج والدته ، فصلحت في مدة يسيرة ، وانعموا عليه بالذهب
والخلع . وعرضت لمعي حمى حادة فعاد الى دمشق ، ولم يزل المرض يترايد به ، وأعيان الاطباء

(١) احد الانبياء الذي ارشد موسى . وقد حظي عند الصوفيين بركز ممتاز ويطلق عليه التصاري اسم القديس جرجس
او هو النبي ايليا .

(٢) زاهد بغدادي عرف بشيخ الطائفة الجندية وطائروس الطاه في سنة ٩١٠ هـ . د . ر »

(٣) صوفي ممل جنيد . قال يخلق احرف القرآن ، وان الحيين يفرقون في التميم أتباع موسى وعيسى ومحمد . توفي في بغداد
سنة ٨٧٠ هـ .

(٤) هلك متصرف مشهور في بغداد وغيره في بغداد مزار السامة . توفي سنة ٨١٥ هـ . وهو استاذ السطفي .

(٥) الامام الثامن عند الشيعة الاثني عشرية (٧٦٥-٨١٨) قبره في مشهد - خراسان .

(٦) الامام السابع دفن في مقبرة قريش الكبرى قرب بغداد سنة ٧٧٩ هـ فسميت بالكاظمية تيمناً باسمه .

(٧) ابو عبدالله الامام جعفر الصادق سادس الاثني عشرية . توفي بالمدينة ودفن بالبقيع . وكان من طاه الكيمياء .

(٨) خامس الاثني عشرية ابو جعفر وعليه الباقر وذلك لانه بقى العلم بقرآنه في سنة ٧٣٦ هـ .

(٩) رابع الاثني عشرية وابن الامام للشهد بنية سيف الامويين توفي سنة ٧١٠ هـ .

(١٠) ولد في المدينة وتوفي فيها (٦٤٢-٧٢٨) واستقر في البصرة . وكان ورعاً تقياً متكشفاً له اثره العظيم في الحركة
الدنيوية في الاسلام .

(١١) بلدة مجوران تدل آثارها العظيمة على ما كان لها من مجد في قديم الزمان . وهي اول مدينة فتحها العرب في بلاد الشام
على يد خالد بن الوليد .

ومشايعهم يلازمونه ويعلقونه الى ' ان انقضت مدة حياته . وكانت وفاته رحمه الله في الساعة الثانية من يوم الاثنين سابع عشر شبان سنة ست عشرة وسبائة ، وله من العمر ثمان وثلاثون سنة ، ودفن عند ابيه واخيه في ظاهر باب الفراديس .

ومن كلامه في الحكمة ، بما سمعته منه ، رحمه الله ، فمن ذلك « وصية اول النهار » قال : قد أقبل هذا النهار وانت فيه مهياً لكل فعل ، فاختر لنفسك أفضلها لتوصلك الى افضل الرتب ، وعليك الخير فانه يقربك من الله ويحببك الى الناس . واياك والشر فانه يبعدك عن الله ويبغضك الى الناس . وافعل ما تحاسب نفسك عليه عند انقضاء هذا النهار . والحذر من ان يغلِبَ شر على خيرك . وليس الفضل من بقي على حالة الطبيعة مع عدم المؤذيات بل الفاضل من بقي عليها مع وجود المؤذيات . والانتفاع عن الناس اكبر مانع للاذى . واقبل وصايا الانبياء ، واقتد بافعال الحكماء . وعليك بالصدق فان الكذب يصغر الانسان عند نفسه فضلاً عن غيره . واحمل تشكرك ، وتفضل فان الحمد يسبب الهم ، ويوقع في العداوات والشرور ، وكذلك الحسد . وتجنب الاصرار تكف الاذى ، وابعد عن ارباب الدنيا تكف الاصرار . واقع من دنياك بما تدفع به ضرورة بدنك . واعلم ان نهارك هذا قطعة تذهب من حياتك ، فانفها فيما يعود عليك نفعه . واذا اندفعت ضرورة بدنك اقض باقي نهارك في مصلحة نفسك ، وافعل بالناس ما تشتهي ان يفعله بك . واياك والغضب والمبادرة الى الانتقام من المفسد او الانفصال عنه ، فانه ربما اوقع في الندم . وعليك بالصبر فانه رأس كل حكمة .

وصية اول الليل

قد انقضى نهارك بما فيه ، وأقبل عليك هذا الليل . وليس لك فيه فعل بدني ضروري ، فاعطف على مصلحة نفسك بالاشتغال في العلم ، والفكر في الاطلاع على الحقائق . ومهما استطعت اليقظة في ذلك فافعل . فاذا أردت النوم فاجعل في نفسك ملازمة ما انت فيه لتكون رؤياك من هذا الجنس ، وافعل ما تحاسب نفسك عليه عند الصباح . واحرص ان تكون في غدك أفضل من يومك المتقضي . واياك ان تجذبك الطباع الى الفكر فيما عاينته في نهارك من احوال ارباب الدنيا فتضيع وقتك ، وتتفتح لك أبواب الحداق والحيل والمكر في تحصيل امور الدنيا ، وتظلم نفسك ، وتفسد حالك ، وتبعد عن الحقائق ، وتكتسب الاخلاق المبهومة ، ويمسر تخلصك منها . لكن اعلم ان هذه اعراض زائلة لا فائدة فيها ، وان ضرورات الانسان قليلة جداً ؛ وفكر فيما يعود على نفسك نفعه . ونهياً للغفاه الله فان عليك بوقتك متى يكون ، مستوراً عنك ، وما جاؤوك في ان يأتي يوم آخر عليك أقوى من هملك أن تموت في هذه الليلة ، فودع بالثبات على ما تنتفع به بعد المفارقة . والسلام .

وقال : « احترم المشايخ ولو سكتوا عن جواب سؤالك » فعمل ذلك لبعد العهد وكلال القوى ، أو لانك سألت عما لا يعنيك ، أو معرفتهم بسجز فهمك عن الجواب . واعلم ان قوائدك منهم اكثر من ذلك .

وقال : « اشتغل بكلام المشهورين الجامعة أولاً ، فاذا حصلت الصناعة ، فاشتغل بالكتب الجزئية من

كلام كل قائل عارياً عن حجة أو بنية ، ثم زنه بالقياس ، وامتنعنه ان امكن بالتجربة ، وحشد
اقبل الصحيح . وان اشكل فاشرك غيرك فيه ، فان لكل ذهن خاصية يمان دون ممان .

وقال : « اذا اقدمك الافاضل تقدم ، والا تأخرت .

وقال : « اطلب الحق دائماً تحفظ بالعلم لنفسك ، وبالهمة من الناس .

وقال : طابق أعمالك الجزئية ما في ذهنك من القانون الكلي يتيقن علمك ، وتجود تجربتك ، وتناكد
تقدمة معرفتك ، وتكثر منافحك من الناس .

وقال : « اشتغل من الكلام بما قصد قائله التعليم ، فاذا حصلت الصناعة فاكدها بالاستغفال بكلام
عبي الحق مبطلي الباطل ، فاذا تبرهن علمك وتيقن بحيث لا تندح فيه التكوك ، لا بضرك حينئذ في
بعض اوراقك مطالعة كتب المتشككين والجدلين . فان قصدك اظهار قوتهم فيما يدعون ، سواء كانوا
يعلمونه علماً يقيناً أم لا ، وسواء كان ما يدعونه حقاً أم باطلاً .

وقال : اذا تطببت فاتق الله ، واجتهد ان تعمل بحسب ما تعلمه علماً يقيناً ، فان لم تجد فاجتهد
أن تقرب منه .

وقال : اذا وصلت الى رتبة المسلمين فلا تمتع مستحقاً وهو الماقل الذكي الخير الحكيم النفس ،
وامنع من سواء .

وقال : « اذا رأيت ادوية كثيرة لمرض واحد فاشتر اوفقها في حال حال .

وقال : « الامراض لها اعمار ، والمعالج يحتاج الى مساعدة الاقدار . واكثر صناعة الطب حدس
وتخمين ، وقما يقع فيه اليقين . وجزأها القياس والتجربة ، لا السقطة وحس الغلبة ، وتبجتها حفظ
الصحة اذا كانت موجودة ، وردها اذا كانت مفقودة ، وفيها يتبين سلامة الفطر ، ودقة الفكر ،
ويتميز الفاعل عن الجاهل ، والمجد في الطلب عن التسكسل ، والعمل بمقتضى القياس والتجربة ، عن
الحنال على اقتناء المال وعلو المرتبة .

وقال : « ان بالعلم من الطول وعسر الحصول ، ولو سلك فيه الايماز والبيان جهد الأمان ، مع
طول الاعمار ودقة الافكار ، وتعاون البشر وسلامة الفطر ، ما يعجز الناظر ويندب الحاطر .

وقال : « انظر الى افعال الطبيعة اذا لم يعها عائق ، واقتد بها في افعالك .

وقال : « ما أحسن الصبر لولا ان للتنقة عليه من العمر .

وقال : « كلما انتظر الشيء استبعد زمانه ، واستقل مقداره .

وقال : « الخير منتظر ، فالظن فيه قليل .

وقال : « الظلم في الطباع ، وانما يترك خوف معاد ، أو خوف سيف .

وقال : « لا تتم مصلحة إلا بفاسد .

وقال : الفاسدون مصالحهم اكثر من المشفقين على مخلوقات الله تعالى بأضمان مضاعفة .

وقال : « ان شئت الخاف بين الناس مظلوماً فاحترز منهم » أو غير مظلوم فاطلمهم . واما الحال الوسطى فلا تطمع بها .

وقال : « الانقطاع أفضل اوقات الحياة » وقال : « الانقطاع أفضل السير » وقال : « الانقطاع نتيجة الحكمة » .

وقال : الارداء يطلبون مع من يفنون نهارهم في الحديث واللغو والبطالة ، وانهم متى خالوا بانفسهم تألموا بما يجدونه في انفسهم « من الرذالة » والاخير على خلاف ذلك لانهم يأنسون بانفسهم .

وقال : اصل كل بلية الرغبة في الدنيا . وقال : طالما يلبث الناس عن مصالحهم لتشبههم بالدنيا ففاتتهم . وقال : عجيبي لمن لا يعلم متى يموت ويعتقد سعادة وشقاء على أي حال كانت : كيف يركن الى الدنيا ويعمل للمهم من أمره . وقال : ما اكثر الملتذين بالآمال من غير الشروع في بلوغها .

وقال : الآمال أسلام اليقظان . وقال : لكل وقت أشغال كثيرة فليفضل فيه أهمها . وقال : كيف حال من يعمل مهاته في اوقاتها مؤملاً ان ستأتي اوقات اخرى لها مدافماً من كل وقت الى غيره ، الى ان يموت مؤملاً . وقال : ما دمت في حال تقدر على تدبير جسدك ورياضة نفسك ، بحسب استعدادها ، غير مقار ولا مسرف فلا تلتفت الى غيره . فان لك محركاً لو رمت السكون لما أمكنك . وكم من منتقل الى حال خالها أفضل فالها أفس . وقال : لا تهاد للسعيد ففقد السعيد الشقي . وقال : ان اللقي كل من عدوين منه على الآخر فاسدتهما جداً يقهر عدوه . ولذلك أمر بإجماع المهم عند طلب الامور العظيمة لتقوم مقام الهمة الواحدة المأنة بالتأييد الساوي . وقال : احرص على اتخاذ الناس اخواناً ، وإياك وسهام الهم فانها صائبة . وقال : احذروا أذية العلماء فانهم آل الله . وقال : ما ظلم ذو علم حليفي الا كشف الله غلامته ونصره ، وخذل ظلمة قريباً .

وقال : ان الله أحباباً يحرسهم بعينه التي لا تنام هم العلماء . وقال : العلماء هم السعداء على الحقيقة . وقال : سعداء الدنيا على اصطلاح الجمهور ، ما لم تصدر عنهم الخيرات فهم الانرار . وقال : قد ينطق انسان في وقت ما بالحكمة ، فاذا طلب من نفسه ذلك في وقت آخر لم يجده . وقال من صاحب الجهال على جهالاتهم ، وجذبه حب الدنيا الى الحضور في مجالسهم فساله شرم فليسلم نفسه . وقال : أصلح الميزان ثم زن به . وقال : اذا صرت ذا عقل هيولاني صرت انساناً بالفعل بقول مطلق . وقال : ثق بملك اذا لم يقدم فيه الاعتراض . وقال : نعم الرأي للواحد . وقال نعم الرأي المتناسب . وقال : العمل في الرأي بحسب غاية تصدر به ، لا بحسب المصلحة المطلقة . وقال : نعم الرأي الحادث بين المستشير الصادق ، والمستشار الأمين الماقل .

وقال : لا تثق إلا بمنقذ في شيء ما يرجوه ، وبخافه متيقن انه لا حق إلا اعتقاده . فاما الشاك فيا يعتقد ، او من لا يعتقد شيئاً البتة فلا تثق به ، ولا تتخذة صاحباً . وذلك المتقصد المتيقن اعتقاده ان كان غير اهل ملكك فاحذره ايضاً لانه يعتقد فيك الكفر بمعتقدك فيتخذك عدواً فيفعل بك فعل الاعداء . وقال : ثق بالدين من اهل دينك . وقال : تيقن ان صحة

الاعتقاد سبب للملازمة الأعمال الدينية وملازمة الأعمال الدينية قد تكون دليلاً على ثبوت صحة الاعتقاد ؟ وقد يفعلها فاعلها دائماً لغيره ، غير عالم بشيء آخر ؟ وقد يفعلها تلقيةً ، وعلامتها إذا كانت تابعة لتبني صحة الاعتقاد ظهور الآثار الالهية عليها ، وعدل سائر سيرة فاعلها من نفسه مع جميع المخلوقات .

وقال : الحرية نعم العيش . وقال : للقناعة باب الحرية . وقال : من قدر على العيش الكفاف بحسب ضروراته ، ثم ملك نفسه لغير رغبة في فضول العيش فهو أحقّ الحقاء . وقال : ما أقل ضرورات الانسان لو انصف نفسه . وقال : اجتنب الالف بأهل الدنيا فانهم يشغلونك ان وجدتهم ، ويجزئونك ان فقدتهم . وقال : اصحب عند ضحكك من تبعدك صحبته بما كنت فيه . وقال : فقد الخليل مؤذن بالرحيل . وقال : الحكم ان أسأت اليه او توهم انك أسأت اليه وان لم تسيء ، فقد تقتنع عنده بالنتصل ان كنت بريئاً وبالاختذار ان كنت مسيئاً . فاما الحقوق فمتى اشعرت بأنه توهم منك اساءة ، عدم نفع أو مخالفة أمر ، فاحذره فانه لا يزال في خاطره التدبير في اذيتك .

وقال : الاصدقاء كنفس واحدة في اجساد متفرقة . وقال : الطبيب مدير لبدن الانسان من حيث هو مقارن لنفسه ، لا من حيث هو بدن انسان بالقول المطلق . وهذا التركيب من اشرف التركيب فيلبيغي ان يكون معانيه من اشرف الناس . وقال : المال مفناطيس أنفس الجاهلاء ، والعلم مفناطيس أنفس العقلاء . وقال : رأيت الجاهلاء يعظمون أرباب الاموال ، مع ثبوتهم انهم لا يلبونهم منه شيئاً إلا ثمن متاع ، أو اجرة صناعة ، كما ينالونه من الفقراء . وقال : خير الملاء من ناسب علمه عقله . وقال : اذا امكن الانقطاع عن الناس بأقل المنعمات فهو أفضل الاحوال . وقال : اذا كنت تشفق على مالك فلا تنفق شيئاً منه إلا في المهم ، فاحرى ان تفعل ذلك في عرك . وقال : الحكمة الاقتداء بالله تعالى . وقال : انما يطلع الانسان على عيوب نفسه من اطلاعه على عيوب الناس . وقال : اذا لزمت نفسك الخلق الجليل فكأنك اكرمتها غاية الكرامة ، وذلك انك اذا لم تغضب مثلاً والناس كلهم يفضبون فأنت أفضل الناس من هذا الوجه . وقال : بقدر ما لكل ذات من الكمال لها من اللذة ؛ بقدر ما في كل ذات من النقص فيها من الالم . وقال : اكثر من مطالعة سير الحكاء واقتد منها بما يمكن الاقتداء به في زمانك . وقال : قو نفسك على جسديك . وقال : أصلح كيفية الغذاء واقتصد في كسبه . وقال : اكتف من غذاء الجسم بما يحفظقواه ، واياك والزيادة فيها واستكثر من غذاء النفس . وقال : غذاء النفس بالمعوم على التدرج فابتدئ بالسهل القليل وتدرج ، فانها تشناق حين تغوى ، وتمتد الى الصعب الكثير ، فإذا صار لها ملكة سهل عليها كل شيء . قال : اللذة القوية تهضم جميع ما يرد اليها من أنواع الاغذية ؛ والنفس الفاضة تقبل جميع ما يرد عليها من المعوم . وقال : ما لم تطلق التوحد فأنت مضطر الى مصاحبة الناس . وقال : صاحب الناس بما يرضيهم ، ولا تطرح جانب الله تعالى .

وقال : كتب بعضهم الى شيخه يشكو تمرر اموره فكاتب اليه : إنك لن تنجو مما تكره حتى تصبر عن كثير مما تحب ؛ ولن تنال ما تحب حتى تصبر على كثير مما تكره . والسلام . وقال : اشكر المحسن ومن لا يسيء ، واعتذر الناس فيما يظهر منهم ولا تلهم ، فلكل من الموجودات طبع خاص . وقال : استحسن للناس ما تمتحسنة لنفسك ، واستعقب لنفسك ما تستعجبه

لهم . وقال : لا تحل فملا من افمالك من تقوى الله تعالى . وقال : اطع الله محققاً يطعك الناس . وقال : لا شيء انجح في الامور من الهمة الصادقة . وقال : خذ من كل شيء ما يوصلك الى الغاية التي وضع من اجلها . وقال : كل ما يحصل بالعرض فلا تثق به .

وقال : اخضع للناس وخاصة العلماء والمشايع ، ولا تزدر أحداً ، فطالما كنتم العالم علمه لينتخير له من يودعه اياه كما ينتخير الفلاح الارض . وقال : اشتغل من كل علم بكلام أربابه الأول . وقال : استكثر من العناية بالكتب الالهية المنزلة فيها كل حكمة . وقال : أكثر من صحبة المشايخ فاما انت تستفيد من علمهم واما من سيوتهم . وقال : اذا تأملت حركات الفضلاء وسكناتهم وجدت فيها حكماً جمّة . وقال : رأيت اللهم عند اكثر الناس ما يحتلبون به المال . وقال : ما اكثر ما يسمع الناس الوصايا النبوية والحكمية ، ولا يستعملون منها الا ما يحتلبون به المال . وقال : ما اشد ركون الناس الى اللذات الجسائية .

وقال : لا تحل وقتك الحاضر من الفكر في الآتي . وقال : من لم يفكر في الآتي أتى قبل ان يستعمله . وقال : القناعة سبب كل خير وفضيلة . وقال : وبالقناعة يتوصل الى كل مطلوب . وقال : القانع مساعد على بلوغ مآربه . وقال : اقصد من الكمال الانساني الغاية القصوى ، فان لم يكن في قوتك الوصول اليها فانك تصل الى ما في قوتك ان تصل اليه ، واذا قصدت الكمال التالي لكمالك آملاً اذا وصلته ان تقصد ما يليه ، فربما ركنت الى الراحة وقنعت بدون ما تستحقه . وقال : احرص على ان لا تحل بشيء من العبادات البدنية فانها نعم المعين الموصل الى العبادات النفسانية . وقال : كفى بالوحدة شرفاً ان الله تعالى واحد . وقال : كلما تمحضت الوحدة كنت أشرف ، لان وحدة الله تعالى لا يشوبها كثرة من وجه أصلاً . وقال : اعتصم بالله تعالى ، وتوكل عليه ، وثق به محققاً ، يحرسك ويكفيك كل مؤونة ، ولا ينجب لك ظناً . وقال : اجعل الله عضدك ، وأهلها اخوانك ، ولا تركز الى الدول ، فان الملل هي الباقية . وقال : عود نفسك الخير علماً وعملاً تلقى الخير من الله تعالى ، ومن الناس عاجلاً وآجلاً . وقال : لا تطمع بالانقطاع ما دام لك ادنى طمع . وقال : لو وقف الضيف عند قدره لأمن كثيراً من الاخطار . وقال : ليت شعري بما أعتذر اذا علمت ولم أعمل ، أرجو عفو الله تعالى .

ومن شعره وهو مما سمعته من لفظه رحمه الله فمن ذلك قال :

| | |
|-------------------------------|---------------------------|
| يا صاحبي سلا الهوى وفراني | ماذا تريد من مشوق عاني |
| لا تسألاه عن الفراق وطعمه | ان الفراق هو المات الثاني |
| فأدى الحداة دنا الرحيل فودعوا | فطبع في قلبي وفي خللي |
| وسرت ركائبهم وقد غسق الدجى | فأضاء من سار في الاظلمات |
| ما كنت أعلم ان بعدك قاتلي | حتى فعلت وغرني سلواني |
| ويكيت وجداً بعد ذاك فلم أجد | أني وقد صار اللقاء أماني |

(الكامل)

وقال في صفة مجلس :

سقى ليوم تم السرور بنا
والدهر ولت عنا حوادثه
بمجلس كامل الحاسن لو
فكاهة بيننا وفاحشة
بين ندامى مثل الشمس لهم
حديثهم لا يمل ساعده
أخوان صدق صفت خيائهم
أهل سماح ما ان يزال لهم
نشد أغزلنا ونلفزها
في يوم دجن^(١٧) تهمي سحائبه
وعند منقل لئلا في
تجاهه شامت وفي يده
كانه اذ غدا يلقبه
ظلت كؤوس المدام طاردة
لنر ما بيننا الحديث ولا
فأ تراءى عين لذي بصر
وأطيب العيش ما نكتمه
يا يومنا هل راءك ثانية

فيه وكأس للشول تجمعنا
ونحن في لثة ونيسل منى
به يمل الجنيد لاقتنا
وكأس راح وراحة وغنا
علم وفضل ورفعة وسنا
لطيبه المين تحسد الاذنا
أولو عفاف لا يضمرون خنا^(١٨)
صنع له في الانام طيب ثنا
باسم غزال أضحى يفازلنا
كانها كف رب منزلنا
أرجائه النار فهي تدفئنا
طير كصب لديه ذاب ضنا
في النار قلبي الذي قد اربتنا
لهم حيث السرور عكرنا
نبديه خوف الوشاة تسمنا
الا عيون الجباب ترمقنا
خوفا وان كان سرا طنا
بمعلبك أم تعود لنا

(المنسرح)

وقال أيضاً :

يا صاح ضاع نسكي
وصحيف يسلم ديني
بكل اهيف لندن
يرو بصارم لحظ
كأت في فيه خمرأ
جدلان يضحك تيسأ
ولا يرق اذا ما
وزادني زور واش
ما راقب الله لما

مد صرت في بعلكي
بمد افتتاني وهتكى
القوام للبدر يحكي
ماسل الا لفتكي
شيت بشهد وصك
اذا رأي ابكي
خضمت عند التشكي
وشى اليه بافك
سمى اليه يلكي

(١) الفسق والنجور (٢) مظلم .

فصار في ملهـب الحب

مالكـي وهو ملكـي

(البسيط)

وقال ايضاً

سر المحب بدمعه اعلات

فتى يكون مع الورى كنان

أرأيت يا صاحبي قتي كـ ل له الاسود تلة النزلان ؟

عشق ولكن الهوى سلطان

ما كنت بمن يسارق غواده

ودجاؤنا قد أمه الهجران

مولاي ان الهجر بعد تواصل

يا من جميع فعاله احسان

هل ترحم الصب الكتيب بزورة

طلق الهيا قلبه ولهان

تلغى فتى رجب الفنا ذا عفة

(الكامل)

وقال ايضاً :

أفندي رشيق القند ليس له

في الحين والاحسان من ند

وسنان ، ما لجفون عاشقه

من رائد التسيد ، من بد

وكان ريقه ممتلة

مشولة بالماء والتد

لكنه أضحى يمارضني

بالحب والاعراض والصد

فلأصبرن على ملاته

ففى عليه تصبري يحدي

(الكامل)

وقال ايضاً :

قد رق لي ورق الهوى في لعل

بالنوح في الدوح ففاضت أدمعي

أحست وراء من حنين قلبها

ونحت فرح فاكل مفعج

ودعتهم ثم رجعت عادمأ

قلبي وهم يا خيبة المودع

وقلت يا روحي بيغي فلقد

بانوا وإن لم يرجعوا لا ترجعي

(الرجز)

وقال ايضاً :

اسفت زما يحدي التأمف والوجد

ونحت على نجد وقد اقفرن لنجد

وسار بمن أهوى الركاب وادمعي

تقبض وقالوا مت فهذا هو الفقد

حزمت للجد العيش بعد فراقه

وبالرغم مني ان يطول به العهد

(الطويل)

وقال ايضاً :

أبخل بالتحيّة والسلام

فديتك لم وأنت أبو الكرام

لتضحى فيه مقبول الصيام
ولا تهز به رمح القوام
يحل القتل في الشهر الحرام
(الزاخر)

اتي رمضان فافعل فيه شيراً
ولا تشهر حسام العظ فيه
أما تحشى من الرحمن يا من

وقال لفرأ في أبو الكرام

فكر فقد جئتك بالمشكل
أعدادها فافهم ولا تتفل
المسروق والرابع كالاول
وعشرة السادس فساظهره لي
خامسه كالثالث الافضل
معرفة فاعبر ولا تطل
(السريع)

يا سائلي عن لسني حلا
فو تسعة تعد لها شاء في
ولامن الاحرف كالرابع
والسابع التاسع في خمسة
وعشر فانية اذا كان في
هذا اسم من اهوى فان كنت ذا

وقال لفرأ في ابو الكرام

خوف الرقيب ولكفي أحميه
في نصف سدس لها فافهم معانيه
وعشر سادسه ماله لثانيه
والرابع الاول المعروف يحكيه
اني فديتك مها عشت اخفيه
(البسيط)

يا سائلي عن حبيب لا اسميه
مركب الاسم من ستين قد ضريت
وخمس سابعه ضعف لسادسه
وفاك الاسم في هاء كخامسه
هذا اسم سؤلي فلا تفصح بأحرفه

وقال ايضاً لفرأ فيه :

وخمسه لام وإله وكلف
وربمه مثل اللان الطراف
كنصف انها قياساً كفاف
الخمس والرمز كاف
هذا الذي أورث جفني الرعاف
أقصده منه وقسم مضاف
أوتي على مثل افتتاني عفاف
(السريع)

فديت من نصف اسمه جدر قاف
وسادس الاحرف في نصفه
وضعف فاني الاسم في خمسة
والسابع الثلاث والثالث
والرابع الاول يا سيدي
وهو على قسمين احداهما
هذا اسم من اهوى فهل عاشق

وقال لفرأ في أتش :

مهلاً فاني طول النهر أخفيه

يا سائلي عن الاقار تحكيه

مركب الاسم من ثاء ومن ألف
وأول الاسم عشر الياء فاصح لا
ومدس ثالثه نصف لثانيه
أقول واكتبه اني لا اسميه
(البسيط).

وقال :

حرم بعد القوم آراه
ودع من حواه ثم انشئ
قال له صاحبه هكذا
صب غدا يندب ما صاحبه
يمالج الموت واسابه
جزاء من فاروق احبابه
(السريع)

وقال ايضاً :

سعرتي كالمرآة يبصر منها
فيسر الجليل حمن يوافي
فديم الجليل رؤيته فيها
وكذا لا يل في من بني الدنيا
شبه ذو الجلال والقيح حقا
ويسوه القبيح قبح يلقي
وينأى عنها القبيح الاشئ
سوى الأكرمين طبعها وخلقا
(الحفيف)

وقال ايضاً :

ثلاثون عاماً من حياتي مضت وما
تماندني الايام محمداً وانني
تفريت من حظي بكل فضيلة
الا ان يأس النفس أوفق لفتى
يشت ولا تولت بعض مطاوي
صبور على البؤى مضيع الجوانب
وفضل فجازاني بضيق المذاهب
واطيب من نجوى الاماني الكواذب
(الطويل)

وقال ايضاً :

هي الدنيا فلا تغار منها
بشيء انه عروس يزول
(الوافر)

ولعمري رشيد الدين علي بن خليفة من الكتب : كتاب الموجز المفيد في علم الحساب ، اربع مقالات ،
ألفه للملك الامجد صاحب بعلبك ، وذلك في شهر صفر سنة ثمان ومائة ، وفيه في الخيم بالطور . كتاب
في الطب ، ألفه للملك المؤيد نجم الدين مسعود بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وقد
استقصى فيه ذكر الامور الكلية من صناعة الطب ، ومعرفة الامراض واسبابها ومداواتها . كتاب
طب السوق ، ألفه لبعض تلامذته وهو يشتمل على ذكر الامراض التي تحدث كثيراً ومداواتها بالاشياء
السهلة الوجود التي قد اشتهر التداوي بها . مقالة في نسبة النبض وموازنته الى الحركات الموسيقارية .
مقالة في السبب الذي له خلقت الجبال ، ألفها للملك الامجد . كتاب الاصطفاة . تعاليق وبحريرات
في الطب .

بدر الدين ابن قاضي بعلبك

هو الحكيم الاجل العالم الكامل بدر الدين المظفر ابن القاضي الامام مجد الدين عبد الرحمن بن ابراهيم . كان والده قاضياً بعلبك ، ونشأ هو بدمشق ، واشتغل بها في صناعة الطب . وقد جمع الله فيه من العلم الغزير والذكاء المفرط والمروءة الكثيرة ما تعجز اللسان عن وصفه . قرأ صناعة الطب على شيخنا الحكيم مذهب الدين عبد الرحيم بن علي رحمه الله ، واقتنها في أسرع الأوقات . وبلغ في الجزء العلمي والعملي منها الى الغايات ، وله همة عالية في الاشتغال ، ونفس جامعة لحاسن الحلال . ووجدت له في اوقات اشتغاله بن الاجتهاد ما ليس لغيره من المشتغلين ، ولا يقدر عليه سواه أحد من المتطيين كان لا يخلو وقتاً من التزديد في العلم والعناية في المطالعة والفهم . وحفظ كثيراً من الكتب الطبية والمصنفات الحكيمة . ومما شاهدته من علومه وجودة قريحته : ان الشيخ مذهب الدين عبد الرحيم بن علي كان قد صنف مقالة في الاستفراغ ، وقرأها عليه كل واحد من تلامذته . وأما هو فانه شرع في حفظها ، وقرأها عليه من خاطره غالباً من أولها الى آخرها . فاعجب الشيخ مذهب الدين ذلك منه . وكان ملازماً له مواظباً على القراءة والدرس .

ولما خدم الشيخ مذهب الدين الاشرف موسى ابن الملك العادل ، وكان في بلاد الشرق ، وسافر الحكيم مذهب الدين الى خدمته وذلك في سنة اثنتين وعشرين وسبائة ، توجه الحكيم بدر الدين مع الشيخ مذهب الدين ، ولم يقطع الاشتغال عليه . ثم خدم الحكيم بدر الدين بالرقعة في البيارستان الذي بها ، وصنف مقالة حسنة في مزاج الرقة وأحوال أهويتها ، وما يقلب عليها . واقام بها ستين ، واشتغل بها في الحكة على زين الدين الاعمى رحمه الله . وكان اماماً في العلوم الحكيمة . ثم أتى بدر الدين الى دمشق . ولما تملك الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين مودود ابن الملك العادل دمشق وذلك في سنة خمس وثلاثين وسبائة استخدمه وكان حطياً عنده مكيناً في دولته معتمداً عليه في صناعة الطب ، وولاه الرياسة على جميع الاطباء والكهالين والجراحين . وكتب له منشوراً بذلك في شهر صفر سنة سبع وثلاثين وسبائة ، فجدد من محاسن الطب ما درس وأعاد من الفضائل ما دثر ، وذلك انه لم يزل محباً لفعل الخيرات ، مفكراً في المصالح في سائر الاوقات .

ومما وجدته قد صنعه من الآثار الحسنة التي تبقى مدى الایام ، وقال بها من الثوبة أوفر الاقسام انه لم يزل مجتهداً حتى اشترى دوراً كثيرة ملاصقة للبيارستان الكبير الذي انشاء وقفه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله . وتم في ذلك تعباً كثيراً واجتهد بنفسه وماله حتى أضاف هذه الدور المشارة اليه وجعلها من جلته ، وكبر بها قاعات كانت صغيرة للرعى ، وبناها أحسن البناء ، وشيدها ، وجعل الماء فيها جارياً . فتكفل بها البيارستان واحسن في فعله ذلك غاية الاسان . ولم يزل يدرس صناعة الطب . وخدم أيضاً الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل ، لمداواة الأدر السعيدة بقلمة دمشقي ، ومن يلودها والتردد الى البيارستان ومعالجة المرضى فيه . وكتب له منشوراً برياسته أيضاً على جميع الاطباء ، وذلك في سنة خمس وأربعين وسبائة .

وخدم أيضاً لمن أتى بعده من الملوك الذين ملكوا دمشق ، وله منهم الجاري المستمر ، والراتب المستمر ، والمزلة العلمية والفاضل السنية . وهو ملازم التردد الى القلعة والبيارستان ، ودائم التزايد في العلم في سائر الازمان . ومما وجدته من علو همة وشرف أرومته ، انه تجرد لعل الفقه فسكن بيتاً في المدرسة القليجية التي وقفها الأمير سيف الدين علي بن قليج رحمه الله ، وهي مجاورة لدار الحكيم بدر الدين فقراً للكتب الفقهية ، والفنون الادبية ، وحفظ القرآن حفظاً لا مزيد عليه ، وعرف التفسير والقراءات حتى صار فيها هو المشار اليه . واشتغل بذلك على الشيخ الامام شهاب الدين أبي شامة رحمه الله . وليس للحكيم بدر الدين دأب إلا العبادة والدين والتفكير لسائر المسلمين . ولم يزل يبلغني تفضله ويصاني انماه وتفضله . وكان وصل الي من تصنيفه كتاب مفرح النفس ، فكتبته اليه في رسالة : « وقف المملوك على ما أودعه مولانا الحكيم الامام العالم بدر الدين ايد الله سعاده ، وادام سيادته ، في كتابه المعجز ولفظه الموجز الموسوم بمفرح النفس ، الموجد للسرور والانس ، الذي أربى به على القدماء ، وعجز سائر الاطباء والحكماء ، وتقلبت الادوية القلبية منه فرقاً ، وصار الرئيس مرئوساً في هذا المرتقى . ولا غرو صدور مثله عن مولانا وهو شيخ الاوان وعلامة الزمان . فانه يجعل حياته مقروناً بها السعادة ، ويلاً الافاق من تصانيفه لتكثر منها الافادة .

وكتبته في هذه الرسالة اليه هذه الابيات ونظمتها بدنيا

| | |
|-----------------------------------|------------------------------------|
| تكاثر لنور بدر الدين تحفى | طلعة الشمس |
| حكيم فاضل حبر | غريفي الخيم ^(١) والتفنن |
| وأدرى الناس في طب | وعلم التنبؤ والحسين |
| خبير بالتداوي عن | يقين ليس عن حدس |
| فمن بقراط والشيخ | من اليونات والفرس |
| فكم أوجد من بره | وكم أفلح من عكس |
| سما في الرأي عن قيس | وفي الالفاظ عن قس |
| وقد أهدى الى قلبي | كتاب مفرح النفس |
| كتاب حل تأييد | به في عالم القدس |
| تجلى نور منناه | لنا في ظلمة النفس |
| وما احسن زهر الخط في روض من الطرس | |
| بدت أبكار افكار | فكان الطرف في عرس |
| وما أكثر لي فيه | من الراحة والانس |
| وقد قابلت ما يحويه | بالقبيل والدرس |

(١) الطيبة والسجدة .

فاجني منه اثماراً حلت من طيب الفرس
(الهزج)

وما كتبته اليه أيضاً في كتاب

مولاي بدر الدين يا من له
ومن علا في الجهد حتى لقد
ومن اذا قال فمن لفظه
شوقي الى لقاءك قد زاد عن
لم تخل عن فكري ومالي بما
فضائل تلي واحسان
قصر عن عليه كيوان
يسحب ذيل الهي سبحان
حد وصدق الود برهات
أنمت طول الدهر نسيان
(السريع)

أدام الله أيام المجلس السامي ، الاجلي المولوي ، الحكيمي العمالي ، الفاضلي الصدري ، الكبير
المهدومي ، علامة عصره ، وفريد دهره ، بدر الدنيا والدين ، عمدة الملوك والسلطين ، خالصة أمير
المؤمنين ، حرس الله معاليه ، وبلغه في الدارين نهاية أمانيه، وكبت حسدته وأعاديه. ولا زالت السعادة
غنية بفنائته ، والالسن مجتمعة على شكره وثنائه ، الملوك ينهي ان عنده من ترايسد الاشواق الى
الخدمة ما لو ان له فصاحة الشيخ الرئيس مع طول عبارة الفاضل جالينوس ، لقصر عن ذكر بعض ما
يحمده من برج الاشواق ، ومكابدة ما يشكوه من ألم الفراق. وهو يبتهل الى الله تعالى في تسهيل الاجتماع
السار ، وتيسير اللقاء على الاختيار والايثار . ولما اتصل بملوك ما صار الى المولى من رياسته على سائر
الاطباء ، وما خصهم الله تعالى بذلك من النعمة ، وأسبغ عليهم من جزيل الآلاء ، وجد نهاية الفرح
والسرور ، وغاية ما يتوخاه من الحبور ، وتحقق ان الله تعالى قد نظر الى الجماعة بعين رعايته ،
وشملهم بحسن عنايته ؛ وان هذه الصناعة قد علا مقدارها ، وارتفع منارها ، وصار لها الفضل الاكبر
والفضل الاكثر ، والسند الاسمي ، والمجد الاسنى ؛ وقد شرف وقتها به على سائر الاوقات، وصارت
حال العلم حينئذ على خلاف ما ذكره ابن الخطيب في الكليات . فله الحمد على ما اولى من نعمة الشامة ،
ومننه الكاملة . والمولى هو من جعلت أمور هذه الصناعة لديه ، وفوضت رئاسة أهلها وأربابها اليه .

ولم تلك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

« فان شواهد المجد لم تزل ترجد من شمائه ، وأعلام السؤدد تدل على فضائله وفواضله . فالحمد تعالى
يؤيده فيما أولاه ، ويسمعه في آخرته وأولاه ، ان شاء الله تعالى .

وما قلته : أيضاً ، وكتبته به اليه في سنة خمس وأربعين وسبائة :

كتبت ولي شوق يزيد عن الحصر
وثار أسي للبعد بين جوالحي
وعندي حنين لا يزال الى الذي
هو الصدر بدر الدين أفضل ما جد
وفرط ارتياح مستمر مع الدهر
لها لب أذكي وقوداً من الهجر
له من عندي تردد في فكري
ومن هو في أوج العمل أوجد العصر

حكيم حوى ما قال بقراط سالفاً
 ويعلم الشيخ الرئيس مباحثاً
 اذا قال بذ القائلين ولقطه
 وان طسب ذاً سعم وأسف مقراً
 كثير الحيا ، طلق الحيا ، اذا همت
 بعيد المدى داني الندى واقر الجدى^(١)
 وما مثل بدر الدين في العلم والحجى
 فيا أيها المولى الذي مكرماته
 لقد زاد في شوق اليك وانفي
 واني على بعد الديار وقربها
 ويبلغني من والدي عنك أنما
 رعبت لنا عهداً قديماً عرفته
 ومثلك من يولي جيسلاً لصاحب
 وسلي إلا بث شكر أقوله
 وأنتي على عليك في كل محفل
 وقد جاء شمري مادحاً لك شاكراً
 فلا زلت في سعد مقم ونعمة

وما قال جالينوس من بعده يدري
 اذا ما تلاها أورد اللفظ كالدر
 هو السحر لكن الحلال من السحر
 أتى الفضل والافضل بالبره والبر
 سحائب جود منه أغنت عن القطر^(٢)
 اذا ما يدا كان الهدى من سنا البدر
 وما قد حواه من خلأته الزهر
 يراها ذوو الآمال من افضل النحر
 لشط التداني واجد عادم الصبر
 كثير ولاء لا يزال مدى العمر
 تجود بها جلعت عن المد والحصر
 وحسن وفاء العهد من شم الحر
 اذا كان في اوقاته فاذ الامر
 وحسن دعاء في السريرة والجهر
 وأتو أي الحمد بالنظم والنثر
 لانك أهل للدائح والشكر
 وعمر مديد سالف عالي القدر
 (الطويل)

« الملوك يقبل اليد المولوية الحكيمية ، الاجلية العالمية ، الفاضلية الرئيسية ، الصدرية الاوحدية
 البدرية ، ادام الله لها التأييد والنعاه ، وضاعف من منائحها على أولياتها الآلاء ، وكتبّت بسدوام
 سعودها الحسدة والأعداء. ولا زالت في نعم متوالية ، وعوارف دائمة وغير زائلة ، ما تتابعت الايام في السنين ،
 وتلازمت حركة القلب والشرابين. ورواظب لمولانا بحسن الدعاء الذي ما زال عرف أنفاسه متضوعاً ، والثناء
 الذي ما انفك أصله الثابت متفرعاً متنوفاً. وواصل بالحمد التي ما يرح نشرها في مجالس المجد والشكر
 نافعا متارجحاً ، والمدائح التي ما فتى وجه محاسنها ابدأ متبرجاً متبلجاً ، وينهي ما عنده من كثرة
 الاشواق والاتواق التي تستوعبها العبارة ولا تسعها الاوراق. غير انه يمول على اساطة علم مولانا بصدق
 محبته وولائه ، واعتداده بمجيزل أبيديه وآلائه . وان كتاب والد الملوك ورد اليه ببشارة ملأت قلبه
 سروراً ، ونفسه حبوراً بنظر مولانا في سائر الاطباء ورياسته ، واشتاله عليهم بحسن رعايته وعنايته.
 ووصف من انعم مولانا عليه واحسانه اليه ، ما المهود من احسانه ، والمشهور من تقضيه وامتنانه .
 ومولانا فهو أعلم بطرق الكرم ، وأدري بأن المعارف في أهل النهى نعم . فانه يحسب مولانا ابدأ

(١) الطر .

(٢) السطاه والفتح .

فاعلا للخيرات ، بالغاً في المعالي أرفع الدرجات ، دائم السعادة موقى من الآفات .

وهذا دعاء لو سكت كفيته لاني سألت الله فيك وقد فعل
(الطويل)

« ومولانا فتجعل به المناصب المالية ، وتكثرف بحسن نظره المراتب السامية ، فانه قد سما
بفضله وافضاله ، على كل من عرف الفضل واشتهر ، وتميز على ابناء زمانه بمحاسن الآداب وميامن الاثر .
وهذا هنا عام لسائر الاطباء ، وجملة الاولياء والاحياء .

وتقاسم الناس المسرة بينهم قسماً فكان أجلمهم حظاً أماً

« الملوكة يحدد تقبيل اليد المولوية للنعم ، ويستعرض الحوائج والحتم .

ولبدر الدين ابن قاضي بعلبك من الكتب : مقالة في مزاج الرقة ، وهي بليغة في المعنى الذي
صنفت فيه . كتاب مفرج النفس استقصى فيه ذكر الادوية والاشياء القلبية على اختلافها وتنوعها ،
وهو مفيد جداً في فنه ، وصفه للامير سيف الدين المشد أبي الحسن علي بن عمر بن قزل رحمه الله .
كتاب الملح في الطب ، ذكر فيه اشياء حسنة ، وفوائد كثيرة من كتب جالينوس وغيرها .

شمس الدين محمد الكلي

هو الحكيم الاجل الواحد العالم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ابي المحاسن . كان والده اندلسياً
من اهل المغرب ، واتى الى دمشق واقام بها الى ان توفي رحمه الله . ونشأ الحكيم شمس الدين محمد
بدمشق ، وقرأ صناعة الطب على شيخنا الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي رحمه الله ، ولازمه
حق الملازمة ، وأتقن عليه حفظ ما ينبغي أن يحفظ من الكتب الاوائل التي يحفظها المشتغلون في
الطب . وبالغ الحكيم شمس الدين في ذلك حتى حفظ أيضاً الكتاب الاول من القانون ، وهو الكليات
جميعها ، حفظاً متقناً لا مزيد عليه ، واستقصى فهم معانيه . ولذلك قيل له الكلي . وقرأ أيضاً كثيراً
من الكتب العلمية ، وبأشر أعمال الصناعة الطبية . وهو جيد الفهم ، غزير العلم ، لا يخجلي وقتاً من
الاشتغال ، ولا يتجمل بالعلم في حال من الاحوال ، حسن المحاضرة ، مليح المحاورة . وخدم بصناعة
الطب الملك الاعرف موسى ابن الملك العادل بدمشق ، ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك الاعرف
رحمه الله . ثم خدم بعد ذلك في البيمارستان الكبير الذي انشاه الملك العادل نور الدين بن زنكي رحمه الله ،
وبقي مدة وهو يتردد اليه ويمالع المرضى فيه .

موفق الدين عبد السلام

لقد جمع الصناعة الطبية ، والعلوم الحكيمة ، والاخلاق الحميدة والآراء السديدة والفضائل التامة

والفواضل العامة. اصله من بلاد حماة^(١) واقام بدمشق واشتغل على شيخنا الحكيم مذهب الدين عبدالرحيم ابن علي وعلى غيره . وتبحر في صناعة الطب . ثم سافر الى حلب وتريد في العلم ، وخدم الملك الناصر يوسف بن محمد بن غازي صاحب حلب ، واقام عنده ، ولم يزل في خدمته الى ان غلغ الملك الناصر يوسف بن محمد دمشق فأتى في صحبته ، وكان معتمداً عليه ، كثير الاحسان اليه .

وقلت هذه القصيدة أتشوق فيها الى دمشق واصفها وامدحه بها

| | |
|-------------------------------------------|------------------------------------------------------|
| لمل زماناً قد تقضى يحلق | يعود وتندو الدار بمد التفرق |
| وان تسمع الايام من بعد جورها | بمدل واني بالاحبة نلتقي |
| فكم لي الى اطلالها من تشوق ^(٢) | وكم لي الى سكانها من تشوق |
| ترنجي الذكرى اليه تشوقا | كما رنجت صرف المدام المنق |
| ومن عجب ثار اشتياق بلصلي | لها لب من دمعي للفرق |
| لقد طال عهدي بالدار واهلها | وكم من صروف البين قلبي قد لقي |
| ولو كانت الفرغ اختيار وقدرة | لقد كان من كل الحوادث يتقي |
| ولكنها الاقدار تحكم في الوري | وتقضي بأمر كنه ^(٣) لم يحق |
| دمشق هي القصوى لمن كان قصده | يرى كل حسن في البلاد وينتقي |
| فصنها اذا ما كنت بالعقل حاكما | فوصف سواها من قبيل التحق |
| وما مثلها في سائر الارض جنة | فدع شيبان ^(٤) وذكر الخورتن ^(٥) |
| بها الحور والولدان تبدو طولعاً | شموساً واقصاراً باحسن رونق |
| وانهارها ما بين ماء مسلسل | من الريح او ماء من الدفق مطلق |
| واشجارها من كل جنس مقسم | وأثمارها من كل نوع منق |
| والطير من فوق الغصون تجاوب | فما اسجع الوراق من فوق مورق |
| ولو لم تكن الطير من فوق عودها | لما كان للامواه وقع مصفق |
| وراح تريح النفس من أم الجوى | ولبعد همّ المستهام المؤرق |
| اذا مزجت في الكاس يبدو شعاعها | كمثل شعاع البارق المتألق |
| ويا حبذا بالوادين حدائق | لها رونق من ماء المتدفق |
| فكم من مياه حسنها عند روضة | وكم من رياض حسنها عند جوص ^(٦) |

(١) مدينة بسوريا على نهر العاصي وهي من المدن القديمة احتلها الحثيون ثم الاشوريون . وكان اسمها على عهد الساسانيين ايبافانيا . وهي مشهورة بنواحيها .

(٢) تطلع .

(٣) جوهر الشيء واصله وقدره وحقيقته وظايفه .

(٤) دج خصب بئارس وهو احد جبال الدنيا الأربع .

(٥) موضع في العراق قرب النجف عمر فيه نهان الغمي قصر عظيم ذكره وتفنن به الشعراء .

(٦) القصير . (ن . د)

وبسط رياض نبتها من ينفج^(١)
 يمر نسيم الريح في جنباتها
 فمن كاث يرجو السلامة ملجأ
 حكيم عليم فاضل متفضل
 وما أحد في كل خطر علة
 فضائله في كل علم وحكمة
 يفرق جمع المال في مستحقه
 وما زال يهدي القاصدين لفضله
 ففي حبة الخير اكرم منم
 وللعش في الدنيا دواج كثيرة
 له في قلوب العالمين عجة
 ومن شخصه العين احسن منظر
 وللجود يلقي باعه غير قاصر
 كثير الدنيا دلت غايل نفسه
 فدام سيد الجدم ما هبت الصبا

ونياوفر^(٢) في وسط ماء مروق
 لطيفاً كجس النبض من مارتق
 يجده لدى عبد السلام الموفق
 الى ذروة الطياء والمجد مرتقي
 بادر منه في العلاج وأخذق
 وافضاله في كل غرب ومشرق
 ويجمع أشنات الملا المتفرق
 بنور عاوم بالبلاغة مشرق
 وفي لطفه بالخلق أفضل مشفق
 ومن يقصد العلياء بالفرم يمشق
 حلت وجلت عن ربة المتعلق
 ومن لفظه للسمع أعذب منطق
 وللحم يلقي صدره غير ضيق
 على طيب اصل في الكارم معرق
 وما دام تفريد الحمام المطوق
 (الطويل)

ولما قصد التردد الى دمشق وسمع بذلك أهلها ، توجه الحكيم موفق الدين الى مصر ، واقام بها مدة . ثم خدم بعد ذلك الملك المنصور صاحب حجة ، واقام عنده بحجة ، وله منه الاحسان الكثير ، والفضل الفزير ، والآلاء الجزية ، والمزلة الجليلة .

موفق الدين المتفاح

هو الحكيم العالم الاوحد أبو الفضل اسمع بن حلاوت ، أصله من المزة^(٣) ، واشتغل بصناعة الطب وتمهر فيها وتغيز في أعمالها . وخدم الملك الانوف موسى بن أبي بكر بن أيوب في الشرق وبقي في خدمته سنين واقفصل عنه . وكانت وفاته في حجة سنة اثنيتين وأربعين وستائة .

نجم الدين بن المتفاح

هو الحكيم الاجل العالم الفاضل أبو العباس أحمد بن ابي الفضل اسمع بن حلاوت ، ويعرف بابن العاللة لان امه كانت عالمة دمشق ، وتعرف ببنت دعين اللوز . ونجم الدين مولده بدمشق في سنة ثلاث

(١) نبت زهره منجوني اللون طيب الرائحة .

(٢) فوح من النباتات ينبت في المياه الراكدة ، له اصل كالجزر وساقه الملس يطول بلسبة عمق الماء حتى اذا بلغ سطح الماء

ادرق واظهر ، وتسميه العامة نوفر ونوفر .

(٣) قرية من ضواحي دمشق .

(ن. د)

وتسعين وخمسة. وكان اسمر اللون نحيف البدن حاد الذهن مفرط الذكاء فصيح اللسان كثير البراعة، لا يجاريه أحد في البحث ولا يلحقه في الجدل، واشتغل على شيخنا الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي بصناعة الطب حتى اتقنها. وكان متميزاً في العلوم الحكيمة، قوياً في علم المنطق، ملبساً للتصنيف، جيد التأليف. وكان فاضلاً في العلوم الادبية، ويقرئ ويشعر. وله معرفة بالعود، حسن الخط. وخدم بصناعة الطب الملك المسعود صاحب آمد، وحظي عنده واستوزره. ثم بعد ذلك نغم عليه واخذ جميع موجوده، واتي الى دمشق واقام بها، واشتغل عليه جماعة بصناعة الطب، وكان متميزاً في الدولة وكتب اليه صاحب جمال الدين بن مطروح في جواب كتاب منه.

الله در اتمل شرفت وسمت فاهدت أجمأ زهرا
وكتابة لو انها على الملوكين ما ادعيا اذن سحرأ
لم أفر سطرأ من بلاغتها الا رأيت الآية الكبرى
فاجعب لنجم في فضائه أنسى الايام الشمس والهدرا
(الكامل)

وكان لنجم الدين رحمه الله لحدة مزاجه قليل الاحتمال والمداواة، وكان جماعة يحسدونه لفضله ويقصدونه بالاذية والنشدين يوماً متمثلاً:

ركنت سمعت ابن الجن عند استراق السمع ترجم بالنجوم
فلما ان طلوت وصرت لنجماً وميت بكل شيطان رجم
(الوافر)

وفي آخر عمره خدم الملك الانرف ابن الملك المنصور صاحب حصص^(١) بثل^(٢) باشر، وأقام عنده مدينة يسيرة. وتوفي رحمه الله في ثالث عشر ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين وستائة. وحكى لي اخوه لاهه القاضي شهاب الدين بن العمالة انه توفي مسموماً.

ولنجم الدين بن المتفاح من الكتب: كتاب التدقيق في الجمع والتفريق، ذكر فيه الامراض وما تشابه فيه، وللتفرقة بين كل واحد منها وبين الآخر بما تشابه في اكثر الامر. كتاب هنك الاستار في تحويه الدخوار تعاليت ما حصل له من التجارب وغيرها. وشرح احاديث نبوية تتعلق بالطب. كتاب المهملات في كتاب الكلبيات. كتاب المختل الى الطب. كتاب الملل والاعراض. كتاب الاشارات المرشدة في الادوية المفردة.

(١) مدينة في سوريا على نهر الحاصي أهم آثارها جامع خالد بن الوليد.

(٢) قلعة بالقرب من حيتاب في شمالي سوريا على نهر ساجور. لعبت دوراً هاماً في الحروب الصليبية.

عز الدين بن السويدي

هو الحكيم الاجل الاوحد العالم أبو اسحق ابراهيم بن محمد ، من ولد سعد بن معاذ^(١) من الاوس مولده في سنة ستائة بدمشق ، ونشأ بها وهو علامة أوانه ، وأوحى زمانه . مجموع الفضائل ، كثير الفاضل ، كريم الايوة عزيز الفتوة ، وافر السخاء حافظ الاخاء ، واشتغل بصناعة الطب حتى انتخبها اتفاقاً لا مزيد عليه . ولم يصل احد من اربابها الى ما وصل اليه . قد حصل كليتها ، واشتمل على جزئياتها . واجتمع مع افاضل الاطباء ، ولازم اكابر الحكماء ، واخذ ما عندهم من الفوائد الطبية ، والامراز الحكيمة . مثل شيخنا الحكيم مذهب الدين عبد الرحيم بن علي وغيره . وقرأ ايضاً في علم الادب حتى بلغ فيه أعلى الرتب . وأتقن العربية وبرع في العلوم الادبية . وشعره فهو الذي عجز عنه كل شاعر ، وقصرت عنه الاوائل والواخر ، لما قد حواه من الاقفاط الفصيحة ، والمعاني الصبيحة ، والتجنيس الصنيع ، والتطبيق البديع . فهو الجامع لاجناس العلوم ، الحارفي لانواع المنثور والمنظوم . وهو اسرع الناس بديهة في قول الشعر ، وأحسنهم انشاداً . ولقد رأيت منه في أوقات ينشد شعراً على البديهة في معان مختلفة لا يقدر عليها أحد سواه ، ولا يختص بهذا الفن إلا اياه .

وكان ايوه رحمه الله تاجراً من السويداء^(٢) بحوران ، حسن الاخلاق طيب الاعراق لطيف الحال جليل الافعال . وكان صديقاً لابي وبينها مودة أكيدة وصحبة حميدة . وكنت أنا وعز الدين ايضاً في المكتب عند الشيخ ابي بكر الصقلي رحمه الله ، فالودة بيننا من القدم باقية على طول الزمان ، نامية في كل حين واوان . والحكيم عز الدين من أجل الاطباء قدراً ، وأفضلهم ذكراً . واعرف مداواة ، وألطف مداراة ، والجمع علاجاً ، ووضح منهاجاً . ولم يزل طبيباً في البيارستان النوري يحصل به للرعى نهاية الاغراض في ازالة الامراض ، وأفضل المنحة في اجتلاب الصحة .

وعندم ايضاً في البيارستان بباب البريد ، وتردد الى قلعة دمشق ، وكان مدرس الدخوارية^(٣) . وكان له جامكية في هذه الاربع جهات . وكتب عز الدين بخطه كتباً كثيرة جداً في الطب وغيره فمنها خط منسوب لطريقة ابن البواب ، ومنها خط يشابه مولد الكوفي ، وكل واحد من خطيه فهو أبيه من الانجم الزواهر ، وازهى من قاهر الجواهر ، وأحسن من الرياض المولقة ، وأور من الشمس المشرقة . وحكى لي انه كتب ثلاث نسخ من كتاب الفاروق لابن سينا . ولما كان في سنة الثلاثين وثلاثين وسبائة ، وصل الى دمشق تاجر من بلاد المعجم ، ومعه نسخة من شرح ابن أبي صادق لكتاب منافع الاعضاء للجلبانيوس ، وهي صبيحة معقولة من خط المصنف ، ولم يكن قبل ذلك منها نسخة في الشام فعملها أبي فكتب اليه عز الدين بن السويدي قصيدة مديحاً فيها على خاطري منها يقول :

(١) صحابي من الانصار حمل اللواء في مولدة بدر . وشهد جرح لثي في أحد . حكم بتسل اسرى خيبر وسي لسايم واقتسام اموالهم لانهم لذكوا بالمهد (د.ر)
(٢) بلدة بحوران من جبل الدروز فيها خوقة « عين زمان » .
(٣) هي المدرسة التي وقفها في بيته مهلب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار .

وامن فانت أخو المكارم والعلی
 واعارة الكتب الغريبة لم تزل
 بكتاب شرح منافع الاعضاء
 من عادة العلماء والفضلاء
 (الكامل)

فبعث اليه الكتاب وهو في جزءين فنقل منه نسخة في الغاية من حسن الخط وجودة النقط وال ضبط .
 ومن شعره وهو ما انشدني لنفسه . فمن ذلك قال فيما يمانيه ويمنيه من كلمة الحضاب بالكم^(١) .

لو ان تغير لوت شي
 لا وفي لي بما تلاقي
 بعيد ما فات من شباني
 روحي من كلمة الحضاب
 (البسيط)

وانشدني لما ألقت هذا الكتاب في تاريخ المتطيين المعروف بكتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء .

موفق الدين بلغت المي
 حلت في التاريخ من قد مضى
 وثلت أعلى الرتب الفاخرة
 وانت قدت أعظمه فخره
 في هذه الدنيا وفي الآخرة
 فخصك الله بإحسانه
 (السريع)

وقال لفرأ في علي

ما اسم اذا رخته^(٢) كان ما
 ولا يري ترخيمه فاضل
 رخته جذراً لباقيه
 للفضل والنقص الذي فيه
 (السريع)

وقال ايضاً :

ومدام حرمتها الصيام
 واقاموا الحدود فيها بلا حسد
 قد توالى علي في رمضان
 وقدمت ندامة التندمان
 وتغالوا الملعج فيها بزعم
 وجوها عن كل انس وجان
 ثم قالوا المطبوخ حل فافنو
 ما طبيخاً بلعج النيران
 طبخوها بنار شوقي اليها
 ففدت مهجة بلا جثان
 (الحطيف)

وقال ايضاً :

وناسك باطنه فائق
 ومزله أخرج من صدره
 يا ويح من يصني الى مينه
 وخلقه أضيئ من عينه
 (السريع)

(١) لبت يخضب به الشعر ويصنع منه مداد الكتابة .

(٢) قطع ذنبه معنا حذف آخره كما هي الحال في ترخيم المتأدى ، مثل قولك يا فاطم في يا فاطمة . (ن.د)

ولمزم الدين بن السويدي من الكتب: كتاب الباهر في الجواهر . كتاب التذكرة الهادية والنخيرة
الكافية في الطب

عماد الدين الدنيسري

هو الحكيم العالم الأديب الأريب عماد الدين أبو عبد الله محمد بن القاضي الخطيب تقي الدين عباس
ابن أحمد بن عبيد الربيع، ذو النفس الفاضلة، والمروءة الكاملة، والأريحية التامة، والعارف العامة،
والذكاء الوافر، والعلم الباهر. مولده بمدينة دنيسر^(١) في سنة خمس وستائة. ونشأ بها واشتغل
بصناعة الطب اشتغالا يروح به فيها وحصل جمل معانيها، وحفظ الصفة حاصلة واستردها زائلة.
وأول اجتماعي به كانت بدمشق في شهر ذي القعدة سنة سبع وستين وستائة، فوجدت له نفساً
حاتمة، وشلثة أخزمية، وخلفاً ألطف من النسيم، ولفظاً أحلى من مزاج التسنيم. واسمعي من
نظمه الشعر البديع معناه، البعيد مرماه، الذي قد جمع أجناس التجنيس، وطبقات التطبيق
النفيس، والألفاظ القصيدة، والمعاني الصحيحة. فهو في علم الطب قد تميز على الأوائل والآخر،
وفي الأدب قد عبّر كل فاضل وفار. هذا مع ما أنه في علم الفقه على مذهب الإمام الشافعي حيد
زمانه وأوحد أوانه. وسافر من دنيسر إلى الديار المصرية ثم رجع إلى الشام وأقام بدمشق، وخدم
الأمر الناصرية اليوسفية بقلعة دمشق. ثم خدم في البجارسنان الكبير النوري بدمشق.

ومن شعره وهو بما أنشدني لنفسه من ذلك قال

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| أقبل عليه رداء الحكم والكرم | باله يا قارئاً شعري وسامه |
| فإن علمي قد أرى من العدم | وأست بفضلك ما تلقاه من زلي |
| (البيط) | |

وقال أيضاً :

| | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| كلت بذاك الحال والملة الكمال | نعم فليقل من شاء عني فإني |
| تجنى لما أشاء عندي وما أحلى | وعذبي بالصد منه وكلها |
| كما حلل المجران أن حرم الوصلا | وحمرت نومي بعد ما صد معرضاً |
| ومكّن من أجنانه في الحشا نبلا | غزال غزا قلبي بما مل قداه |
| حللت بذاك الوجه لا أسمع العذلا | فلا تعدلوني في هواه فإني |
| (الطويل) | |

وقال أيضاً :

| | |
|---------------------------|------------------------------------|
| لما بدا في الحد ثم استدار | عذارك ^(١) الخضر يا حيتي |
|---------------------------|------------------------------------|

(١) جانب الحية أي الشعر .

أقام عندي عند أهل الهوى
وكان في ذلك لنا آية

وصح ما قيل عن الاعذار
اذ جمع الليلُ معاً والنهار
(السريع)

وقال أيضاً :

غزال له بين الجوانح والحشا
فلا تطعم العذال مني يسوة
ففي كبدي من لوط وجدي ولوعتي

مقبل وفي قلبي مكان وامكان
وان رمت سلوانا فاني خوان
وفي الجفن نيران علي وطوفان
(الطويل)

وقال أيضاً :

عشت بدراً مليحاً
مثل الفزال ولكن
بعثت من نار وجدي
وقلت أنت حبيبي
ولي عليك شهود
جسمي يذوب وجفني

عليه بالحن هاله
تغار منه الفزاله
مني اليه رساله
ومالكى لا محاله
معروفة بالمدهاله
دموعه مطاله

(البسيط)

وقال من ابيات :

اسكنتك القلب المليء من الرفا
وقطعت عن كل الاقام مطامي

وجملت في سودائه مفناكا
وهجرتهم لما عرفت هواكا

(الكامل)

وقال أيضاً :

نعم عند قلبي من لواحظه شغل
ومها سمع من قديم صباية
أجيرا لنا بالله مهلاً فأنسي
عزيز على خديبه نبت عذاره
ومن شائلي في هواه فأنني

فكفوا فلا عتب يفيد ولا عذل^(١)
فذلك حديث صبح عندي به التقل
أسير لما جاءت به الحدق النجل
شغلت به عن كل ما كان لي شغل
حلفت به عن حبه قط لا أسو
(الطويل)

وقال أيضاً :

يا سادة رحلوا عني ووافقم

صبري وما بعثوا لي عنهم خبرا

(١) اللامة .

لا تسألوا ما جرى لي يوم بينكم
وارحنا لكنيب قل غاصره
قد بات بما به من طول هجركم
والورق فوق غصون البان تسعده
فهل مجودوت يوماً بالوصال له
فذكركم في صميم القلب مسكنه
وكل من لأمه فيكم يقول له

(وقال أيضاً من أبيات)

حلفت له لا حلت عن ولهي به
إذا باعني منه الوصال بهيجتي

(قال أيضاً)

كفوا من اللوم في محبتـه
بيني وبين المساو مرحلة

(وقال أيضاً)

أما الحديث فمنهم ما أجله
قل للمذول أطلت لست بسامع
لا أنتهي من سب من أحببته
ظلي قلباً بالجمال على الورى
قد حل لي قلبي وكل جوانحي
وحياة ناظره وعامل قدـه
هب انسي متجنن في حبه

وقال أيضاً :

كسف على أن الحمى والامرق^(١)
فجفوني بدمع قد أقسمت
ودموعي صفاً صفاً ككفتها

بل أسألوا عن مصون كيف جرى
يقضي غراماً وما قضى بكم وطرا
طول الليالي بكم يستعذب السهرا
بنوحها ونسيم الروض حين تسرى
وان تختموا جودوا بطيف كرى
وغيركم في صميم القلب ما خطرا
وقد رأى حسنكم قم كرر النظرا
(البسيط)

وقلي على ما قد حلفت له سلف
شريت وها قلبي أقدمه سلف
(الطويل)

قد شمت من ملاكم نفسي
لكنها من مراحل الشمس
(المسرح)

والموت من جور الهوى ما أهله
بين المساو وبين قلبي مرحلة
ما دام قلبي والهوى في منزله
يا ليت شعري صدغه من أرسله
فدمسي له في حبه من حله
روحي بعارض خده متمله
فمذاره في خده من سله
(الكامل)

فمسي تذهب مني حرقى
أنها لا تلتقي أو تلتقي
هم قد أقسمت لا ترقصي

(١) الأرض الغليظة فيها حجارة ورمل وطين.

هـب يحفكم قد شقي
وبقي لي بمد كلي رمقي
ليت لا هجرتم لا بقي
(الرمـل)

يا عريب المي رفقوا وارحوا
قد قني كلي في حبكم
والذي أبقي هواكم واللفا

وقال ايضاً من ابيات :

وما نفع السؤال فلم تجور
اليك من الصباية يستجير
وليل الوصل أطوله قصير
(الوافر)

سألتك ان تجير كسنتهم
وحرمت الوصال على كئيب
فيوم المجر أقصره طويل

وقال ايضاً :

وفادى على الراح داعي الفرج
ولكن عقيب ركوع القبح
(التقارب)

إذا رفح العود فكبيره
رأيت سجوذي لها دائماً

وقال في ملبح يلقب بالجمال :

رشاً فأنت بحسنه مقتول
صيف الجمال يحفنه مسلول
(الكامل)

قالوا عشت من الالام جميعهم
فأجبتهم لا تعجبوا مما جرى

وقال ايضاً في ملبح تعرض للوصل بعد ذهاب ملاحظته :

فأدى بك ألتيه لا تمطف على احد
تركنتي وأخذت الروح من جسدي
وانت تعجز عن ابداده بيد
أخنى عليك الذي أخنى على لبد^(١)

لما سألتك اشفاقاً على كبدي
ورحت ترح في ثوب الجمال وقد
حتى اذا الدهر أدنى منك سادنة
بمئت تطلب وصلي كي أهود وقد

وقال :

ومعت بالسال^(٢) من فده
ابصرت بدر التم في سده
يجرحه لحظي في غده
(السريع)

كلفت بالمسول من ريقه
بدر إذا ابصرته مقبلاً
يجرح قلبي لحظه مثل ما

ومنها :

والقلب موقوف على صده

قلت لمدالي على حبه

(١) آخر نسر لبلان بن عاد .

(٢) ومع صال : بتر لنا .

من يده في الما الى زنده
يعرف حر الماء من برده
(السريع)

وقال ايضاً :

ان فاض ماء جنوني قلت من فكري عليه أو غاض دمعي قلت من فاري
وكلما رمت أنت اساور هواه ارى النار في حبه اولى من العار
(البسيط)

وقال ايضاً :

ولقد سألت وصاله فاجابني في نون حاجبه وعين جفونه
عنه الجمال اشارة عن قائل مع مع مبسمه جواب السائل
(الكامل)

وقال ايضاً :

في صاد مقلته إذا حلقته عذر لن قد ضل فيه مولها
مع نون حاجبه وميم المسم فعلام يضل فيه من لم يفهم
(الكامل)

وقال لغزاً في عثان :

سألت جميع الناس ظناً بانسي عن اسم مسياه تناهى جماله
واحرفه لا شك خمسة احرف وإذا زال عنه الخمس والخمس واحد
ارى فيهم من يعرف الحق والصدقا ومن هجره قلبي واعراضه يشقى
وكل صحيح الذهن يعرفه حقا وتبقى ثمان وهي أعجب ما يبقى
(الطويل)

وقال من قصيدة مدح بها الملك السعيد غازي ابن الملك المنصور صاحب ماردن :

مؤيد الرأي مقدم كتابه ويركب الجند يوم الحرب معتقلا
فيشكل الاسد يوم الروح صارمه والشكل بالبيض بعد النقط بالاسل
ملء البسيطة من سبل ومن جبل
بمد الصوافن بالصالة الذبل
(البسيط)

وقال غمساً هذه الابيات :

وحق هواك وجددي لا يحول وقلبي والفؤاد غدا يقول
وما هواك من قلبي نصول واما انا عن عجبكم بسالي
عذولي راح في قيل وقال

وكيف يمر هجركم ببالي وحب لا تفسيره الليالي
 محال ان يغيره المذول
 فلما كان بالهجران فتكي وطرفي والقواد اذناك ييكي
 وقد جد الرخيل يغير شك اتت ودموعها في الحد تحكي
 قلاتنها وقد جعلت تقول
 فقلت لها رويدك بالرعيا ففسي قلبي لبعذكم بلأيا
 فقالت والتي منها منأيا غداة غد ترم " بنا المطأيا
 قبل لك من وداع يا خليل
 معذبتي تقول بلا بلال اذا ازف الرحيل وحال حال
 واصبح ريعنا بالبين خالي فقلت لها وعيشك لا ابالي
 أقام الحبي أم جد الرحيل
 غداً بالهجر منك يذوب قلبي ولا يحيد الشفاء بغير قرب
 وفي اسفل يزول بذاك مكربي اذا كانت بنات الكرم شربي
 وتقلي وجهك الحسن الجميل
 متى عوفت عن سهر الليالي يقرب منك مع حسن الوصال
 وعانيت الجمال على الكمال أمنت بذاك حادثة الليالي
 وهان علي ما قال المذول

(الزاهر)

وقال في ملبح صنعة رقاء

قطعت قلبي بمر الهجر يا املي عسى يحلو حديث منك ترميه (١)
 فقد عصيت علولا بات يمدلني وفي خالقي للعلل ترفسي

وقال في ملبح اسمه عيسى :

يا من هو الأسم المسبح وقد حوى كأس الردى في الجفن والاحداق
 خالفت عيسى في الفعل وقد غدا يحبي وانت تميمت بالأشواق
 (الكامل)

وقال دوييت :

يا من نقض العهد مع الميثاق ما حسنك زائل ووجدي باقي
 ان كنت علرت فالرفا علني أن اسلك في الهوى مع المشاق

(١) دم المليحة : خطمها وعلق عليها الزمام .

(٢) تصلمه ويخيطه .

وقال أيضاً :

مولاي الى متى على الصب تجور
يحطى بك غيري والهو في كبدي .
يا غادر كم كذا صدور وتغور
لا صبر لمن يحب ان كان غيور

وقال أيضاً :

في القلب من الغرام غار تعد
يا من سلب الرقاد عن عاشقه
والله وان هجرت زال الجلد
صلمي فسواك ما بقي لي احد

وقال أيضاً :

الامر بأن اموت في الحب إليك
والله وقلبي قال لو امكنه
ان رمت لثلاثي ها انا بين يديك
سعيًا لسمي مني على الرأس إليك

وقال أيضاً :

مولاي وحقي من قضى لي بهواك
ان كان ثلاث مهجتي فيه رضاك
ما أسعد يرماً فيه والله أراك
أثلف كبدي فالكمل والله فداك

ولعماد الدين الدنيسري من الكتب : المقالة المرشدة في درج الادوية المفردة . كتاب نظم الترتيب
الغاروق : كتاب في الماروديطوس . كتاب في مقدمة المعرفة لابن قراط . أرجوزة . كتاب دهران شعر .

موفق الدين يعقوب السامري

هو الحكيم الأجل الأوسد العالم رئيس زمانه وعلامة أوانه ، ابو يوسف يعقوب بن غنائم . مولده
ومنشؤه بدمشق . بارع في الصناعة الطبية ، جامع للعلوم الحكيمة ، قد اتقن صناعة الطب علماً وعلاً ،
واحتوى على مجلتها تفصيلاً وجلاً . محمود المداواة مشكور المداواة ، متميز عند الاعيان متميز في
سائر الأزمان ، مؤيد في اجتلاب الصحة وحفظها في الابدان . واشتغل عليه جماعة من المتطببين ،
وانتفع به كثيرون من المتطلبين . وله التصانيف التي هي فصحة العبارة ، صحيحة الاشارة ، قوية المباني ،
بليغة الماني .

ولموفق الدين يعقوب السامري من الكتب : شرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا ، وقد جمع
فيه ما قاله ابن خطيب الري في شرحه للكليات ، وكذلك ما قاله القطب المصري في شرحه لها ،
وما قاله غيرها ، وسرده في اقوالهم من المباحثات ، وقد اجاد في تأليفه ، وبالن في تصنيفه . حل
شكوك نجم الدين بن المتفاح على الكليات . كتاب المدخل الى علم المنطق والطبيعي والاكلي .
توفي في شهر رمضان سنة احدى وعشرين وستائة .

ابو الفرج بن القف

هو الحكيم الاجل العالم أمين الدولة ابو الفرج ابن الشيخ العالم موفق الدين بن اسحق بن القف
من نصارى الكرك . مولده بالكرك في يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاثين وستائة . كثر

والده موفق الدين صديقاً لي مستمراً في تأكيد مودته ، حافظاً لهاطول ايامه ومدته ، تستحلى نفائس مجالسته ، وتستحلى عرائس مؤانسته ، ألمي اوانه واصمعي زمانه ، جيد الحفظ للاشعار ، علامة في نقل التراويخ والاشبار ، متميز في علم العربية ، فاضل في الفنون الادبية . قد اشتمل في الكتابة على أصولها وفروعها ، وبلغ القاية من بعيدها وبيديها . وله الخط المنسوب الذي هو زهرة الابصار ، ولا يلصقه كاتب في سائر الاقطار والامصار . كان في ايام الملك الناصر يوسف بن محمد كاتباً بصريخد عاملاً في ديوان البر . وكان ولده هذا ابو الفرج تبيين فيه النجابة من صغره ، كما تحققت في كبره ، حسن السميت كثير الصمت ، وافر الذكاء عباً لسيرة العلماء فقصد ابيه تعليمه الطب فسألني ذلك فلأزمني حتى حفظ الكتب الازلة المتداول حفظها في صناعة الطب كمسائل حنين والفصول لايقراء ، ولقدمة المعرفة له ، وعرف شرح معانيها ، وفهم قواعد مبانيها . وقرأ علي بعد ذلك في العلاج من كتب ابي بكر محمد بن زكريا الرازي . ما عرف به اقسام الاسقام ، وجسم العلل في الاجسام ، وتحقق معالجة المعالجة ومعالجة المداواة . وعرفته أصول ذلك وقصوله ، وفهمته غوامضه ومحصله . ثم انتقل ابيه الى دمشق المحروسة ، وخدم بها في الديوان السامي ، وسار ولده معه ولازم جماعة من الفضلاء . فقرأ في العلوم الحكمية والاجزاء الفلسفية على الشيخ شمس الدين عبد الحميد الحسروشامي وعلى عز الدين الحسن التنوي الضرير . وقرأ ايضاً في صناعة الطب على الحكيم نجم الدين بن المتفاح ، وعلى موفق الدين يعقوب السامري . وقرأ ايضاً كتاب اوقليدس على الشيخ مؤيد الدين المرعي ، وفهم هذا الكتاب فهماً فتح به مقفل اقواله ، وحل مشكل اشكاله . وخدم ابو الفرج بن القف بصناعة الطب في قلعة صجاون واقام بها عدة سنين . ثم عاد الى دمشق وخدم في قلمتها المحروسة لمعالجة المرضى ، وهو محمود في افعاله مشكور في سائر احواله . وله من الكتب كتاب الشافي في الطب . شرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا ست مجلدات ، شرح الفصول كتابين ، مقالة في حفظ الصحة . كتاب العمدة في صناعة الجراح عشرين مقالة علم وعمل يذكر فيه جميع ما يحتاج اليه الجراحني بحيث لا يحتاج الى غيره . كتاب جامع الفرض مجلد واحد . حواش على ثالث القانون لم يوجد . شرح الاشارات مسودة ولم يتم . المباحث المغربية ولم تتم . توفي في جمادى الاولى سنة خمس وثمانين وسبائة والله أعلم به

* * *

فہرست الکتاب

فهرست المواضيع

الباب الاول

- ١١ كيفية وجود صناعة الطب واول حوثها

الباب الثاني

- ٢٩ طبقات الاطباء الذين ظهرت لهم اجزاء من صناعة الطب وكانوا المبعدين بها
رجع الكلام الى ذكر اسقليبيوس - من الاداب والحكم التي لاسقليبيوس - ايلق

الباب الثالث

- ٣٩ طبقات الاطباء اليونانيين الذين هم من نسل اسقليبيوس
غورس ، ميلس ، برمانوس ، افلاطن الطبيب ، اسقليبيوس الثاني

الباب الرابع

- ٤٣ طبقات الاطباء اليونانيين الذين اذاع ابقرراط فيهم صناعة الطب
ابقرراط ، قسم ابقرراط ، ناموس للطب لابقرراط ، وصية ابقرراط ، بندقليس ، فيثاغورس ،
كلمات حكيمة ، سقراط ، من آداب سقراط ، افلاطون ، مواعظ افلاطون ، كتب افلاطون ،
ارسطوطاليس ، وصية ارسطوطاليس ، مقالة ارسطوطاليس ، آداب ارسطوطاليس ، كتب
ارسطوطاليس ، لاوفرستس ، الاسكندر الافروديسي الديمشي

الباب الخامس

- ١٠٩ طبقات الاطباء الذين كانوا منذ زمان جالينوس وقريباً منه
جالينوس ، مسكن جالينوس ، صفة تجميد الماء ، صفة جالينوس وأخلاقه ، الاطباء
المشهورون بعد وفاة جالينوس

الباب السادس

طبقات الأطباء الاسكندرانيين ومن كان في أزمنتهم من الأطباء النصارى وغيرهم
كتب يحيى النحوي

الباب السابع

طبقات الأطباء الذين كانوا في أول ظهور الاسلام من أطباء العرب وغيرهم
كلام الحارث مع كسرى ، النضر بن الحرث بن كلفة الثقفي ، ابن أبي رمنة التميمي ،
عبد الملك بن أيجر الكتاني ، ابن أقال ، أبو الحكم ، حكم الدمشقي ، عيسى بن حكم الدمشقي
تياذوق ، زيلب طيبة بني أود

الباب الثامن

طبقات الأطباء السريانيين الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العباس
جورجيوس بن جبرائيل ، بختيشوع بن جورجس ، جبرائيل بن بختيشوع بن جورجس ،
بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع ، جبرائيل بن عبداه ، عبيد الله بن جبرائيل ، خصيب ،
عيسى المعروف بأبي قريش ، اللحاج ، عبداه الطيفوري ، زكريا بن الطيفوري ، اسرائيل
ابن زكريا الطيفوري ، يزيد بن زيد ، عبدوس بن زيد ، سهل الكوسج ، سابور بن سهل ،
اسرائيل بن سهل ، موسى بن اسرائيل الكوفي ، ماسرجويه متطبب البصرة ، مسويه بن بنان
متطبب المعتصم ، ابراهيم بن فزارون ، ايوب المعروف بالأبرش ، ابراهيم بن ايوب الأبرش ،
جبرائيل كحال المأمون ، ماسويه أبو يوحنا ، يوحنا بن ماسويه ، عيسى بن ماسه ، حنين
بن اسحق ، اسحق بن حنين ، حبش الاعسم ، يوحنا بن بختيشوع ، بختيشوع بن يوحنا ،
عيسى بن علي ، عيسى بن يحيى بن ابراهيم ، الحلاجي ، ابن مهار بنجت ، ابن ماهان ، الساحر

الباب التاسع

طبقات الأطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني الى اللسان
العربي وذكر الذين نقلوا هم .

٢٧٩

جورجس ، حنين بن اسحق ، حبش الاعسم ، عيسى بن يحيى بن ابراهيم ، قسطا بن لوقا
البعلبكي ، ايوب المعروف بالأبرش ، ماسرجيس ، عيسى بن ماسرجيس ، شهدي الكرخي ،
ابن شهدي الكرخي ، الحجاج بن مطر ، زروبان مالحوس الناعمي الحصي ، هلال بن ابي هلال
الحصي ، فتيون الترجان ، أبو نصر بن ناري بن ايوب ، سيل المطران ، اسطفن بن باسيل ،

موسى بن خالد الترجان ، اسطاث ، حيرون بن رابطة ، تدرس السنقل ، سرجس الراسي ، أيوب الرهاوي ، يوسف الناقل ، ابراهيم بن الصلت ، ثابت الناقل ، أبو يوسف الكاتب ، يوحنا بن مجتبشوع ، البطريق ، يحيى بن البطريق ، قيس الرهاوي ، منصور بن بائس ، عبد يشوع بن هريز ، أبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي ، أبو اسحق ابراهيم بن بكس ، أبو الحسن علي بن ابراهيم بن بكس ، شبرشوع بن قطرب محمد بن موسى النجم ، علي بن يحيى المعروف بابن النجم ، ثادرس الأسقف ، محمد بن موسى بن عبد الملك ، عيسى بن يوسف الكاتب الحاسب ، علي المعروف بالقيوم ، احمد بن محمد المعروف بابن المدير الكاتب ، ابراهيم بن محمد بن مدسى للكاتب ، عبدالله بن اسحق ، محمد بن عبد الملك الزيات .

الباب العاشر

٢٨٥

طبقات الأطباء العراقيين وأطباء الجزيرة وديار بكر

يعقوب بن اسحق الكندي ، أحد بن الطيب السرخسي ، أبو الحسن ثابت بن قرة الحراني ، أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة ، أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة ، أبو اسحق ابراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة ، أبو اسحق ابراهيم بن زهرون الحراني ، أبو الحسن الحراني ، ابن وصيف الصابي ، غالب طبيب المعتضد ، أبو عثمان سعيد بن غالب ، عديس ، صاعد بن بشر بن عديس ، ديلم ، داود بن ديلم ، أبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي ، الرقي ، قويري ، ابن كرنيب ، أبو يحيى المروزي ، متى بن يونا ، يحيى بن عدي ، أبو علي بن زرعة ، موسى بن سيار ، علي بن العباس الجوسي ، عيسى طبيب القاهرة ، دانيال المتطبب ، اسحق بن شليطا ، أبو الحسين عمر بن الدحلي ، فنون المتطبب ، أبو الحسين بن كشكرايا ، أبو يعقوب الأهوازي ، نطيف القس الرومي ، أبو سعيد الهمامي ، أبو الفرج بن أبي سعيد الهمامي ، أبو الفرج يحيى بن سعيد بن يحيى ، أبو الفرج بن الطيب ، ابن بطلان ، الفضل بن جرير التكريتي ، أبو نصر يحيى بن جرير التكريتي ، ابن دينار ، ابراهيم بن بكس ، علي بن ابراهيم بن بكس ، قسطا بن لوقا البعلبكي ، مسكويه احمد بن أبي الأشعث ، محمد بن ثواب الموصلي ، احمد بن محمد البلدي ، ابن قوسين علي بن عيسى ، ابن الشبل البغدادي ، ابن مختومه أبو العلا صاعد بن الحسن ، زاهد الغفاء ، القبلي النيلي ، اسحق بن علي الرهاوي ، سعيد بن هبة الله ، ابن جزلة ، أبو الخطاب ، ابن الواسطي ، أبو طاهر بن البرقي ، ابن صفية ، أمين للدولة ابن التلميز ، أبو الفرج يحيى بن التلميز ، أوجده الزمان أبو البركات هبة الله بن علي ملكاً ، البديع الاصرلاي ، أبو القاسم هبة الله بن الفضل ، المنادي ، أبو الفنائم هبة الله بن علي بن الحسين بن اتردى ، علي بن هبة الله بن اتردى ، سعيد بن اتردى ، أبو علي الحسن بن علي بن اتردى ، جمال الدين علي بن اتردى ، فخر الدين المارديني ، أبو نصر بن المسيحي ، أبو الفرج ، أبو الحسين صاعد بن هبة الله بن المؤمل ، ابن المارستانية ، ابن سدير ، مذهب الدين بن هبل ، شمس الدين بن هبل ، كمال الدين بن يونس .

الباب الحادي عشر

٤١٣

طبقات الاطباء الذين ظهروا في بلاد المعجم

تيادورس ، برزويه ، ابن الطبري ، ابن ربن الطبري ، أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، أبو الحسن أحمد بن محمد الطبري ، أبو سليمان السجستاني ، أبو الخير الحسن بن موار ، أبو الفرج بن هندو ، الحسن الفسوي ، أبو منصور الحسن بن نوح القمري ، أبو سهل المسيحي ، الشيخ الرئيس ابن سينا ، الأبيلاقي ، أبو الريحان البيروني ، ابن مندويه الأصفهاني ، ابن أبي صادق ، طاهر بن إبراهيم السجري ، ابن خطيب الري ، القطب المصري ، السموأل ، بدر الدين محمد بن بهرام بن محمد القلانسي السمرقندي ، نجيب الدين أبو حامد محمد بن علي بن عمر السمرقندي ، الشريف شرف الدين اسمعيل

الباب الثاني عشر

٤١٣

طبقات الاطباء الذين كانوا من الهند

كنكه الهندي ، صنجل ، شافق ، جودر ، منكه الهندي ، صالح بن بهلة الهندي .

الباب الثالث عشر

٤٧٨

طبقات الاطباء الذين ظهروا في بلاد المغرب وأقاموا بها

اسحق بن عمران ، اسحق بن سليمان ، ابن الجزائر ، ابن السمينة ، أبو القاسم مسلمة بن أحمد ، ابن السمح ابن الصفار ، أبو الحسن علي بن سليمان الزهراوي ، الكرمانلي ، ابن خلدون ، أبو جعفر أحمد بن خميس بن عامر بن دميح ، حدين بن أبان ، جواد الطبيب النصراني ، خالد بن يزيد بن رومان النصراني ، ابن ملوكة النصراني ، عمران بن أبي عمرو ، محمد بن فتح طلمون ، الحارثي ، أحمد عمر ابن أيونس بن أحمد الحارثي ، اسحق الطبيب ، يحيى بن اسحق ، سليمان أبو بكر بن تاج ، ابن أم البنين ، سميد بن عبد ربه ، اصبح بن يحيى ، محمد بن قلسح ، أبو الوليد بن الكتاني ، أبو عبدالله بن الكتاني ، أحمد بن حكيم بن حفصون ، أبو بكر أحمد بن جابر ، أبو عبدالله الملك التقي ، هرون بن موسى الاشبوني ، محمد بن عبدون الجبلي العذري ، عبد الرحمن بن اسحق ابن الهيثم ، ابن جلجل ، أبو العرب يوسف بن محمد ، ابن البغوش ، ابن واقد ، الرميلى ، ابن الذهبي ، ابن الناش ، أبو جعفر بن خيس الطليطلي — أبو الحسن عبد الرحمن بن خلف بن صاكر الدارمي ، ابن الخطاط ، منجم بن التوال ، مروان بن جناح ، اسحق بن قسطار ، حسداي بن اسحق ، أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي ، أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي ، ابن سنجون ، البكري ، الفافقي ، الشريف محمد بن محمد الحسني ، خلف بن عباس الزهراوي ، ابن بكلارش ، أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت ، ابن باجة ، أبو مروان

ابن زهر ، أبو الملاة بن زهر ، أبو مروان بن أبي العلاء بن زهر ، الحفيد أبو بكر بن زهر ، أبو محمد بن الحفيد أبي بكر بن زهر ، أبو جعفر بن هارون الترجلي ، أبو الوليد بن رشد ، أبو محمد ابن رشد ، أبو الحجاج يوسف بن موراطير ، أبو عبدالله بن يزيد ، أبو مروان عبد الملك بن قبلان ، أبو اسحق ابراهيم الداني ، أبو يحيى بن قاسم الاشبيلي ، أبو الحكم بن غلندو ، أبو جعفر احمد بن حسان ، أبو الملاة بن أبي جعفر أحمد بن حسان ، أبو محمد الشذوني ، المصدوم ، عبد العزيز بن مسعدة الباجي ، أبو جعفر بن الغزال ، أبو بكر بن القاضي أبي الحسن الزهري ، أبو عبدالله الندرومي ، أبو جعفر احمد بن سابق ، ابن الحلاء المرسى ، أبو اسحق بن طلوس ، أبو جعفر الذهبي أبو العباس بن الرومية ، أبو العباس الكنيناري ، ابن الاصم .

الباب الرابع عشر

٥٤٠

طبقات الاطباء المشهورين من اطباء ديار مصر

بلطيسان ، ابراهيم بن عيسى ، الحسن بن زريك ، سعيد بن قويل ، خلف الطولوني ، نسطاس بن جريج ، اسحق بن ابراهيم بن نسطاس ، البالي ، موسى بن المازان الاسرائيلي ، يوسف النصراني ، سعيد بن البطريق ، عيسى بن البطريق ، أعين بن أعين ، التميمي ، سهلان ، أبو الفتح منصور بن سهلان بن مقشر ، عمار بن علي الموصل ، الحفيد النافع ، أبو بشر طبيب العظيمة ، ابن مقشر الطبيب ، علي بن سليان ، ابن الهيثم ، المبشر بن فاذك ، اسحق بن يونس ، علي بن رضوان ، افرام بن الزقان ، سلامة بن رحون ، مبارك بن سلامة بن رحون ، ابن العين زربي ، بلطغر بن معرف ، الشيخ السديري ، الطب ، ابن جميع ، أبو البيات ابن المدور ، أبو الفضائل بن الناقدة ، الرئيس هبة الله ، الوفاق بن شوعة ، أبو البركات بن القضاعي ، أبو المعالي بن تمام ، الرئيس موسى ، ابراهيم بن الرئيس موسى ، أبو البركات بن شعيا ، الاسعد المهلي ، الشيخ السديد بن أبي البيان ، جمال الدين بن أبي الخوافر ، فتح الدين بن جمال الدين بن أبي الخوافر ، شهاب الدين بن فتح الدين ، القاضي نفيس الدين بن الزبير ، أفضل الدين الخولجي ، أبو سليان داود بن أبي المتى بن أبي فانة ، أبو سعيد بن أبي سليان ، أبو شاكرا ابن أبي سليان ، أبو نصر بن أبي سليان ، أبو الفضل بن أبي سليان ، رشيد الدين أبو حليقة ، مهذب الدين أبو سعيد محمد أبي حليقة ، رشيد الدين أبو سعيد ، اسعد الدين بن أبي الحسن ، ضياء الدين بن البيطار .

الباب الخامس عشر

٦٠٣

طبقات الاطباء المشهورين من اطباء الشام

أبو نصر الفارابي ، عيسى الرقي ، اليرودي ، جابر بن منصور السكري ، ظافر بن جابر

السكري، موهوب بن الظافر ، جابر بن موهوب ، أبو الحكم ، أبو المجد بن أبي الحكم ، ابن
البنوخ ، حكم الزمان، عبد المنعم الجلياني، أبو الفضل بن أبي الوقار، مهذب الدين بن النقاش،
أبو زكريا يحيى البياسي ، سكرة الحلبي ، غيف بن سكرة ، ابن الصلاح ، شهاب الدين ،
السهروردي ، شمس الدين الحوي ، رفيع الدين الجيلي ، شمس الدين الحسرو شاهی، سيف الدين
الأمدي ، موفق الدين بن المطران، مهذب الدين بن الحاجب، الشريف الكحال ، أبو منصور
النصراني ، أبو النجم النصراني ، أبو الفرج النصراني ، فخر الدين بن الساعاتي ، شمس الدين
ابن اللبودين ، صاحب نجم الدين بن اللبودين ، زين الدين الحافظي ، أبو الفضل بن
عبدالكريم المهندس ، موفق الدين عبد العزيز ، سعد الدين بن عبد العزيز ، رضي الدين
الرحبي ، شرف الدين بن الرحبي ، جمال الدين بن الرحبي ، كمال الدين الحمصي ، موفق الدين
عبد اللطيف البغدادي، أبو الحجاج يوسف الاسرائيلي، عمران الاسرائيلي ، موفق الدين يعقوب
ابن سقلاب ، سديد الدين أبو منصور ، رشيد الدين بن الصوري ، سديد الدين بن رقيقة ،
صدقة السامري مهذب الدين يوسف بن أبي سعيد ، المصاحب أمين الدولة ، مهذب الدين
عبد الرحم بن علي ، عمي رشيد الدين علي بن خليفة ، بدر الدين ابن قاضي بعلبك ، شمس
الدين محمد الكلبي ، موفق الدين عبد السلام ، عز الدين بن السويدي ، عماد الدين الدنيسري ،
موفق الدين يعقوب السامري ، أبو الفرج بن العلف .

فهرست الاعلام والامكنة

| | |
|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ابن عباس : ١٧ ، ١٧٤ | - ١ - |
| ابن حنبل : ١٨ | ابراهيم بن أيوب : ٢٤١ |
| ابن جزلة : ٣٤٣ | ابراهيم بن الصلت : ٢٨٢ |
| ابن سلام : ٢٥٤ | ابراهيم بن فزارون : ٢٤٠ |
| ابن المهدي جبرائيل : ١١٨ ، ١٢٠ | ابراهيم الحصري : ٢٠٣ |
| ابن التميمي البغدادي : ٩١ ، ٢٦٠ ، ٢٨٦ | ابن قراط : ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٨٥ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١٢٣ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٧٩ ، ٢٤٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٩٨ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٧١ ، ٤١٦ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٧٢ ، ٤٧٩ |
| ابن بلج : ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ | ابن أبي أصيبعة : ٣ ، ٥ ، ٦ |
| ابن وصف الصابي : ٣١١ | ابن أصفين : ٤٦١ |
| ابن قوسين : ٣٣٣ | ابن بختويه : ١٢٤ ، ٢٨٨ ، ٣٤٠ |
| ابن صهاربخت : ٢٧٨ | ابن جلجل : ٣٨ ، ٤٨ ، ٧٩ ، ١٠٧ ، ١٢١ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٨٦ ، ٣١١ ، ٣٢٩ ، ٤١٦ ، ٤٧٨ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ |
| ابن الشيل البغدادي : ٣٣٣ | ابن أبي رمة التميمي : ١٧٠ |
| ابن مهان : ٢٧٨ | ابن الدايه : ٤٧٥ |
| ابن بطلان : ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٩١ | ابن أقال : ١٧١ ، ١٧٢ |
| ابن سينا : ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٩١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٥٠ ، ٤٥٤ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ | |
| ابن شهيد الكرخي : ٢٨٠ | |
| ابن دينار : ٣٢٩ | |
| ابن الراوندي : ٢٩٢ | |
| ابن رضوان : ٣٢٦ ، ٣٣٥ | |
| ابن الهيثم : ٥٥٠ | |
| ابن البنوخ : ٦٢٨ | |
| ابن كرتيب : ٣١٧ | |

أبو سعيد بن قرة : ٣٠٤ ، ٣٠٠
 أبو سليمان النطقي : ١٨ ، ٢٩ ، ٩١ ، ١٥٢ ،
 ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٩٢
 أبو الحسن ثابت الحرّاني : ٢٩٥ ، ٣٠٤
 أبو العلاء المعري : ١٣٠ ، ٣٢٧
 أبو إسحاق بن قرة : ٣٠٧
 أبو الفرج الأصبهاني : ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٨١ ، ٢٠١
 أبو الوفاء : ١٨ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٤٩ ، ٦٣ ، ٧٠ ،
 ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٨ ،
 ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ٣١٨
 أبو القاسم صاعد : ٦١ ، ٧٠ ، ٢٨٧ ، ٤١٦ ،
 ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤
 أبو الفرج ابن الغف : ٧٦٧
 أبو نصر بن أيوب : ٢٨١
 أبو مشر : ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٢٨٦ ، ٤١٤ ،
 ٤٧٣
 أبو نواس : ٢٠٠ ، ٢٢٣
 أبو الهنديل أبرصري : ٦١
 أبو يوسف الكاتب : ٢٨٢
 أبو يعقوب الأهوازي : ٣٢٢
 أبو سعيد البجلي : ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧
 أبو سعد البجلي : ٤٥٧
 أبو الفرج البجلي : ٣٢٣
 أبو الفرج ابن الطيب : ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ،
 ٣٢٧ ، ٤٥٨
 أبو نصر التكريتي : ٣٢٨ ، ٣٩٩
 أبو الخطاب : ٣٤٣
 أبو طاهر البرنسي : ٣٤٤ ، ٣٤٥
 أبو نصر المسيحي : ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥
 أبو الفرج صاعد : ٤٠٥
 أبو جعفر بن دميح : ٤٨٥

ابن زرعة : ٣١٨ ، ٣١٩
 ابن عبد ربه : ٤٩٠
 ابن الواسطي : ٣٤٣
 ابن صفية : ٣٤٧
 ابن الحفيد بن زهر : ٥٢٨ ، ٥٢٩
 ابن زهر : ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩
 ابن المارستاني : ٤٠٧
 ابن سدير : ٤٠٧
 ابن ربن الطبري : ٤١٤
 ابن الصيد : ٤٢٥ ، ٤٤٣
 ابن قارن الرازي : ٤١٨
 ابن حمدون : ٤١٧ ، ٤١٨
 ابن خاقان : ٤١٩
 ابن خطيب الرّي : ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥ ،
 ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢
 ابن السمح : ٤٨٣
 ابن خلدون : ٥٨٣ ، ٤٨٥
 ابن الصفار : ٤٨٣ ، ٤٨٥
 ابن مندويه : ٤٥٩ ، ٤٦٠
 ابن الجزّار : ٤٨٠ ، ٤٨١
 ابن مشر : ٥٥٠
 أبو إسحاق إبراهيم : ١١٨ ، ٣٠٤
 أبو بكر : ١٦١
 أبو الفضل بن حوية : ٤٦١
 أبو جابر : ١٣ ، ١٤
 أبو الحسن اختار : ١٥١
 أبو الحكم : ١٧٥
 أبو الخير بن الخطار : ١٥٧ ، ١٥٨ ، ٤١٦ ،
 ٤٢٠ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠
 أبو زيد الأنصاري : ١٦١
 أبو الفرج بن هندو : ١٥٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٥
 أبو سفيان : ١٦٧ ، ١٦٩

| | |
|---------------------------------------|---------------------------------------|
| اسطفن بن باميل : ٢٨١ ، ٤٩٣ | ابو علي التنوخي : ٤١٧ |
| الافشين : ٢٢٤ ، ٢٢٥ | ابو الخطاب بن ابي طالب : ٤٢٨ |
| اسرائيل بن سهل : ٢٣٠ | ابو طالب الماي : ٤٥١ |
| أردوتس : ٢٥ ، ٣٥ | ابو بكر البرقي : ٤٣٩ ، ٤٥٧ |
| أدياسيوس : ٢٠ | ابو محمد المهدي : ٤٧٩ ، ٤٨٠ |
| اسرائيل بن زكريا الطيفوري : ٢٢٥ | ابو الفضل بن عبد الكريم المهندس : ٦٦٩ |
| اسقلس : ٤٠ | أحمد بن ابي الأشعث : ٣٣١ ، ٣٣٢ |
| افلاطون : ٣٠ ، ٢١ ، ٤٠ ، ٦١ ، ٧٥ ، ٧٦ | أحمد بن طولون : ٢٤٩ |
| ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٩ | أحمد البلدي : ٣٣٢ |
| ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٢٦ | أذربيجان : ٤٧٢ |
| ٢٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٦٧ ، ٢٧٣ ، ٢٨٩ | الأزهري : ٤٤٣ |
| ٣٠٠ ، ٣٥٥ ، ٤٢٣ | اشيلية : ٤٨٥ |
| اسقليوس : ٨ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٧ | اصفهان : ٤٤٢ ، ٤٤٤ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ |
| ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ | ألابامي : ٤٥٩ |
| ٣٨ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ | اسحق بن عمران : ٤٧٢ ، ٤٧٩ |
| ٤٥ ، ٥٦ ، ٨٠ ، ٨٦ ، ١١٠ ، ١١٥ | الإسرائيلي : ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ |
| اسكندرية : ٨ ، ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٤٣ ، ١٤٦ | ٤٨٢ |
| ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ | اصبح بن يحيى : ٤٩١ |
| ١٧١ ، ٢٦٢ ، ٢٧٥ | ألبيا : ٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ١٢٣ |
| اسكندر : ١٨ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ١٠١ ، ١٠٥ | أخطيفون : ٤٠ |
| ١١١ ، ١١٢ ، ١١٥ | آدم : ١٨ ، ٣٢ ، ٢٧٤ |
| اسطورس : ٤٠ | إخوان الصفاء : ٤٨٥ |
| اسحق بن حنين : ٨١ ، ٨٦ ، ١١٥ ، ١١٦ | أرميلية : ١١٨ |
| ٢٣٤ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩ ، ٢٨٦ | أرسطو : ٣٠ ، ٤٠ ، ٦١ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦ |
| آفانثون : ٣٣ | ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ |
| آفانثيس : ٤٠ | ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ |
| أفيداروس : ٢٠ | ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٤٠ |
| اغسطس : ١١٢ | ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٥٣ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ |
| اقریطوش : ١٢ ، ٢٦ | ٢٧٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ |
| احماعيل بن قبيحت : ١١٩ | ٣٥٥ ، ٤٢٠ ، ٤٢٣ ، ٤٤١ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ |
| اسكندر السمقي : ١٠٦ | ٥٣٣ ، ٥٣٣ |
| اسحق الرهاوي : ١٩١ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ | أسطاش : ٢٨١ |

ابطالية : ٦٥

أبلىق : ٣٨

أبواب الأبرش : ٢٨٠ ، ٢٤٠

أبواب ما : ١٤٧

أبواب الرهاوي : ٢٨١

أبوية : ٥

أبوليوس : ٢٩

— ب —

بابك : ٢٢٤

بابك : ١٢ ، ٣١ ، ٣٢

بارميناس : ٤٢٢

بختيشوع : ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٨٦ ، ١٨٧ ،

١٨٨ ، ١٩١

بختيشوع بن جبرائيل : ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،

٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،

٢١٨ ، ٢٤٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ،

بختيشوع بن يوحنا : ٢٧٧

بدر : ١٦٩ ، ١٧٠

باجي : ٥٢٩

بحرين : ٢٨٥

بخاري : ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩

برامكة : ٢٠٠

برمنيدوس : ٤٠ ، ٨٥ ، ١٤٧

بصرة : ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ،

٤٣٥

بطرس (الرسول) : ١١٢

بطليموس : ٨٦ ، ٩٤ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ٢٨٩ ،

٢٩١ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٤٤٤ ، ٤٥٩ ، ٤٨٣ ،

٤٨٨

بعلبك : ١١٣

بديع الاسطرلابي : ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ،

٣٨٧

٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٢ ،

اقليدوس : ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٩ ،

٣٣٠ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٥ ، ٤٨٣ ، ٤٩٢ ،

اجماعيلية : ٤٣٧

اسيوط : ١٢٣

أشتر : ١٧٤

اسحق بن شليطا : ٣٢١

افلوطرخس : ٤٢٥

ألتنيوس : ٤٢٩

ألمانيا : ٦

امين الدولة : ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ،

٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ،

٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٧ ، ٤٠٥ ،

أعين بن أعين : ٥٤٦

اسحق بن يونس : ٥٦١

افرائيم بن الزمان : ٥٦٧

اماسيس : ٦٤

امينوس : ٤٠

ألكسياندرس : ٦٤

أنبار : ١١٨ ، ١٩٦ ، ٣١٣

أندروماخس : ٢١ ، ٢٣

انطاكية : ١١٣ ، ١٥٣ ، ١٧١ ، ٣٢٣

انقرة : ٢٤٦

انطيمضس : ٤٠

أنجلس : ١١٢ ، ١٩٠ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ،

٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٩٩ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥١٣ ،

أمين : ١٨٩ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٦ ،

أهواز : ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٣١٩

أوميروس : ١٠٥ ، ١٦٧ ، ٢٥٨

ايراقليدوس : ٤٣

ايراقلس : ٤٠ ، ٤٣ ، ٥٩

ايراقليطوس : ٨٠

بنو العباس : ٨ ، ١٨٣ ، ٢٣٢ ، ٤٧٦
 بنو هاشم : ٢٢١ ، ٢٣١ ، ٢٤٤ ، ٢٨٦ ،
 ٣٠١ ، ٣٠٢
 بدر الدين بن قاضي بلبلك : ٧٥١

- ت -

تدرس السنفل : ٢٨١
 تنوخي (القاضي) : ٤١٧ ، ٤١٨
 تشار : ٤٣٥
 تلج الملك : ٤٤١ ، ٤٤٢
 تلج الدين الأرموي : ٤٧٠
 تشار : ٤٦٦ ، ٤٥٤ ، ٤٧٢
 ترجالي : ٥٣٠
 تونس : ٥٣٣
 تورا : ١١١
 تيانوق : ١٨٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢
 تبادروس : ٤٦٣
 تيمي : (ابو عبدالله سميد) : ٥٤٦ ، ٥٤٧

- ث -

ثابت بن سنان : ٢٠٦ ، ٢٤١ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ،
 ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٧
 ثابت الناقل : ٢٨٢
 ثابت الحرالي : ٣٣ ، ٢٨٠ ، ٣٠٠
 ثوفرطس : ١٠٦
 ثاوذوسيس : ٢٩٢
 ثقيف : ١٦٦ ، ٢٣٣
 ثعالي : ٤٣٠

- ج -

جالينوس : ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ،
 ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٤

بالسي : ٥٤٥
 باسيل المطران : ٢٨١
 باغونش : ٤٩٥
 بطريق : ٢٨٢
 بقاع : ٤٦٠
 بغداد : ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٦٢ ، ٢٧٤ ،
 ٢٨٦ ، ٢٩٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ،
 ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ،
 ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ،
 ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٧٤ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٩٩ ،
 ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤١٤ ،
 ٣١٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٤٥٤ ، ٤٥٨ ،
 ٤٧١ ، ٥٧٢ ، ٤٧٨
 بكر : ٩ ، ٢٨٥ ، ٣٢٧ ، ٤٧١
 بندهي : ٤٦٨
 برزوية : ٤١٣
 بلخ : ٤١٦ ، ٤٣٧
 بلخي : ٤١٦ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦
 بندقليس : ٦١ ، ٦٢
 بغدادي : ٤٧١
 بكري : ٥٠٠
 بويية : ٤٣٥
 برقليس : ٤٢٥
 بهاء الدين بن حشد الدولة : ٤٣٥
 بولس (الرصمل) : ١١٠ - ١١٢
 بيهقي : ١١٠
 بهاء الدين بن نقاده : ٢٥
 بيت لحم : ١١٢
 بيرون : ٤٥٩
 بيروني : ٢٠٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩
 بنو امية : ١٦٧ ، ١٦٩ ، ٢٣٢ ، ٢٧٤
 بنو طالب : ٢٣٢

| | |
|---------------------------------------------|----------------------------------------|
| جفر اليرمكي : ١٨٨ ، ١٩٦ ، ٤٧٦ | ٣٥ ، ٢٣٦ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٥ |
| جاری : ٤٧٣ | ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٨٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ |
| جمال الدين بن اثردة : ٤٠٠ | ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ |
| جوزاني : ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٥٧ | ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٣ |
| جندي سابور : ١٨٧ ، ١٨٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ | ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ |
| ٢٣٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥٧ | ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ |
| جنكيزخان : ٤٦٦ | ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ |
| جواد النصرائي : ٤٨٥ | ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ |
| جودر : ٤٧٤ | ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٩ ، ٢٠١ |
| جنولي : ٥٢٩ | ٢١٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ |
| جرجس : ٢٧٩ | ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ |
| جورجيوس بن جبرائيل بن عبيدالله بن بختيشوع : | ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٩٥ |
| ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٩٨ | ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٣١ |
| جورجيوس : ٤٠ | ٣٣٢ ، ٣٤٢ ، ٣٧١ ، ٤٧٤ ، ٤١٦ ، ٤١٥ |
| جوهری : ١٦١ | ٤٢٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ |
| جباتي : ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٥٧ | ٤٣٦ ، ٤٦١ ، ٤٧٩ ، ٤٩٧ ، ٥٣٠ ، ٥٣٢ |
| - ح - | جاحظ : ٢٥٣ ، ٤٢٢ |
| حبش الأعسم : ١٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ | حجبر : ٤٧٣ |
| الحجاج : ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ | جبرائيل بن بختيشوع : ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ |
| الحجاج بن مطر : ٢٨٠ | ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ |
| الحثر بن كلدة الثقفی : ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٥ | ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٤٢ |
| ١٦٦ ، ١٦٧ | ٢٤٧ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٤١٦ |
| حسام النولة : ٢١٣ | ٤٧٥ ، ٤٧٦ |
| الحسن بن سهل : ١٨٩ | جبرائيل بن عبيدالله بن بختيشوع : ٢٠٩ |
| الحسن بن علي : ١٧٤ | ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ |
| الحسن الطوسي : ١٩٢ | جبرائيل كمال المأمون : ٢٤١ ، ٢٤٢ |
| حلب : ١٢٣ ، ٣٢١ ، ٤٠٣ ، ٤٧٢ | جزيرة : ٩ ، ١٤٦ ، ٢٨٥ ، ٣٢٧ ، ٣٩٧ |
| حفصون : ٤٩٢ | جمعة بنت الأشعث : ١٧٤ |
| الحلاجي : ٢٧٨ | جرجان : ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤٣ ، ٤٥٧ |
| حران : ٢٩٥ | جرجاني : ٢٩٦ |
| حكم النمشقي : ١٧٦ | جرجاني (ابو سهل) : ٤٠٢ ، ٤٣٦ ، ٤٥٧ |
| | ٤٧١ |

حسين بن خرمين : ٤٦٢

حضر موت : ٢٨٥

الحسني : ٥٠١

سوران : ٥

حي بن يقظان : ٤٤١ ، ٤٥٧

حسين بن اسحق : ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٩ ، ٥٨

٥٩ ، ٦٠ ، ٨١ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧

١٣١ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦

١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢٠١ ، ٢٣٠ ، ٢٥٧

٢٠٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣

٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠

٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠

٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٩٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٥ ، ٣٤١

٤٠٦ ، ٤٢٤ ، ٤٢٩ ، ٤٦١ ، ٤٩٣ ، ٥١٤

الحسن بن أردى : ٢٠٠

حسدائي بن اسحق : ٤٩٨

الحسن بن بابا : ٤٢٠

الحفيد بن زهر : ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤

٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٣

حسدائي الاسرائيلي : ٤٧٥ ، ٤٩٤

الحمراني : ٤٨٦ ، ٤٨٧

حبرون بن رابطة : ٢٨٠

الحيرة : ١٩١ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨

الحسيني : ٤٥٧

حدين بن أيان : ٤٨٥

حقير النافع : ٥٤٩

حكيم الزمان عبد التميم الجلباني : ٦٣٠

خ -

خالد بن المهاجر : ١٧٢

خراسان : ١٩٧ ، ٢٣١ ، ٣٠١ ، ٤١٦ ، ٤١٧

٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ ، ٤٣٦ ، ٤٣٩ ، ٤٤٣

خرويسين : ٣٩

خصيب : ٢١٤ ، ٢١٥

خسرو شاه : ٢١٢ ، ٢١٣

الخوارزمي : ٤٨٣

الحليل بن أحمد : ٢٥٧ ، ٢٦٢

الجيايط : ٤٩٧

خوارزمشاه بن مأمون : ٤٢٩ ، ٤٣٧ ، ٤٦٢

٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٧٢

خوارزم : ٤٥٩ ، ٤٦٦ ، ٤٧٢

شالك بن رومان النصراني : ٤٨٥

خلف الزهراوي : ٥٠١

- ٥ -

دارا : ١٨ ، ٤٧ ، ٨٠ ، ١١١ ، ١١٨

داود الثاني : ٦١

داود بن سراييون : ٢٤١ ، ٢٤٥

دانيال : ٢٢٠

دجلة : ٣٠٢

الدائي : ٥٣٤

دمشق : ٥ ، ١٤٦ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٦

١٧٨ ، ٢١٣ ، ٢٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٤٠٢

٤٧٠

داود بن ديلم : ٣١٥

ديلم : ٢١٥

الديتوري : ٥٢٩

الديلي : ٤٤٣

ديرجانيس : ١٢٩

ديستوريس : ٢٦ ، ٣٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ١٢٩

٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥

ديوقريطس : ٣٥

- 3 -

الذهبي : ٤٩٧ ، ٥٣٢

-ج-

الرازي : ٢٤ ، ١٢٩ ، ١٥٩ ، ٢٣٢ ، ٤١٤ ،
 ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ،
 ٤٢١ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٦ ، ٤٦١ ،
 ٤٧٣ ، ٥١٦ ،
 الرازي : ٢٧٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ،
 ابن الطبري : ٤١٤ ،
 راوس : ٤٠ ،
 ربيعة : ٣٢٧ ،
 الرينة : ٢١٦ ،
 الربيع : ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،
 الرشيد : ١١٨ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ،
 ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ،
 ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٨ ، ٢٨٥ ،
 ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ،
 ركن الدين الرازي : ٤٦٥ ،
 الرقة : ٢١٧ ،
 الرقي : ٣١٦ ،
 الركاكي : ٤٤٣ ، ٤٤٤ ،
 رودس : ١٢ ، ٤٤ ،
 الروم : ٣٨ ، ٥٦ ، ٨٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٨ ،
 ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٩٨ ، ٢٣٥ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ،
 ٢٧٤ ، ٤١٠ ، ٤١٩ ، ٤٩٤ ،
 رومية : ٣٠ ، ٧٣ ، ١١٣ ، ١٤٤ ، ١١٥ ،
 ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،
 ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ،
 رضي الدين الرسي : ٦٧٢ ،
 رشيد الدين ابو حليقة : ٥٩٠ ،
 رشيد الدين بن الصديري : ٦٩٩ ،
 رشيد الدين علي بن خليفة : ٧٣٦ ،

الرميلي : ٤٩٦ ، ٤٩٧ ،

-ج-

الزبير بن العوام : ١٧٣ ،
 زاهد الملاء : ٣٤١ ، ٤١٤ ،
 زرادشت : ١٨ ،
 زيادة التميمي : ٤٧٨ ، ٤٧٩ ،
 زروبا الحصي : ٢٨٠ ،
 زيغ البتاني : ٤٨٣ ،
 زكريا بن الطيفوري : ٢٢٤ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ،
 ٢٥٢ ،
 الزهراوي : ٤٨٣ ، ٤٨٤ ،
 زين الدين الحافظي : ٦٦٨ ،
 زوس : ٣٥ ،
 زيلب الأودية : ١٨١ ،
 زينون : ٦٠ ،
 - من -
 ساجر : ٤٤٢ ، ٤٥٧ ،
 ساجر بن سهل : ٢٣٠ ،
 سلامة بن رمحون : ٥٧٠ ،
 ساوثوس : ٤٠ ،
 ساعاتي فخر الدين : ٦٦١ ،
 سين المتالي : ٤٢٢ ،
 السمقندي :
 مرسيس : ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٢٥٩ ، ٢٨٠ ،
 ٢٨٢ ،
 صر من رأي : ٣٣٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥ ،
 صريان ص : ٨ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٦٤ ، ١٤٥ ،
 ١٤٧ ، ١٥٨ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ٢٠١ ،
 ٢٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ،
 ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ،
 ٣٠٤ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٤٢٤ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ،

| | |
|--------------------------------------|---------------------------------------|
| سولوث : ٣٠ | المرخسي : ٢٦٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٣ ، ٤٢٣ ، ٤٧٠ |
| سورانس : ٤٠ | السموأل : ٤٧١ |
| سيفلس : ٤٠ | سمد بن أبي وقاص : ١٦١ |
| سيفليا : ٦٥ - ٨٠ - ٨٧ - ٩٠ - ١٢٤ | سميجون : ٥٠٠ |
| سيف الدولة : ٣٢٢ | سميد بن هبة الله : ٣٤٢ ، ٣٤٣ |
| سهلان : ٥٤٨ | سميد بن يعقوب الدمشقي : ٢٨٢ |
| سمد الدين بن عبد العزيز : ٦٧١ | سميد بن البطريق : ٥٤٥ |
| سكرة الحلي : ٦٣٧ | سميد بن أروى : ٣٩٩ |
| سهرودي : ٦٤١ | السندي : ٤٨١ |
| سيف الدين الامدي : ٦٥٠ | سقراط : ٤٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ |
| سدبد الدين أبو منصور : ٦٩٩ | ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٥ - |
| سدبد الدين بن ربيعة : ٧٠٣ | ١٢٩ - ٢٩٢ - ٢٩٤ - ٢٩٩ |
| - ش - | سقراطون : ٣٩ |
| الشام : ٦ ، ٩ ، ٣٣ ، ١٤٦ ، ١٧٢ ، ٢٣١ | السلي : ٤٥٨ - ٤٥٩ |
| ٣٥٢ ، ٣٢٦ - ٣٥٤ | سقوريدس : ٤٠ |
| شهيد بن الحسين : ٤١٦ | سقيروس : ٤٠ |
| شرف الدين بن رجة : ٦٧٥ | سلويه : ١٧٨ |
| شرف الزمان المار سامي : ٤٧٢ | سلويه بن بنان : ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ |
| الشافعي : ٤٧٠ | ٢٣٨ - ٢٣٩ |
| شرف الدين بن عنين : ٤٦٣ | سليان بن داود : ١٧ - ٣٩ - ٦٢ |
| شريف الكمال : ٦٦٠ | سليان بن مهران الكوفي : ١٧١ |
| شمس الدين بن هبل : ٤١٠ | سليان بن تاج : ٤٨٩ |
| شمس الدين محمد الكلي : ٧٥٥ | سميد بن عبد ربه : ٤٨٩ - ٤٩٠ |
| شمس الدين بن خطيب الري : ٤٦٦ | سمرقند : ٤٦٦ |
| شمس الدين بن البودي : ٦٦٢ | سمرقسطه : ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٩١ - ٤٩٨ - |
| شبرزيل بن ركن الدولة : ٤٦٠ | ٤٩٩ |
| شمس الدين الحسروشاهي : ٤٣٥ | سمرطس : ٤٠ |
| شمس الدولة : ٤٤٠ ، ٤٤١ | السند : ٢٤٠ |
| شمس الدين الوزار : ٤٦٢ ، ٤٦٣ | سهل الكوسج : ٢٢٨ - ٢٥١ |
| الشمعي : ١٧٠ | السودان : ٢٤١ |
| شائان : ٤٧٤ ، ٤٧٥ | سورندوس : ٤٠ |
| | سبيويه : ٢٦٢ |

الشيرزاي : ٤٤٠ ، ٤٥٧

شهاب الدولة : ٤٥٩

الشنولي : ٥٣٥

شمس الدين الخسروشامي : ٦٤٩

شيرشوح بن قطرب : ٢٨٣

شهدي الكرخي : ٢٨٠

شيت : ١٨ ،

شير الحراقي : ١١٧

شيراز : ٢١١ ، ٤٤٣

- ص -

صائب : ١٧ ، ٩٦ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥

الصاحب بن عباد : ٢١١ ، ٢١٢

صرخد هـ

الصرخدي : ٤١١

صاعد بن عبدوس : ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ،

٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧

صاعد بن مبة الله (أبو الحسين) : ٤٠٦

صفين : ١٧٢

الصافي : ٤٤٣

الصاحب الطالقاني : ٤٤٣

صاحب امين الدولة : ٧١٣

الصوفي : ٤٤٥

صنجهل : ٤٧٣

صكه : ٤٧٣

صالح بن بجة : ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧

الصنهاجي : ٤٨٣

صدقة السامري : ٧١٧

صور : ٦٣

الصوفي : ٦

- ط -

ضياء الدين بن خطيب الري : ٤٦٦

- ط -

الطائف : ١٦١

طاهر بن الحسين : ٢٥٦

الطبري : ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٩٢ ، ٣٢٧ ، ٣١٢

طبرستان : ٣٧٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٧

طارم : ٤٤١

طبران : ٤٤٢

طاهر السجري : ٤٦١

طغريك : ٤٧٢

طلطله : ٤٨٥

طحاون : ٤٨٦

طوس : ٢٥٨ ، ٤٣٩

الطوسي : ٢٢٢ ، ٢٢٣

طورسينا : ١٢

طيبريه : ١٥٨

طيارمى : ٤٢٥

- ع -

عبدالله بن طاهر : ١٧٦

عبدالله بن زهر : ٢١

عبرانيون : ٣١

عبدالله بن جبرائيل : ١١١ - ١١٢ - ١١٥ -

١١٧ - ١٥٢ - ٢١٤ - ٢٦١ - ٣٠٨ - ٣٠٩ -

٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٤١٥ - ٤١٦ -

٤٢٠ - ٤٣٦

عبدالله الطيفوري : ٢٢٠ - ٢٢٢ - ٢٢٣ -

٢٢٤ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٧٣

عزالدين : هـ

عبد الملك بن أبحر الكتاني : ١٧١

العراق : ٩ - ١٨ - ١٧٨ - ٢٥٤ - ٢٥٧ -

٢٥٩ - ٢٨٥ - ٣١١ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٨٠ -

٤١٤ - ٤٧٥ - ٥١٨

العرب : ٦٠٧ ، ٨٠٩ ، ٣١٩ ، ٤٩٠ ،
 ٥٨٠ ، ٩٢٩ ، ١٤٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ،
 ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠١ ، ٢١٦ ،
 ٢٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ،
 ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ ،
 ٣٠٠ ، ٣١٧ ، ٤١٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ،
 ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦٦ ، ٤٧٥ ،
 عروة بن الزبير : ١٧٢ ، ١٧٣ ،
 عبدوس بن زيد : ٢٢٨ ،
 عمر بن الخطاب : ١٦١ ،
 عمر بن عبد العزيز : ١٧١ ، ١٧٢ ، ٢٣٢ ،
 عمرو بن العاص : ١٥٢ ،
 عبد الرحمن بن خالد بن الوليد : ١٧٢ ، ١٧٤ ،
 عباد بن عباس : ٤٥٩ ،
 عبد الملك بن مروان : ١٧٥ ، ١٧٩ ، ٢٢٦ ،
 عبد يشوع بن يوريز : ٢٨٢ ،
 عضد الدولة : ٢١١ ،
 الصناري : ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٩ ،
 العلوية : ١٩٤ ، ١٩٥ ،
 عبدالله بن الفضل : ٤١٣ ،
 علي بن أبي طالب : ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ،
 ١٧٢ ، ١٥٤ ،
 عبدالله بن رشد : ٥٣٣ ،
 عمر بن عبدالله النحلي : ٣٢١ ،
 علاء الدولة : ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٤ ،
 المكبري : ٤٠٧ ،
 علاء الملك : ٤٦٦ ،
 علي بن أبي طالب القبرواني : ٢٠ ،
 علي بن رضوان : ٢٠ ، ٤٤ ، ١٥٤ ، ٤٢٦ ،
 ٤٢٨ ، ٤٨٠ ، ٥٦١ ،
 علي بن سليمان : ٥٥ ،
 عبد الرحمن بن الهيثم : ٤٩٣ ،
 الخاس : ٥٩ ،
 غزنة : ٤٥٩ ،
 النافقي : ٥٠٠ ،
 غازي الأبرقي : ٤٠٣ ،
 النوري : ٤٦٣ ،
 غسان بن عباد : ٢٤٠ ،

— غ —

الغزالي : ١٧٠ ، ٥٣٢

غراطية : ١٨٣

الغزاطي : ٥٣٥

خورس : ٣٩ ، ٤٠

- ف -

الفارابي : ٩٢ ، ٣١٨ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤

فارس : ١٢ ، ١٨ ، ٣٦ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٤٧ ،

١١٨ ، ١١٩ ، ١٦١ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ،

٢١١ ، ٢٣٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٧٩ ، ٣٢٤ ،

٤١٣ ، ٤٢٤ ، ٤٣٥ ، ٤٥٨ ، ٤٦٦ ، ٤٧٠ ، ٤٧٢ ،

الفتح بن خاقان : ٢٢٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣

قنبر : ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ،

١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢٤١ ، ٢٨٠ ،

قصر الدين المارديني : ٤٠٢ ، ٤٠٣

قنون : ٣٢١

الفضل بن جرير التكريتي : ٣٢٨

الفضل بن الربيع : ١٨٩ ، ١٩٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٨

الفسطاط : ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨

الفوال : ٤٩٨

فلسطين : ١٤٦ ، ٢٣٨ ، ٤٧٧

فردجان : ٥٧

الفوسي : ١٣٥

فسا : ١٣٥

الفارسي : ٥٧

قولس : ٤٠

فيتاغورس : ٣٢ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ،

٦٥ ، ٦٦ ، ٥٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ،

٨٠ ، ٢٩٤

فيلبس : ٨٨

- ق -

القاسية : ٢٣٦ ، ٢٥٧

القاهر : ٥

القاهر : ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٢٠

القاسم بن سلام البغدادي : ١٧٣

قريش : ١٦٧ ، ١٦٩

قزوين : ٢٣٨

القاسم بن عباد : ٢٢٩ ، ٢٧٤ ، ٢٩٤ ، ٣١٢

قسطنطينية : ١١٣ ، ١١٧ ، ١٣٥ ، ٢٤٧ ،

٣١٨ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٤٩٣

قسطنطين لوقا البعلبي : ٢٨٠ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠

قطرطس : ٤٠

قوام الدين المهدي : ٤٧٢

القنطلي : ٤٠٥ ، ٤٧١ ، ٤٨٢

القطب المصري : ٤٦٢ ، ٤٧١

قاطيغورياس : ٤٢٢ ، ٤٢٩ ، ٤٤٠ ، ٤٥٨

قفط : ٨٢

القناتي : ٤٢٧

القيروان : ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٩٠

القيوري : ٣١٦

القنري : ٤٣٥ ، ٤٣٦

قرطبة : ٤٨٢ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٧٦ ، ٤٨٧

٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٣

قلفيموس : ٤٠

قنيلس : ١٢ ، ٤٤

قيضا الرهاوي : ٢٨٢

قو : ١٢ ، ٢٠ ، ٤٤

قيصر : ٣١

- ك -

كثير حزة : ١٧٤

الكرخ : ٢٨٠ ، ٤٠٣ ، ٤٤٤

كرك : ٢٦

الكرماني : ٤٤٣ ، ٤٤٤

٢١٣ ، ٢٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٩ ، ٢٨٦ ، ٣٢٦
 ٤٣٧ ، ٤٥٤ ، ٤٧١ ، ٤٧٧ ، ٥١٤
 مضر : ٢٢٤ ، ٢٣٧
 مقرب : ٦ ، ٩ ، ١١٨ ، ٣٢٧ ، ٤٧٠
 ٤٧١ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠
 محمد بن سلام : ٢١٥
 محمد الزيات : ٢٠١ ، ٢٨٤
 محمد بن عبد الله العلوي : ٣٠٠
 المأمون : ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٠
 ٢٠١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤١
 ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩
 ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٨٠ ، ٢٨٦ ، ٤٧٤
 المتوكل : ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦
 ٢٠٧ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩
 ٢٥٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٨٦
 المسعودي : ٨٦ ، ٩٠ ، ١١١ ، ١٢٤ ، ٤٢٧
 مريم : ٢٦٦
 مامر جوية : ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤
 ميساندس : ٤٠
 ماسونه أبو يوحنا : ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥
 المسيح : ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١١٧
 ١٥١ ، ١٧٧ ، ١٨٦ ، ٢١٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤
 ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩
 مسلمة بن أحمد : ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٩٧
 المستنصر : ٢٦٣ ، ٣٢١
 منصور بن باقر : ٢٨٢
 معاوية : ١٦١ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥
 محمد بن موسى النجم : ٢٨٣
 الماتز : ٢٠٦ ، ٢٤١
 المحتشم : ٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧
 ٢٣٩ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٨٦
 ٣٨٢

كنكة الهندي : ٤٧٣
 كسرى انوشروان : ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٧
 الكشي : ٤٦٢
 كمال الدين بن يونس : ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢
 كمال الدين البغدادي : ٤١٥
 كركانج : ٤٣٨ ، ٤٥٨
 كوفكتيد : ٤٤٣ ، ٤٤٥
 كمال الدين بن ميكايل : ٤٧٠
 الكرمانلي : ٤٨٢ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥
 كلدان : ١٢ ، ١٨ ، ٣٢ ، ٦٤ ، ٢٦٠
 كمال الدين : ٥ ، ٨
 الكتاني : ٤٩١
 الكوفة : ٢٣١

— ل —

اللجلاج : ٢١٩ ، ٢٣٨
 النخعي : ٤٩٦ ، ٥٣٠

— م —

المازني : ٢١٤
 ماسيرجس : ٢٨٠
 ماغيبس : ٣٩
 مانويس : ٤٠
 مجوس : ١٨ ، ٣٠ ، ٩٦
 ماسلطن : ٤٠
 ماهالس : ٤٠
 المدينة : ١٦
 مثنائوس : ٤٠
 مرقس : ٤٠
 مروان بن الحكم : ١٧٤
 مصر : ٦ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٨ ، ٣١ ، ٣٢
 ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٨٠ ، ١١٨ ، ١٤٦ ، ١٥١

| | |
|---------------------------------------|-------------------------------------|
| محمد بن الجهم : ٢٩٢ | موسى بن سيار : ٣١٩ |
| منكه الهندي : ٤٧٥ | ميتس : ٤٠ |
| المقتدر : ٢١٠ ، ٢٧٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ | ميتخايل بن ماسويه : ٢٥٥ ، ٢٥٦ |
| ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٢٩ ، ٤٢٤ | مسكويه : ٣٣٠ |
| المقتصد : ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ | محمد بن كواب الموصل : ٣٣٢ |
| ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٥ | المقبلي : ٣٤١ |
| مكه : ١٦١ ، ١٦٧ ، ١٩٢ ، ٢١٩ | المقتدي : ٣٤٣ |
| المكتفي : ٢٧٨ | المستظهر : ٣٤٢ ، ٣٤٣ |
| المعتمد : ٢٧٧ ، ٣١٥ | المؤيد : ٤٠٦ |
| المستكفي : ٣٠٤ | مذهب الدين بن هبل : ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ |
| النصور : ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢١٩ | مشر بن فالك : ٥١٠ |
| ٢٢٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٧٩ ، ٤١٣ | المظفر : ٤٥٤ |
| الطيح : ٣٠٤ ، ٣٢١ | مراغة : ٤٦٢ |
| موسى بن خالد : ٢٨١ | مرقد : ٤٦٢ |
| المرقضى : ٣١٤ ، ٣٢٧ | مؤيد الدين : ٤٧٢ |
| منف : ٣١ | محمد بن قلعج : ٤٩١ |
| موسى بن اسرائيل الكوفي : ٢٣٠ ، ٢٣١ | مراكش : ٥١٩ |
| ٢٣٢ | محمد بن رشد : ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ |
| موسى بن هازار الامراتلي : ٥٤٥ | مذهب الدين بن الحاجب : ٦٥٩ |
| موسى النبي : ٣٨ ، ١١٠ ، ١١٧ ، ٢٦٦ | مذهب الدين عبد الرحمن بن علي : ٧٢٨ |
| موسى الهادي : ١٨٦ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ | مذهب الدين بن ابي حليقة : ٥٩٨ |
| ٢٢٢ ، ٣٢٢ | مذهب الدين بن النفاش : ٦٣٥ |
| موفق الدين بن المطران : ١٣ ، ١٤ ، ١٦ | مذهب الدين يوسف بن ابي سعيد : ٦٣٥ |
| ١١٧ ، ٣٧٥ | موفق الدين يعقوب بن متلاب : ٦٩٧ |
| متى بن يوفان : ٣١٧ | موفق الدين عبد السلام : ٧٥٥ |
| المهدي : ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٣١ | موفق الدين عبد العزيز : ٦٧١ |
| ٢٨٥ ، ٢٣٢ | موفق الدين يعقوب السامري : ٧٦٧ |
| مهياب : ٣٢٧ | |
| مهراريس : ٣٩ | |
| الموصل : ٢١٣ ، ٣٢٧ ، ٤٧١ | |
| موطيس : ٤٠ | |
| مولر : ٦ | |

- ن -

نبط : ١٨

نجم الدين الكرندي : ٢٦

نزار : ٢٢٤

هرمس : ١٢ ، ١٨ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٥٨ ، ٣٠٤
 هرة : ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧
 هلال الحمصي : ٢٨
 هرويس : ٣٠
 هرون الاشبوني : ٤٩٢
 هبة الله بن علي ملكا : ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨٦
 هبة الله بن الفضل : ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٣٨٩
 هبة الله بن أوردى : ٣٩٩
 الهند : ٥ ، ٩ ، ١٢ ، ٣١ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٤١٣ ، ٤٢٤ ، ٤٣٧ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥
 ٤٨٣ ، ٤٨٤
 حمدان : ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٥٧
 الحمداني : ٤٥٨
 هيامس : ٣٨
 هشام بن هشام : ٤٨٥
 الهنتالي : ٥٣١

- و -

الرائق : ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٣٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩
 الواقدي : ١٧٤
 الواسطي : ٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧
 الوراق : ٤١٦

- ي -

يبرودي : ٦١٠
 يبلوس : ٢٣
 يحيى بن جعفر : ١٨٧ ، ١٩٢ ، ٢٠٠
 يحيى بن علي : ١٠٦ ، ٣١٧ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩
 يحيى النحوي : ٢٣ ، ٣٩ ، ٤١ ، ١٠٩ ، ١٠٩

الناصر : ٤٠٣ ، ٤٠٥
 نجم الدين الأسفاري : ٤٦٥
 نصرانية : ٣٠ ، ٩٦ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٥١
 ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ١٨٥ ، ١٩٩
 ٢١٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨
 ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٩٦ ، ٣٢٣
 ٣٢٥ ، ٣٥٣ ، ٣٧١ ، ٤٠٦ ، ٤١٣ ، ٤٢٩ ، ٤٣٦
 النصر النقي : ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠
 نصير الدولة : ٢١٤
 النحوي : ٤٧١
 النباش : ٤٩٧
 نظيف القس الرومي : ٣٢٢
 نجم الدين أبو الفتح : ٤٧٢
 النائي : ٤٣٧ ، ٤٣٨
 النيسابوري : ٤٥٨ ، ٤٦١
 نوح بن منصور : ٤٣٧ ، ٤٣٨
 نسا : ٤٣٩
 نيسابور : ٤١٨ ، ٤٦٤ ، ٤٧١
 النيمان (القاضي) : ٤٨١
 نبرون : ١١٢ ، ١١٣
 الناشي : ٤٨٣ ، ٤٨٤
 النيل : ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٣٣٦
 النيل : ٣٤١
 نمرود : ٣٢
 نصراني (بولس) : ٥٤٥
 نصراني (أبو الفرج) : ٦٦١
 نصراني (أبو النجم) : ٦٦١
 نجم الدين بن الخفاج : ٧٥٧
 - ه -
 هرقل : ٦٢

٤١٤ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩
 يوحنا بن ماسويه : ١٩٢ ، ٢١٥ ، ٢٢٩ ،
 ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،
 ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩
 يوقال : ١٨
 يوسف بن الداية : ١١٧
 يزدان : ٥ ، ٦ ، ٨ ، ١٢ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٥ ،
 ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ،
 ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٩ ، ٧١ ، ٩١ ، ٨١ ،
 ٩٢ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١٢٤ ، ١٤١ ،
 ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٩ ، ١٦٧ ، ١٨٣ ، ٢٤١ ،
 ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٦ ،
 ٢٧٩ ، ٣٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٣٥ ، ٤٩٣
 يوحنا بن مربيون : ١٥٨
 يوحنا بن بختيشوع : ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢

٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،
 يزيد : ١٧٢ ، ١٧٥
 يزيد بن يزيد : ٢٢٦
 يحيى بن البطريق : ٢٨٢
 يحيى بن يحيى : ٤٨٢
 يعقوب بن اسحق الكندي : ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،
 ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨
 يحيى بن التلميز : ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣
 يحيى بن اسحق : ٤٨٨ ، ٤٨٩
 يوسف بن محمد : ٤٩٦
 اليمى : ١٦١ ، ٣٢٧
 يوسف بن موراطير : ٥٣٣
 يوسف الناقل : ٢٨١
 يوسف اللس (الساهر) : ٢٧١
 اليهود : ١٧ ، ٩٦ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ،
 ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٢٢ ، ٣٠١ ، ٣٧٤ ، ٣٦٦



UYŪN AL ANBĀ
FI
TABAQAT AL ATIBBĀ
BY

IBN ABI USAYBIĀ

DAR MAKTABAT AL-HAYAT

Beyrouth